

«دار لوفنغان» وعنوانه «فلسطين والقانون الدولي» وهو من تأليف المشتري الحقوقي الكبير هنري كتن وله مقدمة بقلم الدكتور و. ت. ماليس من اساتذة جامعة جورج واشنطن الامريكية .

وهذا هو الكتاب الثالث الذي يصدره استاذنا هنري كتن عن قضية فلسطين باللغة الانجليزية في غضون ثلاث سنين ، وذلك للدفاع عن قضية بلاده امام الرأي العام الغربي لا بلغة الحماسة و«البيعات» بل بلغة الوثائق والقانون والمنطق والارقام ، وهي لغة الاقتناع الوحيدة التي تحترمها مجمع الغرب وتفعل فعلها في كسب تأييدها .

والكتاب في مجمله كتاب تطبيقات لمبادئ القانون الدولي المتعارف عليها على قضية فلسطين منذ ما كانت مجرد حلم ينسب الى الدين ، الى ان عززت بوعد بلغوري مبدول ، وما تلا ذلك من انتداب بريطاني وقرارات للتقسيم ثم ما تطورت اليه من قيام دولة الصهاينة وما جاء في اعقاب ذلك من قرارات متراسة للامم المتحدة .

وقد انتهى هنري كتن من هذه التطبيقات العملية الى ان الحلم التاريخي امر لا يعترف به قانون الامم ، وان الوعد البريطاني بلغوري وعد «باطل متى سلطت عليه اضواء القانون الدولي وان الانتداب بكل مقوماته كان صارخا في تحرشه بالمبادئ القانونية الدولية ، وان السيادة على فلسطين هي لاهل فلسطين الاصائل فلا هم تنازلوا عنها ، ولا حق لسواهم من خرواج المنتدبين في ان ينقلوها الى سواهم ، وان قيام اسرائيل ظلم فاحش لكل ما تواضعت عليه الامم في نواميس المسئونة ، وان قرار التقسيم من فواحش القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة لفساد قوائمها القانونية ، وان القرارات التي تتالمن الامم المتحدة فتقرت الى السند القويم لقضية شعب ، وان السبيل الوحيد لاقامة صروح العدالة والحق في فلسطين هو بتحكيم قوانين الامم وتطبيقها تطبيقا قانونيا بمعرفنة المنظمة الدولية . فلا حل للقضية الا بالرجوع الى جذور تلك القضية وابطال كل ما شاب الاجراءات التي اتخذها المتصرفون بامرها من مخالفات يضح منها القانون الدولي اشد ضجيج ويزرع اعمق فزع .

وحماسة هنري كتن هي حماسة للقانون والمبادئ ، وما دامت قضية بلاده تنحاز اليها تلك المبادئ والسنن الدولية ، فهو مطمئن الى بلوغ غاية القدرة على الاقتناع ان وقع كلامه على ضمائر حية واصاب اذنانا مصغية .

ولهنري كتن منزلة كبيرة في نفسي منذ ما تابعت مواقفه في الامم المتحدة عام ١٩٤٨ ومنذ ما سعدت بوعده في عام ١٩٥٥ فلتبت في شخصه وعلمه وتجاربه رجلا من اعظم الرجال . وقد كان من اكبر اسباب سعادتي وامتاعي قيامي - بناء على رغبته - بترجمة واحد من كتبه الفلسطينية وانا في عز لتي المجرية الكئيبة ، وكانت ذراعي



وديع فلسطين

حديث مستطرد عن فلسطين

بقلم وديع فلسطين

اراني مضطرا كلما تحدثت عن فلسطين ان اذكر الناس بانني لست من فلسطين ، وان الملاحظات الجغرافية لاسمي الكامل « وديع فلسطين حبيبي » لا تنسبني الى فلسطين ولا الى الحبشة ، ولا تخرجني عن واقف صعيدتي ومصريتي ، مع عروبة الانتماء والايمان .

وكم انقل كاهلي هذا الاسم الحير ، الذي اوقفت عشرات من المرات امام اهل الاستنطاق والتحرير حتى صرت - على الرغم مني - اتيبرا من فلسطين في كل مناسبة وبلا مناسبة ، على الرغم من الحفاوة الشخصية التي كنت القاها من اقطاب فلسطين كالغفور له سماحة الحاج امين الحسيني ، والرحوم احمد حلمي باشا والمجاهد العربي الاكبر محمد علي الطاهر (رطب الله مئاومهم جميعا) واحمد الشقيري وعادل زعيتن واكرم زعيتن وقدري حافظ طوقان وخليل السكاكيني والدكتور اسحق موسى الحسيني ومن اليهم ، وهي حفاوة سببها الاول حلمي اسم فلسطين بمحض مصادفة .

اسوق هذا التمهيد ، لاستطرد منه الى حديث عن طائفة من الكتب اخرجتها المطابع اخيرا عن فلسطين تستحق لتميزها العظيم وقفة تعريف وانصاف .
اول هذه الكتب صدر في لندن باللغة الانكليزية عن

الحجرية او اللواح ذات النقوش ، واستوعبا كتابات المؤرخين الغربيين قبل الاعراب ، ودرسوا التوراة دراسة توافر وعق ، وكانت حصيلة هذا الجهد العلمي الفريد الاطاحة بالدعوى التاريخية ، بل الدينية ، التي تنوكا عليها الصهيونية ، كما اطاح هنري كتن بدعواهم القانونية والسياسية .

ومع هذا نقول ان هذه الكتب النفائس لم تغلق باب التأليف في موضوع فلسطين ، على ما انصفت به من اتساع الجوانب واستقصاء الحقائق واستدراار الحجج من مصادر الحق في التاريخ والقانون .

اما الاسلوب الذي توخاه العامري في تسطير كتابه هذا ، فهو الاسلوب العلمي المباشر الذي يجاني «الدردشات الاستطرادية» ، وعساه يغفر لي استطراداتي التي اراها منتجة من هموم التخطيط والتنهيج (نسبة الى منهج) التي بدعو اليها وبلغ فيها اساتذتنا الاكاديميون ، حتى تحيي كتاباتهم «معمارا هندسيا» مترابلا .

والكتاب الثالث ينقلنا نقلة سحرية البسطة الى عالم الادب ، لانه كتاب لصديق العمر الاخ الحميم الدكتور كامل السوافيري ، وهو باسمي احق لانه في كل دراساته يدور في محور فلسطين بوصفه الخبير الموثق للادب الفلسطيني . فما احرأه ان نسميه كامل الفلسطيني ، وليذهب عني لقب الصق بي بغير استحقاق .

ففي كتاب «الانجازات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر» يتناول الدكتور السوافيري ديوان فلسطين ، ويستنبط منه نماذج تدرج تحت المذاهب الفنية المختلفة ، ويصنف شعر الشعراء بين رومنتسي متعلق ، وتقليدي متحفظ ، وتجديدي ينحو الى الرمز والصوفية ، وقومي يمجج بمشاعر الكارثة المدهلمة ، واسطوري يستعني بالميتافيزيقا للتعبير عن جيشان النفس تلقاء الاحداث ، وواقعي يستنطق بالاحداث ظاهرها لا باطنها ، ووصفي وغزلي ورنائي ، وما الى ذلك من ابواب الشعر .

ولهذا الكتاب الكبير فضائل يحصى بعضها ولا يحصر كلها . فمن فضائله الاولى انه ابرز للقراء شعراء من فلسطين هياها هياها من يعرف عنهم خيرا او يقرأ لهم ديوانا . فقد اندثر اثرهم او كادت ، وغابت اسمائهم او اشرقت على المصيب لولا العيس اللعانة البقظلي للسوافيري الكامل ، التي جاءت منصفة لشعراء يبدنون له قبل غيره بشيوع الذكر . ومن فضائله الاخرى انه ، فوق ما فيه من دراسات ادبية نقدية رشيدة النظرات ، قد بعث الى عالم النشور الحياة الادبية والفكرية في فلسطين منذ عام ١٨٥٠ والى يومنا الحاضر ، حفل الكتاب بما صور للقاريء الاحتمامات الذهنية والفكرية لابناء فلسطين قبل النكبة وبمدها في اطار القضية ومدارج الكفاح . ومن نواله فضائله انه نصب ميزانا قبايا كبيرا ، اتسع لجميع

اليمني مودعة في غلاف من المصيص لانكسارها ، فنسبت مرارة الوحدة والام البدن وعشت معه في عالم ذكي ، لان جميع مصنفات هنري كتن كتب اذكاء .

والغريب ان كتب هنري كتن قد اهتمت بها صحافة الغرب ، فاذايت عنها المحاضرات ، وكتبت في دراستها البحوث الترسلات ، وعلقت عليها حتى صفح الصين ، وتناولتها امهات مجلات الادب والتربية . فان بحثت عن صدى هذا في صحفنا العربية ، خرجت منها بما يشبه خفي حنين ، لان صحفنا في كثرتها الكائرة قد اهلست الكتب ، والفت ابواب «الكتبة» وانشأت بدلا منها ابواب التلفزيون وراقصات الشارلستون !

والكتاب الثاني هو بدوره من بواذخ الكتب ، وقد عالج فيه صديقنا العالم الاديب الكبير محمد اديب العامري موضوع «عروبة فلسطين في التاريخ» .

ودعك من المناصب التي شغلها العامري ، فهي لم تردنا به تعريفا ولا لفضله تعجيذا ، بل لعلمنا سولت لثلي من يتهرب من لقائه . فقد كنت وما زلت اسرع الناس هربا من ارباب المناصب ، لا يكاد واحد من اصدقائي يعتلي الدست ، حتى يكون هذا اخر العهد بيئنا .

فالعامري نعرفه مريبا سلخ عمره في تهذيب العقول ، ونعرفه مترجما ومؤلفا واديبا ومؤرخا محيطا ، ونعرف فوق هذا انه بواسع فضله يشمل بعنايته مشروعات ادبيين جليلين ، هما نشر دائرة المعارف الفلسطينية التي صال في جمع مادتها وجال صديقنا المبكي على غر شغاله بعقوب العودات «البدوي المثلث» فسجل للاجيال سرا يهددها الطمس والزوال . اما المشروع الآخر فهو تناسرة «الاديب» لتواصل اداء رسالتها في خضم المبتذلات الكئيبات فتبقى في الميدان ملتقى ادبيا عظيمي في جميع ديار الاعراب وفي مواطن الهجرة ومراكز الاستشراق .

والكتاب الذي صنفه اديب العامري عن عروبة فلسطين هو كتاب تاريخ في المقام الاول ، وجل مراجعه من مؤلفات العلماء الغربيين ، وعلماء الحفريات . وقد برهن بعد طول تطواف على ان فلسطين عامة والقدس خاصة ، كانت عربية النجار منذ سحيقات العصر المدونة وان جميع المؤرخين المصدول قد قرروا ان الشعوب التي عاشت في الشرق الاذني وانشأت الحضارات الاولى في تاريخ الانسان كانت عربية الاعراق والمنابت ، اذ نزحت من جزيرة العرب واستقرت فيها .

وليس من مقامحنا في هذا الحديث المستطرد ان نوجز فصول الكتاب ، فالكتاب كله شديد التركيز ، وبياناته التاريخية عسير ضغفها في حيز مقال ، ولكن من تمام الحق ان نقول ان العامري وزميله العراقي العلامة الكبير الدكتور احمد سوسة صاحب كتاب «العرب واليهود في التاريخ» قد جاسا خلال الاحقاب التاريخية ، وقلبا جميع الانار

شعراء فلسطين ، فشالت في الموازين كفات ، ورجحت كفات
والسوافيري القباني لا ينجح مع هوى .

وهكذا تم السوافيري جهده السابق في تحديد
« موقف الشعر العربي من محنة فلسطين » بهذه اللاحق
في درس « الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر » .
وهو غير مكتف بهذا ، فتحت يديه كتاب كبير عن « الأدب
الفلسطيني المعاصر » وكتب عن « عبد الرحيم محمود »
و« ابراهيم الدباغ » و« اسعاف النشاشيبي » ولن ينأ عنه
بال حتى يضع امام القارئ « تبتا كاملا بتاريخ ادباء فلسطين
وشعرائها متبحرا في دراساته ، واقفا على كل علم من
اعلامها كتابا براسه .

والسوافيري صاحب تاريخ وليس مجرد هاز مثلي ،
فان بحث عن أصحاب الندوات الادبية ، فالسوافيري
واحد منهم كانت تقشى لدوائه أمة الأدب : محمد عبد
الغني حسن ومحمد مصطفى الماحي واحمد عبد الغفور
عطار ومحمد علي الحوماني ومحمد عبد المتعم خفاجسي
وجليلة رضا وابو سلمى عبد الكريم الكزعي ، وكل ادباء
فلسطين وشعرائها طوعا ونزولا . وان بحث عن العاملين
في ميدان القضية ، فهناك السوافيري تشير اليه الاباهم
العشر ، هو كالمولك في منتديات بحثها . وان احصيت
اسماء الدعاة القوميين ، فلن يفلت منك اسم السوافيري
الؤمن ، الذي زلزلت حياته ولم يزل ايمانه بالعروبيات ،
وان ذكرت الجاهدين الابرار ، فالسوافيري تعرفه مناهات
المنافي . وهو في الوفاء مضرب المثل : يستقبل ويودع
يعزي ويهني ويسعى بين الناس ببعض الخير . ولا اكاد
اراه الا وفي صحبته زيد من الناس ، فاذا دعاني داعي
الفضول الى الاستفسار منه عن هوية هذا الزيد ، قال انه
طالب فلسطيني اسعى في الحاقه بالجامعة ، او انه اديب
فلسطيني ابحث لدوياته عن ناشر ، او انه نزيل فلسطيني
نفثش له عن نزل ، او انه حضرمي ينقب عن مخطوطة او
يريد ان يستكمل مجموعته من مجلة « القيس » التي
احتجبت منذ اكثر من نصف قرن . يحمل على كتفيه اعباء
القضية وابعاء الادب وهموم الوفاء ، ويدور على قدميه
في دنيا الادب ملاقيا الجحود بصدر لا يضمم للناس
حقدا .

ومن آيات وفائه انه اسى ابنه البكر « علاء » لان
احمد حسن الزيات الذي كان يدين له بالاعجاب والحب
سمى ابنه « علاء » .

فيا ابا العلاء ، طوباك ادبيا ، وطوباك مجاهدا ،
وطوباك اخا للود والوفاء .

والكتاب الرابع الذي نقلنا بالقضية الفلسطينية الى
المسرح الحي ، هو المسرحية الشعرية الجديدة التي
اصدرها الشاعر الكبير الاستاذ عدنان مزرد بك بعنوان
« فلسطين الثائرة » ليصور فيها بشاعريته الخصبة مواقف

الكفاح التي وقفها الباسلون من ابناء القضية كعبد القادر
الحسيني وابراهيم ابو دية والجاعوني والزراوي والسيدة
المجاهدة الباسلة زوجة عبد القادر الحسيني ومن اليهم .
والجديد في هذه المسرحية الشعرية انها متصلة
الوشائج بقضية معاصرة وان شخصها قريب العهد بنا
وبعضهم ما زال « يمثل » على مسرح الحياة تمثيلا واقعا
لا مسرحيا . وقد ردي عدنان مزرد بك الى ذكرى مسـا
زالت تؤثني كلما مر بذمني طائف منها ، هي ذكرى زيارتي
للبلط المجاهد ابراهيم ابو دية في المستشفى الايطالي عام
١٩٤٩ او نحوه . فقد كنت ارتاد ندوة « الشورى » لصاحبها
الفتيد العظيم محمد علي الطاهر - سيد المجاهدين العرب -
فقال لي : هل زرت ابا دية ؟ فسألته : وكيف السبيل الى
ذلك ؟ فقال لي : انه يعالج من اصابته القاتلة في المستشفى
الايطالي بالمعاسية (القاهرة) . قلت له : ولكنني لا
اعرفه شخصا ، واخشى ان يمتنعوني من زيارته على
سبيل الحيلة . فقال : اذن يصحبك غدا واحد من
اصوانه .

وفي الغداة زرت هذا البطل الجريح ، وكان مسجى
في فراشه بعد ان كثرت في جسمه جراحات المباحض .
وحاولت ان استدرجه الى الكلام ، ولكن الامة كانت فوق
طاقة البشر فاجملت لسانه . اما وجهه الصارخ الملامح
فلم تبد عليه اي بادرة لتلك الالام التي تم تلبث ان هضرت
عوده بعد بضعة ايام . لقد كانت بطولته بطولة صامتة :
ادى دوره في ميدان الوغى ، ونال اوسمة الجهاد فسي
جسمه . ثم ماذا ينتظر الناس منه بعد ذلك ؟ ينتظرون
كعلاما ؟ وما اسهل الكلام .

ولم امك الا ان احببه بكلمة نشرتها في الجريدة
التي كنت اعمل بها ، وحرصت على ان ابعث بها اليه ، وان
كان سيد الفضلاء محمد علي الطاهر سبقتني بنفسه
وشخصه الى تقديمها اليه ، وبعد ايام ذهب ابو دية فسي
طريق ابرار الجهاد .

ذكرت هذا وانا اقرا المسرحية الممتعة التي رسمتها
الريشة الصانع لعدنان مزرد بك ، فقلت لنفسي ان
الشاعر المردمي قد اقلع في تصوير المواقف التي عجزت
انا والبطل راقد امامي ان اصورها . فله در الشاعر ،
فهو يبلغ بالغيال ما لا تبلغه نحن بالواقع ، وهو يقول فسي
بيت ما لا نحسن قوله في نهر طويل يندرج في صحيفة
سيرة .

والمسرحية المردمية معرض حي للبطولات التي يتصدى
لها الرجال والتي تحملها المرأة الابية الصامدة . كما انها
تأخذ من التاريخ ما يناسب المواقف والمشاهد ، وتتجافى
عن الدقائق التاريخية الصغيرة التي تفسد بهرجة العمل
المسرحي .

ولعل ما يؤخذ على هذه المسرحية انها حافلة

وهي قصيدة طويلة جميلة ، خلط فيها الشاعر بين معاني الحب ومعاني الوطنية مغلبا الاخرى على الاولى ، في حوار جميل طبع السليقة .

والشاعر علي هاشم رشيد ، وان كان يسمى ديوانه « بالطوفان » ، فحتى في خطابياته ليس هادرا يردد كلاما قافيته من القممات والصليل . فعقله يسبق لسانه ، وذنه يمد من ضخامة حنجرته ، ولهذا نستمتع بشعره في قراءة هادئة ، ولا سيما تلك القصائد الانسانية التي تتخذ من الحوار قالباً لها ، كقصيدة « رسالة الجندي » وقصيدة « لا بأس » التي اقلت فيها طفلة صغيرة سؤالاً على امها :

يا ام : هل نحن بلا ديار
ام حظنا نجم بلا مسار
حياتنا تحفها الاخطار
وزهرتنا ليس له نوار
ام نحن يا ام ككل الناس ؟
يا ام اين بيتنا الحبيب ؟
يضمنا بساحة الرحيب
فقال الام :

الوطن الحبيب للاباء
لمن ارادوا الجد في الحياة
من حطوا مكائد الطفاة
وقوضوا معاول البغاة
يا طفلي الصغيرة الحبيبة
لا بأس لا بأس مع الحياة

وهي كسائر قصائد الديوان تتنوع بالانسانيات الشفيفة وتنقل المعاني الوطنية نقلا غير مباشر الى القلب ، ولو كان قلب طفلة صغيرة تحار في فهم عليها السياسات .

ويستطرد بن الحديث عن علي هاشم رشيد الى اول عهدنا بالرسالة والمكانية . فقد كان يومها في غزة ، يطوع القوافي للاعراب عن مشاعره . ويومها وجه الي قصيدة مهداة نشرت في « الاديب » ، كما اهداني شقيقه هارون هاشم رشيد قصيدة اخرى تدرجت في « الاديب » ايضا . ولا ادري ماذا صنع الزمان بينك القصيدتين ، ومما ذكرتهما الا ان لحرصي على هذا الشعر الاخوي النبيل، ولاشأدي بالوداد العزيرة التي تطلوحت على تصاريف الزمان بيني وبين شاعرين من امجد شعراء فلسطين .

وديع فلسطين

القاهرة

بالمواقف الخطابية . وان الحركة فيها قليلة بل منعومة . وطبعي ان الشاعر ليس في وسعه ان ينقل على المسرح من معارك الحرب الا اصوات المدافع والقنابل ، كما انه مضطر الى ان ينقل الاحداث من واقع تراه العين التي روية ترويه الالسنه . فشخص الرواية تجعل الاحداث على السننها ولا تشرك الجمهور في رؤية تلك الاحداث مرأى عين .

ولئن اخذ هذا القصور على الشاعر الرمدي ، فقد استطاع ان يغني الشعر المقول بالحكم التي يستشهد بها في مجال الوطنية والبطولة ، وبالمنصائح التي ينتفع بها اليوم وفي كل يوم . فنقص الحركة يلازمه فسي هذه المسرحية تراء في الشعر الوطني وحشد من عبارات الحكمة المسوقة اجمل سوق .

وليت الشاعر الكبير عدنان مردم بك يضيف الى مسرحياته الشعرية ، سواء التي رمز بها الى فلسطين كمسرحية « مصرع غرناطة » او التي وقفها عليها كمسرحية « فلسطين النائرة » ، مسرحية جديدة تخلد امثال واثل زعيتر الذي كانت حياته قصيرة ، لقد مد يده للناس بالحب والرفق والحكمة ، فجازوه بالبنف والعتف والطيش .

فلتفخر اللغة العربية (بنت عدنان) بابنها الشاعر عدنان بوجهته الاصيله وهمة الكبيرة وجهده المثلث في خدمة الضاد : شعرا وفنا ووطنية .

والكتاب الخامس في الفلسطينيين هو ديوان « الطوفان » للشاعر علي هاشم رشيد الذي اخرجته الشجرة الباسقة لفلسطين ، فكان لها ابن من ابر ابناؤها واصدقهم في رفع صوتها وترتيل اناشيدها .

وقد عرفت ابا حيدر وهو ما زال في غزة يغنى اغاني الحب والهوى . فلما اقتلعت القضية من ارضه وبيته ، بل من كل المبادئ الافلاونية التي كان يدين بها ، تحول الى شاعر يجار شعر القوة ، ويبشر الاسادي « بالطوفان » . وهو نفسه قد صور هذا التحول في حياته تصويرا شعريا في قصيدته الموسومة « رسالة جندي الى حبيبتيه » التي قال فيها بلسان الجندي موجهها حديثه الى اثيره قلبه :

تسألني حزام تبعد عن درسي
فيمت اعراق القلب عن وطن الحب
الست الذي غنى الغرام قهالنا
تدور الايام في لوحة القلب
الست الذي اترعت بالحب كلسه
ومن كان لعقد العين عن حبه بني
ثم يجيب عن هذا التساؤل بقوله :

سلوتك لا ان دمعاني موطني
لاظم من حبيبك يا منية القلب
واني لادري ان حبيك مسالك
فؤادا حملناه على المركب الصعب
ولكنني قد صمت عن ذاك كلسه
وكل جميل اللحن بين الوردي يضي
فلم يبق وقت للغرام وللهورى
وداعيا الكلاخ اليوم يدعوا للرب

يقلب على جمره ما استقر
ويخفق خفقاً كريح السحر
تنير دجاء بنور القمر
رأى نبعها بعد طول السفر
سقاها بنمغ هتون قطر
تلهب خد حبيب هجر
يعيد زماناً مضى واندر
بمقد لشمس وكان انتثر
حكيت صبوراً اذا ما صبر
وتحت الرماد اللهب استتر
علي طوبى من الوقت مر
اسائل من في الطريق عبر
واذكر ما عاشق ما ذكر
« اعمى احب لديك خبر
على باله الود ما ان خطر »
فما كاد يبدو لها من اثر
وفيها بوقد هواي شعر
وما ان عصيت له ما امر
ودمعي لقمير الهوى ما انهمر
فطال عذابى بطول السهر
تحملت وحدي شجون البشر
بمر العتاب وحلو السم
لينطق قلبي حين الوتر
فلا كان في الروض هذا الشجر
فنعم الشهيد اذا ما اشتجر
صديق الفؤاد شرود البصر
وطال انتظاري لحلو التمر
ليحطم كاس النوى بالحجر
فليس ثلثي عفو غفر
ولكن اخيراً حبيبي حضر

حسين مجيب المصري

مضيت الى الموعد المنتظر
يسابق شوقاً الى رؤية
يحن حيناً الى طلعة
ليروى صداه ومن قطرة
تنسم عطرا ومن زهرة
تمثل وصلاً ومن زهرة
كان اللقاء وفي مرة
ويجمع دراً الى درة
وقفت طويلاً وفي وقتي
وما كان صبري سوى لوعتي
وفيما اقايسه من لهفي
وكنت اما زاد من حيرتي
واغلب حتى على خجلي
واسمع من مر من قولتي
تناسى لي الوعد في ليلتي
انا من اذبت له شمعتي
انا من بسطت له راحتي
انا من بذلت له مهجتي
واجريت في جبه دمعتي
واسهرت من اجله مقلتي
كاني بما ذقت في حرقتي
وناجيته الطيف في وحدتي
وافعمت بالحب قيثارتي
وقلت اذا لم يعد بليلي
وان كان في جبه قاتلي
وقفت واني صريع الهوى
كاني بارضي نثرت النوى
وقلت : له القلب من صخرة
وان كان لا بد من عثرة
وقلبت عيني في نظيرة

القاهرة

به الزمان ؟

لا بد لمن أراد ان يواكب النهضة العلمية المتفجرة بكل جديد، والقاضية بتجسيد الحقائق ، في الغالب ، من ان يأخذ نفسه باستيعاب متسلسل حلقاتها يستعرض فيه وجوه التاريخ من اقدم منابعها حتى اليوم ، ولو في صورة خاطفة .

اقدم ما عرف الانسان من معنى للتاريخ هو انه مجمل الحوادث البارزة التي وقعت في مجرى الحياة البشرية ، والعناية بمعرفتها وحفظها . وكان ان غلب ، اولاً ، حفظها على العناية بمعرفتها ، فاصبح التاريخ سجلاً للماضي في مختلف ابعاده ، تشحن به حافظه الخلف اخذاً عن السلف . وهكذا استمر التاريخ عبئاً من اعباء الذاكرة ، اجيالاً كثيرة من عمر الانسان .

ولما كانت ، لكل ما تعنى به حافظه الانسان ، قيمة ينتفع بها عند الحاجة ، كان من الضروري ان يبرر جهده الصابر على مطالعة التاريخ ، وادخار ما يروقه منه ، تبريراً تكون فيه المعادلة بين الجهد والانتفاع معقولة مقبولة . غير ان استقامة هذه المعادلة ، في ما يتناول العصور القديمة ، لم تكن متوفرة ، اذ رجحت كفة المشوق من الحوادث التي قدمها مؤلفون عر فوا كيف يشيرون عند قرائهم للذة مشوقة . ولكل من اولئك الموهوبين قدرة على الانارة ، طريقة خاصة في فعل التشويق . ومع اتساع تلك الحلقة من الذاكرة والتشويق كان لا بد من ردة فعل تطلب ب « ولادة المعرفة التاريخية الصافية » على حد قول بعض المعنيين بهذه الردة الفاعلة .

اذن فالضرورة جاءت تقضي بغربة المروي عن مجرى حياة الانسانية الطويل وهو ما عرف بالتاريخ . فاذا كان المؤلف التاريخي يعكس مشاغل عصره وافكار بيئته ، حين يكتب ومن حيث يصدر ، فاننا نرى من الطرف الاخر ، ان المعنيين بدراس التاريخ وتدرسه ، يستضيئون بما يمكن ان تسببه تاريخ التاريخ . وهذه الغربة التي تفرس نفسها تترك ما تراكم من المؤلفات التاريخية في شبه امتداد متعرج او اتجاهات متباينة القصد متفاوتة القيمة ، اذ ان نتائج اعمالهم لا تعرف ، على حقيقتها ، الا بعد الكشف عن حقيقة جهدهم .

ونعما نحن ماضون في هذا الكشف ، لا بد لنا من ان نلاحظ تفاوتاً في درجات الحماسة عند الشعوب لمعرفة ماضيهم ، حتى ليلغ هذا التفاوت نسبة هائلة في بعض الاحيان ، وعند بعض المجتمعات المتوغة في القدم : فالمجتمع الهندي ، مثلاً ، يبدو وكأنه دون تاريخ ، هذا اذا لم يكن للتاريخ من قيمة جذرية ، تتقدم الاهتمام بالماضي ، او تسيطر على فكرة ابراز الدولة ، فبسبب غياب الدولة في الهند يشغل الهنديون بالبحث عن مبادئ وطقوس ممارسة لحياة روحية تميزوا بها ، فاشغلت ذاكرتهم عن التاريخ ، في حين



نسيم نصر

النظرة الحديثة الى التاريخ

من خلال كشف علمي

بقلم نسيم نصر

عندما خلص الانسان ، في تعاقب الاجيال عليه وتطور احواله الحياتية ، الى اعتماد مسلكيات يختص كل منها بنحو من مقدمات استصلاح وجوده ، وانماء تفكيره ، وترفيه مفاهيمه ، راح يمتحن قيمتها بالنسبة الى مسا انتهت اليه : من اقرار حقيقة اهتدى اليها العقل ، كما هي الحال في الرياضيات ، او من اعلان قانون اثبت صحته الاختبار ، الذي انتسب اليه فئة كبيرة من العلوم ، او من بناء نظام اعانه بتلاحم اجزائه ليكون لغة يتناول بها وصف ما يرى ان يصفه ، وصوغ ما يريد ان يقوله . وفي غمار هذا الامتحان ، الطويل المدى والفسيح الجوانب ، ادخل التاريخ .

فماذا كان من امر امتحانه ؟ وكيف يكون تصنيفه ؟ سؤال طرح في صورة جذية ، بعد ان استقام للانسان تحديد كل علم بناء على متركبات ثابتة في مجرى الزمان ، قلما يستطيع ان ينال منها بسميروه الدائمة ، فكيف يكون الجواب منه ، وقد راينا ان التاريخ متحرك بجري

وسلطات الكنيسة في المراكز الاسقفية او في الاديان ، وثائق تاريخهم و «صكوكهم» الناطقة بشرعية حقوقهم .
غير ان هذا الاساس لم يكن في منجى من التزويرات تقوم عليه ... ولكن المهم هو الاتحاف اولئك المورسين القدامى بمقاييس اليوم ومفاهيمه .

وفا ان كانت السنوات الاولى من العصور الحديثة حتى يومنا للحيوية التاريخية تزدحم جديد رافقها في مطلع النهضة متجسدا في مسلكية جديدة ، جاءت نتيجة لتشابك العلاقات الدولية ، والعمل على تنظيم التقنية الدبلوماسية . وقد وجدت هذه الحيوية ارضا خصبة في ايطاليا ، فراحت تستمد من نجاح الفلاسفة الانسانيين ما اعانها على شق طريق عبدها معلمان كبيران هما : فرانسوا غيشاردان (١٤٨٣ - ١٥٤٠) ونيقولا مكيافيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) ، وكلاهما من اصحاب التأثير القابل في الصنيع التاريخي ، وبالاستناد الى العقلانية ، القائمة على الفكر الفلسفي ، بدأ التاريخ يعد عنه ما يشير الدهشة وما يغاير الطبيعة والعقل ، وما يحسب في باب الاعاجيب . كما راح ، من جهة اخرى ، يحل الخلق والبناء محل التعليم السياسي ، فاصبح المؤرخ يعول على الينابيع الادبية ، واعرض عن الاهتمام بشأن الجماهير الشعبية ، وصار التاريخ وقفا على الملوك والعظماء .

وعندما رجحت كفة الدعاية في التاريخ على مصادر الحوادث ودورها ، اقتضى هذا الرجحان ان تتوفر في المؤرخ صفات الكاتب الاديب . وهكذا وقع اختيار لويس البرابيه على راسين الشاعر وبوال الناقد ليكتبنا له تاريخه الشخصي ، ومثل هذا الاختيار جرى في ألمانيا ، حيث اتخذ الفيلسوف ليبنتز ، المؤرخ الشخصي لاسرة دي ولف . اما في بعض البلاد الاخرى ، كانت كثرة ، مثلا ، فقد جعل التاريخ في خدمة الاحزاب ، ولكن دون ان تذهب عنه صبغة الارتباط بالاشخاص قبل الاحداث . وهذا ما اضفى على التاريخ صفة المفهوم السياسي ، وهذه الصفة ، بدورها ، حملت المؤرخ على ان يشعر بوجود الحوادث ، التي يتناولها مادة لمؤلفه ، كانت خارج ذاته ، وما عليه الا ان يسردها في انشاء يغري بالقراءة .

وفي اواخر القرن السابع عشر ، كان التاريخ قد نحا نحوا علميا مستندا الى اساليب نقدية ، واخرى منطقية ، فبلغ قمته ، في هذا الاتجاه ، مع سبينوزا في « المعاهدة اللاهوتية السياسية » . وشاعت هذه الطريقة ، وكانتا مهمة جيل ، على حد قول مارك بولوك ، وهو الجيل الذي شهد الطورع الديكارتى مؤيدا كل قول بالمنطق ، ليكون ذا قيمة . غير ان هذا النقد الديكارتى الذي دخل على التاريخ ، جاء جادا ليجعل منه ، اي التاريخ ، وسيلة غاية ، ينتهي بها الاعتبار العقلاني الى تحويلها اداة من ادوات المعرفة . ولكن هذا التنقيب النقدي جعل مهمة المؤرخ اشد ما كانت عليه وسهل في اونة واحدة : اشق لجهة نقل المواد المتجمعة

اننا نجد مجتمع الشرق الاذن ثابرا على اهتمامه بالتاريخ ، محتفظا بصلته بالدين . وهكذا كان لحوائده في معظمها ، حظ بالبقاء دينا ودنيا ، فكانت خزائنه من خزائنه ماثلة في التوراة . ولعل ابرز ما يؤيد المخالطة الدينية - الدينية هو الاهتمام الذي بداه فيلون ، الفيلسوف المعروف باليهودي ، في القرن الاول للميلاد ، حين راح يلصق الافلاطونية المستحدثة بلقاح توراتي منحرف عن المفهوم المسيحي للتاريخ . ثم جاء بعده ، بحوالي ثلاث مئة سنة ، اغسطينوس المعروف بالقدّيس ، فادخل على الصنيع التاريخي ملامح الحجج الدينية المسيحية ادخلا ما يزال اثره باديا حتى اليوم .

وهناك وجهان من وجوه التاريخ بارزان لا يمكن اغفالهما ، هما الوجه اليوناني والوجه الروماني . الاول منهما تميز بتخليد البطولات على يدي هيرودوتس ، الذي قال في تعريف نهجه التاريخي : « انا افهم » بكتابتها هذا التاريخ ، الاحتفاظ بآثار الرجال لكي لا يمحوها الزمان ، ولكي لا تبتى جلائل الاعمال ومدفحاتها ، سواء اكانت يونانية ام بربرية ، دون تعظيم وامتنادح » . ولقد كان هوميروس ، الشاعر اليوناني الاكبر ، مدرسة تعلم فيها المؤرخون تعجيد البطولة ، وجعلها ذروة من القيمة والتقدير . وفي هذه المدرسة اعتمد الشاعر عقلانية ادخلت الالية في شؤون البشر ادخلا عمليا لا يختلف عن اساليب الناس في شتى تنوعها . وهكذا غلب الطابع الادبي على القصص التاريخي .

اما الوجه الثاني فقد تميز ، على حد قول م . دوميزيل في احد كتبه : « ان المؤرخين الرومان قد تمكنوا من ايجاد علاقات بين الاساطير الدينية والامكانات البشرية ، اذ عرفوا كيف يجسدونها في التاريخ ، بينما نرى الامر مختلفا عند غيرهم من الشعوب ، الذين اخرجوا الحوادث البشرية من نطاقها وحملوها الى صعيد عجيب خارج عن حدود الطبيعة » . ولقد امكن الرومان في العناية بالتاريخ ، فاسسوا « مخازن وثائق » في رومة ، وعمنوا بها حتى حولوها الى كليات ، فاصبحوا اجدادا لعتمدي الوثائق في التاريخ . ولكن على الرغم من محاولتهم الانضباط في البحث عن الوقائع ، وحرصهم على المهارة السياسية ، والعظيمة الخلقية ، لم يستطعوا مسابرة مجرى الاحداث والاشياء دائمة ، لانهم جعلوا من رومة « شخصية مركزية للتاريخ » ، فذهب الاجتهاد لخلق هذه المركزية ظاهرة رافقت كاتب التاريخ من بعدهم ، في كل بلاد ، حتى امست « كتابة التاريخ قيما بوظيفة من وظائف الدولة » .

واما الانواع المختلفة من التاريخ التي نشأت في القرون الوسطى ، فليس بينها ما يلتفت الانتباه غير الذي جاء منها متناولا تاريخ الاشخاص ، وبصورة خاصة ، المقارنة بين القدّيس والبطل ، وبين خلاص النفس ومجد الانتصار ، وعلى هذا الاساس ، كانت لكل من السلالات المسودة ،

على أن لا يكون هذا الاستناد مبالغا فيه . فبدلا من أن نترك الوجودية الطاغية ، ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين ، أن تقدم الإنسان المعاصر ذاتية التاريخ كضيق يجب أن ننكر له ، علينا أن نطمئن إلى المؤرخ الذي يصنع نفسه في المكان الذي عاش عليه ناس الحقبة من الزمن التي يكتب تاريخها .

من هذا كله نخلص إلى القول أن بديهية استمرار نواميس الطبيعة ، تحمل المؤرخ على الاعتراف بأن الطبيعة البشرية تبقى في قراراتها مماثلة الوجود في مختلف الحالات والظروف ، على كره من التفاوت والتباين في التنشئة والثقافة ، كما أن ردود الفعل والتحسبات عند ناس الماضي يمكن ألا تكون بعيدة عن تفهمنا عواملها ونتائجها ، دون أن تقع في ذواتنا موقعا إيجابيا . وبما أن آثار الماضي تبدو أضعف مغزى وأقل أثرا في نفس المؤرخ كلما ازداد بعدها عنه : مكانا وزمانا ، وبما أن مؤرخ اليوم يحيا في مجتمع عقلاني متمرس بالمعقولات ، بعيدا عن العناية بفهم ناس الماضي وقضاياهم ، كذلك يقتضيه كل اكتشاف من الماضي جهدا لغاء الأقليمية من نفسه ولاقتلاع آثاره من دنيا الحاضر والعودة بها إلى الماضي ... !! ولولا أن في طبيعة الإنسان ، على الغالب ، ميلا إلى تعرف الماضي ، والوقوف على أحوال ناسه ، لا كان للخلف حاجة في الاحتفاظ بتاريخ السلف ، احتفاظا يعول عليه كعلم ، أو كاستدلالات ذات قيمة ملحوظة أو ملموسة .

ولكن هل التاريخ علم ؟ الجواب : نعم ، ولا ... لا : لأن التاريخ لا ارتباطه بالتفرد في جمع الحوادث يستغني عن أجزاء التي اختار يتناول العناصر التي يجمعها معها ما يجمع بصفة العناية الشخصية ، حتى إذا تناولنا حادثة واحدة مؤلفين اثنين يختلفان في النظرة إليها ، لا وشكنا ، أحيانا لا ننتبين وحدثنا إلا من وضعها الزمني وحيزها المكاني . فالتاريخ لا يخضع للاستدلال بالشواهد النظرية ولا يستعين بالإجراءات المختبرية . لذلك فهو لا ينتهي إلى إثباتات عامة ومتنقلا بتحديدية ، ولا يمكن أن يكون إلا سردا . وإذا جاز ، في بعض الحالات ، أن ينتفع المؤرخ بالاعتبارات العامة التي تعتبر معادلة الاختيار ، فإن هذا الانتفاع يبقى في صفة التدخل كدالة لا كقاعدة . كما أن المؤرخ ، لا سيما أن كان موسوعيا ، فإنه يكتب التاريخ جاءلا من الأخلاق والمؤسسات موضع عنايته ، هذه بطبيعتها نظرية فكرية ، لا تركز على قاعدة علمية ثابتة . ونعم : لأن التاريخ ، في المدى الذي بلغه من الإحاطة

بتحرك الزمان ، ومن فرض اعتباره حياة المجتمعات البشرية ، وأنه المسمى الذي لا يعيد نفسه في صورة مماثلة ، بدا وكأنه علم أو هو معيار العلم الذي لا بد منه . إنه الضو الكاشف على طريق الإنسانية ، نحو غدها ، والمستمد من أبعاد الماضي القاييس المعينة على هندسة المستقبل .

تفرض وجودها على المؤرخ ، وإسهل لجهة قدرته على سلوك طريق تساعد على تناول المحتوى دون الإخذ بمزيناات السرد القصصي الموه حقيقة الحوادث . فخلاصة ما يجب أن يأخذ به المؤرخ الحديث إلا بعينه الماضي إلا بمقدار ما يعينه على فهم الحاضر ، ويوحى إليه بكيفية تهيئة المستقبل .

وهكذا سار التاريخ في نحو تناول كل الناس بدلا من اقتصره على البلاطات والمجالس الدولية والمائلات المتزعة انتهى به إلى تاريخ المجتمعات ، فبعد أن كان التاريخ ، حتى أواخر القرن السابع عشر ، ضربا من الحكايات التي تتحرف بالفكر البشري إلى التفرد بمعينات مفروضة ، سار في نحو آخر يتناول المجتمع في مجلاته ، وفي تفاصيله التي يتكرر حدوثها حتى اليومي أحيانا .

وكان لا بد للتاريخ من أن يمر بمرحلة يؤخذ فيها كاتبوه بشيء من الرومانسية ، إذ خالط كتابة التاريخ شعور بالعاطفة القومية التي كانت تدفع المؤرخ إلى تحسس ماضي شعبه بحماسة من يكتب ماضيه الشخصي ، فإذا بالحياة تصبح عنصرا فاعلا في ذلك الوروث القديم من الوثائق .

وبعد الصراع المضي خرج التاريخ ، في القرن التاسع عشر ، على أيدي بعض كبار المؤرخين ، إلى أن يكون نوعا من « السلة الروحية » ، فليعب دور الموجه في بعض البلاد فتتلذت عليه أجيال من النواهي المتفتحة على شيء من التلاحم المتعاسك بين الوطنية والقومية ، كما استطاع أن يفعل ، مثلا ، أرنست لافيس في فرنسا . وأخيرا نجد أنفسنا أمام تاريخ علمي ، في أعقاب النهضة العلمية التي أحدثت ثورات في كثير من التقنيات والمؤلفات المعتمدة قواعد قياسية ، وهو تاريخ بدت تطلعه في مطلع القرن العشرين ، وراحت تتركز في مفاهيم منظمة حتى جاءت جذيرة بأن تعرف ب « مختبرات تاريخ » . وفي هذا الصدد كان الفضل الأول للعالماني .

لكن هذه النزعة العلمية التي سيطرت على التاريخ سيطرة تغلب عليها المادة لم تلبث أن باعدت بينه وبين السلوكيات الإنسانية ، مابعدة تنتهي إلى سوء فهم واثق الماضي . ذلك لأن النتائج التي توصل إليها العالم العرقي أو العالم الاقتصادي في ملازمته ظروف الإنسان ، لا بد من أن يكون الاستناد إليها كبير الفائدة في تفسير واثق الماضي

اشتركوا في مجلة

الآريب

ساهموا في نشر الثقافة

عشرون

عبرت كاحلام الخيال عشرون تعبق بالنفصال
فوقفت اسالها وفي خطواتها رجع السؤال
اين الليالي الحالمات ؟ واين سمار الليالي
اين الليالي الحالمات تؤود اعناق الرجال
ايام تصطرع الحياة وتستحيل نظى حبالى
وتموج بالخطب العظيم فلا اهاب ولا ابالي
واعود كالنسر المحلق تستبيح ذرى الجبال
لا الليل يرهبني ولا الاهوال تزحف كالصلال
عشرون ما احدى الحياة تفزع بالسحر الحلال
عشرون ما اسمى الحياة تخوض معترك النضال

كان الربيع يطل والدينا تشسع بمقلتيها
وعنادل الحقل الحبيب تغازل الشعر الجنيها
والباسقات يعمن في الشط الطروب هوى وريا
واتى الخريف وكان في ليل الضنى صرا عتيا
وتصوحت زهرات فجر لم يطف الا مليا
ووقفت كالطود الاشم يعانق الفجر القصيا
وانا هنالك يطبق الليل الرهيب اسى عليا
فأراك من بين الظلام خميلة تومي اليها
وأراك والام الرؤوم فتشرق الدنيا لدينا
ومضى العذاب وكنت في ليل العذاب فتى ايبا

اليها في عامنا العشرين

عشرون تسخر بالصعاب وقد عبرن على الصعاب
عشرون تزخر بالنضال كانهن سنى الشهاب
عشرون قد سقطت بها الافلا ذلا في التراب
عشرون ما لائن الالباء ولا توقف عند باب
كان الظلام وما ارتفعت وسرت في دنيا العذاب
كالليل يزحف كالرياح تثير اجنحة السحاب
كالفجر يشرق كالحياة تعود للأرض الخراب
لم يكذب الحلم الجميل ولا تلون كالسراب
فاليوم عاد لي الربيع وعدت اهزا بالصعاب
واليوم بتسم الحياة وتستفيق رؤى الشباب

الدكتور احمد مطلوب

عشرون يا املى وانت معي صلاة وابتهاال
عشرون يا املى وانت معي كما شاء النضال
عشرون اذكرها وتذكرني لياليها الطوال
عشرون اذكرها ويذكر صفوها النبع الزلال
مرت وانت كما عهدت وما تصوره الخيال
غراء تزه كالربيع خميلة ليسبت تنال
تهوي الجنائن وهي خالدة كحبك لا تطال
وغدا تمر بنا السنون ويستقر بنا المسال
ونعود نذكر رحلة عبرت بها حال وحال
ونظل نفخر اننا سرنا وقد سقطت رجال

جامعة الكويت

الى المنضدة برطوبة في قدمي، وتاملت
فاذا الماء يتدفق من ارض المطبخ
الى ارض القاعة ... فوقفت
مسرعا ، وتوجهت الى حيث صدقي
وما رأيته حتى قال لي وهو يمسح
العرق المتصب من جبينه :

— لم اغبر جلدة الحنفية لانسي
خشيت ان تبلى بعد سنوات ،
فيقتضي تبديلها من جديد ، ولكنني
بحثت عن التعطيل من اساسه ،
فرفعت قرميد الجدار عن الانبوب
الذي يوصل الماء الى هنا .

فكاد بطير عقلي من حباله ، ولو
كان غيري طار عقله ، وهل الامور قد
شاهدت جدران المطبخ مغطاة
الجوانب ، والتراب مكدسا في انجائه
والغبار حاجبا السقف ، كان قبلة
سقطت في الدار غفوا من طيار
بدائي؟

واشعل زناد حنقي ان صاحبي
نظر الى نظرة خفيفة ، وتابع عمله
فتقدمت منه لاحول بينه وبين بقية
حائط لا يزال قائما ، فقال :

— لا تخف ، اني وعدتك بان
اصح لك الحنفية ، واسالصلها، ولو
رايت نفسي محمولا على اللحاق
بمجرى الماء الى ينبوعه في البحر
الموسط .

واهو بالطريقة على القناة، فوسع
نقبيها ، وتدفق الماء كمن افواه
القرب ... فلم يخفل بذلك قليلا
ولا كثيرا .

فقلت : ارجوك ، اقطع الماء فقد
يتبلل منه اثاث الدار فيثلف .
فقال : طيب .

وتحول من المطبخ الى الفسحة
الخارجية يبحث في الجدار عن مكان
القناة الخفي ، فوجده ، فاهوى
بالفأس عليه حتى فتح نفرة طولها
متر ، فظهرت ابوبة من القصدير .
فقلت : وما تفعل الان ؟

فاجاب : انتلا تفهم هذه الشؤون
فدع الاستغراب . اني افتح القناة
هنا فيسيل الماء منها ، فلا يصل الى
المطبخ ... ونفذ خطته .

حان ابدالها ، والامر من التفاهة
بحيث انسى او اتناسى دعوة عامل
يقوم بهذه المهمة ولم يكن قصدي
تهوين القضية ، فهي كذلك .
فقال لي الصديق :

— اعنك مطرقة وملزمة ؟
قلت : لا اريد ان تزعج نفسك .
قال : اني اصلحها لك في دقائق
معدودة .

وعبثا حاولت ان اصرفه عن
عزمه .. وهددني بان يعتبر رفضي
شكا في عبقريته .. فلم ار بدا من
الاذعان ، واتيت له بما طلب .
فשמع عن ساعديه ، وراح يفسك
الحنفية ، فعرضت عليه مساعدتي ،
فقال :

— اتركني وحدي فلا اطيق ان



http://Archiwba.com/Sakhrit.com

بقلم الياس قنصل

يراقبني الناس وانا اعمل .
فلبيت امره — مرة ثانية وتحولت
الى القاعة المحاذية لتجبر مقالة
لجريدة .

ومر نصف ساعة ، فاطل من باب
المطبخ قائلا :

— آتني بازميل وفأس وهراوة
ومعول .

فلبيت امره — ثالثة — واتقضت
ساعة كنت اسمع اثناءها قفقهة
هذه الادوات وخشخشتها ...
واحسنت ، فجأة ، وانا جالس



نصيحة مني اليها التاريء ، نصيحة
تساوي جملا ، خذها مجانا .. اذا
تعطلت في بيتك آلة من الآلات التي
اخترعتها المدنية الحديثة لتزبد في
رفاهتك ، فلا تتكل في اصلاحها على
المتطوعين من اصدقائك .. قدم
اليهم الشكر الجزيل يصحبه اعتذار
كريم عن عدم حوكلهم ، واثارك
عليهم رجلا غريبا لاعادة الآلة الى
حالتها السابقة .

لا تفرح بالاقتصاد الذي يلبس
لك به الصديق ، انه اقتصاد خيالي
غير مضمون ، قد تكون نتائجه
الوخيمة اوحش مما تحسب ، واكرر
لتفهم : اذا تخربت في بيتك آلة ، فلا
تسلمها الى صديق لك كالنا من كان،
بل اطلب من حوائثها الخاصة من
يصلحها ، واد له ما يستحق من
الاجرة .. افعل ذلك وانت مسر
الراحين .

ان المتطوعين من الاصحاب فيمثل
هذه الحالة كثيرين ، كثيرون جدا .
جميع اصحابك متطوعون ، بدعون
انهم يركبون آلاتك ويخربونها ، ثم
يخربونها ويتركونها بالسهولة التي
يخلقون قذونهم .. اياك اياك ، واصغ
لا جرى معي ، فالحكيم من يستفيد
من مصائب الناس ، لا من تنزل عليه
المصائب . الفيلسوف من يعتبر
بمن يموت ، وليس الفيلسوف من
يموت .

كان في البيت الذي اسكنه مطبخ
كما لا بد ان يكون ، وكانت في المطبخ
حنفية متى اقلعتها لم تنضب كما
يجب ، فنقلت منها قطرة واحدة من
الماء كل نصف ساعة تقريبا ، اي
اربعون قطرة في اليوم او اكثر قليلا .
بدعوت مرة صديقا الى الطعام،
وكان الطقس باردا ، فبسطت
السفرة في المطبخ فهو ادفأ ، فقلت
نظرة قطرة الماء التي تسقط من فم
الحنفية كل ثلاثين دقيقة ، فقال :

— وهذه ؟

قلت : سببها ان قطعة الجلد
التي تضم شفتي الحنفية بالية قد

ولا اطيع ، فقد كسر جميع المجاري المائية في البناية ، ولم تنقش على عمله ساعتان حتى كانت الدار كان الله ضربها بطوفان ، وان ، وبلغت المياه في بعض الغرف عشرة اقدام .. وتوافد الجيران ، فساعدونا على نقل ما سلم من الاثاث الى الشارع ... وبلغ الخبز الى دائرة الاطفائية ، فاسرعت بسياراتها ورجالها ومضخاتها وسلاسلها ... وقدم رواد الصحف ، فاخذوا الرسوم العديدة وتفضل جار كريم لي ، فانزلني شقة من داره الى ان ارمح حالي .

وزارني في اليوم الثاني مدير مصلحة الماء البلدي ، فاخبرني ان الدائرة تطلب مني تعويضا عن الاضرار التي ألحقتها بالمدينة اذ بقيت المياه مقطوعة عنها هزيعا من الليل .

وجاءني محام موفد من صاحب الدار ، فابانني انه رفع على دعوى بحجة اني هدمت النابية التي استأجرتها منه ودفعت التعويض المذكور عن يد وانا صاغر ، وكانت القيمة باهظة جدا .

اما دعوى صاحب الدار ، فقد اوكلت محاميا من اصدقائي لصداء ولبست الملفات والعرائض قائمة على قدم وساق بيني وبينه اربع سنوات حتى مل القاضى مني ومنه .

واسمع الحادثة الثانية ، وان تكن لا توازي سابقتها خطورة :

انا من الذين لا يستطيعون النوم ما لم يظالموا عدة صفحات من كتاب او مجلة ... وكنت افعل ذلك وانا جالس على متكأ وسط الغرفة . وجرت ، ليلة ، المطالعني السرب فوجدتها الذ واوقر الوقت .. فقصمت عليها ، واستنسبت ان اتقل زر النور الكهربائي من مكانه الى جانب السرب وسالت صديقا عن عامل بسيط يقوم بهذه المهمة البسيطة ، فقال لي : اشرح ما تريد ، وانا لالمر . فذهبت به الى الغرفة ، وبسطت له قصدي .

وداح يماظني من يوم الى يوم

حتى انقضت على الحادثة اربعة اشهر ، وحل الصيف ، وتهيمات للنياب عن العاصمة اسابيع استعادة لنشاطي كما هي عادي في كل سنة . وناديت الصديق المذكور ، وقلت له : اني اسلمك مفتاح الدار ، فتكرم واغتم من وقتك هنيهة اثناء غيابي واتيقل زر الكهرباء الى قرب السرب ، فرضي .. وصدق في وعده . وكان من بين الذين استقبلوني على المحطة يوم عودتي .

واردت ان ادخل الى الغرفة ، فقال لي : انتظر قليلا . ونشر امامي على الطاولة ورقة كبيرة طولها اربعة امتار وعرضها ثلاثة ، فيها خطوط عديدة متشابكة ، وقال :

— اني نقلت الزر الكهربائي من وسط الغرفة الى جانب سربك ، وها هي خريطة الاسلاك الكهربائية في غرفتك . ان هذا الخط الاخضر الذي يبدو في الطرف هو الشريط الذي يصل القوة من ادارة الشركة الى غرفتك ، فلا تمد يدك اليه ، لئلا يبرك فك انتفاضة . وهذه الدائرة الخضراء التي تنتهي هنا هي التي تحمل التيار الكهربائي الى هذه الزاوية السوداء ، وعليك قبل ان تضغط الزر ان تغم هذه اللوالب الى بعضها ، والسطر الاسمن الذي تبصره هناك هو عبارة عن الشريط الذي يجب ان تبرز كل خمس دقائق ليظل النور متواصلا ، وهذا الخط الاخضر الصورة عليه جمجمة وعظمتان هو خط مكتشف ، يكفي ان تلمسه لتتكرب الدار برمتها وتمتد السنة اليبق الى جيرانك ، فاذا حدث الحريق الذي اذكر - ومن المرجح ان يحدث بين الحين والاخر - فتاب حالا هذا الخط بفضي بك الى صندوق التخزين الكهربائي ، وحطما ، اما وصيتي الاخيرة لك فهي ان لا تضغط الزر الذي بجانب سربك الا بعد ان تطفئ سائر الانوار في الدار ، واحرص على

ان تكون واقفا على خشبة ليس فيها اقل رطوبة ، وان يكون في يدك قفاز من المطاط . انتبه الى هذه الوصية الاخيرة ، فعليها توقف حياتك .

وكان الصديق يشرح لي خريطته وانا اظنه يمزح ، فتركته ، وتوجهت الى الغرفة ، فاذا هي فعلا مزروعة بالاسلاك الكهربائية والشابك الفولاذية والكلايب الحديدية والدوائر النحاسية ، وقد صور في المفاصل الخطرة نعوشا عليها اموات .

ولا ابالح : لقد حضرت فيلما سينمائيا عن حصون « ماجينو » وسيفريد « فلم يكن فيها من الفرائب ما في غرفتي ... ولكي اضع امام القارئ صورة مصغرة عن الغرفة اعرض عليه بيان الاغراض التي استعملها الصديق المذكور :

الف والاربعمائة متر من الاسلاك العادية ... ثلاثون حبكة منسوجة ... اربعون مشبك من الفولاذ الاسود ... عشرة كلايب ضخمة ... عشرون كيلو مسامير ... مائة لولب نحاسي ... ستعائة برغفي ... سبعون قمعة مربعة ... اربعون انبوبا من الرصاص ... ثمانمائة زر كهربائي من المعالج ... صندوق تخزين وزنها تسعون كيلو وقوتها عشرون حصانا ... مرفشة لتحطيم الصندوق عند الخطر ... مرش آلي لاستعماله عند حدوث الحريق ... مخز ومخرطة وبركار ومبرد وملقط ومشار واشياء اخرى مجملة لا اذكرها بلغ ثمنها عشرة اضعاف الحاجات الفصلة .

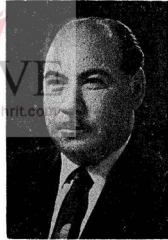
وادبت له ثمن الاغراض ، وهل اتكرها عليه ، وبعت ، لذلك دارا امكها ورهنت ذكاني التجاري ، وما تبقى من المبلغ جملة على اقساطا شهرية ما زال منها حتى كتابة هذه السطور سبعون قسطا . والسنوات — ريك حميد — سريعة المرور .

على اني لن اكون من الالوم بحيث اترك جميل الصديق هذا ، فقد حملني على ان اجد ذكائي

سنواتنا

صفاء الحيدري

بغداد



وغدا هنا
تقف السفائن والسدى
في مرفأى عينيك في شقق المنى
جاءت زوارقهم تصوم . وكنت اسبقهم انا
الافق كان مضرجا
والوج كان ملونا
والشمس كانت تصهر الذهب المعطر في السنا
ومدى الرؤى
كانت لنا .
ممدن
قرى مسحورة ، دنيا غنى
وشواطىء لم ترتعش احلامها
الا بنا
وبكل مرشق نظرة
درب ، رصيف ... منعنى
كنت يتمتم حولنا
كنا جناح فراشة لم يحترق
عبر الضنا
لم نيسك في احلامنا
لم نشك في ما بيننا
اما الدموع ، فلم تكن تعني لنا
شيئا
ولم تسك تقنني
كنا نبشرها هنا وهناك او في اللا هنا
كانت لآله لم يكن فيها سنا
سنواتنا كانت ارقى . اهش من ان تجتنى
قالت تحدث نفسها
وتلوك احلام المنى
دقات ساعته الكبيرة ابطأت فامضي بنا

سامعه، امسك الاول بزند الثاني
وهمس في اذنه :
- اذهب الى داره ، ان عنده
مختبرا كهربائيا في غرفة خاصة
ترعد لهوله الفرائص .
والشطر الاخير من هذه العبارة
صحيح لا غبار عليه ..

عاصمة الأرجنتين الياس قنصل

للقيام ببعض التجارب .
وتكفل هؤلاء الزوار وغيرهم
بتضخيم الاخبار ، وتزويقها كما هي
عادة الناس ... واخر ما وصلني
ان كثيرين من معارفي الابعاد يعتقدون
اني من الذين ساهموا في اختراع
القنبلة الذرية .

فاذا قال قائل ذلك ولم يصدقه

للاستفادة من هذه الحالة فاستفدت ،
اني تركت الغرفة كما هي ، واذعت
بين اصحابي اخبارا يستدل منها
على اني عليم بالكهرباء من الطراز
الاول واصبحت اذا جاء لزيارتي رجل
لا عهد له بداري ، افتح له باب
الغرفة ، واقول له متظاهرا بالتواضع:
- هذا مكان الجا اليه احيانا



عبد الرزاق الهلالي

الزهاوي بين ألعاب الداما

وسباق الخيل والحمام القصب

بقلم عبد الرزاق الهلالي

قد يستغرب القارئ الكريم ، اشد الاستغراب ، حين يسمع ان شاعرا كبيرا له في عالم الفكر والفلسفة والشعر والادب ، مقام بارز وشأن كبير ، تستهويه بعض الهوايات والالعب الشعبية ، فيمارسها فترة طويلة من حياته ، فاذا هو بعد تلك الممارسة ، يخرج على الملأ ، بنتائج اختياراته في تلك الالعب والهوايات ، ويبدو في كل ما كتب عنها ، باحثا بارعا من الباحثين في الماتورات الشعبية او ما يسمى بالفولكلور !

اما هذا الشاعر الكبير ، فهو شاعر العراق المعروف ، جميل صدقي الزهاوي ، واما ابحاثه ودراساته الفولكلورية هذه ، فتحتل بها بعض المجلات العربية الشهيرة ! وقد نبهنا الزهاوي نفسه ، الى ولعه بهذه الالعب حين قال في رسالته الى الاستاذ احمد محمد عيش ما نصه (١) « وكنت في طفولتي لعب بالكعب ، ثم بالحمام القلاب ، فاطيره اسرابا . وقد نشر لي « المتقطف » مقالة في بيان سبب تعلقه ، ورجع تعليمي على تحليل العلامة

دارون ! وولعت بركوب الخيل ، فكنت تسابق بكرامها ، غيري من غوانها . وقد نشر لي « الهلال » رسالة في سباق الخيل ، ذكرت فيها كثيرا من الحقائق المتعلقة بالمسدو . ثم ولعت بلعبة « الداما » فألفت فيها رسالة سميتها « اشراك الداما » جمعت فيها ٥٠٠ لعبة لاساندة الداما واضفت اليها من مستنيطاتي ١٠٠٠ لعبة !

وحيث اننا كنا وما زلنا نبحت عن كل ما خلف هذا الشاعر الكبير من آثار فكرية وأدبية وعلمية ، فقد رجعنا الى مجلتي « المتقطف » و « الهلال » ووقفنا على مقاليه هذين ، ولكننا لم نقف على رسالته « اشراك الداما » ولعلها فقدت مع ما فقد من اثره بعد وفاته !

ويطيب لنا ، ان نبين لقراء مجلة « الاديب » الزاهرة ، بعض ما خرج به من نتائج واره ، من دراساته الخاصة ، بسباق الخيل والحمام القلاب ، تلك الدراسات التي قولت في حينه بالتقدير والاعجاب !

الخيل وسباقها : فحين بعث بمقالته الموسومة بـ « الخيل وسباقها » الى مجلة « الهلال » المصرية ، نشرتها له في عددها الصادر في شهر اوجسطس من سنة ١٨٩٦ ، وقال عنها رئيس تحريرها بن الزهاوي « جمع فيها ما اختبره بنفسه من امتحانات اجراها بخيله ، وبما ان هذه الحقائق لا يتأتى العثور عليها في الكتب العربية ، ولا ترجمتها من الكتب الانجليزية ، لانها فريدة في بابها ، فنشرها مع الشكر لحضرتة ! فاذا كان الامر كذلك فما الذي قاله الزهاوي عن هذه الامتحانات ؟!

لنقرأ معا ما قاله عن سباق الخيل في بغداد « وبغداد ام المئين العراقية واكرها فهي حاوية لخير خيولها العربية ، تتوارد اليها في كل الفصول ، لاسيما في فصل الخريف ، امهاز غريبة ، من البدو ، يشتريها الاهلون ، ومع ذلك كله لم ار ميلا طبيعيا للسباق ، فضلا يقتنون الخيل ، الا للزينة والبهجة والتفاخر لبقال عند فلان ، كذا من الخيل ، او البيع ، حسب تفاوت الاميال والمراتب ، فلم يجر فيها (بغداد) سباق حتى قدمها الفارس الشهير ، والقائد الخطير ، اللواء محمد فاضل باشا الداغستاني ، من العائلة الشامية النجبية ، فهو لشدة ميله ، وتوفقه في فن الفروسية ، صار من يوم قدمه ، يبحث سائر الامراء ، والامويين على اجراء السباق بين خيولهم !

وفي اول سنة من ذلك ، قر القرار على ان يجروه (اي سباق الخيل) في دائرة محيطها (ميل انجليزي) ، كان قد انشأها القنصل الانكليزي لتمرين خيله .. ثم في هذه السنين الاخيرة ، حولوا المكان الذي كانت الخيل تتسابق فيه ، وعملوا دائرة محيطها (٢٢٤٠ مترا) فارسلوها فيها ثلاث دورات متوالية !

اما النتائج التي خرج بها بعد اشراك خيله في هذه

فيها « لقد راقنت لنا هذه المقالة من وجهين ، الاول انها ارتنا انه لا يزال في بغداد ، في هذا العصر ، اناس يلهون بهذه الملاهي ، الحلة ، التي تفكه النفس ، وتطرب القلب ، فلم يخيم ليل الظلم على البلاد كما يصورها قوم ! والثاني ان حضرة الكاتب ارآنا رآيا وجهها في اصل الحمام القلاب ، لو سمع به دارون او خطر على باله ، لاحله محله من الوجاهة » !

فما الذي حمل الزهاوي يا ترى على كتابة هذا المقال ؟! والذي بدا لنا من مطالعة مقاله هذه ، انه كان معنيا بهذا الموضوع قبل نشر مقاله هذا ، باكثر من اثنتي عشرة سنة ، فقد قال في مقاله « وسالت « المتقطف » الاغر ، قبل اثنتي عشرة سنة تقريبا ، عن كيفية (تولد الحمام القلاب) لاعلم آراء الغربيين فيه ، فقال ، فيما اذكر ، ان دارون ، يرى ان هذا الصنف من الحمام قد ثقل رأسه بالنسبة الى جسده فصار ، يتقلب في طيرانه لهذا السبب ! »

ولعله كان ينتظر هذا الجواب ، ليبدى ، رايه في سبب تقلبه ، ولذلك جاء في سنة ١٩٠٨ يقول « ان الذي اراه سببا للتقلب ، فهو ان هذا القسم من الحمام كان يسكن - في سالف الدهر - ارضاكثر فيها وجود حيوان صغير ، مغترس ، يشب عليه كل ما اراد الوقوع على الارض ، فياخذه طامعا له ، ولم ينح منه ، لا المسرع في الرجوع القهقري الى السماء . ولما كان ذلك غير كاف لنجاة ، وما نجا منه الا الذي اسرع في الرجوع وتقلب اثنا الى الوراء ، حفظا لحياته من مخالب عدوه الخفيف وذلك وفقا لقانون بقاءه للصالح ، فتأصلت هذه الصفة ، وصارت طبيعية واذا فاته في وقت الحاجة ! »

والظاهر ان الزهاوي اتخذ هذا الرأي واسطة لبيان معرفته بانواع الحمام الذي كانت له فيه تجارب عدة ، ولذلك قال « الحمام الدجن ، كثير في البلاد ، غير ان العراقيات منه ، تمتاز عن غيرها بصفات فاضلة ، ومن اقسامها ، ذوات الالوان الجميلة المتوجة ويسمونهن (الخارشت) من ابيض يقق ، واحمر قان ، واصفر ناصع واسود غريب ، وازرق شدرى ، واكثر هذه ، بيض الرقاب والرؤوس ، وكلها مكتسية الاجرل بريش ، من لون جسدها ، لا توجد في غير بغداد ، فيحافظ عليها معتقوها مغالين بها ، ولا يطيرونها خوفا عليها من الضياع ! ومنها (البرص) وهي بيض مكتسية الاجرل بريش كثيف طويل قد يبلغ ٣٠ سنتمترا فاذا طارت ظن السرائي ان لها اربعة اجنحة ! وهي من النوع القلاب .

ومنها (الزاجل) وهذا القسم رجله مجردة من الريش ، له لحمه حمراء على انفه وعينان محاطتان بجفون عريضة حمراء ، ومتقاربة طويل قد يبلغ عشر سنتمترات وهو اكبر من سائر اصناف الحمام مرتين او ثلاثا . والمرغوب فيه ، منه ما كان شق متقاره الاسفل اطول من

السيقات ، فقد اوضحنا لنا بقوله « وقد كنت انا ، في اخريات هذه السنين ، من الذين ، مرنوا خيلهم على الركن للسياق ، فاجربت بنفسى امتحانات ، اتبست خلاصتها هنا ، ولعل في بعضها فائدة لاربابه :

١ - ان الفرس الذي لم يعرن على العدو ، تمرينا وافي ، ولم يضر كذلك ، تضييرا كافي ، يتأخر يوم السياق .. وربما سبقتة في المسافات الطويلة (البراذين) المضرة !

ب - وقد انتبهت اثناء تضيير الخيل وتمرينها ، الى امور ، ربما كانت مهمة عند اربابها ، اذكرها على طريق الاجمال ، لعلمنا تفيد البعض ، منها انه اذا تسابق فرسان مضمران ، وممران على درجة واحدة ، وركب احدهما رجل ثقيل الجثة ، لا يقل وزنه عن ١٠٠٠ انة مشوية لا والاخر خفيف لا يزيد وزنه على ٥٠٠ انة ، فالخفيف يقوت الثقل مسافة فاحشة ، وكل ما طال المدى ، زاد الفرق بينهما !

ج - وخير الخيل السابقة ، ما اذا مد ، اسرع ، ولكن السرعة قليلة عند التي تمتد كثيرا ! ومما جربته ، ان الخيل ، سواء كانت فنية او لا ، لا تعدو ، اول سنة تضييرها ، كما ينبغي ، بل انما تعدو العدو المطلوب في السنة الثانية والثالثة ، بشرط ان تمرن في السنة الاولى والثانية ايضا ولا تترك !

وخير التمرين ، ان يعلم الفرس ، على الخطو الكبير عند الارقال (وهو العدو الثقيل العادي) وتسميه عامتنا : الهذية) ويدرب على السكينة وعزم الاستعجال والحدة ، فهذا لا يتعب ، ويقطع المسافات الطويلة باسرع ما يمكن مع كمال الراحة ! »

والذي تحققته بالخبرة ان (الفلو) العريض الجبهة القصير الاذن ، الكبير العين ، العريض الفكين ، الواسع المنخر ، وما تحت الفكين ، المستوي الرأس ، الناقسي العضلات والاعصاب ، المستطيل الرقبة ، المستدقة المذبح التين المفاصل ، القصير الرنخ ، العنسي التوائم ، الصلب الحافر ، الرقيق الجلد ، الناعم الشعر ، الطويل الجثة ، الذي تلوح على وجهه لوائح المجد ، هو الذي تظهر جياذته ، بعد ان يبلغ كماله اكثر من غيره ، وهو الذي يوافق للسياق ، ان اقترنت بهذه الصفات نجابة له . واكثر السوابق تكون افعالها منحدرة قليلا .

تلك هي اهم النتائج التي خرج بها هذا الشاعر الكبير ، عن الخيل وسباقها ، اما من اراد الاطلاع على النص الكامل لتجاربه ، فليرجع الى مجلة « الهلال » التي ذكرنا عددها آنفا !

الزهاوي والحمام القلاب : وفي سنة ١٩٠٨ ، وبعد مجلة « المتقطف » المصرية الصادر في شهر اغسطس من هذه السنة ، نشرت له هذه المجلة مقالا بعنوان « الحمام القلاب وتولده » ، عقب عليه ، رئيس تحريرها بكلمة جاء

انا هوة في كل امر

الدكتور هادي الحمادي

الدكتور هادي الحمادي استاذ الادب العربي بكلية الاداب بجامعة بغداد شاعر له ديوان
واذ انتدب للتدريس في جامعة قسنطينة بالجزائر ، اقام قسم اللغة العربية ببغداد حفلة
توديع التي فيها هذه القصيدة :

وقلبي ان اطقت فيما اطافا
بما عودت من قلبي اشتياقا
سيجمعنا على عمل رافقا
فما ليل نقطعه ارتقا !
لما رغبنا ايادينا الوثاقا

تريث . لا اريد لك الفراقا
وقد عسودت ان القالك صباحا
ونفترق النهار وان ليلا
وان كان النهار سيسيل رزقا
ولولا ان ذلك من يديننا

فما فوق لا يفسد غالبا .

وهو يرى ان سر تقلب الحمام ، لم يكتشفه احد ،
ويقول « وظن البغداديون ان الحمام يأتي ذلك باختياره
وبطرا منه وانيسا ، وهو خطأ ، لانه يتعذب كثيرا من
التقلب والتصفيد الفجائي ، على الصورة الرئية منه ، حتى
ان بعضه قد يدمى اهل رشه (القوادم) ويجري الدم
فيلته وهو طائر ولا ينزل بل يقع بعضه عند المساء على
نخلة او محل اخر مرتفع فيبيت ليلته صائما ويطير في
الصباح ويتقلب على سطح صاحبه الى المساء وعندئذ
يقع ثانية على النخلة او المحل المرتفع وهو يكاد يموت جوعا
وعطشا وقد يكون ذلك ثلاثة ايام في الشتاء .. »

وهكذا يمضي شاعرنا الكبير في بيان اسباب هذا
التقلب ، مخالفا بها ما جاء في راي دارون ويفتخر ان
« المتقلب » رجع تعليمه في سبب هذا التقلب على تعليم
العلامة دارون !

واني اذ اقدم هذه الخلاصة عن راي الزهاوي بالحمام
عامة والتقلب خاصة ، ارجو من صديقنا الكاتب الفولكلوري
الكبير الشيخ جلال الحنفي ان يبين لنا رايه في ما ذهب
اليه الزهاوي ، لانه خبير بذلك !

وبعد فارجو ان يكون قراء « الادب » قد عرفوا
شيئا جديدا عن هذا الشاعر الكبير الذي له في كل مقام
مقال !

عبد الرزاق الهلالي

بغداد

الاغلى بكثير ، فلا يستطيع ان يلتقط الحب ، الا من كاس
معدة له او حفرة !

ومنها - اي الحمام - القلاب ، وهذا الصنف يغالي
به المراقبون ، منه الابيض الفضي - والازرق الصابوني
والعنبري والبخاري والرمادي والسماعي والديبري
والزنجي ، واقلها ما كان يرتجف اذا كان على الارض ، وهو
قسمان ، موصلي وبغداد ، ويمتاز الموصلي بالصلابة
البغداد ، بتصفيق الجناحين اذا طار في البيت ، وانه
اذا تقلب سمع له فرقة شديدة ، وقد جلب منه كثير
الى بغداد ، وضرب بالبغداد ، حتى صار جل حمام
بغداد ، القلاب ، يصفق مثله ! « ثم يبين لنا نتيجة
ملاحظاته حول تقلب الحمام قائلا :

« لا يتقلب الحمام اول ما يطار وهو فرخ او كير
لم يطر ، قيل ، بل يطار الفرخ عند تساوي قوادمه ، فيميل
في بعض الاونة وهو طائر ، الى الوراء كانه يريد ان يتقلب
فيقال له (يتعد) ويبقى كذلك مدة من شهر الى ستة اشهر
فاكثر ، فاذا كان جادا اسرع والا ابطا والبطيء احمد !

ولا يخفى ان الفرخ يرمي كل عشرة ايام او اسبوعين
ريشة من قوادمه العشر ، فاذا رمى الريشة الاولى يادنا
بالقصار مما يلي الخوافي قيل (ذو ريشة) واذا رمى
الثانية (ذو ريشتين) ثلث ، الى العشر . اما الحد
فيبدأ بالتقلب وهو ذو ريشة او ريشتين او ثلاث ، وهذا
يفسد في الغالب فيقال (يزب) اي ، لا يقدر على الطيران
كثرة تقلبه ! والذي يبدأ بالتقلب في الرابعة والخامسة

ولولا ان حبك وهو قيد
ارى فيك الحياة كما تراءت
وان كلج الزمان فكل بسدر
لعل فراقنا قسدر علينا

ايها صبحي ولي عذر اكيد
فما فارقتكم ابدا بزهد
ولا ضاق العراق علي يوما
ولا ان شاقني تطواف دنيا
وما اشكو من الايام ضيقا
ولكني ارى مليون روح
وابعد من خلال الافق شمسا
واوراسا تكللها الضحايا
وما جفت على الصحراء ارض
وانبت رملها جيلا جديدا
فمن ذا يستحث له رگابا
ولم نهض له لتكون كفا
فان قد فاتني شرف الاضاحي

لما كره الفؤاد بك انعتاقا
محاسنها ازدهارا وانتلاقا
يعاود بمد طلعتة المحاقا
حداه زماننا فينا وساقا

راى حسن القبول بكم ولاقى
ولا غازلت بكم نفاقا
فما زال العراق لنا عراقا
وقد طوفت عالمها انطلاقا
وان بخل الزمان بها وضاقا
ترفر حول عالمنا خفاقا
يلونها النضال بما اراقا
وقد ضمرت جماجم طاقا
تساقطت من دماء ما تساقى
يحاول في عرويته لحاقا
اذا حجر التفرنس منه عاقا
ولم نسرعه له لتكون ساقا
فعلي استطيع له العناقا

وقد ضرب الخليج لها نطافا
ولم اشعر بمثقلي افترقا
ولا معنى اذا اختلفوا اشتقا
ولا معنى اذا اختلفوا خلافا
وان بذر البعاة بنا شقاقا
وقد مدت على الدنيا رواقا
اراد الطامعون به اتزلاقا
اذا شاؤوا مع اتزيت احتراقا

وحت ركا به مني النياقا
ويجتو اذ يطيل به الفراقا
(فصارت كلها للدمع ماقا)
تملى الشوق افدة رفاقا
يحاول للجزائر بي لحاقا
ليالي البعد بعدهم التحاقا
فاعدو والزمان بها سباقا
وحسن اليهم قلبي وناقا
فكيف غدا هناك اذا افاقا
فما من بعدهم مذاقا

احس الارض ارض العرب ارضي
واني لست مقربا اليها
وان القوم من وطني واهلي
ولا معنى اذا اختلفوا طباعا
وانا اخوة في كل امر
تفيض الارض فينا كل خبر
ونحن حمايتها من كل شر
بايدينا فليل الزيت نارا

ارى بيتي ولما شد رحلي
يمد الليل ظلمته عليه
ارى عيننا تفيض بها دموع
واطفالا اذا ذكروا اباهم
تمنوا لو يكون الليل ركبنا
وما حالنا هناك اذا تواللت
ومر اتليل تعقبه ليال
وهيج كامن الاشجان ذكر
يحس الان بالبلوى التياغا
لقد ذقت البعاد بهم زمانا



الدكتور محمد رجب البيومي

لصوص غير شرفاء

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

لنا زميل فاضل يعمل معنا بكلية اللغة العربية بالرياض ، هو الاستاذ السيد عبد الواحد وقد جاءني ذات يوم بكتاب يحمل عنوان « سيكولوجية الشخصية المصرية » للدكتور ملاك جرجس فدلتني على فصل منه يحتل قرابة ستين صفحة من صفحاته قائلا انه كاتب هذا الفصل من الفه الى يائه ولكن المؤلف الفاضل نشره باجمعه ثم تعطف فذكر في هامش الصفحة الاولى من الفصل ما نصه « قام بجمع المادة العلمية الاستاذ السيد عبد الواحد » وموضع الاعتراض ان الفصل بمعناه ومبناه من كلام الاستاذ عبد الواحد ! فكيف يقول الدكتور ملاك انه قام بجمع المادة العلمية فحسب ! والزميل الاستاذ سيد رجل طيب حقاً ، لانه لا يعلم ان هناك من يأخذ الفصل الطويل برمته ثم ينشره منسوباً لنفسه ، وقد تطفل الدكتور المؤلف فأشار الى انه صاحب المادة العلمية فهو اهون جرماً ممن يأخذ ولا يشير ! والمسألة اليوم عند اكثر المؤلفين لا تخضع الى ضمير ، فليرح نفسه من الغضب قل يفيد .

يلذكرني غضب الاستاذ السيد عبد الواحد بغضب صديقي واستاذي الاديب الكبير محمد سعيد العامودي رائد الادب السعودي المعاصر ، اذ شغعت لديه ذات مرة كي ينشر ابحاثاً قانونية لانسان يحمل اجازة علمية في موضوعه ، وكان القانوني البحتة قد سرق ابحت سواه

ويحت بها للاستاذ العامودي مهوراً بتوقيعه الكريم ، ومن سوء الحظ ان العامودي قد قرأ هذه الابحت من قبل ، والم بالجرمة فراخته وكدرته ، وكتب الي خطاباً يستهول الامر ويستعظم ، اما انا فلم ادعش ، اذ ادرت من مآسي هذه السرقات ما ازال عن نفسي كل دهش واستنكار ! وقد قلت يومها للاستاذ العامودي كلاماً اعيدته اليوم للاستاذ السيد عبد الواحد ، ولا ادري اذا احرص على تقديمه لقارئ مجلة « الاديب » ألكي يتفكه ، ام لكي يتفكه ، اذ للمسألة وجهان لا وجه .

وسيدهش قارئ « الاديب » حين يرى ان السرقات الادبية لا ينهض بها الناسفة من صبية المدارس ولا المراهقون من طلاب الكليات وحدهم ، بل ان اغراءها ليزداد خطورة حين يقع في شركه اساتذة الجامعات انفسهم ! وقد كنا نرى منهم من يخرج في العام الواحد اكثر من كتاب حافل ، فنعجب كيف اتسعت شهور السنة الدراسية لهذا الفيض الدافق ثم يقع في الروع ان تلاميذه في قسم الدراسات العليا يقدمون الابحت التي حدد الاستاذ رؤوس موضوعاتها وفق خطة تقوم في ذهنه فاذا وقعت تحت يده اخذت ثوبها النهائي مهوراً بتوقيعه ! كان ذلك مما يقع في الروع دون دليل حتى ارتفعت الصرخات من كل مكان تدبّر اساتذة العلم ، ولو كان لدي ارشيف يجمع كل ما قرأته في هذا الصدد لانحتف القاري بما يلد ، ولكني انذكر ان عددين متتاليين من مجلة « الرسالة » ذكر الدكتور جمال الدين الشيال في اولهما الذي يحمل رقم ٨٤٩ سنة ١٩٤٩م انه اعار احد زملائه الدكتور رسالة الجامعة المخطوطة ، فقتل اكثرها دون ان يشير اليه ، قال الدكتور الشيال بعد ان بسط حادثة السطو الجريء « ومن هنا نرى ان الدكتور قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعاً وانت اذا قارنت بعد ذلك بينها وبين فصله لتبين لك في وضوح تام انه لم يسط على المنهج والافكار فقط ، وانما قد سطا على العبارات والالفاظ كذلك فنحو ٨٠ بالمائة من عباراته هي عباراتي بالفاظها وحروفها ، ومع ذلك لم يشير حضرة بحرف واحد لا في الهوامش ولا في قوائم المراجع على كثرتها البالغة الى او الى رسالتي » .

هذا ما ذكره الدكتور الشيال رحمه الله في العدد (٨٤٩) من مجلة « الرسالة » ، ثم تلاه العدد (٨٥٠) فقطع على القراء بتعليق اليم تحت عنوان « الامانة الجامعية » يقول فيه كاتبه الصريح :

« لقد عادت بي الذكريات الى ايام تلمذتي بالجامعة ، فتذكرت ذلك الاستاذ المعمم وقد جاءنا يرفل في جيبته وقفطانه حتى اذ ادنا من عطلة العيد وجدناه قد ارتدى زي المطربين وان كانت ملامحه وسخنته تدل على انه من الشيوخ ، ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا ابحتاً علمية ليقرأها ويصححها ثم يعيدها لنا ، فكنا نسعى الى المكتبات ونبحث في امهات الكتب حتى نفوز برضا الاستاذ عن البحت

اشفع كل قصيدة بشرح ناقد يوافق طلاب الدراسة الثانوية وانهى المختارات بتحليل ادبي مقارن ، وكانت للرجل مكانة لدي فاستجبت سريعا لما طلب وفي ظني انه يستعين بما اكتب في ميدان التدريس وحده ، فلم ابخل عليه بما تضمنه عشرون صفحة من الورق المدرسي . ومرت مدة فقرات كتابا لاحد المشهورين من المفتشين يضم كل ما كتبت عن القمر مع فصول معاملة من البحر والليل والطير والحيوان ! فكدت انقل ، واسرعت الى صاحبي فاجبرني انه كان يريد انقل من بلدة الى بلدة ، والسيد المفتش صاحب الراي في ذلك وقد سألته ان يكتب فلم يجد بدا من الاستعانة بي ! كما ذكر ان المفتش الفاضل كلف لفيغا من الزملاء فكتبوا فصول الكتاب استجابة لطامع خاصة ، والكتاب ينطق بالتعليق لان لكل فصل طريقته الخاصة في الشرح والتعليق والاستنتاج ! فهو نتاج اقلام تختلف ولا تألف ! ولكن اين من يحاسب !

والثالثة اذكرها ايضا ، فقد زرت ذات مساء صديقا فاضلا كان يزعمني دائما بعرض مسوداته علي قبل ان تداع فاذا حاولت الاعتذار حاصرني بما يرهق ، فصادف ان وجدت على مكتبه احدى المسودات فطلعت انها ستعرض لا محالة ووقع في روعي ان الحاحه علي بالزيارة من اجلها ، وكان قد غادرني لحظات ، فلم اجد حرجا في ان ابدا بالقراءة فما ان رجع ووجد الورق بين يدي حتى عجل بخطفه في غضب وكأني اقرا خطايا خالصا لا حديثا اذعيا سيقرا على الآلاف ! وذهشت ووليت التفسير لفلته ، فاخذت بعنا بضحك ، فخرجت وفي نيتي ان اقطع مسوداته الى الابد ، ولكنني استمعت بعد اسبوع الى حديث بالاذاعة المصرية بليقي متحدث كبير فاذا الحديث مسودة الصديق ! واذا الرجل الكبير قد كلفه قاطاع ، وخاف ان افصح السر ! وقد تلاقينا فاخذ بعتر من جرأته علي وهو لا محالة مدعور . فاذا تركت ما شهدت بنفسي الى ما قرأت في الحديث فسأختر بعض ما كتبه المغفور له الأستاذ محمد سعيد العربي بمجلة «الثقافة» العدد ٢٢٢ الصادر بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٤٣ ، بتوقيع (قاف) الذي كان يعرف به قراءه حينئذ ، والأستاذ العربي ادب كبير كتب سيرة استاذ الرافعي دون ان يجد من يكتب سيرته بعد الرحيل ، وفي التذكير به الان بتنبية لاصدقائه وعارفيه ان يقوموا بواجب الوفاء نحوه كما ادى واجبه نحو الرافعي رحمهما الله ! وقد تحدث الأستاذ العربي عن سرقات كثيرة اكتم منها بهذه الثلاث كماخطها الاديب الفقيده حين قال :

١ - هذا قاض كان يشغل منصبا دبلوماسيا كبيرا تهيأت له في بعض غربته فرصة ، فحصل على ترجمة انجليزية لرسالة بالارادية في اسرار الحج ، فحبلها الى مصر واخرجها كتابا باسمه بعد ان اعانه على ادائها بالعربية ادب كبير من ادبائنا ، وما يزال هذا الكتاب منشوبا الى ناسره وليس له فيه الفكرة ولا الترجمة ولا

الذي تقدمه اليه ، ولكن الأستاذ - حفظه الله - يبخل علينا بابحاثنا ، ولم يشأ ان يردها الينا ، ولم نلبث ان رأينا هذه الابحاث قد ضمت بعضها الي بعض ، وقسمت الى ابواب وفصول ، واصبحت كتابا يحمل اسم الأستاذ العزيز ! وان كنا نحمد له انه غير أسلوب هذه الابحاث لتكون بأسلوب واحد ، اما الاراء فقد بقيت كما هي اراؤنا ، والنصوص التي استندنا اليها في ابحاثنا بمراجعتها لم يتغير شيء منها . وهذه زميلة تتقدم برسالة ماجستير ، وتعطي بحثها لاستاذها المشرف ، ومكت البحث زهاء سنة اشهر عند الأستاذ ، واخيرا اخذته منه ، فاذا به يفاجئنا بان اراءه انتقد تمام الاتفاق مع ارائه ، فلما سألته اين نشرت اراؤه هذه ؟ اجاب باسمنا : ان كتابي سيظهر هذا الاسبوع ، وفيه هذه الاراء ! فاجابته ساخرة : الحمد لله ، لقد اطلعت على ارائي ولم اطلع على ارائك !

ولا ينس الزميل الصديق الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التي يوضع فيها اسم استاذ من الاساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه ، على انهما اشتركا في تأليف هذا الكتاب او ذاك ، ونحن نعلم من الف الكتاب ، ومن الذي استفاد !

هذا بعض ما قيل عن الجامعة ، واقول قيل لاني لم اقل ، بل نقلت عن قال ، فلترك الجامعة اذن لاحتدث عن ؟ اقول عما شهدت بنفسي ؟ ثم عما قرأت لغيري في القديم والحديث ، واذا لم يتحدث الكاتب عما شهد ، وعما قرا ، فهل يختلق ؟

اما ما شهدت بنفسي فهذا بعضه لا جميعه :

كنت في عهد الطلب حريصا على ان اجمع ما انظم من الشعر في دفتر خاص ، وكان الزهو الساذج يدفعني الى ان اعرضه على الزملاء كحلية ذهبية ذات شان ، وقد استعاره مني زميل يشاركني الهواية فسررت اذ كنت ممن يستعار انتاجهم ويتداول بين الزملاء ، وكان بين قصائده منطلومة تحت عنوان «فقر وعفاف» ومطلعها كما اذكر :

به من هواها حيرة تتجدد واهة ووجد ما تزال تسرود لهيب بنديها احوال حياته جميعا تلقى فيه بل هي اتكد ولحظة عين لم تدم غير لحظة على انه منها يقوم ويقسد

الى ما يبلغ خمسين بيتا من هذا النمط ، ولم يكد يمر اسبوعان حتى رايتني اجد مجلة اسبوعية تنشر القصيدة بأكملها وقد ذلت باسماء الزميل الكريم ، فهاجى هائجي وخيل الي اني فقدت ثروة لا تقدر بالآلاف ، وهرعت الى السارق فلتقيني ضاحكا وهو يمد يده الى دفتر يجمع شعره ثم يقول تفضل فاختر منه اعظم قصيدة لنشرها باسمك ، فانا انت وانت انا ، ولو علم القارئ ان الزميل السارق لا يكاد يقيم وزن بيت واحد ، فضلا عن اجادته معناه ، لادرك ثوره غيظي !

هذه واحدة ، اما الثانية فقد طلب مني صديق عزيز ان اجمع له عدة قصائد تصف القمر في مختلف المصور ثم

میلاد

في بسلامي
ولد التحنان فطلا في مفاره
من بسلامي
اشرق النور على الاكوان
قدسي السنأ .. باهي النار
في بسلامي
غنث الاملاك بشرى وسلام
ومضى الشعل مرفوعا الى
كل الانام
ايه يا بشرى بميلاد مجيد
اي متى يا بيت لحم
اي متى يا قدسنا بعلو التشيد
تصلح الاملاك فيك .. من جديد

الراية - لبنان اسمى طوبي

ومسخ ونسخ لان سرقة البيت الواحد والمعنى الواحد
امر هين بنائه ما نحن فيه ، فنحن امام سرقات تامة لكتب
ومقالات لا لمقاطع وايات ، وما زالت كتب القدماء والمحدثين
تحدث عن سرقات الفرزدق وابي تمام والبحري فتزد
بعضها الى توارث الخواطر ووقوع الحافر على الحافر ، ما
الذي يحتاج الى اهتمام خاص فهو سرقة الكتب الكاملة ،
وقد لاحظ احد الادباء بمجلة «الثقافة» العدد (٣١٩) سنة
١٩٤٥ أن كتاب « الاحكام السلطانية » لابي يعلى الحنبلي هو
نفسه كتاب « الاحكام السلطانية » للامام الماوردي وتساءل
اي الكاتبين اسبق ، فجاء الرد بالعدد (٣٢٥) للاستاذ محمد
عنان كاشفا عن عدة ماس لا مأساة واحدة اذ نقل ما سطره
السخاوي عن شيخه الحافظ بن حجر ، حين قال تحت
عنوان «فصل فيمن اخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه» :

«منه البحر للروائي اخذه من الحاوي للماوردي
والاحكام السلطانية لابي يعلى اخذها من كتاب الماوردي
لكن بناها على مذهب احمد ، وشرح السنة للبغوي مستمد
من شرح الخطابي علي البخاري وابي داود ، والكلام على
تراجم البخاري للبر بن جماعة اخذه من علوم الحديث لابن
الصلاح بحروفه وزاد فيه كثيرا ، وشرح البخاري لشيخنا
ابن الملقن جمع النصف الاول منه من عدة شروح ، واما
النصف الثاني فلم يتجاوز فيه النقل من شرحي ابن بطال
وابن التين واما طبقات الشافعية لابن الملقن فقد جمع فيه
بين الاسنوي والتاج السبكي بحيث لم يزد عليهما سوى
ترجمة واحدة ، وكذا قرأت بخطه على الاجابة لابرد ما
استنبطه مائشة على الصحابة مانصه «اصل هذا التصنيف
للاستاذ الجليل ابي منصور عبد المحسن بن علي بن طاهر
البغدادي الفقيه المحدث الشهير ، وابنه في مجلد طيفه
وجملة ما فيه من الاحاديث خمسة وعشرون حديثا ...
الى ان قال : ومصنف الاجابة حسن الترتيب والزيادات
البينة ، والفرد الى التصنيف الكبار ، والاول على عادة
من تقدم يقتصر على سوق الاحاديث الى شيوخة» هـ .

على اننا نعترف انصافا للقدماء - ان طريقة التأليف
عند اكثرهم كانت في مجموعها شرحا واختصارا وبخاصة في
كتب الفروع ، حتى عرف مؤلفون بالاختصار فقط دون تجديد
او شرح ومنهم ابن بشكوال الاندلسي ، فقد بلغ من اشتهاره في
التلخيص والاختصار ان احدا لفرأه شاهدرجلا طول القائمة
فقال منتدرا : لو رآه ابن بشكوال لاختصره او من المفارقات
ان الاصول التي تعب فيها مؤلفوها تنسى وتهمل على حين
تذكر للملخصات المبثورة وتشتبه !! وهي الحظوظ .
لقد اكرت من النقل دون قصد ، حتى لا ادري
اكتب مقالا ام انشر احصاء ولكني وجدت المقام يتطلب
التركيز ويضيح عن التحليل ، بل اكاد اجزم ان هول هذه
السراقات يغني عن كل تحليل .

الرياضي - كلية اللغة العربية محمد رجب البيومي

الاداء وليس الا ان حمله من جدة الى القاهرة او حملته معه
الباهرة !

٢ - وهذا كتاب مدرسي الفقه معلّم مضمون لا يكاد
يعرفه غير تلاميذه وانه ليرجو به النفع العام ، او الانتفاع
المادي ، ولكنه يخشى ان يجهل الناس قدره فيكسد كتابه في
السوق ويخسر جهده وماله ، فانه يسمى الى ثلاث وثلاثين
من اصحاب الجاه العلمي في هذا الباب ، او الجاه المادي في
هذه السوق فيطلب اليه ان يراجع كتابه فاذا راجعه فقد
صار عليه الحق في ان تكون شركته في التأليف والنفع
المادي ، وهذا واحد او لعله كثير .

٣ - وهذا ناشر خبير بالسوق قد خطر له ان
ينشر مخطوطا قديما قد تحرق وتحرق وبلى بالزمن ،
وابتلى بالنسخ ، فانه ليستاجر بعض المرتزقة من ادباء
السوق ، يصححونه ويحققونه ، ويرمون ما بلي منه ، ولهم
على ذلك من الاجر المادي بمقدار العمل ، جملة بسعر الجزء ،
او تفصيلا بسعر الصفحة ككل صانع في صنعه ، فاذا
فرغوا من عملهم ، وخلصوا باجرتهم ، حمل الناشر الكتاب
صحيفا محققا سليما من التزيق والبلبلى وسؤ النسخ ،
الى كبير من اهل هذا الفن يساله ان يتوجه باسمه ، ويلحقه
بنتسبه ، ثم يظهر الكتاب في السوق بتحقيق الاديب الكبير
هذا بعض ما كتب العربان نجاته مسرعين الى ما
قبله ، لنعلن ان ذاء السرقات الادبية عتيق تحدث عنه
ارسطو وتابعه نقاد الشرق والغرب ، حتى افرد له الكتابون
مجلدات ذات ابواب وفصول وقد كنا نضحك حين نجد
امثال ابن الاثير يقسمون السرقات الشعرية الى سلخ

وخصني شخصياً بها لسببين على الأقل : الاول انها تتعلق بشان من الشؤون التي يعرف الناس ان اهتمامي بها كبير ، اعني بها شؤون الادب والثقافة الرفيعة ، والسبب الاخر انها تحدثت عن جهد انسان مبدع تربطني به فوق رابطة الاهتمام بالادب والثقافة الرفيعة ، رابطة الانتماء التي هذا الوادي الذي نعيش فيه ، وادي الفرات ، وله على وعلى غيري من ابناء هذا الوادي المهتمين بالادب والمنتجين فيه ، فضل الاولية والسبق ، اذا لم يكن فضل الاستدعاء والتخريج اعني بهذا الانسان المبدع الشاعر الكبير المحتفى به في هذه الامسية ، استاذنا محمد القراني .

تلك الرسالة التي اروي لكم امرها في هذا المقام كان بعث بها الي في تلك الايام سفير ايران في دمشق حين ظهرت في مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي ترجمة الاستاذ القراني لديوان سعدي الشيرازي «كلستان» روضة الورد . عن هذه الترجمة قال السفير ملايري فيما كتبه الي : «اطلعت عليه واعجبت ايما اعجاب بالجهود الجليل الذي قام به الاستاذ القراني في ترجمة الكتاب هذه الترجمة الرائعة الالمانية التي تدل دلالة قاطمة على طول باعه في الادب الفارسي وتمكنه التام من اللغة الفارسية ، بل مكانته من اللغة العربية كشاعر مبدع وكاتب ضليع ... » . هكذا قال لسفير . واذا كانت كلمات الشاء والاعجاب هذه لا تعبر الا عن بعض ما هو متفق عليه مما للاستاذ القراني من مزاجا

بين عارفيه وثرائه ، فان ورودها بهذه الطريقة الرسمية ، في رسالة دبلوماسية من سفير الى وزير ، كان يحمل معنى اريد به ان يتجاوز التقريب الادبي ليخفي صفة اساسية ، استطاع ان اسميها صفة دولية ، على الاثر الفني الذي دارت عليه الرسالة . ففي تلك الايام التي كان الجفاء وسؤ الظن يسود فيها علاقتنا ببلاد فارس ، كان واضحا ان سفير تلك البلاد تعتمد ان يرى في عمل الاستاذ القراني وفي تبني وزارة الثقافة والارشاد القومي له اول الفيتي في توثيق العلاقات الثقافية والروابط الاخوية بين سورية وايران ، وقد قال ذلك في رسالته ، كما تعتمد ان يشير الى غلمه بان وزارة الثقافة والارشاد القومي جادة في طبع مختارات من روائع الشعر الفارسي لجلال الدين الرومي وحافظ وسعدي الشيرازيين ، مستبشرا بان هذه الجهود سيكون لها اعقب الاثر في تشديد اواصر الود والاخاء بين البلدين المشتركين بعلاقات عديدة ، قديمة وثمينة .

وفي الواقع لقد طبعت وزارة الثقافة والارشاد القومي كتاب روائع من الشعر الفارسي في عام ١٩٦٣ ، والحقته في عام ١٩٦٨ بطباعة «بستان» سعدي الشيرازي ، وكلها من ترجمة الاستاذ القراني . ولست اشك بان السياسة كمناورات ومداورات وتجادب منافع وتضارب مصالح بين حكام وحكومات ، كانت ابعد ما تكون عن ضمير استاذنا حين قام بجهد الضخم في تعريف العرب بخير ما انتجته كبار شعراء الفرس في العشق والغزل الصوفي وفي القصص



الدكتور عبد السلام انجيلي

تكريم الشاعر القراني

بقلم عبد السلام الفجيلي

اقام اتحاد الكتاب العرب في الجمهورية العربية السورية في مساء ٥ تشرين الثاني ١٩٧٤ احتفالا تكريميا للشاعر محمد القراني في مدينة دير الزور ، تصافى فيه الخطباء في الحديث عن هذا الشاعر الكبير في سته وفي انتاجه الشعري نظما وترجمة والذي ابعده نواضعه وابثارة العمل الصامت عن صخب الشهرة واضواها الساطعة . وفي هذا الاحتفال القى الدكتور عبد السلام المعجلي الكلمة التالية :

بين اوراتي ورقة عثرت عليها منذ سنين فعجبت كيف سها عنها تدقيتي فبقيت في حوزتي . فهي ليست ورقة شخصية بل هي رسالة رسمية موجهة الي يصفتي وزير اعلام في عام ١٩٦٢ ، وكان علي ان اردھا الى سجلات وزارة الاعلام ان تلقيها ، لان هناك مكانها . ومع ذلك فاني حين عثرت على هذه الورقة مؤخرا ، وبعد ان اعدت قراءتها ، ابحت لنفسي ان اظل محتفظا بها . في سجلات وزارة الاعلام ستكون مجرد قصاصة في اكوام محتويات الارشيف ، اما بين اوراتي فيسقط لها معنى ذو قيمة خاصة . ان مرسل تلك الرسالة ، سعادة السفير محمود ملايري سفير ايران في دمشق عام ١٩٦٢ ، قد تخطى في ارسالها الي زميلي وزير الثقافة والارشاد القومي انذاك

الذي لم يكن يملك غير ميل ينأى فيه ولا يحتاج الى غير ان يدنا باسعة الشمس ليحبل فيه خواطره وافكاره ، ماذا كان يريد من الاسكندر الكبير حجب عنه ؟ لقد رفع رأسه متطلعا الى العاهل الذي حجب عنه بوقفته نور الشمس ودفاها وقال : حاجتي ! حاجتي ان تحيد لي عن شمسي !

حين قلت اننا ، في هذا الحفل الذي اقيم لتكريم الاستاذ محمد الفرائي اننا نكرم انفسنا قبل تكريمنا المحتفى به ، فاننا اعني بانفسنا الادباء بصورة عامة واعني بصورة خاصة انفسنا نحن المهتمين بالادب والفكر والثقافة في وادي الفرات والمنتجين فيها . لاتحاد كتاب العرب شكرنا على قيامه بهذه المبادرة التي تجمعنا فيها ، في حاضرة هذا الوادي ، حول من هو بشاعريته ودأبه ونتاجه الاصيل ، قبله بتمدد سني عمره ، عميد البديع ادبنا فيه . انها مناسبة اتبع لنا بها ان نعرض انفسنا على هذا العميد ونقول له : انت الذي حبيت بشعرك منذ عقود من السنين تخرج اول طبيب من هذه الديار واول محام منها - طبيب واحد ، لا في مدينة دير الزور وحدها ، بل في كل اللواء الذي كان يضم ما اصبح اليوم ثلاث محافظات هي دير الزور والحسكة والرقعة - لملك قوت عينك اليوم بمن نول من يتابع الثقافة والعلم من انشاء وادبك ! لو قلنا هذا للاستاذ الفرائي لاجابنا بلا شك انه راض عما يراه . غير ان سيرة الاستاذ الفرائي في حياته الشخصية ستقول لنا شيئا آخر قد لا يقوله لنا لسانه . ستقول لنا ان اكتساب الثقافة والعلم ليس غاية بذاته الغاية ان تعملا بالثقافة والعلم لخير وادبكم وخير اهلهم . وادبكم الذي لا يزال معدودا واهله بين المتخلفين ، في حين ان فيه يبنى مستقبل بلادكم ويخطط فيه لتقدمها وراثتها وقسوتها ...

تقول لنا سيرة الاستاذ الفرائي هذا وهي تلقي علينا دروسها الذاتية في العمل المتواصل ، الهادي المتواضع ، المترفع عن الصفائي ، المبدع ادبا قيما في الشعر والترجمة وفي تمجيد الامة والدعوة الى الإصلاح . علينا اذن ، نحن الفرائيين مثقفين وجمهورا كادحا طامحا الى التنعم بالثقافة ، من حاضري هذا الحفل وسامعيه وسامعيه به ، ان نشكر لاتحاد الكتاب العرب اتاحته لنا هذه الفرصة التي نكرم فيها انفسنا بتكريم شاعر وادبنا والتي نتمثل فيها دروس سيرته المكافحة وابداعاته الشعرية . ونحن واثقون بان التكريم الصحيح الذي يعتد به محمد الفرائي وتقر به عينه هو ان يرى آماله في اهله الاقربين وفي امته الكبيرة محققة ، ودروسه فيهم وفيها مسموعة ، مقتدى بها ومستفادا منها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

البديع المحكم . ولكن اي عمل اقدر على تقريب القلوب بين ابناء الشعوب او على ازالة الاحن والتخفيف من الاحقاد من تبادل ثمرات الافكار وتناقل روائع النتائج الفني ييسر المتجاهلين او المتجافين ؟ لذا فلا بد لنا من القول ان الاستاذ الفرائي ، شاء ام ابي قد حقق ما ناق اليه واستبشر به سفير الدولة التي نظم جلال الدين الرومي وسعدى الشيرازي ولسان الغيب حافظ الشيرازي ورائعهم بلغتها . وكان بذلك رائدا سابقا ، ومؤدبا مهمة تقامست الهم طويلا عن ادائها . فما اغرب ان يكون للادب الفارسي هذا التراث الفني ، وان يرتبط هذا التراث بالتاريخ الاسلامي وبادب العربي اسطورة وقصة وشعرا ، ثم لا نعرف عنه شيئا ! صحيح اننا نعرف عمر الخيام منذ زمن طويل ، غير ان معرفتنا تلك كانت معرفة هيجنة ، تسلت الينا من اعجاب الفريبيين بربايعات الخيام حين نظمها فيتجزر الد في شعر الكليزي خلاب . اما العظام من شعراء الفرس فقد ظلوا مجهولين الا من لمع لا تنقع غلة ، حتى جاءت الترجمات الفرائية التي نافست الاصول ببراعة الاداء وجزالة اللفظ وموسيقى الجرس .

نعم لا شك في ان السياسة بمناوراتها ومداوراتها وتجاذب المنافع وتضارب المصالح فيها ، كانت بعيدة عن ضمير شاعرنا الفرائي وهو يقدم لادب امته هذه الخدمة الكبيرة في ترجمة روائع شعر فارس الى لغة العرب ، مثلما كانت بعيدة عنه في نظمه لشعره القومي والانساني وفي نضاله كمثقف ومثقف وكانسان عربي واع لتخلف امته وعوز بيئته . كانت بعيدة عن ضميره لايحلال هذا الضمير لرسالته الادبية التي هي اقوى الدوافع في انتاجه ، ولصفات اخرى نعرفها عنه وتربينا بها معرفة الايام الطوال التي تمر على حسه الشاعري وادراكه الذكي وسليقته البدوية مرور النسيم على خضرة المروج ، اعني بها صفات الجدل اللادب والتواضع المفرط . اليس في حق من كان في سن الاستاذ الفرائي ، بعد ان طوف ما طوف وانتج ما انتج ان يلقى اليراع من يده ويخلد الى الراحة متعليا مسن ماضيه وذكرياته ؟ اليس من حقه بعد ان قام بهذه الريادة وذلك السبق ان يدل بهما ويمن ، وان يستثير الاحاديث حولهما ويستادي لثمنهما شهرة وبعد صيت ان لم يستاد مغام مادية ؟ لقد ظل الاستاذ الفرائي ، كما تعرفونه ، بعيدا عن هذا وذلك . ونقل لي منذ اسابيع ، يوم دار الكلام على القيام باجتماعنا هذا ، انه كان في طريقه الى حلب ليسال بعض اخوانه من اعضاء اتحاد الكتاب ان يعفوا انفسهم ، ويعفوه ، من جهد هذا الحفل الذي نكرم فيه انفسنا قبل تكريمه هو فذكرت حينئذ ما قاله ديوجين للاسكندر المكدوني حين وقف هذا في صباح يوم شات على آراء الفيلسوف يسأله اذا كانت له حاجة فيضيها . ديوجين

لا اصدق

القلعني نكية حزيران ١٩٦٧ ، وجعلت ليالي كلها ارقا ،
ولكن الحاسة السادسة ارتنتي نصر رمضان بشكل غامض ،
فكانت القصيدة المتحالة الآية :

انا لا اصدق اننا امس انهزمنا ، لا اصدق
قول ان استمعت اليه الروح يوما ، كاد يزهرق
ويجمد الانفاس في صدري ، وفي ليالي يورق
ويذرف العبرات حتى روضة الامال يفرق
لا ، ايها التاريخ . لم نهزم ، فحاذر ان تلفق
ففخارنا قد كاد في صفحاتك الفراء يورق
انا لا اصدق اننا امس انهزمنا ، لا اصدق
لا اصدق

نحن الالى سادوا الدنيا بفتوحهم شرقا وغربا
واستسلم الروم القساور في الوغى خوفا ورعبا
والفرس فروا كالارانب حين شن العرب حربا
لم تحمهم افيالهم !! بلت طعنا وضربا
تكسبت على اعقابها تلمس الطرقات نهبا
واليوم اصبحت اليهود جيوش امتنا تمزق
انا لا اصدق ما رووا عن اسد قومي ، لا اصدق
لا اصدق

ايمن القلوب جرثة في العرب تضطرم انتقادا
وتخوض نيران المصاركة في فلسطين جهادا
وتخط بالدم قانيا نصرا تعيد به البلادا
وتسير اعلام العروبة فوق موطننا تهادى
من بعد ما تعزز كل قلوب امتنا اتحادا
ما بالهم زعموا الوغى لخميسنا الجرار ترهق
انا لا اصدق زعمهم وحياة قومي ، لا اصدق
لا اصدق

انا خلقنا لاكتساح عداتنا يوم الصدام
بمزبحة جبارة تقوى على سحق الحمام
فالحرب قوت نفوسنا وهوى الاماني الجسام
وقلوبنا قدت من الباس انفدائي الهمام
املت على التاريخ انباء المفاويز العظام
ومضى يفرج مجننا حينا ، واحيانا بشرق
من ذا يصدق اننا لم نتصر ؟ انا لا اصدق
لن اصدق لن اصدق

محمد المدناني

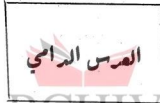
يطلب منه ان يترتب حتى الساعة
الثامنة .

كانت ليلى عند مصفف الشعر في
طنطا ، وشعبان يكمل هندامه وبعد
نفسه للذهاب لاجتماعه .. خرج
من الدار وتلقى بعض زملائه الذين
جاءوا من القاهرة لمشاركته فرحته
.. تجول قليلا بين المدعويين .. شعر
بالفخر وهو يرى لسات الاعساد
الاخيرة للحفل .. فلم تشهد القرية
منذ نشأتها حفلا استعد له كل هذا
لاستعداد .. نحت الدبابح ...
وحضر الطهارة من البندر .. وتحضر
الفرقة الموسيقية من القاهرة .. عدد
هازل من القاهريين زملاء واصدقاء
.. اللبائض مضاءة من الدار وعلى
امتداد الطريق بين الحدائق تتدلى
كالثرىات تسقط أضواؤها على
الطريق احتفاما بالوافدين من العاصمة
ام الدنيا .. عربة باكملها محملة
بالواح الثلج جاءت خصيصا من
البندر باسم القرية .. مكبر الصوت
ينقل الحفل الى القرى المجاورة ، وقد
هرع اهله على اثر سماع صوت
المكبريات وهو يجري تجاربه ...
هرولوا ملئين رغبته الدفينة في
مشاهدة الراقصة « الغازية » القاهرة
التي لا يرونها الا في الموالد او في
البندر ..

التي شعبان نظرة الرضى والسورور
واخذ طريقه الى خارج القرية ،
ليستقل العربة المزدانة بالزهور ..
كانت فرحته اكبر من ان يتحملها ..
يشعر كأنه علقا يسير فوق ارض
القم حيث تنعدم الجاذبية ..
خطواته البطيئة متسعة .. وكل من
معه يهرولون .. اليوم فقط استرد
كيانه .. اليوم استعاد ثقته التي
فقدتها بعد رفض نجوى الزواج منه ..
سينتزوج شعبان ونجوى كما هي ام
تتزوج .. تقترب خشنا من سن
الياس .. اليوم عرف قدره ومقداره
بين اهله وقربته واصدقائه ..
اليوم سيتوج صبره الذي طال
وامتد حتى شمل الثلاثين عاما من

ابراهيم ، وتحب ابنه الاستاذ
شعبان ، منذ اكثر من شهر والقرية
تعد نفسها للاحتفال بزواجه .. فلا
بد ان تجامل الحاج ابراهيم المجاملة
اللائقة به ، وهو الذي اغرق القرية
كلها بجماله .. شاركها بروحه
وقلبه وماله في كل ما يحدث لاهلها
من افراح واحزان .

التاج المرصع باللبات اللونة فوق
« الكوشة » بضيء وبطقيء ...
الكهربائي يجرب مكبر الصوت ...
الفراش يعد مسرح الفرقة الموسيقية
والراقصات .. ام شعبان ترغرد
فرحة ولا تعادل فرحة القرية كلها
فرحتها ، وقد فر العمر منها وخشيت
فراق الدنيا قبل ان تفرح بـزواج
شعبان .. سيظمئن قلبها بزواجه



بقلم جمعة محمد جمعة

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

اذ مشترك لكل ولد من اولادها الثلاثة
اما زوجة ورفيقة طيبة تشاطره
رحلة الحياة .. الرحلة التي قطعتها
مع الحاج ابراهيم في سعادة سائفة
... وهناء دائم ، ووافق تام ..
وكان احمد ابن اخيها اكثرهم جميعا
فرحا يتنقل بين المدعويين معبرا عن
فرحته بالرقص .. والفناء .. ويعلم
بين لحظة واخرى رغبته في الذهاب
الى طنطا لاجتماع فرقة موسيقية
وراقصات اذا تأخر صبحي وبقية
الاصدقاء عن الحضور من القاهرة
.. ويصحبهم الفرقة .. لكن شعبان



يوم افاق شعبان من مرضه قسرد
العودة الى القرية لاستعادة حنان
وحب اسرته .. لا شك أنهم غاضبون
عليه .. يصبون لعنايتهم على
تصرفاته الحمقاء .. خاصة وأنه
ترك البيت اخر مرة وهم جميعا نيام
.. شعر في حجرته بوحدة قاتلة ،
وفي نفسه بغواء وضياغ لم يشعر
بهما قط .. وبتى باللائمة على
ظنونه الحمقاء السيئة .. تساءل
بينه وبين نفسه لماذا هرب من ليلى؟
ولماذا هرب من اسرته وعاد الى
حجرته ؟ لم تعد المدينة تشده بعد
رحيل حياة النفوس .. لم تعد
الحياة فيها تسيطر على لبه ...
وتسل الخنين الى قلبه للريف ،
ولا لاهل الريف .. للارض ، والسماء،
والحقول .. للترعة والساقية
والطنبور .. للحياة الهادئة ...
للناس الطيبين ، وكان ان قدم الى
الشركة طلبا للعمل في فرعها
بطنطا ..

جاءه سريعا يوم الخميس ...
ساعات قلائل ويتحدر من العباء
الضخم الملقى على عاتقه .. ساعات
تمر ببطء سلحفاة عمرها الاف السنين
.. اخذ شعبان يقطع الوقت بسيف
الحركة الدائبة النشطة .. يتجول
ويباشر العمل في اعداد مسرح
الحفل .. يدخل الى الدار ويلقى
بتعليماته وارشاداته الى الطهارة الذين
جاءوا خصيصا من اجله .. يلقي
امه ويحضر راحتيها ويقبل كفيها في
امتنان وشكر .. فهي اختارت له
ليلى ووقت في اختيارها .. تمده
بسمتها بالشجاعة والتفاؤل وكانها
تقول له : « الدنيا باسرها تحتضن
افراحك يا ولدي » .. يخرج من
الدار فيلتي بنظراته التحيات على
اهل قريته وهم يسألونه في لهفة
عن اصدقائه وزملائه الذين دعاهم
من القاهرة لحضور حفل عقد القران،
وخاصة صبحي الذي يعرفون
صداقته الحميمة لشعبان .
كانت القرية كلها تحب الحجاج

عمره .. اليوم يشهد مئات من المدعوين فاصلا بين حياتين عاشهما .. حياة عاشها يضرب بخطواته في اي اتجاه .. ابنما تسوقه الريح يندفع امامها .. تهزه اي نسمة تعترض طريقه .. تزعزعه اي عاصفة .. تزلزل كيانه اي صدمة .. وحياة جديدة يقف اليوم على اعتابها راسخا كالجبل الاشم .. شامخ الرأس .. ثابت العزم والاصرار .. متبئين الخطوة .. قوي البنيان .. يسوق الريح كيفما يريد ولا يسلس لها قياده كما كان .. الجميع يشاركونه فرحته ابتداء من عمدة القرية الى اصغر اهله .. ابتداء من مدير الشركة التي يعمل بها الى اصغر عامل فيها .. وعند مدخل القرية التقى بابن عمه عزت فاحتضنه وتلقى تهنئته .. تحس عزت جيب صديريته وقال مبتسما :

— اشتريتها خصيصا لتحيتك في ليلة فرحك .. ستزفد الطلقات نيابة عني ..

ذهب شعبان الى البندر .. ووقفت القرية بمن فيها على قدم وساق تنتظر اوبة شعبان وعروسه .. بلدت القرية في لحظة كترسانة مسلحة تستعد للدود عن كرامتها ضد معتد غاشم .. كل رجال القرية يحملون البنادق .. تكاد جيوب جلابيبهم تلامس الارض من ثقل الرصاصات .. يتناهون جميعا بعدد الطلقات التي احضرها كل منهم .. العمدة للامانة طلقة .. وشيخ الخفراء مثنان .. نظر زملاء شعبان القاهريون الى البنادق واعتري معظمهم الخوف .. توقع بعضهم الشر .. خشى اقلهم ان يكون بين العائلات نكار قديم .. او ان تنشب معركة من لا شيء .. كما يحدث غالبا في الافراح .. وينقلب السرور الى حزن .. وتزفد الطلقات في صدور الضحايا .. وبعم الظلام .. لكن الحاج ابراهيم طمان قلوبهم مرددا :

— كلهم يجاملون الاستاذ شعبان ..

كلهم احبة .. نحن والحمد لله اناس مسالون ..

سرعان ما سيطرت مظاهر الفرح على القلوب الخائفة الوجلة .. وتبدد الخوف وسط الحفاوة بالسلفة والترحيب الطيب .. وانشغل الجميع بترقب حضور شعبان وعروسه ، وصبحي وبقية الاصدقاء والفرقة الموسيقية والراقصات .. وكل منهم يعني نفسه بليلة سرور رائعة حتى مطلع الفجر ..

كان احمد يصلو ويحول كالديديان من داخل القرية الى خارجها .. ومن خارجها الى داخلها .. ينتظر على احر من جمرات النار حضور الفرقة ليقيم باداء الرقصة التي وعد بها ابن عمته شعبان .. موجة الفرح الطاغية لا تترك مكانا في القرية الا وتطوف به معلنة الليلة فرح شعبان .. الاضواء تتلألأ .. وكل شيء بدا يسرع .. الدقائق تهرول ، والماذون بعد اوراقه .. المدعوون يأخذون انماكنم حوله .. ام شعبان تمتد الشربات .. بعض الرجال يصطفون على جانبي الطريق شاهرين بذائقهم الى السماء لاستقبال القرية التني

تقل العروسين .. وكأنه موكب رسمي لقائد من القادة .. او عظيم من العظماء .. تهل بشائر الركب من اول القرية .. بعض الرجال يسبقون العربة بالنهليل والتكبير .. قفز احمد واعلى مؤخرة العربة واخذ يمنع تكديس الرجال فوقها .. تعلق عزت شاهرا مسدسه في الحواجز الباب ليكون له شرف فتحه لنزول العروسين .. نظر احمد الى ساعته فوجدها تشير الى الثامنة الا خمس دقائق .. عزم على الاسراع بعد نزول شعبان الى البندر واحضار الفرقة الموسيقية .. توقفت العربة .. فتح عزت الباب واطلق رصاصته الاولى وامتلأت السماء بالطلقات التي غطت على اصوات زغاريد النساء مجتمعات .. انحشرت طلقة عزت الثانية في ماسورة المسدس .. هز

المسدس بعنف ولم يطفن الى الطلقة التي اندفعت لتجد مستقرها في جمجمة احمد .. اهتز شعبان لاندفاعها وسقط ثانية في مقعده بالعربة .. واستمع الى صوت سقوط جثة احمد ابن خاله هامة من فوق مؤخرة العربة غارقة في دمانها ..

كانت لحظة كخطف البرق .. كزلزال مدمر .. اصيب الجميع بوجوم تام .. غارت الاصوات وارتدت من الحناجر الى الصدور .. واحتبست الزغاريد في الحلق .. كانت لحظة صمت مربعة .. رهيبة .. لحظة تغير عندها مجرى الزمن .. وتبدل كل شيء .. انقلبت الفرحة الطاغية الى حزن قاتل .. واندفع الصراخ ، وانهرمت الدموع وتبلت الاحاسيس وانحنت الرقاب اجلالا رهبة الموقف .. خرج شعبان من العربة ونظـر الى الجميع ففهمش اضطراب ، وتبادوا فيما بينهم نظرات السوم والتائب والاتهام .. وعلى لسان كل منهم سؤال :

— لماذا كان الرصاص ؟

على الطريق الزراعي .. وعند مدخل القرية .. توقفت ثلاث عربات .. نزل صبحي واندعش للسكون المريب .. والهدوء الغيم .. اتجه الى مدخل القرية والتقى بعدد من الاهالي .. سألهم عن اقصر الطرق الى بيت شعبان .. قال احدهم :

— شعبان .. لقد انتهى الفرح منذ الساعة الثامنة .. سقط ابن خال العريس قتلا ..

تلقى صبحي المريد وصفا للحادث .. وفي نفس اللحظة استدارت السيارات الثلاث عائدات الى القاهرة .. بمن فيها من الاصدقاء والفرقة الموسيقية .. واخذ صبحي طريقه حزينا متلا الى بيت شعبان ومعه اثنان من اصدقائه لوائساته في محتشة ..

القاهرة جمعه محمد جمعه



الدكتور محمد مهدي البصير

محمد مهدي البصير كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

كنا في اواخر الثلاثينات صفارا ، نرود كالبغايا في المدرسة الاولى ، قبيل الدخول الى الصفوف كل صبيحة ، نشيدا هذا شيء منه :

وطن والحق سينجده (١) اصفيه الحب واعفده
اصواءه ولولا مبدعه لجهرت بساتي اعبيده
مهد التشريع ومنبتك ومنار العلم وفرقد
وابو العمران وحاضنته ومنطقه ومولده
كم في الاصلاح له السر ما زال الكون يعجده
ما كنا نعرف من قائل هذا التشيد ؟ وما كان ذلك

يعنينا في قليل او كثير . انما الذي عرفناه انه نشيد الى جانب سائر الاناشيد الوطنية والقومية . منها « نحن الشباب لنا الفد » و « هيا ارتقوا يا قومنا » و « زهرة الايام تقضى » و « هكذا دائما نمشي السى الامام » و « وطني والخضرم راغم » و « موطني » والاخير ان من شعر ابراهيم طوقان .

حتى اذا خطوت الى عالم الفكر والادب خطوات وليدات ، ادركت ان صاحب التشيد لم يكن الا الدكتور محمد مهدي البصير .

في خلال عام ١٩٤٧ تبدت عندي نزعة الادب والتشوف الى مزاوله بعض انماطه .. شعرت ان قوة خفية تدفعني لتوقل سلم لم يكن لي به عهد بنية الاطلالة

على الافاق ، والاندماج في درب هالتي سلوكه بادىء بدء قصد الكشف والشوق الى المجهول .. وهل الحياة باقبالها وادبارها ، الا الاطلالة والكشف .. ذلك طريق الانسان الواعي ، وعنصر حركته ورمز ديمومته . الا انني كنت حائرا ، تتوابع امامي علامات الاستفهام ، في الوقت الذي تمصف بكينائي دوافع التردد والرهبة . لا احس بشيء من حولي ! كيف ابدا ؟ ومن اين ؟ والى اين اتجه ؟ قائدا او مقودا .. راغبا او راغما .. فقد كان اللواذ من هنا والرواد والمفكرين والادباء في الاقتداء بخبراتهم ومواقفهم واستمزاج ارائهم وافتكارهم سبيلا لا بدبل له ولا ندحة عنه .. من الطرافة بمكان ان ازمع انني كنت وقتذاك مأخوذا بهيبة شهادة الدكتوراه بالاداب ، متأثرا بصداها المدوي .

فكتبت فيمن كتبت الى الدكتور محمد مهدي البصير استاذ اللغة العربية وادابها بدار المعلمين العالية ، ارجوه ان يدلني على الطريقة المثلى التي تجعل مني نجما لامعا في سماء الادب .. ويدركني جواب البصير المؤرخ بالناسخ والعشرين من شهر تشرين الاول ١٩٤٧ ، وقد املاه على سكرتيره الخاص يومذاك : ناظم خصباك . وفيه يقول : « ان ما تدرسونه في الاعدادية من النحو والشعر والادب كاف لان يعدكم اعدادا مرضيا الى ما تشدونه في المستقبل واذا اجتزتم هذه المرحلة وجئتم الى فرع الاداب بصدار المعلمين العالية فسوف يرشدكم بشخصه الى الكتب التي تحتاجونها انذاك ويعدكم اعدادا صحيحا الى ما تصبو اليه نفسك في القبة » .

كان طبعيا ان يكون لهذا الجواب المشجع لنا شيء غش الغود ، ناقض الخبرة مثلي ، اثر جميل ، وبعيد في عقله وقلبه ، يدعوه الى الانفعال بتصبية معينة والاهتداء بها اذا شاء ..

بعد فترة ، بينما نحن الطلبة في احد دروس اللغة العربية بثانوية كركوك للبنين ، طلب منا مدرسا ان نشرح ثم نعرب بيت حافظ ابراهيم ، وقد كتبه على السبورة :

فاناس هذا حظه مال ولا علم وذاك مكلام الاخلاق
فاختلطنا في اعرابه جميعا . والمدرس ينظر الينا باضطراب خفي ، لا يعرف كيف يصنع ؟ لانه هو الاخر - على ما بدا واتكد - لم يكن واثقا من اعرابه . ثم شرعنا نتطلع الى الآخرين من مدرسي اللغة العربية ، ونفرغ اليهم .. فاذا كل منهم يعرب البيت الشعري كما يراه وكما يحلو له .. لذا وجدت الفرصة مواتية لاجدد الثقة بالبصير ، فاسالته اعراب البيت الذي حرنا فيه . وما هي الا ايام حتى يتناهي الى جوابه المؤرخ بالثالث والعشرين من كانون الاول ١٩٤٧ والمتضمن كل ما اتشد .. وبذلك انتهجت النفس .. هكذا اتصلت ببني وبين البصير آصرة المعرفة ..

سراعا تلاحقت الايام .. في شتاء ١٩٥٢ حضرت الى بغداد من مدينتي كركوك ، لقضاء العطلة الربيعية ، وانا يومذاك اعطاني بها تدريس اللغة العربية .. حيث ساورتني رغبة عميقة في ان ارى البصير ، واحاوره في بعض شؤون الادب المعاصر .. طلبته على الهاتف .. فاذا به يرحب بي ثم يرجوني ان اتاه في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين من اليوم التالي بدار المعلمين العالية . وفي الغد ، وفي الوقت المقرر كنت اصافح البصير في احد صفوف قسم اللغة العربية ، وهو يجالس طلابه ويجاذبهم الوانا من الحديث والطرائف .. وارتفع هادئا صوته :

— اتركوا لنا المجال ..

جلست الى مقربة منه . جعل يستدرجني الى شيء لم يكن في الحسبان .. ولكيلا تفلت الفرصة مني باغته بما كان يشغل بالي :

— ماذا ترى في اماره شوقي الشعرية ؟

— شوقي لا يستحق الامارة الشعرية . ثم وهو يواصل : فكتور هوغو من اعظم شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر . ولكنه مع ذلك ليس بأمير . واستطرد : الرصافي وحافظ ابراهيم اتقى منه ديباجة . قلت : اذن تؤمر من ؟

— بغير تحفظ : انا اؤمر جبران خليل جبران .. هنا تبسمت ولولا خشية الاقتضاح لاستوصلت في ضحكة مجبلة لغرابه ما تراسي الي ..

وتابع البصير ساللا ابائي :

— هل قرأت كتابه « الاجنحة المتكسرة » ؟

— نعم قرأته قبل سنين ..

— هذا الكتاب كله شعر وموسيقى ..

وقلت له : كيف تنظر الى طه حسين ؟

— انه من اصدقائي . وسبق ان التقينا ..

قلت — اريد رأيك فيه .

— كاتب طيب .. وعجلت اقول : وعظيم ..

سكت البصير .. واخذ يرفع راسه بشموخ .

ثم لا ادري ما جرى من حديث .. لكن الذي اذكره ان جرس الدرس دق .. استأذنت البصير بالخروج فاستوى واقفا ضاحكا :

— الدرس ليس لي ؟ وتصافحنا ..

بعد اشهر .. وفي ١٦ - ٦ - ١٩٥٢ بالذات اهدى الي البصير نسخة من كتابه (خطرات) وكنت انذاك احرق القسم العربي من صحيفة « كركوك » ، فكتبته عنه مقالا عنوانه « الدكتور محمد مهدي البصير وكتابه خطرات . (٢) جاء فيه بالحرف الواحد : « الحقيقة ان هذه الخطرات تدل دلالة واضحة على غزارة مادة الدكتور البصير وعمق تفكيره واصالة رأيه ورسوخ عقيدته .. بحيث ان كل قول

من اقواله يصلح ان يكون مقالا مستقيضا .. » وانفق ان سافرت بعد ذلك الى بغداد لهمة شخصية . هناك هاتفنا البصير محبيا ومستطعا رأيه في مقالتي عنه ، فاذا به يبدي ارتياحه من ما نشرت ، ويشني على شخصي الضعيف .. بينما الدكتور مصطفى جواد وقد لقيته وانا ببغداد قال لي بطرافته المهودة ، وكان قرا القال ذاته :

— لقد البست البصير معظفا اكبر منه !

لفني الصمت .. من غير ان اعلق مكتفيا بشبه بسمه ... جازئ انني كنت مغاليا في تقدير البصير وتقويم كتابه .. على اية حال كل شيء مرهون بموقف الانسان وبظروفه ..

الواقع انني كنت ازور البصير او اهاتفه كلما قدمت الى بغداد من كركوك . فقد كان الرجل يحفني بي فاتجا لي قلبه مانحا بعض محبته . وفي كل زيارة له او مهافهة معه كانت اسباب الحديث والفكر تتواصل بيننا في مناخ من الاجترام المتبادل حتى صار بتناديني بصديقه القديم . احاديثه من نوع (ما قل ودل) لا اسراف فيها ولا اسفاف . جملته قصار حاسمة .. مركزة ومشحونة احيانا بايماء وايحاء . وقد يلبث طويلا وهو ساكنت لا يتكلم - والسكوت كما قيل من الذهب - ان لم يكن ثمة ما يستدرجه او من يبادئه . فقد وجدت رجالا من هذا القبيل ، يؤثرون الصمت على اللغو الفارغ .. وفي الصمت حينما بلاغة أين منها بلاغة الكلام .

منذ اقيمت ببغداد في اواخر عام ١٩٦٤ لم اقابل البصير الا مرات ثلاثا اذا لم تخني الذاكرة . لعل شواغل هذه الحياة التي تمتص قوانا العقلية والوجدانية ، هي الباعثة على ذلك كله . انما ما نوهت به وما سأنوه لا يعدو ان يشكل خطوطا باهتة علقت بخاطري من معظم مسا دار بيننا عبر اللقاءات والمطارحات في خلال هاته الاعوام الطوال ..

ذات مرة بينما البصير يتحدث الي وانا جالس اليه بدارته من ابنائه الذين كانوا يدرسون بالخارج اذ دخلت علينا زوجته الفرنسية ورفيقتها في درب الفكر ، ورحبت بي مصافحة ايبي . هنا هجس في نفسي خاطر جاد به الموقف فاسأل به البصير :

— هل ابنائك متاثرون بك اكثر او بامهم ؟

عجل دون تردد : انا متاثر بامهم .. فعلقت :

— وكيف لا يتاثر بها ابنواها ؟

وفي اوائل شهر آب الهلباب من عام ١٩٦٧ ، اشتقت الى البصير وقد بعد بنا العهد .. قصده بدارته بالوزيرية ... اول ما فعله ان تغضل فاهدي الي نسخة من كتابه « سوانح » .. فوجدتني اتصفحه بلا عمد ، واصادف في موضوع له ، انه ينقد بعضا من مسرحيات توفيق الحكيم

تقدرا شديدا . فقلت :

— لعل لك رأيا معيناً في ادب توفيق الحكيم ؟

وبهدهوء ظاهر : هراء كتبه .. سخف في سبغ واستطراد : لديك كتابي الجديد اقرأ فيه ما فيه الكفاية عن هذا الشخص ..

جوابه جعلني اعقب : الكتب الجيدة الاصلية قليلة قلة اصحابها ..

قال — أؤيدك في هذا كل التأييد . ثم اورد قولاً — نسيت — من كتابه « خطرات » في تعزيز ذلك الرأي .. قلت له : تقول في كتابك « خطرات » ان ادبا بلا نزاهة لجمال بلاغة .. هل معناه ان الادب ينبغي ان يكون بعيداً عن التبعية وان الاديب ينبغي ان لا يغير رأيه في قضية — سبق ان ابدى بها رأيه — مهما تبدلت الاحوال والظروف ؟

اجاب — اذا غير الاديب رأيه تبعاً للمنفعة المادية فهو غير نزيه . واذا غير رأيه تبعاً للمصلحة العامة فهو رجل نزيه ..

قلت — قرأت لك تعقيبات وتقدّات على كل من شوقي والوصافي ؟

قال — شوقي متوسط وله حسنات . والوصافي شاعر كبير وله سقطات .

وانعطفت به الى مجرى آخر : الى يوم الناس هذا ، لم ينل اي ادب او شاعر عربي ، جائزة نوبل . ما السر ؟ الا ترى السياسة دخلاً في ذلك ؟

رد — ان ادباء العرب وشعراءهم غير مقروئين على العموم في خارج العالم العربي . ولذلك فان اعضاء اكااديمية نوبل وغيرهم معذورون في عدم منح جائزة نوبل لاديب . وقد اخطيء كثيراً اذا قلت : انني لا اعرف ادبياً عربياً يستحق جائزة نوبل ..

في السادس والعشرين من شهر نيسان من عام ١٩٧١. وددت ان اجد ما ييني وبين البصير من صلات الفكر والوجدان . انما مر على لقائنا الاخير ما يقارب الاربع سنين .. وعلى اسلاك الهاتف ، قال وكله سرور واتسراح :

— غدا في الساعة الخامسة ، انت مدعو الى مائدة الشاي عند البصير .. فالي مائدة الشاي يا صديقي القديم ..

ولما كان من الغد وفي الوقت المحدد ، استقبلني البصير كعادته بمكتبته وهو يردد : اهلاً وسهلاً ، اهلاً ... اهلاً .. ما ان اطمأن بنا الجلوس حتى ابتسم بسخرية لازعة قائلاً : قبيل وصولك كنت اسمع السي اذاعة الكويت ، حيث كان هناك حوار بين اللديع وشاعر اسمه عبد المعطي حجازي .. فقلت :

— اعره .. وسبق لي ان التقيت به .. انه مصري .

— لقد استمخفت رايه .. لانه يقول : ان التجديد في الشعر بدأ في مطلع الخمسينات .. هذا يعني ان شعراء ما قبل الخمسينات لم يعبروا عن الواقع .. ولم يتحدثوا .. وتابع البصير : ألم يكن شوقي عندما تحدث في اشعاره واقفياً ؟ وألم يكن الرصافي واقفياً في هجومه على السلطان ، وانتقاد الادارة العراقية ؟ وألم يكن الزهاوي في هجومه على السلطان الشيعاني معبراً عن الواقع ؟

— الذي ادركه ان عبد المعطي حجازي من دعاة الشعر الحر ..

— العودة الى الاطلال الدارسة وما اليها ومن موضوعات بالية خير من هذه السفسة التي يسونها الشعر الحر ..

هنا دخلت علينا زوجته وهي على جاري عاداتها ترحب ، يسبقها تقديم زوجها : مدام البصير ..

انها اعدت لنا مائدة الشاي .. وددت ان يتخلل جونا حديث مستطرد ، فقلت :

— اطلعت على ما يخص حياتك وادبك في كتاب « شعراء العراق في القرن العشرين » الذي اعده الدكتور يوسف عز الدين ؟

عقب شبه متأثر : انه ناقص .. لا صلة لما اورده ، ونقله هني السيد صبيح رديف !

— الشيء بالشيء يذكر ، كذلك سبق ان قرأت ما كتبه رفاثيل بيلي في كتابه « الادب المصري في العراق » ؟ قال البصير بلهجة ناعذة :

— ان رفاثيل بيلي رتب كتابه ترتيباً غير موضوعي . فوضع ال كاشف الفناء في الطبقة الثانية بينما الطبقة الاولى من الشعراء تفتخر به . كما ان الزهاوي جاء قبل عبد المحسن الكاظمي ، في الوقت الذي بعد هذا الشاعر الكاظمي اعظم شاعر في العراق والبلاد العربية في مقدرة الارتجال . اذ انه ارتجل مئة بيت في لحظة آتية ..

وانسياقا وراء العفوية والتداعي عرج البصير وهو يتحدث عن الكاظمي ، على سليم سركيس منتقداً اياه ، لانه — اي سليم سركيس — وان اقام حفلة تكريمية للكاظمي الذي ارتجل بها قصيدة فاقت اربعين بيتاً ومستهلها :

القرب في يفتقانه كاللهب والعرب في غلغلة كاللمب غير انه حاول ان يغمز قناة الكاظمي بان كتب قصيدته هذه دون ان يرتجلها .

قلت : مات الدكتور مصطفى جواد . لا شك كان لوته رنة اسي في الاوساط العلمية والادبية ، فهل لسي اعرف راكب الصريح فيه ؟

قال : ان بحوثه اللغوية لا بأس بها . وشعره اوطأ من بحوثه .. ورسالته الدكتوراه لم تترجم الى العربية . وقيل انها لم تكتب الا بالفرنسية وانها ايضاً — كما قيل — لم

عتاب

حببي اظلمي لديك شريعته
عليك اليسست لديك شفيعه
علي وتهفو لآخرى خليفه
وتقسو وروحي لديك وديعه
ولا الامين تنسى لحاظا بديعه

وكلي حنين وشوق اليك
وحيت قسدا لانثى لديك
وبان هواك ومن ناظريك
فهدت يديها تحاكي يديك
نسيت وجودي وحقى عليك

وصوت الانسر تهدادى ورن
وزحت تحيي وقلبك غنى
وللهاتف القلب رن وحن
رحيق فتاتك والقلب حن
ظلمت وجودي فذاب وآن

وناديت اسمي فهدت اليك
فتاه الفؤاد وبين يديك
فلم استطع ان ارد عليك
فذاب وجودي وفي مقلتيك
شريعة حبك ظلمي لديك

كريمة زكي مبارك

سؤال اود الاجابة عنه
اشوقي اليك ولهفة روحي
ايا نور عيني تراك تفصي
اجنبي املهو بقلبي وحبسي
فلا القلب ينسى معياك يوما

انذكر يوما مررت عليك
تجاهلت امري وقربت غيري
وصفت هواها وحسن لهاها
ورحت تداعبها يا حببيسي
وعينك حنت ومالت اليها

انذكر يوما دخلت عليك
تلفت حيث بناجيك همس
وعانقت الروح جبا يشادي
وراح هواك يقبل حبا
تجاهلتني يا حبيب الفؤاد

انذكر يوم التقينا هناك
رفعت عيوني فلاقت هواك
وقيبني القلب لما رآك
وهز فؤادي حيني وشوقي
تسامت عني... فقل لي، اجني

مصر الجديدة

— استغفر الله ..

قبيلا ان اخرج من عند البصير مصافحا .. مودعا،
استمهلني بعض الشيء .. ثم جاءني ، وبيده نسخة من
الطبعة الثالثة من كتابه « في الادب العباسي » هدية
رائعة ، فتقبلتها شاكرا ذاكرا له شعوره ..

لقد كان ذلك اخر لقاء بالبصير .. وجرفني تيارات
الحياة ومتاعها الى ما اشتيت وما لا اشتيت .. فلم يتسن
لي زيارة البصير ، ولا الاتصال الهاتفي به .. ايا اسفا !

وفي الصبيحة الباكرة من التاسع عشر من شهر
تشرين الاول عام ١٩٧٤ ، غاب البصير الى الابد ، مرتحلا
عن دنيانا ، وقد اسهم في ثورة العشرين بكل جسده
وكيانه ، وشارك في ارساء قواعد النهضة الادبية والتربوية
بالقطر العراقي ، وادى واجبه نحو امته ووطنه ومجتمعه
بما ارضى نفسه والاخرين . انار الله جده ..

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

تكتب الابالعرية . وهو زميل لي .

— اذا كان هذا رايتك في زميل لك ، فكيف تنظر
الى طلابك ؟ ..

— انا معتز بطلابي الذي يحونني كـ (علي جواد
الطاهر .. وناصر الحاني . وحسين علي محفوظ .
وصالح جواد الطعمة) ومن اليهم ..

— سبق ان تلوت ما نشره علي جواد الطاهر عنك
في مجلة « الادب » اللبنانية ، وما نشره ناصر الحاني في
ملحق صحيفة « الجمهورية » وما نشره صالح جواد الطعمة
في « الهاتف الاسبوعي » .. اما حسين علي محفوظ فقد
سمعت يقول في مجلس كنت احد الحاضرين فيه : ما
رايت البصير الا قبلت يده ..

احمر وجه البصير ولم ينبس .. الا ان ردد :

(١) هكذا حفظناه . وفي ديوان (البركان) للبصير (يؤيده) .

انظر الملحق الثاني والعشرين من مجلة (العلم الجديد) المرافية ١٩٥٩

(٢) العدد ١٣٩٤ في ١٥ - ٨ - ١٩٥٢ .

من مسرحية فاجعة مابلنغ

الامير رودولف والكونت تافي رئيس الوزراء

تافي :

اميري جئت في امر
آيت ، ورائدي نصح
ارى خلل الرماد لظي
واخشى ان تطيح النار
جبل الخطب والخطر
وود غير مستر
تكاد تهب بالشرر
بالتيجان والازد

رودولف :

اتجزع مشققا للتاج
تخاف النار في تاج
تخاف؟! اجل تخاف الحق
وما ظلم يرد اذى
خوف عواصف الفتن
ولا تخشى على وطن
يحكيه فم الزمن
ويخمد جامع الفتن

تافي :

اذنبي انني اخلصت
متى عد الوفاء نقيصة
صدقت الود في وطن
وكنيت السيف في نحر
وكنيت المن ساهرة
يقبل دمي (لقيصر) فدية
في جبي لسلطاني
في حق انسان
وفي تاج واوطان
المدة بكل ميدان
على وطن وسلطان
ودموع اجفاني

رودولف :

انا لا الومك ان صدقت
ما الذنب جيك قيصر
ما كان ضررك لو رفقت
(لقيصر) ودا وجبا
بل كان ظلم الناس ذنبا
بعائر ورحمت شعبا

تافي :

اميري ان بعض الرفق
وليس الملك بالامال
يشاد الملك في هم
فلا تؤخذ باوهام
فكم كفر تريا كاذبا
عجز غير محمود
ينسى والاناشيد
وفي اقدام صدييد
وفي اقوال عرييد
بثياب توحيد

دمشق

عدنان مردم بك



نقولا يوسف

عصمت محسن

« بنت بطوطة » و « أم البحيرة »

١٨٩٨ - ١٩٧٣

بقلم نقولا يوسف

هامت بالبحر في شتى صورته وبسفته .. وبالإسفار وما يدور حول البحر من قصص ومغامرات وأخبار .. وتعمت لو كانت جنديا في أسطول بلدها ، مثل أمير البحر حسن الإسكندراني جدّها .. فلما لم تحقق التّقاليد حلمها ، ركبت البحر ، وطافت بالبلاد ، وشاركت الملاحين حياتهم فلقبوها « بنت بطوطة » ! وامضت العمر تولي القنوات البحرية ورعايتها ، وتبني فتياتها فسموها « أم البحيرة » .. وتبحرت في الأدب والتاريخ والأثار ، ونشرت المقالات والأبحاث والمؤلفات ولم يعرف غير الأقلية ، أن صاحبة هذه الآداب وتلك الدراسات هي الكاتبة « عصمت محسن » الأدبية العربية الإسكندرية . وفي ظهر السادس من شهر فبراير عام ١٩٧٣ كنا

جالسين في المقهى المطل على الميناء الشرقي الإسكندري ، حين ظهر أمامنا موكب جنائزي ، صامت مهيب ، يسير الهويني بحذاء الشاطئ ، تتقدمه في مشية عسكرية كتيبة من ضباط البحرية ، ويتوسطه نعش يوشحه العلم المصري ، وتحمله هامات الملاحين ، وتبته جموع المشيعين وعلى رأسهم محافظ المدينة وكبارها العسكريين والمدنيين .. وتساءل البعض عن يكون أمير البحر هذا الفقيد ؟ وما لبث أن علم أنها جنازة « أم البحيرة » السيدة الكريمة التي وهبت حياتها ومالها وقلوبها لمواطنيها .. وأوصت بما تملك للقوات البحرية .. وأهدت إلى أسطول بلادها ، السفينة الحربية « مصر » التي اشتركت عام ١٩٤٨ في حرب فلسطين ، وإلى المتحف البحري الشيء الكثير الثمين ..

لقد سمع الناس بهذا القلب الجليل الذي خلعت له الدولة والشعب على هذه السيدة .. ولعل بعضهم سمع أيضا بما لها من إبداع بيضاء في الميادين الاجتماعية والدينية والريفية .. لقد بنت مسجدا لأهل حيها بجوار بيتها .. ورعت الفلاحين والفلاحات في أرضها ، وأسر الشهداء والجنود في وطنها .. ولعل هناك من كان يعلم أيضا أنها كاتبة أدبية لها المؤلفات الأدبية والتاريخية في العربية والفرنسية ، ولها المقالات والأبحاث المطوية في صحف مصر وفرنسا ، يحمل أكثرها كتيبتها « بنت بطوطة » وأقلها تذييلها توقيع آخرى .. وكأنها صانت أعصاب البحر لآلئها أدبيتها « عصمت حسن محسن » حتى استخرج القواصون بعضها ، ولم يزل البعض الآخر مطويا في صدره ..!

وهكذا جاز الموكب تشيعه القلوب في خشوع ، حتى غاب عن الأنظار في طريقه إلى المقر الأخير بحفه الصمت والوقار ، كما عاشت صاحبته عمرها تعمل في صمت ، وتؤدي الخدمات في غير ضجيج ..

ومنذ تلك الساعة خلا بيت « أم البحيرة » من صاحبتهم ومضيقته ، وتحول بعدها إلى مزار تملأ جنباته الذكريات ، وأصداء الأحداث التاريخية والحكايات .. ونوادير العطاء والأمومة والمكرات ..

وكان هذا البيت - الزاهد في الدعاية والإعلان - لا يطره على الرحب والسعة غير فئتين من الناس الباحثون في التاريخ والأثار ، والعاملون على السفن والبحار .. ولكل من الفريقين مجالس خاصة وضروب من الإحاديث ، أما أهل الفضول الساعون إلى الفرجة والاستطلاع ، وأما الصحفيون الراغبون في إذاعة الطرائف والصور لتسلية القراء ، فلا حاجة إليهم في هذه الدار .. وما كانت أدبيتها لتضن بمؤلفاتها على الراغب في القراءة ، الجاد في البحث وبذكرياتها وتجاربها وترويضها لمن يحب الاستفادة من المتأدبين ..

واليوم وقد خلت الدار ، وأمست حياة أدبيتها وما كتبت في ذمة التاريخ ، فلا حرج في سرد ما تيسر من

الذكريات وفاء لعهد كاتبة، بذلت لمواطنيها النفس والنفس ..

سعدت بقاء الكاتبة الباحثة عصمت محسن « بنت بطولة » و «ام البحرية» عدة مرات وبخاصة في الستينات والسبعينات الماضيات في بيتها الاتيق ، قصرها الصغير الجائم على شاطئ الميناء الشرقي بحي الأنفوشي الشعبي رقم ١ شارع قصر رأس التين بالإسكندرية وكان «جوار المور» الى هذه الدار ، ما عرفته رحمةا لها عن تعلقها بالتاريخ والاعلام والاثار .. وكنت اصحب احيانا بعض الشيوخ الباحثين الذين تحب مبادلتهم الراي في التاريخ العربي واخبار المكتشفات الاثرية والدراسات الاسلامية ، اذكر منهم العالم الاثري الراحل حسن عبد الوهاب صاحب المؤلفات والكشوف والخبر في الآثار العربية ، والتوفي في مارس ١٩٦٧ ، والكاتب الاديب صديق شيبوب التوفي في ابريل ١٩٦٥ وقد سبقها الى عالم البقاء وبكتهما عند موتهما ، وذهبت لغزاء أسرتهما .. وكان هناك غيرهما من علماء التاريخ وشيوخ البحث ورواد الادب ..

القصر الصغير مؤلف من طابقين يعنوان «الجارج» تصعد اليه ذات مساء لتستقبلك صاحبة الدار في طابقه الاول حيث تبسط قاعة الاستقبال في بساطة وجمال وتطل شرقها على صفحة البحر وما عليها من سفن وقوارب سباحة وراسية ، وما على البز من مركب معدة للأصلاح والترميم ، صور تذكر ادينا الرحالة طوال يومها بخياة البحار وتستغنى وتعيش مع نسمايتها وخبر امواجها .. وتزين القاعة لوحات فنية تعرض صور البحار والمراكب المضرة ، وهنا لوحة تمثل موقعة «نفاوين» البحرية عام ١٨٢٧ وقد اشترك فيها جدها حسن الاسكندراني مع نائب ابطال الاسطول المصري .. وهذه لوحة ظهر بها عدد من «فرقاطات» هذا الاسطول راسية قبل تلك الموقعة .. وثالثة بها بعض السفن الحربية المصرية عام ١٨٤٠ ومعهما السفينة البخارية «النيل» .. وتلك صورة ملونة لخسن الاسكندراني واخرى لاديتنا في رونق العمر .. وغيرها من صور ولوحات اثريات ..

وتنتشر على جوانب القاعة قماطر عامرة بالكتب في شتى اللغات .. وتحف وقطع اثرية ، عربية وعالمية ، تحتفظ بها اديتنا في متحفها هذا لتهدبها جميعا الى بلدها مع كل ما تملك ..

.. ثم تتخذ لك مقعدا وثيرا في ركن من الرفرة .. وتجلس مضيقتك قبالتك تتوجها هيبه الشيخوخة وتجارب السنين ، وتشملها بساطة المظهر ، وظرف الشمال .. وتحدث اليك في لهجة سكندرية ، تتخللها نكات وملح ذكية .. ويدخل شيخ نوبي بملابسة الوطنية ، يقدم اليك كوبا من الشراب المعطر بالتنعاع !

وتتشعب الاحاديث في وديان الادب والتاريخ .. وتلف الشرق والغرب .. وتتمهل عند الامجاد الانتصارات

العربية .. وقد تتطرق الى ذكريات اسفارها في البحرين الابيض والاسود او في غيرهما .. وطوافها بجزارات المغرب واطلال الاندلس ، ومتاحف باريس ومكتباتها .. والى اول من دعاها « بنت بطولة » تشبها بارحالة المغربي المشهور عبد الله بن بطولة من القرن الرابع عشر ..

وهنا قد يعن لك ان تسأل عما اذا كانت دونت ذكرياتها او يومياتها ، او املت مذكراتها وطرائف رحلاتها كما يفعل الثقات من الكاتبين في كل مكان ؟ وتجبك في رفق: وما الفائدة باخي من نشر هذه الذكريات الخاصة ، وهل هناك المهتمون القبلون على قراءة هذه الاشياء ؟ !

واغلب الظن انها لم تمن كتابتها ذكرياتها وتسديون رحلاتها اما زهدا في الدعاية والحديث عن النفس ، واما لاتجاهها الى الكتابة في التاريخ من وجهته العامة لما يتضمن من مواظف وتذكرة وغير !

ولعلك تسالها ايضا عن مؤلفاتها المطبوعة التي تسمع عنها ولا تثر عليها في الكتابات .. فقد تعلم انها طبع كتبها العربية في مطابع مشهور والاسكندرية ، او ربما رايت بعضها عند الاصدقاء وعليه اسم المؤلفة : « بنت بطولة » وتجبك انها لا تباع هذه الكتب بل تهديها الى من يحب قراءتها ، والى من يستفيد حقاً من مواظفها !

وانت جذير ولا شك باقتناء مؤلفات عصمت محسن « بنت بطولة » وعليها عبارات الاهداء .. وها هي تطلب من الخادم ان يحضر من الخبأ ما يجده منها ويعود بعد قليل حاملا ستة كتب من تاليفها ، مطبوعة في اللغة العربية لنفع مواطنيها ، ومترجم بعضها الى الفرنسية التي تجدها ، وتكتب بها لآباء العرب .. وقام ببعض هذه الترجمة بعض الاصدقاء الادباء ..

وتحمل هذه المؤلفات العناوين التالية مع تواريخ طباعتها : « احاديث تاريخية » ١٩٤٠ « من تاريخ هارون الرشيد والبرامكة » ١٩٤٣ « فينيقية » ١٩٤٥ « صفحات من تاريخ البحرية المصرية في عهد محمد علي » ١٩٤٧ « بطولة قرصان » ١٩٥٢ « معركة نفاوين » ١٩٦٠ .

وكان لها مؤلفان تاريخيان اُخران سمعنا بهما ولم نرهما مطبوعين في العربية - الاول بعنوان « مذكرات تكميلية » والثاني عن « سيف الدولة » .. كما ان لها مؤلفات في الفرنسية ترحم بعضها كما سلف .. وابحث ومقالات شتى في صحف فرنسا .. واخرى في الجلات العربية ، منها نشر بمجلة « الثقافة » بالقاهرة في عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ - ولم تجمع هذه المقالات في المجلدات ..

فاذا تصفحت هذه المؤلفات ، رايتها مكتوبة في لغة ناصعة سلسة ، تسرد حقائقها التاريخية في أسلوب قصصي شائق ، تترقق فيه الشاعرية ، ويكشف عن موهبة قصصية اصيلة ، ولكنها لا تعتمد على الخيال في سرد الحوادث ونقل الواقع وقد تؤيدها احيانا بتاريخ اليوم والشهر والسنة - اللهم الا فيما يستدعي الاستنتاج

او المناقشة -وهنا تجتمع امانة المؤرخ وفن الراوية الاديب .
ثم ترى في هوامش الكثير من الصفحات ، ايضا حلات موجزة
لبعض المبارات ، واشارات الى المراجع الكبرى وبخاصة
الفرنسية منها ..

هكذا جاء مؤلفها « من تاريخ هارون الرشيد والبرامكة »
اقرب الى القصة التاريخية الفنية منها الى السجل التاريخي
المألوف ، مع التزامها بالصدق والحياد .. وقد قدمت
لكتابها هذا بايضاح جاء فيه « ان الناس يعرفون هارون
الرشيد واخوته العباسية ووزيره المقرب جعفر البرمكي ،
كما يعرفون تلك التي ادت الى هذه النكبة .. وانا ايضا
اجعل تلك الاسباب .. ولقد اردت ان استعرض تاريخهم
في شكل جديد ، واضفي على اشخاصهم صوراً لتلائم الافكار
الحديثة وتنفع والنفسية البشرية ، وتوخيت تجريد التاريخ
من الخيال والزلفى ، فهم كانوا كبار النفوس حقاً ، ولكنهم
كانوا ايضا صغارها ، اذ كانت لهم عظمة الانسان وضعفه .
وكانت لهم جاذبيته وعيوبه واخطاؤه . وكل ذلك يعث على
تقريب الشقة بيننا وبينهم .. » ولقد انتفع بعض كتاب
القصة والمرحبة بهذا المؤلف ..

وفي كتابها التاريخي « فنيقية » الشائق العرض ،
والذي ربطت فيه بين الشام ومصر ، وصورت الصلات
القوية بين مدنها القديمة ، وبخاصة في عهد « اخاتون »
وقد افردت له فصلاً رائعاً تراها تقدمه الى محبي الانصار
الحديثة بعظمة الشرق ، وتهديه « الى اللذين يحبون الانعام
بتاريخ الآثار والاحجار البالية القديمة ، ولو الانوار والاحجار
التي كانت في غابر الازمان مدناً عائرة زاهرة قد ذهبت ولم
يبق الا اثرها ، وما اثرها الا تلك الاحجار المشبعة والخرائب
المندثرة التي شهدت عظمة امم الشرق بعد ان عبرت
حضراتها الالف السنين ، في خلالها مدنت العالم ونشرت
في ارجائه العلم والعرفان ، ومحت ما كان فيه من همجية
وجهل ، وهذبت عقول الناس ونفوسهم ، ومدت آفاق
علومهم وفنونهم ... »

كذلك جاء كتابها « صفحات من تاريخ البحرية
المصرية في عهد محمد علي » ١٩٤٧ « بأسلوبه القصصي
وعرضه الفني ، وسير أبطال البحر من أبناء العرب ، في
صراعهم مع احوال الطبيعة وغدر العدو ، ومسؤوليات
السياسة ، جديراً باقبال شباب بلادها ، وقد قدمت لهم
كتابها هذا وكذلك كتبها عن : « معركة تقارن » بسطور
عنوانها : « الى بلدي » وتقول « تحتاج البلاد الى جنود ،
والى جنود قبل كل شيء جنود يطيعون ليستطيعوا ان يتقدموا
ويتقدمون ليستطيعوا ان يخدموا ، ويخدمون ليموتوا في
الخدمة .. فها شباب اليوم كيفما تكن مراكزكم ، سواء
اكنتم فلاحين في الحقول ، ام عمالاً في المدن ، ام من طلبة
المدارس والجامعات ، تعلموا ان تخدموا في الجيش جنباً
الى جنب في ظل المساواة ، فخوذين بكم جنود تتفقدون
النسلا ... »

وكان كتابها المسمى « بطولة قرصان » سيرة ضابط
في البحرية الالمانية ابلى في الحرب العالمية الاولى ، واسر
وغامر وخدم بلادها ، ووضع عنه كتاب بعنوان « القرصان
الاخير » (فليكس دي لوكنر) . وقد شابهت حكاياته الاساطير
ومع ذلك فهي سيرة صادقة في حوادثها ومغامراتها ، رأت
اديبتنا ان تضعها امام ابناؤها من جنود البحر ...

وولدت عصمت حسن محسن الاسكندرية عام ١٨٩٨ ،
وتوفيت بها يوم الخامس من فبراير ١٩٧٣ ودُفنت في
تراها ولها من العمر خمسة وسبعين عاماً ..

والدها حسن محسن بن حسن الاسكندراني
امير البحر ووزير البحرية المصرية ، المستشهد عام ١٨٥٤
والدها عزيزة حسن ابنة الامير حسن اسماعيل .. وكان
خالها عزيز حسن من قادة الجيش المصري وممن اشتركوا
في حرب البلقان عام ١٩١٢ .

ونشأت اديبتنا على شاطئ الاسكندرية ، وتعلمت
في البيت والمدرسة ، واجادت العربية والفرنسية
والانكليزية وبعض لغات اخرى فيما نظن وشغفت منذ
صباها بالادب والتاريخ .. وكانت تكتب في فجر شبابه
في المحلات المحلية الفرنسية .. ثم تزوجت بالمرحوم
محمد ثابت ، وانجبا ابنتين وابناً ، شبوا وعلموا في
المؤسسات العامة ، واشغلت كريمةها في صحف القاهرة
العربية .. واصبحت اديبتنا جدة متفرغة لخدمة الناس ..

وولدت عصمت محسن ذلك الشغف بحياة البحار ،
وبالسفن والاسفار ، عن جدّها لابيها القائد البحري
« الاميرال » حسن الاسكندراني الرجل العصامي الذي
خرج من صميم الشعب السكندري ، ليدخل في التاريخ
الحديث بطلاً من أبطال القوات البحرية العربية وشهادتها
وتحدثنا « بنت بطوطة » في كتابها « صفحات من تاريخ
البحرية المصرية » عن قصة هذا البطل منذ ان اوفدت
حكومة محمد علي الى فرنسا عام ١٨٢٠ مع زميلين
آخرين ، حيث قضوا سنتين في دراسة اعدادية ، ثم
التحقوا بالمدرسة البحرية ، وتخرجوا فيها ، وباشروا
رحلات تدريبية على السفن الفرنسية ، وطافوا ببحار
اوربا الشمالية وامريكا الجنوبية .. ووضع حسن
الاسكندراني حينذاك كتاباً بعنوان « يوميات رحلة الى
البرازيل ورأس هورن » .. ولدى عودته الى وطنه تدرج
في الرتب البحرية حتى اصبح « اميرالا » وقائدنا في الاسطول
.. وابلى في موقعه « نفازين » يوم ٢٠ من اكتوبر ١٨٢٧ ،
ثم شارك في تجديد واتشاء الاسطول الحربي المصري ، وفي
تحسين شواطئ الاسكندرية وضواحيها الى ان استشهد
يوم ٢٧ من اكتوبر ١٨٥٤ في واقعة « الترم » التي نشبت
بين تركيا وروسيا واستعانت فيها تركيا بالاسطول
المصري ، وجاء الاسطول الانجليزي ايضا مستعجبا اسطول
فرنسا لمساعدة تركيا ..

وراقت اديبتنا منذ فجر شبابها تبحر شرقا وغربا

ولم تكن تستهويها بواخر الترف ورحلات البلخ ، مفضلة السفر على سفن صغيرة ، ومشاركة اللاجئين حياتهم الخشنة ، وتعرضهم للمخاطر في مصارعة الانواء الامواج .. وتقلت بين موانئ البحرين الابيض والاسود ، وفسوق المحيط وبحار الشمال .. وزارات سورية ولبنان ، وبلاد المغرب وتركيا واليونان .. وطافت بمدن الاندلس وفرنسا ، وبلجيكا وإيطاليا وغيرها تدرس الآثار والاطلال ، والمساجد والقلاع ، والمتاحف والمكتبات ، وتقف عند كل ما يتصل بالتاريخ العربي وذكريات العروبة ..

وقضت في طوافها تلك الاقطار نحو ثمانية عشر عاما ، واستقرت بباريس فترة طويلة من الزمن ، عاكفة على البحث والدرس ، والكتابة والتأليف .. وكانت تنشر المقالات في الصحف الفرنسية بتوقيعات مستعارة كإمادتها .. وهناك التقت بالمستشرق الفرنسي الباحث « كريستيان شيرفيس » الذي اجاد اللغة العربية ودرس فقه ابي حنيفة ، وعاش بين المخطوطات والتراث العربي .. ولاحظ هذا العالم ما تفردت به هذه الفذة العربية من مواهب ادبية وميول ثقافية ، ومن ولع بتاريخ قومها الى شغف بالاسفار والرحلات فرأى لها ان تكتب في تاريخ العرب والشرق ، وان تتمكن ب « بنت بطولة » احياء الذكرى الرحالة العربي « ابن بطوطة » .. وسمح لها بالبحث والتنقيب في مكتبته العامرة بالمراجع العربية والفرنسية وغيرهما من اللغات ..

ومن طريف ما روته لنا من ذكريات ذلك العهد ، ان جريدة « ليمتان » الباريسية اعلنت يوما عن مسابقة ادبية تاريخية موضوعها : أشهر المواقع الحربية الفاصلة في التاريخ « على ان يقدم هذا البحث في اللغة الفرنسية ، وللغائز الاول خمسمائة فرنك .. واشتركت عصمت محسن في هذه المسابقة مع سائر الكتاب ، ووقعت بحكمها باسم وهي لرجل فرنسي .. وكتبت عن ثلاث مواقع كبيرة اشتهرت ببطلانها العربية وهي موقعة « حطين » (التي حدثت عند هذه القرية الفلسطينية وانصر فيها صلاح الدين ..) و « عين جالوت » (التي هزم فيها بيبس جيش المغول والصليبيين عام ١٢٦٠ م بفلسطين) ثم موقعة « ثريس » في اسبانيا (حيث تقاوت العرب والاسبان مرارا الى ان سقطت في يد الملك الفونس العالم عام ١٢٦٤م بعد كفاح مرير) .. وفازت ادبينا « عصمت » بالجائزة ، ولما اعلنت جريدة « الماتان » عن نتيجة المسابقة واسم الفائز ، واطلع على ذلك ضابط فرنسي متعصب لقومه ، ناز وبعت الى الجريدة محتجا على ذلك « الرجل الفرنسي » الذي لم يتخير من المواقع الحربية غير ما يتصل بمجد عربي او نصر على جيش فرنسي .. وصحب احتجاجه بدعوة هذا الكاتب الى المبارزة ! ولكنه ما لبث ان تملكته الدهشة والخجل معا عندما علم ان صاحبة البحث الفائز ، ادبية عربية مثقفة ، ذات مكانة اجتماعية في بلدها ، ودراية

بتاريخ قومها .. وما كان منه الا ان ذهب الى دارها حاملا طاقة اثيقة من الازهار ، ولاهجا بعبارات التقدير والاعتذار ! وشدد ذلك عزمها على المضي في الكتابة والتأليف وبخاصة في التاريخ العربي باللغة الفرنسية ليطلع عليه القارى الاوروبي .. وكان من مؤلفاتها الفرنسية ما ترجم الى العربية وظهر تباعا منذ الاربعينيات ..

وعندما بدأت بمصر ثورة يولييه ١٩٥٢ كانت « عصمت محسن » من انصارها ومؤيديها ، ووجهت اهتمامها الى القوات البحرية ، ولقيت منذ عام ١٩٥٣ « ام البحرية » تقديرا للخدمات والرعاية التي كانت توليها لرجال البحر وضباط الاسطول ، وكان هؤلاء جميعا يدمونها « امنا » .. كما منحتها الدولة عام ١٩٥٦ وسام « الكمال » .. وحدث ان فقد منها هذا الوسام ، فاهدي اليها وسام آخر ومعه رسالة من كبير الامناء تقول : « لما عرف منك من حب الخير ، واهتمام بشؤون البحرية ، فرياسة الجمهورية تهدي اليك هذا الوسام بدلا من الذي فقد منك .. » وكان ذلك في الاحتفال بيوم البحرية ، وبانشاء المتحف البحري بالاسكندرية في شهر يونيو ١٩٦٠.

وفي سنها الاخيرة كانت تنتقل بين بيتها البحري بالاسكندرية ، وبين بيتها الريفي ببلدة « شبراخيت » بمحافظته البحرية ، تستقبل في الاول ابناءها من القوات البحرية ، وفي الثاني فلاحى ارضها وفلاحاتها لرعاية شؤونهم .. وقد تعدد لدوائها في شرفة ذلك البيت المظلة على الحقول ، كالتى وصفتها في مقدمة كتابها : « بطولة قرصان » وشرحت فيها خلال حوار قصصي دار بين الحاضرين في الندوة ، الفرق بين القرصان من لصوص البحر ، وبين بطل هذه القصة « الواقعية » الذي غامر من اجل بلاده في تلك الحرب الكبرى ..

وفي غداة رحيلها كان مما نشره الاوفياء في الصحف هذا التعمي :
« قائد القوات البحرية ، والضباط والصف والجنود ، والعاملون المدنيون بها ، يتعون ببالغ الحزن والاسى ، فقيدة الوطن والبحرية السيدة الفاضلة عصمت هانم محسن « ام البحرية » وحاملة وسام الكمال ، وحفيدة امير البحر حسن الاسكندراني ، البطل الذي رفع لسواء مصر عاليا على البحار ، ويكون فيها وفاءه الصاقد للوطن ، وتغافيا في خدمة القوات البحرية ، وما تحلت به من جميل السجاء ، ويذكرون بالتقدير والعرفان ، ما ادته من جليل الاعمال نحو ابنائها رجال البحرية . رحم الله الفقيدة ... »

وهكذا قضت هذه البيدة العربية الادبية ، وبقيت لنا مؤلفاتها ومقالاتها المنشورة بتوقيع « بنت بطولة » او غيره - تذكرنا بحياتها الحافلة بالخدمات والجهاد من اجل قومها والناس اجمعين ..

الاسكندرية نقولا يوسف

محمد علي طاهر

سمي محمد وعلي طاهر
ورحبت القلى بقدم ضيف
ترى : العرياء تدري من فقدنا ؟
بكى لبنان فذا من بنيه
وشا طرت الكنائس والنابر
على من من فحول الدهر امسى
حياة جهاده نور ونار
(« ظلامه سجنه ») هل تذكر بها
وليد يا فلسطين لفخر

لقد طابت بمشواك المقابر
كان قدومه قدس الجمار
من الاعلام والعرب المبائر
بكاء الشام - تونس والجزائر
كما بكت المساجد والمنابر
على الاشرار والظلام نائر
لعدن شقت خطاه سنى لمار
ايا ارض الكنانة ... والمفاخر
يزيد شعاع جوهرة الجواهر (١)

تري بسيروت يا ام العالي
ذكرت الامس اذ هزت يميني؟
لثمت المجد والعلواء فيهم
ابا حسن اتسمع صوت خيل
اتذكر اذ مسحت دموع عيني
وكنت قبيل ان غرت ثريا
وداعا يا اخا ودي وروحي
سلام الانبياء واهل بيت
على رجل شبيبته تقصصت

ويا بلد اللقاء لكل عابر
يمين محمد وعلي وطاهر (٢)
وتاريخ الاوائل والاواخر
يفيك اليوم دينا جاء غابر (٣)
لعدن شق الفؤاد سنان غادر
انام على اغصاني الروض طائر
وداعا يا ابا حسن المائر
تقدس بالنسوة والبشائر
جهادا بين اشتاق الدوائر (٤)

اخي حسن وليد الطهر اهلا
واهلا بالاميم وحل قربي
ابوك يقيم في عال تسامي

ويا سهلا اذا ما جئت زائر
من الاخوان او اهل الفدائر
عن الابصار - في بلد السرائر

(١) ولد المرحوم في فلسطين جوهرة جواهر النصارى والمسلمين. (٢) كان تلاقينا لأول مرة في فندق فينيسيا ١٩٧٢ حيث قدم ليراني (٣) وليده حسن وسنة تكبت بالاقواتقريا امطرنى برسائله المعزية والمهددة (٤) «ظلام السجن» عنوان احد كتبه وفيه يصف ما قاسى من الاهوال في سجن مصر وخارجيه.



عبد الفنى المطري

النقد ... سبيلنا الى أدب افضل

بقلم عبد الفنى المطري

العربية ، ومع ذلك قلما نجد في صحفنا ومجلاتنا العربية ، الناقد الذي يقول في هذه الكتب كلمة حق خالصة ، دون تملق مقصود ، او تهجم مغرض .

وعشرات المقالات الأدبية تطالعنا بها الصحف العربية ومع هذا لا نجد من يناقش فكرة من أفكار هؤلاء الكتاب ، ناقدًا باخلاص ، او مقرظًا بحق ، الا فيما ندر ، والناذر لا حكم له . وعشرات الاحاديث والمحاضرات فسي الاذاعات والاذنية ، يحاضر بها اصحابها ، ومع هذا لا نجد من يعرض لهذه الاحاديث والمحاضرات بكلمة نقد ، او يدل على خطأ ، او يقول كلمة حق .

ومعظم المجلات الادبية الشهيرة وغير الشهيرة في العالم العربي ، تنشر المقالات والتقصص والاشعار ، ونادرا جدا ما نجد بين صفحاتها مقال نقد هادف جريء ... حتى بات تحليل الكتب ، الذي تنشره هذه المجلات يحفل عادة بالتقريظ والثناء ، ولا نجد فيه مجالا للناقد الجريء الذي يقول كلمة الحق بوحى من ضميره ، لا يدفعه اليها حب او غرض ، ولا يحثه عليها بغض او كراهية او حقد . فما هو سبب هذا النقص في ادبنا المعاصر . وما هي نتائجها ؟ .. وكيف نتلافاه ؟

في اعتقادي ان الناقد التقدير الكفؤ يجب ان يكون على جانب كبير من الثقافة والاطلاع والمعرفة فاذا قرا الناقد مثلا كتابا عن تاريخ القصة وتطورها ، فلا يجوز له ان يتناول هذا الكتاب بالنقد ، اذا لم يكن ملما بكل الامام بتاريخ القصة ، مطلقا كل الاطلاع على تطورها وفنونها ومذاهبها .

كذلك لو اراد الناقد ان ينقد بحثا عن الادب الفرنسي او الانكليزي ، او اي ادب اخر ، فعليه قبل كل شيء ان يكون ملما بالموضوع الذي يريد تنقده ، متتبعا احداثه وتطوره . فاذا ما اقدم الناقد على الكلام عن بحث او كتاب من هذا النوع ، وكان خالي الذهن من الموضوع ، غير ملم به ، جاء تنقده اما تقريظا مملًا او كلاما سطحيًا لا روح فيه ولا حياة . ومن هنا نرى ان مهمة الناقد ، الذي يريد ان يكون ناقدًا بالمعنى الصحيح ، غاية في الصعوبة ، لذا يستعد معظم الناس عن النقد الموضوعي العميق ، لانه يكلفهم جهدًا ووقتًا ، ولا يضيف في الوقت نفسه الى انهارهم الادبية او الفكرية اثمًا ذا قيمة .

حتى العالم المتتبع يزهد في النقد ، لانه على الغالب ، يخشى الخوض في نقاش ادبي ، قد يبدأ هادئًا لطيفًا ، ثم يتطور الى عداء وخصام مع التقود ، لان اعصابه لم تحتمل كلمة ، ولا يرغب بان يظهر احد خطاه ، او يدل على عيبه .

من اجل هذا ضعف النقد ، وقل الناقدون . اما نتائج هذا النقص في ادبنا المعاصر ، فمائلة للعيان في كل بلد وفي كل مجال ، وهي كما قلت افساح المجال امام الدخلاء والمتطفلين على الادب ، اذ لم يعد

ما من شيء يدفع الادب في طريق التقدم والكمال ، مثل النقد الصحيح الخالص . وما من حافز يحدو الاديب نحو الاجادة والابداع ، مثل الناقد الهادف المخلص . ان اكثر ما ينقص ادبنا المعاصر نقد نزيه ، وناقد كفؤ ، حر الضمير ، يقول كلمة الحق بجرأة واخلاص ، ويتحدث عن العيب لانه عيب ، ويدلنا عن الزيف لانه زيف . لا يدفعه الى «النقد» حب المجاملة والمصانعة ، ورضى الكاتب ، ولا يحدهو اليه رغبة بالتشفي او التجريح او التشهير او التهمك . فابن هذا الناقد الكفؤ ، التقدير في ادبنا المعاصر ؟

اني لائلقت ذات اليمين ، وذات الشمال فلا اكد اجد هذا الناقد بالمرّة . واذا ما وجدته ، الفيته صديقًا محبًا يديني انه ناقد . اما الناقد الذي يضع اصابعنا على الزيف لانه زيف ، ويدلنا على العيب لانه عيب ، فلا اكد اجمده .

ولعل هذا الفراغ الكبير ، الذي يتركه غياب الناقد الحر في ادبنا ، احد اسباب تخلف هذا الادب . ان عشرات الكتب تنقد ، بها المطابع كل يوم في بيروت ودمشق والقاهرة والرباط والكويت ، وسائر المدن والعواصم

تعال هادئاً

ويصفر عام ويخضر عام
قطار ويقلت مني الزمام
وببقى الرماد يلف الضرام
يساكنتني عبر كل زحام

تعال خفيفا كريح طائر
كومضة نور كاشراق خاطر
برقة هذب وتسريح ناظر
ويرتد طرفي كأن لم يسافر

سلافة العامري

وتفتل مني الطريق وتئاي
وفي كل يوم يقل خطاي
وابصر وجهك في كل وجه
وببقى اتسربك في شعورا

إذا يا صديقي خطرت ببالي
وكن هادئاً كاليقين ، وأقبل
فحين يحس بك الآخرون
سيهرب ذكرك من خاطري

دمشق

والصمود امامها . ولا بد لتلافي هذه الازمة من قيام جماعة من الكتاب يجردون اقلامهم متكاتفين على أساس النقد الحر ، دون خصام او (زعل) او عتب .

فهل تستطيع صحافتنا - الادبية بوجه خاص - ان تواجه مثل هذا التيار ، وتقوم بمثل هذه المحاولة في ظرفنا الحاضر ؟ احسب ان الجواب لا .. والف لا .. مؤقلاً على الاقل . . . والى ان يتبنا لنا قيام الناقد الجريء ، وجو النقد الخالص الهادف ، علينا ان نصبر على تخلف ادبنا ، ووجود المتطقلين والدخلاء في صفوفه .

بقي ان اقول في فوائد النقد الجريء والناقد الواعي ، ان الاديب الصحيح ، عندما يشعر بوجود الناقد ، يحاول دائماً ان يرتفع بنتائج الفكري ، ويتلافى كل خطأ كي ينجو من قلم الناقد ، وهذا ما يدفع بالادب السي الامام ، ويجعل الافكار التي يدلي بها الكاتب اكثر صحة وسلامة .

اما الناقد فمن واجبه حين ينقد ان يترك شخصية الكاتب ، فلا يتناولها بخير او شر ، بل عليه ان ينقد الاثر الفكري بمنتهى التجرد ، ودون النظر الى شخصية الكاتب . اما الكاتب ، وانصد الكاتب العربي الصحيح فعليه ان يتقبل النقد بصدر رحب ، وان لا يضيق ذمرا به ، وان يشكر الناقد على نقده ، متى وفق من حسن نيته ، وسلامة هدفه . وقدبنا قيل : رحم الله امرأه اهدى الي عيوبه .

وبعد فعلينا ان نثق جميعا كتابا ونقادا وقراء وناشرين : بان النقد الصحيح لا يهدم الادب بل يرفعه ، ولا يحطم الادب ، بل يبنى له مجدا .. وما يتحطم الا الادب الزائف .. والاديب الدخيل .

عبد الفني المعري

دمشق

واحدهم يحسب حساباً للناقد ، الذي يمحس ما يكتبون ويلقي عليهم عصا موسى ، لتلقف ما يافكون .

لقد بات المجال رجحاً فسيحاً ، واسماً ، امام كل ادبي ومتأدب ، وكل دخيل ومتطفل ، فاختلط الحابل بالنابل ، وصار من الصعب ان يميز القارئ العادي ، ولاول وهلة ، الادب السليم الدسم ، من الادب الزائف الاجوف ، فتعاسى الادباء الحقيقيون ، وتراحم الدخلاء على النمل ، الذي يبدو لهم عدوا . وكيف لا يكون عدوا بالنسبة اليهم ، وهو يمدحهم بالشهرة ، وذبح الصيت ، ويفرضهم في دنيا الادب ، حملة اقلام ، ورجال افكار وعلم وفضل وادب ؟

لقد تراجع الادب العربي المعاصر ، نتيجة فقدان الناقد الاصيل . ولستنا ندري الى متى يستمر هذا التراجع ، وهذا الفراغ الكبير ، الذي تركه خلو الميدان من النقد والناقدين .

اما كيف تتلافاه ؟

كيف تتلافى خلو الميدان من الناقد الحر ، فامر لا يخلو من صعوبة ، وهو لا يتحقق الا بقيام صحافة ادبية ، تجعل دأبها قول الحق ، وتشجيع طائفة من الكتاب والناقدين على نقد الانار الادبية بكثير من الجرأة والنزاهة والتجرد ، وقيام كل مجلة ادبية بتكليف احد كبار كتابها بنقد ما ينشر في العدد السابق فيها من مقالات وقصص واشعار .

ان هذا السبيل شاق وشائك ، لانه يخلق المتاعب امام اية مجلة او جماعة يحاولون ذلك ، لانه ينفر الكتاب من المجلة ، ويخلق لها المتاعب والازمات ، ولاسيما ان كثيرا من مجلاتنا الادبية تنشر الانار الفكرية ، دون ان تدفع اي تعويض او مكافاة الى الكتاب . وانصراف هؤلاء الكتاب عنها ، يوقعها في ازمة كبيرة ، لا قبل لها باحتمالها



حديقة منزلي شجرة شامخة .. عمرها في مثل عمري .. لها فروع قوية وعالية تضفي عليها هبة ووقارا .. ولا انظر اليها الا واشعر بالخشوع يعتريني . انها شجرة باسقة تحملت مثلي الكثير من عواطف الدنيا ومتاعها . وعودت في السنوات الماضية ان اراقب تلك الشجرة وان اطالع بوادئ الربيع على اغصانها . وكان الفرح يغمر قلبي عندما ارى فروعها تنتشي بالورق الجديد .. وظلت شجرتي لا تخلف وعدها .. فلا يأتي الربيع الا وتكتسي بأوراق خضراء جديدة تكسيها جمالا وبهجة .. فأشعر بالسعادة فتمرنسي وأنا اراقب زحف الحياة على الاغصان .. ذلك الزحف المقدس الذي يغسل الشجرة من اردان الشتاء القاتم .. ولم اكن ارى هذا المشهد الا وتنشئ روحي وتزول متاعبي .. فتجدد نفسي بالتفاؤل والبشر .

كنت ارى .. في اول الامر .. البراعم الجديدة تتلون بلون وردي جميل سرعان ما ينقلب الى لون اخضر باهت .. ولا تمر ايام حتى تكون تلك البراعم قد تحولت الى ورق اخضر زاه . وينظّل اللون الاخضر في زحفه الحيث حتى ينتشر على كل الاغصان .. فيكسوها تماما .

وظللت على تلك الحال سنين وأنا ارى الشجرة .. في كل ربيع .. تكتسي بالخضرة .. فيطرب قلبي وتغمر روحي نشوة عارمة وتتجدد بالامل والتحفز .

وليت الامر استمر على هذا المنوال .. وانما لاحظت منذ سنوات ثلاث .. ان الشجرة لا تزور ولم اعرف سببا لذلك . ولم اعد افكر كثيرا في امرها .. لاني كنت حزينا على وفاة خطيبتى . وخيل لى حينذاك الطبيعة ارادت ان تشاركني أحزاني . فأضربت حدادا معي . كنت أمشي للحزن .. كنت تأتها في دوامة جبارة

من الحزن ... كنت اتشد وأقول :
انا احيا في اوهام
يرافقني الشعور بالضيق
انا اصحو كل صباح
واقول ... مرحبا بالحزن
والطريق الذي اسير فيه
هو طريق الاحزان
انا لم افقد حبيبا وحسب
لم افقد شيئا بلاني بالالام
بل الذي فقدته هو نفسي كلها
ابتسامتي مجردة من الضحك
وقلتي لا يحدوها الحنان
فانا مخلص .. لحبيبي ...
المر .. الحلو ... الحزن
كنت اتلفت حولي .. فلا اجد الا
الاحزان .. نوال خطيبتى ماتت في



بقلم سمير وهبي

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ربيعان شبابها . نادية ابنة عمي التي نشأت معها وشاركتني طفولتي وصباي .. اصابها المرض في ساقها فاقعدتها عن الحركة .. وحتى اطياني .. بدا البنك العفاري ينتزعها مني تسوية لديون قديمة ثقيلة .. كنت أعيش للحزن .. بيد أنني ارى الناس من حولي يبدون في الحياة في مرح .. وكأنهم لا يابهون لتناعبي .. وكان امري لا يعينهم .. يتكلمون عن مشاعر لا احس بها . وفي كل يوم اقابل اناسا كثيرين .. ولكن واحدا منهم لا يحرك وجداني ولا يثيرني



قط ..
حتى نادية الرقيقة .. كانت لا تثير في سوى شفقة فائرة وشعورا كاذبا بالحب .. ومر عامان والحالة لا تتغير ..

وحل العالم الثالث وأنا على انطوائي وزهدي .. ولم اجد عزاء قلبي ..

وفي ذات يوم من ايام الربيع الماضي .. نزلت الى الحديقة واقتربت من صديقتي الشجرة وآلمني ان اراها عارية من الاوراق .. ومررت بيدي على لحائها .. وحز في قلبي منظرها وهي جرداء .. وخيل الي انها كشخص اصيب اصاب فجأة بنواب الزمن .. فانصرف عنه الاصدقاء .. وظل وحيدا يبكي سوء طالعها .. ونظرت اليها نظرة فاحصة ولمست كبرياءها من خلال اغصانها العارية المتشامخة .

ولما اقترب البستاني مني .. سألته عن حالها .. قال لي :
- لا فائدة من تلك الشجرة يا سيدي .. انها ماتت .. الا ترى اغصانها قد جفت وذبلت .. لا بد من قطعها ..

وحز كلامه في نفسي . ولكنني لم اياس وانما راقت بحالة تلك الشجرة الباسلة التي عاصرت حياتي ، وظلما استلهمت منها الراحة في ايسام الشقاء .

ومرت ايام .. رايت بعدها البستاني يحفر حولها حفرة لاقلاعها فاقتربت منه وهو منهك في عمله وسمعته يقول لي :

- يا سعاد البيه .. لقد ماتت الشجرة ولم اعد ارى سوى جذر واحد .. انه جذر وحيد ضعيف ما زال يربطها بالحياة ..

ولما اتم كلامه .. امرته بان يسوي الارض حول الشجرة وان يمسد عن اقتلاعها .

ومضى يوما وأنا افكر طول الوقت في امر تلك الشجرة الباسلة ، وبرزت امامي حقيقة واضحة لم استطع

أخفاها .. هذه الشجرة شبيهة
بي .. انها بدأت في الذبول يوم ماتت
جذورها .. تماما كما مات قلبي يوم
توفيت خطيبتى .. ان الشجرة
لم يعد يربطها بالحياة سوى جلد
واحد دقيق .. وهي مثلي تماما ..
مثلي انا الذي لم يعد يربطني بالحياة
سوى امل فاتر .. هذا الامل هو
حبي المبهم النادى .. تلك الفتاة التي
تحبني وتدعو لي دائما بالتوفيق في
حياتي .. ولكنها لا تجرؤ ان تبادلني
الحب .. ربما بسبب عاهتها .. او
لجرد شعورها بانى احترم ذكرى
خطيبتى وانها غير جذيرة بان تحتل
مكانتها السامية في نفسى ..

وتضاعف انطواء نفسى مع مرور
الزمن .. وانقطعت صلتى بكل
الاصدقاء والخلان وانكسرت علاقتى
تدريجيا مع الناس .. كنت شبيها
بشخص جبار تحالفت عليه النوايا
وترادفت عليه المحن .. حتى احاطت
به احاطة السوار بالمعصم .. فتحملها
زمننا وهو غارق في غياهبها .. ولكنه
علم بقوته وقدرته .. عارف بان
يستطيع ان يزيلها وقت يشاء .. لكنه
مل الكفاح وعلا الصدا نفسه من
جراة موجة ياس تعالت عليه واغرقت
في لجنتها .. ففترت همته وتبددت
نفسه شعاعا حين رأى حبه يضيع
كنت كمن هدم الجسور وراء
ظهوره واستمر في سيره الحثيث الى
الامام ... لا يلتفت خلفه قط
.. وظل يسير في دربه المجهول
صامتا .. وحيدا .. هائما ..
ضائعا .. لا يبالي بمن تضعهم
الاقدار امامه من الناس .. بل كان
يتجاهلهم تصغيرا لشأنهم او يكرههم
تنفيسا للحقد الذي عمر به قلبه ..

ولمست انانيتى البالغة .. وطفقت
افكر في الماضي .. ذلك الماضي المؤلم
الذي اقم قلبي بالحقد والانانية ..
وظللت اياما والنوازع تجاذب في
داخلي وتكتسح امامها كل شيء ..
وما زالت هذه الاراء تعصف
بنفسى وتتطاحن داخلها .. تشدني
الى الماضي في شدة وعنف .. ولكنى

اشعر في نفس الوقت بافكار جديدة
تتمخطر داخل راسي .. انها اراء
تريد ان ترى النور .. وتؤلكنى عند
ولادتها .. كنت اشعر بان هواء
جديدا دخل نفسى .. وساعدنى ان
اتصور لغائف الابهام عن آرائى الوليدة ..
وبعد ايام غمر الفرح قلبي عندما
رايت الشجرة الباسقة قد ابنت ..
ابتدأت براعها في الازدهار .. دخل
الهواء الى جذورها عندما قلّسب
البستاني التربة من حولها وتدفقت
الحياة فيها من خلال الجذر الوحيد
الباقى .. وانتشت الشجرة ودرست
فيها الحياة بعدما تخلل الهواء الى
جذورها .. تماما كما دب التحفز
في نفسى بعدما عرضتها للثوبة ..
وشعرت بحالة انتقال .. من الانطواء
الى التفتح .. كنت اقضي وقتى
صامتا .. فارفع الان صوتى بالفناء ..
وحى همومي ومتاعبي انزوت في
ركن من النسيان ..

ومضى اسبوع .. وفي ذات صباح
.. رفعت عيني الى الشجرة ..
ورأيت الورق الجديد يزحف على
اغصانها الجرداء .. دقق قلبي
شدة وانا في حذر بالغ ان هذه
الشجرة سوف تورق من جديد ..
وسوف تأتي اليها الطيور من جديد
لتبني اعشاشها بين الاغصان وتحتمي
بها من عوادي الزمن .. فماذا يعني
ان اكون مثل تلك الشجرة القليلة
التي تأوي الطير على اغصانها الرطبة
وتحتضنها في حنان ومجبة ..

وبدأت اهتم بالناس .. وسألت
البستاني عن زوجته المصابة وعن
ابنته المتزوجة وحتى ناظر العزبة
المنجهم .. انصت اليه وهو يحادثني
عن مشاكله وعن مستقبل اولاده
واحدا واحدا ..

وحتى الاشياء المحيطة بي ورايتها
تكتسب الوانا جديدة تبدو مشيرة
في نظري .. كنت اقفر في مشيتي شان
من يكون ممرعا ملهوقا ضالقا بنفسه
وبالناس .. ورايت نفسى امشي في
تمهل وبطء وادقق في الاشياء الصغيرة
.. فاكشفت جمالها المخفي وراء

مظهرها .. العادي ..
هكذا ظلت اعيش ثلاث سنوات
وقلبي مغلق .. لا اهتم بمن حولي ..
ولا عجب ان رايتهم يهجرونني الواحد
تلو الواحد .. خلت نفسى وحدي
في مركز الكون .. ومتاعبي كالنجوم
تدور في فلكها .. وخطيبتى الكبرى
انى ضحكت مشاكلي حتى اصبحت
تستغرق حياتي كلها .. فضاق افعي
وانقبضت معالم الدنيا امامي ..

ورفعت عيني الى الشجرة الطيبة ..
ورايته ان رايتهم تعطي ولا تطلب .. تجيد
العطاء دائما .. وان ظلت عارية من
الاوراق .. تهب ظلها للناس وتمنع
الدفع للطيور لتبني اعشاشها على
الاغصان .. تصمد دائما لنوايب
الزمن ولا تلين .. وعندما يجيء
الخريف بانوائه تعزى اوراقها
وتسقطها في كبرياء وانفة ولا تبالي
كثيرا بجزائرها .. وذلك لانها تعلم
علم اليقين ان الحياة اخذ وعطاء ..
وان الربيع لا يد آت .. ولما رفعت
نظري اليها .. ازدهر الامل في
نفسى .. اليس الامل يأتي حتما بعد
الياس تماما كالنهار يسقط بعد
الليل البهيم ؟! هكذا الحياة .. خضرة
ياغلة .. ثم اوراق متناثرة .. شجرة
مكسوة ناضرة .. ثم جرداء عارية ..
والحياة لا تسير على وتيرة واحدة ..
اليست علوا فانخفاضا ؟! هي امل
وبأس .. حب وكراهية .. وانظلل
مطلقا على منوال ترتيب ..

وفي عصر ذلك اليوم .. زرت
نادية وحدتها طويلا .. ولما تركتها
رايت عينيها تلمعان من السرور ..
شيء جديد حدث لي !! شعرت
بانى ولدت من جديد .. وان دماء
جديدة دبت في عروقي .. كنت
كمن وقع عنقا جديدا مع الحياة ..
كنت الى زمن بعيد اشعر بانى
« موجود » في الحياة ولكنى لم اكن
« اعيش » وجودي هذا .. ثم
اتاني هذا الشعور بانى ولدت من
جديد .. فاصبحت الحياة بالنسبة
لي مغامرة طيبة جذيرة بان اجرها
وامارسها ..

ثم عاهدت الله .. ان ارفع نادبة بالحب .. تماما كما ترفع الشجرة طيورها بالظل .. كانت فتاتي تصنع الشفقة لتستجدي الحب .. وعرفت حاجتها المتناهية الى من يحبها وبقى فيها .. كانت في حاجة الى قلب كبير يحبها حبا لذاتها ، لا شفقة بها او عطفا عليها ..

لقد عاش كلانا وحده .. في دوامة عاتية .. عاش كلانا .. هي وانا .. حتى اليوم حياته اقساما منفصلة .. متتابعة .. لا رابط بينها ولا اشتراك .. لقد سبق لي ان عرفت منذ زمن سحيق ان الحياة ليست جديرة بان تعاش بدون حرية اصيلة تتبع من اغوار النفس ، والا فالعدم انفع واجدى .. ومنذ حين ليس بقصير .. ادركت بصبري ان حياتي سوف تتحدد مفهومها عندما اخوض غمار الحوادث .. عندئذ سوف اعرف على اركان حريتي وانفعال مع محيطي وتحتك تجاربي مع تجارب سواي .. عندئذ سوف اكون انسانا بصيرا لا مجرد «شيء» تتقاذفه امواج الحياة .. فالامر كله بيدي .. كنت نسخة متكررة من الناس العاديين الذين لم يستطيعوا ان يرتفعوا الى مسؤولية الحرية .. كنت مثل الالاف المؤلفة الذين يجيدون الاخلاص ولا يعرفون العطاء .. يدخلون الحياة ولا يريدون دفع الثمن .. يدخلون فيها مشترين فيها بشيكات لا رصيد لها .. فيعيشون في خداع ومراوغة وتدليس ودفاع كاذب .. يجيدون الهرب ونصب الشراك في حيلة وذكاء .. اناس عاديون .. نسخهم واحدة متكررة .. موصومة بالقلق والزنج ..

كنت قلقا في حياتي .. لان طريقي كان مستودعا .. اغلقه الخقد والتلمر .. وعندما ماتت نوال .. حقدت على السعادة واجتاحت نفسي عاصفة هوجاء من الرعب والهول .. واصبحت حياتي التي كانت تحسب في الماضي بالايام والساعات .. سلسلة متصلة الحلقات من الخطوب والاحداث .. وكيف اصبحت الان ؟؟

عندما تحدثت مع نادبة شعرت بأمل جديد جعل نفسي تصحو من سباتها .. رأت فيها الجذور الذي يرطنني بشجرة الحياة .. واصبحت الدنيا جميلة في نظري ... الكون الواسع تعلموه ابتسامتها .. حتى لكاني انتفسها مع نسماي واكلها مع طعماي واشربها مع شرابي ..

وطربت نفسي للاميل الذي فتح امامي بابا لكي اتدارك انساني المتبورة ورايت في نادبة نداء لكي اسمو بنفسي المتناهية وتمثلتها دعوة ملحة للخير .. كاستغاثة او ابتهاج يناديني في ضراعة لاجل الحياة جميلة وجديرة بان تعاش .. وحملت ربي لانه وضع في طريقي فتاة انسانة .. رفعتني الى مستوى عال من الفهم والادراك ..

وفي صباح اليوم التالي .. ذهبت الى شجرتي الباسقة استوحيا المزيد من الحكمة .. وخفق قلبي وانا ارى الطيور تحتمي بها .. وخيل الي وقتئذ ان قوة الشخص لا تقاس بمدى المحبة التي تشع منه .. انها قدرته ان يعيش بدون خد وبدون خشع فيأبى الناس اليه دون وجل .. ليصيبوا شيئا من الراحة والعطف والطيبانية .. ونظرت نظرة فاحصة مدققة الى اوراقها الياقعة الوليدة .. ورايت بعضها ذابلا اقرب الى الجفاف .. وفهمت السبب .. كانت الشجرة عطشى تحتاج الى الري ، وادركت ان الانسان لكي يهنا محتاج الى قدر من الفهم والحب .. تماما كالشجرة لكي تنمو وتورق ..

وقبل ان اترك الشجرة قربت يدي من لحائها وصافحتها بكفي .. كنت اشعر نحوها بنفس الشعور الذي يحس به الصديق حين يلمس راحة صديقه ويشد عليها ليشعر بالشكر والامتنان ..

وفي مساء صارحت نادبة لكل تلك الاكتشافات المضية .. ولما احتوتها بين ساعدي .. خيل اني اري قد تحولنا الى اغصان قوية وقد التمت الطيور الدفء والرعاية في ثناياها ..

وومض في ذهني بريق من النور الوهاج اتاح لي ان ارى عالم الضمير والوعي السامي .. انه عالم شاقق الارتفاع كغصان شجرتي الباسقة .. وعرفت الحياة المليئة بالادراك الذي يعلا فؤادي بالتسامح ويجعل قلبي يفيض بمحبة كل البشر .. دون تمييز او استثناء او حقد .. لقد تم التحول ..

بدات المعزة يوم حنوت على الشجرة واتحت لها فرصة لتعيش .. فتمت وتنفست .. يوما ذابت للوج الحقد من قلبي .. كنت انشد في الماضي واقول :

النواميس قضت ان لا يعيش الضعفاء ان من كان ضعيفا اكلته الاقوياء ..

★

واليوم تحولت عن عقائدي القديمة ودعت نادبة الى مشاركتي في الحياة وحولت نظرتها الجافة الى اشرقة جميلة بديعة .. صادقة الاحساس .. وجعلت منها كوكبا يدور حولي ويؤثر على وجداني بجاذبيته .. ستكون نادبة الشمس التي استعد منها حرارة حياتي ونعمتها .. ان الشمس تشرق وتغرب والقمر يطلع ويغيب والكواكب تسير في افلاكها .. والان اصبح لا يهمني في قليل ان يبرق النهار او يهبط الليل .. فالشمس والقمر والليل وسائر المخلوقات كلها توارى بالنسبة الي ولم يبق لي في الوجود سوى نادبة ...

وافترقا في هذه الليلة وذهب كل واحد منا الى سبيله .. وفي الليل خدعتني الاحلام البريئة ووضعت نادبة على مقربة مني وسط الحقول الخضراء واغررتني بطبع القبلات على يديها ..

وعندما تفقدتها بجانبى بعد هذا الحلم السعيد وبسطة يدي لاحتوبها لم اجدتها .. وانا شاهدت من خلال النافذة شجرتي الباسقة .. ففاض قلبي بالسرور وتأكدت ان شقاء حياتي قد انقضى الى غير رجعة ...

مصر الجديدة سمير وهبي



اصول مذهب الامام احمد

تأليف الدكتور عبد الله عبد الحسن التركي - ٧٥ صفحة - مطبعة جامعة عين شمس بالقاهرة

في اسم هذا الكتاب الحافل تواضع ينكر حقيقته ، لان الكتاب لا يتحدث عن اصول مذهب الامام احمد وحده ولكنه يقرن هذه الاصول بغيرها من مذاهب الائمة ، وهو بذلك دراسة شاملة في حقل كبير يتطلب المصطلح الجاهد ، وقد وفق المؤلف في كدحه الشاق حيث نال اعلى الدرجات العلمية على كتابه اذ حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى من جامعة الازهر مع التوصية بطبعه ولإيداء الرسالة بين الجامعات .

هذه الدراسة الشاقة قابلت صعوبات كثيرة ، لان اكثر مصادرها مخطوطة لم تطلع وقد اضطرت الباحث الى ان ينقب في مكتبات المدينة ومكة ثم يرحل الى مصر مفتشا في مكتبة الازهر ودار الكتب الوطنية ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، فلذا انتهى من عصر اتجه الى المكتبة القاهرية يدمق ثم يبل جوده ليحصل على صور من مخطوطات العراق وتركيا ، وذلك كفاح تحدث عنه الأستاذ المشرف على الرسالة فقال في مقدمة الكتاب « لقد اتعب المؤلف نفسه وانغمى معه اصعب نفسه حين كان يواصل ليله بنهاره ، ويحسب نفسه في منزله الشهور الطوال بين مراجعة المخطوطة والطبوعة التي نثفت على سبيل ومائة مرجع وقد كان بإمكانه ان يبيع نفسه باختيار جزء من موضوع الرسالة او مرجع واحد يقوم بتحقيقه والتعليق عليه ، وانغمى في ملاحقته فيما يكتب ويرى واشهد ان هذه الرسالة قد كتبت اربع مرات قبل ان تصل الى هذا المستوى الرفيع ، فما ان تبلغ الرسالة نهايتها حتى تجد افكار وآراء وزيادات ونقص تقتضي إعادة كتابتها وفلا لذلك .. وهكذا حتى وصلت في المرة الرابعة الى هذا المستوى » .

ولعل مفاجاة الباحث بمخطوطات جديدة تحمل الجديد مما لم يكن في حسابه كان سر هذا الكدح المتصل والمعو والآليات ، وما أخاله الا مفتشا عن مخطوطات آخر ، لن لدة الاكتشاف لا تعادل في مفسمار البحث بانتهى ملذات الحياة .

وقد صدق الدكتور التركي حين قال من الامام احمد انه الرجل العروف المجهول معلا ذلك بان ما يجهله الناس عنه اكثر مما يعرفونه ، فهو لم يطف حقه من البحث الصادق والى ! والمخطوطات فينبه فيسي الاعمال وتطلب صوتا ينفخ في الصور ، لتنتشر بين الناس ، ومن طرائف ما اهتدى اليه الباحث ان بعض الطبوعات مثل كتاب « الكوكب المنير في مختصر التحرير » قد واجهه الدكتور باصلا المخطوط فوجد به من النقص والاطشاء والفقرات المتعجلة ما يحتم طبعه من جديد فلذا كان ما طبع من مراجع المذهب يتحمل هذه الالتقال كيف بما لا يزال دفينيا في الرمال !

والرسالة بايجاز تلغ في ما يقرن من سبعةاللوخسين من الصفحات وقد اشتملت على مقدمة ذات شقين ، حيث ينهض القسم الاول بتاريخ الامام ، ويبحث القسم الثاني منها اصول مذهبه كما لتتضمن في كتب

الآليات ، فلذا تركنا المقدمة الى الباب الاول نجهده ينشد من منزلة الكتاب والسنة في اللغة الحبلي مقارنة بمنزلةهما في المذاهب المائلة ثم تتوالى الابواب تتحدث عن الاجماع واستصحاب الحال وعن فتوى الصحابي والصلحة وسد الدرائع والاستسحان والعرف فلذا وفقت حق البحث في ذلك انتقلت الى القياس والاجتهاد والتقليد ، مختمة حديثها بشدور جيدة من مجتهدي المذهب والنسهم في نمو الفرد ! وذلك عرض للناويز ، لتكتفي به ، لان كتب الاصول لا يشغل فيها التلخيص ، بل لا بد من الاستيعاب الهادي والتأمل الوليد ، ولكن ذلك لا يمنع من ان نشير الى بعض ما امتع غفلتنا من مباحث الكتاب فنقول :

لقد واجه الباحث دعوى ابن خلدون والطبري وامثالهما ممن يرون ان الامام احمد محدث لا فقيه مواجهة عاقلة متدنة ، فذكر اقوالهم في تسامح يتشمس البررات والدوافع دون ان يشتط في المرافعة والاجماع ، وذلك سبيل ينج ان تسلك لان بعض الدارسين في مثل موقف الباحث ينسب الى ليندفع في هجوم يصر لاي قيد ، ولكن الدكتور عبد الله التركي ذكر اقوال مخالفيه مبينا ادلتها ، ومنيسطا في عرضها دون تحيف حتى اذا ألم بها القاريء دون نقص او اجتزاء مفسى يناقشها في فسوة ، فيبن ان تلقوا الامام في الحديث لا يمنع امانته في الفقه لان الحديث اصل الفقه ، وتوفر النصوص لديه قد افتاء من القول في كثير من المسائل بالرأي المجرى ، والخطا في الرأي اكثر تولعا من الخطا في القول ، ولذا كان الامام قد قدم النص على الاجتهاد ، فليست هذه سبيله وحده بل سبيل الائمة جميعا لا لا اجتهدا على النص ، اما نفيه من لدوين فتاواه ، فهو عذر شخصي لم يخل دون هذا التدوين ، بل رزق من التلايد من نشر علمه واداعه بين الناس فكان مصدر نفع جزيل على ان في اصول مذهبه ما يدل بجلاء على انها اوسع الاصول في الاستنباط لان اتباعه من الحنبالية يقولون بالقياص عند فقدان النصوص كما يشيرون فتاوى الضمانية ويقولون بالاستصحاب ويتوسعون فيه ، ويلاحظون الاعراف والتقاليد والعادات مؤكدين مصالح العباد ما كان له ابلس في الاثر في نماء المذهب ، وقد اعترف بذلك فقهائهم من غير رجال المذاهب ! فكيف يكون الرجل غير فقيه !

ومن محاسن الرسالة انها تشغفك باب بغلظة والية عن مفسونه ، لان البحوث الاصولية تطلب استشهاده وردا تشتمب بهما الوصوس بحيث تحتاج بعض القول الى حصره بعد الانسياب ، وهذا ما اهتم به الدكتور التركي في جميع ابواب الرسالة اهتماما يدل على ان التقاييا الاصولية قد اتصحت في ذهنه اتضاحا يمنع كل لبس ، وانا لا اجد النقص في دعوى المؤلفين الا حيث تقضى الافكار في ظواهرها لا يستطيعون جلاها للقاريء اذ معزوا هم عن الرؤية العلمية ، وفادد الشيء لا يطبعه اما ما كتبه المؤلف الفاضل فواضح ساطع يشف من فهم مستشكك والاعتنا مكن ! على انه يوجب في الخلاصة ايجازا يفتح وتسد سد الانسحاب المليل ، كان يقول في ختام حديثه في التفسير بالرأي بعد ان كسر قول القاضي ابي يعلى في حرمة تفسير القرآن بالاجتهاد لم تنى يمنحى ابن تيمية في حرمة القول بالرأي مستشهدا بما تطلبه المقام من الحديث الاصول بعد ان كتب الدكتور الفاضل اراء اعلام المذهب بلسود الحديث في خلاصة شافية تتشم من فوله .

والخلاصة ان الحنبالية ردهم الله يمتعون تفسير القرآن بمجرى الرأي ، ويدون علم ، وهذه طريقة سلف الامة من الصحابة ومن بعدهم في ترحجهم وتشددهم في القول في كتاب الله بل بدون علم اذا كان التفسير على مقتضى الفقه فلذا ما لا يقال عنه تفسير بالرأي او بسلا علم فهو تفسير يعلم لان الله خاطب الامة بلفظها وكلفها بما ورد في خطابه



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

لنفس قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٨٠ ل.ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

Die : 225139

الادارة : ٢٢٢٨١٩

Dir : 223819

النتزل : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر اديب

فلا بد من تنزيه على مقتضى اللغة ما لم يرد نقل شرعي ، والعالم باللغة ووجهها عالم بجانب من جوانب التفسير .

قال الدكتور ذلك بعد ان اوضح ان للحنابلة راين في جواز تفسير القرآن على مقتضى اللغة وهما روايتان عن الامام احمد ذكرهما القاضي وابن عثيل ، ثم ذكر ما يشتم منه عدم احياج الامام بالاستشهاد بالشعر على فهم القرآن خلافا لطريقة ابن عباس ! ولم يقف الدكتور عند ذكر الروايتين بل رجع القول بالجواز عملا لذلك ، فلذا بسط الحديث عن التفسير بالرأي كان متخفا من منطله اذ حكم بالخصوص لمعاني اللغة في التفسير ، لان القرآن قد نزل بلسان عربي مبين .

ولمؤلف ذوقه الرفيع في اختيار اللفظ والحاسبة عليه ، فحين نقل قول الشاطبي في الموافقات : ان السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة ، كانه لم يسترح ذوقيا لكلمة قاضية على الكتاب ، فسرهما بما يقصد الشاطبي منها ثم اتبع ذلك بقوله « وقد استنبع الامام احمد هذه اللفظة فقال عنها : ما اجسر على هذا ! وحين اضطر الى مخالفة الشوكاني في قول الصحابي لديه نقل ما قاله بالظلم لم يخرم منه شيئا ثم نفس عن فقيه من بقوله « وهذه الجملة المسورة من الشوكاني سفسطة خطافية لا تمس الجانب المفسري للمسألة الذي كان يجب توجيه الجملة اليه ! ولم يزد شيئا ، اذ اثر الحديث عن القول لا القتال ، وهو الصواب .

اما ما يحتج للمؤلف في ميزان التقدير ، فهو احاطته بما اصطحب لدى المعاصرين من تيارات اصولية تتماوج وتضطرب ، فخاصي العصاب وايهام يشجاعة باسلة ، بل قد اضطر الى معارضة الفاضل منهم في اكثر من موقف ، واستشهد في هذا الجبال بحديثه عن الطوفي والمصالحح الرسالة ، اذ واجه من اعلام اللغة علماء كبارا مواجهة تستند الى المنطق ليحكم بان القائلين بالمصالحح الرسالة لم ينولوا بها مطلقة دون اشتراط بل اوجبوا ان تكون فيما لا نص فيه او اجماع ، وبخاصة لدى الحنابلة الذين يجادلون النص في الرتبة الاولى دون نقاش ، وقد رجع الى احداث ما كتبه فقهام العصر كجمال الدين القاسمي وابي ذهرة وخلاف وحسبهم الله ، واذا كان غير المؤلف قد هاجم الطولي وانهم في عتيدته ، فسان الدكتور الفاضل ، ففسلك التي هي اقوم حين قال « ومعها قيل في دوافع الطولي فيما كتبه فقد قدم الى ما قدم وهو مجتهد ، سواء اصاب ام اخطا » ولك ان تقرر هذا الاحتدال الهادي بما قاله الأستاذ مضب الدين الخطيب عن الطوفي ترى اليون البعيد !!

وبخيل الي ان الرسالة قد طبع في مصر في غيبة المؤلف حيث لم يقم على تصحيحها المطبعي اذ بدت اخطاء رفيعة في سنوات الوفاة الخاصة بالنظام والخليل والملافي فهي في صفحة من الكتاب غيرها في صفحة اخرى ولا بد من الاتفاق فيها على رأي .

وكم كنت اتمنى ان يتسع الوقت للاشادة بمجهود علمي نال اعلى الدرجات الجامعية عن جدارة ممتازة ، وهو في طبعته القشبية يندس الى القراءة لدى من يهتمون بالمعق التراث ، والنصوص الثابتة ، لياتوا بكل مبتكر سديد .

الرياض - كلية اللغة العربية محمد رجب البيومي

جدران الصمت

شعر رمزي - لمحمد عامر الريمج - ١٧٦ صفحة - الغلاف والرسوم بريشة نبيل السدوح - منشورات مجلة الاديب - تصميم وتغليف دار الخواطر ببيروت

قارئ « جدران الصمت » للدبلوماسي السعودي محمد عامر الريمج لا يمكن له عبر ما يقرأ ان يفضل المصور من الصور ، او ان يعزل البنية

عن الباني أو أن يسجل تعبيرية الشعر عن روحية العصر .

ف «جدران الصمت» تجربة وجدانية لأديب مجدد مطبوع يقول «أعطني الفكرة الجميلة والصورة الجميلة والتجربة الصادقة في أي لون من ألوان الكلام لأولئك : هذا شعر» « فالشعر فكرة وصورة وتجربة وليس هندسة وتخطيطاً » ومن هنا « فليس هناك شعر عروفي وشعر حر بقدر ما هناك شعر جيد وشعر رديء» .

« فاشكل التقليدي للقصيدة العربية جاء مناسباً في حينه لحياة الشاعر الجاهلي وتجارب عمره وبنيتي علينا نحن أيضاً أن نبتدع لنا أشكالاً تتناسب وواقع حياتنا وتجارب عصرنا » « فالشعر الحر ليس ثيراً فهو يحتفظ بجميع خصائص الشعر القديم باستثناء التقييدات الفاعيل المتعارف عليها عند العروضيين» (١) ، من منطق هذه المعايير الذصيفت « جدران الصمت » لمحمد العامر الريمج مع أن صاحبها مترجم فسوق ناصية الشعر العروفي سدة ولا أعلى فهو من ينسلك من شغافيسية الشعر المقلد مثل هذا القول:

لا يا أخي ... لا ... حبسنا ان سكارى من رحيق الخيال

اتي هنا منك يساً صاحبس احبسا كاني بين اهلي غريبس الشوك والحرمان في راخسوس وليس في الاشياء في اللهب بل انه هو من تستقيم له ملكة الطبيعة والغلوقة الشعرية المرتكة الى عمود الشعر الموزون في قوله :

فامسنى ورفى للرسي والتلال وللدجى حتى يبين الشفق واملا بانفساك كاس الليال واشفق على قلبي ان يحترق فافخذ بذلك المعايير التي شاعها في تحديد ماهية الشعر في «جدران الصمت» والتزامه بنوايس تعبيرتها الميزة ليس هو اذن وليد لصور أو عجز عن ارتياد افاق الجرس والدقة الوسيقية التقليدية ، لا ولا تنكب عن محاكاة روائع الشعر التقليدي المرولة ولكنه عطاء شاع ان يلبس رداء العصر فيتكلم لقته ، وبغير عن جهنمته ، ويتقمص تصوراته واحاسيسه في الفيض وفي التعبير وفي الاتصال وفي الاداء المرسل المتحرر من كل قيد ومن قيد التقليد في القعدة .

فقطا محمد العامر الريمج في « جدران الصمت » وفي الاطار الذي تجسد ليس غير التوكيد على فعل الاختار الاطلاع بالاجزى بالترجيبة وبالمانعة ، وليس غير البرهان القاطع على قدرته على العطاء في أي لون من ألوان الكلمة المشحونة المتوقدة التي تتفجر بالزخم وبالتالي تكون الكلمة السلسلة المستافعة التي تدخل القلب بلا استئذان حتى ولو بالغ الف صورة من صور القلق القاصب :

استمع الى قوله من قصيدته « جدران الصمت »:

الزمن المسموع ...

من غير ما رحمة ...

يسود ... يسود ... يسود

أو الى قوله من قصيدة « المدينة الخيم عليها الصمت » :

وسادفلك يا صمت ...

في اعمال هوة ...

ويسنس حتى التاريخ .

انك خيمت هنا يسوما

فوق سماء مدينتنا البيضاء

فوق سماء مدينتنا الحولة

واستمع اليه في قصيدته « أموت وحيدا » :

وحيد أنا .

أعيش هنسا .

في غرفة موحشة معتمه

الشمس لا تزورها ولا زارها أبدا نهار

أ طالما انتظرت بيمس نود فيها

من كوة في حافة الجدار

لكنما بالثاني الانتظار

يتص دمي... يحيل عالمي

الى عواصف ترابية ... ونساد

تعاييره ابدا لا تغارها الرنة الموسقة مثل قوله :

ودموع الاين والمبررات

تحول ... الى مسحات

ويقطع قمقه الممضات

أو قوله :

وتكشف اسرارنا المبهمة

ونحتر من اي درب نعود

وكيف السيل لحطم القيود

اما الصور التي ترسمها تلك التعابير فهي تبلغ في ايحائها مرتبة

التواصل الذي يولد من الصورة الواحدة عالما مليئا بالرؤى ، ودنيا تزخر باليافة .

هناك ... وراء الظلام العميق

كاتي اصبح لوقع خطي

وهمس شفاه

تغمزها الريح بين الشباب

وتنترها في حنايا الطرق

كانما ابصر في عمقه

قليل شبح

نهر اسامي كحلم بعيد

كحلم نوارى ... نوارى ومات

ولكن طيفاه لم تزل

تتر بنفسي شتى الدكر

وتفمر قلبي بشئ الصور

وترسم لي ذكريات الصفر

ما من شك في أن من يقرأ الريمج في « جدران الصمت » اذا ما تأتت لذلك التقاير فلدرة سبر الاوار البعيدة للصور الشاعرية المشلوجة عبر كل عبارة ، فانه من حقته ان يقارن بين جمالية الصورة في صياقتها الحرة وبين جمالياتها في اطار العروض ولو كان عليه قبل ذلك ان يسمع الاستاذ الريمج وهو يقول :

« الشعر العربي ان يصل الى مرتبة عالية ما لم يتجرد الشعراء نسبيا من الارتباط بالتقديم لهنيا وفكريا وما لم يتخلصوا من عبودية الفذلكة والبهجة والتزاويق البيانية العقدة .

فالشعر العربي سيقي القيميا طالما ان الشعراء ينظومون بسروح جريز وبشار من برد واين زيدون وليس بروح العصر الذي يعيشون فيه» (٢) .

اما النتيجة التي تستتقر عليها تلك المقارنة في النهاية فتقتلص وفقا على قابلية التحسس بالاتصال وبالمانعة وبقدرة ما اعطى على تحريك ملكة الانتباه وهزها وتحريضها على أن تتلقى في مسالم المراد للصورة المبررة .

فرمزية الشاعر الاذلة بالمذاهب الشعرية الحديثة هي محطة يمكن لكل دارس فيها ان يستريح ليحلم ما رافقه منها .

ففي قدرته ان يفرغ منها الشعر وهو بنفسه وفق معايير المستقلة وفي مستطاعه ان ينهل منها العبارة الجزلى الموسقة التي تنقلت من

(١) الشواهد للشاعر محمد العامر الريمج من كتابه النقدي

« فراءات معاصرة » .

(٢) من كتاب « فراءات معاصرة » للشاعر محمد العامر الريمج .

ان يذكر اسماءها، لان الرقم يعطي قيمة علمية تاريخية، لا تسو اليها الحروف في هذا المجال، والمؤلف هو الذي عود فراه الكثر الاهتمام بالارقام .

ولي الكتاب - عدا ما صححه من اوهام الاساييد - ملاحظات نفيسة مبشرة هنا وهناك اذكر منها الآتية :

دعوتو الملة الطلاب لنطيع امرحاهم قبل تسلم شهادتهم الجامعية العليا ، لتفنيذ بذلك الى مكتبته العربية كتابا بدل في تاليفها جهد عظيم يجب ان توضع فائدته على جميع القراء ، بدلا من ان تموت على رفوف مكتبات المؤلفين

وطلبه ان يصف المؤلف المخطوط وصفا بيليوفرافيا ببيان قياسه ، وعدد اسطره واوراقه ، وتاريخ نسخه ، ونوع خطه ، وما الى ذلك مما يساعد الحققين فيما بعد على تعرف صفحات كل نسخة مخطوطة . والحاجة على ضرورة ذكر المراجع التي نأخذ منها تراجم الاعلام . ودعوتو الحققة الى اهتمال ذكر التعليقات الموجودة على هوامش المخطوطات ، لانها ليست من اصل الكتاب .

واصراره على ذكر الروايات المختلفة دالما وهو شيء لايابه قيمة كبرى في النهج العلمي للتحقيق .

وسأله : هل الفصل الذي تكتب في ذكرى الشاعر يصح اعتباره من مراجع دراسته ؟

ونبيهه الدكتور صلاح الدين النجد الى الهفوات التي ادركبها في تحقيقه كتاب « ادب القراء » لابي الفرج الانصهاني ، من حيث جعله بعض النثر شعرا ، وبعض الشعر نثرا ، وهذا نجده كثيرا في مؤلفاتنا الحديثة

ومن حسنات المؤلف اطلاع الواسع جدا ، الذي جعله يذكر كثيرا من اسماء الكتب المخطوطة الحديثة ، التي لا يدفعها مؤلفوها الى المطبعة بعد

ومن حسناته ايضا انه باستدراكه شرات الابيات التي نقلها الشعراء ، كديك الجن الحصى وكشاجم وسواهما ، وذكره بعض الاخبار التي لا بد منها لهم بتاريخ حياة الشاعر ، قد فتح امامنا واسعة امام القارئ ومؤرخي الادب .

اما لغة الكتاب فمن النوع الممتاز ، ولا ادري على اي المصادر اعتمد حين قال : « الفصلان القيمة » و « التجميع الشعرية القيمة » ، لان الصواب ان نقول « النخبة » لان معنى « القيم » هو ذو القيمة كما يقول مجمع القاهرة ، وهذا لا يعني انه نفيس ، لان انه الانشاء لا بد ان تكون ذات قيمة قليلة ويقول ايضا : الصفات العديدة بدلا من الكثرة ، لان « العديدة » تعني المدودة ، والشبه الممدود قلما كان كثيرا .

وهناك اخطاء مطبعية غير قليلة كان في الوسخ تجنبها ، والياء في آخر الكلمة متوقفا في مطبعة العالي طبع الكتاب ، ولكنها جاءت الما مقصورة المرات ، وهذا لا يجوز في كتاب يعقله اديب كبير ، وديق جدا للاستاذ هلال ناجي . وقد احصيت في الصفحة ١٨ وحدها ٢٥ ياء في آخر الكلمة ، حرما المتسند نقفيتها .

وكان على المؤلف ان يسقط الاعلام - على الاقل - بالشكل التام ، ان تعذر عليه فسيب الكتاب كله بالشكل المفروفي . وعندما اطعنت على ما استدركه الاستاذ هلال على شعر الفززال يحيى بن الحكم الاندلسي ، الذي قال منه انه اكبر شعراء الاندلس في عصره (في الشطر الاول من القرن الثالث الهجري) ، وجدت انه شاعر من الطبقة الثالثة او الرابعة ، كما تدل الابيات الكثيرة التي استدركها الاستاذ ناجي على الدكتور حكمت الاسوي في كتابه « فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة » .

ومما استدركه المؤلف اللغ على الاستاذ عبد الله الجبوري فسي . جمع اشعار ابي الشيبان قوله : ومروضة ظن الهجر فرسا . والمواب :

الاطر والمحاور الى اطار التعبير ومحدود العانة . ولكنه ان يكون فسي مقذور اي دارس او قاريه ان يمر بـ « جدران الصمت » دون تالي او نغمال مهما اختلفت نظرتة الى الشعر والى الكلام المنثور .

ولا شك ان من قدر له واطلع على « قراءات معاصرة » للاديب الشاعر والديبلوماسي السعودي لا بد له وان يعرف من اي بحر زاخر بالثقافة وسعة الاطلاع اغترف محمد العامر الرميح صورة الشعرية في « جدران الصمت » ومن اي التجارب والتعامل صيغت تلك الاساميم التي تعكس من كل حرف وتطرع من كل كلمة وتعرض مع كل عبسارة مؤلفا في الحياة يعنى على التأمل الطويل .

ولا غرو فـ « جدران الصمت » تخر بالمشي المشي من التماز الدائنية القنوط وتضج بالوحي من الصور الشعرية البليغة التعبير وتضج شمولية العانة على صعيد التشيع الواعي للحيث الذي يعلق المرتجي ليدفع بالواقع الى ان يحاكمه توليا وتظلم .

فمن مزية « جدران الصمت » تتجسر الصور التي تحكي عن اي شيء وعن كل شيء لانها فيفي من اعيق اعمال ذات الشاعر الاديب محمد العامر الرميح المقروسة في كل الاحداث والى كل الرؤى والستي لعطي من خلال تجربتها الترجمة الصادقة لواقع الاختمار .

ان « جدران الصمت » وهي مرقة الى نبط من الطاء جديد ، ومير الى مقلات محمد العامر الرميح الاحدية ، هو عند الخصيمات الذي يصالح طالع التعليقات ويجدنا هتاهما كلها في حوصبه منها ذلك فهي برهان على رسوخ كلمته وقدرتها على الحياة .

محمد عبد الله غان

هوامش ترائية

تاليف هلال ناجي - ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط - ساعدت وزارة الثقافة والاعلام العراقية على نشره - مطبعة العالي بغداد ١٩٧٢

كنا في الشطر الاول من هذا القرن نسمي الى العلامة الشيخ خليل الخالدي المقدسي ، ونطرح عليه ما تجمع لدينا من اسئلة ادبية وتاريخية كثيرة ، كنا نهجل الاجابة عنها ، فكان يتدفق في اجاباته الفصيلة الدفيقة تدفق السيل ، مع ذكر المصادر والصفحات التي نقلتها ذاكرته العجيبة عنها . ثم نرح الشيخ خليل الى القاهرة ، وهناك اصبح احمد لطفي السيد وطه حسين وحسين هيكل وعبد الوهاب غزاف واحمد امين ، ومعلم اعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة وسواهم يلتفون حوله ، ويسالونه عن امور ادبية وتاريخية كثيرة كانوا يجيهاونها فيجيبهم ، كما كان يجيب سائله من جميع البلدان العربية عن كل شيء كانه كان يعرف من بحر . حتى اذا قلنى الرجل الاجيوبة نجبه في القاهرة عام ١٩٤١ ، قلنا مضى ممرى القرن العشرين ، ولين وجود علينا الزمان بملكه عوسا كنا نعلم ان العراق الشقيق سيطلع من سمناته في الشطر الثاني من هذا القرن رجل اعجوبة اخر ، هل علينا هلاله فيهر بصلتنا ، وخدم فسادنا ، والواحد والآخر كتابا اغنت المكتبة العربية ، وضعح باحدها « هوامش ترائية » اوام الاساييد ، وجاملهم يفوضون الى كتبه مواد كثيرة غائهم الاطلاع عليها . بحيث يخيل الي ان مخترع العقل الاكثروني قد استجند بعقل الصديق الاديب الفذ هلال ناجي ، فنقل عنه بعض ما في تاليفه وتعاربجه من اعاجيب ، يقف العقل ازعاجا حائرا ، ان نجده قد نبش مئات الكتب ، وقلب شرات الوف الصفحات ، وبحث في زواياها ليظلمنا على ما فات المؤلفين من مئات الابيات ، لا عشارها .

ذكر المؤلف ان هناك نفصة ميمونة في العراق اليوم ، تساعد على نشر الشعر العربي القديم ، وقد اورد اسم سبعين ديوانا ، وقسال ان هذا القليل من كثير . ولينه ذكر عدد تلك الدواوين الباقية ، دون

ومعرفة وذكر ان هذا البيت موجود في الصفحة ١٨٢ من المستطوف
للإشبهى . ووجدته في الجزء الثاني من المستطوف صفحة ٢٢٩ ولدي
الطبعة التي اشرف عليها محمود علي صبيح ، صاحب المطبعة المحمودية
التجارية بصمر ومكتبتها . وهي مطبوعة سنة ١٢٤٨ هـ .

ولست ادري لالا قال المؤلف الكبير : فوجد الابيات تسعين
نصفا بدلا من تسعين شطرا .

وفي الختام لا بد لي من تكرار اعجابي بهذا السفر النفيس
« هوامش تراثية » ، وبمؤلفه العملاق الذي جاء رحمة للتحقيق الادبي
الدقيق ، والتنقيب العلمي العميق .

محمد العدناني

صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك

تأليف محمد محمود رمضان - ١٧٦ صفحة - منشورات دار الهلال
بالقاهرة

صدر في القاهرة ، في شهر اكتوبر الماضي ، كتاب الهلال ، الموسوم
بـ « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » لمؤلفه الاديب الصحفي،
الاستاذ محمد محمود رمضان !

وكنت انتظر منذ امد بعيد ، صدور هذا الكتاب ، لان علاقته
ادبية متينة ، قامت بيني وبين مؤلفه الفاضل ، سببها الدكتور زكي
مبارك رحمه الله . ففي احدى الرسائل التي بعث بها الي الاستاذ
رمضان ، في مطلع سنة ١٩٦٩ ، اعطيتي بمقدار الجهد الذي بذله لي
سبيل اعداد كتاب عن الدكتور زكي مبارك .

وكان اثر حمله على الاتصال بي ، ذلك المقال الذي نشرته لي
مجلة الاعلام البغدادية ، في عددها الصادر في شهر كانون الثاني من
سنة ١٩٦٥ ، بعنوان « زكي مبارك في العراق » ، ومن ثم كتابي الذي
اصدرته في بيروت سنة ١٩٦٩ ، بالتعاون نفسه . وكان هدفه من هذا
الاتصال الادبي ، حصوله على ما لدي من معلومات تفيد في دراساته
عن الدكتور زكي رحمه الله !

ثم مرت الايام ، وانا انتظر صدور كتابه ، حتى كان شهر تشرين
الاول من هذا العام ، ان تلقيت بيده الشكر من الاستاذ رمضان ، مواده
البر ، والدفاع عن طلب لي ، ان ابحث له بنهائي على هذا الجهد ، مؤكدا
له ، ان السنين التي فاضها في البحث والتنقيب عن مادة كتابه ، لم
تضع سدى ، انما اثمرت هذه الدراسة الممتعة !

وقد بدا لي ، وانا اقرا فصول هذا الكتاب المتاع ، ان الاستاذ
رمضان ، قد شغف مادته كتابه شغفا شديدا ، ولعل السبب في ذلك
يرجع الى الرغبة في جعل حجه متسجما مع حجم « كتاب الهلال » ،
فانه لو لم يتم بهذا النقص ، لكنا قرأنا صفحات اكثر عن حياة زكي
مبارك في شتى الاطراف والامصار ولعرفنا الشيء الكثير عن مواقفه
الرائقة في الدفاع عن العروبة والاسلام !

وعند قرأتي للفصل الاول من الكتاب ، الباحث عن حياته ولقائمه،
وجدت ان المؤلف الفاضل اشار في الصفحة ٧ الى موته من باريس،
بعد حصوله على درجة الدكتوراه بتقدير (شرف جدا) من السربون
عن رسالته « النشأ الفني في القرن الرابع الهجري » ، اشار الى هذه
المودة اشارة عابرة ، في حين كنت اود لو انه اعطى القاري صورة
خاطفة عن حفلات التكريم التي اقيمت له في كل من القاهرة والاسكندرية
والبيت شيئا مما قاله فيه الشارحان الكبيران خليل مطران وابراهيم
ناجي ، كما فعلت في كتابي « زكي مبارك في العراق » ، انه لو ابيست
الابيات التي جاءت في قصيدة الدكتور ناجي، في وصف المراحل الدراسية
التي مر بها هذا الفلاح السنترسي ، لاصاف شيئا طريفا حقا ، فهي

هو ذا يصفه قائلا :

عجبي من مجاور ضحك يسلا
ثم امسى (طربشا) واتسنى البد
ثم ضاقت بهمه مصر فاشت
شم اشياؤه اليه واضمضى
ثم امسى ميرظا) يقصد ال
والذي يعيش السرور ويدعسو
رجل ما ازدهته فتنة با
ظل في ذلك الحسى مصرسا
وعم كل هذا ، فقد جاء الكتاب حافلا بصفحات مجهولة عن الكثيرين
من حياة زكي مبارك ، ما كان يستنى لنا الاطلاع عليها، لولا الهمة العالية،
التي بذلها المؤلف من اجل انصاف هذا «العلم الشامخ المقنون في ادبنا
المعاصر» . وحين حدثنا عن الجهود التي بذلها في اعداد فصول كتابه،
قال «لولا هذا السبيل قرأت عشرات الدوريات من الصحف والمجلات
لم التقيت بعلمي معارفه واصدقائه ، ومنهم المرحوم احمد حسن الزيات
صاحب الرسالة - والاستاذ صالح جودت - والديناميستي المشهور
الاستاذ احمد عبد المجيد والاستاذ انور الجندى ثم كان هذا الكتاب
الذي كشفت فيه لأول مرة ، بعض الجوانب المجهولة في حياته ، التي
ثار حولها خلاف كبير بشأن اثر المرأة في حياته ، وسر مأساته، فسي
سنواته المشر الأخيرة وسر معاركه مع طه حسين « وسر كتابه الغريب،
بين آدم وحواء ! »

لقد اتاح لنا المؤلف حقا ، الاطلاع على العديد من الصفحات
المجهولة ، واوقفنا على بعض الاطلاق ، وفي مقدمتها ، قصة جبه ،
وهيامة ، بليل الرميصة في الزمناك !

ولعل القاري يود ان يعرف شيئا عن (يلي) هذه ، ولذلك
ننقل له ما قاله عنها في مقدمة الكتاب ، صديقتي الشاعر الكبير الاستاذ
صالح جودت اذ قال (.. وكانت ليلا نجمة من نجوم المسرح ، شمه
اليها اكثر من عامل ، واولها ، انها بنت بلدته (سنترس) وانها متفقة
وكريمة وفارقة للشعر ، وفيها جذابة خاصة ، لا تتوفر لكثير من
النساء، وان لم يتم مظهرها من ذلك ، ولهذا اقبلت بها اكثر من اسم
من الانساء الكبيرة في دنيا القلم يومئذ ، فتزوجت اول ما تزوجت،
علما من اعلام الصحافة، واصحاب المدارس الكبيرة في مجالها، ثم
اجها شاعر من اكبر شعرائنا المعاصرين ، هو المرحوم الدكتور ابراهيم
ناجي ، اجها حاكيبا ، استلم منه اروع اعماله ، قصيدة
« الاطلاق » !

واذا كان الامر كذلك ، فمن هي هذه النجمة يا ترى !! الواقف
ان الاستاذ رمضان لم يشأ ان يضيف الى ما قاله الاستاذ جودت ، الا
الحرف الاول من حروف اسمها وهو حرف (ي) ، واذا كان الاديب واللياقة
تقتضي بعمق فصح ايراد الناس ، فانا نلجأ لرجوع اتساع الايام لهذه
الفاتنة (ان كانت على قيد الحياة) فنتشر لنا شيئا من ذكرياتها مع
الرحوم العقاد وعاشرت زما طويلا ، وهي في سبيل اصدار كتاب تسجل
فيه ذكرياتها عن تلك الايام ، كما ذكر ذلك الاستاذ عام العقاد ، في
مقال نشرته له ، مجلة « الاسبوع العربي » البيروتية قبل بضعة اسابيع!
ومن المفارقات المصيبة ، التي تحدث عنها المؤلف الفاضل ، ذلك
التناقض العجيب في نظرة الدكتور زكي مبارك الى المرأة - ولكسبه
وهو يشير الى ذلك ، بجده علما ومبررا ، اذ يقول «.. وفي ايمان
محطة النسائية ١٩٤٤ - ١٩٥٢ هاجم المرأة بعنف وقسوة ، فازدادت
الحجعة عليه غرابة ، وظل البعض انه يتناقض في الوالاه ويتذبذب
في مواقفه . كيف يصرح بهذا الكلام ، في ملا الدنيا فراما وتشتبيها...؟
هاجوده لتلك الخواطر الحزينة اليالسة ، وقاب من يالهم ظروف محتنة
ومأساته !!!

ان القاري لهذا الدفاع ، كان بوجه ، لو ان المؤلف الفاضل

ذكر شيئاً مما قاله الدكتور زكي ، في المراجعة أمان محتته !!

والذي يبدو لي ، أن المؤلف الفاضل ، قد فاتته ما نشره الدكتور نفسه في عدد جريدة البلاغ الأسبوعي ، الصادر يوم ٢٦-٢-١٩٤٧ ، بعنوان « وفاة العراق » ، أنه لو وقف على ذلك ، لكانته في كتابته ، فما الذي قال في دفاعه عما كتب على لسانه في الهجوم على المراجعة « مؤامرات الجيب » !! فقد قال ما نصه :

« أصل القضية » أن مجلة مسامرات الجيب ، نشرت مقالات باسمي في شتم (التسوان) وهي مقالات ملأت الدنيا غصصاً وجعجاء ، ولذبت من هنا إلى هناك !!

لأننا لم نكتب حرفاً من تلك المقالات ، وإنما أوجبت بها إلى أحد تلاميذي ، أن يقول ما أريد أن أقول ، فطاب له ما يريد أن يقول ، وكان من السهل أن نشر تلكاً لا نشره لتلميذي باسمي ، ولكني كرهته أن أكذب لتلميذاً من تلاميذي الأوفياء !!

وبعد : فإن كتاب « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » من كتب السيرة والتراجم التي اتبع المؤلف في كتابته فصوله « النهج النفسي » فجات دراسته « دراسة منصفة تعادل فيها كما يقول الأستاذ جودت «روح الوفاء وروح البحث وتجمعان كائفاً من الزهور يفسها الأستاذ محمد محمود رضوان ، على غير زكي مبارك ».

وأخيراً : أكرر نهشتي للأستاذ رضوان ، وأرجو له المزيد من الوفيّة في دراسته وإيجاله ليتحننا في قادم الأيام بكل نافع ومفيد من نشاطه في دنيا الفكر والأدب .

بغداد

عبد الرزاق الهلالي

قواف تبقي الأجسر

مجموعة شعرية لثمن الشعار - صفحة (٦) - مطبعة (؟)

نود أن نقول أولاً : أن هذه السطور المدونة هنا ... سطور متواضعة من عمل كبير لن نتناول فيها قضية الشكل الفني وحلها في السج عليها الشاعر منذ أول كلمة في المجموعة .. كما أنه لن نتناول المضمون وحده لأن الفصل بين الشكل الفني والمضمون فصل روح العمل الفني من جسده ، أو بالاختصار قلّه وتطعيمه ، لكننا سنحاول أن نتعرض في هذه السطور للثقاب البارزة في المجموعة التي تشد القارئ لسدى أول نظرة فقد صدرت مجموعة « قواف تبقي الأجسر » للشاعر مشعل شعاع في وقت صرا فيه نفد وفاء الكلمة .. وسحر الإبداع العربي .. وقد استخمد الشاعر - منذ البداية - شكلاً فنياً ارتداه لنفسه والتزم به . هذا الشكل الفني في الشعر ، مشهود لدى التراث ، مرتبط بالأساطير يستطيع أن يعطي أبعاداً محسوسة لهموم العصر ، وقضايا العصر ..

وقد جاء الشعر فيه ، شعراً يعمل الروح العربية والرسالة القومية لامتنا وإن كان يجري على نمط تقليدي بل أننا لنشعر بأنه لا يمكن أن يكون هناك بديل صادق وفردوي للتوصل إلى هدف الشاعر إلا هذا الشكل الفني ولا يعيبه هذا ... ولكنه يؤكد أصالة الفكر والتزم .. ونحن اليوم لا يمكننا أن نطالبه بشكل فني آخر .. لأنه أولاً : لم ينحرف إلى الأفرق والقوض الذي نراه عند أولئك الشعراء المشبهين ولأنه ثانياً قد خط طريقه له .. فكان النخلة الأصلية الثابتة وسط افقنا شامخاً كبيرة .

« ندخل » (مشعل شعاع) هذا الشكل الفني في عالم الشعر هو دخول مزود برؤية أصيلة تجسد التعبير الصادق من تعلقنا بالتراث والتزامنا به : فلحنني لحن آباء كرام فليس ينالني الدخيل القبي

إذا ما اجتمعت شفتاي شمرا تكفني امرؤ القيس الشفي
وسلسل ثنوتسيه ابو نواس بالفاقي وجسده البخري
ولكي يكون الشعر عربياً لا بد أن يعبر عن روح الأمة العربية ويحمل في ثناياه رسائلها الحضارية وطموحها الكبير والذي منه يكون طموح الشاعر وهواه :

المجد أعذب ورداً من لي شقة ومن هو الجيد اشبه لي هو الحب
يفسؤ الغداة ولكنني اشألفني يدفع خيل التي في جبهة الشوب
فما أحباء ذوات الخصال من خلفي ولا مقال جين الشعر من ادبي
أرايت طموحا عربياً اشرف من هذا الطموح .. بل إن الشاعر ليذبح أيضاً عن امتنا العربية وعن التراث الأصيل كل الزام التجنيس التي حاولت أن تشكك في أصالتها واقتدارها .

إن التمسك بالتراث لم يكن في يوم من الأيام مهانة ، كما أن الإصالة لم تكن إضماراً لذلك فقد أتى منذ شعاع يعطي في مجموعته هذه الإجابة على الذين أهملوا الإصالة أو قدموا من دونها عليها .. من خلال اهتمامه بقضايانا الكبرى .. يريد أن يعطي الإجابة للذين يحسون بأنهم مثليون خارج حضارتهم العربية .. مطرودون من دوائهم لهم ... وهو يعرف أن عودهم إلى الصحوة ... إلى الطريق ، لن تكون إلا بعودة الأمور إلى أصولها .. كما يقولون - بعودة وفاء الكلمة العربية التي سلخناها عن ماضيها ، فاضننا سحرها ، واضننا من بعدها براءة التجربة .

إننا نصور مثلاً الشاعر دائماً ، والقلم في يده وهو يبحث عن الكلمة التي تنفذ إلى غايته كالرمح كأنه يريد أن يدفع من خلالها - إلى أدب جديد ليبدأي وبين الإصالة ، بعيد عن البول الدنيا ، بعيد عن اليأس ... قريب إلى الأمل ... يشير بالخبر كله . أنا الخليله فله في يده ... فلم شريف يتحرك .. والفتى .. الفن كله - لم يكن في جوهرة من تراثه ذلك التبر الرصين .. والفن .. الفن كله - لم يكن في جوهرة دائماً إلا انتقاء وبحس واختياراً . نعم إن هذا الشكل الفني الجداد الذي ارتداه الشاعر ليعلمه هو الذي ميزه عن الشعراء الآخرين في مدينة حارة ... فاعلموا هويته الأصلية ..

قد يقول لنا القائلون : ولكن هذا الشكل لا يساير السرى الحضاري لحظة والوقف .. لا يساير ركب الحياة اليومية ... لأنه شكل كلاسي قديم فماداً نرد عليهم . أننا نرد - ونحن أسفون - بأن مساهرة الركب التي يقولونها عنها لا تكون بالاتفاق المتعمدة ، جريمة في حق المستقبل قبل أن تكون جريمة في حق الحاضر . ونحن حتى سبوها هذا - ما زلنا نعجب من ذلك الرشح الشعري الذي يصل إلينا وسنظل نعجب ما في ذلك ريب - ما دعنا نقتل الإبداع ونفقد الأصول ..

إن الشعر الآخر الذي نقرأه اليوم ، يمثل الشكل المسطح الذي يتحول إلى أداة من الأدوات بدلاً من أن تتخلصم .. ولأن ما يركب هؤلاء هذه الموجة .. على أن الخلود دائماً للإصالة وحدها .. وللعمل الأدبي الذي يثري الفكر والفن معاً ، نحن في زمن حار فيه الدليل ... وحارت الركب . ولكن ضوء الحقيقة ، ووفاء الكلمة لن تغشى على كل من له عين ترى وإن سمع ... ونختار من أبيات الشاعر قوله :

بأي نعيم تكتب الحق يا قلم وعن أي جرح تأخذ الشجوى يا نغم
قصيدي وترتيلي بكاء وحسرة أبطو شراب في أناء من السقم
يقار علينا ناعمين وجههنا بكاء وترداد لغز قد انصدم
بلادي بلاد الغائين فمسألهما تقسمها دهم الولاد والضم
محتلتنا بين الأنام على السرا كما الراس مرفوع المحل من القدم
وقوله أيضاً :

أزرى بي الشوق أني لست أبديه وفرتني طمحي أن لست أخفيه
وما أداني إلا في مجلسك من الرغائب وبغري في غائيه

حماه - سورة

نزار نجار

الاحساس والنمعة الحسية

بقلم عدنان بن ذريل

واليدوم يميزون في الاحاسيس الخارجية بين ما
حسنته: اللمس المباشر، - وهي الاحاسيس المباشرة
والحرارة والالم والطعوم، وبين الاحاسيس المفردة من
بعد، وليس بواسطة لمس او مماس، وهي التي للبر
والسمع والشم .. وعادة يحولونها الى مفاصلها، وما
يصاحبها من تنبيهات ومنعكسات ..

ويقول الدكتور فاخر عاقل: « كم عدد الحواس
والاحساسات التي يملكها الانسان؟ في التقاليد العلمية ان
الحواس خمس، هي السمع والبصر والشم والذوق
واللمس . لكنه انفتح الان اننا نمتلك من الحواس اكثر
من هذا بكثير، فالجلد مثلا الذي كان ينسب اليه احساس
اللمس يعترف له اليوم بنقل اربعة احساسات هي: الحس
بالالم، والحس بالضغط (الثقل)، والحس بالحرارة،
والحس بالبرودة، وبعة احسان لم يشر اليهما القداني،
جما الاحاس بالوزن، والحس المصلي . وبعة
احساسات اخرى عضوية تعتبر اساسية في الانبساط
المقدرة من الاحاسات كلالاحساس بالجوع، او
المطش، (٢) . ثم يدرسها دراسة سلوكية تجريبية .
والدكتور (يوسف مراد) يعرف الاحساس، من
وجهة نظر تكلمية بأنه احساس بالفارق، فم يمين
مضغيمته، وصلت بالدرجات، ويرى انه من طبيعته مرشح
للمواجهة في النشاط النفسي والادراكي . قال:
الاحساس ... هو الاحساس بالفارق، والاحساس
بالفارق هو ما نسيبه الشعور (٣) .

ثم يقرر الدكتور يوسف مراد انه من العسير العثور
على احساس صرف، او احساس منفصل مملعما يصاحبه
من احساس آخر، او من حشحات وجدانية وادراكية،
ويعرف الاحساس ايضا بأنه: هو ادراك شئتي (٥)
والاستاذ حامد عبد القادر يرى في الاحساس ادراكه
او تعقلا بواسطة الحس، قال: « يقرر علماء النفس ان
اساس العمليات العقلية الادراكية هو الاحساس، او
الادراك الحسي . والادراك الحسي كما يفهم من اسمه
هو فهم او تعقل بواسطة الحواس، كادراك الوان الاشياء
واشكالها واحجامها وابعادها واوضاعها بواسطة البصر،
وادراك الاصوات والنفمات بالسمع، وادراك الطعوم

الاحساس عنصر نفسي بسيط يرد الى الشعور، عن
طريق اعضاء خاصة هي الحواس .. والحواس خمس،
وبواسطتها تنسرب الاحاسيس، وهي متنوعة، متميز
بعضها عن بعض، ومرتبط عادة بحواسها او بالادراك
مباشرة ..

حاسة البصر تقدم للانسان بواسطة العينين اشكال
الاشياء والوانها، وحاسة السمع تقدم له بواسطة
الاذنين الاصوات، والالحن، وحاسة الشم تقدم بواسطة
الانف الروائح، وحاسة الذوق تقدم بواسطة اللسان
الطعوم، وحاسة اللمس تقدم بواسطة اليدين وسائل
اطراف الجسم الخشونة والحرارة والضغط ..

وتدل التجربة على ان فقد الانسان لحاسة من هذه
الحواس، او عطلها عنده ينتج عنهما انتعاش مرضي
لتنسرب الاحاسيس كما تنقلها الحاسة، في الحالة
السوية الى الشعور .. ومع ذلك يمكن للانسان اخلاق
عينية، او سد اذنيه او اتفه، فلا يرى، ولا يسمع، ولا
يشم اذا كان لايرغب في ذلك .

في حين اللوق واللمس عادة ما ترد اليهما احساسين
متنوعة، يتلوقها الانسان في معظم الاحيان بدون ارادة متفاه
او يتلمسها ويحس بها، او يحركها بدون ارادة منه ايضا
فتشتمل لها نفسه او تنال منها .. وقد اضاف المحفلون
اليوم اللغة والالم الى هذه الاحاسيس كاحساسين (١) لهما
مراكز واصناف خاصة، ثم حس الواقع، والذي يميز
المدركات، ويربطها بالواقع نفسه ..

وقد كان القدماء من يونان او عرب يعتبرون ادراك
الزمان والمكان والحركة، احساس مشتركة كما كانوا
يقولون (٢)، وذلك من حيث تعلمهم للحس المشترك كادراك
للاذراك .. في حين يفرق المحفلون اليوم بين حساسية
باطنية، واخرى خارجية، ويدرسون الاحساس ابتداء من
الاحاسيس الحشوية فالحركية فالخارجية ..

الحسية الحشوية للعمليات العضوية داخصل
الجسم، والحساسية الحركية للحركة والانزاع، وتصل
بالمفصلات، ومراكز الانزاع، كالكافصل والتقنات الهلالية
في الاذن، والاحساس فيهما عبارة عن تنبيهات ومنعكسات
... ثم الحسية الخارجية تستقبل التنبيهات من
الحواس وتؤمن الاتصال بالعالم الخارجي، والاحساس فيها
يصير الى ادراك حسي بسيط .

(١) راجع في المعرفة، العدد ١٢، تشرين الاول ١٩٧٢ دراسة
(ادب الوجدان) لعنان يزدليل، حيث التعريف بذهن الاحساسين،
مع دبطها بالوجدان والملاحظة والتعبير عنها .. ص ١٧٨ - ١٩٢ .
(٢) الراي لانسطلانيس، ونجده في التراث العربي .. بالخصوسات
المشتركة هي: الحركة والسكون والعدم والشكل والتقدير، وقد اصعب
اليها الوضع والممارسة والقرب والبعد ..

(٣) علم النفس دراسة التكيف البشري، فاخر عاقل، بيروت
١٩٦٥، ص ١٢٢ .

(٤) مبادئ علم النفس العام، يوسف مراد، مصر ١٩٦٨، ص ٦٥ .
(٥) مبادئ علم النفس العام، السابق الذكر، ص ٦٨ .

بالدوق ، والروائع بالنم ، وملبس الأشياء بالشمس (٦) . ثم يشرح ذلك فيقول : «... أي أن الإدراك الحسي يرتبط عليه ادراك المراتب والموسوعات والدوقسات والشعوبات والموسعات بواسطة الحواس الخمس الظاهرة ، وهي العين ، الأذن ، اللسان ، الأنف ، الجلد (٧) » . ثم يضيف أن التصور ينشأ من الاحساس ، قال : «... ومن الإدراك الحسي ينشأ التصور ، وهو استحضار صور المدركات الحسية عند قبيضتين عن الحواس ، دون التصرف بها بزيادة أو نقصان (٨) » .

ان الاحساس ادراك ذهني لا مرأه في ذلك ، الا ان ربطه بالحسية على اختلاف أنواعها خير من ربطه بالمعطيات الإدراكية... وذلك لان الحسية واقع نفسي ذو مراحل نفسية بدائية لا يمكن اتكارها لها اثرها نفسي الحياة النفسية ، وفي التعبير الأدبي ..
في الحياة النفسية يتصلق بها السلوك الحيائي الاول والبسيط تجاه ما يسمى (٩) باللاثم وغير اللاثم ، والارياح وعدم الارياح له ، كما تتصلق بها احاسيس اللذة والاثم ، فتنتج حولها المواقف لتحيلها الى سلوك حيائي .. وفي التعبير الادبي تتصلق بها ظاهرة (التمتع الحسي) للأحاسيس ، او الحاجات والبول والانتفاعات والمواقف والمعاني والاكتار ، وبمضي هذا التمتع الحسي تمت رمزي ... كما تتصلق بها ظاهرة التمتع الحسي على العموم ، وبمضي ايضا تمت رمزي ..

والذا حولنا دراسة التعبير من الاحاسيس في احوال وصفها او لمتها ، نجد ان الاحساس عادة يترجم حسب انطباعه في الشعور .. ولذلك يطلق على الاحساس عادة نموت ، لتقل جمالية وصفية تصور انفصال الشخص بالاحساس .

فيقال في الصوت انه رباني ، ملائكي ، معجز .. مخلي ، خارق ، ناعم ، حاد ، مخنوق الخ .. كما يقال في اللون انه مشرق ، كئود ، مزيج ، حار ، بارد ، ذو تقل ، معشوب ، وطيب الخ ..

هذه النموت للأحاسيس ليست كلها من نوع واحد ، فبعضها جمالي وصفي عام ، مثل رباني ، ملائكي ، معجز خارق ، او ايضا مشرق ، مزيج ، مزيج .. وبعضها حسي وهو الذي يعمق في هذه الدراسة ، ويقوم على تمت احساس باحساس اخر ، مثل ناعم ، حاد ، مخلي ، مخنوق للصوت ، او معشوب ، حار ، بارد ، ذو تقل ، وطيب اللون .. وقد اقدم علم النفس العام معرفة موضوع كوني ، وهو :

هل من اتصال عضوي بين الحواس ؟
ام ان هذا التمتع الحسي للأحاسيس من فعل الاثران ؟
ام هو من فعل التشبيه ، بنية تقرب الوصف من السامع ؟

ويدل التشريح (١٠) على أن بعض الحواس مثل حاسة اللمس فيها مراكز لاحاسيس عدة لمسة وحرارة وضغطية وحركية ولذة وألم ، وان بعضها الآخر مثل السمع والبصر والشم متصل بهذه المراكز او بعضها ، تتميز الشخصية مثلا او الحرارة ، او الاتجاه ، او التوازن ..

ويقول العالم النفسي جورج ديمبا في مدونته : «... ان نموت الاحاسيس المتعلقة بالاعضاء او المراكز العسية والحرازية والعقلية هي في الواقع مزووجة بالاحاسات البصرية والشمية والذوقية (١١) » .

ناهيك بان حاسة السمع تفتقر بالاحسية الباطنية ، وخاصة الحركية الاتزانية واحاسيسها العقلية المختلفة ... وكيف إذن نفس هذا التمتع الحسي للاحساس ؟ .. ام التمتع الحسي على العموم ، أي الذي لحاجات والبول ، لم المواقف والانتفاعات والمعاني كيف تفسره ؟ .. وهل هما يتاثران بالتكوين ، ام يتاثران من اصطناع التشبيه فسي التعبير ؟

فتحن نقول في الجوع والعطش ، او فسي البئس والجش : جوع عايش ، عطش محرق ، ماء بيل القلب ، رغبة خائفة ، لذة طامعة ، جنس هادم الخ ..

ثم نقول في الانتفاع ، والمالقة ، والمعاني مثلا : غضب مقترس ، يقترس صاحبه ، او يقترس الناس ، حزن يبدد الناس او يفتت اكبادهم ، كمد يبتلع صاحبه او يبتلع صاحب ... او ايضا حنين منمش ، مجد براق ، سمعة نظيفة الخ ..

ان بعض هذه النموت جمالي وصفي مثل غضب مقترس ، او سمعة نظيفة ، في حين بعضها الآخر حسي ، مثل جوع عايش ، عطش محرق ، والتي هي نموت لاحاسيس حشوية ، وليست نموت مجازية ..

بصورة اخرى فإن مجرد شعور الشخص بالعطش ، او الرغبة الجنسية يشعره بالاحتراق او الانهزام .. وذلك بسبب جفاف في الحلق او البطن او بسبب نشاط افرازي موهج للفرد التناسلية ، او مشيط لها ..

كما ان الشعور بالحزن ، والتكد يجعل المرء ينحسر على نفسه ، فيعاني وقع التجربة التي أوجدته وهكذا دواليك !.. لم اليس يذكر المجد مع الاضواء والبريق ، وذكر السمعة الحسنة مع الثوب الغف النظيف !..

فيماذا نفسر إذن هذه الأنواع من النموت ؟ وكيف

(٦) - دراسات في علم النفس الادبي ، حامد عبد القادر ، مصر ١٩٤٨ ، ص ٢١ .

(٧) و (٨) المصدر السابق الاكر ، ص ٢١ و ٢٢ .

(٩) ادب الوجدان السابقة الذكر ، ص ١٨٧ و ١٨٨ .

(١٠) واجيد في معدي يوسف مراد ، وفخر مالح السابق الذكر

شروحا علمية مستفيضة تفصيلية ، وسلوكية متنوعة في ذلك كله ..

(١١) النموت الجديدة في علم النفس ، جورج ديمبا ، باريس ١٩٤٢ ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

نفس استعمال التشبيه فيها ؟ أو على الأقل في بعضها ؟
وما هي حدود الرمز التي للتمت الرمزي فيها ؟ ..

لقد قدمت حلول مختلفة لظاهرة التمثيل الحسي
للإحساس ، أو التمثيل الحسي على العموم ، بما فيه التمثيل
الرمزي ، رأينا من الخيز اصطلا فكرة عنها (١٢) .

ذلك أن علم النفس في عديد من مدارسه ، وخاصة
علم النفس العام دقق في موضوع هذه التمثيلات الحسية
المختلفة ، ورددها إلى عناصر وعوامل تكوينية واقتراحية ..
تقول النظرية المعشوية أن مرد هذه الظاهرة التعبيرية ،
ظاهرة التمثيل الحسية ، وجود وحدة عضوية للحواس ،
أي طبقة مشتركة بين الأحاسيس كلها ، يسميها « قرنة »
الطبقة السينيتية ، وهي على حد قوله : « الحساسية
الواحدة المشتركة التي تختلف ابتداءها من الظواهر التعبيرية ،
في المجالات الحسية المختلفة (١٣) » .

في حين يفسر أصحاب النظرية الصيفية ظاهرة التمثيل
الحسية بوجود إحساس مشترك بين الحواس ، وهو في
نظرم إحساس تركيبي صيني ، إذ نحس أحاسيسنا
ككل ، أي في صيغة تركيبية ، مثل سائر حالات النفسانية .
ويقول « بول فيوم » في كتابه « علم النفس الصيني »
في هذا الإحساس الصيني ، أنه : « بدائي أولي » (١٤) ،
رغم تعدده ، لا يمكننا تحليله ، بل هو أبسط ما يمكن
الرجوع إليه في تحليل المضمون النفسي (١٥) .

وترد النظرية الارتباطية هذه الظاهرة الحسية إلى
اقتراح انغامي بين الأحاسيس ، يحمله المرء في نفسه من
تجارب السابقة ، وخاصة ما يرجع منها إلى طفولته ، فيعبر
عنه تعبيراً مباشراً .

أي أنها لا تعترف لهذه الظاهرة التعبيرية الحسية
بالأساس العضوي ، أو الصيني التركيبي ، وتفسرها من
وجهة نفسية بالافتراق التذكري الذي يمكن تفسيره بما

تفسر به الذاكرة ، من مشابهة أو تضاد وغيرهما ..
التفسير هنا عبارة أخرى نفسية ، بينما النظرة
السابقة جعلت لهذه التمثيل الحسية أساساً تركيبياً ،
أو عضوياً ..

أما التمثيل الحسي على العموم ، والذي يندرج من
المجال المعنوي ، فإن علم النفس العام يمهده فيه اقتراح
الانفعالات مثلاً بالجسم ، أو أيضاً تدخل إحدى الملكات
النفسية في التعبير عن أوضاع الحساسية والوجدان ..
وعلم النفس العام في هذا المجال ينوّه بنظرية لانج ،
وجيمس من وجود إحساسات عضوية ، هي في أساس
تكوين هذه الانفعالات المترتبة بها .. بحيث يكون الشعور
بالانفعال في نظرمها نتيجة هذه التأثيرات العضوية
والوظيفية (١٦) .

وقد رد الكثيرون على هذه النظرية كما هو معروف ،
ورجحوا عكس نتائجها ، بحيث أن فصل الانفعال عن
تمسكاته العضوية والوظيفية هو الأقوم ..

واليوم يترافق البحث العلمي الحديث بوجود ملكة
الرمز ، وهي ملكة من الملكات الكبرى المنظمة للحياة

النفسية .. وقد حل القول بها بالقليل كثيراً من المشاكل
في موضوع هذه التمثيلات الحسية المختلفة .. وغيره ..

والتمت الرمزي في المجال الحسي في تفسير علم
النفس العام يقوم على أساس المشابهة ، وليس على أساس
وحدة التكوين ، أو الاقتراح ..

والفرقة إذن بين تمت حسي حادي ، و تمت حسي
رمزي .. الأول يقوم على اقتراح إحساس بأحاس ، مثل
الأحاسيس الحشوية والمشفية والارتزائية في الأذن ، أو
اللمسية والحرارية والتي للآل في اللمس وغير ذلك كما
رأينا ..

في حين التمثيل الرمزي يقوم على المشابهة ..
والمشابهة هنا في المجال الحسي عمل تخيلي ، وهي تعتبر
الحس الواحد بالنسبة للحس الآخر ميداناً مغايراً له ،
تتمتع له التشبيه الرمزي ..

التمت الرمزي إذن بمثابة هزة وصل بين هذين
الميدانين ، وأدق الالتصاق كل منهما ، مثل هزة الوصل
التي تربط في الرمز بين المستويين التكويني والرمزي ،
الحسوس والمعنوي (١٧) .

هناك بالقليل نموت آلية ، وهندسية كثيراً ما نعت
بها أحاسيسنا تقوم على المشابهة : مثل : صوت تعجيل ،
تألم ، خفيف ، حاد ، أو علم مضيق ، لولي ، في بعض
الشروب ، أو راحة سطحية ، أو خفيفة ، أو مهددة ..

هذه التمثيل رمزية من حيث قبيلها على المشابهة ..
وليس على أساس الوحدة العضوية بين الأحاسيس ، أو
الانفعال التركيبي ، والصيفي ..

وبالنسبة لشئ الأحاسيس التي مررنا بها ، التمثيل
القائمة على أساس المشابهة نموت رمزية ، قولنا : صوت
صاف ، صكر ، مبلل ، ناري ، حاد ، أو لون زئان ، ملتهب ،
تقل ، حار ، بارد ..

وكذلك في المجال الوجداني ، لم الفكري قولنا :
فرح سطحي ، حزن معتم ، بهجة محدودة ، أرادة قولاذية ،
تكرار ، خيال بصير وغيرها مثل دراسة حقيقة ، أو

تحليل مسطح ، نظرة أفاقية ، فهي رمزية تقوم على

(١٢) ومن أراد التوسع براج دراسة جورج ديبا « ملكة الرمز »
في المرجع السابق الذكر ، لم دراستنا في سيكولوجية الرمزية - ٢ ،
مجلة علم النفس المصرية ، مجلد ٢ ، العدد ٢ ، أكتوبر ١٩٦٩ .

(١٣) مجلة علم النفس السوري والفرنسي ، وحدة الحواس لفرنسا
مجلد ٢١ باريس ١٩٢٢ ، وهي موجودة في مكتبة الجامعة المصرية تحت
رقم - ٧ .

(١٤) (١٥) علم النفس الصيني ، بول فيوم ، باريس ١٩٢٧ ، ص
١٦٥ وما بعدها ...

(١٦) ونموها الحسية مثل : متجدد من الرب ، أو مغلق من
الصيق وهكذا دواليك .

(١٧) تعريف (الرمز) كما ناقشه ، والقرنة الجمعية الطليعية
الرئيسية : هو : - الرمز شيء حسي معبر كاشرة إلى شيء معنوي
لا يقع تحت الحواس ، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشئتين
أحيث بها مثيلة الرمز - في سيكولوجية الرمز ، المرجع السابق
الذكر ..

على قدم الرميل

« ذهب الالى صاحبهم
سيف تحدى دهره
يزداد حدا ، بينما
ود الكرام الكابيين
وغزا الشام الكالدين
ماجال جاسده تنكر
مجدته فابى سوى
شلت يديه حصاتي
ومعمر ملك السنين
الى الصعود فوافه
السى تصاليم الحينة

جورج صيدح

باويس

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادبي والاسلوبي ، يحقق هدف المعرفة ، ثم الافصاح عنها
بواسطة اسطعاش التشبيهات والاخلية الرمزية (١٨) ..

ولا فارق بين ان تكون مضامين هذا التعبير الرمزي
اساطير ، او قصصا ، او ايضا خواطر واحلام وطموحات ،
ورؤى للاشياء وغير ذلك ، ما دامت مضامين منوية لجا
الحس ، وايضا الارادة نفسها الى اسطعاش هذه التشبيهات
والاخلية الرمزية للافصاح عنها ، كما نص تعريف الرمز
على ذلك ..

ان ملكة الرمز بتدليلها هذه الصعوبات تصبح قدرة
لتنظيم النفس ، والتكيف مع المجتمع ، فتتفنى عن
الكبت النفسي ، والاجتماعي في المحظورات المباشرة نفسها
كيف تكون الحال اذا اردنا ان نرد مضامين العاتاة
الى جذورها العمودية ، او اللاعمودية في التجربة
الانسانية ..

عدنان بن لويل

دمشق

المشابهة التي ابتعثها الانطباع في الشعور ، مما يفتح
المجال امام التشبيه الرمزي ، والاخلية الرمزية ..
وملكة الرمز ملكة كبرى منظمة للحياة النفسية
والتعبيرية ، وهي تشمل كافة المجالات الحسية والوجدانية
والادراكية ..

انها في مجالي المعرفة ، والتعبير وسيلة حديثة
غير مباشرة ، تدور على نفس مضامين العاتاة فتدركها ،
وتعبر عنها .. فهي في ذلك تدلل صعوبات المعرفة
المباشرة ، وايضا صعوبات التعبير المباشر ..
وكلا النوعين من الصعوبات سببهما طبيعة الحالة
النفسية وموصافاتها ، وايضا مضامينها ووزانها ، والذائق
الاجتماعية التي تحول دون وضوحها او الانصاف عنها ..
ان التعبير المنحصر النجز الذي يلبس لبوس الرمز ،
والرمزية ، بشكل تلقائي او ارادي ، وخاصة في المجال

(١٨) سبق ان نشرنا في مجلة الرمز ، والرمزية بحثا مستفيضة في
الادبي ، والبيروية الفراء ، والادب القاهرية ، ومشق المساء ، والفتنة
وغيرها ..

الشيخ ابراهيم المنذر

نائباً عربياً لبنانياً للترا

بقلم حجاج نويهي

قبل ان أبسط في القول ، علي ان اعلن اني مع معالبي
الاستاذ عبد الله المشوق ، في ان الشيخ ابراهيم المنذر
الفساني الادومة ، وهو الصوت العربي الصرخ قسي
الجلس اللبناني في عهد الانتداب الفرنسي ، ومضى
علي وفاته رحمه الله ٢٥ سنة الا بضعة اشهر ، كان اولي
بان يسمى هذا الكتاب الجديد الجليل طائفة كبيرة من كاره
« حديث ثار » بدلا من « حديث نائب » . والتفصيل بعد .
قبل ١٦ شهرا صدر الجزء الاول من شعر الشيخ
ابراهيم المنذر « منشورات مكتب الدراسات العلمية » في
بيروت ، وكثر التهليل للقائلة الاولى من شعر المنذر لا في
لبنان وحده ، بل ايضا في العالم العربي كله لسببين
كبيرين : اولاً لان الشيخ ابراهيم المنذر تنطوي سيرة حياته
علي ثروة لا حدود لها من الاهتمام بالقومية العربية ،
وهذا راس القائمة ، ومن الادب العربي الصائبي اللبناني
شعرا ونثرا ، ومن اليرؤ في الخطبة الاجتماعية القيمة
المقدمة ولاسيما السياسية ، هذا اني في ليل المنذر له
نفس معظم حياته ، وهو التعليم والتعليب وإنشاء المدارس
وعداية الجيل الى الطريق المستقيم ، ونوف ذلك كله
امراة في الاخلاق الكريمة المترفة بالبرودات الزهيرة .
فالشيخ ابراهيم المنذر بات معروفا في العواصم والحواضر
العربية الى حد بعيد . وهذا هو السبب الاول . ولما
الثاني ، فمن ينكر ان الامة العربية في دورها الحاضر ،
است في التماسك والتعاهد والتعاقب ، امة مترامية ، او
كطبق من نحاس اذا تفرقه اقل نقرة انطلق ريشته من
جميع اطرافه ، اذ هو جسم واحد . فالعرب العاملون
اليوم في القضايا الوطنية على التبع القوم ، باتوا يعرفون
في الانظار الاخرى الدالية والقاسية ، كما يعرفون قسي
بدهم ، من طريق الزمرات والرحلات وبياتل البرامج
التقالية الاداعية والتلفازية والصحف والمجلات والمناقشات
والاقتراحات ، الى غير ذلك من وسائل التقريب والتقارب
حتى كاد العربي تتبع للحوادث اليومية في العالم العربي ،
وتتلو الانباء والقصود والتعليقات ، وامام بصره الصورة
او الرسم ، يعرف الشخصيات ، وان لم يسبق له ان
اجتمع بها ، ويعد ينظره الى الافاق ، وكأنه في طلمسه
هذا ، يردد من مزود اخي الشماخ :

مقالته فاستشره فراجحه . فقلت له انك زبد الزبد .
طال بنا السير نوعا ما ، ونحن نطوف بذكر المنذر
لبنانيا وعربيا ، وعلى ذكر ظهور الجزء الاول من ديوانه
آخر سنة ١٩٧٣ . واني شخصيا اعد نفسي بكل امتزاز
من تلايحه روحيا ، رحمه الله ، وقد تفضلت مجلة
« الاديب » بريد العرب والعروبة ، بان نشرت لي في عدد
ابريل من السنة الماضية مقالا في استاذنا المنذر بيت فيه
صليتي به وانا تلميذ في مدرسة برمانا سنة ١٩١٣ ثم لقائي
به بعد ذلك مرتين اخرا ١٩٣٤ في بيروت .

وانه لن البهج التعش للنفس ، ان نرى اليوم
« الشيخ ابراهيم المنذر » في كتاب « حديث نائب » وايضا
منشورات مكتب الدراسة العلمية بيروت في ٢٩ صفحة ،
جميل الاخراج ، ومطلى بعدة رسوم جميلة ملونة المنذر
في مواقف مختلفة ، وهذا الكتاب يمتاز بصفتين بارزتين ،
الاولى : انه ليس كتاب مذكرات ولكنه جاوز في محتواه
كتب المذكرات المعتادة ، اذ هو المختار من آثار المنذر ،
واكاره هذه هي ما نشره في الصحف العربية في لبنان
وسوريا والمهاجر من مقالات وطيعة كشافة ، سارخة بالحق ،
مبدوءة بسنة ١٩١٨ وتنتهي بسنة ١٩٤٣ وفي اخر هذه
السنة بدأ لبنان يتخض مخاضه العلوم ليستل استقلاله
وزرع رايته . وروفي المنذر بيد ان اكتسبت عينه باجلاء
تلك الراية ما يقرب من سبع سنين ، فيكون نضاله المطرد
من اوائل هذا القرن الى منتصفه قد تكمل بظفر الجاهد ،
والاذان راسه باقيل الفار فز من الخالدون ومن الكرمين
في النعيم والصفوة الثانية آتة يسود لنا عهد الانتداب تصويرا
دقيقا .

فجنات ابتكاره ، او نقاش صدره ، او بث ابتنه
وشكواه ، كل هذا هو القسم الاول من محتوى الكتاب .
ولما القسم الثاني فهو خطية في البرلمان اللبناني ،
والانتداب الفرنسي يمتص البلاد وتارة يجزئها ويقسمها ،
وطورا يعود (في سوريا) فيجمعها ويعين عليها . واني
اعتقد ان اولادنا واحفادنا ومن ياتي بعدهم ، هؤلاء هم
الذين سيكتبون تاريخ الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان
وتاريخ الانتداب البريطاني المنتهي باسرائيل في فلسطين ،
اما الان قلم يدخل البردال بعد على مادة هذا التاريخ .
هذا الانتداب الفرنسي في لبنان جمل بطارد الشيخ
ابراهيم المنذر من اول يوم . فكان المنذر قاضيا في المحكمة
فاخرجه الانتداب من الوظيفة .

وحايق الانتداب المنذر فاضطر ان يرسل الى حبس ،
ثم قاد فصارت الامة ترشحه التالية من « نضال »
والانتداب يعارضه ويملا طريقه الى النيابة بالشوك
والعليق ، ولكن في كل مرة يفوز المنذر وانف الانتداب
راغم ، ولما تعلم قضية مثل هذه في غير مكان . وعليشا
الا ننسى ان فوز المنذر كل مرة كان يضاهف ثقة الامة به ،

والاستدباب يعالج حينئذ المقنوع فيها الحصر .

هذه الخطبة التيممالية من ١٩٢٢ إلى نهاية النشوء :
من الخير التراث والجبل العاشر الصاعد أنها كلها محفوظة
مدونة ، فما اعظم هذه البركة .

نأسي الآن إلى القلمة البارعة للاديب الكبير ،
والصحافي الشهير والوزير في عهد الاستقلال ، الاستاذ
عبد الله المشوق . فمقدمته للكتاب في اقل من خمس
صفحات ولكنها مشحونة بالتيقنين ، والياب حسوا .
ويلوح لي ان الاستاذ المشوق ، وهو قسطاس حق وميزان
عدل ، لما جاء يضع القلمة ، رأى ان النذر من التلدين
والنثرين ، واسم كتابه الجليل بعض آثاره وماثره ، ينبغي
ان توافق الصفة فيه الموصوف ، واسم الكتاب « حديث
نائب » لا يفي بهذه الغاية ، فقال في هذا الصدد (ص ٨)
مبن المقدمة :

« و » حديث نائب « ليس في نظري التواضع
إستوان الذي كنت اختاره لهذا الكتاب ، بل كنت اطلق
عليه عنوان « حديث ثائر » . فالشيخ ابراهيم المتلذذ زعيم
ثورة علمة ، حملت السياسة ، والادب ، والترزية ،
والصحافة والاجتماع . وما كالت النيابة من الشعب
وقد نالها بندوق لا مثيل له ، ولم تكلفه اكثر من ربع ليرة
لبنانية ثمن الطابع - سوى مظهر من مظاهر تضال الطويل
والغيد خلال نصف قرن .

ارأيت اجمل من هذا الكلام ؟ ولذلك لم استطع
ان اصبر حتى اصل الى هنا في هذا القول ، فاملت في اول
ققرة من كلامي الي مع الاستاذ العايل المشوق في ان
« حديث ثائر » كان اولي . ولكن مهما يكن من امر في
تسمية الكتاب ، فالقارئ وهو يقرأ ويتأمل من موقف الى
موقف ، ويرافق المتلذذ في ساعاته وابانه لا يلبث ان
يقول انه مرافق لثائر ، فكان اختيار الاستاذ المشوق
« لحديث ثائر » قد لم اذرة الثورة النذر ، قلعة في حياته ،
مدونة في سجل البرلمان وصفحات الصحف قبل ان يصدر
هذا الكتاب لثائر اليوم .

من العوامل التي تحرك النفس ، وتبعث على ان تنزع
المتاع الشرقة النبيلة ، في هذا الكتاب « روح » النذر .

فان « الروح » لا تنتهي رسالتها في الدنيا بمجرد انفصالها
عن البدن . فالثائر الروح يتجلى ، وإذا كانت مدونة مكتوبة ،
فمنذما نطالع شيئاً من هذه الآثار المدونة للروح ، فأننا
نشعر بذلك وكأننا نركب وأنت تطالع كتابات هذا الثائر
في الشؤون الوطنية المختلفة . روحه تتكلم ، أفكاره هي
الناتقة . فتحياتك مع النذر ، وهو يحيا معك . وأما
لسانه ، إحدى جوارحه ، فسكت من حيث بدأت الروح
تتكلم .

ولا يمكن ان نقيم أي ميزان للمادة المدونة ، التي
يقع عليها النظر ، وتدخل في باب المطالعة ، في العالم كله ،
وفي أي لغة ولسان ، مما لم تنطوق أسلوب الكلام . واسلوب
النذر في مطلق كلامه ، السموع وقت حياته ، والقرود
بعد مماته ، أسلوب مدب أسر ، والأسلوب لا يقبل
الصنعة والخرف ، فهو الجبل والسجية والقريرة التي
فطرها القاطر في الانسان . والذين يتصنعون الاسلوب في
الكتابة ، انما هم حواة ومن مرقصي السعادين . اذن ،
النذر ، خلوده يروح واسلوبه .

لا يتسع لسي الجبال فوق ما هو نصيبني
هنا ، ان اكلم عن حسنات حديث « الثائر »
كلها وإنما آخذ قضية واحدة ورد ذكرها في خطب النذر
في المجلس النيابي وفي الصحف ، وهي اللغة العربية ،
ومتعلمها ، وقيمتها وأنها هي الأمة التي تنطق بها ، لا اقل من
عشرين مرة بل اكثر . وتناول الجرائد الرسمية في سوريا
ولبنان وراخ يتمنى لو ان هذه الصحف يتولى امرها ارباب
الكفايات السيق مثل منير المدر ، وشيلسي ملاط ،
ومصطفى الفلايبي وطائوس مبد ، وهذا التمني كان
سنة ١٩٢١ . وفي النذر يهدد ، وهو جهد عظيم فسي
صدد جميع علمي لبناني ، واللغة كل اللغة ان تقرأ فسي
لفقون ذلك آراء بعض العلماء كالاستاذ حبيب الحسي
والاستاذ اسامع النشاشيبي وغيرهما .

وحسبي ان اذكر للقارئ الكريم بعض المسائل التي
عالجها النذر في الصحف والمجلس النيابي وخطبه العامة :
احياء ذكرى الشهداء . دار الكتب الوطنية . تتكينة
على اول ايلول ١٩٢٠ . وقد جعل عيد استقلال لبنان . ان
تكون العربية لغة المعاملات الرسمية الا مع الفوضوية
الفرنسية . الموظفين اللبنانيون يجهلون الكتابة العربية
الصحيحة . تصحيح افلاط الكتاب والصحف . التشيد
الوطني (١٩٢٢) . العلم اللبناني . الفاء المادة ٦ و ٦ مكرر .
تشاغل المهجرين . المعارف والمدارس . النذر حي ينشأ
جيلا فجلا الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين . رجال التراث قد يكونون في الاجداث . ولكن
ارواحهم من فوق رؤوسنا تهدينا سواء السبيل .

عجاج تويهاش

راس للث - لبنان

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

الشاعر :

ثم ، فبأنه من كنه لستره من عيون بني البشر
وحقيقة جلي توارث بين أحلام العكس
من الت لا تدري ا وهوليا نفس من يدري الخير
سر تلعب بالقوى وما استقر على السر
غير التحول ذوي العقول وما دروا اين القدر
فتكلمي يا نفس واروي للغواصير ما استتر

النفس :

لحياة النفس اسرار تولاها الخلفه
فورها يسيره احمل التمسى والحكمه
انا ذات له تريت بزة التمسوت عمدا
وكيف قد تدلى من نظام الكسوف قصدا

مسودة ... مثل ا صلفتي الاولى تساميا
وسلكت الدرب اطويه ولا ادري الى ما
فلانا ما عدت يوما كان للبيت مساري
واتا للحق اسمي ا وعلى الحق امتياري

الشاعر :

لم جئت ذي الدنيا وليها الشر يا نفس استتر
لا المظلم يظلم في الممدود ولا السلاويك الزهر
تقناينا ايندي الشقاء الى الحاجر المتلصق
في عالم ما زالت الادواء فيه تستمر
خيل الكبار جراحهم ومشي الصغار على الاتي
تتناوبون لدى المخرج الواجب صوت البير

النفس :

جئت كيما تتر الحبيب يذوقا التوسام
لبيت الامن وطيبا تحت الياء السلام
استلي من كوار الوحي رحيلنا سردينا
يمت الايمان في الأزواج فيكسا ايندينا
تسعة من مسودة المبدع منذ اليد كنت
وستي من نوره الاسمى سبيلي ما حيت
استمد الوحي منه في ابتهااتي وحلفي
واتاجبه خيالا قد سما من كل علم

الشاعر :

سابت قنوتن الناس في زمن به لقد الحزور
لا فيه من ميثى يلعب ولا هنيه يستمر
لا الليل يقيه الصباح اذا اداهم ولا السحر
والتي يلعب بالنفوس كما بها لعب السكر

النفس :

انا ذات قد يراها الله من نود ونسار
فكيتي كان منه وبه كل التمساري
قد تيريت امتيالا من جشان الخلد اصلا

من انت ؟

فبالق جيبود

الان جيتين

والتبت الدهر لا أرض إلا الدهر وصل

فسادتي لثواني لثني الدنيا بها أرحمني ذاتي
من قلوب التفت مسيري ومعت مشراني
فسادتي أسمى لصحوي ذاتي الحق عليه
سأوالي السر علي اعندي يومها اليه

الشاعر :

هل صبح ما قال للعري ، يوم ساوره الفجر
« هذا جناء أبي علي » أجلا لذنب يقتل
حق الحياة لما بها من مر أوصاف وشعر
جهد الآبوة - إيسن ذا ما به الأولى تدر
أين الجنابة من أب دام الهناء وما قبر
وليد البشع فاختلسوا أربما وما نال الوطر

التنقيس :

إن اتقى الناس أذاعهم فكل لله أسره
واقتار ما قال يوما نومة شيخ للمرء
كل ما قد قيل من ذا هدسا إلا ما يتجلى
هو نعمين وهجس صالته متى الخليل
يا لعرب جئت أظفرك فليار ولذليل
فسر التسلو حصاه وأحاطته الشفاد
أما لعرب يسعد وله أيضا نهاه
فألا ما كان مسيري من هنئ تلك الهداية

الشاعر :

يوم الحصاب وابن ذا عفا به الباري السر
هل تصعب الأخبار حينا عنه يا نفس أشبه
أين الهداية بالكتاب إذا الفل فل بنا أسير
هل يستحيل الظلم فنادرا ؛ به الهول الترن
فيحول حال النفس من مسافر يؤول إلى سقر
أين الحنان الآن يغفل وقد به السم الأيسر

التنقيس :

رحمة الله فسمات نعمة من أن يسارى
وحسن الله أوفى راقية من أن يجارى
ما الردي نلقاه غلبوا بين تحاب وميسره
أروحي الحق حاشا النفس أن تبلغ مسره
أنا لولا هيكلي ما كنت في الدنيا أسره
أثوى في حنايا الصدر استعسلي مسره
وأعاني من قيود الجسم أوصابا رجيه
فألا ما كنت قيمي كنت من جسمي غريبه

الشاعر :

فلأوا الماظيلة لا أرى أنا للماظيلة من السر
نمت النيمه حيثما نمار الرذيلة لتسر
والعاق قد ولى القلوب بما أقبل وما أفر

والشجرة الجوفاء بين الناس كم أعت بصير
والحق أين الحق ! لا سمع هناك ولا نظر
« فتعلمي يا نكي وأروي القواطر ما استر »

التنقيس :

طال بي السدب وظالت فيه إسام الفترابي
فمتى وأقول شوقي للحصى ، أرجو إياي
أنا أسمى دون لأي أجنسى الصحو الطويل
عطني إن حسان حيتي لثواني التي سيالي
يا ليوم فيه ألقى ، ما أنا التمسده
نحنن ما نزرعه اليوم فدا لحبيده
سامني الشوق هدايا ، أنا لا أوى عليه
ولكم أبني التسلوا ، أبدا أصبو اليه

الشاعر :

أين للعصر إذا فدا ، ما حان للنفس السار
ومعت على من الأثر ، كآتها طيف مسير
إن كان أرحمها الفنى ، هل لم من يجلو الكدر
أو كان أجهنما ... ، هل ... يتنقصر
أو راح يشكها التوى هل لم يسلم آخر
فكر بها حار الانمام وما لها عقل مسير

التنقيس :

ليس غير التكون إن ندرى سوى لآله نور
وحياة إيسن متبا غصة العيش الرير
ياب هيتي يبعد لأي راحة أصبو اليها
فصاح عذري في حياتي ، وأنا أبكي عليها

أنا أن أسمى بشبه النسا أسمى لداكا
عطني ألقى نصيبي في حبي الظلم هناك
هكذا أرتاح يوما من عتاه وشكاه
مقلبا التال جسي فوق اسمال التله

أنا ومسر ... يرغمني الشو

في اليه على جناح الأتسر

عنصري ليس من عناصر هذا

الكون كلا وما اليها مصيري

من جنان العاقد قد جئت يوما

السل الذات من وحول الفرد

وسلقت أذنّي أفر من النسي

وعسلي في خاليات الصدور

أدفع أكل بالحية واليفساء

بالحلم والسلام الأثير

غاية النفس في الحياة نوال

الهندي - يبعد الفسائل - بالتفكير

فائق جود

الأرجنتين

التسامح الديني وصيغة التسامح

في الشعر العربي الحديث

بقلم الدكتور صالح جواد الطعنة

يحمل التاريخ العربي الاسلامي باثلة جمة تمثل على ما تميز به العربي المسلم من ميل الى التسامح وتجاوز الفروقات الدينية في التعامل مع ابناء القوميات والاديان الاخرى ، كما تبين نهج مدد غير قليل من الحكام في الاستمالة بالمسيحيين واليهود في مجالات ادارية وعلمية مهمة . ولنا نريد من ذلك اضعاف صفة مثالية على طبيعة العلاقات بين الاديان في الاطار العربي الاسلامي ومثالية العلاقات كانت ولا تزال حلما طويلا . اذ ان هنالك - بلا ريب - جوانب سلبية في سياسة بعض الحكام تجاه رعاياهم اعربا كانوا ام غير عرب ، مسلمين ام غير مسلمين ، قبيروا ان الجوانب ايجابية في علاقات المسلمين مع المواطنين المسيحيين واليهود بلغت من اكثره حدا يبرر لنا اتخاذها دلالة على التسامح العربي خاصة اذا قورنت بطبيعة العلاقات بين الاديان في النطاق الغربي خلال العصور الوسطى . وقد اعترف بذلك عدد غير قليل من كتاب الغرب انفسهم مسيحيين كانوا ام يهودا (١) .

واذا انتقلنا الى الفترة الحديثة لنبينا محاولات جادة لتجاوز الفروقات الدينية في بناء المجتمع العربي ، واقامة العلاقات بين ابناء الاديان المختلفة على اساس من المساواة والعدل ، وكان الشعراء في طليعة الدعاة الى التسامح والتآخي منطلقين من مفاهيم متباينة تلهمهم لى مساهم ، كمفهومهم للدين الاسلامي الذي يحث على احترام الاديان السابوية وحقوق اتباعها .

ومما لا شك فيه ان الادب المهجري اسهم اساهاما فعلا في ابراز فكرة التآخي الديني والتسامح كما تشهد بذلك كتابات جبران وميخائيل نعيمة وامين الريحاني (٢) وغيرهم . ولكنه لم يكن السياق او الوحيد في هذا المضار فقد ظهرت بوادر عكس الفكرة ذلها قبل بلور الادب المهجري كما نلاحظ ذلك في كتابات فرنسيس مراثس (١٨٢٦ - ١٨٧٢) ، وشعر شوقي ، كما اننا نجسده صفاها في شعر شعراء آخرين لم يتأثروا بالرأفد المهجري ، وحسبنا ان نشهد في هذا السياق بقول شوقي من قصيدته « الدستور العثماني » التي قالها عام ١٩٠٨ (٣) :
الدين لله من شبه الله هدى كل نفس هو في الدين داعيا
ما كان مختلف الاديان داعية الى اختلاف البرايا فواعيا

الكتب والرسول والاديان فاطية عزائي الحكمة الكبرى لوانها
تجنية الله اعتقل في استعصا وخشية الله من في مانيها
وكل خير يلقى في اموها وكل شر يلقى في مانيها
تسمع النفس معنى من مروها بل السودة في اسي مانيها
وكان من الوسائل التي اكدت فكرة التآخي في الشعر ما يمكن تسميته « الصيغة الثلاثية » Triangular motif التي تجمع الاديان الثلاثة بالاشارة الى اسمائها ، او رسلها « موسى وعيسى ومحمد » او كتبها المقدسة « التوراة والانجيل والقرآن » او ممثلها من رجال الدين « الحاخام ، القسيس ، الامام (او الشيخ) » او معابدها « الكنيس - الكنيسة - الجامع » . ومن يدرس الشعر الحديث الذي قيل قبل تفاهم الخطر الصهيوني ، - حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية - يلاحظ لونا من الافتتان بهذه الصيغة ، لابرار فكرة التآخي الديني ، او الدعوة الى التسامح والتآلف ، وقد اتيح لي خلال قياسي باعداد دراسة عن « صورة اليهودي في الادب العربي الحديث قبل خلط اسرائيل » (٤) ان افق على مجموعة من الامثلة التي تشير الى ذبوع الفكرة والصيغة في الشعر التقليدي او الكلاسيكي الجديد كالتماذج التالية :-

قال شوقي مخاطبا الخليفة العثماني محمد رشاد :
حفل الصليب اليك من قتيانه جنبا وقائل دولته الحاخام
ولحافظ ابراهيم في « عيد الدستور العثماني » قوله :
تحالف في شل الهال امامه وحافظه عيده الخلال سواه
ومن قصيدته في شؤون مصر السياسية مخاطبا اسماعيل صديقي :
وما عليك اليه في حبرائه الشيخ والقيس والحاخام (٥)
وله قوله في منيح السلطان عبد الحميد (٦) :
يرى اوسى والسبيح واحمد حق البلاء وحرمة الاديان
فكفوا المواتل واليهود على هدى التوراة والانجيل والقرآن
وتتسع الصنعة قليلا لتضم الشرق باضالة البوذية
في قصيدته « نحية الشام » التي قالها في دمشق صام ١٩٢٦ :

من طمع الغرب فيه غير وستان
كبرية الهاء في الله الحاخام
لا فرق ما بين يولي يمشي به وسلم ويهودي ونمراني (٧)
ومن سوريا للشاعر البحالة خير الدين الزركلي :
يغر فينا مشر مشر هسم على الحق والانسان قد يتصر
دع الناس لا تبغ الذين يهودا بشر لا تبغ الذين تصفروا
محبب لاسم الناس ابناء واحد بارهم دين وجنس ونصر (٨)

A.S. Tritton. The Caliphs and their non-Muslim Subjects. London : 1930

(١) انظر مثلا : وقد ترجمه الى العربية حسن جشي بعنوان :
اهل الامة في الاسلام ٢ القاهرة : ١٩٧٧ .
James Kritzeck Sons of Abraham. Baltimore. 1963
A.J.Arberry. ed. Religions in the Middle East .
Vol.I Cambridge : 1960 pp. 110-225 . 230-298
Merlin Swartz. «The Position of Jews in Arab Lands following the Rise of Islam .» Muslim World .
60 (1970) : 84

ويقفد مؤلف في الأثر عام ١٩١٦. يشارك فيسكو
ممثلون من مختلف الطوائف من مسلمين ومسيحيين ويهود
فيجد فيه عدد من الشعراء مطلقاً لترداد الدعوة إلى
التآخي ، وتجاوز تباين الأديان ، كما يوضح ذلك ما قاله
محمد عبد الرزاق (١٠) :
ان في الأثر الشريف رسالة جلتها الحق ناصع الزهوان
من كحول وإتية وشيوخ ورجال من خيرة الشبان
ويهود ومسلمين وقيس لم يفرهم تباين الأديان
فلما دبر التنايد والحسد وشكر السداد والفساد
ربطهم بحرى الوفاء فاصبحوا في وفاء فاصبح والدماني
وقالوا في حب مصر فاحيا اهل البائس هذا التناهي
ونحو المنحى ذاته شاعر قبطني « عرض وأصف » في
قوله مثبيرا إلى مصر :
ابتأها السبع واحمد والتوسوي وليس ثم دخل
لا فرق بين العالين وارضهم وطن وحيد والجميع سليل (١١)
وفي العراق تردد الدعوة إلى توحيد الصف بعد
تأسيس الحكم الوطني ، وتلمس مصادها في الأمثال
التالية :

(١) لاحظ قول الرضائي المشهور « كانا ندين بدين التوحيد ، كنا
نوحى الله ولا لربح في التباينة إلى سواء » نحن أبناء الأديان التوحيدية
وما موسى وعيسى ومحمد في دين الله الواحد « فلا كان التباين
واحدا ولما كانا واحدا ولاننا في سبيلها وحياتها وصحابها واحدة »
« مصالحتنا السياسية كلها واحدة » فلا ينبغي أن يكون الوطن كلنا
واحدا فردا لا تقسم فيه ولا تجزأ (١٢) كتابه : التآخي والأصلاح : ٢٥
بيروت : ١٩٥٠ ص ٨٥ وقول جبران « احبك ساجدا في جامك » وربما
في حيكك » ومعلنا في كنيشتك » « الجمعية القاتلة بيروت : ١٩٦١
ص ٢٢٧ .

(٢) التوثيق : القاهرة : ط ١ : ٢٨٩/١ .
(٣) البيت الدائري في حلقة البيت في جامعة تكساس (لار
١٩٥٥) من صورة العربي وصورة اليهودي في الأديان اليهودي والعربي .
(٤) الديوان : القاهرة : ١٩٤٠ ٢/٢ .
(٥) المصدر نفسه ص ٩٧ .
(٦) كامل جمة : حقائق إبراهيم ما له وما عليه ط ٢ : القاهرة :
١٩٦١ ص ١٦١ .
(٧) الديوان ١٩٤١ - ٩٥ .
(٨) عمر دقاك : الاتجاه القومي في الشعر المعاصر : القاهرة : ١٩٦١
ص ١٤٨ .

(٩) سعد الدين الجيزاوي : أصداء الدين في الشعر الحديث
القاهرة : ط ١ : ص ٢٦٩ .
(١٠) أحمد محمد الخولي : التراث الروحي والشعر الحديث
القاهرة : ١٩٦٥ ص ١٤ .
(١١) د. فالح يثي : الأدب المصري في العراق العربي : القاهرة :
١٩٢٢ .
(١٢) المصدر نفسه ٢٩/١ - ١١/٢ . ويتعلق الشاعر في موقع
آخر إلى وحدة تشمل الأديان من غير تفرقة أو تمييز (المصدر نفسه
١٢٧/١) .

(١٣) ديوان الزهاوي بيروت : ١٩٧٢ ٢٠٩١١ .
(١٤) المصدر نفسه ٢١/١ .
(١٥) المصدر نفسه ١٥٩/١ .
(١٦) المصدر نفسه ٦٩/١ .
(١٧) مائل ناجي - الزهاوي وديوانه النقود القاهرة : ١٩٦٢ ص ١٢ .
(١٨) ديوان الشبيبي - القاهرة : ١٩٤٠ ص ١١ .

يقول كاظم الدجيلي :

أرى النتج باسم الاتفاق معقلا
وكل حقوق في البراق مريحه
فواجب هذا النظر أصبح شاملا
ولجأ إلى الصيغة ذاتها في معرض استنكاره التفرقة
الدينية وما سببه للشرق من سفك وتدهور :
لستم من الهكم وكسلا
فانكروا التباين الذي مبسود
ان نجوا منكم فهم مسمدا
من نصارى ومسلمين وعود (١٣)
ولجليل عدني الزهاوي (١٨٨٢ - ١٩٦٢) عدة
مواقف يشيد فيها بالتآخي الثلاثي ، أو غروره لأزدهار
العراق ، كقوله في قصيدته « المروية » :

في تجمع الأديان في المروية
وسلك كسل العالين سبيلا
كانهم في العيش أبناء أسرة
بمسند منكم كانت
مضى النصارى واليهود
في وحدة عربية
اسم قد التفتت جروح
ولقد صعدنا على
تشي سادات الشعوب
لا غير في شيب يعيش
وقوله :

يكون العراق جنه لوم
وحدة الشعب احكامها لوم
من نصارى ومسلمين وهود
وفي وقتها منذ المستنصرية مستفيدا سالف مجدها :
تنت يسيوع كلمة لاسمي
اقتصدوا بالقرآن فالتعمود
وقوله في وثائق الملك فيصل الأول :

فيصل قد لقي في كل بيت بالفرنسي
بعد ان بلغ الرسالة بالحق كما يفعل
فيكاه الفرنسيان حزننا عليه وبكاه الثورة والانجيل (١٤)
وبستعمل هذه الصيغة الثلاثية في سياق مختلف
يرى فيه الناس متعادين في خلاصهم بالرغم مما انطوت عليه
الأديان من خير وهداية :

ما أراد القرآن الا هداهم
الراهم نايوا إلى الردء لا
ومحمد رشا الشبيبي يصرح بما سنته الديانات من
سنة لهداية الناس ، ونهج يخفف البلاد عنهم قائلا :
لهم ان مثل الشارحين يبدلونه الشيع اشراروا والرم خيرا
يسترون سهلا للهداية واصفا ونهجنا تخليق الإله لومنا
إلى خلف اليسوى (محمد) هاديا (وعيسى) (دوس) (دانيا) وحيطلا
هذه نماذج محدودة مما يحتل به الشعر الحديث
من أمثلة كثيرة تكشف عما يشم به العربي من نزوع
إلى التسامح والتفتح ، وتوضع ظاهرة استعمال « الصيغة
الثلاثية » كوسيلة للإشادة بالتآخي الديني ، والدعوة إلى
المساواة بين أبناء الأديان المختلفة .

جامعة أنديانا - الولايات المتحدة صالح جواد الظمة

منه ، وكانت الأرقام تبدو لي كأنها
تحتاج -تتطلب- رقبتين . وما أنا إلا
مفسر لها . كلا لذا الاضطراب ؟
التي كلام نسيبي في سلة الهملات ،
وإن الله يحب المحسنين .

على أن فكرة الشر الغلب دائما من
فكرة الخير ، فما كنت أقرر البقاء
على ما أنا عليه حتى عدلت نفسي ،
أو شيء أشبه ما يكون بنفسي ؛
لتقول لي :

— قد تكون الخسارة ملء محلك
التجاري ، وانت لاه ، ولست بأول
تاجر يخدع ، والمثل الدارج يقول
« من تصف الطريق ولا من آخره » .
عليك بالتقويم فإنه من سنن التجارة ،
الم تر أن بعض الجرائد والمجلات
تصدر في «أواخر السنوات تقاويم ؟

واسعفتني الحظ ، فذكرت اسم
ضديق لي أحرز شهادة « مسك
الدفاتر » منذ مدة قريبة ، لي عليه
دالة يرجع عهدا إلى أيام كنت
صحافيا .. وفتحت رقم الهاتف على
مكتبه ، وعرضت عليه القضية ، فلم
يتحيب ظني به ، وعين النهار الذي
يبدأ انتاده بعملية التقويم ، واستبشر
خيرا بمستقبله ، قلنا -كما افادني-
أول من يستفحه في حرفته .

واما كنت أقال المحل للسبب المذكور
وقدم الرجل - ماسك الدفاتر -
فطلب عدة أقلام : كل قلم له لون
يختلف عن رفيقه ، ودفاتر مخصصة
منها المريض الطويل الذي تحار أين
تضع منها ، وما يمكن دمه في جيب
الصدارة ، ومماحي منها القاسية التي
لا تقضمها اللازمة ومنها الرخمة التي
تلوني بين أصابعك كالعجين .
وكنت أامله هذه الأشياء التي
كلفتني مبلغا كبيرا من المال .
واستعمل عمله .

فكان يسألني عن لبن الطنجرة مثلا
فأجيبه فيسترخه أو يستقله ، ثم
يكب على أحد الدفاتر ، يضع رقما
أو أكثر ، ثم يمود فيسألني عن
راسمالي قديما وعن ديوني وعن
امتعتي وعن لون حلالي وعن عمري

قلبت شغتي استغرابا إذ كان
السؤال قبيحا ، فخذتني إلى نسيبي
ومساته :

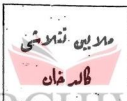
— أي تقويم تعني

فأجاب :

— من واجبات التاجر أن يحسب
في آخر السنة ، ما له وما عليه ، فإن
كان قد ربح وانظب على العمل ، والا
أخذ الاحتياطات اللازمة لتعويض
الخسارة .

قلت :

— هذه بدعة جديدة ، لم يخبرني
منها مخبر ، ما أصغى لنتي حين
ظننت أن التجارة سهلة . ويستدل
من كلامك أن فيها مشاكل كثيرا من
الأعمال



بقلم الياس قنصل

لم خلوت إلى نفسي ، قلت :
— أليكون نسيبي صادقا ؟ الربح
والخسارة وهل يمكن أن أخسر مع
أني اشتغل النهار كله ؟ وكيف يتسنى
لي تمييز الخسارة من الربح إذا
أجريت التقويم الذي أوصاني به ؟
بل كيف أجري التقويم ؟ لا أتر أنسي
عملتي في مدرسة متائرة ، وكنت
أذكر التلامذة فيها غير أن ذكالي كان
يتناول كل بند من العلوم ما عدا
الحساب ، إذ كنت أكرهه ، وأهرب



اجمعت القوانين المسدنة على أن
« الجريمة التي يرتكبها المزدحم »
جزاءها أخف من جزاء الجريمة التي
يبدم عليها « عن سابق قصد
وتصميم » . فإذا كان هذا ، فوطئنا
للعادلة وجب أن يكون قصاصي على
تمامي التجارة ، من النوع الذي
يطير أن تفتح فيه فقد خضت
غمراتها دون أن تخطر لي بالي قبل
ذلك ، أو بمباراة أوضع أغمضت جفني
والأدب حرفتي ، لم فتحتهما فإذا أنا
تاجر .

إن لتفاصيل هذه الامجورة مجالا
غير هذا وأنا أقتصر الآن على سرد
جاذبة واحدة من الحوادث التي جزت
ممي . وفيها لن يشاء عبرة .
إن الطبل الوصف فقد ملأت المكان
بالغرف والراج والفخر وشرعت
أعمل ما يقبله زملائي : اشتجري
بخمسة وأبيع خمسة أو بخمسة ونصف
أو بالقيمة التي يدفعها الراغب ،
وكنت هاتبا بهذا التبادل ، اعتبرت
نفسي مسمارا صغيرا في الآلة الجبارة
التي تحرك دولاب الحسارة والممران
ولكن الناس - والناس أصل القبل
التي يعانها الناس - لا يتوكلون أحدا
متسرلا بقميص الهناء ، بل يتوكلون
أن يرشدوه إلى أن كم القمصين مجهد
أو أن الزر مخلخل ، فيعد هذا
« الإحد » إلى خلعها ، وإصلاح ما فيها
من النقص ، ومتى خلعها فقد فشل
السيبل إلى لبسها ثانية ، وأصبح
كائن المخلوقات ، يبحث عن السعادة
وهي بين يديه .

فأراني نسيب من داخل البلاد ،
وما نفش كله من تحتي حتى رنا إلى
ما في الدكان من البشاعة المتوردة هنا
وهناك ، وقال :

— ما هي المدة التي مرت عليك
وإنت تاجر ؟

فأجبت :

— أكثر من ستة

فقال :

— وهل أجريت تقويماتك فتمتددر
الربح ؟

هي والتمثال

« كنت مشغولاً بالتطلع الى تمثال جميل لسيدة جميلة مقام في حديقة الطوبانياس
بالاسكندرية حينما جلبت ثلثة حسنة وولفت بجوار التمثال وكلها تقول لي ... »

شتان بين جمالها وجمالي
ولذا احل الليل سحر دلالي
الها غلوبة دنوتي وسؤالي
اترى نفسانها على الصلصال
نور الحقيقة قانع بغيال
صنما ولا تطلبه من مثال
مهما يحاول ، صانع التمثال

انظر السي وديعة التمثال
انها اذا طلع الصباح وضاهي
الها حناني اذا بث عواظي
هذي الحياة بسحرها وفوتوها
ما انت الا مقفص عينيك عن
هذا الجمال الحي لا تعمل به
فالروح سر الحسن لن يرقى له

عبد العظيم القباني

الاسكندرية

وعن غير ذلك ، ويدونه كل في الدفتي .
وكان كل خمس دقائق تقريبا ،
يطلب فترة استراحة تدوم من نصف
الساعة الى الساعة يرتشف فيها
القوة او الشاي او ما اقمعه له من
الرطبات والحلويات . وهل يستسي
عدم تكريمه وجباتي المالية بين يديه ؟
وانتهى من عمله ، في الدكان ، بعد
اسبوعين ، فاخبرني انه محتاج الى
رخصة متواصلة شهرا كاملا ليستطيع
ان يصني الحساب ويطلعني على
خلائسته .

وليت انتظر افول الشهر على اخر
من الجبر ، وانا اصلي واصوم لكي
تثبت البركة في الحساب .
والله - الخالق الادبان - كرم
يساعد خائليه ، فقد تشرفت اخيرا
بزيارته - بزيارة ماسك الدفاتر -
وعلى وجهه آيات السرود والارباح
واطن النتيجة :

فقد ربح المحل - محلي - في سنته
الاولى ثلاثة ملايين وستمئة الف ريال
قال هذا ، وسطع اعلمي اوراقا
مديدة مثقلة بالارقام والشطوط
والعلامات والدوائر والصلبات حبتها
لاول وهلة خارطة البلدان الاوروبية
واخذ يبين لي الجهود الجبارة التي
بدلها حتى تمكن من التوصل الى
تحديد المبلغ الذي ربحته في تجارتي .
ثم لف الاوراق ، وسطع مكانها كفه
مهتئا اباي على هذا النجاح الباهر ،
فشكرت هواطفه ، وسألته عن بدل
اعنابه ، فادبتها له بطيخة خاطر .
وعاد النسيب المذكور آنفا الى
زيارتي في اليوم التالي ، فاطلمعه
بدوري على صورة الارباح التي اكد
لي الحساب اني ربحتها ، فصاح بي :
- امجنون انت ؟ اين المبلغ ؟
ولم اكن قد انتهيت الى هذا الامر
البسيط ، صبح اين المبلغ الضخم
هذا ؟ ليس لي في اي بنك اي رصيد ،
ولا لي ديون على الناس . وجميع
راسمالي هذه البضاعة القليلة السريعة
المكسب وهي لا تكفي لتجهيز عشاء

اني اتبعت التعليمات الموجودة في
كتب الحساب كما تلتفت في المدرسة
فتشاور النسيب الاوراق التي
سجل عليها هو الارقام ، وراح يشرح
لصاحب الشهادة ، الكيفية التي تظهر
فيها الارباح مضبوطة
وقال ماسك الدفاتر :

- انت على حق ، فلا يمكن ان تكون
الارباح - القيمة الهائلة التي اعلنت
عنها - ان حسابك اغبط من حسابي
ودرج المحل هو اربعمائة وخمسون
ريالا . واستعمل منذ الان طريقتك
في التكوين فهي اسرع واصح
ثم خفض صوته ، وسأله بلهجة
الخجلان :

- في اية مدرسة تعلمت هذه
الطريقة الحسابية السهلة الدقيقة ؟
- في مدرسة تدعى مدرسة الحياة
على بدائستة اسمه الاختبار ..

عاصمة الازجنتين الياس فنصل

لمشيرة غيوف لو فاروني ، ابن
الثلاثة ملايين وثيقة من الريالات ؟
واستولى علي صمت طويل
وقال النسيب :
- اقبل باب المحل ، وانا مساجري
التكوين
قلت له :

- كيف تستطيع ذلك وليس لديك
شهادة منك دفاتر ؟
فاجاب بغضب :
اقبل باب المحل
فاذنت للامر
وما هي الا ساعة حتى اكمل عمله ،
ثم حسب دقائق مدودة ، وقال :
ان ارباح المحل في هذه السنة هي
اربعمائة وخمسون ريالا ، ادع
صاحب ماسك الدفاتر لاجلوا لخطاه
وجاء صاحبي ، فسأله نسيبي فوراً :
- كيف حسب ارباح المحل حتى
كانت ملايين ؟
فاجاب :



محمد عبد الفتاح حسن

محمد عبد الفتاح حسن من خلال شعره

بكرم جعفر النخيلي

الإنجاب والبراعة ، وعندى ان شعره مرآة صادقة لما اصطلح عليه وسمى بالسعل المتع ، كلمات مشرقة عذبة ، لا يستطيع التعبد ان يجد له مثلاً اليها ، وقسواف موسيقية من الصعب ان تتغير باحسن منها ، ووسوح في القصد ينفى على الشعر جاذبية تشد القاريء اليه وتبهره ، وابكتارات فنية قلما خلت قصيدة من قصائده منها ، وهي صفات ادركت جريدة الاحرام قيمتها فاعتزت بشاعريته واطلقت عليه اسم شاعر الاحرام ، منسوباً اليها ، وليس لاحرام الجيزة التي ربما احتاجت النسبة لها الى شيء غير قليل من التمليل والتوجيه ليخلص شعر شاعر احرام الجيزة من طابع القدم والجمود على حالة واحدة ؛ بخلاف شاعر النيل ، وشاعر القطرين ، وشاعر الشباب ، وشاعر الاحرام الجديدة .

وعلى اني اعتقد ان هذه الدعاية من الخلق ، وطهارة النفس والحية التي اتصف بها محمد عبد الفتاح هي وليدة نشأته من ابوين كريمين كان لهما شان كبير في بناء هذا القلب الكبير ، والنفس الكريمة ، فاني لا ابين الشعر عنه في تليق المراجع ، ورقة الشعور ، ورهافة الجس ، ولقد نال محمد عبد الفتاح من الشعر نصيباً وافراً ، وعرف بنفسي قيمة الشعر في بناء المجتمع ، وتأثيره في النفوس ، فاشير الى ذلك في مواقع كثيرة من مجموعته الشعرية الاخيرة « سائر على الدرب » التي قامت بطبعها وزارة الثقافة المصرية ، فهو يقول من الشعر والر في النفس :

ذلك الجيد من بدله
لن العطف ، ومن ذا يصره
انه الشعر الذي بدله
انه الشعر الذي قد صرعه
واحد الجيد منه جفيرة
لنا حسن ورياحنا نصره
يعد النفس به ما شئني
وترى العين به ما لم تره
ويحسن كثيراً في لث الانظار في « سائر على الدرب » الى قيمة الشعر في وجود الانسان واعنيته في دنيا الانسانية فيقول :

الحس الشعر قيسه والاتفاق
من عياد كيف يلقى العباد ؟
ويقول :
والشعر مد كان يا صديقي
عمد الجرح في السلوب
وهو بعد ذلك يفتخر ان يكون فرعاً من تلك الدوحة الياسقة اللفيانية ، دوحة الشعر الوارفة الغل ، الخضراء طوال الواسع ، المثقلة بالاداء والطيبها منذ ان نجم عودها من التراب حتى اليوم ، فهي كالشمس تعطي ولا تنقد مطرها فيقول :

انني فرع بتلك الشجرة
وهي لينا دوحة مزدهرة
دوحة الفكر التي تربطنا
بقلوبنا حيرة مبتسرة
دوحة الشعر التي تعني لنا
من ايلول كل يوم مائرة
ويقول :

شملت ياتر تنم غير ان في
يسوح بالشعر من مع الى عام
فاشعر تغير نفس من خفيها
وليه نصميها من جرحها العادي
وانا من القائلين بان آثار الاديب شعراً او نثراً لا تكفي في الغالب ان تكون مرآة صادقة لما جبل عليه الاديب من

في اللغة العراقية الدارجة ، مثل له نظائر في العربية الفصحى ، وفي اللغات العامية الاخرى ومنشورة : ان الكف الواحدة لا تستطيع ان تملك يرمانتين في آن واحد وقد اصبح هذا المثل قاعدة عامة قل الدين يخرمونها فيمسون بضع رمات في كف واحدة من الموهوبين ، وقد كان محمد عبد الفتاح حسن من هذه القلة ، فهو فضلاً عن كونه من الباحثين للتيبين ، والحققين الاعمين ، الذين كان لآثارهم التاريخية ، ودراساتهم الواسعة الاعلام من اهل العلم والمعرفة والادب - اثر احببه جد كبير في عالم الترجمة ، والتحقيق ، واستعراض الحوادث واستنباط الفكرة الخبيثة بين ثناياها ، فقد وضع محمد عبد الفتاح حسن طائفة من الكتب النافعة التي مد بها الفراغ الحاصل في كثير من النواحي التاريخية والادبية ، وان كتب اليوم لا يستغني عنها الباحثون وطلاب المعرفة في دراساتهم وبحوثهم .

اقول فهو فضلاً عن كل ذلك - وان ذلك لكثير - فانه شاعر مبدع ، ومميزه هي ان ياتي الشعر غفو الخلط ، فيه الشيء الكثير من النكهة الفكرية ، والشيء الكثير من

خلق ، وما يجعل من مثلي وصفات ، فقد يأتي شعر الشام
بميتاء ومعناه آية من اسمي آيات المحبة والصدق والإمانة
في حين يكون هذا الشاعر في واقعه في الشرق من الاناثية ،
والكلب والخيالة .

ويجيه محمد عبد الفتي حسن من غير ذلك النمط
الغالب عند من يعرفه من كتب ، ويكون من أولئك الذين
يكفيك شعرهم تعريفاً ببلهم ، ومحبتهم ، وصفاً نفوسهم ،
وطهارة قلوبهم ، كما هو واقعه المروف دون أية زيادة أو
تقصان ، فهو يقول في « سائر على الدرب » :
ما أظم الدنيا بغير محبة - ما الص الدنيا بلا أحباب
ومن أحسن من صور محمد عبد الفتي حسن
التصوير الصادقة المبررة من واقعه الانساني في شعره
كان شاعرنا الكبير المجدد جورج صليح الذي يقول :
عبد الفتي حسن ، ان كنت تروا - ابتعاد من قلبي ما الله ابتداء
مطلأ ، واطلا ، وشرا ، لا كلال له - السر مشاء ، والابتداء ابتداء
ومن هذه الصور الصادقة التي تعبر عن حقيقة
محمد عبد الفتي حسن قول الشاعر المرحوم علي الجندي
فيه الا يقول :

يا اجلس الناس فليكن - واشرف الناس فليكن
حظيت شعرك حيا - وشكل شعرك بعكس
ميا ان راي السلي فدا - ممن قبل دهر فليكن
والحق انه كذلك ، فهو من أجل الناس مطلقا حتى
يستعد ان يثر قلبه او لسانه بكلمة مستحبة . ولقد بقي
الى الشاعر الكبير والصديق العزيز الموصلي الوكيل بان
محمد عبد الفتي حسن يعطيه بالجهاد فقال الوكيل على
سبيل المراح : اذن حق علي والله ان اخوته ، وبلغ ذلك
محمد عبد الفتي فكتب له بئني ما بلقي عنه لان لسانه لم
يعتد ان يلفظ الكلمة النابية وكل ما يمكن ان يقول عن
الوكيل هو هذا :

موصلي - اسرعت في مصلتي ونسيت لتسرع
لم اقل لك جيبك - ولكن قلت جيبك
فلمة الاسوال طبع فيك والبالي طبع
فصك التسل فيانتي - وصلك الصال في اربع
لم لود في صسوة الموصوف حتى - قدر اصبح
وهو بعد هذا له من صفات العلماء الشيء الكثير من
تواضع وتقبل للنقد ، والالتزام بقاعدة : منظره تظليرك
فيقول من ناقديه :

ايها المصون بالقد مكاني كيف لا يهض بالشكر يبياني
الفرح الميجر يولي المامرا - والفرد العلة يسيو لي لاني
ان من يفتني يرفنسي - يانيه الي اسمي مكان
ورقة شعور محمد الفتي تبدو جلية في اخوانياته
وفي مراهب لاصدقائه وفي رسالته لمحبيه ، وهي رقبة
تبعت من الاعماق خالصة لانشويها اية شالبة من المجالات ،
يؤكد ذلك خطابه لاحد بنيه المهندسين المقتربين في قوله :
اه لو املك امري يسدي - كنت اطلعت عليك الصدا
وفي استقباله لشاعر الاناثية جورج كمدي مند
مودة الى لبنان بعد غياب طال امده في المهجر ، اذ ذهب

الكمدي شابا وعاد شيخا محدودب الظهر ، اقول نفسي
استقباله لجورج كمدي مزج شاعرنا ملاطفة بمواقف آل
كمدي واحبايهم واصدقائهم بل وبليمة بلادهم المرحبة
بهذه المودة ، وقال يخاطب كمدي :

هني اليك فيسور الربرسي - عني صباك والفريسا
تسك من حبيبا ما يندا - ومن حر اشواقها ما اخيا
الي ان قال :

وتكره بنت جبر السبه - وقد لحت راسه الانثيا
تقول له حطك السنون - واحني شعرك فاحدوبيا
وعلي رغم ما قلت بكدي سنين الغربة ، وغيرت
من شكله - دون روحه طيبا - فان القرية لم تضيعة ، ولم
تنه وفي ذلك يتم محمد عبد الفتي ابيانه فيقول :

يصالحه التبع حوا كسا - فتقول السوالي له مرجا
ولي كل ما يصور محمد عبد الفتي في شعره يقع
الصورة في اطرافه الخاص بها بحيث لو اردت ان تحذف
اسم صاحب الصورة لذلك خطوطها والوانها الصارخة
على صاحبها وان لم يكن لك به سابق معرفة عن كتب ،
وان بين صور هذا الشاعر وعلى الاخضر مراهبه مسورا
للموسيقين كسلي الشوا امير الكتبة ، والمثلثين
المسوخين كتجب الرحاني ، ولالة الفقه والاصلاح
كالام محمد عيده ، ولالعالم الباحث كادل زميتير ،
وللمسكزي التقدم كوجدي ناجي ، ومشرات من طبقت
مختلفة التي صورها الشاعر بواقعه وحقيقتها تصويرا
فنية صادقة ، فهو حين يرثي الكاتب الكبير نظير زرتون
لا ينسى ان يشير اليه كقدوة للتسجيم الحلوة الجميلة
التي حبيت للكثيرين التسجيم في النثر ما دام التسجيم
يجري على السجبة بعيدا عما عرف به من التعقيد والتقييد ،
وان السجبة اليوم في رسال الكاتب الكبير ودع فلتطين
ليشد القاري اليها شيئا ، وتجلبه بحلولها جلبا ما
دامت تجي بلا تكلف وبشير التزام .

يقول محمد عبد الفتي في رثاء نظير زرتون الفلي
اماد السجبة في النثر من جديد وحبيها للفنوس بعد ان
قضى عليها العصر الاخير :
يا ميسد السج من ديواننا - بعدنا قلنا على السج الماء
الت شملت به كائناتنا - فلتقنا جيبنا للسوداء
نسمع الناس التي كان لنا - فيه امجاد ، وفجر ، وملا
وقد والله كان زرتون كذلك حتى كاد يعيي السج .

في الكتابة من جديد .
وفي تصويره لصاحب مجلة « الادب » المجاهد ،
الشاعر ، الذي اثنى زهرة عمره في خدمة الادب ، لا يمتدح
الشاعر حدود الزاقي في داب الاستاذ البير ادب ، وكفاحه
وصبره على البؤس ، والاستاذ البير اليوم فسي القمد
السابع ولا يزال كما كان في القمد الرابع وما قبله : شملة
متقدة ، وحزم غير مغلول ، وقناعة تجاوزت الحدود ،
وهذا الشاعر اعني محمد عبد الفتي حسن ، حين يمر به
لا يسهه الا في مكانه ، ولا يصفه الا بما فيه الا يقول :

الب مع الطيب التمنيات

*

إذا ما قرأت كتيب شعر
ورأيت كل القصائد فيه
ورجحت تجوب عوالم سحر
وكشأت حروفي شراعا يطوف
ستوقف هني الحكايا شكوكا
أنا يا صديقي حياتي حنين
أعيش الحكايا وأكتب عنها
فيوما تكون حكاية شعب
ولكن حين دقات شعري
سبلم ان قصائدي فيك تبقى مدى العمر أحلى القصائد

ملافة المازني

دمشق

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وقيلة كالزهرة الزهرار
فسي مشرة كثيرة كمدار
قيهة الرأي
هذا الدخان شبه العباب
أو جبل عال من التراب
الذي ان يقول :
فكيف لتسجن منه مشرا
تستري في فحشه البدار
والأجمال فذاك لتبشرف من شعر محمد عبد القني
حسن وعلى الاخص من مجموعته الأخيرة « سائر عكس
الدرج » سجايا ، وأخلاقا ، ومثلا انسانية باهرة ، إلى جانب
هذا الشعر المعبر عن شعوره الصادق الذي يأنه عفو
الخطر ويدون أي تكلف وعسر .

جعفر الخليلي

بغداد - كرامة مريم

أما المأله بترويكه اصطبارا
تقطع الأيام فترا سائرا
ما خبا غمورك ليلا واحدا
الذي ان يقول :

والذي الناس يأنس لقصة
لم يرد جاهدا ولم يلق تدارا
وهذه القصيدة من خيار الشعر .

ومن خيار شعره أيضا القصيدة المعنونة « بالحسن
الغفور بالدخان » وهو يحكي فيها شياخ الحسن عند
فتاة جميلة تدخ السجارة فتشوه جمالها بالسحب التي
يلقها به الدخان ، ولقد سبق لحليم دموس ان قال شيئا في
استنكاره لتدخين المرأة ولكنه لم يقل أكثر من هذا البيت :
كل ما تلعن حلو وتن
يمر حلو تدخينك السجارة
أما عبد القني فبعد ان يصف جمال جلده الفتاويطري
حسنها وكادها يقول في بعض ما يقول :



عبد الباسط يونس

أبو العيناء

سيف الساعرين في الأدب العربي

بقلم عبد الباسط يونس

والنقد القارص ، الذي كان أبو العيناء فارس الميدان فيها خلال العصر الذي عاش فيه ، فقد كان مبتعياً لشيء من سيرة حياته ، لأمعا في الرد القاسم على من يشتمونه . ووصفه قائلا « كان أبو العيناء أحد الناس خائفا ، واحضرهم نادرة وأسرعهم جوابا ، وبالفتح خطابا » .

وذكره ابن النديم في الفهرست فقال « كان فصيحاً بليغاً حاضر الجواب سريع الإجابة شاعرا » .

هذا هو أبو العيناء الذي أرادته الخليفة العباسي المتوكل ليكون جليسه قائلا له : لقد أردت لك لمجالستي ، فاجابه أبو العيناء : لا أطيق ذلك ، وما أقول ذلك جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ، ولكنني محجوب ، والمحجوب تخلف عليه الإشارة ، ويخفي عليه الأيماء ، ويجوز علي أن اتكلم بكلام غصبان ووجهك راض ، أو بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت .

فقال المتوكل : صدقت ، ولكن تلوذمت . ذكره العديد من الموسوعيين العرب ، واجمعوا على أنه من الأذى وانظر أهل زمانه (القرن الثالث الهجري) كتب عنه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ، والبيروني في نهاية الإرب ، والصفدي في تكت الهميان والوافي بالوفيات وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان والمعوذي في مروج الذهب .

كما جاء ذكره في دائرة المعارف الإسلامية . وترجمت له باطناب دائرة معارف البستاني (الطبعة الحديثة) وفي كل هذه المصادر والمراجع أجماع على تقدير ذكائه ونظنته . وحسبه نبوقا أن الوزير الأدب صاحب بن عباد الف كتابا أسماه « أخبار أبي العيناء » ، كما أن ابن النديم ذكر في الفهرست أن « لابن طاهر كتاب شعر أبي العيناء تحووا من الألف والباء » .

من هو أبو العيناء

أبو عبد الله الضرير ، محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر ، مولد أبي جعفر المنصور . أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، ومنشؤه بالبصرة . كانت ولادته بالأهواز سنة ١٩١ هـ ، ومنها انتقل إلى البصرة حيث أمضى فيها ما يقرب الأربعين سنة من عمره الذي تجاوز التسعين . كان في بداية حياته أحول العينين ثم عمى وقد تجاوز الأربعين .

قال الخطيب البغدادي « كان غريبا يخضب بالحمرة خضابا ليس بالشعير ، وكان فصيحاً سريع الجواب قرأت بخط أبي الحسن الدارقطني : مات أبو العيناء الضرير سنة الثنتين وثمانين ومائتين وكان خرج من بغداد يريد البصرة في سفينة فيها ثمانون نفساً ، ففترقت قفصا سلم منها غيره ، فلما صار إلى البصرة مات » . وعمن وفاته يذكر ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان أنه اتحدوا من بغداد إلى البصرة في زورق فيه ثمانون إنساناً

قال عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان « كان من أجفط الناس ، وأفصحهم لساناً ، وكان من طرفة العالم » . وقال عنه الشافعي في الديارات « كان حسن الكتابة ، بليغ الخطابة ، مليح الشعر ، طلق اللسان بالدم والاستبطاء ، سريع الجواب ، حاضر النادرة ، لا يقام له » . وقال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد « كان من أحفظ الناس ، وأفصحهم لساناً وأسرعهم جواباً ، واحضرهم نادرة » .

تحدث عنه باقوت الحميري في معجم الأدباء فقال « كان فصيحاً بليغاً من طرفة العالم ، آية في الذكاء واللحن وسرعة الجواب » .

وأورد أبو حيان التوحيدي صفحات من كتابه البصائر والذخائر ، خصها بإخباره وحضور بدويته وذكائه الوفاة ؟ كما نقل في كتابه مثالب الوزراء والامتناع والواسة صوراً من تنده اللاذع وبراعته الفسلة في مناقشاته ومطارداته .

وحفلت صفحات زهر الأدب وكذلك جمع الجواهر للحميري القيرواني ، بالتوارد الفريدة ، والأجوبة المسكتة

ففرق الزورق فلم يتخلص أحد ممن كان فيه غير أبي
القيس: فمات. يفرق الزورق فخرج جينا فلعنه دخلت
البصرة مات .

حياته في البصرة

كانت البصرة في أوج مجدها حديثا ورواية وعلمًا وأدبًا
عندما جاءها أبو العياد . ففي مساجدها كانت تعقد حلقات
الدرس يتولاها جهابذة العلم والأدب ، وفي مرربدها كسان
الأدباء والشعراء يتطارحون الشعر ويتذكرون أيام العرب
واسائلة أبي العياد تخرجوا في حلقات مساجد البصرة
وسوق الريد ، وكانوا يعدلون أعلاما كل في ميدان اختصاصه
ودراسته .

التحق أبو العياد شابا ، وكان مبصرًا بـحلقات الدرس
التي كان يمتدحها أئمة الأدب وشيوخه ، في المساجد
والبيوت ، فأخذ من الأصمعي ، والعتبي ، وأبي عبيدة ،
وأبي زيد الأنصاري وأبي عاصم النبيل . وهم الجود
الزاهر في سماء البصرة . وعلى هؤلاء تخرج . فكان
حافظًا ، ناهيا ، ذكي التؤاد ، متمسقا إلى العلم ، لا تفوته
شاردة ولا تغرب عنه واردة ، بل امتاز على أقرانه وجلسائه
بالنكتة اللاذعة ، والطريقة الساخرة ، والتقد الجارح
بأسلوب قوي متين ومبهرات متبوعة لا يداخلها ضعف
أو وهن .

حفظ القرآن ، ودرس علومه ، واستوعب الأخبار
والروايات فكان مثقنا بارعا في سردها والتحدث بها . يتحدث
من نفسه فيقول : « أبيت مبدأ الله بين داود الخريسي فقال:
ما جاء بك ؟ قلت: الحديث ، قال : أذهب فتجفئ القرآن
قال قلت : قد حفظت القرآن ، قال : (وأل طليم نيسا
نوح) قال فقرأت العشر حتى انقلعه ، قال فقال لسي :
أذهب الآن فتعلم القرائن قال قلت قد تعلمت الضاعف
والجد والكبر . قال : فأبدا أقرب اليك ؟ ابن أخيك أو ابن
عمك ؟ قلت ابن أخي . قال : ولم ؟ قال قلت لأن أخي من
أبي وعمي من جدي . قال : أذهب الآن فتعلم العربية ،
قال قلت علمتها قبل هذين . قال فلم قال عمر بن الخطاب
- يعني حين طعن - يا أله بالالمسلمين ، لم تنزع تلك
وكسر هذه ؟ قال قلت فتح تلك الالام على الدعاء وكسر هذه
على الاستغاثة والاعتصار . قال فقال : لو حدثت أحدا
حدثك . »

وحين كان يواظب على الدرس ، ويواصل تلقى
علومه ، أطلقت عليه كنيته فقد سابه رجل : يا أبا عبد الله
كيف كنت يا العياد ؟ قال قلت : لأبي سعيد ابن أوس
الأنصاري ، يا أبا زيد كيف تصغر مينا ؟ فقال : عيينا يا أبا
العياد ، تلعبت بي منذ ذاك .

بعد أن تجاوز أبو العياد الأربعين من عمره بتقليص
اصيب بالعمى ، وكان قبل عماء أحولا ، وقد وصف أحد
بن أبي طاهر ، أبي العياد في عماء فقال :

تسا تخاف من الزمكا ن عليك ألا عسي البعسر
لنعم نسمع النعم بالعمى تلقى وتلقى البعسر البعسر

أبو العياد في بغداد

بعد الأربعين قصد أبو العياد بغداد وهو أشد ما يكون ثقة
بنفسه علما وأدبا ورواية ومقدرة في الكلام والنظر ، كل
ذلك يدعنه ذكاء نادر وذهن وقاد وقابلة فذة في إطلاق
الكلام المناسب في المحل المناسب .

كانت بغداد مدينة العلم وموطن العلماء والأدباء
والشعراء ، وحين وصلها أبو العياد كان بلاط الخليفة
المأمون يشم انطباع الفكر والعلم ، وفي مجالسه تتجلى
عظمة العصر . ومن طريق الحسن بن سهل وزير المأمون
وصل أبو العياد إلى مجلس الخليفة المأمون ، فلقى القبول
والرعى والاحترام والهدى عليه المأمون المطاء .

كان عهد المأمون هو بداية طريق الشهرة أمام أبي
العياد ، وهو في رغبة الخلافة وظلها القليل ، ولكن
وفاة المأمون ، في الوقت الذي وضع فيه أبو العياد أول
قدمه على سلم الشهرة ، تركت في نفسه الأسى فانطلق
بنفت الحمران ، ويعلم حزنه والله ولوعته على فقدا الخليفة
الذي فتح أمامه أبواب الجود والشهرة .

عشت الأيام وأبو العياد ينتظر الفرصة التي تفتح له
الطريق إلى السيرة على الدرب الذي بدأ السير فيه على عهد
المأمون ، إلى أن تولى الخلافة « التوكل » فطلبه لجلسته
وأراد له لناديته ، وفي سمرام مدينة الخلافة وفي قصورها
الشخمة وندواتها الحافلة بالأدباء والشعراء والعلماء ، برز
أبو العياد ، فكان النافذ إلى الجلى ، ونال من الشهرة والمجد
ما يؤمله له العينة وذكره وقابلته النادرة في التقيد
والفكامة والسخرية .

جيش الخليفة المتوكل

أجمع الرواة على أن أبا العياد كان من ظرفاء المأمون ،
وجاءت الأخبار التي سجلت عهد المتوكل على أنه كان حافلا
بالبلخ واللهم والطرب والمجون ، وكانت قصوره في « مر
من رأى » حافلة بالشعراء والظرفاء والأدباء والرواة
والمتنئين فقد كان المتوكل ، سخيًا بالألأ سمحا ، يتوسع
بخلق كريم ورحابة صدر ونفس مرحة تعشق الانس وترتاح
إلى مجالسة الشعراء وسماع الغناء ، فالحبوتي شاعره ،
والفتح بن خاقان وزيره ومعهما ما شهر في الشعر والأدب .
لقد وجد أبو العياد في المتوكل الاحترام والتقدير
والمحبة ، ولقي في رعاية صدره التشجيع فكان يطلق
النكتة اللاذعة ، والطريقة الساخرة ، والجواب المسكت
دون احجام أو تلكر .

قال أبو العياد عن لقائه بالمتوكل : « لا أدخلت على
المتوكل فدفعت له وكلمته ، استحسن كلامي وقال بلنسي
إن فيك شرا ! قلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر
الحسن بإحسانه والسيء بأسائه ، فقد زكى الله تعالى

كأس للفؤاد

★

صب من عيشك كأسا لفؤادي
كي يوى الكون ضياء كلبساتك
نفسه هيام عن الشمس بؤاد
لم يكن فيه سطوع لكلامك
أيها الهمس الذي أحيا اعتقادي
قد تعربت على نهرس ملامك

مراكش . أيت وارهام أحمد بلحاج

خفية اطلاق .

قال أحمد ابن أبي دؤاد لابي العيثاء : ما اشد ما
اسابك في ذهاب بصرك ؟ قال ايها السلام ، وكنت احب
ان اكون انا المبتدئ وحدث من لا يقبل على حديثي ولو
رايته لما اتبل عليه . فقال له ابن أبي دؤاد : اما من يصادك
بالسلام فقد كاناته بجميل نيتك له ، ومن امراض من
حديثك انما اكتسب نفسه من سوء الادب اكثر مما مالكت
من سوء الامراض .
ومن شعر قيل ان يصاب بالعمى وكان احولا :

حدثني ابن ابي دؤاد بجهنميا على حول يفسى عن النظر الشرد
نفسه اليها والريب يفتنى ناصره اليه فاسترح من العذر
ومما يذكر من بلاغته : قال ابن مكرم : من زعم ان ابو
العيثاء دون عبد الحميد في الكتابة اذا احسن بكرم فقد
كذب . وذلك انه كتب الى عبيد الله بن سليمان وقد تكتبه
واباه العتمد وهما يطالبان بعال يبيمان له ما يمكن من
عقار واثاث وعبة وامة وكان لهما خادم اسود عرشاء للبيع
فطلب بخصمين دينارا فكتب اليه ابو العيثاء : وقد علمت -
اطال الله بقاءك - ان الكرم المنكوب اجدى على الاحرار من
الثيم يزيد مع النعمة لؤما ، ولا تزيد الحنة الكرم الا كرها .
هذا متكل على رازقه . وهذا يسهو الفطن بخالفه ، وعبدك
الى ملك كافور الخادم فقير وثمنه على ما اتصل به يسير ،
فان سمحت به فذلك منك عادي وان امرت باخذ ثمنه
فما لك منك مادي . ادام الله لنا ولك واستقبل بالنعمة
تكتبك وادام عرك وكرامتك .
فوجه اليه بالخادم .

عبد الباسط يونس

الواصل - العراق

ودم فقال في التزكية (نعم البند انه اواب) وقال في الدم
(همار مشياه ينجم مناع للخير معتد اليه) .
وقال الشاعر :

اذا لم اتم اصبح على الخير اظه . ولم ادم العيس التميم القدماء
فقيم عرفك الخير والشر بضم . يشفق في الله السامع والاعما
وان كان الشر كغمل المقرب التي تسلس السنسي
والذي يطبع لا يتميز فقد صان الله عيذك من ذلك .
ووصل الى صمغ ابي العيثاء ان الخليفة المتوكل قال
عنه : لولا انه غريب لتادمناه فقال ابو العيثاء : ان اعفاني
من رؤية الالهة ، وقراءة نقش القصوص فانا اصالح
للمنادمة .

ودخل ابو العيثاء يوما على المتوكل فقال له : كيف
كنت بعدي ؟ قال : في احوال مختلفة ، خيرها رؤيتك
وشرها فنيكتك . فقال : قد والله اشتقتك . قال انما
يشفق العبد لانه يتعلم عليه لقاء مولاه ، ولما السيد فتمنى
اراد عيده دعاه .

وقال المتوكل له : اكان ابوك في البلافة مظل ؟ قال :
لو راي امير المؤمنين ابي لراى عبدا له لا يرغاني عبدا له .

بعض سخرياته اللاذعة

حققت كتب الادب بطرائق ابي العيثاء واوقاله اللاذعة وهي
بنجومها تولف سفرا كبيرا ، نسال الله ان يوفقنا لطبعه ،
له نوادر مع الوزراء والادباء والشعراء والكتاب ، وفي جميع
محاوراته ومناظراته نراه صاحب اقتدح الملى ، الحائر
على قصب السبق ، والمتنصر على مجاديله والمترفعين له .
قيل لابي العيثاء : هل بقي في دحونا من بلقى ؟
قال نعم في البئر !

سال ابو العيثاء صديقا له حاجة فادفعه عنها واعتذر
اليه واعلمه انه قد صدقه . فقال له : والله لقد مررتي
صدقتك لتدور الصدق عندك . فمن يكون صدقه حرمان
كيف يكون كلبه ؟

كان ابو العيثاء ومحمد بن مكرم عند صديق لهما
فقال ابن مكرم لصاحب البهار : اقوم الى الخلا فقل لابي
العيثاء : اذا لا يمود الينا منك شيء .
وعرضت جارية على المتوكل فقال لابي العيثاء : هذه
عرضت على انها شاهرة فقل شيئا لتجيز . فقال ابو
العيثاء احمد الله كثيرا .
فقلت : حين اشك شريرا .

قال : يا امير المؤمنين قد احسنت في اساءة .
ثم ابو العيثاء رجلا فقال : له ضحك كالبكاء وتبودد
كالبسب ، ونوادر كندب الوتى .

وقال ابو العيثاء : انا اول من اظهر المقوق لوالديه
بالصرة ، فقال لي ابي : يا بني ان الله قرن طاعة بطاعتي
فقال تعالى ، (ان اشكر لي ولوالديك) فقلت : يا ابا ان
الله التمني عليك ولم ياتك على فقال (ولا تنظرا اولادكم

الصقـر والحـيـة

محمد علي السنوسي

❦

شاطئا حالما وافقا بهيما
الكون جمالا مهفقا شاعريا
رحيقا ويستشر حيميا
ابيقى يسكب الصفاء نقيما

اقدامها ، حنانيا ، وحيا
ولمرح الارض ، عشيا
تهز الوجود ، جسما ، وقلبا
وشقت لها الى الفكر دربا

سحابا ، وبارقا ، وشعاعا
ظبي ثديها ، واطعاعا
النساعا ، سمي اليه اندفاعا
فجلى علا ، وحام ، ارتفاعا

ويهو بقلبه الاشراق
والنيرات والاشفاق
للمعالي جناحه الخفاق
به الشهب واكوت بنفسه الاشواق

وهوى فؤاده المحموم
ويلهو مدموما مستقيما
ويناجي من النسيم نديما
جريحا ينثن منها اليمما

الارض جناحيه ، وانتخى وتعالى
روح الطيور ، صيلا
غلابا . ولم ينفض رملا
ثم تطوى الى مده ، حبلا

نظرا نافذا ، وروحا قويا
انثى انشد اللقاء العفيا
سمرا وان اكون . . نجيبا
بما صديقي فضع يدا في يديا

زخر البحر ذو العباب وحيا
وازرقاق السماء يغني على
والسنا ذائب يشمخ في الموج
وعلى صلحة القفصاء شعاع

وهنا فوق صخرة تنسل الامواج
يتهادى على جوانبها الرمل نخيلا
خفقت من نسائم الشرق انفاس
اطقت جلوة القصر وقد فارت

نهى الصار ، والسماء حواليه
جلبته الى السماء معانيها
ومضى كلما توادى به الافق
نبئت في فؤاده نشوة الحب

طائر ترجمه اطلالة الفجر
غمرت روجه الاشعة والاضواء
ابدا يطلب السمو ويلوا
عشق الشمس واستبدت

بسط الظل العظيم جناحيه
ورنبا يكرع الضياء بعينييه
يرشف الحب والسلام كؤوسا
فاذا طلقة تنفوح بالصقتر

فزع الصقتر حين مس ثرى
ومضى زاحفا يجر جناحا طالما
لم يدنس اديمه وحل الطين
فاذا (حية تطل عليه)

زفقت نحوه فمد اليها
فتهاوت على التراب وقالت
الترضى ؟ بان اطاركك القول
انت عن هذه الدبار غريب

واستفاض الحديث بين الصديقين
حين قالت من أي ارض ومن أي
كيف لم نهتد اليه ولم تغفل به
قال اني من عالم النور ، يا اخت

انا لا اعرف التراب ، ولا الطين
انا من عالم يعيش ويحيى
لا فبار ، يلوح لي جوها الصافي
وهي كؤن من العلالة والاشراق

في سموخ الجبال رف جناحي
وعلى قمة ، هنالك ، شماء
رشفت مهجتي الشسلييب
اين مني سنا نغفر لي نفسي

وشكى حسرة يؤججهما العجز
ورمى طرفه الى الافق اسيان
ثمت استجمع القوى يرمق الجو
زف في قوة واهوى الى البحر

شالت الحية الاحاديث
واسرت عزيمة تقصم الظهر
جذبت لنفسها انطاواء وهمت
وثبت ، وثبة البروق ، فردتها

وهوت لفحص التراب وتهتيل
وعلى حفرة هنالك التت
نصنفت والتوت ومالت ودست
واستفاقت مما مرأها فقالت

لا ، ليست السماء لاصل
انت لم تظنني لاشراقة الجو
ولكل حيائه يا رفيطسباد
تلك عقبي تورد الطبع والنفس

واستمرت انشودة الصقر تنساب بالحنانها على الاكوان
يطرب النفس وقعبا وتثير الفكر اصداؤها وتحى الامان
في تلاحينها من السحر الوان
نغم ساحر الصدى ونشيد

محمد علي السنوسي

جازان - السعودية

— احضري زوجا من الدجاج ،
واذبحي ... ألا يليق الاحتفال
بجنتي غال بالنسبة لنا . يا لصغيري
الشرع ...
— يا الهسي .. اني لاشمر
بانتياش ...

فاه الجندي بيمارته تلك بصوت
عال .. فقد خرجت منه للقلبا ..
— لا عليك .. ان ذلك من مشقة
الطريق ... ثم ان ثلث ان تستريح
ما ان تاوي الى الفراش .. انسه
ثام ، يسمر يومكة .. هه .. احسن
دجاجتين عندك يا سكينه ..

وتمت لولكان ابنتها - قد بلغ سن
الجندي ، وكان قد ذهب الى تلك
الحرب ، حيث يود اليها بمثل ما
مع ابن اختها من مال ، بل انصمت
الى ما يوري في اماعها ، من اذابنها
الى مات هناك لانكتها الحصول على
مكافاة اسخي ، والبر بكتي ..

وما ان ترددت فكرة الموت غي
ذهنها حتى دلفت الى احد الاروقة ،
ثم اخلت بلفه طولا وعرضا بمنقبة
هنا ، متحنه هناك .. تنصت
بلرة الى شيطانها .. وفخاطبه
اخري ...

— آه .. وعرفت الراديو بابسن
الكبة ...

كانت نهيا لتيار جارف من الجند
الدين ، مستسلمة لوحش جالغ ،
طفر - فجاة - من قفار اماعها
المظلمة ، فرزت عينها على صدى في
الجدار ، ثم دفنت يدها اليه ،
وسحت جرابا من القماش السميك ،
اخرجت منه سكينها جاد الفصل
واخبرته ، ثم ردت مع الجراب الى
مكانه ، وهفت مخاطبة نفسها :

— كنت انتظر جنديا عابرا ...
ولكن سافكت الاقدار الى ، يا ابن
اخي ، ما باليد حيلة .. ولعل ذلك
تفكرنا عما اركبتك امك في حقي ..
ودلفت الى الفراش ، حيث رقد
ابنها .. وعقدت خيطا حول ايهام
رجله اليمنى ، ثم خرجت منهتلة ...

كسح الموت ... !
جلس الجندي على الفراش ، وامتد
ظهره على حشية طرية . والخاله
تتلمه ، كما لو كانت لم تره من قبل
قط ... كانت في عينيها لهفة ،
يكتنفها الغموض ... غموض لسم
يلحظه الجندي ، الذي اخرج مديابعا
سفيرا من جيبه ، واداره على اغنية
توقع ان تكون مرحلة ...

— لقد دب الشيب في راسك ...
ابلهه السرعة صرت رجلا يا ابن
اخي ... !
— هذا من هول الحرب يا خالتي ... !
— آه ... كنت اتوقع ذلك ... !
اذن انت قادم من هناك ... ! راسا ... !
اليس كذلك ... ؟ ألم تذهب السي



بقلم محمد حسين عبد الجيد
أمك جيد ... لقد فعلت خيرا باتوا لك
البيت عندنا الليلة ...

واشرق وجهها ... وسال لعابها .
منعما عرفت قيمة المكافاة التي
يحملها الجندي معا جعلها تصبح
مناذبة ابنتها التي اقبلت بسرعة
لم تتوقها الام ، ولا الجندي الذي
الفاهها فتاة حيدها ، محطلة الشعر ،
متهدلة ... كانت نائمة ، فاستعظت
على صوت المدياب ... وقبل ان
تصافح ابن خالتها ، تصدت لها امها ،
ودقمتها قائلة :



امت القرية مستلمة لرياح
الشتاء الباردة ، غارقة في صمت ليل
الطويل ... بينما يلوح على الطريق
شيخ الجندي عائد من الحرب ، يدب
بخطاه الضخم ، ليبدد وحشة
الفريق الذي تصف به الاشجار
والزرايع على الجانبين ، فتزيد من
ظلمته ورمعته ...

وعلى مقربة من دار - بدت كتيبة ،
جمعة - توقف ، وقد نازعت النفس
في ان يمرج اليها ، ليقتضي ليلته بها
... وامتدت يده ، فتصحب حوامه ،
حيث يخفي ... نعمته - المكافاة
السنية ، التي نالها ، لايلائه بسلامه
حشا في تلك الحرب ...

ولشد ما تردد قبل اعتزامه البيت
في دار خالته تلك ، وذلك للقطيعة
التي بين الاثنين ... ولكن ، لمشقة
الطريق - وطول المسافة التي يتعين
على الجندي ان يقطعها ليبلغ داره ،
ولغوفه على حياته اذا ما وصلت له
الصوص للاستيلاء على ما منه من
مال - قرر المبيت ... ولعل ذلك -
ايضا - يبعد الياء الى مجازيها بين
الاثنين ...

ذنا من الباب ، وطرقه ... ولحسن
الحظ ان الكلاب كانت حاجمة في
اوجارها ، فلم يتمرض لتيابها ... !

فتحت له الخالة ، بعد ان كادت
تتكره ... ولعل الزوي العسكري
هو - الشيء - الوحيد الذي جعلها
تفصح له الطريق ... ! فقد كانت تمنى
ان يقع في يدها جندي ، يكون عالما
من حرب اليمن ... على انها احست
بحاجة الامل ... اذ انها لم تفصح
لجندي مابر قصد المبيت ... جندي
لا يمت اليها رسالة ... قد استعظت
ان يكون ابن اختها عابدا من اليمن ،
لانها ترى فيه عدم الكفاية ، حتى ولو
لادارة قطعة ارض ...

ولم يلحظ الجندي ما اعترى
خالته من اكتئاب ، وهي تخطو امانه
بالمصباح ، بينما ينطبه ظلمها الهائل ،
الذي راحت تجره وادعا ، فبدت له

واخضر العشاء ... فطحنت الخالة بطنها ، وقالت انها تستعسر بالجوع ، رغم انها تناولت عشاءها .. وستاكل مع ابن اختها بنهم ...

— ابن سكينه ؟ .. هل هي خجلة مني ..؟

— لا ... بل ذهبت ، لتنام .. وحلقت نفسها قاتلة :

— انك لا تستحق مجرد نظرتها يا ابن القاتلة ، التي لم تطاوعني على قتل الجنين قبل ان ينزل من احشاء زوجة ابن عمي ... لشد ما يؤذي ان اري لابن عمي اولادا ! ..

ورمعت الجندي ، ثم قالت : — كل .. مسكين يا بني .. انك تغفر ، وانت تاكل .. خذ هذه في فمك ...

وما ان انتهى الجندي من تناول عشاءه حتى اغتسل .. ثم دلفنت به خالته حيث يرقد ابنها ، فارتمى في الفراش بجانب الصبي .. بينما اطعمت — هي — الى وجود الفتاة حول اصبع ابنها ، وخرجت ، وهي تسمع ابن اختها بنظرة قطر سماء ..

اتصف الليل .. فاستيقظ الجندي فرحا ، عندما احس بشبح يجوس بالحجرة ... على انه لم ير شيئا ... فاستوى في الفراش ، وجعل يدير عينيه فيما حوله على هدى شعاع مرتمش لقمر شاحب راح يظلم من فرجة بالنافذة الوحيدة في الحجرة ...

وكان النفاذ قد اتحرر من الصبي ، فغطاه الجندي ... وفيما يفعل ذلك ، اذ بالخيط المقود حول اصبع الصبي قد افلأه ممتكا ، عندما استقر عليه الشعاع — الحظلة — ثم اختفى ...

ولا يدري الجندي كيف التقط الخيط ، وعقده حول اصبعه — هو — لا اصبع الصبي ... ولا يدري ايضا — ام احس بالآلم في ابهام رجله

اليمنى ، عندما وقع بصره على فتلة الصوف القاتية اللون ..

ونام .. فاحس بالراحة ، والهدوء ...

وفي الساعات الاخيرة من الليل نهفت الخالة ، ودلفت الى الرواق ، ثم انتزعت النمل من الصدع ، واخفته في صدرها ... فاحست ببرودة الحديد ، فارتدت جسدها ... على ان السكين ما لنت ان سرت فيه حرارة جسدها ، وصار قطعة منها ..

لم يداعب النوم جفونها منذ دخل



مصحف حسين عبد المجيد

ابن اختها دارها ، بل طرده شر طردة ... وراحت ترسم خطا المال ... وفيما ستفقهه ... وكيف ؟ ... ستضم الى حقلها شريحة اخرى ، من الارض ... وستقيم بيتا جديريا من طابقين .. وستزوج ابنتها بالطابق الماوي منه .. بانت تنقص مما سيؤول الى اختها ، يزيد به ما عندما تنقص من القليل ، لتضيفه الى الكثير ...

ثم همت ، دلفنت الى الفراش

الذي يرقد فيه الجندي ، وابتنبا ، غلات الحجرة بانفاسها الرهبة ... وتقدمت ... فتطحنت الخيط ، ثم تركته ، واستلت السكين من صدرها ، ثم دفنته — بقوة — في صدر الجسد المأصود ... سمعت آهة خائنة ، فصرخت بنبرة آلت قلبها ... على ان ذلك الالم قد تلاشى ... لقد ماتت عليها نشوة المال ، فتسللت خارجة في هدوء ..

قالبها المعتل لا يقوم من نومه الا متأخرا — كماده — حتى لو انطبقت السماء على الارض .. اما سكينته مع انها تكد طول النهار الا انها تنهش من نومها مبكرة ، لذا اوصدت الالم الباب عليها بالزجاج بعدما اوث السى فراشا ..

عمدت الخالة بمد خروجها الى قناة الري العميقة التي يحفها البوس والجلنا ... وهتفت وكأَنَّها استعصرت اختها امامها :

— هنا سائق يوحيك للقراميط ولعابن الماء .. وستمشين في حرمان والم ما دمت حية ، بما كما اميش السور ستروني ارضي بدمه ، وهذا على اني ساجلك تاكلين من محصول مجاهد ابنك ...

واسفت الى ضحكك في الاعماق منها .. ثم قتلت مائدة حيث السابقة وقد استبعدت فكرة القاء الجثة في المياه خوفا من ان تلوح الرائحة قبلما ياتي السكك عليها .. ففضلت دفنها في بئر معطلة ..

وعندما لوح لاح الفجر دلفت حيث الجثة ، تكشف عنها الفناء .. وصرخت صرخة قول زارتك الجدران من حولها عندما افصح لها ان الفراش خال الا من جسد ابنها الفارق في اندامه .. ومصرع النافذة مفتوحا ...

القاهرة محمد حسين عبد المجيد

عصر التوازن الشعري

بقلم الوضي الوكيل

بد لناقد الذي يريد ان يفتح مثل ديوان الشاعر عبد الملك عبد الرحيم في موضعه من زمانه ، وفي مكانه من التيار الشعري الحديث ، ان يستعرض مسار الشعر منذ عهد محمود سامي

البارودي الى اليوم .

لقد ارتفع اول صوت شعري لشعر الطبع يوم صاح الشاعر محمود صوفت السباعي وكان يعيش في عصر محمد علي الكبير ، فقال :

وما ذا الا شاعر ذو سليفة . ولست بسرائر يمان الاناجير
ولك كانت اول اشارة واضحة الى شعر السليفة المتناقص في رايها لشعر التكلف والتقليد والحكاية .

كانت تلك اول اشارة الى ذلك في الشعر الحديث .

وتشجعت العلوم في عصر محمد علي ، وارتفعت شمس النهضة حتى بلغت سمت الافق في عصر اسماعيل باطباع

والبعوث والمدارس والصحف والجلات ، وكان محمود سامي البارودي اول لمرأة ناضجة من ثمرات تلك النهضة ،

وعلى يديه نهض الشعر العربي ، واسترد بعض شبابه ابان الدولة العباسية ، وكانت مدرسة البارودي هي اول علم

بارز لنهضة الشعر ورفعت نهضة الثقافة العامة ، وعساد الشعر على يديها الى لقولة الاقلين وجزائتهم ، والى

رسالة اساليبهم وان يكن لم يبعد كثيرا عن معانيهم مما اوقف الشعر في موقف وسط بين تقليد الاقلين

ومحاكاةهم ، وبين ذاتية قليلة عن شعور صادق وجدان صحيح .

انا لا اعيب مدرسة البارودي ومن تلاه كاحمد شوقي وحافظ ابراهيم ومحمود الكاشف ونسيم وعبد الحليم

المصري وحتى محمود غنيم ، انا لا اعيبها بانها كانت مقلدة فهذا وضعها الذي وضعها فيه ظروفها بين جمود العصر

التركي واتلاق من جاء بعدها من مدارس واتجاهات ، فهذا عصر شعري كان لا بد ان يوجد والا كانت هناك لقولة

مفقودة في تاريخ تطور الشعر العربي .

ونستطيع ان نزم هنا ان خليل مطران قد انصرف قليلا عن مدرسة الكلاسيين التي تتمثل في البارودي ومن

جاء بعده ، انصرف تجاه شعر الطبع والسليقة والتعجير الصحيح من الوجدان الصادق ، فجاء شعره مبعرا من

زمنه ومن صاحبه ، وصح لدى النقاد ان يكون شعور

مقدمة ديوان الشاعر عبد الملك عبد الرحيم

الشاعر دلالة على زمنه وذلة على صاحبه مما . ولذلك

صدر ديوانه في جزئه الاول سنة ١٩٠٨ . بعيدا من مداف

شعر مدرسة البارودي بقدر ما هو قريب من جزا بعدهم

كالمقاد وشكري والمازني .

ويرتفع علم النهضة الشعرية الحديثة بصدر ديوان

شكري لم يصدر ديوان المازني ، وكل منهما بمقدمة

للاستاذ المقاد ، وضع فيها كاجلي ما يكون توضيح

المذهب الذي يتلمذون به في نظم الشعر وتصيد التصيد .

ويصدر كذلك ديوان المقاد ، وتتوالى مقالاته ادمسة

للمذهب الجديد دائمية اليه ، راسمة خطوطه مينة معاله

لكل مرتاد .

ولنا ان - اذا اردنا ان نستقرى معالم طريق الشعر

العربي الحديث في نهضة ، ان نذكر البارودي وشوقي ثم

ذكر مطران ، ثم نذكر المقاد وشكري والمازني من يسون

بمدرسة الديوان نسبة الى كتاب اصدره المقاد والمازني

سنة ١٩٢١ ، وعمله التسمية فاسدة لان الديوان ظهر بعد

ان كان المذهب قد اعلن واستقرت معالمه ، وقدم دعائه

الى السوق الادبية ودوايرهم مصداق ما يدعون اليه .

ونفخ الجيل الاول من شعراء مدرسة الديوان مثالا

في الامة الثلاثة : عباس محمود المقاد وابراهيم عبد القادر

المازني وعبد الرحمن شكري ، لتلقى الجيل الثاني من

شعراء هذا المذهب الحديث مثالا في عبد الرحمن مدني

ومحمود عماد واحمد مخير والوضي الوكيل ، وقد التزم

ؤلاء بالاطار العام للاجواء المقادي ولكنهم استرادوا قليلا

من الانتياء الى الاساليب العربية في فحولتها وجزائتها

وقوة اداء الالفاظ لغائتها ، مما جعل لهم طابعا يمتازون به

عن سيقهم في هذا الاتجاه .

وقد ان لنا ان نقول هنا ، ان شعر شكري ، الذي

يقف كثيرا من مالية الشعر وروثه كما عرفها الناس في

ازهى مصور الشعر في الدولة العباسية ، كان سببا من

الاسباب التي جعلت الناس يتشككون في قيمة هذه الدعوة

الادبية الجديدة ، ذلك ان شكري جعل همه الاول ، الفكرة

حتى ولو كان وضوح الفكرة على حساب الاسلوب الشعري

الذي يفترض فيه ان يكون على قدر من الموسيقى وقرب

السيدة وداد سكاكيني

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

المصانف التي سجلتها في كبريات المجلات والمصحف
العربية والمهجرية :

وشهادة الأثير الذي حمل صوتها المدوي بالمرزة
والكرامة ، والحرية ، والنهضة ، والتحرر السليم .
والجمال والمدنية في الافكار والمبارة .

وشهادة المؤتمرات التي حفرتها متدوية ومثلية
من بلادها سورية ، وإخوانها العربيات ، في الندوات
والمؤتمرات النسوية والأديبة .

إذا ذكرت الشام ونهضتها الأدبية والنسائية فإن
الأديبة الكبيرة وداد سكاكيني تأتي الزهرة المطرة فسي
نسائم ادبها ومعانها العلمية . وإذا تحدثت الأدباء والنقاد
والمقاصرون عن الحركة الأدبية النسوية ، فإن السيدة
الفاضلة وداد تالخ الصدارة فسي ساحات كتاباتهم ،
وتمجيدهم وأطرائهم .

كانت مجلات الرسالة والأدب والرفان والكتاب
والآداب من المجلات التي تمتاز بكتابة وداد سكاكيني ،
ويرجع إليها كلما درست قضايا المرأة العربية المعاصرة .
ولو كان هناك بعض الإنصاف في تقييم الناس من
الأديبات والأديبات أرايت بأن وداد سكاكيني هي النموذج
الحي الصادق البديع للمرأة العربية الفاضلة الواعية
الرشيدة في قلمها وكتاباتها ومؤلفاتها .

فهذه « خطراتها » و « مرابطاتها » للناس ، وتاريخها
« لأموات المؤمنين » وسفرها « بين النيل والنخيل » وحبها
« لأروى بنت الخطوب » وتبناها « للرب المحرم » و« أنصافها
للزوجة » وإيضاحها « للشارع النور » وحبها « للعاشقة
المصونة » وممرتها الحرف « بين سواده وبياضه » ،
وتخليها « لغمر فالخوري » وهو ابن بلدها القديم .

كل هذه الإسهامات من الرواد والرائحين نظمت مقدها
الاستاذة وداد سكاكيني .

وتشاء الحياة أن تجمع بينها وبين الشعر السلسل
المنطلق كغماء يردى وهو في مره وانفخاره وجرياته . يوم
أن جمعت مائدة الحياة والآداب والروح والصلة الزوجية
بينها وبين المرحوم الصديق الاستاذ الشاعر الموهوب
الدكتور زكي المحاسني . رحمة الله عليه .

وإذا أردت أن اقتطف للقارئ العربي نماذج كثيرة
من مقالاتها ، ومؤلفاتها فيكون في رأيي كمن يقوم بنشر
إعلان للدعاية . وهذا ما لا تحتاج إليه وداد وربما قد
يفقد المقالة رونقها ، والكتاب جوهري . واعتقد أن بيانها
لا يحتاج إلى تدليل ، أو دعابة . ومع هذا فإني أعرض
لها بعض المقطعات الأدبية من كتبها ، وبعض المحطات
العقريّة من أفكارها . استمع إليها في قولها عن (عصر
فالخوري) ومنبت أسرته في لبنان :

الاستاذة السيدة الأدبية الكبيرة وداد سكاكيني من حملات
القلب الواعي الحي ، ومن صاحبات البلاغة الواضحة ،
والأسلوب العربي الأصيل .

جمعت في يراعها بين جمال لبنان ، وعظمة الشام ،
وتاريخ القاهرة ، وأسجاد بغداد . وكانت من أميرات الأدب
العرب ، والثقافة النيرة ، والصراحة الهادفة .

لا تقلد في كتاباتها ومؤلفاتها ، ولا اقتباس فسي
مقلاتها وآرائها . بحيث أنها تملك مدرسة خاصة بها
تجعلها في طليعة أدبيات العالم العربي من الزماني يتباهى
بذكرهن الرجال ، وتتفاخر بتزويد أسمائهن المحاسن ،
وتتسلى بكلماتهن الإحرف العربية . .

والسيدة وداد سكاكيني ليست بحاجة إلى تقديم ،
وتعريف ، وأطراء ، وتكريظ ، مثلما تقوم به بعض الأعلام
لبعض التباهيات الترفلات التكرات في عالم الصحافة
ومدعيات الكتابة والأدب .

هرفتها كاتبة قاصة منذ عام ١٩٢٨ يوم أن كانت
« الطليعة » من أبرز مجلات العالم العربي في دمشق .
ترجو منها المساعدة في كتابة (القصص المتكاملة الناقصة)
والنقد الهادف البناء . ويوم أن كانت بعض الأدبيات
والصحفيات والشاعرات يكتب لهن دجال في بلادهن
باسمهن أو بإسماء مستعارة .

قال منها الاستاذ الفاضل والمصانفي المتنبع انور
الجندي : « أنها تمثل المثل الأعلى للمرأة الكاتبة فهي تشترك
اشتراكاً فعلياً بارزاً في معارك القومية العربية ، وتؤدي
دورها في حركة المقاومة والتجمع .

كاتبة لها طابعها الواضح ، ولونها الصريح ، وتعني
بشؤون المرأة العربية على أوسع نطاق » . وأردف يقول :
« أنها مجادلة شخمة ، ومسالجة قوية ، وكتاباتها
مثالية النهج قائمة على القيم ذات الهدف الواضح فسي
التربية والفلسفة والخلق .

وهي تقاوم دعوى الأقلية في الأدب العربي كما
تتحارب الدعوة إلى العالمية » .

وليست شهادة الاستاذ الكريم انور الجندي هي
الوحيدة بحقها ، بل هناك شهادات أخرى في نظري شهادة
النايب التي امتلأها السيدة وداد سكاكيني . وشهادة

بالواقع لما استجبت لها .

ومن حسن تعليمها عن الهواجس والذريات قولها :
« وان الهواجس والذريات ارواحا كارواحنا فهي تنفصل
عنا تحمل منا نصيبها من الحياة . وكم يسوء الادياء السي
انفسهم وخوابهم حين يحكمون عليها بالسجن والاعمال .
هذه المتحفظات الخالدة من كتابات اديبة الشام
الكبيرة الاخت السيدة وداد سكاكيني ذكرتني في خاطرة
وهي موجهة الى الاتحادات النساء العربيات في الشرق ، ودبر
المغرب العربي تدعوهم هذه الخاطرة في قيامهن لتكرس
ادبنا العربية البارة . والاشادة بخدماها الاجتماعية
والثقافية - وهي لا زالت والحمد لله - ذات القلم السيل
الحار الكلمات والتوجيه في خدمة المجتمع العربي ، اسرة ،
وامرأة ورجلا وطفلا .

ولعل خدماتها في سبيل المجتمع التسوي العربي ،
بمؤلفاتها الرصينة ، واحاديثها البديعة ، وافكارها المبكرة
الجديدة . ما يساوي مشيرات الاجتماعات في اتحاداتهن
التي تقضي عادة ولها في الاحاديث المعادة ، والمظاهر
الجوفاء . والتي تفقد دائما الى آراء ومشورة وحكمة
السيدة وداد سكاكيني .

فهل نرى - نحن الرجال - انصاف الاتحادات
التسوية ، لاختهن الاحترام في تكريمها بمهرجان تسوي
عربي عام . واعادة طبع مؤلفاتها الطيبة النافذة وتوزيعها
على عضوات الاتحادات وفي مكاتبن . ودور المعاهد
الثقافية والاجتماعية . كما تسمى الاتحادات العربية في نشر
مؤلفاتها المخطوطة التي تنتظر الناصر النصف ، والموزع
الصادق .

والذا كانت هذه الفكرة لا تروق النساء الاتحاديات ،
لانها صادرة من رجل ، فارجو الا تطمس الفكرة من بعضهن
مناهلها ، وتذهب من سمو مقصدنا ، واخرى بهن الا يدعين
باتهن مطلوبات دائما من الرجال . يحتاج لمن من ينصفهن
منهم . في حين انهن والواقع يشهد ، لم ينصفن الكريكات
الناهات من بنات جنسهن في دنيا العالم العربي .

تلك هي كلمة صغيرة توخيت فيها الحقيقة النسي
ثمت من بين اثار الادبية المحترمة السيدة وداد سكاكيني.
الحقيقة التي يراها الانسان وهي بادية في مؤلفاتها الرائعة
وفي كتاباتها النافعة .

ولي فيما تسمح به القرعة القليلة ان ارد ما علي
من دين ادبي تجاه هدايا الادبية الكبيرة ، والكتابة عنها ،
وعن اخوتها الميزة المحترمة ، وشمالها العربية المعروفة ،
ووقالها لوطنها العربي الكبير ، وامتها الجيدة الخالدة .
واخوتها المخلصين ، واخوانها الكريمات ، واسرتها الفاضلة .

محسن جمال الدين

جامعة بغداد - كلية الاداب

« فمن داب لبنان ان يختم نوابه بطوايع من صنعه
وابنائه ، وان يمدحهم لا يام حسيبة واختات طارئة .

فالذا خاق على نفوسهم الكبيرة وطموحهم البعيد
فلقوا بكفاحهم وامالهم الى اقصى الارض ، لكن قلوبهم
الممتلئة بالوفاء والحنين تبقى عالقة بتراب الوطن وطبيعته
وترانه .

وقالت تصف عمر فاخوري الكاتب المبدع صاحب
« ادب في السوق » ابن بيروت الساحرة قولها : « لقد
حمل من البحر عمقا وانطلاقا ، ومن الجبل الملمع السدي
ترتفع قممه وتسلع وتمتد سفوحه نفرة وقوة وتسلما .
وقالت تصف دمشق وطبيعتها الجميلة بقولها :
« وكأنا منحة البقاء في دنيا الفناء يلونها النهار في البكور
والاصال ، بتلاوين الخيال الخضف ، والافواف الحمر ،
والفلال البيض .

وذكرت عن المرأة المعاصرة قولها :

« وما اجرنا ونحن على وصيد حياة جديدة حرة
بان تنخذ المرأة المعاصرة من هذه السيرة المثالية نشيدا
تجدو به نهشتها واهروجة تهدد طفلها وتمضي في بيتها
وبين الناس على هذا النور التبعث من صوب الجزيرة
وذاترة الوحي مستلهمة من اسماء المؤمنين واخوات
الشهداء . معاني الايثار والافاء وآيات التقوى والفداء .

وها هي ترسم برشيتها البارة المرأة وتحدث عن
مشكلة انصافها ، قالت :

« وما كانت المرأة في كل عصر وعصر ، الا ربحانة
الوجود ، ووسيلة الخلود ، فلنرى مفارستها بقاء من منقاء
القلب والروح ، وتعمد لها ما يمانية وتمحيص واخلاص .
وعندك تكون قد انصفت المرأة وصمتنا من اجلها الجميل
الذي لا يقنى .

وذكرت لنا من اللين يسدون نوافذ الحرية والمروبة
بقولها :

« الى من يسدون النوافذ ليتفحوا نور الله ، والس
من يفتحونها يذهب ليملاوا القلوب من هذا النور . ولو
كوه اللين في نفوسهم ظلام .
والى الزوايا يربض الكلمة كما يربض الدينار .
واللين يموهون الحروف ليتقدموا الصغوف .

لم اشارت عن الكتابة بتعريفها اللطيف :
« فالكتابة حبر على ورق لكنه سواد يشع بالنور ،
وما جدوى مداد ينسحب لونه على الورق فلا يترك السرا
في حس او نفس او ذكر في بال .
وتحدثت لنا عن مقالها الطويلة والجميلة بين
الأوراق قالت :

« لولا انها تحمل ثقافيا من روحي ووجداني وصفحات
من قلبي مرت بطوار من التامل والتند وحدة الاحساس

التليفزيون

« حقيقة لا خيال »

منظفنا تركه
يربحني مزوياً
انظفته كأنمنا
أراه يستدرجني
هو الجماد ما دري
فاين ليلاي التي
كانت اذا رنت له
تضفي عليه رونقا
يخلو لها لثها
يخو بها اذا كشفت
قد مثلت فنونه
وقللت غشابه
كم فرلت فاوضعت
واتنقت فلومات
وهي لدى الحالين
بل نسج مسودج
او طائر مرفرف
ارنو اليه بملها
ارمقه على شجي
صبار اليا حيث لا
الذئب وهما دون أن
نمت أقوى نسج
جافيته حيث غدا
وكيف يشعروا القما
لو أسعد الحزون لولا
لكنه كسابه

فانظمت صفحته
وقد تلاشي صوته
تبددت بهجته
لصخب كرهته
اي أسير حمله
بها زهت صورته
تالقت فنتته
بمهجتي فديته
في مقتني طيته
منه اللي جهلته
في طرب عهده
في مرج عشقته
ما خفيت روعته
لما التوت وجهته
عقل كملت فطنته
قد شقت نفحته
تتألمت صفحته
وقد خبت طلته
تأزمت قصته
الفهم ما سقطته
تظهر لي زلته
لا تني اشترته
فصدر لهو غفته
بعد الذي كسابته
كنت اذن صافيته
بها بفضته

كماسة ذكرته
وليتني ما جثته
فلم تين شلثته
وانظفات صورته
تساعد ربتة
واتنعت حسرة
اذا تسنى صوته
منه جوى جريته
ومحتني محنته
ابكي وقد قبلته

وبعد عام من بـي
فجثته منظفا
حاولت ان افتحه
تخالفت اسلاكه
اتحر السكين اذ
بكى عليها صامتا
ماتت لها من عجب
فقد لميري حزني
اهكلا ان كـه
عائفته محتضنا

محمد رجب البيومي

الإباضي - كلية اللغة العربية

تحقيقات عصرية

بمقام الدكتور علي جواد الطاهر

(١)

« قصة الادب في العالم » تصنيف احمد امين وزكي نجيب محفوظ ، ج١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ .

١ - ورد على الصفحة (٥) « هوس » ، وعلى الصفحة ١٤ « ٢١ » ... « هوميروس » .. والناسب ان توجد الكتابة ، والثانية السبب او اصح وادخل بالتراث العربي .

٢ - ورد على ص ١٥٩ - ١٦٠ هزبور وكتابه « الامثال والابام » ، ورد على ص ١٦١ هزبور وكتابه « الابام والامثال » - والاولى هي الصحيحة .

٣ - ص ١٨٧ « ديونيسيوس اله الابعام والامثال » . والصحيح : الابعام والامثال - والخطا مطبعي كما يجب ان يكون .

٤ - ورد على ص ١٩٢ « سوفوكليس » ، وعلى ص ١٩٧ « يوريديس » . ثم ورد العلمان على ص ٢٤٤ « سوفوكليس ويوريديس » . والناسب ان توجد الترجمة .

٥ - ورد على ص ٢٦٩ : « الاتياده » ، وعلى ص ٢٦١ : « اتياه » . والناسب ان توجد الترجمة ، والاولى هي الشائعة واصح الروايتين ، وعليها صدرت ترجمة « الهبة المصرية العامة للتأليف والنشر » . وجاء في ص ٢٦١ « القلمة » : « جرى المرف في الثقافة العربية على نطقها »

« الاتياده » ، والنطق اللاتيني الصحيح للكلمة هو « الاتياده » .. .

٦ - ص ٢٢١ : « ديواكير الشعر الفرنسي يطلق عليها اسم الشنودة الفلاسفة » Chanson de geste . وكان موضوع الشعر عندئذ بطولة الفرسان ... وهو من نوع اللاحم في روحه ومادته .

الصحيح : Chanson de geste .

٧ - ص ٣٢٦ ، « صد (بفتح الميم) : الصحيح ، « صد (بفتح الميم) .

٨ - ص ٤٠٢ : « نراينسا للهنود والمهابهارتا » . الصحيح : نراينا للهنود والمهابهارتا .

٩ - ص ٤١٩ - ٤٢٠ « وقد اثر الجاحظ فيمن اتي بعده ... وجاءت بعد ذلك شعبة تبعد قليلا قليلا عن الزاوية ، وتقترب قليلا قليلا من التزام السجع الكامل ، ونرى مصداق هذا التحول في كتابات الثعالب في مثل كتابه « بتيمة الدهر » ، فلما تم التحول نرى السجع

غالبا في مدرسة علم واسما ابن العميد . ومن رجالها ابو اسحاق الصابي وابو بكر الخوارزمي ويديع الزمسان الهملاني ... » .

الفترة مضطربة ، توهم بان الثعالب جاء قبل ابن العميد والصابي والخوارزمي والهملاني ، وهذا غير صحيح .

١٠ - « وحكى حمزة الاسفهاني المتوفي سنة ٥٣٠ هـ » - الصحيح : ٣٦٠ (او حوالي ٣٦٠) ينظر الاعلام للزركلي ٢ / ٣٠٩ .

(١ - ص ٥٢) : « وكان ملوك الزبادية في طبرستان (٣١٦ - ٣٧٠ هـ) ... » الصحيح : الزبادية - وهو مما يرد الى الخطا الطبعي .

١٢ - ص ٥٤ « شعراء الفرس ... مثل الانوارى » ، ص ٥٥ « شعراء عظام » ، مثل الدقيق ... » - الصحيح : الانوري (او انوري) ، الدقيق (او دقيق) .

(٢) « علم المسرحية » تأليف الاردين نيكل ، ترجمة دريني خشبة ، راجعه علي فهمي ، القاهرة ، الادارة العامة للثقافة ١٩٥٠ . كتاب « تاريخ مقدمة الترجمة ١٩٥٦ » The Theory of Drama هو ترجمة لـ

محنة حبيبة واجبة ان يذكر المترجم عنوان الكتاب بلغته الاصيلة . ولكن ترجمة Theory يعلم لا يخلو من ملاحظة ، وتوجد الملاحظة اذا كان وراء المترجم مراجع ، والا فنان الى theory لا تعني العلم ، وان المسرحية ليست علما . ان اشهر ما يمتليه القطة الانكليزية : نظرية ، وربما كان طرح الكلمة من العنوان خيرا من ترجمتها بالعلم .

بل ان المترجم نفسه ترجم Theory في حاشية ص ٣١ ، ٣٦ - ٣٧ ، وقال في هامش ص ٥٦ « النظرية الاوربية في المسرحية » - ينظر هامش ص ٥٤ .

٢ - ص ٨ « هوراس ٨٦٥ ق.م . » - الصحيح : ٦٥ - ٨٠ ق.م .

٣ - ص ١٧ « فرنسا ... عدد من الكتاب ... مقعدي القواعد مثل تشابلان ١٥٩٥ - ١٦٧٤ ... » وورد كذلك ص ٥٤ ، ولكنه ورد على ص ١٢٤ « شابلان » وكان العلم الواحد علما ، ولا ادل على ذلك من ورود تشابلان في فهرس الاعلام تحت حرف التاء مع الإشارة الى ص ١٧ ، وورد تشابلان في الفهرس تحت حرف الشين مع الإشارة الى ص ١٢٤ .

والحقبة ان العلم واحد يجب ان يكتب - كما يلتزم شابلان اي Chapelain

٤ - رسم اسم الشاعر الاغريقي اسخيلوس (بالغاء) على ص ٣ ، واسكيلوس (بالكاف) على ص ٢٥ ، ٢٩ ، ١٣٤ ، ١٦٥ ... بل انه ورد على التكاين (اسخيلوس) اسكيلوس) على صفحة واحدة (٢٣٨) وورد

الذي أطلقه المؤلف على كتابه « النظرية الرومانتيكية في الشعر » - سيرة أدبية لكلوريدج . » والتغير . . . هـ .
 وفتح « غير علمي » ولو عمل « استاذ الترجمة العكس »
 السير « أدبية على النظرية الرومانتيكية » إذا كان لا بد
 من النص على الرومانتيكية - كان التغير أيسر .
 « أشهر المذاهب المسرحية » تأليف درويش حشبية ،
 القاهرة ، وزارة الثقافة « مكتبة الآداب ١٩٦١ » .
 ١ - ص ٧٠ « اللعب الكلاسيكي ... يمثل ...
 يوسوبه » الشاعر « ... ليس يوسوبه (أو يوسوبه) شاعرا
 ... أنه خطيب (ديني) .
 ٢ - ص ١٢٩ جي دي موباسان « ... وقد شل ...
 لم جن » .

ليس في علمي - وعلم مصاصري - أن موباسان قد
 شل قبل الجنون .
 ٣ - ص ٢٢٩ « السرايازم ... رجل دوسي يدعى
 ترستان زارا ... » المرفوف أن dard « دادي » وما هي
 وذكر المؤلف أن لدى الحركة النقادانية ، وتحملها هذا
 كذا بالفرنسية أو لدى الحركة النقادانية ، وتحملها هذا
 المعنى غير صحيح .
 ٤ - ص ١٥ « شابلان : شابلان .
 - « الرومانتيكية في الأدب الفرنسي » تاليف ف.ل .
 بولنتي ، ترجمة أحمد دمشقية ، بيروت ، منشورات
 موبانت ١٩٦٠ .

(٤)
 ١ - ص ٧٨ « تستحق « مارسيلين ديبيور فالور »
 ١٧٨٦ - ١٨٥٩ » التقدير والاحترام بين غيرها من الشعراء
 الرومانتيكيين لصديق لهجتها .
 الصحيح : « مارسيلين ديبيور فالور امرأة شاعرة » وعلى
 هذا تكون العبارة العربية : « تستحق مارسيلين ... بين
 غيرها من الشعراء .. لصديق لهجتها ... »
 ٢ - بصدد مؤلفات فيكتور عيكسو ص ١١٢ ...
 « ثلاثة وتسعون » ١٧٧٣ ... هكذا ورد تاريخ هذا
 الكتاب ، وصححه ١٨٩٣ . ومصدر الخطأ الكتاب الفرنسي
 لترجمته منه .
 ٣ - ص ١٢٢ ... ولكن اكبر سادة البحث الوصفي
 هما : « تين » و « رينان » ... صحيح الوصفي :
 الوصفي .
 ٤ - ص ١٢٣ : « المؤلفات الكبرى الثلاث » .
 الصحيح : « الثلاثة » .
 ٥ - ص ١٤٣ « عرف الطبعيات عند زولا
 مرحلتين ... » صحيح الطبعيات : الطبيعية .
 ٦ - ص ١٤٤ « لقد نشر معلم هذه المدرسة (أي زولا)
 من عام ١٨٧٠ حتى عام ١٨٩٢ مجموعة « ووغسون
 مكار » . اما « بلان بارس » ... و « الهراوة » ...
 ونالا .. وجرمينال ، والأرض ، فلها بعض من العشرين

اسخيلوس في الفهرس .
 والمقول : « توحيد الرسم » .
 ٥ - رسمت كلمة « المسئلة » كما رسم في مصر
 والمقول أن رسم على : « المسئلة » .
 ٦ - ص ٧٢ « فإذا كانت العناصر الضحكة والعناصر
 المحزنة متزجة ببعضها ... حصلنا على نتيجة يبردها
 الطابع العام ... »
 لا موجب لأم قبل حصلنا .
 ٧ - ص ٢٠٠ « ... فونتني Pontenelle ...
 الصحيح : فونتل .
 ٧ - ص ٢٦٩ « روميو وجوليت » .
 يضع الكتاب المصريون ثلاث نقاط تحت الجيم إذا
 كان الأصل الإجنبي لفظ جيم (ج) وليس كيما ، وهم
 مضطرون إلى ذلك في الهجاء الدارجة - العامة - ولكن
 اللجوء إليه في ترجمة نصيحة غير صحيح لأن الجيم
 بثلاث نقاط فارسية ويمكن أن نشتملها مقابل «ه الاكثريه
 ... وعلى هذا فهم « روميو وجوليت » وليس ما يترجم
 في مصر المصريين فقط .
 والمجيب أن هذا التصرف يتكرر وير دون ملاحظة
 كانه حقيقة ناجية اقراها مجمع من الجامع .

(٢)
 - « العصر الجاهلي » (تاريخ الادب العربي) تأليف
 الدكتور شوقي شيف ، القاهرة « دار المعارف ١٩٦٠ » .
 ١ - هاشم ص ٢٦٨ ، المقتات : « ... في شرح
 التبريري للمقتات العشر ... » وتتلصص ص ١٧٦ .
 اسم كتاب التبريري شرح القصائد ...
 ٢ - هـ ص ٢٧٥ ، الصعاليك : « راجع بحثا في
 الشعراء الصعاليك ليوسف خليل (طبع دار المعارف) .
 البحث : كتاب يقع في ٢٤٨ صفحة .
 - « ثورة الشعر الحديث » من يودليز إلى العصر الحاضر ،
 الدكتور عبد الغفار مكاوي ج ١ ، القاهرة ، الهيئة المصرية ٧٣
 ١ - يتحدث من ديوان يودليز فيترجمه مرة « أزهار
 الشر » ص ٩٧ ، ومرة « زهور الشر » ص ٦٨ ، ولا يخل
 ذلك بالمعنى ، ولكن المناسب توحيد الترجمة ، و « أزهار
 الشر » هو الذي صار علما بالعربية .
 ٢ - ص ٢٢ « ديبدو ... في روايته « ابن أخ
 رام » ... الصحيح ... ابن أخي رام » .
 - « النظرية الرومانتيكية في الشعر » - سيرة أدبية
 لكلوريدج ، ترجمة الدكتور عبد الحكيم حسان (مدرسو .
 الادب القادر - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة) ، القاهرة ،
 دار المعارف ١٩٧٢ .
 الكتاب الفه صاحبه (كلوريدج) بعنوان « سيرة
 أدبية » Biographia Literaria واشتهر بهذا الاسم
 وسار في الأفاق وهو عنوان ممكن ترجمته إلى العربية .
 ولكن الذي حدث أن آخر الدكتور حسان أن يشير الاسم

الجبهة التي ماتت

من مغرب يفضي الى مشرق
من ارفع اللج ، الى الاعمق
عن الاماني ، باهت الزنابق
يسلس لك الاسام في الزروق

من غسبة الود ؟ ألم تقلني
الى جنيد ظاهر ، مقلني
وهمت بالآلم ، فلم تسبني
وبالمزج النحر المشرق
اذ انت في تطوافك المزهق

شعناه من الهامنا المورق
مخضوضر الاضواء ، لم يلق
الا همقنا صيحة المنطق
تورق سماحاً في لم المطبق

اذ مبت في فردوسي الموق
إيقاظ ذكرى في الفؤاد الشقي
اصطافه بضل التي قد بقي
لولا دموع الحب ، لم يخفق

فوزي عطوي

شراكك الطافي على الزنابق
تلهو به الاضواء ، تهوي به
يشاب ، والارهام في عطفه
غرورك الاعشى ، متى تجري

دعية الود ! ألم تخجلي
في كل يوم رحلة تنتهي
غرقت في القبي ، فلم تلجلي
تلك الشمس باشواقها
فلا ترين النور ، عبر النجى

عائيت ؟ ما عائيت ، بعد الذي
انا فتحنا للندي مشرعا
ما ساقنا همس الى فسلة
ولدة الاجساد ، ان تطلق

دعية الود ! وا حرقتي
خفرت عهدا كان ، لو صنتي
فربحك الشبان ، باق على
هنا يتم الجرح في خاطر

ميريميه ص ٣٦ ، رنية ٣٧ ، جوليت دروييه ٦٧ ،
موسيه ٧٧ ، ميشليه ٧٩ ، انوريه ٨٩ ، غرانديه ٩١ ،
كلييه ١١٤ ، ليتريه ١٢٠ ، مورجيه ١٢٦ ، بول بورجيه
١٣٩ ، ١٤٨ ، اميل فافيه ١٦١ ، بيديه ١٧٤ ، كرواسيه
١٢٤ .

واواخر هذه « الاعلام » ٥ ، ٤ ، ٣ ، واخر رسم
عربي الى الصحة هو : مريمه ، رنه ، دروه ، ميه ،
ميشله ، انوره ، غرانده ، كلمه ، ليتره ، مورجيه ...
كرواسيه .
وقد يكون مناسب الاصطلاح على رسم خاص .

علي جواد الطاهر

جامعة بغداد - كلية الآداب

مجلدا من السلسلة التي تنتهي بـ « الدكتور بلكال » . .
يفهم القاريء العربي من هذا ان مجموعة « وروغن
ماكار » شيء ، ويطن باريس والهرارة . . من العشرين
مجلدا في السلسلة شيء آخر . وهذا غير صحيح ، لان
مجموعة وروغن ماكار هي هي العشرين مجلدا ، وان يطن
باريس والهرارة . . . الخ مفردات من المجموعة اي حلقات
من السلسلة .

٧ - يعمل العرب اللين يترجمون من الفرنسية على
ان ينهوا اسماء الاعلام (اكثر الاعلام) بـ « ية » دون ان
تكون هذه الـ « ية » في الاصل . وهذه ظاهرة
غريبة خطأ ، ولكنها متكررة في مصر كما في لبنان . ولها
امثلتها الكثيرة في كتاب « الروماتيقية » هذا ، فنجد :



عيسى فتوح

الشاعر شكر الله الجبر كما عرفته

بقلم عيسى فتوح

لا أذكر الأسباب التي دفعتني يوماً إلى الكتابة عن المصيبة الاندلسية في مجلة «الضاد» (١) لصاحبها الأستاذ عبد الله يوركي حلاق، أمي ولمي القديم يأدب المهجر، وقصدت من عدد من أبرز أعلامه، أم التناقضات التي عثر عليها عند قراءتي ما كتبه عنها كل من الشاعر جورج صيدح في كتابه «أدبنا وأدبنا في المهاجر الأميركية»، والمرحوم توفيق شعون في كتابه «ذكرى الهجرة»، الذي يعتبر من أهم الوثائق المتصلة بأدب المهجر، وكان في طليعة هذه التناقضات، تاريخ تأسيس المصيبة الاندلسية في البرازيل، أحو عام ١٩٢٢ - كما يقول صيدح - أم هو عام ١٩٢٣ - كما يقول شعون - الذي أكد هذا التاريخ في مقالة كتبها عن المصيبة الاندلسية في أحد أعداد مجلته «الدليل» الصادر في ١٠ شباط سنة ١٩٢٣، أي في الشهر التالي لتأسيس المصيبة! كذلك اختلف شعون وصيدح في إثبات من انضم إلى المصيبة أولاً، ومن بقي خارجها، فصيدح يجعل داود شكور ممن لم ينضموا إلى عضوية المصيبة الاندلسية، لكنه كان ينتمي مجلة المصيبة بأتاحه، في حين يذكر شعون أن داود شكور كان نائباً للرئيس!

ولما قرأ الأستاذ عصام حداد مقالاً هذا، سأله المرحوم شكر الله عن سر هذا التناقض، وطلب منه أن

يكتب عن المصيبة الاندلسية - باعتباره أحد مؤسسيها - فأجابني على سؤاله ببحث قيم نشرته مجلة الضاد في العدد ٩١ - ١٠ تشرين الثاني وكان الأول عام ١٩٦٩ جاء فيه: «الر في ذلك هو اختلاف المصادر التي اعتمدها الباحثون في الأدب المهجري في البرازيل، وهم يمدون عنه. لقد اعتمد الأدب عيسى فتوح في حديثه مصدري، أولهما «أدبنا وأدبنا»... للاستاذ صيدح، الذي كتب ما كتبه عن المصيبة وأدبائها، دون أن يتصل بالمعد الأكبر منهم، لتكون له انطباعاته الخاصة عن كل منهم، وأنا واحد ممن لم يتصل بهم، على كوني من صفوة المؤسسين».

وقد يعدل الأستاذ صيدح على تقريره هذا، نظراً للوقت القصير الذي قضاه في البرازيل والذي لم يفسح له مجالاً كافياً للتقصي والتدقيق، وهذا شأن كل باحث هائر سبيل، لا تخطو بحونه من إخطاء، ولعل اليتيم التي استقى منها معلوماته لم تكن كلها وأية وصافية».

أما المصدر الثاني الذي اعتمده الأستاذ فتوح فهو «ذكرى الهجرة» للمرحوم توفيق شعون، وصاحبنا توفيق ما كتب مرة ببراعة الأدب التزيه، إلا كتب مراراً ببراعة التاجر المتفجع... وهكذا أثبت المرحوم شكر الله في مقاله القيم أن تاريخ تأسيس المصيبة هو ليلة الخامس من كانون الثاني عام ١٩٢٢، ويقول من هذه الليلة «أنها الفجر الجميل الذي أشرق له جبين العربية القصص في تلك المهاجر القصية، ولا يمكن أن أنسى تلك الوجوه الحبيبة في تلك الجلسة التاريخية وما تخللها من انتخاب عمدتنا من الأحاديث الأدبية، والطرف الشعرية، في شقة رئيسها الأول ميشال الماروني، الذي بدأ في منتهى الطراف والكماسة وكرم الضيافة، وفي تلك الليلة تبرع رئيسها المنتخب باستئجار شقة كمركز للمصيبة، وتبرع نائب رئيسها داود شكور بتأثيلها».

«أما التاريخ الذي ذكره شعون عام ١٩٢٣، فهو تاريخ التصديق على دستور المصيبة من جانب الحكومة البرازيلية، إذ سبق للعمدة المؤسسة أن تقدمت بطلب التصديق عليه، لتتمكن من مزاولة نشاطها بصورة رسمية قانونية، وهذا وجه التباين البارز بين التاريخين: تاريخ التأسيس وتاريخ التصديق».

بعد صدور هذا المقال كتبت للمرحوم شكر الله الجبر شاكرًا، لأنه وضع الحقائق في مواطنها، وأزال كل لبس وإبهام من الأذهان... فأجابني برسالة تاريخها ١٨ كانون الثاني ١٩٧٠ يقول فيها: «رسالتك الرقيقة بين انطاسي بفروح منها عبير المودة وأدب النفس، دونما تعارف سابق بيننا، فشكراً لك على المبادرة اللطيفة، كونك البادئ بهذه الصلة، فألى مدى طويل أن شاء الله».

«أخي، أن موقفك من البحث في المصيبة الاندلسية، ما كان سوى رغبة جميلة منك في تقصي الحقيقة، كما

ذكرت ، وهذا ما تحمد عليه ، ولو ان جميع الادباء نهجوا بهجك يا بقي غلض دون جلازة وترسيخ ، تحسنت فقلت انت ، وسنتا فملت انا ، ولعل الفضل الاكبر يعود اليك . باستدراجي الى تبسيط الموضوع الذي وقتت عنده حائر : ومن حقل ان تحرير وتحرير ، طالما الباحثون نسي تاسيس المعصية كثيرون ، ولهم اغتدوا من سيقهم بالكتابة اغتدا . فكان طبيعيا ان تتكاثر الاخطاء وتغافق وتترامح .

ويختتم الرسالة بقوله : « كان يودي ان ابنت اليك يؤلفاتي لطبوعة ولكننا نفدت كلها ، ولن انالك مسن مؤلفاتي التي ما يزال بعضها تحت الطبع ... تجد طيه الكراس الذي ولع على الجمهور ، يوم الاحتفال بوصول رفات اخي عقل ، وقاد الله من كل مكروه .

وفلما ير الصديق العزيز بوعدة ، نبعت لي على مدى اربع سنوات ، خمسة كتب من مؤلفاته ، مطرزة باجمل عبارات الاحدا ، هي على التوالي :

- ١ - جزر الخطيئة او ديفا وادون : رواية كتبت في البرازيل ، ونظماها المؤلف نفسه ، نيسان ١٩٧١ .
- ٢ - اغاني الليل - ديوان شعر ، اذار ١٩٧٢ .
- ٣ - من خواهي الزمن - ديوان شعر ، ابيت على غلافه الاول لوحة للمناحة على ادونيس ، وهي من رسمه .
- ٤ - سروق وبعود - ديوان شعر : غلافه ورسومه بزيشة للشاعر ، اذار ١٩٧٢ .
- ٥ - وفي اخر زيارة له في جيبيل في ٢٢ آب ١٩٧٢

قدم لي كتابه « نبي اورفيس - جبران خليل جبران » وديوان المرحوم اخيه عقل ، وفي مكتبتي ، بالإضافة الى هذه الكتب الخمسة ، روايته « الشيخ اليتيم » ، وملحنته الشعرية « قرطاجة » ... ولشكر الله الجرمؤلفات شعرية وتثريه اخرى ، طبعها في البرازيل ، منها : « المتقار الاخير » الذي يعتبر من احسن كتب النقد ، واغزرها مادة ، وارشفها اسلوبا ، واعلاها بياناً ، كما يقول عبد الله يوركي حلاق ، ويضم مجموعة من المقالات النقدية في الادب والنق ، ظهرت تباعا في مجلته « الاندلس الجديدة » .

ويعد ان تحدث فيه عن النقد بقوله : « ليس هناك نقد عتيق او نقد لطيف ، بل هناك اما نقد مصيب او نقد مخطيء » ، قال : « ان الادب قوام الشعوب والامم ، والنقد قوام الادب والنق ، لم تحدث عن افاني الفردوس لايلاس ابي شبكة ، ورسالة النير ليليكس فارس ، وادباء معمارون لحبيب الزحلاوي ، والجيل الملم لشارل القرم ، ومبقر لشقيق الملو ف ، وارجوة القمر لصلاح ليكي ، وقلب اعراق لامين الريحاني ، وهي الدنيا لرشيد ايوب ، لم عرج الى فنتين من قديم الادب العربي والغربي ، مما ان التنبسي وفيكون هيجو ، وختم الكتاب بمقال عنوانه « زنايبق الفجر » تحدث فيه عن ديوانه الذي يحمل هذا الاسم ، وعن اثر المراه في شعره ، فهي - كما يقول - « مد حياتيه وجزرها ولحمة نفسه وسلاها ، لم يستطع ان يجد غنية

عنها ، ولا سلاوة بسواها » .

ولشكر الله الجرمديوانان اخريان طبعهما في البرازيل ، هما « الروافد » و « زنايبق الفجر » ، وله مجلة « الاندلس الجديدة » ، وقد اطلعت - رحمه الله - على مجلدات هذه المجلة الفريدة النادرة التي كان يعتز بها ، وقد احلها محل الزوجة والولد ... وعلى مكتبته القيمة للنسي جلب تسما منها عند عودته ، ووهب القسم الاكبر لاحد الزوايدي هناك ، وما تزال في حوزة اختيه مخطوطات ، وبائل اديبة لم تنشر بعد ، واري ان تؤول لجنة لحياء ذكره ، وطبع تراثه كله مجموعا ، ليتاح للقاري اقتناؤه ، ولا سيما زنايبق الفجر ، والروافد ، والمتقار الاخير .

يوم بعت لي ديوانه « من خواهي الزمن » في شهر تشرين الاول عام ١٩٧٢ ، وضع لي طيه بطاقة مضيئة يقول فيها :

اخي الاستاذ فتوح :

تحيات واشواقا ، عسى ان يرصمك ديواني السادس الجديد . اخي ، ارجو اذا وقمت على كتابي « قرطاجة » في مكتبك دمشق ، ان تتركوا بارسلما نسختين او ثلاثا وسلفا اشكركم . سلام للجميع .

وليسن الحظ عثرت على نسختين فقط - نسي اخدي المكتبات ، فاشتريتها ، ودمشقي تصفها طائرات السبدو الاسرائيلي ، وانا مدجج بالسلاح ، في طريقي الى اداه الواجب المقدس .

عندما تحت ديوان « من خواهي الزمن » ، وجدت في اوله « النثر مسحتي ٩٢ و ١٨٧ » ، واذا في الاولى قصيدته « فضاء » التي كان قد نظمها لتلقي في دمشق بدعوة من بعض اديباتها واساتذة مدارسها ، ونسي طبعتهم الادبية الكبيرة المكتورة حريوة مريدن ، والاديب الكبير الاستاذ عيسى فتوح وسواهما من كرام الادباء ، ثم حالت ظروف محبة للشاعر دون ذهابه ، فلم يشأ ان يحرم قراء ديوانه علما من مطالعتها . وقع القصيدة في سبعة واربعين بيتا ومطلعها :

رفس فوايك حيث الصندلوني
ما للة العيش نولا السبع واليه
فيحاء تم قبلة للار عاصرة
مير التوالي على خبيك تنتشر
يا فلسة من جشان الله قالبة
في جهة الشرق القدر
ورومنة من سماء الجد ساطعة
على عياله من اشعاعها الر
فيحاء ما وقع انساني لدى الحق
يسليل الشعر في ادواحه زمر
نم يقول :

فيحاء تم لي على مفاتيح من نظم
ايام جنتك والافاق ماحضة
والذكريات ولو طال الزمان بها
ليل يرف على اعداءها السمر
يا للشاعر فسي نيكه جن بها
من جز جن اخواه السمر والشعر
تلول وهي على ارض محاسنها
قم سيج الله ان الحسن مبكر
ويشير في هذه القصيدة المعصاة الى سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية ، الفريق حافظ الاسد وسهره الدائم على بلاده وشعبه قائلا :

اليك ما وعدتك بارساله من مؤلفاتي ، وهو اقل ما يجب عليّ لاجل اذنب كرم الاخلاق نظيرك ، سعي الى الانصال بي يوم كان في لبنان ، ولم يسعدني الحظ بما اوالتحدث اليه .

« املي ان تنتهي اليك رسالتي ، ويكون الجواب سريعاً ، وليحفظك الولي الكريم على اتم عافية وصفاء واسلم ... »

وما دمت في مجال الحديث عن الرسائل العشر التي تبادلتها مع الشاعر المحرم شكر الله الجبر ، على مدى اربع سنوات ونيف ، فلا بأس ان اتوقف عند رسالة هامة كتبها لي في السادس من نوار ١٩٧١ ، ويمتد فيها عن عدم تمكنه من تلبية رغبتني في احياء اسمية شعيرة قسي دمشق قالاً : « اما انا فاشكو من الضغط حالياً ، وراني قد توقفت عن الاجهاز الفكري لهذا السبب ، ولذلك اظن اني لن اتمكن من تلبية رغبتك الموزرة باحياء اسمية شعيرة في مفاتيكم الزاهرة ، ومنذ ايام تلتقيت من الصديق النبيل الاستاذ عبد الله يوركي حلاق فدوة لاقاء قصيدة في حفلة تذكارية مستقام في حلب ، لتقيد الحلمة وصاحب المشاريع الخيرية فتح الله الصقال ، فكان جوابي الاعتذار ، بسبب الضغط الذي يصل احيانا الى المشيرين » .

ثم يعود بي الى الحديث عن المصيبة الاندلسية ، والتناقضات التي لحقت بتاريخها فيقول : « كثرت التناقضات التي ظهرت من المصيبة الاندلسية ، فما الحيلة لتلافيها يا ترى ؟ ان ما كتبه بقلبي تحت عنوان « حقائق عن المصيبة الاندلسية » في مجلة « الضاد » وكان لك فضل الحافز الى كتابته ، لا يمكن ان اضيف اليه شيئاً ، لكنني كنت واقفاً مما كتبه ولا ازال ، اما ما كتبه سواي فليست مسؤولاً عنه ، لأنهم لم يتقصوا الحقائق من مصادرها مع الأسف ، ولعل اول من وضع كتاباً عن ادياب المهجر كان الصديق صيلح ، وعنه اخذ الكثيرون ، وصيحت نفسه بعد اطلاعه على مقالتي في الضاد ، اعترف ببعض أخطائه ، وسوف يصححها على ما ورد في رسالة منه الى صاحب الضاد ، نشرها في عدد كانون الثاني وجباط ١٩٧٠ من مجلته صفحة ٢٢ . »

اما ود الياس فرحات ملي في مجلة « الاديب » فقد قرأته ، والملاحظ انه اراد ان ينفي فضل المصيبة على طبع كتابه « احلام الرائي » ، ليثبت هذه البادرة النبيلة لاجل « الشرق » ، وليس في ذلك ما يشينه ، وحيداً لو عاد الشاعر فرحات بتصحيح هذا الخطأ الى الدكتور عريضة مرين التي كان لها الفضل الكبير فيما كتبه عن شعراء المهجر الجنوبي ، اذ جاء ذكر ما طبعته ، او تسطعت على طبعه من كتب (صفحة ٤٦ سطر ٦) في مؤلفها النفيس « القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي » ، لا اسي ما ورد في رسالتي الخاصة الى الاخ الكريم الاستاذ يوسف

ابناء عرب لا زالت مرابكم تهبط بالعصبة السوانا وتهمز برمس مرابكم من قبله (اسماء) ، ويسهبون التلحيز جتراما فتزعزع حنا عليها وغالبى في تعطفه فاغوصوا الياسيلوها وانتشيت التبر ولحسن الحظ ان نجل سيادة الرئيس كان تلميذي في معهد الحرية (الايك) ، فحمل النسخة المهداة الى والده الكريم ، ليطلع على ما قاله فيه اين يحشوش وجبيل ، الذي كانت اقصى امانيه ان يزور دمشق ولتمعه امراض الشيخوخة ، وقد حدثني انه زارها مرتين في حياته ، الاولى ايام حكم الملك فيصل الاول الذي دخل سورية على رأس الجيوش العربية منتصرا ، حيث هناك بقصيدة عامرة بروح الثورة والقوة والشباب المتطلع الى الحرية والاستقلال وكان يومئذ فتى يمتلئ نخوة عربية ، وعزة قومية . اما الزيارة الثانية فكانت بعد عودته من المهجر في ١١ - ٧ - ١٩٦٢ .

يوم زرته في منزله الرحب التيف المشرف على البحر ، في ٢٢ آب ١٩٧٢ ، استقبلني بحارة منقطعة النظير ، وهاقني عنق الجيب اللبيب ، واصر على ان ابقي في ضيافته طوال اليوم ، حيث غمرني بكرمه الدافق ، واشفى على الكثير من سحر اديه الربيع ، واخلاقه المالية ، وتهدية وتبله ...

لم ادعه مرة الى دمشق الا اعتذر من ذلك بسبب الامراض التي كانت لاحقه ، والشيخوخة (٢) التي لا ترحم رغم شوقه اليها ، وحينئذ الى غولتها وبرداها ، ولفنته الى دوية اسدقائه الكثيرين فيها . ففي الرسالة المؤرخة في ١٧ تموز ١٩٧٠ يقول لي :

« سلام وشوق واعتذار عن تأخري بالجواب على رسالتك الطويلة ، لاني منذ اسبوعين وانا طريح الفراش ، بسبب التهابات في الكليتين ، اضللت معي الحصى الى درجة الاربعين ، زهاء ثمانية ايام متواصلة ، ولا ازال ملازماً البيت باشارة الطبيب ... »

« اما ما وعدت به من زيارتك لريونما بصحبة الاستاذ يوسف الصارمي (صاحب مجلة الواهب في الارجننتين) فهو تباً يوز النفس طرباً ، فاهل وسعلا بالادب النبيل الحلبي بلاخلاق الكريمة . عندما استمعت نشاطي سائكب اليك مغلوا ، وليحفظك الولي الكريم . »

لقد ظلت الكلية تزجيها ، وتفسد عليه هئائه ، الى ان اجري لها عملية جراحية . ففي ٢٢ اذار ١٩٧١ كتب لي قالاً : « وقت بيننا الرسائل لاسباب صحية اروهقني خلال هذا الصيف كله ، ثم انتهت بعملية جراحية في الكلية اليسرى ، كما سبق واخبرتك . »

« اخي اكتب اليك هذه الكلمة لاطمن اولاً الى صحتك المزينة ، ولأنك من عنواك اذا كان هو نفسه ، لارسل

(١) العدد ٣ - ٤ - ١٩٦٩

(٢) واد له ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٦٠ ، واول ٢٢ شباط ١٩٧٠ .

ما ان وصلت الى جبل عند الصباح ، حتى احدثت بسهولة الى بيت المؤلف من طابقتين ، كان يتظرني على شرفة الدور الثاني ، وهو يراقب الطريق . . . وعندما التقينا تماقنا بحرارة بالغة ، يد مضي أكثر من سنتين على تراسلنا ، فقد تبادلنا عدة رسائل ، وتجاوزنا فني العديد من الآراء والانتكارات والتضايقات ، وكنت انا المستفيد طبعاً .

جلسنا نحن الاثنين على شرفة في رفقة الهللة على البحر المتوسط ، حيث تمتد امامنا غابة كثيفة من شجر المسور الاخضر ، ورحنا نفوس في احاديث شتى ، تركت معظمها على المهجر وادبائه وصفايته . حدثني عن نعمة قازان وقوره في « معلقة الازر » ، وعن الياس فرحات ، وشفيق الملوغ ، ومن مجلته « الاندلس الجديدة » . . . وكسم تمنيت لو كنت احمل آلة تسجيل لالتقاط هذه الاجاديث التي تبخرت من ذاكرتي الآن .

لم تكن رسالتنا منتظمة كما هي الحال في رسالتي مع وديع قلسطين ، وجورج صيفي ، وعيسى الناعوري . . . كانت رسالته قصيرة بالاجمال ، لان المرفى كثيرا ما كان يصره مكرها عن مراسلة الاخوان الذين كان يحبه ويحترمهم ، ويقدّرهم ، كلما صدر له كتاب جديد سارع الى اهداءه الي ، وكنت اشعر بالتقصير تجاهه ، لانني لم اكتب اية دراسة لأي من هذه الكتب ، واخيرا كتبت كلمة موجزة في مجلة « الاديب » قلت فيها :

« ان كلام شكر الله البحر في ادوابه الخمسة ، وقصصه « الفصح الايض » و « جزر الخطيئة » فيه الكثير من الروعة والابداع والاحساس باللغة والجمال والتمعة الحسية ، والام والفرقة والحنين والشوق يمتداه العام ، الامر الذي يشد القارئ الى الاستمعة ، اذ تاتي الكلمات في شدة ، كما في نثره ، مشحونة بالابحار والرموز ، متعة بالالوان والرؤى ، عابقة بالخيالات الممتعة البعيدة ، ناعيك يروم ريشته الموشحة بالفضائيات والشفافية والرمزية . وقصاري القول ان ادب شكر الله البحر يجل عن النقد . . .

فاجابني قائلا : « الف شكر على كلمتك الطيبة التي بشت بها لي عن طريق مجلة « الاديب » المرمزة . انسا قلادة مجد قلديتها ، تمنيت معها لو اني استحقتها بشوكت : « ادب شكر الله البحر فوق القند » . . . كلمة كبيرة يا اخي لا يسعني الا اعتبارها من التقلبات ، للاستزادة من جهودك الادبية . . . اما البلوغ الى الكمال حسن الحال يا اخي ، وعلى كل فاسمي لان اكون عند حسن ظنك بي ، وظن سائر الاخوان الادباء الالي كرموا من غخور القس ، وسرت في عروقم نشوته . لبحفك الله عنوان المكلام والاخلاق ، وبيرقا للادب خفاقا . . . ثم يختم الرسالة بقوله : « تاخرت بالكتابة اليك لانني وقفت فني الطريق وسبب لي الوقوع جراحا في وجهي شفتي الآن منها

عبد الاحد التبرجاء فيها : « والذي اتصل بي ان ما طبعته العصبية من مؤلفات الاديب . كان كذا وكذا . . . فكلته اتصل بي لا تمنني الجرم في الامر ، والذكورة مبدن نفسها ذكرت ايضا ان ديواني « الروائد » ويده « زنايق الفجر » طبعاً على حساب العصبية ، وهذا خطأ لانه كان لي مطبعسي الخاصة التي تحمل اسم « الاندلس » ولم يكن من حاجة الى طبع مؤلفاتي في غير مطبعتي وتحت اشراوتي . . . وعلى كل فان البحوث التي دارت حول العصبية الاندلسية من جانب الادباء ، وما وقع فيها من الغلط ، يبرر وقوعها التوايا الحسنة عند الباحثين ، وان عني الا دليل ساطع على ما يشد ادبائنا من مقبين ومفتريين من روابط التعاطف الادبي ، قوامه هذه اللغة العربية الجميلة التي نعملها فني قلوبنا وعلى شفاهنا من مشرق الى مغرب . . .

« بقي علي ان اجد لك الشكر على دعوتك اياي الى دمشق ، وبذوع خاص على استملاكك التليل بالوالي فني دارك العامرة ، وهي امنية جميلة ان اجتمع اليك ، والى من حرك من صفوة اصداقك ، ولا مشاحة انهم مسم طرازك في مكامم الاخلاق ، ومن صفوة الواردين موارد الثقافة الحق ، ولكن علوي لديك هو ما اوفضته يا اخي من ناحية الصبغة ، وقد كنت اظن انني بعد العملية الجراحية التي اجريتها في الكلية واستئصال الحمص والقيح منها ، يعود الضغط الى مستواه العادي ، فاذا به ما يزال كما كان قديماً ، يهبط قليلا ثم يعود فيرتفع . . . وسواء يا اخي اذا استحال علي حاليا النزول عند رفيقك والذهاب اليك ، فلا يستحيل عليك زيارة لبنان هذا الصيف ، واتوا لك من بيتي وقلبي منزلة الاخ الحبيب ، واعتقد انك تعرف رقم هاتفي في جبيل . . . لا ادري اذا كنت ارسلت اليك ديواني « اغاني الليل » ، ارجو افادتي . . . قد وضعت منذ اسبوعين كتابي « جزر الخطيئة » في المطبعة . . . هذا وليحفظك الله عنوانا باردا في دولة الادب والاخلاق .

وما اكنت له عزمي على السفر الى لبنان ، في منتصف شهر آب ١٩٧١ ، اجابني على الفور في الرابع من حزيران قائلا : « يهيجني انك قادم علينا في اواسط آب ، فاهلا وسهلا بالاديب النجيب والاخ الحبيب ، سيكون لبنان ان شاء الله من الملائك عليه اشقى الحبيب ، واجمل الازهار راجيا ان تتلقني لي محمدا يوم مروه في جبيل لانتظرك ، اذ ربما اكون متنبيا في احد مصايف هذا الجبل ، لانني لا استقر في مصيف واحد ، كوني غير مرتبط بـمـوـى شقيقتي تدعيان الي « يمشوش » للاصطيف ، وابقي انا طليقا من واجب الاستغراق . . .

لقد كان ذلك اليوم الذي التقت فيه بالاشاعر شكر الله البحر من اسمع ايام حياتي . ذلك انني ، اثناء اقامتي في طرابلس ، اتصلت به وحديث له يوم وساعة وصولي .

والحمد لله ، واضعرتني ذلك الى التوقف عن الكتابة زهاء عشرين يوما ، ريثما تتجلى الرقوس حول العيون .

قلت في ما تقدم انه طلب مني ان اشترى له نسخة من او ثلاثا من ملحنته الشعرية « قرطاجة » ، بعد ان نفدت من مكتبات لبنان ، فاجابني فور استلامه النسخ قائلا :

« اخي الاستاذ فتح ، اذكرني الاشواق والتحيات الى روحك النبيلة الطيبة ، وفكرا على ارسال النسخ الثلاث مسن « قرطاجة » ، ساحتفظ بها لكتبتني ، لان هذا الكتاب نقد مسن دار الحفارة ، وضعب منظره الى تونس ، كما قال لي الناشر . كنت في ذلك الحين اعمل محررا في مجلة « المعلم العربي » التي تصدرها وزارة التربية فانضمت الى نقابة الصحافة ، ولما علم بالخبر بحث يقول : « اهتكت بالركن الذي يبوكنه في عالم الصحافة » والصحافة مهنة شريفة اذا كان على راسها اديب مثلك ، له من مواهبه وثقافته ما يزيناها . اخي نزول عند رغبتك ابنت اليك بالابيات التالية ، لتشرها في مجلة المعلم : » من اقوال اميراطور البرازيل - الذي ازدهر العلم في ايامه - (لو لم اكن اميراطورا لوددت ان اكون معلما) :

فل المعلم ان اذكره بساق في دولة الآداب والاخلاق فلاه ما احدثت موهبا امة لي تشكوا التسولب السياسي فتحت جيلا فظافلا والنهي وبذلك ليل الجبل بالاثراق لو افضتكم شمسه ومغشور لوددت محمولا على الاضراق وقال في الرسالة التي لم تحمل تاريخا : « قد لا يقتصر التعليم على معلم المدرسة فحسب ، بل هناك امهات هن اول من يرسم الطريق القوية لأولادهن ، ومن هذا الطراز ، وصايا امرأة عربية لابنتها ليلة زفافها والرواية كما يأتي :

« لما خطب جد امرى القيس ام اياس ابنة صوف الشيماني ، زودها امها بالوصايا التالية : « كوني مطيعة لزوجك ، كوني لطيفة المشر ، كوني دائما معطرة الثوب والشعر والقم والجسد ، كوني حريصة على طعامه وشرابه ولبابه ، خشيته بemale ، لا تعصي له امرا ، ولا تفشي له سرا ، اياك والفرح اذا كان كئيبا ، اياك والكآبة اذا كان فرحا طروبيا ... » واجابا مني بهذه التصالح الحكيم التي لا يسمع مثلها لتعليم في مدرسة ، فقد حولتها الى ابيات من الشعر ، وهذه الابيات هي :

ابيتي كوني لزوجك نجمة ابدا نفسه بجواه بلعبيح كوني له طوبا بمن لك طامح بين القصور يطبخ بالاربع كوني مهلهة مسطرة النسي فاطمير دي النفس لطلح كوني لزوجك كساسة تنساق فوق جبينه الوضاح ولا تحب بتاتريه كساسة فذي الكتيب طفاشر الافراح لا تقريه فرحا ولا تبسمي ونهلي للفاصحة المسراح ولا بدد فرحا فموجا فارح لا تقريه رجلا عليه فريسا فطلب الجريح فدا لي جراح ان الزرة في النساء هي التي كان الصفا لها احب وشاح الا ان هذه الابيات لم تشر في مجلة العلم العربي ،

واستمرت مطوية عندي الى ما بعد وفاته .

كان كلما قرأ مقالا لي في إحدى اجلات ، لا يسعه الا ان يعبر عن اعجابه ، فتمننا اطلع على مقالتي « علاقة الوصف الادبي بالصورة » في مجلة العلم العربي ، كتب لي في ١٢ شباط ١٩٧٤ يقول :

« عدد المعلم العربي الذي تفطنت بارساله الى ، ساقف حقا بالموضوعات الجليلية ، ولعل افطها في نظري ممالك « علاقة الوصف الادبي بالصورة » . انه فعلا مقال رائع ، تتجلى فيه حصافة الراي ، ودقة التحليل ، قاهشك ، وثقتك الله يا اخي وزاد بعمرك لتزودنا من روايتك . اما كلمتك من الشمار المهجري الحمصي المرحوم نصر سمان ، في مجلة « الكلمة » الطيبة ، فقد اثار اللمع من عيني ، لانه كان من الطف الاصدقاء واقرهم الى القلب ، ببساطة مظهره ، وصفا سريره . ومن الوصف انه قني اواخر ايامه جنح الى الكاس ، بعد ان سابت حاله ماديا وصحيا ، فاستعجل منيته بيده . وفي قصيدتي « وفاء وذكرى » المنشورة صفحة ٧١ في ديواني « من خواهي الزمن » ، وقد نظمتها خصيصا لتلقى في الحلقة التذكارية التي اقيمت للمرحوم نظير زبون ، ابيت على ذكر نصر سمان وحشي فراب : حيث اتقول :

ما لعزتي لوداد ان اذكره نصرا وحشي ، وما لعصي هوتا ما لعبي ولبه من صور التفتح جيسان لا يبيان جيتا تسالني كيف اقضي ايامي في هذا الشتاء البارد الصائم ٢٠٠٠ ، انني لم ابرح البيت منذ خمسة اشهر لاسباب صحية طرات علي ، على راسها الضنط ، وقيد جاء الورد ليؤيدني خيما وشجرا ، ويذكرني ليالي الحارة في ريوجانيرو ، يوم لم تكن تعرف الورد وجها ، ولا الموقد لوتنا ، ولكنها الايام والمناخات المختلفة ، لها سلطانها على الجسد والروح ... والذي يعنني من كل هذا ان اطبع ما لدي من مخطوطات قبل ان ابرح هذه الدنيا وكانه كان يتكهن بدنو اجله ، وقرب غروب شمسه ، فرحل منا قبل ان يطبع جميع ما لديه من دواوين ومخطوطات ، تاركا بعده كثيرا من القصاصد المتناثرة ، والقفالات الموزعة هنا وهناك .

لم ينهي الرسالة بقوله : « اجدد شكري لك يا اخي لانقاذ ايامي من حين لآخر برسالتك ومطقتك النبيلة ، وليس هذا بكثير على من له اخلاقك العالية ، وصفاتك الحميدة ، والى لقادم منظر هذا الصيف ان شاء الله . »

ولا اذكرت له عزمي على زيارته يوم ٢٢ آب ١٩٧٤ ، اجابني بسرعة قائلا :

« سلام واشواق ودعاه . اخذت رسالتك اللطيفة ، وهي صورة عن جودة معنك وشعاع نفسك النيرة ، ففكرنا جميعا . تعلماني بزيارتك هذا الصيف ، فاعادنا اهل اعلا ، فمركز بيتي تعرفه في جبيل ، وتلفوني هو ذاته . »

أخبار العرب المثيرة لقراء القسم البرازيلي من أبنائها هناك ، وقد كان لهم من صفحات المجلة ما يورد على الخمسين صفحة ... كما هو حال مجلة «أراخل» اليوم التي تصدرها مريانا ديبول فاخوري ، وكثير فيها الرسوم والصفحات البرازيلية .

ميشيل مغربي :
يحسن من اللغات العربية ، وقليلًا من الفرنسية ، ولعله أجدود قريحة من سائر شعراء حصن في البرازيل ، وأكثرهم تمددًا لروايعه . يروقك مجلسه المتواضع ، لصفاء قلبه ، وبساطة مظهره ، وللهجة الحمصية الأميلة ، فلا مصالمة ، ولا حدائق ، وعند من لا يعرفه أدبياً ، يظن أنه تاجر أزرار فحسب ... سهل القيد ، بعيد عن التعصبات الحزبية والسياسية ...

أخي الأستاذ فتوح :
هذه معلوماتي العامة من حياة موسى كريم وميشيل مغربي ، أمانيهما الخاصة قلني أجعلها وإذا عرفت بعضاً منها فلا ظن أنه يملك أمرها .

أخي ، نزل عند رغبتك أرسلت إليك « شلرات شعرية » ، ولك أن تنشرها حيث تشاء ، أي جريدة (حصن) أم في سواها .

ثلاثي وأشواقك إليك وإلى ليفيف الإصدقاء ، أملاً أن تكون الآيات الشعرية التي بعثت بها إلى الأستاذ حسان الكلاب قد انتهت إليه ، ولا بأس من نشرها إذا أراد . متى سيصدر كتابك من أدب أسحق ؟

لم أنشر الشلرات التي أرسلها إلي ، بل ظلت مطوية مع رسالته الفصحى ، وكثرت نشرها مع هذه الرسائل ، لأنها جاءت مضمونة فيها ، لتكون خاتمة الكلام . ولأحظ-أنني فضلت نشر جميع ما تلقيته من شكر الله الجبر خلال أربع سنوات ونصف ، لعل أحداً من دارسي أدب المهجر ، أو شكر الله الجبر يستفيد منه :

ما دمت أنت

أنا لا أستمع وفوق خدم ما يشتم ويظلم

أنا لا أبالي في لرامك ما يقول الرفيف

حسبي من الانصاف لمن في قوامك أعيد

حسبي من الانتقام لمن في فيسوك يعزف

ومنال لوصفي في الإهداب حين تفرلف

لن أشتكي بربوا ومندي من حناتك مطف

لن أشتكي فجراً وطيفك كيف يرت بطوف

لن أشتكي مثقفاً ولني من فيك ما أفرط

لني من أتيك الخذولة في اليوم مطف

ما دمت أنت يجاني تطو الحياة وتظرف

لنارت الفس

للف شعوره كي يسري ما في الفنون من البديع
أو لا فلتك سوف يقبض طلفس العيشن فسرع

« أما ما يتعلق بكتابك المخطوط «أدب أسحق» بالنسبة القومية» ننسب جهداً إلى طبعه في دار ما من دور النشر ، وأصحاب هذه الدور ، يا أخي ، تجار وليسوا بآباء ، ليتبنوا قيمة الأدب الصحيح ... أن أدب أسحق شخصية قوية لا مشاحة ، وهو كما ذكرت عنه علم من أعلا النهضة في عصره ، فويل بغير هؤلاء الأميون من جماعة دور النشر مكانته ؟ على كل سنرى ما سيكون . تطف بقبول أرق مشاعري الأخوية ، وأسلم للمخلص . شكر الله الجبر .

آخر رسالة كتبها لي كانت قبل ثلاثة أشهر من وفاته تقريباً ، تاريخ هذه الرسالة ، وهي الماشرة ، ٢٥ - ١١ - ١٩٧٤ ، ووفاته يوم الأحد في ٢٢ - ٢ - ١٩٧٥ ، حدثني فيها من الذين من أدب المهجر في البرازيل عمياً : المرحوم موسى كريم صاحب مجلة « الشرق » الدائمة الصيت في دنيا الافتراء ، والشاعر الحمصي ميشيل مغربي - مد الله في عمره . يقول في هذه الرسالة :

« أخي الأستاذ فتوح حفظك الله وإبقاك إخوانيلا وعزيراً على قلوب محبيك وأنا منهم .. أخلت رسالتك اللطيفة ، تشرق أشراق وجهك الأنياس ، بما فيها من صفاء ووفاء . أما بخصوص زيارتي مدينتكم الجميلة دمشق ، فآتني بالرغم من تشويي إلى هذه الزيارة ، أرجعها إلى أوائل الصيف القادم ، بين نوار وحزيران ، أن شاء الله ، وسيكون حظي كبيراً بمشاهدتكم وتلقيص الإصدقاء والأدباء شاكراً لك منذ الآن حسن ضيافتك ، وهي من تمصيل الحاصل لدى أدب كبير من طرازك ، عرف بمكازم الأخلاق وكرم الضيافة » .

« أخي ، إليك معلوماتي عن الزميلان موسى كريم وميشيل مغربي ... »

أما موسى كريم ، وهو صاحب مجلة الشرق الجامعة الصورة الصادرة (بمدينة سايباواو الضلمية التجارية الكبرى) فقد بدأ حياته جامع إعلانات لجريدة « أينا الأول » اللبنانية ، لصاحبها شكري الخوري من بلدة بكفيا ، ثم انتهى به المطاف إلى إصدار مجلة شهرية دعاها « الشرق » ، أعرف من خلالها كيف يستثمر متجنبة الأغنياء بنشر رؤسومهم الشخصية ، ورسوم أولادهم بمناسبة حفلاتهم الاجتماعية من أعراس ومآتم ، وعرف أيضاً كيف يستدرج الأدباء لنشر خواطرمهم الأدبية من نثر وشعر ، مع التوبة بهم ونشر رؤسومهم .

لم يكن كريم كاتباً بليغاً ، ولا مفكراً حقيقياً ، كان كاتباً عادياً ، ومحدثاً ثرثاراً ، يشجرك بثراوته . وقصاري القول كان تاجر في مجلته ، ولا يسمى أدبياً بالنسبة المعروف .

كان ذكياً ونشطاً ، أجاد اللغة البرتغالية ونقل عنها أشياء إلى العربية ، كما نقل عن العربية أشياء إلى البرازيلية ، منها من كتب « كليله ودمته » ، ومنها عن

بلا وجه

على جسر قديم ، غير محتاط
عبرت فجرا تحتي
مسافاتي واشواطئ
ولم يترك لي الامس الذي غادرته سرا
سوى تكرار انماضي
سوى رسمي وتصويري وفعلي كل اغلاطي

انا احيا بغير غد
بغير مضافة بيني وبين الامس
« هذا العاجز الخاطي »
كمثل التهر والشاطي
وكأمرأة بدون قلادة ، مشط واقراط
اميش انا بلا وجه
فمن ندم الى ندم
الى فشل لا فراط
ومن منف الى لين
الى حذر لا فراط
خائن دائما لنفسه
كمن يمشي على شوك
على اسنان امشاط
فلا التاريخ يحميني ولا تبرير اجابتي

صفاء الحيدري

بفساد

ARCHIVE
http://meta.Sakhrir.com

وجدت ان جمود الاناهية في اتصال اتصال من سموه انسانا
الشورة الفرنسية
قال الفرنسي قولا قد جرى مثلا
لم تتج الثورة الكبرى لنا لمرأ
ما هه امصة (البستيل) مدفتنا
دعشق
عيسى فتوح

حق القنون على الثقافة ان تكون لهذا مراجع
ان القنون مثالي الاجيال تنطق بالبروالسنع
لسم تفكر من مدنية لها من ثرات الفن جامع
جمود الاناهية
لو كنت تعلم يا ابن الارض ما اشتعلت عليه ذلك من اسرار فيالسا
وان نملك هلي وهي نيرة ننتخب الكون اشكالا والوانا

قلت اسمع حبيب النجر ..

وقد هزه النسيم هزا
خفيفا للآل يشمرني
بالوحدة في هذا الصمت
الرهيب ... وما زلت أرى كيف
ان الشمس ترتقي وحدي في وحشة
الطبيعة ، ولكنها أرسلت القمر ليروني
الي من بعيد ، وقد أرسل خيطا من
نور ملأوجت فيه أوراق الشجر حتى
لكانها ورقة من أوراق الاساطير
القديمة كتبت لها الحياة ...

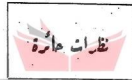
ومثلت اذكر كيف انتني بعد
انتظاري الطويل ، وهي تتمايل مع
النسيم الرقيق ، وتضحك ضحكته
المتعاد التي لو قابلت بها انسانا يريد
الانحلال لماد من يره بهمة المؤمن
ومزيمة المجاهد في ساحات الدنيا
تضحك له . ما زلت اذكر كل هذا
وكيف قالت لي وقد تكلمت مينها
السحران قبل ميسهما الجميل ،
بلهجة الفيلسوف الذي احكمسته
التجارب وعلته الأيام ، وقد تعددت
على البساط الاخضر ، وراحت تنظر
الى أوراق الشجر كأنها تتأجج !

— ان الطبيعة يا صديقي .. لتسخر
من الانسان أحيانا .

— وكيف ؟
— تراه يقبض من شعوره في ساعات
جالة من صفاء السماء ورقة النسيم ،
وتدب فيه يعيش مع الخيال فهو ملك
تارة وانسان قضى عليه الدهر بالمذاب
تارة أخرى .

وتنهت لم تأتيت كلامها ...
ويرى نفسه وقد ركب بساط
الريح يسابق به السحاب ليوصله
الى أمانيه البعيدة ، ليس هذا من
خداع الطبيعة لهذا الانسان البائس !
استكتب بره كأنها افتتحت كلامها
.. وحاولت الا ابدي اهتماما كبيرا
بما قالته لانها تحب ان تمتزج بالكله
وكانها صاحبة كل فكرة جديدة ..
ابت في كتاب او مجلة او في سطر من
سطور سفر الطبيعة .. ثم قلت
وقد بدأت اصابع يدي تعبت بشعرها
اللحي ..

— عزيزتي .. ما اجلاء من خداع
وما اشجاء .. قولا هذا لكان الانسان
في ضحك من يشه لا يدري ميلاذا
يفعل ، فالحياة تطبق عليه من كل
جوانبها حتى يكاد يختنق ما هو فيه ،
ويشعر ان الرياح قد توقفت وتوقفت
معه اسباب الحياة ، ويرى كل شيء
قد لسته اصابع الموت حتى تركته
عزلا فيه معاني الموت ... فهذا
الانسان يفزع من عاله المظلم السي
عالم تسبح تتمايل فيه الشجيرات
عناق الأجنة بعدفيا بلول ، وتنفس
فيه نسيجات الحياة على صوت
طروب من قبلات الشجر ... فهذا
أحببت لهذا الانسان البائس ان
يعيش في غير عاله ولو لخطفت
يسرة ..



بقلم ابراهيم زبيق

وكانت قد أغمشت مينها
الساحرين كأنها في شبه حلم ، وبدأ
على وجهها القاتن بعض معاني الحزن
لا أدري ما سببه . ثم تأتيت حديثي
وقلت :

— ثم ان الطبيعة يا حبيبتي قلعة
المشاق يحتمون بها من غطرسة
الهجر ، ويسلون فيها من غصة
الفرق ، ويجدون فيها من يشاركم
هذا الالم الجميل .. الذي تخشاه
النفس من محبة ورضى .. وأمني
به هذا الحب الطاهر المقدس ...



اعتذلت في حشيتها ونظرت الى
نظرة فيها بيان يلخ ، وهمت ان تتكلم
بشيء غير انها اخفت سرها وامسكت
ضحكة وقالت :

— اراك اليوم تتكلم من الحب
وعن الهجر كأنك ادب يتقن صنعه ،
فهو يحاول ان يصنعك مواسف
وأهات في قصته حتى تكون رالجة
في سوق الحب ، يتهاوت عليها
المحبون التجاريون .

— وكيف يكون الحب تجاريا ابتها
الحبة الاقتصادية ؟

ضحكت ضحكة تريد ان تعطيني
بها غير اني قلت :

— يا حبيبتي انتي لا انتظر الجواب
ملك لانني امرتك حق الميزة ولكنني
اقول لك ..

وقاطعتني في حديثي وقالت :

— لا احب ان تفهم مني ما لا
افهمه .. وأنا اتكلم من المحبين
التجارين الذين يمنون احلامهم باماني
كبيرة لا تدور فرقة هواه كبير وكبير
ثم تتلاشى مع مرخات الاطفال لها ..
ليس هناك اناس هذه صفتهم ؟

— نعم ولكن ..

— ولكن ماذا ايها الاديب .. عفوا
انت الآن من الحامين .. !

— دعيني من هذا الموضوع ..
وقمت وقامت واخبطا نمشي بين
اشجار تنهاس فيما بيننا عن المحبين
.. وكادت ان تنزلق فاسرعت
وامسكت يدعا وقلت :

— حبيبتي .. لا تقني ابدا اني
احب ان ادافع عن هؤلاء الخدوعين ،
ولم اقصد ان اغيظك ..

ولكن أه .. لو تفهميني .. غير
أناك يا عزيزتي ..

قالت وقد اخذتها رعدة من
رغشات الحب :

— عصام .. انني احبك حبا
صادقا لا تجاريا .

— وأنا كذلك .

— ولولا هذا لما أتيت اليك طالمة
مختارة ، وتركك وراني ابا واما لا
يعرفون أين ذهبت ، وأنا يا عصام

منه ان رايتك لأول مرة احببت فيك
رجولتك المبكرة ، وبراك الذي ينفذ
سحرا كسر هادوت ومباروت ..
واحببت فيك صدقك وحبك الذي
منحتني ولن اجد مثله ابدا ما عشت
... ولكن ..

ونظرت الى زهرة كانت ثابتة
بين اشباب قصار ، كانوا يحاولون
ان يتناسوا اشياء كثيرة تراها اينما
جلت ، ثم رقت واسمها نحو السماء
وقد ابصرت دعما يتفرق في عينيها
الزرقاوين :

— داعمي مثل هذا يا حبيبتي ،
ما هو بعب حزن ولا كآبة .. الا ترى
كيف الطيبة اليوم كانوا في زفاف ..
— اين الزفاف ، واين تنريد
العصافير ، واين يسمت الزهر ،
كلها كانوا في احتفال .. عصام ...
لا ترال انت في مستقبل العمر ، والدنيا
قد هملت لمجيك ، ومستقبلك
الزاهر نجمة في السماء ينظر اليها
كل انسان على انها مصدر اشعاع
ونور ... اما انتا ...

وبدات الدموع تسكب من عينيها ،
وراحت تبكي في بكائها ، وانقضت
الى صديري انضمام طفل الى صدر
امه .. يجد فيه كل معاني الراحبة
والطمأنينة عندما يشتد به الفزع ..

— وانت ايضا في مستقبل العمل ، وقد
زفت اليك البشائر مع ازهار الربيع
واشعة البدر ، فهذا شركك الذهبي
الذي تداعبه نسيجات القربوب ..
وهذا عينك الزرقاوان الصافيتان
صفاء السماء لكهما معان تنبش
بالجمال .. وهذا نظركم الناعمة ،
وهذا الوجه المتأله يشفرتة حتى
لكانه خلق من نور الفجر ...

— ارجو يا عصام الا ترخرف
الفاظك وتجعلها سهاما في قلبي ، فانا
جميلة حقاً ولكن ...

وسكت هنيهة كان نفسها تنازعها
على الا تتكلم ... خوفاً وخشعة ،
علما ما اشمر به ...

— ولكن ماذا يا حبيبتي ..
— او مستعد يا عصام لسماع

الحقيقة ...

— قولني ما شئت ..

— وان كان هذا سبب الفراق
لا اجتماع بعده ..

واخذ الدوار براسي حتى اصبحت
كانني نمل .. شبه سكران ..

— هل انت جادة فيما تقولين ..
— اذن لت بمستعد لسماع

الحقيقة ، وليس هناك وقت آخر
لها ..

وتركت يدي وهمت بالسير وحدها
.. فلارعتها وقلت :

— ان كنت يا حبيبتي سبب
شقائك فانا مستعد ..

ولكنها اخفت دموعها بالنظر الى
ناحية اخرى ، ويدت مرتبكة لا تدري
ما تفعل وهمت بالسير .. واخذت
الشمس بالغروب ، وراح الليل يلبس
سواده ، اما الزمان فكان ان يتوقف .
نظرت الى نظرة فيها معاني الوداع
الاخير ... والدمع يتفرق فسي
عينيها .. ثم قالت كلمة واحدة :

— تاخرت ...

جمعت انا في مكاني كانني جنناد
لا روح فيه ، وغابا الكلام بين غياهب
الحزن ، ويدايت تيمد عني قليلاً ..
قليلاً وهي تنظر الى الوراء .. وتقول
في عينيها : غداً التاك ...

وانهمرت من عيني دموع الوداع ..
ولم ادر بعدها ما فعلت ...

مغبت ايام وسنون ، ولم تعد ،
ولم ارها ابدا ، وصرت اذهب كل
يوم الى شجيرات الصفصاف التي
شهدت ساعة الفراق ، ابثها حزني
والي .. ولكن لا جواب على هذا
الا اوراق تش عندما تلامس النسيم
وذهبت مع سرها الدفون في صدها
لا ادري ما الذي جرى .. ويت انظر
نظرات حائرة في هذه الحياة نظرات
كلها قلق وفنوط .. وقلت مساللا:
احتكدا يكون الوداع ... ام هكذا
يكون التلذذ في احدي صوره ...

فتاة لموب قد اخلت من كل شيء
نصيحا ، فان سمعت كلامها وجدت

... حلاوة وطلاوة ... وان رايتها بجملته
رايت فتنة تتحرك وعاطفة تتأجج ...
لم اكن اعرفها ، ولم اكن اعرف
الجمال قبلها .. في عينيها يريق
الدواء ، وليلح في شغفها شفق
الغروب اما وجهها فهو مشرب بالحمرة
الدائمة كان فيه معنى من معاني
الحياة ...

كان اول لقاء بيننا في مكتبة عامة ،
اذ كنت موظفاً صغيراً فيها ..

كنت اسامر مع بعض الموظفين
في فناء المكتبة ، اروي لهم من اخبار
الظرفاء ، واذا دخلت فتاة بكلمك
حسنتا وانت تراها كانوا بيان ساهر
من بيان الجمال حول الى فتاة ...
نظرت اليها نظرة تقدير لهذا
الجمال الاخاذ .. وتوقفت من حديثي
هنيهة لم يابعتها ولكن بلا تفكير ولا
روية ..

وبدات قصة حب انتهت كمناس
تنتهي اية حياة .. وكان آخر سطر
من سطورها في روضة غناء هكذا
قالوا .. وان اول خطوة نحو الحب
هي اول خطوة نحو العذاب ...
كنت احبها حباً صادقاً تجسد
في ملامحتي لها خلال فترة حبنا ،
وقد احببتها لجمالها وكبريائتها
وغفتها .. ولكن عمل كانت تحبني
مثل هذا الحب ... ؟

كنت اذكر فيها ليلاً ونهاراً ، اينما
نظرت رايت فسحة الخلاء ونظراتها
الثابتة ...

اما هي فتارة اراها تحبني حباً
حتى لا اشك في صدقه ، وتارة
اخرى اشعر بنفسي كائن في زاوية
السيان عندها .. او كجسر ملقى
في طريقها لا تلفت اليه ..

مرت شهور ونحن على هذا ..
حتى كان الفراق بيننا في احد
الاماني .. قالوا عنها بانها بالأسين
السادة .. ولم ارها انا الا احدي
اودية العذاب ..

لم ادر سبب فراقنا .. غير انها
قالت ستعود ولم تعد ... وذهبت
مع اياها الجميلة كما تذهب نجمة

بالي الخابور

يا ليالينا على الخابور ، كم تقري ، وتصري
بجديت عن مغاتي الحب في روضة شمري
وشمعاء السدر يلقانا على قيمة عطر
يرسل الأنوار للخابور فيندي كل زهر
والدني ، كوخ ودوح
واغاريد ، وبسوح

زورق الاحلام في الشط ، تهادي بالنسي
يسمت فيه الأماني من رؤى الحب ، لنا
وزعت من حوله الادواح فرحى الميخا
يا حبيبي ، ذهب المشاي ، والليل دنيا
زورق من لك ليله
ترقص لانجم حوله

والهواء العلق يشدو ، بين اوراد الجنان
والشفاف الخضر نشوى من اغاريد البداني
تحل الاطياف للخابور في مزج الاغني
وهنا - أنت ، قلبتي - وتباريح الزمان
والشدا ، هبتنيا
يملا الافاق ربا

يا حبيبي ، هذه الشيطان ، مهوى ذكرياتي
فتصال اليوم ناهو برفيف الامنيات
واعطني من فلك الوردى طحو التمنيات
يا حبيبي . . . لا تمنني غارفا في لهاكسي
لم لا تأتي ، حبيبي
أنت زواجة طيبي

يا ليالي . . . أين أنت الآن مني يا ليالي
أين تلك الليلة القراء في حفن السوالي
يوم هلت غداة الدنيا تفتني في وصالي
وعلى الخابور يجري الجعد موشور الجمال
يا ليالي ، أنت صفوي
أنت والخابور ، شدي

الخابور : نهر الجزيرة السورية واحد روافد الفرات.

اسماعيل عامود

دمشق

هناك موتا غير هذا الموت السلي
نراه . . .

ما اشقى الحب .. يشتري علابه
والامه وهو ممتلىء مسادة وسرورا
لم يبكي من آلامه بكاء طفل غابيت
امه عن انظاره . . .

ابراهيم ذبيق

دمشق

المصطع لتوقعتني في شركها لم تتركتني
وحدي لا ادري اين اسير . . . ام انها
رات جلوة شباب في فحاولت
اخامدا . . . ام رات زهرة احبت
ان تميتها ام انها خلقت لتكون دليلا
على ان الانسان يموت بغير سلاح ولا
مرض ، ولتكون دليلا آخر على ان

في السماء بين طيات السحاب . . .

لقد آثرت الا اتع في حبها . .
وتظاهرت بالكبرياء . . . ولكنها اذلتني
.. وتركتني ذليلا . . . اسكن في طريق
الحياة . . . من غير هدى ولا بركة
من امل . . .

هل فعلت كل هذا السحب

الطب في الكوارث والحروب

بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

زيملة الجمعية الطبية لطب الناق الحارة والصحة ببريطانيا وديسمبر
الصحة العالي من جامعة لندن

وعلى ذلك ينبغي اتخاذ الخطوات التالية : التدريب
على الاسعافات الأولية على اوسع نطاق ممكن حتى تشمل
اقتضى الامر تدريب الشعب كله بوسائل الدباغ والتفريغ ،
والى ذلك يجب توفير مختلف وسائل النقل الاسعافية السريعة
كالطائرات العمودية او الهليكوبترات والطائرات والسيارات
بل حتى قطارات بواخر الاسعاف المزودة بمستشفيات
متنقلة لتسرع في الحال الى مواطن الكارثة ، وباعتقادنا
ان الهليكوبترات اشدها نفعا في البر والبحر ، على ان
تكون مزودة بتمام التزويد بحقائب المعدات الطبية والماء
والطعام .

وليس بجمعة من ينكر اهمية المستشفيات المتنقلة ولعل
العرب كانوا من اوائل الذين استنبطوها واستخدموها وذلك
في العصر العباسي وقد اشار اليها آدم ميتز في كتابه :
« تاريخ الحضارة الاسلامية » فالمستشفيات المتنقلة ذات
نفع كبير في الحروب وفي اعقاب الحروب ولاسيما بين
اللاجئين ، وقد كانت المستشفيات المتنقلة تحمل نسي
الهليكوبترات أثناء الحرب الفيتنامية ، ويستعمل للسي
ذلك سيارات العلاج الجواله وغرف العمليات المتنقلة .
ومن المهم ان نذكر وجوب اقامة مستشفيات صغيرة
لا تبعد كثيرا عن المطارات المدنية والعسكرية ومحطات
سكك الحديد الكبرى تحسبا للاحداث والطوارئ .

وفي كل كارثة يجب معرفة ابعادها وقد نحتاج الى
اخذ تصاور لها من الجو كما حدث في الزلازل التي وقعت
في ايران سنة ١٩٦٤ ولا بد من تجنب الازدحام وتفرسق
التجمعات جهد الامكان ، واعادة وسائل الاتصال والنقل
كلاذمة والتفوق والطرق والجسور والخطوط الحديدية ،
وتقوم في الوقت ذاته فرق خاصة باخماد الحرائق ، ويمكن
حمل الماء بخزانات الماء السيارة وبالقطارات والطائرات
ولاسيما العمودية منها او حتى اذا اقتضى الامر بالبحر
في خزانات اسطوانية ضخمة مصنوعة من البالدن تعلق على
وجه الماء ، فالله في الكوارث الحربية وغير الحربية اهم من
الطعام ، والطعام في الوقت نفسه ليس حلا وتوزعها .
وفي كل كارثة مهما كانت لا بد من قيادة شجاعة
حكيمه لرفع المنويات الى اقصى حد ممكن فالعامل النفسي
يلعب دوره الخطير في هذا الميدان .

وتجبه المالحات الاتية عادة الى معالجة الصدمات
والنزيف والفترنتا او تعفن الجرح . اما الحروق فيجب
ان يقام لها مركز خاص مستقل ، ويوجه اهتمام خاص
للتلقيح فالخوف اشد الخوف من التيفوئيد والتيفوس
والكوليرا والديزنتري او الزحار واحيانا من الجديري
والتهاب اغشية الدماغ او ذات الحجاب المعافية .

ويجري التطعيم في مسكرات اللاجئين على الحدود
قبل مودهم الى قراهم ومذتهم التي اجروا منها وان اي
تاخير يزيد من صعوبة حصر المدمين ونقل من فعالية

يتعرض المجتمع البشري من غير شك لكوارث عديدة
بعضها طبيعي وبعضها من صنع بده ، فالطبيعي منها
الزلازل والانفجارات البركانية وانهيار الصخور العظيمة
وسقوط الانبية والمنارل والفيضانات واتسار السدود
والقحط والجامة وحرائق الغابات والوبئة كالطاعون
والتيفوئيد والكوليرا .

اما الكوارث غير الطبيعية التي من صنع بده
الانسان نفسه فاعمها الحروب وتتضمن الفرات الجوية
واقامه التنايل الدرية والصواريخ التي تحدث حروقا في
القرنية واشرارا جسمية وورائية كسرطان الدم وسرطان
البشرة وتشويه الاجنة ، فضلا عن الانفجارات والحرائق
وسقوط المباني .

وهناك طائفة ثالثة من الكوارث تقع بين الطبيعية
والصنعية كسقوط الطائرات وخروج القطارات من خطوطها
وامطام السيارات والحرائق وانهيار المناجم ، واهمها
ينبغي ملاحظته في الحالة الاخيرة فحص عامل المناجم لئلا
تكون لديهم امراض قاتلة اي كبريتات الذي يحرم عليهم التدخين
والنحس من الفاز لحصا دقيقا ، ولا تستخدم الا الادوات
التي لا تقدر شرارا .

وتكون الكوارث ولاسيما الحروب خطرا على الزرامة
وتسبب انتشار اللاجئين والجامة والقتل والسرقة
والامراض الزهرية في اعقاب الغراب والقوى فكل هذه
ينبغي اتخاذ احتياطات مشددة لها مسبقا .

وتفاعل الاوثة والجامة او هبوط مستوى التغذية
مع الحرب ، فالعرب تدفع الفلاح من حقله الى ميدان
المركة تنقل مزدوراته فيفسي ذلك الى القلاء والقحط
وسوء التغذية تنقل مناعة السكان فيقعون ضحايا للامراض
البدينية والنفسية ، والحقيقة ان الحرب ما هي الا انفعل
شديد على مقياس جاني واسع .

وما يقاب الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية من
حروب وغير حروب ليس باقل خطورة من التخريب
الباشر الذي تحدثه ، فبعد كل كارثة يندو العدد الكبير
من الناس بلاماوى محرومين من الطعام واللباس والضرورات
الاساسية الاخرى ومعرضين لطروف مناخية وبتيهية
سيئة .

ذكرى

الى فؤاد الخشن

والهوى للقلب يوحى بالخشوع
شهدت حلو لقاء في البيع
فوقها والشوق يوي في ضلوعي
فيغنيها لنا راعي القطيع
تجمل القطعان في صمت بديع
مؤبل يعرف في التجوى خضوعي
يعث الاشواق في القلب الوجيع
لاعج الشوق ، متى يوم الرجوع
روغسه في صبوة الصافي الطيع
لحسن هائمات في الربيع
في الرسى من بين هاتيك الجروع
يلهم الفنان بالوحي البديع
هل لصيحات ندائي من سبع
منك ، يوما غام من بين دموعي

اذكري ، يوم التقينا في الربيع
كان تذكار الهوى في ديسوه
كم جررت الذيل من زهو الصبا
ارسل الاشعار في نور الضحى
زفرات الشوق في زمساره
تلك ايام لها في مهجتي
والهوى سحر الى اهل الهوى
يا منى النفس التي يهها
كلما مر ربيع ، همت في
اتلى كل وجه ضاحك
لم اجد وجهك في الوادي ولا
فاب عني نور عينيك الذي
اين انت الآن ، يا حوريتي
كلما لاح لعيني منظر

احمد محمد آل خليفة

البحرين

قبل كل وجبة بالماء الفلاني لمدة خمس دقائق او استعمال
محلول الكلورين ١.٠٠ ملغم في اللتر الواحد لمدة ثلاثين
دقيقة ، ولتعرض التعقيم العام يحتاج الشخص الواحد الى
٢٠ غراما من الدود. د. واقل ما يمكن من المسافة بين
فراش واخر هو ٧٥ سنتيمترا على ان يخصص للشخص
الواحد ثلاثة ونصف متر مربع في جوف هواه لا يقل عن
عشرة امتار مكعبة .

ويجب ان يدفن البراز والقاذورات تحت ما لا يقل
عن ثلاثين سنتيمترا من التراب .
وقد دلت التجارب على ان المراكز الصحية والملاجئ
المرتنة الزودة لفضايا الكوارث كثيرا ما تفتقر سبلها
المشكلات والمصاب ، ومن اهمها التأثير النفسي للكثرة
متجلبا بتبدل الاحساس وفقد الشعور ، ومستوى المعيشة
الواطئ للكثيرين منهم قبل وقوع الكارثة وجعلهم بطرق
استعمال التجهيزات الزودة والحفاظ عليها ، فينبغي
والحالة هذه توجيههم وارشادهم باستمرار ليكرتوا على
مستوى نفسي ومعيشي وصحي معقول .

صبيحة الدباغ

لندن

التطعيم ، ولا بد من توفير كميات كافية من مضادات
الكوليرا والسالتونومايد بصورة خاصة والمجسولة دون
انتشار مرض اللاريا .

وقد تستدعي الظروف احيانا استخدام ذوي المهن
الطبية والمرشآت من بين اللاجئين غير المصابين انفسهم
او حتى من بين المساجين والمتطوعين الاجانب .
ومن المآثم ان تكون لدى كل دولة تجهيزات ومعدات

مهيئة للطوارئ التي تتوقع ان تعرض لها يوما ما ، وقد
تكون مجمعة في موقع واحد او موزعة ، وهو الافضل ، في
مواقع حساسة متعددة . وقد اجريت احتماليات علمية
دقيقة لما يحتاج اليه كل عشرة الاف شخص من المصابين
بالكارثة من جميع الوجوه الطبية والنفسية والوقائية ،
وكان يودي ان استعرض نموذجا منها بفقراداتها ومقاديرها ،
غير ان المجال لا يتسع لذلك ، مما يجعلني على ان اقتصر
على الحقائق التالية :

تحتاج مستشفيات الميدان ما بين ٤٠ الى ٦٠ لترا من
الماء يوميا لكل شخص ومن ٢٠ - ٣٠ لترا في مراكز
التغذية الجماعية للشخص الواحد يوميا ، والمراكز الفيل
٣٥ لترا لكل شخص في اليوم ، ويجب تعقيم أدوات الطعام

بعد المحنة

نخرج الآن ، من بين الركام والضحايا ، لننفض عن كواهلنا غبار الشر المستطير الذي جثم على صدر لبنان ، عشرة أشهر ، ذاق فيها الناس ، هنا ، ما لم يذقه شعب في تاريخ قديم او حديث .

ومجلة « الاديب » التي لم تقو على اسكات صوتها مدافع الحرب العالمية الثانية ، والضاقة اثر الضائقة ، مما تحملناه قوميا وشخصيا في هذا الشرق العربي ، كانت احدى المؤسسات الفكرية التي شاركت في دفع الثمن الباهظ ، فاضطرتها المحنة الدامية الى الاحتجاب ، وهددت القذائف المجنونة حياة منشئها وعائلته ، بعدما اتت النيران والقنابل على اقسام كبيرة من مكاتبها وغرف المنزل القائم في اكثر مناطق بيروت حدة وحرارة ، وتعرضا لتيران الفرقاء المتحاورين بلغة الدمار الرهيب .

وفي هذا العدد المزدوج الذي يصدر على هذه الصورة التسمية ، للمرة الاولى منذ نشأتها ، تحاول « الاديب » ان تستدرك ما كاد يثبت من الوشائج الفكرية بينها وبين قارئها ، وان تسابق الايام السوداء التي جرت سراعا ، وفي يقينها ان كل وسائل النار والدمار لن تستطيع ان تخرس كلمة العقل ، ولن تقوى على قهر ارادة المحبة في بناء الاوطان .

واذا كانت « الاديب » تشكر من الاعماق كل احيائها واصدقائها وقرائها الذين تطففوا بالاستفسار عنها ، وعن منشئها وهيئة تحريرها ، فهي تود ان تجدد عهدا للمؤمنين مثلها بان كل دولة تدول ، الا دولة الفكر ، فهي الى غير زوال لان بنيانها المرصوص قائم على اساس المعرفة البصيرة الواعية .

ولسوف نستأنف المسيرة الصاعدة ، في خدمة الادب العربي ، بالتعاون مع الاقلام العربية الخيرة التي سوف تتخذ من احداث لبنان عبرة تفيدها في مقبلات الايام ، على امتداد اقطارها ، لاجل اطلاق قيم الانسان من اسارها ، وكبح جماح الوحش الكامن في اعماق الكائن البشري .

ان مجلة « الاديب » ، وهي تضم جراحها بشموخ وكبرياء شبيهين بشموخ لبنان الجريح وكبريائه ، لتعرف انها مدعوة الى اعادة البناء ، وهي واثقة بان كل احقاد الشر ستندحر امام سماحة الخير ، في نهاية المطاف!

الاديب

تنقصها الدقة من أبي شادي ولعل من الاحجى تصويبها قبل ان تستقر في ابهاء التاريخ الادبي استقرارا يتعذر المساس به . وليس مقصدي ان اخطيء احدا ، وانما مقصدي ان اذكر بوقائع هي في متناول اليد .

فقد كتب سالم علوان الجليبي من بصرة العراق فصلا في « ادب » ابريل ١٩٧٥ استنتج فيه من قولي انني وقفت على قبر أبي شادي في واشنطن في ٨ سبتمبر ١٩٥٥ بعد ثلاثة اشهر من وفاته ، ان تلك الوفاة قد وقعت في يوم ٨ ابريل ١٩٥٥ على وجه القطع والتحديد ، وهو استنتاج متعسف يحمل الالفاظ اكثر مما تحتمل ويؤولها بغير ما تشير اليه . وهو لو رجع الى مجلة « الادب » لوقع في عدد يونيو ١٩٥٧ على فصل لي عنوانه « رجل المبادي » احمد زكي ابو شادي » وقد كتبت به بمناسبة انتشاء عامين على وفاته في ١٢ ابريل ١٩٥٥ ، وهو التاريخ الصحيح لوفاة الذي اكده جرجي نصر في عدد يونيو ١٩٧٥ من « الادب » بعد رجوعه الى كتابات استاذنا العلامة روكس بن زائد المزري .

ولست في حاجة الى نقل تاريخ وفاة أبي شادي من صحف او مراجع ، لما زالت تحت يدي البرقية التي تلقيتها من أسرته في واشنطن تنعاه يوم وفاته . فضلا عن انني قرأت تاريخ الوفاة محفورا على اللوحة البرونزية المثبتة على قبر أبي شادي في ضواحي واشنطن .

ومسبقنا ادب مروءة ، صاحب مجلة « السياحة » اللبنانية ، شاء ان يحيي فؤاد القصاص الذي يصدر جريدة عنوانها « المصري » في لوس انجليس ، بمناسبة الدعوة التي قادها لاقامة مهرجان شعري كبير لشاعر المهجر الأكبر جورج صيدح تكريما له على اباديه على الادب والشعر المهجري بوجه خاص ، فكتب في عدد ١٥ يونيو ١٩٧٥ من « السياحة » كلمة قال فيها ان محاولة القصاص اصدار جريدة مصرية في امريكا هي « المحاولة الثانية بعد محاولة المرحوم الشاعر زكي أبي شادي الذي اصدر مجلة ابولو في امريكا في الثلاثينات من هذا القرن » .

ومجلة « ابولو » - التي صورت مجموعتها اخيرا في لبنان وطبعت بطريقة الاوفست - كانت كما يعلم الذين خضرمهم الله - وليس منهم ادب مروء المجدد الشباب والفتوة ! - تصدر في القاهرة لا في امريكا ، وان هجرة أبي شادي الى الولايات المتحدة لم تم الا بعد الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٦ لاني الثلاثينات من هذا القرن .

واستاذنا الكبير رشاد علي ادب ، عزته اربحتة فوجه الى تحية سخية مشكورة في عدد أغسطس ١٩٧٥ من « الادب » قال فيها انني كنت عضوا في جمعية ابولو المشهورة ، وهو شرف لا ادعيه وتهمة لا ادفعها ، كما يقول مكرم عبيد باشا ! ولعل استاذنا رشادا استنتج هذه العنوية من كتابات أخي الحميم الدكتور خفاجي الذي لا يفتأ ينسب الي في كتبه صفات ليست لي ، ويضعني في منازل ادبية لا احلم ببلوغها او الظفر بشيء منها . والخفاجي قد



الدكتور احمد زكي ابو شادي

هديت مستطرد عن أبي شادي

بقلم وديع فلسطين

على قرب عهدنا بالشاعر النائر العالم الاديب الفذ الدكتور احمد زكي أبي شادي ، بدانا نختلف على حقائق ثابتة ، بل منشورة ، في سيرته واعماله ، هذا على الرغم من ان ابا شادي كان من اغنى الادباء المعاصرين بالدراسات التي انعقدت عليه في حياته وبعد وفاته ، فقد كان موضوع رسالة جامعية نال بها صاحبا الدكتور كمال نشأت درجة الدكتوراة كما كانت مجلته « ابولو » موضوع دراسة اخرى نال بها صاحبا الدكتور عبد العزيز الدسوقي درجة الماجستير ، عدا كتاب « رائد الشعر الحديث » بجزئيته للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وكتيب اخر لحمد عبد الفتاح ابراهيم ، ودع عنك الدراسات المستفيضة التي دججت عنه باقلام اساتذة الادب ومنها كتاب كبير بالانكليزية لاسماعيل احمد ادهم ، وكتاب صدر في العام الفائت عن جماعة ابولو بمناسبة انتشاء اربعين عاما على صدور مجلتها ، وقد اشراف على تحريره الدكتور خفاجي ومصطفى عبد اللطيف السحرتي وحررت فصوله باقلام اسدقاء أبي شادي وتلاميذه . وفي الاوان الاخير ، قرأت في ثلاثة مواضع استنتاجات

قال في غير موضع واحد من كتاباته انني من امتدادات جماعة « أبولو » ومن المؤتمنين برأدها أبي شادي والمتأثرين بانجاساتها ، فجاء استاذنا رشاد وتفصل ففعل تنصيصي عضوا في الجمعية من فيوض كرمه وسخائه .

وفي هذا الصدد ، قرأت في عدد سبتمبر ١٩٧٥ من مجلة « العربي » الكويتية كلمة عنوانها « جمعية أبولو الأدبية في مصر » كتبها صديقنا الاديب الكبير م . خ . ت . وهو هو محمد خليفة التونسي ولا سواء . ويبدو ان التونسي اذ يعيش في غربته الثانية بعيدا عن مراجمه ، ولم تسعفه الذاكرة وهو يحصى رواد جماعة أبولو الا بأسماء الدكتور ابراهيم ناجي وصالح جودت ومحمد حسن اسماعيل ومحمد عبد المظي الهمشري وجيلة العلالي وابي القاسم الشابي وظاهر زمخشري . ولكن ذاكرة التونسي خاتمه ففاته ايراد اسماء حسن كامل الصيرفي ومحمود أبي الوفا ومصطفى عبد اللطيف السحرني والدكتور مختار الوكيل وعامر محمد بحيري والدكتور عبد العزيز عتيق وعلي احمد بكثير وشفيق معلوف ومحمد مصطفى الماحي ومحمد مهدي الجواهري والياس أبي شبكة وغيرهم من الشعراء الذين اتصلوا بابولو وابي شادي ونشروا شعرهم في مجلته ، وعرفوا في العالم الادبي لأول مرة بفضل هذه المجلة . ومن هؤلاء الادباء والشعراء من انبثت بأمانة الضمير الى الاقرار بأنه لولا استاذية أبي شادي ورعايته وتوجيهه الحائي ، لما عرفوا كيف يشقون طريقهم في الحياة الادبية التي كانت حتى ذلك الوقت تميش في بهرة اباطرة الشعر شوقي وحافظ ومطران ، والمقاد والمآزني والرافعي .

سقت هذه الاستدراكات كمدخل الى حديث مستطرد عن الدكتور احمد زكي أبي شادي الذي رج الحياة الادبية في مصر رجة موقظة في المقد الثالث من هذا القرن ، سواء بمجلته « أبولو » او بمطبعته ، او بكتبته ، او بمحاضراته ، او بندياته ، او بجمعياته الادبية والعلمية والاجتماعية ، او باتصالاته ، او برعايته للجيل الناشئ من النقاد والشعراء والعلماء واهل الفكر .

وعلى مثل هذا النشاط نابز الدكتور ابو شادي حتى بعد هجرته الى الولايات المتحدة . فهناك انشا « رابطة متبرقا » - ومن ابرز اغصانها الاحياء الشاعر الكبير نعمه الحاج اطال الله عمره وامده بالصحة والعافية - وانشأ « المكتب الادبي المصري » وهو العنوان الذي اطلقه على مكتبه الخاص في نيويورك ، واتصل بالجامعات الاميركية ، ومعاهد آسيا والشرق الاوسط وحاضر فيها وحرر في مجلاتها ، وبعث الحيوية في الاذاعت الاميركية ، وشارك في برامجها الادبية والشعرية والتمثيلية ايضا ، وطير مقالاته ودراساته لتنتشر في المجلات الادبية او العلمية او الدينية التي تصدر في العالمين العربي والاسلامي ، ولم يدع ظاهرة من ظواهر الفكر الا عالجا واستجلاها ونبه اليها ، ولم يهمل كتابا نفيسا الا عرف به واحسن تقويمه وتقويمه ، ولم

يقفل ادبيا مرجوا او شاعرا مامولا او كاتباً ترجى خطاه الا اعتنى بهم وعرف باتأمرهم وجههم الوجهة التي تخسدم رسالة الادب ، وشجعهم بروح استاذيته واتصل بهم وتابعهم ايا كان مقامهم في دنيا العرب وفي دنيا .

بدات صليتي بابي شادي بعد هجرته لا قبلها ، وعرفته من رسالته وكتاباته ولم اعرفه بشخصه ، وان كانت الودة التي نشأت بيننا وتجاوزت لها روحانا قد قامت مقام اللقاء وكادت تفني عنه . فبينما انا عاكف ذات يوم على عملي في جريدة « المظلم » ، زارني الاخ النبيل والاديب الاصيل مصطفى عبد اللطيف السحرني ، وتحت ابطة اضباره كبيرة وفي يمينه لفافة من الورق الكالغافات التي يحملها المهندسون . فقلت للسحرني : ماذا وراك يا عصام ؟ هل تراك انصرفت الى دراسة الهندسة ورسم الخارطات الطويلة والمستعرضة ؟ فأجاب : كلا ، فما غادرت ميدان الادب . وهذه لفافة الاسطوانية الشكل هي صورة للحفل الكبير الذي اقامته اكااديمية الشعراء الاميركيين وجمعية الشعراء الاميركية في فندق والدورف استوريا لتكريم صديقنا أبي شادي يوم ٣٠ من ابريل ١٩٥٠ . وهذه الاواق التي انسا متابعتها هي طائفة مختارة من الكلمات والقصائد التي القيت في حفل تكريمه .

فقلت للسحرني : عجب ان تقام حفلة كهذه لتكريم ادب مصري في امريكا ثم لا تنشر عنها الصحف المصرية حرفا . تعال نستدرك هذا التقصير في جريدتنا . وفعلا خصصنا صفحة كاملة من الجريدة لوصف الحفل وما قيل فيه ، ونشرنا صورة الحفل في صدر الصفحة ، ونشرنا في اعداد تالية ما تيسر ادرأجه في الصفحة الواحدة المحدودة . ولما عرف أبو شادي من السحرني الوفي ان لي صلة بما ابدته الجريدة من اهتمام بأمه ، كتب الي شاكرا ، ثم اهداني ديوانه « من السماء » الذي انخلت مناسبة صدوره ذريعة لاقامة هذا الحفل الكبير ، واتصل بيننا بالبريد واستمر حتى بعد وفاته ، اذ ان اخر رسالته قد جاءني بعد رحيله المفاجيء بأيام .

ولا بد من الاقرار هنا بان صداقتي لابي شادي كانت امتحانا لصبري على خدمة الادب ، او لعلها كانت تحديا لي لكي أوسع دائرة اتصالي الادبية في وقت كانت الصحافة تستغرقني استغراقا يجعل الادب على هامش الهامش من حياتي ، واذكر هنا كيف كان أبو شادي يسوقني سوقا لخوض ميادين لم انتهي لها كل التهيؤ .

ف ذات يوم تلقيت بالبريد فصولا مستقلة من دائرة المعارف الاميركية كتبها استاذنا العلامة الكبير الدكتور فيليب حتي ، ومعها بطاقة منه تنقل الي تحياته . ولما تحررت الامر ، عرفت ان ابا شادي هو الذي حرص الدكتور حتي على هذه المبادرة الكريمة التي بفضلها نعمت بصداقة هذا المؤرخ العربي العظيم ، اطال الله بقاءه ورد العافية اليه . وذات يوم تلقيت في البريد كتابا ضخما عنوانه « بعث

يرجوني موافاته بها . والكتب التي هو طالبها تعالج جميع فروع المعرفة في القديم والحديث : كتب تراث وكتب دين وكتب أدب ، ودواوين شعر ، ودراسات نقدية ، وكتب في العلوم ، وكتب في الفنون ومعاجم لغات ومصطلحات ، وكتب تاريخ وسير وكنت وأوافيه كل يوم بحزمة من الكتب ترزّن بيلوغرامين ، وهو الحد الأقصى المسموح به لشحن الكتب بالبريد ، لا أتخلف عن ذلك إلا يوم الجمعة بسبب عطلة البريد . وقد أرسلت إليه مئات من الكتب لم يعمل منها كتابا واحدا ، بل عكف عليها دارسا وباحثا ، واستخرج منها مادة لمحاضراته أو فصوله النقدية أو بحوثه التاريخية .

وأذكر بهذه المناسبة أنه لما صدر كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله حول الفن القصصي ، قامت من حوله ضجة كبرى في الصحف والدوريات ، وانتقل الأمر إلى دور التقاضي ، حيث وجد القاضي نفسه لتقاضي قضية أدبية عسير البت فيها . وكان الدكتور أبو شادي قد قرأ هذا الكتاب ، وأعد عنه دراسة منصفة نشرتها مجلة «المقتطف» فقدم الدكتور خلف الله نسخة من المجلة إلى المحكمة قائلا ان رأي أبي شادي رأي رجل محايد يعيش في مهجر بعيد . فلما قرأ القاضي مقالة أبي شادي أصدر حكمه في الدعوى وهو مطمئن إلى سلامته .

وعندما قرر الدكتور أبو شادي الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب الحرب الكونية الثانية فرارا من الجوع السام الذي كان يحيط به في عمله الجامعي (فقد كان وكلاءة في جامعة الاسكندرية واستاذًا للبايولوجيا فيها) ، لم يجد على السفن المبحرة وقتذاك مكانا لنقل مكتبته الخاصة التي كانت تضم آلافًا من المجلدات . فقام بتعبئتها في صناديق وتركها مائنة لدى إحدى شركات الشحن ، وهذه خزنتها في مستودعات الميناء (البوند) وربما استطاع تصديرها . وسافر أبو شادي ظانًا بان مكتبته الخاصة لن تلبث ان تلحق به . ومضت سنة بعد أخرى وثالثة ورابعة وخامسة ، والكتب جالمة في صناديقها ، وإجراءات الشحن لا تتم ، وأبو شادي يكاد يتمزق حزنا على « رأس ماله » الذي يستعين به في أغراضه الأدبية والعلمية المختلفة في ديار هجرته .

ولما أميتهت المجلة ، رجاني ان اتصل بشركات الشحن في الاسكندرية لاستعمال الإجراءات وموافاته بالكتب في أول باخرة . فقالت لي الشركات الشاحنة ان تصدير الكتب محال ، لان لهذه الكتب قيمة مادية قد تقدر بالآلاف وأخراجها من مصر هو والتهرب سواء ! وحاولت اقناع الشاحنين بان هذه الكتب تمثل في حقيقتها ائتمنة شخصية لصاحبها ، وهي ذات صفة خصوصية وليست لها صفة تجارية ، وأنها ينبغي ان تعامل معاملة الاناث الشخصي الذي ينقل المهاجر معه عند سفره . ولكن كلامي كان يقع على آذان صماء . فعند رجال الجمارك يستوي البصل

جزيرة العرب » مؤلفه الدكتور جورج خير الله ومعه رسالة من المؤلف - وهو أمريكي من أصل عربي - بان أترجم له هذا الكتاب من الإنكليزية إلى العربية لأن الدكتور أبو شادي زكائي عنده . وهو كتاب قيم بترجمته فعلا وقد مدت نسخته الوحيدة إلى مؤلفه الذي توفي قبل نشره ، ولم اعد ادري مصير هذه الترجمة .

وفي يوم آخر زارني استاذ أزهرى قائلا ان الدكتور أبو شادي وجهه لكي ينشئ صلة بي ، وكان هذا الاستاذ شيخنا العالم الكبير محمد عبد المنعم خفاجي الذي ما انك يفقد علي من اخوته ووفائه وعلمه وبره ما ذكره بالشكر له والمرافن لصاحب اليد الطولى في هذا الوداد ، عنيت الدكتور أبو شادي .

وزارني كذلك مدرس أدب قائلا ان أبو شادي دلّه على عنواني ، فاتفقت بيني وبين رضوان إبراهيم صلة من المواد والأخوات اعنت بها ما حييت .

وتلقيت في البريد نسخة من جريدة « الهدى النيويوركية » لصاحبها نعيم وسليم مركزل ، فاذا أبو شادي قد كتب فيها صفحة كاملة عني ، حاشرا أبي في سلسلة بداها بمكرم عبيد باشا ، وثناها بسلامه موسى .

وجاءني مجلة اميركية عنوانها « شؤون الشرق الاوسط » فبحثت عن مصدرها ، ولم يكن مصدرها إلا الدكتور الزكي ، الذي لم يلبث ان كتب فيها باللغة الانكليزية فصلا مسها من الادب المصري المعاصر - كان محاضرة ملقاة في جامعة برنستون - وقد خصني في هذا الفصل بعبارة سخية .

وتلقيت رسالة من « معهد آسيا » في نيويورك ينهي الي نيا تعييني عضوا فخريا فيه ، ولما استقصيت الأمر ، تبينت ان الدكتور أبو شادي هو الزكي ، بل المحرض ، على هذا الفضل الجديد .

وفي عام ١٩٥٢ تعرضت لانكشريات جائرة أحوجتني إلى ان اتبين عدوي من صديقي ، فكان شعر الدكتور أبي شادي من اكبر اسباب عزائي ، اذ وجه الي قصيدة عنوانها « الاخطبوط » قال في ختامها :

مجد البسلا على الذي أخرجنا . الساعدون الزالزون عصورا
للهمم بفكرهم تحريرها . والخالقون لها منى وشعورا
فلذا همينوا أو اذبل ترالهم . لم يحسم مجيد بدمع مذكورا
بل لطف صف الفخر بوصمة . تبقى ، وبحبسها الزمان فجورا
وهي قصيدة ادرجها الخفاجي في كتابه « رائد الشعر الحديث » .

وذاث يوم تلقيت رسالة من الرابطة الدولية لحقوق الإنسان في نيويورك تختارني مراسلا لها في مصر ، فاستفسرت منها كيف عرفت اسمي وعنواني ، فجاء الجواب : من الدكتور أبي شادي .

واكثر ما امتنح به أبو شادي صبري على الادب ، هو نهمه الغريب للكتب . فقد كانت رسائله إلى مكتظة بأسماء الكتب التي يشير علي بقراءتها ، وبأسماء الكتب التي

والكتاب ، وما دام البصل يحتاج الى اذن تصدير والسى ضمانته بنك والى استثماره رقم كذا وقسيمة رقم كيت، فهذا النظام نفسه سار على الكتاب .

واستنجدت بوكيل وزارة المالية المرحوم الدكتور محمد توفيق يونس بك (وهو من اعظم الرجال علما وخلقاً وفضلاً) وكان يعرفني معرفة شخصية ، وثلث له في خطاب شخصي ان ابا شادي يقوم بمفرده وبغير مساعدة من جهة رسمية بدعاية الاداب العربي والقضايا العربية والفكر العربي في جامعات امريكا ومتنبتهاها وصحفها ومجلاتها دون ان يتقاضى على ذلك مليماً واحداً من خزانة الدولة . فكيف نضن عليه بمكتبته الخاصة التي يستعين بها في اعداد محاضراته ودراساته وبحونه للتعريف بالعرب في العالم الجديد ؟ ومكتبته الخاصة مخزونة الان في مستودعات البناء عرضة لعوامل البلل من رطوبة وأرضة وهوام وعبث . فهل هذا يبرسيك !

وبادر الدكتور يونس باصدار اوامره بشحن الكتب فوراً وبغير اجراءات بعد عرضها على الرقيب ! وجاء الرقيب الهمام ، فقلنا له : هيا ، اشرع في قراءة عشرين الف مجلد لتوافق على شحنها ! وطبعاً اجاز شحنها دون ان يقرأ صفحة واحدة منها او يفتح صندوقاً واحداً . وسافرت الكتب الي صاحبها في نيويورك .

ولا تسئل عن فرح ابي شادي بوصول مكتبته اليه ، ولكنه فرح مازجه حزن ممض ، سببه ان قسماً من الكتب قد الفه ماء المطر طوال سنين ست او سبع ، وان المخطوطة التي كان الدكتور ابو شادي يحتفظ بها من ديوان « الزغات » للشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي قد عر العتور عليها بين الكتب ، ورجع ابو شادي ففقدنا هذا

وكان الزهاوي في تحرره الفكري يخشى على هذه المخطوطة من اهل التزمت ، فاودعها لدى سلامة موسى الذي خشي بدوره ان تمتد اليها ايدي المغاردين من رجال الشرطة الذين لا ينفكون يفيرون على بيته وكنيته ، فاودعها لدى صديقه ابي شادي لتكون في مأمن من العبث .

والى ان انتقل ابو شادي الى رحاب ربه وهو على يقين ان المخطوطة قد فقدت نهائياً ، لانه لم يهند اليها حين نسق مكتبته في نيويورك ، ولا عثر عليها حين انتقل بعد ذلك الى واشنطن واعاد تنسيقها بعد شحنها الى هناك من الممر الذي كان اتخذه لعمله في وسط مدينة نيويورك بشوارع لكسنجتون .

اما كيفية العثور على هذه المخطوطة ، ثم نشرها في عام ١٩٦٢ ، فلهذه قصة لا يتسع لها هذا الحديث ، وهي مرجاة الى حين .

واما مكتبة ابي شادي التي كلفته ما كلفته من مسال وجهد وانلف بسبب العكوف عليها صحته وبصره ، فقد اهدتها ابنته صفية الى جامعة « يوتا » الامريكية لتحتل خزانة خاصة في القاعة التي اطلق عليها اسم الدكتور عزيز سوربال عطية المؤرخ المشهور في تلك الجامعة .

والحديث عن ابي شادي لا بد ان يفضي الى تسأل جدي عن تراث ابي شادي . تقبل الهجرة ، لم يكن ابي

شادي يجد مشقة في نشر كتبه ، لانه ان لم يجد ناشراً ، تولى النشر لحسابه الخاص وطبع ولو بضع مئات مسن النسخ اهداها الى اصدقائه . اما بعد الهجرة فقد قابلته مشكلة النشر بفظافتها . وكان اول ما نشره من كتب في المهجر - وهو كذلك اخر ما نشره - هو ديوانه الموسوم « من السماء » وقد جمعت تبرعات لطبعه ، واهديت منه الف نسخة الى دولة احمد حلمي باشا رئيس حكومة عموم فلسطين لتباع وترصد حصيلة القضية الفلسطينية . وقد اخبرني حلمي باشا انه كان يودف مندوبين من قبله ومعهم نسخ من الديوان الى الرجال المرموقين في الحياة الاجتماعية واهل السياسة والوطنية ، فلا يشتري احد منهم نسخة . واعتقادي الشخصي ان معظم هذه النسخ الاالف تسلسل الى الايدي دون بيع ، وقد صادفت على سور حديقة الزابكية الشهير بعض هذه النسخ مزجاة امام الماكسين .

وطبعته له دار « المتكف » كتابين صغيرين هما الجزءان الاول والثاني من تمثيلات عنوانها « من نافذة التاريخ » ، كما طبعت له دار المعارف في سلسلة « اقرا » كتاباً عن مملكة العادري اي النحل خرج ملياً بالاغليط . ونشر اخونا رضوان ابراهيم ثلاثة كتب لابي شادي ، كما صدرت من دور النشر في مصر ولبنان كتب اخرى قليلة . وهناك اربعة دواوين مهجربة هي حصيلة سنوات الهجرة وقد اوصى ابو شادي بتأليف لجنة من اصفياه من اعضائها الصبري والسحرتي والخفاجي ورضوان وكتب هذه السطور للاشراف على نشر هذه الدواوين وسائر آثاره ، ولكن لجنتنا الموقرة تملك الوفاء والذوق الادبي والامانة ، ولكننا لا تملك مطبعة ولا لها دالة على نشر ولا قبل لها بشراء الورق بأسعار اسواقه السوداء الهمجية والبيضاء الوحشية !

ولكنني سمعت من الاخوة العزيزة صفية ابي شادي التقيعة على تراث ابيها ان هذه الدواوين قد تكفلت بنشرها دار لبنانية باشراف صديقنا العتيق الدكتور محمد يوسف نجم ، ولعلها تصدر قريباً ، فخير البر عاجله .

على ان هناك مقالات ودراسات ومحاضرات وفصولاً تعد بالمئات تركها ابو شادي ، وكان المأمول نشرها في كتاب متعدد الاجزاء عنوانه « الكشكول » ، وعند صفية مجموعة كبيرة من هذه الفصول ، ولا بد من اخراجها بعد ان انقضت عشرون سنة على وفاة ابي شادي دون ان ترى النور .

وقد قيل في ابي شادي كلام كثير لم يخل بعضه من تحامل او من مجاملة ، على شطط في الحالين ، ولكن المؤكد ان هذا الاديب العظيم قد استطاع بحيويته النادرة وتحركه الاجتماعي الدائب ان يخلق نهضة ادبية في كل دائرة يصل فيها . كما انه كان ، بتواضعه الاصيل ، ينسب الفضل الى سواه . فريسي ابلو هو الشاعر شوقي ومن بعده الشاعر خليل مطران . ورئيس جامعة متريقاً هو نعمه الحاج .

ولئن كنت واحداً من عشرات شعلم ابو شادي بفضل ، فلا اقل من ان اذكر له هذه الابادي بعرفان واجلال

وحب .

القاهرة

وديع فلسطين

براعم الفجر

من وحي ماساة لبنان

الى اطفال القرن الواحد والعشرين

نحن جيل الحضارة الحمراء
فيهوي البناء اثر البناء
اي علم يدعو الى البقاء
ويطولاتنا ملاقي هراء
وكتبنا تاريخنا بالدماء
فانا نعيش في الظلماء
كيف يسمى مصفد للعلاء
ارفعوه ارفعوه للجوزاء
جل عما يشوبه من رياء
وحجبناه خلف الف غشياء
تلك اضحكة على الضعفاء
اذا لاذ خصمه بالرجساء
انتم عنه في اشد الفناء
لا تمس بينكم دواعي البلاء
فاجموا الحب دربكتم السماء
لا تبدواي اسباب داء بقاء
فلماذا غرور ذي خيلاء
مثل من يتهمى ((لاء السماء)
كلنا يا بني من حواء
يرحم الله شاعر الصحراء

من قيود ثقيلة نكرا:
عن فضاء ، واشرق في فضاء:
وسخافات غضبة لئلا:
وفوضى تبيع كل اعتداء:
فبادوا سخاءها بسخا:
كيف تحلو الحياة للاعداء:
شمسكم في غلالة من ضياء:
تجني عليكم جرائم الآباء:
وانظروا لسلام ، لا للوراء:

زكي قنصل

يا صفاري لا تنظروا للسوداء
نحن جيل الفناء نبني على الرمال
ندعي العلم ، وهو منا بريء
وطنايتنا معارض هرج
قد زرعتنا طريقنا بالفضحايا
لا تعمروا اسماعكم لدعاوانا
اقعدتنا الاوهام ، وهي سجون
الجدار الذي يحدد جيلنا
هل سمعتم بما نسفيه دينا
قد مسخنناه بدعة وضلالا
هل سمعتم بما نسفيه حقا
صاحب الحق من يصول باظفار
في قواميسنا كلام كثير
اطرحوه للنار ، فهو بلاء
نحن نؤنا بالحقد جسما وروحا
لا تنهوا بعيدة وسلاح
جبل الناس من تراب وماء
ان من يتهمى لهي بن بسي
اي فرق ما بين عبد ومولى
لم يخير في خلقه آدمي

يا صفاري الا اكسروا ما اخترعنا
من حدود تقول للشمس غيبي
من خرافات دعوة لخصام
من نظام يشل حرية الفرد
تفتح الارض للجميع ذراعيها
لا يكن بعضكم لبعض عدوا
غربت شمسنا وثبيدا ولاحت
فاحذروا يا براعم الفجر ان
نحن ليل مضي... فطيروا صباحا

بوانس ايرس - الارجتين

انور الجندي

شاعر اللون والضوء والظلال

بقلم اسماعيل عامود

مثل ورقة عنب ، راقصة ، فوق دالية غريبة الانساع ،
شابة ، وارقة على مشارف ثلثات منداة بالعبير الربيعي
المشحون بالانفعالات المبكرة .. تقرأ أشعار « أنور - علي -
الجندي » هذا الشاعر الذي يعيش اليوم في « سلمية »
المدينة الصغيرة المتواضعة ، النامية ، على حافة بادية
الشام - الشمالية الغربية .. المدينة التي كانت بمثابة كوخ
راحة واستجمام لـ « ذيك الجن » واستراحة عبور
لـ « المتنبي » ، ومجمع أحداث غريبة ظافرة وحاسمة في
بعض جوانب التاريخ القديم ...

وكمثل لوحة هادئة ، صبيغة باللون والضوء والظل ،
مفعمة بالقطرات ، تبدو لك قصائد هذا الشاعر ، ولكن
ضمن اطارات رمادية تشوبها مسحة مسافات فيها خيوط
حزينة ، وغربة ، وذهاب .. لعليا آمال الشاعر - نفسه -
التي لم تتحقق ، او لعليا طموحاته التي لم تساعد الظروف
البيئية او الطبيعية او النفسية - المناخ الانساني - الوصول
الى سفوحها او تخلف بعض ثمارها ، لا ندري ..

هضاب الهوى والانس هل ذكر الربى
للخصل الغراء وهج خبيثة
هنيئات لهُو بدنها يد النسوى
كناي لسم هنالك ...
ولم يك لي في صدر بيروت مورد

غريبي ، غربة الازهار في البقاء ، جفت علسورهن مسلا
وغريبي ، غربة سوداء قائمة كالبليل قطر الاما واشجانا

حبیبی (۲) اوما الفجر وهش النور والزهري
فهنا العصور يا عود وهضات الطرب يا عطر
اذا فكرت في ماضيك طاش العقل والفكر
فاذا ما رجنا التهورى الى الثلاثينات والاربعينات
من هذا القرن ، وقلنا صفحات المجلات الادبية ، سوف
ان تمر بنا واحدة منها الا ونجد قصيدة او قصيدتين فيها
لشاعر أنور الجندي ، حتى ان مجلة « اصداء » الاسبوعية
الادبية التي كانت تصدر في دمشق بعد « الصباح » الادبي
وتوقفت عام ۱۹۶۶ نشرت نثراً ادبياً مفاده (۳) : ان استفاء
قامت به المجلة ظهر لها بنتيجته ان أنور الجندي الشاعر
السوري الرقيق ، هو اكثر الشعراء انتاجا ، وان انسق

المجلات الادبية في الوطن العربي واغزرها مادة هي مجلة
« الاديب » لمنشئها الشاعر الاستاذ البير اديب ، وان اكثر
ادباء المقالة والقصة انتاجا هو الاديب العراقي المعروف
عبد المجيد لطفي ..

انظر ، اين ذهبت اعمال الشاعر أنور ؟ ولماذا لم يوف
التقاد حقه من الدراسة والتحليل والتقييم ... ؟

لقد لجأ القاد عندنا - اليوم - الى تجاوز الكثير من
الاعمال الشعرية والادبية والفكرية ، بل وتعمدوا اهمال
نتاج مراحل عديدة ربما كانت تفيدهم في وضع مركزات
(محلية) سليمة وواضحة وجادة لما يكتبونه في هذه الايام
الراهنة في مجال النقد والتاريخ الادبيين ، بدلا من ان
يفوصوا في العمدة او يدخلوا في دهاليز نهايتها غير معروفة
حتى الان ، ذلك لان التزام الناقد بتسلسل المراحل وما
حظي به معنواها في حياتهم من تاثرات ، وما مر بهم من
احداث وما عكسوه هم من ثقافات رافدة ، له قيمته العليا
في التدوينات النقدية ، ناهيك عن صحته التاريخية ،
وصدق التقييم وتجرده ...

لهذا ، كان لا بد لحاملي القلم النقاد - عندنا - من
التنقيب عن آثار جميع الشعراء ، او الكتاب ، مرحلة اثر
مرحلة ، حتى يكون الانتقال بوضوح النقد الى وضعنا
الراهن وقيا ، فيك الروية والخلاص ..

فالشاعر أنور الجندي لم يمر بانتاجه الشعري عبر
اواخر الثلاثينات والاربعينات وحتى الخمسينات دون ان
يتوكل اثرها ، او بكلمة ثانية ، دون جدوى .. بل كان
لشعره لونا جديدا واثقاً متميزاً ، وصوتا منفردا بين
شعراء جيله .. حتى انه كان يعتبر من المجددين في صياغة
البيت الشعري العربي وسبك القصيدة ذات الموضوع
الواحد المنفرد ، وكذلك كان من الذين احدثوا في الصورة
الشعرية التقليدية ظلالاً وامداء حديثة ، وادخلوا بين تلافيف
البيت الشعري موسيقا عذبة ، رحية ، وقدره لفظية على
اثارة الاحساس والانسجام بين التاليف والمجاورة ، وبين
ما يفرضه ذلك الاحساس والانسجام من اضواء وصور لظيفة
وخطوط رافعة تبعث بموسيقاها السائلة الاتساق في النفوس
واضغوا على جو القصيدة ضياعات هادئة تسطع عبر تأملات
شعراء ، واشاعوا بين تلاتها كهربائية العصر ، من دفء
ملائم منسجم ، وطاقات ايجابية بارعة ، وقدره متطورة
ذكية ، مع ابقاء الاتصال بالاصالة العربية :

احبك يا هر الاصل المبرح لونه شعري
احبك انت الروى في همساته نعيم من الابداء يريق بالسكر
احبك يا طيب السورود ، ندية وبيا حصرة الذكر وبيا حلم النجر

جرت يا حلو ، وهل يرحم حلوة (۴)
هكذا الغنى تسارع وصفو
انا من بعدك للام نغصو
فكناي في نيسوب الليث شلو

اذكر الصافي ، فايكي ،
النري دمعي منسك ؟

انا يا حليو على عهد باقي
سنت ذكره فهل سنت اشتياقي
كلما لاحت مناديل الفراق
هفت الحزون يا يوم التلاقي

في الليال السـؤال
وبقول الجـر .. لا .. لا

اعرف أنور الجندى ، من مواليد ١٩١٧ ، تلقى علومه في مدارس التجهيز الرسمية والخاصة في سورية ، وبخاصة في مدينة حمص القريبة من بلدته سلمية ، ونهل من الادب العربي حتى الروية ، واستقى من اللغة الفرنسية وآدابها بكفاية ، الى جانب أنه اتحد وتفرغ وشب في وسط متعلم ومثقف وواع ..

ففي اواخر الثلاثينات ، بدأ بنشر شعره الجديد في مجلة « المكشوف » ومجلة « الامالي » للدكتور المرحوم محمد خير النوري .. شعره المعتلى حيوية وشبابا، كانت الدقة الشعرية لديه ، دقة ينبوع انبثق لتوه ، صافيا رقاغا عذبا منسربا في سحاب قراء لتعشوشب الجنيات .. كان طلقا ، سعيدا رافقا ، وفيه التاملات الخاطفة على هوامش الصور العابرة ، ذو ايقاع نفاذ يساير خطرات النفس الغنائية ، عفويا ، كما لو كان يخرج دفعة واحدة غير كؤود .. وكان لا يحيطه اي مذهب .. كان مزجيا ، ولكن لا يبرر تأثره « بالتطور الذي اصاب النهضة الادبية على اثر التفاعل مع الغرب، وبخاصة الفرنسي منه ، واتشاء المدارس والكليات وتوفر الترجمات التي توسعت آفاقها بحيث دخلت في الشعر العربي في سورية ولبنان خاصة ولكنها لم تك ثلاثا بعد بين قولها وتقاليدها ونفسيته من جهة ، وبين طرز هـو ـ اي الشعر العربي عامسة ـ وتقليده ونفسيته وعاداته من جهة ثانية ، ذلك لأن معظم الشعراء ـ وعنه أنور الجندى ـ لم يعيشوا هذه الترجمات وتلك الأحوال كما يجب » (١) ..

بعد أن الجندى ـ مع بعض شعراء البلاد ـ قد سجل تطورا عاما الى حد يكاد يكون مقبولا ، وقد افاد مرقان علاقته بالشعر الفرنسي علاقة عضوية ، وتأثره بشعراء فرنسيين مثل (الفريد دوفيني ، وسانتوبريان ، ولامارتين ، وتأثر بعمق بالشاعر الانكليزي بايرون عن طريق الترجمة الفرنسية) اما تحديد سوية الشعر عنده ، فلا يمكن سيرها الا اذا وضعنا في انتباهنا وقت دخوله دائرة الابداع وزمن مجاوراته للوثبات الادبية الكبرى في العالم المتحور المتقدم ، مثله، مثل غيره من شعراء الوطن في ذباك الزمن ..

ولا اخرا ان الجندى ـ أنور قد قصر عن هذا الهدف فهو الذي عاصر الحركة الادبية في ستين الانتداب ، وتلقى العلم في مدارس البلاد الخاصة والرسمية ، ودرس اللغة الفرنسية ، واستوعب فنونها ـ او بعض فنونها ـ فلونت شعره ببعض الوانها الهادئة ، لذا فقد تمش بين اعطاف شعره وطيانه النفسية والروحية على اصباغات ناعمة من تلك الالوان التي لا بد من الاعتراف بها ، والركون اليها لانها تلونيات حضارية لا ينكرها النقد ، ولا بمعها التدقيق الجمالي في اية مرحلة من مراحل الانتقال من حال قديمة الى حال حديثة ومعاصرة ..

ولكن يظل الشاعر المبدع في تجاوز مستمر من اجل احداث او خلق عالمه الخاص المتميز .. من هنا يصح لنا ان

على حواشي القنك الخملي
احسه وهما يا للمنى
هامت به الام مجنونة
واي قلب لم يصدق لوعة
حزني عليها حزن متوقفة
وداعها كان على غفلة

لقد كانت الحياة العامة في سورية قد اخذت بأسباب النهضة الحديثة منذ عهد قريب .. فأقبلت على تجديد شتى مرافقها بحذر وبطء ، وتطلعت الى مذهب الغرب وبوجل واثابة ، وما تكاد تخطو الى الامام حتى تلقت السى المامسى ، تحرس على خطوها الكبرى ، وتحاول ان تساوق انغامه مع الانغام الواردة اليها من بعيد .. ووضع سورية بين البادية والبحر ، يدعوها الى ان تقبس من الحياة المجاورة بقدر .. فمن هنا كانت نهضتها الفنية كنهضتها العلمية ، ونهضتها الاجتماعية ، تسير وبيدا لا يخلو سيرها من المحافظة على اوضاع موروثه ، والتطلع الى اوضاع لا بد آتية والشعر عنوان بارز من عناوين النهضة الفنية فسي سورية الحديثة ، فهو ان كان رغب ـ اي الشعر ـ فسي التجديد والحرية مرة ، فلقد رغب في المحافظة على سنن السلف مرات ، وهو وان كان اصطنع الثورة حيناً ، ولقد كان يخلد الى موصفات الماضي احيانا ، والشعر المنسوري كان يجري في حدود الرومانتيكية العربية من حيث حرصه على المناقاة النفس الواعية ، واستجابته للفرح والاسى والذكرى وما الى هذا من اهواء واضحة ظاهرة .. ولكن ثمة طائفة مجددة من الشباب الشاعر تحاول ان تشق طريقها في زحمة الناس لتساهم في حمل مشعل الادب الحديث على اساس مواهبهم ، واساس من دراستهم للاداب الاوروبية والغربية والروسية والامريكية ايضا (٢) وكان يتنازع الادب والادباء في هذه الالفة « تياران عنيقان يتصارعان اعنف صراع ، الاول تيار المحافظة على القديم ، ويمثله الادباء والشيوخ ، والاخر تيار التقدمية ويمثله فريق من الشباب الذين فهموا رسالة الادب عنى حقيقتها فراخوا يتلثمون من وضع الادب الحاضر ، ويتقنون اشد التقنة على الادب القديم الذي لا يمثل فنى نظرم سوى ادب لا يتصل بالحياة الجديدة المعاصرة ولا يصور ما يضطررب فيها من فضيلة ورذيلة، ولا يصور عادات من حولهم ، ولا يستمد من الواقع صورة ولا مشهدا» (٣) ـ فابن كان يقف أنور الجندى من هؤلاء واولئك ، وهو الشاب المتطور .. وابن هو مكانه من النهضة الفنية تلك ؟ وما هو اساس موهبته واساس دراساته ؟

الطالع أو الوجه ، بل هو الروح ومظاهر النفس ، الرؤية نقول : ان الشاعر أنور قد خلق شعره وأدخله دائرة الوعي والأبداع فيما يتعلق بمراحلته الشعرية التي عايشها وتعايش معها في اواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات من هذا القرن المتطور السريع .

اما متى نضج الشعر عنده ، فهذا لا يمكن تحديده ، ذلك لان الشعر يظل في سيرته الطويلة الحياتية يتجدد ، يظل طفلاً يترعرع في كنف الاحداث والتجارب ، مدللاً ، تحدهو الانفتاحات وتزخره الرؤى تلو الرؤى ، ما دامت النبضات في الدم ..

لنحترق الآن ، جان الرجوع الى الارض قبل الغروب وما دمت اشعر ، ان الحياة ظلام يخيم فوق الدروب غداً تستيقظ جفون الصباح ، وقلبي وانت ترائيلها وتنتفضي الاله والتمتع ، وتسخر منا نهباً وليلها وفي مقلتيكس

ولي شفتيكس
حين يهددهد روح الغريب
فهمي عليك تهساويلها
لنحترق الآن ، حسي حبيبك من عالم جاهد ماكر
تشدق بالانسور وهو الظلام ، يلوح على شفاه الساخر
ايكديه والجرح غور عتيق ، وسراره في القلب لا يستتر
ايكذب ، والدم مله الحياة يكاد يلهم وجه القنصر
وينكس جرحها
ونغم صبحها

جنتكسه المقادير للشاعر
وهذا هو ياكب بسين الحفر. (٩٠)

بعينيك من دنيا شيباني ببقية
أهدعها والليل حيران ناله
والمتع الشفراء وهج مفسوف
بقية احلامي وفي القلب شققة
اناديك والمدنيا سراب مسموج
اكتت لهذا القلب الا غسالة
اسائل عنك الليل والفجر والضحى
افضتلك من جفني حلمسا مولنسا
لقد وعى الشاعر أنور الجندي قبله ، وهو في بدايات
انفتاحه على الحضارة العلمية الحديثة ، وأدرك مجتمعه ،

وهو في ريمان تطلعه على كل جديد وافتد ، او منبثق من ضمير الأمة ووجدانها ، فكان له الميدان الخصب ، والمرج الواسع النضر ، يرتع فيهما ويسجل اشعاره - الكثيرة المتعددة المواضيع - الوجدانية والعاطفية والوطنية ، بفرح وتائق ، ضمن نزعة انسانية ، ومتحررة ، تدفعه فنية جمالية صوب الابداع والاحلى - يضيق المجال هنا ذكر جوانب من انتاجه المتعدد - وما كادت تحل سنوات الاربعينات حتى نجد انعطافاً جذرياً في تديوناته الشعرية دون ان يخل بمبادئ الشعر العربي المعروفة من الناحية الشعرية ، أما المضمون فقد اضفى عليه من ارادته الوثابة ، وفكره الناضج صوراً ذات مدلولات حديثة ، والبسه من خياله الطلق انسجة ذات ابتكارات جيدة ، بحيث قراءتك لشعره تمنحك اللحظات السعيدة بين التماسي والطموح بين العذوبة والفرج وتأملاك له تعطيك الهنيئات الحائرة بين الحزن والغربة ، بين الحنين والبقاء ... بيد انك لو سالت الشاعر نفسه عن سبب هذا التواتر ، لاجابك ، انه وان كان الفرح يلف وجوده والتفاؤل بكل جراه ، الا انه يشعر في قراره بغربة الوجود: غربي ، غربة الزاهر في السبده ، وجفت طليوعه من اسلا اسائل عنك الليل والفجر والضحى ، واولفت الفراحي فتهد لادي والحب ونفسه غربة الانسان في شعاب الحياة ، حتى في غزليات أنور - وهي كثيرة - تشعر معه بمسحة حزينة والحزن ظاهرة موجودة في اشعر العربي على مدى صوره ومناحيه - لعلها كآبة احوال البشر العامة التي لا جدوى من الانفكاك منها ما دام الانسان هو انسان له بدايته ونهايته وعلى التسلسل ... والشعر لا بد من ان يحمل في طوابعه هذه المسحة الحزينة لانه خارج من الروح - الانسان ، يعنني بها ويستغرق في معذنها الاخاذ ..

ان أنور ، من أولئك الذين فتق شعورهم الامم الانساني الحزن الانساني ، الجمال الانساني ، فهو وان يكن مترفاً في تعابيره وأدواته الشعرية ، فانه كثير الإيجابية تجاه احواله الحياتية ، انه يعتقد ان اية صورة شعرية لا يمكن لها ان تنمو او تتم الا بفعل الجمال وتأثيره ، لان الجمال لا يتجزء ، وان كان يبدو نسبياً في بعض الاشياء ، غير ان الكمال يأتي منه ، بل هو خديته الاوحد ، والجمال الذي يعنيه ليس حسن

الثانية عام ١٩٤٢ للاستاذ عبد الفني العظري .

- (٨) - من مقالة للكاتب نشرت في المجلة العسكرية السودية عام ١٩٦٥ عن الشعر ما بين العرين العاليتين .
- (٩) - من قصيدة طويلة بعنوان (لنحترق) نشرتها مجلة الاديب عام ١٩٥٠ - العدد ٣ مارس - مهداة الى الشاعرة نازك الملائكة .
- (١٠) - من قصيدة نشرتها مجلة «النواير» عام ١٩٤٥ - عند الازار ٦ - في حواء .
- (١١) - تولى ابراهيم طوفان وشيع جثمانه في ٣ ايار عام ١٩٤١ .
- (١٢) - من كتاب «شاعران معاصران» ابراهيم طوفان ، وابو القاسم الشابي ، تأليف عمر فروخ ، دكتور في الفلسفة ونعضو الجمعية العلمية العربية في دمشق ، ونعضو جمعية البحوث الاسلامية في يوميات
- الكتاب طبع ١٩٥٤ - بيروت .
- (١٣) - مجلة اصداء - العدد الصادر يوم ٢٥-١٠-١٩٤٥ - دمشق .

- (١) - من قصيدة «الى لبنان» نشرتها مجلة الصباح الادبي عام ١٩٤٢ - دمشق .
- (٢) - من قصيدة نشرتها مجلة الصباح الادبي عام ١٩٤٢ - دمشق .
- (٣) - مجلة اصداء - العدد ٢١ الصادر بتاريخ ٢١-٥-١٩٤٥ - دمشق .
- (٤) - من قصيدة طويلة نشرتها مجلة العرفان عام ١٩٤٢ - صيدا
- (٥) - من قصيدة بعنوان « افق » نشرتها مجلة الاديب - نواير ١٩٤٢ - بيروت .
- (٦) - من مقالة « الشعر في مهرجان (ابي العلاء المري) (الافلا) » للرحوم الاستاذ محمد روجي فيصل « نشر في مجلة اصداء - العدد تاريخ ٢٢ - ٢ - ١٩٤٥ - دمشق .
- (٧) - الحياة الادبية في الشام - مجلة الاديب - العدد ١١ السنة

نظمت الشعر

نظمت الشعر لا ابقي نسوا
على شعري ، ولا ارجو مديحا
كفاني اتني لم اوث ميتسا
غنيسا عاش في الدنيا شحيحا
ولم امسح من الدجال شهما
واجمل من ((مسيلة)) مسيحا
فكم من شاعر قد عاب شعري
ولم اقر له بيتا صحيحا
فرب قصيدة ترضيك لكن
يراهما كل نقاد فجيحا

بنواس ايرس عبد اللطيف الخشن

ورقد وانتقال ، واحيانا كانت مرحلة تبديل .. مسع
ذلك فان شعره يمكن ان يكون (محطة) بين مرحلتين .
مرحلة من عاش في البداية بتفكيره ومشاعره زلفى لاسلافه
من الشعراء ، ومرحلة من هجر ارضه ، ونفض جناحيه من
ترابها وراح يعيش بتعلماته جاهدا في سبيل ارضية يحلم
بمقابلها ..

يظل أنور الجندي محطة ، لان ثمة سوراا مازال قائما
بين جيلين او ثلاثة .. اذ ظهر في - الانوات الاخيرة الراهنة
كلام ، وفتح حوار عن الشعر الحديث والمعاصر ، ابهما
اكفا ، وابهما ملائم او يتلاءم مع روح العصر ومادته ؟ هل
الحديث المعاصر الادباني او الواقعي او الرمزي ، ام
القديم العربي الانبائي ؟ وهل ان الشعراء ينشدون على
هدى من الشعر ، واساس من النفس ، وبصر بالحياة
الراهنة ، ام انهم يكتبون الشعر كمكملين خاطبين فسي
الديجور .. ؟

ولكن تعدد نوعيات الشكل والمضمون الظاهرة فسي
التدوينات الشعرية المعاصرة لا تدع الجواب على هذه الاسئلة
يعطي صحتها .. فالحياة مستمرة ، انها تتطور ، وفي كل
يوم يظهر شاعر محدث ... وشاعرا أنور الجندي وقف
في محطته ، وصمت كثيرا .. ولكن المرحلة التي عاشها
وتفاعل معها ، جديرة بالانتباه اليها والاعتناء بها ، لانها
مرحلة تمخضت عن حركات ومواقف شعرية لا تجيز الامانة
الادبية والاخلاقية تركها هكذا .. تضمحل وتفتن مع اوراق
الخريف ..

اسماعيل عامود

دمشق

بعد كل هذا ، تبجي المرأة ...

وللمرأة في شعر الجندي - أنور ، المكان العالي ،
والمؤكد .. فلا تخلو قصيدة له من ذكرها حتى انه عندما
توفي (١١) شاعر فلسطين الكبير « ابراهيم طوقان » ارسل
الشاعر أنور الى الدكتور محمد خير النوري (توفي عام
١٩٥٢) احد اصحاب مجلة « الامالي » رسالة في اول
تشرين الاول عام ١٩٤١ ضمنها قصيدة عنوانها « احبك »
وهي الى روح ابراهيم ... منها :

احبك انت الليل والشعر والهوى ووشوشة الاحلام في الفن الشعر
احبك والدنيا بعيني هجسة مطرة الاشواق طيبة النشر
احبك يا كد الشعاع على الرطب وعينك في عيني وفردك في نفري
اضحك من وضح الهوى فكاني اهم لداذات الحياة الى صدي
وتفرق عيناك وللجفن رلسة ارق من الانداء في شفة الزهر (١٢)

وكلمة « احبك » توحى في شعر أنور بالفزول ، وهذا
النداء كان الشاعر الجندي يستسيغه دائما حتى في الفواجع
مع ان الكلمة موجهة كليا الى ناحية الحب ، والحب عند
أنور اول الوجود وآخر الوجود بيد انه لم يستهتر بقيم
المرأة واتوئتها ، ولم يك معها ذلك العاشق المرديد ، او
الهاوي الماجن الخليج الضليل ، انما كان معها الشاعر الحق
والرسم البارع ، كان انسانا يفتن بحاسنها ويتغنسى
بديهاها الزاخرة ، ويفرد لها في عالم مليء بالحنو واللقاء
والودة .. انه لم يهدف من خلال تعلقه بفردات المرأة في
شعره الانتقال من واحدة حببية الى واحدة حببية ثانية ،
وثالثة .. اذ لا نجد في شعره تسميات معينة لكنيرات مثلا
وهذا يفسر لنا ان الشاعر غير مبتدل ولا مسرب في مشاعره
يوزعها هاهنا ، وها هنالك ، بل كان فيبلا يفترق باسم واحد
هو (فوز) ١٣

يا فوز يا حلا شهي الغضى اسم يتلقى للصوصع الصائر
نبيك من نسور نساويله وصي نسي الفع في خاطري
نمر ذكراء فاحيا بهسا او عادات الافراح السداك (١٤)

ومن خلال اسم فوز - وهي الابيرة عنده - وشغافية
صاحبتها - راي عالمه الشعري وكشف ابعاذه ، وقد تميز
تجاه (فوز) التي رباها مستقلة سليمة من كل تقاليد ..
لم ير نفسه (بودليرا) او (بيرونا) او (لامارتينا) .. انه
لم يزور خيالاته ولم يتهاك او يرتعي في جحيم الحساب
خطاما ، لا ، ولم يفسده وجرد الثقافة الغربية الى جانبه ،
بل كان مستقلا .

كانت المطالعة والثقافة عنده شيء ، والشعر شيء
اخر ، كان شاعرا لا ناظما ، وكان يكتب عندما تلح عليه
الفكرة او الصورة ، ولذا نجد في شعره المغوية والانسراح .
صحيح ان المدارس الشعرية الحديثة غيرت الكثير من
مفاهيم الشعر ، وان الشعر الحديث اخذ يمس داخلية
الاشياء واغوارها ، يكشف حتى عن الانفعالات اللحظية
الفردية ، انه لم يعد شعر Fantaisie ومع هذا فان اكثر
الشعراء الشباب - الفتيان ، في هذه الايام الراهنة اخذوا
يدخلون عالم التعميم بحجة التجديد ، بيد ان شعراء مرحلة
أنور الجندي وجيله ، كانت مرحلة استكشاف واستطلاع ،

ابن زيدون

شاعر الحب والطبيعة

أقامت وزارة الدولة القربية المكلفة بالشؤون الثقافية في السادس عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر) مهرجانا الفيا في الرباط للشاعر ابن زيدون ، ودي شعراء عديدون في الوطن العربي للمساهمة في هذا المهرجان . وكلف وزير الدولة للشؤون الثقافية ، الشاعر مرديك الاشتراك بالمهرجان ، وهذه قصيدته :

عبدنان مرديك بك



يتجلى اعجازها في البيان
وهو في العصر مرق كالأزمان
حقب للعصور ، كل لسان
نشاوى من روعة وافتنان

كنت دنيا من الرؤى والاماني
لك شعر على الزمان جديد
يتفننى بسحره ما ترامت
ويضج السمار في غلس الليل

كشماع ، هو البعيد الداني
في سيمو ورقعة ومكان
حين جاوزت غاية الاتقان
دون فييه الظلال والالوان
اللحن نورا لفتنة الالحن
منك ادنى من راحة لبسان

ان سحرا جلوته بيان
ظنه الفر لم يكن ببعيد
واقرت لك الفحول بسبق
صور الحسن في قصيدك شتى
يعبق النون بالشسنا ويشع
وجملت البعيد من كل معنى

مبيننا عن لالعج الاشجان
وغرب الاشواق من نيران
وتفري بمغلب وسنان
دونه الليل ضارب بجران
عن يقين وخبرة وعيان

اعذب الشعر ما يجوده الدمع
ضقت بالهجر والصدود فاعربت
ووصفت الاشواق تنهش بالصدر
عصفت بالعذاب عصف عباب
وسبرت النفوس سبر خبير

يتلاقى في غمره الضدان
فاغضت على اذى وهوان
وترقى عسير كل عنان
من رؤوم ، لصبوة وحنان
ان يكف الاذى ونو لثوان

عالم النفس كالمحيط عجب
ان نفسا بالامس انختها انذل
لتراهما غدا تحلق كالنسر
وفؤاد عليك بالامس اخنى
بات يرميك بالمذاب ويأبى

بنفض من النجيع القاني
ما توالى على المسدى المألوان

ايها انشاعر الذي خضب اللحن
ان حزننا اشجلك اعقب خيرا

وشدو الهزار من احزان
من قصيد ومن معان حسان
نشأوى عن مائس فينان
عبقري الاصباح والاردان
ما تفتت ، على ذرى الافتان
ويهمي شماعه عن جمان
فاغضت من دونه العينان
حيثما بحيرة السكران

كان مرعى جاذر وحسان
وسال الفيدر بالقيمان
انخصب ما نفقت ، قبل اوان
بكف الله الولهسان
لا تراه بكف عى خفقان
وكم في سكونه من معاني
لجج للسكون كالكتبان
وتبدت في وحشة الوديان
همسات الصبر لس بنان
وغرب الدموع في الاجفان

وكنيت السباق في الميدان
من عاذ طورا ومن اذعان
يعينيد به الاغوان والقيمان
هي والليل غريها سيمان
مستكنا حذار كل طعان
كريم ، يرضى بعين هوان

ويسمو بلاعج الاشجان
بغير الجراح والاضفان
وادمى بمقلاة وجنان

غناء ولم يفتق ببيان
ويغتر باسمه من حنان
من جلال الخلاق في الدوران
وعند الفروب في الفسردان
ليس يخفى عن مقلة بمكان
وتشيدا شدت به الشفان

يخصب الحزن بالعجيب من الحسن
لك في الوصف ما يشوئ فريد
لحسنا الاشجار دونك تهتر
عظفتها يد الصبا في صباح
وتفتت سواجع من حنين
والصباح الجديد يعصف عن تبر
غمر الكون بالجديد من الحسن
ويهب النسيم يعثر بالخطو

اين واد حلتته في قديم
قلت فيه العجيب فانتفضى الدوح
ونفقت الحياة فيه ، فشاع
وجعلت النسيم يعث ولهان
كل غصن حكي جناح ذبيح
والسكون العميق يزخر بالصمت
يتجلى جلاله ما ترامت
كم تراءت في دامن من قمام
لكنا بها وصفت لسانا
ووقعنا على اللوابع في الصدر

امسو الشمر ما اذرت ام السحر
نصف القلب في نوازع شتى
عالم القلب لا يخيط به القبول
تندجى اطباقه عن قتمام
يبلس القلب بالنعيم ويفضي
ان في الراحة الخمول وهيات

اجد القلب كان يخصب بالجرح
قسما بالجراح ما اخصب النصر
فعلام العتاب انه اوجع الجرح

ايها الشاعر الذي ملا الكون
بفعم الكون بالمير مع الحب
وتدور الافلاك تهتر نشوى
ما اجل الحياة في فتن الفجر
اجد الله حيث يمتت نسورا
واراه محبة في ضميري

فأجاب بسرعة :

— الشيخ عامر أيوب . انه رجل متقدم في السن يعرف عن القرية كل شيء .

التفت الشيخ عامر أيوب في بيته فوجده رجلا جليلا المظهر هادئ الجسم بسيط الثياب . ولا شيء يدل على انه على شيء من الحيوية سوى عينيه الواسعتين الحركتين . جسمه كله يدل على انه في نحو الثمانين من عمره ما عدا عينيه فانهما توحيان الى الناظر اليه انه في سن الشباب . فاتحته بأمر القرية ، ورجوته ان يظلمني على تاريخها وهي مدينة . فتناول عصا كانت ملقاة بجانبه ، ثم التفت الي قائلا :

— هيا نتجول في القرية ساعة با بني لاتمكن من ان انتقل الى ذنك الصورة التي كانت تبدو فيها القرية وهي مدينة .

قلت :

— تفعل !

مشى بخطى بطيئة يتوكأ على عصاه . وسرت بجانبه على مهل . وكان طول الوقت يثني على تلك الأيام السعيدة التي كانت القرية فيها مدينة مزدهرة ومرجعا لكل ما يحيط بها مؤلفا من غرف واسعة نوافدها مزوقة بحجارة ذات نقوش جذابة . وكانت الدرجات التي تؤدي الى بابها الكبير مصنوعة من الرخام . ثم اشار بسبائنه المعروقة الجافة قائلا :

— هذه الدار كانت محكمة صلح يحكم فيها الاهالي .

القيت نظرة سارحة على ذلك البناء الشامخ ، فرأيت بعض نوافده مغلقة بدفات من خشب أبيض رخيص غير مدهون ، وبعضها يلمع فيه زجاج مكسور . وقد تلبذ على درجات البناء الرخامية ترابا قذرا وحل . وقد لصقت به حجر تبين بالطين المزوج بالقش أعدت مربط للدواب . وكانت بعض دجاجات تصعد الدرجات تارة

مرصوفة بالحجارة الصلبة المساء ، وبدت بجانبها طرق ضيقة ملتوية ؟ لماذا بدت هنا حدائق منظمة الأشجار لمزينة الاحواض مسورة بجدران تدل على ذوق سليم في عقلي مهدهسها وبانيها ، بجانب حواكير تضم أشجارا يعوزها التريب والتسوير ؟ ان سكان قرية « س » من القرويين الفقراء والمتوسطي الحال وليس بينهم مديون او قرويون بلغوا درجة رفعة من الثقافة والفني الواسع . مراراً فكرت في أمر هذه القرية العجيبة ، ولكن تفكيري لم يهتدي الى الحقيقة . فلم أجد بدا من ان أفتح احد سكانها بهذا الشأن فقلت له :

— عجب ! ان دور قريبكم متباعدة



بقلم عبد الحميد الانشاصي

http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذ منها ما هو ممتاز في بنائه وشكله ، ومنها ما هو على عكس ذلك . فما السبب ؟

فهر الرجل رأسه في تالم وأجيب بصوت منخفض حزين :

— ان لهذه القرية تاريخا . لقد كانت مدينة عامرة . ولكنني لا اعرف تاريخها بالتفصيل وهي مدينة .

فألقيت على الرجل نظرة استفراب واستطلاع وقلت :

— وهي مدينة ؟! وهل كانت في ماضى مدينة ؟ من الذي يعرفها حينما كانت مدينة ؟



كنا جالسين تحت شجرة من اشجار المشمش نمرح ونضحك ونحدث عن اشياء مختلفة . وأخيرا استقر حديثنا على موضوع واحد وهو ان يسرد كل منا اشد الحوادث التي مرت في حياته تأثيرا في نفسه . وكانت اقرب حادثة سردت تلك التي حكاهم الأستاذ حسن بصوته الهادي العميق والفاظه البسيطة الصافية المؤثرة . قال :

صدر امر بنقلي مديرا لمدرسة قرية « س » الابتدائية ، انني لم أزر تلك القرية من قبل . لذا سألت عددا كبيرا من اصدقائي : كيف أحوال تلك القرية ؟ وهل تصلح لسكنائي ؟ فأجابني كثيرون منهم انها كثيرة الخيرات والينابيع والبساتين ، وانني سأقضي فيها أياما حافلة بالمسرة والراحة والهناء . وهذا ما طمأن نفسي وحداني على ان احزم امتعة منزلي واسافر اليها انا وافرادي اسرتي .

حينما استقر بي المقام في القرية باتخاذي احدى دورها مسكنا لسي ولأسرتي ، وبمباشرتي الاشراف على التدريس في مدرستها الابتدائية — رحلت اتجول في القرية وحولها . فبدت لي كثيرة الخيرات والبساتين كما أعلمني اصدقائي ومعارفي . لقد نقلت الى عدة قرى من قبل ودرست في مدارسها ، ولكنني لم أجد بينها قرية واحدة شبيهة بهذه القرية . موقعها جميل مطل على ما حولها من هضاب وأودية . سكانها من الفلاحين وبعض بيوتها بشعة كبيوت غيرها من القرى . ولكن فيها مميزات غريبة : ذلك الجو الغامض الذي يحدق بها . جوها هادي ولكنه يوحي الى النفس بالتأمل والتفكير كان أسرارها كامنة في حجارتها وترتها وأشجارها وطبورها . كان هذه الاشياء ترد ان تبوح الى الزائر الغريب بأسرارها وتطلعه على اخبار . اذا قامت تلك الابنية الشاهقة المبنية الشكل بجانب تلك الابنية البشعة القروية الشكل ؟ لماذا بدت هنا طرق واسعة مستقيمة

طويلا مؤلفا من نحو مائة حانوت . وكانت ابوابها مغلقة بالطين . قال الشيخ عامر وهو يشير اليها بعصاه الفليضة :

انظر . هذا سوق باعة الاقمشة . لقد تحول كله الى دور يقيم فيها المزارعون . اغلقت جميع ابواب حوانيته كما ترى . لم يبق الا حانوتان هناك .

ثم عرجنا على سوق اخر للبقالين مؤلف من نحو مئة وخمسين حانوتا مغلقة الابواب بالطين كسوق باعة الاقمشة . وقد علمت ان تلك الحوانيت تحولت ايضا الى دور يقيم فيها الفقراء ولم يبق منها الا خمسة حوانيت . وبعد ذلك مررنا في سوق الجزائريين وهو مؤلف من خمسة عشر حانوتا ، ولم يبق منها سوى حانوت واحد . اما الباقي فقد تحول الى غرف . وقد رأيت بقرات تسير على ارض السوق المرسوفة بالحجارة الصلبة هائرة رؤوسها في خيلاء وضاربة الارض بأظلافها القوية بلا نظام كأنها افراد جيش مسرح .

ولما خرجنا من السوق ضرب الشيخ كفا بكف ثم تهدد وقال : — وهكذا اخفت تلك المدينة الحبيبة ، وحلت محلها قرية صغيرة .

فقلت متحمسا :

— لا حول ولا قوة الا بالله .

عدنا الى دار الشيخ عامر كأننا عدنا من جنازة . ولما جلسنا في احدي حجرات داره اعد القهوة ، ورحنا نحسوها في ذلول ، بينما كان الشيخ عامر يسرد على قصة القالمقام حسني القادري . قال :

— كان في العهد العثماني شاب مشفق مذهب اسمه حسني القادري . لقد انحدر من اسرة عريقة من اهل المدينة . ونظرا لذلكه وثقافته ودمائة اخلاقه عين قائما هنا . كان مثال الرجل الصالح في تصرفاته مع الناس والتقدير في ادارة عمله ، والواسع العقل الخلق في اسداء النصع الى الاهلين . كان يلقي على الزراع محاضرات كلفاكر وفائدة ، فأرشدهم

اليه وحشة بل اكسبه هيبة ووقارا يكادان يرغمان الزائر على حني راسه اجلالا .

التفت الي الشيخ عامر قائلا وهو يصوب الي نظرة حالة سارحة ذاهلة : — ان هذا البنيان كان سرايبا للقالمقام حسني القادري . فقلت :

— من هو حسني القادري يا عمي؟ فقال :

— سأنبئك بامره فيما بعد يا ولدي ان له قصة طويلة سأسردها عليك حينما نعود الى الدار . هناك نشرب



عبد الحميد الانصاسي

★

القوة معا واطلعت على الحقيقة المرة . ان هذا البنيان لا يقيم فيه احد . انه منلق . لقد اغلق منذ تحولت المدينة الى قرية . ستعرف كل شيء فيما بعد . فقلت :

— ولكن كيف تحولت المدينة الى قرية ؟ ما السبب ؟

فاجاب :

— هذا ما سأنبئك به في داري يا ولدي .

وامعنت النظر في منيه فرايت في كل منها دمة حبيسة تترقق . وسار بي متوغلا في القرية . دخلنا سوقنا

وتهبط عليها اخرى باحثة عن طعام لها . وكانت هناك ثلاث عنزات ترعى في شره كأنها علقات لاصقة بمنسق وائمة . وبينما كنت اأمل البناء قال لي الشيخ عامر :

— انها الان دار . تحولت الى دار يقيم فيها مختار القرية .

ثم ابتعدنا عن الدار وواصلنا المسير . وبعد قليل توقف الشيخ عامر قائلا وهو يشير بأصبعه الى الطبقة العليا من عمارة ضخمة :

— وهذه الغرف العالية كانت تستعمل من قبل دائرة الزراعة .

اجلت بصري في اعلى العمارة فرايت كومات من القش تدلى بعضها من سطح العمارة ، ورأيت لطحان من روث البقر لاصقة ببعض جذرائها المحاطة بزار من حجارة منقوشة نقشا جميلا . ثم قال الشيخ :

— انها الان مسكن لبعض القرويين ثم تهدد ، وتهتد اننا ايضا . وبعد ذلك قلت :

— يا للخسارة !

وبعد مسيرة عشر دقائق وجدنا نفسينا امام بنيان ضخم رائع الهندسة تبين لي ان كل جزء منه بقي على حاله لان حجراته وخشب ابوابه ونوافذه وزجاجه لم تتغير . ولم اسمع صوتا ينبعث من داخل البنيان . وقد لبنت امامه اشجار سامقة من السرو . وكانت درجاته من الرخام المعروق الشمين . وكانت الطيور تنتقل بين الاشجار مغردة مصففة باجنحتها . لقد خيل الي انها هي وحدها تطفن في ذلك البنيان . وكانت اشجار السرو تهب رؤوسها في كابة حينما تهب الريح عليها . وكان ينبعث منها همس حزين يذكرني بالايام التمسعة التي مرت من حياتي . وقد بدا بجانب باب البنيان الواسع عمودان ضخمان من الرخام متوجان بزهرتين كبيرتين من الرخام ايضا كأنهما حارسان قويان بحرسان الموظف الرفيع المقام الذي يقيم فيه ان كان هناك موظف . وقد لاحظت ان الهدوء الذي احلقت بالبنيان لم يجلب

وحداهم على العناية بأراضيهم حتى تحول بعضها الى جنات ذات اثمار شمية ، وتحول بعضها الى حقول حافلة بالوان الجيوب الجيدة . وكان يلقي تلك محاضرات بحث فيها الاهالي على الحاق ابنائهم بالمدارس ليتفكروا ويتعلموا : فضايف التلاميذ عددا ، مما حدا على فتح عدة مدارس في المدينة منها الابتدائية والثانوية . وفضلا عن ذلك فقد كان شاعرا بارعا تغنى بجمال الطبيعة الساحرة الذي أحقق بالمدينة في قصائد رائعه استظهرها كثيرون من متعلمي المدينة وتناقلها الناس ، وما يزالون يرددونها حتى الان .

ثم التفت الى الشيخ عامر قائلا :

هل انت مصغ يا ولدي ؟

فاجبت :

— أجل . أم . أم يا عمي . اني مصغ كل الاصفا .

وواصل حديثه قائلا :

— لقد كان حسني بك موضوع الحديث في الاندية والمنازل والقهوات والشوارع والاسواق . وذاع صيته في القرى المجاورة حتى في المدن القريبة كل اجهوا احترامه واستشاره واستأجر برابه . كان ابن المدينة البار وابسا الاهالي الرحم . ان الفضل يرجع اليه في كل ما ازدادت به المدينة من تقدم وعمران . ولكن رجلا كهذا لا يسلم من الحساد يا ولدي . واكبر حساده المتصرف — المتصرف حسام بك . لقد آله ان يعود الفضل في تقدم المدينة الى حسني بك . اراد ان يكون هو صاحب الفضل لكي يرتقي الى منصب أعلى من منصبه . ولذا ناصب حسني بك العدا . لقد أبغضه ، وتمنى موته ولا سيما بعد ان سمع ان الاهالي يشيعون ان حسني بك أولى بلقب متصرف من حسام بك ، وان هذا اجوف فارغ لا يفهم شيئا . مع ان حسني بك لم يطع الى ذلك المنصب ولم يسع اليه ابدا .

ثم توقف الشيخ عامر عن الحديث وسرح امامه نظرة طويلة . وبعد ذلك ضرب ركبته ضربة عنيفة وقال :

— وهنا المصيبة . هذا هو اصل البلاء . كان المتصرف ابنة اسمها جميلة ، وكانت على جانب عظيم من الحسن . ناصعة البياض ، دعيها العنبر . كانت كالماح في لونه وقبحته ذكية ومثقة كحسني بك . ويقال انها كانت تطالع كثيرا من الكتسب الادبية كحسني بك . كانت تتذوق الشعر والقصص . ويقال ان بعض القوائد التي نظمها حسني بك في جمال الطبيعة قد تسربت الى يديها ، فقرأتها في لذة واعجاب . وجميلة فتاة بكر ، وحسني بك شاب عذب . وقد علمت ان الفتاة كانت تفكر في حسني بك ، وانها كانت تشتاق الى رؤيته . ولكن حسني بك لم يكن يفكر فيها . كانت اعمال وظيفته واماله الخيرية ومطالعاته شاغله الوحيد . وكذلك حسام بك فانه لم يخطر في باله ان ابنته وقعت في هوى حسني بك من بعيد .

توقف الشيخ عن السرد وقال :

— هل انت متنبه يا ولدي ؟

فاجبت :

— كل الانبياء . أم يا عمي . أم .

وواصل كلامه قائلا :

— في ذات يوم قدم حسام بك هو وزوجته وابنته المدينة بقصد الاصطياف فيها ، فقد منح المتصرف اجازة مدتها ثلاثون يوما لقضائها في بساين المدينة ترفيها عن نفسه . كان معجبا بأهاليها ، فقد ساءه ان يشوا على خصمه حسني بك وهو قائم مقام ويؤثره عليه وهو متصرف . استأجر المتصرف دارا انيقة في بستان حافل بالوان الاشجار المثمرة لمدة شهر . وكان على مقربة من الدار التي يقيم فيها حسني بك . وقد علمت من بعض اصدقائي ان جميلة هي التي اقترحت على ابيها ان تستأجر تلك الدار للاقامة فيها طول مدة الاجازة . وقد استشار المتصرف حسني بك في هذا الشأن فوافق على استئجار الدار دون ان يدري ان ابنته هي التي اختارتها .

وكان المتصرف يقضي بعض الليالي الساهرة في منزل القائم مقام . وكان هذا ايضا يقضي بعض الليالي الساهرة في منزل المتصرف . الا ان حسني بك لم يتعرف بزوجة حسام بك وابنته فقد حال الحجاب دون ذلك غير انه لاحظ ان جميلة كانت تصوب اليه نظرات حددتها لوعة الهوى .

وكانت كلما خرجت هي وابوها وامها من داره تتأخر عنهما ثم تلتفت وراءها وتنظر اليه . كانت عينها باديتين ، فان الحجاب الخفيف الذي لفته على وجهها انتهى اقلامه على انفها ولم يستر عينها . سحرته بعينيها الدماجون وبشرها الاملس الذي ظلل جبينها الابيض بسحب من طرده وراءها تعاونت عينها الفانتان وقوامها الرشيق وهي تسير ولفتاتها المفرية على اجتذاب قلبه اليها . رأى شيئا جديدا في حياته . انها المرة الاولى التي اهتمت به فيها فتاة هذا الاهتمام وغمرته بحبها وجراتها واغرائها . لم يحل ما بينه وبين ابيها من خصومة دون مبادلتها الحب . ابد أصبحت عزيزة عليه . كل ذرة من جسمها نضات وتكونت في ظلال النعمة والدلال ومن الغذاء الجيد ونحت اللباس الناعم . انها تمنية في كل شيء — في نساتها وثقافتها وذكاؤها وجمالها ودلالها . انها شبيهة بقطعة من الماس . من يعطي قطعة من الماس ويرفضها ؟ قل ، هل يرفض شاب فتاة كهذه ؟

فاجبت :

— كلا . كلا بالطبع .

وواصل حديثه قائلا :

— وفي ذات ليلة دخلت جميلة دار حسني بك على غير موعد بينهما . وحسنا نزع الحجاب عن وجهها ، ورأى حسني بك ما ادخرته له وراءه نسي والدها ولم يفكر في عاقبة جراتها وجراته ، وضغما الى صدره في شوق ملتهب . وتبادل الحبيبان قسلاات معسولة . وحسنا عادت جميلة الى دارها وجدت أمها يظلة ، فوبختها على خروجها من المنزل ليلا . وبعد

طلعت افراح الفواية

لا خلفت على الدجى أيـني
كل الشفاهة رقصـة البـين
ربي ، ولم اركن الى المـين
ان يرتوي من راحة العـين
كل المفاصل دونما شـمين
منه الرضا في ساعـة الدين
حتى غـدوت كفـحمة القـين

آيت وارهام احمد بلعاج

ضادت شـموس الله في عـيـني
واصفر وجه اللـه ، وارتـعـشت
طلعت افراح الفواية ، يسـا
اني لائـم فسار مشـتمـلا
فالنور في روحي تـقبـله
يا خالقـي، انت الذي ارجـو
صن عورتـي، فالوژر او قـنـي

مراكش - المغرب

التحقيق معها أدركت ان جميلة
خرجت للقاء حبيبها حسني بك .
وفي اليوم التالي لحث زوجها الى ما
بين جميلة وحسني بك من علاقة
غرامية ، فسخط على القالمقام وحث
عليه . ضرعت جميلة الى امها ان
توافق على الزواج بحبيبها حسني ،
وحاولت الام ان تقنع زوجها بذلك ،
فرفض وقد صمم على الانتقام من
حسني بك . وبعد مضي بضعة ايام
بدا اهل المدينة يتهايمون بالعلاقة
الغرامية . ومنهم من تهكم ومنهم من
سخر . فحققت المتصرف على اهل
المدينة اجمعين . واعتزم ان يسعى
لدى الوالي لنقل جميع دوائر الحكومة
الى مدينة اخرى تبعد عنها نحو
ساعتين ، ولتجريد حسني بك من
وظيفته .

فقلت للشيخ :

— ان المتصرف مجرم .

فقال :

— ما في ذلك شك اذ كان في امكانه
ان يزوج حسني بك بابنته فيتحول
ما بينه وبين القالمقام من عداوة الى
صداقة وقربة .

فقلت :

— هذا صحيح . وبعد ذلك ؟

واستمر الشيخ :

— وبعد ذلك انتهت الاجازة ، وعاد
المتصرف الى مقر عمله . واخيرا
صدر امر من الوالي على لسان
المتصرف بنقل جميع دوائر المدينة
الى مدينة اخرى . فخيم الصمت
والكآبة والاستغراب على الاهلين ،
واخذوا يتساءلون : ما السبب؟ ماذا
جرى ؟ وفي خلال اسبوعين تم نقل
جميع الدوائر . ولم يكن المتصرف
بذلك بل فصل حسني بك من منصبه
وراح يشجع الاغنياء والتجار وذوي
المصالح على الرحيل الى المدينة التي
نقلت اليها دوائر الحكومة . ولم يبق
هنا الا الزراع الذين لا

يستطيعون ان يعيشوا بعيدين عن
اراضيهم ، والعمال الفقراء الذين
يعودوا للعمل في تلك الارض . وهكذا

خلت المدينة من رؤوس الاموال
والطبقة المثقفة الفكرة ومن الموظفين
الكبار والصغار ومن التجار على اختلاف
مهنهم ومن الصناع على اختلاف
صناعاتهم . وبذلك أصبحت المدينة
مدينة في شكلها . اما في حقيقتها فقد
غدت مهجورة راكدة الحركة كالنسا
مقيمة بقم ضرورا فيخمة برقد فيها
ابطال كانوا قد اكتسبوا مجدا وعزا
في حياتهم .

فقلت مثلا :

— يا لله ! هذا ظلم . كل هذا من
اجل فتاة اجبت شابا ؟

فقال :

— المفرورون والظالمون في الدنيا
كثيرون . اما الفتاة فقد حر في نفسها
ان تحرم الزواج بحبيبها ، وان يبلغ
باربها السخط والغضب مبلغا يجرد
معه ذلك الحبيب من منصبه الرفيع
وان يجرد ايضا مدينة بكاملها من
دوائرها وعزها ومجدها فتحول الى
قربة لا يكثر لها احد . وهذا ما
جعلها تعيش عانسا حزينة طول
حياتها .

فقلت في تحسر :

— مسكينة !

وواصل كلامه :

— اما حسني بك فقد اتصل
بالمراجع العليا وبذوي النفوذ من
اصدقائه مرارا تارة بالمواجهة وطورا
بالرسالة لكي يعيد الى المدينة مجدها
الفاخر ، ولكن محاولاته ذهبت سدى .
اما السرايا التي كان يعمل فيها حسني
بك فقد اغلقها الاهالي ولم يستعملها
منهم احد ، وطلت نكادرا لذلك الرجل
العظيم يتردد اليها الاهالي من حين
الى اخر ليقضوا في ساحتها ساعة
يذكرون فيها مجد مدينتهم الفاخر ،
يفكرون في الوسائل اللازمة لتحويل
القربة الى مدينة . انني ارى القربة
كشخص كان في عز وجاه ثم اضحي
فقيرا لا يملك شيئا . ان الانسان
يحتمل كل ما في الدنيا من المصائب
والكوارث الاشياء واحداها هو الانحدار
الى اللل والفقر والاهمال بعد عز
ومجد واحترام . هذا ما يشوه الدنيا
ويجعلها بشعة دميمة في انظارنا ، وليس
الموت الذي تنتهي به حياة الانسان
ولا الفقر الذي يلزم صاحبه . ان
هذين طبيعيان . اما اللل بعد العز
فتشي غير طبيعي تنور منه النفس
وتاباه .

عبد الحميد الانشاصي

عمان

صحته وموهبته تلك الضريبة الباهظة ، التي طالما دفعها
تظاهرها من المفكرين والنوابع ، حتى كان ضحية من الضحايا
يمسدها ضرام الأبد ...

كان بيننا اثر عودته من مهجره السحيق بالبرازيل الى
قريته الامنة : جبيل بلبنان ، أسرة عقلية ووجدانية ،
حالك خيوطها الادب الجميل ونحن نشرب مائه من ينبوع
واحد ، ونستمد منه ما يعيننا على مجابهة ضربات الزمن
وهو في الوقت ذاته ، يؤلف بين مزاجينا الى حد قصى ..
ان يكسد مطرف الاخاء فاننا نفسد ونسري في اخاء نالده
او يخلف ماء الوصال فمؤنسا عذب نهدر من غصام واحد
على تلاحق الايام كانت الرسائل الاخوانية ذات الصبغة
الادبية الرومانسية ، متبادلة بيننا . كذلك الكتب والمؤلفات
على سبيل الاهداء والاعتزاز ، كلما يسرت ذلك ارادة
الاحوال المعقدة المحيطة بنا من كل طرف .

فقد كان شكر الله الجر يحدثنى في كل ما تهمة من
قضايا الفكر والثقافة ومشكلات الحياة والمجتمع ، ولا سيما
الادبية والعاطفية ، حديث اللد للند ، لا كلفة بيننا ، ولا
تقوم حواجز مضطعنة دوننا . قلبه مفتوح ، يتسمم ويترنم
بتغنى ويتشوف ، والذكريات تلونه ، والسالفات من العهود
تشره . في حين ان عقله يمي الصوت والصدى ، قربا وبعدا
وتقبل الاهواء من حوالبه صاخبة وهادئة ، وهو رابط
الجاش ، لا يفعل لشيء الا بمقدار ما يقضى ، لا يفعل
شيئا لسبب او لغيره ...

ادرك كله كثير من الحقائق والوقائع عن طريق التأمل
الباطني وزرق اكنان الجمود والصمت على عكس الاخرين
من عرفهم او تعرف بهم . وتلك اولى الخطوات في سلم
الوجود والتجدد الذاتي . ثم رفض باقتدار اسطورة الألم
والهم بالرغم من المرض الذي رافقه طويلا في رحلة الدنيا ،
واحجم عن القنوط والانغلاق تمشيا مع مبدأ الايمان
بالجمال الرمدي ورجوعا الى الطبيعة التي تقهر ولا تقهر ،
منفلقا كقطر على سبجته ، ولو عاش وحيدا لا تناجسه
سوى ذاته المنتشية .. السجينة في درب التفرد والتوحد ..

بينما هو في واقعه المعاش قريب منك . يشك خاطره
وسوانحه من غير تخرج وتردد ، ويهرق عصارة فسواده ،
ويلقي بأوراق تاملاته برشاقة الاسلوب الشعري ورجاحة
العقل الانساني .. اية صفونية ثرية او شعرية هذه التي
تملك عليك قلبك ، وتسو بخيالك وتوغل في افوارك ، ثم
تدعوك على قدر ما ، مشاركا .

هنا سر خلق الشاعر شكر الله الجر ، وروعة حياته
الادبية وطبيعته الواقعية . اسمعه يقول وهو يعزبني بوفاة
ابي : « آتني ما ورد في رسائل من الم صدع قلبك بوفاة
والدك . اسكنه الله جناته . ولن يكون له سكنا في غيرها .
لان تلك الارواح الطاهرة التي عانت ما عانت من مضض
الدهر في سبيل اسرتها لتكون على احسن حال واهنا بال
لهي ولا شك من سكان الجنة وقد كان ذلك شأن ابيك وامي .



وحيد الدين بهاء الدين

شكر الله الجر كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

اذا كان شعراء المهجر الشمالي والجنوبي ، ادركو قيمة
الحياة والوجود والغاية منهما بقدر ما وسعتهم طاقاتهم
الحسية والروحية ، وبما اوتوا من تلج مرفه ورؤيا
نافذة ، فان بينهم من ادركها على نطاق اعظم واثق ،
بسبب ما عرضت له من محسن وتجارب ، وقدر له من
احتكاك وتلاحم ..

انما كان شكر الله الجر على هذه الشاكلة المتميزة ...

انا ابن الابيض الرها والناشط الجبيل

انا ابن الحرف والمجداف والفكر السفيل

انا ابن السديان الضخم والحدود النحيل

انا ابن الماء والصفصاف واللبل الليل

انني يسا ايسل ازلسي اللاحدود

انني يعسر شواطيه بسروق ورسود

انني صبح لسه من مزل الشمس يبرد

انني دهر مجساليه نحوس وسعود

انني جزء من الكون وبيت من قصيد

مستندا من جراحا تي لاوتاري نشيد

اعجبت بهذا الصحفي الرائد ، والشاعر التأملي

التفكير ، الشجي النيرة ، وقد اسلم قياده لصبوات الحياة

وشهواتها غير ملتفت لما تخيؤه الايام من غدرة وصارفة

عائثيا ما يناهر السبعين عاما ، كما توخى وتشهى .. ما

دامت الدنيا هي الدنيا لا عودة لها ، ولا جدوى من التحسر

على ما فات منها وانذر !

اغتنمها فرصا رافعات مائعات ما وجد الى ذلك سبيلا

وهو يضطلع بدوره المحدود بما ملك ، ثم راح يدفع عن

ولا اغالط نفسي فيما اعتقد لان الله رحمة ومحبة ولا ن آثرهم لديه هم الابهاء الطيبون الاتقياء. وعلقت على هذا رجائي اليك بان تلطف من حزتك على الراحل العزيز وتخفف من لوعتك لان الاسف العميق والدمع الطليق على من ترك الدنيا يسببه ويكرهه . واني من هذه الناحية على عقيدة الروحانيين وهي العقيدة المنتشرة كثيرا في البرازيل وسيما العاصمة (ريو ده جنيرو) وفيها ما يقارب المليون (روحاني) ممن يلبسون البياض على امواتهم ولا يلتفتون بكلمة الموت بل يقولون على الميت انه استراح .. اعاضنا الله بسلامتك يا اخي وسلامة اسرتك الكريمة ولعل الصلاة يا اخي افضل ما نقدمه الى الراحلين عنا من احبائنا ..

كذلك يقول شكر الله الجرج في رسالة اخرى من رسائله الي ، ما يؤكد موقفه الثابتة وبمعز رايه الخاص : « كما افعمني انك كنت تعيش معي في ديواني (اغاني الليل) وان تتعاقب خيالنا في فضاء قصي الروي من اغساني الوجدانية وانا جاثم على تلك الضفاف السحرية من مدينة الحب والجمال (ريو ده جنيرو) اوقع الحاني على قيشارة حرشت الايام اضلاعها وانحلت اوتارها لفرط ما لامستها اتامل الالام في حياتي . وهذا ما جعل مني على حد قولك- نسبح وحدي بين شعراء المهجر .. »

وكتب يومئذ ما ابرح اواصل نشر فصولي الادبية على صفحات مجلة « الادب » الفراء والخاصة ببعض اقناب الفكر والشعر ، الذين استطاعوا ان يحتلوا مقالهم واسموا في تنشيط الحركة العقلية والثقافية وتحويل مجراها الى ما يجدي امة العرب في تطورها وتضديها للفرز الاجنبي ولا تدبر في الظلام من مؤامرات للانقراض على تاريخها وتراثها ..

ويبدو ان شكر الله الجرج جعل يستحسن ما انتشر من مقالات ودراسات ، ويتجاوب معه نفسيا وفكريا، ويانس بما اركز عليه وانبسط فيه .. ولعله اراد ان لا يبقى صدى ذلك حبسبا يتردد في خباياه لا يتخطاها دون ان يوح به في رسالته التي ارسل بها الي في يوم ٨ - ٥ - ١٩٧١ - :

« اما تقديري لجهودك الادبية فوافر وعميق ولا سيما هذا الجعاس الاصيل للادب النابع من تلافيف روحك المشبعة بالوان المفاهيم الادبية تؤكدك بعونك القيمة في منتج الادباء الالي عاجلتهم براعتك الانيقة على سماحة ورحرة وسعة اطلاع . وهذا ما اهتكت عليه وهذا ما يشر بأشراق واسعة في عالم الادب تطل منها على ربيع دائم الاخضرار في نفسك . وفقك الله وشرع في وجهك المعالم الرحبة الوصول بمطامحك العالمة الى اللدرة .. »

اعجابي بالتأنيب من شعراء المهجر وادبائه ، حملني على ان اكرم شكر الله الجرج بمقال تحليلي لم يطرق من قبل اوفيه فيه بعض حقه ، ما دام حريا بان يكتب فيه لا كلام مختصر او مطول فحسب ، بل دراسة عامة تتناول حياته وشعره واثره في تطعيم الشعر المهجري بروح الحياة الجديدة

السائدة بالوان مبتكرة من الحياة والفن .

فقد نشرت عنه فصلا ادبيا عنوانه « شكر الله الجرج : شاعر التأملات والتطلعات » على صفحات مجلة « الادب » الزاهرة (١) . ما ان اطل عليه من عشه الهادي بجيبس وقرأه بتبصر وندبر ، حتى باد بالكتابة الي شاكر وطارة الفكرة التي عاجلتها وعرجت عليها باهتمام ، من وجهة نظر اخرى ولكنها عامة ، فقال في رسالته المؤرخة : ٢١ - ٥ - ١٩٧١ : « شكرا جميعا على الكلمة اللبيلة التي توجت بها شعري ونشرت في مجلة (الادب) الفراء . قراتها مرتين ولست جهدك الكريم في اخراجها بلفتك الانيقة » .

وايفلا في شكره على ما توثقت وذكره لما نويت ، ضمن رسالته تلك هدية هي احدث صورة له ، وعليها مقلوته : « تذكاري مودة واخرة نبيلة الى القلب الكبير والقلم البديع . الى اخي الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين مع اطيح تمنياتي واجملها .. » . كذلك ذكر في آخر رسالته : « اما رسمك الكريم فانتظر ان يحل وان يحتل مكانه من منضدتي وقلبي كما هو الواقع .. » .

فاهدته صورة من صور الايام الغابرة للتحية المتبادلة والذكرى العزيزة ..

ثم ترمي الي ان دار « الضاد » الحلبية بعث اليه بنسخة من كتاب لي تولى طبعه ونشره وعنوانه « شخصيات من الادب المعاصر » تقديرا لكانته الادبية . فما كان منه الا ان يطر فرحا وبهف من قلبه ، وكيف لا والكتاب اضافة الى ما فيه منطو على فضلين مسهبين عن صديقين له من شعراء المهجر الانداز هما : جورج صيدح وشفيق معلوف واذا بي اسلمت منه رسالة يقول فيها : « اما كتابك شخصيات من الادب المعاصر فهو من الطراز الاجمل والبديع من نواح كثيرة اخصها الناحية التحليلية لادبهم ولا اكنمك اعجابي باسلوبك الشيق وهو من السهل الممتنع يجتذب القارئ اليه ليفرقه في لجم من بيانك الانيق السمح . وفك الله وابفاك نجما من نجوم الادب المشعة النالقة ليبقى لنا منك ذلك المنهل الصافي العذب نحوم عليه تحوية الطيور على الماء النير .. » .

على ان الميزة التي يحتلها شكر الله الجرج بين معاصريه شاعرا وناقدا . قصاصا وصحفيا ، اكسبته شهرة عريضة وترامت باسمه في ديار المهجر الشمالي والجنوبي ثم الوطن العربي . وكان طبيعيا ، والحالة هذه ، ان تهافت دور الطبع بعد عودته الى لبنان عام ١٩٦٢ ، على اعادة نشر بعض مؤلفاته المتسعة بعناصر الجدة والمتعة ، وبطوابع الرومانسية والتأملية . اذ جعلت دار الثقافة هناك تأخذ على عاتقها نشر ديوانيه : « اغاني الليل » و « من خواهي الزمن » وروايته الرائعة « جزر الخطيئة » الصادرة قبل ثلاثين عاما ، وبها تتشابك الاجواء الواقعية المرفقة والرومانسية الحالية ، في اسلوب شعري مترسل خلاب ، وتحتل عبرها النظرات الفلسفية الشاملة الى الحياة والناس

والوجود ، كما تتعادل في سطورها صور الاشياء ومعاني
الاضداد ..

حتى اذا ادركتني نسخة من هذه الرواية هدية من
شكر الله الجبر واخذت اعي قيمتها الفنية كآثر ، من الآثار
المتعة ، وانفعلت في مضموناتها المفصحة عن كل لوحة من
لوحات هذه الدنيا ، هرعت الى القرطاس افرغ فيه انطباعي
الذاتي عنها وراي الخاص فيها ، يقينا مني بان الرواية
برت كثيرا من الروايات التي انمرها الادب العربي فسي
المهاجر الاميركية ..

قلت في ما قلت ، موجها رسالتي الى شكر الله الجبر (٢) :
« انتهى لي كتابك (جزر الخطيئة) في الوقت الذي اعيش
فيه ملك عقلا وقلبا وروحاً ، اعيش مع شركك الرقراق
العذب الصادق الخالي من الدجل والشعوذة والتكلف
والتزلف .. اعيش مع (اغاني الليل) التي اشدو بها كل
يوم بعض الساعات لا قول فيك - بعد ان سحرتني هذه
الشاعرية التي لم اجدها لدى اكثر شعراء المهجر الجنوبي -
كلما جذبرا بك في القريب ان شاء الله . اما (جزر الخطيئة)
فسيكون لي معها شؤون وشجون لدى الانتهاء من مطالعتها
وقد قرأت منها الفصول الاولى ، وهي من الروعة في المستوى
الرفيع . فيا اخي انت صريح وهذا هو الشيء الرائع ..
هذا هو الفن في اصلته وصدقه وتحرره من قيود العادات
والصدق بعد ذاته هو الفن ، ولعلي صادق الى حد كبير
في قولي : ان حقيقتك وحياتك يمكن استخلاصهما كما يجب
ان يكون الاستخلاص من افاصيلك واجاديتك واشعارك
المطبوعة . وهناك قلة من الشعراء والفنانين والادباء يصح
ان بعد انتاجهم صورة واقعية صريحة لواقعهم ... »
وعلى امتداد الايام كانت صلتني بشكر الله الجبر وطيدة
تبلورها المشاركة العقلية والروحية تارة ، واللمعة المتبادلة
تارة اخرى ..

فعلى هذا الاساس وحين استقام لدي كتاب ادبي
ينتظر الظهور ، وغبت الى شكر الله الجبر ان يتوسط لي
لدى احدى دور النشر بلبان ، يرتبط بها ويعتمد عليها
لعلها ان تتولى اصدار كتابي الجديد واخرجه الى حيز
الوجود ..

حيث جاءني جوابه المؤرخ بالعاشر من اذار ١٩٧٣ وفيه
يذكر بالحرف الواحد : « هذا ما اوقفني يا اخي من الرد
على كتابك السابق .. وكما اكون سعيدا لو تمكنت خدمتك
هذه لانك بآدابك وفكرك النسير تستحق كسل مناصرة
وتشجيع .. »

وانتظرت

لكن رده الاخير جعلني اهفو اليه بفارغ الصبر ،
ادركني بما يفصح عن ما في دخائله من احاسيس الاخلاص
والوداد ، مشوبة بمرارة وكدر . فيسوق قائلا : « واقسم
لك بشرتي ان سكوتني لم يكن نتيجة اهمال من جاني بل
هو نتيجة فشل ونتيجة عقم ادبي عند اصحاب دور النشر

فالاديب ان لم يكن مشهورا اعرضوا عنه ولو جاءهم بمقود
من الدرر بينما دور النشر في الغرب تفتش عن الاديب الجديد
وتروج مؤلفاته وتنشط له تستثمره بطريقة ان يستفيد
كلاهما من الآخر .. » . ويواصل شكر الله الجبر : « ومما
يؤسف له ان يرى الاديب افلاذ قلبه مطمورة في زوايا مكتبته
ولا يجد سبيلا لخراجها الى عالم الطباعة والنشر . ولو
قلت لك ان المجلات الخلاعية عندنا تباع بمئات الوف بينما
كتب الادب لا يباع منها الا القليل القليل .. » ثم يزيد :

« عندما قمت في جورج طعمة صاحب دار الثقافة عندنا
بحديث عنك وعن عبقريتك وعن الشروط السهلة التي
تكرمت بها لطبع كتابك وان بوسعنا ان يستغل هذا الكاتب
العراقي الجديد الذي لا يهجم سوى نشر افكاره الجديدة
وخواطره الادبية الشيقية . اتدري ما قاله لي ؟ قال : انك
انت يا عزيزي شكر الله لولا ان مؤلفاتك مطبوعة من كافة
المهاجرين في الاطراف الاميركية الجنوبية كالبرازيل
والارجنتين وسواها نظرا لتسعين التي قضيتها في اوساطهم
كاديب وصحافي لما كان بالمستطاع تصريف الا القليل من
كتبك في الاوساط اللبنانية والعربية . ولذلك اقول لك مهما
تكن الشروط التي قدمها صدقك وحيد الدين بهاء الدين
ملائنة لي لا يمكن في الوقت الحاضر قبولها نظرا لما نحن
عليه من التزامات مع بعض الدول العربية الافريقية بتقديم
مئات الآلاف لها من مطبوعاتها المدرسية . وحاولت الاتصال
بغير دار الثقافة من دور النشر فكان الجواب واحدا مع
الاصف .. ختما اعتذر اليك عن تقصيري وعسى ان لا تكون
غاضبا على صدقك هذا .. »

لا اشك ان شكر الله الجبر اضطلع بالمهمة المكلف بها
كما ينبغي وحاول جادا ما وسعه ذلك ان يؤدي خدمته
التواضعة هذه لي . ولكن :
مسا كل ما يتنهي الرد بذكره تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
لم يكن هناك تقصير من شكر الله الجبر ولا غضبي ..
ولم التقصير ، فالرجل صادق قولا وفعلًا ..
ولم الغضب وهو غير وارد ...
ذلك جار واقع ...

وبينما نحن في حوار مشترك .. متصل ، صدرت
مجموعتي القصصية الاولى « نداء الشوق » فارسلت الى
شكر الله الجبر بنسخة منها ، واردت ذلك بكتاب اخر هو
« الاخضر بن يوسف » لسعدي يوسف ، ولاء له وتعزيرا
لرؤايت الصداقة التي بيننا وحمل اياه على الوقوف على
الوان من الادب المعاصر ..

ان هي الامدة ، حتى تناهي الي جوابه المؤرخ بالسابع
عشر من اذار ١٩٧٣ ، حيث يصرح فيه بكلمات قصارات

(١) عند حزيران ١٩٧١ وضمته كتابي « مباحث في الادب العربي
المعاصر » دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٧٥ .
(٢) مجلة « اصدااء » اللبنانية . المعداد ٦ و٧ حزيران - تموز
١٩٧١ .

الحب والمعالي

وان تنوعت الاشكال والصور
وما ذكرت لهم عهدا ولا ذكروا
وكلها رائح عندي ومبتكر
معنى وفي كل حال منهم خبر
بالعاشقين وفيها العذل والخفر
كلاهما أمر فيه ومؤتمر
ام رؤوم وطرف ساهر حذر
وزائنا الزهر والريضان والشجر
وللمصافير فوق الدوح مؤثر
وفي الاطاح وشسى ارضها الطار
تدعو الى الاالا الاعلى وتنتظر
والبدر يظهر احيانا ويستتر
وفي المساء وقرص الشمس ينحدر
كانها زهر من تحتها زهر
يشع منها السنا الباهي ويتشر
واحدة من مصاني الروح تنحصر
بها اهل على فقري واتنصر
فما يضالها من ربة كدر
مما حبا الله لا ما يملك البشر
ويلتقي في مداها الظبي والنمر
لو كان يفهمني في صوته العجر

عمر ابو قوس

يهيم قلبي بحب الناس كلهم
كانني كنت قبل اليوم اعرهم
ارى معاني شتى في وجوههم
في كل نظرة عين من لوحظهم
وفي الفواني اذا نادت محاسنها
وفي حبيبن اغنى الوصل حبهما
وفي رضيع تنافيه وتحضنه
وفي الرياض وقد غنت بلابلها
والماء بجري لجينا في جداولها
وفي الجبال وفي الصحراء قاحلة
وفي الليالي اذا لاحت كواكبها
وفي السماء وفي آفاقها سحب
وفي انصباح اذا لاحت بشائره
وفي الفراشات فوق الزهر حائلة
ارى معاني شتى قد فتنت بها
بل كل شيء ارى فيه هوى عجا
طبيعة في ارضها وتسعدني
ومهجة قد جلاها الحب بانثقلت
حب تفيقي على الدنيا خزائنه
ورحمة تسع الاحياء قاطبة
وقد ارى الحجر القاسي فارحمه

حلب

وكنتيجة طبيعية لتعاطي العقاقير والادوية على نحو
موصول ، ثم الرقود بالمستشفى ، كانت صحتة تأخذ بين
حين وجين بالتطور والتحسن ، فكان يعود الى مالوف
نشاطه الشعري والفكري . . .
لكن الحذر لا يمنع القدر كما قيل . . .
فقد ادركه الداء والعياء مرة اخرى كما ادركه من
قبل مرارا . . .
ففاضت روحه في اليوم الثاني والعشرين من شهر
شباط ١٩٧٥ ايلانا بغروب ، ليس بأول ولا بآخر .

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

دلالة : « قرأت (نداء الشوق) وسرت انه يحمل صورة
ناطقة عن حياة هذا المجتمع المريض الذي ما برح يصعالي
على نار عاداته ، حتى يدوب . وكان كل قصة في كتابك
مرآة يرى كل منا وجهه فيها . انه الادب البناء يكشف عن
الداء ولعل المريض يتدبر امر الدواء . » ثم يتطلع شكر
الله الجر الي من خلال سلطوره ليفضي بما في ضميره :
« وكان بودي لو شرحت لي شيئا عن كتاب (الاخضر بن
يوسف) فتنجلي لي رموزه والغاية من تأليفه . . »
الشيء الذي اعرفه ان شكر الله كان يشكو ارتفاعا
في ضغط الدم والآما في المسالك البولية ، مصحوبة بحمى ،
من ماتصدع له بدنه ، وخارت له قواه الشعورية والنفسية .

وكان من فضل الله على كلية اللغة العربية - حرسها الله معقلا للغة القرآن وأدب العرب - ان يخرج احد رجالها هو الشيخ محمد احمد عرفة - ليناقش الاستاذ ابراهيم مصطفى الحساب على هدى وبصيرة .

ثم تاتي محاولة اخرى جعلوا عنوانها : « تيسير تدريس اللغة العربية » ، وكان اهلها مجموعة من اساتذة الجامعة وكبار المفتشين في « وزارة المعارف » بمصر ورأسها الدكتور طه حسين ، وقد رأت الاستفتاء عمن الاعراب التقديري والمحلي ، كما رأت تسمية ركني الجملة : المسند والمُسند اليه .

ثم كانت محاولة الشيخ عبد المتعال الصعيدي لتيسير قواعد الاعراب ، وكان من رأيه ادماج الاعراب المحلي فسي المبنيات ، في الاعراب التقديري في القصور والمنقوص ، والاستفتاء عن باب المبنيات .

ثم كانت محاولة الاستاذ امين الخولي الذي طالب بتجديد النحو ، وتذليل اضطراب القواعد والاعراب . وكانت الصيغة الغالبة على هذه المحاولات انها تهتم النحاة بالتزمت والتعقيد ، والفلسفة والجدل الذي لاموجب له .

وزادت الطين بلة ان ظهرت دعوة الى الفاء الاعراب من العربية ، والاستعاضة عنه بتسكين او اواخر الكلمات بدعوى ان الاعراب لا صلة له بالمعنى ، ولا تاثير له فيه ، كما ظهرت دعوة الى التقريب بين الفصحى لغة الكتابة ، والعامية لغة التخاطب ، بالوقوف على السكون كما فسي الحديث العلمي .

وكان لا بد من الدفاع عن لغة العرب ، وكان لا بد من تأكيد ان الاعراب فرع المعنى ، وان اللغة العربية ذات حسي ، يتاثر معناها بما يدخل الكلمات والاساليب ، مما يكشف عن المعاني .

وقد هيا الله لهذا الدفاع احد ابناء كلية اللغة العربية مرة اخرى - ببحثه القيم الذي جمل عنوانه : « المعنى والاعراب عند النحويين ونظرية العامل » . وهذا الباحث افخر بانه كان لي بالامس البعيد تلميذا ، واسعد بانه قد صار لي اليوم زميلا ، وهو من مدينة « دمياط » الحبيبة الغالية ، التي قضيت فيها السنوات الطويلة من الثلاثينيات اطلب العلم في معهدنا الديني العلمي الاسلامي ، وقد كانت سنوات من اجمل ايام العمر ، وهي ايام لا تنسى ، عليها اطيب التحيات .

ذلك الباحث هو الدكتور عبد العزيز عبده ابو عبد الله الذي عرفته في شببته طالبا تاجيا ذكيا لامحا ، فيه على العلم اقبال ، وله في التحصيل ، وفي الادب والاخلاق نصيب كبير ، وعرفته بعد ان تخرج في كلية اللغة العربية ، مربيا فاضلا ومدرسا للعربية ناجحا ، ولم تنقطع عني رسائله الفياضة بعلامح او فاء التقدير ، وتابعت وهو يسهم بنشاطه الادبي والعلمي ، تارة بالمحاضرات ، وتارة بالمقالات ، وتارة



الدكتور احمد الشرباصي

المعنى والاعراب عند النحاة

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

النحو هو قاعدة العربية الاصلية ، ومن ذلة القول ان نكسر الحديث عن قيمته ومكانته ، ولم يكن اسلافنا مباهلين حين قالوا « النحو في الكلام كالملح في الطعام » فاذا كان الطعام لا يصلح الا بالملح ، حتى تعود العامة في السريف ان يسوا الملح بنسب « المصلح » فان الكلام كذلك لا ينتظم مبناه ، ولا يتحدد معناه الا بالنحو والاعراب .

ولكن النحو - من جهة اخرى - علم « ثقل الظل والدم » عند الكثيرين ، يضيّقون به ، ويفرون منه كلما اتاخ عليه بكلثله ، ويفرحون الفرح الكبير كلما راوا محاولة مبدؤة للتحفف منه ، او للتيسير فيه ، حتى لو اساءت هذه المحاولة اليه ، او تحاملت عليه .

ولعل هذا هو الذي شجع الضائقين بالنحو على ان تتوالى منهم حركات التيسير - كما يعمرون - ومحاولات التخفف من وطأة قواعد النحو ، ما بين الحين والحين . هذا ابن مضاء القرطبي يثور على المألوف في النحو ، المعروف عند النحاة ، فيأخذ في الدعوة الى استبدال « نظرية العامل » التي تعد اساسا من اساس الاعراب ، وباتي الاستاذ ابراهيم مصطفى بعد حين ليردد آراء ابن مضاء ، او ليكرها ، دون ان ينسب هذه الآراء الى صاحبها الاول ،

بالبحوث الأدبية ، حتى رايته وهو يقف وقفة العملاق ببخته عن « المعنى والأعراب عند النحويين ونظرية العامل » . وهو بحث قد أحسن الدفاع به عن حرمة العربية وكرامة النحاة ومنزلة النحو .

ولم يكن الباحث بالمتزمت ولا بالجامد ، بل هو يرى ان لنا ان ندخل على لغتنا بعض التطوير والتنظيم والترتيب والعناية بدراسة الأساليب الوظيفية ، على ان لا نبالغ فسي تسهيلها أو إيجازها ، وعلينا ان نذلل صعوبتها بالحاكاة والتشويق والتكرار وبذل الجهد ، وهي مبادئ تربوية لاتقان كل لغة ، والابتداء بالقراءة ، ثم تطبيق القواعد عليها . والبحث في الصلة بين المعنى والأعراب يتطلب - كما قيل بحق - يحتاج الى قدر كبير من الفهم والروية ، لانه بحث يقوم على تماس المعنى الخصب الذي يعنيه النحوي من غير ان يصرح به ، بل بلغت اليه بالأعراب .

وقد قام الباحث بدراسة عامة لأصول النحو السماعية التي كانت المعين لدى النحاة . وهي القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، ومانور قول العرب ، فبين كيف كان القرآن سببا في وضع النحو لصيانة كتاب الله تعالى من اللحن ، وكيف كانت القراءات القرآنية مجالاً لآلوان من الأعراب يترتب عليها تنوع المعنى حسب كل قراءة .

ثم انتقل الى المصدر الثاني وهو الحديث الشريف فأبان اهتمام النحاة به ، واختلافهم في الاحتجاج به ، وسبب هذا الاختلاف ، وراى الباحث وجوب الحاق كلام الصحابة بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما دام جارياً على سنن الكلام العربي .

وتكلم عن المصدر الثالث ، وهو الآثار من كلام العرب فأوضح الدين يوثق بعريبتهم ، ويحتج النحاة بكلامهم ، وخرج من هذه الدراسة العامة في هذا الحقل بالنتائج التالية :
١ - ليست القواعد الا قوانين مستنبطة من طائفة من كلام العرب الذين لم تفسد سلاتهم .

٢ - أعلى الكلام العربي في صحة الاحتجاج به هو القرآن الكريم ، ثم ما صرح من كلام الرسول والصحابة ، ثم نثر العرب وشعرهم .

٣ - منتصف المائة الثانية للهجرة هو حد الذين يصح الاستشهاد بكلامهم من الحضريين ، ويمتد الاستشهاد بكلام العرب المنطقمين في البادية حتى منتصف المائة الرابعة من الهجرة .

٤ - لا يصح الاحتجاج بكلام مجهول .

٥ - لا يحتاج بكلام له روايتان ، أحدهما يؤيد القاعدة التي تقول بها ، والرواية الأخرى لا يكون لها علاقة بها ، لان الدليل متى تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

٦ - بعض الشواهد تكون محرفة ، ويكون التحريف في موضع الاستشهاد ، فيجب تحرير الشاهد والتوقف من ضبطه في مظانه السليمة قبل الاستشهاد به والباء عليه .

٧ - ينبغي التفريق بين ما يرتكب للضرورة الشعرية

وما يؤتى به على السعة والاختيار ، اذ من الخطأ جعل ضرورة الشعرية قانوناً عاماً .

٨ - عند أخذ الشاهد - شعراً كان أو نثراً - يجب ان تراجع ما قبله وما بعده ، فقد يكون مبتوراً ، ومن امثلة ذلك ان يجزوا مثل قولهم : « جاؤا الطلاب » مستشهدين بان الحديث يقول : « يتعاقبون ملائكة في الليل وملائكة في النهار » مع اننا لو رجعنا الى « موطأ مالك » لوجدنا الحديث فيه هكذا : « ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة في الليل ، وملائكة في النهار » . ومعنى هذا انه لا يصح الاستشهاد به هنا .

٩ - ان التراجع بين اقوال النحاة يجب ان يكون على اساس المعنى قبل كل شيء ، فالعنى هو الرائد والحكم . واذا دار الامر بين مقتضيات المعنى ومقتضيات الصناعة النحوية ، التزمنا الاولى دون الثانية .

١٠ - يفضل في كل مقام فيه اعرابان الاعراب الذي لا يجنى الى تقدير محذوف .

وقد اتبع الباحث ذلك بدراسة موضوعية لشواهد « الكتاب » لسبويه ، اوضح فيها ما كان يأخذ به سبويه نفسه من الحرص على المعنى ، وان ائى تخريجه للشواهد يكون من الشدو او الضرورة . ومن المعروف لدى اهل العلم ان « الكتاب » لسبويه هو المصدر الاول لجميع الدراسات النحوية والصرفية واللهاجات العربية والقراءات والاصوات القوية ، والمؤلفون يستوحونه ويستلهمون منه ما يؤيد فكرتهم .

وسبويه من شدة اهتمامه بالمعنى نراه يندفع الى تخريج الشاهد من الشواهد على بعض المعاني الثانوية ، متجاوزاً بهذا المرحلة التي تعد من لوازم الدراسة النحوية وهي الدلالة على المعاني الاولى .

ويقرر الباحث ان النحويين هم المؤسسون لعلم البلاغة بما فتنوا وقعدوا : تقديماً وتأخيراً ، او حذفاً وذكرًا ، وهو ما يؤيد انباهم من غير رفع لتمكين المعنى .

وبهذا يمكن ان يقال ان اصول البلاغة نبتت في روضة النحويين ، فكان الاعراب مزجوا بكثير من اسرار التركيب . وخصص الباحث باباً بين فيه ان الصرح العالي الذي يمثل بلاغة عبد القاهر في كتابه « دلائل الاعجاز » لم يتم الا على القواعد النحوية ، ولولا ما مهدت له من افادتها لمعان ثرية ما شاد البناء .

ويخصص بعد ذلك بابين يدرس فيهما المذاهب النحوية من ناحية انها اثر لخلاف على طلب معنى ، او ان لها منزعا يميم وراء الاعراب ، اياكان المعنى الذي يكشف عنه . وتعرض بالبحث لتخريج علماء النحو لما اشكل اعرابه من الايات القرآنية في كتب التفسير ، ومن هؤلاء العلماء ابو حبان الفراء والمخشي والزجاج . وانتقل الى عرض اراء النحاة المتأخرين من امثال ابن هشام وابن مالك والسيراقي ثم انتقل بالبحث الى « نظرية العامل » وانقسام

الحلم الضائع

« إلى الذي رحل ، وترك كتابه على المائدة
حيث صورته ، وخطوته البمترية في كسل
صفحات الكتاب »

جيبتي في ربيع العمر مساتت
أمانينا ، وقد أوصدت بسايب
ووجهك غاب من زمن طسويل
وطيفك هاهنا ، بين الكتاب
وأضواء النقد المجهول ترنو
لعصفور بدا تحت الثياب
وحلمي نائم في الصمد غاف
فهل يصبحو على ذاك المذاب
تفرق شملنا صبحنا ، وأنا
لفي حلم ، وفي زهر الشباب

الزاقزيق - مصر حسين علي محمد

خامسا : اذا امكن ان نتصور ان علماء القواعد توأطوا
على ذلك فانه لا يمكن ان نتصور انه قد توأط معهم جميع
العلماء والمؤرخين من معاصريهم ، فانفقوا على كتمان هذا
الاختراع ، اللهم الا اذا كان علماء البصرة والكوفة قدسحروا
عقول الناس واسترهبوهم فجعلوهم يعتقدون ان ما جاءوا
به من افك ممثل لفصح هذه اللغة .

سادسا : تقوم اوزان الشعر وقواعده الموسيقية على
ملاحظة نظام الإعراب في المفردات ، ودون اعراب الكلمات
تختل اوزان هذا الشعر ، وتضطرب موسيقاه ، ولا سبيل
الى انكار هذا الشعر .

سابعا : أقوى من هذا كله تواتر القرآن الكريم ،
ورسم المصحف العثماني ، مع تجرده من الاجام والشكل ،
فذلك دليل على فساد هذا الزعم ، فالمصحف يرمز الى كثير
من علامات الإعراب بالحروف . ولقد تم كتابة المصحف
قبل عصر علماء البصرة والكوفة الذين يزعم الجاهلون انهم
اصحاب اختراع القواعد .

وقد استعرض الباحث الصبور الدكتور عبد العزيز
عبيد ابو عبد الله النحو القديم والحديث ، وحاول إيجاد
الطول التي تدلل الصعوبات القائمة في وجه تيسير وضبط
قواعده . بعد ان دافع عن النجاة دفاعا كريما ، ودفع عنهم
تهمة الهيام بالصناعة اللفظية ، واستخفافهم بجانب المعنى .
وكان لا بد لهذا الجهد العلمي المضي من تنويه وتقدير

فاجتمع حشد كبير من العلماء والمفكرين وطلاب العلم مساء
يوم الاثنين الثاني عشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٩٥هـ
الموافق للحادي والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٧٥ قس
قاعة عباسي القنصل بكتبة اللغة العربية في جامعة الأزهر ،
ليشهدوا حوارا علميا دسما بين الدكتور عبد العزيز عبيد
ابو عبد الله ، وبين طائفة من الاساتذة المتخصصين ، هم
الدكتور احمد السيد غالي ، والدكتور ابراهيم عبد الرزاق
بسيوني ، والدكتور امين علي السيد .

وامتدت هذه المناقشة العلمية القيمة ما يدنو من أربع
ساعات ، وفي خلالها ظهرت علامات التقدير والتكريم لهذا
الباحث الفاضل ، ولعل من أبرزها ان يقول الدكتور بسيوني
انه هم بان يأخذ صاحب هذا البحث الى مقعد « الاستاذية »
في كلية اللغة العربية حرسا الله مقعلا للغة القرآن وأدب
العرب .

وكان لا بد من تنويه لهذا البحث ، وكان تنويجا
بأهرا ، اذ استحق ان ينال صاحبه درجة « الدكتوراه » في
علم النحو ، بدرجة ممتاز ، مع مرتبة الشرف الاولى .

تحية وتهنئة الى تلميذ الامس القديم ، وزميل الحاضر
المشرق ، وصاحب التائق المأمول في غد قريب ، فقد افاء
على النحو رتبته ، وولى النجاة كرامتهم ، وفتح بابا واسعا
نمود فيه من جديد الى حقل الدراسات النحوية ، بمزيد
من المنعة العلمية التي تيسر المسير ، وتثمر الكثير ، وعلى
الله قصد السبيل .

احمد الشرباصي

القاهرة

العوامل في النحو الى لفظية ومعنوية ، وأوضح خطأ الذين
يريدون التخلص من الأعراب بالوقف ، لان ذلك يضيع
العلاقة بين اجزاء الجملة فتضيع المعاني تبعاً لذلك . وقد
فند الباحث الزعم المغتري القائل بان اللهجات العربية كانت
مجردة من الأعراب ، وان النحويين قد خلقوا النحو خلقاً ،
وابتدعوه من عند انفسهم ابتداء ، وان عدم وجود القواعد
في اللهجات العامة دليل على عدم وجودها في الفصحى ،
واستند الباحث الى الادلة التالية :

اولا : عدم وجود القواعد في اللهجات العامة لا ينهض
دليلا على انها لم تكن موجودة في العربية ، فقد انتساب
'صوات اللغة وقواعدها كثير من صنف التغيير والانحراف
فبعدت كثيرا عن اصلها .

ثانيا : ليس غريب ان تتفق اللهجات العامة فسي
التجر من علامات الأعراب ، فقد خصصت لقوانين التطور
الصوتي ، وهو ضعف الاصوات الاخير في الكلمة وانقرضه
وذلك موجود في كل اللهجات .

ثالثا : دقة القواعد لا تدل على انها مخترعة اختراعا
كاليونانية واللاتينية قديما ، او الالمانية حديثا ، فكل منها
تشتمل على قواعد لا تقل في دقتها وتشعبها عن قواعد اللغة
العربية ، ولم يؤثر هذا في انتقالها من جيل الى جيل ، ولم
يقبل احد بانها مخترعة .

رابعا : خلق القواعد محاولة لا يتصورها العقل ، ولم
يحدث لها نظير في التاريخ ، بل هي تنشأ من ذات نفسها ،
وتتكون بالتدرج .

انمضي اليه ام يجيء الينا

لم يكن الوطن غير كلمة
ثم اصبح موجة في العروق
ثم سماء وارضا
هكذا تكبر طفولة الاشياء
تعلمنا التحول
تشدد على ابدينا ، قادمة من المستقبل
كنت اتساءل :
انمضي اليه ، ام يجيء الينا ؟
فتحت السماء البعيدة جدا
وفي منحنيات الدروب القريبة
نولد كل يوم ، ويولد معنا الاتي ..
ما عدت اتساءل ، لاننا فيه ، وهو فينا
والبعد بيننا ليس الا مسافة نحو الاتي
ايمكن ان يقتنع القريب
بان غربته مجرد كلمة ؟
ايمكن ان تكون هذه الشهادة
نهرًا ضد القلق ؟
ايمكن ان يكون لقلوبنا هذا الاتساع
فنبحث فيها عن الوطن ؟
احبت ان يكون لي زمن آخر ، ايام اخرى
ونضيات انما تر كفى باستمرار
شاردة وراء سور وهمي
كان لها اللون الاخضر والازرق والايض
كانت لها كل الالوان
وانا اعطيت ايامي كل الفرح
ابتسمت لكل ما هو عادي
ولكل ما هو غير ضروري
الالفة الالوان والطرف الاتية ..
لم يكن الوطن غير مفاجأة ..
رغبة في الامن ..
هكذا تحولت الطفولة
وكان الحب ..
ذلك السيد الرائع الذي ينطق بالحكمة
وهو في اوج نشوته
ذلك التموج الدائم الذي يتشكل
حتى ولو حاصرناه
بكل العادات والاورثات والخراف
ذلك الوطن البعيد
القادم كطفل يشتعل بالرغبة والنعاس
الى صدورنا !

ليلى الساج

الكويت





مكتب بريد صغسبر
بالاسكندرية ، جليلة
وزحام واعصاب مشدودة
وقد تورط موظفو المكتب

على متاعب موسم الصيف . ولسم
يشك احد ، فالكل راض ، وتحسين
مدير المكتب كل فرصة ليقول :

— افخر بان المكتب لم يتلق اي
شكوى من الجمهور .

تعتمد الايدي من بين الاعضاء
الحديدية ، تدفع بالتقود دفعسا ،
والالسنه لا تدل تكرار الكلمات :

— ورقة تمغه من فضلك ..

— اريد طابع بريد ..

— استمارة بطاقة ..

تتداخل الاصوات ، واذا ما شلت
يد ، فان العيون تزجرها ، وكثيرا ما
يتردد العذر من صاحبها :

— الوقت ضيق .. و ..

لكن العيون لا ترحم ، فيسحب
يده ، ويطلب صفا منتظما . يجيء
صوت الاستاذ عبد اللطيف من
الداخل :

— يا اخوان ، النظام مطلوب . فقول
صفا لو سمحتم .

وفي لحظات ، ينتظم الصف ،
وتخف الجليلة . وتبعث له هدى
ابتسامة امتنان . كلماته حازمة ،
رقيقة في الوقت ذاته ، فاطاعها
الجميع بدون استياء . ويتهادى
صوت حلو كالنغم الحالم من شفتيها
الصغرتين :

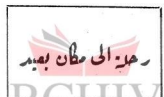
— لو سمحت يا استاذ عبد اللطيف
.. ناولني طوابع بريد .. ما عندي
نقد .

يا سره النغم الحلو ، وتدفعه عذوبة
الصوت الى ترك القلم الذي كان
يؤثر به على الاوراق ، ويفتح درج
المكتب ، ويعطيها فرحين من الطوابع .

هدى فتاة يضاء البشرة ، كحيلة
العينين ، فاحمة الشعر ، مستديرة
الوجه ، حلوة التقاطيع . ترسم
ظلال الطفولة على محياها . تأتي
الحديث دون تكلف ، كما تنصت الى

مجدنها باهتمام . تتفانى في عملها ،
ويشهد رئيسها عبد اللطيف بكفاءتها .
يдахا دالبتا الحركة كالكلوك ، تأخذ
التقود ، وتعطي الطوابع والاستمارات
وبسرعة غير عادية يكون باقي التقود
امام المشتري ، ولا ينقصها سوى ان
يكون لزيانها مثل هذه السرعة في
التعامل معها . حركاتها متتابعة منظمة
فهي لا تعرف التلكؤ او التأخير ،
وتحسبها آلة دقيقة لا تتوقف . اعجب
بها عبد اللطيف ، ويطلب له امتداحها
امام زميلاتها ، وذات مرة قال لمن
سأحذا :

— هدى كفيفة بامتصاص اي ضغط
ما ان تحظ امامها صفا طويلا ، حتى
اجدها في لحظات قد شارف على الانتهاء
وكانها تلتهم الناس التهاما ! .



ARCHIVE
http://www.mrit.com بقلم حسني سيد اليب

وتضحك الزميلات على التشبيهه
الذي يقصد به عبد اللطيف شيئا ،
وفهمه شيئا آخر . تعانبه هدى على
الكلمات التي تصورها وحشا مغفرا
ومن تير ان يقصد .

احساسه اليقظ يتشبه كلمات
العتاب ، يصفي باهتمام ، ثم يوضح
لها انه يقصد اطراءها . لكنه في كل
مناسبة يعاود الاطراء بنفس الطريقة
وتضحك الزميلات ، ثم تجيء كلمات
العتاب من هدى ، ينتشي بالكلمات
ويعود يشرح ما يقصد . واستعذب



هذه الملاحظة ، كانها مشهد هزلي في
احدى المسرحيات الضاحكة . ويطلب
له تكرار المشهد ، محاولا استشارة
هدى . وفي احدى المرات ، حين بدأ
يرد على العتاب ، سمح لبيده ان
تمس كتفها ، وسحبها بسرعة ، ثم
اصبحت عادته في كل حديث ان
يلمس كتفها ، وأحيانا ذراعها الرقيقة
وفي كل مرة ، يكتب رغبة عارمة في
ان يطبع قبلة على جبينها ، أمسا
تقبيل الشفتين ، فرغبة مكبوتة لم
يحاول ان يمني نفسه بها ، وان كان
لا يمنع خياله النشط من ان يسترسل
كما يطلب له . فيجمع به الخيال ،
ويتعدى تقبيل الشفتين ، الى عناقها
شاربا عرض الحائط بفارق السن
بينهما والذي يناهز الربع قرن .
هي تخطئ في ثوب العشرين الزاهي ،
وهو يش بقل الخمسة والاربعين
عاما .

واذا كان عبد اللطيف يرتاح الى
هدى ، وتروق له ، فذلك برحمه
الى عطر الانوثة التي تجذب الرجال
بمختلف اعمارهم ، ولم يحاول ان
يطبع في شيء . ففارق السن مدمركا
منطقه — قاصر بين احلامه وواقعه ،
وهو حريص على الخط الفاصل بين
ما يتمنى وما يمكن تنفيذه . لم تعرف
حياته الانحراف قط ، وقد حارب
كل رغبة منطرفة . ذلك شأنه منذ
الصغر ، فقد شب عزيز النفس ،
حلو المشرب ، رقيق الحديث . ولم
يكن حثائه الذي يسبغه على هدى
دون سواها من الزميلات شيئا شاذا
او منحرفا .. فالحنان — هكذا يرى —
شيء مطلوب ، الحنان لغة القلب
السامية ، لا سيما حين يكون مبرا
من الاهواء .

يجلس عبد اللطيف فاحصا اوراقا
بين يديه ، اسمر الوجه ، مديسد
القامة ، بهاذي النفس .. يحسن
بالجليلة التي يحذنها الجمهور خارج
السور الحديدية ، فلا ينزعج ، او
يتعلمل .. وانما ان البنات — هكذا
يناديهن — قادرات على انجاز اعمالهن

بسرعة وبدون مشاكل ، وعلى الاخص هدى ، حلمه البقظ ، ورغبته المكبوتة . الساعة تحرف ببطء نحو الحادية عشرة ، تقرب منه هدى ، تحني انحناء كبيرة حتى تدنو شفتاهما الصغيرتان من اذن عبد اللطيف اليسرى . همس في لغة محبة :
— عن اذنك يا استاذ عبد اللطيف .
يترك ما بين يديه . تلفت اليها وانما الى عينيها الكحلين ، السى نجمته السوداوين ، صامتاً ، والصمت لغته اللبقة ، حيث تتاح له فرصة اهدائها نظرة الحنان ، والامتنان .
تموت على تلك النظرات الخرساء ، في البداية كانت تركب ، تقلق ، تدعز ترتعش ، فيبتسم ويعطرها بكلماته الطيبة . شيئاً فشيئاً تعودت على صمته ، واحترمت هذا الصمت .
ترد على صمته :

— عندي مشوار مهم ..

— طيب .

تضيف هدى :

— تبعب مني الطوايع .

ينفض : وعلى شعته ابتسامه
حب خضراء :

— ابيع انا الطوايع .

تتملكها فرحة صبيانية ، تنتشر .
بحنانه الابوي :

— متشكراً يا استاذ عبد اللطيف .
تهرع الى درج الطوايع ، تحسب ما يحتويه من نقود ، وما تبقى من طوايع واستثمارات . هذات الاصوات وقبل ان تكمل الجرد ، قال عبد اللطيف :

— تركي كل حاجة كما هي ، انما مطمئن .
ويصر على موقفه . يمنحها نقته المعلقة ، شيء رائع ، كلمة الشكر لا تكفي ، ومنعها الحياء من ان تطبع على خذه الاسمر قبلة امتنان على شعوره الفياض . ارسلت كلمات الشكر في سحاء . احمرت وجنتها السعادة تختلط بنفضات عروقها ، تفزو دماها ، تعطيها الدفء .

تساوى خصلات شعرها النازلة على جبهتها ، ثم تتناول الحقيقة . تراجع ما بها ، ثم تسأله ان كان يريد شيئاً . وكانت فرصة كي يقول :

— تصحبك السلامة يا هدى ..
ود لو يسترسل في الدعاء ، بدلا لكلمات الحب التي تنتحر في جوف حلقه ، وان كان الحب يستوطن قلبه الكتوم .

قبل ان تغادر المكتب ، تحرص على تحية الجميع ، اسارير البهجة ترتسم على محياها . ثم تختفي بعد



حسني سيد ليب



ان تلوح له يديها الرقيقة ، يثنى جفنه ، ويلوي رقبته المديدة بعض الشيء ، ويتنحى خطاها قبل ان تختفي من الباب الضيق عن نظريه .

يفطن زملاء المكتب الى حنان عبد اللطيف وعطفه عليهم . ويرون ان هدى تختص بحنانه الزائد ، فلا يتبرمون . وكثيراً ما يقول :

— نحن جميعاً اسرة واحدة ..
وهذا المكتب هو البيت الذي يلمس شمل الاسرة .

وطبق هذا القول فعلاً ، وكان هو رب

الاسرة المسؤول . واصبح المكتب هو بيته الذي يراحه ويهتم بشؤونهم . وبرغم خطيه الاربعين عاماً فلم يزل عزيزاً . منذ عدة سنوات ، جرب حظه في الزواج من فتاة تصغره بعدة اعوام ولكن طبيته استغلت في غير موضعها . وانار واندى الفناء كثيراً من المشاكل . ودفعه الضيق الشديد ، وصبره النافذ ، الى فسخ الخطوبة بعد ستة اشهر قضى أغلبها في المنازعات . وابتعد فكرة الزواج من محيط تفكيره ، وفتح بحية العزوبة . وتفانى في عمله واحسن حين رقي مديرًا لمكتب برده انه أصبح مسؤولاً عن اسرة العاملين ، ففاض حنانه على الجميع ، يزرع الحب في قلوبهم ، وبحول مشاكلهم الى طرائف وتذويع احقادهم ، وتبقى المحبة عامرة في النفوس .

الكل هنا يذكر ما حدث في عقيد قران زميلتهم منى . وكيف صار حفلها حديث كل المدعوين . انفرد عبد اللطيف بهدية قيمة ، واشترك الباقون في شراء هدية معائلة . وطلب عبد اللطيف من فؤاد ان يدعو فرقة الهواة التي يشترك فيها ، واشار على هدى - بصفتها زميلة منى - باسم الثانوي - ان تدعو صديقات منى اللاتي لم تتمكن من دعوتهن ، وشجع سعاد على الرقص دون حرج ، واقترح على فتحة ان تذهب الى منى فسي الصباح لمساعدتها في استكمال زينتها ومصاحبتها الى الكوافير . يذكر الجميع هذا اليوم الجميل ، وكان عبد اللطيف كالمايسترو ظلمت اليه عيون العازفين ، ونجح الخفل نجاحاً فاق التصور ، فقد امد كل شيء في كتمان شديد ، وعمر قلب منسى بالسعادة .

ويشعرون بلمسات الحنان ، يضفيها على علاقته بهدى . لكن في الوقت ذاته يحجم جميعاً . اما ذلك الشيء الخفي الذي يشده الى هدى ، فلا يقلقه ، وانما يزيد من تراطبهم والفتهم .

يبعب عبد اللطيف الطوايع

الحلم الذهبي

وكانها أحست بما يشقى الرجل .
فبفعل الجميع للمعنى ، يعتبرونها
آية الحب والتقدير . تقول فتحية :
- عبرت منى عما في قلوبنا جميعا
تعبت سعاد :

- نود أن نفرقك يوما واحدا .
يتسم عبد اللطيف ، ينسى
اكتسابه ..

- ما كل هذا ؟ .. انها اجازة .
يرافقه فؤاد الى محطة الرمل ،
حيث يستقل الترام .

اصبح وحيدا مع امانيه المصلوقة ،
وجرحه القاتر . تخلص بعض الوقت
من اكليل الحب الذي يلف حوله ،
وعاد الى هواجسه . شيء طارىء لم
يدخل في حسبانها ، ستمت خطوبة
هدى قريبا ، يجزى فؤاده للنساء ،
ويكتسب صدره ، يضيق ، يزفر -
فترات الم . يدخل بشراسة ، يطرده
الدخان سحباً قائمة من صدره .

غصن البان الذي رواه من احلامه
الوردية ، بدأ يتمايل ، ويهز .. بدأ
يجتذب انظار المعجبين ، لا .. بدأ
يتطلع الى الحب . هدى ، البنيت
الصغيرة الطعمة ، كبرت .. كبرت
وعرفت الحب . لا بد انه شاب وسيم ،
دمت الخلق ، متعلم ، و ... يفيق حين
تلسع السيجارة انامله ، يلقي العقب
من النافذة . يتأمل الوجوه التسي
حوله ، يركز على الشباب ، ينقسي
واحدا ، يراه مناسباً لهدى . نسيم
يشور على الاختيار . يشيح بوجهه
عن غريمه ، ويشعل سيجارة اخرى .
يفكر في اجازته . الى اين يذهب ؟ ..
لم يحدد .. أعلن للجميع قيامه
باجازة ، دون تبهر . يود ان يغيب
عن أسرته ، عن مكتب البريد ، ربما
لكدة طويلة . لا يريد ان يرى أحدا ،
قد يقوم برحلة ما . من الافضل ان
تكون رحلة الى مكان بعيد ، بعيدا عن
هدى . ولكن .. هل يطيق فراقها ؟
وقد يتفكك البيت ! ..
واطبق على صدره صمت ثقيل ..

حسني سيد لبيب

القاهرة

يا برغم الحب الندي النامي
في كل ثانية أراك اصامي
ونجبة ذهبية الاحلام
فيها لحت هناءتي وسلامي
ورشاقة سحرية الاقدام
ومن الالحة صبوتي وهيامي
وجمالها فجر الحياة الدامي
والعين زرقتهما مروج غرام
ففرقت في بحر الهيام الطامي
ليكون في بحر الجمال حمامي
واختصني بالرسم والالهام
والفن متقاد الى الرسم

فيليب لطف الله

سان باولو - البرازيل

حلما اراك بيقظتي ومنسامي
مهما بعدت ، الى الفؤاد شربة
رسما ترافقه البشاشة والرضى
رؤيا يجلفها الجمال مجسما
مرت فطخت البرق في خطواتها
الحسن مجلبة المحبة والهورى
يا غادة ، نور الصباح جبينها
في هدهدها لهب المغانن والغوى
ابحرت في امواجها متفانسل
وبعدت عن شط الحياة لاجلها
سبحان من وهب الكمال لفادة
فرسنتها اوحى الجمال لشاعر

مواعيد عمل المكتب ، يقطع جبل
الحديث بين سعاد وفتحية ، وهما
تتبعان لمناذرة المكتب . يقول لهما :
- ربما اقوم باجازة ..
- كم يوما ؟
- قد تطول ..
- لمه خير .
- مسافر ..
- لم ؟
- لا شيء .. انها رحلة ..
- الى اين ؟
- قد تكون الى الصعيد ..

تعتقد الدهشة السنتم ، يتناقلون
النبا ، يفسرونه بان الرجل مرهق ،
ويتشد الراحة من اعباء العمل . وربما
مل رتبة الحياة فشاء ان يخلو ل نفسه
بعض الوقت ، وارتاحوا لهذا التفسير .
لما ظن البعض بأنه ينتوي الزواج ،
فقد شاع بينهم همسا وان لم يتيقنوا
من صدقه . يحقق قلب منى وهى
تعد يدها تودعه :

- تصحبا السلامة يا استاذ عبد
اللطيف .
ولا تستطيع ان تحبس دمعة وفاء

والاستمارات ، بدلا من هدى .
يتنازل عن وظيفته كرئيس مكتب
يريد له هيبته المعروفة لدى الجميع .
تقرب منه فتحية وتقول :
- يبدو يا استاذ عبد اللطيف ان
المكتب سيفرح قريبا ..
يبتش وجهه :
- لم ؟
- اخبرتنى هدى ان حفل خطوبتها
قريب ..
- مستحيل !
تدهش فتحية ، تكرر قوله :
- مستحيل ؟
- اقصد مستحيل ان تخطف دون
ان نخبرنا ..
- لم تشأ اعلان الخبر ، لغاية ما
يحدد الموعد . واظنك اول من تفرح
لهدى ، وكلنا نعرف مدى حبك لها .
يفغم :
- طبعاً .. طبعاً ..
ويطبق عليه صمت ثقيل
تتوتر اعصابه . يجاهد كي يحبس
انفعاله ، وتسير الامور كالعتاد .
يبذل عناء بالفا ، وقبيل انتهائه



الدكتور محمد رجب البيومي

ديار اللواتي دارهن منبعه

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

اكتب المقالات من ثلاثين عاما ، فما رأيت احدا كتب السيرة ينسبني انه قرأ لي شيئا نال قبوله ، لذلك كان غريبا كل الفرية ان اجد خطبا رقيقا من صديق قديم يحدثني فيه انه اعجب بمقالتي « ايا جارنا ما انصف الدهر بيننا » الذي نشرته في عدد لا أدري تاريخه من مجلة « الاديب » وكنت اصدق ان واحدا من القراء قد استحسنت مقالا لي ، لولا اني وجدته في منتصف الخطاب يتعجب كيف اتحدث عن قصة « ايا جارنا ما انصف الدهر بيننا » ولا اتحدث عن قصة « ديار اللواتي دارهن منبعه » وانا احد شهودها ، وكاتب الخطاب بطلها ، فعرفت انه يطلب ان اسرد قصته فحسب ، اما انه قد اعجب بمقال الجارة فذلك ما كان توطئة تدل على المجاملة ، ولا تنبئ عن التقدير .

وقصة صاحبي قد وقعت منذ ربع قرن ، وانا لا اكاد اذكر تفاصيلها الجزئية انما اذكر مجملها الكلي في غير وضوح كما ارى الشيء من خلال منظار مبطل بلأد ، وقد اجهدت ذاكرتي لتعيد علي ما كان ، فاذا لم تلتئم الحلقات على وجهها المستريح ، فانا معذور معذور

كان استاذنا الكبير احمد حسن الزيات رحمه الله يؤم مدينة المنصورة في شهور الصيف ، كل عام ، ولسه مجلسه الزاهر تحت الكافورة على ضفاف النيل ، وقد تحدث عن كافورته في وحي الرسالة حديثا لا يصدر مثله

الا من مثله ، وكنا نحن عشاق الادب نسارع الى مجنسه في اشتياق ، لنستمع لا نتحدث ، ففي المجلس كبسهاره يجيدون الحديث ، ونحن ناشئة نلتمس الخطوات الاولى في الطريق ! افيجوز لنا ان نبدي ونعبد ! وكنت ارى بين الحاضرين شابا يجلس على استحياء ، ومعه ديوان المتنبي لا يترك يده ، وقد ناهز العشرين ، رايته مرة ومرة دون ان اسمع منه كلمة واحدة ، ورايت معه ديوان المتنبي لا يفارقه ، فشاقني ان اعرف صلته بشاعر العربية الاكبر ، فسألت استاذنا الزيات عنه - حين قام الشاب لبعض امره - فقال الزيات في ابتسام ، انه ساعي البريد بالمنصورة وقد تقدم اليي يخبرني بحبه « للرسالة » ، وجنونه بشعر المتنبي ، وهو على خلق وذوق وادب ، ولو اكمل تعليمه لكان ذا شأن ، ولكن ظروفه صعبة تتطلب النصير .

كان حديث الزيات عن الشاب ، واسمه سيف ، مصدر غرابة واشفاق وحب ، قد امتزجت خلاصتها في نفسي ، فشعرت ان سيفا صديقي وانني اولى بمودته ، وصممت على ان اصاحبه ، وكنت حينئذ في السنة الاولى من وظيفتي التعليمية اشتغل مدرسا باحدى مدارس المنصورة ، وانا فارغ البال لم ارحم بمغالبي العيش ، ولست مسؤولا الا عن نفسي ، فما ان رايته حتى هزعت اليه ، وراى مني اقبالا لا يعهد في حملة الشهادات على حد تعبيره ورايت منه هياما بالقراءة ، وحبنا خالصا للشعر والشعراء ، وجئونا عارضا بابي الطيب ، فهو يحفظ الكثير من قصائده ، ويسأل الاستاذ الزيات عما لا يفهم ، ثم هو لا يعدل به شاعرا اخر ، وكنت اسمع اليه فاعجب كل العجب ، لساعي بريد ، يجمع شيوخ الديوان بما يقطع من راتبه المحدود ، ويشتري بقصائده المتنبي ، ويزملوه وذوو سنه يردون اغاني الاذاعة ، والمتقنون من ذوي الدابة يردونه ، ويروونه مراهما يهرف بما لا يعرف ! فهو عندهم دمي لصيق ، وعند ذوي طبقته غافل مغرور !

توثقت صلاتي بسيف ، وكان الادب لحمتها وسداها ، فانا اقرا معه المسرحيات العاطفية ، ما بين مؤلف ومترجم ، وهو يسهر لدي احيانا يسمعي بعض قصائد المتنبي ، ويشرحها كما تروق له ، وقد عرفت من امره الخاص ان والده توفي وهو في السنة الثالثة من الدراسة الثانوية ، وقد نجح عام وفاته ، وانتقل الى ما كان يسمى بالثقافة ، ودخل امتحانها مرتين في سنتين متواليتين ، ولكنه خاب في مادة خاصة أصبحت تمثل له عقدة الفشل والخيبة ، وكه بلذ في تحصيلها ما بلذ من وقت وأعصاب دون جدوى ، حتى اضطر الى العمل في وظيفته المتواضعة ، وانهلج في الادب والشعر سلواه ، فرميا تسعفه الامام بنضوج ادبي يصيح به ادبنا موهوبا دون احتياج الى درجة علمية ، ومماذا يملك المتفولطي والرافعي والقناد من هذه الدرجات ! هكذا اقنع المسكين نفسه ، فاخذ يقرأ مجلات الادب ، ويسعى

ملكة صاحبة عرس ، او هكذا وقعت في عيني ، وعدت الى منزلي قلقل لا استطيع ان استقر في موضع ، افنت الكتاب لاقرأ فلا أفهم ؟ واستمع الى الراديو لاسلى فلا أغفل ، واحاول ان ازدد طعام العشاء فتقف اللقمة الاولى دون ان تساغ ! ثم اخرج الى الشارع فاجده ضيقا لا يكاد يتسع للذهابي فالتصت ثانيا ، واطفىء النور لانام فانقلب ذات الشمال وذات اليمين كصاحب علة مستصيبة تزود الى قاد! ويزيد في محنتي اتي مجنون المنطق ، احقق التفكير ، فقيده الارادة ، ولو كنت فكري ان لمعت نفسي ان تطمع الى غير مطمع ، والزممت فمعي ان تقف حيث تستطيع ، فلا تهول خلف السراب ، وكان اسم ابوها كما عرفت ذلك من عنوان الرسالة اسما لامعا لصحافي كبير كان ذا دور بارز في سياسة مصر ، وقد انتقل الى رحمة ربه بعد ان ترك تاريخا وكتبا وصيتا حميدا ، وقد حملتني قدامي الى الشارع الذي تقفنه في (توريل) وجلست امام المنزل احدث احد البقالين في امور اختلقها ، وامنت الحديث لاعلم ان ساكنة الدور الثاني زائرة كريمة ، وفدت من القاهرة منذ اسبوع ، ومنزلها الدائم بالزمالك في شارع عرفته ، وانها لا بد ان ترجع عن قريب .

لم اكف عن التفكير فيها ، وعشا اصور لنفسي بعدها الشاسع من طبعتي ، فاجد حديث العقل لا يتبع الوجدان واراني امير حرب اهلية تشتجر في صدري فتدود عن نفسي الهدوء ، وخفت ان احدث احدا بسري فاكسون موضوع السخوية والاستهزاء ويدون ويذهب الى دار الكتب بالمنصورة ، وطلبت مجلدات الجريدة التي كان يصدرها الوالد الكبير ، باخذت اقرأ مقالاته وادون موافقه ، والخص ما يروقني من حديثه ! مكثت ستة اشهر لا اترك عملي الرسمي الا لدار الكتب ، اطالع المجلدات سنة وراء سنة ، والخص المقالات ، واملا الدفاتر واسود الصحائف ، واجد في ذلك راحة وتنفيسا ، وكان يخيل الي حين انهمك في قراءة هذه الصحف اتي اقرب شيئا فشيئا من قلب صاحبتها واني حين الم بكل ما استطيع الامام به من تاريخ والدها ساصح في عينها شابا ذا شان ! وقد انتفعت بما قرأت اذ تفتحت مداركي ، واستثار وعيي ، وعرفت دقائق حقبة هامة من تاريخ بلادي ! وكان ذلك خطوة اولى تمهد لخطوة ثانية قد تكون نجيحة وقد تكون خالية ، ولكنها في رأيي ستعذرني امام نفسي اذا لم تكمل بالنجاح .

لقد انتهجت الى عمي لاعرض عليه نصيبي في منزل الاسرة بالريف بحجة اتي مستقر بالعاصمة ، ولا قبض منه الثمن ، وكان كرما معي كل الكرم ، فرضي بما فرضته ، وذكر ان المنزل منزلي مهما قبضت الثمن ، ورجعت ومعني سبعون جنيا ، فاحضرت حلتين جميلتين ، وهيات للبيبي ما يجعلني في مظهر لائق ، وادخرت ما بقي في صندوق التوفير كي استعيني به عند الحاجة ، وصممت ان اذهب الى منزلها بالزمالك ، مدعيا اتي طالب بالسنة النهائية

جهدا للقاء الكبار من الادباء ، واعظم سلواه ان يقرأ المتنبي وان يحس في نفسه امتياز خاصا لانه يستطيع ان يعيش مع اكبر شاعر عربي ، كما يرى الناقدون ، وقد حاولت في مدى ستة اشهر ان اقرامه بعض الاثر الرائعة لغير المتنبي كي يتنوع زاده الشعري ، ولكنه كان يعطف ثانيا على ابني الطيب في اندفاع ! وكأنه هو الشاعر الوحيد في دنيا العرب وهو بعد شاب ناشئ يعيش في دور عبادة الابطال .

لم اكن اعلم ان سيفا يخفي في اعماقه سرا عاطفيا ينفر في قلبه ، ويستبد بمشاعره دون ان يجد حديقا بينه وجده الكظيم ، حتى جاءت ليلة من ليالي الشتاء سهرنا معا نقرأ فيها شعر المتنبي من قصيدة مطلعها

انا لاني ان كنت وقت الفوائس نريت بما بي بين تلك العالم فاخذ يقرأ متائبا متثدا حتى وصل الى قوله

ديار اللواني دارهم منيعسة بسمير القنا يحفظن لا بالتصائم فوجدته ينقطع فجأة ، ثم يغم وجهه - وكان ذا وسامة صريحة - في الم ، فأردت ان اعابته ، فقلت ان المتنبي ليس شاعر الغزل ، انه يتحدث عن اللواني ، فهو يعشق بالجملة دون تحديد ، ولو عرف الوجد قلبه لا تقتصر على التي فقط ! اهذا كلام يعجبك يا سيف ! ان كنت تحب الغزل الوجداني فلنقرأ معا الشريف الرضي او العباس بن الاحنف او جميل بن معمر ، ما للمتنبي وهذا المجال ! وكان صاحبي لا يطيق صبرا على نقد المتنبي - وهو في ذلك يذكرني بصديقي العزيز الأستاذ عبد العزيز الربيعي رواية المتنبي بالرياض - فتوقعت ممان يجادل وان يعنف ، ولكن الدموع قد ملأت عينه ثم سالت على وجهه ، واخذ يهيم في حرقه مرددا قول ابني الطيب

ديار اللواني دارهم منيعسة بسمير القنا يحفظن لا بالتصائم فدهشت اذ فوجئت بما لم اتوقع ، وسكت وسكت الى مدى ! ثم قال في الم : لقد هيجني المتنبي ، انها تحبه ايضا ، وتراه اكبر شاعر عرفته الضاد ! قلت مأخوذاً : ومن هي ؟ لن اتركك حتى تجيب ! نظر الي في لوعة وقال لا بد المصدور ان ينفت ، واستودعك سري فلتسمع !

كنت اوزع الخطابات ذات اصيل في حي (توريل) فارتيقت الى الدور الثاني من منزل واضح المكانة لاسلم رسالة الى صاحبيتها ، وفوجئت بها شابة رائعة في غلالة حريرية لبضاء مكثت لؤلؤة ذات اشعاع ، ولم تنظر الي ، وكأنني لسدت انسانا واخذت الرسالة لتوصد الباب بعد تحية باهتة لا تدل على شعور ، ولا ادري لماذا عدت افكر فيها تفكيرا تشوبه المرارة ، الا انها في هذا المستوى الرائع مسن الحسن ، ام لانها عرفت منزلتي الاجتماعية فلم تسمح لعينها ان تنظر الي ، ام لان كاتب الرسالة التي حملتها اليها هو صاحب قلبها الخفاق ! لقد قضيت سواد ليالي افكر تفكيرا بالسا فيها دون جدوى ، وكان الظروف قد شابت ان تزيد تعاليها ، فقد ابصرتها في الليلة الثانية تقصد محلا تجاريا في السكة الجديدة ، وقد ظهرت في زيا المكتمل كما لم تظهر

بما قبلته من الأعداء ، كي أسعد برسالها حقيقة ، وقصد تراسلنا مرتين ! ولكنني عند نفسي كاذب مزيف ! ولا بد أن ارتقب الفضيحة في يوم قريب !

عاد سيف إلى أطرافه ، وهو يتمتع ماذا أصنع ، ستأتي للمنصورة عند صاحبها ، ومعها عنواني الذي تسرعت في إعطائه ، وسأصاب بخيبة الحياة حين تعرف أنني كاذب ! وتلك التي تعادل الموت لدي !

فكرت قليلا ، وقلت له ، اكتب إليها الآن أنك نقلت إلى الصليبية تبعاً لوظيفة أبيك ، ولا تحدد عنواناً ، وتضبر في حزم وستنتهي الموضوع !

صرخ سيف : ينتهي الموضوع ! أنت تحكم علي بالفناء ! ولم يكن الموقف موقف مناقشة ، فحاولت أو أواصل قراءة المتنبي ، فلم استطع ، ورأيت أن الوقت قد تأخر ، ففقت وفي نفسي تعجب كبير .

وكانني كنت اتحدث عن نفسي لا عن سيف فقد فوجئت بنقلي أنا إلى الصليبية مدرسا بابونج الثانوية ، وراست صاحبني مرتين في السنة الأولى مهنياً بالعديد ، ثم انقطع ما كان من تلاق وتواصل فلم أعد أعرّف عنه شيئاً ، ولكنني بعد بضعة أعوام أظننا ستة قرأت أسما كاسمه بين مس عيشوا وكلاء للنيابة بوزارة العدل ، فرجحت أنه غيره إذ تشابهت الأسماء ، والأ فابن سيف من وزارة العدل ؟ وكان علي أن استوق ، ولكنني أهملت وتراخيت حتى تلاقينا بعد أمد طويل بالقاهرة بمصادفة في الطريق فإذا سيف يتغير ويعلم ويتغير حتى لكانه شخص آخر . وإذا هو يحدثني أنه ذاكر ، ونال ليسانس الحقوق وتزوج ، وأنه يدعوني إلى الفداء غداً ، فعلى أن أقباله في الظهيرة ليصحبني إلى المنزل وانطلقت السيارة بنا إلى الزمالك حتى وجدني أمام منزل لا عهد لي بسيف بمثله ، فخطر في ذهني فجأة قول المتنبي « ديار اللواتي دارهن منيعه » وسألت في نفسي متحيراً :

أوقعت المعجزة ؟ وكيف ؟ وكان صاحبني رزيناً معي أكثر مما يجب . فلم يهبط في الطريق بشيء ، حتى وجدت نفسي أمام زوجته الشابة المثقفة النابهة ، كريمة الصحافي السياسي الأدبي ! ولو أن كوكبا اصطدم بكوكب ما ، كان له من الأثر لدي ، قدر ما صدمت به من مفارقات ، ولم استطع أن أقال أسأل صاحبني في مجلس الفداء ، ولكنني كنت في مهب الريح من الظنون ، وسيف يعلم ما في نفسي ، ويكتم إبتسامه ما تنفجر حتى تتبدد ، وكنت أعجل الفراق لأقف على السر وصاحبني يتناقل متعمداً ، حتى كادت خيوط أعصابي أن تضطرب فليست من جديد ، وما وجدت فضاء الله فسي الطريق حتى صحت به كيف تمت المعجزة يا أخي ! فقال وكان يتحدث عن أمر طبيعي ، لا عن مفاجأة مريكة ، زارني في مسكني وكنت غالباً وعرفت حقيقتي ، فكنت تشجعني وتقول أن انساناً يؤلف كتاباً عن والدها لا بد أن يكمل تعليمه وستقف بجاني ! وكان خطابه ذا سحر يخترق الصعاب ، فواصلت الكفاح حتى أخذت الثقافة الفالناوية ، وصممت

في حقوق الإسكندرية ، واني معجب كل الإعجاب بتاريخ والدها ، وحريص على أن أضع عنه كتاباً ، ولا بد من معلومات عن حياته الخاصة ، استقيها مباشرة من عائلته ، هكذا فكرت وقدرت ثم ذهبت !

وجدت القصة مثيرة ، وقد بدأت تتخذ خطاً مدحشاً فقلت لسيف : أرجو أن تفصل ولا توجز ، ففي حقائقي الحياة ما قد يفوق الخيال فنظر الي في أسف ، وقال: دعني يا أخي فانا أتكلم ، وقلبي يتمزق لقد وقعت في مازق ! وكانت ملامحه توحى بما يحتمل في نفسه ، إذ كان صادق اللهجة والسحنة واللفظ واللغة والزفرة ، بحيث خيل الي أنه يصطدم بمأساة ، ولكنني أصبحت منتبهة لأجسده يقول :

لم أكن ليقاً فأطلب بالهاتف موعداً للقاء ، ولكنني توجهت بعد العصر مباشرة إلى منزلها ، وقد راغني مبناه الفاخر بطقائمه الضاربة إلى علو يأخذ العين ، وما كدت أصد درجات الطابق الأول حتى وجدت صوري في الرخام على الأرض وفي المرايا المتعددة الواسعة في كل حائط . فاعتقدت أن المكان ليس لي ، وهجم علي فجأة بيت المتنبي ديار اللواتي دارهن منيعه . بسرر القسا يظفلن لا بالتصام

وكننت في حاجة إلى أن أهدئ خاطري ، كيلا تسرع نبضات قلبي ، فتوقفت لحظات ، حتى عرفت كيف أجمع نفسي ، ثم اعترتني أن ادق الجرس ، وكانني أهجم على عزيز الأسد ، فرأيت أخاها يفتح الباب ، ولحظت في همتي ووسامتي وخجلي ما جعله يرحب بي في إبتسام وقودني إلى الصالون كرائي ذي مكانة ! ولم ألتفت أن غرست عليه مهنتي الأدبية والوطنية في ضرورة كتابة تاريخ بطل أديب سياسي مفكر ترك تأثيره القوي في محيطه ، ولا بد من الاستفسار عن دقائق حياته الخاصة من ذويه ، فجاء فرج الله القريب حين صاح الأخ مستبشراً : رائع ! رائع ! إن اختي سميرة لديها مكاتب خاصة بمسودات والدها ، وقصاصاته ومقالاته فهي لا تعيش إلا على ذكراه ، وانطلق بدعواها ولم تكن غير صاحبتي ! وقد أقبلت مفتحة كزهرة بائعة جواهر الطل في الصباح ، وبمعينها فرحة نذات وجهها وضارة فمها مسماً اشرفت على غير انتظار ! وقد تشجعت فمكثت أكثر من ساعتين اتحدث عن السياسي الأديب الصحافي الكبير ، وقد أخذت لتوق ففاجأة أعداداً واستشهادات وتعليقات وكان أقبال صاحبتي يخل إلى أن أصبحت حبيبتني وإن الفوارق قد ارتفعت فجأة ، وكان ذلك متوقفاً لو كنت صادفاً فيما أقول : لو كنت طالب حقوق ينشد المادة الأولى للكتابة ! ولكنني ساعي بريد !

لم أكد أخرج بعد ثلاث ساعات مرت كثلث دقائق ! حتى التمت سميرة من خلال أسئلتها المهذبة بالقليل من حياتي المزيفة ، وقد تورطت حين ذكرت لها عنواني بالمنصورة لتتراسل في مسائل الكتاب المرتقب ، وفي غيرها مما أكاد أتوقعه ، ولم أذكر عنوان الكلية المزعومة بالإسكندرية متعللاً

من وهي الغزلة

« خواطر شاردة بين صفاف النيل السيد واجواء الهجر البعيدة »

وبقيت مثل السيف فردا
يهتز في غمد تسردى
أسلامه تزداد عمدا
فما استجابوا حين ودا
فما استطاع الأوم كيدا

فاستشدوا في «العيد» فردا
فاتنن الجسو المندى
فظنن ذلك الضحك حمدا
عن طعن مافسون تصدى
وخدد الصغار خندا
يستثن غدارا ووغدا

بعدما اتنى واسدى
التجريح بالتلميح .. مجدا
فاصانني بالعين .. كيدا
ما كان صمتي عنه ردا
ضدا ، ولم اقبله ندا
في ثوبه حرا وعبدا

ولم يزل كالطفل رشدا
ان ينتهي من حيث ابدا
وصار « كيخون » المفدى
وباض اشعارا .. وكدا
فكسره ما كان عمدا
العاصيات عليه جددا

العلم ان الموت اجدى

جورج صيدح

ذهب الالى صاحبهم
سيفا تحدى دهمه
يزداد حدا ، بينما
ود الكرام الكائنين
وغزا اللثام الكائدين

ارني ققسوم عيدا
في « الندوة » استمعوا اليه
ضحكوا على العي الدعي
سيف الشريف اجله
كم هاد عن عنق الذليل
وعفا عن الحصاد ، ثم

ما بال « ناقدنا » تنكر
مجده ، فابى سوى
شلت يديه حصاتي
لولا سوابق عطفه
حبايته يقبوله
يغزي الرجولة ان ترى

ومعمر تلك السنين
رام انصمود فسائه
فسطا على لقب « العميد »
كم راض ميدان القريض
ان كسر الوزن العميد
الذنب الذنب القافيات

افسى تعاليم الحياء

باريس

القصص فأجدها تتحول أثناء الكتابة الى مقالات ! وكان عليه ان يختار لحديثه فنانا يبرع ، لا متحدنا يسرد ، فكل ميسر لما خلق له ، كان عليه ان يفعل ذلك ولكنه قد اختارني وحدي ، ولعله عرف فيما بيني وبين نفسي اكبراري الزائد لصاحبه المجيدة ، وتقديري الجم لانسانيتنا الكريمة ، ومروءتها السامية فاراد ان اسجل هذه العواطف في سطور وما اخالي فعلت فمجمعتها الرائعة تحتاج لكتاب كبير .

الرياض - كلية اللغة العربية محمد رجب البيومي

كانها الله - ان انتقل الى القاهرة بمعونة ذوبها في عمل ارتى بادارة البريد ثم انتسبت الى الحقوق ، وبذلت جهده المستحيل ، وهي معي في كل لحظة ، حتى تلت السياسات بامتياز ، وكانت شهد الله ملاك الرحمة تظلني بجناحيها اتي اتجهت ، فانا عباها ما حبيت ! انا عباها ما حبيت .

هذا كل ما اندكر من قصة سيف ! حتى فاجاني خطابه اليوم يطلب ان اكتب خارقته المعجزة ، ولا ادري لماذا اختارني وحدي فلست كاتب قصة ، وانا والله احاول ان اكتب

محمود العابدي

بعلمه وادبه مخضرم بين فلسطين والاردن

بقلم عجاج نويهض



كان من معاني « المخضرم »، ولها معان جمة، الماضي نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام، كما يقول الفيروز آبادي، وإذا كنا لا نقصد هنا بالجاهلية والإسلام غير الانتقال من عهد إلى عهد، فالاستاذ محمود العابدي، وهو من قرية «عصرة الشمالية» في لواء نابلس، المعسوب الجبين بالقول المأثور: « خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، يعد من خيرة عرب فلسطين المخضرمين الذين تناوحت رباحهم بين الضفتين تناوحا جميلا بتوزيع ثمرات علمه وأدبه بالثمانية والعشرين كتابا من كتبه في التربية والتاريخ والآثار.

بإيجاز، حصل علومه في فلسطين، ومولده في أواسط العقد الأول من هذا القرن، وتخرج من الكلية العربية في القدس، الكلية التي كان يديرها المربي الكبير الأستاذ أحمد سامح الخالدي. وتقصد بأن الخالدي رحمه الله، كان يدير « الكلية » خير إدارة، أناليت القومى الذي كان ييشه في التلاميذ، والانتكيز المسيطرون على البلاد لا يستطيعون اعتراضه بحال، كان بشا صافيا راقا. وفي فلسطين من أول هذا القرن إلى منتصفه، ثلاثة كانوا فرسانا في ميدان التعليم الصحيح الناشئة العربية: الأستاذ نخلة زريق (إلى أول العقد الثالث)، وتلميذه الأستاذ خليل السكاكيني، والأستاذ أحمد سامح الخالدي. و « الكلية العربية » هذه في القدس كانت تسمى من قبل « دار المعلمين » فلما تسلم زمامها الخالدي، جعلها « مصنعا » لتخريج الشباب العربي الواعي عن طريق العقل والعلم. الأستاذ محمود العابدي أحد هؤلاء.

وانشئت بعد ذلك صلة كالعروة الوثقى بين الأستاذ وتلميذه: الخالدي حادي القافلة، واليابدي، وهو يعني: « سائق الاظعان بطوي البيد طي ». ومن أول الامر لما فتح الخالدي النجاة المتوثبة في تلميذه محمود، اخذ ينفذه بالاطياب ويهديه السبل ويزيده تبصيرا بالامور حتى بلغ التعليم درجة الاستاذية، واكتمل له الالة. ولكنه لم ينس شيئا من فضل استاذته عليه. وقد كان الاستاذ الخالدي شديد الاعتصام بامانيه، وامانيه ان يرى الكتب

الباحثة في ماضي فلسطين، الكتب المخطوطة القيمة في بابها، مطبوعة، وكان غرضه من وراء هذا ان الصهيونية مسا برحت تفالي وتزور وتزيف، وتنكر ما لفلسطين من حضارة كحضارات الاقطار العربية الاخرى. فوضع الخالدي كتابا قيما عالي المقدار اسمه « اهل العلم والحكم في ريف فلسطين » ضمنه تفصيل ما انجبت لفلسطين في ريفها وقرىها، فضلا عن مدنها والقدس ام مدائنها، وكبرى خزائنها، حيث اولى القليلين وثالث الحرمين الشريفين، من رجال العلم الذين تولوا المناصب في الدول الاسلامية من الفتح العربي الى انطواء بساط الحكم العثماني قبل ٥٧ سنة. وهذا الكتاب على ما نعتقد يخلد به ذكر الخالدي احمد سامح.

واذا بكتابه هذا المخطوط يكشف الامة العربية ما قدمت لفلسطين على توالي العصور من اهل فضل وعلم وحكم وادب وشعر وتاريخ وفقه وتفسير، لا في بيت المقدس وحدها، بل في غزة هاشم، وخليل الرحمن، ونابلس وبافا والرملة وعكا وصفد وطبرية وعسقلان وقيسارية. واستقى الخالدي هذا كله من كتب الطبقات والتراجم المعتبرة الطبوعة والمخطوطة، ونقل النصوص بكل امانة يقتضيها العلم الصحيح. ورتب الخالدي هذا الكتاب ترتيبا فائقا، فعلق حيث جاء التعليق زيادة تبيان وتوضيح، او جلاء ابهام ليحل محله الصريح، وختمه بكتشاف (فوس) لاهم ما ورد في الكتاب من اعلام اناسية او مكانية.

والوصول الاولى من الكتاب عنيت بجغرافية فلسطين: الفتح والاجداد والتسمية والحاصلات والانهار والادوية والميون والبحيرات والجبال والصحاري والاغوار والارواح والحصون والقلاع، ويبتدىء في الفصل الرابع بذكر اهل العلم والحكم على الحروف الهجائية، واسماء الاعلام في اول السطور بحروف سوداء والطباعة انيقة والسورق صقيل.

فلما التحق الخالدي بالرفيق الاعلى في ايلول ١٩٥١ بالسكتة القلبية، في بيروت، وهو يعمل عمل الجبارين في سبيل النازحين فخرت بفقده الامة العربية عالما علميا من مقدمي علمائها، وقد اهل فلسطين النازحون الى لبنان خير حادب عليهم واكبر معوان، واقامت للخالدي في رام الله حفلة الاربعين، فهنا جالت المناسبة الحسنة الطيبة للاستاذ العابدي ان يصنع شيئا لتخذي ذكرى استاذته، غير ما ينشر في الحفلة من اقوال واوصاف فاقترح ان يكتب تلاميذه ومحبيه بمبالغ تنفق في احب الامور له، رحمه الله، وهو نشر المخطوطات العربية وما استطيع الى ذلك سبيلا. وبدا الاستاذ العابدي بنفسه، واخذ بالمسامي الحرية بان تحقق هذه الغاية النبيلة، ولا اشرف منها ولا اكرم.

وتغر السنون وتشرق الشمس وتغرب، وإذا

بالاستاذ محمد عبد الكريم العباسي ، يقدم الى الاستاذ العابدي صديقه ثلاثة دفاتر كبيرة بخط الاستاذ الخالدي المقيم عند ربه في النعيم . ما هي تلك الدفاتر ؟ هي « اهل العلم والحكم في ريف فلسطين » .

فأجل الاستاذ العابدي نظره المدقق في الدفاتر وهيأها للطبع وصدر الكتاب في عمان ١٦٦٨ هـ العابدي وتقلد « مدير دائرة الثقافة والفنون » ووزع الكتاب على عدد ضخم من أبناء فلسطين وتلاميذ الخالدي وعلى المعاهد العلمية والأدبية الثقافية وأهل الادب والفكر في العالم العربي .

وهنا لنا شبه اقترح : اننا لا نعلم مقدار هذه الطبعة الاولى ، ونحسب ان تكون وافرة . ولكننا نعتقد ان هذه الطبعة في حدود بضعة الاف لا اكثر . وفلسطين الحبيبة هذه المكتوزة ثيمها في ريفها الى حد الروعة ، لم تبسط حققتها هذه مثل هذا البسط قبل ظهور هذا الكتاب . وما اجمل ان تصدر منه طبعة ثانية ، لا تقل عن عشرة الاف نسخة ، توزع توزيعا واسعا على المعاهد والجامعات والكليات في العالم العربي ، وعلى كبريات المحلات والصحف في العواصم والحواضر العربية ، فان العرب انفسهم في هذه الاناق هم احوج الامم والشعوب ليطلوا على حضارة فلسطين الغالية في العلم والادب وتقلد المناصب في الدولة الاسلامية في فلسطين ومصر وبلاد الشام . ألم يقل صلاح الدين الفاتح المدوخ الباني المنشئ لفلسطين ، الماحي للصليبيين ، ما معناه : ما فتحت للملاد بسيفي بقدر ما فتحت بقلم القاضي الفاضل ، ومعروف ان القاضي الفاضل من بيسان تربط طبرية ، وكانت وزارته لصلاح الدين خيرا وبركة .

نعود الان الى الاستاذ العابدي من نواحيه الاخرى فخلصه باستاذته الخالدي الى النهاية ، قد استفرق الكلام عليها معظم ما تقدم ، ولا تحب ان نتقصه حقّه وهو قمة فضل وادب ، وسراج وهاج ، ومن الذي يضرب بهم المثل في غزارة الانتاج وانتاجه حرير وديباج ، هو كما قلنا ، رجل تثقيف وتعليم وتهذيب ، وتأليف ، هو هكذا في الضفة الغربية ، او « فلسطين » التي لا اريد ان يفارق اسمها نعي ما حبيت . وبعد الانهيار انتقل بنشاطه الى عصيان يواصل المتابعة ، وتقلد عدة اعمال ومناصب في الدولة لارضية حيث يرى عمله متناسقا مع كفاياته ، وهو منصب من اول امره على التاريخ العربي الاسلامي ، والثقافة التي هي ريق العرب وترباتهم ، الجامعة لهم في جميع آفاقهم ، العرب امة المستقبل ، وانف اسرائيل ومن وراها راغم ، ما اعتصم العرب بعري هذه الثقافة .

بدأ الاستاذ العابدي حياته التأليفية منذ ما يقرب من اربعين سنة ، وهو في فلسطين ، وكل كتبه من امتصاص لتاريخ ، مثقفة ، للتلميذ في المدرسة ولافراد اهل البيت جميعا ، اذ من كتبه ما هو أجدر الكتب العربية بالمطالعة

التي تعطي مطالعها علما وعبرة وتهذيبا . والى السنة الماضية بلغت كتبه ٢٨ كتابا . وانك لتجد في مطالعة كتبه نوعا من اللذة « الروحية » ، فهو يكتب مواضيعه بعد تعشق الموضوع تعشقا ليس عليه من مزيد . واني هنا مقتصر على ذكر اربعة كتب من كتبه الصادرة بين ١٩٧٠ الى ١٩٧٤ واتناولها لا مجرد انها حديثة الاجراء ، بل لانها ذات موضوعات شائكة .

« اجانب في ديارنا » : صدر هذا الكتاب سنة ١٩٧٤ في عمان ، وله خاصية تجعله شئى المطالعة جدا ، فالاستاذ العابدي في هذا الكتاب قال في مقدمته « اعترف ان ليس لي في هذا الكتاب سوى جمع المعلومات من مصادرها العربية والانجليزية لاسهل على الكثيرين الحصول عليها ، وقد جعلتها في متناول القارئ العربي » . هذا صحيح على ظاهره ، ولكن من يقرأ الكتاب يؤمن ان « علبته » ليست من السهولة التي ترشح من كلام المؤلف ، وهو كلام جد متواضع . فهنا اقوال ومقالات وقصص وتقارير لنحو ٤٠ رحالة من الرجال ورحلات من السيدات ، تقلبوا في بلاد العرب وطافوا وجاسوا خلال الديار ، وهؤلاء كان منهم الصديق ، والصدوق بوثب صديق . وتبدأ قصتهم من زمن الحروب الصليبية لتنتهي بالمعاصرين الحديثين ، من فليبي المسمى بالحاج عبد الله وتعرفه البلاد العربية حتى المعرفة ، ويوجد معاصرون كثيرون في العراق والاردن والسعودية يعرفون « السير جون فليبي » معرفة تامة . ومثل فليبي ، برسي كوكسي في العراق ، والمعاصرة له الانسة جوتروود ثم فريا ستارك في الحرب الثانية ، الى كوكريدي (وهذا الثامن اخوان كان ابوهما مراسل رويتر في عمان) الذي بقي في عمان الى يوم قريب . واما السياح الذين اختار الاستاذ العابدي عرضهم فقد كانوا في القرون الاخيرة ومنهم من استطاع الوصول الى مكة المكرمة منتكرا منتحلا الاسلام .

ومادة الكتاب كلها تفري بنفسها امام القارئ لشدة ما بين موضوعاتها وحالتها في عصر انتهى فيه الخمول عندنا الى الحركة واتزالة الفشوات عن العيون بحسن العربي كل الاحسان ان يطالع على هذا الكتاب وهو في ٣٦٠ صفحة مع رسوم لعدد كبير من المحكي عنهم والطباعة رائدة والحجم من الوسط الكبير . وضع الاستاذ العابدي هذا الكتاب وهو « المستشار الثقافي في امانة العاصمة » ، عمان .

« الانار الاسلامية في فلسطين والاردن » : اخرج سنة ١٩٧٣ وهو في ٣٠٧ صفحات ، وكل هذه الكتب مثقنة الاجراء ومستوفية مستوى الفن . مادة بعضها الكتاب بعضها مجموع من كتب وصحف ومجلات وموثوق بها ، وبعضها الاخر من وضع المؤلف وترتيبه . والذين نقل منهم الاستاذ العابدي عرفهم جميعا من المعاصرين كاحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا (شيخ العروبة)

الأثر

العام عام جديد ..
وما يزال لحننا المديد
كالأصلى لا زال رتيب الوقع
وجدنا السكن
يلعبه بيت بلا شباك .
ورغم انفاس الصباح ،
جدنا لا يزال
يحكي لنا قصة فارس همام
لا يخاف الزمن

العام .. عام جديد
وما يزال لحننا لحننا حزينا مديد
وجدنا .. مات ،
ومات كل شيخ عديد
والأثر لا يزال في حقولنا يزهر ..

وجدة - القرب محمد علي الرباوي

والاستاذ عبد الله مخلص والاستاذ عارف العارف وسليم حسن وعيسى اسكندر الملو فجميعهم في الأجلة رحمهم الله ، والاساندة عزة دروزة وديميتري برامكي ونقولا زيادة امد الله في اعمارهم ، ويختص المؤلف بالذكر الاستاذ مصطفى الدباغ صاحب « بلادنا فلسطين » الموسوعة التاريخية الاقتصادية والحق ان كتاب « الانار الاسلامية في فلسطين والاردن » يتعلق بانار بلادنا الصامته ولكنه جاء عنها بالسنة ناطقة ، عذبة مطالعته .

« عمان » اذا كان قبل لكل عاصمة من عواصم العرب تاريخ، و عمان لم تكن في العصور الاولى الاسلامية من الحواضر والعواصم ، ولكنها لما اخذت من بعد الحرب الاولى تنمو وتتسع على غير توقف ، حتى بلغت مستواها الحاضر تملأ الاودية والشعاب والجبال ، بأجمل طراز من البناء الحجري البديع الشكل ، فبات بحاجة الى تاريخ يجمع شتات اخبارها الماضية والحاضرة ، وتبتدى قصتها من عدة قرون قبل العهد المسيحي ، لتنتهي اليوم وهي من عرائس العواصم العربية . سبك الاستاذ العابدي شذرات هذه القصة سبكا بديعا محلي بالرسوم الواضحة . وعرض ادوار عمان منذ الفتح . والكتاب في صفحاته الجولة كثير من صور الانار ونصف الكتاب تقريبا يتكلم عن عمان الى الفتح الاسلامي ، ونصفه الاخر يبحث في العصور العربية الاسلامية حتى اليوم وفي اخره خارطة لمدينة عمان .

« محنة بيت المقدس » محنة بيت المقدس كلمة تلقى على الجراح ذكريات ملح ، والملح يوكي ، ولا مناص . فبعد اجترأ الصهاينة على حرق المسجد الأقصى المبارك ١٩٦٩ كثر التطلع الى بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك ، والمصر . كما كثر واشتد شوق الناس ليزدادوا معلومات عن بيت المقدس . وفي الواقع ان الكتب والمؤلفات الموجزة والمطولة التي وضعت بعد حادث حريق الأقصى الى اليوم، دلت على يقظة بالغة الحد في العالمين العربي والاسلامي، وبقي الصهاينة يتشامخون حتى جاءتهم حرب رمضان او تشرين فذاقوا ما لم يدقوه من قبل . فجاء الاستاذ العابدي ، وهو ابن بجدتها وفرسان الحلبة فوضع هذا الكتاب « محنة القدس » ضمنه صفوة تاريخها ولباب اخبارها ، مع مجمل خبر المعترك بين العرب واليهود . ويصف المؤلف بالتفصيل كيف اخذ العدو الماكر يتحاييل حتى يصل الى وضع النار في الأقصى ، وفي هذا الصدد تقول ان من الكتب التي اطلعت عليها حول الأقصى والحرم القدس الشريف ، وبيت المقدس الى جانب « محنة القدس » ، الكتب التالية :

١ - كتاب من كتب « موسوعة العتبات المقدسة » في بغداد للورث العلامة جعفر الخليلي ، وهو جزءان موضوعه « قسم القدس » والقسم الاول اشترك فيه مع المؤلف (الاستاذ الخليلي) ، كل من الدكتور عبد الهادي

التازي ، سفير القرب في بغداد وقتئذ ، كتب فصل « حي المغاربة » والباقي احمد سوسة (المهندس) كتب الجزء التاريخي وعنوانه « اورشليم الكنعانية » والدكتور سوسة هو صاحب تاريخ « العرب واليهود في التاريخ » الذي صدر في بغداد في مجلد ضخيم وكان مفاجأة لاهل العلم ومحبي التاريخ في الدنيا لكشفه كشفا رائعا عن اباطيل اليهود التاريخية وسفاسفهم ، وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية وصدرت منه بالعربية طبعة جديدة مزينة . والجزء الثاني من كتاب « موسوعة العتبات المقدسة » هو كناية عن نقل ما ذكرته المصادر الاجنبية عن القدس وقد قام بترجمة هذا تحت عنوان « القدس في المراجع الغربية » الاستاذ جعفر الخياط .

وقد وضع العلامة الدكتور حسن ظاظا استاذ العلوم اللغوية بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية (والاختصاصي بتاريخ اليهود واللغة العبرية) رسالة موضوعها « القدس - مدينة الله ام مدينة داود ؟ » رصينة ممتعة ، وهي جوهر ولباب .

ووضع الشيخ طه الولي (في بيروت) رسالة محيطة جامعة في هذا الباب والله ولي التوفيق الغالب .

عجاج نوهي

راس المتن - لبنان

ما يحدد تاريخاً لولادة المطوي ، أو تاريخاً لوفاته ، لكن الاصفهاني يذكر عنه في «الآغاني» (ج ٢٠ - ص ٥٨ - ط . بولاق) انه « بصري المولد والنشأ » ، وانه « كان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية » ، واتصل بأحمد بن أبي ذؤاد ، وتقرب اليه بمذهبه ، وتقدمه بقوة جداله عليه ، فلما توفي أحمد نقصت حاله ، وله فيه مدائح يسيرة ومراث كثيرة .



فوزي عطوي

أبو عبد الرحمن المطوي

بقلم فوزي عطوي

راذن ، فقد عاصر المطوي أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، والمبرد ، والافخش ، والوزير محمد بن عبد الملك الزيت ، والقاضي أبا يوسف ، ويزيد بن هارون ، والسري بن عديويه ، والحجاج بن محمد حماد بن سلمة ، وأبا بكر عبد الله بن داود السجستاني ، ويعتق بن الزرع (ابن اخت الجاحظ) ، ومحمد بن عبد الله بن أبي الدهلاب ، وأبى يعقوب الخزيمي ، والفتح بن خاقان الوزير ، والرئيس أبا الفضل بن العميد ، وأبا القاسم السرياني ، وأبا مفضل عبد الله الخولي والتطليبي ، وغيرهم من أقطاب العلم ، والادب ، والسياسة . ولعلنا لا نخطئ التقدير ، بالاستناد الى ما أورده محمد بن داود في كتابه « الشعراء » عن ذهب المطوي في شعره مذهب أصحاب الكلام ، وإلى ما أورده المبرد في كتابه « الكامل » عن صيرورة المطوي الى « سر من رأى » انه كان وثيق الصلة بالجاحظ ، وبالمستزلة بصورة عامة ، لا سيما وأن الجاحظ على ما رواه الخولي ، كان بعلماً أصيب بالفالج ، مقيماً في « سر من رأى » التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم « سامراء » .

اسمه ونسبه : أما اسمه ، فهو كما أورده صاحب « الآغاني » : محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وبكنى أبا عبد الرحمن .

وليس في هذا التعريف ما يشير الى أصل نسبه ، لكننا نؤكد ، اعتماداً على كتاب « بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من حكم اليمن من ملك وأمام » الذي وضعه حسين بن أحمد القرشي ، وعني بنشره الأب أنستاس ماري الكرمل (ص ٤٣٠ - الفهرس ١٨ - ط . بيروت بالقاهرة ١٩٣٩) ، ان المطوي يمتاني الاصل ، وأن لفظة « المطوي » - عنى ما ورد في الكتاب المذكور - تعني « قصب السكر الأحمر » ، وقد أطلقت اللفظة - على ما يذهب اليه المؤرخ العلامة الشيخ محمد طه الولي - على قوم كانوا طوال القامة ، غذاب الحديث ، وذوي وجوه مشربة بالحمر ، يؤكد ذلك ان ذكر اللفظة في الفهرس الثامن عشر من « بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وأمام » قد ورد في سياق سرد عدد من الالفاظ البيمانية ، « وفوقاً عليها لمن يريد ان يعرف امثلة من لغة البيانيين » (الفهرس ١٨ - ص ٤٣٠) .

لكن المطوي ، وان انتسب الى أسرة بمانية الاصل ، فهو قد ولد في البصرة بالعراق ونشأ فيها ، كما ذكر

ورد في كتاب « الشعراء » لأحمد بن داود قوله بصف أبي عبد الرحمن المطوي : « كان له فن من الشعر لم يسبق اليه ، ذهب فيه مذهب أصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه ، وخف شعره على كل لسان .. واستعمله الكتاب واحتدوا بمعانيه ، وجعلوه أماما » .

وحدث أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، صاحب « الكامل » عن المطوي ، قال : « كان المطوي ، وهو عندنا بالبصرة ، لا ينطق بالشعر ، ثم ورد علينا شعره لما صار الى « سر من رأى » ، وكنا نتناهده .. وليس له قول يسقط » .

أما أبو الفرج الاصفهاني ، صاحب « الآغاني » ، وأبو علي القالي ، صاحب « الاماني » و « ذيل الاماني » ، وأبو منصور الثعالبي صاحب « الإعجاز والإيجاز » ، فقد أوردوا كثيراً من أخباره وأشعاره في مصنفاتهم ، كما روى شعره وطرائفه كثيرون ، من أمثال الاخفش الشاعر ، وطلي بن سليمان بن الفضل الكاتب ، ومحمد بن يزيد ، وكوشرة المطوي أخي أبي عبيد الرحمن ، وأبو يعقوب اسحق بن الضحاك بن الخصب الكاتب ، ومحمد بن السري السراج ، وأبو الحسن بن جعفر جحلة البرمكي وغيرهم . عصره ونشأته : ليس في المراجع التي بين ايدينا

« الاصفهاني » ، ومن المؤكد ان اجداده الاقدمين كانوا في عداد من حملتهم الفتوحات الاسلامية من الجزيرة العربية فاستقر بعضهم في العراق ، وانتشر بعض هذه الاسرة في لبنان ، وفلسطين ، ومصر ، وانتقل بعضها الى المغرب العربي ، ولا سيما « الجزائري » .

من طرائفه : روى كثره اخو العطوي عنه هذه الطرفة ، اذ قال : كان اخي ابو عبد الرحمن يشرب مع اصداقائه من الكثراب ، ومعهم قينة يقال لها « مصباح » من احسن الناس وجها ، واطيبهم غناء ، فما زالوا في قصف وعزف الى ان انقطع ... فبقوا خيارى ، وكانوا قريبا من منزل ابي العباس احمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد المروي ، وكان صديقا لابي عبد الرحمن (العطوي) ، فكتب اليه :

يا ابن من طاب في الواليد سيد
انا بالقرتب منك عند كريسيد
قد احدث عليه شهب سنيد
عنده قينة اذا ما تنفسيت
عاد منها الفقيه غير فقيس
تزدعيني ، وابن مثلي في القيسم
فليس قلب السرور واللوى فيه
ولكن كالرياح حسن ، ولكن
موسى بن جعفر ، وابيسه
مثل ما ياتى القى باخيه
ان تجسمتي ، وان كنت الا

فلما وصلت الرقعة الى ابي العباس ، ارسل اليه براوية شراب ، فلم يزالوا يشربون مجتمعين ، حتى نفذت في اخفض عيش (الاغانى ج ٢٠ - ص ٥٩ و ٦٠)
ومن الواضح مدى تأثير العطوي (البيت الثالث) في قول الشاعر :

« قل للملحة في الغمار الاسود
مما رواه كثره العطوي عن اخيه ايضا قوله : كان لابي عبد الرحمن صديق من الادباء ، وكان يتعشق جارية من جوارى القيان ، يقال لها « عثعث » وكان لا يقدر عليها الا على لقاء عسير ، واجتماع يسير ، فارسل اليها يوما ، فاحضرها يوم رذاذ به من الطيب والحسن ما الله به عليم ، فكتب الى صديقه بعرفة الخبر ، وبسالة المصير اليه ، ووصف له القصة بشعر فقال :

يسوم مطير ، ويشي نفسير ، ... تسدور ، وقيسر تقسور
وعثعث ثنائي اذا جئتسنا
فتمسح منها غشاء يصور
ومندي وعنديك ما تشتهي
شعر يسر ، وعلم يسدور
واذ كان هذا كما قد وصفت
فان التفرق خطب كبير
فقم تصليح قبل فوت الزمان
فان زمان التماسي فمسير
فسار اليه صاحبه ، فمر لهما احسن يوم واطيبه .

ويرد في الاصفهاني معلقا على هذه الابيات : وهذا الشعر اخذه العطوي من كلام اسحق ، اخبرني به وسواسة بن الموصلي عن حنادة بن ابيه ، قال : كان يالفني بعض الاعراب ، وكان طيبا ، فجاءني يوما ، فقلت له : « لم ارك امس » ، فقال : « دعاني صديق لي » . فقلت : « صف لي ما كنتم فيه » . فقال لي : « كنا في مجلس نظامه سرور ، بين قدور تفور ، ... تدور ، وغناء يصور ، وحديث

لا يجور ، وندامى كلهم البدور .»

قال اسحق : وقلت لبعض الاعراب : « طلبتك امس فلم اجدك ، فاين كنت؟ » قال : « كنت عند صديق لي فاطمعتني بنات التنانير ، واطمعتني امهات الازاير ، وجلاء الطناجر ، وسقاني زعاف القوارير ، واسمعني غناء الشادن الغرير ، على الميدان والطنابير ، قد ملكت باوقار الدرهم والدنانير .»

وروى ابو الفرج الاصفهاني ، قال : قرأت في بعض الكتب ، بغير اسناد ، ان العطوي كان يوما جالسا في منزله ، وطرقه صديق له ممن كان يفتني « بسر من رأى » ، فقال له : « قد اهديت اليك جوارى اليوم ، ... بكفك ، وحسبك بالكفاية .» واقام عنده ، فدخل عليه ... احسن من النمر ، فاحتسبه ، وكتب العطوي الى صديق له من اهل الادب :

يومنا طيب ، حسن النقص
وحسب الارطسال
ما ترى البرق كيف يلعب فيه
ورشاشا يسيل في السماء
ولدينا ظبي غريب ظريف
فسد غنينا به عن الفيناء
ان تغلخت بعدما تصل الرقعة
عنا ، فالت في الامسوات
فاجابه الرجل فقال :

انما في ارقعتي ، فاعلم ذلك
عسى اتنسى من البيت
فلاهم الشرط بيننا ، لا نقل لي
قد تقاتلت لافهم بعيتي
لاسر ، لكن لاتمع نفسير
بعديت القيسي القوير المواني
ومثل هذه المحاورات كانت ، ولا ريب ، مألوفة الاسلوب والضمون ، في العصر العباسي الذي شاعت فيه المحبون والحب ، وضروب الوان .

في وصف الجالسين : وعلى الرغم من ان المبرد يذكر في « الكامل » ان ابا عبد الرحمن كان مقنرا عليه ، دفر ، وسحا ، مهنوما ... ، فقد اثبت انه كان لشاعر ، في وصف الصبوح وذكر الندامى والجالسين احسن القول ، وليس له قول يسقط ، فمن ذلك قوله :

فيثي الى احمدي المصيل
قبولا ، وعلما ، وعميل
فاناه الله ، لقد سامتكما احدي الفصل
تقول : هلا رحسلة تنقلنا
خبر نقسل اخسري على جباله
الامال جوال الاجسل
ومنها قوله (الاغانى ص ٥٧ - ج ٢٠) :

... والتدناس احسن منظرا
كل ملتف الصداقك رائق
فإذا جومت صفاه وصفاه
فارجع بكل طرفة من خالق
وبعد ان ثبت الاصفهاني هذين البيتين يردف : « الشعر للعطوي ، والغناء لبنيان ثقييل ، اول بالوسطى ، وفيه لذلك وجه الدرة خفيف ثقييل .»

ويذهب ابو منصور التعالي في الباب الرابع من كتابه « الاعجاز والابحار » ، وهو الباب المخصص بملح الظرفاء ونواديرهم (ص ١٦١) الى ان من احسن ما قيل في مدح الصبوح ، قول محمد بن عبد الرحمن العطوي :

ان شرب سسر لي الهو
وخير المسر صدر النهار
وقوله :

ما ترى يومنا وهمن ابتداله
وندى ارضه ، وهطل سناه

وقوله أيضا :

ان صدر النهار افر شطربه كعسا نفرة النفس في فئاله
وقد انشد « الاخفش » وغيره من شيوخ الادب
للعطوي في الندمان ... مما يعني فيه :

فكم قالوا : تمن ، فقلت كاس يملوك بها فقيص في كتيب
وندمان سافطني حديثا كالحب الحب ، او نفس الرقيب
وقد ذكر لي الاب المحقق يوسف عون الذي اعاد
تحقيق مختارات من « الاغاني » ان هذين البيتين هما من
أرق الشعر ، في موضوعهما ، في الادب العربي اطلاقا .
ويوضح الاصفهاني ، بعد هذين البيتين الشبته في الاغاني
ان « الفناء في هذين البيتين الذكاء وجه الفرة ، خفيف
رميل » .

وفي وصف القيان : وروى ابو يعقوب اسحق بن
الضاحك بن الخصيب الكاتب ، قال : جاءني يوما ابو
عبد الرحمن العطوي ، بعد وفاة عمي احمد بن الخصيب
بستين ، وكان صديقه وصنيعته ، فجلس عندي يحادثني
حديثه ، وتبكي ساعة طويلة ، ثم فقيمت السماع ، وهطلت ،
فسألته ان يقيم عندي ، فحلف ان لا يفعل الا بعد ان
احضره من وقتي ما راج من الطعام ، ولا انكلف له شيئا ،
ففعلت وجنته بما حضر ، فقال لي : « ما فعلت «عقد» ؟
قلت : « باقية » ، وهي في يومنا هذا مقيمة عندي ، والساعة
تسمع غناها . فقال لي : « عجل اذن ، فان النهار
قصير » .

ثم انشا يقول :

اذا ... قد تعالي النهار ما يبيت الهوم الا ...
صاح هذا الشتماء فائد عليها ان ايساهم لئلا قصار
اي شيء الذ من يوم دجن فيه ... على الندمان تصار
وقيان كباهن قبسا فإذا قلن سالت الاوتار

في وصف الاصدقاء : ومن قلاند العطوي قوله
(الاعجاز والايجاز - ص ١٩٢) في الاصدقاء :

يقولون قيل السدار جار موافق وليل طريقت المرء انس رفيق
فقلت وندمان الغنى قيل ... فما حب ... المرء مثل صديق
ومن غر احاسنه في ذم كثرة الاصدقاء (المرجع
السابق) ، قوله :

لم اجد كثرة الاخلاء الا تب النفس في قضاء الحقوق
فاصرف النفس من كثير من الناس فما كل من تسرى بصديق
في الاستزارة : ويؤكد « الثعالبي » انه لم يسمع
« في الاستزارة اللطف والطرف من قول العطوي » :

كنت المرءي بقلبي وعشت ما شئت بعدي
اهدي الي اخ نفسي سليل منك وودد
ارى من لفسك صب يشكو جراحة وجسد
كناه ، ان بحسنا ، بسلا انتظار وودد
فما طلع علي سرورا بكونك ، اليوم عندي

من وحي عمر بن الخطاب : قد روى علي بن سليمان
قال : حدثني محمد بن يزيد قال : سمع العطوي رجلا
يحدث ان رجلا قال لعمر بن الخطاب : « ان فلانا قد

جمع مالا » ، فقال عمر : « فهل جمع له اياما ؟ » فآخذ
العطوي هذا المعنى ، فقال :

أرفه بعيش فتي بقدو على نقة ان الذي قسم الزلاقي يوزله
فالعرس منه موعن لا يدنس والوجه منه جديد ليس يخلقه
جمعت مالا ، فكل هل جمعت له يسا جامع السال اياما تفرقه
المال عنده مغزون لواورته ، ما المال مالك الا حين تنفقه

في صداقة الاباء : وذكر ابو الحسن احمد بن جعفر
حظرة البرماني ان ابن العطوي انشده قول ابيه عبد الرحمن
(ذيل الامالي ، لابي علي القالي - ص ٩٢) :

احسن من غفلة الرقيب ولحظة الودع من حبيب
والنقر والنغم من كعاب مصيبة القول والقدح
ومن نبات الكرم راحات في راحتي شمان ربيب
كتب ادب الى ادب طالت به مدة الغيب
فتمتت كفه سطورا تنمق الصفو في القلوب
يسا باننا بالكتاب فضلا والفلس من شمة الادب
نحن على الود ، اي شهده ابيع من غسان ادب
منحت فيفي عبوس وجهي وسالني شمة القلوب
وعشت في الناس نسهما يسا اطوع الناس الرقيب
ان كان ودي لا هسل ودي فصر من بساه الرقيب
واتت منهم ، لكن فريسا او نسيلا وافر النصيب
وابل ما شئت وصف ودي تجده في نسوبه القتيب

في الرثاء : ومما انشده الاخفش ، عن كثرة اخي
العطوي ، في رثاء احمد بن ابي ذؤاد الذي كان الشاعر قد
انصل به و « اقرب اليه بدمعه وتقدمه فيه بقوة جداله
عليه » ، كما يقول الاصفهاني ، قول ابي عبد الرحمن
العطوي :

احنط يا نصيب بالكافور وزفقتك للمزل الهجور
علا بعيش خصاله حنطه فيفسوق الساق منازل وقبور
سأله او عن شين اخلاق يعزى الي القديس والتغير
حنط من سكن الثرى وغلا اربي لتزودوه عدة لنشور
فالهب كما ذهب الوفاء فانه ذهبت به ربنا صبا وديور
والهب كما ذهب الشباب فانه قد كان خير مصاحب وعشير
والله ما ابتته لازيده شرفا ، ولكن نلثة الصدور

ومن طريق ما نذكره ، في هذا المقام ، وقوعا في خطأ
نسبة هذه الابيات الى العطوي في رثاء اخيه كثرة ، في
كتابنا « ابن الرومي شاعر القرية النفسية » (ط بيروت
١٩٦٩) ، والصحيح انها في رثاء القاضي احمد بن ابي ذؤاد
ومرر هذا الالتباس الى اننا في احدى طبعات « الاغاني »
كنا قد قرانا قول الاصفهاني ، في مجال سرده لآخبار الشاعر :
« فلما توفي احمد نقصت حاله ، وله مدائح يسيرة ومراث
كثيرة ، منها ما انشده الاخفش عن كثرة اخي العطوي » ،
وتلي هذه العبارة آيات العطوي الرثائية ، فحسبنا في
رثاء اخيه كثرة .

لكننا لاحظنا في طبعات اخرى ، ومنها طبعة « بولاق
التي بين ايدينا » سقوط لفظة « فيه » من عبارة « ولده
فيه مدائح يسيرة ومراث كثيرة » ، فظهر لنا ، بعد فوات
الآوان ، وجه الصواب ، وحسنا استدراك الخطأ ، بعد
حين ، بلا من الاغضاء عنه ، والابقاء عليه .

بهوى الحسان ، فقلت : انه
يخطرن دلا ، صدتهنه
في القلب ادغامها بفننه
من قبل ان يشقى بهنه
شان القلوب بلا اعنه
فتك العيون النجل سنه

محمد العدناني

قالوا : فؤادك مولع
لما الظباء بدون لي
ادغمتهن صباية
فتكن بابتن اضالعي
وقضى شهيدا في الهوى
وهلاك اهل الشعر من

الا ان يكون للعطوي (وربما للاخفش) اخ اسمه « احمد » .
في الرد على هشام : وقد ذكرنا ، في مطلع هذه
الدراسة ، ماورد في كتاب « الشعراء » لمحمد بن داود عن
كون العطوي صاحب « فن من الشعر لم يسبق اليه ، ذهب
فيه مذهب اصحاب الكلام ، ففاق جميع نظرائه . . »

ومما ذكره ابو علي القالي في « الامالي » (ج ٢ - ص ٢٢٢)
تحت عنوان « قصيدة العطوي في الرد على هشام ومن قال
قوله : » : « واشدنا علي بن سليمان بن الفضل الكاتب للعطوي :

جل رب الارض والاجسام
جل رب عن نيل ما اكتشفه
بريء الله من هشام ومن
اي زاد تسودته يده
سوف تلقاه ، حين يلقاه نثار
كم شديد الضاد للاسلام
كهشام ، فانه خلع الرقبة
فهل لمن قال قوله ورأه
لم اكرت ان يكون مصيبا
لم اكرت قول من عبد الشمس
ان نرم يهنسا الفصال فيبهات
ما الدليل المبين عن حدث العالم
لا دليل فلا نرمه وقد قلت ،
لم ترد غير قبة الخلق فانصد
وبعد ، فهذه طرف من حياة محمد بن عبد الرحمن

العطوي ، الشاعر البصري العباسي ، ونماذج من اشعاره
واقواله التي ليس له منها قول يسقط ، كما قال « المبرد » ،
ولولا ان منشيء « الاديب » الاستاذ الكبير البير ادرب
اغراني بجمع بعض ترائه ، لكان الحرج ، واقله حرج
الانتساب للاسرة ذاتها ، وقف حائلا دون انصاف هذا
الشاعر والتعريف به .

فوزي عطوي

ونضيف سببا آخر لوقوعنا في هذا الالتباس ، وهو
الابهام الذي اكتنف ورود هذه الابيات ذاتها في الجزء الثاني
(ص ١٠٣ و ١٠٤) من كتاب « الامالي » لابي علي القالي ،
اذ قال القالي :

« واشد محمد بن السري السراج لابي عبد الرحمن
العطوي » ، ثم ذكر الابيات ، دون ان يوضح المناسبة او
الموضوع الذي تدور حوله ، ولكن الابيات المذكورة في
« الامالي » تختلف في بعض الفاظها عما هو مذكور في « الاغاني »
فلا خير من اتيانها ، مجددا وفقا لرؤية القالي :

حنطته يا نصر بالكافور
هلا بعضي خلاله حنطته
تالله لو بنسيم اخلاق له
طيب من سكن الثرى وعلا الربي
فساذب كما ذهب الوفاء فانه
واذهب كما ذهب الشيبان فانه
والله مما ايتنه لازيمه
وان من مراني العطوي لاحمد بن ابي دؤاد ، ما انشده
له الاخفش ، حيث يقول :

وليس صبر التمش ما تسمونه
وليس نسيم المسك ريا حنوطه
ويذكر القالي في « الامالي » (ج ١ - ص ٢٢) شعرا
رتائبا للعطوي فيقول :

واشدنا الاخفش للعطوي يرثي اخاه :

لقد باكرته بالسلام انصاوا
ايقني جميل الصبر من هدرته
امن بعد ما ذاق النية احمد
كان لم يكن لي غير خل وصاحب
كسان ابا العباس لم يلق فيفه
ونحن لا نستبعد ان يكون هذا الرثاء ، هو الاخر ،
في احمد بن ابي دؤاد ، لقرائن كثيرة غير خافية في الابيات ،

تجد هذه المشكلة التي تعترض الموهوبين من الادباء ليست بذات موضوع رغم ما يبذله العجيلي من جهد شاق ومضن كل ساعات النهار ، وما ينتظره في ساعات الليل من مفاجات بحكم عمله كطبيب ، كان وحيدا لفترة طويلة في المنطقة التي يقطن فيها ، وما يقوم به من رحلات كثيرة داخل الوطن وخارجه .

ان طبيعة العجيلي الميالة للعزلة والتفرد قد ساعدته على ان يتجاوز مشكلة الوقت ويتخطاها ، وان كان في اعماقه يطلب المزيد من الوقت والفرصة ليكتب كثيرا ، ويتأمل اكثر ..

وهذه الطبيعة الميالة للعزلة والتفرد جعلته يجد من ارتباطاته خارج الاسرة والبيئة ليفرغ الى عمله الذي يؤديه بمهارة واتقان ، وابداعه الذي يمارسه بموهبة واقتدار . انها طبيعة منظملة على اية حال ، تقسم وقتها بالتقسطاس بين العمل والادب ، وبين الحياة بمشاغلها ومطالبها ، والفكر بأشجانه وهمومه .. وآماله ومطامحه .

ولكننا الان مطالبون بان نلقي الضوء على حياة العجيلي الطبيب وعلاقته بالادب من خلال الطب مهنة وممارسة ، ونرى الى اي حد استطاع ان يفيد منها او يفقد بسببها في بلدة « الرقة » الرابضة على نهر الفرات العظيم .

والعجيلي - بداية - يملك موهبة الاديب ، وقد عرفناه منذ صباه يتعرض لحركة جزر ومد في حياته التعليمية ، وتعارض في الرغبة بين امله وبينه .. حتى استقر اخيرا طالبا في مدرسة الطب بمدينة دمشق الفخياء .

خلال فترة التلمذة الطبية استطاع العجيلي ان يحسن نفسه شاعرا ناشئا ، وقصاصا مقلدا ثم مبدعا .. فيكتب بعض القصص القصيرة للمسابقات الادبية ، ثم يكتب مقامات قصصية يستلهم معظمها من واقعه في حياة الطبيب الجديدة التي يعيشها (١) . وقد تأثر في المقامات تأثييرا واضحا بحياة التلمذة وما يجري فيها بالاضافة الى انها كانت تجربة زواج فيها بين جنسين اذبيين ، اقصد الشعر والنثر معا ، مقتفيا في ذلك خطى الهملاني والحرييري وغيرهما .

بيد ان العجيلي بعد ان انتهى من دراسة الطب ، وخروجه الى الميدان العملي ، والممارسة الفعلية لمهنة الطب بدأ يتقدم بمجلة تزايد به نحو ترسيخ موقفه كاديب ، يزداد اتقانا في مجال القصة القصيرة ، والمقال ، والمحاضرة ، بعد ان هجر الشعر او كاد مخلفا ديوانا وحيدا اسمها « الليالي والنجوم » . وان كنا لا نستطيع الحكم عليه كشاعر - حكما متكاملا - لاننا لم نطلع هذا الديوان ، كما ان بعض القصائد التي طالعناها لا تكفي ايضا للحكم على شاعريته ، بيد انه كاي فنان تعامل مع الجنس او الاجناس الادبية الاقرب الى روحه وذيقه ووجدانه ، ومن ثم اربناها تبرز في دنيا القصة القصيرة بالذات ، وفي الرواية بعد ان دخل مرحلة الكهولة وطلع علينا برائعته السمة « قلوب على الاسلاك (٢) »



الدكتور عبد السلام العجيلي

العجيلي بين الطب والادب

بقلم حلمي محمد القاعود

اشتهر عن بعض الادباء او معظمهم انهم لا يلقون اهتمامهم لما يدور خارج نطاق الادب ابداعا وفكرا ، ولو كان معلمهم الذي يقتاتون منه ويعيشون عليه ، وقد شهد لنا التاريخ المعاصر بعض الامثلة التي عاشها بعض ادبائنا المبرزين وجر يلمهم استغراقهم في عالم الكلمة الكثير من المتاعيب والشقات ، لان ذلك الاستغراق دفعهم الى ما يسميه القاتون اعمالا في العمل . ولعل اشهر هذه الاسئلة ما نقل عن الاستاذ ابراهيم المصري الاديب المشهور ، وكان موقفا صفييرا في احدى المصالح الحكومية ، كان يستغرق في القراءة والتأمل الادبي حتى تعرض للفصل من عمله ..

والاديب اذا لم يجد عملا يتلاءم مع حرفة الادب كالصحافة او التحرير في وسائل الاعلام المختلفة ، فانه يؤدي عمله الادبي بصعوبة بالغة ، لان الجو الملائم لن يتوفر له عندئذ .. وان تكون لديه القدرة على المطاء ، وقد فكرت بعض الحكومات في حل هذه المشكلة حين اعطت بعض الادباء النابهين فرصة التفرغ لفترة زمنية يستطيع خلالها ان يمارس الكتابة لابداع عمل ما . ولكن هذا التفرغ المحدود لن يحل مشكلة الموهوبين من الادباء بحال من الاحوال .. بيد اننا ازاء الدكتور عبد السلام العجيلي ، سوف

الواضح في مسيرة العجيلي الأدبية استفادته من مهنته كطبيب ، وقد استخدم من هذه المهنة معينا لانضبط لكثير من كتاباته التي امتع بها القراء ، وكانت في عمقها البعيد رؤية اجتماعية - شئنا أم أبينا - لحاضر قطاع من السكان في موقع عربي ، قد يتماثل كثيرا مع بقية المواقع .

لقد بدأ العجيلي مهنة الطب في بلدته « الرقة » على نهر الفرات ، بالقرب من الحدود العراقية السورية التركية وتقع في منطقة صحراوية بدوية ، خلت من الأطباء في زمنه فكان الطبيب الواحد داخل دائرة قطرها يزيد عن المائة كيلو متر في بعض الاحيان ، وكان المرضى يأتونه من الصحراء في الدولتين المجاورتين حيث تتلاشى الحدود في الواقع وتبقى على الخرائط فقط . الا ان العجيلي لعب دورا كبيرا في علاج اهل بلدته « الرقة » بالدرجة الاولى ، ويحكى لنا كثيرا من المفارقات التي حدثت له لتوحده او وجوده كطبيب وحيد هنالك - من ذلك مثلا ، ما حدث في ليلة عيد ، حين اضطر للقيام بواجبه ازاء ثلاث سيدات حوامل جاءه من المخاض في لحظة واحدة ، وكان من اللازم عليه ان يعالجهن معا مع اختلاف امكانتهن فهذه في عيادته ، واخرى في أقصى « الرقة » ، والثالثة في مكان بعيد عن الاثننتين ، مع افتقاد سيارة او وسيلة مواصلات وكانت ليلة سهر مضى حتى مطلع الصباح - صباح العيد - (٣) يقول عنها :

« كانت ليلة عيد كما قلت . عدت الى داري مجهدا ، ولكني لم استطع النوم . لم يكن هنالك وقت للنوم ، فقد صعدت المسجد عند طلوع الشمس لاشترك الصلوات صلاة المسد ، متعبا ، غير ان نفسي ، كانت مملوءة بالرؤى ، وبالسعادة لشعوري اني بوسائل القليلة والفقيرة ، وبعملي الزهيد ، قد عدت في هذه الليلة الطمأنينة والبشر الى نفوس افراد اسر ثلاث ، ومسحت الالم والتلق عن مشاعر امهات ثلاث وازواجهن ، واعنت ثلاثة مواليد جدد على ولوج باب الحياة بيسر وصحة . وكان هذا لي ، بعد تلك الليلة البلاء ، عيدا آخر » .

ومع الوحدة وافتقاد المواصلات في « الرقة » ، فان العجيلي برصد اشياء اخرى اشد قسوة وعذابا بالنسبة له والمجتمع : انها تتمثل في الجبل ، والدجل ، وقلة الوعي . . . لقد سجل ذلك في سلسلة من المقالات المتعة اسمها « عيادة في الريف » يستعد لخراجها في كتاب بهذا الاسم ويمكننا ان نأخذ امثلة سريعة على بعض هومو التي ارقته نتيجة الاشياء التي رصدها .

دخل عليه بدوى ومعه اهله ، كان امر الرجل مفاجئا ، في جنح الليل - ليل البادية - التي يقطنها هذا الرجل تعرض لعضة حيوان مسعور مصاب بالكلب ، وكان سهلا ان ينجو الرجل من هذا المرض المخيف لو انه عرض نفسه على طبيب في الاسبوعين الاولين من حادثة العض ، وكان سيعالج الرجل مجانا ويتوقف نمو الداء في دور الحضنة ويسلم المريض . ولكن هذا المريض لم ير طبيبا لان اولاد الحلال -

كما اسمتهم زوجته - اشاروا على اهله بان يتداوى عند « الجنيدات » . والجنيدات فرع من عشيرة مشايخ ينسب الناس اليهم القدرة على شفاء المصابين بالاضطرابات العصبية . ويداوون المرضى بالقراءات او بحفلات الذكر او بالتقييد بالحديد والكي بالنار والصفع بالنعال ، وكان ان عالجوا هذا البدوي فمضوا بهم فاستفحل المرض ، واصيب الرجل بعذاب العطش والخوف من الماء والهيجان والسقم الاختناق ثم الموت الذي لا نجا منه .

لقد لجأ اهل الرجل الى الدكتور العجيلي بعد ستة وخمسين يوما ، كان من المستحيل على الطب ان ينقذ الرجل لان الداء قد استفحل ، ولم يبق للمريض الا ايام قليلة ثلاثة او اربعة اذا فكت . ولكن الرجل فارق الحياة بعد يومين « ضحية غصة الحيوان المسعور ، وضحية الجهل المطبق » كما يعلق العجيلي (٤) على هذه المساة ! ويقول العجيلي ايضا خلال روايته لهذه الحادثة ، قلت لاهل المريض ، اما كان في وسعكم ان تضفيوا الى معالجة الجنيدات معالجة طبية مجانية تتولاها الدولة في كل مكان . وبطبيعة خاطر ، ولا تكلفكم فلسا ؟ قلت هذا وانا اذكر ما قاله عمر بن الخطاب حين مر بأحد المسلمين فرأى ابله مصابا بالجرب ، فسأله : بماذا تتداوى ابا عرك من جربها ؟ قال الرجل اني ادعو الله لها . فقال عمر رضي الله عنه : اجعل مع دمائك شيئا من القطران ! ماذا اذن لو جهل هؤلاء الناس حجة دعاء الجنيدات وتغريمتهم تلك الحسن التي انقلبت حجة عبرات الآلاف من الناس في مختلف بقاع الارض ، منذ اكتشف باستور اكتشافه الرائع في معالجة داء الكلب ؟!

لا شك ان العجيلي يطعم الى سيادة الوعي والفهم لدى جمهرة الناس ، وبؤرقه كطبيب وانسان بالدرجة الاولى ، ان يتجه الناس هذا الانجاه المتخلف في علاج امراضهم واصاباتهم . ومن ثم فانه يحمل حملة ضارية على الجهل والدجالين ، ويحكى كثيرا من نوادرهم في سلسلة « عيادة في الريف » وكذا في محاضراته الاولى بكتابه « السيف والناوب » والى قطع ادبية رفيعة بكل مقياس . وهو يرى ان في الريف عوامل كثيرة تجعل المرضى ، بكل انسواع المرض ، يتأخرون في استشارة الطبيب او لا يستشيرونه ابدا . ويقدم لنا العجيلي نماذج من الدجالين الذين يمارسون درجات ، فهناك فئة خطيرة من التطبيين المشعوذين الذين لا يقتنعون بكسب لا مشروع ، بل يفتنون هذا الكسب بتصرفات لاسانانية مجرمة (امثال « على الشداخ الذي احتجز طفلا مريضا ثلاثة ايام استفحل خلالها الداء فسي الجسد الصغير النفس ، وحولت فيه جرائم المكورات السحائية سائله الدماغي الشوكي الى مادة قبيحة) وهناك ايضا فئة اقل خطرا بمقياس مدى الضرر الذي يلحقونه بسطاء الناس ، فهم اقرب الى الانسانية من بعض اخر ، لمجرد انهم اقل ضررا بعامة قاصديهم واهون شرا (امثال « السيد حسين » كان معرضا اقتبس من الطبيب العسكري

معدته ، واصر المسؤولون في المستشفى على دفع ثلاثين جنيها قبل اسعافه و لم يجد اهله وذوهه المبلغ ، نقلوه الى القصر العيني ، وكان الشاعر في النزاع الاخير بعد ان فند كثيرا من دماء ، فلم يجد معه أي اسعاف : (٧)

بيد ان العجيلي ينظر الى الموضوع نظرة اكثر موضوعية حين يرى ان للاطباء مشاكلهم « وكل طبيب مثلي في جمعبته الكثير من دواي التذمر والشكوى . فأيما الحق : الاطباء ام المرضي؟ » (٨)

ومع هذا فان العجيلي لا يكف عن انتقاد كثير من التصرفات التي يربا بالاطباء عن ممارستها . يستنكر نصيحة استاذ له في كلية الطب بعدم التهاون في تقدير قيمة الخدمات التي يؤدونها للمرضى وعدم اجابة سائل في قاعة الطريق او تقديم استشارة بانه جدير ان يقبض الثمن ، لان الطبيب - في نظر الاستاذ الناصح - قد تحمل وسهر وانفق من عمره وماله ، ولا بد ان يدفع الناس (٩) .

ولا تخلو حياة الطب بالنسبة للعجيلي من طرائف تثير الضحك احيانا والمرارة احيانا اخرى ، انه يتحدث عن بعض فلاحي البادية حين ينادون على الطبيب باسم « المتركتور » بدلا من الدكتور ، ويسمون بالمقابل الجرار الزراعي بالدكتور! ويعلق العجيلي على هذا الخطأ بأنه جدير ان يدفع الاطباء الى الغضب لا الى الانزعاج والضيق حين يقول البدوي مثلا: « بل دكتور قادر على فلاحه ثلاثة دونات من الارض في يوم واحد (١٠) . »

يسأل رجلا اتي بولده المريض : متى مرض ابنك يا ابا غازي ؟
- منذ ثلاثة ايام .

ولماذا لم تأت به الى العيادة اول امس او امس ؟
- كنا انا والامراة متخاصمين ولم نصلح الا هذه الليلة . منذ نصف ساعة !

قال ابو غازي هذا واغضت زوجته بطرفها حياء في نفس الوقت . فخرت - يقول العجيلي - بين ان انفجر غيظا وبين ان اضحك وان ارجو ابا غازي وامثاله من المتخاصمين وزوجاتهم ان يصلحوا واباهن في النهار او في اوائل الليل ، انسانية منهم ورحمة بنا نحن الاطباء (١١) .
وحين يسود اللغط والفوضى بين مرضى العجيلي في قاعة الانتظار بعيادته ، ويشيق بهذا اللغط ، يضطر الى اسكانهم بطريقة تثير الضحك ، حين يضع في افواههم الترمومترات لاسكانهم وعلى ذكر الترمومترات فان معرض

الذي لازمه في الحرب العالمية الاولى طريقة معالجة « البجل » بحقنة من « النيو سلفرسان » الدواء الزرنيقي الالمانسي المشهور . وكان رغم استغلاله يبدو قنعا نسبيا حين يصبح حذرا في التطبيب ، فلا يعالج الا المرضي بالبجل (وهنالك فئة اخرى مجرمة ايضا) امثال سارة التي اخضعت باخراج ما يسمى « بالواجعة » من الفين ، تزعم لمرضاها ان جسما غريبا دخل العين فاحدث بها الالم ، وانها قادرة على اخراج الجسم الغريب بلسانها ، وحين تدور بهذا اللسان القذر في عين المريض ، تكون مهمة الطبيب معالجة المريض من التهابات التي خلفها هذا اللسان ، وهي تؤدي في بعض الاحيان الى تهديد المريض بتقرح القرنية او فقدان البصر (١٥)
يقدم العجيلي كثيرا من الحكايات التي تدل على سيادة الجهل والدجل ، ويكتب عنها بالاسى الذي يستشعره الفنان الانسان - انه بالطبع يستفيد بمادة ثرة تفنن ادبه و فكره ، وتشبع ميله الى الكتابة والابداع ، بيد ان ما كان يود ان تكون بلده ، او يكون الناس في بلده ، على هذه الحال الحزينة . انه ينظر الى مشكلة المرض المتلازمة مع الجهل والدجل في اطار رؤية انسانية شاملة تدفعه احيانا لان يكون غريبا بين زملائه من الاطباء ، فنادرا ما نعر على طبيب ينظر السى القضايا الانسانية من خلال مرضاه ، نظرة موضوعية تركز على تغليب المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة . فهو - اي العجيلي - لا ينكر ان الناس تشكو من الاطباء ، ومن قسوتهم في المعاملة وتخاذلهم عن اداء ما هو فرض عليهم ، وعن جشعهم واثرتهم . يقول العجيلي : « واقرأ في الصحف احيانا شكوى ل مواطن زار طبيا فلم يولمه كل الاعتناء الواجب عليه نحو ، او انه لم يستقبله بالسوعة التي توفر عليه وقته ، وقت الشاكي ، المعروف انه من يجب ، اذ اتيه كبداه ما لا يطبق من اجور المعالجة والمان الادوية ، او لغير هذا وذلك ، فاجد حولى كثيرين يؤمنون على شكوى الشاكي وبعضهم في تعداد شكواهم في اطباهم (٦) . »

ويبدو ان الشكوى من الاطباء والطب في مصر اوضح منها في أي مكان اخر خاصة في الآونة الاخيرة ، بعد اشتداد موجة الغلاء ، ورفع سعر الكشف الطبي لدى جميع الاطباء بلا استثناء ، حتى ما يأخذه المرضون الذين يعملون لديهم وما زال بعض الصحفيين عندنا يحملون على هذه الظاهرة المسماة « ملائكة الرحمة » ولعل اخر مظهر من مظاهر التخاذل الطبي في مصر ، هو موت الشاعر « محمد الجيار » الذي لقي ربه خلال شهر - ابريل ١٩٧٥ - اثر نزيف في

- (١) عبد السلام العجيلي - المقامات - طبعة خاصة . دمشق ١٩٦٢
- (٢) عبد السلام العجيلي - قلوب على الاسلاك - الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٤ .
- (٣) مجلة « طبيبك » العدد ١٩٨ - بيروت - فبراير ١٩٧٢
- (٤) مجلة « طبيبك » العدد ١٩٢ - بيروت سبتمبر ١٩٧٢ .
- (٥) مجلة « طبيبك » العدد ٢١١ - بيروت - مارس ١٩٧٤ .
- (٦) عبد السلام العجيلي - السيف والتابوت - دمشق ١٩٧٤ - ص ١٢ .
- (٧) الصور - مقال صالح جودت « حاجة تكسف » القاهرة ١٩٧٤-١٧

- (٨) السيف والتابوت ١٢ .
- (٩) مجلة « طبيبك » العدد ٢١٠ - بيروت فبراير ١٩٧٤ .
- (١٠) السيف والتابوت ٢٤ .
- (١١) السابق ١٤ .
- (١٢) السابق ايضا ١٥-١٦
- (١٣) السابق ١٤-١٥ .
- (١٤) السابق ٢٨ .
- (١٥) الديار العدد ٧١ - بيروت سبتمبر ٧٤ .
- (١٦) « طبيبك » العدد ٢٠٤ - اغسطس ١٩٧٢ .
- (١٧) طبيبك - العدد ١٩٥ نوفمبر ١٩٧٢ .

ان العجيلي لم يفرق في الادب وبترك أطلب مهنته الاساسية ومصدر رزقه الاساسي، اكتفاء بما حققه من شهرة ومجد اديبين ، بل انه كلما تقدم به العمر كلما اُمنع في الاهتمام بمهنة الطب فكرا وسلوكا ، لانه يرى ان الطبيب محتاج الى تنمية ثقافته العلمية باستمرار ، كما انضج من الاقتباس السابق ، ولان كثيرا من الاشياء المعروفة للأطباء قد تخالف الواقع او هي حقيقتها تخالف ما تعارف عليه الأطباء ، ويروى ذلك - وهذا من خصائصه الموضوعية - قصة رجل ضرب بعضا ، فلم ترحج او تكسر عظاما فسي الجمجمة ، فشنخ الأطباء حالته فلم يجدوا شيئا يوحي

بأن تلك الضربة ، وفسروا وفاة الرجل بعدئذ بالحالة التي تعترى كبار السن وبمضاعفات الامراض التي تعيش معهم ، ولكن أبناء الرجل الحوا بضرورة الكشف على أبيض ، وبعد الفحص الدقيق والتشريح تبين ان العضا احدثت تمزقا ضئيلا في احد الاعوية الدقيقة في سطح الدماغ وكانت بهذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها . «وكانت درسا جديدا أو تذكيرا بدروس سابقة لنا جميعها في ان لا تكون لفتنا بفحوصنا السريرية مهما كان وادها من علم وتجربة ، وبفحوصنا المخبرية مهما كانت ادواتها دقيقة وعصرية ، ان لا تكون لفتنا بكل هذه الفحوص وتلك ثقة مخالطة . فالجسم الانساني يظل دوما قادرا على ان يخبى لنا من المفاجآت ما يقف امامه علمنا حائرا وتقف خبرتنا وتجهيزنا عاجزة » (١٦) .

يظل العجيلي موضوعيا حين يتواضع ، ويتمسك بالبقاء في بلدته « الرقة » ليلعاج اهله ، ولا تبهره اوضاع المدن او العاصم ، أم قصة «الدهاء » لغابي مورلي المعلقة الفرنسية الشهيرة كان من الممكن ان تكون عادية لطبيب ديفي يريد الخروج الى العاصم ، ولكنه ما فعل .

وصف « لغابي مورلي » علاجا افادها ، فاستقبلته لتعبر له عن شكرها ، حين نجح علاجه دون علاج اطباها . وسألته عن « الرقة » ، وتمنت لو كانت قريبة من باريس ليظل بعلاجها ، ولكنه سر لتجاحه ، ومازحها طالبا ان يضع بطاقته وتحت اسمه الطبيب الخاص « لغابي مورلي » . ولكنه لم يفعل ، لان بطاقته لا تحمل في الواقع غير اسمه وحده ، مجردا من الالقاب والوصاف (١٧) .

وقد شبه العجيلي بسومرست موم الكاتب الانجليزي الشهير ، ولكنه ما قبل هذا التشبيه ، كان « موم » قصاصا وروائيا شهيرا ، وكان قبل ذلك طبيا ، واشتهر ايضا بالتجوال والحلات ، كما العجيلي تماما ، ولكن العجيلي يرفض المقارنة عن موضوعية شديدة ، تقول ان كلا منهما يختلف عن الآخر تمام الاختلاف في كل شيء ، وانه يرى ان يكون هو هو ، ولا شيء سواه .

ويظل العجيلي بعد ذلك الطبيب الذي انتفع بروح الاديب وانشانيته في علاج مرضاه والتعامل معهم ، هذا الاديب الذي امتاح من واقع مهنته الطبية الكثير من الافكار لخدمة الانسانية في كل مكان ..

العجيلي وضع ميزان الحرارة ذات مرة تحت لسان مريض وطلب منه ان يطبق عليه فمه ، فامسك المريض اليوازن باصابع يده والتفت يسأل الطبيب : « اقرطه او اسرطه ؟ » يقول : هل اكلته وامضغه ثم ابلعه ، أم ابلعه راسا بسدون مضغ ؟! ذلك المريض كان معتزما على بلع الميزان ، ولكن الذي لم يكن يعرفه هو الطريقة السوية البلع التي يستفيد احسن استفادة من استعمال هذا الفضيض اللامع الذي ظنه دواء يبلع وبهضم ، وهو لهذا سال : اقرطه او اسرطه ؟ ويعلق العجيلي على ذلك بان زملاؤه في المهنة في دمشق وحلب وغيرها من مدن سورية آمنون من الوقوع على مريض مثل هذا (١٧) .

لا نستطيع ان نستطرد اكثر من هذا مسع طرافل العجيلي التي يجدها مع مرضاه ، بيد انه يعود الى النظر برؤيته الشاملة والموضوعية فيعمل لماذا كان الأطباء فسي بلادنا اسعد حظا - او هكذا يعتقد غيرهم - من بقية الناس ويرجع ذلك الى التخلف الذي نعيشه في بلادنا ، ففي بعض البلاد يكون الطبيب مثله مثل الخادم في المطعم او الساقية في المشروب ، يعطى كل امكانياته في خدمة الجماهير ، لكادحة وله مثل هذه وذلك ، حقه في ان يأكل ويشرب ويجعل المسكن المناسب ، اذا توفر ذلك المسكن ، ويقول العجيلي ان الراتب الشهري للطبيب المبتدئ لا يفوق راتب ساقية المشرب المبتدئة بكثير (١٨) .

اما مسألة الدجل والشعوذة فيرى العجيلي اننا في الشرق والغرب سواء ، فكما يوجد هؤلاء هنا ، يوجدون هناك ايضا ، ففي فرنسا اليوم ثمانية وثلاثون ألف طبيب ممارس ، وفيها مقابل هؤلاء ، اربعون ألف مشعوذ يدجل في الطب . (١٩)

ان معرفة العجيلي بهذه الاحصائيات وتلك الظروف التي تحيط بالطب والأطباء تعود الى طبيعته كاديب قساريء بالدرجة الاولى ، فهو لا يكف عن القراءة بكل اشكالها ، ولكنه بالطبع يركز بالدرجة الاولى على متابعة كل واحدث ما وصل اليه العلم في مجال تخصصه ، ولعل هذا ما يؤرقه لانه يضيق كثيرا من وقته الذي يمتنى ان يقضيه في عالم الادب قراءة وكتابة ، وفكرا وابديا .

ساله الاستاذ فاروق البقيلي محرر مجلة « الديار » (١٥) عن نوع متاعيه فقال :

« عملي كطبيب به ذلك صغير يستغرق وقتي بصورة دائمة ومستمرة ، ليس هناك يوم في حياتي لا اعمل فيه لاكثر من عشر ساعات . ومن ثم فان هناك ايضا مشاغل اجتماعية لانسان مثلي في هذا البلد الصغير . ومنها القراءة العلمية بصورة خاصة لتابعة التطورات في النواحي العلمية الكثيرة : لان هذا من صميم عملي . بالاضافة الى قراءاتي في الادب والسياسة والاجتماع بلفتين . فانا تصلي ثمان وعشرون مجلة بصورة منتظمة من كافة البلاد العربية والاوروبية . ومن ثم فانا رجل مفرم بالاسفار . انها تتيح لي فرصة الراحة من عملي المنهك . وهي ايضا تأخذ من وقتي الشيء الكثير . »

رسول المحبة العربية ، وصاحب الشغالات المصرية . من الذين رحبت بمعرفته كما رحب الاصدقاء الآخرون قبلي بصلتهم معه ، دون ان يتوخى ربحا ، او ينال نفعا .

كانت اول رسالة قد وصلني من الاخ وديع فلسطين يومذاك من القاهرة وفيها معلومات طريفة عن التواقيع المستعملة في الصحافة المصرية واعلامها . مما جعلني اعتبرها ذات قيمة نفيسة ، لما حوته من الاحاطة والتتبع والشمول . بعدوبة العبارة ، وجميل القول ، وسباحة الادب . فلا تكلف ولا تحلق ، ولا مئة ولا غرور .

وقبل مغادرتي الوطن العراقي اتصلت بالاخ الاديب الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين حيث زودني بشكورا بزاز العناوين ، لجملة من المعارف هنا وهناك ، وهو خير رائد لهذا الخصوص ، وخير جواد لخدمة الادب واهله الطيبين .

وصلت القاهرة ونزلت بدارة (الاوبرا) فكان ثاني يوم من نزولي ، وانا قادم اليها من دمشق ان اتصلت بخبة من الاصدقاء والمزلاء المصريين منهم الاستاذ الكرام الافاضل : محمد عبد الفتي حسن ووديع فلسطين وعبد العزيز سيد الاهل وحسين نصار وعبد العزيز الاخواني ومحمد عبد الله عنان وسعيد زايد ورشاد عبد المطلب اضافة الى جماعة من الاخوان العراقيين المقيمين هناك للبحث والدراسة والعمل .

وقد حاولت ان احصل هاتفيا على الاستاذ وديع فلسطين . فتعذر علي ذلك اول الامر فهناك من اسمه وديع فلسطين غيره . واولا لطف استاذنا شاعر الاهرام محمد عبد الفتي حسن لما استطعت ان اري الاستاذ فلسطين . وانا بشوق ساعه ذاك الرؤيته ، والتحدث اليه وشكره على معرفته .

زارني الاستاذ الوديع في الفندق مساء وهو - كما اعتقدت - لطف مع تواضع ، حديث طلي مع صراحة ، ثورة على الالم مع قناعة ، شكوى على الواقع بلا خنوع .

وكان الحديث يمر ونحن لا نشعر بضيق وقته ونتمنى امتداده . لان الاستاذ الوديع ممن يعطيك الرغد ، دون ان يتلقى الا القليل من العطاء . له من اللغة السهلة الموازنة من الذاكرة الواعية المحيطة ، ما تظفره دراساته الممتعة في « احاديث المستطردة » عن كبار الادباء ، والشخصيات والعلماء ، في عالم الادب ، والصحافة ، والعلوم في دنيا العروبة وعالمها الواسع من محيطها الى خليجها .

ان معرفة الاستاذ فلسطين وعميق تفهمه للغات العربية والانجليزية والفرنسية . ما يجعله في الطبقة الاولى من بين بعض مدعي الترجمة والتأليف الثقافي في العالم العربي اليوم .

دراسته في الجامعة الاميركية ، صلته بالحركة العلمية ، اطلاعه على مفكرات الثقافة الغربية من لائينية واكليزية . بوانته المنزلة التي لا يقدرها - مع مرارة الالم -



وديع فلسطين

وديع فلسطين بين العطاء والحرام

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

كان من نتائج سفرتي (الفارابية) التي كلفني بها وزارة الاعلام العراقية مقدرة مشكورة . لاميات العواصم العربية : دمشق - القاهرة - بيروت ، في تشرين الاول من العام ١٩٧٤ للبحث عما يخص « الفارابي » في الدراسات الحديثة .

كان من حصيلة ذلك ، ارباعي المعنوية ، التي كسبتها من اطلاع علمي على مجموعة من الدراسات والابحاث والمخطوطات العربية ، في بعض خزائن سورية ومصر ولبنان وعلى دور الكتب فيها . مع تعارفي الشخصي مع نخبة من رجالات الفكر والادب والعلم ، الذين سبق وقرأت لهم وراسلهم . وصح لدي المثل القائل « ليس الخبر كالبيان » . فلانسان احيانا عندما يكسب صديقا ، ويتعاون مع اخ من بعد . قد تتبدل نظرته اليه ، وتتحول عواطفه نحوه نتيجة لما ينطبع في ذهنه من تصرفات ذلك الصديق سلبا ام ايجابا ، حسنا ام قبحا . وقد يعود منه وهو اشبه بقصة (الحريري) والمثل الشهور « سماعك بالميدي خير من ان تراه » .

ولقد وجدت - واشكر الله على نعمته - ان اغلب الذين اتصلت بهم ، هم من الصفوة الممتازة ، كانوا عند حسن الظن ، وموضع السور ، وغاية الوداد . والاستاذ الكاتب ، الاديب المعروف وديع فلسطين

الا قليلون . وقد جهلت حقه « جامعة الدول العربية » وغضت الطرف عنه الحافل السياسية العالمية ، التي تزخر بالادعاء والجهلة .

ان الكتابة عن الاستاذ وديع فلسطين الذي وصفه بعض المصنفين في كتاباتهم وتقريراتهم عنه لشئ يدعو الى التساؤل في نفوس الشاكين الجاحدين للعقوبة . فما هو الغرض من الكتابة اليوم عن هذا الاديب الذي اصابه الحرمان وقضى على ما يستحقه من منزلة ، وخير . وجل وجحد المسؤولين عن تقييم الادب ! في دنيا تسير مركبتها اليوم بالاغراض الذاتية ، والرغائب الانانية .

ان تقييم ما لدى الاديب من نتاج القلم ، ومن ثمرات الفكر لا يكون الا عند الناس المصنفين من النقاد ، واصحاب الضمائر الكريمة . انا لا ادري - ولا يغري يدري - سر محاربة مجتمعاتنا العربية ، لاصحاب العقوبة والنبوغ من ابناء بلادنا - فعوضا ان يؤخذ بأيديهم ، وتقدر مواهبهم ، وتشر آثارهم - تراهم محاربين بين يائسين محرومين ولا ادري الكونهم قد فاقوا اغلبية جيلهم المتخلف بثقافتهم ، وبرزوا على اكثرية معاصريهم في معارفهم . ام انهم لم يستعملوا ذكاهم وفطنتهم في الشدور والانام ، والاباطيل والادهام ؟!

ان وديع فلسطين ايها الاخوة تنكر له الاقربون ، وجهل مقامه الإبدعون . ولو اني اردت ان اكشف عما اصابه من منفصات الحياة التي سمعت عنها ، منه ومن غيرته لحملت طاقة قلوب المحبين ، ما لا يستطيع حمله ولجرححت افئدتهم .

ومن أغرب القضايا التي لحتته وهو في بلد عربي يسير بالشمال الافريقي - التهجير ، والمراقبة ، والتسفير ، وضيق اوراقه ورسائله وكتبه . دون عمل قام به بلذكر ، او مخالفة ارتكبها . ومن المنفصات التي اصابته في بلده في فترة قريبة ، ماضية من الزمن (المراقبة) التي كانت تستدعيه ، و (الشرطة) التي كانت تساهل عن اسباب كثرة بريدته الوارد اليه من اصحابه ومحبيه في الوطن العربي وديار المهجر . وكثيرا ما اضاع بعض الكتب المهداة اليه ، والرسائل النفيسة من كبار الشخصيات المحبة به . فسي حين ان مهربي المخدرات يسرحون ويمرحون ، ويبسسون القصور والعلالي !

كتب عن الاستاذ وديع فلسطين الكاتب المصري المنتج الاستاذ انور الجندي في الاديب (يناير ١٩٦١ ص - ١٤) قوله :

« الاستاذ وديع فلسطين ، كاتب خصب الانتاج ، موفور الثقافة ، عميق أوجه الفكر ، من ابناء تلك المدرسة الوسطى التي تجمع بين القديم والجديد وثقافة الشرق والغرب على هدى وبصيرة » .

ويعد ان استعرض حياته الصحفية ، والثقافية ختم قوله : « هذه صورة سريعة لشخصية مفكر عربي ممتاز

جمع بين التبريز في ميدان الصحافة ، والكتابة ، والنقد ، والترجمة ، وهي شخصية ضخمة وخصبة ، تحتاج الى مزيد من الدراسات ، وهي ما زالت تشق طريقها الى مكانها الحق » .

وجاء بعده الاستاذ الكريم ابو طالب زيان وخصص الاستاذ وديع فلسطين بمقالة في « الاديب » نوفمبر ١٩٦١ ص - ١٢ . ومع جاء منها قوله وهو الذي زامله في المقطم بين سنة ١٩٤٥ - ١٩٥٢ .

« عرفت الكاتب البلخني الاستاذ وديع فلسطين عن كتب ، ادبيا لامعا ، وصحفيا بارعا ، يحج اليه ، ويطلب رايه . »

وخمها بقوله : « ولقد تمكن بخلقه الطيب ، وعمله الفزير ، واربحيته المثالية من جمع هذا الثمنيت التفرق في كل الاصقاع في صعيد واحد . »

لقد قرأت الاستاذ وديع فلسطين في « المقتطف » سنة ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ . والسنوات التي اعقبها في كتاباته الموضوعية ، والترجمة ومنها :

- المجتمع والسياسة في الادب المصري الحديث .
- منهج جديد في كتابة التاريخ . - بين الادب والصحافة .
- خليل مطران . - سلامة موسى دعامة قوية من دعائم الفكر . - العلم والفلسفة . - المثاليات العربية . وغيرها .
ومن أبرز مقالاته في « الاديب » وهي كثيرة متعددة الجوانب الثقافية :

- مع الصروفيين - يعقوب وفؤاد . - نظير زربون .
- الفوز التذري لحصون الادب . - نفسية الكاتب . - مع الدكتور طه حسين . - فارس نمر . - حديث مستطرد عن الامير مصطفى الشهابي .

ومن مقالاته الطريفة في « الاديب » ديسمبر ١٩٦٠ ص - ٢١ . « علاقات الادباء في حاجة الى ناموس » . والمقال يصح ان يكون دستورا مبتكرا في الدراسات الادبية الحديثة المعاصرة ، والعلاقات الادبية بين جمهور المثقفين . تناول فيه الصلات الشخصية ، واهداء الكتب ، واستكتاب المقتدات ، والسرقات الادبية . واليك نموذج من قوله :

« بلوح لنا ان العلاقات الشخصية بين الادباء يعوزها ناموس مرعي ، يرس لها للتقاليد التي تتطور في ظلها . فما برحت هذه العلاقات متميزة بالاعتالي والتشامخ في آن ، وبالتحاسد والتباغض في آن آخر . »

وتابع قوله : « ومن ظواهر المرض النفسي في الادب استكبار الادباء الذين يصغروهم سنا .. » وختم مقاله بقوله : « ان العلاقات الشخصية بين الادباء تحتاج الى تنظيم وتنقية حتى تصفو من شوائب الاستكبار ومراعاة الظروف . حتى تزول عنها آثار العلل النفسية . واذا كنت قد اوردت الحديث عن نفسي فشفيعي عند القارئ انني تحدثت عن تجربة شخصية ، وهي دائما ام التجارب . »
اما حصيلة الاستاذ الفاضل وديع فلسطين من التاليف فهي حصيلة متواضعة من الجمع ، كثيرة متناثرة

تجريد وفلسفة

الى هؤلاء الذين نعتز عن فهم ما ينظمون من احاجي والغاز

تجلى الطلاس من ارائك الفر
ام جئت من بابل ام جئت من سقر
ولا نلم بمسا تلقيه من سقر
اسماعنا الان من انارك الاخر
عرض التفاهة فيه غير محقر
محمية بسياج الشوك والاير
ولا تخيله امكان مبتكر
شيء من الخلط في شيء من الهند
والورد عندك في القاموس كالجزر
فينا الشوك ولم نحقر ونم نجر
كان ذلك ينجي من الخطر
ابعاده عن مدار السمع والبصر
العيب ان تتحدى وثبة النمر
كما زعمت بلا خوف ولا حذر
بان يجازي بتمثال من الحجر
تسير سكرى بلا رمى ولا وط
ولا المنجم مهم جد في الاتسر
الياس فنصل

يا شاعر استخف لا تبخل باجوبة
هل جئت من عالم بالجن مزدحم
نكاد نفهم ما في الهند من لفظة
ان كنت تكتب للاتي فسه وارج
واحفظ روائعها الجلى الى زمن
كان ذهنك دهليز مسالكه
او مصنع لم يد في بال نابغة
يحول خاطر السهل الرشيق الى
قاموس غرك الفاظ محددة
حجبت نفسك خلف الحرف فانبتت
يستر اللص بالقلماء فملتسه
فاي ذنب تدارسه وتمعن في
ما العيب انك في التصنيف ضغنه
ان كان شعرك تجديدا وفلسفة
فما تقسول لجنون يطالبنا
بسانك الفذ افكار مشردة
لا انت تدرك مغزاها اذا اجتمعت
يوانس ايرس - الاراجنتين

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يسلط أضواء قلعه على قضايا الادب ، والادباء الذين عابهم
وزاملهم وعرفهم في دنيا «اللقم» العظيم وفي عالم «المقتطف»
الخالد .

وان يترك لنا عالم (النعال) و (الكلاب) (نباتا) هي
اجور بمعالجة الاول - وجمعية الرنق بالحيوان اجد
بالعطف على الثاني !! ولعل هذا من ثورة الالم في نفسه
ورود الفعل فيها .

اما كليات الصحافة واقسامها في الجامعات العربية
فهي ملامة مقصرة في حق الاستاذ (الوديع) وعليها
الاستفادة من خبرته الصحافية ، وتجاربته الشخصية،
واطلاعه الموسوعي ، وترجماته الاصيلية .

رب : ادعوك ان تبث الالهام في قلوب قومي وعقولهم
كي يسبقوا الزمن ، ويسيروا الاسم الناهضة في رعاية
التابعين من اخوتهم - كالاستاذ وديع فلسطين - وهو الذي
اعطى ومنح كثيرا ، ولم ينله منهم الا النسيان والحرمان .

محسن جمال الدين

بغداد - كلية الاداب

في المقالات والدراسات والترجمات . ومن آثاره الموضوعية
والترجمة ، المطبوعة :

١ - استقاء الانباء فن . ٢ - قضايا الفكر في
الادب المعاصر . ٣ - صحافة الخبر . ٤ - مريحة
الادب .

ان لدى الاخ (الوديع) الكثير من الرسائل الثمينة
بينه وبين شعراء وادباء المهجر العربي . امثال رسائل
الاخوان الاعزة : جورج صيدج - الياس فرحات - الياس
قنصل - زكي قنصل ، الشاعر القروي وغيرهم ...
وبينه وبين اغلبيه المثقفين في العالم العربي والغربي
ولا اظن ان مركزا عربيا ثقافيا به صفوة متعلمة ومتأدبة
الا وكان لاحد افراده علاقة ، وصداقة ، ومراسلة ، مع
الاستاذ وديع فلسطين .

واذا كان لي من كلمة اقولها في موضوع الصراحة
والاخوة الصادقة له . هو ان يجمع دراساته في مجاميع
ويوزع مواضيعها المختلفة ، ويضمها في كتب متجانسة
الموضوع والمادة ، كي تسهل مطالعتها واقتناؤها . وان

فتح باب المستشفى الحديدي . . .
تدق الزائرون .. انفجار المسران
الغليظ في بطن مريض .. راحت عيناه
القلقتان تتصفح الوجوه .. لم تقعا
على أحد يعرفه . كيف أعود إلى قريتي
والتورججي « نفث » جيبى من النقود
التي كانت معي ؟

ترامى إلى مسمعه عواء قطار .
يوم ان هربت من القرية صعدت فوق
سطح أحد القطارات .. كيف أرضى
بظلم أخى ؟ أنا أعمل طوال يومي فسي
الحقل وهو يعيش أجري وينفقه ثمننا
لانفاس الهباب الذي يدخله في مقهى
خليل أبو شبانة ؟ كان أملي ان أهاجر
إلى البندر .. اشتغل في مصنع مثل
عوان ابن اخت شيخ البلد .. ضحكت
له الدنيا .. ودع الفاس والمخراش إلى
المدينة والمكانة .. ارتدى عفرته
أنيقة قطع النقود الفضية توشوش
بشخصيتها جيبه .. لكنني وجدت
الأبواب موصدة أمامي . أصبحت
تأثا .. خاب حلمي ! لو رضى
بحظي من متاع الحياة وبقيت فسي
القرية ؟ ماذا فعل أخى عندما اكتشف
هربي ؟ هو الذي كفاني ورعاني بعد
موت والدي وأنا طفل صغير .. كيف
أواجه نظراته الشامتة ؟ كيف تلقى
عيناي بعيون أقاربي ؟

زحفت قدماه .. ركضت الإفكار
في راسه ..

قال لي أخى ذات ليلة :

— أنك كالسك .. لا تستطيع
ان تعيش بعيدا عن الساقية والأرض
وقف بجوار باب المستشفى ..
كيف استيقظ فأجد نفسي خارجها !
لماذا لم ينتظر الطبيب حتى تظهر نتيجة
الاشعة ؟ كنت تخجل ان تطلب منه
المزيد من العناية والعلاج .. تعلم أنك
تعالج مجانا ومن الجحود ان تسرف
في الشكوى .. لكنني على يقين ان
المريض الجديد الذي احتل سريري
ذهب إلى الطبيب في عيادته ودفع
« الفريتا » قبل ان يأتي إلى المستشفى
وقع بصره على شاب مريض
يساعده والده على ركوب عربة

حنظور .. لو ارسلت إلى أخيك
خطابا ؟ المرض ليس عيبا .. لكنك
هربت من القرية دون ان تخبره ..
كيف سيلقاك ؟

— اهلا .. اهلا عمران .. عندما
عصف الجوع عدت إلى ؟ .. ؟ ..

— انني ...

— اين كنت طوال تلك الأيام ؟ ..
ماذا سأقول له ؟ عملت مع أحد
المقاولين في بناء إحدى العمارات .. كنت
أجري على السقالات .. أحمل الزايط
والخطة .. أقضي ليلي في حجرة
ليس لها نوافذ .. قبر .. نقد صقيع
الليل إلى عظامي كالدبابيس من خلال
الفرارة القديمة التي حشرت فيها
جسدي . تملكتني نوبات السعال ..
عانت نفسي الطعام .. عجزت عن



بقلم عبد العزيز الشناوي

حمل القصعة .. نصحني القاول
بالذهاب إلى المستشفى .. أعطاني
ربع جنيه .. لهفة التورججي .. لو
تركني تناول طعام غداي ؟

— حالات الخروج ليس لها أكل
— ولكنني أخذت « شربة » بالأمس
ولم أتناول طعاما منذ يومين
— ولو ..

ارتعى بصره فوق ظهر القطار ..
ارتطم بالكتل البشرية التي تدره ..
تقيه من برد الشتاء ؟ .. أريد ان



اسكت نعبان بطني اولا .. في القرية
كنت أجد أعواد الجلاوين والسريس
وكيزان الذرة أو قليلا من الفسول
الاخضر دون مقابل .. كنت أفاضل
الحاج سليم والقم ندي البقرة فسي
فمي وأشخب منه حتى أرتوي ..
أما في البندر ! كل شيء بالقرش ..
لا أحد يعرفني لكي أقدم إلى شيئا
بالأجل ! ..

مرق من أمامه طفل يطارد شابا
وفتاة يتأبطان .. طلب منهما ان
يمناه صدقة .

غاصت يد عمران في جيبه ..
أمسك بمندبله الملاوي يربطه على
عينيه ويسط كفه ؟ .. يصق على
الأرض في وجه هذا الخاطر .. عندما
كنت صغيرا رفضت في العيد ان أقبل
يد أحد أقاربي ليعطيني عدتي ..
أناطلقت إلى الأراجيح .. اكتفيت
بمشاهدتها من بعيد .. ضربني أخى :

— الحاج سليم غاضب منك ..
لماذا لم تقبل يده ؟ كان سيمحك
قرشا ..

طول عمرك « وش » فقر ..

اقتربت منه إحدى النسوة ..
طلبت منه ان يضع حقبة كبيرة فوق
ظهر عربة التاكسي .. وثبت الفرحة
إلى عينيه .. يستحك قروشا ..
تستشري رغيفين وقطعة حلالة
طحنية و ..

دفعه أحد الحمالين بعيدا ..
اختطف الحقبة . سار وراء المرأة ..
انطفتت الفرحة في أعماقه .. شيعه
بنظرة ناربة تعالي إلى عواء .. رأى
كلبين يتشاجران . انتزع الكلب
الضخم القطة من فم الكلب الهزيل
قرض الجوع أمعاه .. تكور حول
نفسه بجوار الحائط .. ليخنق
طعنات الألم ويخرس نباح معدته .

دوت زغرودة لها ذيل .. وضعت
أمرأة رفيعة سبطا على الأرض ..
احتضنته بين فخذيه .. راحت توزع
سندوتشات :

شيراز

شيراز يا بلد الازهار والمياه الجارية
الورد فيك منوع نفحاته متهادية
للطير في الاسحار الحسان بهف ساريه
تفريده تسبيحة وصلاة شكر غادية
تتنقل النظرات صباحا في الرياض الزاهيه
والفانيات يمسن في الجنات قرب الساقية
بسماتهن يعدن للمحورور برد العافيه
الشهد والابناس في نعماتهن الهاديه
التطيق جرس ناعم وصدى لنفس راقيه
ينفجن انفاسا وعرفا طيبا كالفاغية
الله يا شيراز يا مجلى النفوس الراضيه
الضيف فيك مكرم والذكريات غواليه
يا طبيب ارض اهلها لطف وروح ساميه
لله يا شيراز يا بلد العلوم الوافيه
الذكريات الحالكات هوى قلبي شاديه

عيسى ميخائيل سابا

وقف بجانبه رجل عجوز هزيل يتوكأ
على عصا خضراء :
— اعطني لقمة .. لم أتناول طعاما
منذ ثلاثة أيام
شيء في صدره ينتفض .. وجديده
تمتد نحو الرجل العجوز حاملة معها
الساندوتش .. كاملا .

عبد العزيز الشناوي المتصورة

الاقدام المهرولة تمرق بجوار رأسه .
فئوس مشرعة تنهيا لمزيقها ... جرجر
جسده من بينها ... استماتت يده
الملهفة على آخر سندوتش فسي
السفط .

تطلع الى الرغيف المنتفخ بأقراص
الطعمية وشرائع الخيار المخلل بعينين
منتشيتين . لم يصدق انه ظفر به ؟
قبل ان تهوي اسنانه المتحفزة لتنهشه .

— شيء لله يا سيدي برعي . .
نذرت الله نلرا اذا خرج زوجي من
المستشفى سليما معافى ان أوزع على
الفقراء سندوتشات فول وطعمية .
اندفع الاطفال حولها كالجراد . .
احاط بها الرجال والنساء .. هب
عمران من مكانه .. وقف حائرا ..
عيناه تنبشان عن منفلد .. دفعته بد
في غلظة .. سقط على الارض . .

الادبية في القرن الثامن عشر في اوربا كثرة هائلة ، فقد قال « فولتير » انه كانت تظهر في اوروبا ١٧٢ صحيفة ادبية في الشهر ...
وظهر في لندن في سنة ١٧٧٦ مجلة انجليزية فرنسية كانت تلخص ما ينشر في ٥٢ مجلة اسبوعية تصدر في لندن .

ويقول الكونت ليليب دي طرازي في كتابه «تاريخ الصحافة العربية»: « وقد بلغ مجموع المصنف منذ ظهور اول جريدة عربية عام ١٨٠٠ حتى نهاية عام ١٩٢٩ - أي في مدة مائة وثلاثين عاما - ثلاثة الاف وثلاثين صحيفة ... ومن دواهي الانتفاخر ان النظر المصري كان سببا في مفساد الصحافة العربية التي نشر الجريدتين الاوليين اللتين قرأهما أبناء الفساد وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ كانون الاول سنة ١٨٠٠ م في الاسكندرية ، وجريدة «الوقائع المصرية» التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة . »

واول من استعمل لفظ الصحافة بمعناها الحالي كان الشيخ نجيب الحداد منشئ «لسان العرب» في الاسكندرية . وكان الصحفيون في اول الامر لا يفرقون بين الجريدة والمجلة في الاستعمال . ولكن كلمة REVUE كانت هي المستعملة عند الفرنج في مقابل ما اطلقنا عليه نحن كلمة «المجلة» . فلما تولى الشيخ ابراهيم اليازجي ادارة «صحيفة الطبيب» البيروتية سنة ١٨٨٤ بالاشتراك مع الدكتور بشارة زلزل والدكتور خليل سعادة اشار باستعمال لفظ «المجلة» قائلا عنها : انها صحيفة علمية او دينية او ادبية او انتقادية او تاريخية ، او ما شاكل ذلك ، تصدر تباعا في اوقات معينة . وبذلك ثبت هذا الاسم ونسبته في ذلك جميع المجلات التي صدرت بعد مجلته ، كما اصطلحتها الدوريات التي كانت قبلها .

وعندما انشا الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور بشارة زلزل مجلة البيان في القاهرة قالوا عن المجلة انها : « مجلس العالم ، واستاذ الرئيس ، والمودع الذي يتلأ في اليد والمستفيد ، بل هي خيطب العلم في كل ندوة ، ويريد الى كل خطوة ، والشكاة التي تستمع بها بمسائل اولي الآتي ، والتمن الذي تاتم به الممارك اذا اشتبهت عليها شواكل الصواب » .

ولي شئت اليوم ان نضع تعريفا موجزا جديدا « للمجلة » فقلت عنها : انها صورة مختصرة ، سريعة ، متجددة ، رخيصة الثمن لحوادث المصارف .

وتحس لا نعدو الصواب اذا قلنا ان وظيفة المجلة كانت قائمة في حياة المجتمع العربي منذ قديم . وكانت هذه الوظيفة تؤدي بطرق تلام المصور . فمن ذلك مجسألس الادب والمناظرات والاماني ، وتناقل الروايات . بل ان كلمة «المجلة» بمعنى قريب من معناها الحديث ، قديمة في لغتنا العربية . ففي لسان العرب لابن منظور : « والمجلة : الصحيفة فيها الحكمة . كذلك روى بيت النابغة :

مجلتهم ذات الاله ودينهم
قويم فما يرجون غير العواقب
يريد : الصحيفة ... وقال ابو عبيد : كل كتاب عند العرب مجلة . وفي حديث سويد بن الصامت ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لعل الذي معك مثل الذي معي . فقال : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان . كل كتاب عند العرب مجلة . يريد كتابا فيه حكمة لقمان . ومن حديث انس : التي اليها مجال - هي جمع مجلة - يعني صفحا » .

ومن الشائق ان كلمة Magazine التي يستعملها الانجليز وغيرهم بمعنى « مجلة » كلمة غربية الاصل . واول استعمال لها بمعنى الصحيفة الدورية الشتمية على مقالات في موضوعات مختلفة كان في سنة ١٧٢١ ، عندما ظهرت مجلة باسم The Gentleman's Magazine وقد وصلت نفسها بانها مجموعة شهرية تقسم ، فيما يشبه الخزن ، مقالات فسي الموضوعات التي تستناولها بالكتابة . وهذا « الخزن » الذي تسمى اليه يرجع الى ان كلمة : Magazine استعملت في اوربا اول مسا استعملت بمعنى مخزن للبرصائع ، نقلا عن الكلمة العربية « مخزن » ، وكان هذا الاستعمال شائعا في الإسبانية والفرنسية ، ثم استعمل لخزن



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد أدنى

في الخارج : ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد أدنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٢٨١٩ Dir : 223819
التمزل : ٢٢٥١٢٩ Die : 225138

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ١٨٧٨-١١

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير اديب

البنائية الذي يحتوي على عدة فئات .

والآن انتقل الى العمل العظيم الذي يسمونه ان اقدمه ، وهو بلا مبالغة - عمل علمي ممتاز ، يكشف عن «مجلة روضة المدارس» التي كانت - كما وصفت في هذا الكتاب - «بوقلة» أدبية . ويعتمد نجاح التنازع في التعاون العلمي القائم على الزايات التي يتمتع بها المؤلفان: محمد تيب الفتي حسن ، وعبد العزيز السنوسي ، وهي مزاجيا علمية واسعة ، ومزاجيا خلقية رفيعة . فاقم ذلك التعاون هذه الثمرة التي تتركز بتعاون علمي عظيم الشامخ في الجيل السابق ، وهو الذي كسان يجمع الاستاذان الجليلين المرحومين : علي الجارم ، ومصطفى اسمن . ولولا التزام الحياة لذكرت اثنين آخرين جمعتهما في التاليف - وفي لغز - مجلة العلم وانكار الذات .

ان التاريخ مجلة من المجالات يحتاج الى خبرة ممتازة في البحث والوازنة ، والتدقيق ، والاطلاع بتاريخ الادبي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي لمخبة طويلة ، يسبق جزء منها ، ويلحق جزء آخر ، العصر الذي صدرت فيه المجلة التي يؤرخ لها ، فالموضوعات التي تطرقها المجلة ينظر فيها المؤرخ نظرة خاصة من حيث كونها جديدة تدعو الى حركة جديدة ، او من حيث كونها امتدادا للافكار ومذاهب سابقة لعصر المجلة . وقد يمتد عصر المؤرخ - بل لا بد ان يمتد بعصره - الى اثار موضوعات المجلة في العهد الذي يلي صدورها ، سواء اكان ذلك الاثر انتشرا لما جاء فيها من اراء ، او لتدليلها او رفضها لها . ومن هنا لم يكن بد ان يتصدى للتاريخ للمجلات ان يكون خيرا بالحركات الفكرية ، والانتقادات الثقافية ، لبل عصر المجلة وبعده ، الى جانب عصر المجلة نفسه .

ولا بد ان يتضمن التاريخ مجلة من المجالات حديثا يعرف بالكتاب الذين قامت المجلة على افلامهم . وهؤلاء الكتاب يشتمون الى فروع متعددة من المعارف ، والوان من الثقافات . وجمعة المؤرخ هنا مهمة شاقة .

وقد تحقق في هذه التاريخ مجلة روضة المدارس كل ما يتطلبه العلم والافان والنهج . فقد كان تصنيف الاستاذين المؤلفين تصنيفا علميا دقيقا ، حصر كل ما ينبغي ان يذكر عن المجلة ، اوجابا ، وافصلا ، بل فقرات ...

وما يجدر بي ان اشير اليه - على سبيل المثال لا الحصر - ان مما سجله المؤلفان في هذا الكتاب ، الإشارة الى بعض المسائل التي سبقت «مجلة روضة المدارس» الى الكتابة عنها . كموضوع : «لوث الجو» الذي كان الكاتب «مصور احمد» اول من كتب عنه في الشرق العربي ، قبل ان يكثر الحديث عنه في زماننا الان ، باتر من قرن من الزمان .

كذلك اشار المؤلفان الى نشأة «الاقصوة» في مهدنا عندما عرض البحث للمنازع التي نشرت في المجلة ، وهو امر لم يذكره احد ممن مؤرخي نشأة الاقصوة . وهذا يذكرني بما سبق ان اقرهنا - منذ بضع سنوات - في لجنة الدراسات الادبية بالجلسة الاعلى لرابطة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - من تتبع نشأة الحركة الثقافية في الادب العربية ، في بطون المجالات العربية منذ نشأتها . وهو مشروع صنو لمشروع التاريخ للمجلات ، الذي نتجني باكورة لماره في هذا الكتاب الذي بين ايدينا .

ومن المكاسب العلمية في هذا «التاريخ» ما تجده في الباب الذي عقد للتعريف بكتاب «مجلة روضة المدارس» من تحليلات قيمة تتصل بتصحيح الاخطاء الشائعة عن بعض الكتاب ، في التواريخ المتصلة بملامهم من افهامهم ، وفي صحة اسماهم ، وفي بعض الاحداث المتعلقة بحياتهم . ومن امثلة ذلك ، التصحيحات التي ذكرت في الترجمات الخاصة بكل من: علي فهمي رفاعة ، والدكتور حسن محمود باشا ، وصالح مجسدي ، والدكتور سالم سالم باشا ، وعثمان مدوخ ، ومحمد قديري باشا . والحق ان الباب الذي خصص بهذه الترجمات لكتاب «مجلة روضة المدارس» يعد فصيحة قيمة للبحث . فقد تضمنت كل ترجمة ارضا موجز يكتب عن صاحبها : فيها البيانات الاساسية ، مضافا اليها

اشارات الى اتجاhe الادبي والعلمي بصفة عامة ، وما ساهم به في مجلة «روضة المدارس» بصفة خاصة ، مع عدد من المراجع التي يمكن ان تستوفي منها سيرته . ويبلغ من حرص المؤلفين على التعريف بهؤلاء الكتاب انهم لم يتركوا «اصحاب الوحدات» اي الذين لم تزد مساهمتهم علم . ومقالة واحدة في طول عمر المجلة .

ويعد : فهذا الكتاب : «روضة المدارس» نشأتها وانجاهاتها العلمية والادبية» - للاستاذين محمد عبد الفتي حسن ، وعبد العزيز السنوسي - تاريخ مجلة ثقافية علمية . وهذه المقدمة اشبه بتاريخ هذا التاريخ ...

وشتان بين ما قام به المؤلفان في التعريف بالمجلة ، وما فمت به في هذه المقدمة بالتعريف بهذا العمل الجليل .

القاهرة

محمد مهدي علام

الاجباش بين مارب واكسوم

تأليف ممتاز عارف - ٢٨٢ صفحة - منشورات المكتبة المصرية بمبيدا ١٩٧٥ .

عرفت الاخ الاستاذ ممتاز عارف ، استادا تخصص في الزراعة ، في احدى الجامعات الاميركية ، ولما عاد الى وطنه - العراق - اشغل وظائف عدة ، كان اخرها - عمادة كلية الزراعة ، في جامعة بغداد .

ولما انتدب خيرا من خيرة منظمة الغذاء والزراعة ، التابعة لهيئة الامم المتحدة ، في مطلع الستينات ، كما اعتقد ، انقطعت عني اخباره ، الا لاما ، فلكه اخبر للعمل في بعض الاطراف الافريقية ، منتقلا بين اطرافها الشمالية ومشرقية والسموالم ونيجييريا فالبحشة ، صارفا من عمره ، ليدب - في هذه البلاد - زهاء الثماني سنوات ، ولم اكن اعلم اين استقر به المقام بعد ذلك .

وفي مطلع شهر آب ، الماضي ، فوجئت بزيارته الكريمة ، اذ تفصل عني بهذه الزيارة ، حاملا بيده - هدبة لينة ، تلك هي كتابه البكر ، عني ما اظن ، وهو «الاجباش بين مارب واكسوم» ويقرر سروري بعودته الى الوطن ، سرت لافداه على الولوج في ميدان الكتابة والتأليف ، وعلى خروجه على ما درج عليه غيره من الخبراء العرب الذين تسنى لهم العمل في مثل هذه الاطراف النائية ، دون ان يخرجوا على الناس بنتائج مسا شاهدهم ووفوا عليه من غريب الاطوار والمعدات والتقاليد في تلك الاطراف .

ورب سائل يسأل ، عن السبب الذي حمل الاستاذ العارف ، على ان يخصص الجبهة وهدها بدراسة خاصة ، تحضيا صفحات هذا الكتاب الا ان الاستاذ نفسه ، قد اجاب عن هذا التساؤل في مقدمة كتابه قائلا «... كانت الجبهة هي القطر الوحيد الذي ترك في ذاكرتي ، وفي اعمال نفسي ، واحاسيس وانطباعات لا تمحي ، فهي الاطراف الاخرى ، ما كل ما في مظاهر الحياة العامة ، اليومية ، واساليب اعمال الناس ، وفي بعض الحالات ، حتى معيشتهم ، يعكس طابع الدول الاوروبية التي استعمرهم ما عدا الجبهة ، فقد برزت فيها صفات ومميزات اصيلة عديدة ، مما جعلها تختلف اختلافا كليا عن بقية الاطراف السوداء ، وعلى جانب ذلك فقد وجدت فيها من التناقضات ما لم اجده في اي قطر اخر ، فعلى الرغم من ماضيها العسكاري بالنسبة للشعوب الافريقية الاخرى ، كانت اول دولة افريقية وضعت قدمها في عتبة الامم ، كبلد مستقل ذي كيان قديم في اوائل العشرينات وكانت من بين الدول التي ساهمت في تأسيس هيئة الامم سنة ١٩٤٥ الا ان قدمها الاخرى ما زالت راسخة في ظلمات العصور الوسطى .»

٩٧. ق.م. ومن طريق ما تزويه هذه الاسطورة ، ان هذه الملكة كانت قد اتجبت وهي في طريق عودتها الى بلادها ، مولودا ذكرا ، من سليمان نفسه ، وعرف باسم « ابن حكيم » اي ابن حكيم . فلما شب وترعرع وقوي ساعد ، تنازلت له عن العرش ، فاصبح ملكا ونوح باسم « متليك الاول » .

ويقول المؤلف « ان اسطورة ملكة سبأ ، والملك سليمان ، تمثل جزءا هاما من التراث الحبشي ... » ولكنه يعلق على هذه الاسطورة القسلا « ان الاتجاه العلمي المعاصر » لا يقر هذه القصة « بل يؤيد وجهة النظر العربية ، على ان بقلبي كانت ملكة سبأ في اليمن » ومهما يكن من امر ، فان هذه الملكة وابنها ، هما اللذان ادخلا الديانة اليهودية في الحبشة .

٣ - الحبشة والديانة المسيحية :

اما كيف اصبحت الحبشة ، تدين بالمسيحية ، فقد اوضح المؤلف ذلك قائلا :

« ولعل الرواة مذاهب شتى ، الا ان اكثر الروايات شيوعا في المصادر التاريخية ، هي ان اخوين سوريين ، كانا مسافرين ضمن جماعة في البحر الاحمر ، ففرقت سفينتهم ، ونجيا وجعلها فاحشا الى الملك « اكسوم » ولدى وصولهما متلا بين يديه ، وانجب بهما ، فعين احدهما « وهو « ايديسيوس » خادما وساقيا الخاص ، اما الثاني واسمعه « فرومانيوس » فعينه كأحد امثاله ونافذ خزنته . وبعبروا الايام فوي نالوا هذا الاخير وعلا شأنه في البلاط بحيث لما دنا اجل الملك ثم وافته المنية ، نصب وصيا على العرش ، اذ كان « ازاناه » ابن الملكا زالوصيا .

ففي هذه الفترة ، عمل فرومانيوس ، بكل دهاء وحكمة لزج بلور الدين الجديد بين افراد الحاشية ، والخيلا تمكن من الملك « ازاناه » الذي لعن النصرانية ديناً له . وسافر فرومانيوس الى الاسكندرية ليؤلف هذه البشرية الى بطريرك الاقباط هناك ، فما كان من هذا الاخير الا ان عينه ، مطراناً للكنيسة النبطية في الحبشة ، فكانت هذه السابقة اي تعيين مطران للكنيسة الحبشية ، اول سابقة ادرجت بموجبها الكنيسة الحبشية ، بالكنيسة المرفسية في الاسكندرية ، ومنذ ذلك التاريخ ، اصبح بطريرك الاسكندرية هو الذي يمين مطارنة الكنيسة الحبشية من بين الاقباط المشرقيين ، وفضلت هذه السابقة سارية المفعول عبر العصور حتى عام ١٩٥٨ ، حينما ادخل تغيير جوهري على هذا المبدأ ، اذ استقلت الكنيسة الحبشية عن الكنيسة الام ، فوجب ان يكون « ابونا » اي الطران « حبشيا » يرشحه الامبراطور بناء على توصية المجلس الديني الحبشي ، ويصادق على تعيينه بطريرك الاسكندرية . »

٤ - المسلمون في الحبشة :

واذا كان الامر كذلك ، هل يمكن القول ان الاثرية الساحقة من الاحباش مسيحيون ام لا ؟ واجابة على القول ذلك يقول المؤلف « ان البتة سؤال كهذا ، الى جانب الافتقار لاي نوع من المعلومات الاحصائية والحقائق التي يرن لها ، في الحقيقة مسؤولية علمية ، ولو ان الرأي السائد لدى الكثير ، هو ان اثيوبيا تستع بالبلدية مسيحية كبيرة على الاقل »

وقد ظهر له بعد دراسة ، مؤلفات عدد من الكتاب الاجانب ان من الصعب القول ان المسيحيين يشكلون اكثرية السكان ، ولذلك نتيجة لذلك واستنادا الى ملاحظات وتبعاته الشخصية ، فهو يميل الى الاعتقاد « بان المسلمين والمسيحيين ربما كانوا متقاربين من حيث نسبة كل منهما للمجموع . »

٥ - امبراطور غريب الاطوار :

وهذا الامبراطور هو « تيودور الثاني » الذي تولى شؤون الحكم في الحبشة في منتصف القرن التاسع عشر ، على الرغم من كونه خرج من عامة الشعب . لقد تحدث المؤلف بأسبابه عن حياة هذا الامبراطور الذي لم يكن الا شابا مغمما تمكن في بحر سنوات معدودة ان يصبح اعظم اباطرة اثيوبيا . وكان اسمه في اول امره « كاسا » ولكنه اختار الاسم « تيودور » تحقيقا للاسطورة الحبشية القديمة التي تقول « انه سيظهر يوما ما ملك

لقد جاء الكتاب بـ ٨٤٤ - صفحة من القطع المتوسط ، توزعها ابوابه (الثمانية والعشرون) اذ تناولت بالبحث فيها عن البلاد واهلها ، وعلاقاتهم بغيراتهم ولا سيما (العرب) منهم ، وصلة التنافس الدولي بهم ، ونجاح بعض الدول الاوروبية باجتياحها ، واحتلالها ، كما تناولت بالبحث الكنيسة الحبشية ، وازهارها في المجتمع ، والاباطرة وما فعلوا من اغتيال لتثبيت حكمهم ، وغزو الطليان لها وخرجهم منها بمساعدة الانكليز ، وسيطرهم على اثيوبيا ، وما الى ذلك الى اخر فصل تحدث فيه ، عن ثورة العسكري على هيلسلاسي ، وانتهاء حكمه الى الابد .

لقد قرأت ابواب هذا الكتاب المناع ، وانتهيت فصوله بسرعة ، وليس لي بعد هذه القراءة ، الا ان اهنئ الاستاذ على توثيقه في اعداد مادة الكتاب ، وتقديم ما حصل عليه من معلومات بهذا الاسلوب السلس الشائق البعيد عن التعقيل والتعقيد . ويتبين لي ان اقدم في بساط « مكتبة الاديب » اهم ما خرجت به من حقائق وفوائد وطرائف ، بعد هذه القراءة ، وفيه في اشراك القاري في الوقوف عليها ، وهي كما يلي :

١ - اصل الاحباش :

يقول المؤلف ان « الاحباش » قوم من القبائل السامية التي نزحت من جنوب الجزيرة العربية ، وقد امزج دهم بالدم الهامي على لعاب الايام ، فاصبح هذا المزيج البشري الطعم يعرف بـ (الاحباش) . ويقول ان هذه التسمية جاءت نسبة الى احدى القبائل اليمنية المعروفة باسم « حبشات » . وان اول لغة مكتوبة لهم هي « لغة الجميز » المنسوبة الى احدى القبائل اليمنية ايضا وهي قبيلة « الاجاز »

٢ - ملكة سبأ والاحباش :

وتحدث المؤلف عن ملكة سبأ التي تسمى عندهم باسم « ماكيدا » وعن الاسطورة الشائعة عند الاحباش ، والتي تقول : ان هذه الملكة ، لما سمعت بالملك سليمان ، شئت الرحال اليه وكان ذلك في حوالي سنة

مجلة

البيان

مجلة فكرية شهرية تصدرها

رابطة الادباء في الكويت

وتحررها الاقلام العربية الاصيلية

•

للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص.ب. ٣٤٠٢٣ - المديلية

الكويت

•

« البيان » ... توزع في معظم الاقلام العربية

اسمه يتودد له من القوتوالسلطان ما يمكنهم جمع كلمة البلادوتوحيدها
ودحر المسلمين واستعادة بيت المقدس » .

لقد قام هذا الامبراطور ، في اول ايام حكمه بمحاولات اصلاحية ،
لكنه لم يستطع من تحقيق كل ما اراد تحقيقه . وكانت تصرفاته في كثير
من الاحيان تصرفات شاذة غريبة ، وله بسببها مشاكل مع بريطانيا
ايام حكم الملكة فيكتوريا ، فقد سجن مئذنتها مع عدد من المبشرين الاربويين
وسجن مساهم الثاني ، الذي كان في الاصل شابا موصليا ، هو المدعو
« هرز ستان » ، ولما لم تجد معه المتوسطات للافراج عنهم ، جردتبريطانيا
حملة كبيرة بقيادة الجنرال دويرت نايبير ، فاحتلت الحيشة ، غير انه
التحر قبل ان يستسلم . وقد آتت المؤلف نص رسالة له بعث بها الي
هذا الجنرال جاء فيها قوله « .. لقد امضى جنودكم ليلتهم الماضية
بفرح وجور ، سكرى من نشوة الانتصار ، فاساله تعالى ان يريكم نفس
المصير الذي كنت انا فيه ، لقد كانت اميتي بعد ان سحقت مفاسدة
خوسمي وتغلبت عليهم ، ان افوذ جيشي نحو بيت المقدس لتحريرها
وهي تلام وطردهم منها » فان الحارث البطل هو الذي يستطيع ان يوز افوى
الرجال بين ذراعيه « هرا » كمداناب الام طفلها بين يديها وترفعه..» .

٦ - الامبراطور المسلم :

وتحدث المؤلف عن الامبراطور « ملك الثاني » وما جرى فيبل
وفاته من اجراءات حول اختيار وريث للعرش ، يتولى الملك بعده ، اذ لم
يكن لهذا الامبراطور الابنته « زاودينو » التي لا يمكن ان تكون امبراطورة
على الحيشة بعد ، لان امها لم تكن من بنات النبلاء ، فلما الذي تسم
فيبل وفاته ؟

لقد اوصى ان يكون ابن بنته « شواريفا » التي تزوجت « الراس
ميخايل » في حرار ، وهو المسمى « ليح اياسو » اوصى ان يكون هذا
الابن ملكا بعده ، ولما كمل عمره اذ اذ (١٤) عاما اوصى ان يكون تحت
رعاية الاساقفة والرؤس ، حتى يبلغ اشده ، وان يكون الجنرال « تاماسا »
وصيا على العرش حتى يبلغ الملك سن الرشد .

ولقد اغضب هذه الوصية زوجته « تاتيو » التي كانت تطمع هي
بالوصاية على العرش ، ولذلك لم يكد يتولى هذا الشاب شؤون الملكحتى
بنات بالفعل لابعاده عن العرش ، بدعوى ان في دمه ، دما اساليا ، لان
اباه « ميخايل » كان قد تنصر في زمن الامبراطور « يوشنا » وحمل هذا
ان تنجح في نسلها ضد هذا الامبراطور ، الذي اطاق عليه لتسلب
« الامبراطور المسلم » ويكني ان تشير الى ان النبلاء والقواد الذين
تحالفوا ضده اجتمعوا في العاصمة ، بعد محاربته والانتصار عليه ،
وظلبوا من مطران الكنيسة ، ان يصدر القرار الاتي نصه « برينة رافينا
من الولاء لامبراطور لاننا لا نخضع للاسلام ولا يمكننا تسليم بلادنالاجانب
عريق الاساليب الخبيثة التي يمارسها ليح اياسو » ويقود مملكتنا
للدمار . » وفي يوم ٢٧ - ايلول - ١٩١٦ صدر القرار بطلعه وتنصيب
زاودينو امبراطورة بدلا منه الى ان يكون الوصي على العرش « الراس
نغاري » الذي سمي بعد ذلك باسم « هيلاسلاسي الاول » حين تسوج
امبراطورا سنة ١٩٢٠ .

٧ - هيلاسلاسي الاول :

وتحدث المؤلف عن الكيفية التي اصبح بموجبها هذا الراس ملكا ،
ولقب نفسه بلقب « ملك الملوك » الامبراطور هيلاسلاسي الاول .
لا تريد ان نتحدث للقارئ حول غزو الطليان للحيشة في ايامه ،
وكيف عاد الى بلاده من هناك بمساعدة الكائيز بعد ذلك ، الى المؤلف
قد اتسع هذا الموضوع بحثا ، ولكننا نود ان ننقل ما قاله حول الاسلوب
الذي اتبعه في حكم البلاد ، وهو اسلوب الحكم الفردي المطلق ، ومن
ذلك هذه الصورة « ومن الامور المألوفة في اديس ابابا ، ان يبعج بسلام
الامبراطور ، يمد كبر من الناس ، في مقدمتهم الوزراء وشخصيات
البلد ، مجتمعين كل حسب قدره ومزنته ... ولعلنا نجشمتا الصعاب
بالعسر بين بلد لآخر وجئنا الى اديس ابابا ، حسب مواعيد محددة ،
مع بعض الوزراء وغيرهم فلا نجد لهم ارا في الموضع المحدد فاين الوزير
الذي فصلنا في البلاط . واين مساعد الوزير كذلك في البلاط الخ »
وللاسف الصفة الشرعية ، على الحكم المطلق ، جعل لقبه « ملك

الملوك واسب قبيلة يهودا ، الفاهر المنتخب من الاله ، الامبراطورهيلاسلاسي
الاول » ولكن هذا الاسد قبض عليه ودخل القفس وخلص من عرشه ،
في شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٤ ومات في شهر آب بعد عام .

٨ - اكل اللحم الوثنية :

ومن العادات القريبة التي ذكرها المؤلف ، عادة (اكل اللحم الوثنية)
عند الاجاش ، وما قاله من هذه العادة قوله « وفي الاليمان والتابسات
الكبيرة ، تنصب الموائد الطويلة استعدادا لهذه الوليمة التي لا تشتمل
على اي نوع اخر من الطعام ، فتجلب اطباق كبيرة ملأى بقطع اللحم
المختلطة الاحجام بظاهها وشحمها ودمها ويوضع امام المدعوين » .

واليت عن هذه العادة ، ما كتبه السائح بروس ، في يومياته اذ يقول
« لم ياتون بثور او بقر ، ويربطونها في باب الحجر او الكوخ ، ويشدون
ولائها ، فيقدم منها النان او اكثر من المشترين في الوليمة ، يتولسون
القطع اللحم من جسم البهيمة ، وهي حية منتصبة في قولهاها لاربعة ،
فيبدأ التما يسيل منها نتيجة الجروح البليغة التي احملوها في جسمها
وهي تعال الفصاء خوارا من شدة الألم ، وتؤخذ قطع اللحم الى الجالسين
والجالسات وهم ياكلون واللحم يؤكل ملفوفا باقرص
من الخبز المصنوع من نوع من الحبوب يدعى باللغة الاميرية « تيف » .

٩ - مجالس القات في حرار :

وتحدث المؤلف عن مجالس القات في حرار ، حيث يعيش ،مسلون
من الاجاش ويقول « للقات مجالس خاصة ذات اصول وتقاليد - كما
هي الحال في الين » متصلة فيهم منذ عرفوا زراعة هذا النبات ، وتقام
مجالسه عادة بعيد البهيرة ، فيقبل مجيء الرجال الى المنزل لزيارة
البيت قد اعتدت ما يقتضي لذلك ، وتلقف غرفة الاستقبال ، وصفت
الوسائد حول جدرانها ، وتبثوا عليها . وتقتضي التقاليد المربية ، افتتاح
المجلس بتلاوة ... ثم يلي ذلك اشتراك جميع الحاضرين في ترديد بعض
العبارات المثوية منهم في مدح القات ، وفوائده واستحاج الزمعة
والذين احضروه ، والىالهم لهم جميعا بالخير . فمن جملة ما يرددون ما
يلس :

رحم الله من ذرع القات ، ورحم الله من عني به ، ونسأله تعالى
ان يدخله الجنة ، وعويفت اليد التي اطفقته ، وعوني من جلب لنا
القات .

١٠ - الاجاب بين السلب والاعتناء :

وتحدث المؤلف في كثير من صفحات كتابه ، عن الفسار المدقع
المسيطر على غالبية السكان ، وبسبب هذا الفقر ، كثيرا ما كان يتعرض
الاجاب الى السلب والاعتناء من قبل الاجاش ، ويروى تايد ذلك
الصورة الابية « عندما زرت البوبيا لأول مرة سنة ١٩١٢ نصحتني زميلي
ممثل منظمة الاذنية والزرعة البدوية ، للمقيم في اديس ابابا ، بسان
لا اغادر الفندق بعد الساعة الثامنة ليلا ، مشيا على الاقدام لتعاشي
الاعتناء والسلب اللذين يتعرض لهما الاجاب . واعلمني ان احد زملائي
رجم بالحجارة امام الفندق ونزف الدم من راسه . هذه حقيقة لا
مبالغة فيها » .

وبعد : فنك هي اهم الفوائد والحقائق والظرائف التي خرجت بها ،
بعد قرأني لهذا الكتاب الشائق ، وهناك غيرها كثير ، اعرضها على
القارئ ، علما به يجد في مطالعة هذا الكتاب نفسا ما وجدته فيه من جودة
ومضة وطفرة ، فضلا عما سيقف عليه من معلومات هامة ، عن هذا القطر
الافريقي العريق .

شكرا للاستاذ العارف ، على هدية التهيئة ، وجهده البذل في
اعداد ابواب هذا الكتاب المانع النافع ، آمل ان نقرأ في المستقبل القريب
كتابا اخر بحثنا فيه عن قطر مجهول جديد ، من تلك الاقطار التي عمل
فيها ، وان كنا نعرف ان دخوله هذا الحقل ، حقل الكتابة والتأليف ،
سيعود عليه بالصعاب والمتاعب والنضارة في اكثر الحالات . بارك الله فيه
والفانا من علمه وفلسه وادبه .

فغد

عبد الرزاق الهلالي

الشيخ فؤاد حبيش

١٩٠٤ - ١٩٧٣

بقلم فوزي سبأ

خلال المدرسة أو من خلال المطالعة، أما أنا فما حاولت مرة الروح إلى تقييمه إلا أخذتني الحيرة يا من النواحي تناول فؤاد حبيش الناقد، أم الأديب أم العالم، أم الناشر أم السياسي أم الاجتماعي أم المؤرخ أم الحدث أم ... حتى إذا ما اخترت ناحية وخرجت منها على اقتناع بأنني قد امتلكتها وجدت أنني ما زلت على ابتداء معها، أنه أمر الباحثين في تداولهم أمثال الشيخ فؤاد حبيش مسن أصحاب الأمزجة الفنية. الذين يتعاطفون مع قول فرنسيس الاسيزي «هم العاصفة لا يعلم توقيت منطلقتها ولا استقرارها تهب وكأنها لا هبوب وهذا، وكأنها لا هدوى ونتجه على استقرار وتستقر على انطلاق».

عندما التقيته وكان ذلك في حدود الثلاثينيات من أوائل القرن العشرين كان قد نزع عنه ثوب الجندية، وجاء بيروت، وكل عدته إيمان بنفسه لكننا ما كتبه عن الياس أبو شيبه هو أحساسه الذاتي بما كان هو عليه ولا يبقى للقراري إلا استبدال اسم باسم لتسمعه يقول ... «... فانت ترى أن - الياس أبو شيبه ما يكن قدسيا بالمعنى الرباني الاصيل، ما نذر العفة، ولا كبح مطالب الجسد، ولا اثر التحرق عملا بوصية بولس الرسول. كان عاطفيا متدفق العاطفة مشتغلا. وحساسا ورهيف الحس ذقيقه أحب وشقي وتالم كما يجب كل انسان ويشقى ويتالم تارة على شكل خاص به دون سواه، وتارة أخرى على اشكال تلاتي فيها وسائل المخلوقات البشرية. فكان حتما عليه ان يتعرض للزلل أو يشقى الكمال كما يشوق كل ادبي الى هذا ويتعرض لذلك ...»

لما التقيته في دار شقيقته تأكد لي انه يجمع في ذاته ما يقصر كاهله من حمله فيحاور، ويحول هذا العبء عن كاهل الى آخر، وكما حدث شكسبير عن ان هملت تظاهر بالجنون اخفاء لمقاصده صبح في الشيخ فؤاد حبيش تظاهره بالجلوس الهازئة، وفي رسائله العارية وكتابه «رسول العربي» انما الفارق بينه وبين هملت انه انفلت من التأسيرات الخارجية ثم انطلق، وكان انطلاقه هذا فاتحة لنهضة ادبية عمت العالم العربي على صفحات «المكتشف» ومنتشورات «دار المكتوف».

قلة هم الذين يعرفون لماذا ترك الشيخ فؤاد حبيش بعدما كان قد أصبح ضابطا مرموقا ذا مركز حساس وكلمة نافذة مع الفرنسيين أو مع الوطنيين. ترك فؤاد حبيش الجيش لانه كان مجبا وفيا لاهم وشقيقته فقد كان وحيدا بين ثلاث شقيقات، فهو الدلل الصغير، مدلل من الام ومن الشقيقات، فلما التحق بالجيش وكانت البلاد اشبه بمرجل يغلي بالتورات خافت الام على وحيدها والشقيقات على الشقيق الدلل - عمود البيت - فما زلن عليه حتى استقال من الجندية، رحمة بقلب الام وعطاف على الشقيقات اللواتي بقي يعطف عليهن حتى ساعاته الاخيرة. اما كيف، فانه عاد خالي الوفاض لا يملك فلسا،

ولد الشيخ فؤاد حبيش في غزير قاعدة مقاطعة قسوح كسروان سنة ١٩٠٤، تلقى مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة الزرار في بلدته ثم في مدرسة الحكمة في بيروت، ولنتركه بعدئنا عن هذه الحقبة من حياته.

« كنت صيف ١٩١٩ اقطن جونية واتأهب للسفر الى القطر المصري. استدعاني اليه ابناء عمومتي يريدون ان اتابع دروسي في احدى مدارس القاهرة على مقربة منهم بعدما اغلقت الحرب العالمية ابواب المدارس في لبنان، وكنت قد نسيت خلالها ما تعلمته قبلها في مدرسة - الحكمة - ولم يكن ما تعلمته يومئذ بالشئ المذكور، يكاد يقتصر على المبادئ الاولية في القراءة والكتابة والحساب وامضيت سنوات الحرب الاربعة لا افتح كتابا بالرغم من الحاج والذني علي بالمطالعة، ولا اعير العلم اي اهتمام، منصرفا الى الوان من اللبو البريء شأن عدد غير قليل من ذفاقي والبناءجلى. فاجتاهم الحرب وهم على مقاعد الدراسة، فاضطروا الى هجرها والاستعاضة عنها بما يسميه الفرنجة «بمدرسة الحقل». وكانت مدرسة حقلنا في جونية فهو السراي وغرفها الخاصة، تتعاطى بين جدرانها الميسر ... وفي زاويتها البحرية بلياردو عتيق تشمرن على لعبته فضلا عن لعبة الطاولة بانواعها من اليهودية الى الفرنسية الى المحبوسة الى الهب ياك الى العممانية.

... ودارت الايام دورتها، وعدت من مصر، واثخرطت في سلك الجندية وامضيت ثمانية عشر شهرا في مدرسة دمشق الحربية ومثلا تقريبا في الخدمة الفعلية بين رفاق وحلب وحماه، ولكن الجندية على ما بها من جاذب ومغريات عجزت عن الاستئثار بمحبتى واشباع جميع ما يبالغ نفسه من رغبات. وكنت وأنا في المدرسة الحربية، ثم في خارجها، لا انفك عن الكتابة في الصحف البيروتية ونشر المقالات في المجلات اللبنانية، وكان ميلي الى احتراف الصحافة والانصراف الى الادب يقوى يوما بعد يوم حتى استهوئني الحرفة، وقدر لي سنة ١٩٢٧ ان اخلف الشيخ ادوار الدحداح في رئاسة تحرير جريدة «الراية» لصاحبها المحامي يوسف السودا ...»

هذا ما كتبه الشيخ فؤاد حبيش عن نفسه، وفي كثير من التواضع لا سيما عن تحصيله العلمي سواء اكان مسن

البنى والمعنى صنوان متضامنان . فاذا انسجما كان الابداع .
والا فهات منجلك وشلب ...

قلعه الاحمر ، او الاخضر ، دائم البقطة . يصحب به
مابقرا بشغف واهتمام . يدقق في الفواصل ، والنقطـ
والحرركات . يبدل كلمة باخرى لتفادي التكرار اللفظي ،
او لتوضيح الفكرة او لتحسين موسيقى الجملة . واذا لم
يجد ما يصحب ، خربش شيئا ما ، ثم محاه وكتب حوله :
صح ، صح ، صح .. لا يغفل عن حرف مكسور ، او شدة
في غير مكانها ، او فاصلة تحتل مرتبة نقطة » .

هذه الدقة في العمل لم تقتصر على نشر الكتاب
وطابعته ولا على تصحيح مسوداته ومقالات الادباء الناشئين
والمريرين ، انها في انتاجه الادبي ايضا فما كتب الا وصور
ورسم معطيا القارئ كل ما يريد من الموضوع الذي هو
عليه نسمعه يكتب به ميشال زكور :

« ... لا يتحوى مكتبته في النهار الا ساعات متقطعة
قصيرة ، فهو بكاد لا يدخله ويرمي نظرة سريعة على يريده
الخاص حتى يتركه ويمضي ثم يعود ثم يمضي ، ولا يستقر
على مكتبته في هدوء الا في المساء . فيجلس من الساعة
السابعة ليلا الى التاسعة يتصفح جرائد المبادلة ويكتب
رسائله ويراجع شؤونه ، ثم ينصرف بعد ذلك الى مقهى
« الفونس » او « الرستوران الفرنسي » ... لا يكتب مقاله

الا يسوعي الا في آخر دقيقة وبعد ان يطالبه به مرارا رئيس
المقفلين او ميشال ابو شهلا او كاتب هذه السطور . ولكن
ابن بكبته وكيف يكتبه ؟

يكتب مقاله هذا تارة في مكتبته في الادارة وطورا في
مكتبته الى حيث يتلجأ هربا من الزوارين والتعاسا للهدوء
والسكينة فلا تمكن عليه مجرى افكاره الضجة القائمة في
غرفة رئيس عصابة العشرة المحاذية لغرفته .

اما اذا جلس للكاتب وكان الموضوع في راسه مهيبا
فانه يتم مقاله في قليل من الوقت اذ يكتب بسرعة ولا يحذف
او يزيد الا نادرا . اما اذا كان الموضوع غير حاضر فيأخذ
بتصوير خطوط على الورقة التي بين يديه فاذا ما انتظم
الموضوع في ذهنه اخبره الى الورق في أسلوب خاص لا
يعتمد فيه العبارة المثنية او البلاغة الانشائية حتى ليخيل
اليك في كثير من الاحيان انه يفكر بلغة اجنبية عن اللغة
التي ينشئ بها .
ويقول في الياس ابوشبكة :

« هو كالسحفاة مكتبته على ظهره واوراقه وقلم
حبره في جيوبه وقاموسه في راسه وحيه في دخان نارجلته .
ولكنه ينزل على دار « العرض » فتصبح مكاتبها وقفا
عليه وتحول زواياها ومقاعدنا الوثيرة ومناضد القوة
والمنفعة بين يديه الى مكاتب ، حتى اذا الخ عليه شيطان
الشعر سند الورقة الى ركبتة وراح بنشيد « عقلاءه »
او راوده النقد عن نفسه انتحى زاوية وما زال قابعا فيها
بهمهم ، مقلبا وقبها في حديقتهما حتى ينجز مقاله او يحمله

وكان اثرى شان سواه لو اراد ، ولسنا لنذيع سرا اذا قلنا
انه قضى السنوات يسكن عند احدى شقيقاته ، وانه عندما
فكر بانشاء مجلة « المكشوف » استدان عشر ليرات ذهبية
كانت هي كل راسماله لهذه الدار دار المكشوف التي تحت
نهجا مفردا في النقد والادب واطلعت نهضة متى يرجع اليها
في مجال النهضة الادبية في شرقنا العربي يتقدم بها لبنان
مفاهرا ...

هذه خصوصيات عن فؤاد حبيش ما كنا نتحدث عنها
لو لم تكن على تقييم هذا الرجل الذي حق فيه القول :
اذا كنت من كل الطباع مكونا فالت الى كل القلوب حبيب
هذا الشاب الذي ابوه اديب ومؤلف وعمه كذلك ، ومن
يجعل منزلة ال حبيش في تكوين لبنان ، وهو المدلل الفنج ،
وهو ايضا الذي حاز مرتبة في الجيش يحسد عليها ، يصبح
بين ليلة وضحاها مفلسا ، ويبقى على سجاياه ، مرحا مالا
ومجالسه بالادب وبالنكتة التي مهما لذت تستطاب
وتستحلى ، وعشيرا لا تمل عثرته على ابعد مما عناه
الشاعر :

وريق يمشي يرافلك الفجر الى ساعتين بعد الفروب
اولع اليوم قبعتي واحبك وان كنت في سماء الفيوب
ولدى ذكرى فؤاد حبيش نرفع الراش عاليا تحية
واعترازا .

ثم وقد عاد اليه الدهر . ولا عجب فطاقاته شملت
جميع نواحي الاعمال التي اقدم عليها ، فكما كان لاكتشاف
الكتاب وجمعهم في « دار المكشوف » ثم تحويلهم الى اعلام
فكر وادب وصحافة بفخر بهم لبنان ، كان له اكتشاف
صناعة الكتاب ، التي جعلت « دار المكشوف » للنشر مقدوة
يسعد كل مؤلف متى فتح له ان يوسم انتاجه باسمها .

وبقى على الخصوصيات لانها البنيوع الذي تستقى
منه العموميات ففؤاد حبيش ما تنكر في جميع اطوارحياته
لإنسان ، واعلم ، واني لخبير باعماله ، فلم اعطى واجزل وكم
تفاضى فسامح وعلم وثقف ، صحيح وهدى الى الصحيح ،
وانكر على نفسه هذه الاعمال ونسبها الى سواه ، وعندما
كان لا يجد لها سبيلا للرواح عن اسمه استعار لها الاسماء
من امثال « جوابه » و « زهر » ...

انما كان هنالك امر لا يتسامح عنه ، الكتاب فعمه لا
رحمة ولا صداقة ولا اخوة ، كان يقول لي الكتاب روح فلا
افسدها ، فالكتاب لو جاء من جاحظ القرن العشرين مارون
عبود ، او من اكبر مستشرقى أوروبا ، لا يستطيع ان يحمل
شعار « دار المكشوف » الا بعد ان يمر غير مرة على مطهر
فؤاد حبيش ، حتى في طباعة الكتاب اوجد طريقة خاصة به
هي افضل ما يكون للعين راحة وللجمال نموذجاً ، وقد
يقرب قول جورج مصروعه ، الذي عمل معه اعواما واعواما
الى تصوير اقتدار الشيخ فؤاد حبيش في هذه الناحية :
« ... يرى الفلطة اللغوية الطخسة في ثوب عروس ،
فيصبح ، كيف يكون الفكر جميلا اذا كان التعبير عنه دميما ؟

الربيع

بالامس اعلن المسؤول صحوة الربيع
بداية لومس من قبل كان اسمه الربيع
لكنني افتش السماء
عن رقصة الضياء
وموكب الفناء والطير
وانبش الحسول
عن حفنة من عابق الزهور
فالتقي في آخر الطريق
بساحة تعاقب الايام بين ظلمة ونور
وجوقة في صمتها المؤرق العميق
تن وسط فورة مكيلة
تحاول الفلكلوم برائن القيود والركود
من حيث يخفت الضياء في قبو القلام
وتختفي الحياة من مخارج الكلام

جامعة الاسكندرية لطفي عبدالوهاب يحيى

ام ناقد ، وقد كان في نقده رساما مصورا للمضامين يتناولها
كمن يثقب الثؤل راثعا اليها كما الصناعي الماهر ، ليس
خوفا على الثمائن التي بين يديه بمقدار خوفا على الماهرة
المتقنة التي هو عليها .

ام هو المتضلع من اللغة التي يعمل عليها سواها
اعربية كانت ام اجنبية انه هو ذلك الثائر المدقق والصناع
الذي تعمل صناعته كل ما سواها ، وفي هذا المجال تعود
بي الذكريات الى يوم اجتمعت به في مكتبه مع القائلين
انذاك على اصدار القاموس العسكري ، وكلهم جهابذة
لغة ، وما زلت اذكر انهم كانوا على ايجاد لفظة تقنية لاحدى
قطع المراكب فاختلف الراي على الاسم ، فاذا بالشيخ
فؤاد يحسمه بقوله : « عندما اراد عمي وضع قاموسه
- الفرنسي - العربي - كان يرجع الى اصحاب الصناعة
التي تختص بها اللغظة ، مثلا يذهب الى التجار من
الكلمة تختص بهذه الصنعة والى الحدادين والى والى ...
وانا ابن المعلمين وهي شاطيء ولطالما اخبرني اصحاب
الزوارق والمراكب في مينائها عن اسماء مختلف اجزاء
مراكبهم ، وما اتم عليه الا منها ، وانها لكلمة فصيحة
ولكم من كلمات نظنها عامية فنتحاشى استعمالها بنعما
هي اكثر فصاحة من كثير من الالفاظ التي تفر لها
فصاحتها » وقد اعلن الشيخ فؤاد رايه هذا في غير مناسبة
من ذلك قوله من مقال بعنوان - لغة المسرح :

« ... ولعل الأستاذ مارون عبود حين كتب
مقال : « دالم دالم » وضمنه تلك الكلمة التي يحسمها
السواد من الاديبة عامية ، قد تعمد استعمالها وقصد
اليه عن سابق تصور وتصميم . ولعله فعل هذا ليرهن
لنا ان العامة في احاديثها لافصح من الخاصة في بعض
تعبيرها ، وان حذقة الادياب وجهلهم ، هما اللذان يؤديان
بهم الى هذه الحيرة التي يتخبطون فيها كلما عرضت عليهم
قضية ادبية كفضية لغة المسرح ... »

اما المطالعة فقد شاع القول بان اكبر مكتبيين
خاصتين في لبنان ، هما مكتبة شارل قرم ومكتبة فؤاد
حبيش ، وقد يظن ان صاحبيهما اراداهما - الزينة -
بعدها سرت عادة تزيين الدور بالكتب رجوعا الى النمط
الروماني الذي حمل اثرياء الرومان على اقتناء الكتب
حتى في الحمامات . انما من يتعرف الى المكتبتين ويسرى
ما على حواشي الكتب فيها من تعليقات واسارات وشرح
واراء يدرك ما كان عليه صاحبها من شوق الى المطالعة .
كل هذه الصفات قد تكون في كائن وقد يكون بعضها
او جلها لكنها لم تتفاعل شانها مع الشيخ فؤاد حبيش
اما السبب فيتحصر في انه استطال الانتقال من درجة
التجرد الى التحدي ، الذي لم يتوقف على امر دون الآخر ،
حتى وهو على مرض تحدى الداء ، وقد يكون انه بهذا
التحدي قد تحكم بدائه وتسلط عليه حتى استفزه واتراه .

فوزي سباب

في ملفات جيوه ليكمله في « الزوق » او في احد مقاهي
العاصمة .

ولم تقتصر الدقة لديه على تصوير الأشخاص
وطريقة عملهم ، تجاوز ذلك الى النقد لتجده ساكورا
في الياس ابو شبكة ايضا :

« وقد استرسل ابو شبكة في رومنتيقية على هذا
النحو استرسالا جعل قارئيه وناقديه ، في اكثريتهم
الساحقة ، يتهمونه بانه قلد هذا او ذاك او ذاك من شعراء
الفرنسيين ، حتى انهم جمعو التقيضين في اتهامه حين
زعموا انه تتلمذ لالفريد دي موسه كما تتلمذ
لشارل بودلير . ولو كان ابو شبكة ينزع بفطرته
الى التقليد او المحاكاة ، لكان من حق موليير
قبل سواه ان يطعمه بطابعه وبمهره وبخاتمه . فقد عاش
ابو شبكة هذا الشاعر معاشرة طويلة ، وصاحبه وخالطه
وترجم عددا من تمثيلياته . ومع ذلك فانه لم يتأثر به
في قليل او كثير ، على ميله الى التكنة والفكاهة وتدوقه
الربيع منها . على انه حاولها في نثره مرات ولكن على
تفاوت في التوفيق ... »

وبعد من يسأل عن الفنون الادبية التي طرفها الشيخ
فؤاد حبيش . وقد عاش عمره بين الكتب والجرائد
والمجلات منشأ ومحروا وناشرا ، فهو صحفي وقد تخرج
عليه غير واحد ممن سفقوا في عالم الصحافة ، ام هو
الاديب ، ونتاجه كله حجة دامغة على سمو مرتبته الادبية ،

تننو الرؤى ، فتباعد الايام
تصحو لوعندك ، والمدى احلام
وتفاؤلات ارهقت ... وتنام

للساهرين وصبرهم آلام
وتنازعت في توقهم انفسهم
ولقد شجاهم دونها المام
والعمر فوق التتمتات هيام
خوفها عليه .. وصدقهم اوهاهم
تروى .. وليس على الدهور ملام

من اغنيات واللقاء يقام
حتى يبعد في الحنين غرام
غير الشرود وما درى الالهام
قد خلدوه في السنن ابهام
وعطاؤه في المرتجى تيام
عند العذاب وللوصال دوام

هزل الصواب .. وما ادعاه مرام
وتفضل في ما انت منه تمام
غابت لديك وشبهها العلام
ما حاولت فكر ... وعز نظام
يسعى اليه وما وعث ارقام
والتيه في امل الشعوب حرام

ولا سلوى .. ولا ما يحتويه كلام
في المستحيل .. غزاؤه الاعوام

جورج رجي

ات كانك ذاهب يا عام
والخائبات تمثياتك ... حيرت
ام تكفني بعد الدماء بوحشة

تعب الزمان وكم تكرر بوجه
فقدوا السعادة ثم يلتمسونها
هجرنا شقاوتهم الى افراحهم
يتواعدون الى الهناء تيمنا
فيجدد العشاق ايمان الهوى
ويكايرون وللوفاء حكاية

يا عيد ما حمل الجديد الى الوري
هل في انتظارات السؤال تبذل
وهل الجواب وقد تعال منصف
الحب ويح الناس في زهو الجوى
كان الوجود ولا يزال بقاءه
ومن الطموح تمرر وتردد

يا عام كاذبة مواعيد الدنى
تستقبل الماضي ويمضي مقبل
اين الحقيقة ، اين ، في مدلولها
والكون اطربه الضياع .. فتمتعة
سئم اليقين وثار في مجهوله
تهوي السياسة حين تلترم المني

الشوق ان يبقى ... فلا رجع
والمستحيل وقد ترامى وجهه

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

يحدث لك وانت تقرأ كتابا لغرض معين او تنظر فيه كیفما يتفق فلاحظ خطأ او شيئا من خطأ كان الاولى او خلا الكتاب منه ، وتحس بان المناسب ان تنبه اليه خدمة المؤلف ورعاية القارئ وحرصا على الحقيقة ... ولكنك تمضي في القراءة تحقيقا للهدف الذي بدأت به ... حتى اذا انتهيت اشتدت بك الحاجة الى التنبيه ، وقوي نفسك شعور بالاثم على ما فرطت ... فتحاول البحث جاهدة عن مكان الخطأ فيصعب عليك وضع الاصبع عليه : لقد ضاع في خضم الكتاب وخضم الحاجة الاخرى ..

وتكرر الحال .. وتري ان تحتال للامر بما لا يقطع عليك سلسلة القراءة .. فتضع رمزا سريعا على هامش الكتاب ازاء ما حسبته خطأ .. كان يكون الرمز « تح » مختصرا لتحقيقات عرضية وبسول لك هذا الرمز العودية ... كما يسول لك ان تجمع قدرا من هذه الحالات ونشرها في الناس - خدمة المؤلف والقارئ ...

(١)

انيس القدسي « الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث » طبعة ثالثة منقحة ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦٣ (ط ١ ، ١٩٥٢ ، ط ٢ ، ١٩٦٠) ص ١٦٢ - ١٦٦ « الثورة العراقية » :

« ... وهكذا نمت فكرة اعلان الثورة . وقد القى محمد الباقر الشبيبي يومئذ خطبة واشتد قصيدة ... وفي هذه الثورة يقول محمد مهدي الجواهري من قصيدة : الام التواني في الحياة وقد قفى على التواني الصوت هذا التنازع والخياري الهنداوي قصيدة طويلة نارية .. ومسن موقدي الشعور الوطني يومئذ الشيخ مهدي البصير شاعر الحلة وهو من الذين اعتقلوا ونفوا . ومن شعره الثوري المحرك قوله في قصيدته : « ليك ايها الوطن » . ومطلعها :

ان ضاق يا وطني على فسحاك فلتتسع بي للاسم خطاكا .. ومثل هذه العواطف تتجلى في شعر عبد الحسين الاذري ، ومحمد ابي المحاسن ، وعلي الشرفي ، ومحمد الهاشمي ، وسواهم . اما الزهاوي والرفاعي فلم نر لهما شيئا من ذلك في ما نشر من شعرهما .

ومن الملاحظات على هذا الخبر :

١ - قدم المؤلف اسم محمد مهدي الجواهري على

كثيرين غيره وذكر ابيانا من قصيدته قبل ان يتطرق الى ابيات البصير مثلا وفي هذا ما يوهم بان الجواهري اسهم بشعره منذ بداية الثورة وانه اهم في هذا الموضوع من الاخرين ... وهذا غير صحيح ... لان الجواهري نظم قصيدته بعد انتهاء الثورة ، وقصيدته رائعة .

٢ - ان البصير هو الشاعر السلمي اقترن اسمه بالثورة واقرنت الثورة بشعره ، ومن هنا كان حقه ان يحتل مكانا ابرز من البحث .

ثم ان قول المؤلف « شاعر الحلة » لا يميزه ، لانه شاعر الثورة ، وصحيح انه من ابناء مدينة الحلة الا انه لم يقل شعره الثوري في الحلة وبين اهل الحلة ، وانما قاله - اكثر ما قاله - في بغداد .

٣ - اعتمد المؤلف في حديثه عن شعر الثورة العراقية - اكثر ما اعتمد - كتاب « الادب المصري في العراق » لرفائيل بطي ... وله عذر في بعض الوجه ، ولكن العذر يضيئ اذا علمنا - مثلا - ان البصير ديوانا خاصا مطبوعا باسم « البركان » ضمنه ما قاله في الثورة العراقية ... وكان مناسب لو ان الطبعة الثالثة افادت منه واعتمدته - طبع « البركان » سنة ١٩٥٩ .

٤ - الاسماء التي ذكرت بعد اسم البصير استلها المؤلف من كتاب رفائيل بطي « الادب المصري في العراق » ولو رجعنا الى هذا الكتاب ندرس شعر هؤلاء ... لم نجد ما يضعهم تحت عنوان « الثورة العراقية » ... ينظر ما جاء عن « محمد الهاشمي » على وجه الخصوص ... ولدراسة شعر الاخرين يحسن ان نبعث عن مصادر اخرى لشعرهم ولتاريخهم .

٥ - قال : « محمد ابي المحاسن » والصحيح : « محمد حسن ابي المحاسن » واذا قصدنا الاختصار قلنا : « ابو المحاسن » ... لان الاسم من نوع محمد حسن قد يكون مركبا وقد يكون الاسم الاصلي هو حسن ويذكر محمد قبله تبركا .

ولنا في الاسماء المذكورة الاخرى ما يحسن النص عليه : محمد الباقر الشبيبي هو باقر الشبيبي ، ومحمد مهدي الجواهري هو مهدي الجواهري ، وان الاسم المألوف للبصير هو محمد مهدي البصير وان كان اسمه : مهدي .

٦ - ليس للزهاوي والرفاعي شعر مباشر في الثورة العراقية ... ونذكر كذلك مع الفارق ... محمد رضا الشبيبي (اي رضا الشبيبي) .

ص ٢١٦ - ٢١٧ : رضا الشبيبي :

١ - نقتون هذا العصر عصر هداية واجبر لو تدفوه عصر ضلالت وواضح ان « تدفوه » هنا يجب ان تكون « تدفونه » ولكن الوزن يحول دون ذلك ، وما مثل الشبيبي من يقع في مثل هذا .. ونرجع الى الديوان ص ١١٣ - كما اشار المؤلف فنجد :

تتلون هذا العصر عصر هداية واجدرو لو تدعوه عصر ضلالت والخطأ مطبعي .. كما يجب ان يكون .

٢ - خداع وكذب والافتراء وفسوة - ولطم - أهذا العالم المتضن ؟ اعتمد المؤلف رواية القصيدة كما نشرت ببسروت « البرق » . وفي الديوان ص ١٢٨ :

خداع وكذب والافتراء وفسوة - ولطم - أهذا العالم المتضن ؟ ومن الجائز جدا ان تكون رواية المؤلف عن « البرق » صحيحة و « الافتراء » من جنس الكلمتين قبله « خداع وكذب » - وحتى يخيّل الى القارئ انها ربما كانت « افتراء » . ثم ان المعروف ان الشيخ الشيببي لم يقدم شعر في الديوان دون تنقيح وحذف . ومع هذا - ومن باب المبالغة في الدقة - تحسن الإشارة الى اختلاف رواية البيت بين « البرق » و « الديوان » .
ص ١٩ : علي محمود طه :

« وما يذكر من قبيل التوشيح الجديد ... اغنية « الفندول » لعل محمود طه ... » ومعلوم ان رسم « الفندول » يقدم كما رسمه الشاعر وكما ثبت في ديوانه وكما شاع عنوانا لقصيدة عنها محمد عبد الوهاب اي : الجندول .

تبقى المشكلة بعد ذلك اكبر مما هي ، الا وهي مشكلة رسم الحرف الاجنبي الذي تبدا به الكلمة فلا الجيسم المصرية ولا اللين اللبنانية مما يحل المشكلة ... لانهما لا يتفقان واللفظ الحقيقي لهذا الحرف ... او اللفظ الذي يقرأ به العرب الرسم المصري والرسم اللبناني ... وفي العراق يستعمرون الكاف الفارسية الى الكاف بخطين وفي المغرب يضعون على الكاف ثلاث نقاط .

قول المؤلف « اغنية الفندول » يعني انها اغنية فقط وانها نظمت اغنية على حين انها صارت اغنية بعد ان غنيت ...

ص ٤٦١ - ٤٦٩ : فهرس المراجع حسب ترتيبها الهجائي :

من المعلوم ان الفهرس الهجائي يشترط ذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ... كما ورد عليه وبهيئته الكاملة ليسهل البحث عنه وليمكن ايجاده .. ولكننا لاحظنا تغييرا في الرواية :

١ - « ادب الحجاز » (مصر ١٩٢٦) الصبان .
الناسب ان نذكر السنة كما وردت على الكتاب نفسه (١٩٤٤ هـ) ومن ثم لنا ان نحولها الى السنة الميلادية ، او تقرّبها منها ، بين قوسين ، علما ان ١٣٤٤ هـ قد تكون ١٩٢٥ .

الصبان : محمد سرور الصبان لان المؤلف يعيل الى ذكر اسماء مؤلفي مراجعة كاملة .

٢ - « الادب في العصر الحديث » (بغداد ١٩٤٦) بدوي طبانة .
لاعرف كتابا بهذا العنوان ... ولكنني اعرف كتابا

بعنوان « نهضة الادب في العصر الحديث » ألفه بدوي طبانة بالاشتراك مع محمود ابراهيم ، كانت طبعته الثالثة ببغداد سنة ١٩٤٦ - وهو الذي سيذكره المؤلف - كانه كتاب اخر - في حرف النون من تسلسل مراجعه .

٣ - « الادب وتطوره » (القاهرة ١٩٤٨) احمد عبد الستار الجوزي .

اخشى ان يكون المتصود : الحب العبدري : نشأته وتطوره (القاهرة ١٩٤٧) احمد عبد الستار الجوزي .

٤ - « جبران » (بيروت ١٩٢٤) مخايل نعيمة .
ان مؤلف جبران نفسه رسم اسمه على كتبه هكذا : ميخائيل نعيمة . وليس من حقنا لدى الفهرس - فسي الاقل - ان نتصرف برسم الاسم . لقد جعل واضع الفهرس اسم ميخائيل : مخايل عندما ورد من كتبه : زاد المعاد ص ٤٦٥ و المراحل ص ٤٦٨ .

وورد عن اسماء المؤلفين الآخرين : مخايل صوابا ص ٤٦٥ ، مخايل مشاقفة ص ٤٦٨ .

٥ - « شعراء مصر في الجيل الماضي » (القاهرة ١٩٢٧) عباس العقاد .

العنوان الكامل : « شعراء مصر وبشائهم في الجيل الماضي » ... ولكلمة « البشائ » هنا اهميتها فسي منحه العقاد النقدي .

٦ - « فن الشعر لارسطو » (القاهرة ١٩٠٢) مكتبة النهضة المصرية .
الطبع ١٩٥٣ (ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ...)

٧ - « نهضة العراق الادبية » (بغداد ١٩٤٦) مهدي البصير .

الاسم الكامل « نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر » ... محمد مهدي البصير .

٨ - « الوجهة النفسية في دراسة الادب » (مصر ١٩٤٧) محمد خلف الله .

الاسم الكامل : « من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده » ... ومن هنا يوضع في تسلسل الميسم وليس في تسلسل الواو .

٩ - « وحي الصحراء » (القاهرة ١٣٥٥ هـ) ابن المقصود وبليخ .

الاسم الكامل : « وحي الصحراء - صفحة من الادب العصري في الحجاز » جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بليخ .

من اين ولماذا جاء الفهرس « بابن » هذه ؟؟

(٢)

عز الدين الامين - نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ، « القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٢

١ - ص ١٠٩ الانتحال

« وليست فكرة الانتحال في الادب الجاهلي هذه بالجديدة فقد سبق اليها امثال ابن قتيبة وابن سلام ... »
صحيح الانتحال : النحل .

والاولى تقديم ابن سلام على ابن قتيبة - اذا كانت ضرورة لذكر ابن قتيبة - لان ابن سلام اهم واسبق (توفي ابن سلام سنة ٢٢١ وابن قتيبة ٢٧٦) .

٢ - ص ٢٧٢ : المصادر والمراجع

« تاريخ آداب اللغة العربية » ج ٤ : جورجى زيدان
طبعة ثانية - مطبعة الهلال ١٩٣٧ .
الصحيح : جرجي ... ١٩٥٧ .

« تاريخ الادب العربي » : احمد حسن الزيات -
الطبعة الحادية عشر القاهرة .
الصحيح : الحادية عشرة .

« المستشرقون » : نجيب التميمي .

الصحيح : العقيتي (والخطا مطبعي) .

(٣)

« النقد العربي الحديث » تأليف الدكتور محمد زغلول سلام ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤ .

١ - ص ٢٤

Paul Valery صحيحها : Paul Valery (والخطا مطبعي كما يجب ان يكون) .

٢ - ص ٩٣

١ - « واشتهر بين النقاد والشعراء حماد وخلف ، وابن طباطبا وابن رشيق ، وقد انتصروا لهذا الاتجاه » .
والذي نوه عن هذه الطبقة الجديدة واشاد بها قال : « طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فغطت على ابي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالاحبار وتعلق بالابام والانساب ، فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات » ...
ان الذين امتدحهم الجاحظ هم ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات ومصطلح الكتاب معروف ... هم الذين يقومون بالكتابة في الدواوين ، والعلماء المذكوران يوضحان المصطلح ... واذن فليس الذين امتدحهم الجاحظ « ممن اهتموا بدراسات البيان » ، وليس الجاحظ منهم لان الجاحظ لم يكن كاتباً بالمعنى الاصطلاحي لعصره انه لم يمتدحهم ليكون منهم اسم او

ليكون على رأسهم . روى الخبر عن الجاحظ ابن رشيق في العمدة ليشتي ضمنا على « الكتاب » الذي يؤلف له كتابه وينتظر جائزته .

٢ - ص ١٢٨ « منهل الوارد في علم الانتقاد »

« ... يستعرض اهم النظريات التي اثرت في تطور النقد العربي ... فيتكلم - مثلا - عن كتاب دانتى ... ويشير الى تأثير النقاد في حركة « الكلاسيكية » والفرنسية خاصة مثل ديدرو وتيستيلان بآراء ارسطو في محاكاة الطبيعة » .

النقد العربي : النقد الغربي (والخطا مطبعي)

وبفهم من التلخيص ان ديدرو وتيستيلان ذكرا هنا بصفتهم ناقدى ادب لان الكتاب الذي يلخصه المؤلف يتحدث عن النقد الادبي ، ولاننا لدى التلخيص تأخذ ما هو في صميم الموضوع من اعلام ... ولكننا اذا رجعنا الى منهل الوارد نفسه ص ٨١ - وجدنا الامر مختلفا لانه ذكرهما بصدد « نقد الفنون » اي « نقد التصوير والنقش » قال - في معرض الحديث عن النقد الادبي الفرنسي في القرن السابع عشر - : « اما نقد الفنون في فرنسا فقد كان في القرن السابع عشر وقد بنوا احكامهم في نقد التصوير والنقش على نفس القواعد العامة في تقديم الفنون الادبية وينسب ذلك الى ديدرو ، قالوا انه اول من عرض الصور والتماثيل لنقد الناقدن في بوه منزله ثم كتب كتابه المترجم بالاباء Salons .. وقد فات هؤلاء . وذكر المصور تستيلان لفظة الطبيعة بمعناها المفهوم من اليوم فقال ان المذهب الذي يدعوته مذهب الطبيعيين يفرض وجوب محاكاة صنع الطبيعة في كل شيء انهم المحاكاة .

ومنذ يومئذ ابتداء عندهم النقد الحقيقي للصناعات الجميلة ... عندئذ بلغ النقاشون والمصورون مقاما من البراعة والاتقان ورسوخا في معرفة هذين الفنين لم يبلغها من جاء بعدهم من دعاة ديدرو واشياعه » .

ثم عاد الى الحديث عن النقد الادبي في القرن السابع عشر (وهو عصر الكلاسيكية) ومن كلام مؤلف منهل الوارد لاحظ :

١ - انه ذكر ديدرو (او ديدرو - كما يسميه) ليصف من شأنه ولبين ان نقد الفنون وجد قبله .

٢ - معلوم ان ديدرو من اعلام القرن الثامن عشر ، وذكر هنا على انه ناقد فنون ولم يذكر على انه ناقد ادبي . وهو على اي حال ليس من نقاد الحركة الكلاسيكية لان نقاد هذه الحركة جاؤوا في القرن السابع عشر (قبله) .

٣ - تستيلان مصور ... وليس ناقدا ادبيا .

٤ - لم يرد ذكر ارسطو وكتابته في الشعر ... وانما وردت « لفظة الطبيعي بمعناها المفهوم من اليوم » .

٤ - ص ١٦٨ « المازني »

عودة المواقف المنسية

وترى الجو مطير
الريح صرير
البحر ما عاد هدير
والصافير تطير

الفيب تقتال السكون
وعدها مزن هتون
كالهمس الحنون
في كل الميرون

في خيالتي الخجولة
بأعماقي الطفولة
قد مد ذبولة
ومطايانا ذلوله

سلافة العامري

تجسب العلم انتهى .. فالدرب خال
ويشق الجلد اعصار ففي سمعك
وتقول : العمر ولى ، وهدير
تهرب الايام منا يا صديقي

واذا ... عينان تاتين من ضمير
واذا الدهشة في الاحداق تسري
وترف البجعة البيضاء في الافاق
ويصير الطفل في اعماقنا يسدج

ويطل الموسم المنسي وعسا
يا حبيبي هكذا عيناك قد احييت
فالمسافات تداثت وصدي صوتك
وخطانا في طريق الشوق عجلي

دمشق

المعاصرة ...

لا حاجة الى كلمة « الحديث » في وصف المنهج العلمي لاننا في قرن وتين في قرن ، والحديث يختلف في القرنين .

صحيح ثلاث عوامل : ثلاثة عوامل (وهو مما يرد الى الخطأ الطبيعي) العوامل الثلاثة هي - وكما ذكرها طه حسين نفسه في مقدمة كتابه « في الادب الجاهلي » : الجنس والبيئة والزمان - والمناسب ان نتقيد بكلام طه حسين لدى الكلام على طه حسين - في الاقل .

٧ - ص ٢٧٠ « سنت بيف »

« اما سنت بيف (١٨٠٤ - ١٨٦٩) فقد بنى منهجا آخر في النقد يخالف منهج تين ويعتمد اساسا على درسه الشاعر او الاديب من جوانبه المختلفة من حيث عائلته ، ووضعه الاجتماعي والتاريخي ، ونقائمه وانكساره ، او آرائه وفلسفته ... وقد ساعده عمله كطبيب على هذه الدراسة .. »

من حيث عائلته .. او آراؤه

قولنا « وقد ساعده عمله كطبيب على هذه الدراسة » يؤكد في شدة مزاوله الطب مهنة ، ويبدو ان هذا لم يقع ، واذا وقع لم يجر على هذه الدرجة لان الرجل خاض حياة عصر عموما والادب منه خصوصا ، مبكرا ومستمر ، مما لا يدع له وقتا لمزاولة الطب .. واذا يذكره مترجموه الفرنسيون في تاريخ الادب يكتفون بالقول : درس الطب ... وهو الاولى - اذا كان لا بد منه ..

علي جواد الطاهر

جامعة بغداد - كلية الاداب

« كذلك استمرت هذه الحملة فيما القوا من كتب

النقد مثل كتاب « الشعر غاياته ومذاهبه » و « حقائق ابراهيم » للمازني ... »

الانساب ان تقول : مثل كتاب « حافظ ابراهيم » و « الشعر غاياته ومذاهبه » لان كتاب « حافظ ... » اسبق من كتاب « الشعر ... » لقد بدأ بنشر مادة « حافظ » على شكل مقالات عام ١٩١٣ ثم اصدره في كتاب عام ١٩١٥ وهو العام الذي اصدر فيه كتاب « الشعر ... »

٥ - ص ١٩٨ « الديوان »

« اصدر المازني مع العقاد كتاب « الديوان » في جزئين صدر الاول منهما في فبراير والثاني بعده بقليل سنة ١٩٢١ ... »

الانساب ان تقول : اصدر العقاد والمازني كتاب « الديوان » ... لان اسم العقاد مقدم على اسم المازني في كتاب « الديوان » ، ولانه يحتل القسم الاكبر من الكتاب . اما في تاريخ الجزئين فالانساب ان تتبع روايات محمد خليفة التونسي - وهو المختص بالعقاد - وقد ذكر ذلك في هامش ص ٢٥ من كتابه « فصول من النقد عن العقاد » فقال : « ... طبع اولهما في يناير والثانيهما في فبراير سنة ١٩٢١ واعد طبعهما بعد شهرين » .

٦ - ص ٢٦٩ - ٧٧٠ « طه حسين وتين »

« ويعتبر تين ابرز النقاد الذين استخدموا المنهج العلمي الحديث في الدراسة الادبية باعتبار ان الادب نتيجة لثلاث عوامل هي : البيئة ، والجنس ، والثقافة



من اراد الموت تعشقه
الحياة ولا تفرط فيه ابدا،
ومن اراد الحياة بطارده
الموت ومن اراد الحب
وجد البغضاء ، ومن اراد
البغضاء وجد الحب .. ومن
كان متفائلا تكالبت عليه الكوارث
وامتدت يد الحزن تتناول وجهه
بالصغاف وتخييم على حياته المشاؤم
ومن كان متشائما يجد الحياة تفتح
له ذراعيها مرحبة به ، ويوحى حوله
التفاؤل من كل جانب .. الرابسي
يرى ما لا يرى، ولا يرى ما يمتنى ..
بين المتناقضات ضائع تائه .. يبعثر
العمر بحثا عن هذا بينما ذاك ملك
يمينه لو تربت وفكر وتفتح عينيه على
سمعتها وابطا خطاياه وكف عن العدو
وتأقلم واقلم ما يحيط به .. يمكنه
اسعاد نفسه ونوال كل مبتغاه .

كانت هذه الفلسفة النظرية التي
يعتنقها شعبان بعد طول معاناة ..
ذات يوم كان يريد الموت ويتمناه لكن
الموت وقف بقلته وهو راقد في فراشه
بعد اجراء العملية الجراحية .. وقف
الموت ينظر اليه متملقا بشغفه ..
مخرجا له لسانه .. تمناء شعبان
والآخر يبتعد ويبتعد .. ثم بدت منه
وبمثلته قلبه بالامل في ان يغمض عينيه
الى الابد .. ذنا الموت امعانا في اغاضته
وانعطفت على السرير الجاور لسريره
فاخذ شابا في العشرين كانت علته
اخف من علة شعبان .. وكان الشاب
على شفا مبارحة المستشفى سليما
معافى ..

اراد شعبان الحب فوضع نفسه في
الشركة تحت امر جميع عمالها يقدم
اليهم خدماته .. يطلب بحقوقيهم
المضومة .. كان كفاحه معروفا
للجميع .. بذكر يوم حرر الشكاوي
لصرف بدل طبيعة العمل .. كاد يوهما
يساق الى السجن وهو يدبح الشكاوي
لكل الجهات المسؤولة .. استدعي
في قسم الشرطة والتي عليه التهديد
الوعد بعدم العودة الى مثل ذلك
والا فالعقاب هناك في عالم اخر خلف

الشمس حيث عذاب لا تشهده عين،
وحياة مملوءة بالأس والشفاء . نجح
شعبان اخر الامر في الحصول على
حق ضائع من حقوق العمال ..
اشتهر وذاع صيته وكان ان لقبوه لدابه
على المطالبة بالحق « مشاقبا » ..
ظن انه كسب حب وتقدير العمال
جميعا وقد ملا لهم جيوبهم بالمبالغ
المجدة التي تم صرفها .. شجعه ذلك
على ترشيح نفسه لعصبة النقابة في
الشركة .. وكان الفشل نصيبه ..
ومرة اخرى وجد البغضاء عوضا عن
الحب الذي تمناه ..

كان طول عمره يشعر بالنعاسة ..
لا يحالفه حظ على الدوام .. اغتلت
روحه .. فندت تشاؤمية سوداء ..
انعكس تأثيرها على تصرفاته ..
فهو مرح والابتسامة الباهتة مرتسمة



بقلم جمعة محمد جمعة

دائما على شغفه .. حركاته غريبة
وكلها مزاح وتهريج .. كان يخفي ما
يجع به صدره من تشاؤم وخوف
وترقب للايام ..

حاول ان يكون مرحا لكن المحاولة
تبدت وكان ان فكر في تغيير دفة
حياته كلها .. فكر في الزواج بدلا من
العزوبة .. وفكر في ان يعيش لنفسه
لا عيب في ان يكون انانيا .. ولا عيب
في ان يكون وصوليا .. ولا عيب في ان
يحتفظ لنفسه اولا بالنصيب الوافر
من كل شيء .. لا عيب في ان يختطف



اللحمة من فم غيره .. فوجيء وانتابته
الدهشة وهو يرى الحظ يد له
ذراعيه لاحتضانه ، وبسطة له الحياة
حبا وازدهارا .. تشجع وتقدم للزواج
من العروس التي اختارتها له امه ..
راى في ليلي توام روحه كانه خلق لها،
وخلقت له .. تاكدت معلوماته بان لكل
رجل امرأة فصلت لتكون على مقاسه .
تكمل ذاته وروحه وقلبه وفكره ..
تاكد له ان الانسى مكلمة للرجل ،
والرجل متم لها ، ولكل رجل معين
انته المعينة .. ها هو بعد الثلاثين
يجد اناته في انتظاره .. لو تعجل
وتزوج قبل ذلك الوقت لكان انعس
الازواج .. لكنه انتظر اوانه بصبر
وجلد ومقاومة عنيفة لرغبات امه
وذويه .

تذكر شعبان كل هذه الخواطر وهو
يحاول اشفاء روح التفاؤل على روحه
المرهقة من طول المعاناة .. بدأ يتطلع
الى طول العمر فقد امتلات روحه
بحب البقاء فوق الارض لا في احشائها
بدأ يتطلع الى الحب فوجده من ذويه
واسدقائه وزملائه .. كان موضوع
زواجه مشرا للجميع .. خاصة في
الشركة اذ كان يمثل زعيم العزاب ..
وقد بدأ الزعيم يترك مكان زعامته ..
وكان ان جاؤوا اليه جميعا ساعين
منتقلين من العاصمة الى البلدة
لمشاركة زعيمهم الفرقة بتخليه عن
مقعد الزعامة عن طيب خاطر ، وكان
يقال للتهريج انه كزعيم العزاب اغتالته
امراة .. فيضحك ويقول :

— كلكم الى مصيري ذاهبون ..
لا مفر ..

تطوع اسدقاؤه وعلى راسهم
صبي باحضر الفرقة الموسيقية
والراقصات على نفقتهم الخاصة تحية
له في ليلة تنحية عن مقعده زعيما
للعزاب .. كان ذلك يوم الخميس
المهود من شهر اغسطس .. يوم
هبت البلدة كلها ترقص على انغام
اغنية راقصة الفوا كلماتها ووزعوا
لحنها وتغنوا بها « الليلة فرح شعبان » .
تذكر وكله فرح وسرور نظراته

احمد الراض للحياة في ليلة بدء
الحياة لخاله شعبان عاتقة بطة الفرح
الجديدة ..
كانت وقفة شعبان طويلة مع
اصدقائه ساعة عادوا في منتصف
الليل ليكونوا الى جواره في محنته ..
جلسوا يبثونه الشجاعة ويفرسون في
روحهم العزيمة والامل .. اعادوا اليه
الارادة المسلوبه .. وقد هالهم الانهيار
الذي كان يعانيه وهو يردد كيبناه :
- حظي سيء .. اعرف حظي ..
ليس لي حظ ..

امسك صبحي بلدراعيه وابعد عن
مسرح الاحداث وتغلوا في الحقول
في ليل صائف متع .. نسمت الهواء
تعبير الوجه تاركة عليها اثارا جميلا ..
الحديث يدور حول مآسي الانسان
منذ وجد على الارض .. كلما ذهب
بهم الحديث الى ابعد عاد بهم شعبان
الى مسرح الاحداث مبديا عجزه عن
تخيل تلك اللحظات الرهيبة المبهية ..
شيئا فشيئا بدأ شعبان يشعر بانه
ليس وحيدا في هذا العالم الفسيح ..
وحوله اصدقاؤه يخرجون به من داخل
نفسه .. تبدد شعوره بانه وحده في
هذا العالم اليائس الضائع .. كانوا
حوله يهتفون عليه محنته بالقياص الى
محن الناس .. ويخففون من احزانه ..
يقص كل منهم بعض مآسي حياته ..
ففي حياة كل انسان فوق ظهر
البسيطة مأساة ، ولا تخلو الحياة من
الاماسي الا اذا خلت المتناقضات وهذا
هو الحال بعينه ..

اشرق صباح الجمعة وهم جلوس ،
وقد تبدد شبح الليلة الماضية غوصا
الامر عاديا يحدث كل يوم وفي كل
مكان .. كان غريبا على شعبان نفسه
ان يشعر بشغفه تنفرجان .. ولبس
فوقهما ائسامة تستقبل شروق يوم
جديد .. ضحك على نكتة صبحي
اللاذعة التي شلت الضحكات من
الصدور ، اتسع صدر شعبان
وصبحي يقول له مردفا بعد النكتة :
- اهم شيء انك وقعت في الخية
با زعيم .. وقمت العقد ودخلت

الى ليلي عروسه .. لا يصدق انه كان
في تلك الليلة عريسا يجلس الى جوار
انثاء ، وبعد قليل ستكون زوجته
شرعا وقانونا .. امتلا بالافتتباط
لتلك الفكرة التي نفذها .. تكرة
الزواج .. نفزته وهو في قمة سروره
غصة تشاؤمية حاول كبتها بالعوض
على النواجذ .. نظر الى ليلي وملا
عينيه من فتنتها وروقتها .. محاولا
ابعاد الفصة عن تفكيره حتى لا تفكر
صفو روحه .. شغل افكاره بفرحة
امه وابيه واخوته واقارب .. نظرا الى
احمد ابن خاله وهو يصل ويجول
كالديبان وكاد يقول له : « يا واد
احمد .. الليلة طويلة والفرح لم
يبدأ بعد » .. وكاد يقول لاهه المعجزة :
« يا امي خفي من شدة فرحك على
قلبك ثلا تتوقف نبضاته » ..

كاد يرى في عيون الناس مكانا
جديدا مرموقا .. رآه مقعد زعامة
آخر .. سيكون هذه المرة زعيما
للمتزوجين .. فالجميع حوله لا شك
انهم سيتابعون حياته يوما بعد يوم ..
سيشهدون سعادته ويرقبونها
منطين او حاسدين .. سيكون مثلا
لرعاياه السابقين في دولة العزوبية
يقتدى به .. سيهرول العزاب جميعا
للحاق به .. سيحل جزءا من مشكلة
الفتيات اللاتي يفتشن باحثات عن
الرجال ..

توقف الركب الملول وسط زغردة
طلقات الرصاص معلقة الحرب ..
كانت حقاً اشبه بالحرب .. وتحولت
ليلة العرس الى غارة .. اطلقت على
اثر انطلاق صفاتها الانواء وسقط
احمد مضرجا في دمائه .. واصاب
البشر جميعا وجسم معتم كسى
الملابس الزاهية بالسواد ، وتغيرت
دموع الفرحة في عيون النساء حائلتين
التراب على وجوههن .. وارتفع دوي
الصراخ ملء الافواه ..

زغردت غصة التشاؤم في قلبه ..
وطاردت كل المشاعر الدافئة وتلججت
الدماء في اورده وشرايينه .. ونقط
دماء حمراء لزجة قذف بها جسد

القلمة .

سال شعبان باسم :

- اي قلمة ..

ضرب صبحي يمينه بطن يساره
كمادته كلما تاهب لقول حكمة او قول
مأثور وقال :

- الزواج يا بني كالقلمة .. من
بداخلها يحاول الخروج منها ومن
بخارجها يحاول الدخول اليها .. ها
انت دخلتها يا حلو ..
ضحك شعبان قائلا :

- والله ما شعرت بشيء يا
صبحي .. جذبني سرور من ذراعي
ولا اذكر كيف وقمت ولا ما قيل وما
رددت ..

اقترح صبحي لابعاد شعبان عن
البلدة فكرة طرحها قائلا :

- ما رايت في ان تصحبنا لزيارة
السيد البدوي .. وتساغر معنا الى
القاهرة حتى تنقضي ايام الحداد على
ابن خالك .. ثم تعود ..

قال صديق اخر محيدا فكرة اخرى :
- المفروض ان يذهب الى عروسه
ليزيع عن كاهله عبء احداث الامس ..
ضحك صبحي وهو يدفع شعبان
امامه الى بيت العروس قائلا :

- برافو .. فانتى ذلك .. اول
اعمالك في القلمة باطل المشاركة ..
هيا ..

ودع شعبان اصدقاؤه ، شعر بضوء
الشمس يخرج به من ظلمات ليلته
البارحة .. رقص قلبه بين جنبات
صدره وهو يتذكر وجه ليلي الملتئ
بالفرحة .. وقدميه سوقاته الى بيتها
وصهره بلقاء مرحبا ..

وما ان جلس اليها حتى نسي كل
شيء .. الدنيا وما عليها .. الارض
وما فوقها .. وحده الله انه تمكن
من عقد القران .. وما عليه بعد ذلك
الا ان يؤدي واجب العزاء في ابسن
خاله .. وحياته امام عينيه لها
اهميتها الخاصة .. وليلى تضم يديه
في حنان وحب ، ويطل من عينيهما
بريق الامل .

القاهرة محمد جمعه

يفتدي البنات قبل ان يحكم عليهن بالواد ساعة الولادة.
هذا بالإضافة الى اب عرف بالمرؤة والكرم هو غالب التميمي
الذي يشير اليه الشاعر في الابيات التالية وهي من اروع
شعره :

وربك كان الربيع تطلب عندهم لهارة من جذبها بالعصائب
سروا بيطون الليل وهي تلفهم الى شمس الاكوار من كل جانب
اذا آمنوا نارا يلقون لينهسا وقد خصرت ايديهم نار غالب
ودليل اخر على روحانيته الطيبة ، هي تلك القصيدة
التي نظمها في الدفاع عن زين العابدين احد احفاد الامام
علي وقد ضمنها الكثير من المناقب الدينية التي كان يتحلى
بها صاحبه .

وليس قولك من هذا بشائره العرب تعرف من انكرت والمعجم
على ان اسقط البراهين على انسانية هذا الشاعر لا
تنحصر في ما قاله دفاعا عن انسان من اهله او اصحابه بل
في تلك التضاد التي نظمها في الدفاع عن الذئاب الفارسية،
التي يتهمة الناس بالخيانة والفدر والتي عرفت بعدو
الانسان الاول ، في دنيا البداوة . حتى ان الكتب السماوية
جميعها متفقة على ان الذئب حيوان شرير لذلك يعرف
المشرعن من الناس عندمعظم الطوائف بالرأي الصالح . وقد
جاء في القرآن الكريم ان ابناء يعقوب طلبوا الى ابيهم ارسال
يوسف معهم في رحلة الى مصر بقصد الاتجار « قال اني
ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب واتم عنه
فأقولن » . قالوا لمن اكله الذئب ونحن عصبنة انا اذا
لخاسرون .

ان الشهرة التي اكتسبها هذا النوع من السباع
الضارية لا تعود الى قوته ، وانما تعود الى طبيعته الفارسة
فهو لا يتورع عن الفلك باخيه عندما يشتد به الجوع وفي
ذلك يقول الفرزدق :

وكنت كذئب السوء لا راي دما يصاحبه يوما احال على الدم
ويذكر الجاحظ في كتاب الحيوان ان الذئاب قد
تتهارش على الغريسة ولا تبلغ القتل فاذا ادمى بعضها
بعضا وثبت عليه فمزقته واكلته واذا دمي الانسان وشم
الذئب ربح الدم فما اقل من ينجر منه وان كان اشد الناس
بذنا وقلبا واتهم سلاحا . ثم ان العرب تزعم بان الذئب
ينام باحدى عينيه وذلك فيه من حاق الحذر والى ذلك
يشير ابن نور الهلالي .

ينام باحدى عينيته ويتنفس النابا باخرى فهو يلقان نابه
وجاه في كتاب كليله ودمته لابن المقفع ، على لسان
الغراب وابن اوى ، ان الاطباء يقولون :

« من اراد قتل نفسه فلياكل لحم ذئب . ومن
النواد التي تروى للتدليل على غدره هي حكاية ذلك
الاعرابي الذي كان مارا في حقل معشب فرأى سرحاننا
صغيرا لا يتجاوز عمره بضعة ايام فاحتلم الى بيسته
وارضعه من شاة له حلب ليدفع عنه غائلة الجوع وكان
انه عندما كبر وبلغ اشدده وثب على مرضعته تلك واكلها



وديع ديب

انسانية الفرزدق

بقلم وديع ديب

سرعان ما يذكر اسم الفرزدق ، حتى يتبادر الى الذهن
انه واحد من ثلاثة شعراء ، عرفوا بالثلاث الاموي لا لانهم
من عصر واحد فحسب ، بل لان الظرف السياسي كان
قد جمع بينهم في رابطة تتعدى حدود الشعر الى ما يشبه
الندوة السياسية ، من حيث حاول كل واحد منهم ،
ان يرتبط بحزب معين ، او فئة معينة يدب عنها لسانه
ما اسغفه البيان واتقادت له الحجج الدائمة . وقد كان
الاخطل التغلبي مقيدا بسياسة بني امية الذين اصطنعوه
شاعرا لبلالهم ، في حين بقي جرير والفرزدق بتأرجحان
في سياستهما بين هذه وتلك . وكان ان نجم من هذا
الصراع القلمي بين شعراء الثلاث الاموي شعر يرتكز على
الحوار العاطفي الذي قلما يخضع للمنطق او يعمل به .
وقد عرفت هذه التضاد بالتناقض ، ذلك لان غاية الشاعر
من الرد على صاحبه ، كانت تقوم على نقض اقواله بما
يشبه تكذيب الارجاف بشده . ومع ان الفرزدق كان
افحش قولا من صاحبيه غير انه كان لا ينتكر لانسانيته
ولا يتعمد عن الروحانية الجديدة التي اكسبه اياها الاسلام
في سماعته الطيبة . وقد زكاه شعور عميق بانه يتحدر
من محتد كريم . فهو حفيد صمصعة التميمي ، الذي كان
من اشراف عشيرته في الجاهلية والذي عندما اشتد
الحقظ على قبيلته ، بني تميم ، وفشا الجوع فيه راح

وزعت عطرك

فما لشجوك ، يا نيساني ، سبب
والزهر زهرك ، كيف العطريتهيب

من الهوم شعاع مدنف تصب
والبشر مبتسم ، والحزن مكتئب
أذراح زهرك يذكي وهمه الغضب
فما له بات ، من يومين ، يصطبغ
وما وهيت بلا حرص ، وما أهب
ولا اثنتيت بزهر الروض لي أرب
ودا بسود ، فلا ينسو به أدب

نفسى ، شان فؤادي كاد ينشعب
قد تنكر اليد ما تسخو به السحب
فلا عتبت ، ولا أدماني العتب
وفي كرامة نفسى ، من أذى ، لهب
فمن أحب رحاب أئت اقترب

فوزي عطوي

انت الكبيرة ، انت النبل ينسكب
وزعت عطرك في الدنيا ، فلا تسلي

كان الربيع خريفا ، يوم سامرني
حتى مرتت به ، فالروض مؤثلق
نهلت أطيب أيامي . فوا حرقسي
انميت في الروض زهر الروض مرتفقا
لمل ذنبي ما ادرخت من غزل ،
ما لامتت نروة حيا حيث له
فكان ايسر حقي ان يسادلني

سالت نبلك ، لا تاسي اذا انتشعبت
ما همني أن زهر الروض انكرني
الذنب ذنبي . ليت الحزن دمروني
عهد علي ، وبني من لوعتي حرق
ان عنك لم اغترب ، حيا وتكرمة

ARCHIVE

تلمسنا حتى اتانا ولم يسزل لمن فطمته امه يتلمس
فقايمته نصفين بيني وبينه بقية زادي والركائب نصي
فهل رايت كيف تأخذك الشفقة في امر هذا الذئب
الذي ما عرف طعم الشبع منذ ان فطمته امه . وهل رايت
كيف يستدرجك الشاعر الى مشاركتك في الحذب على هذا
الضيف السائب اللاغب ؟ تلك هي انسانية الفردق التي
لا يجاربه فيها احد من شعراء عصره وربما من شعراء
العربية على الاطلاق . هذا ويحسن بي في ختام هذه
الكلمة ان اترك بين يديك احدى حكاياته الرائعة لتقرأها
انت وتستمتع بها دون اي ايهاء خارجي :

واطلس عسال وما كان صاحباً
دعوت بنيادي موهنا فانا
فلما دنا قلت ادن دونك انني
واياك في زادي اشتريكان
فيت اسوي الزاد بيني وبينه
على سوء نار مرة ودخان
وفلت له لا تكثر صاحكا
تكن مثل من يا ذئب يصطحبان
ولو غيرنا نهبت تلمس القرى
اتاك بسهم او شيشة سنان
وكية القول فان مثل هذا الادب لجدير ان يبقى على
الدهر وان يمثل هذا الشعر وحده ، بتجه الانسان نحو
الخير الذي لا يميز بين مخلوق واخر حتى ولو كان من
الحيوان .

وديع ديب

فقال الاعرابي مخاطبا ضيفه الغادر :

عقرت شوبهتي ولفجت قلبي
وانت لثاننا ولد بريـب
عقرت شوبهتي ودرسعت منها
فمن اتباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع للـب
فلا لبن يلبس ولا حليب
على ان الفردق برغم ما ترامي اليه من حكايات
غدر الذئاب ، فانه ظل فريدا في موقفه وتفكيره وكان به
بعل الذئب في عدوانه ، طالما ان القضية هي قضية جوع
قاتل وبالتالي قضية موت او حياة . ولعله رمز به الى
سياسة بني امية بالنسبة لآل البيت العلوي . وقبل
الفردق كان امرؤ القيس وهو من سراء قومه ، قد وجد
للذئب عدرا في طلب الرزق ولو بالكر والخديعة حيث يقول:
وواد نجوف العيسر فقر فطمته
به الذئب يعوي كالخليع العيسل
فقلت له ما سوي ان شاتنا
قليل الفنى ان كنت لا تعول
ومهما يكن من امر فان انسانية شاعرنا الاموي تطل
عليك من خلال ابيات نظمها في اطار قصصي تناول فيها
حكاية هذا الذئب الجائع الذي جاءه طارقا في ليل ، فكان
ان اخذته الشفقة عليه ، فاذا به امام هذا الضيف الضاري
وجها لوجه ، وامام واقع الدنيا التي لا تفرق في قسوتها
بين انسان وحيوان . اليك هنا كيف يلخص هذه الحادثة
الطريقة بطريقته الخاصة :

وليلة بتنا بالغريسن صافنا
على الزاد مشوق الدراعين اطلس

فيه من جمال العرض ، وجمال اللغات ، ورقة المآخذ ..
ثم تركته قرابة شهرين .. وقد نويت ان اكتب عنه فسي
« حصاد السنين » .. مؤثرا هذه الكتابة على ما لسدي
من كتابات اخرى واجبة الاداء ... وما كدت افرغ اليوم
من بعض تلك الكتابات .. حتى رجعت اليه .. لا امل
قراءته من جديد .. ولن امل هذه القراءة ، حتى بعد
ان افرغ من الكتابة .. لان هذا التشويق والتجيب هما
من اشد واجلي صفات هذا الشعر ، الصادق ، الجميل .
ومعالم حياة الشاعر .. يمكن ان تلخص في كلمات ..
فقد ولد في حلب عام ١٩١٣ .. من اسرة متوسطة الحال ..
معروفة بالادب .. واتم دراسته الثانوية ، ثم عمل
بالتدريس ، بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٤٦ .. ثم نقل بناء على
طلبه الى وزارة الداخلية ، حيث عين مديرا لمطبوعات
حلب واذاعتها ، ثم مديرا لاحدى النواحي .. حتى سرح
من الخدمة عام ١٩٦٠ ..

اما عن الشعر فقد نظمه صغيرا ، وهو في الرابعة
عشرة .. ونبع فيه .. وكان يرسل الشاعرين الكبيرين
ابليا ابو ماضي في المجر الامريكي ، وجميل صدقي
الزهاوي في العراق .. كما شارك في الحركة الوطنية في
بلده .. وادلى بشعره في المناسبات العامة ، مع صديق
عمره الشاعر الكبير عمر ابو ريشة ..

ولا تبقى سوى حياته الخاصة ، ويتبين انها حياة
هادئة كريمة .. لولا ما نقصها من امرين .. فاض منهما
ذلك الشينوع الشر ، الذي افاض على شعره جمالا، وصداقا،
بلغ بهما في التأثير مبلغه .. أحدهما انه رغم سعادته
العائلية ، فقد حرم الولد .. وكثير من الناس ، ومسن
الشعراء ايضا ، من حرم الولد في حياته ، ولكن ليس
منهم من عبر عن ذلك بالصدق الذي عبر به الشاعر عمر
ابو قوس .. والثاني انه بعد ان ترك خدمة الحكومة عمل
في التجارة ، واشتغل بزراعة القطن فخر ، وركبه دين
ثقل .. وقد رحل في بعض فترات حياته ، هي في ظنني
هذه الفترة ، الى بعض البلاد العربية ، بعيدا عن اهله،
وبلده ، محالا ومناضلا في سبيل تحسين حالته المالية ..
ولكنه لم يصل في ذلك الى ما اراد ..

وحرمان الولد ، هو الالم الشديد ، الذي حز فسي
نفس شاعرنا .. فتحمله في صبر جميل ، اراه من اعلى
مكارم الاخلاق الانسانية ، التي يوجبها المرء في هذه
الحياة .. فهو محافظ على حياته الزوجية ، وفي لصاحبه
الوفية ، متحمل قسوة الاقدار بنفس راضية ، متخيل
في كل لحظة من لحظات حياته ذلك الامل المشهود .. الذي
طلبه وتمناه .. منذ شبابه .. متمثلا في تلك الصورة
التي علقها على الجدار ، تجسم له ذلك الحلم .. حتى
اذا ابت عليه الايام ان تحيله الى حقيقة .. انزل الصورة
ذات يوم من فوق الجدار .. واحرقها ..
بقول في قصيدة « الصورة المحرقة » ..



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

شاعر من حلب

لم اشعر بسرور حقيقي ، وانا اقرا ديوانا من شعر حديث
او شعر معاصر ، كما شعرت بالسرور وانا اقرا ديوان
« بعض اشعاري » .. لشاعر حلب المطبوع ، الأستاذ عمر
ابو قوس .. الذي تفضل ، فارسل الي نسخة منه، تحمل
روحا طيبة من الصداقة ، والود ..

وسبق ان قلت انني لا اريد ان اقصر الحديث كله
في « حصاد السنين » ، على ما امرضه عادة من بعض
اشعاري .. فلا بأس اذا من ان نجعل هذا القتل من
الحصاد .. للحديث عن بعض اشعاره ..

والشاعر ابو قوس .. ليس شابا .. ولكنه شاعر
ناضج ، انضجته السن ، والتجارب .. وعاش حياة
مثالية ، كما تبينت من شعره ، قلما يحياها شاعر
معاصر .. وقد احاطت به المحن القاسية في اخص شؤونه
العائلية ، كما ركبه الديون الشديدة في شؤونه المالية
والمعاشية .. ولكن ذلك كله لم يؤثر على شخصيته
السليمة ، وروح الرقيقة ، وعصره الطيب .. فظل
يقبض شعرا انسانيا ، مهذبا .. ينبع من القلب ..
فيسري صافيا الى القلوب ..

وصلني ديوانه في منتصف رمضان .. فكان هدية
الصفاة والاخاء .. ورحت اقروءه مشغوبا به ، متأثرا بما

يقول الشاعر .. في مطلع قصيدته « الصورة
المسحورة » :

طفل رضيع ضاحك ابدا يرتو الي بوجهه التفسير
علقه فوق الجدار .. على عهد الشباب الزاهر العطر
ومكثت ايامي اشاهده وادى به امنية العسر
ومتضي الایام .. وتشكك الشاعر في نظرة هذا
الطفل وابتناسته :

ومضى الشباب كانه ليج تهيى الى امسك متحدر
والطفل يفحك حين ابصره فيزيد في همي ، وفي فكري
انراه يشمر بي فيضحك لي ام قد كبرت ، ورايت بصري
واستيقظ من نومه ذات ليلة .. فرأى زوجته وهي
تحلم .. كيف صور حلمها هي .. ذلك التصوير الرائع
الجميل ..؟

وافلت اسم من الكرى تعبا فكانني اقبلت من سفر
متذكرا ما سر من عسري فوق الطريق الموحش الوعر
وبجانب عسري ممددة والنوم يحلها .. الى القصر
حيث الصغار البهجة قد ملاوا زاهي الحيا ، اشقر الشعر
فترى لها من بينهم .. ولدا ونص فيه بنشوة الظفر
نفسه ، وتشمعه فرحا حتى اذا ما استيقظت رجعت
ذلك حلم زوجته في منامها .. فكيف كان حلمه
هو .. في يقظته ؟

والعروبة عيناى من حزن بالنعيم ، لم جرى على الاثر
ونظرت ناحية .. فطالمني وجه الربيع الضاحك النضر
ورأيت به ينظر فيظنني متقلبا .. من قبسة الجدر
ويهد لي كفيه .. بهتجعا في عامه التواهي .. ويهشني
حتى استوى مثل ابن عاشره ونذا الي .. وكنت احبه
ام ان بي مسا .. يعاونني والحق ليس ككاتب الصور
ماذا قال هذا الطفل التخيل لايه .. بعد ان كبر

وترعرع وبلغ العاشرة .. في لحظة ؟

ايناه ! اني جئت متسلدا اولست طول الدهر منتظري
قد عوقنتي عنك عاقلة فنأى المزار ، وطال بي سري
ثم اتحدت اليك يا ابني عجلان ، عيس عوالم ، اخر
يقول ابوه :

فصمتني للسدر مبتجعا ونفست في انفاسه نفسي
ابني ! شوقي لا يقاس به ابني ! اني قد جررت على
لما حبستك ظلالا ، وابني وبكيت من فرح به ، وبكى
والدور ، بكسر الدال المشددة .. جمع درة ، وهي
الدقة من المطر .. ولكن ما بنا ذلك الان ، فان طفل الخيال
يرجع صورة كما كان ..

لكنه يرتد .. مبتسدا عني .. ويرجع مفتر الصفر
ابني ! لا تبعد من النظر عني خيبر منتظر ، ومنخر
وفسدا .. كواحدة من الصور وبصمت عينا .. كالخجر
عينا فالتفتان لي ابدا لا شيء يصحو صفحة السدر

فوق الجدار .. ومنذ ايام الصبي علقت صورة حلمي المشهود
نهر ، ومزرعة ، وبيت قائم ما بين اشجار ، وبين ورود
وصيبة حسناء يلهو حولها اولادها .. من يالغ ووليد
وعلى ضفاف النهر يجلس زوجا يرتو الى افق اضر ، بعيد
علق هذه الصورة ، التي تملؤه بالامل ، على جدار
بيته .. ثم راح يضرب في فسيح الارض محاولا تحقيق
ذلك الامل :

ومضيت في عهد الشبية سالرا فوق الطريق سائرا
وتفصيت قصاي من اشواكي ، ومن صخر اسم صلود
واتا حديد الطرف ، مشدود الخطى اطوي المدى ، واسير سير عني
والحلم بعيد .. كلما دانيته فيزيد في همي ، وفي تسهيني
ومضى الشباب ، وسلخ من عمره قرابة الخمسين
من اعوامه .. ولم يتحقق حلمه .. ورأى رفاق رحلته
يسبقونه بلين ناعم ، وراء جم .. وتذكر الصورة ، فانزلها
من الجدار .. وراح يتأملها ..

ومضى الشباب .. كانه برق خبا في ليلة للمساء ، ذات رعد
وتدحرجت خمسون .. الا اربعا وتدهرجت الضناء فوق جدارها
حتى اذا عصف الاسبى مرة وكذرت شقوة عسري المنكد
انزلتها ، ونظرت فيها ساعة نظر الوداع .. وكنت غير جلد
فيكيت .. واشتعلت بقلبي حسرة مثل اشتعال النار بعد خلود
وكذرت اصحابي .. فمن متنعم جسم الترام ، وبالسى ، وسعيد
وانا كما قد كنت ايام الصبي لم ابق من دنياي غير صلود
وكذرت قري للبين .. وزوجة حسناء ، ساهرة الجلال ، وبدد
وهنا طنى عليه الياس ، وصب جام غضبه على
الصورة التي راها لا تمثل شيئا .. فاقبلت فيها النار ..

وطنى بنفسي الي حين رايتها سدت علي طرائقي بسدود
والصورة الغرسا ترجف في يدي مثل الفصحى .. في صبيحة عيد
فرمتها في النار فالتهمت بها وتفاقت .. كالخفاف العفيدة
وترافقت فوق الجدار ظلالا لهني .. تلوذ بركتها المهود
وربت قليلا .. والهي يحمها لم اترعت .. واستسلمت لركود
ومضى الدخان الى العلاد .. كانه بعض التكاالي .. في ملابس سود
حتى اذا صارت رسادا .. خلها تمي بمصرعه الحزن .. وجودي
وربما كانت هذه القصيدة تمثل واقعا .. فهي وان

مثلت اتفعالات الشاعر اصدق تمثيل ، الا انها صورة
حقيقية لشيء وقع .. اما الصورة الوهمية ، او المتخيلة
.. التي بلغ فيها الشاعر درجة عالية ، وحلق في سماء
الشعر تخليقا بعيدا .. فهي في هذه « الصورة المسحورة »
.. كما اسمى قصيدته .. انها صورة اخرى كانت على
الجدار منذ ايام الصبا ايضا .. تمثل صورة وليد جميل ،
ينظر اليه كل صباح ، فيتمنى تحقيق الامل المشهود ..
انه لم يحرق الصورة هذه المرة .. ولكن الصورة هي
التي احرقت كبده .. فقد رأى الطفل الجميل ، بهتج
في موضعه وهو يبتسم .. ثم يخرج من الجدار ، ليجيشه
سيرا على قدميه .. ثم يراه وقد بلغ الثانية من عمره ، ثم
العاشرة .. ثم دنا منه وراح يعتذر اليه ، لتاخره في المجيء
كل هذه الدة .. وراح يجري بينهما ما يجري من حديث
الشوق والحب والعتاب .. ثم اذا به يرتد مبتعدا عنه ،
ويصغر حجمه وهو يعود الى الصورة رسما كما كان ..

واتعانا لهذا الجانب البالغ التأثير ، من شعر صاحبنا
تقف عند قصيدة « هوس » ..
فقد وقف الشاعر يوما أمام حائوت ، يبيع صاحبه
لعب الأطفال .. فتذكر حالته ، ولكن تفكيره دفعه لدخول
المحل وشراء ألعاب لاطفاله الذين توههم في خياله ..
انه يقول :

خرجت من منزلي اسوان متعرجا
وركب خسين من عمري فمستعجلا
فلا صديق ، ولا مال ، ولا ولد
اذا رايت وليدا .. هاج لي شجنا
فلو راني بصير بالنفوس .. راي
دمعي الخفي .. واتاني ، واعوالي
ووقف بعد ذلك امام الحائوت :

وكتت امتي على مهلي وقد حويت
فاستوففتني دكان مزينة
فمن ثياب جيبيلات ، ومن اكر
والناس من والد فيها والدة
فجز في النفس اني غر ذي ولد
وان نبع حنائي لا يصر به
كانني دوحه الشى بها قدر
تهدلت ، وحلت المارها ، وهفت
كان انفاسها ايد مسددة
ثم دخل شاعرنا الى الحائوت ، فابتاع منه كمعا
ابتاع غيره .. فلماذا فعل ؟ وماذا قال ؟

وطال مكثي امام الباب منكسرا
حتى دخلت بلا قصد .. فلطمني
فاثمت اكسرة مطاط .. واليسه
هسدا براون .. قد اللد ، احسبه
والدمع يجري على خدي منكسبا
ولم ازل .. كلما اغيت مسطعها
واكرة .. ترمي بيهم .. لعبا
والديوان في اكثره .. على هذه التوبره .. من الشعر
الوجداني ، الشدبد التأثير على النفس ، مما يدفع قارئه
الى مشاركة الشاعر احساسه ومشاعره ..

ولكن .. لكي نروح عن انفسنا قليلا .. فاننا نقف
عند قصيدة جميلة .. وكل شعر الديوان جميل ، فان
هذا الشاعر التصوف ، بنشاته وبينته ، وطبعه .. ليعبر
عن ذات نفسه اصدق تعبير واصرحه .. فما رايت
استاذنا ، عمل في التدريس .. وفي مدارس البنات بصغة
خاصة ، الا وهو يتخرج ان يقول ما قاله هذا الشاعر
الصريح الصادق .. في قصيدته .. « الطالبة الصغيرة »
.. و « الطالبة العاشقة » ..

ويكفي أن نقف لحظة عند القصيدة الاولى . لنرى
نظرة الشاعر المعلم ، الى الطالبات الصغيرات .. وكيف
صور شعوره الصادق نحو واحدة منهن .. ركب معها
في (الباص) .. ولم يزد على أن كتم مشاعره .. لكي يعبر
عنها في الشعر دون حرج يعمعه ..
يقول الشاعر ابو قوس :

احب صغيرات البنات .. كانتها برام ، في ايامها .. تتحج

من اللاد .. لم يلفن تسعا وعشرة
او تلك هم في الحياة وشاغلي
ويذكر صاحبه .. او طالبته .. فيقول :
وطالبة .. بيفساء منهن بصفه
وميشان خضراوان يهتف فيفيسا
ويذكر موقفها في الباص - كما يسميه - بين زحام
الراكبين .. فيقول :

بصرت بها في الباص والوقت فسحوة
وقد ملا الركبان كل فئالته
وفي يدها ابيضاء كتاب ، ودفتسر
فابصرت حسنا لم اجد قط مثله
وسار بنا الباص الهويى .. كانه
فلما بلغنا القصد .. غادر جمعا
وراحت فتاتي بين سرب لداتها
وحولي جموع الطالبات كانتها
وجامعوا لحظة ان وقفة الشاعر في هذا الباص
المزدحم بشر حوله ادنى رية .. فقد كان معلما ومربيا ..
وهذه الصغيرة هي احدى طالباته .. وكانت العاطفة
التي احسها نحوها صادقة ، فهو لا يرى باسا في ان يكون
لها ابا ، وزوجا ، ومربيا .. في نفس الوقت .. وهذا
اصدق الحب ..

تعلمتها .. والشيب بيني وبينها
فلسي كل يوم .. اقلني خيوطها
وما غمرها اني ابرها ، وزوجها
فذلك عندي طبيب الحب والهوى
ازوبه من دمعي ، وابقيته موهبي
وما تساوى وردة قد تلحت
يقول بها عمري ، وزجج شرني
ورزما كانت هذه القصيدة الجميلة ، لا صبهسا
فيه من بحرنا وقائيتها ، مما دعا مقدم ديوانه للقول بان
اسلوبه يبدو في بعض الاحيان جاهليا .. وهذا ما لا اتفق
فيه معه .. اذ اجد فيه اسلوبا معاصرا ، صادقا ، معبرا ..
وليست دعوتنا للمحافظة على اللغة العربية ، وتكرات
العروبة ، بالتى تدعونا الى ان نطلب من الشعراء ان ينظموا
كما نظم الاباء .. ولكننا نطلب اليهم ان يعبروا عن نفوسهم
ومشاعرهم بمثل هذا الصدق ، وهذا الصفاء .. وذلك
فوق الكفاية ..

على ان بقية قصائد الديوان .. جذيرة بان تقرأ ..
لنرى فيها شاعرا معاصرا .. ومحبا متصوفا .. متمعا
شعره حق .. واذا كان قد استطاع ان يستخلص لنا من
مجموعة شعره هذه الصفوة .. التي تمثل مراحل حياته
اجمل تمثيل .. فانا نهته على ذلك .. كما نعرض شعره
على الشباب .. ليروا ان الرجوع الى وجدانهم الحي ، مع
بساطة التعبير .. اجدى عليهم من الضياع .. في متاهات
المجهول .. واودية اللامعقول !

مصر الجديدة
عامر محمد بحري

أأحرم هذا؟

انكم ما تلقاه ام انت بائع ؟
تظاهرت بالسُلوان ترضى صحابة
لقد جزعوا حيناً عليها وردهم
ولوعوا من انت عدوا اصطبارهم
ولكنني ادري فلسنت بعابيه
فقدتكَ فقدان الضير ضيابه
تزهت في فردوس حسنك انتشي
اذا نسمت انفاً صدرك نسمة
وان لآلات اهدابك الوطف بالسنا
وان كنت ذا ناي وهافت مسمعي
وان عيسيت نفسي وذلك دابها
الأحرم هذا ؟ ثم اصفي لنصحي
تخبرها بين التواهيذ طفلة
كبرعم زهر مؤذن بتفتيح
اذا رنحته في الصبا الفضي نسمة
فشبت على عيني اطلال نورها
اذا مرت الايام وابت نفسارة
يهون اعباء الكفاح حديثها
تساقطه عذباً فيشفي مزارة
تناهى بها حظي فهش تفأولي
ولم ادر ان الصل اهدف نابيه
وقد صرخت زغب القطافي تفرع
تخبط افلاذي على نفث سمه
يصحن ابي ، عجل ، فللموت هجمة
يصحن ابي ادرك بربك امنسا
ابا لطف ؟ ماذا حقق الطب ويحه
يزالني حزني فاشرد لا اعني
لئن ضاق بي بيتي وغادرت سجنه
واقرا كرها كي ابارح لوعتي
اذا غشيت نفس الشجي واظلمت
شقيقة نفسي ، اين نفسي ، فانها
نزلت بدار الصامتين غريسة
فما صاح حول القبر دونك نادب
حبست لساني ان يند بصرخة
ام حسام لو ترد منية
والكنني الزمت نفسي انة

رويدك قد نمت عليك اللامح
شديد عليهم ان دمك سافح
تيقنهم ان النفوس طوائع
سجاي عقوق كلهن مقابح
وقد نبحتني في اساي التوابح
فخطبي مهما قد تصبرت فادح
بعطرك في ريحانه وهو نافح
تارج عطر في حياتي فائح
اهل سرور في جيبني واضح
تناغم طير بالمسرة صادح
محا الضيق لهو من فنونك مازح
رفقتهم ، مهما تحال ناصح
لها غدا الموحى بما هو مانح
على غصنه ، والفصن انصر صابح
تملك روحي وهو غاد ورائح
كما يجتلي بدر السموات لامح
وشعشعها فيض من البشر طافح
كما لظفت حبر الهجير المراوح
لها وهج بين الجوانح لافح
وخيلت الاوهام انسي رابح
كما شهر السكين في الكف ذابح
تناشد من يحيي ، ولا من ينافح
تخبط ورق داهمتها النواح
تحاصرنا ، والافق اقم كالح
وابلس لا ادري بمن انا صائح
وجهل النطاسيين بالوت فاضح
لاي اتجاه في الوري انا جانح
فاكثر ضيقاً منه تلك الاباطح
فاذهل عن سفري ولست ابارح
فأي هراء ما تخط القرائح
كما مت ماتت ، والزاياب سوانح
لها معشر عند الكنانة نازح
ولا هطلت فيك الجفون السوافح
على انني تحت المصيبة رازح
بنوح اذن رنت عليك المناشح
مكتمة تنقد منها الجوانح

محمد رجب البيومي

الرياض - كلية اللغة العربية

ورأيت صاحبي يفهم وجهه ، وتبدو في ملامحه
علام الحرج والتذمر ، فندمت على سؤالي ذلك ، وتمنيت
لو لم اكن قد سألته به ، ولكنه تحامل على نفسه ، وتامل
في موضعه ، ثم بلغ ريقه وهو يقول : لا ادري ان كانت لديك
فكرة واضحة عن هذا الوسام .. اقصد وسام المعلم فني
نوعه ودرجانه ..

قللت اقاطعه ، وانا احاول ان ابدد ما سببته له من
حرج : ان ما اعلمه عن هذا الوسام ، هو ان اللجنة التي
شكلتها الوزارة ذات يوم ، لتضع النظام الذي يمنح بموجبيه
للمعلمين ، اقترحت ان يسمى وسام المعلم ، دون ان تحدد
له شكلا او درجة .

فقال يعقب على ما قلته باهتمام بالغ : ولكن وسام
المعلم له شكل معين ، ويمنح في درجات اربع ، تبدأ
بدرجة (الممتاز) ، ويكون من الذهب الخالص ، ثم الدرجة
(الاولى) ، ويكون من الذهب باستثناء دائرة في وسطه
تكون من الفضة . ثم الدرجة (الثانية) ويكون من الفضة
الخالصة ، ثم الدرجة (الثالثة) ، ويكون من النحاس
الشبه ، الذي يسمونه (البرونز) .

وحين بلغ هذا المدى من وصفه قلت اسأله : ومن
اية واحدة من هذه الدرجات كان وسامك ؟

فنادى اليه الحرج من سؤالي ذلك ، ورأيت يفصح بريقه
من جديد ، وهو يرد علي مضطربا بقوله : انا .. اريد ان
اقول .. ان اللجنة التي تحدثت عنها ، والتي وكل اليها
ان تضع النظام الذي يمنح بموجبيه هذا الوسام لم يخطر
لها مطلقا ، ان تشرح جمال هذا الوسام في اربع درجات ،
وانما هي اقترحتة وشاما وحسب .. هكذا قال لي واحد
من اسمعوا في اضمال هذه اللجنة ، وزاد على ذلك بانهم
اقترحوا ان يعطى لمن امضى مدة عمله كاملة في حقل التعليم
وما يتصل به في شتى مجالات وزارة التربية والتعليم .

قللت استوضح من محدثي : وهل تظنهم ارادوه
مشل (وسام البطولة) الذي تمنحه الدول لمن تصدر
عنه اعمال البطولة في شتى مجالات التضحية ، سواء
اكان الواحد منهم في السلك العسكري جنديا بسيطا ، ام
قائدا كبيرا في اعلى المراتب والدرجات وسواء اكان من
بين افراد الشعب ، اسنانا مدة عمله كاملة في حقل التعليم
كان رجلا عظيما له مركزه وخطره ومكانته .. فهل تظنهم
- يا ايا فلان - ارادوه ان يكون كذلك .. ؟

فقال يجيبني متحمسا : - كذلك - وبالفضب -
ارادوه ان يكون ، له شكل واحد ، لا يتغير ولا يتبدل ،
سواء في المادة التي صنع منها ام النقش الذي رسم عليه ،
على ان يمنح في هيئته تلك لكل معلم توافرت فيه صفات
المعلم الذي ادى رسالته التعليمية على اتم وجهها ، شانه
في ذلك شان وسام البطولة ، الذي يمنح في هيئة لا
تتبدل للمارशल العظيم ، كما يمنح للجندي الصغير في
رتبته المتواضعة ، وهو يمنح كذلك للزعيم الجليل والرجل



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

بين وسام البطولة ووسام المعلم !

فاجاني بالزيارة .. وهو رجل جليل وقور ، تربطني به
اواصر الجوار ، والجوار الدائم قرابة .. رضيت بهام
ايبت ! وموكل اليك تصنيف هذه القرابة ، وتحديدتها في
اي نوع تكون ، وذلك فيما ثاني به وانت تعيش حياتك
اليومية مع اولئك الجيران . وقال لي بعد ان استقر به
المجلس :

- لماذا لا تبارك لي ؟

فعجبت من سؤاله ذلك وسألته : وبماذا تريدني ان
ابارك لك يا تسي ؟

انبددت في قسمات وجهه مظاهر العتب من سؤالي ،
الذي اعتبره حسب اجتهاده تجاهلا ، وقال محتجا : تبارك
لي بوسام المعلم .. عجيب امرك الم تعرف ذلك في حينه ؟
قللت اعتذر عن عدم معرفتي ذلك : لقد عرض لي
سفر طارئ فلم احضر المهرجان الذي اقيم في عيد المعلم
ووزعت فيه الاوسمة ، فاعذرني اذا ما فاني علم ذلك ،
ولكن اخبرني من اية مرتبة كان وسامك ؟ انك انت الرجل
الذي كان له الباع الطويل والفضل السابغ في مجال التعليم
حقبة طويلة من الدهر .. !!

على نحو وسام البطولة ان هم اطعموا الى ذلك واقتنعوا به ..!

واحد .. من الرواد

هجرة الاحرار : كان يجلس عند الشاطئ في واحد من مقاصد الاستجمام ، التي كان يلجأ اليها الناس في المدينة عند الاماسي ، يلتصون الراحة من جهد النهار ، وقد تخير مكانا قريبا ، بعيدا عن مواطن الزحام والجلبة . وجلس هناك يحرق في صفحة البحر ، ويرسل ناظريه الى آفاقه البعيدة ، التي لا يرحم صفاءها الازرق، غير باخرة تلوح في الامد القصي ، لا يلبث شبحها المتأرجح فوق الافق ، ان يغيب وراءه وبتلاشي ، وفاجأه وهو في جلسته تلك واحد من اصدقائه ، تناول كرسيه من قريب وادناه الى نضده الذي يجلس اليه ، وهبط عليه بكل ما يحمله من اعياء جده ، فاذا هو قبالة وجهها لوجه ، وتنفس من اعماق صدره نفسا طويلا ، يستنشق به من نسيم البحر العليل ما يذهب عنه ضراوة الحر ، الذي عانى منه ما عانى ، وهو في طريقه الى المقصف تحت اشعة شمس الاصيل .

وايتمسك لذلك الصديق وهو يرد تحيته ، ويرفع اليه ناظريه خلف عدسات نظارته ، وهو يرحب به ويكشف عن غبطته بقدمه ، لينفض اليه بعض ما يثقل صدره ، منذ أيام تلاحقت به . وجرى بينهما حديث طويل ، كان خلاصته ما فيه قوله :

« انني عازم على ترك يافا ، فقد سئمت نفسي مقارعة الاستعمار ، وضئت ذرعا بما عاتبه منه ، وبعاثيه معسي الكثيرون من اهل الفكر ، الذين بعد عليهم المستعمر انفسهم ، ويضيق عليهم كل مجال يطلقون فيه العنان لاقتلامهم . وحسبي من ذلك ما لقيته بالاستجواب المرير احيانا ، وبتعطيل المجلة (1) احيانا اخرى وتلك حالة لا يستطيع المرء ان يسبغ الحياة معها ، ما دام يشعر ان هذه الحياة في ظل المستعمر غير محتمة ، وغير كريمة .. » .
وسأله صديقه ذلك : « والى اين تترك تترك تعزم الرحيل ، وان هذا الرحيل ليس بالامر الهين عليك ، وانت الالوف الحنان ، الذي كثيرا ما ردد بيت المتنبي وتفتى به ، وذلك حيث يقول :

خلقت الوفا .. لو رجعت الى الصبا لفارقت شبيبي موجه القلب باكيا
وسوف يملأ فؤادك من الشوق الى ربوع يافا
تضيق ذرعا باحتما له ، وسوف تظل ابدا تذكر الكثير من نعيم يافا ، في بياراتها وبحرها ومتنزهاتها ومجالس الاحبة فيها . والذكريات العذاب ذكريات الصبا والشباب التي تكمن في الكثير الكثير من مواطنها .. فقل انت قادر على ان تحتمل ذلك كله ؟ وهل انت قادر على ان تصبر

(1) المجلة : يقصد بها (مجلة الفجر) التي كان يصورها في يافا غروس الشاطيء آنذاك .

المرومق ، كما يمنح للمواطن البسيط ، الذي لا يحيط به اي مظهر من مظاهر الاجلال والتعظيم ، وذلك بشرط ان يتصف كل واحد منهم - على اختلاف مراتبهم - بصفة البطولة ، التي تؤهله للحصول على مثل هذا الوسام .

هكذا قال صاحبي ، ولم التجرا فاعيد سؤالي ثانية عن الدرجة التي كان منها وسامه ، ما دام يفيض بمثل هذا الحماس ، الذي يشيع من عدم الرضا عن تعدد الدرجات التي يمنح بها وسام المعلم ..

وهنا يقوم السؤال الحائر : ما دام قد اقترح لهذا الوسام ان يكون وساما يمنح للمعلم ، بشرط ان يكون هذا المعلم قد امضى من عمره ردها من الزمن ، وقفجهده خلاله ليمارس مهنة التعليم او ما يتصل بها في نطاق وزارة التربية والتعليم ، فلماذا يكون هذا الوسام على درجات متفاوت بعضها عن بعض ؟ هل معنى ذلك ان التعليم على وجهه الصحيح يمكن ان يؤدي على انواع متفاوتة واشكال مختلفة ؟

ان المفروض في وسام المعلم ان يمنح لزيد من الناس - كائنا من يكون - لانه قام باداء المهمة التي وكلت اليه - وهي التعليم وما يتصل به - على وجهها الصحيح ، بصرف النظر عن الدرجة التي وصل اليها او المركز الذي شغله ، وما دامت لا تتوافر فيه الشروط التي تؤهله لان يحوز هذا الوسام في كامل صفاته ، وفي انفس ما يكون من معدن ، فلماذا تعطيه نحاسية لئلا يلبس يديه ، ما دام لم يتم بالعمل على اتم وجهه ، لئلا يؤهله لان يتفاهل من الذهب الخالص ؟! لماذا لا نفعل ذلك ونعطيه اليه تمام الاطمئنان ؟ واي حرج في ان نفعله على مثل ذلك النحو ؟

ان وسام البطولة بكامل صفاته ونفيس معدنه ، لا يمنح لكل اولئك الذين ساهوا في مختلف مجالات التضحية ، ما داموا لم يبلغوا مرتبة البطولة ، وكذلك وسام المعلم ، يحسن به ان لا يمنح في اتم صفاته لكل من مارس التعليم ، ما دام لم يبلغ في نظر الذين يمنحون هذا الوسام المرتبة التي تؤهله لان يتفاهل !

اجل ، لماذا لا يكون الامر كذلك ؟ لماذا لا يكون هذا حال وسام المعلم ، في كامل صفاته وفي نفيس معدنه ، بالنسبة لأولئك الذين مارسوا مهنة التعليم وما يتصل به في مختلف المجالات ؟!

انه سؤال حائر ينتظر جوابا من المسؤولين في الاردن .. وان من حق الذين يكتبون ويهتمون بامر المعلم في ذلك القطر ان ينهوا الى ذلك ، ان كانوا يؤيدون طرح مثل هذا السؤال .. وان واجب الذين يكتبون في غير الاردن من وطن العرب ممن احدثت اقطارهم مثل هذا الوسام ان ينهوا الى مثل ذلك ايضا ان اقتنعوا بصوابه .! وان من واجب الذين لا وسام لديهم للمعلم ، ان يدعوا الى احداثه ، وتقديرها لهذه الفئة المجاهدة من ابناء وطننا الكبير ، وان يشترطوا في دعوتهم تلك ان يكون

عليه؟! ... »

الأردن التي كانت فيها المدارس الثانوية آنذاك ، فهو إذن قد تحدث إلى الطلاب في كافة أنحاء الأردن .

مع الجهد والاجتهاد : ولم يقتصر الإيراني الحديث بتلك الكلمة على طلابه ، بل تجاوزهم ليتحدث بها إلى الناس في الصحيفة والمجلة والإذاعة ، ولم يكن حديثه ذلك وفقا على الناس في الأردن ، بل كان مشاعا للناس في الوطن العربي بأكمله ، فقد كتب في مجلات الوطن العربي كلها ، كما تحدث في معظم أذاعاته ، ومعها الإذاعات الناطقة بالعربية في خارج هذا الوطن .

ثم تحدث إليهم بكتبته التي تناولت القصة والمقالة والبحث والحوار والمحاضرة ، وكان في كل مجال يطرقه مجيدا ، لأنه كان يبذل فيه أقصى جهده ، ويعرض فيه دونما غرض ما يصل إليه اجتهاده الخالص لوجه الحقيقة ، وقد صدرت كتبه في بافا وفي بيروت وفي عمان ، كما صدر بعض كتبه عن مديرية الثقافة والفنون الأردنية .

وحين نذكر كتبه ، لا يفوتنا أن نذكر بأن له ما يزيد على خمسة كتب جاهزة للطبع ، وقد أعدّها أتم استعداد ، وبوها ورتبها ولم يبق إلا أن تدفع إلى المطبعة فتنطبع . وذلك عدا ما تنال له من أبحاث ومواضيع ، وتفرقت هنا وهناك في الصحيفة والمجلة والأضبارة مما تضمنته مكتبته .

بين المجليين : وحين نتحدث عن الرواد المجليين بين بناة الجيل الحاضر ، الذين أسهموا في وضع القواعد الوثيقة لبناء الأردن الحديث ، إلى جانب الإسهام فسي النهضة الأردنية والفكرية في الوطن العربي بمختلف أناحيه ونسج أوجاهته حين نفعل ذلك .. يبرز بين أيدينا اسم ذلك الرائد الجليل الأستاذ محمود سيف الدين الإيراني ، لتمتلىء به الأسماع والقلوب ، وتمتلىء معه النفوس أجلا ومهابة ، وتقديرا لكل ما جاء به أو صدر عنه ولكل ما نطق به لسانه أو خطه قلمه . وغايته من ذلك كله ، أن يوجه أولئك الذين يخاطبهم ، إلى الطريق السوي ، الذي يسلكون بوطنهم إلى المستقبل ، وهم يصنعون تاريخه الجديد .

وإن الذين استمعوا إليه موجهًا فيما حاضر به أو ناظر .. وإن الذين قرأوا ما كتبه لهم في المجلة والصحيفة والكتاب .. إن أولئك جميعا سوف يذكرون للاستاذ محمود سيف الدين الإيراني جهده وجهاده ، وهو يبذل لهم غاية ما وصلت إليه طاقته ، لا يدخر من ذلك حيلة أو وسيلة .

إن أولئك جميعا سوف يذكرون له ذلك .. وأنهم سوف يذكرون معه : أن أدنى رسالته على خير ما تؤدي الرسالة ومضى مخلصا للوطن العربي وإنائه ، وأنه لجدير بان يقابل بالتقدير على ما أسلف وحق له ذلك دون ريب .

محمد سليم وشنان

عمان - الأردن

وعند سماعه ذلك من صديقه ، لم يسارع إلى الرد عليه ، مما يتبادر إلى خاطر ، مختلطا مع الحساس المتدفق والهوى العارم ، ولكنه أطرق براسه ، لأنه لأمس بسؤاله شفاف قلبه ، وأصاب الصميم من سؤدائه ، فإذا هو بتضائل حماسه ، وبخفت صوته ، وترق لهجته بالكلام حين تكلم قائلا :

« صدقت يا أخي ، إن هذا الرجل ليس بالأمير الهين حقاً ، وإني لأولف حنان كما قلت ، كأنما بي أثر من عيب التنبي عليه رحمة الله ، الذي تكشف به عن نفسه في بيته ذلك ، الذي ذكرته لي وإني لذاكره ، ولكنها الحياة الكريمة ، التي تنسج فيها المدى للعمل والإبداع ، ولا بد لي من التماس مكانها حتى يتاح لي ذلك المجال ، فأعمل ما دمت لا أزال في غضارة الشباب ومقبل العمر ، ولئن سجلت على نفسي القعود الصامت من اليوم ، فسوف تنطوي صفحة العمر ، دون أن أعمل العمل الذي ترتضيه نفسي ، ويطمئن إليه فؤادي .. »

أخوة القلم : وانظروا من صفحة الزمن إيام بعد ذلك ..

وكان الناس في عمان في منتصف عام ١٩٤١ ، وإذا بمجالس أهل الفكر فيها تقافاً بخير جديد ، مفاده أن واحداً من زملائهم في تلك الحرفة - حرفة الأدب - هبط المدينة ، وحملته إليهم ربح التشوق إلى الحرية من إسافا ، ليعيش بين ظهرانيهم ، ويكون واحداً منهم ، وأنهم يعرفون عنه الكثير قبل ذلك ، مما كان يكتبه في مجلته « الفجر » ، وما كان يكتبه في غيرها من الصحف والمجلات .

واتسعت له الصدور بقدر ما اتسعت له المجالس أو يزيد ، واستند إليه منصب (تدريس العربية) في ثانوية عمان ، وأحاطه أهل الفكر - على قلة عددهم - في ذلك الحين - بكل ما تنسج له الطاقة من رعاية وعناية واهتمام ، وعلى رأسهم (زعيم هذه الفئة الشاعر مصطفى وهبسي التل) ، الذي كان لسان حاله يردد :

إن فائنا نسب .. يؤلف بيتنا أدب اقناء مقام الوالد !!
ليقول كلمته : ذلك هو القصاص الأدبي الكاتب محمود سيف الدين الإيراني ، حين أبى عليه طموحه أن يعيش في ظل المستعمر ، وتمصفه الجامع ، وجوره الأبهوج ، وتقضيته الذي لا حدود له ، على كل من أراد أن يخاطب الجماهير بقلمه ، ليدلها على طريق العمل المثمر .

ولقد وجد في الأردن المناخ الذي يتيح له أن يقول كلمته بملء فيه ، دون أن يجد من يضيق عليه ، ما دامت هذه الكلمة دعوة إلى الخير ، ولينة صالحة في صرح بناء الوطن بأجياله الناشئة ، وما أكثر ما قال الإيراني بعد ذلك تلك الكلمة بملء فيه .. !!

لقد تحدث بها إلى طلابه - وما كان أكثرهم - نسي عمان وفي أريد وفي السلط وفي الكرك ، وتلك هي مدن

غير ميلاد

فسانه في زماني يوم ميلادي
 وذكريات للذات واسعد
 فلم يرق في خيال الشاعر الشادي
 فكم فتى رعد من غير اعياد
 فواحة وصباحي بارد ناد
 مثلي خليلا هواه حاضر باد
 اريجها طيب اغوار وانجاد
 لحن روى شجني في المشرق الهادي
 اوتار مدنف قلب رائح غاد
 مما يعانيه هذا الهائم الصادي
 احلي اللحون بارواح واكباد
 مثلي تطير بلا ماء ولا زاد
 والفجر يرقص من ترنيمة الحادي
 عن مستهامين في حشر وآحاد
 في زروق بين ارجاء وازباد
 بلا شراع ونجم في الدجى هاد
 ففيه كل امرئ رهن ببيعساد
 فليس ثم سواها خير مرئاد
 ان المصير بتمهيد واعساد
 الى نذير بتنبيه وارشاد
 ان التصيد كم يودي بصياد
 في مجلس من مجاني اللهو او ناد
 او من تنادي لانقاذ وانجاد
 والافق زخار ابراق وارعاد
 عانى تباريح تشريد وابعاد
 وانت يا صاحبي المنكوب في واد
 وانت صاحب مجد بينهم باد
 جئنا اليهم باباء واجساد
 ونحن - نحن فقط - اشباه اغماد

علي محمد لقمان

اذا احتفلت بهذا العيد في الوادي
 اراه في التيه احلاما تضاحكني
 قد كان يقبل والايم باسمه
 عيد وانت تعاني الويل في ضحك
 انظر تجدني مع الازهار عاطرة
 فتلك صفراء في سهد مفارقة
 وتلك جمره شوق من تلهفها
 ورب خضراء عند الفجر روعها
 والايمك في صبح ميلادي تحركه
 والساجعات على الاغصان مطربة
 يشجي الحمام فتشده يوم مولده
 من كل ورقاء في الافاق تائهة
 هتافة كم تنادي غير منتصت
 يوم القيامة فيه الخلق في شغل
 كل عن الهل والاحباب منصرف
 يسير في اليم في الانواء مندفعا
 لا تطلبن من الطوفان مستنصحا
 اذا تقربت عن ارض ولدت بها
 واقبل مصيرك مادمت الجدير به
 كم كنت تسعى تيسا غير ملتفت
 تصور الباطل المدموم منتجعا
 وتبفض الحق مفرورا ومتخدعا
 ان تبث الجوى في العيد من ندم
 والليل معتك كالبحر مضطرب
 اعمى البصيرة اهل لللام اذا
 ان الحقائق في واد منورة
 فخر الانام بمجد حاضر عجب
 اذا اتونا بما شادوا وما صنعوا
 وكيف نستقبل الاسياف مصلة

تعز عصيفرة - اليمن

ان الله قد سمع تأوهاتك التي لم تنقطع منذ سنين كثيرة .. واحسن بحرفتك التي لم تغف او تبرد مع الايام والشهور . ولهذا شاء ان يستجيب لامية تمنينها تسببك المك وحزنك .. فاختاري .. انما احسن الاختيار .. لئلا نندم حين لا ينفع الندم .

وامتلأت نفس العجوز فرحاً وغبطة متناهية .. وحاولت مرة أخرى الى ان تجلس او حتى ان تحرك راسها لتري من يحدتها . ولكنها لم تستطع ابداً حتى ان تدبر انسان عينها تحت جفنتها المفلتتين . ثم اخذت تفكر فيما يمكن ان تطلبه من الله عز وجل . هل تطلب رؤية اولادها ؟ انما اغلى امنية يمكن ان تفكر فيها .. وسالت دموعها مرة أخرى للكرامه واوشكت ان تحرك لسانها في فمها تطلب ان تراه مرة أخرى .. ولكن فكرة اوقفت الكلمات في حلقها .. انها عجوز فانية منتظر موتها بين لحظة وأخرى .. واملها في الاجتماع باولادها اصبح اقرب من اي وقت مضى .. وربما احضر لها الله عز وجل اولادها اليوم لتفارقهم غداً بالوت عندئذ عليها ان تنتظرهم مرة أخرى في الآخرة ففسي بهذا الطلب تطيل امد الفراق ليس الا ..

اذن ، فلتترك هذا الطلب لانه كائن قريباً على اي حال ولتفكر بامنية أخرى .. ماذا ايضاً؟ نعم انها عجوز فانية .. ولم يبق لها من امل الا في جنة الخلد فهل تطلب الجنة ؟ ؟ . وارتاحت الى هذه الفكرة واوشكت ان تستقر عليها لولا خاطر فجائي اوقفها عن الكلام .. لقد امضت حياتها في الالام والحزن .. فصبرت على هذا كله وكانت لا تفك عن الصلاة والصوم والعبادة وحمد الاله على المكروه .. وكان من نتيجة هذا ان ارسل الله اليها هذا الملاك الذي يدعوها بالعجوز الصالحة .. افليس معنى هذا ان الله سبحانه وتعالى راض عنها؟ وماذا بعد رضاه الله غير الجنة والتعيم ؟ فما معنى ان تطلب من الله ان يهبها ما

عينها وحاولت ان تنام .. ولكن مشاهد حياتها الماضية اخلت تتوالى امام ناظرها المفلتت .. تذكرت زوجها الذي هربت معه .. وكيف ماتت امها من الحسرة والشعور بالعار .. ثم كيف قتل زوجها وهو يسقط على احد البيوت .. وكيف مات اولادها الستة واحداً تلو الآخر بالوباء .

وانهمرت الدموع من عينها ، واخذت تشفق وتمخط كما اعتادت ان تفعل كلما ذكرت حياتها التعيسة الماضية . بكت بكل ما يستطيعه القلب البشري من حرقه .. وانفثت عينها بالبكاء حتى بلت دموعها الكيس الذي وضعت راسها عليها . وبقيت هكذا الى ان غلب عليها



بقلم: بلقيس الحوماني

النعاس .. ثم كف عقلها عن التفكير وغابت عن الدنيا .. لكنها لم تلبث ان فتحت عينها عن اخرها وقد انتابها شعور غريب بانها ليست بمفردها .. ونظرت حولها ولكنها لم تر احداً .. واوشكت ان تعاود الاغفاء ، عندما سمعت صوتاً رقيقاً يناديها باسمها .. وحاولت ان تفتح عينها لتري من يكلّمها ولكنها لم تستطع .. ولسم تستطيع ايضاً حتى ان تحرك عضواً من اعضائها .. وتابع الصوت برقة غير بشرية : - اسمعي ايها العجوز الصالحة ..



يحكي قديماً ان امرأة عجزوا قد احنى الدهر ظهرها وسلب لون شعرها ووجد وجهها ، كانت مارقة في طريق مقفر تحمل على راسها كيساً تضع فيه ما يوجد عليها الحسنون من خبز وجوب .. وكانت تقصد قريبها .. وما زالت بعيدة الطريق طويلاً شاق مليء بالحجارة .. وسالت الشمس الى الغيب وسكنت زفرقة العصافير .. واشتدت الرياح ومالت الى البرودة وتراكفت في السماء غيمات سود . وشعرت العجوز بالتلق . وفكرت في ان الامطار لا بد وشيكة الهطول وما زالت امامها الطريق طويلاً موحشاً .. ونظرت حولها ، وتذكرت قصص اللذات والضياع .. من الجنون ان تواصل السير .. وكانت قد وصلت الى سفح جبل اجرد كثير المغاور .. لو انها فقط امتت خلال هذه المغاور من الوحوش .. اذا لاوت الى احداها تمضي فيها ليلتها .

واستجاب الله رغبته ، اذ سرعان ما وقعت انظارها على مغارة متسعة المتند كاتما سوته به انسان ، وقد اتسبت امامه باحة فسيحة نظفة . وزالت وحشتها وهي تنظر اليها ، ودخلت تضع ثقلها على الارض تتوسده تريخ انفاسها المتعبة وتجعل انظارها في انحاء الكهف .. يا لمعجبها . يخيل اليها هذا المكان غير غريب عنها .. ابن راته من قبل ؟ فهي لا تذكر انها مرت بهذا المكان من قبل .. ولكن .. لا .. نعم .. نعم .. انها تذكر الان .. لقد مرت به مرة .. كان ذلك في الماضي البعيد .. وكانت بصحبة امها .. وتنهدت .. في ذلك الوقت لم تكن عجزوا مهدة مجعدة الوجه كما هي الان .. كانت صبية بعمر البدر وحسنه .. وكانت امها تحبسها في المنزل اكثر اوقاتها ، وتلازمها في غدواتها وبروحاتها خوفاً عليها من نهم الرجال .

وتنهدت مرة ثانية كما اعتادت ان تفعل كلما ذكرت صباها ، وجمالها الداوي وشبابها الزاهب .. واغمضت

امام: روض الحسن، رفاف السني
فأعاضت الروض الاغن بمشهد
روض سقاه هواك اعذب منهل
سكنت بلائله ، وجف غديره
هل من حنانك ما يعيد له الرؤى ؟
مدي اليه يد الامومة انها
ليل الاسى اودى ببهجة عيد

عائت برونقه البهي ايسادي
- آه - يحز شجاء في الاكساد
- عفوا - فداه فكان اكرم فادي
وذوت ازاهر غصنه المياد
هل من حنوك بلسم لفسؤادي
كف السماء تفيض بالاسعاد
ردي اليه بشاشة الاعياد

عبد الله الشيخ

البحرين

لاجل فترة شباب تمر مر السحاب؟
وجمال لا يحز عليها سوى رغبات
الرجال ونهمهم ؟ .. وهل تساوي
رغبات الرجال ما ذاقته من آلام
وعذاب ، ومتاعب الولادة والامومة؟
ان ما يعزينا بعد السنين الطويلة
التي امضتها هو شيء واحد . هو ان
كل هذا قد طواه الزمان واصبح
مستقرا في الماضي البعيد .. وان كل
لحظة حزن او ألم قد ذهبت الى غير
عودة .. وطال سكوتها .. وعاد الصوت
الرفيق غير البشري يقول بعذوبة
متناهية :

- والان اينها المعجوز الصالحة ؟
علام استقر رأيك ؟ وبهدوء عذب .
وصوت عميق اجابت العجوزقنولها :
- شيء واحد اطلبه من الله تعالى .
وهو .. عفوه وغفرانه .. عفوه وغفرانه
على ان رغبته مرة في تغيير حكمه ،
ولم افهم حكمته ..
وتباعدت جذران الكهف ، وشع من
جوانبه نور باهر وتجاوبت في
انحاء المكان انغام رائعة غير دنيوية ،
بينما كانت المعجوز مستلقية على
ظهرها بدون حراك وقد اضاءت
وجهها بسمه ملائكية ليست من هذه
الدنيا الفانية وماعادت لها بها صلة ..

بلقيس الحوماني

ان تعود بي الايام وارجع صبية شابة
جميلة كما كنت بنت اربعة عشر عاما .
- حسنا اينها المعجوز الصالحة ..
ولكن يجب ان تعلمي ان حياتك مستعود
فتتكرر بحذافيرها من السن التي
سترجمين اليها . فهل انت مستعدة
لتكرار التجربة ؟ باستطاعتك التفكير
والرجوع عن قرارك او
تغييره .. وذلك كي لا تندمي هذه المرة
بنفع الندم . ان جوابك هذه المرة
سيكون الاخير فلا تمنعجي .

وساد صمت عميق والمعجوز تفكر
وتفكر .. جميل ان تعود شابة جميلة
مرة اخرى .. ولكن ، ما معنى ان تتكرر
حياتها بحذافيرها مرة اخرى؟ هل
معنى ذلك ان بطيش بصوابها رغبة
رجل فيها فتعرب معه ؟ وبعدها
تصيب الصدمة امها بالشلل لتموت
بعدها بشهور او هل معنى تكرار حياتها
ان يأتي اولادها مرة اخرى وتحمّل
نفس الآلام والتضحيات في انجابهم
وتربيتهم لتراهم يموتون امام عينيه
بالجملة ؟ وهل ستتكرر السنون
الطويلة الحافلة بالشقاء والدموع التي
ثلث قديمهم ؟ يعزينا خاطر واحد .
وتسمى الى هدف واحد .. هو ان
تموت فتجتمع بهم في جنة الخلد ؟ ..
كيف ؟ كيف بلغ بها الحلق والتفاهة
ان تطلب تكرار حياتها الغابرة ولماذا ؟

هو مكتوب لها ؟ واذا ...
وقطع سلسلة انكارها سعال حاد
كان يعثرها دوما فأخذت تقح وتقح
حتى سالت دموعها واخذت بدنها
يرتجف ... وعندما هذات اخذت
تفكر ... انها مريضة منذ سنين ..
فلماذا لا تطلب الصحة ؟ ولكن .. لو
طلبت الصحة فمعنى هذا الصحة
الدائمة ان مرضها بدنها من القبر
يوما عن يوم .. والقبر يعني بالنسبة
اليها الراحة والاستقرار والانتقال الى
جنة الخلد حيث ابتأها واعاؤها
ينظرونها .. فلماذا تعرقل ذهابها
اليهم بطلبها الصحة التي تبقها في
هذه الحياة الدنيا باحزانها والامها؟
وتملكها الياس فترة .. ماذا تطلب؟
اذن .. او اه .. لقد نسيت .. كيف
نسيت ؟ كيف نسيت حسرتها منذ
ساعة عندما ذكرها الغابرة فترة شبابها
وجمالها الماضيين ؟ لقد امضت حياتها
في التهنيدات كلما راودتها ذكريات
شبابها وجمالها العابر .. فلماذا لا
تطلب من الله ان يرجمها شابة جميلة
ناضرة مرة اخرى :
وامتلا قلبها برهة بالفرح . لقد
استقر رأيها اخيرا ..
وحركت لسانها في فمها وقالت :
- ايها الكائن غير البشري ..
لقد استقر رأيي اخيرا .. انني اطلب

تجارة مكتوبة الرواج .

وتحدث عامر العقاد ابن شقيق العباس العظيم وأبو العباس الطفل ، فقال انه حمل البريد اليومي ذات صباح الى عمه ، ففحصه بنظرة سريعة ، ثم استوقفت نظره رسالة ميز خطها ، فأمسكها بيمنه وقد اريد وجهه ، وقال لعمام : لا بد ان صديقنا القديم شكري اصيب بفالج . ولما فُض الرسالة ، كان كاتبها هو عبد الرحمن شكري فعلا ، وكان يعتبر للعقاد رداة خطه لانه بعد الفالغ الذي نزل به لم يستطع ان يكتبها الا بيسراه وظل العقاد طوال يومه حزينا منقبض النفس لا شبيهة له الى طعام او شراب ، ونسي تلك الخصومة القديمة بينه وبين شكري من ايام كتاب « الديوان » . ولما مات شكري رثاه العقاد اوقع رثاء .

وتحدثت احمد هاشم الشريف ، وبينه وبين العقاد مؤالكة ومسانكة ومخالطة لانه من ذوي قرياه ، فروى للحاضرين قصة ندوة العقاد ، وكيف انها بدأت في حدائق الحيوان واتخذت مجالسها الاولى بالقرب من جيلابة القردة حيث كان اصغيا العقاد يناقشونه في شؤون الادب وشؤون الحياة . ثم اخذت تلك الندوة الاسبوعية تتسع بكثره المنضمين اليها من عشاق الادب ، ولكل مثل منهم صديق يعرفه العقاد هو مزيه عنده . فلما صار المترددون من الطفيليين اكثر من رواد الندوة الاسبوعيين ، ولما لاحظ العقاد ان بين اولئك المترددين قوما لا هم من فصيلة القروء ولا هم من زمرة الادباء ، قرر الانتقال بالمنتدى الى داره حفاظا على خصوصيات المناقشات من الابتذال وسؤ التناول .

واشجانا الحسيناني حسن عبد الله بقصيدة من موزنه المقي ، اسمها للعقاد في حياته ، ثم اطربنا بتربدها في ذكرى مولد صاحبها .

وحدثنا الدكتور كامل السوافيري عن نادرة طريفة . فقد كان يزور « دار المعارف » حيث يطبع للعقاد كتاب . وتنقطع واحد من المصححين فحذف من تجارب كتاب العقاد لفظة « للذات » بدعوى انه لم يسمع بها من قبل . ولما نبهه رئيسه الى ان العقاد دار لفنته ، وانه قاموس للادب موثق ، وان تبديل لفظة من الفاظه من شأنه ان يفقد المصحح وظيفته في الدار ، آثر المصحح السلامة واستبقى « للذات » وفي صدره آهات !

والقى الشاعر الجيد حسين خريس قصيدة عن دار العقاد قوبلت بالاعجاب في كثير من مقاطعها . قال في مطلعها : ها هنا كانت له السدار القراء فانبثاها حبيبا للموارد سته ما زال فينا والرؤى لم تزل خضراء واللون نفس من هنا كانت له في وكسره خطوات الجدم من غير شذو ظلل بعينه فلما مل ولا كل عزم لا ولسم يغتو اوار والقيت كلمة عما علمناه العقاد قلت فيها :

العقاد معلمة حية باقية ، يرجع اليها الباحثون والمتنبون فيجدون فيها غائبهم . تاذبه علم وعلمه ادب ، وفلسفته منطق ، ومنطقه فلسفة ، وفقهه



عباس محمود العقاد

حديث مستطرد عن العقاد

بقلم وديع فلسطين

في شهر يونيو الفائت عدت الى بيت عصامي الادب والفكر ، وجبار الحياة الادبية ، عباس محمود العقاد لاجتئلت مع خلصائه بعيد ميلاده الخامس والثمانين . ولم يكن صاحب العيد حاضرا بجسمه ، بل كان حاضرا بروحه التي لا ينسها عارف ، وبوصوته الذي سمعناه مسجلا على الشريط ، وبصوره المنتشرة في المكان ، وبتمثاله الشامخ المنتصب في القاعة ، وبكتبه الذخائر المتراسة على الارفف ، وباخوانه وحواريه الذين عرفتهم ندوة العقاد يوم الجمعة وبتوا على شهورها مثابرين ولعمريدها بهجيين مكبرين .

وتحدث علي ادهم ، وهو من اعظم مفكرينا المعاصرين الذين اخلصوا لرسالة الفكر وآمنوا بقيمة العقل ايمان فطرة ، وخدموا الضاد خدمات صامدة نصف قرن ، ولم يكن حظله بعد هذه الرحلة الطويلة الا حفاء القدمين ، يجرحه كلما اراد ان يطبع كتابا او ينشر فصلا سكب فيه عصارة العقل ...

تحدث علي ادهم عن صديقه العقاد ، فقال انه كان اصل خلقا من زميله المازني وشكري ، وكان يكتب ما يشاء من آراء مندفعه الجراة بامضاء صريح ، فلا يستاجر ولا يؤجر ولا يعرض غيره على خصومه ، بينما كان شكري يتعامل مع صحافة « الصاعقة » وما اليها حيث كان الانقلاع

الصورة التي ارسمت في ذهني عنه من اقوال الصحف واحاديث القوم ان العقاد « كاتب جبار » وانا كاره لكل جبار وانه عقاد في اسلوبه ، وانا ممن يضيّقون بالاعتقاد وبحيون الوضوح والبيان . ولهذا لم احاول في مطالع حياتي الادبية ان اسمى الى العقاد ، لئلا يصيبني منه بطش جبروتي ، او تنالني من اسلوبه المقدد عدوى . تاهيك بانني كنت ارى قصاد العقاد يتحزون له او يتشيعون لخصومه ، وليس من شيمتي التحزب او التشيع ، لانني كنت وما زلت مسقل الكيان والتفكير .

وعندما كنت احرر جريدة « المقطم » دفع الي رئيس التحرير خليل تابت باشا بكتاب جديد من كتب « المطالعات » اصدره العقاد - وكان زميله في مجلس الشيوخ - ورجاني ان اقرا الكتاب ثم اعرف بعني باب الكتبة . واتنهزت الفرصة لا تحرش بالعقاد بأسلوب الدم الذي يراد به الملح ، او الملح الذي يراد به الدم ، كيفما كان تاويل عباراته ، فكتبته كملعة قلت فيها ان في آداب الفرنجة تعبيراً اصطلاحياً يطلق على النهمين في القراءة فيوصفون بانهم « دودة كتب » ، أي انهم يلتهمون الكتب وبقروضها كما تفرسها ديدان العث . وقلت ان هذا الوصف شديد الانطباق على العقاد ، فهو دودة قراصة ، وقد استطاعت هذه الدودة العقادية من قراءاتها ان تخرج لنا كتاب « المطالعات » هذا ! .

وظهر المقال في الجريدة ، وتوقعت ان يضيّق العقاد بكلامي فيشكوني الى زميله في مجلس الشيوخ خليل تابت باشا ، وهذا يدور به تهورني على وصفي انعقاد « بالدودة » . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، فاقبنت ان العقاد تقبل كلامي في غير غضب ، ولم يقرأ بين سطوره خبثاً او حقداً ، وكما اكثر ما يبره الخبث والحقد .

ولكنني لما رايت رجلي الاديبين تحملائي الى جميع اعلام الادب في عصري ، سمعيت في حذر الى ندوة العقاد الاسبوعية ، وكان مقصدي الاول ان احدد معالم هذه الشخصية التي اتعامل معها في الكتب والصحف ، وتطالعي في المدياع وقاعات المحاضرات ، دون ان تنهيا لي مشافهة مباشرة معها . وتوجهت الى ندوة العقاد في صحبة اخي الحميم العلامة الراحل الشيخ محمود ابي ربة ، « لانرجح » على العقاد . فماذا رايت ؟ .

رايت الكاتب « الجبار » يناقش حتى طلاب المعاهد يصدر رجب وابرة حائية مختلجا جهلهم وضعف اعوادهم . فاذا هم واحد منهم بالانصراف ، ودعه العقاد بنفسه على باب داره في بشاشة صادقة . ورايت هذا الاديب « الباطش » شديد التهذيب في اسلوبه وعباراته ، فان استغز في نقاش ، قال كلاماً موجعا دون ان يغادر باب الادب والمنطق والفكر السليم . وهو يلجأ الى السخرية في كثير من مناقشاته كما حدث مرة في نقاش له مع العلامة الكبير الدكتور عمر فروخ على صفحات مجلة « الرسالة » ، وهو عالم فاضل لا نعرف عنه ترخصاً في القيم ولا تخلياً عن الرسالة الاكاديمية المثلى .

اصول ، واصوله فقه ، وفننه ذوق ، وذوقه فن ، ودينه عقل ، وعقله دين ، ومبادئه عقيدة ، وعقيدته مبادئ ، واحكامه عدل واجتهاد ، وقسطاسه يسهر عليه ضميره .

وهو قبل ذلك وبعدة انسان عظيم يكاد عولوا الضعف البشري ، يكون « سوبرمان » قليل المثال في تاريخ الفكر العربي . ورجل هذه اطراف معالم شخصيته ، لا يتكرر ولا يجود الزمان بمثله في كل الف جيل .

ولقد علمنا العقاد العصامية الامرة ، والعقيدة الثابتة ، والكبرياء الشامخة ، واستقلال الرأي ، ولو انفرد به دون الدنيا جميعا .

علمنا ان نطلب العلم من اوسع ابوابه ، وفي ارحب دياراته ، وان نقف الحياة جميعا على نشدان العلم والحقيقة فهما القيمة الواحدة الباقية بين القيم جميعا .

علمنا ان نقول الرأي او لا نقوله بشجاعة القلب وشهامة العقل . علمنا ان الادب كرامة وحرية ورسالة ، ونفجاهل كل من تحرش بكرامته او اذاه في حرثه او جافى رسالته من ادعاء الادب وطغلييه التسليق . وقد قال لي مرة : عيال الادب لا تعامل لي معهم . وكان يقصد العيال « القوسقريين » الذين تجرأوا على مهاجمته بدعوى انه كاتب رجعي ! .

علمنا العقاد ان نثبث في الميدان بكبرياء العقل ، وايمان القلب ، وصلابة العقيدة . ومن بقرا « خلاصة اليوم » - اول آثار العقاد - وبقرا آخر يومية حررها قبل وفاته ، يبر العقاد سائرا في خط واحد ليس منه يبعد . وهذا هو الثابت الفكري الذي يرداد مع الايام غنى ، وتترسب له في الحياة آيات باقيات .

مع الباقية عاش ، فلتكبرامة العرب عبقريا فذا بين اعظم عبقارتها في كل تاريخها ، عما كان منه وما سيكون .

وكان من الحاضرين في ميلاد ذكرى العقاد العوضى الوكيل تلميذ العقاد الوفي ، وصاحب الكتاب المتع القذ « قضية السؤود بين العقاد وخصومه » ، ولكن العوضى لم يتكلم في هذه المناسبة بلسانه - بسبب وطأة الداء عليه - ولكنه شارك بكل جوارحه في هذه الجلسة المضمخة بعطر الؤفساء .

وتخلف عن الجلسة طاهر الجبلاوي ، شفاء الله وعافاه هو والعوضى ، وغاب عنها محمد خليفة التونسي المنربتي الكويت ، وهو من اعراف اصحاب العقاد ، وتخلف عنها الصديقان الرالحان عبد الرحمن صديقي الشاعر الباحث الفنان الريف الذوق ، والدكتور عبد الحي دياب اشد الناس تعصبا للعقاد وحفظا لكل كلمة من كلماته .

واعترف بانني لست عقاديا حين يراد بهذا الوصف تكريم العقاد وحده دون غيره من معاصريه والمتقدمين عليه . ولكني اعرف العقاد منزله ، واعرف منازل سواء من وجوه الحياة الابدائية ، فلا اجد فضل طاهر الشبسة الى صاحبه . وقد احببت العقاد بعد نفور طبيعي منه ، بسببه ان

لانه رجل بلا خلق ! كنت اتصدى له في العلن ، ولكنه كان يحاربني بما يوزعه على المجلات الصفراء من مال وبما يستأجره من الاقلام والكتابات لمهاجمتي . فهو رجل دساس تعلم التامر والتدبر من وظائفه بباب اسماعيل ، وامثال هؤلاء لا ارحمهم . وقد اصبح شوقي تاريخا ، ولكنه بالنسبة لي لم ينطو بعد . وراي فيه هو الذي املى علي راوي في شعره . فمن كانت هذه هي اخلاقه ، فلا بد ان يكون راوي في شعره سيئا !

وقد كانت لي لقاءات خاصة مع العقاد تحدثنا فيها في كل ما كان يعرض لنا من قضايا واقول للتاريخ انني لم اسمعه مرة يلم احدا ، فان ورد الدم على لسانه ، ساق الدليل المسبب على ما يقول . وهو مثلا قد اختلف مع سيد قطب بعد صداقة طويلة ، ولكنه كان شريفا معه في خلاف الراي ، فلا ناوه ولا شتمت فيه ، بل كان يذكره بالاطراء والحمد .

وقد سأله في اخريات ايامه : لماذا كفت عن الكتابة في الامور العامة ؟ فقال : ان امتناعي عن الكتابة فيها فيه الجواب على استفسارك .

وكان العقاد يعرف قيمة الوقت ويحترم الذين يحفظون المواعيد . فان تواعد مع احد واخلف الميعاد ولو بدقيقة واحدة عرّض العقاد مقابلته ايا كان . وحدث ذات مرة ان دعي اعضاء المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون الى الاجتماع ، فانتظم الاعضاء جميعا في الموعد المحدد ، ومنهم قله حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وراهمي بيومي ومذكور وغيرهم . وكانت هذه المجالس تنعقد برئاسة الوزير ، وهي رئاسة شكلية تقليدية لا تؤثر في عمل المجلس . ودقت الساعة معلنة السادسة والوزير لم يحضر . فقال العقاد لطله حسين : تول انت الجلسة ! فاجل طه حسين من هذا الاقتراح ، وقال : لننتظره ربع ساعة . فقال العقاد : اذن اراس اننا الجلسة . ففتحت الجلسة ، ومضى يصرّف امور المجلس دون انتظار احد . ولما جاء الوزير ، خاطبه العقاد قائلا : لدينا اعمال عاجلة لا تحتمل الانتظار ، فانصرفنا الى انجازها . ثم اخلى مكانه للوزير !

ومما اسف له انني على صلتى الوثقى بكل من العقاد والدكتور احمد زكي ابي شادي ، لم اتنبه الى خصومة قديمة بينهما اشار اليها العقاد في كتاباته بعد وفاة ابي شادي ، وسرد اطرافها منها العوضي الوكيل في كتاب « قضية السفود » . فقد كان العقاد على يقين ثابت بان ابي شادي هاجمه في مجلة « ابولو » ومجلة « الامام » لانه كان ماجورا من جهات يهيمها هدم العقاد . واعتقد ان العقاد كان في هذا الظن شديد الخطا لان الذي اعرفه من اخلاق ابي شادي ومن اطلاعي الكامل على ظروف حياته انه لم يكن ذلك الماجور . فابو شادي قد بدد ثروة ابيه الطائلة في مشروعاته الادبية والعلمية ، كمجلة « ابولو » و « مجلة تربية النحل » التي ما زالت تصدر في انجلترا حاملة اسم مؤسسها ابي

فقد رغب العقاد في معازحته بأسلوبه الساخر ، فقال عنه « تستطيع ان تقدم من احرف اسم او تؤخر كما تشاء » ! ولكن العقاد في عموميات كتاباته يناقش مناقشة علمية ، ويحاول محاورة منطقية ، الا اذا اسفزه رجل كالشيخ امين الخولي مثلا ، او اديبة كالدكتورة بنت الشاطيء ، فعندئذ يخرج قلعه من نطاق الهدوء الى نطاق الغضب فيصف الشيخ امين الخولي ، الذي كان اماما لمسجد في المانيا ، بأنه « لم يحسن في حياته صناعة كصناعة غسل الموتى » ! وفي ندوة العقاد ، ولم اكن كثير التردد عليها ، لمست فيه ترفعا لا عجرفة كبرياء ، وتواضعا بفرك بان تحسب نفسك من انداده ، وهو الذي قل في عصره الند .

وقد ذكر العوضي الوكيل في كتاب « قضية السفود » ان العقاد الذي استهدف لحملات مصطفى صادق الرافعي وسفائقيه قد مر بهاجميا مع الكرام ، يحاول ان يرد عليها لانه راي في تجاهلها ابلغ رد على الرافعي ، مع ان الرافعي وصف العقاد بأنه « جلف حقود مغرور سفيه احمق . وليس ثمة من هو اكفأ منه وقاحة وجه وبدائة لسان وموت ضمير » ! وكان في وسع العقاد ان « يبطلش » بالرافعي ، كما كان في وسعه ان يقاضيه امام دور القضاء ، ولكنه راض نفسه على احتمال هذا الاذى ، ومذهبه الرد :

عدائي وصحبي لا اختلف عليهم . سيهيني كسل كما كان يسهيئ وقد قال هند البيت بعد خروجه من السجن ليقول للناس : « انني لم اتفر ، وان السجن لم يبدل مبادئني . فانا انا العقاد الذي عرفتموه وستعرفونه » ! .

واقول بين عضادتين ، انني استشهدت بهذا البيت كثيرا في مواقف شتى من حياتي لانني لم اجد ابلغ منه في تصوير حالي .

ومما يلقي ضوءا على شخصية العقاد انني سألته مرة : هل تعتقد ان الاسد الذي يولد في القفص يدرك معاني الحياة الحرة المنطلقة في الغاب . فجاوبني دون تفكير : طبعا يا استاذ . فالاسد اسد ولو ولد في التياترو (يقصد السيرك) والفار فار ولو ولد في قصر بكنهام ! ثم اضاف ان الحيوان الواقع في الاسر كثيرا ما يتمتع عن الانسال اشفاقا على نسله من ذلة الانقاص والاسوار ! .

وسألت العقاد مرة : ان من يقرأ رايك في شوقي الشاعر منشورا في كتاب « الديوان » ، ثم مدرجاني العدد الخاص من مجلة « الكتاب » عن الشاعرين حافظ وشوقي وهي المجلة التي كان يحررها عادل الفضبان - يستقرى رايه انك لم تجد في كل شعر شوقي فضيلة واحدة . فهل انت ما زلت على رايك فيه وهو انه عار عن الشاعرية لا يعرف التجديد ولا يحسن اللغة ولا يتبصر رسالة الشعر ؟ لقد ندم المازني على ما كتبه في « الديوان » ، وكان ذلك في فصول اذاعها ثم نشرتها مجلة « الاذاعة المصرية » قبيل وفاته ، فهل اعتراك شيء من مثل هذا الندم ؟

فقال العقاد بصوته الجهوري : لقد كرهت شوقي

حين

غرست بحقلك الخصب الربيع
بسنورا بالدموع وبالنجيع
لقد ولّى الربيع أمن إياب
الى مفناك ، يا روض الربيع
اذا حن القيم الى اغتراب ،
حيني لا يزال الى الرجوع
فما جوعي لطيب الزاد لكن
لرؤىة موطني ظني وجوعي
لقد غرق القطيع ، فكيف ينجو
وفي ليل الدجى راعي القطيع

عبد اللطيف الخشن

بوانس ايرس

الغالب الطيمية ، وجعل كتب العقاد جميعا في السوق ،
فليس منها نافذ أو مفقود .
ولكن صورة العقاد في أذهان القراء - وهي صورة
حاول تشويهها الكتاب «الفرحيون» من ناحية، والكتاب
الوصوليون من جهة أخرى (وقد رد على بعضهم العروض
الوكيل ردا مفحما في كتاب « قضية السفود ») - تحتاج
الى مزيد من جلاء بجمع ونشر مقالاته السياسية التي تمثل
آراءه الوطنية ومذاهبه الديمقراطية واتجاهاته الفكرية . فقد
كان العقاد يحارب في ميدانين : ميدان الأدب ، وهذا حفظت
لنا آثاره ، وميدان السياسة وهو ما يكاد يفقد لبعد العهد
به . ولا بد لعلم العقاد من أن يتوافر على حصر هذه
الفصول وجمعها ونشرها كما فعل إسماعيل مظهر حين
نشر ثلاثة كتب تضمنت مقالات أخيه زوجته لطفي السيد
باشا ، وكما فعل الشيخ علي عبدالرازق حين جمع مقالات
شقيقه الشيخ مصطفى عبد الرزاق باشا ، وكما فعل محمد
توفيق دياب في كتاب « الملحات » الذي تضمن فصولا من
كتابات ، وكما فعل فؤاد صروف في كتابه « موعد مع التاريخ » .
والذين يحاولون تشويه صورة العقاد العامة والخاصة
لن يبلغوا مآربهم اذا كانت آثاره كلها منشورة ، ومواقفه ضد
كل ما هو غير إنساني أو اخلاقي حية في الأذهان .

وديع فلسطين

القاهرة

شادي ، ومجلة « التعاون » ، وفي نشر دواوين الناشئة من
الشعراء ، وفي طباع كتب النقد والأدب والطب ، وفي الانفاق
على الجمعيات الأدبية التي كان ينشؤها ويتبعها بالسير
والرعاية والمواالة في نشاط عجيب ، وإبرازها جماعة أبولو
التي كان أول رئيس لها الشاعر أحمد شوقي ، وخلفه في
الرئاسة الشاعر خليل مطران . وعندما هاجر أبو شادي الى
أمريكا كانت هجرته في حد ذاتها دليلا على أنه رجل حر
يبحث عن الحرية في مكان آخر ، ولو كان مأجورا لما فكر في
هجرة كل رأس ماله فيها معاشه التقاعدي لا غير . ولئن كان
له في العقاد رأي ، فهو رأي عبر عنه بدافع من ذوقه النقدي
دون أن يتلقى توجهها من أحد أو ينال بسببه مكافأة ما .
ففي هذه الواقعة ظلم العقاد أبا شادي ظلما شديدا ، وأن
كنت إبرؤه من روح التحامل .

وكم كنت أمتنى جلاء هذا الموقف للعقاد في حياته ، ولكن -
إن فاتني ذلك والعقاد حي - فإن الانصاف التاريخي يدعوني
الى جلالة للجمهرة من القارئ .

ويعرف صحب العقاد وملازموه ، ولا سيما عامر العقاد
إنه كانت لي على العقاد العظيم دالة ، وأنه كان يزورني في
مكتبي ليقدم الي كتبه . وكنت بحكم هذه الدالة اقترح على
العقاد موضوعات للكتابة ، فيستجيب لي دون اعتراض .
وقد اقترحت عليه عشرات من الموضوعات ، يتصل أغلبها
بحياته الشخصية ، وعاداته ، وصادقاته ، ومناهجتي التأليف
وأساليبي في المطالعة ، وآرائه في الشعر والنثر ، ومبادئه التي
يدين بها وهولم جرا ، فكان من حصيلة هذه الفصول ثلاثة
كتب صدر بعضها في حياته ، وصدر البعض الآخر بعد وفاته
هي « حياة قلم » و « أنا » و « رجال عرفتهم » ، وكما أنجز
بعض هذه الفصول في كتب عقادية أخرى مثل « أشبات
مجتمعات » .

وكنت أعر في العقاد روح الانصاف في النقد ، فضلا
عن غزارة علم واتساع أبواب معارفه ، ونهمه الدائم للقراءة
المتصلة . فأشرت عليه أن ينصف بقلمه الخالد مؤلفين أجلاء
من أصدقائي فلم يرد لي طلب . فكتب مقالا بصيرا عن
« معجم الفاظ الحراجية » لصديقي الأمير العظيم مصطفى
الشهابي ، كما تناول بالثناء المفرد مؤلفات طائفة كريمة
أخرى من الأدباء الجادين ، كالدكتور محمد صبري
السوربوني صاحب « الشوقيات المجهولة » وأحمد حسين
صاحب « الطاقة الإنسانية » والدكتور بدوي طبانة والشاعر
العظيم محمود أبي الوفا وهلال ناجي والعلامة الدكتور زكي
المحاسني ، كما أنصف شعراء المهجر عن دراية وفهم وحسن
ذوق ، في حين لم ينصفهم لاطه حسين ولا عزيز أباطة .
وإن كان محمد مندور لم يقصر في هذا الانصاف .

وبعد وفاة العقاد ، نهض ابن أخيه عامر بمهمة رعاية
تراث العقاد ، فنشر ما كان مطويا من فصول أو متناثرا من
مقالاته : وأعاد نشر كتبه في مصر وفي بيروت مستعينا
بالحسني حسن عبد الله في مراجعتها والسير عليها من

العلم

محمد المدناني

يا بلادي ، وأبدع الخطباء
واشجى قلب الزمان الفناء
فاجت في قلبه الاهواء
فاجاد الخير فيها الماء
حدا ، تجلى به البرحاء
ظلمات الفلا ، وحمت ذكاء
فاتشى البدر غبطة والفناء
فزادت من زهوها حواء
اليه ، والزهر ، والانباء
كعذارى قد هزهن التناء
جيدها بالقلائد الجوزاء
فإذا البدر شلعة حمراء
ورسول الهوى اليها الضياء
عكسته على المجيا السماء

لا يهزكم علينا التناء
فازدهانا الاعجاب والاطراء
مدادا ، فكانت الصهباء
ولكن ما في الخيال غناء
الاطفاوة او هبساء
عندما يعوز المريض الدواء
فيجليه عن حشاه الدعاء
ان العلم فيه الحقيقة الفراء
مهرة البحث ، والفنى ، والعناء
وينود السبات الاستقصاء
في دجاها ، وتثبت الاعضاء

شاخصات اليكم ، والسناء
ووافى يمينه البشرء
فان يظلم الدؤوب التفساء
كل فسد يعنو له النظراء

ابنع الشعر فيك والشعراء
كم شدونا فاصفت الطير في الايك
وسكبنا الانغام في اذن الدهر
والسواقى اخذن عنا لحونا
ولخصبائها يدغدغها الماء
ووصفنا الحسان حتى اغرنا
وسقينا من وحيها البدر راحا
ورسمنا الهوى برشة الهام
واذعنا القريض فاستمع الروض
وتثبت فيه الاماليد دلا
لو اردنا نظم النجوم لحطت
واثرنا في البدر حبا دفيئا
يلهب الوجيد وجنتيه التياء
بالشعاع المباح بشرح ودأ

يا بني قومي الاماجد ! مهلا
قد خلبنا نهى الشعوب بيانا
وسكبنا على الطروس من الوحي
وثبات الخيال قد تتلج الصدر ،
هو كالحلم لذة ، وهل الاحلام
اثرنا نسقي المريض قصيدا
ام ترانا ندعو على الداء شعرا
فاظربوا العلم ايها العرب
فحياة الشعوب علم جنسي
وليال يؤرق الجفن فيها
ويشد الاعصاب صبر عجيب

يا بني عرب ! عيون المعالي
ان فجر الونوب قد لاح في الافق
فأرونا اسمكم على صفحة الخلد
وارونا في حلبة العلم منكم

واجعلوا منكم الجلي دوما
واقبلوا الكيمياء بحشاً، ودرسا
واجعلوا عصبية الجراثيم تجلوا
وانفجروا بالمعجزات تسالي
واجذبوا الغرب نحوكم ، ومناه

اطلقوا «المنشآت في البحر كالأعلام»
واملاؤا باختراكم ثبح اليم
واقصموا اللج ماخرين ، وارسوا
وازحموا الحوت في الخضم بفوصاتكم
واجعلوا اليد بالسود جنايا
انمسا النيل والغراتان كنز
وانبشوا الأرض ، لا تبقوا دفينا
ما بقير المناجم اليوم شعب
كل حرية تشاد على غير

اطلقوا الطائرات تكتسح الافاق
لا تغلوا للنسر فيه مجالا
واقصموا كالرعود فوق التريا
فانزلات اوقع عندي
ودوي الرعاد يخترم الاخضام
وهزيم القذائف الحمر تنقضي
هو عندي الايقاع يغلب لبني
فاذا شطت عن حماي حراء

يشتهي قلبي السلام ، ولكن
ليس يجنني البقاة الا الانيا
رب ! لا تبق في البرية ديارا

ايها الشعر ! يا حبيبي عفوا
بك توجت هامتي باكالييل
بات في العلم خير قومي فاصبحت
ان تكن فيه للبلاد حياة
وعلى عززي الذي رحت ابني
فانا ، والقريض، والمجد، والاحلام
والاماني ، والخلود المرجى

يا بلادي! حسي غدا فيك رمس
بك يمسي دجى الضريح نهارا

فنهاكم يشع منها الذكاء
فاساس التفوق الكيمياء
عن حمائنا ، وتصرع الادواء
بأهراث ، تاتي بها الكهرباء
ان تروي ابناء الفيزياء

ليست يغوتها ميناء
سفينا ، بها يفتلى الماء
سادة ، حيث ينفي الارساء
تحتفي بها الانواء
وارفات الظلال ، يات الثراء
سوف تمحي بمائها البيداء
في حشاها يجني عليه الخفاء
قام من مجده الاثيل بناء
فلز ، حرية شوها

حتى يراع منها الفضاء
ودعوها بكم تضيق الجواء
واسبقوها ان هبت النكباء
من لحون يشدو بها الشعراء
ليست تجنيه الورقاء
فناء ، يمتنى به الاعضاء
وهو عندي الاهتمام والايحاء
فبطون المصفحات حراء

جرحوه فاجت البقضاء
كامنا في نيوبها الافناء
مناء التنكيل والابناء

انا لولاد ، ما لذكري بقاء
من المجد ، فاح منها الآباء
اليه ادعو ، فقيه الفناء
فعلى الشعر ، واليبسان العفاء
بك يا شعر ، دمعة عذراء
زهرا ، والاهل ، والابناء
لك يا موطني جميعا فداء

تتلاشى في تربه الاعضاء
وحضيض الاجداث فيك سماء

محمد المناني

الحزب الوطني المصري وأبو ماضي

بقلم جورج ديمتري سليم

المقالة الثانية

كانت الفترة التي عاشها أبو ماضي في مصر فترة تكوينه العقلي، كما كانت فترة تكوينه البدني. فان الصبي ذا الحادية عشر الذي نزل البلاد غرا عام ١٩٠٠، ودمعها عام ١٩١١ شابا في الثالثة والعشرين، وقد تحدثت معالم فلسفته الحية بما فيها الاجتماعية والسياسية. وكانت الفترة ذاتها فترة تكوين الحزب الوطني. فان هذا الحزب الذي كان موجودا فعلا في مصر منذ ١٨٩٤ - كما ذكر مصطفى كامل - أصبح عام ١٩٠٧، حزبا رسميا منظما، له لائحته، ورئيسه ومجلس إدارته، وأعضاؤه.

تكان أبو ماضي كان على موعد مع الحركة الوطنية لينمو وإياها في وقت واحد، حتى إذا ما بلغت هي كمالها، وبلغ هو سن الرشد، اختار أن يكون لها، وكيفلا، والحركة حركة الشباب، وحركة الأغلبية الشعبية التي هو منها، وقضية مصر قضية عادلة إلا - كما قال هو - «مقترض في قلبه مرض». فوق هذا كان لمصر على أبي ماضي حق: فأنها استضافته، فترعرع بين ربوعها، ونعم بخيرها، وطال مقامه فيها لأن وداعم على الأيام يساق وجارهم عزيز لا يسقام فلا عجب إذن أن يتعلق بها، ويعطف عليها كواحد من أبنائها، ويعمل شيئا من أجلها ليرد إليها بعض جميلها. سمع الاسكندريون أبو ماضي مرة يلقي بحماس، في احتفال، قصيدة جاء فيها هذه الإبيات التي تذكرنا كلماتها وموسيقاها بالاناشيد الوطنية:

أبا «مصر» أفديك بالإنسين بروحي وما ملكته يدي
أجيبك حتى تجيب الجحار وبشبي الفناء الي الجلد
وما أنا وحدي الحب الأمين فكمن بي في الناس من مقتد
ونسلمه، ونحن نقرأ في «ديوان تذكارات الماضي»،
يخاطب النيل بعدما ملأ هذا النهر الخالد نفس شاعرنا
هبة، أثر وقفة على شاطئه، فيقول له:

وما أنا بالمد الذي يربح المعنا ولكنني سر تروغ بسوادره
أيا «نيل» الفانحنى على الحق قوة «ف» سود السرافم الا اظافره
وهني بنسا بسكن الدهر عنده فقد طالما جاشت على مناسره
ثم ينتقل أبو ماضي بعد هذه الإبيات الي وصف
المحتل الظالم وعونه، وإلى شعب مصر المظلوم، فيقول:

«ف (فوتست) في مصر» (يسد سهمه اليه، و «فانصا الوحي» يضافره
يلجون في اعنانه، فاشا شكا يصيحون: ان الشعب قد ثار لثاره
لقد هزأوا لما تبيته بغضه، فلم ذمروا لما تبيته سائرته

رعى الله من ابتائه من يلود عن
هم بعثوا فيه الحية جديدة
وهم اسمعوا الأيام صوتا كانعا
وهم اطلقوا الألامه حين اصبحت
كذلك ان يعدم اخو الظلم ناصرا
ونسلمه كذلك في قصيدة «عام ١٩١٠» يقول:

ان لم اذن عن ارض «مصر» موقفا
ولقد دهش بعضهم وقتها من موقف أبي ماضي هذا،
ومن اتدفاعه في الدفاع عن بلاد لم يولد فيها، ولا يدين
بدينها، ومن ايمانه الصادق بإرادة شعبها، فاستنكر عليه
الأمر، و «وأفى يسوق اليه التعنيف والعدلا»، ويسأله:
حتام تدفع عن «مصر» ولست لها باين، ولا ناقة تبغي ولا جملا!!
ولكن ابا ماضي الشاب العاقل المتزن لم يابه بهذا اللوم
ويقول لنا:

فلت بالصمت حتى لاح لي علم
ولت: انظر! فولى شطره فرأى
وعدت ارضي له مما السم يسه
وبمضي على ماضي في نظمه لينقل البنا في الإبيات التي
تلي هذه جوابه إلى سؤال أحد اليائسين المتخاذلين:

وقال: كيف ترقى «مصر» واقتله:
يقتلن لا جزما مما يحالده
ثبت الفزيمة لا يباي بهونه
شعب يسألني نحو الجد هاجسه
شعب احب اليه الموت محترسا
كان أبو ماضي واحدا من أولئك الشعراء الذين عرفوا
ما لا فهم الجميل ممن فاعلية في تحريك النفوس، فكرسوه
في ذلك العهد للأسهام في إذكاء جذوة الحرية بتلك الوطنيات
التي قرأها لهم معاصروهم باعجاب على صفحات الجرائد،
وقرأنا نحن بعضها مجموعة في دواوين.

والصنف «ديوان تذكارات الماضي» الذي طبعته لابي
ماضي المطبعة المصرية، بالاسكندرية، في منتصف عام ١٩١١
لن يفوته ملاحظة ان هذا الديوان قد تضمن قصائد
سياسية دون ان يتضمن «بابا للسياسة». ذلك ان شاعرنا
تعهد ستها على ما تعتقد، عدم افراد مثل هذا الباب في
ديوانه، كما نحاشي ايضا افراد قصائد معينة له فيه، حتى
لا يواجه انظار الرقابة اليه، فنثال منه كما نالت من غيره.
فهو قد رأى كيف صودر «ولطيتي»، وكيف طورد
الغابائي، وكيف حوكم الشيخ جابوش والزعيم محمد فريد،
وكيف حبس الآول ثلاثة اشهر والثاني ستة، وكيف كانت
الجرائد توقف، وكيف كان اصحاب المطابع يستعدون،
وكيف... وكيف... فاحتاط من بطلن رقابة الاحتلال
الفاشمة التي اقال عنها في بائية له مجهولة:

كفى «مصر» ان الفاصبيها حثولها اعادوا لها زمان «المراب»
فعد شروق الشمس نكبة شاعر وعند غروب الشمس نكبة كاتب
لهذا نرى ابا ماضي ادرج قصيدة وقال في باب
«الاذب والاجتماع»، عندما قدم ديوانه للنشر، وادرج
«الذئاب الخاطفة» و«أبا القلم»، و «مصر والشام»،

و «عام ١٩١٠» ، و «أبا نيل» في باب « أغراض شتى » متناسياً في الوقت نفسه قصيدة « مصر والاحتلال » افتاء ما قد ترتب على إدراجها .

بيد ان المبررات التي حكمت على أبي ماضي ، عهدئذ ، بأن يتناسى قصائده لفظها ، لا تحكم علينا نحن الآن بأن نتناساها أيضاً . فليس من الإنصاف ، لا الحركة الوطنية حين تُوَرِّخها اليوم ، ولا لابي ماضي حين تدرسه في شبابه ، ان تظل قصيدة مثل « مصر والاحتلال » مدفونة بعدما نشرتها « الشعب » القاهرة في ٢٧ - ٣ - ١٩١٠ بمقلمة تنم رغم إيجازها الشديد ، عن رأي اسرة تحرير هذه الجريدة في أبي ماضي . قالت ، هذه الجريدة ، وكانت «لسان حال الحزب الوطني » ، عما نصه :

«فضل حضره الشاعر الكبير المطبوع صاحب الامضاء فارس الينا هذه القصيدة العصماء بصف فيها مركز مصر ازاء الاحتلال بما عهد فيه من رقة الشعر وجزالته ، فنشكر له هذا الاحساس الشريف ، ونثني عليه الثناء الجليل .»

فاذا لاحظنا أيضاً ان « الشعب » نشرت القصيدة على يسار مقالة « حول الدستور » لمحمد فريد - ولم يأت ذلك عفواً على ما نظن - ثبتت لنا تلك المكانة التي وصل اليها أبو ماضي ، عن جدارة ، واعترف له بها مبكراً في حياته .

ف « مصر والاحتلال » اذن تستاهل نقلها هنا كاملة ،

لانها من احسن وطنيات تلك الحقبة ، ومن عيون «مصريات» ابي ماضي ، ولانها بغردها ، تشهد على ما كنا نلاحظها في شبابه من طبيعة شاعرة ، ووشيجة نادرة ، ووطنية صادقة .

خلني استمعخ القوم التياما
انا لا اريصل ل «مصر» ان تصليما
لا تلم في نصرة الحق فئسى
او لفلنسي ان قلبي لكما
سوف اشكو الهوم ان احرجني
وقفة في شاطئ « النيل » معي
واناجيه اماني امسة
عنه يبعث من اسراره
قبما بـ « النيل » لو ان به
لست انسى ليكة بت بهما
ارقب الاقتصاد فسي الاكها
لم يؤرقني اشتياق الى هوى
راع نفسي ان « مصر » روغت
حسب « مصر » انها الارض التي
وبنها انهم نسل اللسي
كرمت « مصر » واهلها فيما
كان الاحرار فيها مؤسلا
ثم هاض البحر من جانبها
اربي « مصر » على رغم العدا
لست مصرى ولكن نسبة
امسة ترتقب استقلالها
ما لهم يسمون في ايدائها
زعموا اصلاحها وهى اتسي
جيسوا « النيل » على نفهمو
فلذا ما صرخت تشكو العصى

« رب ذي تب عن الحق تاعى »
اخمول انها تهوى السلام
شقوة « النيل » سوى مشرين عاما
فالام ايها القوم الامسا
وامنعوا الانس والصف الكنا
في ولام فانثروا فيها الغصا
في حياة فابعثوا فينا العصا
او فكونوا انتم البوت الزوام
فسده ان جازوا الامر الاسما
ولنا ان نساءل اذا كان أبو ماضي قد دخل فعلا الحزب الوطني ، وصار عضواً مقيداً في قائمة اعضائه . فما لا شك فيه انه آمن بوطنية الحزب ، فجاهر بها تماماً كما جاهر بها شعراء الحزب الرسميون . ففي اشعاره التي نظمها في الفترة المصرية من حياته صدى واضح لمطالب هذا الحزب ، ولسياسته ، ولنشاطه ، ولاقوال رجاله .

طالب أبو ماضي المحتلين بالجلاد في قصيدته السابقة فقال :

قد خلت تسعة اعوام على شقوة النيل سوى مشرين عاما
وانقضى العمر ولما تنجلوا فالام ايها القوم الامسا ؟
وطالب بالدستور في قصيدة « مصر والشام » ، بعد « معاهدة باتوك » التي عقدت في ١٠ - ٣ - ١٩٠٩ ،
والتي ألغيت بمتعضاه الامتيازات البريطانية في سيام ، فقال :

الى م تنفع الدستور « مصر » وقد كادت تلوز به « سيام »
وكان الجلاء والدستور مطلبى الحزب الاساسيين .
الا ان الجلاء ، الذي اصر عليه الحزب الوطني « حتى صار اصبح معروف له انه « حزب الجلاء » ، لم يلق من أبي ماضي نفسي الاهتمام الذي لقيه الدستور منه . ونعزو هذا الى ان زعامة الحزب الوطني كانت هي المطالبة بالجلاد ، باسم الشعب بينما كان الشعب نفسه هو المطالب بالدستور ، تحت اشراف الحزب .

ففي اوائل عام ١٩٠٨ ، قامت في مصر « حركة اجتماعية المطالبة بالدستور » اسفرت عن جمع عشرات الاف من العرائض ، وقع عليها ٥٠ ألف مواطن ، قدمها محمد فريد الخديوي نفسه في ٢٥ أبريل (نيسان) . وصادف ان قامت أيضاً ، في نفس العام ، حركة في تركيا كان نتيجتها اعلان عودة الدستور العثماني في ٢٣ يوليو (تموز) ، بعد إلغاء مؤقت دام ثلاثين سنة . فآلهب هذا الإعلان حماس الشعب المصري ، وحفزوه الى جمع دفعة جديدة من التواقيع لتقديمها الى الخديوي ، وهذا في حين بدأ الشعراء والوطنيون يؤهلون بعودة الدستور منتظرين نظيره في مصر . وفي هذا المجال نظم أبو ماضي « تحية الدستور العثماني » التي منها :

ولا عدت يا عهد الشقا التقادم
مقيمة مثل اليوم القوايم
« على الطائر البعوض يا خير لادم »
على حين ان الشرق مقلمة هالم
وتكن خزبا راسه كل ظالم

الى حيث انفت يا زمان الظالم
للايون عاماً والتواكب فوئنا
ويا اهل الدستور اهلا ومرحبا
طلعت علينا كوكبية غير اهل
لعبت لفر الظلم بالارض هاربا

توهم قوم انما الشرق واهم وانك يا دستور الفساح حال
وفي ميمية اخرى مجهولة عنوانها « غادة الحرية »
خاطب ابو ماضي الضباط الاحرار الاتراك ، عقب نجاح
حركتهم ، وذكرهم بمدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٤) ، ابي
الدستور العثماني « ، الذي نجاه السلطان عبد الحميد
(١٨٤٢ - ١٩١٨ حكم ١٨٧٦ - ١٩٠٩) الى الطائف حيث
لاقى مصرعه ، فقال :

عشر الاحرار اتم خير من يرتضى فينا اذا الخطب ادلهم
ولانتم ارجع الناس حصى ولانتم اجمل الناس شيم
ان ب « الطائف » قبرا واضحا جاد ذاك الكبير منهل الديم
لو درى سائكه ، من طرب ، جادكم يسمى على غير قدم
... ان فيه ... واسالوه تستفس منه الحكم
وفي قصيدة اخرى مجهولة ايضا ، عنوانها « عبد الحرة
العثماني » ، نشرتها في ٢٤ - ٧ - ١٩١٠ « العلم » ، لسان
حال الحزب الوطني ، تغنى ابو ماضي بعيد الدستور ، وبشهر
يوليو (تموز) ، شهر الحرية الذي تعيد فيه الولايات المتحدة
الاميركية باستقلالها منذ ١٧٧٦ ، وفرنسا بثورتها منذ
١٧٨٩ ، فقال :

عبد اذا عد في الاعداد زينها كالشمس في السهب هل للشمس امثال
غيره ، لو العاجات باتسوا شولا ، ومك لذي الحاجات امال
تفادوا ان « تموز » يكون لهم عيدا كبيرهم ، قد يصدق القال
« تموز » انت منيل الشرق بفته في حين اسبح قوم فيه بغسال
بشا نود شهر العام اجمعيا « تموز » ، وان يوم العيد اجيال
كانت الاشهر الاولى من عودة الدستور - كما يقول
توفيق علي برو في كتابه « العرب والترك في العهد الدستوري
العثماني » - ممثلة بروح الحماس والمحبة والاخوة بين
الطوائف ، وعبرت الجماعات والافراد عن شعورها بمختلف
الوسائل . فقد اعرب السوريون في الوجدتين عن ولائهم
للعهد الجديد بفتح اكتاب عام للبرع ببقيشة حربية هدية
للبحرية العثمانية ، وشكل اهالي بيروت حرسا وطنيا
لمساعدة الجيش عند اللزوم ، وفي العراق ، ابتاع طالب بك
التقيب ، نائب البصرة الجديد من ماله الخاص ، مركبا
بخاريا ، اهداه الى الحكومة كي تستخدمه في المحافظة على
شط العرب ... وفي طرابلس الشام تضافت ايدي الترك
والعرب ، واصبحوا يساهمون سوية في الاعمال الخيرية .
وحتى عبد الحميد نفسه اعرب عن اخلاصه للدستور ورجعته
بالحفاظ عليه .

اما في مصر ، ففيدنا كثير بان محمد فريد خطب
بالاسكندرية فهنا الامة العثمانية باعلان عودة الدستور ،
مناديا « ولكن الاستانة كعنينا السياسية من الان ، فنحن
من الامة العثمانية ، لنا امتيازات لا تخرجنا عن كوننا
عثمانيين . » واستنكرت بعض الاحزاب الصريح الذي
لم يكن جديدا في سياسة الحزب الوطني . فقد اكد الحزب ،
منذ ظهوره ، تبعية مصر لتركيا - لكسب الجلاء ، وحارب
من يدعو الى الانفصال عنها . وفي هذه المناسبة ، شارك
ابو ماضي في التعبير عن شعوره ، وعن شعور العرب اجمالا
والحزب الوطني خاصة ، بالولاء لتركيا ، عندما خاطب

السلطان « عبد الحميد بعد اعلان الدستور » قائلا :

ابا الشعب اطعم من حجابك يفتي بطرفك مثل العارض التدفق
تطلع تجعد حول قصرك واقفا يحدد تحديق الحب الوفق
يش لسراى الويس ، وانما يش لسراى الكوكب المتساق
ويشق منك الياس والعلم والندى كذلك من ينظر الى الحسن يشق
تلق عنك المفسدون ، وظالما رماو الشعب بالتريق خوف الترق
وكم القلوب في الارض ، ثم تراها يقولون : شعب ملق اي ملق
يطارحك الحب الذي انت امله وحسبك منه الحب غير مزوق
وها جيشك الطامس يفسج مكرها بما تال من عهد لديك وموق
ويا ايها الملك القيم ب « يلند » ملكك قلوب الناس بافرق فاقف
ويا هذا عيد الجيوس فانه اجل الذي ولى واجبل ما بقى

ولكن عبد الحميد سرعان ما تنكر لدستور ١٩٠٨ كما
تنكر لدستور ١٨٧٦ من قبل ، فقامت حركة في الاستانة ،
عام ١٩٠٩ ، لتخلعه ، وتخرج اخاه « رشاد » (١٨٤٤ -
١٩١٨) من سجنه ، وتوليها سلطانا باسم « محمد الخامس »
(١٩٠٩ - ١٩١٨) . وفي هذا بنظم ابو ماضي « فتنة ١٣
ابريل (نيسان) » التي بارك فيها الحركة ، ولأم عبد الحميد
ثم قال :

يا « رشاد » الملك نهضة بالذي اويت من نعم
انت ك « الصديق » اسكنه فسله في السجن من قدم
كن لهذا الشعب « يوسف » ينح من عدم ومن نعم
انت لتشورى نصولها يك من عات ومن نهم
فتقلد سيف جسدك « عث هان » ، جد البيض والغلم
وتلوك الياس من اسم ويجعل الله فاعصم
دمت يا خير الملوك له غير ما هم ولا قسم

وازداد ابو ماضي ولاء للسلطان الجديد ، فتمثله في
غامة الثاني من حكمه ، هارون الرشيد ، وتمثله الاستانة ،
مقر الخلافة الاسلامية وقتذاك ، بغداد عاصمة الخلافة
العاسية ، فقال في « عيد الحرية العثماني » :

الملك لاق به من كاد الرشاد حجي « رشاد » الملك امثال
« دار السلام » سقك الحب هامية ما دام للسحب في الاوان تجوال
اني ارى فيك « بغدادا » وابصر في برد « الرشيد » « رشاد » الملك يخال
يا درة الشرق دمت الدهر حالية فاشرق لولاه امسى وهو معال

« في اواخر سنة ١٩٠٩ ، واول سنة ١٩١٠ - كما
يقول الرافعي - شغلت الراي العام مسألة كبرى ، تصل
بحياة البلاد المالية والسياسية ، ونعني بها مشروع
امتياز قناة السويس . وفحوى هذا المشروع ان المستأثر
المالي البريطاني « مستر بول هارفي » ، اخذ يفكر - بهواه
في وسيلة يسد بها حاجة الحكومة الى المال . فدخل في
مفاوضة مع شركة قناة السويس ، له امتيازها اربعين
عاما (من ١٩٦٨ الى ٢٠٠٨) ، لتلقا اربعة ملايين من
الجنيتات تدفعها الشركة الحكومة ... وقد ظل المشروع
في طي الخفاء زهاء سنة ، وكان في عزم الوزارة انفاذه
بسرعة ، حتى لا يزعمها احتجاج الصحف الوطنية . ولكن
« فريدا » تمكن من الحصول على نسخة من المشروع في
اكتوبر سنة ١٩٠٩ ، فبادر الى نشرها في « اللواء » ، ثم
قضى على اثرها ببيان اسرار المشروع واسبابه ، ومبلغ
الغبن الذي يصيب مصر من ورائه ، وشرح ذلك في سلسلة

حنين

سلام الارض والسبع الطبايق
قوافل من جباد او نياق
اذا الانفاس هبت بانشقاق
دموعك لاصطباحي واغتباقي
وشامتها ولو جزء الدقاق
فللفيحاء يهتز اشتياقي
تمونه الجداول والسواقي
يشق الفجر اسراء البراق
يجود على المصلى بانتعاق
ينيط مجزعا بطلى الصداق

سليمان داود

على بردى الشام وساكنيها
قدبما جلق قصدت علاها
تحط رحالها فتميس تيهها
ريبيك يا دمشق انا فصبي
فكم حنت للثم الخد روحي
اذا ما الشوق هز فؤاد صب
يجر الماء يا بردى سلاما
متي يا رب يبعث احمد كي
يهب على فلسطين سراما
ولي قبل الغروب منى لقاء

هوستن - تكساس امريكا

ونحن نستحسن هذا الاقتراح غاية الاستحسان، ونضم صوتنا الى صوته ، ندعو اخواننا الاسكندرانيين لمساعدته للقيام بالواجب نحو نوابهم الاحرار ، لان مثل هذه الظواهر اعظم مشجع لهؤلاء الابطال على السير في طريق جهادهم ، وتعد بمثابة شكر واستحسان لما اوتوا به من جلائل الخلفات . واملنا فيهم - وهم المشهورون بالنيرة الوطنية والحمية الملية - ان يسرعوا لاجابة هذه الدعوة ، وانا لذلك منتظرون . وقتنا الله جميعا لصالح الاعمال . آمين .

وقد وقع هذه الدعوة وطنيون ستة ، هم : محمد عوض جبريل السكندري ، محمود حسن الدرسلي ، السيد الشيمي ، محمد طاهر ، محمد علي منصور وكيل «النار» ، ايليا ظاهر ابو ماضي بشارع راغب باشا .

ولا يكتفي ابو ماضي بالاشتراك في توجيه هذه الدعوة بل يسجل نصر الوطنيين في معركتهم ضد مد امتياز القتال، فينظم في قصيدة «عام ١٩١٠»:

وسعوا الى سلب القنات «فاخفقوا» سعيًا ، وشاء الله ان لا نخلفا
عرض الحساب «لستشان» ولم يكن لولا السياسة حاسبًا ومبدعًا
ايكون غاصبنا ويزعم انه امسى علينا محسنًا متصدعًا
ويسجله ثانية في قصيدة «ايا نيل» ، التي نشرتها «العلم» نفس العام ، فيقول :

الم يكن في يوم «القنات» ليانه دليلا على ان ليس نوحى مرارته
يعز على المصري ان يحل الاذى وحاسره باي الهوان وغابره

جورج ديمتري سليم

واشنطن

من مقالات مستفيضة .

وتبع ذلك ان شن الكتاب والشعراء الوطنيون حملة عنيفة على المشروع ، كان من جرائها رفض «الجمعية العمومية» المشروع باجماع الاعضاء ، في جلستها بتاريخ ١٩١٠ - ٤ - ٧ .

وكان لهذا الرفض وقع حسن في نفوس المصريين . وراى بعضهم ، في الاسكندرية ، ان من واجبه تكريم نوابه الذين يرجع اليهم فضل رفض انفاذ المشروع ، فوجه «دعوة الى الاسكندرانيين» هذا نصها :

«تعلمون - حفظكم الله - مقدار ما ابلاه البطلان العظميان اسماعيل باشا اباطه، وعبداللطيف بك الصوفاني، وزملائهما ، من البلاء الحسن في «الجمعية العمومية» ، ومدانعتهم عن حقوق الامة ، ورفضهم «مشروع القتال» ، بعدما اظهروا للعالم اجمع مقدار ما يصيب الامة من الاذى والمضار اذا قبلته . تعلمون عن كل تلك الاعمال التي احرصت السنة كل مكابر ناكرا لكفاة الامة وعظيم مقدرتها ، تلك التي برهنت باقوى دليل على ان المصري لو اعطي من الراي النافذ والحرية في العمل في شؤون بلاده لخدمها باحسن ما يخدم به المرء بلده ، ولسمّا بها الى اعلى عليين .

ولقد اقترح حضرة الوطني الفيود «محمود افندي حمدي السخاوي» ، على صفحات «الشعب» ، عمل مظاهرة يقوم بها الاسكندريون تكريما لنوابهم الامجاد الذين جاهدوا في سبيل امتهم خير جهاد ، وطلب من كل وطني حر الاشتراك معه في القيام بهذه المظاهرة قريبا .

الملكة زنوبيا

بقلم سكينه انشاهي

احساس غامض يعتريني وأنا أقف امام ترائنا القومي ،أو اقرا من انسان خالد اثار صفحات من تاريخنا القومي الانساني . مثل هذا الاحساس خامرني وأنا اقرا « الملكة زنوبيا » الشاعر عدنان مردم فخيّل الي ان صور البطولة العربية واحدة في كل زمان ومكان بنبل مقصدها وعظيم تضحياتها .

موضوع قومي تلعب دور البطولة فيه امرأة عربية ارادت ان تعيش بلادها حرة مستقلة بعيدة عن التبعية والتسلط فناضلت وبذلت في هذا النضال كل ما تملك من فكر وعزيمة وشجاعة . واستطاعت ان تقف امام روما وأن تشيد مجدًا خالدًا أبدي الدهر .

تبدأ المسرحية بلقاء بين وهب اللات ،ابن زنوبيا وبين خطيبته خولة . وفي هذا اللقاء نفهم ان وهب اللات يحب خولة حبا يغمر عليه كيانه ولكن خولة تعيب عليه تهالكه في هذا الحب ، تريده بطلا مغوارا ليخدم بلاده ويصل الى مراتي الجحد .

تأتي الراجولة ان نسا
ليس الهوى خفي الجنيا
احببت افواه الغلييل
لاؤتود بيد الدليل
ونستشف من كلام خولة ان وهب اللات لا يجهل من صفات البطولة ما يرضي مطامحها ، ومع ذلك تحاول ان تبعث فيه هذه الصفات لتخلق منه الرجل الذي تريد :
خذ عن ابيك طموحه
وبعد لقاء وهب اللات وخولة لموضوع المسرحية ، ويبدأ هذا الموضوع فعلا حين تدخل زنوبيا ومستشارها وتأخذ بمداخلة ابنها وخطيبته ، متحدة عن سحر الربيع مستعدة الحكمة من هذا السحر . وتتجلى لنا زنوبيا من خلال حديثها مشغولة الفكر قلقة على جيشها الذي يخوض معركة مع العدو ، ولكن قلقها هذا لم يطل حيث تأتي اخبار النصر المؤزر .

ولا تكاد انباء هذا النصر تصل الى مسامع كسرى حتى يسرع لارسال هدية الى زنوبيا معبرا عن مشاركته للشعب النديري في فرحته . ولكن زنوبيا لا تثق به ولا تفرح بهديته لان تجاربها معه جعلتها كثيرة الشك في صداقته دائمة الحذر منه . ومع ذلك فانها ترد النجعة بملها مينة لكسرى ان هم الشرق واحداً أمام العدو الغربي .

لم يطل زنوبيا النصر لانها كانت تعلم ان عدوها شرس مكر فقد يعاود الكرة ويقايتها بمعركة جديدة لم تحسب لها حسابا . كذلك فانها قلقة تخشى الخيانة ومكائد

الاقارب .

وفعلا فقد حصل ما كانت تتوقع اذ لم يلبث العدو الروماني ان عاد اليها بقوة لم تستطع الصمود امامها هذه المرة ، لان خيانة الاقارب لعبت دورها لان جيشها الذي استنزفت قواه معركة سابقة قريبة لم يكن قد استطاع ان يستعيد قواه مرة ثانية .

وتطالعنا زنوبيا في قصرها لآخر مرة وحولها قوادها ومستشاروها يفكرون في وسيلة تعيد اليهم الكرامة ولكن تفكيرهم لم يطل اذ يفاجئهم رسول فيصر طالبا من زنوبيا ان تكون الفداء لشعبها فتقدم نفسها اسيرة للرومان . ولم تجد زنوبيا بدا من ان تشتري السلم لبلادها بنفسها فتخرج مع جنود الرومان تحت جنح الظلام ، بعد ان توصي ابنها ، وهب اللات بان يكون رجلا حازما يعرف كيف يدبر شؤون ملكه .

يحاول الاستاذ مردم ان يتقيد بأحداث التاريخ ولا يرى مخالفة لهذه الأحداث الا في القسم الأخير من المسرحية حين جعل الشاعر زنوبيا تذهب مع جنود الرومان بمحض ارادتها بينما يقول التاريخ انها كانت تحاول الفرار ناجية بنفسها فيلتي الجنود الرومانيون القبض عليها ويتقادونها اسيرة الى روما . وكان الاستاذ مردم وجد في قبولها الاسر فداء لشعبها نوعا من التضحية فأراد ان يزيد من حبنا للكتلة واعجابنا بها .

والحقيقة انه اتقن رسم زنوبيا فاربزها لنا ملكة حكيمة شجاعة ، وكانت صورتها تنكشف لنا شيئا فشيئا من حديثها تارة ومن حديث الآخرين تارة أخرى ، في حديث علة نرى زنوبيا القوية الهيبة .

يشوق القارئ قوتها
وتخاف سطوتها العيون
وهي حكيمة في كل كلمة تقولها حتى انها حين تتحدث عن الربيع فانها تعرف كيف تفتق الحكمة من حديثها .

ليس الربيع بدائم
ما كان الا الطيف في
وقوته ليسود
قصر ولي ابيسار

اما حين يرسمها من الداخل فانه يذكرنا بشوقي وهو يصور في كليبواته الملكة والاني معا . وهذا لا يعني ان عدنان مردم ينقل عن شوقي كلا ، فكل من الشاعرين أسلوبه الخاص وطريقته الخاصة ، وان كنا نجد أحيانا تشابها في المعاني ، فشوقي مثلا جعل كليبواته تحس بهذا التناقض بين طبيعتها ومتطلبات ملكها فحاولت التقلب عليه .

فان لك بي خيبة في النساء
وزنوبيا أحست به احساسا قويا فأرادت ان توازن بين القوة والضعف والشدة واللين وأعطت لكل جانب في ذاتها حقه ، فكانت اما رؤوما وكانت ملكة جبارة :

تأبى الامومة ان تفصل
نسي على فرط الحنان
يد ونعجم من جليل
نسي جانب السهل واخر كان كالهذيل

وهي بعيدة النظر ولها
ومن الامثلة على ذلك موقفها من هدية كسرى بالماضي .

اليها بعد النصر ، لقد أخذت الهدية ولكنها ظلت حذرة لا تثنى بمساعدته لأنها تعرف نواياه السيئة .

كائن اجسدي من سحابة الكف لو تخطو السرية لو ضمنت العيون من كسرى لشمرت مفسدة

ولكن النجاح يخون الشاعر حين يلتقي الماضي والحاضر في نفسه فنحن بشاعره تنسرب الى نفس زئوبيا وتتدفق على لسانها وهكذا تظل شخصية زينب التاريخية سليمة ما لم تبرز شخصية الشاعر . وعندها فلت من يده الواقع التاريخي وتطل برأسها الافكار المصرية ، كما في هذه الابيات حيث تحمل زئوبيا وصيتها لرَسُول كسرى فيظل وجه الشاعر وهو يفكر في قضية انتقام العالم الى معسكرين شرقي وغربي والتطاحن المستعربينهما: شرق وغرب لمصري الفساد في كل امر والناس فيه شتات في كل قطر ومصر

وبقية شخصيات المسرحية لم تلم بذلك الدور الكبير الذي لعبهنا بوجودها ، فهناك المستشاران : لونيون : هادي الطبع يكره لغة السيف ويحب الهدوء والسلام . والحضارة في نظره لا تشيدها الدماء .

ان البطولة في العقول وليس في قطن وضرب قسح العقول بكل قلب خالد وبكل لب والمستشار الاخر كليكراس : ناصح امين للملكة ، مأخوذ بأعمال زئوبيا ومنجزاتها الخالدة ولكنه يعتقد ان الحضارة لا تشيدها العقول فقط :

ان الحضارة نسوة خلافة جادات بسبك وهناك القائدان زيد وزيدا ، اما زويد فانا نراه في المسرحية مرة واحدة وذلك حين يأتي لكي يخبر زئوبيا بانتباء الاستعدادات السرية التي يقوم بها الرومان لحرب التدميرين :

روما تعبر جيشها للزحف سرا من زحل اما زيدا فانه يحضر الجلسة التي عقدتها زئوبيا للبت في قضية الحرب مع الرومان ، ويكون رايه الا مقر من خوض المعركة :

مليكتي كسل حل غير القتال محال كما نراه بعد الهزيمة راجعا من عند كسرى يحاول اقناع زئوبيا بتلبية دعوة الملك الفارسي عليها تستطيع استدرا عطفه فيقدم للتدميرين المساعدات الكافية ليأقاف الزحف الروماني :

ما كان للمضطر في الخطب الروح من خيار البيت يجبر غيلة حسن الدلة من صفار وهناك الشخصية المعارضة شخصية الحارث الذي يحاول بكل وسيلة بليلة الافكار والطنن على زئوبيا وعيب ادارتها ، واتهامها بالضعف والعجز والظلم :

تأمل وجوه القو م تيمر خيبة العبد عيون حشوها سقم بما تقضي وما تبدي واجسام طواها الجو ع فالتفتت من الجهد وزينب لا تسرق لمد مع اليأساء كاضلد وربما استطعنا ان نعتبر الشخصية الثانية التي اتفن

الشاعر رسما في المسرحية هي شخصية عيلة ابنة همام ، فقد تجلت فيها الصفات السامية النبيلة التي تجلت في زئوبيا وكان الشاعر مصرا على ان تلج أكثر المشاهد وتشارك في النقاش وتعب عن افكارها بقوة وجرة . ولقد راينا موقفها من وهب اللات في اول المسرحية حين نعت عليه ضعفه وتدلله امام من يحب . ولكنها تعود فتصطف عليه وتحاول ترشيته ، اذ نجدها في المشهد الرابع من الفصل الثاني ساعية اليه معترضة عما بدر منها نحوه .

انما من اساء الى الامير تجنيسا وكبرا واتيت اسمى نخوة بفراصة لاكبرا

ولكننا لا نجدهما بعد المشهد الاول مجتمعين الا في آخر المسرحية ، حين تحل الهزيمة . وهذا يعني ان الموضوع الثانوي لم تكن له اية قيمة ترشد الموضوع الرئيسي اللهم الا التمهيد للاحداث ، ومع ذلك فقد كان بإمكان الشاعر ان يجري حديثا بين شخصين من شخصيات المسرحية يكون موضوعه القضايا الجارية وهذا يكفي لبده المسرحية .

وبجب ان نقف قليلا عند شخصية وهب اللات ، هذه الشخصية التي بدت في اول المسرحية ضعيفة مهزوزة ، لم تلبث ان وجدناها على غير ما عرفناها فيه لند غدا فيما بعد شابا شجاعا تتجلى فيه بعض الرايا التي تتطلع اليها خولة ، فهل كان لكلام خولة ذلك البعد النفسي الكبير مما جعل شخصية وهب اللات تتطور ! كان بإمكان الشاعر ان يسمعا شيئا مما دار في خلد وهب اللات بعد ان سمعهم خولة ما سمع .

والى الاول : الان : هل كان مسرحية زئوبيا ذلك الواقع النفسي الذي يتفق مع ضخامة الموضوع تلقى هذا السؤال على الحوار لانه من اكبر العوامل في خلق الحياة في المسرحية والحقيقة ان الشاعر استطاع في كثير من الاحيان ان يستخدم حوارا في الكشف عن شخصيات المسرحية وتطور الموضوع وتنمية الحوادث . فقد عرفنا مما قالته زئوبيا ان كسرى صديق اليوم ولكنه ذو نفس شيمية تنطوي على دغل ، وعرفنا من الحوار بين الحارث وهمام سبب ذلك الدغل انه هزيمة الامسى على يد اذينة زوج زئوبيا . يقول الحارث:

كسرى وان شكر الصنيع لها واسكره الظفر ما زال جرح الامسى بالدم من طباها يتهمسسون دون المسدلين من الذئمة شاهد ملة البصر وبكسل ركن عن فوفيه حديدت او خبر

وعرفنا من حديث خولة ان الروم كانوا منذ عهد قريب يخوضون حربا لا هوادة فيها مع الفرس مما جعل خولة تعجب ان يعدوا من جديد من اجل معركة اخرى : من ايسن الروم تتجلد في الحروب على القتال لم ياتهم للروم جرح بعد من وقع النبال ودماسوم من دون فارس لم تجف على الرمال واذا كان الحوار قد ادى دوره في المسرحية والشخصيات اتفن رسمها فهل يعني هذا ان مسرحية

فتجلدي ، اماء ، يوم الفرقة
بلى زودي قلبي باجل بسمه
لظامحي ، ومشدا لعزمتي
بنشاط مقدم عظيم الهمة
بازاهر الجهد الطريف وثروة
وطنا غلا عندي كاتمن دوة
فاظل اذكره ليوم منيتي

ونجاح مسعى ما اقام بغربة
هفت تشجعه باحلى نبسة
ارزية ، اكرم بها من نجمة
ليظل لبنان منارة رفعة
تعود بعد ضلالها لهداية
ليسودها نور عيم النعمة
يحيي به قلبا ينوء بعلة
جبارة وسمت بكل بطولة
تروي اساطير الطموح بعزة

غدا الرحيل الى ديار الفربة
لا تذرفي الدمع السخين تاللا
لتكون زادي في العباد مذبسا
فاخوض معتزلة الحياة مزودا
واحققن لي النجاح مكسلا
ان انس ، يا امي ، فلن انسى المدي
اما اذا طال الفراق ولم اعد

فدعت له الام الحنون بصحة
وبرغم غصة قلبها من فرقة
في كل مقرب تلالا نجمسة
فاذا نجوم الارز تسطع في العني
و « نبي » جبران (١) غدا انجيلها
و « شمس » صباح (٢) بدت نبراسها
و « اصانع » الديفي (٣) شمت مبضا
هي هجرة شادت مفاخرها يد
ستظل ملحمة الدهور ومجدها

(١) كتاب جبران خليل جبران (٢) كامل الصباح الخضر اللبناني (٣) مايكل ديفي جراح القلب الشهير .

عبد الله صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhr.com

التي تعج بها مسرحية الملكة زنوبيا ومع تقديري لشعور
العربي الاصيل الذي دفع الاستاذ مردم لكتابة هذه المسرحية
فانني ارجوه ان يكون أكثر عطفًا على التاريخ واشد رعاية
للبيئة الفنية .

لقد خرجت من المسرحية من غير ان احس فعلا انني
كنت في تدمر وخرجت من قصر زنوبيا مع الخارجيين او
دخلت مع الداخلين لان الشاعر لم يعمل على ايهامي بذلك .
كنت اتمنى ان اعيش الماضي بحلم ضبابي كما عشته فسي
مسرحية « قدموس » لسعيد عقل ولكن خيوط الشاعر
الحريرية لم تشأ لي ذلك فظلت هنا في القرن العشرين ظلت
امام آثار عظيمة تدمر ولم أعش هذه العظيمة فعسلا . ان
الذي رسم زنوبيا شعرا لا يعجز عن نفخ الحياة فيها ولكن
الاحساس الشديد بالواقع ومشاكله انساه ما تحتاج اليه
المسرحية من ايهام فكان كما قال احد الشعراء انا لايهمني
الماضي الا بقدر ما يخدمني في الحاضر .

سكينة الشهابي

دمشق

زنوبيا من الخالدات ؟ وانها تستطيع ان تقف على قدميها
في سوق المسرح العالمي وتقدم زميلاتها من مسرحياتنا
الشعرية ؟ ان الناظر المُنصف الى هذه المسرحية يجد انها
تشكو بعض ما شكت منه مسرحيات شوقي ومسرحيات
سليمان العيسى .. لقد قدم الينا الشاعر شعرا وحشد
لنا عناصر مسرحية ولكنه لم يستطع ان يخلق لنا هذا
الجسم الحي لانه لم يستطع ان يبعث الماضي حيا . عجز
عن ان يلقينا في رحاب الماضي ولم يتمكن من القيام بتلك
الرحلة الفنية التي تنسي كاتب المسرحية ذاته فتلقيه في
جو المسرحية . كانت الخيوط التي تشدنا الى الماضي واهية
ضعيفة .

ان خلق جو المسرحية العام الناتج عن توليد الحوادث
والواقف باللون المناسب للمسرحية يحتاج الى رحلة فنية
كبيرة لا الى وادي ميقتر فقط ولكن الى البيئة الحية التي
اخذت منها هذه المسرحية .. يتطلب من الفنان الشاعر
او الكاتب ان يتغلغل في كل جزء من جزئيات هذه البيئة
فيعيشها بروحه وعقله معا . ومع اعجابي بالروح القومية

كانت الغنية تنفي في مرح وحرية .
وقفت بقماتها المشوقة ووجهها
الصبيح تصنع كلمات غنائية ملؤها
الحب والحنان والاشواق والكثيرة
ال عاطفية ، ثم تبعثها من فمها الصغير
في ثورة وابتناس وفي بساطة وهدوء
كان الفناء لم ينبعث من نغرها بل
انبعث من مصدر اخر خفي . وكأنها
كانت تحادث حبيبها لها لم يبد
للعيان . كان غناها كان عبرا ذكيا
يقوم من زهرة نغرها وورد قسي
جاذبيها ووردتي خديها وثمرتي
عينها الخضراوين ، وكانت رائعة
التعبير في حركات يديها الخفيفتين
البياضون الخفيفتين كان يتسكك
اليدين مخلوقان صغيران يشاركانها
في تكوين ذلك الصوت الساحر وخلق
تلك الالحان المطربة . ان المستمع
اليها يريد ان تظل دائما تنفسي
وتفني ، والا تنطق بكلمة واحدة غير
ملحنة كأنها خلقت للفناء فحسب .
يدت الغنية الحسناء مرحلة خالية
الذهن من الهوم قريبة الي القلوب
وان كانت بعيدة عن وجوه المستمعين
تارة تقترب من الجمهور المحب بها
في خفة كأنها تقدم نفسها اليه هدية
ثمينة تمنى كل ان يفوز بها ، وتارة
تترجع بخطوات خفيفة كأنها تدعو
الجمهور الى ان يقبل عليها ويقتررب
منها .

ثم احاطت بها زمرة من الفتيات
الفاتنات يرقصن رقصا نشيطا حافلا
بالفن والجادبية والتعسة . كسن
كالمصافير يقفون باجحة خفية ، ثم
يهبطن راكضات حول الغنية . وبذلك
تألف منها ومنهن طاقم من ازهار
مختلفة تهب عليها الريح فتكاد تنتشر ،
ثم تهدأ الريح فتجتمع .

واخيرا بدأت الانعام الساحرة
تنبعث من نفودهن وهن يرددن على
الغنية فكان حديقة كاملة تكونت امام
عيون الجمهور - حديقة تجمع بين
الوان سارة تتنوع على البستمن
اليهافة ، وتفريد جميل يهب من بين
الانمار والازهار والاوراق . لقد حولن
الواقع الى حلم والهم الى فرح ،
وغرسن نباتات خضري صحراء

الحياة .

ذلك المنظر الغائي كاد يتجسم على
شاشة التلفزيون امام عيني عصام وهو
جالس يمتع نظره وذهنه بما يرى
محاولا ان ينسى ما غص به فكره من
الهوم . منذ فارقت حبيبته زكية وهو
حزين كتيب النفس لا يعرف كيف يسلو
هواه بعض الوقت . ما زالت زكية
مائلة امام عيني في عالم خياله تحادثه
ويحادلها على الرغم من المسافة
الطويلة التي تفصله عنها .

كانت عيناه تلتقطان بعض مناظر
الغنية التي بدت على شاشة التلفزيون
فيسر هنية وينسى ذكرى حبيبته
بضع دقائق . ولكنه لا يلبث ان ينسى
الغنية ويذكر الحببة ، فكانت مناظر
الفناء والرقص تمر امام عيني كأنه
لم ير شيئا او يسمع شيئا .



http://Archivebeta.Sakhril.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

وفجأة رن جرس الباب الخارجي .
فنهض عصام في كسل وفتر ، ثم اتجه
الى باب داره وفتح ، فوقع نظره على
صديقه سمير . فابتسم اليه وقال
بنفحة مرحة :

— اهلا سمير !

(عجب ! ليس من عادتك ان تزودني
في مثل هذه الساعة من الليل) .

وتصافحنا . ثم دخل سمير ، وأعلق
الباب من خلفه . ولما جلس الصديقان
امام التلفزيون التفت سمير الى
صديقه قائلا :

— هل كنت تفرج على التلفزيون ؟
فتنهذ عصام ، ثم اجاب بصوت رخو :



— اجل .

— انك مفرم بالاستماع الى الفناء .
فابتسم عصام ابتسامة خفيفة
وقال :

— ان الفناء غذاء لروحي كمطالعة
الكتب .

وساد الصمت بين الصديقين
هنية . ثم خاضا حديثا طويلا :

سمير الخارجي : لعلك تتساءل في
نفسك : لم جئت في هذه الساعة من
الليل .

سمير الداخلي : ارجو الا اكون قد
ازعجتك .

عصام الخارجي : كانك قرأت ما
يجول في نفسي .

عصام الداخلي : مهما يكن من شيء
فقد كنت قبل مجيئك بحاجة الى من
يؤنسني .

سمير الخارجي : تبدو لي حزينا
يا عصام . فماذا يشغل بالك ؟

سمير الداخلي : انني اعلم ان فراق
حبيبك جر عليك هذا الحزن .

عصام الخارجي : (هاذا رأسه)
انك دقيق الملاحظة يا سمير . نعم اني
حزين .

عصام الداخلي : لا شك انك تدرك
السبب وهو فراق زكية لي .

سمير الخارجي : من تنهالك التي
اطلقتها منذ هنية ادركت ذلك . انه
الحب .

سمير الداخلي : لقد اسنك هذا
الحب . انني اخشى عليك المرض .

عصام الخارجي : (مبتسما) لقد
حزرت ياخيث .

عصام الداخلي : واذن فقد جئتني
لتسليتي وتشغلي عن التفكير في زكية .

سمير الخارجي : هل لا تزال
غارقا في الحب ؟

سمير الداخلي : انك ما تزال شابا .
غدا تكبر فتنتظر الى الحب نظرا آخرى .

عصام الخارجي : لالتمني يا سمير .
دعني احب واحب حتى يتشبع جسمي

من الحب . انني لا استطيع ان اعيش
بلا حب . ان كانت مطالعة الكتب

والاستماع الى الفناء من اغذية روحي
فان الحب نوع من الهواء لا استطيع

ان اعيش دون ان استنشقه منه .

عصام الداخلي : ان الحب هو الشيء الوحيد الذي يجعلني اشعر انني شاب .

سمير الخارجي : الى هذا الحد انت غارق في الحب ؟

سمير الداخلي : مسكين ! هذا كثير .
عصام الخارجي : انني لا استطيع ان امكث بعيدا عنها . انك تعلم يا سمير انها هي المين الذي انهل منه اخيلتي وافكارتي الادبية . انها مصدر ابداعي في القصة والمسرحية والشعر ، فعماذا يحدث لي بعد ان فارقتني زكية ؟
عصام الداخلي : اخشى ان تتحول جنة الهامي الى صحراء قاحلة .

سمير الخارجي : الا تستطيع ان تتلهى عنها بالمطالعة ومشاهدة مناظر التلفزيون والاستماع الى الغناء ؟
سمير الداخلي : انك رجل مثقف . ومن بلغ ما بلغته من الثقافة والوعي يمكنه ان يستعمل ارادته ويتحكم في عاطفته .

عصام الخارجي : ياليت ! لقد تعودت ان اراها بجاني واستمع الى حديثها الشائق وامتنع النظر بوجهها البريء الفاتح .
عصام الداخلي : لقد عودتني الا اتمتع بطيب العيش الا من طريقها .
سمير الخارجي : ولكننا لا بد ان تعود اليك فيما بعد . فما هذا الياس يا عزيزي ؟

سمير الداخلي : هل انت طفل لا يستطيع ان يفارق امه ؟
عصام الخارجي : تعود لزيك تعود ! هذا محال .

عصام الداخلي : انك لا تعلم من الحقيقة شيئا .
سمير الخارجي : وما المانع من عودتها ؟

سمير الداخلي : اخشى ان يكون قد حدث شيء اجهله .

عصام الخارجي : (في يأس) بشاع انها تزوجت . الا تدري ؟
عصام الداخلي : رحلت الى غير رجعة . فكيف اراها ؟ لقد ضاعت في ذلك القطر الواسع الجميل التالي .
سمير الخارجي : (معمقا في تأمل) تزوجت ؟ لا تصدق تلك الشائعة .

سمير الداخلي : هذا ما لم يخطر ببالي من قبل .

عصام الخارجي : (متنهدا) هل تظن يا سمير ان حبنا سوف يموت ؟ اعتقد انه محال ان يموت .

عصام الداخلي : لن انسها ولن ننساني . ان حبنا خالد .

سمير الخارجي : نصيحتي لك يا صديقي ان تنسى حبك هذا . انسى حبيبك زكية ولا تفكر فيها ابدا .

سمير الداخلي : ان تزوجت خرجت من حياتك .

عصام الخارجي : اعتقد ان ذلك ليس في مكاني .

عصام الداخلي : انها في اعتقادي زوجتي ، فقد تزوجتها في مخيلتي .

سمير الخارجي : سوف تنسبك الايام ذكرها . اؤكد لك ذلك .

سمير الداخلي : ان الزمن يقتل بطولة الذاكرة ويميت صاحبها فيما بعد .

ثم نهض سمير مطلقا شحكة رنانة وملقيا يده على كف صديقه وقال :
- انت واهم يا عزيزي . ان الحب سوف يزول من قلبك كما يزول الزهر من فؤادك . كم عشيق كثير من الذين لم يكونوا من قبل عاشقين .

وخرج سمير من المنزل وهو يتشمس الى عصام وهذا يقابل ابتسامته بعبوس وكآبة .

ولم يستطع عصام ان يسلو غرامه . فرأى ان يقوم بسياحة في ايطاليا بلاد الفن والجمال . وهناك تلهى بالنظر الى التماثيل الجميلة المنصوبة في برك صغيرة ينفر منها الماء صعدا . ومتع نظره بالرسوم الزيتية التي يغص بها متحف روما ، واعجب بالحدائق الغناء التي تحدد بمدينة فلورنسا . وقضى وقتا طويلا متنقلا في سفن الشوارع المائية بمدينة البندقية .

رأى رسوما زيتية امتازت بالدقة والحيوية والافتان . وقعت عيناه على صور لاشخاص بدت وجوههم شبيهة ببعض وجوه اناس حقيقيين التقاهم في الحياة كان من رسموها راوا اولئك

الناس معه ولا حظوا قسما وجوههم وسخنهم حينما لاحظها هو .

ولم يكتف عصام بذلك بل قضى شهرا في فينا حيث تمتع بالاستماع الى الاوان عذبة من الموسيقى حتى تخذلت همومه وصار ينظر الى العالم نظرة حاملة راضية .

وبعد ذلك غمر افكاره في مطالعة الكتب من ادبية واجتماعية وفلسفية وعلمية . وبذلك شغل ذهنه بالتفكير في امور بعيدة عن حبه . وظن انه انسي حبيبته وحبه ، وانه اصبح الان انسانا آخر ناضج العقل ذا ارادة صلبة ورجولة كاملة . وعاد بتفكيره الى صديقه سمير فتبين له ان صديقه كان مصيبا في رأيه حينما انباه ان الايام سوف تنسيه ما بينه وبين زكية من هو يوم عتيق . ولكنه لم يلبث بعدما استقر في مدينته ان عاوده الحنين الى زكية والى الايام السعيدة التي قضاها معها . فمحت ذكراها الحلو الانطباعات التي تركتها المناظر الجميلة والرسوم والتماثيل والموسيقى على ذهنه .

لقد كان طيلة الوقت متفرجا على الحياة . تمتع بالشيء الكثير من محاسنها ومن ابداع عابقتها وذوي المواهب من الناس ، ولكنه كان يأكل من ثمرات القايهم دون ان يقدم شيئا من ثمراته . كان متفرجا على الحياة فحسب ولم يشارك غيره من المبدعين في تقديم اثمار عمله الى الناس . اجل لقد الف كثيرا من الاشعار والروايات والمسرحيات ، ولكن انتاجه كله مخبئ في درج مكتبته . . . انه اديب مغفور لا يعرفه من القراء الا عدد ضئيل مؤلف من اصدقائه ومعارف الذين كانوا يقرؤون بعض اشعاره وقصصه . انه لم يخرج بانتاجه الى العالم بعد . ما زال عاشقا في عالمه الضيق الذي كونه بطلاته وعلاقته الغرامية بزكية . ان مطالعة الكتب ومشاهدة التماثيل والرسوم والرقص والاستماع الى الغناء والموسيقى - كل ذلك لا ينسيه علاقته الغرامية بحبيبته لانه عاطل من العمل ، انه لا يقوم بعمل

(نشيد زكية الداخلي)

اين انت يا حبيبي عصام ؟ لقد
شاهدت قصتك « غرام بالاس »
مثلة في فيلم ، لشد ما تمتع ان
تكون بجاني لكي اقول لك :
« احسنت يا حبيبي ! » لقد ضن
الزمان علينا بالزواج ، ولكن لماذا
ضن علينا بجلسة في دار السينما
لاقول لك : « احسنت يا
حبيبي ! » ؟ اني بعيدة عنك ،
ولكن قصصك السينمائية تشعرني
انني قريبة منك . لست ادري لماذا
يخفق قلبي بسرعة حينما اشاهد
مناظر قصصك الغرامية في الافلام .
لقد اودعت تلك المناظر حرارة
وحماة غير عاديتين . بينما
كنت اشاهد احد تلك المناظر مرة
قدمت الي احدي صديقاتي بدورا
محخصة لاخذ منها شيئا ، ولكنني
لم اتبه الى ذلك . وبدلا من ان
اتناول شيئا من البذور انت يدي
حركة غريبة صرمت على الاثـر
البذور فنترتها على الارض دون
وعي مني . وقد عرفت فيما بعد
انني اتيت تلك الحركة لان المشهد
السينمائي ذكرني بموقف غرامي
عزيز علي . وكانت الحركة صادرة
عن تأثر وشوق .

رفقا بي يا حبيبي عصام ! لاكثر
من المواقف الغرامية اذ اخشى ان
يقتضح امري مع صديقاتي وانما
اشاهدها . حبسك من تصوير
المناظر ما يجعل قلبي يخفق بحبك .
حبسك ان يخفق لك قلبي بحبك
في صمت وهدوء دون ان يلاحظ
ذلك علي احد . كلما علمت ان
احدي قصصك الممتلئة في فيلم
عرضت في مدينتي ، فاعلم انني كنت
احدي مشاهديها وانني اعجبها ،
وقكرت فيك وفي ايامنا الحلوة .
ولكن لماذا ضن الزمان علينا بجلسة
في دار السينما لاقول لك :
« احسنت يا حبيبي ! » ؟

عنان عبد الحميد الانشاصي

اطلعت على ما اكنه لك من حبوشوق
شديد الى الجلوس اليك ومحادثتك ،
ولكن هناك شيء اخر غير الحب
والشوق ، لم تستطع نظرائك الحادة
ان تصل اليه ، انه شعور خفي مبهم
لم استطع ان اصوره في نظرائي التي
اوجهها اليك . ولا في نعمة كلامي
حينما اتحدث اليك . انه مزيج من
الحب والصداقة والامل والياس
والعذاب والطف والقسوة والانانية
والتضحية والحياة والموت . ان
شعوري بهذا المزيج لا يمكنني من
ان اصوره في نظري او حديثي او في
رسالة ابعتها اليك . ولكنني استطعت
ان اصوره في رواياتي التي تحول الى
افلام سينمائية وتشاهدها على
الشاشة البيضاء حينما ترين في تلك
الافلام فناة مرحلة ترقص طربا ومرحا
فاعلمي انها صورة رسمتها لك . وان
رايت فناة تندب حظها وتثور على
الزمان وتلقي نفسها بين يدي حبيبها
في شوق فاعلمي انها صورة رسمتها
لك . وحينما تشاهدن شابا متايلا
ذراع فناة حسناء وهما يسيران في
احد حارات حديقة فناء ، فاعلمي ان
الفناة هي انت وانتي ذلك الشاب .
وحينما ترين فتى يمشي قسي بطف
ويظهر في مظهر هاديء ومع ذلك
يتلفت وراءه دون ان يعلم احد الى
من يتلفت ، فاعلمي ان هذا الفتى
هو انا قبل ان تتولق عرى الحب
بيننا وبينك . وحينما ترين فناة
تضم شفتيها في قوة دون ان تحدث
شفتاها صوتا بين جمع من الناس
فاعلمي انك تلك الفناة في ساعة من
ساعات خجلك . حينما ترين فناة
تجرد زهرة من اوراقها وتلقيها في
الماء في سخط وغضب وتنهـد ،
فاعلمي انك تلك الفناة في ساعة
وداعنا الفجائي ، وحينما يقع نظرك
على شاب ينظر الى شاة التلفزيون
وحيدا في صمت وذهول ، فاعلمي
يا زكية ان ذلك الشاب هو انا قسي
انثناء غيابة .

حقيتي يتدوق ثمرته عدد كبير من
الناس كما يتدوق هو اثمار غيره من
المبدعين . فاخذ يفكر في الظهور
في العالم ليقدّم الى الناس خيرة
انتاجه ولكي يشارك غيره ممسن
يقدمون انتاجهم . ان ذلك سبيله
الى العمل . والعمل هو الشيء
الوحيد الذي ينسبه حبيبته وجهه
راسل بعض شركات الافلام عارضا
عليهم بعض رواياته محولة الى حوار
سينمائي . فشل مرة وثانية وثالثة .
واخيرا قبلت احدي رواياته ،
وعرضت في فيلم على الجمهور ،
فحظيت باستحسان كبير . وشفع
تلك الرواية بروايات اخرى فنالت
اعجاب الشركات السينمائية وجمهور
المتفرجين .

شعر عصام براحة نفسية عظيمة
اذ تحول حبه لفناة الى حب للناس
اجمعين ، وخرج من عالة الضيق الى
عالم فسح كبير . كان ملكا لحبيته
وكانت حبيبته ملكا له . اما الان فهو
ملك الشعب ، والشعب ملك له .
ارتفعت مكانته وازداد قدرا . انه
لم ينس ذكرى غرامه . لقد ترك
حبه في نفسه اثرا لا يزول ، ولكن
ما فقد من حبه هو العنف ، كان
حبه صاخبا كالشلال يرغي ويرسد
ويثور بلا نفع . اما اليوم فهو شبيه
بمنهر هاديء يسير في بطف ويسوي
الاراضي التي يشقها دون ان يحدث
صوتا .

كانت رواياته السينمائية شبيهة
برسائل غرامية يبثها حبه القديم
ويبعث بها الى حبيبته زكية ، فتطلع
عن بعد على ما يجول في قلبه من هوى
واشواق . وبذلك يخلد حبه صافيا
نقيا لا تشوبه انانية ولا غرض مادي .

(نشيد عصام الداخلي)

لماذا كنت تنظرين الي هكذا يا
حبيبتي زكية ؟ هل كنت تحاولين
ان تقرأ ما يجول في قلبي ممسن
عواطف ؟ ان نظرتك على نغموتها
كانت حادة فقد اخترقت قلبي . ربما



الامر الذي جعل المختصين بالقانون الدولي
من اطاعوا عليه يعتبرون الشيعي الرائد
الاول للتأليف في القانون الدستوري،
ويعتبرون بانه سبق بذلك غروسيوسوس
الهولندي (1583 - 1625) الذي دعى
ابا القانون الدولي في عصره ، وبهرمه وانتخاب
حتى انوا جمعية الشيعي للحقوق الدولية،
وجعلوا القانوني الفقيه المصري عبد الحميد
بدي رئيسا لها كما نادوا بالاعلام الدكتور
صلاح المتجد الذي حقق الشرح وشرع على

طبعه نائب الرئيس .

لقد اطلع الامام عبد الرحمن الازواعي على « السير الكبير » للامام
الشيعي .. فاما قال عظيم في عظيم ؟ هل يخضع حقه ؟ هل كابره
عليه ؟ لقد قال عنه : « ولا ما فهمته من الاحاديث لقلت انه يصنع
العلم من نفسه ، وان الله تعالى عين جبه الصواب في رايه » ، ولقد
استنتج الاحاديث لانها اقوال منزوعة الى الرسول الاعظم صلى الله عليه
وسلم .. وما اني اولا سرا يمكن ان يقال في تقدير مؤلف ابلسخ
داروع من هذا ...

وظلت ظامنا الى الحديث عن الامام الازواعي .. الى ان افضل على
صديقي الحضي المودة ، الباحثانفقه الحركة المؤبد المتوفقةعلى
اتمه ودينه ، الاستاذ طه الولي باعدله الى مؤلفه « عبد الرحمن الازواعي
شيخ الاسلام وامام اهل الشام » . وكان من بركات رفسان ان يكون هذا
الكتاب اول ما قرأت فيه ، وان اشارك المؤلف في « تحية ذكرى الرجل
الذي تهادى قدم العصور من جبل الى جبل على راحات الجيد والخلود » ،
وان اشعر مع المؤلف وانما اثار كتابه « كان الازواعي فينا حين ما يمت
وان ارفقه في وضع « فسن الاس على مقامه » تكريما للذكر العظيم الذي
قال فيه امر الساجد ارسلان بن مالك حين دفنه : « من يظلم بمسده
فليصبر » ، لان من وقف نفسه على نعمة المظلم ودفع الظالمين قد غاب.
فقد فرج « الولي » الحميم الامام الازواعي فاجاد واداء ، وحلا
سيرته بفرح ، وبلغ وكان اخذا في الحديث عن مواقفه امام الحكام والولاة
وللما ادوع وفتح امام عبداللبن علي ! وللهما الفصيح والباغضاتلغة
ابي جعفر المنصور ! ، ولعل هذا الفقه من ايراد اقوال للامام عرفاني انه
ذو اسلوب بياني يمكن ان يصفه في صف سائمة الكتاب للامام .

وما اكثر ما كان الاستاذ الولي موقفا في استنتاجاته مثل تعليقهاتلاق
البيرويين « العمري » على اكثر من زاوية ومسجد « نينا باسم الخليفة
عمر » ، وشركته الحصرة على سيورة مدرسة الازواعي ومسكنه
حانوتا لتاجر وفتنته بنشزي قفسا وهو يرى آثار العظيم تلعب
وانني قبل ان ابدى ملحوظات تم على اهتمامي بالكتاب وارتياسي
به عن القراءة الغاطقة ينبغي لي ان اشيد بالجهود الذي بذله الاستاذ
الولي في تعريبه الوقفة وبروعة ما انهى به الكتاب ، وقد اني في جدياني
سواء العلي القدر « في عبودية وخضوع ان يجعلنا بركة عند حسن ظن
الازواعي الذي اترنا بفعله حين اختار بلدنا بيروت « ليكون امامها اخر
صحنه بالنبا وتكون رفسها اول عوده بالافرة » ، وذلك حين سالت فيها
مرباطا في سبيل ملته وعقيدته ثم تولي بالوقفة وهو عنها راض بها كرم
عليه من الطريق وقصدته شال الى نهايته حيث وجد بني اكرم
الكرمين الراحة الكبرى الى يوم يعيشون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا
من اى الله بقلب سليم .

ولعل ما يفري ببداء الملحوظات رجاء « الولي » التواضع في ختام
مقدمته للتحققين ان يدو ما يرون فيه تقويم الخطا « وله المثل الاتي » .
قد عجبت لان مراجعات الصديق عن هذا الامام الكبير لم تصل
به « على قوله » ، الى حد الاعتناء بان اقواله المختلفة في الفوايد التي
نسبت اليه جديرة بان تجعل منه رأس مذهب خاص على نحو ما اتفق

عبد الرحمن الازواعي

تأليف الشيخ طه الولي - 254 صفحة - حجم كبير - منشورات دار
صادر بيروت - مطابع صادر بيروت

جند ثلاثين سنة ، وفي عز الحرب العالمية الثانية ، كنت لاجئا الى تركيا،
اقيم في مفنيسا من اعمال الاناضول مضطرا ومراقبا ، والانس ولا جليس!
فلم يهون على وحشي وولم يبد غريبي الا ما اهتديت اليه من وجود
مكتبة للارواق دعى « الرادية » ، وقد لقيتها حافلة بالمخطوطات العربية
فاقيبت على الطالعة بكرة واصيلا ، وفي تلك البداة النفسية وجدت في
المكتبة واحة ادب وفقه ولفة ، ومن مخطوطات الرادية عرفت ابن كمال
باشا ، العالم التركي المستعرب ، ذا التصنيفات المتعددة في اللغة والادب والفقه
وفي تلك المكتبة تسلمت باقابس من « شوي » مولانا جلال الدين الرومي ..
ورابت نسخا مخطوطة من كتاب « معان السامي في مناقب الازواعي »
فكنت اعرض عنها ، لانني لم اكن اعرف الازواعي ، وان كنت قد سمعت
قبله بقليل ان الامير شيكيب ارسلان قد نشر كتابا عنه ، ولكن ما ليئنته
من كثرة النسخ المخطوطة مما يدل على منزلة الرجل لدى القوم اولا ،
ولانه لم تكن لي منهوذة من قراءة كل ما تقع عليه عيني ناليا - ورايتي
افرا احدى المخطوطات من كتاب « المعانين » فاصبحت بالازواعي ، وحدثت
بعد العودة الى الوطن ان اعادني شقيقي الامير الاحرم عادل كراسنة
صديقه الاحرم الاستاذ انيس الشوملي عن الامام الازواعي فقرأنا استمعينا
في ذاكري خلاصة ما قرأت في مفنيسا ..

وهكذا اصبحت على معرفة متواضعة بالازواعي ، واصميت في عداد
المعجبين به ، والظانين الى مزيد من سيرته ..
وفي دراسة القانون الدولي الاسلامي لا بد من الاعتماد على « السير »
والسير جمع سيرة ، والسيرة هناك ليست ما يتوهه البعض انها صحيفة
اعمال او ترجمة حياة بوانما هي سيرة المسلمين في معاملة اهل الحرب
والعهد والمنة وغيرهم .. وقد علمنا من كتاب تلخيص ابي حنيفة - وهو
الامام ابو يوسف عنوانه : « الرد على سير الازواعي » ان الازواعي قد
الف في السير .. كما ان الامام الشافعي قد اشار الى سير الازواعي في
كتابه « الام » في الحديث عن شؤون الحرب . ولهذا تفصيل : كان ابو
حنيفة يدرس تلاميذه القوانين الاسلامية للحرب والسلام ، وهي ما نسميه
بن الحسن الشيعي لتدوين هذه الدروس سنة 189 هجرية في كتابه
« السير » ، وهذه الدروس يمكن ان تجعل ابا حنيفة ابا للقانون الدولي .
وظلع الامام الازواعي على كتاب « السير » شوقي ، او لعلمه
سمع به - والشيعي وابو حنيفة عراقين - فقال : « ما لآل العراق
والتصنيف في هذا الباب ، فانه لا علم لهم بالسير » ، ومغازي رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه كانت من جانب الشام والعجبات دون
المرابي فانها « معدة فتحا .. » ، ولما تولي الامام الشيعي تأليف كتابه
الفهم الفصم « السير الكبير » ، هذا الكتاب الانسي شرحه فيما بعد
شمس الامة السرخسي شرحا شافيا وافيا ، واشتقت منه احكاما كثيرة



الارمب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمؤها شهر

ينابر ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٨٠ ل.ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٢٨١٩
التنزل : ٢٢١٥٢٤
Dir : 223819
Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيسر اديب

فقيهه من ائمة التشريع » . وفي هذا بعض تسرع من المؤلف ، على حين ان في كتابه التفسير من اخبار الامام وما قيل فيه عنه ما يوكد مذهبه . نعم ، « ان ما بين الاديبي من تراث الامام ليس على قدر كبير من التحديد والتمييز .. » ولكن هذا لا يسوغ في حال ان يقول : « ان جماع القول في الرجل انه كان في الواقع على فسق كبير من الزهد وثرة العبادة » هذا كثير يا شيخ ترى هل تنزل كل رجل زاهد كثير العبادة منزلة الاوزاعي ؟ هل جماع متابع الرجل فسق كبير من زهد وعبادة ؟ ابن لعجب العلم الفزري والراي الثاقب والاجتهاد الصائب والدرس والتدريس والجهد الانساني الخير ! اهلا مبلغ القول في صاحب كتاب « السنن والمسائل » ، الرجل الذي كانت تدور الخليا بالاندلس على رايه الى زمن الحكم .. ؟ على انك ما ليشت حتى عدت صادقا ومحققا ! الائمة الاربعين انداد هذا الامام من اهل الاجتهاد والتشريع » .. ثم ما ليشت حتى اوردت تعلييل الاستاذ محمد كرد علي للامر « بان هناك مذاهب جماعية ، لا تقل عن غيرها شائنا صفحت شهرتها اذ لم تجد من يعصدها من الملوك ولا من ينتم بها من الخاصة والعامة الخ » ..

وعزا شيخنا المؤلف الى الاوزاعي قوله : « ساعة عدل خير من عبادة الف شهر ! » وما اظن ان الاوزاعي يبيع لنفسه ان يقطع بهذا من عنده ، والذي اعتقده ان هذا القول هو حديث مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد توسع المؤلف كثيرا في الحديث عن مدافن بيروت الاسلامية والدراسة والباقية ، وعلى ما في هذا من فائدة تاريخية فانه جاء على حساب البحث عن الاوزاعي ، وليت المؤلف اشار الى هذا التوسع الاستطرادي المماضا في مقدمة الكتاب .

وقال المؤلف ان السلطات العثمانية قد عثرت في صرح الوالي ، في اثناء الحرب العالمية على اوراق تبين علاقة المرحومين محمود واحمد الحمصاني (والصواب محمد لا احمد) بالحركات السياسية المناهضة لها وان اكتشاف هذه الاوراق كان من اسباب الحكم عليها بالانعدام .. والواقع ان السلطة العثمانية لم تثر على شيء من هذا ، وان شقيقة الشهيدين الحمصانيين وفريفة الشهيد صالح حيدر كانتا قد اشدت هذه الاوراق واحرقاهما ، ويدل كتاب « يا صاحبات » الذي اصنفه السقاخ جمال باشا على ان اعدائهما الحياة كان بسبب اكتشافها الى الامم .. هذا وقد رايت في قول صديقنا المؤلف ان الفرنسيين سمو الساحة في عهد الانتداب ساحة الشهداء اكراما للاخوين حمصاني وغيرهما .. مقتضا لهما .. فليس الفرنسيون هم الذين اطلقوا على الساحة هذا الاسم .. واثما كون الساحة هي التي صلبوا فيها اوجي الناس بهذه التسمية .. وقد سميت ساحة المرجة بمشقة ساحة الشهداء للسبب ذاته بوكان ذلك في العهد الفيصلي يوم لم يكن فرنسيون ولا من يحزنون !!

واقول استطرادا اننا نشارك المؤلف الترحم على الامير شكيبي ارسلان الذي حقق كتاب « المحاسن » ونشره ، وقد اشار الاستاذ الى انه شارك في تشييع جنازة الامير التي حضرها مفتي الجمهورية والمعيد من زعماء العرب والمسلمين ، « ولما كنت من امهرعوا من دمشق لتشيع الفقيد ، وراقبوا الجنان الى الشويكات ، فان ما ارى ابائته هنا هو ان رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري - وكان صديقا للامير - اقبل يعزي بالقليد الطميط ، قبل انطلق الكوكب وان الحكومة اللبنانية اذاعت بلاغا رسميا بداته بالناسي التالي : « الجمهورية اللبنانية ودنيا العرب تنمي الى مولها ورؤسائها ورجالها المجاهد الاكبر امير البيان ، الامير شكيبي ارسلان » . ولا ازال اتمثل وياغي الصلح يرسل ميراته حين يسمع عبارة « امير البيان » في انشادي الناديين من عشيرة الامير .

ومما الفت النظر اليه ان بيتا من قصيدة محمد بن عراق مكسود
وهو هودا :
كلام قديم لا يميل سمعاه تزه من قلبي ومقتلي ونيتي
وانغب الظن انه قال : عن قلبي وعيني .. اوسمي .. لا مقتلي .

وتلك قول الكشي :

أقام له الزحني في الكون مذهباً وخصمه بالكلمات وعمما ولها : وخصمه .

وقد ددت لو أن شيخنا المفضل جمع النية على النبات لا النوايا ، والرسول يقول : « إنما الأعمال بالنيات » ، ولو أنه قال الكتابة بدلاً من الكتابة ، لأن الكتابة هي المأثلة .

وعن كتاب الأوزاعي روى عثني إلى التميمي من سيرة الإمام فانه في الجين ذاته قد ذكر في نفسه شهوة التطلع إلى البحث الماضي عن فقهه ، وقد علمت أن الفقيه الدرر الدكتور صبحي المحمدي مفضلع بهذا المعنى ، وإنه لناضي به بالأن الله .

للاستاذ طه الولي مع جزيل الشكر وببالغ التقدير خالص الدعاء أن يكتب الله نفسه وإن يغضب بالخير مسامحه .

أكرم زعيت

١ - الآثار الخطية في المكتبة القادرية

تأليف عماد عبد السلام رؤوف - ٢٢٤ صفحة - من القطع الكبير - مطبعة الإرشاد - بغداد

جاءني مرفوق يحمل خطوطاً جميلة جداً مما بين خط الرفعة وخط النسخ مكتوبة بالحر الأسود الذي أصطلحنا على تسميته بالحرير الصيني - أو الشيني - ففتحه وإذا بداخله كتاب « الآثار الخطية في المكتبة القادرية » وعليه إهداء حار متواضع كرم من السيد حسين النسيبي : يوسف الكيلاني ، وسالم الكيلاني ، متوليي الأوقاف القادرية بجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني القطب المشير المدفون بعاصمة العراق .

وبدأت أقرأ الكتاب وأقبل عليه بنهم ، شاتي في كل كتاب نفع بين يدي ، فإذا به فسر وصفي شامل للخطوط المودعة في خزنة كتب جامع الشيخ عبد القادر الجليلي - أو الكيلاني - وهي الخزنة المرفوعة بإسم : مكتبة المدرسة القادرية العامة .

والخزنة حافلة بالخطوط والطبوعات ، حتى ليبلغ عدة الكتب فيها قريباً من ثلاثين ألف مجلد ، وعدة الآثار الخطية فيها ستمائة وألف مجلد . تجمع بين موضوعات مختلفة من النتاج الفكري الإسلامي العربي ما بين علوم قرآنية أو حديث شريف ، وفقه وكلام وعقائد وتصوف ولغة وأدب وشعر وتاريخ وتراجم ، بل نفع كتاب في الطب والفلك والحساب ، وكأنها شاهد جديد على اهتمام العقيلة الإسلامية بعلوم النقل والمثل والعلوم العملية التي دعا إليها الرائد الحضري الشيخ حسن المطار ، وبهد الله فكري بأشأ وغيرهما .

وإذا كان واجب الشكر قد اقتضانا أنذكر اسم السيدين المهديين ، فإن التقدير والقيام بحق النصفة العلمية يقتضي أن نذكر اسم الأديب مصنف الجزء الأول من الكتاب : الأستاذ عماد عبد السلام رؤوف ، فإن الكتاب هو جهده ، والنتج الذي ارتضاه في التصنيف والتعريف هو منهجه . وقد اتخذ المؤلف منهجاً طريقاً متنبهاً ، هو ذكر عنوان الكتاب بعد تحقيقه ومراجعته على صدر المخطوط أو مقدمته ، أو متن الكتاب نفسه - إذا كانت بعض أوراق المخطوط ساقطة - وتصحيحه إذا كان الخط في العنوان قد تسرب إليه من وهم بعض الناسخين أو المخرسين ، وتحقيق العنوان هنا عند اقتنسى من المؤلف جهداً ومراجعة ، ومقابلة بين مخطوطات ومطبوعات أخرى . وهو عمل لا يعرفه إلا من كابسه .

ويذكر المؤلف هنا اسم مؤلف المخطوط كاملاً وتاريخ وفاته مؤلفاً ذلك بإتقان المصادر . كما يتبع ذلك بتعريف دقيق وجيز بمضمون المهم من تلك المخطوطات مع العناية بما لم يسبق نشره منها ، ويتلو لذلك بذكر جملة من أول المخطوط وآخره توكيداً للكتاب ومقابلة بها جساء في وصفه في معاجم الكتب . ولا يكتف صاحبنا أن يسجل ما على المخطوط من إجازات علمية ومطامات ، وأسم ناسخة وتاريخ النسخ - أو وجد ، ولا يقدر عمر المخطوط استناداً إلى قرآن الكالورق ونوع الخط والجر ، كما يسجل ما على النسخة من فقيهاً وتبليكات ، مسح تخصيص المخطوطات النفيسة التميز بخواصها في المصاحف والتفاسير - بوصف خاص يكثف عن قيمتها ، وبين ما اشتملت عليه من تراويق وزخارف ونقوش بديعة رائعة ، وبالبلع لا يفوته - في مرفعي الوصف عدد أوراق المخطوط وعدد السطور في كل صفحة منه ، وطوله وعرضه بالاستتيز . مع الإشارة إلى ما لم يقدر له الطبع من تلك المخطوطات .

وقد التزم المؤلف - على مدار الكتاب كله - بهذا المنهج العلمي . ولعلني لاحظت عليه أنه لم يعد عنه أو يجانبه مرة . وذلك التزام يعلي من قيمة هذا العمل الجليل . وأحمد الله أن هذا الكتاب كساد يسلم من أخطاء الطبع ، نولاً ما جاء في ص ١١٩ من الآية الكرسيمة : (فمن يريد الله أن يهديه صراطاً مستقيماً) ، وصواباً : فمن يرد الله . وإذا كان هذا خطأ في النسخة الخطية فما كان واجباً مؤلفنا أن يصححه في الهامش ؟ وقد توج مؤلفنا عمله الجليل بمقدمة طويلة وإليه تحدث فيها من الشيخ عبد القادر الجليلي ، وحياته ، وآثاره ، وجامعه والتطورات التي مرت عليه إلى اليوم ، وخزانة الكتب فيه ، كما تحدث من خزائن الكتب المهمة التي انتقلت ببعض كتبها إلى مكتبة المدرسة القادرية بطريق الوقف والأهداء ، وأخرها خزنة كتب الخطيب النسيبي السيد يوسف الطحا من آل عطش المشهورين في العراق ، وقد تولى سنة ١٣٧١هـ .

إذا كنت أهدي أصقل الشكر مرة إلى السيدين المهديين إسمي هذا الكتاب ، فاني أهدي الشكر غير مرة - بل عدة بلاغ - إلى الأديب الأستاذ عماد عبد السلام رؤوف مصنف هذا الكتاب ، السيد إسمه ذخيرة ثبينة إلى ما في مكتبي من نفائس فهراس المخطوطات . والله يؤلفه إلى إنجاز بقية أجزاء الكتاب .

٢ - مذكرات بلغارية

تأليف عيسى الناعوري - ١١٤ صفحة - قطع متوسط بالصور منشورات دار فيلادلفيا - عمان

حمل إلي هذا الكتاب من عمان - عاصمة الأردن - مع كتاب آخر عنوانه « كتابا جديدة » للمؤلف نفسه ، ولده الطالب بمعاهد مصر العالمية . وإذا كان أخي عيسى الناعوري يؤنسني دائماً بذلك السيل المنهسر من إنتاج السري الثري ، فإنه يؤنسني بولده الذي أجد فيه ملامح معنوية من أبائنا القديسين ... وفي الوقت الذي كنت استقبل فيه بيد الشكر إنتاج الناعوري من هذا ولده العزيز ، كنت قد تلقيت من يومين بطاقة بريد جميلة من « المغرب » تحمل سطورا كريمة من الأخ الأديب الكبير . وكان البطاقة من المغرب ، وكتاب مذكرات بلغارية - الذي كتب بعض خواطر صديقنا من بلغاريا - جاتنا في وقت متقارب ليؤكد لي مدى اهتمام عيسى الناعوري بالحالات والأسفار . فهو رجل آخر سفر ، وأخر أروى . لا تتقاف به فلو أن - كما تتقاف شاعرنا القديم وجعته الشحت أثير - بل تتقاف به رباني وجعنا من رباني إيطاليا ، وصقلية ، وإسبانيا ، والفرن ، وبلغاريا ، ولغيرها مما لا أعلمه من ثبت أسفاره . ومن الغريب أن عيسى الناعوري لم ينتج على الأسفار من زمن قديم ، ولكنه خرج من قشرته لأول مرة

وعق بين اعلام الادب المعاصر وهو حريص على تاصيل جلود العربية والفرحة والوضوح وحريص على ان يكون الكلمة المتصلة في ابحاثها لا يبيح ان يقولها خالصة ، لا يشيها الحق ولا يشوبها الخلد ..

وبكل الانصاف وبكل الاخلاص والصدق والجديّة اختار لكتابه هذا مجموعة متنوعة من الادباء والشعراء والباحثين والحقائق والترجمين من اسمها اسهاما جادا في بناء الشخصية الجديدة للادب العربي المعاصر وتاصيل مقوماتها الفكرية والثقافية وتجميع عناصرها من التراث الاصيل والتجديد البناء ..

شخصيات كان يبحث عن دورها الرائد والتوازن بين جموع التجديد التطرف والذهبية الملوثة وبين التثبيت بكل ما في القديم .. شخصيات متكاملة متنوعة الثقافات والبيئات ولكن يوشح بينها اطار الجديّة والازان والحرص على الاصاله والنهوض بكل قوى الامة العربية مجتمعة ..

شخصيات من اتحاء الوطن العربي والمهاجر منها العالم والاديب والحقق ، ولكنها تسير في تيار واحد وكانها تتجمع حول ميثاق تواعدت على انجازها بالامانة والايمان بالهدف والتبشير بالابدي والقيم النصالية الشريفة ... من بين هذه الشخصيات جورج صبيح الشاعر المقرب والدكتور حسين فوزي الطبيب العالم الموسيقي الباحث الرحالة مستنبد العصر .. ومنها شفيق صراف الشاعر الهجري ، صاحب ملحمة « عبقرا » ووديع فلسطين سفير الادب المعاصر ومحمد عبد الفتحي حسن الشاعر والحقق وهلال ناجي الاديب الدبلوماسي ومحمود ابو الوفا الشاعر الفكر وناجي جواد الكاتب الانسان وابراهيم نجا الشاعر الرومانسي الوافي والدكتور حسين مجيب العمري الباحث والشاعر العمري التركي الفارسي ...

وحينها يستفتح المؤلف مجموعته بالشاعر جورج صبيح متمشلا لنا صورة الشاعر السوري الهجري صبيح ، الذي جاب العالم مشيرا بيمانيء العروبة الفانسله ، بالاذا من فنه وفكره وخزائنه الكثير .. الكثير مكونا بشخصه جهة تحدى الصهيونية في كل مكان ويسمك بقلمه الخلاق يرسم للادب الهجري شخصيته الاصلية في موسوته الكبرى

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحد مجلات

الازياء والوضوء الاوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير - بيروت

سنة ١٩٦٠ قاصدا ايطاليا ... ومنذ ذلك اليوم انطلق صاحبنا في الرحلات كسواروخ هذا الزمان - لا كسهم الزمن القديم - لا تصدده بحار، ولا جبال ، ولا بحيرات ، ولا موانع مالية كنفثة السوس ملاء، ولا موانع غير مالية . بل هو كل عام في رحلة الى بلد اوروبي او غير اوربي ، لا يكاد يتوقف يوما عن السير ..

وعلى الرغم من تهيبي عيسى الناعوري في اولي رحلاته ، حتى ليصف نفسه بأنه كان كالقطف الاعمي (رقم الاربعين من اعوامي حداثا) - يريد سنة ١٩٦٠ - فانه اليوم رجل عربي جري متحم ، لا تهيبي ولا يخاف احدا . بل انا الذي خفت عليه حين قرأت له في الصمام الماضي كتابه المتع : « ليلة في القطار » ، وخفت اكثر على رفيقته في القطار ، لانه لم يكن ذلك الصديق الهادي الذي عرفته ، ولكنه كان رجلا مثريا ، ومثارا الى ابد الحدود ... حتى لقد كتبت اليه يومئذ اشق عليه ، وعليه نحن القراء من عواطف متلهبة حارة حادة عبر عنها في صراحة وجراحة لم اكن اعرفها فيه !...

عنا كل حال ... قرأت المدركات البليارية ، وكنت اخشى ان يكون فيها ما في « ليلة في القطار » من مغامرات !.. ولكني وجدت هنا رجلا عادلا ، واديبا غريبا مفكرا ، زينا ، رصينا ، تستقيفه بلقاريا الادبية بتقافها وكتابها ومسارحها ، فيقبل الصياغة في مايو سنة ١٩٧٢ ولا يرعى ان يخرج من هذه الرحلة الكريمة الشخصية صفر اليدين ، بل يتحنن ويتحف الكتب العربية ، ويتحف ادب الرحلات فيها بهذا الكتاب الرشيق ، العميق ، الذي يجعل خفة روح ، ورجاحة فكر ، والذي يصور لنا بلقاريا الحديثة ، بجماها الطبيعى من ناحية ، وبليخيرها الادبية والفنية والفكرية من ناحية اخرى .

ولا يتوقف عيسى الناعوري عن ان يتولد دائما - وهو ماض في رحلته - الى مغامرات جديدة ... فالكتاب بلقاريا يستطيع ان يطبع في كتابه ما بين ٢٠ الى ٥٠ من النسخة في الطبعة الواحدة ، بينما نحن هنا في الشرق العربي يلجح الواحد منا اذا طبع من كتابه ثلاثة الاف ... ويتسالم الناعوري لالا لا يطبع الكتاب العربي البارز مثل هذه الكمية - على الاقل ، وكافصاف الايمان - مائة وثلاثين مليون عربي ؟ وليست العبرة بـ ١٢٠ مليون ، بل العبرة بالقراءة ... فهل هؤلاء الملايين من العرب يقرؤون ؟ ان البلقاريين لا يزيدون على اعمانية ملايين ونصف ، ولكنهم « شعب قاري يحب الكتاب والمجلة والجريدة » ولا يتيسق فراها ... والمعارفات في هذا الكتاب غير قليلة ، كالغاية بالاطفال هناك ، ونصيبهم من الرعاية عنندا ... والاهتمام بالحقائق هنسالك ، وارهاف الناس عنندا - مواطنين وغير مواطنين - بما لا يطلق من الامر .. ان هذا الكتاب في الحق لفنة كريمة من رحالة عربي كريم ، اتبع له في مدى اربعة عشر عاما - لا غير - ان يركب الى بلاد الله كل طريق . والراق في ابداء وجوه المعارفات هو طابع الاستسلا عيسى الناعوري ، الذي لا ينفذ في النقد ، ولكنه يترقق ، لعله يبلغ الغاية مما يريد ان يوجه اليه ... وبالله التوفيق .

محمد عبد الفتحي حسن

القاهرة

شخصيات من الادب المعاصر

تاليف وحيد الدين بهاء الدين - (١) صفحة - مطبعة (٢)

وحيد الدين بهاء الدين كاتب عراقي جاد ذؤوب يتميز انتاجه بالصدق والاصالة ... وهو فلم جديد السمات والملاح ، شق طريقه بسرعة

« أدبنا وأدبناؤنا في الهاجر الأمريكية » ..

ومع ان المؤلف يلم بهذه الجوانب في حياة جورج صيدح الا انه ياتي الصواب على شخصيته الشاعرة ذات الامالة الفنية النابعة من حبه الكرهف ومن تجاربه السجورية العادة والنخبة التي تقذفها رحلاته وولائه لعرشته ووطنه ...

لمن التجارب السجورية يختار له المؤلف هذه النبعة الفنية التي ينتج فيها الحنين الى الوطن بميمر الذكرى المشقة اللهيقة :
يظفر الليل نجوى من سرارنا ويشرب الفجر معنى من تحانيها
ان طالعنا وجوه الحسن في بلد تومس القلب فيها وجه لبنان
وكم شخصنا الى الافلاك نسيرها لعل فيها عيون الصبح تلقانا
وكم عطفنا على الاطيار في لهف نعلي عليها حديث الشوق الجانا
ومنها تلك اللمسة الانسانية الرائعة التي تصور الضعف البشري
مثلا في ضعف الابوة بزاء الام البتوة باروع ما اوتي الانسان الختان من
الهام وقد اصبحت هذه الكلمات في دفتر الشعر العربي المعاصر كقيمة
الابهام لا تترك خلوطها الا عند جورج صيدح .. نفسه .

لقد كانت وحيدته تحت ميسع الجراح وكان هو خارج غرفة العمليات
يشتمل عن هذه النبعة الرائعة :

رفقا بها يا ميسع الجراح شرحت قلب الوالد المتناح
ان زدت اسلاما ففصحت تجلدي وجمعت بين صياحها وصياحي
والله لو اطعتم روحي لارتعت تحت النصال تصدعا بجراحي
هذي اللطافة قصاصة من ريشها لكي اذا انتشرت قصص جناحي
ماذا جفت وهي الفظية في الربا حتى تذوق خسارة الانداح
بالاسى مدت عنقها من وكثها واليوم تشهد مدينة النسيح
ومن الوطنية اختار المؤلف من شعر صيدح :

فالوا: صف الاوطان قلت: حبيبة لا اشتي بعد الفظيمة وصلها
وقد كان همي ان اعيش بقرىها واليوم همي ان اصوت لدى لها
وعن العروبة يسع مبادئ الكريمة في هذا القانون :

ان العروبة شمرع فيه السولة تحم
لسم بتميز عربي فسن الزمان بالجم
يخسرو على ظالميه متى اصيبوا بالقلم
ولا بنوح صيدح على ماسي الوطن العربي لكنه يندمج فيها اندماج
الجزء الى الكل :

ونتي النكوب ان تعصى الضحايا احصني اني جريح في حسابا

صدر حديثا

جدران الصمت

شعر رمزي

م . ع . الميخ

منشورات مجلة الاديب

لست اريك بشريد الشكايا بل اهاديك سلاحا وسرايا
خذ عن الدلع دفعا للزوايا لغة المستعمرين الاجميهه
ان حفظنا حقلنا المساد حيهه

وشخصية وديع فلسطين الذي عرفه المؤلف بانه سفير الادب
الماصر - شخصية نادرة في عالم اليوم ، تجمع من المتناقضات اكثر
ما تجمع من التوافقات فهو يجمع في شخصه كل عناصر التقدمية
ولكنه يرفض التجديد المتطرف ويرفض الالتزام في الادب ويرفض
تجديد الشعر ... وهو ذو ثقافة اجنبية عميقة واسع الاطلاع ، على
كل مستويات الفكر الادبي ولكنه يدافع عن العربية الفصحى العاصية
ويبتكر في الغالطيا ومعانيها وصورها ومعجمها وبنائها تجديد يميز على
فقهائها ..

وهو عاطفي يذوق قلمه رقة ولكنه يلتزم في كل ما يكتب بالنزعة
العلمية المعاصرة ويضع كل فكرة لتلق العام الحديث .. وهو معتز
اشد الاعتزاز بشخصه وفكره ورائه لكنه متواضع الى اقصى حدود
التواضع ، حتى بالنسبة لاشد مغالفيه في الرأي ، مجال خدم
لكل الناس حتى من لا يعرفه . وهو خجول عزوف عن الشهرة يبتذل
المجالي والمؤتمرات لكنه جريء جهر الصوت ياتي بالكلمة العاصية
في وجه التكتلات مهما يكن حجمها ومهما تكن قوتها .. وهو اتيق رفيق
ناعم المس والمخبر ، طبع لتقاليد مجتمعه لكنه متمرد على كل سلطة
تسرها الاواء والتزعات الانسانية ..

شخصية بكل ما في الانسان من نبل وما فيه من ضعف .. الا انها
شخصية لا تتجرف مع التيار بقدر ما تدفعه ، تجيد تحريك ما حولها
بدون ضجيج او افعال ، احسن ما فيها انها خلافة اكثر منها متفلة.
ولقد تناول وحيد الدين بهاء الدين مؤلف هذا الكتاب شخصية
وديع فلسطين من زاوية السفارة بين الادباء وهي ناحية انسانية واصيلة
في وديع لا يقتلها ولا يبيي من ورائها اهدافا اريد من مجرد خدمة الادب
والادباء بما في جعبه من شهامة ومودة وسماحة ..

ومن هذه الزاوية الى المؤلف بكونيات هذه الشخصية وهي تبني
لقضايا الفكر المعاصر وتزاهي العمل الصحفي وصداقة كبار العلماء والادباء
والفكرين في العالم والتحق في الاطلاع على آثار الفكر العربي والعصر على
نقل دوائله الى العربية مما جعل وديع فلسطين صاحب مذهب متميز في
كل ما يكتب وما يترجم .

ومن الشخصيات التي اضاءت بها صفحات هذا الكتاب شخصية
الكتاب الشاعر الحق محمد عبد الفتي حسن .. وعبد الفتي حسن قوة
ديناميكية في بناء الادب العربي المعاصر ومعلم من معالم الشعر والنقد
التجديد وموسوعة من موسوعات الثقافة العربية يضيف الى الفكر العربي
ما يفتي عليه الغصوبة والازدهار والتفوق ، الى جانب سرعة انبساطه
بالاحداث وسرعة استجابة شعره لهذه الاحداث .. لقد ملا عصره علما
ومعرفة وسار في الطلائع الاولى لاجابه التراث وبعث اردوع ما فيه حسي
اصبح على اعلى مستويات الخبرة يتدفق التراث العربي ، وهو مشارك
دائم في تحرير كل الصحف المعاصرة يراد المجالي ويشهد المحافل ويشاهد في
المؤتمرات وفيه الصوت الجهر دائما باحثا ودارسا ومناقشا وشاعرا ..
وهو قارئ مستوعب لمسار الفكر المعاصر لا تفوته شاردة ولا واردة مما
ينشر او يداع او يتردد في المحيط العربي الاوسع ..

وفي حياة عبد الفتي حسن مواقف مشرفة ومبادرات مغلظة هيأها
عمله في مختلف اجهزة الثقافة ، ولقد وهب قلمه وجهده واخلاصه للعروبة
منذ بكرة حياته ولا يزال يمتحنها من عصارة فكره وتجاربته وهي غزيرة
وعميقة ومتنوعة ...

وحياة عبد الفتي حسن جزء من تاريخ الفكر العربي المعاصر ولذا
فهي جديرة بعناية الباحثين ومؤرخي هذه المرحلة من حياتنا وادبنا والفكر
والثقافة ..

من المسائل والموضوعات ، يكتفي في بحثها بنقاطها الجوهرية ، متجنباً شتى التفاصيل التي قد لا تمت إلى الجوهر بعلة . بل أنه يشير في كثير من الأحيان إلى بعض تلك التفاصيل أشارات محكمة بارة ثم يطرأها جميعاً ولا يدركها إلا من له اهتمام جاد بموضوعها ، دون أن تلغ على غيره سبيل النظر والتعبر والمعرفة .

أما تلك الخواطر الطرية والكلمات الجامعة التي يحصر الاستاذ كل ذلك على جميعها وترتيبها في مقالاته وكتبه ، فإن لها دون شك وزنها وقيمتها . ذلك لأن تلك الخواطر والكلمات الجامعة ليست وليدة انفعال سطحي ، ولا هي مما يرتجله المتحدث ارتجالاً وقد يعدل عنه مع الروية وامعان النظر . على العكس من هذا تماماً يحس قارئه ابراهيم المصري انه يصدر فيما يصدره من تلك الخواطر والكلمات عن القناع كسامل وإيمان وثيق بعد المعانة الشديدة والتجربة العميقة والإحاطة الشاملة أو شبه الشاملة بوجوب الفكرة التي تحتويها الخاطرة أو الكلمة . وسواء انقلت تجاربنا وتجارب الكتاب أو اختلفت عنها ، فإن احساسنا بصدقه مع نفسه وشجاعته في اعلان أفكاره ومبادئه ، هذا الاحساس لا يتلذذ بخام نفوسنا وضماننا ويملأنا إعجاباً بالرجل وقدره له ولقته فيه .

وامامتنا الآن أحدث مؤلفاته وهو كتاب «الصواء على الأدب والحياة» . وقد قدم هذا الكتاب خلاصة متعة من آراء الكتاب وملاحظاته حول الكثير من المسائل ذات الصفة الأدبية الخاصة ، والإخلاقية والاجتماعية . وقد عني المؤلف في كتابه أيضاً بأن يشاركنا في بعض مطالعته في الأدب الأوروبي مفضيلاً إليها نماذج من مطالعته العربية .

وأود هنا أن استعرضي مع القارئ طائفة من المسائل التي عرض لها الاستاذ ابراهيم المصري في كتابه الجديد . واجدريها بالبيان رابح حول « الحرية في الأدب » . فبحث هذا العنوان كتب يقول : « لا يعيش الأدب

والجانب الذي اختاره وحيد الدين بهاء الدين مؤلف هذا الكتاب من جوانب نشاط عبد القني حسن هو الجانب السهل الأقل معاناة في حياته إذ هو جانب الطبع البياض المتدفق في حياته ، أما الجانب الأخرى فهي إخلاص وبلل وتفصيح لوجه الإمامة العربية ووجه الفترة المناهضة في تاريخها .

أما محمود أبو الوفا - الشاعر المفكر - فاعتقد أن الكتابة عن عصرية مفروضة على كل قلم نالده أو مؤرخ لأن ما بذله في تجديد الشعر وما لقيه من جحود وما تعرض له من عنت في حياته الفنية والمعاناة بجعل منه شهيداً حياً يصلي من أجله كل كاتب ذي ضمير حي ...

والذا كان بعض شخصيات هذا الكتاب قد نالت بعض الحظ من الشهرة والعيت مثل الدكتور حسين فوزي الذي ألغ في علوم البحار وفي الموسيقى وفي الرحلات العلمية وفي مناصب الدولة العليا ، وهلال ناجي الذي عرفته الأوساط السياسية منافلاً حراً ودبلوماسياً بارعاً والدكتور حسين مجيب المصري الذي عرفته الجامعات استاذاً وعرفته الصحف ودور النشر مؤلفاً وشاعراً ومحققاً في ميدان اللغات الشرقية ..

فإن الشخصيات التي عرضت لها بشيء من التفصيل قد جعلت جوداً لا يحسن السكوت عليه .

وبعد فإن حديث وحيد الدين بهاء الدين عن هذه الشخصيات جميل اسداء إلى القارئ العربي إذ عرفه على شخصيات إن يكن قد عرفها من خلال اتجاها فلم يكن في استطاعته أن يصل من تلقاء نفسه إلى هذا التحليل المستوعب لهذه الشخصيات أو تفسير اتجاها في فسوه البحث العلمي الجاد وفي هذا الكتاب المتع .

لقد بقي الكثير من هذه الشخصيات في الظل أمداً أطول مما يصبر عليه القارئ ، وأكثر مما يصمت عنه التاريخ .. ولقد بذل المؤلف جهداً مشكوراً لكي يجمع هذه الباقية ويضعها في هذا الإطار التحليلي المستوعب ، كما استطاع أن ينتقظ العنصر الاصيل في كل شخصية ويضعها سمة مميزة لا تغني صاحبها ولا تكرر لدى غيره من الأشخاص ..

ولقد برزت لنا من خلال هذا الكتاب ملامح وسمات مؤلفه ككاتب تراجم من طراز ممتاز ..

فهذا الكتاب يعمل طابع الابتكار في مجال ينذر فيه الابتكار .. ومعالجة الكاتب لأوضاعه تتم عن مقدرة أصيلة وثيقين واسع من ليدن ... واختيار الكاتب لهذه الشخصيات بالذات يجعل عنصر الانصاف وينبئ عن مقدرة واتخاذ وجرة .. وبهذا وذله أدنى وحيد الدين بهاء الدين خدمة مشكورة ومذكورة لهذا الجيل من القراء والكتاب والدارسين ..

وبهذا الكتاب وضع وحيد الدين بهاء الدين قلمه في موضوع المسؤولية عن جولة جديدة ينصف بها كثيراً من الكتاب والشعراء والباحثين والدارسين عن أصح الجهود المبذولة ويضعهم في الإطار الصحيح من صورة الفكر المعاصر وكثير منهم تحولوا أعياء البناء وهي شاقة ومضنية وجديرة بحق هذا القلم الرصين : قلم وحيد الدين بهاء الدين ..

القاهرة
رضوان ابراهيم

أصواء على الأدب والحياة

تأليف ابراهيم المصري - ١٧٠ صفحة - طبع دار الهلال بالقاهرة

يحرص الكاتب الكبير الاستاذ ابراهيم المصري على الوضوح والدقة والتريز في كل ما يسطره قلمه . ولعل هذه الزايا على ما تنفسيه من جهد ومشقة ، هي التي يسرت له أن يتناول في الكتاب الواحد ، عدداً

مجلة البيان

مجلة فكرية شهيرة تصدرها

رابطة الأدباء في الكويت

وتحررها الأقلام العربية الاصيلية

للإشتراف ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص.ب. ٣٤٤٣ - الصديلية

الكويت

« البيان » ... توزع في معظم الاقلام العربية

وينمو ويؤتي ثماره الرائلة الا في جو من الحرية . ولا قيمة للادب الا اذا كان حرا لا يتكبله اية قيود . والادب الحر يعود على المجتمع باضفاف الغائلة التي يعود بها عليه الادب المنزّم بقاية عملية مباشرة تهدف الى الإصلاح ، او تدعو الى نظام اجتماعي او مذهب فلسفي . ذلك لان الادب ليس متبرا للعداية والإصلاح والأرشاد . مجال العداية والإصلاح هو ان القصة او المسرحية او الشعر هي الادب الخاص الذي يجب ان يكون حرا بلقيا يسبح في اي اجواء شاء .

وانت ترى مما نلقاه هنا عن الاستاذ ابراهيم المصري ، انه يرفض الادب المنزّم . وهو بعد ذلك يؤيد منزعه بعضي الشواهد يستند بها في وسننا ان نستفيد من مطالعة الروائع الخالدة لامثال شكسبير وبنزلك ويستوفسكي وغيرهم من عبقارة الادب الحر . وقلبية الالتزام في الادب او تركه حرا كثر الجدل فيها حيناً ثم فترت حدة هذا الجدل وناب الادباء في تلك القضية - على ما يغفل لي - الى موقف وسط يرى ان الشرط الاول والآخر لجودة الفن هو الصدق مقترنا بتلك الحاسة الاولى التي بواسطتها يستطيع الادب ان يفلت ان كان اتجناه ، ملتزما او غير ملتزم ، ان يعكس لنا في عمله حركة الحياة في تطورها الدائم وتقدمها المخر . وهذا رأي يقبل النقد بالبعث .

وشبهه بتلك القضية بـ « قضية » الفلسفة في الادب » . وقد عرض لها الاستاذ ابراهيم المصري في كتابه . فكتب تحت العنوان المتقدم يقول : « من القصصيين وكتاب المسرح في اوروبا اليوم » من ينزع الى ادماج الفلسفة في الادب . فقصص ومسرحيات اولئك الكتاب لا تكن تصوير مشاعى القلب وخلقيات وجدان والنفس بل يعجز ابطالها في الفكر والتأمل ، اي الى معرفة معنى الالم ومعنى الحياة ، والقلبية من الالم والقلبية من الحياة . ثم ينحى بالزوم التشديد على الاتجاهات الخبيثة التي يمثلها سارتر وكامو وبكييت ويونسكو واغرابهم . ويذكر ان الخطر الناشئ من مطالعة اصنامهم كان ان هذه الاصنام قامت اسساع الى فلسفة مدعية ترى ان الوجود هو العدم . « فما دام ان العدم هو في نظر اولئك الادباء نسج الخيال وفنونها الاول والاخير » فكيف يامن قارئ هذا الادب المفلس برغم ما فيه من اشادة بالقوة والحرية وحميد الحياة ، كيف يامن هذا القارئ ان يتحول بجمع كيانه يوما وتجت ياها الى ادب اني كراهية الحياة نفسها . فيندفع الى الانتحار . او ينصرف الى انتهاب الملذات في اناثية مستهتره وفلاسفة ...

والاستاذ ابراهيم المصري عدو السرعة ، يراها اخطر شيء على الادب خاصة . فليكتب تحت عنوان « الادب وعصر السرعة » قائلا : « ان عصر السرعة الذي نعيش فيه اليوم يفسد الادب القوي بل والادب العالية بسرهما في ازمة خطيرة » . ثم يوضح اعراض تلك الازمة كما يلاحظها على بعض الاعمال الادبية الحديثة . ويصرب امثال بالادية الفرنسية « فرانسواز ساجان » فيقول عنها « انها حين اصمرت قصتها الاولى « مرجا اياها الحزن » وهي عمل فني ممتاز قول من النقاد بتقدير كبير ، ذاعت شهرة الروائية الشاب ، فتهاافت عليها النشرون بوهائيات عليها ايضا شركا السينما ، تنحاهل على كتابة قصص اخرى . فاجعلت فرانسواز ساجان نضع القاصد تلو القصة في سرعة وارتيال » . اما السيد باسند الشقة بين عملا الاول واعمالها التالية « وهوى يابدها الذي كان يمكن ان يظل رغبيا ، الى مستوى الادب السهل الرخيص » .

ثم يتجه الاستاذ ابراهيم المصري اليها ، الى ما يعتقد بعضي شعراءنا من ان الشعر عربي نستفي من الثقافة . فليكتب تحت عنوان « ثقافة الشاعر » كلمة ضافية ينقد فيها هذا المعتقد . فلي رايه ان الملكات والواهب فطرة ولا شك . ولكن الفطرة ، كالنار ما كان توفدها ، هي مادة اولية في حاجة الى التنقيح والتجميع حول مؤثرات تتبع مسن الواقع المتجدد المائل في مختلف طورات الحياة » . وهي عبارة جسامية يستطرد بعدها الى الجانب الآخر من دعوى من يتكرون ضرورة الثقافة للشاعر . فيقول « اما الخوف من ان يفتي سلطان الثقافة العنلي على

سلطان العاطفة والخيال في نفس الشاعر ، فتعليل لا ينهض على اساس . اذ الشاعر الطوبوع هو الذي يعتمر خلاصة التفكير العقلي ويصيهها في مجرى العاطفة والخيال صبا طبيعيا لا اعتات فيه ولا تلكك بولا اثر من سيطرة العقل المتفعل عليه ، والا كان شاعرا زائفا ، او شاعرا مغفولا الى فطرته المحدودة ، لا يستطيع ان ينقد بشعره الى جوهر الانسان وحقائق الحياة الابدية » . ثم يطرّق الاستاذ ابراهيم المصري بالبعث في الكلمة نفسها ، الى شعرائنا اصحاب النحر من القديم اطفا ، واثقارهم في لثقافتهم بمذاهب اوروبية مستحدثة في الشعر ونتاجهم في شعرهم الى هدم كل ما هو منطقي ، والادباء في التصوير والتصوير الى ما يمكن وراء العقل الواني » فيخاطبهم في عبارة منزّه وهادئة « هذه متكم محاولة نود مخلصين ان نقدوا بوان تلوقها ، على شرف ان نجد انفسنا حبيال اشياء خلية بالتزويق والتقدير ، لا حبال اشياء مبهمه ولامسوفة وخوفه بالانفاذ والاجاجي ، تلقى بنا في شتى التاهات ولا نخرج منها الا متخبطين وتاهلين وحيارى » .

هذه فيما اعتقد ابرز المسائل التي عرض لها المؤلف في القسم الاول من كتابه الشائق . وهو القسم المكون من « اسواء على الادب » . ويوتي قسمه الثاني « اسواء على الحياة » . وهذا القسم يقدم لنا الوائنا متفرقة من الخواطر والالكار المجدحة التي تتلحق قريبا وتنتطق بعيدا ، وتعود دائما حول الاعراض الانسانية العالية والمطالب الروحية السامية التي ما يفتا الاستاذ ابراهيم المصري يحث قارئه على التنبه لها والسعي اليها والتشبيث بها . واليك امثلة من تلك الخواطر : « احلام الشباب اسال ، اما احلام الشيخ فيجد ذكريات . والذكرى حيلة ودرج جمال مغرب النهار » . اما الال فرائع روعة التريض والتلحظ وانتظار مطلع الفجر - البر اتقى ضللا لانه يصبغ الخبر في سائته - الرونة في الفكر باب يؤدي الى التفاهم والتسامح والتعاطف بين الناس ، اما الرونة في الصغير فياب يؤدي الى الخبت واللؤم والوصولية ومنها كل رذيلة . بل الى الاجرام » .

وقمة ايضا في هذا القسم من الكتاب فقرات فيها بعض الطول بحيث لا يسوع اعتبارها خواطر ، فهي اشبه بان تكون نظرات مباشرة الى بعض المسائل التي يريد الكاتب ان يتوسع في عرضها . واولي القاري نموذجها واحدا منها . تحت عنوان « اهدافنا ... » يقول : « حياتنا تتحل كل يوم امام عيوننا وتنقي في مطالب ومشغيات تلجج من فرازنا وكثيرا ما نتحط بنا .

فثقت ان ان تقاوم هذا التحلل اليومي في ان نجد هدفا ساميا حياتنا في ان تشبث بهذا الهدف ما استطنا ، بحيث لا نشيننا عنه اية خيبة نحل بنا . اذ الخيبة هي رمز التقلب الذي هو طبيعة الحياة ، والشباب هو رمز الإرادة البشرية التي تقالب الحياة ، وتقلب الخيبة والحسرة ، وترتد الى الهدف حتى تتحقق ، او تستجمع قواها او استحال تحقيقه ، وتجنه في عزم واصرار نعدو نحو تبيل جديد » .

واما الباب الاخير فيحتوي على اربع قصص مستلهمة من واقع حياتنا ومن أحداث التاريخ . وقد ابدع المؤلف في وضعها ابداعا ارتد به الى فطرته الفنية الخلاقة ولا سيما في القصة المصرية « ملكة النحل » التي تجمع الى تيل الفكرة دقة الانفاذة ، وصدق العاطفة ، وقوة التصور وروعة الوصف والتحليل .

وصلة القول ان كتاب « اسواء على الادب والحياة » هو عمل ادبي شائق وممتاز . وقد صدر بعد الكتاب الرابع « خبز الاقوياء » ببضعة اشهر فقط . ولذا ما يدل البلى الدلالة على ان ذهن الاستاذ ابراهيم المصري ما يزال ، ولم تقدم الرجل في السن ، لئلا جياشا بالخبيوة ، فياذا بباردة العمل والخلق والابتكار .

ابراهيم سعد الجندي

طنطا - مصر

الحياة ، وإلى اخطاء في التصور الاخلاقي ، وفي الذوق ، وفي عادات المعيشة مما يؤدي الى القضاء على السرور الطبيعي ... ويمكن ان يسعد الانسان بتعديلات يسيرة في طريقة المعيشة .

لكي يكون عامنا الجديد افضل من اعوامنا السابقة يجب ان نجلس الى نفوسنا ونأملها بصراحة وصدق ونفحص اعمالنا واخلاقنا وسلوكنا واتجاهاتنا ثم نضع الخطط والافكار لحياة افضل وعمل اكثر ايقاناً ، كما نعمل على التخلص من معوقات نعرف تماماً انها كانت حائلاً دون تحقيق ذاتنا الفضلى . لقد تعلمنا الكثير وازدادت خبراتنا ولا بد ان نفيد منها وتلافى كل خطأ وقعنا فيه من قبل ، ثم نضع برنامجنا المحدود الواضح نسير بمقتضاه وتأخذ انفسنا بالحزم للعمل به .

لم نفهم عيوننا وتفلق عقولنا عما يستحق ان نحيا من اجله وبه وقد دللتنا تجاربنا وصراعاتنا اننا لن نسعد في حياتنا من غير ان تكون هذه الحياة انسانية الطابع بشرية الافق؟! لم لا نقف موقفاً سليماً من مشاكل الحياة الحقيقية ونفوس الى الجوهر تاركين السطح السذي لا تتضح فيه الرؤيا؟ لم نشبث بأسلوب حياتنا ونحن نعرف انه خاطئ ، واننا نساعد لو اننا عدلناه؟! لم نهمل صوت قلوبنا ونركب رؤوسنا ونففس في انانيتنا ونستعبد انفسنا لضغفاننا وعاداتنا الموقرة وافكارنا الجامدة؟ لم لا نعيد بتجاربنا وخبرتنا في السنين التي عشناها ؟

ان اكونا يعيش على هامش الحياة يشكو السام والملل ولا يراه الا وهو يضع بعباته ... والسبب في هذا الضيق انه يرى الحياة في معناها الضيق .. انه يعتقد ان افضل ما في الحياة هو النجاح المادي فقط ... وهذا هو سر تعاسة الناس وتلقهم في عصرنا المادي هذا ... اننا عندما نوجه كل طاقاتنا ونشاطنا وتفكيرنا لا لشيء غير النجاح المادي نصبح عبيداً للمادة نتصارع صراع الوحوش في الغابة على القريسة ونعني عن كل ما حولنا من جمال ، وتموت فينا معظم الصفات الانسانية ... كثير من الناس يشقون ويرون الحياة عبثاً ثقيلاً بالرغم من ثرائهم ، لان كل هدف حياتهم ان يكون لهم وفرة في المال وبذلك يخسرون انفسهم وماذا يربح الانسان لو كسب العالم كله وخسر نفسه ؟ وبحضرتي هنا ما قاله « برتراند رسل » : اذا سالت واحداً من رجال الاعمال ، ما الذي ينقص عليك بالاكتر بهجة الحياة ؟ لاجابك : صراع الحياة ... ! سل رجل الاعمال هذا الذي يتشدد بصراع الحياة ، كم رجلاً من اجل طبقك مات جوعاً ؟

ان النجاح المادي عامل واحد من عوامل السعادة ولكننا ندفع في هذا العامل الواحد ثمننا باهظاً جداً ... ندفع كل حياتنا وسلام انفسنا ومتعتنا ويصبح لاجدوى من كل جهدنا لاننا نوجد في هذه الدنيا نتصارع ولا نعيش . لا بد من المراجعة الواعية للتأكد من صحة المسار



إلييا حليم حنا

استيقظ .. وعش حياتك كلها

بقلم إلييا حليم حنا

ومضى عام آخر من ايامنا على هذه الارض .. ومازلنا نتمنى ان يكون عامنا الجديد احسن كما تمنينا في كل عامنا السابقة . ولكن ، هل حققنا كل ما سبق ان تمنيناه ؟ واذا لم تكن قد حققناه فماذا كان السبب ؟ كيف يكون هذا العام اسعد من الاعوام التي سبقتنا اذا كنا نستقبله بنفس افكارنا ونففس عاداتنا ونففس المجهود ولم نتخلص مما نعرف انه نقص او ضعف في نفوسنا ؟ ان الحياة تفقد معناها اذا ظلت مجرد آمال لا تتحقق وجهدا لا تشعر .

كل عام في لحظة العبور الى العام الجديد نحسب عمرنا الزمني ... نضيف عاماً على عمر اجسادنا ... وعندما نصل الى سن معينة نقول لانفسنا : لقد كبرنا والسن تتقدم بنا .. ترى هل نقف مع انفسنا ونففس موضوعية نسألها في حوار داخلي صريح عن مدى ما وصلنا اليه من نضج في تلك السنين التي عشناها ؟ هل ننظر ورائنا نستعرض اخطاءنا وضعفاننا وما وقف في سبيل هئاننا وما كان ينقصنا لجعل حياتنا اوفر واسعد ؟ يقول فيلسوف عصرنا الحديث « برتراند رسل » في كتابه « كيف نفزو السعادة » : اعتقد ان كثيراً من الشقاء راجع الى حد كبير الى وجهات نظر خاطئة عن الدنيا ، وعن

والسلام والابتهاج الكامل روحا وجسدا لانه كل يوم يتجدد وينمو ويعيش وهو يواجه الحياة بنضج يجعله اقدر على تحملها والاستمتاع بها .

واسعد انسان على الارض انسان يرى لحياته قيمة ويراه متجددة غير جامدة او رتيبة تسير نحو هدف عظيم تصنع كمالها بنفسها . بدون نضج نتجابه الحياة بما ركب فيها من معطيات فريضة ... بدون نمو ورتقي عقلي وجداني نعيش حياتنا كأطفال كبار تسيطر عليهم الانانية وتحركهم ، ونطلب الحياة بكل ما فيها لنا ولنا وحدنا فيسيطر علينا ونحن نتصارع من أجل هذا ، الخوف والوحدة والقلق والارق والاضطراب ، وهذه لا تفقدنا فقط السلام الذي نحتاج اليه لنعمل ونخلق ، والصفاء الذي به نفكر ونبتكر ، بل تؤثر تأثيرا سيئا في اجسامنا . والمعرف ان كثيرا من الامراض الجسدية مرجعها امراض النفس ... ان نضج العاطفة واتزانها من اهم العوامل للصحة النفسية السليمة والصحة الجسدية ايضا ... والانسان الناقص عقليا وعاطفيا يعيش في اغوار نفسه السحيقة ، يعسر به في غابته البدائية الموحشة ، باطنه صحراء جرداء ، فيها اعاصير قاتلة ووحشة ومخاوف وعطش مميت وجوع قاتل وهوام وشمس محرقة وليل باردة مرعبة مخيف .

والانسان الناضج الذي يرتقي بعقله وجدانه بجايه الحياة في مستوى النضج والاكتمال ، تقل قابليته للتهدج الانفعالي وتقبل الامور في هدوء لانه يراها على ضوء الواقعية ومن ثم تزيد قدرته على السيطرة على مواقف الحياة ببطء فاعلية عن طريق التفكير والعمل ... وسر الحياة السعيدة هو القدرة على احتمالها بنضج والادراك وشغافية ووعي واستمتاع ... ولنا في التسارع الادبي الالمانى « جوته » خير مثال للانسان الذي كانت تملأ جوانحه ارادة الترتي ، فعاش واهتمامه الاول هو ان يرتقي وجدانه وينمي عقله ويستمتع بحياته فجعل منها شيئا فنيا ممتازا ممتعا رائعا ... والناس حتى الان تعجب بحياة « جيته » بقدر ما تعجب بانتاجه الذي كان صدى رقيه العقلي والجوداني وحياته التي عاشها كلها في العشق وكان بحاسب نفسه على درجات رقيه وبناء شخصيته يوما بعد يوم ... وقال في ذلك « يجب ان نجدد شبابنا على الدوام والا تغفنا » . ولهذا كان « جيته » شخصية ممتازة تحدث عنها رجال الفكر والادب اكثر مما تحدثوا عن انتاجها وبتمثل هذا الاعجاب العظيم بترك الشخصية الناضجة النامية المتطورة في قول « براندس » الاديب الدانماركي « ان حضارة الامم تقاس بمقدار تقدريها لحيته » .

في اعماقنا الكثير مما يجعل الحياة جذيرة بأن تعاش . لقد خلقنا وفيها طاقات جبارة وميول طبيعية ومواهب خالقة ... وهذا الكثر العظيم يخفيه عن عيوننا الانصياع للفرائز وعدم التحكم فيها بنسب انانيتنا وضعالة قولنا والجري وراء أهواء باطلة طارحين خلف ظهورنا كل

الذي ندفع بحياتنا فيه ... اننا نشقى ونحن نعاش ضغفنا ونقصنا ولا نتخلص منه .. اننا لا نعيش حياتنا كلها ، اذا وجعنا كل اهتماماتنا الى الناحية المادية فقط ، غافلين نمونا العقلي والجوداني الذي بدوره نفقد القبضة الداخلية ونفتقر الى المرح الروحي ...

جمال الحياة ان ننمو ونعيش في عمقها وعندئذ نكتشف فيها آفاقا وابعادا جديدة ، نكتشف كل يوم ما يشع في النفس البهجة والجمال ... الحياة حسب خبرتي تافهة وضياغ قاتل ان لم تكن نموا مستمرا وخلقاً وابتكاراً وازافة وبغير هذا يصبح لا فارق بين الانسان والجماد الذي لا ينمو وتذب فيه كل عوامل النقص والفناء !

ليس العمر الجسدي هو كل رصيدنا في الحياة . وليست المادة وحدها هي عامل السعادة الوحيد في الحياة؛ ليست هذه السنوات التي نعيشها على هذه الارض الآ وعاء .. نعم وعاء .. نملؤه نحن بالخير بالحبة بالتعاون بالفهم ، بالرضا النفسي التامر .. عمرنا الزمني هو وعاء الحياة ، ولكنه ليس الحياة نفسها ، وليس وحده المادة التي تصنع منها الحياة ، هذا العمر الزمني يتحول الى شقاء .. الى ضياع ان لم نملأه خيرا وجمالا وسلاما ومحبة .. ان لم ينب العقل والجودان والروح ... ان السنين التي نعيشها على الارض اعطيت لنا ليبي فيها الانسان نفسه ويسمو بها ويشيد علما جميلا يستمتع بالحياة فيه ... لقد خلقنا لابعاد اوسع مدى من الحدود الجسدية ... خلقت قينا الفرائز لحفاظ على بقائنا وليس نعيش بها ، ويشارك الحيوان نعمتنا في هذه الفرائز ونحن نفقد انسانيتنا عندما نتساق لطيائنا البدائية كسا يتساق الحيوان دون القدرة على التعديل والتبديل ، والانسان يمتاز على غيره من المخلوقات بالوعي وبمقدار ما يفيد من تجاربه وما يستخلصه في النهاية من نتائج يسترشد بها في تنمية وترقية حياته الى اعلى .

ما قيمة هذه الحياة ان كانت كلها احواما تضي بنا الى الشيخوخة والعجز الجسدي ومع هذا العجز عجز عقلي وجداني روحي ؟ اي خير في مثل هذه الحياة التي نحسبها بالسنين ونقيمها بالمال ولا نحسبها بنضج عقولنا ورتقي وجداننا ؟ ما قيمة الحياة ان كانت كيانا جسديا خاويا يضي بنا الى الفناء بعد ان عشناها في ظلمة وفراغ نفسي ولم تكن اكثر من يوم رتيب ممل تفرغه الشمس اضاء وظلاما على اجسادنا بينما ارواحنا وعقولنا خاوية قلقة مضطربة تجري الى لا شيء !!

ضياع الا يعرف الانسان لنفسه ذاتية خاصة ... وسعيد بعيد عن القلق والمال من يجعل اهتمامه الاول حياة مليئة نامية ناشجة ... يسعد وهو يعيش لهذا الغرض العظيم ويستمتع بابامه وهو يتجدد وينمو ويكتشف آفاقا جديدة تتسع آفاق شخصيته وتملكه الاحساس بالسكينة

ما يدربنا على الحياة الناضجة الواعية السامية ، مغفطين
عيوننا عن الثقافات الانسانية والرسالات المساوية ولا
نسترشد بنتائج خيراتها وتجاربنا .
وكنوز النفس المخبوءة في اعماقنا وامكانياتها الخالقة
الجبارة لا يمكن ان نصل اليها الا بما ينضج عقولنا ويرقى
بوجداننا .. اقصد لا يمكن بدون الثقافة الحية والايمان
العميق .

والثقافة التي تنمي وتطور وترقى ليست معلومات
وآراء وفلسفات تشدق بها دون ان يكون لها فعلها القوي
في حياتنا .. الثقافة الحقة هي الانسان كيف لا كما ...
انها نضج ونمو وفتح ذهني ووجداني يجعلنا اكثر حيوية
ويقظة ، تساعدنا على تكوين عادات النضج والتفوق في
مراحل حياتنا المختلفة ، تزيل الفسادة عن عيوننا فتحرر
مما حجب لنا الظلام وتوقظ عقولنا فنمزق الغشاء الذي
نسجه تفكيرنا القديم ، ونشفي اذناننا من الصمم فنسمع
وقع الحياة الجميل ، انها تودونا الى حياة ارحب وافضل
وتكشف لنا عن عوالم جديدة وراء التجارب المختلفة وتجعلنا
نستكشف غفائا انفسنا فنحسها وامكانياتنا فننميها
ونفيد بها .

تقاس جدوى الثقافة بتأثيرها الطيب على الشخصية ،
فان لم يكن لها هذا التأثير فهي هراء ... الثقافة الحقيقية
تؤثر في العقول والقلوب وتستقر فيها ، وتعمل فيها
عمل الخيمرة في العجين ، تثور داخل الجماجم وتفكك
القيود التي تستعبدنا وتحررنا منها وتطعمنا الطاقة على
اقتلاع كل ما يفسد علينا سلام نفوسنا ، وتطعمنا التصور
الحقيقي لاهداف التي ينبغي الوصول اليها ، ونسج علينا
مظاهر الخلق التي تتسق مع ذاتنا المثالية كلها فتملأنا
باحسن الطرق لمواجهة مشاكلنا وعلاجها وبقوة
الادراك عندما تجابهنا الحاجة لاختيار حقيقي . تغيير
اتجاهاتنا الفكرية والعاطفية بما يتناسب والصحة النفسية
والكمال الروحي ... تمنحنا الكثير الذي نعرف به انفسنا
وامكانياتنا فلا نتف بحياتنا عند حد ... تتجه بنا دائما
نحو تحقيق هدف واضح نعيش من اجله فنجعل حياتنا
مليئة متجددة ممتعة لها مذاق محبوب على المدى الطويل
دون ان يعثرنا ملل او قلق او جمود او يأس ... انهما
عملية نمو وتحول مستمرين ، يحقق بها الانسان التكوين
النفسى السليم بتعديل او ازالة خصائص قديمة وهي
تعيد تكوين الانسان عقليا ووجدانيا ولا تجعله اسيرا
لعاداته الموقفة .

واذا كانت الثقافة هي الحديقة التي تعدنا بالشمار
الشبيهة التي يطيب لنا تلوذها وهضمها لتتحول الى دماء
تسري في عروقنا تغذي قلوبنا وعقولنا فان الايمان هو
الباب الذي نمر خلاله الى الذات الفضلى .. انه الحارس
والنظم الذي يجعل نعمة الله رفيقة حياتنا وهو النار التي
تصهر ما بداخلنا من بقايا لم تقو الثقافة على محوها ،

وتطهرنا من ادران الحيوان الجائم في اعماقنا .. والايمان
الحق ليس امورا مظهرية ، انه هو ما قال عنه سقراط
« تكريم الضمير النقي للعدالة الالهية لا تقديم القرابين
وتلاوة الصلوات مع تطلع النفس بالاثم » ويقول « الدكتور
هنري لك » الطبيب النفساني الكبير وصاحب كتاب
« العودة الى الايمان » عن الايمان الواعي « اذا اتحد العقل
مع الدين وامتزج به كان عقلا قويا جبارا » .

وامتزاج الثقافة الحقة بالايمان القوي العميق يخلق
مناضلين حقيقيين فلا نعيش قطط من اجل القيسم
الثقافية المجردة بل نطبق هذه القيم ونلتزم بها في حياتنا
وفي كل تصرفاتنا ، ونناضل بصدق ، وعزيمة مؤمنة ،
لنثبث هذه القيم والاسهام عمليا في تشييد عالم اجمل
وافضل تسوده المحبة الخالصة الحبية التي تتجمع فيها
كل قيم حياتنا الطيبة المثمرة ... تلك القوة الدافعة
الحركة التي تدلل العبيات وتنظي الحوالم ، وتنسق
الطرق المعبدة السهلة في بطاح الحياة الورعة ، تجبر
التضحية ، وتذيب الانانية وتبتر جنبات النفس ، وتسعو
بنا الى علو لا نستطيع الصعود اليه الا بها . تخلق من
ضعفنا قوة وتجعل كل ما هو صعب محتلا وسهلا مهما
كانت درجة صعوبته .. بها يخرج الانسان من ذاته الضيقة
الى الذات الانسانية الواسعة انها قوة دافعة للخير ، للحق ،
للجمال ، للكمال ، للسعادة . من المستحيل الا نحب ونكون
سعيدا ... المحبة هي الشعاع الالهي الذي يضيء لك
حياتك جنات وتملا اعماقك راحة وطمانينة فتشعر بروحك
ترقص وتصفق وتغني . انه من المستحيل ان تتركه وتكون
سعيدا .. فكر كيف تقبل على ذيك وانت تحب .. كيف
تقبل على عكسك ، على الناس ، على الحياة ، على كل ما هو
خير وجميل .. انها القوة التي تعينك - وانت في منتهى
السعادة - على حمل قسطك من عبء الانسان نحو
انسانيته .

هذه المحبة القوية الدافعة هي نتاج الثقافة الحقة
والايمان العميق بالحياة والانسان ... وما ان تتزاد
الثقافة الحية بالايمان العميق حتى تصبح قوة جبارة تحول
البشر الى ما يحلم به علماء التطور والنشوء والطول ، وهو
الانسان الراقي المتفوق (السورمان) الذي يقول عنه
هؤلاء العلماء انه ارقى ما يمكن ان تصل اليه الانسانية في
قمة التطور ، وهم ينتظرون مئات الملايين من السنين
ليصلوا اليه ، بينما في الامكان ان يجعل كل منا من نفسه
- في فترة العمر التي يعيشها - انسانا متفوقا ممتازا اذا
عمل على انضاج وابراز كنوز نفسه المخبوءة بالثقافة الحية
الفعالة والايمان الواعي العميق الذي يصهر ادران النفس
ويبرز الجوهر الانساني الاصيل .

وانساننا الممتاز هذا هو الانسان كما اراده الله ،
يعيش حياة سامية جميلة يرى له فيها غاية ككل الرجال
ذوي المواهب العظيمة التي انضجها الايمان القوي العميق

لغات همدية

ما عهدت الطير تمضي دون وعد بالرجوع
دائما في كل فصل طائر يأتي الربوع
يسزدد الشيطان بسلا حلام يوما والدموع
ويعرف الند طورا او باضواء الشموع

في العشبات صديقي ترحم الصدر خواطر
واحاديث اصطفاهما السمع من تليخ عابر
تنضج الاحزان فينا ويصير القلب طائر
ويعبر الوجع دمعا في حنايانا مسافر

يا صديقي ما انا ... ما انت ... ما كل البرايا
ما اتكسارات الجفون عندما تدوي الحكايا
ما انفلات الحس حينا من ممرات الخطايا
غير حلم وحنين

سلافة العامري

دمشق

ومفك على معان اعمق للحياة ... عش حياتك كلها ..
حياة النضج والارتقاء .

سئل « غاندي » عن رسالته في الحياة فقال :
« حياتي هي رسالتي » وكلنا نعرف القوى التي تفجرت
في أعماق غاندي عندما حمل حياته هي اهتمامه الاول
وتحول بها الى النضج والكمال ، فكان أفضل انسان ظهر
على الارض في عصرنا الحالي .. انه مثال واقعي حسي
للانسان المتطور الراقي الممتاز الذي تخطى كل سنن التطور
في سني حياته واصبح هذا (السوبرمان) الذي يحلم به
العلماء ... وقد قال عنه « اينشتين » :

« ان الاجيال المقبلة سوف يصعب عليها ان تصدق
ان هذا الرجل عاش على الارض بلحمه ودمه . »
أخي القارئ

هذه هي رسالتي اليك في هذا العام ... ارجو لك
من قلبي ان تعيش حياتك كلها . تذكر دائما قول « هربرت
كاسون » الكاتب الانجليزي المعجز « اعصر برتقالك حتى
آخر قطرة فيها » .

استيقظ وعش حياة ناضجة قوية تملأ جوانحك
وتنبثق من كامل كيائك وتوف لك السعادة والمتعة الراقية .
اننى لا اجهل الصعاب التي قد تعترض صعودك الى
القمم العالية ولكني اهتمس في اذنك قائلا : ليس هناك شيء
له قيمة يمكن تحقيقه بدون مجهود .

إليها حليم حنا

القاهرة

برسالة الحياة الانسانية فاضاف كل منهم حجرا في بناء
الجهد البشري . ونحن لا نقيس حياة هؤلاء الممتازين الذين
اسهموا في الرقي البشري ، بالسنين التي عاشوها بل
بالنضج ، بالعمق ، بالآثران ، بالحب بالجمال ، بالخير ،
بالثمرة الطيبة التي قدموها لعنينا . لقد عاش هؤلاء
الممتازون حياتهم وتركوا بصماتهم الواضحة على حضارتنا
.. والانسان الناضج يتطلع دوما الى ما هو اسمى
وأفضل ، ينكر ذاته ويضحى بها في سبيل ما يؤمن انه خير ،
لا شيء يزلزله او يزعزع ، لديه ابداما يعطيه وانه لسعيد
حين يعطي ، رابع حين يهب . ويحدثنا العالم النفساني
(ريجنالد وايلد) عن مؤشرات النضج في الانسان الراقي
بقوله : « استبعد البطولة والنضحية ، وخدمة المجموع ،
واتكار الذات من التاريخ وقل ماذا يبقى بعد ذلك ؟ مستجد
عندئذ انك استبعدت ايضا من صفحات التاريخ اعظم واجل
ابناء الجنس البشري » .

قارني العزيز :

الحياة فرصة يجب علينا ان ننتهزها ... الشمس
اذ تبرز كل صباح تقدم لنا اربعا وعشرين ساعة جديدة ،
لا لنعبرها بل لنملأها . املا عينيك بكل بهيج جميل ،
واملا مفك وقلبك بشحنات جديدة كل يوم من اجل نموك
واستمرارك في حياة مليئة مفيدة ممتعة ... دع كسل
موجة من موجات الحياة تغسل مساحة اكبر من نفسك ..
لا تكوم فوق رأسك حطام عمرك ... افتح عينيك وقلبك

الناس فراغمهم النفسي، كما تضيق بعض منافذ الكسب على قوم ، وتفتح اليادين لآخرين ، وكانت الزقاقير قريبة من التل الكبير وهو إحدى ثكنات الانجليز اذ ذلك ، به جنودهم ، ومستودع ذخائرهم ، وصناديق تموينهم ، والناس رواح اليه وغدو ، فادهشنا ان صاحبا يتسرك الدراسة كثيرا ليلم مع التجار مختلطا بلذو الكسب المنتهز ، ثم يسمى الينا ببعض التحف واللابس والاوعية تاجرا يبيع ويشترى ، وابتناسمه لا تفارق وجهه ، وكنا نحار في اتجاهه هذا ونراه مضيقا لتحصيله العلمي ، ولكنه يخدم زملاءه بما يهون من اثمان ، وابتناسمه لا تفارق وجهه ، وتمر الايام ايضا فتراه معنا في كل سنة دراسية واذا تخلف في بعض المواد للدور الثاني فالنتيجة دائما سارة بحمد الله !



الدكتور محمد رجب البيومي

حتميل غريب

قلم الدكتور محمد رجب البيومي

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

وانقضى عهد الدراسة الثانوية ، فحسبنا ان الزميل سيقنصر على ما حصل ، وله من افانين تجارية ما يمد وظيفته المتوسطة بما يعوض ، ولكننا نراه معنا في كلية اللغة العربية ، ونرى له اتصالا بالاساتذة ، يبحث لهم عن مطالبهم الخاصة فيعمل على مصاحبتهم في ضرورياتهم المنزلية ، يهيء البيت لمن يريد ان يبدل السكن ، ويأتى بالعمال لمن يتطلبون التجار أو الحداد أو الكهربائي لبعض المهام ، وهو بعد غريب لا عهد له بالقاهرة ، ولكنه درسها في يوم وليلة فعرف اسواق التجارة ، وخبر نفوس البائعين ، واتصل بالهنيين من كل فئة ! وتلك مهارة اجتماعية لا تفكر ، وكنا نضطر الى المذاكرة معه في الايام الاخيرة من العام ، قالوا بالنشيط الفوف ودود ووخلماته البشرية لا تتجعد ، وتمر الايام ففجده معنا في كل سنة دراسية اذا تخلف في بعض المواد للدور الثاني فالنتيجة سارة بحمد الله .

وجاءت السنة الرابعة النهائية من سنوات الكلية ، وهي سنة من لون خاص ، اذ ان لها امتحانا شغويا دقيقا يعرف في الدوائر العلمية باسم (التعيين) وهو في الظاهر يبدو حوال عبارة بلاغية من دلائل الاجاز في البلاغة واخرى من الاشعوي في النحو ، ولكنه باب الى اسئلة شتى في المنطق والتفسير والصرف والعروض وفقه اللغة ، وله رهبة بين الطلاب تدعوهم الى التماس الاساتذة الكبار من المدرسين ليوجوههم الى مغالبي ما اتفق عليه من سطور التعيين ، وكنت ارحم صاحبي حين اعلم انه سيخوض عبابا سيفرق فيه قبل ان يجتاز الساحل ، وقد زاد خوفا عليه حين علمت ان قدره المحتوم جعله بين من سيمتحنون امام استاذنا الكبير الرحوم الشيخ محمد علي النجار عضو مجمع اللغة العربية ! وهو رجل صعب المراس متغلغل النظر ، دقيق الاستنباط وله بالدقائق العلمية خبرة شاملة وغور عويص ، وكان التابون من الطلاب يضيقون باسئلته الغامضة ، وتخرجه البعيد ، وتصوبه

عرفته زميلا هادئ النفس ، كثير الصمت ، كنا بالقسم الابتدائي بمعهد دمياط نراه طالبا حين التودد ، باسم الثغر ، لا يستثيره شيء مهما جوبه بما لا يحب ، سريع الاستجابة الى رغبات زملائه ، فهو يبحث متظوعا عن المسكن اللائق ، ويعمل على شراء الضروريات بارخص الائمان ، وله في ذلك قدرة لا ندرى من اين اكتسبها ، مع ما يرى من صمته الطويل ، وهذونه العازف ، الا انه كان مع ذلك يلاقي من الدراسة العلمية أهوالا صعبا ، حيث لا يكاد يضبط ذهنه في درس ، او يجمع نفسه على تحصيل ، لذلك كان في الايام الاخيرة من العام الدراسي موضع الرحمة لدى زملائه ، فهم يضطرون الى المذاكرة معه ، كيلا تصعب به العواصف ، وفيهم من يكابد من ذلك رهقا كاريا حيث يقف معه عند ضروريات معلومة لا تستأهل الوقوف ، ويراهنا صاحبتنا الفازا علمية تتطلب الانتاد الطويل ، وكان الوقت يمر ، فتراه معنا في كل سنة دراسية واذا تخلف في بعض المواد للدور الثاني ، فكان النتيجة النهائية دائما سارة ، فكنا نحمد الله ان جسر كسره وراب صدعه فهو بسمته الهادئ ، وخدماته الشرائية انيس دؤوب .

وانتهى القسم الاول ، وذهبنا للدراسة الثانوية بمعهد الزقاقير ، وكانت الحرب العالمية الثانية تأخذ على

الخطا في موضع ، وتخطئته للصباب في موضع آخر ، وذلك أسلوب جدلي سارت عليه الامتحانات الشفوية امدا غير قصير ، اقول : قد رحمت صاحبي حين علمت ان قدره المحتوم جعله بين من يستحقون امام الشيخ النجسار ، ولكني فوجئت بمن يدخلون مع الطالب فيعلمون الشيخ ان المسكين رب عائلة كبيرة ، فهو اكبر اشقائه ، وان والده ودع الحياة - وكان والده حيا يتنفس اذ ذاك - وان امل الاسرة متعلق بنجاحه ، ولا بد ان ينال شهادة تحفظ عليها حياتها بكسبه ، ثم يزيدون فيعلمون ان الام مريضة ، والاخرة صفار في المدارس الابتدائية ، ولا من عائل غير ما يرجى من نجاح الطالب !! وكان صدقتي واستاذي الشيخ احمد شفيع السيد هو الذي حمل هذه المعلومات للشيخ النجار حتى اضطره الى ان يمنحه الدرجات الصفرى صدقة وحسنة ، فاجتاز بها الامتحان ، واذكر اني زرت الاستاذ احمد شفيع السيد رحمه الله ، وسألته عن حمل اليه هذه المعلومات عن اسرة الزميل ، فقال في عطف المنائر وشفقة الراحم ، لقد جاءت والدته المسكينة لزوجتي ، واطلعتها على ما تكابد الاسرة من مصاعب !! والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه ! فلم اتمالك ان اضحك لان الزميل البار قد استاجر امرأة ما لتمثل الدور على الرجل الشفيق ، ولا والله ما رأت امه القاهرة ، ولا مات ابوه !

اصبح صاحبنا مدرسا وبدأ يعلم بعد ان كان يتعلم ، وتفرق الزملاء بين مشرق ومغرب ، فلم اعد افاقا على انبائه الجزئية يوما بيوم ، كما كنا في عهد التلمذة - بل كانت اثنتي شذور من انبائه عفوا دون قصد ، وقد علمت انه تزوج من اسرة ذات ثراء ، وان والد زوجته قد وتى في حسن تدبيره وبراعة تميزه فاصبح مستشاره الاول في مسائل الكسب والاستثمار ، وان جهد الزميل لا ينحصر في المدرسة وحدها ، بل لعلها تكتفي منه بالوجود الشخصي فحسب ، اما شغله الشاغل فاملاك صهره يسعى معه الى ارضه الزراعية ليناقش الفلاحين في القمح والقطن والماشية ، ويبر معه بالليل على اصحاب الديون ليتوسع هذا ويهدد ذاك ، ثم جاءت الانباء مرة ثانية بأنه سافر الى بعض البلاد العربية مبعوثا من وزارة التربية والتعليم ، وذلك حقل جديد ما كان لعله ان يغفل عن استثماره ، وقد عاد بعد اربع سنوات ، فاجأت الانباء مرة ثالثة بأنه اشترى منزلا كبيرا في احدى المحافظات ، وان دلائل الثراء قد بدت على حياته بحيث اصبح في طبقة صهره المالية ، وهكذا بلغ الرجل شاطئ الامن ، فسمعت معيشته ، ودر كسبه واصبحت الوظيفة بعضا لا كلال لعلها في رايه مظهر ذاتي للانتماء العلمي على نحو من الانحاء اكثر منها رسالة تؤدي بشغف واخلاص .

لم يكن كل ما مر علي من امر الزميل القديم موضع غرابة لدي ، اذ ان خطواته كانت طبيعية جدا في الطريق

الذي اراد ان يجتازه ، محمدا هذه البعيد ، وهو طريق مألوف ، لا ترى فيه فجأة خارقة او بنوا شاذا ، ولو اكتفى بالسير فيه الى ابعده ما ينتهي به من الخطوات - اما جذبي للحدث عنه ، ولكنني فوجئت بشذو خارق اتي من مثله ! فقد اتيت لي ان ازور بعض البلاد العربية وان اجد كتبا مدرسية في القراءة والادب والنصوص والقواعد تحمل اسمه الكريم مع بعض الزملاء ، وهي كتب متعددة متنوعة ، ومما كان التأليف المدرسي اهن كلفة ، وابسر اجادة فان افق صاحبي لا يتسع لهذا النشاط العلمي ! وقد سألت نفسه ، بادىء ذي بدء اهو توافق اسماء في الابن والاب والجد ؟ ووقفت عند هذا الخاطر ، ولكن معرفتي السابقة بانتدائه الى هذا البلد الشقيق قد رجحت ان يكون هو المؤلف ! وشغلني هذا الخاطر وقتا ، فقلت في نفسي ، لعل المؤلف قد وكلت اليه مهمة التصحيح المطبعي فحسب مؤلفا ! ولكن التصحيح المطبعي على سهولته مما يصعب على مثله ايضا ، ولي اروع ان استقصى الامور دائما في مسائل ، لا تشغل سداى ، وهو فضول اوحاه الى الجاحظ حين اخذ في كتبه الجبان والبخله بتوسس الى امور من شأن صحافته ما كان اغناه عنها ! ولكنه قد اورثني هذا الشغل ، ففرق ما بين جده وقوته واتساعه وما بيني ، فاتصلت بزملاء المؤلف الفاضل اسألهم عن دوره الحقيقي في هذا التأليف المتنوع المتشعب ، فوجدت بما هو اعجب واغرب ! فوجدت بان زملاء المؤلف الفاضل - وليسوا من مصر - قد اجتمعوا على انه قام باعظم نصيب في التأليف ، وأنه قدم من المادة المتنوعة ما يلا كتبا اخرى ، وان فضلهم عليهم شامل عام ، ولا تزال لديهم صحائف من انتاجه تتطلب النشر ، وسينتهزون الفرصة في العام القادم لتوافق الوزارة على تقريرها ، وطبعها !! واذن فقد زادت القسالة تعقيدا امامي ، ولا بد من بحث !

لقد قيل لي ان الرجل قد الف مقرر المطالعة باجرائه الثلاثة وحده ! قرأت ان اعكف على دراسة هذه الاجراء فوجدت بها مختارات لكبار الادباء من الكتاب والشعراء ، وفي هذه المختارات ما اعلم علم اليقين ان صاحبي لا يعلم شيئا عنها ، فلا صلة له بآثار اصحابها ، واما كتابها ، وذلك ما يحيرني ولكنه في الوقت نفسه سيوقني على اشياء هامة اذا سافرت وناقشت المؤلف ، وهو ما حرصت عليه في العظة الماضية ، اذ سافرت الى محاقفته - ولي بها عهد وثيق - اذ كنت مدرسا فيها لعدة اعوام ، فسمعت بلقاء نخبة من الرفاق ، وسمعت لقاء المؤلف في منزله الاتيق ، واشهد لقد استقبلني باعظم ما يتدر عليه من الاحتفاء ، واخذ يسألني عن القطر الشقيق في لهفة ، فقلت ان كتبه المدرسية ذائعة منتشرة به ، ووجدت الفرصة سانحة للحدث عن كتاب المطالعة ، فقلت لصاحبي ، لقد علمت انك وحده الذي قمت بتأليف كتب المطالعة ؟ فكيف حصلت على جميع ابوابها ، وهي ذات

اتجاهات تتبايع وتتقارب ؟

فاطرق الأستاذ كمن أدرك سرا غامضا وراء السؤال ثم قال في هدوء متواضع ، يا اخي انا اقطع الليل جميعه بحثا عن الموضوعات ، واذا كنت ايام التلمذة لم اشغل بكتب الادب فليس لي عمل غير الاطلاع عليها الان ، وان اسرتني تشكو اكبر الشكوى من اتجاهي للمطالعة والتأليف حيث صرفني ذلك عن مكاسبى الاخرى ، وانا لكثيرة ! اقسم لك اني اشتريت في عام واحد كتابا اكثر من مائة من الجنيهات !

قلت : هذا قد يكون صحيحا ! ولكني اريد ان اعرف من اين اخترت لفلان وفلان فاني اريد ان ابحث عن مراجعتهما وما نقلته من فصولهما الرائعة يجعلك خبيرا بما نقلت من المراجع والمؤلفات !

فرد صاحبي دون ابطاء ، يا اخي : كل شيء لدي بوقت ، انا اقرا وانتقل والخص ، ثم ينتهي الامر ، فلا اذكر من اين نقلت ؟ ولا في اي كتاب قرأت !

نظرت اليه متعجبا ! وقلت يا سبحان الله : انتقل مقالات فلان وفلان وفلان ولا تدري من اين نقلت ؟ فتابع صديقي هدوءه وقال في ابتسامة : انا صادق معك فاذا حاولت ان تكدني فامري الى الله !

حان الفرقا فتركنه وذهبت الى الفندق ، وكان الله عز وجل اراد ان يصلني بالحقيقة دون عناء ، فرايت صديقا ناهيا ينتظرني ، وكان زميلا لي بالدرسة الثانوية من امس بعيد ، فشرق بنا الحديث وغرب ، وسألني الصديق عن عملي بالفطر الشقيق فاجبته ، فقال في حياء : انه يريد ان يبعث معي الى بعض المدارس هناك ، وان فلانا - يريد المؤلف الفاضل - قد وعدته بذلك الصيلة الاكيدة ببعض من يقدر على انتدابه ، بل انه كلفه بتأليف كتاب للمطالعة بقر هنالك ، وقد قام بالعمل على اتمه ، وقدم ما كتب ، ولكن الرجل اخبره بعد عام ان الكتاب لم ينتج في المسابقة مع انه بذل في تأليفه وجميعه ما بذل !

فسألت عن بعض فصول الكتاب ، وانا اعرف عما اسأل ، فانطلق الاخ المسكين يذكر العناوين ويدل على المراجع ، ومضى اكثر الليل وودعته ومضى !

قلت في نفسي ، هذا كتاب المطالعة ! ولا يسد ان زملاء اخرين قد وقفوا في الشرك ، وانا اعرف كل مدرسي الاقليم - وناينهم على الخصوص - فلا بد ان ابحث ، وهي فرصة تتيح لي ان اتقي بزملاء الصبا ورفقاء الشباب ! ثم جاء الصباح فانصرفت بالمدراس تليفونيا ، لاعلن السى اصداق الاسر رغبتني في اللقاء ! وكانوا يبادلوني الشعور ، فهرعوا الى لقائي ، واخذت استقبل واودع ، وصح مسا توقعته ! فهذا زميل اسأله عن انتاجه ، فيقول انه اشترك في تأليف كتاب للقواعد قدم للمسابقة في جهة ما ، فلم يزل التوفيق ، فاقول له ، وكيف ارسلت الكتاب ، فيرد ان فلانا اتفق معه ومناه ووعدته ، واخذ الكتاب ، وبذل ما بذل

من الاهتمام ولكن الحظ اخلفه ، فلم يفر لدى الفاحصين ! ويتكرر الموقف اذ يتحدث زميل اخر عن كتاب الادب والنصوص ، وكلهم يثنون على صاحبي فقد تقدم بالاتراح وشجع ، واخذ الكتاب ، وارسله على نفقته ، واوصى معاربه بالاهتمام به ولكن الحظ قد اخلف !

هي اذن مسرحية رائعة ، اخرجها الزميل الجريء باحتيال في دنيا التأليف يفوق احتياله في ميدان التجارة ، وحول الزراعة ! وقد كسب الاجر المادي ، وطبع اسمه مع المؤلفين في الفطر الشقيق ، وحل منهم محل الاكابر فهم يعلنون انه اسمهم خير الاسهام بزاد خفيل .

وان اللعب كاد يقع على كاهله وحده ! او ان لديهم من مخطوطاته ما يصلح لسابقة قادمة ، والرجل قنوع مطمئن ، لا يسأل عما كتبوا ، ولا يبالي ان كانوا قد قصروا اكثر التقصير اذا قيس انتاجهم الى انتاجه ! هو قانع مسامح ، فقيم الحساب !

لا ادري من اخبر صاحبي في بياض نهار واحد ، انني قابلت ضحاياه ، وسألتهم فاجابوا ، حيث لم يؤذن العشاء حتى ابصرته قادما الى الفندق يسأل عنسي في اهتمام ، واخذ يظهر من دلائل الود ، واكيد الحب ما عقل لسانى امامه ثم صمم على ان ابي طلبه ، فانتاول طعام الغداء غدا بعزله ، لان الزيارة الاولى لم تتح له ان يقوم بالواجب وكلما اعلنت الاعتذار ، تشدد واقسم ، وحاصرني جهد ما يستطيع حتى رايت ان ارتاح من لجأجه قبلت ، وتواعدنا على اللقاء في ظهيرة الغد !

كان استقبال صاحبي واحتفاؤه اكثر مما بعقل ، فما اعهد بين الزملاء اهتماما خارقا كهذا الاهتمام ، ورايت من راجعي به وانا ضيف - ان اكون دمت الحديث - عذوب المنحى ، فلا اثر من الخواطر ما يسيء ، ولكن الرجل بعد ان انتهينا من الغداء ، وحانت ساعة الفرقا ، نظرت الي في هدوء باسم وقال بتفرد :
علمت ان فلانا وفلانا وفلانا زاروك اليوم ! هم والله

من اعز الناس علي ، وقد قدموا الي كتيبا مدرسية لادفعها الى مسابقة عامة عندكم ، وبذلت في سبيلهم كثيرا ، واوصيت زملائي هنالك ، ولكن الحظ قد عاكسهم فلم يغفروا بظائل مما ضاعف اسفي لمجهودهم الضائع !

سكت ، وتعملت الرحيل فنهض صاحبي - على غير عادته في الزيارة الاولى - ليحضّر العربة وخف معي الى الفندق ، فقلت اني سأتحه سريما الى القاهرة فأصر على توديعي بالرحلة ، وقبل ان اتوجه الى شراء التذكرة سبقتني فاحضر تذكرة للدرجة الاولى ، واقسم انها بعض حقوق الضيف العزيز !! وركبت القطار ، وهو واقف يودعني ويشد على يدي ، ولم أشأ ان اخبر ضحاياه ، فالامر بعد هذه المجاملة سر مكتوم لا يعرفه غير مجلة « الاديب » .

الرياض - كلية اللغة العربية محمد رجب البيومي

ليالي الحسوم

وكانها القدر الذي لا يدفع
اطباقه كالبحر او هو اوسع
في عارض الريح راح يقع
شجنا ككلى لاني تتوجع
سوداء ما كانت تحل وتنزع
وتركمت في عاصف تتجمع
للشر وهو على المدى يتطلع

ولهى بفرب نشيجها تتضرع
تعلو زمازمها الفضاء وترع
ضربت ترن بشاسع وترجع
في سمع الدنيا تظن وتسجع
ما حن الف او تشكى موجع
وقتامه المر الذي لا يجرع
اطباقه كسفا تروع وتفرع

حسرى مولهه تفد وتسرع
ما كان يقطع عن اذى او ينزع
وكانه بقتامه متبرقع
سحب يزيهها الظلام ويتبع
بجناح نسر يثريث ويسرع
والرعد يجار دونها ويجعجع
اطباقها وبكل افق تطلع

مخورة وتململت تتوجع
وجرى بمنهم يسبح وبهمسج
من مطرف عجب يروق ويسطع
وتفرقت مضمورة تتطلع
منهارة بيد الاذى تتصدع
يجبو بمشروعه وحينا يطلع
تفري بمخبط كاسر وتقطع

في الصدر صبر يرتجى او ينفع
بل من يعين على الاذى او يسمع

عدنان مردم بك

عصفت غواشى مدها لا يقطع
تنداح في افق بهيم شاسع
وجرت مواكب للدجى ببيارق
والارض في سود المطارف اجهشت
لبست من اتليل البهيم ملادة
افوافها قتم دجت اطاقها
جثم الاذى من دونها متحفزا

والريح تجار بالدعاء كانها
ملات زمازمها الفضاء ولم تزل
ودوت مجلجلة كان صواعقا
فيشارة للريح ليست تاتلي
اوتارها الاوجاع شف رنينها
والليل غمر زاهر بقتامه
ملا البسيطة بالصذاب ولم تزل

والسحب في الافق البعيد تهابت
عصفت ولازلها بليل عاصف
متزمل في غيله بقتامه
سحب تدجت بالظلام ومثلها
شالت مراسيها وراح شرعها
مخوت .. تلاطم عاصفا بشرعها
وتواكبت للقيم اعلام دجت

والارض في سنة التزييف تتأبت
غطى الظلام حياضها بقتامه
والروض قفر عريت ادواحه
هجرت بلاله ذرى وكناتها
اسفت طويلا ان رات اعشاشها
والنهر مزور الخطا متعثر
والدوح اطرق من شجا لوساوس

طال العذاب من الظلام ولم يعد
اين المجير على العذاب لرهق

دمشق

التقويم مرقاة التعظيم

بقلم كعدي كعدي

التقويم معرفة قيمة الشيء ووضعه في موضعه فإذا أحسن التقويم استقامت الحقيقة وباستقامة الحقيقة يستقيم الحق والعدل فيزدهر العمران .

وإذا أساء التقويم فقدت الحقيقة فيسود الباطل والفوضى والتشويش والانحطاط ولقد أجاد أبو الطيب حيث قال :

وضع الندى في موضع السيف في العلى مفر كوضع السيف في موضع الندى لا غرو في ذلك ولا عجب فوضع الدرع في موضع التجريح مدهانة ورياء ووضع التجريح في موضع المدح اثم وجريمة . ووضع الليل في موضع النهار تبديل لسنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ووضع الذنب في موضع الرأس رجوع الى الوراء ولقد اصاب من قال :

تعجب لفسوم من تأخر حالنا ولا عجب من حالنا ان يؤخرا فلما غلت اذاننا اذونسنا لنا غدوننا يحكم الطبع نمشي الى الوراء

تقويم القيم اعظم من القيم نفسها ، أفليس الكتاب النفيس والقصيدة الرائعة ولوحة الفن الخالدة بين يدي الجاهل الا كدرة ثمينة بين يدي خنزير يدوسها بارجله على حد قول المسيح .

« لا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها » وهل خيرير الجداول وحفيف الاشجار واغاريسد الاطيار وهي اطرب الاصوات الا لا شيء في اذن الاصم ؟ وهل جمال شعاع الشمس وهو اجمل ما في الوجود الا ظلام داس في عين الاعمى ؟ جهلنا القيم يفقدنا القيم فكم اضاع جهل الناس جواهر الناس ؟

فالاشياء تقوم بمعرفتك الاشياء فلا يعرف الفضل الا ذوو الفضل وبمعاناتها على حد قول الشاعر . لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباية الا من يعانيها وباضدادها فلولاً مرارة الجوع ما كانت حلولة الطعام .

ولولا حرقة العطش ما كانت لذة الشراب . ولولا ظلام الليل ما كان جمال نور النهار . ولولا عبوسة الشتاء ما كانت ابتسامة الربيع . ولولا المرض ما كانت الصحة تاجاً على رأس الاصحاء لا يراه الا الرضى .

ولولا العبودية ما كانت الحرية مشعلاً ينير زوايا النفوس المظلمة . فانهما اعظم التقويم ام القيم ؟ الكتاب ام قسارىء

الكتاب والكتاب بلا قارىء كالسيف في القراب ؟ العين التي تبصر الحسن فتستحسنه ام الحسن نفسه ؟

اربع الزهر ام النسيم الذي ينشر اريج الزهر ؟ طاقات التقويم ، المعرفة الواسعة والتفافة والجرأة النادرة والحرية والتزاهة والتجرد فالجبن والخوف والجهل والضعف والتذبذب والخوع مقابر التقويم ، ومدافن القيم ، فما مديحك حاكماً وهو في الحكم واتقاضحك عليه بالتجريح والتقريع بعد الحكم الا حكم مبرم على بقضة الخنوع والجبن في النفس وهجوع الشرف والكرامة فيها .

وهل تقبيلك بدا تنكلك بالاصفاد وعضك بدا تفكك من الاصفاد الا دليل قاطع على رسك في قيود العبودية والذل والهوان ؟

وهل تسليمك بتمجيد من حاك حالة حوله من ضعف الضعفاء وجبن الجبناء وجهل الجهلاء دون تمحيص وتقويم الا هتكاً لقدسية التقويم ؟

اوليس اشد منك هتكاً لحرمة التقويم ذاك السذي يعرف ان تلك الهالة نسيج من الوهم والخوف والجبن ولا يجرؤ لسانه على التفوه بما رآى بصره ، وسمعت اذنه ، ووعى قلبه ، وشر النكبات ان يتكلم المرء بلسانه ما ليس في قلبه ؟

اوليس من هذا القبيل ان تقيس الناس بمناصب دينوية ترفعهم اليها الشفاعات ، ولا تقيسهم بمراتب يرقون اليها في عالم الروح والعقل والعلم والحق والعدل والرحمة ؟ والانسان مراتب روحية وليس بمناصب دينوية ؟

فهل هذا التقويم الا توثين الالهة وتاليه الاوثان ؟ وما اكثر الاوثان اوثان المال ، والسياسة والعلم والالقاب الطنانة والشهرة الفارغة ! فما أحوجنا الى من يحطم الاوثان تعظيم النبي العزى واللوات... فقد حجب ظلالها ظل الله عنا ؟

ان في ارتفاع الشام ماتم الكرام فخير ، لامة إن يموت فيها الف كريم من ان يرتفع ليم واحد ولقد أجاد داهية العرب عمر بن العاص حين قال :

« ان موت الف من العلية اقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة » .

وما ادروع الحكمة الساطعة على لسان النبي عندما سئل : متى تقوم القيامة يا رسول الله ؟ فاجاب عندما تستند الامور الى غير اهلها .

فاذا رايت اعصار القوضى والرشوة والكذب والانحطاط يلف الامة قتل ان تلك الامة اسندت الوظائف والمناصب والوزارات الى غير اهلها ؟

ويل لامة يشقى ابرارها ، ويسعد اشرارها ، ينعم

الى خلود

وتركيني الى ذلي واواهامي
اشدو عليه ترانيمي وانفامي
احلامه وتولت طيب ايامي
وتطمحين بذكر منك بسام
حيران ابعت آهاتي ونهيامي
قد كان موطن اشواقي والهامي
- كما ترين - شقي نهب اسقامي
على الانام فؤاد العاشق الدامي
ان لا تصاود في عينيك احلامي

عبد الخالق فريد

لا تحفري في ضميري طيف امنية
فانسي طائر بهفو التي فنس
ما تبغين ؟ غرامي اليوم قد طويت
اترجمين وما في الروح من وطر
تلك الليالي التي امضيتها قلقا
ضاعت وصوح يا سمراء لي امل
ما عاد لي مطمح بفريك بي فانا
خلود .. يا نعمة حيرى يوتلها
اذا احتوانا طريق صدفة فعدى

بفساد

وكما تحتاج النار الى مزاوله الحك والقح لتظهر هكذا
العقل يحتاج الى مزاوله النشاط والتقدير ليرز فان تكن
مدرسة الكتاب تهدي الى العقل فان مدرسة الانسان
للانسان تصقل العقل وتنمية فيتكامل .

وما مدرسة الانسان للانسان الا مدرسة تقويم قوى
العقل والفكر والروح والخيال بالثناء والتكريم ، فما سماء
النور تعطر النبوغ ولا ارضه تثبت العبقريه ، انما يعطر
النبوغ وينبت العبقريه تقدير الناس فالعقل كالشجرة كلما
تمهدتها زادت ثمرها . فهاثوا مثل بريطانيا التي رضيت
ان تتخلي عن مستعمراتها ولم ترض ان تتخلي عن شكسبير
وخذوا امثال شكسبير .

قالوا ان الطبيعة ولدت المتنبي وعظمت وقد فاتهم ان
الطبيعة ما عظمت ولن تعظم فهي هي في كل زمان
ومكان ، انما الذي عظم هو تقدير مثل تقدير سيف الدولة
لشعر والشعراء فهاتوا مثل سيف الدولة وخذوا امثال
المتنبي . الامم العظيمة توجد العظماء فما بكاد يموت عظيم
فيها حتى تنشأ المؤلفات تخليدا لذكراه فيجد غيره لكس
ينال ما نال سلفه من جلال التكريم والتعظيم .

قول لامة تقفل ابواب التقويم فتقفل ابواب
التعظيم ، فالتقويم مراقبة التعظيم .

وسقيا ليوم يطلع على العالم حاملا مفاتيح ابواب
التقويم ليدرک الناس ان الانسانية جسم واحد تتعاون
اعضائه وان اختلفت اسمائها وتنوع وظائفها على حفظ
كيانه فلا الدماغ يشغل وظيفة العين ولا العين تشغل
وظيفة القلب فجعل الكون وكماله في ان يعرف كل حده
فيقف عنده .

كعدي كعدي

جاهلها وعالمها الذي لا يشق له غبار يعلو مؤلفاته الغبار !
كل ما في الطبيعة يرمز الى التقويم فالسماء للكواكب
والاقمار ، والارض للحجارة والصلصال ، والتخليق للنسر
والزحف للحشرات والديدان ، والمندلة للمندليب
والهزار ، والنعاب لليوم والنعيق للفرسان ، ليست قطرات
ندى الصباح المنسكبة على ثغور الزهر الا قبيلات السماء
تطعمها على نغور الزهر ؟
وهل الورود والرياحين التي تكسب وجه الارض الا
ابتسامات الارض شكرنا لقلعة السماء على دموعها التي
لولاها ما كانت الورود والرياحين ؟

الا ترى الى « زهرة دوار الشمس » كيف تدبر
وجها الى وجه الشمس كيفما دار وجه الشمس اشارة
الى بالغ تقديرها فضل الشمس ؟

وهل صداح الطير وهمسات النسيم وحفيف الشجر
وخبر الماء الا تسابيح الطبيعة لخالق الطبيعة ؟
وهل النجوم في القبة الزرقاء الا عيون السماء التي
ترعى الارض وابناء الارض ؟

فلماذا لا يجري الانسان على سنن الطبيعة وهو
المحور الذي تدور عليه الطبيعة ؟ تزرع في تربة نفسه بذور
الوفاء فتحصدنها اشواك تکران واحساك جحود ، وتستودع
الارض الجيف فتودعك الازهار والانمار ؟!

يبطش قوبه بضيعفه والطبيعة تعمل على احياء
نبته صغيرة نابته في ظلال الصخور عليها على احياء دوحه
عانية .

يقوم الانسان بناطحات السحاب ولا يقومه بمقل
يجوب السحاب وما فوق السحاب .

العقل يوجد في كل رأس كما تكن النار في كل حجر

— اسمعي يا عزيزتي . علمنسي
اختياري المحدود ان اقتصد في الكلام
خوفا من الوقوع في الخطأ . انا الان
اعيش على الاحلام وليس من الحكمة
ان افضي اليك بامور لا تزال في علم
الغيب .

قلت : وانا كذلك اعيش على
الاحلام وليس من الحكمة ان افضي
اليك بامور لا تزال في عالم الغيب .
قلت : وانا كذلك اعيش على
الاحلام . حديثني عن احلامك
فاجدتك عن احلامي لعل في ذلك
فائدة لكتبتنا .
قالت وقد ظهرت عليها علامات
الارتياح :
— قولي لي شيئا عنك . حديثني
عن احلامك اولا .

اجبت ببساطة ومن غير تردد :
— آه يا عزيزتي . اني اشعر
بحيرة وتمزق ، تتنازعني الاماني
وتزدد في راسي الافكار . انا الان
في سن الحب والزواج وفي سن
العلم والعمل ولا ادري اين ابداً وعلى
ماذا استقر . احلامي كثيرة ،
متضاربة ، ونشاطي محدود وتفكرتي
قاصر .

قالت وقد غشي عينيها الواسعتين
ضباب الحلم :

— لا ادري كم تطول حياتي على
هذه الارض لكنني اريد ان اعيش كل
دقيقة منها . اريد ان اعرف كل
شيء وان اختبر كل شيء . اريد ان
انمو الى اقصى الحدود واجعل من
حياتي سلسلة انتصارات .
لم يكن في كلامها هذا اثر للحيرة
والانفعال . انها فتاة تعرف ما تريد .
لا تهمها الوسيلة بل الغاية . تريد ان
تحيا كل دقيقة . ان تتخذ كل خطوة
وسيلة للنمو .

تهبت موقفها ولجأت الى الصمت
... وما لبثت ان فارقتها على امل
العودة الى محادثتها ومكاشفتها فقد
بدت لي فتاة غير عادية .
اودت زيارتها بعد اسبوع فوجئت

بهذه الصفة يمكن ان تسترعي
الانظار .
قلت علي نظرة بريئة عاتبة
وقالت :
— انا ابعد الناس عن الرغبة في
لفت النظر .

— لماذا تحسبن لفت النظر
جريمة ؟
— لانه ظاهرة طفولية . دليل
محدودية وعدم نضج . حين يقوم
الواحد منا بعمل ذي فائدة عامة يحق
له ان يعلن عنه رغبة في تعميم فائدته .
اما ان تحاول الفتاة جذب النظر الى
شكلها فهذا في رأيي شيء حقير .
— لكن الشكل اهميته في الحياة .
— اهمية محدودة كما قلت . ليس



استوعبت هذه القصة من سيرة العالمة
الفيزيائية سالي نصار ، من مواليد ميسور
الشور ، ابنة التي ولدناها في شباط ١٩٦٧ .

بقلم روز غريب

الجمال الذي يحكم العالم بل الفكر .
« الفكر ... » رددت الكلمة في
ذهني وانتظرت منها مزيداً من
الايضاح والتعليق ، لكنني رايتها
تحول نظرها عني كأنها تخشى
الافصح عما في نفسها ، فقلت :
— اني ارتاح الى حديثك . واود
ان اطمنئك بانني لن انتقل لاحد .
لاح على شفيتها ظل ابتسامة
وقالت :



التقيتها للمرة الاولى عقب خروجها
من المدرسة الثانوية . قالت لي ان
اهم ما استفادت من تلك المدرسة
اقتناعها بان الفتاة تستطيع ان
تجاري الفتى في العلم بل ربما تفوقت
عليه .

— كنت في مدرسة مختلطة وكان
عدد الصبيان في صفي يفوق عدد
البنات ومع هذا كنت دائماً احرز
الاولية في الامتحانات .
— والان ؟

— والان ترينني منشرة الصدر ،
احس نشوة الفوز واحمل من تلك
المدرسة العزيرة ذكريات طيبة ، لكن
شيئاً واحداً يكر تلك الذكريات . هو
انتقادي حينذاك لغرور الانثى وولعها
بعرش محاسنها في بيئة يسود فيها
الرجل . اتعلمين اني كنت اتفق من
وقتي كل يوم نحو ربع ساعة في تطويق
خصري بمشد شيق جداً يكسني
رشاقة كاذبة في اعين الناظرين .
— اي غرور في هذا يا نائلة ؟
— اتحسبن لبس المشد تبرجاً ؟

— نعم . لقد تخلفت منه الان .
احس اني اكثر حرية وقدرة على
العمل ، لاسيما واني مقبلة على
سنة كد وكفاح في بيئة جامعية . كد
وكفاح لان علي ان اعمل بضع ساعات
اضافية كل يوم لتحصيل نفقات
الدراسة . سيظل مظهري بسيطاً ،
شدبد البساطة . وارجو ان يؤدي
بي الكد والجهد المتواصل الى خسارة
بعض وزني ، فيزود التحول اردائي
ولا اعود الضايق من ثقلها .
التيت عليها نظرة فاحصة . كانت
تلبس ثوباً قاتم اللون ، تبدو فيه
ضامرة ، خفيفة اللحم ، وجهها اسمر
مشرب بالحمرة ، شعرها كستنائي
كثيف ، جمعتها في شفيرتين تتدليان
على كتفيها .

قلت :
— تبدين كفتاة في الخامسة عشرة .
في سن المراهقة . ارجو ان تحافظي
على مظهرك البسيط في اروقصة
الجامعة لكي يظنوك زائرة لا طالبة .

على باب غرفتها بطاقة تقول :
« مشغولة ، الرجاء عدم ازعاجي » .
لقيتها في اليوم التالي فقالت
انها قضت نهارها وليها بكاملها في
حل مسائل رياضية والان تشعر برغبة
في الخروج الى الغراء . الى حيث
تنشق هواء جديدا .
— تعالي نتم برحلة قصيرة الى
الضاحية .

مشينا مسرعين ، نهب الأرض
باقدامنا ، حتى وصلنا الى
منبسط من الأرض فوق رابية
تشرف على المدينة . فجلسنا على
العشب نستمتع برطوبته . ثم
انقلنا الى مقهى صغير يحاذي بناء
عاليا مربعا ازدحمت فيه وفوقه
الات وانابيب من حديد . وفهمنا من
صاحب المقهى انه احدى المحطات
التي تزود المدينة بالكهرباء .

بعد تناول فنجان شاي مع قطعة
كعكة للذينة ، خطر لنا ان نسرح قليلا
في تلك البقعة الفسحة . لمحت شجرة
زعرور فركضت اليها وتسلفتها
واخذت اقلط منها الثمار الناضجة
الحمر او عذت رافضة ، في يدي
حفنة زعرور اردت ان اطعم منها
نائلة . واذا بي اراها تمشي بين
الات على سطح محطة الكهرباء ،
تدور من ناحية الى اخرى وتتفحص
الاجهزة كأنها في مختبر ميكانيكي
والرجل المسؤول عن حراسة المحطة
يصيح بها ان انزلي فالنكاح خطر .
واذ لم يسمع منها جوابا ، تسمر في
مكانه واخذ يكرر صياحه وهي لا
تعيره اهتماما ، حتى هدهدا بدموة
الشرطة لتفونيا ، فاضطرت السي
النزول .

سألنا : للدرس جئت ام
للزهوة ؟
اجابت : كانت فرصة سانحة
لدرس تجهيزات كهربائية معقدة
لا نجدها بسهولة في المدينة . لكن
هذا الحارس النبي حرمني تلك
الفرصة . كنت سعيدة فوق ذلك
السطح ...

فيما نحن راجعتان الى الكلية قلت
لهما :

— لدي مشكلة اود عرضها عليك .
افكر في اختيار اختصاص علمي ،
في فرع البيولوجيا . لكنه موضوع
يتطلب اساسا قويا في الرياضيات
وليس لي هذا الاساس . لهذا
ترينتي مترددة . فصاحت مبتهجة :
— اياك ان ترددي يا عزيزتي . اني
مستعدة لمد يد المساعدة اليك حين
تسألين . ان الرياضيات والعلوم
الطبيعية هي الموضوع الذي نذرت
له نشاطي وبما اني اعرف خوف
البنات منه ، ترينتي ابدل جهدي
لتحطيم هذا الخوف .
— لماذا تخافه البنات ؟

— لانهن في الصفوف الابتدائية في
سنوات التأسيس ، يقعن في ايدي
معلمات يجهلن الحساب ومع هذا
يكلفن بتدريسه . فتكون النتيجة
نفور تلاميذهن من الحساب ومن
الرياضيات فيما بعد .

قلت :
— هناك من يعتقدون ان دروس
الرياضيات تتطلب عقلية خاصة وذكاء
مختلفا عن الذي يتطلبه درس الفن
والادب .
قالت :

— هذا رأي خاطيء . فكلأهنا -
اي العلم والادب - يحتاج الى جهد
ودرية وذكاء خلاق ... العالم في
مختبره يعتمد على الخيال المبدع ،
او الذكاء الخالق ، في وضع نظريات
يختبر صحتها بالتجربة ، كما ان
الاديب يحتاج الى الخيال المبدع
لخلق اشخاص روايته وحوادثها
او لابتكار رموز جديدة واسلوب
جديد ... العلم والادب يتعاونان .
تذكرني الروائي جول فرن مثلا ، فقد
كانت دراسته في مطلع شبابه
اختصاصا في الحقوق التي نال فيها
شهادة عالية . ثم عكف على الكتابة
واستمد من مطالعة العلوم الرياضية
والفلكية والفيزيائية مادة قصص
شعبية مهدت لعدد من الاختراعات

والاكتشافات العلمية
واضافت نائلة :

— جميع العلوم والادب تلتنس في
نهاية المطاف ... التعمق في الفلسفة
يستلزم تعمقا في الرياضيات .
— ولماذا يعيل بعضهم الى الادب
والبعض الاخر الى العلوم ؟
— لاختلاف البيئة والتوجيه .
البيئة عندنا تصلح او تفسد ، تهدي
او تضلل . البنات تحاط منذ ولادتها
بجو زين لها التراخي وعدم الثقة
بالنفس ، وبغريها بالسعي لاصطياد
الزوج الذي يوفر لها الراحة
والثكالية ... التهمة والتبرج
واصطناع الضعف والخوف ، هذه
مقومات الانوثة عندنا . فاذا كانت
الفتاة بسيطة المظهر ، واذا اقتحمت
ميدانا جديدا من ميادين العمل قالوا
« مسترجلة » .

كنت قد رافقتها الى باب غرفتها
من غير ان اشعر . فاستدرت للرجوع
لعلمي انها تأفف من اضاعه وقتها في
مجالس الترترة . لكنها الحت علي
بالدخول فدخلت .
لفت نظري غيتار معلق على جدار
غرفتها . وقبل ان اسأله عن وظيفة
الغيتار قالت :

— اكتشفت مؤخرا اني حسنة
الصوت ، قادرة على حفظ الاغان
وضبطها . وقد تعرفت خلال الصيف
الى تلميذ في الثانوية بجيد العزف
على الغيتار رغم حداثة سنه ، فعرض
علي ان يعطيني درسا في الغيتار
مقابل درس في الرياضيات .
— اهتكن .

— حتى الان لم تؤثر دروس
الموسيقى في دروسي الاساسية . اذا
هبطت علامتي عما اردتها ان تكون .
اضطر الى ترك الغيتار ولكن مكروهه ،
لاني اجد في هذه الهواية متعة
كبيرة .

لم تؤثر الهواية الموسيقية ولا
هوايات اخرى في دروسها الاساسية .
فقد حافظت على علامة التفوق . وفي
نهاية السنة ، عقيب الحفلة الختامية ،

رافقتها الى غرفتها فوجدتها منهكة في اعداد حقيبتها فسالها :

— الى الجبل ؟

— لا بل الى افريقيا .

شعقت متعجبة . ووقفت انتظران اسمع منها ايضاحا عن تلك الرحلة الجريئة . فقالت بعد قليل :

— اشركت مع بعض الزملاء والزميلات في تخطيط الرحلة . معنا خريطة مفصلة ، بما فيها تسلك جبل كيلمينجارو .

— جبل كيلمينجارو ؟

وضعت يدي على جبينها لاري محموعة هي ؟ هل تنطق عن هذيان ؟

— انا بخير يا عزيزتي . . . لاناكون اول امرأة تسلك الكيلمينجارو .
— والنققات ؟

— خالفني الحظ ، وجدت شغلا في المختبر امكنتي من جمع نققات الرحلة . . .

— المختبر والفيثار والرياضة وعلامات ممتازة والان ... رحلة الى افريقيا ؟

— سنبدأ الرحلة في خلال اسبام . . . انا على مذهب القائلين ان الراحة انما هي انتقال من شغل الى شغل ، من جو الى جو . ارجو ان اجد هناك راحة ومتمعة .

ومضت السنون . سافرت نائلة الى اميركا . وسافرت انا الى مدرسة حديثة النشأة ، اسهم في تنميتها وتطويرها . غاب عني وجه نائلة لكني ظلت اتابع اخبارها ، ارسلها بين

اشتركوا في مجلة

الاريم

تساهموا في نشر الثقافة

حين واخر ، وتأتي منها بطاقات تتضمن سطورا قليلة ، سريعة .

ثم كانت المفاجأة يوم عادت لتستقر في بلادها بعد عشر سنوات امضتها في الغربة . طوت جبينها باكابيل غار بعدد تلك السنوات .

حين التفتها لاحظت ان اصابع الزمن قد زرعت في راسها خصلا بيضاء وفي وجهها حفرا بارزة ، لكن في عينيها وفي ابتسامتها صفاء وعدوبة ياسران الناظر وبملائته اربابها وغبطة .

قلت : حديثي عن انتصاراك في هذه الغيبة الطويلة .

قالت : وهل يعنيك امري ؟

اجبت : اكثر مما تظنين . اود ان تحسبني ذاك الثانية التي لا اقل عنها اخلاصا .

اطرقت نائلة لحظة ثم قالت :

— نعم . استطعت تحقيق اميتي في الاغتراف من بحر العلم . نلت اعلى شهادة في موضوع كاد يكون وفقا على الرجال . مارست البحث العلمي على الرفع مستوى في حق الفيزياء الذرية . اما الامنية الثانية التي نجت في تحقيقها فهي الاسفار . . . لم ابلغ قمة الكيلمينجارو لكني تسقت شظرا كبيرا منه ولا تسلي عما احمله من ذكريات رائعة عن هذه المغامرة . وقد شجعتني على القيام برحلات اخرى الى اقاصي الارض . الى اليابان والصين وروسيا والهند ، الى هذا المكسيك وبحيرات الشمال واربعين من الولايات المتحدة . . . لكني ما زلت اعلم نفسي ببلوغ قمة الكيلمينجارو .

قلت : لا تسرفي في المجازفة .

اجابت : لكني اعشق المجازفة واري الحياة تافهة بدونها . اريد بلوغ القمة في كل ما اصنعه .

— في حين يقتنع غيرك بالحضيض .
— لكل فرد منا مذهبه واسلوبه في العيش .

— ما هي خطتك الان ؟

— اريد القيام بعمل جدي بعيد الاثر ، يستغرق جهودي وبمحنتي لذة دائمة . اعطيني بعض الوقت وسأحدثك عن مشروعي .

كنت القاها بين حين واخر فاجتنب سؤالها عن عملها خوفا من ان انقل عليها لكنها كانت تبادرني بالحديث عن مشاكلها من غير ان تنتظر سؤالي . قالت انها تسعى لتأسيس مختبر حديث التجهيز يضمن لها التفرد للبحث العلمي وتأمل ان تنجح في تأليف لجنة من الراغبين في التبرع لتمويل هذا المشروع الكبير .

واضافت :

— اذا فشلت في الحصول على مساهمة اللجنة فاني مستعدة لتمويله بنفسي .

كيف تستطيع تمويله ؟

علمت انها تسلمت وظيفة ادارية ذات راتب ضخم تبذل اكثر اوقاتها . ورغم مسؤوليتها الادارية لم تهمل التطوع لمساعدة من يحتاجون الى مساعدتها في مشروع تربوي ، انماهي او اجتماعي . فقد صحبتها يوما الى بيت صديق لها مصاب بمرض عضال ، مكثت عنده نحو ساعة من الزمن تواسيه وتحاول الترفيه عنه . قالت : هذا الانسان في حاجة الى من يعطف عليه . لاحظت ان زباني تقيده ، فكيف يمكنني ان ابذل عليه ببضع دقائق من وقتي ؟

ثم كان يوم دعنتي فيه السي غرقتها . هناك وجدتها ، على غير عادة ، متكئة على مقعدها ، كأنها تطلب الراحة .

قالت : هل لك في نزهة كالتني كنا نقوم بها في الضواحي ؟

قلت : بشرط ان تكون النزهة للراحة والمتعة لا لصعود القمم .

قالت : لكن وراء الصعود هبوطا فلا تخافني .

وسارت بي الى مكان منزحل حيث هبطنا سلاسل حجرية انتهينا منها الى قبو واسع في اسفل بنانة قديمة .

دخلنا القبر فإذا هناك مختبر
مجهز بالآلات ومعدات وقفت امامها
حائرة ، مضعضة ، كاني امام لوحة
تحمل كتابات هيروغليفيه وعلامات
سرية .

قالت : هذا هو المختبر الذي كنت
امني النفس بالحصول عليه . وقد
عرضت المشروع على اشخاص
اظهروا رغبته في التبرع له لكنهم
وقفوا عند حد الرغبة . فقدت النية
على تعويله بنفسه ؟

— كيف ذلك ؟

— استخدمت النقود التي جمعتها
الثنا اقامتي في اميركا وحصلت على
سلفة مالية من المشرفين على عملي
الاداري . ثم اتى اتفاق على المختبر
كل ما اقتضاه من راتب الشهري .
— انت امرأة جبارة .

— لان لم افعل شيئا يستحق
الاهتمام . المشروع سر بيني وبينك .
لا اريد ان يعلم به احد غيرك .

واشارت الى درج في مكتب
كبير يتوسط المكان :

— هنا ملفات اودعتها جميع
الدراسات التي وضعتها حتى الان .
آه يا عزيزتي ! كم انا سعيدة بهذا
الوكر الذي اقضي فيه اسعد اوقاتي .
— كيف يمكنك التوفيق بين عملك
هنا وعملك الاداري ؟

— نجحت في تنظيم وقتي وتنظيم
دقيقتي كما افعل في حل مسألة
رياضية . وبما اتى احب عملي هذا ،
اجد فيه راحة او تنفيرا مريحا .

— هل بدأت ابحاثك ؟

— منذ سنة تقريبا . ولن يفتني
ان احذرك من النتائج .

— هذا اذا استطعت ان افهم
منها شيئا .

خرجت من ذلك الوكر بمشاعر
متضاربة . كنت سعيدة وخالفة في
آن . لكني حرصت على كتمان
مشاعري . ومع اني ظلت اتتبع
احوال نائلة والاحظ تحركاتها ، رايت
ان لا اعجبها بزيارة او لقاء الا اذا

طلبت مني ذلك .

وقد دعنتي للاحتفال بانجاز دفعة
ثانية من ابحاثها . اقتصر الاحتفال
علينا نحن الاثنين . وكانت نائلة
منفرجة الاسارير ، طلقة اللسان ،
اندفعت في الحديث عن عملها واعلنت
لي ان البحث الطويل الدائب اوصلها
الى نتائج ماكانت لتتلم بها .

واندفعت في تهنئتها مع جلي لما
توصلت اليه . وجازفت بالسؤال
عن صحتها فصرحت بانها تشعر منذ
حين بوهن لا تدري سببه .
قلت مقاطعة : انه الارقاق بلا
شك .

— لكني اجتنبت الارقاق بفضل
حسن تنظيمي للوقت . اتعلمين اني
انام في العاشرة وانهض في السادسة ؟
فاين الارقاق ؟

— هل حدثت الطبيب عن الابحاث
التي تقومين بها في المختبر ؟

— لا . لم ار داعيا لذلك . قلت
لك اريد ان يبقى الامر سرا بيني
وبينك .

— لا ادري لماذا اشعر بضرورة
اعلام الطبيب بمشروعك هذا .

— لا . ربما يعني عنه فأخبر كل
لذة في العيش . لن اذكر له كلمة
حتى يحين موعد نشر الابحاث ...
موعد بلوغ القمة ..

خطر ببالي قمة الكيليمنجارو لكنني
لزمت الصمت .

لقد ساءت حالة نائلة عقيب ذلك
اللقاء ، وتدهورت صحتها تدهورا
سريعا .

عادها اكثر من طبيب ولم يستطع
اي منهم تشخيص علتها . حينذاك
عزمت على الافضاء اليهم بحديث
المختبر السري والابحاث التي تجري
فيه . ولدي اصغائهم الى حديثي
واشارتي الى عملها السابق في اميركا ،
صرخوا بصوت واحد :

— عرفنا سر الداء . صديقتك
ضحية الاشعاع الذري وهي لا
تدري ! ..

— كيف ؟ الا يمكن اتقاذها ؟

— ربما فات الاوان ، اجاب واحد
منهم . لقد امضت مدة غير قليلة في
عمل فك بكتيرين قبلها .

وقال آخر : طوت الجناح على
علتها حتى تقتلها !

سانقذوها، اصحت بصوت مخوق .
لماذا تقفون واجمين كسان الامر لا
يعنيكم ؟ ايعجز العلم الحديث عن
اتقاذ احدي نجماته اللامعات ؟ بالله
سارعوا الى اتقاذها .

قر رايهم على المحاولة . ووعدوا
ببذل اقصى الجهود واستعمال انجع
الادوية لمعالجة نائلة . ودام الصراع
بينهم وبين الداء اسابيع لم تسفر عن
نتيجة ايجابية . فالداء تغفلت في
دمها وقتل فيه عناصر المقاومة
والدفاع . وحين ذهبت لعياذتها
عقيب انتهاء العلاج ، كانت قد دخلت
في غيبوبة لم تقف منها الا حين اسلمت
الروح .

والان تعود الي كلماتها : « ربما
منعني الطبيب من مواصلة العمل
فاخسر كل لذة في العيش » .

هل كانت تدري ان عملها في ذلك
السرخاب شبيه بالانتحار الطبي ومع
هذا اصرت على مواصلته ؟

الم تكن تعلم — هي العالمية
الفيزيائية — بتأثير الاشعاع الذري
في مدمني البحث الذي نذرت له
نفسها ؟

وهل تركت اميركا من تلقاء نفسها
ام بناء على نصيحة الذين شمسروا
بانها تعرض نفسها لخطر اكيد ؟

هل كان ايمانها بالعلم اقوى من
الخطر واقوى من الموت ، فافتحمت
بابه وهي واثقة من الفوز ؟ ام انها
احسبت بانجذاب لا يقهر الى معالجة
تلك الالات السحرية في المختبر ،
وتسليط اسواء فكرها العجيب على
ما تحويه من اسرار ، ولو كلفها ذلك
صحتها وحياتها ؟

اسئلة ذهبت معها الى القبر ،
وظلت بلا جواب ...

روز غريب

لبنان

أرق الشاعر ذات ليلة فاستعان على أرقه بالاستماع إلى بعض الأغاني اللبنانية وفي أثناء ذلك كان ينظم هذه القصيدة :

جميل علوش



غزير من النشوة الدافقة
ويهمي على مهجي الوامقة
تفجر بالنفمة الصادقة
تجيش معبرة ناطقة
كأنني على قمة شاهقة

الك هوى زاهر مسعر
ويسكن فيه الهوى الأكبر
ونزوة شوق ألا تذكر
حنينا بقلبك يستبشر
ألا أرى ج الربي ينشر

وترفمني للذرى العالمة
وحب وعاطفة سامية
واحضن فيك المنى الزاهية
يقسم جراحني وآلامه
يخفف من معنيتي القاسية

فهل لي من وهجا مهرب
فلا أنفنى ولا أطرب
سراعا وما أظف المقرب
وكانت بمهد الصبا ترجب
فؤادي من حزنه اشيب

فهل يديسك له بلسم
ونفري من فرح يسلم
وغيرك ويرجى فلا يرجم
وانت طيوف المنى الحوم
فيبرأ جرح له تلم

لمن هذه السام الخائق
لدينا يهيم بها الوامق
ونجواه والعشق والعاشق
ورمل بها لاهب حسارق
فيا حينا أركل السامق

البنان هذي الأغاريد نبع
يفيض على خاطري المستهام
صنوف من الأغنيات المذاب
أصيح إليها والحنانها
فاحسب لبنان يقبع دوني

البنان قد لغني في الظلام
وكيف لممرك بهذا الفؤاد
ولي فيك ألف رواح ومفدى
وهذي الأغاريد تبعث في
سلام عليك فما ذكر ياتك

تهز أغانيك أعماق نفسي
وتفجر في يتابع حزن
أحبك حار حينا عميقا
فقدت بلادي فهل فيك صدر
وهل فيك حضن فسبح حنون

البنان اني حبس الرمال
أقمت بدنيا الاسى والشجون
وراحت شמוש المنى تتهاوى
تضيئ بوجهي دنيا المنى
ومما شاب رأسي ولكنما

البنان جرحي عميق عميق
تجول بيالي فيخفق قلبي
تحسن وترحم من يرتجيك
فانت الحنان وانت الجنان
تمر بشرك فوق الجراح

البنان انت العزاء الوحيد
وانت انطلاقه نفس الشجي
وانت اختلاجة قلب الحب
فدك الذرى والربي والصحارى
يطاول أركل نجم السماء

لطلعتك الحلاوة الزاهره
ورابضة غضة ناضره
وتنتشر النفحة العاطره
وتنفجر القوة الشاعره
وينسى به ناظر ناظره

رايت فؤادي اليك انجذب
يا مربع الحسن اقوى سبب
اذا لم يشد رباط النسب
ان جل خطب وامر حزب
وفي المحزات ديار العرب

وافق بها حالك قاتم
وضمعي الزمن الظالم
بصدري الهوى النشط العام
وفارقي المرح الدائم
واين الغم الضاحك الباسم

كفيت يسبح على سبب
من عيشنا القاحل المجذب
ولا برحت واحدة المتعب
في مشرق الشمس والمغرب
متاحي الحياة ولم ترحب

حزين بهذا الظلام العميق
وحيد فلا مؤنس او رفيق
بهذا الشعور الرهيف الرقيق
بسهدء اما لشعاع بريق
فصارت مدامه من عقيق

تفنيه اطارك الصادحة
فوس الهيامي من النشوة الجامحة
على الكون باكية نائحة
الى القلب الحافظ الجارحة
بها الحور غادية رائحة

الى بلدي هادئا آمنا
وينث صدري الجوى الكائن
واقفا طليقا بها ساكنا
اشد بها عزمي الواهنا
واسترجع الماضي الطاعنا

البنان ملء دماي حنين
لظود ذوابته في السماء
لسهل يموج عليه العير
لنديا يحوم عليها الخيال
جمال يهيم به الشاعرون

وما انت داري ولكنما
فما بين داري وبين جنائك
يشدكما للجمال رباط
ومنذا يفرق بين الاحباء
اليست ديارك في الفرحات

البنان قد خفقتي الرمال
خطوت فضلت خطاي الطريق
فمن خمس عشرة لم يرتش
نسيت بهذي الرمال السرور
اجل نظرا في عين الشباب

اغانيك تملا نفسي حياة
ففيها الهناء وفيها انزاء
ونعمت اغانيك من مؤنس
ودامت ملاذا لصرى النفوس
فلولا اغانيك لم تتسع

البنان اني هنا ساهي
احدث نفسي بنفسى لاني
ابا ليل ظلت الا رحمة
لقد ضاق شاعرك المستهام
وكانت مدامه من لعين

البنان اني مفرى بمسا
« صباح » تفجر ما في النفوس
« وفروز » تصفي ظلال الخشوع
« ورندة » تنفذ قبل اللحنون
فيا لك من جنة ما تني

عسى الله باذن لي بالقول
فانقذ منك غليلي ومنه
واختار رابية او غديرا
فاسمع ما شئت من اغنيات
أرد بها لحظات الصفاء

جميل علوش

الكويت

الشاعر القروي

جوانب من سيرة بقلمه

بقلم عجاج نويهي

اني جد سعيد ان ادى نوبتي اليوم في رحاب البركان العملاق « الشاعر القروي » ، رشيد سليم الخوري ، الامام في الشعر الفحل النافع عن الثورات العربية القومية في جميع الساحات ولاسيما سوريا وفلسطين ، رأس الطلائع من حملة الالوية المقترة ، ايام « الانتداب » على شكله الفرنسي والانكليزي ، وهو في الضمار من اول صيحة حتى انطوى الانتداب ولكن طويت معه فلسطين وظهرت الرقعة « اسرائيل » . كلام تطو فلسطين ، وما سيطوي هو اسرائيل ، باذن الله ، والسلاح والجراح .

ولكنني لست طائفا اليوم حوله بصفته « الشاعر القروي » المفرد بطرازه ، وصفرة وبازه ، لست اتكلم عنه وهو بلتهب ويدوب . لست داخلا محرابه لانه غنى قوافل الثورات جميعها في ارض العرب ، منذ ثورة سلطان الاطرش في جبل العرب سنة ١٩٢٥ الى هذه الساعة وبينهما نصف قرن . و « نصف قرن » كلمة رهيبة فسي النضال المستمر ، فاذا سمعتها في جدول اعمار الناس سمعت لها جلجلة ، فما بالك اذا شاهدها حلقات اخدا بعضها برقاب بعض ، وادواتها : المعركة والشهيد ، والبندقية ، والقنبلة ؟

وانما احاول جهدي الضئيل ، ان اخذ واعطي معه بصفته الانسان العربي السدي سلم حياته كله وثبات : « رشيد سليم الخوري » من قرية لبنانية اسمها جميل « البربارة » ، ساحلية بين جبيل والبطرون ، ونعم ، ان اسم هذه القرية النجيبة كانه هو نفسه اسم « القديسة بربرة » الشهيدة الكريمة منذ القرن السابع ، ولكن اذا تقدمنا في الاستطلاع بضع خطوات ، وجدنا ان الدكتور انيس فريحة صاحب كتاب « اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » يرجع ان هذا الاسم سامي آرامي ومعناه « البدوي » ، وقد سمي الاراميون البدو بهذا اللفظ ، وينتهي الى القول ان من الممكن ان تكون جماعة من البدو القدماء نزلا في هذه الحلة واستوطنوها فسمي الكنان باسمهم .

غير ان « الشاعر القروي » في رايي ، هو رغم بروقه

ورعوده في العالم العربي ، وشعره الوطني القومي ، اشبه بناسك ، لبعده من ان يقف في طريق الاضواء ، وعلى التلال ، وحتى ديوانه الضخم الذي سنحتلك عنه عما قريب ، لا رسم ولا صورة له فيه بالمرّة . فكان « الشاعر القروي » قال للناس : ان شئتم ان تعرفوني ، فهذا ديواني ، شعوري هو شعري ، وكفى . لكنه ، حفظه الله وابقاه بركانا عربيا ، لما جاء بصدر ديوانه منذ اكثر من ٢٣ سنة في البرازيل ، في مطبعة عربية هي في نظري قلعة ثقافة على كل حال (١) ، خشي ان يسأل الناس غدا اسئلة مختلفة عنه ، طويلة وقصيرة ، صحيحة ومعموجة ، صائبة ومخطئة ، فيضيع الكثير من حقايقه ، وهذا لا يرضاه هو لنفسه ، ولا ترضاه امته له ، فقرر ان يضع ترجمة حياته ، فوضعها فجاءت في نحو من ٥٥ صفحة ، حوت اموره من الالف الى الياء ، ولا اجد ان شاعرا من وزنه من شعراء العرب فعل مثل هذا ، وانك لتعجب عند قرائك هذه الترجمة الوضاعة الصريحة المحيطة ، ان ترى « الشاعر القروي » قد افرغ كل شيء من جعبته حتى . ١٩٥٢ .

فلكي اعرف حقائق رشيد سليم الخوري من فمه وقلبه ، وتكلم عنه على سمع منه ، لا اتناوله شاعرا ، بل انسانا عربيا ممتازا ، وارجو ان يتيسر لنا ان نتناول في اول فرصة غيره من انداده والجالئين في ميدانه ، دون ان اسمهم الان اجتنابا للتطويل . غير اني لا استطيع المضي بعلمي هذا ، دون ايجاز القول في الديوان ليكون القاري الكريم على بينة من هذا . «الديوان» هو فني الواقع مجموعة دواوين «البياض القروي» السابقة منقولة ، مرتبة ترتيبا جديدا ، تشغل نحو ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ورقها صقيل ، حرفها واضح مشرق ، وبعض الحروف محركة ، والفسح بين الابيات كتلك التي بين احواض الازهار في الحدائق المياسة بالافحوان والسننبل . فتقرا الصفحة الى العشر صفحات الى العشرين والخمسين والمئة ، وانت مستمتع منتش ، طالب الا تتف القائلة .

صفحة الوسمعة في غاية البساطة :

ديوان القروي

رشيد سليم الخوري

فاذا قلبت صفحة الوسمعة هذه ، واجهتك صفحة كانها جدول او قائمة ، هي اسماء الدواوين السابقة . ولا بد لي ان اقلها اليك مع التعريف بكل ديوان ، والتعريف للقروي .

« البواكير » : منظومات متعددة الاغراض مختارة من ديوانه « الرشديات » و « القرويات » المطبوع اولهما سنة ١٩١٦ وثانيهما سنة ١٩٢٢ في صنبول - البرازيل . « الاعاصير » : مختارات من شعره الوطني ، طبعت في صنبول سنة ١٩٣٣ وفي صيدا ١٩٤٨ .

« الزمازم » : مختارات من منظوماته الحماسية بعد طبع الاعاصير .
« المحافل والمجالس » : ما انشده في شتى المناسبات الاجتماعية .

« زوايا الشباب » : من شعره الغزلي .
« الوجات القصيرة » : خواطر اكثرها مما كان ينشره نثرا بعنوان « شرر الفكر » .
« الازاهير » : اشعاع معظمها من الشعر الثلاثي . واعتقد اني اقدم جانباً مهما من الصورة الخلقية النقية المروزة فطرة في طبائعه ، ينقلني الفقرة الاولى من ترجمة حياته الى ١٩٥٢ ، أي سنة اخراج الدوان الجامع الكبير ، وهي ١٥ سطرا او صفحة واحدة كاملة .
قال الشاعر القروي :

طلما رغب الي غير واحد من اخواني الادباء فسي
الافطار العربية وسواها ، ان اوافيه بسيروني ، فكننت
اضيق بهذه المحاولة واعتذر . حتى سنحت لي فرصة
طبع ديواني فبعد ان رجوت صديقا من اعلام الادب ان يضع
مقدمته ، بدالي فقلت غدا ينفسح مجال النقد والتشريح ،
وتعثر الاقلام بين الحقائق والاهام ، وليس اعرف بي
مني . فما اولاني بان ازود الراغبين بما يكفيهم عناء
البحث ، وربب الظن ، ومذاهب التأويل وسيرون انسي
بإقافهم على مراحل حياتي ، والهوبل بهم الى خبايا
نفسي ، قد سلمت اليهم المفاتيح ، بل اشترعت لهم الابواب ،
ولم اشترط عليهم الا ان يلجوا المخادع بقلوب نقية ، والا
يستصبروا بغير النظارات البيض المتسولة ، واشهد الله
اني لم ازين لهم باطلا ، ولم اعرض زائفا ، بل اكاد اجمع
سهول كل طلعة ، حاسوسا كان ام جاسوسا . وربما
سهول عن بعض ما يجب اثباته ، فمن اضاف للسي
حسناتي فمن عنده ، ومن زاد في سيئاتي فقلعه اقوى
حافظة او اصدق نظرا . انتهى .

— مولده ١٧ نيسان سنة ١٨٨٧ وهذا التاريخ وقع فيه جلاء الفرنسيين عن سوريا آخر الحرب الثانية ، فارتجل شاعرا نبتا فريدا قرن فيه بين التاريخين : تاريخ ميلاده وتاريخ الجلاء ، فقال :

ان فاخر الناس بايادهم فيدي ميلادي عيد الجلاء
— اصل اسرته من « الشوير » المتن الشمالي ، فنزح جده اسمعد واخاه مشرقا بعائلتهما الى « البربرة » ولم يذكر تاريخا لهذا النزوح . وقال : « وكان جسدي
طنوس طبيباً ، نقل يخطه عن ابن سينما عدة كتب وجعلها
بيده ، وكان يضيف اليها كل ما يقع عليه من مستحدثات
الطب ولا يحجم عن القيام ببعض الجراحات البسيطة .
اخذ والذي عنه مبادئ القراءة ، ثم طلب العلم في مدرسة
« عيبه » الاميركية ، فالتكية السورية الانجيلية ، الجامعة
الاميركية اليوم ، ثم علم بضع سنوات في طرابلس وصافينا
وعكار ، واحترف بعد زواجه التجارة بالتبغ والحريـ

وغيرهما ، فاصاب ثروة معتدلة . وقد خلف جدي فسي
مشيخة القرية ، وعرضت على قبيل وفاته فرضتها ، وكان
يجيد النظم والنثر بعض الاجادة » . انتهى .

— « قيسر » اخوه الشقيق ، « الشاعر المدني » .
قال الشاعر القروي : « يصفرنني ياربوع ونصف - كان
الاول في الدروس والمسابقات الرياضية ، وحسن السلوك ،
طيلة الاربعة سنوات التي قضاها طالبا في مدرسة الفنون
في صيدا . زاول التعليم عند الاميركان في جبيل والبترون
وطرابلس ، يستغل في محل تجارة في صنبول » .
ثم يذكر القروي سائر اخوته على هذا الفرار :
فكتوريا وفيليب وفؤاد واديب وتديم ودعد ويذكرهم
بخصائصهم .

— اول ما تتلمذ القروي ، الشباب الثاقب ، علسي
معلمه الشاعر قيسر وحيد الغرزوزي . ثم تعاقب المعلمون ،
وانس المعلم ايليا من تلميذه الاعم وهو في العاشرة ورغبته
في مطالعة المجالات العلمية والادبية التي ترد على المدرسة ،
فعني به عناية خاصة . قال القروي : « وصار يكتب لسي
الخطب والاشعار فاستظهرها وامرن على القائها بصوت
تردد صدها كهوف الوادي » .

— لما بلغ الثالثة عشرة طلب العلم سنتين فسي
« مدرسة الفنون الاميركية في صيدا » ، ثم سنة في مدرسة
سوق الغرب الاميركية ، وبالتالي انتهى الاستعدادية فسي
الكلية السورية ببيروت ، ثم انصرف الى التعليم سبع
سنوات متوالية في المدارس الاميركية فسي طرابلس ،
ومدرسة بشعزين الوطنية ، فالكية الشرقية في زحلة ،
فالمدرسة الانكليزية في الشوير ، فمدرسة الاميركان في سوق
الغرب التي سبق له ان تعلم فيها سنة ، وقال ان سبب
كثرة تنقله بين مدارس عديدة ، ورغبته في اختيار افضل
الشروط .

— وحدنا « القروي » عن « لماذا ومتى » هاجر ،
فقال ان نشرت له جرائد بيروت بعض القصائد الوطنية
الثائرة ، على عهد « المتصرف » يوسف فرنكو باشا سنة
١٩١٣ ، فما قرأها معه اسكندر ، وهو قبطان في الجيش
البرازيلي ومهاجر منذ ١٨٩٠ حتى شرع ورغبه فسي
الهجرة ، وعنه يعشق الشعر الحماسي الوطني ، فعمل
القروي يتردد في الاجابة وعنه يزداد الحاحا عليه ، واخيرا
ارسل اليه معه خمسين ليرة انكليزية ليسافر في الدرجة
الاولى . وكان والد القروي قد توفي سنة ١٩١٠ رحمه
الله ، مخلفا ديونا جمّة « لفرط حياله من لا » وتوزيعه
ثروته قروشا لم يستوف منها فلسا ، فوطن القسروي
نفسه على الاغتراب حتى اذا جمع من المال ما يفي بديون
والده ، عاد الى لبنان الجيب القتات . فركب البحر فسي
آب ١٩١٣ لا في الدرجة الاولى ولا الثانية ، بل في الثالثة ،
لان اخاه قيسرا ابى الا ان يصحبه هو وزوجته وطفلة
رضيع .

منهم انا . فينبغي ان احبهم سبعين مليون ضعف حبي
لنفسى ، من اقتدامهم فكانت احيائي سبعين مليون مرة .
ومن خانهم فكانت اقلتني مثلها . والذات اتي اصيب جامات غشبي
على الظالمين ، وصنائع الظالمين ، والصابرين على الظلم بعنف يدرا
الموت والعار لا عن نفس فحسب ، بل عن سبعين مليون
نفس كنفس معشودة فيه ، شاغلة عالم الارض من لا نهاية
روحه . وقد الشعور يكون الالم . ومن فقد الغيرة انكر
الغضب . وما استكر العنة الا من استقل الخيانة . وما
ياسر السفاحين الا من استهان بدماء قومه فحسبها ماء
كدمه .

— وتكلم القروي عن « اصدقائي وامدائي » فقال : لم
اعتد قط ، ولا تربصت بخضم ، ولا فكرت في الكيد
لمن مسني ضره . . وعن « اقتصاديائي » فقال : « منا
هاجمتي الفاقة الا واوحت قرنها بحاطم من غباية الله
حولي ... ولا اذكر اني اقترضت الا مرة » سنة ١٩١٨
بالحاح من صديقي جرجس موسى الخوري رحمه الله اثر
جراحة كنت جيبى ، ومنذ بضع سنوات اللهم الله
صديقي الياس عاصي فسمى الي ترجمة وبيع كتابي « حسن
الام » ، فافزع علي ادبا ، ومادة تجعد اكثرها في بيت
شربتي في البر ، فاورثني المتاعب والخسائر . ثم
تناوبني الملل فاكرهني واخر عام ١٩٥٠ على ان ابيع
من ضلاني عودي وكتبا نفيسة جلبها هدايا من خلص
اخواني ، لاستعين بشتمها على رحلة رحلتي الى الارجنطين
والبحر شوي جديدي عسى ان اتزود من رومها نشاطا
يعينني على الوصول الى وطن الازر . وكان صديقي البار
المذكور قد بضع ماثرته الاولى بثانية ، اذ تنادى ونفرا من
كرام الاصدقاء لشراء بيت لي في صنبول ، وبلغ ما جمعه
حوالي ثلاثة ملايين قرش لبناني ، ولكنه عشا حاول اقناعي
بقبولها فاعلنت في احدي المذامات شكسري واعتذاري ،
وابشاري قبرا في وطني على قصر في غربي . وطلبت رد
المال الى المتبرعين ، حتى زف لي البشرى بتحويله الى
مشروع طبع هذا الديوان ، فقبلت وشكرت ، وعسدت
حامدا هذه الفرصة السعيدة التي اتاحها الله لي باصدقائي
لتحقيق اعز الاماني الشخصية الباقية في هذه الحياة » .
— وقال القروي تحت عنوان كيف انظم الشعر ؟ :

« في اية ساعة واي مكان . في بقطات الليل . في
الشارع . في الحافلة . على المائدة . اثناء الحديث ادون
الخاطرة او البيت . لم انظم ليلا من القصائد التي تعجني
غير « حسن الام » و « تحية الاندلس » . ولعلمي خير ما
نظمته . اما سائرنا فنهارا في سفراتي او في الحدائق
العاما او الضواحي الهادئة . انزود غذائي من الخبز والجبن
والبيض المسلوق وزجاجة ماء قراح . وانسطح على العشب
او الصخرة للسواء في فرجة من غابة او مطعم من ربوة
ناضيا غني لاشعة الشمس . واغيب في مناجاة لذيذة . او
انزري غيظا والما واسى اذا كان الموضوع وطنيا . » ثم

— ويصف لنا القروي كيف ودع لبنان اوائل صيف
١٩١٣ ، ولا سيما وهو يعلم في مدرسة سوق الغرب بسين
« العود » حبيب و « التنديل » والصنوبرية وجداول المياه ،
والندى والصباح والظهور ، التي تباكره بالفرقة . ثم
قال تحت عنوان « معارفي » : لست من العلم في شيء ،
ولكني اميل الى مطالعة الاخبار العلمية كبل اية قصيدة ،
واحسن القصص عندي المترجم عن الروسية وما شاكله
بساطة وعفقا . اما قول القروي الناسك المتواضع انه
ليس من العلم في شيء ، فلا نوافقه على التواضع الى
هذا الحد ، فالادب فيه قد يكون اغلب على دقائق العلوم
وما اليها . وقال انه لم يتعلم من اللغات الاجنبية غير نور
من الانكليزية اهمله فسمي اكسره ، ونزح من البرنغالية
اقل . وقال : « وما اكنت قط مطالعة كتاب غير عربي .
اما ان اللغات فاتمتني او تجدد عمري لاشبع نهمي من
درسها ، واغترف من كنوز حكمها المخبوءة عن اكثر ادباء
العربية ، ولا سيما المترجمين » . ما اجل هذا القول
واصحاه !!

— ثم انتقل القروي الى ناحية اخرى ، فحدثنا عن
« صفاته » وقال انه لا يترفع عن العمل مهما يكن
متواضعا . وقال : « احب الاطفال الرضع حتى لاجلس
الى سرير احدهم ساعة لا امل ولكم سبقت ابي الى ضم
اخوتي وتبيلهم فور غسلهم ساعة ميلادهم . ولا تزعجني
جلبة الصغار وهم يلعبون حولي ولو كنت اطلع او اكتب .
فاذا تشبطنوا نفضت » .

— وقال « يكرهني الجمال على انواعه » . وقال :
اغضب واحسد ، وكثيرا ما ارضى في الجبال جري
صريح حتى الخشونة ، بل الفظافة احبانا . وحدثنا
عن خوصات نفسه كلها مما لا ترى نظيره في سيرة رجالات
الادب غيره .

وفي مدى الاربع والخمسين صفحة ، راح القروي
يشرح لنا زوايا خلقه ونفسه وطبعه . وهذه عناوين
الفقرات التي اشتملت على هذه الموضوعات :
ابنائي — تديني — تعبدني — تسليمه (لله) — حيي —
حيي الاول — لماذا لم اتزوج (٢) — شغفي بالطبيعة —
شعوري الوطني .

ولما كان الشعور الوطني في القروي ، هو السر
الكيميائي الذي يثبت منه شعره الفتاك ، فلا بد ان نقل
هذا برمه وهو ١٥ سطرا من سطور صفحات الديوان .
« امي انا مكبرا . ووطني انا مكبرا . اذا انتطع
ذئاب الاستعمار منه قطعة فكانمسا اكلاوا جارحة ، من
جوارحي . واذا هدرنا عربيا في لبنان او تطوان فكانمسا
شربوا نغبة من دمي ، وكان كل بلد قوي من بلادي ساعدي
مفتولا . وكل شعب خامل فيها زندي مثبولا . بل ما اعد
ذاني الا خلية في جسد امي . انا واحد من سبعين مليونا
من العرب (اصبح هذا الرقم اليوم مضاعفا) كل واحد

بسمه الرحمن

*

ذرذرتيه اربا ، بعشرته رقبا
شعرا كتبه في سفر الجمال ، معا
اتكرت كل هوى ، لم تبق قافية
في دفتر الحب الا جفنها دما
احلامي الزهر ما عادت تهدهني
ما عدت المسح للاحلام متسعا
والامنيات شجاها الحزن فانحطمت
والقلب لامسه التذكار فانصدعت
قولي : جننت ، دعي بعض الذي فقلت
لسي كبرياتي ، لا تفري بسي الطمعا
هل يجزع الذل من جرعه شمما
والذل ارحس ، في الاهواء ، ما جريا
يا بسمة الامس ، اين الصفر يقورنا
والحب بات ، من الاشجان ، ممثقا
ايسن الهنيمات نجيبها ونقتلها
والامسيات تيسج الانم والاورعنا
ايسن تسيبناك فوق الشفر اغنيصة
يوم السماحة املت ، والندى سمما
وهذبك الشاعسر الوهوب انظمه
سجرا ، وينظمني في سره متعا
كل الذي كان ، لم ينقل لنا املا ،
والوجد قد فرقا بالامس قد جمعا
يا بسمة الامس ، عل الذكريات غدا
تجعي الاساطير او تستخضر البدعا
لئن بعدنا ، فان الكبريا اذنت
وان قربنا ، فان الشوق قد شغعا

فوزي عطوي

عجيبا علم النسر السوفوسا
يهرت به الصدى فهووا ركوبا
كان به الى الافرنج جومعا
سيفيك مثل سيفيك ان يجمعا

هفا برقا فاطرهم نجيبعا
وفجر للدعاء بهم عيوننا
فخر الجند فوق التذك صرغنا
وخر التذك تخمهم صرغنا

اعادتنا لكذبنا الذيبعا
اثار كان اسمعنا جيبعا
واحسن علمنا تحصن صنيعا

ولبت الى سنام التذك وبنا
وكهرت البطاح بحد غصب
كان به الى الافرنج جومعا
سيفيك مثل سيفيك ان يجمعا

تفعل للزرى بالغصب لبنا
وفجر للدعاء بهم عيوننا
فخر الجند فوق التذك صرغنا
وخر التذك تخمهم صرغنا

فيك لك غارة لو لم ندهبنا
وبنا لك « اطرشا » لا دينا
لنسى الهيجنا لا تعبت علينا

راس المتن - لبنان

عجاج نوبهض

يستطرد في وصف بقية حاله هذه باكثر مما وردنا ، وكله
كشفت حقائق ذاتية ومنها تناف شخصية « الشاعر
القروي » البركاني . وكنا نود استيفاءها كلها ولكن ضاق
بنا المجال .

ثم ذكر في نصف صفحة « رايي في الشعر » . وبسط
في صفحتين « لماذا غلبت الحماسة على شعري » . وفي ما
يقارب الصفحة بسط لنا زاوية عنوانها « صدى الياس » .
ووصف لنا مقامه ومقام اخيه قيسر في « الريو دي جنير »
وفتق الحرب العالمية الاولى ، وكيف استطاع مع اخيه وفاء
بعض الدين المتخلف عن والدهما . وهنا يعرفنا بحبيبه الاول
والاخير (عوده) الذي جاء دمشق من لبنان قبيل هجرته
حتى اشتراه وجلبه معه الى البرازيل ، فكان « العود »
بلبل افراحه ، والاسي له في احزانه ، ومقتله في ازمانه وقت
حاجاته . وكل خطوة من هذه المراحل تربك نفس القروي
نفسا مؤمنة ، آبية شامخة .

وفي الخمس عشرة صفحة الاخيرة من هذه السيرة
يحدثنا عن اموره الاخرى وكلها مهم ، من سفر « امي
واختي » الى البرازيل ، و« الجهاد الوطني » في المهجر بعد
الحرب الاولى ، واشتغاله التجاري بصنع « الارب »
(ربطات العنق) ثم وصل اليه كتاب من السيدة « نظيرة
زين الدين » صاحبة كتاب « السفور والحجاب » فحدثت
مطالعة هذا الكتاب في نفسه اشياء عميقة . ثم حدثنا عن
« مقياس الوطنية » ، و« التعصب الوطني » ، و« وطنية
العربي » و« العربية والبرامج والاحزاب » ، و« لغة
العربية » و« هنا تراه شعلة ، وبالتالي نداء » الى « فتیان
العرب » .

وترى في اخر السطر :

صنبول في اول آب ١٩٥٢ وفق الحادي عشر من ذي
القعدة ١٣٧١ .

هذه اشبه بنقذات طائر لا اكثر ، وعلينا ان نستوفي
امورا اخرى تتعلق بتكريم « الشاعر القروي » في دمشق
والقاهرة ، واحتفاء المحافل الوطنية بشخصيته ، وعلينا
ايضا ان نتكلم عن انطباعاته منذ عاد الى وطن الارض ، ونرجو
ان نتم هذا في فرصة قريبة .

ولما كانت قصيدة « الشاعر القروي » ، « سلطان
الاطرش والتذك » ، قد ذاعت في العالم العربي والمهاجر
وحفظها طلاب المدارس كما قلنا ، وذلك سنة ١٩٢٥ فاننا
نورد هنا بعض آياتها ، وهي كلها ٢٨ بيتا للذكرى :

خفت نجة العاني سريسا غفويا لو راك الليث ريسا
وحواك من بني معروف جبع بهم - وبدونهم - نفث الجموعا
كانك قائد مشهم هفسا تبس الى الوفي جبلا متيعا

(١) هي مطبعة صفدي التجارية - منظمة جميل صفدي
(٢) قال القروي : « كان شبابي وفقا على اخوتي الاصغر ،
فلما كبرت بي السن كبر قلبي ولم يكبر حبيبي » ولو كبر حبيبي لما
نلت كبر قلبي .

الشعر الفلسفي عند دانتى والبوت

بقلم الدكتور عبد القادر محمود

استاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة بالخرطوم

عند دانتى

الحديث عن دانتى (١) ممتع ورائع حقا ، باعتباره شاعر عصر النهضة الممتازة .. روحها الوضى ، ووجدانها المشرق ، وفلسفتها النابضة بأعمق الأفكار فيما وراء الحياة ، وبخاصة اذا كان مدخل هذا الحديث بلسان « البوت » . والحديث عن البوت (٢) ، مقرونا او مقارنا بدانتى ، باعتباره مثلا رفيعا اقتدى به ، وترسم خطاه ، وعاش في اجوائه - لا رب يعطينا الجديد في قضية الشعر الفلسفي ، ويضيف الطريف حول تفاعل الفكرة الفلسفية مع الاحساس الشعري ، بما يبرز القيمة الجمالية للصور الشعرية المروءة او الشهودة المسموعة على المسرح الكبير .

يقول البوت (٣) في مقالاته المختارة عن دانتى « فيما يخص علم او فن الكتابة الشعرية ، فانتى قد تعلمت من قراءة جيمس دانتى ، ان اعظم الاشعار ، هي ما كتبت في كلمات مختصرة اختصارا شديدا ، مع الصرامة التامة في استعمال الاستعارة والتشبيه وجمال اللفظ ورواقه » « وانا حينما اؤكد انه يمكننا ان نتعلم من دانتى كيفية صياغة الشعر ، اكثر من اي شاعر انجليزي ممتاز ، فانتى لا اعني بذلك ، ان منهج دانتى هو الطريق الوحيد الصحيح او ان دانتى اعظم من شكبير او اي شاعر انجليزي اخر ... » وبخلاف البوت من حديثه الى ان لغة دانتى رغم انها عادية ، الا انها متكاملة . وهذا واضح تمام الوضوح في رائعته الخالدة : الكوميديا الالهية ، حيث تلحم الفلسفة بالنسيج الشعري فتشد من خيوطه وتتداخل مع مكوناته ، وتصح جزءا لا يتجزأ من هذا التنسيق المبدع الذي يكون في مجموعه ذلك الاناج الفني العظيم . من هنا ندرک كيف تتفاعل الفكرة الفلسفية مع الوجدان الشعري فتخصبه وتمنحه ثراء منقطع الوصف والنظير ، حيث تتخلل عناصره ، وتنبث في كل ذراته وشحناته قبل ان تمتزج بها جميعا وتتحد معها كلها . وما هذا السلوك الا تطابق متكامل للقضايا الميتافيزيقية ، وتجسيم للرؤى الخلاقة ، وتركيز للفكرة الفلسفية في بؤرة شعورية تعتمد على الحدث قدر اعتماده على الشعور الصادق والتأمل البصير (٤) .

وعلى الرغم من ان الشعر سواء في العالم الاوربي او العربي قد سار في خط منفصل عن الفلسفة احيانا كثيرة ، وعلى الرغم من ان الفلسفة حصرت نفسها كثيرا في الفكر المجرد ، فاننا (٥) نجد في التراث الانساني التحام الخطين في الشعر الميتافيزيقي ، الذي لا يعتمد على الجدل قدر اعتماده واستناده الى الملاحظة الباصرة ، التي تستمد وقودها وقوتها من المشاهدة النافذة للبريات المختلفة . « البوت » (٦) هنا يرى في هذه النقطة الشائكة ان الشعر لم يكن في يوم من الايام اصلا للفلسفة ، ولم يضع مطلقا الشكل الاساسي لها لان الفلسفة كما يقول بحق ، لا تستند اليه في مراحل التطور الفكري والعكس هو الصحيح ، فلقد غزت الفلسفة ميدان الشعر واقتحم النظر العقلي - وهو لسان الفلسفة - محيطه ، بعد ان تبلورت قضاياها ورسخت اتجاهاتها الفكرية واصبحت في وجدان النابئين من الشعراء والادباء .

من هنا ندرک ان دانتى صاحب الكوميديا ، قد افاد فائدة عظمى من الفكر الفلسفي والتأملات الفلسفية التي سبقته ، وفي مقدمتها « اتولوجيا » افلوطين ، واعترافات اوغسطين ، ومدينة الله لاوغسطين ايضا ، وتأملات الاكوييني . ولا شك ان اية محاولة لفصل تيار هذا الفكر الفلسفي عن شعر دانتى ، فيها اساءة للدراسات الفنية والفلسفية معا ، قبل الاساءة الى دانتى في ذاته واكواره ووجداناته .

كان دانتى صاحب حس رقيق ، جعله شديد التأثر ، حتى يصدق عليه ما نقوله عن الانسان ذي الحساسية الشديدة من ان اعصابه فوق جلد . وكان كثير البكاء (٧) في حجرة تسمى غرفة البوم ، وكان من فوط الحزن يتحرك رأسه ، كانه شيء ثقيل لا حياة فيه . بكى دانتى وهو طفل ، وهو شاب ، وهو كهل ... وبكى عندما كتب الكوميديا الالهية ، وعندما شارك المذنبين الالامهم فسي الجحيم ، وعندما عانته « بياترينشي » معشوقته فسي الحياة الدنيا والاخرة ، وهو يجوس عتبات المطهر ، وبكى عندما سمع غناء الملائكة في « الفردوس » .

ولما كان دانتى ، قد عاش غريبا منغيا بين قومه ووطنه ودنياه فقد كان في اعماقه يود الانتقام من كل من اساء اليه من قريب او بعيد . لهذا (كان حب الانتقام عنصرا هاما في شخصيته ، وان لم ينتقم هو من احد في حياته الواقعية (٨)) مع ان الله ذاته ، (بغضب من خطايا البشر ، فيسلط عليهم عذابه وانتقامه) (٩) ، ولم يعترف دانتى في حياته العريضة الحافلة بكل صراعاتها ، في وطنه وفي منفاه ، وفي نضاله مع الكائنات العليا والدنيا بغير قوة الروح وقوة الفن .

لم يكن دانتى اول من تناول في كوميدياه ، عالم ما بعد الحياة الدنيا . فالصربون القدماء عرفوا في نراهم الجحيم المظلمة بما تحتويه من عذاب ، وتصوروا الفردوس

النفس البشرية ، لتصعد من درجات النفس الغريزية الى درجات النفس اللوامة المتطهرة المنحردة ، الى النفس المطمئنة الراضية الرقضية . لهذا كان يرى ان تغيير العقائد والقوانين والنظم لا يؤدي الى اصلاح حقيقي . وادرك ان تطهير النفس وتحرير الروح باطنيا او جوانيا كما يقول استاذنا العالم الجليل الدكتور عثمان امين (١٢) ، هو الطريق الصحيح للسعادة ، في حياة التقاء والصفاء والعدالة .

ان اماننا حقيقة واضحة تؤكد الكوميديا الالهية بوجه عام في سائر اجزائها وفقراتها وهي ان العقل البشري لا يمكنه الاحاطة بوجوه الوجود او اسرار الوجود (وانه لمجنون ذلك الذي يامل في عقلنا اجتياز الطريق الانساني) (١٣) . ودائتي في هذا يتفق مع وجهة نظر الفيلسوف اوغسطين في الفلسفة المسيحية ، والفيلسوف حجة الاسلام الامام الغزالي في الفلسفة الاسلامية . كما يؤكد مفهوم النظرية الافلاطونية القديمة ، انه بالتطهر يمكن اجتياز العقبات نحو السكينة السماوية (١٤) . وفي فلسفة الابدلية الالهية والزمان الالهي ، ان سنة امام الابدية (لا تزيد عن طرفة عين) (١٥) او كما يقول القرآن الكريم في محكم آياته « وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » (آية ٢٢ من سورة الحج) .

وناقش داني (١٦) قضية المسؤولية الاخلاقية الفردية والجماعية نرى ذلك واضحا حين يسأل دانتسي صاحبه فيرجيل ، عن السبب في خلو العالم من الفضائل . ويكون الجواب بان ذلك ليس مسؤولية السماء ، فليست للسماء هي السبب في البئس في كل شيء ، لان هذا معناه ، الغاء الارادة الحرة للانسان ، الذي يختار برادته العاقلة طريق الخير والشر . امر آخر يؤكد دانتسي في قضية المسؤولية الاخلاقية وهي ، ان البشر انفسهم هم سبب فساد العالم ، فان النفس تخرج كالفلة ساذجة وتمضي وهي مخدوعة وراء خيرات الدنيا التافهة . من هنا كان ضروريا وجود قانون حاكم يرعى البشر ، لكن ليست العبرة في القوانين والشرائع ، بل في من يباشرها ويحميها ويطيعها من

بنا فيه من نعيم وسعادة ، وعندهم اوزيريس راعي ميزان العدالة في الدار الخالدة ، وفي ديانة « بابل » تهبط عشتروت الى الجحيم لتبعث تاموز الى الحياة ، وعند اليهود ارض الظلام والعذاب تحت الارض ، وفي ديانة فارس جهنم ومطهر وفردوس ، وفي الاياداة اليونانية عالم الموتى والابالسة ، وانهار الجحيم ، وفي المسيحية رؤى القديسين عن العالم الاخر ، وفي الاسلام مشاهد متخشدة لصور العذاب والنعيم ، وشجرة الزقوم ، واراتك النعيم ، وفي الاسلام ايضا مشاهد ورؤى الاسراء والمعراج ، تلك التي ادهشت الفكر الفني والادبي والفلسفي ، حتى ان العالم المشرق الاسباني بلاسيوس (١٠) ، يؤكد لنا في كتابه « العلم الاسلامي لما بعد الحياة » في الكوميديا الالهية « ، تاثير التراث الاسلامي في الاسراء والمعراج ، ورسالة الفرغان للمعري ، وبعض مؤلفات ابن عربي ، في الكوميديا الالهية لدانتسي في عوالم الجحيم والمطهر والفردوس » .

ان رحلة الكوميديا الالهية بدأت مساء الخميس ليلة الجمعة ٧ - ٨ من ابريل ١٣٠٠ م وانتهت يوم الخميس ١٤ من ابريل ١٣٠٠ م ، حيث استغرقت زيارة الجحيم حوالي ثمانية ، والمطهر حوالي اربعة ايام ، والفردوس نهارا واحدا فقط ، وكان الزمن الباقي للعبور بين الجحيم والمطهر والفردوس (١١) . وتمثل الجحيم الشباب الحر الطليق المتكبر الثائر ، كما تصور سورة الغراني الدينية البشرية لاشباع ميولها وهي الخطيئة والعذاب والمأساة والحياة الدنيا ، ويمثل المطهر التجربة والنضج والتفكير والتوبة والتطهر والامل في حياة خالدية فضيئة ، ويمثل الفردوس الكهولة والصفاء والحرية والخلاص والنور الالهي العظيم ... وهي بكل اناشيدها النابضة المتدفقة الحية ، مرآة الحياة وملحمة الانسانية الكبرى .. وكانما اراد دانتسي في صياغتها من نفسه ومشاعره وروحه بكل انطباعاتها ، ان يضع كتابا جليدا يهدي البشر الى سواء السبيل .

سلك دانتسي نهجا اقرب الى النهج الصوفي في علاج

(١) دانتسي الجيجري : صاحب الكوميديا الالهية بثلاثيتها الرائعة (الجحيم - المطهر - الفردوس) عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، والرابع الاول من القرن الرابع عشر (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) . (٢) البيت : الشاعر النافذ المتفلسف صاحب الملاحم الرائعة الارضي الغراب ، والرباعيات ، ذات الروح الفلسفية (١٨٨٨ - ١٢٩٥ م) 255 - 252 Eliot : Dante Selected Essays pa. 252 - 255 The Use of Poetry p. 23 - 25

وانظر له . (٤) انظر مقالنا : التفكير الفلسفي في الشعر العربي (٢) لسنة ١٩٧٣ مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ١ - ٨ ، وانظر كون ولسن : الشعر والصوفي : الترجمة العربية لعمر الديراوي بيروت ص ٢٦٦ . (٥) المصدر السابق (التفكير الفلسفي في الشعر العربي) وانظر كتابنا الفلسفة الصوفية في الاسلام القاهرة ١٩٧٦ عن شعور العلاج وابن عربي وابن الفارض ٢٢٦ - ٢٠٤) .

(٦) المصدر السابق لابوت في مقالته المختارة .

(٧) - (١١) الدكتور حسن عثمان : الكوميديا الالهية تحقيق وترجمة : الجحيم ٣٩ ، (١) ، ٤٢ ، (٥) ، ٤٦ ، ٦٢/٦١ - وقد قدم الدكتور حسن عثمان بهذا العمل الجليل خير مثال للجدد الصادق ، والثمرة الطيبة لغير آية من آيات عصر النهضة .

(١٢) - الدكتور عثمان امين : انظر له باللات مله في الجوانية في كتابه المحازر الجوانية . واستاذنا الجليل ثراث فلسفي في حياته والفكر واعماله .

(١٣) - دانتسي : الجحيم : الترجمة العربية الانشودة ٧٧/٣

(١٤) - دانتسي : المطهر : الترجمة العربية الانشودة ٨١

(١٥) - دانتسي : الجحيم : الترجمة العربية الانشودة ١٥/١٦٢

(١٦) - دانتسي : المطهر : الترجمة العربية الانشودة ١٦

الحاكمين (١٧) .

وفي فلسفة المحبة العادلة يرى دانتى ان الحببة الصادقة هي المحبة الصادرة عن وحي او بصيرة العقل ، لانها هنا مستنيرة بنور الله ومتجهة اليه ، فاذا اعتدلت في محبة الدنيا فانها لا ترتكب خطأ ولا تتردى في شباك الخطيئة ، وواضح ان دانتى هنا على صلة بفلسفة سقراط في الفضيلة ، حيث ان الفضيلة معرفة فمن عرف لم يخطئ ولم يأنم ، عن طريق البصيرة العاقلة (١٨) .

وهو يرى ان المعارف العقلية هي للانسان (اذ هي كثريرة النحل . في صنع العسل) (١٩) لكن العقل الواعي هو الذي يحمي الروح من قبول المحبة الخبيثة ، ويحسم الموقف بالرفض بوحى من الإرادة الباصرة العاقلة . ولا شك ان هناك صراعا بين تيارات الاهواء ومنطق العقل البصير ، ومن هنا كان الجزء تبعا لسدى قبول النفس للمضي في طريق المحبة طيبة كانت او خبيثة (٢٠) . ودانتى في حوار حول اثر الكواكب والنجوم والافلاك في حظوظ الناس منذ ميلادهم حتى موتهم ، ينكر كالقديس اوغسطين اثر هذه الاجرام السماوية في مصائر الناس ، وهو في هذا يتحدث عن نقطتين خطيرتين : الاولى : هي يقين الإرادة الانسانية التي هي مناط المسؤولية الاخلاقية . الثانية : ما يسميه بوفرة النعم الالهية التي هي فوق البصائر والمدركات الانسانية . وهي ما يسميه بلاسفة الاسلام بالتوفيق الالهي والطف الالهي فيما نعتقد (٢١) .

عند اليوت

ذكرنا مع « دانتى » ، ان اليوت في مقالاته المختارة وغيرها ، يؤكد انه نائر فيما نائر بالكوميديا الالهية في صياغة كثير من اعماله للمحبة المسرحية وغير المسرحية . فاذا اردنا التحديد الدقيق فانه يمكننا ان نقف قليلا عند بعض فقرات من روايته الخالدات : الارض الخراب ، ورماد الاربعاء ، والرباعيات ، تلك التي تفيض بالروح الفلسفية المتاملة الناقدة .

اما الارض الخراب The Waste Land فهي اعظم ملاحم القرن العشرين . فيها يجسم اليوت ما نعانى من يأس وفنوط ، وما نحبس به من آمال خادعة ، وبعد عن حقيقة الحياة ، وجعل بأسرار الكون وجوه الوجود ، وانقسام في عرى المعارف والمدركات ، وخلط بين الحقيقة والخيال (٢٢) .

وقد صيغت هذه الملحمة الشعرية الرائعة في قالب موضوعي ، قوامه التعادل ، بين الفكر الفلسفي والعاطفة الجياشة ، وتخطت محاولته ميدان الادب الانجليزي كلغة لهذه الملحمة ، لتشمل الفكر الصالسي الغربي والشرقي والعربي جميعا . وقد كتبت هذه الملحمة عام ١٩٢١ وظهرت عام ١٩٢٢ . كتبها اليوت في « لوزان » بسويسرا حين ذهب اليها للاستشفاء شتاء ١٩٢١ .

والارض الخراب في نظر اليوت هي اوربوالحديثه ، وسكانها هم الذين يكونون المجتمع الاوروبي بعد الحرب العالمية الاولى ، التي اخلفت انحلالا رهيبا في الاخلاق . وبعدا فاحشا من مقومات الحياة الصحية ، واما انما اعنى بقوة المادة ، وتدهورا فظيما في القيم الروحية . وقد اعترف اليوت ، بان كتابين رائعين كان لهما اثرهما المباشر من الناحية الوجدانية والفكرية في بث هذه الملحمة وصياغتها ، وهما كتاب جيسي وستون عن اسطورة الاناء الطاهر ، وكتاب النص الذهبي الذي كتبه جيمس فريزر عن آلهة القدماء تموز البابلي ، وادونيس الفينيقي ، واويزريس المصري (٢٣) .

في بداية الملحمة ، وسكان الارض الخراب يتمتعون لانفسهم الموت العاجل ، يصور لنا اليوت ، انحدار الحياة ، الى الهاوية التعمسة ، حيث لم يعد هناك شيء به رمق من قدرة ، على ممارسة الحياة ، اي حياة .. حيث يقول : « ان ابريل اشد الشهور قساوة فيه تخرج زهور اليلك من الارض الموات » .

فاذا توقفنا عند نهاية المقاطع الاخيرة من الملحمة وهي التي اطلق عليها اليوت عنوان « ما قاله الرعد » ، تعرفنا على تايبرزاس الرحالة الذي يشبه اسمه ، وتعامل روحه ، اسم وروح الكاهن الاعمي تيريزاس كاهن سوفوكليس ، في روايته الخالدة « اوديب » .. حيث يهمس اليوت في ازوع صورة ، على مشافى الهابات بعد طول طواف ...

« .. بعد ان لقت المشاعل وهجها الاحمر

على الوجوه التي تتصيب عرقا ..

بعد السكون المطبق في الحدائق ..

بعد الآلام المبررة قرب الصخور الحجرية الصلبة

ثم العويل ... والصراخ ..

في السجون والقصور ...

قصص الرعد وهو يتردد صدها على الجبال البعيدة

الآن : قد مات ، من كان حيا !

ونحن الذين كنا احياء ... نموت الآن ..

في تباطؤ ثقيل .. قصير الاجل .. (٢٤) .

ومن الواضح ان الفقرات الاخيرة من ملحمة الارض

(١٧) القديس توما الاكويني S. Aq. Sum Theol. Ixxv 416

وانظر ايضا القديس اوغسطين مدينة الله على استنشاء كامل

كمصدر دليلى للاكويني ولايوت معا .

(١٨) - (٢٠) دانتى : التجميع : الترجمة العربية الانشودة

١٧ فقرة ١٠ ، والانشودة ١٨ الفقرات ٥٥ - ٦٧ وانظر للمقارنة والربط

الفردوس لدانتى الترجمة العربية ١٩/٧ وانظر الاكويني المصدر السابق

وانظر باللات نظرية سقراط في الفطنة والمعرفة : محاورات الاطالون :

ترجمة استاذنا العالم الجليل الدكتور زكي نجيب محمود .

(٢١) دانتى : المظهر فقرة ٧١ من الترجمة العربية للدكتور حسن عثمان .

الخراب تشبه الى حد كبير نهاية تراويل المطهر لدانتي في الكوميديا الالهية ، حيث يقول تيرزياس مع اليوت ، كما كان يقول فرجيل لدانتي عند النهاية ..
وجلس على الشاطئ

ثم القيت شياكي وخلفي الساحل القاحل ..
ترى هل في وسعي ان ابعث قدرا من النظام في هذه الارض ؟
لقد تدامت قطرة « لندن » ثم هوت وسقطت ..

اما هو فقد القى بنفسه
وسط النيران التي تطهر النفس ..

اوه .. ايها العصفور ...
متى اصير مثلك ...

اعطوا بسخاء ...
كونوا رحماء ...

واكبحوا جماح نفوسكم ...
واسمعوا نحو السلام ...

السلام الذي يفوق العقل ...
السلام الذي يفوق الادراك ..
السلام الذي لا يحد ..

كان الراعي الصالح قد فشل في تحرير وتطهير الارض الخراب من عذاباتها ، وبعت الحياة في جنبايتها ..
فخرج الى الشاطئ ليصطاد سمكا .. بينما كان الجسر قد هوى ، ثم سقط الى الحضيض كرمز لضياح المدينة الأوروبية ، تلك التي شيدت على صروح ماثوية فخرها سوس الضياع .. واذن فلا نجاة لاوربا الارض الخراب ، الا بالرجوع الصحيح الى نور المثل العليا ، ولا بد من التطهر عبر الاحتراق في نيران الندم والتوبة ..

ان هذا الذي يقوله اليوت ، هو هو ما يهتف به دانتي على لسان صاحبه « دانيال » في نهايات المطهر ..

من اجل هذا الصلاح
الصلاح الذي يودك الى اعلى درجات السلم

ارجو ان تذكر آلامي في الوقت المناسب
ثم غاص مرة اخرى في النيران

النيران التي تطهر الجميع .. (٢٥) .

ويعود اليوت كما عاد دانتي من رحلة الجحيم الى المطهر .. يعود اليوت من رحلة الارض الخراب ، الى نسيمات وضئبة ندية ... حتى ان الربيع التي كانت تعبت فسادا في الارض الخراب ، عادت مع « رماد الاربعاء » الى نسيمات هادئات ناعمت من نسيمات الخلود ..

... من هنا اخذت العظام تفني

وهي تستقبل عبير الحياة الاخرى

من جنة الله ...

وتقول فيما تقول ...

انها نهاية لا اخر لها ..

انها رحلة بلا نهاية ...

ختام كل ما ليست له خاتمة

حديث بلا كلمة

وكلمة بلا حديث ... (٢٦) .

فاذا وصلنا في النهاية مع « اليوت » الى رباعياته ، وجدنا انها تمثل المرحلة الاخيرة من النضج الفكري والتصفو معا .. انه يطوف بنا في عوالم من التصوف الهندي ، الى التأمل الفلسفي الاغريقي .. ومن معتقدات اوربا الحديثة الى الفلسفات الحديثة .. (٢٧) .

في بداية الرباعيات يتحدث عن الزمن فيذكرنا بفلسفة « اوغسطين » حين يقول في اعترافاته الخالدة :
ان الماضي هو الحاضر بالتذكر ، والمستقبل هو الحاضر ايضا بالتطلع والتوقع ..
يقول « اليوت » ...

الزمان الحاضر والزمان الماضي ..

كلاهما قائم موجود حي ...

في الزمان المستقبل ...

كما ان المستقبل ...

يضمه الزمان الماضي ..

وهناك عند مشارف الجنان الخالدات يعبر بنسا الطريق الى عالم الخلود حيث يؤكد لنا اليوت انه يعرف - من قبل - هذا المكان قبل ان يترك حجب المادة او الجسد ، لانه عاشه وراه في لحاح روحه المشرقة ، تلك التي ارتفعت عن مواطء اقدام الواقع الارض الدنيوي ..
ان وقع الاقدام يتردد في مخيلتي
وقد احببنا ان ذلك الممر الذي لم نعهده من قبل ..
لكننا عرفناه ...

هناك هناك عند الباب الذي لم يسبق لنا

... ان طرفناه ...

واذن لا حل لنا ، اذا عدنا من رحلة النقاء والطهارة ، الى ارض الواقع ، الا بالتشبيث المطلق ، بالنور الازلي الممتد في اعماقنا نحو ، الشجرة الالهية ، والينبوع الروحاني ، ولا حل الا بالعمل الدائب لخدمة الانسان في كل مكان وزمان ، سعيا منا - كما يقول اليوت ودانتي - الى تحقيق الغاية العليا من حيائنا ووجودنا . ان اليوت ودانتي هنا ، وغيرهم ممن عاشوا فكرتهم في مختلف الدوائر ، يدركونا بزرادشت القديم الجيد ، في رحلانه عبر الفكر الانساني ، مع امثال نيتهه والسورمان ، ومع رحلة النبي المصطفى ، مع جبران خليل جبران .

يقول « اليوت » ...

ان المحبة قلما تتغير ...

طلما انه لا يعيننا الان هذا المكان وحاضره ..

(٢٢) المذكور فائق متى : اليوت ١٠٠ / ٩٦ .

(٢٣) اليوت المقالات المختارة النص ٢٢ - ٢٠ .

(٢٤) - (٢٥) اليوت : ملحمة الارض الخراب .

(٢٦) - (٢٨) اليوت : الرباعيات .

عودة الرؤى

احقا ، حبيبي ، عدنا التقينا ؟ احقا ؟ وعادت رؤانا الينا
وعاد الجمال يطل سنيا كما كان .. عاد يطل علينا
وعاد الربيع ؟ وعادت طيور الربيع تفني هوانا لدينا
تفنيه أنا وأنا تصفق جلى .. وتمضي ، اذا ما انتشينا
وتمضي لتروي حديثا يطول عن الشوق .. والشوق في خافقنا
وتمضي لتثر عطرا يفوق نقيًا تقطر من مهجتنا
وهلا نسمات ذاك الفدير ، اذكر .. هلا ستفهو الينا
اذا ما وردنا هناك ، حبيبي ، نصافح ماء الفدير اللجينا
اذا ما خطرنا هناك تصافح تلك الجنان سنا مقلتنا
وكيف استعزنا بشع الصباح وكل الظلال تميل علينا
حبيبي ، وبدر الاماسي هلا سيجعل ، كالامس ، في ناظرنا
ويرنو طويلًا .. وترنو النجوم .. ويصت ليل الي ما روينا
تهمد سمعي ، حبيبي ، بهمس يدغدغ قلبا .. ويدمع عينا
واغفو .. وتصحو رؤاي تفيب دنياي .. لم ادر كيف وابنا
احقا ، حبيبي ، عدنا التقينا ؟ احقا ؟ وعادت رؤانا الينا
وعاد الجمال يطل سنيا كما كان .. عاد يطل علينا

اميرة الخوماتي

من خلال الزمهرين القائم والدمار الفارغ ..
ها هي الموجة تنادي .
والرياح تصيح ...
ان بدايتي في منتهي ... (٢٨) .

عبد القادر محمود

الخرطوم

وعلى الشيوخ ان يواصلوا كشفهم ...
فهنا وهناك اصبحت امور عديمة الجدوى ..
وعليتنا ان نواصل جهادنا ...
نحو صراع آخر ..
من اجل وحدة كبرى
وصلة اكثر عمقا

تفعلون طوال النهار ؟ ما زلتكم تقضون ايامكم بلا عمل . تقضونها بالاحاديث الفارغة ، والروايات المكتوبة ، والافتراء على الآخرين ، ونهش اعراسهم وتشويه سمعتهم !

قل لي ، انت هناك ، انت الذي يتقنبني بنظراته ، هل حافظت على سمعتي خلال فترة غيابي ؟ هل فكرت في ان تكتب الي رسالة تسال فيها عن احوالي ، وتخبرني بما يحدث في القرية او في البلاد ؟ كم مرة خطر اسمي ببالك ؟ وماذا كنت تقول فسي كل مرة ؟ انك لا تجرؤ ان تجيب .

ساجيب انا عنك :
- مرة ، قلت : « لا رده الله ، فلقد كان مزعجا الى ابعد الحدود » .
ومرة اخرى ، هل تذكر ؟ - قلت : « كم اكون سعيدا لو اتاني نيا وفاته ، اذن لتخلصت من الاهتمام به ، ولاستوليت على ارضه وبيته .. » .
ومرة ثالثة كنت تقوم بالاعتداء على حقوق جارك فلمحت صورتي فسي مخيلتك فانزلت علي اللعنات واتنت تقول لنفسك : « الحمد لله الذي خلصنا منه . لو كان هنا الان لما استطعت ان افعل ما افعله ، ولكن خاصمتني وقاومتني وازعج اذنسي بمواعظه ودروسه الاخلاقية » .

وانت ، ياسيدي العظيمة ، انت التي تترقق الدفعة في عينيه لشدة فرحها بعودتي ، وتكاد نظراتها تعريني من ثيابي ، انت ، كيف تصرفت بغياي : يوم زوجت ابنتك السكينة لرجل في عمر والدها او جدنا ، يوم بعته اياه بالقرود غير مكتوبة احتجاجا وبكائها ، يومذاك كنت اسعد الناس لانني كنت غالبا ، لانني « كثير غلبة » لا يمكن ان اسكت على مثل هذه الفعلة الشنعاء . ويوم ماتت السكينة فجأة وفدنتموها ، حمدت الله الف مرة لانني لم اكن هنا ، وقد قلت : « لو كان هنا لما ترك المسألة تمر : كان استدعى الشرطة والطبيب الشرعي والقاضي لمعرفة اسباب الوفاة . وما اسهل اكتشاف الزنيخ

في العراء ، على حفافي الطرق العامة ! لا تصورون كم مرة شتمتني سيدة عرضت عليها البضاعة التي احملها على ظهري ! وكم مرة صفعتني رجل تجرات على مطالبته بدين لي مستحق اننا « التوركو » المزدول المحقر ، قبل ان تجيء حرب تشرين فترفعني الى المستوى اللائق بي بين الشعوب . كل واحد منكم يجلس امامي صامتا محمدا بي بعينين بلهاويسن تحاولان اختراقني من كل الجوانب : وعشا ابحت في اعماق عيونكم عن سؤال عاطف ، سؤال مجسرد عن المصلحة : هل انت مرتاح ؟ هل انت سعيد ؟ لا ! ان هذا السؤال لا يخطر لك ببال . كل واحد منكم يسال عما جلبت له معي من هدايا او تقود .



يقلم سعيد ابو الحسن

الصقيع الذي كان ياكل عظامي لا تعرفونه ولا يهتمكم ان تعرفوه : صقيع الليالي الباردة ، وصقيع العيون والقلوب القاسية الفارغة من كل عطف التي تجعد الانسان ، وتحيله عمودا من جليد ، مصلوبا على مفارق الدروب ، عرضة لكل ضروب الازدراء والبغضاء .

لا ! لن ادعمكم تملكونني هكذا ، بكل بساطة ! لن ادعمكم تستولون علي بهذه النظرات المقتنحة ! انا الذي سيتولى استجوابكم : قولوا لي ماذا



ها انا اذا اخيرا بينكم . وهرعتم كلكم لاستقبالي . حينما غادرتكم مكرها لم تكونوا في وداعي . ولماذا تدعونني وانا الهارب المنهزم في معركة الحياة في بلدي ؟ هزمت لان احدا منكم لم يقدم لي مساعدة . لم ينظر الي احد منكم نظرة حب واحدة ، على الاقل . كنتم تروني اصارع الفقر والالسم والبؤس القاتم فتشبحون عني ، وكان امري لا يعنيكم - كانت نظراتكم تدل على الحقد والتشفي - انكم لا تغفرون لواحد من صفوكم تطلعه الى افق ابعد من افقكم الحدود . وحينما ينكب ، بسبب من خدمته مصالحكم ، وتفاين من اجلكم ، تصبون عليه اللعنات :

- دعوه لنرى ما هو مستطيع ان يفعل !

- النملة عندما تقرر الطيعة ان تهللكها تنبت لها جناحين !

- لم يعرف قدره فدعوه يواجه قدره !

- اراد ان يغير الواقع فانظروا كيف يسحّته الواقع .. !

هذه نماذج قليلة من الافوال التي كنت اسمعها او اسمع بها يوم حرمت امري وقررت المغادرة .

وها انتم اليوم تهرعون لاستقبالي . فقد سبقني اليكم اخبار الثورة والواجبة - انكم لا تستقبلوني بل تستقبلون المال . انتم لا تكرمونني ولكن تكرمون الفائدة التي تأملون ان تناولها مني - الذبيحة التسي تدبحونها لتطعموني تحسبون ما ستناولونه مني مقابلها - انا الذبيحة الكبرى ، لا استحق منكم ذبيحة خالصة لوجه الله ..

اني اخترت نظراتكم المتصالية على وجهي لتسبر غور تفكيري . انها لا ترى غير قيافتي النظيفة وصحتي الظاهرة : اني لها ان تبصر جراحي العميقة التي لا تندمل ، جراح الروح ، جراح الانفة والكرامة : انكسم لا تصورون كم لاقيت من اذى في ديار الغربة : لا تصورون كيف كنت انام

الاباء

نزلت بي المصائب اشكالا والوانا . لحافقتني على كرامتي ، وترفمي عن بذل ماء الوجه ،
والايات الانية لمة تلك الازمة النفسية .

اتلقاه ثابت الاعصاب
دوما بهرقات الصعاب
تك صخابة كموج العباب
في اترايا يطيق هجر الصحاب

مرجبا بالمصاب تلو المصاب
وعلى الثغر بسمة تلعن الفظة
لم ترق لي نواذب الدهر ما لم
اصبحت صاحبي الاثر ، ومن ذا

ورفاقي لا يعلمون بما بي
كاغدي ما الم بي من عذاب
ابى ان يقبى وراء حجاب
فتلاها كقارء من كتاب

بي من الهم ما يززع وضوى
والقوافي كادت تنوء ببشي
صنت همي عن الورى ، لكن الشعر
فابحت القرى اسرار نفسي

وشقاء موطد الاطناب
فذاقوا منه اجاج الشراب
عزة النفس بالفنى الكذاب
في التريا ، والحظ تحت التراب

ان مهر الابهاء بؤس عضال
الف الناس جلهم رقة الذل
ملاوا الراح بالنضار ، وباعوا
وابيت الصغار ، فالنفس باتت

محمد العناني

تحدثوا في هكذا ، لا تنكأوا جراحي
هكذا ! يا اولاد الاناعي ، انا لم يبق
لدي وقت كاف لتلقي طعناتكم ،
وسماع اكاذيبكم ، فانا عائد الى البلاد
التي احتقرتني في البداية ، لانها لم
تكن تعرفني ، ثم كرمتني لا عرفتي،
وقدرت عملي وكافتني عليه مكافاة
مجزية ، وقد خرج اهله لوداعسي
وهم لا يعتقدون انني ساعود ،
وسيستقبلوني وهم اشد ابتهاجا
حين يعرفون انني عدت اليهم ، مع
ان احدا منهم لا ينتظر مني هدية ولا
حين غني الاهل ، والاعمال والمواقف
هي التي تميز الاهل من غير الاهل ،
وهم قد اقاموا البراهين على محبتهم
الخالصة : قاتسوا وحشني ،
وقدروا صفاتي واعمال ، واحترموني
حيا وسيحترموني ميتا ، اجل
ساعود لان لي دوتكم اهلين امناء ،
احب ان اموت بينهم ..

اناس آخرون ... لقد صممتي الخير ،
يا ايها القريب المحترم ، ليس لانني
اؤمن بتكريم العظام ، وانا اعلم انه
ليس في القبر سواها ، ولكن لانني
اكره العيب بالعظام ، واكره من يعيب
بالعظام . واكره قبل هذا وفوق
هذا ان يفعل هذا الفعل القبيح حين
غيابي ، ومع العلم الاكيد بانه سيء
الي اساءة بالغة ، ويجرحني نفسي
الصميم ، ويؤلني ايلاما لا توصف
حده ، ولا يطفئه اواره حتى
المات !.. اجل ايها الملك الحارس ،
المقرط بالامانة ، اعرف كل ما فعلت
خلال غيابي ، فلا تتظاهر بهـذه
البراة ، ولا تتفادح في التبييس
عن العواطف ، فالاعمال ما زالت
افصح وابلغ من الاقوال ! ..

وانتم جميعا ، ايها الحاضرون -
الغائبون ، ايها الذين ساهموا
بالحضور ، والصمت ، وعدم ابداء
اي رفض او احتجاج - على الاقل -
انتم جميعا شركاء في الجريمة ، فلا

في الامعاء ! .. » .

- والان جاء دورك انت ، ايها
القريب العزيز ، انت المحب المتفاني ،
انت الملاك الحارس ، للاحياء
والاموات ، للغائبين والحاضرين ..
اراك تبالغ في الحديث عن المحبة
والامانة ، والشوق الشديد ، والتقدير
الصادق للمزايا والاخلاق ، انك
تخفي سرا خطيرا ، انك قمت بعمل
قبيح ، اتبع عمل يمكن ان يقدم
عليه انسان . لقد تركت حين
مغادرتي القرية بقعة غالية ، مدفنا
واريت فيه جسماني والذي الجببين،
وقد توفي والذي بسبب من ظلم
دهره ومجتمعه ، وذوي قرباه ،
ولحقت به والذي بعد بضعة سنوات .
تركت تلك البقعة على امل ان اعود
وانا قادر على بناء اثر تذكاري ، مدفنا
يليق بالوالدين العزيرين ، ولسدي
عودتي اخبرني بعض الجيران ان
عظام الوالدين قد نقلت الى مكان
آخر وان ذلك قد تم ليدفن مكانهما

سعيد ابو الحسن

دمشق

التجديد في الشعر السعودي

من خلال ديوان « جدران الصمت »

بقلم الدكتور بكرى شيخ أمين

• • •

لئن كان تاريخ الادب العربي يحتفظ في انصع صفحاته بروائع شعراء الجزيرة العربية كأمراء القيس والنابسة وزهير الاعشى، وحسان بن ثابت، وابن ابي ربيعة، وجبيل بن معمر، والاخلط وجريز والفرزدق وسواهم، انه ليسجل كذلك ان موكب القول الجميل، والكلمة المبنحة غابت عن هذه الجزيرة حينما من الدهر، ولملت في سماء غير سمائها ثم لم تعد اليها مرة اخرى الا منذ عهد قريب، يوم بزغت انوار شمس النهضة الادبية، واشرقت فوق ربوع الشرق العربي، وقد كان للجزيرة من هذه الانوار حظ وفير.

والظاهرة التي تسترعي الانتباه، وتشد الاهتمام، بل تستدعي الدراسة والتحليل هي ان نتاج الجزيرة العربية الشعري لم يكن في العصور الخوالي الا شعرا عموديا، عروضا محافظا على الوزن والقافية، والروي، ونهج القصيد، لم يشذ عن هذه القواعد احد ولا خرج عليها شاعر.

اما ابناؤها اليوم من الشعراء فهم على اشكال وضوابط منهم من ينهج نهج القدماء، ومنهم من حافظ على الشكل شيئا بشير وذراعا بلذرا، ومنهم من حافظ على الشكل وجدد في الصورة، ومنهم من تمرد على هذا وتلك، وابتعد قصيا عن مهيج القدماء في كل عناصر القصيد.

ومن هذا الفريق الاخير شاعرنا اليوم محمد العامر

الرييح في ديوانه الرمزي الجديد « جدران الصمت ».

ان قارئ هذا الديوان يحس اول ما يبدا قراءته ان بصمات واضحة لبودليز، ورامبو، وسواه من شعراء الغرب الرمزيين قد تركت آثارها في قصائده وان اراء كثيرة من نيتشه وشوبنهاور قد انتقلت الى الديوان، وان الشاعر متأثرا تأثيرا بينا بالادب الغربي لا يقل عن تأثره بالادب العربي التقليد، وان هذه الاشكال والصور الغربية قد تسربت الى شعراء الشام ومصر ولبنان والعراق فحسب، بل امتدت حتى الى ابناء الجزيرة العربية، وغزتهم في عقر دارهم.

لسنا نريد في عرض هذا الديوان ان نقوم هذه الانجازات. ونحكم لهذه المذاهب او عليها وانما نريد ان نضع في الاذهان صورة لديوان رمزي جديد، صدر عن

• اذيت من القسم العربي في راديو لندن في ٢٠ - ١١ - ١٩٧٤ •

شاعر من الجزيرة العربية ذاتها، وهذا هو الحدث الذي يستحق العرض والاهتمام والحديث.

وقد دافع الشاعر عن اتجاهه دفاعا حارا في مقدمة « جدران الصمت » وفي كتاب له صادر في العام القائل بعنوان « قراءات معاصرة ». ومما جاء في دفاعه عن هذا الاتجاه قوله :

« في الحقيقة ليس هناك شعر عروضي، وشعر حر بقدر ما يكون هناك شعر جيد وشعر ردي. وأنا شخصيا - يقول الريح - احترم تجربة الشاعر اذا استطاع ان يجعلني كقارئ - انحسبها معه وانثر بها، كما لو كانت تجربتي انا بالذات، دون ان انظر الى قالب او الشكل الذي قدم الشاعر فيها تجربته، سواء اقدمها الي بطريقة الشعر العروضي المقتضى الموزون ام بطريقة الشعر المتشرد على القافية والوزن. الالم من كل شيء هو قدرة الشاعر على نقل تجربته وانفعالاته، بصرف النظر عن قالب والشكل والاسلوب، فالشعر ليس هندسة وتكنيكاً وتخطيطاً، والذين يهاجمون الشعر الجديد في هذه الايام مخطئون، والمضحك ان معظم هؤلاء لا يفرقون بين الشعر الحر الذي يحتفظ بالموسيقى، وبالبقاء النغمي للشعر، وبين ما يسمى بالشعر المنثور ».

ويضيف الى ذلك قوله : « ان الشكل التقليدي للقصيدة قد جاء مناسباً لحياة الشاعر الجاهلي، ولتجارب عصره، وبيننا علينا نحن ان نبذل لنا اشكالا تناسب ذواقع حياتنا، وتجارب عصرنا. ان الشعر العربي القديم شعر (مقلد) وما نسبته بالشعر الحر هو الشعر (المتفتح) الصاعد ابداً ».

ويبلغ الاستاذ الريح قمة نظريته حين يقول : « اعطني الفكرة الجميلة، والصورة الجميلة، والتجربة الصادقة في اي لون من الوان الكلام لا قول لك : هذا شعر، واعطني الصخب والفرقة والزئير الاجوف في اي اسلوب من اساليب (النظم) لا قول لك : هذا هذيان ».

تلك هي خلاصة رايه في الشعر العروضي. والشعر الحر ويبدو ان مثل هذه الآراء يدين بها عدد من العلماء والناقدين، فقلد كتب الدكتور محمد مندور - رحمه الله - مقالا اشاد فيه بشعر الريح واتجاهه، ووصفه بالشاعر الممتاز، كما نقل الدكتور محمد عبد المنعم خلفي الى عدد من مؤلفاته كثيرا من آراء الريح وشعره، وضرب بهامثل على جمال الشعر الحر الجديد، ونجاحه في التعبير عن التجربة الانسانية النجاة الكبير.

ولعلنا لو قدما باقة من « جدران الصمت » لكان فيها القول الفصل، والشاهد الحق على ما وصف الدكتور مندور وما اشاد الدكتور خلفي.

فهي قصيدة عنوانها « نداء الحياة » يقول :

آه

وذاب الصدى

يقول :

أخي .. يا أخي .. أن هذي يدي
فهاث يدك
وهيا معي
إلى المعترك
هيا معي ..
لا ترتبك

هيا معي .. إلى كل أرض
بخاصها المستعمر

في القدس .. في تونس .. في القنّال

ولو رافقنا الشاعر الريح في كل قصائده لتبين لنا
بوضوح أنه من شعراء العرب القلائل الذين تفاعلوا مع
روح العصر ، ولكن الصفة الغالبة في معظم قصائده « جدران
الصمت » هي الروح التشاؤمية التي غلفت كل بيت من
كل قصيدة في ديوانه مما يدلنا على أن الشاعر الريح لا بد
وأن يكون قد مر بحياته بأشكال متنوعة من الحرمان واليأس
والعذاب النفسي ، وهذه الاشكال الحيوية أو النفسية كان
قد مر بها قبله شعراء كبار تأثر بهم شاعرنا السعودي من
أمثال بودلير ورامبو وفرلين ونيتشه واليوت وكيتس ولهذا
فقد كان الطابع السائد الذي طغى على سمات شعره هو
طابع الحزن والموت والعذاب والحرمان والوحدة ، وهذه
السمات تكون في الغالب من العوامل المؤثرة التي إذا ابتلي بها
شاعر أو فنان أعطته قدرة لا محدودة على الإنتاج والإبداع .
ومن أدوع شعر الريح الذي يؤكد نجاحه كشاعر
رمزي رومانسي قصيدته «موت وحيدا » ومنها :

وحيد أنا ..

إبسم عمري كلها ظلام

وأدمع وقلق .. واغتصاصة ابتسام

أحاول أهرب من نفسي

من عالمي الأسود ..

من قلقي ..

إلى أي .. أي مكان

أفتش عن درب يوصلني

عن سحابة تعطرني

في أي .. أي مكان

أحاول أبحث عن أجنحة أركبها

تعبير بي الافاق إلى أي مكان في الدنيا

أي مكان ..

أحاول أبحث عن إنسان يحيا معي

يشاركني قلقي

أي إنسان ..

وهناك بين ثنايا هذا الديوان قصائد عدة تمتاز بهذا
الصدق الشعوري الذي يؤكد أن صاحب « جدران الصمت »
شاعر فتح قلبه وصدره للعالم الجديد دون أن يفقد أصالته
أو أرومته .

بكري شيخ امين

رأية حلم

●

انتهى الحلم وصار الحلم عند الصبح

اشلاء نهاس

هل ترانا قد مللناه سوبا

هل مللنا السوسن الضاحك من بعد

اشتياق

هل تركناه ، سحقناه بحقيق

ومضينا

ليس يعنينا ، كما يبدو ، بقاء الحلم

يوما

بعد هذا اليوم الا ان نعيد الحلم

تكرارا مملًا

يمسخ الامس ويجثو في تراخ

عند اقدام ضياع ورماد

هكذا الحلم تراءى

هكذا الحلم توارى

ثم ضعنا في زحام

وانتهينا

آه يا دنياي كم قلنا وكم ذقنا ...

وكان القول ، كان الذوق ، كان

الامس حلوا

لم يا دنياي رمناه حطاما وهشما

تعبت الريح باناث خطاه

لم دسنا جنة السوسن حمقا

وتركنا الحلم بهوي

من يدينا

جامعة الاسكندرية لطفي عبد اتوهاب يحيى

فأسرعت في حذر وإرتياب

أفتش عنه هنا .. وهناك

ولكن .. وبسا للآسى لم أجد

هناك .. غير السكون العميق

فعدت مع الليل .. أطوي الطريق

وحيدا إلى القرية الخالصة

وحيدا .. بلا صاحب أو رفيق

وفي شفتي .. نداء جريح

نداء الحياة ...

لقلي الدبيب !!

و في أخرى نظمها عام ١٩٥٤ عنوانها « إلى المعترك »

ابنه « اكرم » وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ ، غير ان هذا الوليد لم يبق في تلك المدينة الا اشهرًا ، اذ انتقل مع والدته الى بغداد ، وهناك في كف خاله « فؤاد افندي السنية » شب وترعرع ، ولما بلغ مبلغ الصبيان ، دخل مدرسة الفضل الابتدائية واكمل دراسته فيها ، وسارع بعد ذلك بدخول المدرسة الثانوية التي كانت قد فتحت ابوابها حديثا في بغداد .

وفي الوقت الذي كان يدرس في هذه المدرسة ، كان يتلقى على العلامة المرحوم الشيخ عبد الوهاب النائب ، والعلامة المرحوم الشيخ قاسم القيسي ، قسطا من علوم العربية ، وقد احب وهو في هذه السن ، الشعر ، ومال اليه وراح يحرب حظه في ممارسته بالرغم من قلة بضاعته فيه .

الافادة من الزهاوي :

ورغبة منه في صقل موهبته الشعرية واستكمال عدته في نظم الشعر ، قرر الاتصال بشاعر العراق الكبير المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، ولازمه مع غيره من شعراء الشباب ، ملازمة طويلة ، كان يرجع اليه خلالها في قراءته لشرح ديوان المتنبي للعكبري ، وشرح ديوان الحماسة لابي تمام ، ويعرض عليه ما كان ينظم من شعر ، ليسمع رايه فيه ، وباخذ بما يبيده من تصحيح وتوجيه ، وقد افاد من هذه الملازمة فائدة كبيرة ، بدا اثرها واضحا في شعره وقصائده التي نظمها بعد ذلك .

شاعر الشباب : وقد اخذ هذا الشاب منذ ان كان طالبا في المدرسة الثانوية ، بنشر بعض المقطعات والقصائد على صفحات الجرائد والمجلات العراقية ، حتى اذا وجدت فيه هذه الصحف ، شاعرا رقيقا ، منحتة لقب « شاعر الشباب » بعد ان كان (شعراء الشيوخ) يملأون اعمدها بالقصائد العديدة . وقد ترك هذا اللقب اثرا كبيرا في نفسه ، حمله على الاجادة في النظم ليكون عند حسن ظنها فيه ، وبقي معتزا بهذا اللقب حتى اخر لحظة من حياته !

ومن طرف ما قرأته في هذا الصدد ، ما دار بينه وبين الشاعر الشيخ كاظم السوداني ، عندما كان شاعرا قائما لقضاء ابي صغير . فقد خاطبه السوداني متساللا : (شاعر الشباب) فيه تسعي (و شاعر الشيوخ) ادبي اتنا اتنا وانت فيه ، كل يسعي (فمن ترى يحكم بالفضل لنا فاجابه على البديهة قائلا :

حكومة الفضل انت قائلتة ومصد لي ولكم فيها غنى
الفضل للاثنتين فيما قصدا انت الذي استت والبياتي اتنا
وهكذا استمر شاعرا على نظم الشعر ، واخذ يبعث بقتضائه الى عدد من المجلات في مصر ولبنان ، ويات اسمه معروفا لدى القراء العرب !

في دنيا الوظيفة : لقد كان مفروضا ان يشم هذا الشاب النابه دراسته العالية ، لكن حظه السيء ، حكم



عبد الرزاق الهلالي

شعراء من العراق

أكرم احمد

١٣٢٤ هـ - ١٣٨٨ هـ

١٩٠٦ م - ١٩٦٨ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

توطئة : ان هذا الشاعر الذي تقدمه اليوم ، من الشعراء العراقيين الذين لمع اسمهم في اوائل العشرينات من هذا القرن ، حين اخذ وهو طالب في المدرسة الثانوية في بغداد ، ينشر ما ينظم من مقطعات وقصائد في شتى المقاصد والاغراض ، على صفحات جرائد ومجلات العراق ، ومن الجدير بالذكر ان هذا الشاعر الشاب شق طريقه في ميدان الشعر في الوقت الذي كان هذا الميدان حكرا على شعر شاعري العراق الكبيرين الرصافي والزهاوي وغيرهما من شيوخ الشعر في العراق آنذاك ، ولنشاطه الملحوظ فيه ، منحتة الصحافة لقب « شاعر الشباب » وقد بقي معتزا بهذا اللقب حتى اخر لحظة من حياته ، فمن هو هذا الشاعر يا ترى !!

اكرم احمد : هو اكرم بن احمد بن توفيق البغدادي كان والده من موظفي الحكومة ينتقل بحكم عمله من مدينة الى اخرى ، وحين كان في مدينة البصرة ولد له فيها

عليه بأن يفقد والده وهو في الصف الأخير من المدرسة الثانوية ، ولما لم يكن له ولوالدته ، من يساعدهما على مغالبة مناعب هذه الحياة ، اضطر على ترك الدراسة وعين كاتباً في مديرية السجون العامة سنة ١٩٢٧ ، واخذ منذ ذلك التاريخ يتدرج في سلك الوظيفة ، ويشغل مناصب مختلفة منها ، حتى انتهى به المطاف الى اشغال منصب (متصرف) وهو أعلى منصب في سلك الإدارة . وبقي فيه حتى عام ١٩٥٦ ، حيث أحل على التقاعد ، بعد أن ظل في دنيا الوظيفة حوالي ثلاثين عاماً .

ولكن الذي يلاحظ ، أنه خلال هذه السنين الطويلة ، لم يكن بعيداً عن حلبة الشعر والأدب ، بل على العكس من ذلك ، كان على صلة وثيقة بهما ، نشرت له الصحف والمجلات العراقية والعربية كثيراً من القصائد والمقطعات الرقيقة !

الوفاء للزهاوي : قلنا ان هذا الشاب ، لازم الأستاذ الزهاوي ، ملازمة الطالب لاستاذ ، وقد حدثت بعد ذلك كما هو معروف ، القطيعة بين الزهاوي والرفاعي ، فانقسم ادباء بغداد وشعراؤها ، الى فريقين ، كل فريق يناصر الشاعر الذي انحاز اليه ، فكان منطقياً ، ان يقف اكرم احمد في صف استاذ الزهاوي ، يدافع عنه ، ويرد عنه كيد الخصوم ، لا فرق في أن يكون ذلك الدفاع شعراً أم نثراً ، ولا بلغ الهجوم على استاذهم حداً لا يطلق ، نكلم قصيدة طويلة نشرها على صفحات جريدة « العراق » يوم (١ - ١٩٢٨) وجهها الى استاذة قال فيها :

مألاً يطبق من البيان لسانني وحولكم ، فقلت لسان لسانني
يا رافعا علم الزهراوي بشعريه يسمى ليرفع راية الاوطان
ان تان صرح الشعر شيد لاسمه ثلاثت شيباؤه وانبت البنياني
مألاً يضي التقد من متفلس شعرا ، اقر بفلسه اللسان
فلقد بنيت بفلس ما يك من فني مجداً للوهم راسخ البنيان
ورفعت شأته بعد براسة امسى وانفذ من شيا المران
لكنهم جهدوا الصنيع وانكسروا ما جئت من فسل ومن احسان
ثم يخاطب استاذة قائلاً :

ما شاب شعرك يا جميل وان بدا فيك الشيب لخلعة الزمان
فلقد قرمت الشعر يسحر بالفا ويربت فيه وانت شيخ فسان
قل للابي يسنون في خلواتهم جهداً بموقفهم صروح اسنان
انا سواء في الحياة والامسا فهد فرقتنا نزعمة الاديبان
شاعر الحب والغزل : ولما كان شاعرنا ، مرهف الحس ، سريع الخاطر ، حاضر البديهة ، فقد كان شعره ، شعراً رائعاً ، وحيث أنه عاش حياته ، عازباً فقد احب حياة الانس والمتعة والطرب ، فلا عجب ان كان من شعراء الحب والغزل والكثير ، ولقد وقفنا ونحن نبحت عن شعره ، على قصائد كثيرة يصف فيها مجالس الانس ومصاحبة الفيد الحسان !

آخر الصفحات : وحين ترك عالم الوظيفة واصبح حراً من قيودها ، كثرت اسفاره الى خارج العراق ، الا ان مقامه في لبنان هو الحبيب الى نفسه اذ طالما تغنى بجماله وجمال طبيعته وجمال غيده وحسانه . وحين كان مقيماً في بيروت في نهاية سنة ١٩٦٨ ،

اصابته نوبة قلبية حادة ادخل على اثرها في المستشفى لاتناذه من هذا الخطر الداهم ، غير ان القدر قد انفذ امره ، ففارق الحياة ومات وله من العمر (٦٢) عاماً . شعره : من المؤسف حقاً ، ان يظل شعر هذا الشاعر متفرقاً لا يجمعه ديوان مطبوع ، وقد قيل انه رحمه الله قد جمع عيون قصائده واعدها للطبع في ديوان يحمل اسمه الا انه لم يتم بذلك ولا ندرى ما حل بهذا الديوان !

وقد وجدنا ونحن ندرس حياة هذا الشاعر ونبحث عن قصائده في الصحف والمجلات . ان الاستاذين الفاضلين ، غازي الكتين وعلي الخافاني قد اسهما مساهمة مشكورة في حفظ بعض قصائده بكتابينهما « شعراء العراق المعاصرون » و « شعراء بغداد » .

ونقدم للقارئ فيما يلي نماذج من شعره للاطلاع على قابليته فيه ، وتقييم العوامل التي دفعت تلك الصحف العراقية على منحه لقب « شاعر الشباب » !!

دمعي يتكلم

نظم هذه القصيدة عندما كان طالباً في المدرسة الثانوية ونشرها في عدد مجلة « الفصيلة » الصادر يوم ٢٦ - ١٩٢٦ :
لا يطيق الجفاء فالقلب مفترس
وسلي قلبني الهوى يتحكم
كم تطلعت في غرامي لخدود
قلبيها مثل صخرة وهو من دم
انا احوال يسا سليمي سواء
كنت تهوينني كذلك ام لم
انني قد سكنت عن بث شكواي
ي ودمعي من مقلي يتكلم
فسا منك في الحية (اكرم)
ما لقلبي اذا فتركت يفتو
ولسانني عند الفكا يتكلم

سئمت حياتي

نظم هذه القصيدة ونشرها في مجلة « البرهان » يوم ١٩٢٧-١٩٢٨ :
لحي الله ذكراً جازيئتي خيبره
عن انسي لست ام ما قد يريه
اذا ما صفا عيشي من الامر ساقه
تكر عاماً بالهموم تشبويه
وكم وقع انخي على يسيني
فكان جوابي انني لا اجيبه
وما غرني ان عابني ذو سفاهة
قد اشتهرت بسين الانام عيوبه
ومن شيدني اني عن الغصم صالحي
وان كثرت اخطاؤه وذنوبه
سئمت حياتي في شبابي لانسني
بها لم اجد بعض الذي استطيعه
وما كان قلبي ان ارى شعر مفاري
يحول وان العادلات تشبهه
نصبي من دنياي هم ، وانما
لكل امرئ في العالمين نصيبه

معيبر الجمال

نظمت هذه القصيدة ونشرت في عدد مجلة « الفري » الصادر يوم ١٨ - ٥ - ١٩٤٨

سالتني ودموع العين بالشكوى تبوح
سالتني راق لفتك كما قد رق روح
ناطق بالشجن الخافي بعينها وضوح
في مجيها بقايا من ملاحات تلوح
اترى الحسن نزيل متلكا جاء بروح
قلت لا يفررك وجهك كالصبح مليح
وشعاع في جمال كسنا البيرق لموح
وعيون فاررات اللطف بالسحر تايح
واربع الطيب من مسمك العذب يلوح
وتكلمر القبل دمع فوق خديك سلوح
ان هذا الحسن مثل الرقص يندى ويصوح
وهصرى غصنك المورق للعاصف ريح

يسلوى في حشا الأرض مليح وقبيح
حيث لا يفتني جميلا كبرياء وجموح

ذكر اكرام وذكرنا

نقلنا عن « شعراء بغداد » ج ١ للخالفي

يا مرسلا في ظلال الازر نغمته
طافت به نسيمات الفجر عاتية
افضل الربيع عليه من يشاشته
قد صق الماء يجري في مساربته
كانها رنة النافوس من تكسب
جددت لي ذكريات هاهنا سلفت
يا نائمين ببغداد على دعة
الوجد لوعة واليعد دوعسه
شطت به الدار الا عن فرامكم
اذا سجي ليلته جاشت لواعجه
ذكر اكرم في نواحي القلب خافقة
لهل للذكر اكرم في البعد ذكرنا

كتاب وشكوى

نشرت في جريدة « البلاد » يوم ٢٧ - ٦ - ١٩٢٠

تمت هواها في الفؤاد سنيئا
وهمت بها حيا فكاد لفرقه
بدعة حسن كلما دار طرفها
فقيتا ما شطر من العمر في الهوى
وشاهدت زهرا في خيلة حسنها
فما بال هذا الدهر اصبح صارما
وجدت بدعي يوم جدت بنا التوى

الى ابناء العمومة في الشام

نشر هذه القصيدة في جريدة « الزمان » يوم ٦ - ١ - ١٩٢٠ في
الوقت الذي اصبح فيه الفيليد اديب الشيشكلي حاكم سورية المطلق
وقد وجهها الى ابناء العمومة في الشام :

عجبت لنشام تعطي الصولجان فتى
وتسلس القيد عن طوع لذي نزع
فقط الطباع يرى من عتجهبه
لو لم تحطها من الياري مناته

ينسي العمومة من صيد حجاجه
فيوم الشقاق وعين الخضم راصدة
عسوا على الوحدة الكبرى جوتحكم
وبالتاخي اسفلوا اطراف وجدكم
عاش من نجد لولا البيش كلؤه
والصفايا كرامات سدوسه
تبقى على شفة الاجيال قائله
التشاميين وما جادوا بمكرمه

طبع من القلم

نقلنا عن كتاب « شعراء العراق المعاصرون »

نحن في معررفي الاسم كتطيع من الفنم
نام عنه الرعاة والسذنب يفتكنا لسم ينم
فلتكم عن الحمى منع العيش والنعم
سدقات كؤوسهم قد حموها على نفم
لا يحسون صرخة الشعب من لدعة الاسم
ولامر تصامموا ما باذانهم صم
مشر كل ههمم لمدة تطفئ النهم

وقصاري مرادهم
ما عليهم وقد خبت
ان ابيحت ديارهم
صاح بالصيد ههنا
يسال ابناء يصبر
طاف بالمدار طائف
اجمعوا الامر كلمنا
لا تنسوا فتنسوا

بين الشعر والفناء

وقد لقي رحمه الله هذه القصيدة في مهرجان الشعر المصري
السادس ، الذي اقيم في بغداد في شهر شباط سنة ١٩٦٥ ، وهي آخر
قصائده الحسان ، وهي تأليف من (٥٥) بيتا .

حيث يا شادي الوادي وسامره
بشعود الصذب راقصة
ما زلت اذكر عند الواد مجلسنا
وانت تسكب في اسماعنا نغما
ترنو اليك نجوم الأرض مصففة
ود القدامي وقد فنتهم مسرا

لم يخاطب اخوانه الشعراء العرب الذين شاركوا في المهرجان قائلا:

عناد الشعر حيا الشعر موكم
رفت خمائل بغداد لكل لرى
ما نزلتم على شطاعتها احتضت
شدا لكم كل طير فوق ايكته
وقد انشز الشبان هذه المتاسبة فالتهم من موقف ادعياء
الشعر ، وخاطبهم قائلا :

عناد الشعر هذا اليوم يومكم
شكية الشعر طالت من ادى نفر
قد شروها حسنة وزنا وفاقية
قالوا شربونا فايدينا وما علما
يبين الاصيل وبين البعد معركة
الشعر عاطفة بالحب دافقة
وما اليلة الا ان يمارسه
ومدح ظن نظم الشعر الهية
مضى الى العين لعمانا بظلمة

ثم قال متندا هؤلاء الشعراء الذين استهاتوا بالشعر العمودي قائلا:
من مبلغ ادعياء الشعر مائة
عن الالى من ماضيل الشرفد سخروا
فشورة الشعر لا تبقى ولا تد
فردت شعره الاجيال والصبر
كما تنفس في اكمامه الزهر
والنحس فرواه السيد والنحس
طابت بانفاسها الاخبار والسير
هل عن قديم هوانا عندها خير
تلك مائة من قبيها صور

وبعد : فتكتفي بهذه النماذج من شعر هذا الشاعر
العراقي ، الذي ظل معتزا بلقب « شاعر الشباب » بالرغم
من اشتغال رأسه شيبا ، وبما حيدا لو قام اخوه او اهله
وذووه بجمع ما خلف من شعر وطبعه ليفيد منه
الدارسون ؟ .

بغداد

عبد الرزاق الهلالي

على دربين

سكت الصبح
فماذا ينقل الهاتف
عند الصبح عنا
امس لم يشهد لقاء
ما الذي يعثها ذكرى
وانا لم نعد خفقا يوح
لم نعد نقطف او نسكب لقا
سكت الصبح
فجفت امسيات
كن بالامس ارتويشا

اهو شك قد تمادى
ام صدف كان يرجو سيبا
اعتاب مستر
طاب للانفال
فيما عتبا
ام هو الدرب الذي سرناه
لم نسال الى اين المسير
يا ضياع الشوق اسرفت
ولن تكشف عنها الحجا

المنى تسخر
يا ذكرى هوانا
لا اعاد الليل ذكرى
واذا ما انعطف الدرب
فما احراه ان يكم عثرا
ساهني جرحك
لكن سرتني اني بلا ليل خدوع
قد تلاقت نظرات
واجاب الصمت
هل اخفاك سرا

بغداد - الصرافية نعمان ماهر الكنعاني

وتلاقت نظرات
فاجاب الصمت
وارتاحت ظنون
وتوجسنا وسرنا
وعلى الدرين اطياف سنين
وظننا فاتهمنا
وعلى الاعماق استار صفاق
ومشى السير عثرا
والدلالات تنادي نافرون

وتبادلنا اعتذارا
حائر الخطوة
مغذول التمني
وكتماه ملالا
ومن الماضي رئيس
ليس يشني
ونداء الليل تذكار
خفيض الصوت
موهون الصدى
ابن ظلال
اباحا ظلمتي الدكاء
في نفر وعين

يا طريق النهر
هذا طاروق الامس
مشى دون التفات
لم يعد يروصد
او يخشى على السير
فضسول النظرات
منذ عشر غير الشوق
على اللقا طريق الصبوات
منذ عشر لو تساءلت
لكان الصمت بسوح الكلمات

أيام عملها بها ، الوانا من التعليقات والاقاصيص ، في الوقت الذي أصدرت كتباً شتى ، تتراوح بين الإسالة والنظرة الإنسانية ، منها « أشياء صغيرة » ١٩٥٤ و « الظل الكبير » ١٩٥٦ و « قصص أخرى » ١٩٦٠ و « الساعة والإنسان » ١٩٦٠ ، إلى جانب ذلك ، نالت جائزة القصة القصيرة من جمعية اصداقاء الكتاب في عام ١٩٦٣ .

وكما أضطلعت بترجمة مجموعات قصصية من الانتاج الغربي ، لبرل باك . برنارد شو . سميرت موم . جون شتاينبك . ومن الهم .. انما قصدت بهذا كله ، السى تطعيم الادب العربي المعاصر وتوسيع افاقه ، ثم تلوينه بعناصر الجودة والعق ، لا لشيء الا ليكون قادراً على مواكبة التطور العالمي في الفكر والفن ، ومستوعباً كل اسباب الحياة ومشكلاتها ، وطموحات الانسان العربي التواق واهتماماته ..

هكذا انطوت اخر صفحة من صفحات عمرها القصير !

كانت سميرة عزام في طريقها من لبنان الى الاردن ، بعد حرب حزيران قليل ، تقود سيارتها ، لتعود وقد ادركت الهزيمة وابعداها ، وهضمت الكارثة واثارها ... لتعود وقد كتبت بدم العقل والقلب ، عن النكبة الجديدة ، كل ما هو حري بالتعبير والتصوير .. لتعود وقد عملت شيئاً ذا بال ، ليكون هذا كله ، لبنة متميزة في صرح الادب العربي . اما يرتفع البناء يوماً ما .. هذا الادب الفاني الذي يخوض ، الى جانب السلاح ، معركة التحرير والصبر ..

لا يجلو الحب الا في غمرة النضال الفكري والادبي .. في ذروة المحنة الروحية والعقلية .. في لجة المعركة الفاصلة ، لاسترداد حق سليب .. لارساء اخلاقيّة الحضارة الصحيحة ..

تطالعي اطراف باهتة من ذكرياتي الادبية عن سميرة

عزام ..

في مطلع شهر شباط ١٩٥٧ كنت ببغداد في زيارة كما اعتدت ان اكون بها في مثل هذا الوقت من كل عام .. وفي مساء التاسع منه ، حضرت صبة الصديقيين : الدكتور صفاء خلوصي ومشكور الاسدي ، الى دار الاذاعة العراقية ، لتسجيل حديث عن « الطبيعة في شعر الرصافي » حيث اذيع في مساء الرابع عشر منه .. هناك اتفق ان لقيت سميرة عزام لأول مرة .. جرى بيننا التعارف ، اعقب ذلك حوار جادت به طبيعة الوقت .. ودارت عجلة الايام ..

ذات ظهيرة من اواخر ايام الربيع وقد بدت بواكير الصيف ، وفي يوم الخامس والعشرين من شهر مارس ١٩٥٧ ، دق جرس الهاتف بمنزلي بقلعة كركوك الشامخة عبر عصور التاريخ ، فلما رفعت الساعة ، انسب عبر الاسلاك صوت كانه الموسيقى التصويرية في سحرها



وحيد الدين بهاء الدين

سميرة عزام كما عرفناها

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

كانت غريقة في خضم المساة .. في نظراتها للال شاحبة ... على كلماتها اصدااء المحنة ... على نفوها انسانية مبهمة ، ترسم برishtها لوحة الفجحة .. وفي الانساق احلام وامال متعاقبة تختلج باسى ، كلحن جنازي مثير . بفتة احسنت بشيء يجبو في عروقتها .. يمزق كيانها .. يجمد جوارحها كما لو كان عبثاً طفولياً .

ولفظت انفاسها .. خرت صريعة .. انتهت كغيرها ! لكن انتهت شهيدة حق تبسم للحياة بسخرية ، لان هذه هي الحياة !! وتبسم للآخرين بذهول بارد ، لان هذا هو شان الآخرين .

تلك هي سميرة عزام .. الادبية والقاصة .. الصحفية والاذاعية .. الانسانية والمرأة ، الاسرة بتواضعها وتضافتها .

ادت وظيفتها بما ملكت وان لم يتم تحقيقها كاملة متكاملة .. غرست الامل الاخضر في نفوس هؤلاء واؤلئك . سوف ينمو الامل ويزهر ، حتى تؤدي البطولات مرامها .. حتى تتجسد صورة التحرير ناطقة .. حتى يتحقق النصر الموزر .. وكيف يطيب للانسان عيش من غير امل . اليس هو طغراء الوجود الانساني ؟

اعل النقى بالامال ارقبها ما اصبق العيش لولا فسحة الامل لقد نشرت سميرة عزام كثيراً من الفصول والابحاث في الصحف والمجلات . كذلك القت عبر امواج الاثير ، من اذاعات : الشرق الاذن . بغداد . الكويت ،

وروعتها ، واليبنوع التراب في صفائه وتدفته :

— نعم .. ؟

— سميرة عزام .. من الاذاعة العراقية ببغداد تنكلم معك ..

— اهلا ومرحبا ...

— سيداع الليلة ، وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين ، حديثك عن الشاعر التركي : احمد هاشم .

— هذه مخمدة منك .. شكرا خالصا .

— العفو .. هذا واجبت .

— وعلام تأخرت اذاعته ؟

— الواقع ، ما كنا نعرف شاعرا تركيا بهذا الاسم !

— واليوم ، كيف كانت معرفته ؟

— اتصلنا بشاته ، بالحق الثقافي التركي ، ببغداد

... حيث اكد لنا ذلك ، معززا ما ذكرته عنه بالذات .

— غريب ان يجهل نائبة عراقي ، هاجر الى استانبول

في طفولته ، ليكون احد المساهمين في حركة التجديد

والتنوير في الشعر التركي ، الى درجة ، حمل معها

الانراك على الاحتفال بذكره في كل عام تقديرا لمكانته

وتقويما لادبه الرمزي الرائع .. وعلى اطلاق لقب « ببغداد

لي احمد هاشم » عليه . حسب وفاء انه خلد ببغداد في

قصيدته الشهيرة « قمري ببغداد » ، وهو بها يصصف

مظاهرها ومشاهدها ، معبرا عن احساسه الذاتي نحوها .

نرجو ان نتولى يوما ما ترجمته .

.....

لقد تركت سميرة عزام في ذاتي اثرا جميلا بلورته

الايام المتواردة .. لانه لم يكن الى تلك الساعة ، قد

تواصل بيننا حديث مستدام ولقاء فكري ممتع ، على

هذا المستوى ..

على ذلك جادت علينا الاحوال في ما بعد بلقادات ،

كانت تثار فيها مختلف القضايا والموضوعات ، من فكر

وشعر .. الى فن وقصة .. الى صحافة وسياسة ، شهد

بعضها صديقي مشكور الاسدي ، الذي كان يلازميني في

اغلب الاحايين ، عندما كنت احضر الى بغداد من مدينتي

كركوك .. بسبب من لطف شغائله .

في ضحى يوم الخامس والعشرين من شهر حزيران

١٩٥٧ ادرت ببغداد بالسيارة ، مساء زارني صديقي :

الدكتور صفاء خلوصي ومشكور الاسدي .. في فندق

« العاصم » الذي كنت احل فيه .

واذكر ان مشكور الاسدي رغب الينا ، التوجه الى

دار الاذاعة العراقية لانجاز مهمة تخصه ، فاستجبنا له

.. هناك ، وفي غرفة المذيعين ، صادفنا وجود المذيعات

سميرة عزام وتغريد الحسيني وصبيحة المدرس ، وشخص

اخر لا يحضرني اسمه .. رحبت بسمي سميرة عزام ،

وجلست على مقربة مني . بعد عبارات المجاملة ، سألني

قائلة :

— هل وصلت الى بغداد بالطائرة ؟

— لا .. بالسيارة .

— ولكك سبق ان نوهت بقدمك على متن طائرة

ركاب ؟

— صحيح هذا ... انما - وانا ابتسم - اقلعت

الطائرة في موعدها المحدد . بينما السائق .. سألني

السيارة الذي كان من المقرر ان يحملني الى المطار ضل به

الطريق ، ولعبت براسه الحيرة . هكذا فاتتني رحلة

الجو !

وسكنت .. واخذت تسدد نظرها في الساعة المعلقة

على الحائط .. ثم كمن لا ينتظر منها شيئا ، وجهت

كلامها الى الحاضرين والحاضرات :

— من منكم شاهد الفيلم الايطالي الرائع « سارق

الدراجات » ؟

وما كان من احداهن الا ان ترد بلا تحفظ :

— اوي .. هذا فيلم شيوعي ..

شمل الغرفة سكوت هادئ ، بينما اخذت الوجوه

تنصاح بذهول ..

وتركت تلك اللذبة الغرفة ، قياما بواجبها ..

هنا ، رفعت سميرة عزام رأسها ، وهي ما برحت

مستغرقة ، لتقول بصوت خفيض مزيج يشبه استنكار :

— هذا منق ... !

وفي مرة اخرى وانا كالمستاد ببغداد ، اقترحت على

سميرة عزام ان تلي بنفسها حديثا اذاعيا لي كتبته عن

رائدة القصة التركية : خالدة ادب .. واذا بها تتوضع

العله في ذلك كله :

وكان ينبغي لي ان اجيب عن ما ارادت بهتني

الصراحة :

— هناك اكثر من سبب يجمع بينكما . ذلك ان خالدة

اديب تزاول مثلك فن القصة ، ثم انكما من جنس واحد

... حسبي هذا ..

ابتسمت سميرة عزام بثقة وروعة :

— وهو كذلك ..

حيث قلت الحديث المتوه به ، في الساعة العاشرة

والدقيقة الخمسين من مساء ٩ - ١٠ - ١٩٥٧ ، وكنت

مشدودا الى الذراع وقتئذ بكل مشاعري وخواطري ،

يملائي الزهو والانشاء ..

ومن هنا جعلت سميرة عزام تلي بعض احاديثي

الادبية بالنيابة عني من اذاعة ببغداد ، بذلك الصوت الذي

تنموج على نبراته الحلاوة والرصانة ..

في اوائل شهر شباط من عام ١٩٦٥ انعقد ببغداد

مؤتمر الادباء العرب الخامس .. وفي قاعة (الشعب)

كانت اول ادية تصافحها يدي بحرارة ، هي سميرة عزام

من الوفد الفلسطيني ، وقد التقطت لنا صورة تذكارية

ما زلت محتفظا بها في (اليوم) الادباء ، وضمت اضافة

كلنا بلقي الدليل

نسم الفجر فيها تقصد النبع النهر
ونروي القلب من ماء فرات سلسيل
يا حياتي

رقرق الماء انسيابا هادئا بين الصخور
منميا زهرا نديا نافحا طيبا بليلا
يا فتاتي

غرد الحسون بدعو لطف ربات الخنود
انمر الكرم تلالا حبسه عقد اصيل
للبنات

لثم النحل الورود وهفا نفج العبير
وصفا الجو وضاءت نونة الخد الاسيل
يا مهاتي

اقبل الراعي بفنسي قرب رقرق الفدبر
رجح الصوت ونادي بخنان لا خيل
في الفلاة

رفرفت سرب الطيور فوق اغصان تمور
وانسى الصياد يلقي الرعب في الروض الظليل
يا لداتي

اترك الطير وشانه وابرح الحقل النصير
كل ظلم سوف يلقي النصي في وقت جليل
او غيلة

ليس عند الله ظلم او محاباة النصير
اطلبوا العدل وقولوا كلنا يلقي الدليل
بالمات

عيسى ميخائيل سباب

وبقدر وعينا لهذه الحقيقة ينبغي ان باتي انفعالنا بها ..
ومن هذا العمل الانفعالي تتفجر السوان التعبير عن
ملاحمها .. » .

كان ذلك اخر عهد لي بسميرة عزام شخصيا ..
ولم يكن كذلك بالنسبة الى انتاجها الادبي والفكري
الغزير ، المتمثل في الوان من المؤلفات والابحاث والترجمات
وهي تثرى العواطف والشاعر ، وتحرك البصائر والاذهان
.. ثم تمهد الدرب للذين يفتقرون ويشوفون الى منابع
لا تعرف نضوبا ، ما دام في نفس العربي عرق ينضب ،
وروح ابدا تخلج ..
عليها الرحمة .

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

الى كلينا الدكتور خليل حاوي من لبنان وعبد الرحمن
مجيد الربيعي من العراق .. الا انني رايت سميرة عزام
في هذه المرة وقد تفضت قسماتها ، وتغيرت ملامحها
بفعل الحياة الدائرة كالرحى ، حتى اشقت عليها نسي
قراءة ذاتي ..

اسهمت سميرة عزام في جلسات المؤتمر ببحث
قيم عنوانه « دور الادب في معركة فلسطين » نشر بكامله
في الكتاب الضخم الذي طبع بجزئين في ما بعد . ومن ما
قالت فيه : « دور الادب في معركة فلسطين واستعمال
كلمة معركة هنا بدلا من كلمة قضية ، يحمل في تضاعفه
ايعاء قائما على حقيقة الشعور بان حتمية المعركة قدر من
اقدار هذه الامة ، تمتح في اصلتها وجدارتها بالحياة .

شفتيه اللبنة بالبوار شبح ابتسامة
... دهمها صوت اجش :
- الله ... الله ... يا ولد يا
حسن .

انتفض عندما وقع بصره على
عثمان بن شيخ الخفر يهتف باسمه
... اردف في صوت يوشى بالوعيد :
- تاتي الى الترة لتغازل نرجس
وتترك الجاموسة تاكل وتلف اعواد
الذرة ... في ارضي ؟ والله لن
اتركك بدون « علقه » يا ابن ال ...
قضم كلماته المتدفقة ... راحت
يده تصفع فقا ... احاط حسن
وجبه بدماعيه ... تكور حول
نفسه ...

تطلع عثمان الى نرجس ... وضع
على زاوية فمه بسمة مأكرة ... جبت
يده على عنق حمارة المندش بالبردة
اللوكي
همس :

- على العموم هناك مثل يقول
« غول البال تهد الجبال » ... وانا
لن يتسرب الياس الى قلبي ...
ورهن اشارتك يا جميل
اضطرم صدر حسن بالقلب ...
جشع الى الصمت .

ركب عثمان حمارة ... راح يطعن
حسن بنظرات فيض بالسخرية ...
ثم انطلقت ضحكاته الهمجية الرنانة ...
اغتمصت نرجس بسمة هائلة تخفف
بها من ضيق حسن ... جرت يدها
على راسه في صوت هامس فيض
بالحنان :

- لا تغضب ... انه وقح ...
طلب يدي ورفضت ... صدقني
انتي لا احبه ... ولكن
- ولكن ماذا ؟

ثبتت الجرة فوق « الحواية »
جيدا ... مدت يدها في جيبيها ...
بسطة اصابعها على قطعة مسن
الحلوى ... تطلعت نحو عثمان ...
حات حول قطعة الحلوى ذبابسة
لوح ... طوحت بيدها الاخرى ...
انطلقت الذبابة ... قدمت الى حسن

النامية على هديي المصرف بنظرة
محذرة ... ابالك ان تعدي لسائك
التعباني الى اوراق الذرة .

وضعت نرجس الجرة على شاطئ
الترعة ... جلست تحديق في الماء
... ترى وجهها في صفحته ...
تناولت الجرة يدها اليمنى ...
رفعت لونها عن ساقها قليلا ...
تلفتت ...
حولها ... غزال مطارد ... وقع
بصرها عليه ... انبسط على بطنه
... راح يعب من ماء الترة ...
بصقت في صدرها .

معانبة :
- الله يجازيك يا حسن ... ماذا
تفعل هنا ؟



بقلم عبد العزيز الشناوي
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

اكتسحه خوف وخجل وتردد
عريد ... الجم لسانه ... ايسن
كلماته التي اعددها ورددها مرارا ؟
تبخرت ... تلاشت ؟ لماذا يقف
كالا به ؟ ...
تهتدت .

- هل تستطيع ان تضع الجرة
فوق راسي ؟ (ضحكت) ... لان
ذراعي تؤلني
في لفظة :
- سلامة ذراعي ... الف سلامة
اطبق على اذني الجرة بيديه ...
وسدها فوق راسها ... زحفت على



جذبه من احضان الكرى صوت
غرب ... عبرت جسده رعشة
خفيفة ...

زحفت يده المرتعشة الى كف
اخيه الراقد بجواره :
- سعيد ... سعيد

في صوت ينفس بالضيق
والطمأنينة :

- لا تخف ... انه احد الفيران
الذي يقرض باستانه الحادة الجائعة
الخشب ... اجلب النطاء على
وجهك وهيا لتنام .

راح يتململ ... يتعجل الصباح
ان ينبلج .. ماذا يفعل عندما يسافر
اخوه الى القاهرة ؟ من الذي سيدافع
عنه عندما يعتدي عليه فتيان القرية ؟
ذات يوم قذفه احد الاطفال بحجر
اصاب راسه ... انطلق في الشارع
يعود وهو يتأوه ... كلب اصيب
بطلق نارى .

- سعيد ... ابراهيم بن الحاج
عمران ...

وضع على الجرح قليلا من البين .
- طفل يصيب رأسك بحجر
وتدعه بدون عقاب ؟ .. الى متى
سأظل اذاع عنك ؟

- انسيت انك اخي الاكبر ؟ ..
- لست ادري هل ستظل طول
حياتك كنبات البطيخ تزحف على
الارض ... ؟

- ماذا افعل ؟
- عليك ان تقيم لنفسك دعائهما
- كيف ؟

- اطرد الخوف المعشعش فسي
صدرك .. والا اصبح فذاك هدفا
لصفعات الكبير والصغير .

- ولكن ...
- اذن ستظل تجبو على الارض
كالكسح .

لمح نرجس قادمة من بعيد على
الجسر ... هفا قلبه بين ضلوعه ...
عقد العزم ... سيحدثها بما يختلج
به صدره .. دارت عيناه المنتشيتان
حوله .. ليس هناك احد ... رمى
الجاموسة التي تلتهم الحشايش

انام على هم

بقفر به الاسقام تلهمني لهما
على الجمر ، والليل البهيم قد اتها
رايت بها الآلام تلقمني لقميا
ارتني شعاع الشمس اغربة عصما
كان بجسمي الهول يلطمه الطما
تجرعه الآلام ما يقلق الصما
من الكون لم يانس بارجاتها غنما
تخطيت من الطافه النوب الدهما
فراحت تحت الخطو للعالم الاسمي
بلوا من عذاب الارض ما يرهق الشما
مصاييح درتكسف الشمس والنجما
اخط بلوح الشعر آيته العظمى
رجعت لارض همها يطحن الصما
واذرف دمعا خال من لوعة دما
ومن لك بالشعر الذي يفهم العجما
عذاب يثير النفس ان تبلغ الاسمي
ومذ كان طفلا ياتف الذل والظما
على يدها حكم البرية قدتما
تهدئا لوما عن اللوم قد نما
وعبرتكم ، انا سنظر حكم يما
وان فلسطينا سترجمها حتما
وفي زحمة الاحداث نبلفه رغما
وتضمد للآواء نجشهما جشما
ونطلق ارواحنا لخالقها تمنى
يرى الفخر كل الفخر ان يحطم الخصما
به الحق لا يدري لكرمة اسما

جورج كهدي

دعيني افاقي الياس والبت والهيا
تلازمي الحمى ، فارقص راجفا
فمن ابرة في الجسم من بعد اختها
وقد وضعوا في ساعدي كل آلة
فيا ويلتي من شاعر مثالم
وكيف لن غنى به الدهر حبة
يعيش على اعصابه في محطة
غريب بها الا عن الله ، انني
وقدفاضت الانوار في النفس فيضها
هنالك حيث الله يخنو على الالي
هنالك جنات عراض يحفها
هنالك امشي في رباهما مرنا
وبعد قضائي في ربي الخلد ساعة
انام على هم واصبح موجعا
وانشد اشعاري وما ثم فهاهم
ومن كان ذا انف حمي فعيشه
وهل شاعر يرضى المذلة في الوري
رضعت حليباً يربيا ، وامتي
ومن سخرات الدهر اسريل اصبحت
رويدا بني السكتاج همها قويتم
فما ضاع حق في الحياة لطالب
وان لنا نارا تنسقى لآخذه
سنعمد للاسوال نذكى اوارها
ونبتل في رد البسلا دماؤنا
يجود بها في زحمة الخطب باسل
وتكسر من صهيون راسا معششا

لاباز - بوليفيا

لأنا لكرامتي الجريحة ؟ ... انها
فرصة ساحة لانفت فيه بعض احادي
القديمة .
كست وجهه سحب التردد ...
ابتسمت نرجس مشجعة ... قرات
ما يجول بصدرة ؟ ... لوح بعصانه
... متوعدا ... انطلق وراء عثمان
اخذ بلاقحه بسباب جارح ...
اسمعه ؟ ... لقد ابتلعته اعدوا
الذرة ... ؟؟

عبد العزيز الشناوي

احس بقطعة الحلوى في يده ...
تملعت عينا بهعني نرجس التسانلتن
... ارتجفت اهدابه ... حملت
خفق قلبه ؟ ... اشعلت كلماتها
ونظراتها الدافئة في صدره نيران
السخط والحق في نفسه ؟
قدف بقطعة الحلوى في فمه ...
وثب نحو شجرة التوت ... انتزع
احد اغصانها ... شدد قبضته عليه
... راح يرشق عثمان بنظرات
نارية ... انطلق وراءه وهاجمه ... ؟

النصورة

قطعة حلوى ... في صوت يرتعش
بالخجل :

— سوف يسافر اخوك سعيد الى
القاهرة بعد ايام قليلة ليتحقق
بالجامعة ... من الذي سيدافع عنك
بعد ذلك ؟ هيه .

غرس بصره في اغوار التربة ...
يريد ان يصل الى الظلمات المتراكمة
التي تخبيء في جوفها شيئا مجهولا
... لا يراه ... لكنه يحس
بوجوده .

في بيت المقاد

زار الشاعر بيت المقاد بعد ان خلا من صاحبه العظيم ، فانشد هذه القصيدة

فاتبتها حبيبا للمزار
لم تزل خضراء ، واللون نضار
خطوات المجد من غير عثار
كل عزم لا ولم يفتر اوار

لا ترع ان حال بعد او ستار
غصت الساحات فيها والديار
كان للفكر خليلا لا يفسار
بك دهر او تشنك الصغار
كبرياء العقل ان هان الكبار
سيقوا بالمجد عنوان الفخار
في دنيا فيز هو بك غار
لك في العين مشالا ومنار
بل وعقبى ، ثم كانت لك دار
دونه السفح مباء للبوار
رحت من دنياك فليجح الدمار
بدماء ، بدموع ، باقتدار
يصل الشعلة في ليل السرا
كان فينا مستجيلا او نفا
فيانا بالكل مجلو جهار
فاذا البعوى وداعها عوار
في بحار الجهل مخلوع العذار
بعدما طال به عهد الخمار
جاءك الخبر باصحاب خيار
طال بالساعين مطل وانتظار
واقتحام الصعب من غير حذار
شدهم شوق الى هذا الدار
ان درب المجد بذل واصطبار
يرفمون العلم والحق شمار
بعد ان جددت بالصحب المسار
ما جاوزت بالسمي المسدار
كان بالكبد كما يبقي وصار
في صراع العمر مشبوب الاوار
او مراد غره منسك اغترار
من متاع العيش او نغمي اليسار
ولجد الدهر ان عز الخيار
ومشالا من امان وادكار

حسين خريس

ها هنا كانت له الدار القرار
سمته ما زال فينا والرؤى
من هنا كانت له في وكره
ظل يجوه فما مل ولا

ايها الراقد في اسوان مهلا
هذه آثارك الجلى التي
انها خير دليل ان من
فاذا ما فات حظ او نبا
فلقد كنت وما زلت لنا
فلتكن فينا كما كان الالى
تتهوى دون اطماحك اغرا
ختها من شرف النفس فكانت
ختها العقبى فكانت لك اولى
فامضى كالنسر عزرا شأنه
ان من رام مقامها مثلها
وليصنه باباء ، بشموخ ،
وليوجد عزمه للفكر حتى
كل جاس او عصي كل ما
كنت تفزوه بفكر ثاقب
ولكم ادبت بالفكر دعيما
وجهول نزق الراي غدا
رحت بالحكمة توري وغيه
ايها الراقد في اسوان هل
ها هم الساعون جاءوك وقد
من رجال دابوا عيش الدرا
بوفاء العلم جاءوك وقد
يا اماما لهم علمتهم
فمضوا بعدك رسلا في الوري
فلتم عينك في مهد الرضا
فلقد فزت بكتا الحسينين
ان من رام على الدهر بقاء
ذلك الدرب الذي قد جزته
لم يكن منك اختيارا عن هوى
لا ولا كان لاندسى مسارب
انما كان لغايات العلى
فلتمش فينا على الدهر رؤى

القاهرة



يتخلصوا منها - ولكن كتب الأستاذ طافر القاسمي تجديك اليها جذبا ، وتحملك على طلب المزيد منها ، وتضوئك سوفات ملصحا الى السؤال عما له غيرها من مؤلفات ... لان لهذا الرجل، نبع الأسرة الصالحة المصلحة، وفرغ الروح الزكية النقية ، اسلوبا عريضا في العرض يشوقك محدثا اذا اصغيت اليه او يشوقك كاتبا اذا قرأت له .

وقد اسعدني الأستاذ طافر اخيرا بكتابه الجديد « نظام الحكم في الشريعة والتاريخ »،

فحسبني امام كتاب من كتب أنظمة الحكم في الاسلام ، ولكنني وجدت نفسي امام محيط زاخر من اللغة والتاريخ والسيرة النبوية والحديث والفزوات وتاريخ الفكر العربي والحضارة الاسلامية .

وما تملك بكتابتك تجد من ابوابه وفصوله : العرب قبل الاسلام ، وسياسة الرسول ، وقواعد الحكم ، والحرية والتشورى والمساواة في الاسلام ، والمعدل ، والمعارضة ، والنقد الذاتي ، والخلافة ، والمعهد وولاية العهد ، واهل التشورى ، واهل الحل والعقد ، والبيعة والبيعة ، وصفات الخليفة وواجباته وحقوقه ، والقاب الخلافة ، وطبيعة النظام السياسي في الاسلام ، ومبدأ التفريق بين السلطات ، والوزارة ما بين مشرق ومغرب ، وادب الوزير عند الماوردي ، وسياسة الوزراء مع الخلفاء ، والمملك والسلطة ، والولاية والولاية ، وتعيين العمال وحقوقهم وواجباتهم ، والتفتيش ، والاستقالة ، والتأديب ، والامارة في عصر الرسول وبعد عصره ، وادوات الامراء وادارتهم ، وصلاتهم وفسادهم ، والامارة العامة والخاصة ، وامارة الاستيلاء والقود من الامراء او مبدأ مسؤولية الدولة ، وصايا العمال ... ؟

الحق ان هذا الحشد العجيد من رؤوس المسائل والموضوعات قد وجد من علم صديقنا المؤلف ، ومن فقهه ومعرفته بالقانون الحديث والقوانين الشرعية ، ومن سعة اطلاعه واحاطته بآثار ما يشتر وما نشر حول هذه المسائل ما جعل البحث يستغنى ، والدراسة تطول وعمق ، والتعليق يكثر ويتشعب ، والمناقشة تعمق وتزيد ، والقيمة تنضج في نهاية المطاف ، حيث يستقر الرأي السليم ، والنظر الحكيم ، ولم يكند بثلث كتاب او بحث او دراسة او رأي قديم او محدث ، شرفي او غربي ، يتصل بهذه الكثرة الكثيرة من المسائل الا استعصره المؤلف ، وعرضه في جلاء ، ونقاشه في هدوء ، وجادلته في اتران واعتدال ، وفي غير تعصب او تحيز ... فهو يعرض رأي الابد لاعتس في ان الوفود على معاوية كانت تمثل البربرية عند العرب ، وهو يعرض رأي رفيق بك العلم في التشورى في عهد الخلفاء الراشدين ، ويعرض آراء الحسن بن الامام الشيخ محمد عبيد ، والدكتور عه حسين ، والدكتور علي حسني الخربوي ، ولا يسكت عن رأي الخربوي ، ولكنه يعقب عليه ، وبين بعده من الحق ، ومجافاته للصاب ، وهو يعرض رأي الدكتور منير الجليلي في بيعه ابي بكر - او في عهده الى امر بالخلافة من بعده وقد نقل عليه الرضى - ويناقش صديقه الجليلي فيما قاله في كتابه : « عبقرية الاسلام في اصول الحكم » حيث يقول : « ونحن لا نتصور ان ابا بكر ، وقد نقل عليه الرضى كان معنيا بمجادلة الصحابة ، واقتناعهم بقبول عمر عن رضى واختيار ، حتى قبلوا به واجمعوا عليه ، ولا نتصور كذلك عمر بن الخطاب ياخذ البيعة لنفسه ، وصاحبه اسو بكر يعاني سكرات الموت ، » ويعترض المؤلف على هذا « التصور » بأنه لا ينهل حجة في علم مصطلح التاريخ .

ويمتاز الكتاب الذي نعرضه اليوم للصديق ابي جمال الدين بكثرة المناقشات فيه ، فهو لا يسكت عن كثير من القضايا حول مبادئ نظم الحكم في الاسلام ، ولا يقبلها على علاها مهما كان لاصحابها من فسدر . ولكنه يناقشها في ادب العالم المتحكن ، وفي علم الباحث التقيت ، وفي هود المدارس المؤمن ، فلا يشتت ولا يشتت في يده قلم ، ولا ينسو

نظام الحكم في الشريعة والتاريخ

تأليف طافر القاسمي - ٦٠٠ صفحة - الجزء الاول - دار النافس بيروت سنة ١٩٧٢

عرفت صديقي الأستاذ الباحث الكبير طافر القاسمي - نقيب الحاميين الاسبق بدمشق واستاذ العلوم الاسلامية في الجامعة اللبنانية اليوم - عن طريق والده المرحوم الأستاذ جمال الدين القاسمي امام الشمام وشيخ رجال الحديث فيه في عصره ، وعن طريق عمه المجاهد التائر المصلح صلاح الدين القاسمي ... ثم عرفته بعد ذلك عن طريق جده العلامة الشيخ محمد سعيد القاسمي صاحب « قاموس الصناعات الشامية » ، و صاحب الجزء الاول منه الذي اكته واستندك عليه في الجزء الثاني ولده الامام جمال الدين ، ومساعدته خليل بك المقم . ولم يتح لي بالطلع ان اتعرف الى الامام جمال الدين القاسمي تعرفا شخصيا ، فهو بالشم وأنا بعصر ، وهو قد ادرته التبة في ١٨ ابريل سنة ١٩١٤ ، وانا في ذلك الحين طفل ادرج نحو الثامنة من العمر ... ولكني عرفته من مؤلفاته ، وخاصة تفسيره العظيم ، الذي انقى الي عبء مسؤولية توزيعه وانا في موقع المسؤولية بمؤسسة المطبوعات الحديثة - رحم الله اباها - كما عرفت شقيقة المرحوم الدكتور صلاح الدين القاسمي - الذي لم يكمل في الحياة ثلاثين عاما من الكتابات الذي يضم آثاره الفكرية والادبية والذي قدم له وحقله المرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب ، ونشر في مصر سنة ١٩٥٩ .

ومن هنا كانت معرفتي بالعلامة الشيخ سعيد القاسمي - جسد صديقنا طافر - والامام جمال الدين - والده - والدكتور صلاح الدين - عمه - معرفة روح ولقاء فكر ... وهي معرفة امتعتني ، وفادنتني ، وامدنتني بغیوض من العلم والعرفه ، زمانا طويلا ، ولا تسززال تعني وتجندي كلما التصمت منها علما فاقست ... اما معرفتي بالخالق الولي ، العالم النقت ، طافر القاسمي ، فقد جمعت بين لقاء الورا ، واللقاء الاثنياب ...

لقد لقيت الصديق « الطافر » في القاهرة ، ثم سعدت بمقابلته في الشام ، فما رايت له مما لا في الود والهيبه والوقار وحسن السمات وصفاء الطبع وعفة اللسان وكرم اليد والتطول بالفضل ... الا قليلا من الرجال يجعل الله بهم تهجم وجه الزمان من حين الى حين ... لم لقيته في بقعة من كتبه ، من امثال : « وثائق جديدة من الثورة السورية » و « فصول في اللغة والادب » و « الكتب منيرة » و « ابي جمال الدين القاسمي » فليتت فيها العقل والحكمة ، والانابة في الدرس ، والروية في البحث ، وصحة الاستنباط ، وصحة اللغة ، ونفاذ الاداء ، ولطف الحديث وجاذبيته ، حتى لا تكاد ترفع طرفك عن صفحات كتاب له الا بعد ان تاتي عليه كله في جلسة تطول ولا تنتطق الا لضرورة من ضرورات الحياة ، واذا بك بعد ذلك مكب على الكتاب لا تبعده عنك حتى تفرغ منه كله ، ثم تثنى لو كان له بقية ...

وما اكثر الكتب التي يقرأها الناس ويتمنون ان يخلصوا - او

به لسانه ولا تكبو به عبارة ، ولا تصادفك منه في خلال النقاش لفظية نائية ، او كلمة جافية . وانما هو دالها ذلك العالم الفقيه الهادي ، الذي يقرع الحجة بالحجة ، ويقذف الدليل بالدليل .

وحيث تحدث الأستاذ طاهر القاسمي في الباب الرابع من كتابه عن حكومة الرسول ، فإنه يجيب في فهم ووعي عن هذا السؤال القائل : هل اقام الرسول حكومة ؟ وعرض لما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الصدد في كتاب « الحسبة » ، وما جاء به الامام ابو الحسن الغزالي المتوفى سنة ٧٨٩ هـ في كتابه : « تخريج الدلائل السمعية » ، وما شرحه به عبد الحي الكنتاني - من علماء القرب المصالحين - في كتابه « التراتيب الادارية » المطبوع في الرباط سنة ١٢٤٦ هـ ، وما ذهب اليه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، وما ذكره الاستاذ الشيخ علي عياد الرازي في كتابه : « الاسلام واصول الحكم » الذي اثار في مصر فجة حينما ظهر في سنة ١٩٢٥ ، فقامت قيامة النظام الحاكم عليه ، وحوكم صاحبه وحكم عليه باخراجه من زمرة العلماء...

الحق ان في كتاب « نظام الحكم في الشريعة والتاريخ » علما كثيرا ، وفيه صور رائعة مشرفة لنظام الحكم في الاسلام ، وفيه من مناهج البحث العلمي ما يجعله جديرا بان يدرس في الجامعات العربية ، كما ان فيه من المعارف المتصلة بتاريخ الاسلام ونشأته وادوات الحكم فيه ما يجعله مددا صالحا للفقاري العربي مهما كانت ثقافته .

ونرجو ان يوفق الله صديقنا المؤلف الى اصدار الجزء الثاني من هذا الكتاب حتى يستوفي البحث امله ، ويستكمل الموضوع مادته ، ويستقيم لنا من ذلك كله كتاب متكامل تغفر به المكتبة العربية ، وبهاهي به ، كما تباهي به الامة العربية الاسلامية ، وتقول في اعتزاز : هالوم القروا كتابيه ...

محمد عبد الفني حسن

القاهرة

أبو حيان التوحيدي

في فضاي الإنسان واللغة والعلوم

تأليف الدكتور محمود ابراهيم - ١٢٨ صفحة - من الحجم المتوسط -
الدار المتحدة للنشر - بيروت

حمل الي البريد هذا الكتاب الخالد ، وانا في قلق نفسي ، واضطراب صحي ، فرغبت في «اجيل الكتابة عن هذا السفر » بعد ان تكون سحابة القلق قد تشتت شملها من سماء قلبي ، ورداء صحي قد ربي ، وغدا الى الاحاطة بجسمي الواهر ، وما كان ينسجخ يومان من عمر الزمان حتى مددت يدي الى الكتاب لاقرا مقدمته . وما كنت افعل ذلك حتى سيطرت المادة النسيمة على ارادتي فلم الق الكتاب الا بعد ان قرأت فصوله المصنعة الازرية كلها ، وعشت مع الاستاذ مصطفى الزرقاء في مقدمته الرائعة التي حاول فيها جهده اطلاقنا على اهم المواد التي اراد المؤلف الفاضل تركيز بحوله عليها ، كابرار قدرة التوحيدي المائقة في اللغة العربية ، من حيث مثالة السبك ، وقوة العبارة ، ووضوح الفكرة ، واطهار ما لمربيه من مميزات كالاقتضال والنحت والتركيب والتعريب . ثم اطراؤه اكثر المؤلف من النصوص التي يقل فيها عبارات أبي حيان بحروفها في شتى الموضوعات . وانتحاله المصدر للتوحيدي ، الذي كان يكثر من اللجوء الى انسجع ، لان ذلك كان طابع عصر التوحيدي ، والصاحب بن عباد ، وابي بكر الخوافي، وبنيع الزمان الهذلي .



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدولها شهر

بنابر ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد أدنى

في الخارج : ٨٠ ل.ل. او ٤٠ دولارا كحد أدنى

المجلات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٢٨١٩
التنزل : ٢٢٥١٢٩
Dir : 223819
Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر اديب

رقصات الخريف

ديوان شعر ليوسف أمين قصير - ٧٢ صفحة - مطبعة (١)

على صغر حجمه وقلة عدد صفحاته التي لا تتجاوز الاثنى والعشرين صفحة فقد اتى في هذا الديوان فكيرا عميقا . ان صاحبه شاعر بحق وحقيق ولم يصطنع الشاعرية او يتظاهر بها كتكثير من شعراء هذا الجيل ، ذلك لانه اذا ما خاتمه فريحتي في الشعر العمودي لجأ الى الشعر المتنوع او ما يسمونه نثرا ، وقد بنى مطلع قصيدة فلا يتح الله عليه باكثر من ذلك فيستوفى لك برصاعة ان شيطان شعره قد خافه ، على نحو ما فعل في مريته لابتته التي فلتت ولما تتجاوز الثامنة

اذ قال (ص:٢) : « وقد اردت رثاءها وبدأت بنظم قصيدة مطلعها : يا موت، يا وحش، يا فتاك، يا قدر من بين عينيك نار الشعر تستمر ولكنني لم اجد من الالفاظ والماني ما يعبر عن احاسيسي فتركته»

لقد ادرج عليه لشدة حزنه فكان هذا عندي ابلغ رثاء ولا يسأله في بلاتنه الا دعمسعد ذلول يوم نهض خطيبا ذات مرة فادرج عليه فيكي فيقول « دمة سعد كانت ابلغ خطبة » وكل ذلك مصداق لقول جبران : « عندما تنظم القصيدة تصبح خرساء » اسمحو لي ان اقول: لقد احببت هذا الشاعر واحببت صراحته فهو انسان بكل ما في الانسانية من معان سامية ، وهو خلو من الانتهازية المقيتة التي فتكت باللايسين من ابناء عصرنا حتى اصبحت داء العصر بحق وحقيق وبه سيسرف ويمسسه سيوسم ، فما احيلاه حين يقول (ص:٧) : « لم احاول في جميع ما نظمت ان اكلف مواضيع مميته الفرضها فرضا على نفسي او انظم في موافق خاصة تساعدني على الظهور والشهرة ، بل نظمت ما نظمت بوحى باطني امتد الى شعاري واحاسيسي عن طريق الوحي الشعري».

وقد اعجبني قوله (ص:٢٩) :

كن في حيالك مشلا او صرخة للحق ، لا تظلو الزمان مفاصلا !
كها اعجبني قصيدته « وطني يسع » (ص:٢١) وقد نظمتها في تشرين الثاني ١٩٦٧ ولم انني لا اقبل الى الشعر الحر كثيرا ولكن الصاني

وقد رأى الأستاذ الزرقا ان لابي حيان ميزتين بارزتين ، احدهما نفاثته الفكرية الواسعة (الموسوعي) ، والثانية سيطرته التامة على اللغة (اللغوي) ، الذي لم يستمس عليه البيان مرة، مهما دقت الفكرية، وصعب ادائها .

ثم اتيح لسدي دفاع المؤلف المعلق عن الفساد ، والباطة، باسلوبه العلمي الهادي، الرصين ، ان لفتنا العربية غير عاجزة عن مواكبة الحياة الحديثة ، والتعبير عن معياناتها عامة، وفي ميدان العلم والتقنية (التكنولوجيا) خاصة .

ثم ركز الدكتور محمود ابراهيم في فصول الكتاب الاربعة على تثبيت التوحيد الربيعي ، ان لفتنا العربية وتلقه بها ، وابدى إعجابه ببراقته في بث الشكوى مما آلم به في دنياه من اخلاق ، وقدرته العظيمة على وصف عجزه، وشموهه المضي بالقربة خلال عمره الطويل كله ، وبراقته الفذة في نقد ذاته نقدا ، كان يعنف فيه في كثير من الاحيان ، واجادته وصف ما كان ذا صلة بتطلعات الانسان ، وامانيه ، واحلامه التي يتزده خياله في رحابها .

ثم اشار المؤلف الحجة الى ابداع ابي حيان في جميع ما كتبه عن المودات والصداقات ، وحاجة الانسان التامة اليها في حياته ، لان الانسان فطر على ان يكون اجتماعيا بطبيعته ، واجادة التوحيدي وصف الرء عندما يسبح في اربل العمر « ومن عمره تنكسه في الخلق افلا يعقلون ؟ » ، بعد ان جرب ذلك بنفسه ، وهو الذي تجاوزت سنه المائة عند وفاته .

ثم اشار المؤلف الى اتفاق التوحيدي وصف الانسان وهو في اشد حالات الوجد والتشوة .

وذكر بعد ذلك ان التوحيدي عربي الاصل ، وليس فارسيا كما خيل الى بعض من كتبوا عنه، مما جعله متحازا الى العرب والى لغتهم ومعجمهم اختيارا عظيما .

ثم اثبت لفترة ابي حيان على ان يستقصى في نصوصه خصائص اللغة في غزارة مفرداتها ، وما بين الفاهما من ترادف أو تقارب وتماثل وتقابل ، وقابليتها للاشتقاق ، والتأويل الموسيقي بين كلماتها . واخرى الدكتور محمود بعد ذلك اجادته اختيار اللفظ المناسب

للعمى الذي يريده ، لان له احساسا فنيا عميقا بالقوة اللغوية . واشاد بقدرته العجيبة على انتزاع التشبيهات من مصادر مختلفة ليشي ان اللغة العربية قادرة على التعبير عن المعاني العلمية الدقيقة العميقة بسهولة ويسر ، يمز وجود مثلها في اللغات الأخرى ، ثم اني على عاتق التوحيدي التامة بمعاني حروف الجر ، ووجوه استعمالها . وفي الفصل الرابع والآخر « قضايا الفلسفة » يذكر حوارا جدليا تبدي فيه للقاء قدرة ابي حيان العجيبة على ابرادات الحجة من جانب ، « والقدرة على نقضها بالبرهان العقلي من جانب آخر مع نلص للنتراات التي يمكن النفاذ منها ، ومعالجة الخصم من نقطة الضعف في حجته، وكل ذلك يدور في نطاق العقل المنتج ، المسلح بالثقافة والمعرفة وقواعد المنطق ، والالام بمدخل الكلام ومخرجه ، والاستيعاب الذي لدلول العبارة ، ثم الرد عليها بالعبارة المناسبة ، والكلمة المختيرة المتقنة لاحتلال موضعها الصحيح في بنية العبارة » .

ولا بد لي في الختام من تهنة الأستاذ الجامعي النابه الدكتور محمود ابراهيم تهنة حارة بهذا السفر النفيس ، الذي احسن في وضع شروحه في نهاية كل فصل، سلسلة حسب ورودها في المتن ، والذي دافع به عن لفتنا العربية دفعا مجيدا ، والداه العقل والبرهان ، ومقافة الحجة بالحجة .

حفظ الله اديتنا الكبير للعرب والعروبة ، والى اللقاء في ربوع القدس ، مدينة المسجد الاقصى ، وكنيسة القيامة ، وقلب العروبة النابض ، وعربن الطران كبوشي.

محمد العدناني

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالإضافة الى العرض الدائم لحدث مجلات

الآزياء والموضة الأوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير - بيروت

الجميلة فيها استنتى تعصبي التراثي لمود الشعر فشكرا للاستاد يوسف
امين فيسر على هديته فهي جديرة بان توضع الى جنب الدواوين
الاسكفوردية في مكتبتي.

اكسفورد

صفاء خلوصي

في رياض الفكر

تأليف عبد الرزاق البصير - (١) صفحة - مطبعة (٢)

هذا اخر كتاب صدر للاديب الكويتي الكبير الراحل الاستاذ عبد الرزاق
البصير وقد تستنى لي ان افرأ بعضه في الكويت فاطلع شطرا من الليل
في لغة ومنحة هي من انفس المتع التي تدخلها قراءة كتاب ادبي نافع،
خلو الحديث ، مشرق البداية ، على النسي ، وفترات الشطر الآخر
منه في الطيارة ، وانتمت قراءته ببغداد ، والكتاب هذا يحتوي على ثلاثة
فصول ، انصر الفصل الاول منه على مقالات ، ومحاضرات تناولت
موضوعات مختلفة من مواضيع الادب والحياة ، وتناول الفصل الثاني
تراجم ثلاثة من مشاهير رجال الادب المتقدمين والمتأخرين ، اما الفصل
الثالث فلقد انصر على نظرات للمؤلف في بعض الكتب التي قرأها .
والاستاذ البصير كثير الشبه بالرحوم الدكتور مهدي البصير ،
فقد نشأ هو الآخر خطيبا ، والخطابة - لا سيما اذا كانت صفة عامة
للشخص - تتطلب حافظة تختزن الفكر الواسع من المعرفة ، والفكر

مجلة

البيان

مجلة فكرية شهرية تصدرها

رابطة الادباء في الكويت

وتحررها الاقلام العربية الاصيلية

للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص. ب. ٣٤٠٣ - الصديلية

الكويت

« البيان » ... توزع في معظم الاقطار العربية

الواسع من الاحاطة بالتاريخ ، والادب ، بكل الوان - اذا كان هذا
الخطيب ممن يترفعون الى الادب - لم تتطلب حسن الاداء ، ليجتنب
الخطيب بذلك النفوس ، ويشد اليه القلوب ، ويرفع الاسماع ، وزاد
الاستاذ عبد الرزاق البصير ، كما زاد الدكتور مهدي البصير على ذلك
ان كان ادبيا ، وان صفة الاديب الحق ، تتطلب موهبة يستطيع بها
الاديب ان يزن الامور بميزان المنطق السليم ، وان يتجرى الخالق ،
وياتي بالجديد من الافكار ، وقد اوتي الاستاذ عبد الرزاق حظا
كبيرا من هذه الناحية ، فبكر كتابه هذا عن هذه المواهب خسر
تعبير ، فلم يكن البصير بعد هذا وجه الكويت الثقافي المشرق وحسب ،
وانما كان من وجوه الثقافة العربية ، خطابة وادبا .

فهو هو ذا يشاغل في الفصل الاول من « رياض الفكر » موضوعات
مهمة ، يعالج بها التيارات الادبية في عصرنا الحاضر ، ويحدد اتجاهاتها ،
وما انعكس على المجتمع العربي من اثر ، فلم يعين الغاية من وفاء الاديب
نفسه على الادب ، وماهية رسالة الاديب في الحياة ، وكيفية التصريف في
اللفة ، فيأخذ على المستشرقين الذين يشوهون جمال اللغة العربية
بسبب التصريف والمصطلحات ، حتى جوزوا لانفسهم استعمال (التبرج) ^(١)
نسبة للبرج العالي ، و (التأرض) و (التألم) ان يستوطنوا الدرس
والاقليم ، كما يغفل ذلك البعض دونهم كمال يوسف الحاج ، ويأخذون ذلك
في هذا الفصل من كتابه على الذين يكتبون كلاما غير مفهوم ، ويسومونه
ادبيا ، ويصنعون المؤلف كثيرا اذا يزودوا الادب وازدهاره ، واداء رسالته
الكاملة الى الحرية الكاملة ، ويعتبر الحرية ركنا اساسيا لامتياز الاديب
الصحيح ، وهناك عرض لأمانيه ، وفكره ، يراها القارئ في القسم المعلنون
« بمجال الاحلام » من هذا الفصل .

ويتجلى موهبة هذا الاديب في الفصل الثاني وهو يعرض تراجم عدد
من كبار الشعراء ، والادباء ، والفيلسوفين ، كعلاء بن ثابت ، والعماديين
الاحلح ، والشريف الرضي ، وابن سيدة ، وعصفي الدين الحلي ، وغيرهم ،
وهو يتفق في رايه مع الاستاذ احمد اللواساني في تفهيمه ما نسب لحسان
بن ثابت من جبين اقدمه عن المشاركة في غزوات النبي دون الالتفات الى
الملة التي تعلقها بعض المؤرخين عن عهد ، ويغالط بين التصريف الرضي
والرضي ، ويؤيد من الامثلة التي تميز كل شاعر في اتجاهاته ، ووزناته ،
وصفاته الخاصة ، ويبلغ نفوذ شعره في جوهر البلاغة ، واعماق الفكرة .

كما يعرض في هذا الفصل لعدد من الشعراء والادباء المتأخرين ،
مثل الصالي التجلي ، وطه حسين ، وحافظ ابراهيم ، ولا ينسى المؤلف
ان يقدم لنا في هذا الجانب من هذا الفصل ذكرياته عن الرحوم فهد
المسكر ، وفهد المسكر هذا شاعر كويتي ، كان في طليعة شعراء الكويت
الموجودين بوفد سبق للاستاذ عبد الله ذكريا الانصاري ان احيا ذكر هذا
الشاعر المغمود فكان له السبق في هذا الفصل الذي اشار اليه البصير
نفسه .

واهمية هذا الفصل - الفصل الثاني - من الكتاب لا تنحصر
بالاشخاص الذين كتب عنهم المؤلف هذا الفصل ، وكشف عن رايه في كل
واحد منهم ، وانما هناك امران يثيران الدهشة بكل معناها في نفس القارئ
المدر ، فالاول منهما يخص ذهن المؤلف الذي يستوعب كل هذه الشواهد
التي ياتي بها امثلة للشعر ، او ننصو ما من الوقائع ، سواء كانت هذه
الشواهد والنصوص منقول من صفحات الدهن راسا كما هو الحال في
بعضها ، او منقولة من صفحات الكتب ، فهو - أي المؤلف - الذي يدل
الذين يستعين بهم في الكتابة عند التأليف على المواطن التي تنقسم تلك
النصوص المطلوبة ، ليستخرجوها له !! وهذا شيء غير قليل ان يعرف
اديب كالبصير المصدر المطلوب ، ويعرف اين يقع منه الشاهد لينقلوه له .

والامر الثاني هو الاجازة ، والابجاز من اهم انواع البديع ، او قل
من اهم ملكات الاديب وموهبته ، ان يحسن الاديب وضع الشيء في موضعه
دون زيادة او نقصان ، حتى تنطبق كلمة : ما قل ودل على كل ما عرضه
المؤلف من التراجم كل الانطباع وحي مزية يقيط عليها هذا المؤلف .

عرسا رفيقا جميلا ويشير الى المواطن التي تستلفت الانظار منها.
والكتاب هذا متع كل الانتاع ،ومفيد كل الافادة ،فهو الجاسع
المانع ،على حد تعبير المبرين ،الذي يستحق المؤلف عليه التهنتواشكر
الوافر.

جعفر الخليلي

بضاد

المسرح السياسي في لبنان (١٩٦٨ - ١٩٧٣)

تأليف غسان سلامة - بالفرنسية - تقديم ميشال كوري مدير مدرسة
الاداب العليا في بيروت - ٢١٩ صفحة - دار الشرق بيروت ١٩٧٤

يدور هذا الكتاب على المسرح السياسي في لبنان في السنوات الست
الاخيرة ،وعلى النشاطات المسرحية الفنية التي تقوم بها بعض الفرق
والصاحب اللبنانية الحديثة ،كالمسرح التجريبي والمسرح المصري والمسرح
الوطني ، والفرقة الشعبية اللبنانية ، كما يستعرض في دراسة تحليلية
مركزة نتائج هذا المسرح في مفهومه الحديث كما وضع اسمه ومنهجته
منير الدبس والاخوان الرحباني وبعض المؤلفين المسرحيين اللبنانيين
والتطوان ملثقي ،كما ان حركة بحث جديدة قامت على يد المؤلفين
المسرحيين والمخرجين اللبنانيين بشخص جورج شحاده وعصام مخلوف
ويوسف نصوب والتطوان مخلوف وجلال خوري وغيرهم .

والكتاب من تأليف غسان سلامة وهو شاب تليف من مواليد قرية
كفرديان (١٩٣١) يحمل اجازة في الحقوق وازاحة في الادب من مدرسة
الآداب العليا .وقد عمل مدة في الصحافة وفي الحركة الاجتماعية التي قام
بها الطران غزيرغوريوس خداد - وحرر في مجلة « آفاق » التي تصدر في
بيروت .

وتجابع الاستاذ سلامة دراسته العليا في باريس لتليل شهادة دكتوراه
دولة من جامعة السوربون .

يوسف اسعد داغر

اما عرسة للصالي التجني فاحسب ان النسيان قد طفى على ذهن
المؤلف ،فاورد حكاية الصالي على غير ما عرف اتا ،واما ما يتعلق بترجمة
شميم الحلي فانا اخالفه في ان يكون القرو هو السبب فيما كان يدوم
شميم الحلي من الاءاء ،والكثارة ،والحركات التابية ،ان الواقف على
سيرة شميم الحلي لايمكن ان يزود تلك الحالة التيغير الجنون وضروبه .

ومن هذه التراجم التي سافها البصير ،بل من كل ما كتبه ،وخطب
به ،يخلص القارئ ،والسامع ،الى انه امام رجل يجمع بالنسبة الكثير
من مزايا الانسانية ومن دعاية الخلق ،وطيب السريرة وكرم النفس ،وهو
بعد ذلك ،عف السنان لا يذكر احدا بسوء ،ولا يعرف الهجاء طريقا الى
قلعه ،ولساته ،ومن هذه المزايا استنكاره للتخضع وللذل ،فهو بعد
ان اتى في ترجمته على ابن سيده التناء العاطر كالم ولقوي قال :

« لكن امرا واحدا كنت احب ان يتعد عنه هذا العالم العظيم ،الا
وهو التخضع ،وكثرة التناء على الجبال الدولة فهو - اي ابن سيده -
يقول في حق الجبال الدولة :

الا هل الى تقبيل راحتهاليمنى سبيل فان الامن ذالذ واليمنسا »
وفي استعراضه لمحمد بن كنانة يقول البصير :

« لم اكد القى هذا الشاعر حتى احببته ،واكرهته ،اما سبب هذا
الحب والاكراه ،فانه يرجع الى عاملين : احدهما اياه طمعه ،وتفديره
لوجهته الشعرية ،الامر الذي جعله ياثف ان يسخر ذلك لدح السلطان ،
او ذوي المال ،مع شدة حاجته والاعلاء .

وما السبب الثاني الذي جعلني احب هذا الشاعر واكرهه ،فهو
صفاء نفسه ،وحلاوة شعره ، وهذا يتجلى في قوله :

في انقباض وحشمة فسادا صادقت اصل الوفاء والكرم
ارسلت نفسي على سجيته ولقلت ما قلت غير محتشم

وتعرف جانب الانسانية في البصير من تنبهه على العباس بن الاحنف
حين يقول للبصير :

« ولقد وجدت نفسي راضية عنه - اي عن العباس - في بعض
الجوانب ،عائبة عليه في جوانب اخرى ،فاما عني عليه فلانه لم يرت
احدا من احبائه ،او يمدح احدا من اصدقائه ،وهذا خلق لا استطيع ان
الهمه » .

وكان الزواج يعلم تليده القاسم بن عبيد الله بن سليمان ،وقد
اشتراط الزواج عليه ان هو بلغ الوزارة ذات يوم ان يعطيه عشرين الف
دينار ،وكان ان بلغ القاسم الوزارة ،فلو في الزواج التوسط لقصاء
حاجات الناس عنده يشن يتقاضاه من اصحاب الحاجة الى ان يستوفي
عليه ،وقد استوفاه الزواج ،ولال يتقاضى المزيد من الناس برضى من
الوزير ،فيماحق البصير على ذلك ويقول :

« وهذا يدل على فساد شديد في حكم ذلك العهد ،وأي فساد ابلغ
من هذا الفساد الذي يسمح لوزير ان يتفق مع عالم له مكانته على ان
يلقي حوائج الناس باجرة معينة » .

وغير هذا الكثير الذي يستنبط منه القارئ اخلاق البصيروسريته
بالاضافة الى ما يعرف عنه العارف عن كتب من طب العشر ،والجيب عن
ذكر احد بالأس ،وصدق الهجة ،واحترام نفسه ،فهو يعق صورة من
اروع صور الانسانية بين اديبائنا الاعمين .

وفي الفصل الثالث ،يتناول المؤلف النظر في الكتب الهداة له ،
والكتب التي لم له ان يقرأها ،ويعر فيما يعر بالقرارة بين التنبيسي
والجواريه ،من حيث الزواج الذي يحلها على مدح المدوح ثم لا
يلبثان ان يهجاه ،كما يعر بعدد كبير من الكتب ، منها « الخالدون
العرب » لتفري طوفان ،و « دراسات في اللغة » للدكتور ابراهيم
السامرائي ، و« البلاغة عند السكاكي » للدكتور احمد مطلوب ،فيرضها

صدر حديثا

جدران الصمت

شعر رمزي

٠٤ ع .٠٣

منشورات مجلة الادب

المؤتمر الصهيوني العالمي الاول، الذي شهده نحو من (٣٠٠) كبير من كبراء اليهود في العالم، برعاية هرتزل، واعلنوا فيه المخطط الصهيوني، في يال او بازل في سويسرا سنة ١٨٩٧ هـ والظاهرة السياسية الاولى للحركة الصهيونية وفي تلك السنة، ولد الطفل الحسيني المباركة طلعت في القدس، قرب المسجد الاقصى، اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. هذا الطفل، هذا الناشئ، هذا الشاب هذا الرجل، هذا الملم، هو الذي اختارته العناية العليا ليحرس مصير العرب في فلسطين ٥٥ سنة فلم يتراجع ولم يدعن ولم يستسلم، ولكنه في حرب رمضان ١٣٩٣، تشرين ١٩٧٣ شاء الله ان يقر عينه ويجعله يرى سنا النصر المنتظر في سيناء والجولان. كان ذلك اليوم العظيم في سيناء والجولان، اول يوم انتصف فيه العرب من اسرائيل الخارجة من انياب بريطانيا واميركا الباغيتين، وكلها سلاح وادوات دمار، ولكنها بعد سيناء والجولان اراحت تلهث وشقت مرازها. ولا يعتقد ان بعد سيناء والجولان الا سلسلة حلقاتها صيغت من سيناء والجولان، الى ان يطلع راس الحية ثم الى حيث القت ... باذن الله .

كما انفردت فلسطين بان تلقي اعنف مخطط شرير وحشي، لم تر البشرية نظيره في كل مجرى التاريخ كذلك وفي الوقت نفسه، انفردت فلسطين برجل النضال والمسير «الحاج امين» (١). لقد طالت نعمته وارتفع مستوى ثقافته فلم يرد كل ذلك الا وقارا في عين الناس وتواضعا في نفسه. ففي سنة ١٩٢٢ انتخب « المفتي الاكبر » خلفا لـ اخيه الشيخ كامل الحسيني رحمه الله، ثم بعد قرب سنة انتخب رئيس « المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى » ليقوم بالارشاد على ١٦ محكمة شرعية في ارجاء فلسطين وعلى محكمة استئناف عليا، ولدير الاوقاف الاسلامية وهي جمة وافرة تتولاها سبع دوائر في فلسطين وهذا المجلس المؤلف من اربعة اعضاء بالاضافة الى الرئيس وجميعهم يمثلون فلسطين وستكلم عن هذا في موضعه ان شاء الله. وبعد « المفتي الاكبر » و« مساحه رئيس المجلس الاسلامي الاعلى »، انتدات اليه رئاسة التزمات الوطنية في فلسطين وهذه التزمات عديدة، تقتضيها الحوادث الكبار والمصلحة الوطنية، ثم في سنة ١٩٣٦ انفتحت الاحزاب السياسية والفت « اللجنة العربية العليا » لمعالجة القضية الوطنية في تلك السنة سنة الاضراب الكبير الذي استمر ستة اشهر، وجعل «الحاج امين» رئيس اللجنة وهي اعلى هيئة في البلاد، وسنة ١٩٤٦ صارت هذه اللجنة « الهيئة العربية العليا » الى اليوم . وفي سنة ذلك الاضراب اعتقلت السلطة البريطانية اكثر من



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

١٨٩٧ - ١٩٧٤

بقلم عجاج نويهض

الحقائق المشعة في سيرة زعيم فلسطين الحاج محمد امين الحسيني رحمه الله وعليه رضوان الله، وقد استميدانه اشواطاً متلاحقة ٥٥ سنة، في فلسطين والعالم العربي والعالم الاسلامي واوروبية، تعطي الدلالة على ان العناية العليا قد اختارته وهياته ليكون على موعد لرصد الحركة الصهيونية والانبعث بقدرة عجيبة لمنازلتها وطمسها وتفكيكها، وهذا العالم العربي يتطلع الى العراق، والعالم الاسلامي يشهد المواقف والثورات تتدفق في فلسطين وتنطلق وما تنطفيء الا لتتقد ثانية عشرين سنة الى اول الحرب العالمية الثانية، وثلاثين سنة الى سنة الانهيار ١٩٤٨.

انها مدة ثلاثين سنة مخاضية وثورية ودموية في فلسطين، والعالمان العربي والاسلامي يريان ولا يمدان يدا، والمنكر الشنيع الذي بدا سنة ١٩١٨ في فلسطين وكثر عن انيابه، ووقه مظلة الحراب البريطانية، لم تحاول ايدي الماين العربي والاسلامي ان تزيله، وكانهما اكتفيا بازالة ذلك المنكر بالقلب واللسان .

اننا في اجمالنا سيرة هذا الزعيم المفرد العلم نرى ان الحقيقة اروع من الخيال كما يقولون، وما تراه عينك غير ما تسمع عنه بالقتال.

(١) في فلسطين استست هاتان اللقنتان معا على شفاء الناس كاتهما لفظاً واحدة معناها رسالة النضال في دجل .. لا يمكن ان تتصور فلسطين الا من خلال « الحاج امين »، ولا ان تتصور «الحاج امين» الا وهو مجسم للفلسطين .

(١٥) الف عربي زيت يهتم المعتقلات العديدة في البلاد .
مراحله وادواره : - حصل علومه الابتدائية في فلسطين ثم اخذ بعد برواق مطامحه واخلامه الوطنية بعد نشر الدستور في المملكة العثمانية سنة ١٩٠٨ وكانت الاشواق القومية العربية قد عشت في صدور من اطلق عليهم اسم « الرعيل الاول » في القضية العربية والحاج امين من هذا الرعيل وواعيته ومعادنه ، فكان الذروة والسنام .

- ثم ذهب الى مصر واستوعب من الازهر ، ومصر وقتئذ راد الضحى مع ذكريات العلم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده « تلميذ السيد جمال الدين موقظ الشرق والصارخ الاول في العصر الحديث » او رجل القرن التاسع عشر . وقضى الحاج امين قرب سنتين في « دار الدعوة والارشاد » ، وهذا المعهد طلابه مختارون من مختلف الاقطار العربية والاسلامية اذا الغاية التي كان يتوخاها السيد رشيد ان يخرج رجالا كملت اوصافهم وبعدت همهم ليكونوا عمال الدعوة الى الاصلاح العربي الاسلامي ، ولم تمش « دار الدعوة والارشاد » اكثر من ٣ سنوات فجات الحرب الاولى سنة ١٩١٤ واوقفت عجلاتها . وطلاب هذا المعهد ادوا الرسالة التي حملوا مبادئها ، ومن جملة هؤلاء الاخيار « الحاج امين » ومن رفقته في « دار الدعوة والارشاد » الشيخ يوسف ياسين الذي صار فيما بعد مستشار الملك عبد العزيز آل سعود ، والاستاذ الاديب المناضل الشاعر الخطيب لسان القضية العربية الوزير محمد الشرفي الذي بعد ١٩٢٠ انتقل الى عمان وتولى في حكومتها مناصب عديدة الى الوزارة وتوفي منذ بضع سنين ، وكلا الشريفيين وياسين من اللاذقية رحم الله الجميع . وفي اثناء الدراسة في « دار الدعوة والارشاد » ، كان الحاج امين يحضر الدروس والمحاضرات في كلية الاداب في الجامعة المصرية . فامتلا حوضه من النبعين ، وعمر صدره بكل ما يؤهل ليكون فيما بعد خادما اولى القبلتين ، ولكن الحرب العامة الاولى صارت قاب قوسين .

- في سنة ١٩١٤ (١٣٣٣ - ٣٤ هـ) كان الحاج امين قد طاف باجزاء من البلاد العربية ، ولا بد ان هذا قد اكسبه شيئا وافرا من الملاحظات والدروس والعبر ، وكانت الحركة العربية الى تلك السنة قد بلغت حدا من الانشاء والنمو والشعور بيقام له وزن . وسنة ١٩١٣ كان قد عقد المؤتمر العربي الاول في باريس برئاسة الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي والوطني اللبناني الزعيم اسكندر عمون . بل كانت آفاق القضية العربية وقتئذ موضوع المحافل السياسية في اوربوا ، وخاصة في فرنسا . ولكن كان اصحاب القادة من زعماء « جمعية الاتحاد والترقي » في المملكة العثمانية قد بلغوا حد الغلو في الحركة الطورانية (٣) دون ان يبالوا ان المملكة العثمانية مؤلفة من عدة اقوام والعرب امة بראسها ووراءها حضارة بعيدة المنسببات ، وتاريخ يظل العالم ، ونادى هؤلاء

الفلاة « بتترك » العناصر غير التركية في المملكة ، فكان ذلك كله مدعاة بعد اعلان الدستور لاستيقاظ العرب في الشرق العربي الاسيوي ، ويشمل ذلك جزيرة العرب والعراق وسوريا بكاملها وفلسطين والاردن ولبنان . وكانت حربا ايطاليا قد غزت طرابلس الغرب آخر ١٩١١ ، وكانت حربا البلقان قد وقعتا سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ وباتت البلاد العربية بعد هزيمة الدولة العثمانية في حروب البلقان معرضة للاحتلال الاجنبي حتى اذا امتدت السنة النار سارح الاجانب الى الاحتلال بحجة الاطفاء كما وقع في احتلال مصر سنة ١٨٨٢ ، او تتواطأ الدول الكبرى على تقسيم البلاد العربية وانف الترك رافم ، وفي مقدمة هؤلاء الدول فرنسا وبريطانيا وايطاليا . كل هذا كان « الحاج امين » الواعي المتخرج من « دار الدعوة والارشاد » قد استوعبه ، وهو من الرعيل الاول ، كما قلنا ، وكان قد انضوى الى الجمعيات العربية السياسية السرية . وشاب عربي على طرازه ، في السابعة عشرة ، حري به ان يوطد نفسه على العمل القومي ويندركا لهذه الغاية متكلا على الله تعالى ، وصدق العزم والنية الخالصة . وفي سنة ١٩١٤ هذه ، قام الحاج امين بأداء فريضة الحج مستصحبا والدته الكريمة رحمة الله ، وتقطع بان رحلة الحج الى بيت الله العتيق قد وسعت كثيرا من آفاقه السياسية الضامنة ، نحو مستقبل امته .

- نحن نتصور فلسطين الحبيبة اليوم بعددوها الدولية منذ ١٩١٨ وظهور وعد بلفور ، وهذه الحدود هي اشبه بعدد فلسطين في الزمن الاقدم ، واجبت بريطانيا العظمى وقتئذ ، « والصغرى » اليوم ، والله الحمد ان تقدم اوعد بلفور حدود فلسطين اقرب ما يمكن الى شكل الحدود « التوراتية » زمن بني اسرائيل الاجوف ، والقول التوراتي الشامل لطول رقعة فلسطين : « من دان الى بئر السبع » ودان هذه في شمال فلسطين او حدتها الشمالي بحيث اذا رسمت خطا منها الى الغرب صوب البحر وصل هذا الخط المستقيم الى شمال صور المدينة اللبنانية الساحلية ، ومن المفيد للقارئ ان نضع بين يديه وصفا مجملا لحدود فلسطين وسوريا زمن الحكم التركي الى سنة ١٩١٤ فنقول :

سوريا كانت مؤلفة من ثلاث ولايات و « متصرفيتين » او ستجقين بالتعبير التركي : فالولايات هي ولاية حلب وولاية الشام او دمشق وولاية بيروت الساحلية ،

(٢) كان منشؤها ورئيسها والتكامل لها السيد الامام محمد رشيد رضا صاحب « المنار » ، وهو تلميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده توفي الاستاذ الامام ١٩٠٥ وتلميذه الامام السيد رشيد ١٩٢٥ .
(٣) نسبة الى طوران القوي التركي الجذور الى حدالاسطورة ، و « الجامعة الطورانية » ومعها الاستانة وقوامها الفلاة منهم ضياكود ، اب ، واحد آفاي ، ويوسف آقشوره ، وهما من الروسيا ، وجمال ساهر ، ويحيى كمال ، وحيد الله صبحي رئيس نادي « توركويدولي » شمل النزعات الطورانية وفيهم كثيرون .

والسنجقان هما لبنان « المتصرفي » منذ ١٨٦٠م والقديس . وكلا لبنان والقديس لهما امتيازاتهما ومربوطان بوزارة الداخلية توا . وبهنا ان نعرف كيف كانت فلسطين الى ١٩١٤ : ان ولاية بيروت الساحلية كانت غربية الشكل ، من حيث الوصل والفصل في اراضيها و « المتصرفيات » التابعت لها ، اذ هي عاصمة الولاية ، وام البلاد حضارة وعمرانا تجاريا واقتصاديا وثقافيا .

وكان لبنان « المتصرفي » (٤) يحيط بالمدينة بيروت من حدودها البلدية الجنوبية الى صيدا ، ومن حدودها البلدية الشمالية الى طرابلس فكانت بيروت اشبه برأس رجل مركب على كتفي رجل آخر . وولاية بيروت هذه تمتد الى منتصف الطريق بين نابلس والقديس ، ضامنة نابلس وجنين وطولكرم والناصرة وحيفا وطبرية وصفد ، مما اندمج في فلسطين منذ الانتداب وكان الى ١٩١٤ . تابعا لولاية بيروت .

— علمنا صفة الواقع السياسي للقضية العربية الى سنة ١٩١٣ و ١٩١٤ ، وقد كان « الحاج امين » ممثله الصدر من المطامح القومية شان رجالات الرميل الاول . فلما وقعت الحرب كان قد تخرج من المعاهد العسكرية في الاستانة (استنبول) والتحق بالفرقة ٤٦ ومركزها ولاية ازمير . وكان رجال الحركة الطورانية الذين يديهم القادة السياسية والعسكرية قد فتلوا برامجهم دراسية تطبيق « التترك » بعد نشوب الحرب ، وبعد ان دارت خمرة الفكرة الطورانية في رؤوسهم « كان ذلك كسلا في النهاية هتياهم وانهار الملكة مما آخر سنة ١٩١٨ والعاقبة للمتقين . وقد عمد الطورانيون بعد نشوب الحرب الى تفريق الضباط العرب في مطارح بعيدة بحيث لا يستطيعون مع هذه الاعداد ان يجتمعوا في مكان واحد . واما الحاج امين — وصار يلقب بالحاج بعد حجه البرور ، مع والدته رحمها الله من الان فصاعدا (١٩١٤) وجعل من ضباط الاحتياط في الحرب حسب نظام الخدمة العسكرية في الجيش العثماني .

— لما احتلت القدس في ٩ كانون الاول ١٩١٧ رتب الحاج امين امره بحيث استطاع ان ياتي الى القدس ، وهو يعلم ان البلاد امست تواجه مصيرا جديدا ، مجهول العواقب بظهور وعد بلفور . وكانت هذه الكلمة « وعد بلفور » وقتئذ وان دلت على شيء رهيب على المدى البعيد لكنها في اول الطريق لم تدع وسيلة لاختفاء اشواكها وخشها والسم الناقع في احشائها . زد على هذا ان قواد الجيش البريطاني في فلسطين وقتئذ كان معظمهم غير ميال لليهود ولا للصهيونية ، او على الاقل يتظاهرون بهذا ، وكسان اللتبي فعلا من هذا النوع وهو القائد العام ، وكبار الضباط على هذا الطراز . فلما جاء الدكتور ويزمن الى فلسطين ربيع ١٩١٨ على رأس وفد صهيوني ليمهد الامور ليحصل بالبلاد حلولا صهيونيا ، لم يلق من قادة الجيش البريطاني

الا نظرا شزرا غالبا ، ولم يكن هؤلاء يعلمون علما واسعا كيف اربتطت حكومتهم منذ ١٩١٦ مع الصهيونية ارتباط وثيقا مقابل قيامهم بجمل اميركا تدخل الحرب الى جانب « الحلفاء » ، فلما دخلت اميركا الحرب ربيع ١٩١٧ هب اليهود ، وعلى رأسهم بيت روتشيلد ، يطالبون بتحقيق الشرط وهو ان تقطعهم بريطانيا فلسطين ، فاختذت المفاوضات بين الفريقين تأخذ مجراها الخفي حتى انتهت الى وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، وعلى الجملة يصح ان يقال ان اللتبي واعوانه لم يكونوا ليستسهلوا هضم وعد بلفور وقد وقعت امور عديدة بين الحكام العسكريين الذين تناوبوا على حاكمية القدس العسكرية ، وبين اليهود الصهاينة ، دلت على هذا كله .

— ولا بأس ان نعرض حالة واقعية تعطي مزيدا من التوضيح لامر الصهاينة في اثناء الاحتلال العسكري الى تموز ١٩٢٠ وهذا مما يزيدنا بالتالي وقوفا على المآزق الحرجة التي صارت تحدث بفلسطين ، وهذا ليس بجانبه الحاج امين ويعد له العدد قدر المستطاع .

فان الحاكم العسكري العام لفلسطين الجنرال بولز المعين من قبل الجنرال اللتبي ، كان يظن ، اول تقلده المنصب ، ومركزه القدس ، ان اليهود هم مثل سائر السكان في فلسطين ، والحكم عسكري ، وليس لهم اي امتياز على غيرهم ، ولكنه كان قد لقن من مراجعته المأذولة ما معنى الوطن القومي اليهودي ووعد بلفور المقطوع لليهود ، وامر بالتابع السياسية الرسمية . وكان ويزمن قد انتهى من زيارة فلسطين على رأس الوفد الصهيوني ، ومعه وصاة جارية من لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ، وذلك في ربيع ١٩١٨ . وقد سبقت الاشارة الى هذا ، وان قيادة الجيش البريطاني لم تهضم فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وليس معنى هذا ان القادة العسكريين في فلسطين كانوا في النهاية معارضين علنا للفكرة ، فانهم رغم عدم ميلهم لليهود لاعتبارات عديدة ، عليهم كاتليزان يخضعوا لسياسة دولتهم ولا مناص ، وقد كان ذلك .

في ٢١-١٢-١٩١٩ ودمشق منغمسة في قسيتها الكبرى ، كتب الجنرال بولز الحاكم العسكري على فلسطين رسالة عجيبة غريبة ، الى الجنرال اللتبي في مصر وارسلها مع ويزمن وفيها ما يلي :

١ - انه يستطيع تحويل فلسطين الى بلاد « تدرب لنا وعسلا » ، في مدة عشر سنوات ، اذا اسعف بقرض من ١٠ الى ٢٠ مليون جنيه عند تقرير الانتداب ، وانجد بالسر هربرت صموئيل ، فينتج عن ذلك ، ان تخف مناخضة

() كلمة « المتصرف » من مصطلحات اللغة الادارية التركية ، والمتصرف اقل من « الوالي » ولعل ما يشبه المتصرف اليوم « المحافظ » الجاري استعمالها في معظم البلاد العربية .

العرب للصهيونية ، مع بقائهم مطالبين بالانضمام الى سوريا الكبرى .

٢ - وعند ذلك يفتح الباب للهجرة اليهودية دون ضوضاء ، ويصبح عدد السكان مليونين ونصف المليون بدلا من الست مئة الف اليوم (اواخر ١٩٢٠) .

٣ - ووادي الاردن سيسكنه مليون نفس بدلا من الالف الواحد من البدو المعثرين فيه .

ونقول ان هذا المخطط المرتجل ، العسكري الصفة والاسلوب ، كان ويزمن قد اقنع به الجنرال بواز الحاكم العسكري العام فاقنع بوزل بتعويذة ويزمن فكتب هذه الرسالة الى القائد العام للتبني . ولندع ما جاء به بوزل من القول من جهة القرض ، وتحويل فلسطين الى انهار لبن وعسل ، وبلوغ عدد السكان ، الملايين بدلا من الست مئة الف (مجموع عدد سكان فلسطين وقتئذ) ونقف هنيهة عند النقاط التالية :

اما طلبة ان ينجذ بالسر هربرت صموئيل الصهيوني القبح، كما وصفه صديقه الحميم تشرشل ، فان صموئيل هذا طلب اليهود انفسهم تعيينه مندوبا ساميا يحل محل الحكومة العسكرية ، اي محل بوزل نفسه . وقد تم ذلك في اول تموز ١٩٢٠ ، قبل خروج فيصل من دمشق بشهر وبوزل بطلبه هذا فكانه كان يلبي رغبة ويزمن نفسه .

واما قول بوزل ان بذلك تخف مناهضة العرب للصهيونيين او الوطن القومي اليهودي مع بقائهم مطالبين بالانضمام الى سوريا الكبرى ، فتلك المناهضة هي التي كان ممسكا بعنايتها الحاج امين (هـ) واخوانه ، في فلسطين ودمشق ، وكانت لجنة كراين قد طافت البلاد واتت الى فلسطين ، ومع كل وضع للعصي بين الدواليب فقم استطاع عرب فلسطين ان يرموا عن قوس الحاج امين بطلب الانضمام الى سوريا الكبرى . وصدرت صحف عربية في القدس اسمها «سوريا الجنوبية» .

ومضى على هذه الرسالة من بوزل الى اللبني مئة يوم وثلاثة ايام ، وفي خلال هذه المدة كان الجنرال بوزل قد انشقت مرارته من عنت اليهود وصلفهم وقلقت انكراهم للنظام والقانون والاوزاع والتعليمات الرسمية ، اذ كانوا يريدون ان يفتقروا فوق كل حاجز لينالوا مطالبهم العجواء وراخوا يهدونهم بجماهير اليهود والنفعا . وفي ١٢-١٢-١٩٢٠ كتب بوزل الى اللبني رسالة تتعلق بالمسؤولية في حوادث الدماء في موسم « النبي موسى » ، وهي اول دماء سالت بين العرب واليهود في فلسطين على الحساب العربي لا الهجري ، لان اصل السبب في احداث هذا الموسم زمن الدولة الصلاحية الايوبية ودولتي المالك ، هو عسكري محض ، لرد القرصنات الصليبية التي تظهر بفتة على سواحل فلسطين ، فتكون البلاد مستعدة بسلاحها لرد الغزاة عند السواحل .

واخذ بوزل يصف للجنرال اللبني مسلك اليهود الراض للوثاقين ، ويقدم له امثلة من صعوبة مراسهم من ناحية ، وجبنهم عند وقوعهم في المازق وطلبهم من الحكومة ان تحميهم من ناحية اخرى . ومما قاله بوزل : « فينشج مما تقدم ان سلطتي الخاصة (كحاكم عسكري) وسلطة اي دائرة من دوائر الحكومة ، هما عرضة للتنزي عليهما من قبل اللجنة الصهيونية ، واني متأكد انه من المتعسر استمرار هذا الوضع دون ان يسبب ضررا ووقع الامن العام في معضلات تعم البلاد ، فتجر الحكومة الى مازق حرجة . وانا اليوم اذا احتجت الى التعامل مع ممثل الطائفة اليهودية ، فيهدوني بسطوة الرعاع ويرفض ما تفرضه الانظمة الرسمية المقررة ، الجارية الاحكام .

فذلك ، ومن اجل مصلحة الامن العام ومصلحة الصهيونية انفسهم ، التمس الغاء اللجنة الصهيونية (٦) . وفي تموز ١٩٢٠ جاء هربرت صموئيل المندوب السامي الاول خالما الحكومة العسكرية التي تولت الحكم العسكري من ٩-١٢-١٩١٧ الى تموز ١٩٢٠ .

وفي تموز هذا من اواخره انتهت المكابد الثلاثة الايدي الفرنسية والبريطانية والصهيونية ، الى الغلبة على العرب في دمشق ، وزالت «الحكومة العربية» (٧) ، وخرج فيصل من دمشق الى درعا ثم الى حيفا ثم الى الاسكندرية فاوروبا ليرتق الفتق الذي لا رتق له ، وكان « يوم ميسلون » اتراحا للعرب وافراحا لليهود اذ تخلصوا من شبح الدولة العربية في الشام ، الدولة التي لو اطرد كيائها واشتدت اركانها ، لما قام كيان في فلسطين لوعده بغور ولا لاسرائيل ١٩٤٨ والله الامر من قبل ومن بعد .

بعد ان وقع « يوم ميسلون » في تموز ١٩٢٠ ، تفرق الرجال : ففريق رافق فيصلا الى اوربوا ، وفريق لجأ الى السكن في اماكن محجوبة في جبل العرب ، وفريق ذهب الى مصر ، واما رجالات فلسطين وعلى راسهم الحاج امين فبعضهم اختار مقاماموقتا لخارج فلسطين ، وبعضهم الاخر عاد الى فلسطين . اما الحاج نفسه ، فقد عاد بعد حين الى فلسطين ، وجاءت سنة ١٩٢١ وفي موسم النبي موسى في الربيع

(٥) كان الحاج امين في سنة ١٩١٩ قاد قام بدور ابقاطي عظيم بان اعد البلاد لتبدي امنيا ان تكون تابعة للدولة العربية في الشام ، امام لجنة كراين الاميركية ، واما استطاع الحاج امين هذا بجهدوه الكبيرة المتلاحقة ومن امهات انشائه «النادي العربي» في القدس على غرار «النادي العربي» في دمشق .

(٦) هنا اهم مفرق وقع لالة العربية وهي تحاول استئناف الحياة المستقلة . فان الحركة الصهيونية ، وهي في اوائل ظهورها في فلسطين ولم تزل في المهد ، رقصت ابتهاجا بدخول غورو الشام اذ تخلصت من شبح دولة العرب الكبرى في دمشق .

(٧) راجع كل هذا مفصلا في كتابنا « بروتوكولات حكماء صهيون » المجلد الاول من ٧٤ - ٧٧ الصادر في مجلد في بيروت ١٩٦٧ .

خاضعات مغربية

★

غام افق وماج ليل بهيم
الاعراض ، لكن لا يستطيع الكريم
اذا انساق في التلاحى العظيم
غير أن الشريف منها عقيم
فارض ان يزدهي عليك اللثيم

ليس يرعى الكذب ذمة صاحب
انما شره على الخير غالب
عاد راجيه وهو حران خائب
فكم احسنت الي التجارب
حين يثني على الفضيلة كاذب

زكي فنصل

لا يضق بالعداء صدرك مهما
يستطيع اللثيم ان ينهش
اي فرق بين الرعونة والحلم
ادوات الكفاح في العيش شتى
فتسلح باللؤم فيه والا

عش وحيدا ولا تصاحب كذوبا
ربما كان فيه ومضة خير
كم يريق يخال في القطر ماء
بارك الله بالتجارب استاذك
علمتي ان استريب بفلسفي

بوانس ايريس - الاجنتين

السامي واختلى به مدة ، وبلغه اشياء آتية من لندن ثم عاد
الى القدس واستمر فيصل الى حيفا .

صموئيل بقي في فلسطين خمس سنين ، وفي سنة
١٩٢٥ انتخب ولايته ، وفي ايام هذا اليهودي الصهيوني
اللقب ، انتخب « الحاج امين » مفتيا اكبر لفلسطين ، وبعد
قليل انتخب حسب القانون العثماني رئيسا للمجلس
الشعبي الاسلامي الاعلى ، وكان نظام المجلس ينص على ان
رئاسة المجلس هي للمفتي الاكبر مدى الحياة . وموضوع
التفصيل الكلمة التالية :

نريد في ختام هذه الكلمة الاولى من سيرة الحاج امين
ان نبين انه بعد ان طبقت اتفاقية ساكس - بيكو ونفذت
سنة ١٩٢٠ ، وانقطاع الصلة بين دمشق وفلسطين ، اجمع
أمره على ان يعود فيرتب مخططة لخدمة فلسطين ، بعد ان
يثمت والفرقت للانفاس على يد بريطانيا ووعده بلفور
والصهيونية الشرسة المسلحة .

هذا ما سنبتدىء به في الكلمة التالية ان شاء الله ،
وتقول هنا لقائدة القارئ الكريم الذي يريد متابعة هذه
الكلمات في « الادب » ، جاذبة جوانب العرب اليوم ، ان
مرادنا من هذا كله ان نجعل سيرة هذا الزعيم الكبير لدى
اكبر عدد ممكن في العالمين العربي والاسلامي ، وذلك قبل
ان تقع الزيادة والنقصان في الاقوال ، ويقدم ويؤخر في
الاعمال ، وتنتير الاحوال ، وتطوى الاجال .
والله يقبض ويبسط ..

عجاج نويهض

راس المتن - لبنان

وقعت حوادث الصدام الاول بين العرب واليهود في
القدس ، وكان للحاج امين اليد المديرة الحكيمة في اعطاء
اليهود اول درس ، وطلبت السلطة العسكرية للمحاكمة ،
فخرج من فلسطين الى الاردن مقيما في مضارب القبائل
والعشائر العربية ، وبقي هناك مدة ، دون ان تنقطع مراقبته
للاحوال الجارية في فلسطين .

من هو هربرت صموئيل ، المندوب السامي الاول
وولايته من ١٩٢٠ - ١٩٢٥ ؟ هو اول يهودي بريطاني ، بعد
ذرائيلي المشهور ، تقلد مناصب وزاريا في حكومة حزب
الاحرار . اختاره اليهود ليكون اول مندوب على فلسطين
ليضع اسس « الوطن القومي اليهودي » واطلقوا عليه
« امير اسرائيل الاول » ، فجاه زمن الحكومة العسكرية
الى فلسطين بصفة زائر لا من قبل نفسه بل من قبل وزارة
المستعمرات التي كانت قد وافقت على ترشيحه ليكون
المندوب السامي الاول بعد الحكومة العسكرية واطلع على
احوال البلاد ليساعده ذلك على القيام بمهمته بعد قليل .
ولما جاء في تموز ١٩٢٠ في البحر ووصل بافا مندوبا ساميا
انتقل الى القدس تخفزه قوة عسكرية خشيعة ان يقع في
كمين للعرب ، وللمبالغة في الخشيعة فقد اعلنت الحكومة
انه سيصل في القطار الحديدى ، بينما اتخذت ترتيبات لنقله
برا الى القدس فنقلته وحوله قوة مسلحة تخفزه .

وكان وصوله في اول تموز ، ولما خرج فيصل مسن
الشم في القطار الى حيفا ، وسكة الحديد تمر في وادي
الرموك ثم سمح ثم بيسان ، وهذه الاماكن من فلسطين
الشمالية ، ذهب اليه هربرت صموئيل بصفته المندوب



عامر محمد بحري

حصار السنين

بقلم عامر محمد بحري

عند مفترق الطرق

كان الشيخ محمد العريزي رحمه الله، وهو إجلد إسيديتي الاوائل، الذين درست عليهم فصول العلم والادب، وكنت يومئذ طالباً في السنة الرابعة الثانوية، بالمدرسة السعيدية بالجيزة .. وقد تلوت عليه بعضاً من شعري الاول، كان منه قصيدة ضاحكة، نظمناها على نمط معلقة امرئ القيس المعروفة، وذكرت فيها تلاميذ الفرقة واحداً واحداً .. وكان مطلعها :

فلا نيك من ذكرى .. اخير اول بفضل لنا .. بين المرء ومعمل
والمرء هو البهر الفاصل بين الحجرات في الدور
الاول من البناء الثاني، للمدرسة العتيبة .. اما العمل فهو معمل الطبيعة والكيمياء .

واما البيت الثاني، فكان يدخل في الموضوع مباشرة .. فيقول :

فلا نيك .. من ذكرى تلاميذنا سليم، وجبريل .. وبعدعنا علي !
وقد شجعني الشيخ العريزي على تنمية ملكة الشعر، وقال لي في الفصل يومئذ :

— جدد يا عامر ! لقد عرفت كيف تشق لنفسك طريقاً .. نحو المستقبل !

وعندما اعدت الواد الادبية للنشر في مجلة المدرسة لذلك العام (١٩٢٨ - ١٩٢٩) .. وكان هو الاستاذ

المشرف على المقالات العربية فيها، نشر لي مقالين ... احدهما في التاريخ بعنوان « سقوط نابليون » .. وقد شفغته بصورة رسمتها بالريشة الافرنجية والحبر الشبني الاسود لنابليون .. اما الاخر، فكان بعنوان « دمعة على المجد الضائع » .. وقد شفغته ايضاً بتسعة ابيات نسي موضوعه، لا انسى كيف استمع اليها الاستاذ في حنان وتأثر بالعين .. ثم اشار بنقلها الى اول المقال .. واعتمده للنشر .. وكان هذا آخر لقاء لي معه، اذ كنا في اخر العام الدراسي .. وتلك الابيات هي :

الا انما الشرقي في النوم لشارق تراء على ما ناله غير جساتع
ابعد العلا والعز خفف وذلة وجبن وطراق وسكب مدامع
يسير رجوعاً للوراء، وبغيره يقطع امتساك التجسوم الطوالع
ويبقى في عقر من الدار مظلم وهل دانت الامال يوماً لقابع
وما فوق الشرقي الا بخبسة قيام الماضي، وانذار الشرالع
وتفصيح ما قد خلفته جلوده وتقليده الغربي في غير نافع
وصوت شعور فيه قد كان حانيا كاسنة التيران او كالفواطع
فليت الذي اولى الكمال لغيره وواوعد دوما .. بنحس الطوالع
يوجد عليه بالحياة سميعة او النوم في جوف القبور البلاع

ثم انتهت فترة الدراسة الثانوية .. وجاء التطلع الى اي المدارس العليا او الكليات الجامعية التحق به، لا تمام التعليم العالي .. وكانت كلية الحقوق، تجاور المدرسة السعيدية .. حديثة الانشاء فخمة البناء .. وقد انتجته نحوها يومئذ اكثر زملائي من طلبة القسم الادبي .. وكانت كل العيون تتطلع نحوها، مترقبة ان اقدم اوراقي مسج هؤلاء الزملاء، لكلية الحقوق، التي كانت في عهد ازدهارها هي تلك الكلية التي يخرج للبلاد المحامين عن قضايا الوطن، قبل قضايا الافراد .

ولكن سلطان القدر كان اقوى من سلطان البشر .. وتقدمت باوراقي الى مدرسة التجارة العليا (كلية التجارة فيما بعد) تحقيقاً لرغبة ابي، الذي كان يراها الطريق العملية للحياة الجادة الناجحة .. كما كان يراها بعض اقاربي في الريف .. المدرسة التي تخرج « الباشاوات » ! على ان شيطان الشعر، او سلطانه .. كان اقوى من الجميع .. فقد شغلني الشعر عن كل شيء .. شغلت ايما شغل بقصائد شوقي الاخيرة، التي كانت تصدر الصحف .. وبمسرحياته الشعرية، التي احدثت رجة في دنيا الادب يومئذ ما بعدها رجة .. وكان صدقي المستشار عبد السلام عباس الكاوي قد التحق بكلية الحقوق ... وتراسلنا بقصائد شعرية، وخطابات ادبية في هذه الفترة .. وقد اشرت الى ذلك في مقال سابق من هذا الحصاد، بعنوان « هجوم الشباب » .

وكان عام ١٩٣١ .. هو عام الازمة الاقتصادية الكبيرة التي اجتاحتها العالم، وتأثرت بها مصر .. وكان الموقف السياسي في مصر غير مطمئن كذلك .. فقد اقبلت حكومة الوفد للمرة الثانية بعد فشل مفاوضات النحاس وهندرسون .. وقامت الحكومة الصديقة، التي الفت

دستور ١٩٢٢ ، ووضعت بدلا منه دستور ١٩٣٠ ، واقامت مجلسا للنواب لا يرضى عنه الشعب . وكانت كل هذه الامور تشغل بالي ، لا لاني مسؤول عن شيء منها .. ولكن لان الشعر كان يدفعني لاتخاذ منها مادة مجددة للنظم .. ناهيك بانني حاولت في هذا الوقت البكر ان انظم مسرحية شعرية . وكان اكثر الموضوعات تأثيرا علي يومئذ هو موضوع الثورة الفرنسية ، وحروب نابوليون .. ولذلك كان الموضوع الاليق بي ان انظم فيه المسرحية المرتبة ، هو موضوع « الملكة ماري الانطوانيت » .. وقد سرت في هذا الموضوع خطوات بعيدة .. وهو جدير بان يفرد له مقال مستقل .. ولكنني اكتفي هنا بفقرة من رسالة الى الصديق الكاوي .. ضمنتها ابائنا من هذه المسرحية .. لتكون دليلا هاديا الى هذا العمل الذي كدت انساه مسح مرور الزمن ، وتتابع الاحداث .

قلت في تلك الرسالة :

« ثم اني كنت افصيت اليك من مدة ، بما كتبتة عن سواك ، وقلت لك اني انظم رواية تمثيلية هي «ماري انطوانيت» .. وتقع في اربعة فصول ، وانجزت منها فعلا فصلين .. الا اني خطر ببالي ان اخذ منها الفصل الخاص بمقتل «مارا» حتى لا تزدهج الرواية بالحوادث ، وان اجعل ذلك الفصل رواية قائمة بذاتها تحت اسم «شاولوت كورداي» ..

وهذه الرواية لم انجز منها غير شيء من الفصل الاول ، وشيء من الفصل الثالث والاخر .. فليس لدي اذا شيء طريف اذكرك منها .. ولكن لتسليستك وسرورك اذكر لك هذه القطعة على لسان شارلوت كورداي ، مادة لقمة الجيرونديين :

ليس كالجيروندي فينا فتنة
يكونون الشعب عدلا ، واتيانا
قادة الثورة من مبدئنا
اولو الاحكام حتى متناها
ملكوا ناصية الامم ... فلما
اضغمت نفس لهم بقي هواها
صرفوا الامر بمقتل راجح
لم اجد علا اليه قد تناسى
نهضوا بالشعب من كبوته
كسوا نهضه عزاء وجاه
رفضوا رايته عاصيته
ليس في الافاق الا من راعها
والخون الوغد منهم من اباه
اعتسوا الحرب على اعدائه
ابصروا الموت اذا دارت رعاها
خاف منها الجبليون ... الا اني
ورسوا الجيروندي فيها صدهم
ان منهم من ترس في لثامها
ذاك دييوريه ... ولكني ناعها
وسواء زعماء خفص
نشلوا الامة مما قد ناعها
من خليط مرشد اتنه
وصيف الراي ، ان يعنى حادها

اما حديث المسرحية ذاتها ، والشعر المسرحي .. فموضوع جدير بان يفرد له مقال آخر ، بل عدة مقالات .. واما قصائد الزميل الكاوي .. فحسبي ان اذكر ما بقي منها قصيدة قصيرة .. الا انها شاملة .. لا اجعلها آخر العهد بهذه الرسائل .. ولكنني اجد في سطور الخطابات الثرية ذاتها ، ومنها السجع وفنون البلاغة الاخرى .. وفيها اسلوب صاحبي الراقي ، وفكره الناقب .. مما يستحق بان يفرد له كذلك مقال مستقل ..

اما القصيدة .. التي جعلتها اعتذارا عن قصيدة سابقة كتبتها ، ثم تأخرت في ارسالها قرابة شهرين .. فهي هذه :

طال القلام ، ولم ير القمر
فلعله في الحق يتنظر
ولعله ينسى رساتنسا
ليسرى اذا جادته .. ما الخير
فصاح ان جيات بطاننا
وعسى يزيال نفسه الفجر
انا ، وكل الامر شدتنا
وهومنا .. وامرنا الاخر
وقصيدة من اشهر نظمنا
ما منك يا عباس .. تدخر
لكنها الايام منسية
والسرور ينسى ... لم يذكر
جنتا اليك .. وكلنا امل
ونقص قصتنا ، ونفسد

هذه القصيدة جئت الحفها
اخرى ، وفي كتبها العبر
مغتني الايام ارسلها
حتى اراد بذلك القدر
والسرور مشغول بعاجلها
مشفولة بمصايبه ... الفكر
والشاعر لغز .. انت تعرفه
فاذا انسى شيطاننا زجلا
ولقد اتاني منك .. من زمون
صافي الموارد ما به مضمون
عذب ، فسات ، سائل ، بهج
فوددت لو اني رددت به
عبد السلام .. اخوك في شغل
هو يمين محزون ومضطرب
القلب منه كله تقسية
وحوادث الايام فسادحة
وبلادنا .. نزلت بها ازم
ولقد بكيت على مصيبتها
والصبر من في بيادته

عبد السلام اذا استدردت فلا
من امره ، يتنايه الكدر
ود الصداقة سوف احفظه
والنار في جنبيه تستعر
والعين منه كلها تنظر
الشفع من جرائها صود
حتى اترى من دعوى الشجر
حلو ، لاذ ، سالخ ، عاس
بصرها .. يفسر بعينه النظر

عبد السلام اذا استدردت فلا
عذب الام به وابندر
ود الصداقة سوف احفظه
بعدم المساك .. ولست اتفخر
لم تنتهي هذه الفترة .. وما صحبها من احداث ، وما اعترض الدراسة فيها من معوقات .. وكانت قد مرت فترة كافية ، جعلتني على حذر من دراسة الحقوق ، لئلا يعوقني الشعر مرة اخرى .. ولذلك اصبحت كلية الاداب ، هي الهدف المقصود ، والامل المنشود ..

وتذكرت حينئذ ما كان قد حدثنا به الشيخ محمد العزبي رحمه الله ، في حصة اللغة العربية ، قبل ذلك باعوام قريبة .. عن استاذ جليل الشأن ، له صدارة في عالم الادب ، ازهرى النشأة الا انه يتقن اللغة الفرنسية .. مكفوف البصر ، الا انه نافذ البصيرة .. حتى لقد ذهبت مع بعض زملائي ، اثر سماعتنا هذا الحديث ، الى جمعية الشباب الوحيية ، بالقاهرة .. للاستماع الى ذلك الاستاذ الجليل ، وهو يلقي محاضرة ، يوجه فيها الشباب الى التعليم الجامعي ، الذي كنا نلمس طريقنا اليه يومئذ .. فيحدثنا عن «الكوليج دي فرانس» .. التي يطلب فيها العلم للعلم ، من الكبار والصغار ، على حد سواء .. فحزوني ذلك الى اتخاذ القرار الاخير في الاتجاه الى كلية الاداب ، لاكون قريبا من تحقيق الذات ، مع الاقتراب من ذلك الاستاذ

زير بطني

امسك فمك الاغاريـد
ام التصفيق بالجنحين يا اسمر
ايشجيك جمال الصيـف
فيه المسك والعنبر
وتشجيك دموع الفرح يسكبها
احبانا من المهجر
شذى خطواتهم في ارضك العطـاء
كالفـل اذا ازهرـر
ايا لبنان يا هبة السـماء
وجها الاكبر
اشيخ عارك الدهـر
ولا اصبى ... ولا انفر

الراية - لبنان اسمى طوي

.. الذي لم يكن احدا .. سوى العميد الجليل الدكتور
طه حسين.. رحمه الله ..

على ان عقبة اخرى ظهرت في الطريق .. فقد كانت
هذه الفترة الفاصلة .. عند مفترق الطرق .. سببا في
اتجاه تفكيري الى نواحي عدة .. وكان اعجابي شديدا
بالبارودي ، رب السيف والقلم .. فلماذا لا احقق الذات ،
بدخول المدرسة الحربية (الكلية الحربية الان) .. والتي
كنت اسميتها في بعض الشعر والنثر .. «مدرسة الجيش»؟
وهكذا قدمت اوراقى لهذه المدرسة ، واديت امتحان
القبول والكشف الطبي بنجاح .. ولكن النظم القائمة
يومئذ حالت دون قبولي بالمدرسة ، لاني كنت من ابناء
الشعب ، ولم تكن لي واسطة لدى احد الكبراء ..

وقبل ان اتوجه الى كلية الاداب ، يوم السبت ١٥
اكتوبر ١٩٢٢ .. غداة انتقال احمد شوقي ، امير الشعراء ..
الى جوار ربه .. لتابع مع زملاء متحفزين من الشباب
الشاعر ، اداء هذه الرسالة السامية ، ولاشارك معهم
في تحقيق ما قاله شوقي نفسه قبل اعوام ، عند افتتاح
الجامعة .. من ان قاعاتها ستشهد من الشباب من تـرن
فيها اصواتهم بالشعر ، كما تسجيع الحماثم على افصانها ..
اقول انني قبل ان اتوجه الى الكلية في ذلك اليوم .. كنت
قد نظمت قصيدة ، ختمت بها فترة البلبلية الفكرية ،
والهموم النفسية .. اسميتها « عثرات » .. ولعل الجدير
بها اليوم ان تسمى « عند مفترق الطرق » .. قلت في
مطلعها :

اشرق الصبح ، واستبان النهار ام بليس .. تراكب استهباء
وفي القاموس .. « استهر الليل » عز اكبته ظلمته ..
ولا غرو .. فقد كنت كثير النظر في القاموس يومئذ .. ثم
قلت :

نفس الدمع .. فالعصر من الابصار .. حتى قد انتهى الابصار
قد يكنىك هاجر الليل حتى .. افلتت في عيوننا الانسوار
لا تلوس زفرتي والتباسي بعصت داركم ، وشط الزار
قلت مهجتي .. على نار وجدي غايانا .. مصيره .. الانفجار
الى هذا الحد .. وصلت بي الحال ، وضاق المجال
.. ولكن الايمان والصبر ، مع شيء من الثقة والفرح ..
مما يهون الصعاب ، ويكشف الطريق ..

لي في العادلات صدق وصبر .. ليقري في العادلات فرار
انا طيرة .. بمرجة الجسد .. يراني انوري .. ويلهو الصغار
كلهم جاهل .. بدقة صمصي واخو العلم منهم .. مختار
ما راينا كجاهل .. يدعي العلم .. ولا عالم عليه يتشاور
وتصل الحال الى اشد حالات الضيق ، حتى يسأم

الكريم من العيش بلا كرامة ..
قال للشمس ذات يوم سهيل حشمي انت .. فاضراها افتخار
الجل بعد ذا يعيش كريمة .. وله عن هوى الحياة اعتذار
فما هو المخرج اذا من هذا المضيق :

بنلوس تسيل فوق رمساح الخط .. نال الحرية .. الاحرار
ان ربيب النسيب اسوغ طعما .. من طعام عليه ذر الصغار
لا يقيم العزيز بالبلد السهل .. ويبأس له القيام التجار

فقام الكريم فيه السوار ورضاه العزيز بالذل .. عار
ولقاء الصدا اشرف من ان يلعب الصلع .. ما جنى الانتصار
فأذا كان هذا هو الحل .. فلماذا لا اختصر الطريق
.. وانغدم الى المدرسة الحربية ، مدرسة الجيش ..
لاحق بجرائي ما كان يخشاه الشباب يومئذ ..؟
ولقد رمت ان اسود نفسي ما اسودت ذلة القعود .. فصاروا
جهلوا عزة الجنود .. فقاموا
امم الارض جسد ذا الدهر .. منه امه النيل .. مصمم وسوار
الذرت الدمع مني العين .. لما راعني قيد امشي ، والاسار
فاحتلت الخطى .. « بمدرسة الجيش » .. ولي همة ، ومنى ابتدار
ولكن اوراقى لم تقبل يومئذ ، للأسباب التي قدمتها
.. فمأذا يضيرني وانا العلم .. ان الشمس طريقا اخرى ،
يكون فيها النجاح ؟

انا ، والمجد ، لم يفرني رد وانا العلم .. كيف تحمي الدمار
ليس في هذه العجاسة فسرار صبح في موج الدروب .. اختار
فقدرب القصة بعصي قصاة وسدرب التجار .. بعصي تجار
وبعربي قضيت .. والشعر دربي ولو ان المعالجية .. كثار
انا .. ان لم اذ بشعري عن فو داب .. فليحذ طوي الاخير
فلينبج نفوسنا .. المثل العالي .. فقد طال دونها الانتظار
فوم .. ولتعزب بعقرباني الشمس .. فلعاقل اللبيب .. اعتبار
هذه هي القصيدة ، التي حاولت فيها ان افتخر ، وان
اعزم الامر ، وان احقق الذات .. ثم قضيت بعدها الى
دربي .. والشعر دربي .. ولكن لم يزل رغم ذلك حديث
يطول ، عن فترة هموم الشباب .. تليها فترة الانتحاق
بكلية الاداب ..

مصر الجديدة عامر محمد بحري

ازدواج

والقائنون وليتهم ظعنوا
وضع القريب لامتع الزمن

فرد ، سواه لدي متهن
اذكره فتت قلبى الشجن
فزهرت حلاه واورق الفصن
فاح العبير ، واتمر الفن
ان الحياة جميعها فتن
وجه الوجود يلفه الدجن
نغم به ، وتراذفت منن
ان احذقت بالزورق الحسن
اذكى الفناء به فما اهن
وجه الحياة رواؤها الحسن
لبائسه لاستهزل الثمن
طار له من شطبي السفن
بالجن بعد فراقه فمن
لا الدار تسعدني ولا الوطن
فيهم يضيق بخزيرها العطن

احجارة هاتيك ام سحن ؟
بمناياك ربحها عفن
دقت فحارت خلفها الفطن
في كيد البقضاء والاحن
للدس تلهيه فيضطقن
علل بها يتمزق البدن
نطق بها يعا به السن
سيان منه السر والعلن
صاح الضلال بهم فما جنوا
ثم انتهوا ، وطواهم الكفن
عبء الحياة وبأوه النتن
لأرحت من بشقائه امتحنوا

والظاعنون دنوا وما ظعنوا
فانا بها متضعض ضمن

محمد رجب البيومي

الظاعنون وليتهم ظعنوا
ضدان ، لو لاقى بعيدهمو

الظاعنون وفيهمو امل
هو مثل عيني او اعز فان
غذيت به بدمي على شغف
واختمال مياسا فتت وقد
ورنا بسيمته فخيّل لي
ان غاب عن عيني طفت ارى
فاذا تهلل قادما هطلت
هو مرفئي في العيش بعصني
لو خار عزمي في مناسبة
او مثله يمضي ليذهب عن
لو كنت ادفع مهجتي ثما
او كنت املك ان اتابعه
قد كان غاية ماملي فانا
ما اشتهي من بعده اربا
القائنون وكل مندبسة

مثل الحديد وجوههم صلبت
يتظرفون اعلى مناجتهم
ولهم بنيه الكيد اودية
من كل وغد تستبد به
فقد المواهب غير موهبة
يثنى عليك وطى مدحته
دارى عدواته ومقاتته
قد صورته على حقيقته
لم يتغل بالسابقين وقد
خبوا باودية الخنا ردحا
او مثله يبقى ليثقل من
لو كان امر الناس تحت يدي

القائنون دنوا وما ظعنوا
ان المصيبة عندي ازدوجت

الرياض - كلية اللغة العربية

محمد رجب البيومي شاعر الاسى المنزب

بقلم عبد الفنى احمد ناجي

لا يعي بعضهم كنه هذا الرحيل ، ومن ثم فهم دائبوا الهتاف والنداء : « يا امام » ، فيقع النداء في قلب الشاعر الاب ، او الشاعر الجريح - كالكواهد !

ونعيش مع الشاعر الانسان الدكتور « محمد رجب البيومي » في قصيدته الاخيرة التي نشرت بمجلة العربي في عدد يناير ١٩٧٥ بعنوان « يقولون : يا امام » - لنستبين وهج المرارة ، وحرقة اللوعة بنفثهما صدر ذلك الشاعر ، وتحملهما كلماته منبئة عن كل ما يعتل في ذلك الصدر من اسى لافح ، وحزن لا يعرف مدها .

وبدا القصيدة بمطلع يتسم بكل مظاهر البساطة والطبع : والد حزين واطفال صغار يطلبون المستحيل ، ولكن لهم غلرمهم ، فهم يطلبون الام الرعوم التي طواها المنون منذ قرب او بعيد ، فلا مجال للتائق في التعبير ، فوهج التجربة ، ووقدة العاطفة يغنيان الف مرة عن التائق والتعميق ، وتخرج الكلمات في بساطتها باعثة لاسى لا يحتمل فالشاعر هنا ينقل مشهدا خاصا به كان هو مبعث اللوعة والاسى لديه ، هو مشهد الصغار يهتفون منادين « امامهم » كما دابوا على ذلك من قبل ، اذ كانوا ينادون فتخف اليهم متلهة الوجه ، لتدال الصعب ، وتحل المشكل ، وتصلح الامر وتعيدهم الى ما ينبغي من صفاء واخاء ، كانوا كذلك دائما ، وكانت كذلك دائما معهم ، تمسح عليهم باليد والفؤاد ، واليوم ينادون فيرجع الصدى منبئا عن خواء المكان ، واقفار الساحة ، فيهرعون دون ما ارادة الى الوالد الرحيم ، مطالبين في ثقة لا تحل - بان يبر بوعد ، ويذهب ليعيد لهم امهم ، ويهدا شان الطفل ، او هو من ابرز سمات الطفولة ، فالطفل يخال والده يحق له المعجزات . ويسمع الشاعر الاب هذا النداء ، وهذا الهتاف ، وهذا الطلب فيهرب سريعا الى داخل نفسه ليعترف دون ما تصريح ، او لتعترف له نفسه في كتمان - بضعف الحيلة ، وعجز المسعى ، اعترافا يكاد يحطم النفس والفؤاد ، اذ هو عجز عن تلبية طلب وراءه ثقة بريئة ، وتصور غريب ، فتنتقض شفتاه - ربما دون وعي بامنية المستحيل : امنية سكوتهم عن طلباتهم :

يقولون : « اماما » كلما من مشكل واولى بهم ان يسكتوا لو تعقلوا
يقولون : « اماما » الذي انا صانع ومن دون « امامهم » تراب وجندل
يصبحون هلا ذهبت تعيدها كاتني برد الراحين مسوكل
واخال الشاعر الوالد من خلال هذا المطلع قد علل هؤلاء الصغار - بعيد قرائ امهم - بانه سيذهب معاقرب ليعيدها من سفرها ، وكأنه كان لا يدري ان الهتاف لن ينقطع ، والطلب لن يفت حتى يحقق لهم ما وعد ، ولما وجد استمرار الهتاف وتتابع الطلب لم يجد بدا من الاعتراف بالمعجز :

... ما الذي انا صانع ومن دون « امامهم » تراب وجندل
... كاتني برد الراحين مؤكل

ثم يقول في تصريح اليم ، تصريح لكل من يشاركه لوعته واساءه ، لا تصريح للأطفال ، فهم دون تحمل ذلك بكثير

لم يعد شك في ان ارق الشعر واروعه هو ما عبر - في صدق فني - عن نبض الشاعر واحساسه ، فكشف به عن خلجات النفس ، فائر بعد ان تأثر ، وهدا امر اصبح بدهيا في مجال النقد الادبي ، فقد باتت التجربة الشعرية على رأسس المقومات الفنية للشعر الذي يستحق وسم الروعة والامتياز وما عدا التجربة من مقومات انما هو لا يراى ما تحدثه في نفس الشاعر من تأثر وانصهار .

واذا كانت التجربة تتفاوت في درجات عمقها تتفاوت المؤثر قريبا وبعدا فان اقوى التجارب هو ما يفجره لدى الشاعر حادث لصيق ، او مؤثر يدور في فلكه الشاعر ، او يدور في فلك الشاعر فلا يتناهيان ، ومن ثم كانت المناسبة الخاصة بالشاعر اشد ما يلهب عاطفته ، وينطق اراد او لم يرد - بالتعبير عنها ، لينفس عن نفسه التي تعيش في بركان يكاد يحطم الجسم والروح لولا هذا التنفيس بالكلمة الشاعرة ، ومن غير الاودال - وبخاصة اذا كانوا زغب الحواصل - يكون هتافهم بامهم الراحة الفؤاد ، فؤاد الوالد البر ، وطلب رغبتهم النفس اذا عجزت الحيلة عن التلبية والتنفيذ ؟ ، ومن غير الزوجة الوفية يبيع فراقه الشجن والاسى وبخاصة اذا كان فراقا اخيرا لا لقاء بعده الا يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ويزداد الاسى والالم حتى يعصر الفؤاد عصرا اذا كان بين الالفين قبل الثنائي مواقف تجاوزت انسانية المثالية الى الملائكية الندية ، ثم من غير الشاعر الانسان يسطاع التعبير والتأثير ؟ !

ولا يعني هذا ان الشاعر لا يتأثر الا في دائرة ضيقة لا تتجاوز ما يخصه ، فهو انسان مرهف الاحساس ، ودائرة احساسه رحية منداحة ، فهو يتأثر للالم يقع على كل كائن حي ، انسانا كان او حيوانا او طيرا ، ويؤلمه الاسى يحل بساخات غيره ، ولو كان ذلك الغير مخالفا له في المشرق والمقيدة ، ولكن براكين الاسى لديه تلقى كل ما بها بعد فوران اذا كان لظن الالم كواي له قبل غيره ، او دون غيره . واخالنا بعد هذا المدخل او المقدمة تكون في ترقب ليهيف للنموذج المبين ، والساحة المترعة بالمواقف والمشاهد ، وتوقف الترقب حينما تقرأ لشاعر انساني معاصر ، هصرته التجربة ، وكواه الاسى الجاحم ، فتدقت شاعريته في مرارة واكتئاب ، اذ فقد رفيقة دربه منذ قرب ، فترك تحت جناحه - ليكمل رسالة العطف والتربية - فراخا صفارا

دائية في البحث عما يريح ويهيج صفارها ، ناسية كل ما يصيبها من ألم أو غناء ، هكذا جعلها الله ، وأودع في قلبها راحة تسري كالماء الفرات لتبديد هذا الألم والغناء ، فهي تذهب هنا وهناك في حركة ودعوى ، ولا ترى إلا صورة الصغار ، ولا تروم سوى ما يبهيجهم :

إذا اشرفت شمس بدهم سميتهم تجاه الصفاف الخضراء لا تنهل
وان عصفت ريع بعض تجمعت عليهم هبوب الريح ساعة تقبل
منظر يوشك أن يكون طبعيا ، يريح النفس الإنسانية ، ويبعث على الإعجاب الندي بعطف منقطع المثال في عالم الكائنات الحية .

ثم يعود الشاعر الجريح الى داخل نفسه بعد فترة عاشها يصور حال أطفاله ، وأحاسيسهم برحيل أمهم ، يعود في المقطع الثاني من القصيدة - غير وأجد مناصبا من هذه العود - فالأسى الداخلي يشده شدا ، ومن ثم نجد كل تعبير له - ولو كان عن غير ذاته - يشي بجزئه الداخلي ، والم نفسه الدفين ، ها هو ذا يعود الى داخل نفسه ليجد الحسرة الكامنة ، والمرارة الولغة في مسارب جوانحه ، فيألم نفسه ، ويرثي لحاله ، ويعزي ذاته ، كأروغ ما يكون الألم ، والرثاء والتعزية ، وكان تعزيبات الرفاق لم تنه فتىلا ، فينطق ناشدا عون الله لنفسه على ما تعانيه وتكايد :

لي الله من لي حسرة برحيلها لها سرب بين الجوانح موغل
تدب شفاف القلب وبلي ، فان علت الى الحلق فرث فيه والريق هنال
وترواكم الأسى ، وتمتد اللوعة ، ويتضخم الحزن والألم فتجرح الذاكرة ، وبذلك العقل وتلغى اللسان ، ويظفني ما اعتقت من راشد الجبال فاعلم اناء الحديث والهل
والشاعر الجريح في هذا البيت يعبر عن أخص خصائصه ، وإبرز مواهبه الفنية التي تمثل لديه أغلى الجواهر ، وأتمم الدور ، أنها خاصية العقل الراشد ، والألمعية المسعفة واللسان الدرب الذي يشق الكلام في كل موقف كائنا ما كان ، والبيت بعد - يحمل كناية من أبداع الكتابات على فداحة الخطب ، وشدة الأسى ، فالدهول والافحام نتيجة الألم النفسي - امران متوقعان إذا كان ذو الألم غير متميز بالحجا الراشد ، واللسان المتدفق ، اما إذا كان فريدا في هذا المجال فالدهول والافحام منه ينبثق عن التبايع لا تحمله الجبال ، فكيف بشاعر رقيق الحس والشعور ؟!

ثم يستحضر الشاعر الحزين اطراف زمانه : ماضيه وحاضره وغده ، ويفصح في صدق أليم - عن احساسه تجاه كل طرف فيما يشبه إصدار الأحكام على هذه الأزمنة من حياته الخاصة ، فالماضي ليته يعود لتعود معه اشراقه رفيقة الدرب ، وإخاله يتمنى عودة ذلك الماضي من أجلها فحسب ، وال حاضر يفيض مغموت ، فقيه كل ما عبر عنه ، أو صوره من آسائه ولظاه ، والد يخافه ويخشاه ، لا يحسه من الضياع النفسي بعد رحيل ستر نفسه كما يعبر في هذا البيت :

والفعول الى امسي ، وأمعت حافري وأخشي غدي ، إذ ليس لي فيه موئل

فيلخص الموقف كله في بيتين يحلمان ما يحس به من عصر الاسى لفؤاده الكلوم ، يا لهول الموقف ! ، وبأمرارة التجربة ! وبأشد الآلام ! ، هو والد البر ، وشاعر مرفق ، يقف عاجزا عن تلبية أمنية لفلذات أكباد ، وماذا بيده وهم يظليون - في بساطة الاطفال - أراجاع راحل لن يعود ، وهم يأسون للرحيل ، ورحيل اليد الحانية ، والقلب الروم ، وهما يختلط اسماء بأساء أو يهيج آسائهم أساء ، ويشعل لهذه لظاه ، فيحس - في صدق فني - أن أساء أشد ، وأحاسه ألام وأعظم ، وكأنه يقول : أولا تعقلي لهفت مثل الصغار ولعلبت مثل الاطفال أراجاع رفيقة الدرب ، ومؤسسة الحياة ، ونسمه يلخص التجربة في هذين البيتين :

شديد على نفس الأب البر موقف يهيب به أطفاله ثم يتكسل
يعبده احساسهم برحيلها واحساسة الدماي أشد وأهول
ويظل والد الشاعر في اعترافاته بالعجز أمام طلب أطفاله الملح ، فيصرح بما هو متوقع من كل طفل يطلب مثل هذا الطلب الباعث على الأسى والألم ، فماذا يستكت الاطفال عن هذا الطلب ، لن تستكتهم الدنيا بأسرها :

ووالى فنون الفريات تليها لها وال طيبوس ، وما طاب مائل
ثم يذهب الشاعر - في واقعية الية - الى تبرير ما يقوم به الاطفال من الإلحاح في طلب «ماماهم» فيتحول المشهد من اطفال يعلبون بفقد الأم ، ويعلمون الردى بالسؤال الى مشهد حان وريف ، كان في الترتيب الزمني سابقا على مشهد الألم والأسى ، فنصور الايات التالية أبهى مجالس الامومة ، وأروع مظاهر الحنو والحب في عالم الإنسان : ثم تظل بجناحيها صفارها ، فيحسون طاقات هائلة من الحب والامان ، اما تهل وجهها فهو معجز في نفوسهم النضة يتابع البهجة والانشراح ، ولكن هذا الذي نؤاه الشاعر أعسر متوقع ومفروض أن يحدث من كل أم تجاه صفارها ، لا في عالم الإنسان فحسب ، بل في جميع العوالم التي تنتظم كل ذي كبد رطبة ، والذي تجدر الإشارة اليه هو تلك الحالة الخاصة التي لا يعلمها الا من عاش الشاعر ، فقد كانت رفيقة دربه مريضة ، وصارعت عليها جهد الطاقة ، ولم تنس في ذلك الصراع طيورها الاطفال ، بل ريمانت عليها ، أو نسيت تداعي سقمها في خضم رعاية صفارها ، فآثرتهم على نفسها حتى رحلت شهيدة جهدها كما يقول الشاعر الأب :

رعتهم ، وخلت نفسها ، فهي بينهم على غلاء الكبح تقوى وتحمل
الى ان مضت عنهم شهيدة جهدها فتأخروا عليها صارخين ، وأهولوا
واني أرى هنا ان التصريح بخواص الاطفال وأحوالهم ما كان ينبغي الإشارة اليه في مثل هذا الموقف ، فمأذا يتوقع من اطفال صفار يرون أهم بين برائن النسون ؟ إذا كان الشاعر يرى في استعادة ذلك الموقف بكل ما حدث فيه من متوقع وغير متوقع - اكمالا لكل جوانب الاسى الذي يحس به ، ويشعر بالراحة في التعبير عنه ، وأيات هذا القطع بعد هذا ، أو بعيدا عن نبض الاسى والألم - ترسم أماننا مشهدا جاذبا خالبا ، هو مشهد الألام الروم - في عالم الحيوان والإنسان والطيور - التي تظل

اني انتظرتك ايها
اني انتظرتك يا صد
تأتي من الزلزال والـ
ومن التراب البكر من
الاي باطراق خجول
يقي منذ الاف الفصول
البركان من صخب السيول
وهج السنابل في الحقول

واتيتني بعد انتظار
وترف في صحراء عمري
اما عزمت على المضي
ابدا اصالتها نقاء
تستلح الارض .. البوار
فغن زيتون وغار
فكن كجات النصار
باقيا رغم الغبار

يا من طرقت الباب مر
سفر طويل يا غريب
عينك تدعوني على
وانسا اريدك عاصفا
تعدا لتعبر الف عام
ب.. اما انجلي، بعد القمام
خفر يوارسه الظلام
كالريح تقتحم الزحام

سلافة العامري

دمشق

عن القليل ، وان كان رائد القلم والبيان يقول في هذا المقطع الانساني الوريف في دائرة الحزن الشامل على فراق من كانت له كل شيء :

تري قصصا في غود نفسي دفينه
تفقدو نظاسيا يعالج منفسا
اجل ، هي كانت في البلايا طبييتي
نشدت علاج الروح في تكاسها
اروح عن نفسي بذكر نقالسي
بالموتني ان صرت ابكي فراقها
لكانت نعيم الله يهيج منزلي
لعم صباها الغنى في موحش الترى
هياما به ، الا صار منزل حسنها

وتختم القصيدة بمشهد جامع لطوائف الموزنين على رحيل من رحلت ، ولدهوب الشاعر الحزين على الحديث عن زوجه الراحلة ، ورفيقة دربه الذي خلا ، والتي هام بها هياما يكاد يهوي به لتقبيل ترى يضمها - نجده في النهاية يقف قبالة اطفاله في ساحة اللوعة والاسى ، هم يهتفون في صباح جاهر عاصر : « يا امه » فيهتف هو في داخل نفسه : « وازوجتاه !! » :

اب « وازوجتاه » فانتى

عبد الفنى احمد ناجي

الفيوم - دار الهلعات

وبعد ان يصدر هذه الاحكام على اطراف زمانه يترف مبينا تبرير كل حكم في قوله :

فقدت التي كانت تروء سورتى
وهنا يفتح باب هيامه برفيقة دربه - على مصاربعه، فيتدفق في تجلية مكانتها من نفسه ، ويصل في السمو بهذه المكانة الى اوج رفيع ثم يشرع بذكر مآثرها في دائرة ليس فيها غيره ، فهناك - في اول القصيدة - مآثرها كام مع صفارها ، وهنا مآثرها كزوجة وفيه مع زوج شاعري الطبع ، والنهج في الحياة ، بذكر لها ما يكاد يجعله يهوي الى الثرى ليقبله ، بعد ان ضمها الثرى في مستقر اخير ، فاقفرت دروبه من الحادي والانس .

واذا كان حنين الشاعر الى ماضيه ، ومفته لحاضره ، وخشيته من غدم تحولات خطيرة في حياته فان استطاده في الحديث عن رحلت عن حياته تبرير لهذا التحول الذي فرض عليه بعد خواء نفسه من مؤنسها وحادها في دروب الحياة ، ومن ثم شعر بضياعه بعد ضياها :

... فهل بعد ان ضعننا التحمل !!

ولتستمع الى هذا المقطع الاخير الذي يعترف فيه الشاعر الزوج ، فيفصح عن ان زوجته الراحلة كانت طبيب نفسه ، وعلاج روحه ، وبلسما لمنفصات حياته ، واخاله لم يفصح الا عن القليل ، او لم يسطع التعبير الا



تعودت في عصر كل يوم ان اخرج الى حديثتي الصغيرة . وهي حديقة لا اشك في ان كثيرين غيري يمتلكون ما تكبرها انسانا او تفوقها روعة .

حديثتي متواضعة ، ولكنها بالرغم من ذلك جنتي التي انسى فيها متاعبي . وعندما اهبط اليها واخلو بين ازهارها ، اشعر فعلا بانني في ملكتي ، ذلك لان كل ما فيها قد وضعت على النسق الموجود عليه الان . . . فيما عدا سور قديم تراكبت احجاره بطريقة غير هندسية . كانت احجاره غير متناسقة ، فضلا عن تفاوتها في الحجم . . حجر امس ، والى جانبه آخر اضخم منه ذو لون يميل الى القمامة والخشونة . . . وحجر ثالث صغير لا اعرف كيف انحشر بين عشرات من احجار اخرى متباينة الاقدار والخشونة . كان يحلو لي دائما ان اطيل النظر الى هذا الجدار . وفي ذات يوم ، سألت صديقي الكبير ، وهو رجل حكيم ، خبر الحياة ، مرها وحلوها ، حدثته قائلا :

« لا اعرف ما الذي يجذبني الى هذا الجدار ؟ شيء ما يشدني اليه دون ان اعرف طبيعة هذه الجاذبية ؟ وظل الحكيم يتفرسني طويلا وكان عينيه قد نفذتا الى اعماق سريري . ثم رد على تساؤلي في كلمات هائلة : - اكاد اجزم بان النظر اليها يريك من اسئلة مبهمة تحاصر عقلك الباطن . في هذا الجدار ، ستجد الرد على هواجسك . فالتاس كمال تعرف اقدار . بعضهم كبير وشامخ والبعض الاخر ضئيل . بعضهم خشن ، والاخر امس . قلبهم وهاج واكثرهم كابي اللون . .

وساد بيننا صنعت طويل رحلت خلاله اتأمل في مغزى عباراته . وعادت الى ذهني عبارات قديمة كان قد قالها لي في مناسبات سابقة : - انظر الى السماء . هل ترى

النجوم كلها على قدر المساواة . ان بعضها وهاج وبعضها الاخر يكاد ان يخبو . هذه حكمة من حكم الله ، عز وجل . لو شاء لخلق النجوم كلها سواسية ، كاسنان المشط . . وطال الصمت بيننا . . حتى قطعته صديقي الحكيم بعبارة من عباراته المأثورة :

« فكاف تأملا . قم وعش حياتك . ان كثرة التأمل تملوك بالقصور الذاتي . الم اقل لك ان الحياة حركة . . ولم ادرك تماما مقصده من هذه الملاحظة الاخيرة . ثم حياني وانصرف .

هذا الجدار ، كم اصبحت شغوا به ! اصبحت اذهب اليه في كل يوم ،



بقلم سمير وهبي

مرة او اكثر ، لاضع يدي عليه واتحس احجاره ، واحدا واحدا . كل حجر فيه اصبحت صديقا شخصا لي ، اعرفه بتأوانه وانخفاضاته ، هنا وهناك شروخ فيه . لا شك ، انه في ذات يوم ، قريب ، او بعيد ، سوف تتساقط احجاره . . واحدا بعد واحد . واذا سألت صديقي الحكيم عن ذلك ، ارد علي باحسد اقواله المأثورة :

« الم اقل لك ان لكل شيء نهاية ، وان كل حياة مآلها الى الفناء



الاكيد . وكل بناء مصيره السى التهدم . وهذه الاحجار سوف تتساقط ، حجرا حجرا . .

ومضت شهور . وفي ذات يوم ، كنت كعادتي اזור ملكتي الصغيرة . . وكنا في فصل الصيف والطقس حارا . وفجأة هبت عاصفة جعلتني انسحب الى الدار . وجلست بين كتبي . وتناولت منها واحدا وقعت يدي عليه عفوا . وحمل لي عنوانه اكثر من معنى العبث . كان كتابا للمازني . فابعده واذا بالثاني ايضا يجسد لي المعنى الاول باكثر مما فعل العنوان الاول . ولم يجلب لي الثالث سوى التأكيد على المعنيين الاولين ! ماذا كان يقصد المازني بعنوانين كتبه : حصاد الهشيم . قبض الربح . خيوط العنكبوت ؟

في هذه اللحظة ، هبت ريح شديدة . وترامى الى اذني صوت شيء يرتطم صادر من الحديقة . وفي بعد الظهور ، عندما زارني صديقي الحكيم ، رآى الجدار وقد لفظ منه حجرا كبيرا ، قال لي :

« اليوم . . مات صديقي ابراهيم المازني . لقد ذهب الى ملاقة ربه بعد ان كشف عن زيف الحياة ووضع اصابعه على سخفها ، وعبر في سخرية لازعة عن فلسفته الشاؤمية .

وتوقفت عينا صديقي على الحجر الملقى على الارض . كان حجرا مميزا ، كبير الحجم ، ناعما ، واخرجته من مآلاته ، وانا اقول :

« سوف اطلب من البستاني ان يرفعه من هنا !

« لا . . . على العكس . دعه في مكانه . هذا الحجر سوف يذكرك بصديقك المازني . الم يقع من الجدار يوم مات هذا الصديق !

ومضت السنوات متباطئة . وكنا في فصل الربيع والطقس معتدلا . وفجأة انطلقا مصباح الغرفة . وخرجت الى الحديقة التمس الانتظار فيها فما اشد ما تكرر نفسي الظلام . وقطع الهدوء الشامل من حولي صوت

فانزاح عن افقي جيش من الكمد
مثل السناء الذي يمتد في عضدي
كاعين عطفها قد زاد في جلستي
اكرم بعيش بدا كالنجم بين يدي
يزجي الي مع الاحلام ثوب غدي
سر الحياة ، ومن اغلى من الولد
يطفو على ظاهري المفروس في البعد
انامل الحزن والاسقام في البلد
مثل الجدى وقدما يختال في الرمد
لا الحمام ارتوى من نعمة الابد
بين الطفولة ، او في صحوة النخد
عن انهر من حنان اثلجت كبدي
يبقى الوجود به مستوثق العمد
تسوء النفوس بهائن شرعة القمد
قلب الامومة ، كالفقران للجسد

شمسان نورنا نفسي مدى الامد
اغدو ، وفي القلب افراح اعانقها
قد كنت زهرا يضوع العطر من فمه
لولا كما كان عيشي غير مؤتلق
بشر الابوة انى سرت يغمسني
والود ، ود التي بالروح تطعمني
رؤياي تشرب من كاسيكما الما
اما عروقي فاوتار توقمهما
فكم صحارى ، ولا تراح من ظما
وكم ورود رماها الياس ذابله
لولا الابوة ما استلقى الضحى فرحا
با والذي صنيع القلب يخبرني
ارنو الي حسنهما مستمرنا خلقا
آمنت بالحب اخلاقا ومرجة
هو اندفاق من الرحمن اودعه

آيت وارهام احمد بلحاج

مراكش - المغرب

ARCHIVE

... واذا بها بعد لسة حنون تصبح
البقة لي ، فاعرف على نؤانها ،
واذا ما كان يبدو بشعا لاول وهلة
لا يعدو ، في الحقيقة ، اكثر من
تنافر في الالوان ، يصد العين .
ولكنه هنا ضروري ليدل على
الاصيل والمناسق والتنوع .
بين عشرات الاحجار الضخمة
الباقية التي ما زالت تمسك الجدار
اجد حجرا يختلف عن كل الاحجار
الآخرى بانه صغير . في يوم من
الايام ، سوف ينتفض هو ايضا
ويغادر اخوانا له . وهذه سنة
الحياة ، وكل ما ارجوه ، يوم تشده
ارض الحديقة الى رحابها ليبقى بين
احجار اخرى زاملته ، ان يذكرني
بعض احبائي الذين ظللا اجهدت
نفسى لاساعدهم ؟ .

سمير وهبي

مصر الجديدة

... فاعرف على نؤانها ،
المفكر الجبار وخلف في الجدار الذي
احتمى به من وغز الحياة فجسوة
ضخمة . ويوم مات كامل الشناوي ،
شعرت بانى فقدت قطعة من نفسي
.. ووجد حجر امس مكانه بين
الاحجار الملقاة في حديقتي .
وكلما مضت السنوات ، زادت
الاحجار الملقاة في حديقتي . لقد
تضائل الجدار وهو يلقي احجاره
واحدا بعد واحد . وتناقص عدد
اصدقائي الكبار . وفي عام واحد ،
تساقط اربعة اخرون من العمالة :
عبد الرحمن صديقي . عزيز اباطه .
محمود تيمور . طه حسين . ومع كل
حجر يذهب ، كانت فجوة ضاربة
تزداد اتساعا في جدار مملكتي .
ولكن والله الحمد ، ما زالت نسي
الجدار احجار تكشفها لي الايام .
هنا وهناك احجار لم اكن التفت اليها

ارتظام . كان حجر يتساقط من
الجدار على الارض !

من انى عليه الدور اليوم ؟ كم من
مصباح اثار لي طريقي فيما مضى
من الزمن . كم من مشاعل انطقات
بعد ان توجهت طويلا . يعقوب
صروف هو الذي ترسمت خطاه في
المنهج العلمي اول ما بدأت افكر .
اسماعيل مظهر .. كان لي غرام قوي
في رصد ثقافته العلمية واللغوية ..
وسلامه موسى بهرني يوما بغزواته
الموسوعية واسلوبه السريع . ثلاثة
مصاييح تهاوت بعد ان اضاءت لي
الطريق في فترة سحيقة من زمن
مضى .

تري من انى عليه الدور اليوم ؟
تري من حل عليه حق الموت ، ونزع
حجرا من جدار جنتي ؟ وسقط حجر
كبير ، وعمر اللمس ..
وفي الصباح ، قرات في الجرائد

ها انت ترحل ،
تبسطني جسرا للشوق والانتظار
وتركني هتافا على اسوار الريح
قلبي يهرب معك ،
يتوحد في الاجنحة والمسافات
يلقي حولك انفاسه الذابلة
ويسقط سجيننا وراء الحدود

عياب

في دفاتري رسمت امواج الحنين
دونت تاريخ الرحيل وضجر الساعات
كنت الهث وراء كل ظل
وينبض الشمع بعد كل احتراق .
نحو عينيك تمتد نوافلذي
مر الشمس تجل ضبابها
فانا اعيش عقم الايام
وانسحاق اللحظات على جسد الليل .
كل الامنيات تمشي اليك
والسام يترهل على شفتي .
مثل جبل اجرد تجتازني الفصول
وعلى يسادري لا تستفيق العصفائر
ولا تالفني سوى مناديل الغمام !

بطاقتك المرسلة من هناك حيث كنا مرة ،
والخضرة الوارفة تغزل شراع الطفولة لقلبيننا
والورد المشبعة بدمى الشمال
تدس الفرح بين سطورنا ،
هنا هي الذكريات تبرق كالسيف
تتناق في ذهب الرمال فاعيش الماضي .
يقمرنا ذلك الربيع البحري ويقمرني حبك !
... وانتظر الان ، اكوم كالالة انقطع عنها التيار
وكاسطوانة باردة اكتم الشوق والحنين
اهفو الى شفافية انفاسك تفتح دربا للتور
وتشعل رماد البراكين
فارى الحجار تفجج بالصمت
واسمع موسيقى الفباب المنسية .

أديس الخشن

يا حبيبي الذي انت هناك
كل الايام اسمك ، ومدى الايام حبك !
مثل ارتعاش السعف حين تناجيها اجنحة العاصفة
ارتعش ، واومىء من زوايا الصقيع !
دعني اسري عبر الاسلاك
وكالنجم الهادي اسقط في مرايا عينيك .
لن اتركك وحيدا في اي مكان
فانا امحو المسافات
وكالعصفور المائد اندس في وكر ذراعيك
فحيث تكون
يكون البيت والوطن !

الشويفات - لبنان

أصاب حيوانا أعجميا ، أو لحق بمن لا قدرة له على الجأر بالشكوى .

وثانيهما : استقلاله في الرأي ، فلا يحكي غيره ، ولا يرتضى السلطات المتوارثات .

والى جانب هذين النهزين الدافقين ، هناك رافدان انزلا نعيمة هذه المنزلة السامقة ، هما أسلوبه المتوفّر الواضح المباشر العبر ، وتسلسل تفكيره في اتجاه منطقي واحد ، فلا تتضارب أو تتعارض أو يختلف جديدها مع واحد . ولهذا نرى آثاره الأدبية كلها منتظمة في سلسك القديم القديم فيها .

نفذ الى الى الجواهر ، غواص على الدرر ، مشاء في دروب القضية ، نهاب للمعارف ، نزاع الى الكمال . وهي جميعا آيات مرصودة له ، حتى وان نازعناه في مذهب تناسخ الارواح ، وان خالفناه في مجافاة الاثنى ، وان لم نسايره في تطبيق القواعد الانسانية المثالية المجردة على القضايا القومية التي يتعزق منها عالمنا المجرد من الانسانية والعالية والمثالية .

سيرة حياته الروية اعظم كتبه ، ولها في الآداب العالية مكان مرموق بين السير . ترجمته لجبران ، مهما يكن نقد النقد عليها ، كتاب مستطرف باذخ فسي الآداب العربي . فلسفته المستصفاة في « كرم على درب » سديدة النظرات ، كل عبارة منها مستجمع حكمة وحكمة وخبرة . يعيش في برج عاجي ناسكا في الشخروب ، ولكن الناس تأنسه مضطربا معهم في خضم الحياة . فيلسوف لا يتفلسف ، وعالم لا يتعامل ، وحكيم يرتجل الحكمة ، ولا يتفارق فيلصاقه اليه جبل بها وفطر عليها .

وهذه تحية الى ميخائيل نعيمة ، يعيها ان صاحبها متواضع القدر ، وان صوته منحس الاصداء ، فلا تليق برجل هذا مقامه .

وقد اندرجت هذه الكلمة في العدد الخاص من « المراحل » الذي صدر لتمجيد ميخائيل نعيمة في شهري نوفمبر وديسمبر ١٩٦٦ .

ومعرفي بميخائيل نعيمة معرفة قارئ لا مخالط او مشافه . فلم تتح لي الظروف رؤيته الا مرة واحدة ، ولكنني تهيبت لمخاطبته انسياقا مع طبيعتي القديمة الجديدة التي تهيب لقاء العظمة ، ولا تلقاهم الا لقياسا الطالب لاسانته .

ففي مؤتمر الادباء العرب الاول الذي عقد في القاهرة في الخمسينات ، سألني الاخ الوفي والحبیب المواصل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ان كنت اعترم شهود جلساته . فقلت له : وكيف اشهداها ولم اثنق دعوة ؟ اريدني ان انتقل على موائد العلماء ، واترج بنفسي بين الائمة الاجلاء ، ولست منهم ؟ فقال الخفاجي : ابغقل ان يكون هناك مؤتمر للادب ، وان يشهده ادباء عرب ، وان يغفل اسمك في قوائم المدعوين ؟ هالك دعوتي الخاصة اتنازل



وديع فلسطين

حديث مستطرد عن ميخائيل نعيمة

بقلم وديع فلسطين

كنت في وحشة الهجرة عندما جاءتني رسالة من مجلة « المراحل » البرازيلية ، عثر عليها اخونا الراحل يعقوب العودات (البدوي المثلث) في صندوق بريده في بعبان ، فارسلها الي مديبا عجيبة من تصارييف البريد : فمن انبأ « المراحل » بانني اقيم في عمان ؟ ومن انبأ ساعي البريد بانني صديق للعودات فوضع الرسالة في صندوق بريده ، ولم يردها الى عنوان « المراحل » لعدم الاستدلال على صاحب هذا الاسم ؟

وقضت الرسالة ، وكانت دعوة الى كتابة فصل عن ميخائيل نعيمة يندرج في عدد خاص تصدره المجلة عن هذا الاديب الكبير . ولم تكن تحت يدي في الغربة المفرقة مراجع استعين بها في تلبية هذا الراء ، فاكفيت بخاطرة موجزة سجلت فيها رايًا مرتجلا قلت فيه :

« سواء اكان ميخائيل نعيمة محسوبا على المهجر ام على الوطن ، فهو بغير منازعة واحد من اعظم المفكرين المعاصرين في دنيا الضاد اجمعين . ومعجزته كائنة في امرين :

اولهما : انسانيته التي من دواعيها النظر الى امور الدنيا جميعا نظرة مثالية لا قوام فيها لغير الحق الرعسي والصفاء الانساني الاصيل . فلا عنف ولا اغتصاب ولا تسلط ولا استغلال ولا استئثار ، وانما حب والفة وتعاون ووداعة ورفق . ومن دواعيها كذلك التفور من الام ، ولو

سجلته في تحيتي المتدرجة في مجلة «الراحل» مفكرا ذا كبرياء . فلا اذلته وظيفة ، بل رفض ان يكون سفيرا تستغرقه الشكليات البروتوكولية ، ولا انخرط في حزب سياسي ، ولا ارضى اغرامات الاعمال التجارية فسني «الدرود» الأمريكي ، فركل كل ما يحول بينه وبين انطلاق الفكر ، واختار رفقة الكتب والاوراق والمخابر على صبيح السياسة ، ورزق الذهب في اسواق التجارة ، واخلى نفسه من الوظائف التي «تقوله» بقولها ، او تطسوع لسانه لاغراضها .

وقد قرأت سيرة نعيمة غبضدورها وبلغ من اعجابي بمنهاجها وصراحتها ولمعات فلسفاتها ان رجوت اخشي وصديقي وجاري الراحل طاهر الطناحي ان يكتب عنها فصلا لاحدى المجلات التي كنت امثلها ، فكان ترجمته بهذا الرجاء فوريا . وقد عدت اخيرا الى قراءة سيرة ميخائيل نعيمة وقرأت في وقت واحد ثلاثة كتب عنه هي «ميخائيل نعيمة الاديب الصوفي» للاديبه المبدة ثريا ملحس ، و «ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه» للناقد المجتهد كمدي فرهود كمدي ، و «ميخائيل نعيمة : منبهجه في النقد واتجاهاته في الادب» وهو رسالة ماجستير ممتازة صدرت لشفيح السيد . وفي اعتقادي ان الدارسين لن يشبعوا من تناول ميخائيل نعيمة من زواياه الكثر ، فهو روائي ، وهو شاعر ، وهو مفكر ذو منهج فلسفي ، وهو ناقد ، وهو كاتب سيرة ، وهو في هذه جميعا مجدد يشق لنفسه طريقا مبتدعا ، ويقول الراي بضمير خالص من كل غرض الاغرض الماندة بما يعتقد . وعلى اختلاف المناهج التي اتبناها المؤلفون الثلاثة ، وعلى تباين النتائج التي انتهوا اليها بعد الدراسة المستأنية لآراء ميخائيل نعيمة فني يبقيني انهم جميعا قد توخوا العناية العلمية ، وانهم قد اجتهدوا اجتهادا ممتازا ، وانهم لم يغادروا محراب العلم الاصيل .

فالاخت العزيزة ثريا ملحس استخلصت من آراء نعيمة المبثوثة في كتبه المختلفة ولاسيما «مرداد» و «سبعون» و «همس الجفون» منهاجا فكريا متسقيا مترابلا متدرجا ينتهي بصاحبه الى مراتب التصوف والزهد . ولا اقول ان ثريا ملحس تمسكت في الاتيان بهذه النتيجة ، بل اقول انها كانت ذكية البصر والبصيرة ، وانها بروحها المتفرقة الشفيعه قد اكتشفت في ميخائيل نعيمة ادبا تسامت انسانيته حتى اسلمته الى روحانية قيامة . وميخائيل نعيمة ، كما يعترف في سيرة حياته ، قد ضجر اشد الضجر من الحياة المادية التي كان يحياها في ديار هجرته حيث تقاس اقدار الناس بالمال ولا سواء ، وسرعان ما تاب عن هذه الحياة المفلطة المادية ، بشده اليه الشرق بسحره وروحانياته ، وعاد الى بساطة الريف وسلاخية القرية وجمال الطبيعة . وقلة قليلة من المهجرين هي التي استطاعت ان تفكر تفكير نعيمة تنخلص من مبادات المهجر وتعود الى احضان الطبيعة ونفحات الشرق الروحانية . فعل هذا جورج صليح الذي سرعان ما قال «بلاد الله

عنها لك عساها تعفيك من تهمة التطفل ! وعلى تردد شديد توجهت الى قاعة المؤتمر ، واخترت انفسى آخر مقعد في آخر صف تهيؤا للمغادرة القاعة اذا رمقتني نظرة شذراء . فلم يسبق لي في ذلك العهد ، ولا سبق لي الى هذا اليوم ، ان تلتقي - ولو على سبيل الخطا - دعوة لشهود اي مؤتمر او حفل ادبي او اي مناسبة لها صلة بالفكر والثقافة او اي مهرجان مهما يكن موضوعه . وهذا امر القته ولم اشق به ابدا ، لاني في كل عمري سلكت طريق الادب لا من باب الوظائف ودرجات البيروقراط ، بل من باب الاجتهاد الشخصي والاستقلال الفكري ، ومن كان هذا طريقه ومسلكه ، فلا مطمع له في جاه وظيفي ينسبه الى الادب ، او حيثة ادبية تستمد من الوظيفة !

واذا انا جالس في مقعدي القصي من تلك القاعة ، ودخل ميخائيل نعيمة فلم ينتبه الي احد من «موظفي الادب» الذين نيط بهم استقبال الوفود ، وهممت بالقيام عنهم بهذا الواجب ، ولكنني خشيت ان يرجزني زاجر ، لان استقبال المدعوين ليس من اختصاصي ، ناهيك بانني اصلا مدعو الى المؤتمر «من الباطن» ، فالدعوة التسي احملها في جيبى خاصة باستنادنا الخفاجي ، وما انسا الا مدعو بالوكالة لا بالاصالة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى خشيت ان اتقدم لميخائيل نعيمة معرا اياه بشخصيتي ، فيفجعني بانه لم يسمح باسمي ، فمالى وهذا الحرج ؟ حسبي ان اسلط عليه نظرائي عن قرب ، لاسيما وقد اختار هو ان يجلس امامي مباشرة في الصف قبل الاخير ، وطوال جلسة المؤتمر الافتتاحية ، لم ار احدا من مديري الادب وموظفيه يقترب من ميخائيل نعيمة لتحيته ، مما اورثني شعورا بالغيظ ، فكلمته معزبا نفسي بانني غير ذي صفة تطوع لي ان احببه وارحب به .

وبانتهاء جلسة المؤتمر ، كنت اول المصفرنين ، وبنفسي حسرة لان ميخائيل نعيمة بلحمه وشحمه ماتل امامي ، فلا حبيته ولا باداته بعبارة ترحيب . ولما عترف ذلك شاعر المهجر الاكبر جورج صليح لامني اشد اللوم لاني ضيعت بحماقتي فرصة الاجتماع بميخائيل نعيمة مراعاة لاعتبارات شكلية او توها انه لا يعرفني . وزاد ندمي على هذا عندما زارني صديقي القديم وزميلي منذ ايام «المتطف» محي الدين رضا - رحمه الله فقد توفي في اول فبراير الماضي - واطمنني على رسالة كان تلقاها من ميخائيل نعيمة ذكرني فيها بعسكرة تحية . اذن ، فهو لا يجهلي . وما اغيبتني اذ حرمت متعة الاجتماع به .

ولا بأس - والحديث هنا مستطرد - ان اذكر ان كتاب «الغربال» لميخائيل نعيمة قد امكن نشره في مصر بجهد المرحوم محي الدين رضا الذي يعتبر كتابه «بلاغة العرب في القرن العشرين» اول همزة وصل بين ادباء المهجر وادباء الوطن .

وكنتم وما زلت من المعجبين بميخائيل نعيمة ، اتابع آثاره بمقدار ما تسعفني وسائلتي ، وارى منه فوق مسا

من غريب اطواري او تناقضي ، انني كنت في كل عمري صديق الاضداد : صادقت سلامة موسى ، وصادقت خصوم سلامة موسى . صادقت اسماعيل مظهر ، وصادقت مناثي اسماعيل مظهر . وصادقت سيد قطب وكذلك مخلصيه ، وصادقت احمد حسن الزيات والخارجيين عليه ، وصادقت نقولا الحداد والذين خالفوه السراي ، وصادقت الدكتور فارس نمر باشا وكذلك الذين كانوا حربا عليه . وكان الشيخ محمود ابو رية من اعزاصدقائي، وكان مهاجموه يؤمنوني . كما عرفت زميكر بالادبوعرفت جميع الذين هاجمهم كله حسين واحد امين والسباعي بيومي . وفي العامين الاخيرين قامت حرب ادبية ضروس بين اعلام المهجر : القروي وفرحات وصيدح ، كانت في ضراوتها بسوسا جديدة مغرقة ، ومع هذا لم افقد صداقة ثلاثهم .

افيكون هذا تضاربا ؟ ربما . ولكنني - على اعترافي بوجود هذا التضارب الصارخ في آراء ميخائيل نعيمة مما ساقه كعدي فهوود كمدي في قافلة طويلة من الاستشهادات - فليست اراه الا برهانا على ان نعيمة في انسانيته الاصلية قد كان صادقا مع نفسه ، فاني بالرأي وعززه بالحجج المتعة ، حتى اذا فلسف الحياة وعسرف حكمتهما الباقية اتخذ رأيا سواه ثم حشد له طائفة مسكتة من الحجج الاخرى .

فالكمدي مشكور على مسعاه . وعلى جنبه نعتقد الشئام مضاعفا ، اولآ لانه - وهو رجل القانون القذ - قد صرف الى الادب هذا الجهد الجهد ، وقرأ آثار النعيمي لا قراءة عجلان بل اقراءة ناقد ينشد الحقيقة في كل سطر هي وراه خبيثة . وهو مشكور ثانيا لانه عاد اليها بعد طول اللطاف ليضع امامنا حقيقة اكتشفها وهي ان ميخائيل نعيمة انسان مثلنا . وما كان ميخائيل نعيمة في كل عمره الا ذلك الانسان الذي يريد السلم فتسخره الدنيا في خدمة الحرب ، يريد الادب والفكر فتطرعه حظوظه بين آلات المكاتب وعروض التجارة . يريد الحب ، فتجرعه الدنيا مرارته . لقد كانت حياة ميخائيل نعيمة الاولى سلسلة من التبطات المحبلة لكل الرجاء ، مما اعترف به تفضيلا في سيرة حياته . فهل كان في كل ذلك الا انسانا يضطرب في خضم حياته اعنف اضطراب واشده ؟

واعتقد صادقا ان كتاب الكمدي وثيقة نقدية شريفة . فلا اقرانه « بسفود » الرافعي ، ولا بغيره من كتب النقد التي تجاوزت حدود الادب . وحسبه فضيلة ان كتابه يحمل في تضاعيفه معاني الاجلال لميخائيل نعيمة ، ولا يتنكب عن سكك الادب في شيء . وسيبقى ميخائيل نعيمة بفضل كمدي فهوود كمدي - ربرغمة - ادبيا انسانا اقام مجده على دعائم من الاصاله والاستبصار والدراية العميقة بتيارات الفكر العالي ، والقدرة الخلاقة شعرا ورواية ،

ارحب من بلادي » ، وركب مراكب هجرة جديدة السى اوروبا . وفعل هذا الشاعر القروي الذي لم يكذب يستقر في الوطن بعد هجرة نصف قرن ، حتى شد الرحال من جديد الى المهجرة ، ثم عاد الى الوطن . واما نظير زيتون فقد كان الى آخر يوم في حياته يفكر في معاودة الهجرة الى البرازيل برغم الشيخوخة التي ابهظت قواه . ولكن الغالبية الكبرى من المهجرين ، على جنبها المتصل السى الوطن ، بقيت في سحيقات مهاجرها محتملة ميكانيكية الحياة ومادية القوم ، لان هذه الميكانيكية وتلك المادية قد صاحبتهما كرامة ليس للمرء ما هو اعز منها . وما اصدق الشاعر الياس فرحات حين اعرب عن ذلك بقوله :

حياة مشقت ، ولكن لبعدها عن اللذ تصفو للابي وتذهب ولكن نعيمة بتر حياته المهاجرة بترأ كاملا ، وترك منابت تفكيره وجذور ارتباطاته ، وخلع نفسه من المهجر عائدا الى الوطن في ما يشبه المظاهرة الروحية ، او نسي ما يكاد بعد احتجاجا صارخا - وان يكن صامتا - على مادية الحياة . وها هو يخاطب دنيا المادة قائلا :

غدا ارد هبات الناس للناس وعن غفاهم استغنى بالفلسي واسترد هوبنا لسي بلعنهم فقد رعت لهم فكري واحسلي وفي سبيل فك الرهن من فكره واحساسه ، عاد الى الوطن بروحانياته وسحره ، ولعله لم يذرف دمععة واحدة على حياة ارادها ان تكون خالصة للفكر والرأي والتعبير ، فما جازته الا بوظيفة دقائق على المراتم - آلات الكتابة - او وظيفة كاتب في منجر ، او مقاتل في الحرب العالية الاولى .

وحق لثريا ملحن ان تقول ان ميخائيل نعيمة عرف كنه الحياة ، فآثر الروح على المادة ، واختار حياة الصفاء والنقاء على حياة الاوطار والاغراض .

اما الناقد الشديد المراس كمدي فهوود كمدي فقد قام بمحاولة نقدية لعليا الاولى من هذه الشكلكة في الادب المعاصر . اذ انه تتبع آثار ميخائيل نعيمة جميعا وهمه ووكده ان يتقصى كل ما فيها من تناقض وتضارب ، فنرج من هذا الاستقصاء بمحصول كبير انزل ميخائيل نعيمة من سدته العليا الى منزلة الانسان الكثير النقص . واقول للكمدي : اهلا بنعيمة انسانا بين الاناسي ، واكرم بنعيمة مبشرا سوا فيه جميع العيوب الانسانية اذ تحصى المعايير ، وفيه جميع المزايا الانسانية اذ تشرتب اليها طوال الاعناق . والتناقض حادث في كل شيء ، في سواد الليل وبياض النهار ، في برد الشتاء وحر الصيف ، في الصحة والمرض وهلم جرا . ولا يكاد يعرف في الدنيا مفكر جاس مناحي التفكير ، وقلب الرأي في الاسباب والمسببات الا قال ما عاد فناقضه ، ودعا الى شيء في مرحلة ثم عدل عنه في مرحلة . ولا اقيس الا على نفسي ، فلو راجعت ما كتبه قبل ثلاثين عاما يوم حملت القلم لأول مرة ، وما كتبه اول من امس ، لافينني اكبر الناس تناقضا . ولعل

في وقت قصير جدا منزلة الصدارة في دراساتها الادبية والنقدية، لانه الى الماهة المستوعب بمذاهب النقد واتجاهاته في الاديين العربي والغربي ، يتحلى بلذوق ادبي رفيع يختمك اله في كل قضية ادبية ، وله قدرة استاذية على الانصاف القائم على الموضوعية . ثم ان له من دراساته العروضية والنحوية ما يعينه على توكي الحق في التطبيقات الشعرية والنقدية .

وليس في الكتاب ما يدل على ان واضعه اتصل بميخائيل نعيمة او استفسر منه عن جانب غمض عليه ، وانما فيه كل الدلالة على ان شفيح السيد قد قرأ جميع كتب ميخائيل نعيمة ونسبة كبيرة من الكتب التي تناولته بالتقييم والدرس ، فجاءت آراؤه بنت التحقيق الشخصي في الكتب والدوريات وحدها . وليت الكتاب استعسان بالاديب ميخائيل نعيمة حيا كما استعان به مسطورا ، اذن لتكامل لدراسته ناعمة الرابع المدونة والمرجع الحي الاصيل ، اي نعيمة نفسه .

ولا ادري لم لم يقف الناقد شفيح السيد عند قصيدة «الطمانينة» لميخائيل نعيمة ويجري مقابلة بينها وبين قصيدة « شهوة الموت » للشاعر الياس ابو شبكة . فلو فعل ، لادرك ان واحدا من الشاعرين تأثر بالآخر على نحو من الانحاء .

فميخائيل نعيمة يقول :

يا ب فلي حنين	من صنوف الكدر
فما جوى يا غموم	في الساء والسر
واضحى يا نحوس	بالنقا والفجر
وانزلى بالانوف	يا خطوب البشر
يا ب فلي حنين	من صنوف الكدر

اما الياس ابو شبكة فيقول :

نراقم على	حالد على البشر
غير فطرة الماء	لا احب في السحر
صرت امقت السماء	صرت امشق الكدر
غير منهذ السماء	لا احب في الصود
نراقم على	والبشر !

ولئن كان نعيمة متفائلا فتأول المؤمن بان باب قلبه حصين من صنوف الكدر ، فان الياس ابو شبكة متشائم تشاؤما اسود حتى كره كل المشاهد الا مشهد الدماء ، وحتى بات يمتق السماء ويعشق الكدر . ومع هذا ، فقاريء هاتين القطوعتين لا يملك الا ان يلحظ ثاباه الالفاظ والقوافي . وتكررها هنا وهناك ، مع ابداع الشاعرين كل برؤاه الخاصة .

وقد لاحظت ان الدارسين لميخائيل نعيمة فاتتهم في وصفه رائحة من روائح الشعر المعاصر اشدها شاعر مصر الكبير محمود ابو الوفا حين تلقى في وقت واحد رسالتين كريمتين ، واحدة من الدكتور احمد زكي ابي شادي وواحدة من ميخائيل نعيمة ، وكان ابو الوفا يعاني جحودا من بني

والتعاطف الانساني الذي يتخطى الحواجز . وفي تحيتي لنعمة التي صدرت بها هذا الحديث المستطرد ، خالفته في ثلاثة امور ، دون ان يقلل ذلك من احترامي له كاديب مترامي الفضل . فخالفته في عقيدة التناسخ التي نادى بها في بعض آثاره وأشار اليها في سيرته ، وخالفته في مجافاته للمرأة على ضعفه الشديد لتقاء سحرها مما ابداع تصويره في مراحل عمره المختلفة ، وخالفته في رايه المعلن عن قضية فلسطين . ولعلي اجد في ثنايا آراء نعيمة كثيرا من الآراء التي تدعوني الى معارضتها بما يشبه التحريض ، ولكن هذا كله بظل في ميدان حرية الفكر اشارة على الصحة ، ودليلا على الحيوية ، وبظل اديبنا النعيمي الكبير وناقدا الكعدي الاصيل اهلا لاحترام تفرضه علينا رسالة الادب الصحيح .

ولا اظن ميخائيل نعيمة يتوقع من الناس جميعا ان توافقه في كل راي . فكل راي يحتمل وجهين بل وجوها ، والناس احرار في ان تكذب هذا المذهب او ذاك . فلنعمة قصيدة تاريخية عنوانها « اخي » كان قد نظمها والمجاعة تطحن لبنان قال فيها :

اخي ان عاد بعد الحرب جندي لاوطنه
والقي جسمه التيهوك في احضان خلانة
فلا تطلب اذا ما بدت للاوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا صعبا نناجيهم
سوى اشباح مواتنا

وجاء في مقطعها الاخير :

اخي من نحن ؟ لا وطن ، ولا اهل ولا جبار
اذا نمنا ، اذا قمنا ، دنانا الخزي والمار
لقد خنت بنا الدنيا ، كما خنت بموطننا
فهات الرش وابتنى لتحفر تخلفا آخر
نوداي فيه احيانا !

وقد تولقت هذه القصيدة في صحف كثيرة . فلما اطلع عليها الشاعر الشاب - وقتئذ - شفيق الياس سليمان ، وهو اليوم من كبار المحامين في مصر ، نظم على شاكلتها ابياتا جاء فيها :

اخي ان ذل بعد الغز شرفي وان هانا
فلا تيك لما نقسى ولا تجزع لبوانا
فقد كنا وما كنا ، وما هذا الذي كنا
سوى اغلاء المهوك يقسمها ولا يدري
انام المجد ام خلانا

وهي ابيات وفق الشاعر فيها بعض ما ذهب اليه النعيمي وخالفه في بعضها الآخر ، دون ان يكتم اعجابه به وبصياغته الجديدة في هذه الابيات الجيدة المحاكاة .

اما الكتاب الثالث فقد كان دراسة جامعية اجيزت على المستويات الاكاديمية ونال عنها صاحبها شفيح السيد درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة . والكتاب بحث موضوعي في تقييم ميخائيل نعيمة مفكرا وشاعرا وروائيا وناقدا ذا منهج غربالي خاص . واذا كان هذا هو العمل البكر لشفيح السيد ، فمؤكد انه سيحتل

هدات

★

وشجا حزن فؤادي ، كلماتي
لي . ما الدنيا بغير الامنيات

وترى ، مني ، حسلو النغمات
من نجاوى رائعات النغمات
عبري الملح ، وضاء السماء
نالنا منه صفي الاعطيات
ايقظت في قديم الحرقاات

كيف لي نسيان اغلى لحظاتي
فعلى الافق بقايا خطواتي
في قوافي رقيق الخطرات
بين هديك ، فطابت امسياتي

ملك ، او كانت مرامي لغتات
فعلى الثفرين سمح القبلاات
من شجون موجبات الحسرات
تذكر العين وجوه الاخربات

فعلى جنبك اذكى عبراتي
وعلى الناي، حبيب الذكريات
فوق ما يعطي رحيق الزهرات
عمر اطعمته من نهدياتي

ان تكن آذتك مني نرواتي
ان انا شوته بعض الحرماات

فوزي عطوي

هل ترى اعدو ان بحث صلاتي
عظم الوجد ، فما امنية

غبطت نفسي نفسي ، فعلى
اذا انا والشمس في مؤتلق
نشعل الليل فينسب السنا
حلم انظر تاريخ هوى
لم يطل عهد به . يا حرقه

يا ربيع العمر ، يا نيسانة
كيف انسى خطوات سرتها
كيف انسى خطرات سلسلت
كيف انسى امسيات عشتها

كانت الدنيا مرامي بسمات
وحدث آمنا آمالنا
وامحي ما كان في الامس بنا
صرت ، لا قبل ولا بعد ، فلم

يا ربيع العمر ، ان رمت التوى
انت وجه السعد ان تقتربي
انت ، اذ اعطيتني ، اعطيتني
ولقد يمضي ، فلا يمضي بنا

اكرم الناس ، اراني موجعا
حقك المطلق ان تسحبني

ولو اخير لي الاقوام ايهمو احق بي ، قلت كل الناس اخواني
وطني هو الارض ، كل الارض لي وطن احبها كلها جسي لاوطانسي
يا صاحبي ان تسلم علي انا قلنا يا صاحبي لست شيئا غير انسان
من حيث شئت فاني لا اراك سوى انسان عيني ، والا عين انساني
انا وانت كلانا عين صاحبه ونحن في عين دنيانا نزيلان
وهي قصيدة لشاعر انسان خاطب بها التميمي الانسان
وابا شادي وهو بعد انسان .

وديع فلسطين

القاهرة

عشيرته والقيم تترنح امام مخيلته ، فقال من قصيدة
طويلة عنوانها « امواج » :

من لي يحفظ (ابي شادي) وصحته
يا ليت بيعة (ميخائيل) من كتب
اذن لا كان لي عند السهي ارب
(ميخا) نجيك ، قل: ماذاجيء به
او منهما انت قد ابدعت واحدة
يا صاحبي واليك الروح متجه
يا آل لبنان ، كم قلبي يحكمو
لكن لي الان من دنياي حطان
يا ليتني كنت من اصحاب (جبران)
اذ ما انا والسهي الا نجيسان
من اي النجيس
شرقية الروح من تصوير روحي
كانه هارب من وجه سجان
حسى تمنيت لو اني ابن لبنان

قطع صلاته الحميمة بالاصالة التي تحب اليه الحياة في حقيقتها.

— ذوب الانسان الإبعاد فذاب شوقه وخيا حنينه ، وقصر المسافات فقصرت رؤاه وشل جناحا قلبه .

— لا تخف اذا فرغت يدك مما يشتري ويباع ، بسل

اخشى ان يفرغ قلبك من الايمان بالله والثقة بنفسك .

— اذا كان علماء الآثار قد استطاعوا ان يخللوا رموز

الماضي ويخلقوا منها لغات لشعوب بادت ، فان بعض لغات

العصر ، أصبح لها من اهلها من يتركونها ، في ما يكتبون ،

غير صالحة لان تستقرأ بعدهم .

— لعل ديوجين وجد ضالته على ضوء الشمعة التي

حملها مفتشا عن انسان ، ولكن كهرياء العصر احاقت الناس

بنور مظلم لا ينفذ الى معاني الحياة ، فلم يبق بينهم مكان

لمثل ديوجين وانسانه المفقود .

— الرحمة نعمة اذا بدرت عن قدرة شجاع ، ولكنها

نقمة ان من بها ضعف جبان .

— حلت الالامكان الانسان في تصريف الاعمال وترجمة

الاحوال ، فجاء دورها عازلا ، فاصبح المرء غريبا حتى عن

اخيه وطبيبه...!

— خرافة السالحافة والارنب فقدت قيمتها في عصر

لم يعا فيه من مكان السير على الارجل... ولكن خرافة

الذئب والخروف عايشت الناس حتى اصبحت قاعسة

الحواريين الاقوياء والضعفاء .

— قد يكون ما اقضبك من عدوك انه كشف عن عيب

فيك تعبهه وانما صديقك لك .

— شتان ما بين حلم الانسان بالطيران على بساط

الريح ، وعشرات الاجيال ، وبين واقعه طائرا على كاذفات

القنابل بمعن في التخريب والتقتيل!

— انقسم الرجال بين قائل في المرأة : انها النصف

الحلو ، وقائل : انها النصف المر ، فكانوا ، في هذين القولين ،

يعبرون ، بدون ان يدروا ، عن رأي النساء فيهم .

— وقف الجبان امام المرأة يلوح بعصاه مهددا متوعدا

فاصاب احدى تلميحاته العنصرية المرأة... فراح ينظر

وجهه في حطامها .

— قد تتجح في الهرب مرات كثيرة ، من شر يريدك بك

لغير ، ولكنك ان تتجح في ان تعرب من نفسك ، مرة واحدة

ان هي ارادت بك سوءا .

— لا الكلام من فضة ولا السكوت من ذهب ، وانما

هذا وذاك بما يعنيه كل منهما : من قصد في حينه ، او ما

يعبر عنه : من قيمة في ذاته .

— اصالة الانسان جوهر لا يتغير ، اما اغراضه فتتكيف

متائرة بالزمان والمكان .

— اذا اخذنا بالظواهر فالصرخة والواحة اختان ،

ولكن اذا عدنا الى المصدر رأينا الصراخة تابعة من صدق

رافقت جرة ، والواحة متفجرة من كذب خالطته مكابرة .



نسيم نصر

شموع متجولة

بقلم نسيم نصر

اثنان يستحيل على الرجل ان يشارك فيهما فتنفتي التضحية : قلب المرأة وكرسي الحكم .

— بعض الاساطير اقرب الى صدق الواقع من كثير من حقائق التاريخ .

— لن يطعن الانسان الى نظام يعتقه ضمان استقرار ما لم يبين قواعد الحرية من عناصر لا تقوى عليها عواصف الوجودية المادية .

— قال الرسام للجندي : «عيني نافذتي على الوجود» ، فاجابه الجندي : «وانا اذني شرقتي على الخلود» .

— اطول الصراعات عمرا في تاريخ الانسان صراعه القائم بين عقله وقلبه ، وهو صراع التعبير عن الحياة نفسها ، فاذا انتهى انتهت الحياة .

— علم الانسان حول سم الافعى الى دواء ، فبسل يستطيع صبره ، على كيد الحقود ، ان يعطل اذاه على الاقل!

— ما اعظم الفرق بين رائحة البخور يحرق تعبدا لله ، ورائحة عندما يحرق زلفى الى من نصبتهن غفلات الزمان اصناما!

— امعان الانسان في وسائل تحديث الحياة ادى الى

الفصل الآتي

الحظة اعلم ان الفصل الآتي
يتبأى من شرع البنفسه
الحظة يا قلبي .. احيا واموت ..
وعلى أسوارها الذاكرة الحثلة
يتوارد سرب حمام
من افق الماكوت ...
يا غصن .. لماذا لا تشرب من نبضاتي
مفهوم هذا الجرح برائحة الصدمة
والنفسن الآتي
يبقى أملا مرقوما .. لن يصلا
وغبارا في الأوح المحفوظ ..
» .. يا ليل حنيني مصرعه
ما بين القبلية والطمسه
فعلى م البسمة تخشمه
وعلى م تطاردني الجفوة «
فأليك اغشى يا ليل ..
لحننا مجروح النغمه
وابشر احلامي الخضرا
ما بين خناجر إسامي
هل اكتب يا شط مواليبي
في الرمل فتراها النجمه
ام اكتب يا شط عذاباتي
في الماء فتمحوها ... الوجه

الناظر - المغرب القمري الحسين

قالوا : « اذا امتلأت المدارس فرغت السجون » .
ولكن سجون القرن العشرين تضم ، بين جدرانها ، كثيرا ممن
تتلمذوا لبعض العلوم والنقص فافتقروا اختبارها وتمثيلها .
- الصفح قمة من يتلماخ الإنسان المترفع ، والانتقام
قمر من ضراوة الإنسان المتوحش .
- الإعصار انداز رهيب قاصف بثور مهدد الإنسان ،
وقد ظن نفسه الأرض !
- في سمع الخس وبصره ، قال شوقي : « من رأى بعين
غيره وسمع بأذن سواه ، فهو أعمى أطرش » . وفي سمع
كلية الإنسان وبصرها ، قال جبران : « من لا يرى إلا بعينه
ولا يسمع إلا بأذنه فهو أعمى أطرش » .
والحواس تخطيء كما يقول الفلاسفة .
- غروب الشمس محو للوجود في نظر المنشائم ، أما
في نظر المتفائل فهو تهية لطلعا في موكبها الصباحي ملكة
للنور .
- في كتابة التاريخ ، المتحجرات والمومياء اسلم نطقا
من أعلى منبر من منابر الكلام ، وأصدق شهادة من أغنى
خزائن الوثائق المخطوطة والطبوعة .
- ما معنى ان يقول سقراط : « عنوان المعرفة معرفة
الإنسان انه جاهل ؟ » معناه ان هذه المعرفة هي الفياء
الفكر الصحيح .
- استبداد الحكم يجعل الناس عبيد النظام ، وقد كان
الحكم هيئته يجعلهم عبيد الفوضى ، وبين هذا وذاك ما
تزال الديمقراطية تتعثر في سعيها الى النظام الحزبي .
- الأمل جسر بين الواقع والمرجى ، ومن انهار
جسره هذا فقد الصلة بين يومه وغده .
- الثقة محور تدور حوله علاقات الناس في ما بينهم ،
فيمقدار ما يستقيم هذا المحور تستقيم الحياة العامة .
- قد تكون الكتابة ظاهر اعتكاف ذاتي ، ولكن العبوسة
لا يمكن ان تكون غير انعكاس التبرم بوجود الذات نفسها .
- القيم المادية تحتاج الى محكات ومقاييس وموازين
لإبراز حقيقتها ، أما القيم المعنوية فلا تحتاج الا الى الزمان
والمكان .
- الحرف هو السعة التي تمتلئ ، والجلجلى الذي لا
ينتهي .
- كثيرا ما يكون موت الإنسان ولادة لحقيقته .
- آية الحياة الآلام الذي يتحول الى لذة ، وأفتتها
اللذة التي تتحول الى ألم .
- كما ياكل الصدا الحديد ، هكذا تاكل الانانية صاحبها .
- فلسفة الانتفاع تحرم ذبح الفراخ ، ولكنها تحلله
بعد ان تكبر .
- أكثر ضحايا حضارة القرن العشرين من الضعائر .
- الامومة محراب الحياة وقدرت أقداسها ، فطوبى
للمرأة التي تحياها على حقيقتها .

- مت في سبيل الحق ولا تعايش الباطل ، وهكذا
تحقق انسانيتك .
- وصف الإنسان الحمامة بالداعة ، لانها خادم أمين
ولقعة سائفة ، ووصف الافعى بالحكمة لانها عدو غادر ذو
سلاح قاتل .
- لماذا رأيت شرفا ان يقال لك : شجاع كالاسد ،
ورأيت مذلة ان يقال لك : أمين كالكلب ؟!
- لا تستعمل الموت فانه آت ، ولكن وف الحياة
حقها فان عمرك ذاهب .
- سألني حفيدي : اصحیح يا جدي انك تحبني أكثر
مما تحب ابني ؟ فاجبته : نعم ، وذلك لاني أرى بقائي قبك
أكثر امتدادا مما أراه في ابنيك .

نسیم نصر

رثاء للشجرة المباركة

نازفة جذورك الرعشة
 في الشمس والهواء
 تحرك السكون بالانامل المخدشة
 جوانب القضاء
 من أي غاب اسود اقلان
 فيل من الحديد
 ليزرع القضاء والدمار
 في حنة الجدود ؟!
 معصرة الميدان يا زيتونسي المباركة
 رثت قفاف الشعر في حاملها
 وحتت الخواصي
 لثرتها الخضير
 واشتاتت النفوس في سهراتها
 للشدو والسمير
 ونار « دق الجفت » في مناقل الشتاء
 تذرثر الشرر
 فيستطاب الذهل للمنخطف المسافر
 على رؤى حكاية مثيرة
 من سالف المصور
 وطققات حيك المهرس تحت « الزغل » في انفراسه
 عجيبة لنبضة المكابس القوية
 حيث يبص التبر ذوب انجم راهجة
 تسيل في سقسقة ... جداول
 هائمة الخريف !
 ما كان ذلك الاسمر النحيل يا شجرة الضياء
 يخال في قلبه الجريئة
 للخطوة البريئة
 يوما على قبئك الخضراء
 ان يستببح غابة الذكر
 فيل من المدينة !
 مسلط يدبر في ارجائها معاركه
 ويترك الصبي والفتاة في العراء
 للشمس والرياح والدامع السخينة
 وان تقب زمر البنات عن مواسم القطف ...
 تنتهي اغنية الصبيان في مداخل المعاصر .
 « عن هذه الابواب لن نحيد
 خبير الشويفات لنا
 « جرجارها » ... ولقمة الهنا
 من زيتها العطر الجديد »
 يا غابة الزيتون عند ضيعتي ماذا جرى
 يا غابة الذكر ؟
 أم بالمعاصر الخرساء لا احد
 غير الاسى والصمت والفبار ... لا احد
 هل غاب عن ايامنا هناؤها القديم ...
 يا بحيرة الرجاء
 هل غابت الافراح للابد ؟

فؤاد الخشن

الشويفات - لبنان





اقتراحا ، ثم تنازل عنه وجلس في الشرفة وقد تبسّطت أربحيته بأنسام الربيع الرقيقة ، بعد زوايح خماسينية ساخنة دامت طوال اليومين السابقين . ود لو توافق على اقتراحه ، لكنه يعرف مدى صلابته دماغها ، ولن تتورع عن اتهامه بتضييع الوقت سدى ، وتبدد المال دون طائل . ان « سيدة » زوج مخلصه ، لولا ما يتسم به سلوكها من عصبية تظهر من وقت لآخر . ودائما هي مهمومة بشغل البيت ، ومتاعب العمل ، ومطالب منى وطارق التي لا تنتهي . وحين ينصحها بالاهتمام بنفسها ، ترجعها الى مشاكل البيت التي ما ان تفرغ من احداها حتى تبدأ في أخرى .

اطلت منى من الشرفة ، تجسول بعينيها في انحاء الشارع ، وتدندن باغنية وطنية تنشدها كل صباح مع زميلاتها في المدرسة ، ثم رنت الى ابوها وهو يطالع الجريدة ، كان جهم الوجه قليلا ، سألته :

— انت زعلان يا بابا ؟

الى الجريدة بعيدا ، وطسوق ابنته بذرعه اليسرى ، وضغطت انامله ذراعها الرقيقة ، ثم انفجرت اساريره بابتسامة واسعة ، وطبع قبلة على جبينها . سألته :

— الا نخرج نشم النسيم ؟

— حاضر .. اليسى انت وطارق . وهرعت منى بفرحها الصبيانية تزف الخبر الى امها وطارق . وفكر ابوها في زوجه التي رفضت اقتراحه اول الامر ، هل توافق في هذه المرة ؟ . لا يهم .. يتركها في البيت . لن تمتع عليه . تأتي معه اذا شأت ، فهذه رغبة منى وطارق ، ولولاها ما اضطر للخروج .

طلب منها ترك شؤون البيت ، فالיום اجازة شم النسيم ، ولا بد من التنزه . و « الحياة ليست كلها شغلا » . عارضت مطلقة في هذه المرة . سال طارق :

— اشترى لنا كرة يا بابا ؟

— فيما بعد .

لاحظت سيدة ان باقة الجاكييت متكرشة ، وبسرعتها الموهوبة بسطت الباقة بالكرة في دقائق ، بينما وقف سالم قبالتها بالفائلة الداخلية التي ابرزت كرشه المتكور .

لم يدبر سالم امر هذه الرحلة المفاجئة ، وكعادته دائما ، وجسد نفسه يجول بوسط البلد ، يمسك يد منى بيمنه ، ويد طارق بيسراه ... ويمشي الهوينى في شوارع العاصمة التي تكاد تخلو من المارة ، واغلب الدكاكين مغلقة . وجالت نظرات الطغليان هنا وهناك ، ثم دار بينهما حوار لطيف ..



بقلم حسني سيد لبيب

— تفكرى يا منى اين سندهب ؟

— الجنيئة ؟

— يا عبيطة .. لا يمكن نذهب الى الجنيئة من غير ماما .

— ممكن نرجع ونقول لها تجسنى معنا .

— بابا لن يوافق .

— يعني تنفخ من غير ماما ... طيب انت تفكر بابا ذاهب الى اين ؟

— السينما ..



— بابا يحب يدخل السينما بالليل .

يتابع سالم الحوار ، ولا يتلفظ بشيء . انه حائر لا يدري اين يذهب! المحلات على الصقن مغلقة ، اغلب الخف زحام وسط البلد ، اغلب الناس قصدوا الحدائق والكانتريوهات المطلة على النيل . لم تطل حيرته ، حيث انعطفت الى كافتريريا جبروي ، المكتظة بالرواد .

ترك منى وطارق يلهمان كما يحلو لهما ، وجال بعينه عبر الوجوه المتناثرة في كل اتجاه ، كان يبحث عن رجل مثله لا تشاركه زوجته هذه الجلسة الربيعية . اغلب الرواد من الشباب حديثي الزواج ، او على اهبت ، اثنين اثنين ، بخططسان للمستقبل . منذ اكثر من عشر سنوات ، «جلس مع « سيدة » مثل هذه الجلسة » كانا حديثي التخرج ، بعد زمالة جامعية تفهم كلاهما طباع الآخر ، فقبلا شعورا صادقا ، ونجحا في الاستقلال عن اسرتهما ، وتأنيت بيت الزوجية معا . وغر سالم حينذاك احساس بالرضا ، بينما شمرت سيدة انها نصحت ب اختيار الزوج المناسب . تنهد سالم تحسرا على هذه الايام الجميلة ، افاقته هزة رقيقة من طارق :

— عايز اشترى كرة يا بابا .

قال مقطعا ما بين حاجبيه :

— فيما بعد .

افاقه طارق من ذكريات الماضي ، رده الى الواقع . اصبح ابا . منى في العاشرة ، طفلة جميلة ، وغدا تكبر ، سرعان ما تكبر . ستعظم مسؤوليته . وطارق في الثامنة ، طفل ذكي ، لكن الشقاوة في دمه ، غدا يعقل . انه اب مسؤول . ولت احلام الشباب ، ولم تبق منها الا ذكرياتنا الجميلة .

لفت نظره وجه فتاة رائعة الجمال ، بيضاء البشرة ، صفراء الشعر ، عينها واسعتان ، وشفتاها دائمتا الابتسام . وجه ملائكي حقا ، لكنه

وحيد ، يجتر ذكريات الماضي .
انقظت أنسام الربيع الرقيقة
أحاسيس سالم ، وهذه الفتاة تنفّس
مثله نفس الأنسام ، هناك نوع من
المشاركة إذن !

اطالت منى التحديق في وجهه
الفتاة ، انجذبت الفتاة الى منى ،
ابتسمت لها ، وأشارت إليها :

— ما اسمك يا حلوة ؟

— منى سالم .

— اسم جميل .

— متشكرة .. وما اسمك ؟

اتسعت ابتسامتها لسؤال منى
الطغولي :

— ايضا .. منى ..

راقب سالم الحوار اللطيف ، اراد
ان يتدخل ، لكنه تريت . اشارت
ابنته بأصبعها نحوه وقالت للفتاة
الجميلة :

— انه بابا .. اطيب بابا في الدنيا .
تدخل طارق :

— وماما .. اطيب ماما في الدنيا .
سالت الفتاة :

— اين امك يا منى ؟

اجاب سالم متدخلا :

— تركناها لنشغل البيت .

عاتبته الفتاة ، وافهمته ان الام
تستطيع رعاية اولادها ، سواء داخل
البيت او خارجه . وكانت فرصة
مواتية لتجاذب اطراف الحديث .
تناسى كل شيء ، وتكلم بفطرتيه
رافعا التكلف ، وكأنه يعرف منى
الحسنة منذ سنوات ! . طلبت
عصير برتقال ، فطلب مثلها ، نصحته
بان يقلل من كميات الطعام التي
يتناولها ، ويبعد عن التشويات ،
ويمارس بعض الالعاب الرياضية ،
فيناك امل في انقاص تكرره ،
الذي يسبب له المتاعب . انصت
لحديثها ، ان زوجته اسم تنصحه
بشيء ، لم تذكر قط مدى خطورة
هذا الكرش على حياته . حديث منى
الحسنة متع ، ويشوقه سماع
المزيد ، ففسي حديثها بلمس اريج
عطر جديد تنتشي به نفسه بعد

طول جذب .

تأمل الطفلان المكان بعين الطفولة
الفاصلة النقية . ثم افاقا الاب من
جلسته ، وطلبا منه الرجوع الى
البيت . همت منى الصغيرة في
اذنه :

— ارف موعده الفداء . وماما
قاعدة لوحدها في البيت .

واضطر الى الاستئذان ، امسك
ورقة الحساب ، ودفع حسابيه
وحسابها ، رفضت في البداية ، لكنها
ازاء الحاجة قبلت شاكرة .

وفي رحلة العودة ، سيطر عليه
احساس بالرضا ، ولونت البهجة



حسني سيد لبيب

اليها قلبه .. لكنها مجهولة ! .
مجرد لقاء عارض ، لن يتدم او يؤخر
شيئا .. او هي لحظة سعادة عابرة
اختلسها من عمر الزمن ، ولن تعود .
وحين استرجع مرة اخرى حديثها
معه عن صحنه ، وكيف يعنتي بها ،
شرد برهة ، ثم افاقه صوت داخلي
بانه اب ، ولا شك ان منى الصغيرة
ستبكر ، وستكون اجمل منها .
وخالجه احساس بالزهو رسم
ابتسامة صغيرة على شفتيه .
وفي البيت ، التفت الاسرة حول
مائدة الفداء . وكثر حديث الطفلين
عن رحلتهم القصيرة ، بينما غرق
سالم في صمته .

وبعد الفداء ، رقد سالم على
السوبر ينشد الراحة ، اغفلت عيناه
منتشيا بلقائه العابر بالحسنة
الصغيرة ، وكأنه يحلم ، يسترجع
ما حدث في حرص بالغ . كان يوما
جميلا حقا ، وما احوجه الى مثل
هذه السعادة .. . افاقه من
الحلم صوت طارق ومنى وهما
يرويان لاهما تفاصيل ما حدث ،
افاقه الواقع من شغافية اللقاء الحالم ،
تقول منى بجرأتها المعهودة :

— تصوري يا ماما .. بابا دفع
حساب ابلة منى .

امتنع لون وجهه ، وتوتر بعض
الشيء ، كاد يهيم بالنهوض ، وبهرع
الى منى الصغيرة ، ويسد فمها ،
وينفي ما قالت . لكنه احجم حين اناه
صوت امها الخفيض :

— اعرف ان اباكما قد تورط في
مثل هذه الحماقة . ان اباكما طيب
جدا .

وتبدد حلم السعادة الذي داعب
مخيلة سالم . لم يشأ التدقيق فيما
قالته زوجته . اخفت صورة
الحسنة من مخيلته ، وتبدد الحلم
الذي نسجته خيوط لقاء عابر ،
وصار سرايا يجب الا يلمث وراءه .
ودوى في اعمائه الصوت المضجر :
« انه طيب جدا » .. عبارة لا تطرب
اذنيه . لكنها فرضت منطقها ،

قصائد

الدكتور كمال نشأت

بغداد

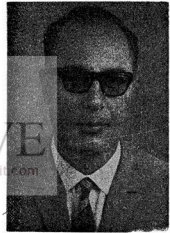
زار

يجيء من زمانه
يفسر الزمان
يمزج في يديه الجدول والبركان
وحبه الجنون
اخضر ما يكون
لانه .. الحريق .. والصديق .. والطوفان !

في محمود

شهية مجالس البيوت
في ليلة من (أوت) (١)
وشبابها المطر
ودفئتها الموقوت
وحلوة رقيقة بفمها الياقوت
وساقها تسبح في الاضواء
كالثورق المنحوت
وتضحك الجبال بالانوار
في ليلة تذكرها بيروت ..

(١) اغتسل بالفرنسية



فهب واقفا ، قاتلا احلام اليقظة، لقد
ولى عهد الشباب . نادى على طفليه،
وناولهما ورقة مالية وقال كمن يصدر
امرا :

— اذهبوا واشتريا كرة كبيرة ،
والعبا .. وامرحا .

وحين همت الام بالمعارضة همس :
— يجب ان يسعدا بايام الطفولة .

— سيقلبان البيت رأسا على
عقب .

— احسن .

— اريد تعويدهما على الجدية

والاثران منذ الصغر .

— دعي هذه الافكار ، ولا تعقدي
الامور .

وابتسم ، ثم قال بعد فترة صمت
وكانه يراجع نفسه :

— كنت اتمنى ان ارجع الى عهد
الشباب ! ..

نظرت اليه « سيدة » في ارتياب ،
فاكمل عبارته :

— وكنت اتمنى ان ارجع الى عهد
الطفولة ، والعب الكرة مع منسى

وطارق ! ..

ركزت نظراتها الفاحصة على

ملاحج وجهه ، ثم قالت :

— دعك من هذه الافكار ، فقد
سرق الاولاد منا الكرة ! .. هل يرجع

الزمن الى الوراء ؟

تهمد في حيرة ، وشرد قليلا،
صوت رقيق يتردد في اعماقه :

« لقد عاد الى الوراء لحظة حاملة
خاطفة عشتها اليوم بكل جوارحي »،

لكنه افاق من شروده واكد لزوجته:
— نعم يا عزيزتي .. لقد سرق

الاولاد منا الكرة ! ..

حسني سيد لبيب

القاهرة



عبد الفنى المعري

القصة الناجحة

بقلم عبد الفنى المعري

لم تعد القصة في الوطن العربي ادبا غربيا، يتبع من الغرب، ويتذوقه الغرب وحده... ولم تعد القصيدة والمقالة ادب العرب وحده.

باتت القصة عشاق يلفون الملايين، وبات كثير من الشبان والفتيات يحاول كتابة القصة، ويحاول ان يقدم في دنيا الادب لونا ناجحا، احبته الملايين في كافة انحاء العالم وقصروا نحن العرب فيه، وجعلنا عشقا محصورا في الشعر والنثر والخطابة.

ان للقصة اصولا وقواعد مدروسة، وهي ليست سردا لحادث دون فن او ذوق مرهف. ولو كانت كذلك لكانت اسهل فنون الادب، ولكننا - في الواقع - اصعب هذه الفنون، لانها تقوم على تحليل علمي للشخصية، وتصور فني لجو القصة، وبراعة في سرد احداثها، وطلاقة بالغة في حوارها.

وفي هذا الحديث ساحول ما استطعت ان احدث ابرز هذه القواعد، وهذه الاصول، كما افهمها، وكما يعرفها كبار كتاب القصة في العالم:

تحتاج القصة قبل كل شيء - الى «الوحدة الفنية» واعني بذلك ان يحصر الكاتب جهده في ابراز الفكرة

الاساسية للقصة، وان يتعد ما امكن عن اية فكرة عداها. وبمعنى اخر، ان لا بدع مجالا للحشو والتفاصيل الثانوية، كيلا تطفئ على فكرة القصة الاساسية، وهذا هو الاول. وكلما استطاع الكاتب ان يقيّد بجو موضوعه، وان يبتعد عن الزخارف والتفاصيل الاخرى، كان نجاحه اكبر في عمله.

على الكاتب ان يقدر ذكاء القارئ حق قدره، فيترك لخياله شيئا يتصوره، وعليه ان يلتزم جانب التلميح الذي دون التصريح النقي، ومضى فعل الكاتب ذلك، واستطاع القارئ ان يستنتج شيئا من بين السطور، وساعده ذلك على تتبع القصة وتطورها، بكثير من المتعة والنشاط. واذا ما لجأ الكاتب الى التصريح النقي، فانه بعمله هذا، يثبم قارئه بالفناء، وجود الذهن، وتخرج القصة بعدها، واضحة غريبة، وليس فيها ظلال يكتشفها القارئ، بذكائه وفهمه... واستطاع ان يعرف نهاية القصة منذ بدايتها.

وحين نطلب من الكاتب ان يلتزم جانب التلميح الذي وان يجتنب التصريح النقي، فاننا نلحد من الاسراف بالتلميح، كما لا تنقلب القصة الى ادب رمزي، يضل القارئ في متاهاته، ويضع في صحرائه، ويخرج منها كما بدأ، دون ان يفهم او يفيد شيئا.

من الواجب ان يلتزم الكاتب تصوير شخصيات القصة تصويرا بارعا، وان يعنى بأبراز ما يهم القارئ من القصة، وان يجعل هذه الشخصيات تنطق وتتحرك بمفهوم اصحابها، ويثبتهم، وعقليتهم. والقص الناجح هو الذي يجعل ابطاله يتحركون وينطقون حسب هذا المفهوم، لا حسب تفسيره ومفهومه هو. وكلما برع القاص في تحليل هذه الشخصيات، وانطاقها من هذه الزاوية، كانت القصة ادنى من النجاح، واقرّب الى الكمال.

يخطئ كثير الكاتب الذي يلحق شخصياته كل كلماته واقواله، فيدلي بأرائه على السنتها دائما، ولا بدع تلك الشخصيات تتكلم على هواها وفطرتها ويثبتها. يجب ان يبقّر، لهذه الشخصيات كيانهما المستقل، وحر كانهما وتصرفاتها، وان تتصرف بأسلوبها الطبيعي، الذي ينسجم مع نفسيته وعاداتها.

على الكاتب ان يتحاشى اسلوب الموعظة والارشاد في قصصه ما امكن، لان القصة ليست منبرا للوعظ والقاء الخطب. فاذا ما تورط الكاتب في ذلك، خرج على فنية القصة وقواعدها، وجعل منها خطابا يلقي على الجماهير، او مقالة هادفة. وشتان بين القصة وما عداها. على ان النصح والموعظة يمكن ان يكونا طي الحوادث، دون موعنة ظاهرة من الكاتب بأبرارهما، وكشف النقاب عنهما، ان الموعظة في القصة يجب ان تظل اشارة خفيفة وعمرزايديركه القارئ بحسه، وياحمه بين السطور دون ان يراه.

يجب ان تصاغ القصة الناجحة بأسلوب رشيق، وكلمات انيقة، وجمال قصيرة. وكلما امتازت القصة برشاقة الاسلوب، واثانة اللفظ، وقصر الجمل، كانت اروع

اجواء وآفاق

تعالى تقطع الاجواء فوق جناحي اشواق
تهدئنا
وحلم طائر فوق الدجى يسري
يساقنا
وهذا الكون ، هذا البحر ، هذا الليل
في يدنا
واضواء تغامزنا ، تعانينا

وهذا السحر يطوبنا ، يدغدغنا ، يخدرنا
ويسكب همدات اليوم في امس بلا امس
وفي غننا
ليصبح لحظة مفروسة في عمقنا الثاوي
تكرس بدء هذا العالم النشوان منذ الخلق
تسيره
تسجل عمر هذا الكون عبر مساره الابدي
تمضي في نهائيه
لنغنى في زواياه
ويبقى في جوانحننا

تعالى نذرع الافاق
نقفز عبر قممها
الى الاجول حيث البدء يفرق في نهائيه
وحيث الانهائيات التي تعدو
وتعمد فوق امواج
متكسرها بشواطئ حلمنا الساجي
على دفاء من الامال يغمونا
تظهر جرحى المدفون ، تفسله وتبرئه
وتمسح حزن امساد من الاقفار
ترويحها وتحيينها
وترسل عطرها المغموم يسعى في جوانبنا
ليبعثنا
ايها دنياي كيف رايت عطر لا نهائيا
يهدهدنا ليعثنا

الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى

جامعة الاسكندرية

شيء من الفموض ، يبحث عنه القارئ بفطنته ، ليجد المتعة
الكاملة ، ويتذوق الفن الذي يفترض ان يكلله الكاتب ببراعة
الخاتمة .
تلك هي في نظري قواعد اساسية لكتابة القصة
الناجحة ، احببت ان اسوقها كي يعمل هواة ادب القصة
على مراعاتها في مستقبلهم القصصي .
على ان خير ما يوصى به عشاق القصة ، ومحترفوها
ايضا ، ان يكتروا من مطالعة قصص ادباء الغرب . فهم
في الواقع امراء القصة دون منازع ، وهم قبل غيرهم
خير من يكتبها .
دمشق

عبد الفني المطري

وابدع ، وادنى من الكمال الفني .
وعلى الكاتب ان يجعل لقصته هدفا يرمى اليه ،
ويحققه في نهايتها . اما اذا كانت القصة دون هدف او غاية ،
فهو لغو من الكلام ، وباطل من القول .
بقى ان نشير الى خاتمة القصة :
ان القاص البارع هو الذي يقود القارئ الى طريق
النهاية ، ولا يوصله اليها . . بل يتركه يتابع طريقه وحده ،
بعد ان دله عليه . ويحسن ايضا ان يترك له شيئا يستنتجه
بذكائه وفطنته ، دون ان يصرح به ويكشف عنه ، فيعطى
بذلك برهانا على ضعفه ، وقصور باعه ، في ميدان القصة .
مرة اخرى اؤكد ان نهاية القصة يجب ان يكون فيها

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

(١)

– اتجاهات النقد الحديث في سورية – الدكتور جميل صليبا ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي ١٩٦٩ .

١ – ص ٣٠ : «للا بصير الزمان المستقبل هزوا .
الصحيح هزوا – فكذا وردت في الآيات القرآنية .
٢ – ص ٢٢٠ : «لقد كان حظ شعراؤنا في غناء النكبة بالغ الخطورة .
الصحيح : حظ شعرائنا .

– محاضرات عن خليل مطران – القاها الدكتور محمد مندور سنة ١٩٥٤ معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، مطبعة دار النهضة ، ١٩٥٤ .

٦ – «... من الواضح ان هذا الفتى هو الخليل نفسه الذي مات اعزبا»
صحيح. اعزب : عزب – جاء في القاموس المحيط :
« ولا تقال اعزب او قليل .

(٢)

– محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي – القاها الاستاذ محمد مندور سنة ١٩٥٥ ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٥ .

٥ – «في اواخر الحرب العالمية الاولى اخذ العقاد والمازني ينشران كتابهما «الديوان» ... وتكرر القول في ص ٨ من طبعة «نهضة مصر» بالقاهرة د.ت.

الصحيح : بعد الحرب العالمية .. لانه صدر سنة ١٩٢١ .

– بناء النهضة العربية بقلم جرجي زيدان ، القاهرة ، كتاب الهلال ، العدد ٧٢ شعبان ١٣٧٦ – مارس ١٩٥٧ .
ليس لجرجي زيدان كتاب بهذا الاسم ، وانما له

كتاب باسم «تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر» صدرت طبعته الاولى بمصر سنة ١٩٠٢ والثانية ١٩١٠ – ١٩١١ وأرادت سلسلة كتاب الهلال ان تختار منه

عددا من الترجمات وتقدمها لقراءها ، ولا بأس ، ومثل هذا العمل يقتضي تغييرا في العنوان ، والمفعول ان يكون التغيير قريبا جدا من الاصل بما يحفظ للكتاب الاول طابعه وممراته

كان يكون «من تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر» او – في اقرب تقدير الى مرمى السلسلة –

«تراجم مشاهير النهضة العربية في القرن التاسع عشر» ... ولكن هذا لم يحدث وقد اختار رئيس تحرير السلسلة اسما يبعد غير قليل عن مرمى المؤلف ليقرب كثيرا من مرمى الرئيس جمال عبد الناصر فكسأ الكتاب الجديد مختص بالدعوى الى توحيد جهود العرب للمحافظة على القومية العربية ، ولا شك في ان هؤلاء البناء او اكثرهم قدموا خدمات جليلة للاوطان العربية فيما اسسوا من عوامل النهضة وما دعوا اليه من افكار حرة ، ولكن هذا – في جملته – شيء ومرمى السيد الطنحاني شيء آخر ، لان فيهم من كان مصريا فقط ، ومن كان اسلاميا في دعوته ، ومن كان مغنيا فقط .. (الطنحاني هو طاهر الطنحاني رئيس تحرير السلسلة) .

لقد احسنت دار الهلال اذ اعادت للشبيبة هذه السيرة النيرة ، ولكن الامانة تقتضي المحافظة قدر الامكان على عنوان المؤلف ومرمى المؤلف ... ثم لا بد من النص على التنفير ، مهما يكن – على الغلافين . والا فلم يكن لجرجي زيدان كتاب بعنوان «بناء النهضة العربية» .

ثم ان المقدمة تقتضي زيادة على ذكر الاقتباس ذكر ما عمله الناشر الجديد فيما قدم واخر ، وفيما لخص وغير وحذف ، فمن عبارات زيدان ما لم تعد عباراته ، وكان زيدان قد وضع البارودي – كما هو طبيعي – في باب الشعراء ، فجاء الطنحاني ووضعه في باب «قادة وساسة» ونشر زيدان ترجمة عرابي كما كتبها اليه ، ونسب الطنحاني الى زيدان نشرها لمصلحة ..

ثم لم حذف – فيمن حذف – ادب اسحاق من المبتدئين ومبارون النقاش مؤسس فن التمثيل في اللغة العربية ... وآخرين ، لا يحذف ادب اسحق من يدعو الى القومية العربية .

من الممكن ان تعيد دار الهلال الاقتباس من هذا الكتاب القيم على وجه جديد تختصر منه الاخبار التي لم تعد ذات دلالة كبيرة وتحصر على اكبر عدد من الاسماء محتفظا بالاقتراب من الاسم الاول ناسة بوضوح على بنود التنفير .

ان فكرة الاقتباس في سلسلة الثقافة العامة كسلسلة كتاب الهلال فكرة جيدة ، ويمكن ان تتبع مع كتب اخرى لزيدان او غير زيدان على ان تكون الامانة اساسا في العمل .

(٣)

– رواد النهضة الحديثة – مارون عبود ، بيروت ، دار العلم للعلايين ١٩٥٢ .

١ – ص ١٧٢ «فالمتطف موسوعة تتضمن تاريخ تطور العلم منذ نشأتها عام ١٨٧٣ حتى الساعة» .

١ – وصفها بالذرة المعارف ادق ، او انها موسوعة للمعارف . قال يوسف اسعد داغر – فساذا القئتف بمجلداتها ١١٨ ، دائرة علمية عربية للمعارف والفنسون

والعلوم ... »

ب - صحيح نشأتها عام ١٨٧٣ : ١٨٧٦ .

٢ - ص ١٧٢ في اسطر سابقة : « اما الدكتور صروف فانها مجلة المتقطف ، بعد صدور الجنان بثلاثة اعوام ... »

الصحيح بعد صدور الجنان بستة اعوام لان بطرس اليستاني (المعلم) انشأ مجلة الجنان في اوائل عام ١٨٧٠ وانشئت المتقطف - كما راينا - سنة ١٨٧٦ ، واذا شئنا الدقة قلنا في حزيران (يونيه) ١٨٧٦ ، وهذا يحول دون تقدير المدة بالسنتين : ست او ثلاث . ومن المناسب ان يذكر فارس نمر لدى ذكر انشاء حروف المتقطف .

٣ - عندما يقرأ المرء ما كتبه مارون عبود عن اديب اسحق ص ١٨٤ - ١٨٩ يحس انه قد سبق له - اذا كان قد قرأ الجزء الثاني من كتاب زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر - ان قرأ اكثر هذه المعلومات في كتاب آخر ، وكل ما اختلف تحويل الكلام من لهجة الى لهجة ، من تقريرية زيدان الى خطابية عبود . ويتعنى لو اشار عبود الى شيء من ذكر المصدر .

٤ - عنوان الكتاب « رواد النهضة الحديثة » غير دقيق لانه يكاد يكون مقصورا على اللبنانيين والا فابن - مثلا - : رفاعة الطهطاوي ، وعلي مبارك وجمال الدين الافغاني ، وعبد الله فكري - كان من الممكن جدا حذف السطور التي خصصت ل محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم امين ويحدد العنوان بلبنان او بلاد الشام على سبيل التوسع .

(٤)

- التوار الشعراء - مختارات من شعر النابلس العرب (الشيخ ناصيف البازجي ... عبد الرحيم محمود ... وغيرهم) اشرف على تأليفه واختيار عمر ابو النصر ، بيروت ، مكتب عمر ابو النصر ، د . ت .

١ - ص ١٨ « ... اخذت تسائم الحرية وحسب الاستقلال والانعتاق من العبودية ، تساور احلام الكتاب العرب في اواخر القرن الثامن عشر واتبعثت من وراء الرقابة الشديدة والجانسية اليقظة اصوات الادباء تهيب في خفوت وحذر بالراقدن ان يهوا ، وبالقاعدين ان ينهضوا ، وسمع الناس اول ما سمعوا صرخات العرب المسيحيين لسوء سياسة الترك فيهم وقسوة الحكام عليهم كفتح الله مراش ، ووزق الله حسون ، واديب اسحق وابراهيم البازجي صاحب البائية الشهورة التي نظمها في ١٨٩٦ ومطلعها :

تنهوا واستيقظوا ايها العرب فقد طوى السيل حتى غاصت الركب
١ - اواخر القرن الثامن عشر : لعلها اواخر القرن

التاسع عشر .

ب - ورد على الغلافين من الكتاب اسم الشيخ ناصيف البازجي ، ولم يرد عن الشيخ ناصيف حديث في

الكتاب كما ورد عن الاسماء الاخرى المكتوبة على الغلافين .
٣ - ص ٢٣ « الحديث المحمدي المأثور : كيغما تكونوا يولي عليكم ... »

من التصحيحات عليه : يولي : يول .

٤ - ص ٨ « عبد الرحيم محمود الشاعر المصري العربي ... »

الصحيح : الفلسطيني ...

ملاحظة عامة : هذه نقاط التقطت عرضيا لدى نظرة عابرة - والحقيقة ان المؤلف مكثر ، سريع التأليف ، بطرق موضوعات متعددة يحتاج الواحد منها الى تخصص وانصراف واخلاص ومنهج . واكثر ما طرق تاريخ العرب والقومية العربية والمفروض بالكتاب الذي نحن بصدده ان يدخل ضمن اهتمامه الاول .

(٥)

- شعر من المهجر - تأليف محمد قره علي ، ج ١ ، بيروت ، منشورات حمد ، مطبعة الانصاف ، ٥ نسوار ١٩٥٤ .

١ - ص ٩٢ : « وعندما تأسست الرابطة القلمية عام ١٩١٤ ، التحق بها (ايليا ابو ماضي) عام ١٩١٦ ... اندره حداد ... »

الصحيح : تأسست ١٩٢٠ ... ندره حداد .

قال جورج صيد في كتابه « ادبنا وادباؤنا فسي المهاجر (امريكية) » في « ادباء الشمال » : كانوا اربعة في آخر القرن الماضي : الريحاني وجبران وندره حداد وعبد المسبح حداد فاصبحوا ثمانية في العقد الثاني من هذا القرن ، اذ جازهم على التوالي نسيب عريضة ورشيد ايوب وميخائيل نعيمة وايليا ابو ماضي ، فتالت منهم حلقة محترمة ... وكل منهم شعر بالحاجة الى تكوين جبهة واحدة ... فالفوا الرابطة القلمية عام ١٩٢٠ ... »

(٦)

- مختارات المنطوقي - جمعه المرحوم مصطفى لطفي المنطوقي (مارس ١٩١٢) ، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطبعة السعادة ، د . ت .

١ - في « مقابلة بين الشعر العربي والشعر الافرنجي للشيخ نجيب الحداد ، ص ١٢٢ - ١٢٨ من المختارات : « حتى ان » (بفتح همزة ان) : الصحيح كسرهما .

٢ - ص ١٢٥ « بخلاف العرب الذين صبروا على هذا الامر (اي الفقر في قصادهم ... والتمدح في كلامهم) دهرًا طويلا ... لعل الصحيح في صبروا : فبروا - وبحسن مراجعة اصل المقالة في مجلة البيان سنة ١٨٩٧ - ١٨٩٨ اصدرها الشيخ ابراهيم البازجي بمصر .

٣ - ص ١٣٦ « ... ان نظم الروايات الشعرية ... يستلزم رواية طويلة وعارضة شديدة وقدرة فائقة فسي التصور ... » ، لعل الصحيح في رواية : رونة .

٤ - ص ١٣٧ « وهم اذا وصفوا ... بسطوا لعين الفكر ما لا تكاد تبصره عن الحسن من غوامضه ... » صحيح عن الحسن : عين الحسن .
ملاحظة : نشرت دار الثقافة في بيروت ضمن ما نشرت من كتب المنفلوطي كتابا بعنوان « مختارات المنفلوطي » وهو كتاب لم يعلم بوجوده المنفلوطي ، لانه غير الكتاب الذي عمله وضمنه مختارات لغيره من قدماء ومحدثين وكان مناسباً جداً ان تشير الدار المذكورة الى طبعة عملها ، ومناسبا لو نشرت « الادبيات العصرية » و « المختارات » الاصلية .

(٧)

- جماعة ابولو واثراها في الشعر الحديث - عبد العزيز الدسوقي ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ .
(رسالة ماجستير) - اشرف عليها الدكتور محمد مندور وناقشها الدكتور اسحق موسى الحسيني والاستاذ انيس المقدسي .

١ - ش - ح : الفاء .. وانما الذي قاد حركة التجديد فهو تيار الديوان .
اما ان نقول : ... وانما الذي (وان الذي) قاد حركة التجديد هو تيار الديوان .
واما ان نقول : اما الذي قاد حركة التجديد فهو تيار الديوان - والاول اولى .

٢ - ص ٤١ : البارودي : « وظل البارودي بعد ذلك عاكفا على شعره بعده للطبع ... حتى وافته ميتته في ديسمبر سنة ١٩٠٣ قبل ان يحظى بإخراج ديوانه الى النور ... وقد قامت بطبعه - بعد موته - زوجته ... »
١ - ديسمبر ١٩٠٣ : الصحيح : ديسمبر ١٩٠٤ .
قال محمد صبري في كتابه « ادب وتاريخ » ص ٧٨ « وقد لبى دعوة ربه في ٦ شوال ١٣٢٢ (ديسمبر سنة ١٩٠٤) » وعلى هذه السنة يعقد الاجماع .

ب - لم تطبعه زوجته (زوجة) وانما قدمت المسال لطبعه ، ولم يطبع كاملا ، وانما طبع منه جزءان فقط (وبقي الثالث حتى يومنا هذا مخطوطا - ماذا ينتظر !؟)

٣ - ص ٦٤ خليل مطران : « ولد في سنة ١٨٧٢ وابوه عبده بن يوسف بن ابراهيم بن ميخائيل مطران .. »
ميخايل : ميخايل - ولم لا تكون ميخائيل او ميخائيل ؟

٤ - ص ٧١ الغرناي : « وتجاوب مع هذه الحركة (حركة جماعة الديوان) ميخائيل نعيمة امام حركة التجديد في الشعر المهجري . واصل كتابه الغرناي سنة ١٩١٣ على غرار الديوان الذي اصدره العقاد والمازني سنة ١٩٢١ ... »

١ - يمكن ان تكون كلمة « امام » قوية ، اقوى مما يجب . نقول ص ١٢٠ هو « رائد التجديد في المهاجر » ونقول ص ١٢٤ « فيلسوف التجديد ... »

٢ - سنة ١٩١٣ : ١٩٢٣ (والخطا مطبعي) - وعلى اي حال ، فالؤلف الباحث لم يعتمد الطبعة الاولى للغرناي في دراسته وانما اعتمد طبعه سنة ١٩٥١ .

لم يكن في مخطط نعيمة ان يصدر « الغرناي » على غرار الديوان - ولم يقل ذلك متبحر - والمشابه غير « الفسار » .

٥ - ص ٦٧ التجديد : « ... بعد هذا لا نستطيع ان ننكر ان خليل عرف التجديد ... وعرف ... وحاول ... »

تري لم تبحث عن استطاعة الإنكار ؟! كنت بهذا كمن فضع سرا دون ان يدري ... لقد حاول جاهدا تقليل شأن خليل مطران في التجديد ! لماذا ؟! هل الإنكار مما يصمم في خطط البحث الادبي الاكاديمي ؟!

ثم سيحاول جاهدا تقليل شأن المهجر ... بل اخضاع المهجر للآثر المصري (ص ١٢١) وليس هذا من منهج البحث او مقاصده ثم سيعود ص ١٥٣ يقلل عامدا من اثر مطران في احمد زكي ابي شادي ! ويعقد فضلا لذلك التقليل - غير « البرر » - ص ١٥٦ كانه مكلف بذلك وليس هذا من البحث الاكاديمي الرصين في شيء ... انه موقف تموزه حكمة الشيوخ - سيعود الى غمط مكانة مطران مرة اخرى ص ٢٧٧ ، واخرى ص ٢٩٩ ، ٣١٥ ، ٣٧٧ .

٦ - جماعة الديوان : « وانتهى تأثير جماعة الديوان بعد ان دب الشقاق بين افراد الجماعة ، وراح المازني والعقاد يهاجمان شكري هجوما حادا قاسيا جعله يعتزل الشعر والحياة ... »

الذي هاجم شكري هو المازني في مقالتين من مقالات « الديوان » بعنوان صنم الالاعيب ، ولم يكتب العقاد شيئا في مهاجمة شكري ... بل المعروف في التسايرخ ان العقاد عمل جاهدا على اصلاح ذات البين ومحاولة اعادة المياه الى مجاريها بين المازني وشكري .

٧ - ص ١٥٧ نجيب عن : « وقبل ان نجيب على هذا التساؤل ... الصحيح » نجيب عن ... ومثلها ص ١٦٣ .

٨ - ص ١٧٥ : رثاء صروف « لاحمد زكي ابو شادي » قصيدة بعنوان صروف وهي في رثاء يعقوب صروف صاحب مجلة المتكلمة والتوفي سنة ١٩٢٧ ... »

ان الواو بين صاحب مجلة المتكلمة والتوفي زائدة بل ضارة لانها تجعلها شخصين تعطف الثاني منهما على الاول ، والصحيح : صاحب مجلة المتكلمة المتوفي سنة ١٩٢٧ .

٩ - ص ٥١ فسحت : « وقد افسحت مجلة ابولو صدرها مقالات كثيرة تهاجم العقاد ... » افسحت : فسحت .

١٠ - ص ٩٣ ، العقاد والمازني : « التقى العقاد بالمازني بعد تخرجه من مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٠٩ والتقى بشكري بعد ذلك بشهور قليلة على اثر عودته من البلاد الانجليزية ... »

الحديث عن « جماعة الديوان » الثلاثة : العقاد والمازني وشكري ، وقد نصصت على التقاء العقاد بالمازني وشكري ، وهذا حسن ولكن المقام يقتضي النص على التقاء المازني بشكري . ومعلوم ان لقاءهما سابق على لقاء العقاد لقد كانا زميلين حميمين وهما طالبان بإسدار المعلمين العليا وانت تعلم ان المازني قال : « انه - اي شكري - اول من اخذ بيدي وسدد خطاي ودلني على المحجة الواضحة واني لولا عونه المستمر لكان الأرجح ان اظل اتخبط اعواما اخرى ولكان من المحتمل جدا ان اسفل طريق الهدى » . وهنا على هذه الصفحة (٩٣) مكان منهجي للنص على الصداقة واثراها .

١١ - ص ٥٦٦ زيدان . جورجي زيدان ... صحيحه جورجي ...

١٢ - ص ٦٠٩ : حجم الكتاب . ولعنا بالضخامة عجيب ، وهو جزء من العقلية السائدة في احترام الكمية ، وهذا هو الذي وقع للمؤلف . لقد حشر كل ما وقع تحت يده وكل ما تراءى له وحسبه منهجا في البحث واسلوبا في المناقشة ونمطا في الراي وتقليدا في الخطة ... وليس الطالب باليوم وكان الامر يقتضي التنبيه ... والا فلم وجد الاشراف ، ووجدت اللجنة المناقشة ... اتراهم نهوا ولم يأخذ الطالب بالملاحظة - كما يحدث كثيرا ؟ اي اخي الاستاذ عبد العزيز النيسواني كتبت اتعنى لو جاء كتابك باقل من نصف هذا الحجم ، اذن لبان جهديك واتضح قصدك وعرفنا جيدا من هم « جماعة ابولو » ولا ضعنا في مناهات وشغلنا بجانيات ... وقد تكون من راى الان بعد مضي خمسة عشر عاما على عملك الاول ... وقد تعيد النظر لدى الطبعة الثانية - ارجو ...

(٨)

- النقد الادبي المعاصر : في الربع الاول من القرن العشرين ، محاضرات القاها الدكتور اسحق مسوسى الحسيني ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧

١ - من طرائف الخطا المطبعي الذي كثر هذه الايام - بخاصة - في مصر ولبنان ما ورد نموذجه على ص ١٥ : « وصدرت في آذار سنة ١٨٩٧ » بقصد آذار ، فاصل المطبعة يطبع كما يلفظ والصصح يصحح كما يلفظ ... وتستحيل الدال زايًا .

٢ - ص ١١٣ ثورة الادب : « كتب الدكتور هيكال في السياسة الاسبوعية مقالات متنوعة في النقد ... جمعها

ونسقها (ص ١٥) فيما بعد فصدرت اول مرة سنة ١٩٣٣ باسم « ثورة الادب » ، ثم صدرت ثانية ١٩٤٨ »

لم ينص الدكتور هيكال في مقدمته لثورة الادب على ان مادته مقالات نشرها في السياسة الاسبوعية ، ونص على ان بين مادة الكتاب ما لم يسبق نشره : « هذا الكتاب جديد قديم ، قديم لان بعض فصوله نشر من قبل .. وهو جديد من ... ان بعض الفصول ... لم يسبق نشره وبعضها مما سبق نشره زيد عليه او حذف منه ... »

والاشارة الى مقدمة هيكال هذه ضرورية لا سيما في كتاب استعراضى ...

ثم ان « ثورة الادب » صدر بطبعة ثالثة سنة ١٩٦٥ مناسب ان تذكر بعد ان ذكرت الطبعة الثانية .

ملاحظة : كنت انتظر ان يكون « النقد الادبي المعاصر ... » على احسن مما كان .

(٩)

- الموجز في الادب العربي وتاريخه - وضع لجنة من الاساتذة بالاقطار العربية ج ٥ ، ادب الانحطاط ، ادب النهضة ، القاهرة ، ملتزم الطبع والنشر دار المعارف ١٩٥٧ . ١ - كان بود الانسان لو عرف عدد الاساتذة من هذه الاقطار ، وعدد هذه الاقطار ، لان المسألة مثار شك ، والشك في نسبة التمثيل ، نسبة غير المصري الى المصري . ٢ - ص ٦ : الجناسات « والشاعر الشاعر من تفوق على غيره في (...) الاكثر من الجناسات ، وللجناسات دور مهم على مسرح الشعر في ذلك العهد ... » الجناسات : الجناس . ولا موجب لجمعها .

٣ - ص ٤٥ : ابن خلكان « ولاين خلكان وفيات الابعان ... » وهو كتاب ... ذيله عدة علماء مترجمين لبعض من تركه ابن خلكان ، اشهرهم ابن شاكركتبي المتوفى نحو سنة ١٣٠٣ صاحب « فوات الوفيات » .

١ - ص ١٣٢ لا تعنى شيئا ، واذا كان المقصود الميلادية وضع بعد الرقم حرف (م) تمييزا وتخصيصا لان المؤلف في حالة ابن شاكرك ان يؤرخ هجريا . ثم انه لدى التحقيق توفي سنة ٧٦٤هـ ، وهذه تساوي سنة ١٣٦٣ م .

ب - فوات الوفيات ليس ذبلا ، واسمه واضح في الدلالة على الاستدراك وما رآه ابن شاكركتبي اهلا الى ان يدخل كتاب ابن خلكان ولكن المؤلف لم يدخله . الملاحظة من باب الدقة في مخاطبة الناشئين .

٤ - ص ١٠٤ طغمة : « ... » وقد تخرج من تلك المدارس (اي مدارس روما وباريس وغيرها) طغمة مباركة من ارباب العلم والثقافة الذين لموا في سماء المعرفة ... »

اذا كانت مباركة فكيف تكون طغمة ... انما تستعمل الطغمة للدم ، والطغام « اوغاد الناس » .

مرحبا بشبابي

جلست في السيارة الداهية من القدس الى يافا بين الدكتور الشاعر عبد القادر يوسف
وفناء لها من جمال جورجينا دزل نصيب، فنظمت الابيات الالية ، وامليتها على
صديقي الدكتور

يا مرجبا بشبابي
حسبته - لَهف نفسي -
سلخت غامين بعدد
فلم يلق لي ليل
ولم ازود جناني
ولم يرنح نسيبي
حتى اذا جاورتني
سكرانة اللحظ ، تسو
رنا اليها ابن صدي
تلفتت ، فتبدي
ففي مجيائي ومض
والصبر بهوي ، ويملو
والوجد هز كياني
قالت ، وقد صرعتني
تعلم الرمسي يصمي

قد عاد غص الاهباب
قد غاب دون ايساب
ارتحاله في عذاب
طمع الهوى والتصابي
برشفة من رصاب
هوى ، اقاصي الروابي
حسنا ، ربا الشباب
سحرا على الاتراب
وطار مني صوابي
لها جوى الاجاب
بروي خلاصة ما بي
كموجة في القباب
وارعدت اعصابي
اسنة الاهداب :
ليت الشرى ، من كعاب

محمد العدناني

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

معروف ، فيقول : عن كتابنا « الجديد في الادب العربي
وتاريخه » - ينظر مثلا هامش ص ٨٣ ، ١١٠ .
وقد فرحنا ان اتسع افق التأليف شبه المدرسي
بمصر « فاستضاف » مؤلفا عربيا من قطر عربي ، ولكننا
كنا نود لو تنبه الاستاذ حنا فاخوري - او نيه - الى
انه في مثل هذا الكتاب عربي وليس لبنانيا فقط . ترى
ما حظ العراق - مثلا - من ادب النهضة ؟ نصف صفحة
عن الرصافي فقط دون استشهاد ببيت من شعره ، مسكين
الزهاوي ! ولا تسل عن الآخرين . ماذا ؟
وفي كلامه على المؤلفين في الادب من الكتاب ورد اسم
حنا فاخوري مؤلفا « لتاريخ الادب العربي » ، ولكن ،
ولكن ابن الاخرون - ضمن هذه القاعدة ؟ ابن - مثلا -
الدكتور محمد مهدي البصير صاحب « بعث الشعر
الجاهلي » و « نهضة العراق في القرن التاسع عشر »
و « عصر القرآن » و « في الادب العباسي » ؟ - مثلا ،
وضمن القاعدة وبعد ان ذكر من هو دونه تأليفا وزمنا -
تنظر ص ١٢٤ .

علي جواد الظاهر

جامعة بغداد - كلية الاداب

٥ - ص ١٠٤ جيوش نابليون : « ولما كانت سنة
١٧٩٨ زحف جيوش نابليون بونابرت على مصر ، وفيها
الاديب والشاعر والطبيب والفيلسوف ورجل الصناعة
والفن والاختراع ... »

١ - المؤلف في الرسم العربي لاسم الزاحف الفرنسي :
... بونابرت ، وهو اقرب الى الاصل الفرنسي ، فلم
اختر مؤلف الكتاب - او مؤلفه رسما بعيدا عن الاصل ...
فجعلوه - او جعله - بونابرت ؟
ب - ترى من الشاعر الفرنسي الذي زحف مع
الجيوش ؟ او الشعراء ؟ كما يمكن ان يفهم من منطوق
العبرة .

٦ - ص ١٠٥ - ١٠٦ : الصحف . عدد المؤلفون
الصحف والمجلات وكان مناسبا ان تذكر « المتنطف » ..
٧ - من الف الجزء الخامس من الموجز في الادب
العربي وتاريخه ؟

لم ينص الجزء الخامس الذي يأيدنا على طريقة
توزيع العمل ، ولكننا عرفنا من هوامش هذا الجزء
ان مؤلفه هو حنا فاخوري لانه يحيل على كتاب آخر له

على محاربته العقاد . وكنت قد نفيت عنه هذا الاتهام الباطل من الأساس ، وجلوت موقف أبي شادي الشريف الفاضل وسيرته الإنسانية الحميدة لجمهرة القراء في مقال سابق (١) . وقد جاء الآن الأستاذ وديع فلسطين ، وهو الأقرب اتصالا بكليهما ليؤيد ما ذهبت اليه يومذاك (٢) .

الدكتور احمد زكي أبو شادي ، طبيب مختبري ، ولكنه شاعر ناثر ، كتب في الشعر كثيرا وقارع فيه أئمة نشاطه حينذاك ، فلم يتدن في تلك المارك ، على شدتها ، الى ابتذال . وقف كل العفة عن ان يجيب البذاءة ببذاءة مثله . يخجل من نفسه قبل ان يخجل من غيره اذا ما قال ما لا يناسب سمو النفس ورفعة الذوق .

وشاعر قال في الشعر ، في كل ما يخطر على البال ان يجول الشعر فيه . اصدر من الدواوين الشعرية الكثير ، منها ما طبع ، ومنها ما بقي ينتظر ان يهب الاخوان والاعوان الى طبعه . وانتشرت دواوينه في مصر وفي المهجر الامريكي واسع انتشار .

ولكونه موسوعي المعرفة ، فهو على الاكثر يغلب على شعره جفاف العلم وصلابة المادة ، وتضعف فيه العاطفة ، فلا تراه دائما سلس اللفظ ، عذب الجرس يخلق بعيدا يحتاج الى الخيال . وضعف العاطفة في الشعر ، تقصصه تسلمه في كثير من الاحيان الى ان يعافيه البعض . ولكن من التجني على أبي شادي اعتبار بعضهم ، كل شعره من هذا القبيل ، فيتحاملون عليه تحاملا لا يقره الحق . امن السماء ام من الارض : نشر في امريكا ديوانه « من السماء » سنة ١٩٤٩ واحتفلت جمعية الشعر الامريكي بتكريمه بمناسبة ظهور هذا الديوان سنة ١٩٥٠ . والتقى في الحفل رجال من الشرق والغرب ، ومن العالمين القديم والجديد ليكرما شاعرا عربيا مجاهدا (٣) .

ولكن الاديب الاردني مناور عويس كتب عن هذا الديوان تحت العنوان المتقدم « امن السماء من الارض » (٤) مقالا يقول فيه : « ليس للشعر مقاييس وموازن وقوانين ، الا اذا استطعنا ان نضع للحياة مقاييس وموازن وقوانين ، وعندئذ تصبح الحياة ارقاما واشكالا هندسية تبعث السام في النفوس وتثير الحزن والكآبة في القلوب .

يقولون ان الشعر هو عرق الروح ، ومن ارواح لا ارواح لها ، فيجهر شعرها مصنوعا غير مطبوع مركزا غير مترنح ، صاحبا غير ثمل . وهذا الشعر المصنوع المركز الغير المترنح ، الصاحبي الغير الثمل ، هو شعر العقل ، وهو في اعتقاد وفي اعتقادي شيء غير الشعر . ويرد الدكتور ابو شادي على هذا في قوله (٥) :

« وهذا كلام خيالي جميل ، هو شعر منشور ولكنه بجانب الحقيقة ، فقد لا يكون النظم المهلهل المترنح شعرا بأي حال ، حينما يكون النظم المركز زاخرا بعوالم من الفكر والخيال والعاطفة منظمه كاتظام الذرة وانسجام جزئياتها . وحصرنا قدنا الفاضل تعريف الشعر فيما ذهب اليه هو تضيق فوق كل تضيق ، كما انه في الوقت ذاته



الدكتور احمد زكي ابو شادي

ابو شادي في ذكره العشرين

بقلم سالم علوان الجبلي

توطئة : متعدد المواهب واسع الافق ممتد منادح الفكر في كل اتجاه . طبيب يربي النحل ويصدر لتربيته مجلة . ثم هو يتحرك ناشطا حركته في كل جهة . وينظم الشعر ويصدر ، كذلك ، له مجلة تقتصر عليه ، وتحتضن نتاجه من حيثما جاء . جمعت حولها كل من شغفه الشعر حيا فنفتخت فيهم من روحها روحا اطار للكثير منهم ، بعد ذلك ، صيتا ايما صيتا .

في انجلترا ينشيء جمعية تحشد كل الامكانيات الشابة هناك ، وفي مصر تكون جماعة «ابولو» مدرسة يتخرج فيها الكثير . وكان في من تخرج ، الوفي كل الوفاء لصاحبا ، وكان في من تخرج فيها الماقل له كل العقوق . وكذا الانسان ، واحدا . يؤسره الجميل ، فيظل ما عاش يسدد ما يراه واجب الاداء ، وعاق نافرا لا يستجيب للاحسان ولو اشملت له العشر شمعا !!

حاربه البعض من هؤلاء الذين صنعتهم من العدم ، حربا لا هودة فيها فكانت ، ويحق ، من بعض اسباب هجرته . اذ كيف يحتمل الحب المرفف مثل هذا العقوق . واشاع عنه العقاد واعوانه انه كان يتسلم عمولة

اعلان عن افلاس الشعر العربي المعاصر لو صح ما ذهب اليه وعم الأخذ به ، ولكن لحسن الحظ ليس هذا هو الواقع ، وانه ليمثل الرأي اليساري المتطرف الداعسي الى التهاكل على شعر الترويج والتفكه والعاطفة المجردة والتهويل والعنطرة . كما ان الرأي اليميني المتطرف يشر بالاعتصار على الشعر الواقعي او الحكمي او الوصفي المجرد .

ولا ادري ما الذي حمل ابا شادي على اقتحام « اليسار واليمين » هنا ؟ فمابصر عن اليسار، والمتطرف، منه على الاخص ، شعر ملتزم ، والشعر الملتزم ، على اي حال لا يدعو الى التهاكل على شعر الترويج والتفكه والعاطفة المجردة والتهويل والعنطرة - على حد تعبير الدكتور - . وليس كل ما يصدر عن اليمين ايضا يشر بالاعتصار على الشعر الواقعي او الحكمي او الوصفي المجرد - على حد تعبير الدكتور - ايضا . وهو كذلك لا يخلو من الترويج عن النفس والتفكه وما الى ذلك .

ويستشهد ابو شادي على نضاعة شعره وعلويته وكونه مطبوعا وغير مصنوع بقصيدته التي رثي فيها الشاعر نسيب عريضة وعنوانها « هكذا حدث » (٦) التي القاها في الحفل الذي اقيم في بروكلن بنيويورك لهذه المناسبة مساء الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٦ والتي هلل لها - كما يقول الدكتور - ايليا ابو ماضي وكبر . نجشزيه منها ما يلي:

ما كان عزمك موهوبا لانسان ولا احسان هذا العالم الباني
ولا ارضي واطمان حننت لهما فاعبرية لم تغلق لاوطان
والشاموية لم تقصر منازلها على الحياة ، ولو من رسم فنان
بل كان عزمك اوصاف تنفك بها ولم تغفر بالجيل وقرنان
لم تكيف بساوصاف تنفكها ولم تقدر بمقياس وميزان
ولم تخصص ، لمشي انت كنتيها في نشوة بين مشدود وحيران
سلم الزمان نتاجينا وتسعدنا وتحمل النور ميرالسا لزمان
لعل في مقبل الاجيال عارفها ان فسات ترفيها روي ووجداني
يا حامل العبه في ايقاف اتنه حدثت عيني بسل ردوين في آن
ما بز السارك الغراء مبتدع ولا ينس فوق ما اعليته باني
تركت (مصر) وقلبي ذائب حرقا وجئت اظفر، لوماني ونيسراني
وكننت جانبك اظاف الربيع بها وقلت حسبي بكم جنات (لبنان)
ويختم ابو شادي رده هذا على « عويس » كما بدأه

بقوله « ولذلك نرى من المألوم ان نختم هذا الحديث، كما بدأناه بالإشارة الى تلك الكلمة الروحانية التي يؤمن عليها علم النفس - الارواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تنافرت منها اختلف » .

والصحيح، ان ما كل ما يتعارف من الارواح يتألف حتما ، كما هو الحتم مثلا في اختلاف ما يتناثر منها وصحيح هذه الكلمة الروحانية ، كما اراد ، هو قولنا « الارواح جنود مجندة ، ما توافقت منها ائتلف ، وما تنافرت منها اختلف » . واطن ان هذا هو الاصل لهذه الكلمة .

والشعر : وفي الحقيقة ان الشعر ليس عاطفة

وحسب ، كما انه ليس فكرة وعقلانية وحسب . ولو انه كان محض عاطفة لكان ضبابيا ليس الا ، ولو اقتصر الشعر على الفكرة المحض لكان علما او ما يشبه العلم ، وكلا الحالين ما هما بالشعر . فالشعر جمع بين العاطفة المرفهة من جهة ، وبلورة وتركيز لفكرة نيرة من جهة ثانية ، يعبر عنهما اسلوب جذاب من جهة ثالثة . فصوغ العاطفة والفكرة بأسلوب رقيق ، حلو الجرس ، مذهب النغم ، يأخذ بجماع القلوب الى ارحب الاجواء وافسحها ، وحين يغلف كل هذا خيال مغمى مبدع ، يكون هذا ، في الحق، هو فن الشعر .

وليس المهم ، بعد هذا ، اسم القائل ، فالنص الشعري هو الاهم اولا واخيرا . وليس من المحت ان يكون الشاعر كبيرا او عظيما ليكون الشعر عظيما ، وكم ممن الذين حازوا صيتا ممتدا وشهرة واسعة بمحض العناية والاعلان ، وحتى بالاتصال الشخصي والدعابة الفارغة . فانت كثيرا ما تقرأ لهذا العظيم او ذاك شعرا تعافه النفس ويشمئ منه الذوق الشعري السليم ، فاسم الشاعر ليس واردا في الاصل قبل القدرة الشعرية التي هي الواردة اولا وقبل كل شيء . وبهذا قلت :

« اعليها نظرات منك صابئة ان تحسب اللغو شعرا قاله العالم فدا يقيم قدر الشعر ... قاله وانما بجلال القدرة... العظيم وثمة آيات مشحونة بالعاطفة مفعمة بالانفعال في قصيدته الطويلة التي رثي بها زوجته (٧) والتي بلغت ١٠٣ آيات تذكرنا بها ، بالمناسبة ، وبامثالها اليوم الناحية الشعرية التي يقيمها الدكتور الشاعر « البيومي » في معظم المجلات الادبية ، و« الادب » على الاخص ، يندب فيها شباب صاحبه الناضر وقطع كيده عليها حرقا . ولعله بالغ بكثرتها ما بلغه شعر زميله « اباضه » الذي جمع من مراتبه لزوجته ما ملا فيما بعد ديوانا كاملا .

وليس كل هذا غريبا ، فالزوجان من بني الانسان، اذا ما لفهما الوفاء بردائه ، يعيشان كزوج الحمام بلاصقان متقاربهما وبتناجيان ، وحين يودع احدهما الآخر الوداع الاخير ، يظل هذا ينوح عليه حتى الموت . ولكن العجيب في هذا المجال هو موقف الشاعر الفحل

- (١) مجلة الادب اللبنانية عدد مايو ١٩٧٢
- (٢) مجلة الادب اللبنانية عدد فبراير ١٩٧٥
- (٣) محمد عبد الغني حسن « الشعر العربي في المهجر » ص ٢٠٨
- (٤) جريدة الحوادث الاردنية عدد ٣٠ يونيو ١٩٥٢
- (٥) مجلة الثقافة المصرية العدد ٧٢٥ الصادر بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٥٢

- (٦) الدكتور ابو شادي ديوان « من السماء » ص ١٠٠
- (٧) المصدر نفسه ص ٨٩
- (٨) الادب اللبنانية عدد يوليو ١٩٥٦
- (٩) « الشعر العربي في المهجر » ص ٢١١
- (١٠) « ابو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث »



طيب الشذا والراعات القنود
ما همها الريح وقصف الرعود
بالعطر من اكمامها والخدود
والججو وردي السنبا والبرود
وطساب في جنتها من وعسود
وراح بالاهداب يحمي الحدود
ينداح ما بين الردى والخسود
يسمو، وحيث الحب يزهو الوجود
طيب الشذا ، والباسمات الورد

سليم مركزل

يا وردة نفسي باحلامنا
تمسد للجسوزاء اعناقها
وتفصر الارجاء من حولها
الكون من انفاسها مشرق
كم ذاب في استحارها بلبل
وكم تهسدى القلب في دوحها
يسا وردة قلبي مدى عطرها
انسا سفحنا العمر حيث الهوى
يسا وردة نفسي بارواحنا

«... ووغت على قبره الدارس باقة من زهر القرنفل احب
انواع الورود اليه ، وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر
سبتمبر الماضي بعد خمسة اشهر من ختام حياة رجل
عاش بالعرض والظول والمعق .»

والذي يهتأ هنا ، اننا لو اعتبرنا ان الثامن من
شهر سبتمبر هو اليوم الاخير - كما يقول - من الاشهر
الخمس التي مرت على وفاته ، فان اليوم الثامن من شهر
ابريل سنة ١٩٥٥ ، والحال هذه ، يكون هو يوم وفاته.
وهذا يخالف ما ذكره الاستاذ محمد عبد الفنى حسن
الذي يحدد لوفاته يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٥٥ (٦) ويخالف
كذلك ما ذكره الدكتور كمال نشأت (١٠). كونه توفي في
يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٥٥ فهل صعب علينا الى هذا الحد
تحديد يوم وفاته ، على قربه ، بالضبط ؟!

وعلى كل حال فان الذي يريح خاطر في هذه
الذكرى العاطرة ، هو الخبر الذي نقلته الينا « الاديب»
الفراء في عدد فبراير عام ١٩٧٥ ان طبعة كاملة مصورة
من مجلة « ابولو» ستصدر قريباً ، كما ستصدر ايضاً
الدواوين المهجربة الاربعة للدكتور ابي شادي ، وان كريمة
الانسة « صفية » تمكف الان على اعداد فصوله ومحاضراته
ومقالاته الكثيرة توطئة لنشرها في كتاب متعدد الاجزاء
بعتوان «الكشكول». والذي ارجوه مخلص ان يوفقها الله
للهنوس بهذا الجهد المبرور المشكور . وجزى الله الاوفياء
من الابناء والاخوان خير الجزاء.

سالم علوان الجليبي

البصرة - العراق

« الفرزدق » من زوجته الى حد ان « النوار » وهي ابنة
عمه ، لم يرها ، حين مات ، بيت واحد من الشعر ، بل
هو لم يبك عليها قط ! فاذا كان له في هذا بعض العذر ،
كونها قد تزوجت منه مكرهة ، فاي عذر له في عدم وراء
زوجه الثانية « حدراء » التي لم يبك عليها ، هي الاخرى
قط ، فهل مات فيه الشعور وتبدل الحب الى الحسد
الذي اخذ يستخف بموتها ويستهن بالذي يلومه على
ذلك ، استمع اليه كيف يقول :

يقولون زر حدراء والترب دونها وكيف بشيء وصله قد تقطعا
ولست ، وان عزت علي، بزائلر ترابا على مرسومه قد تقطعا
واهون مفقود ، اذا اوت نساله على المراء في اصحابه من تقطعا
بل استمع اليه كيف يعيب « جريرا » ويعيره على
رثائه زوجته حين مات ، بقوله :

كانت منافقة الحسية وموتها خزي عايلة عليك وعسار
تبكي على امراء وعسلك مثلها لفساد ليس لها عليك خمصار
وليكنيك فقد زوجتك التسي هلكت موقفة الظهور قصار
ان الزمارة في الحسية ولا ارى ميتسا اذا دخل القبور يزار
وهو في بيته الاخير يشير الى مطلع قصيدة « جرير»
التي رثى فيها زوجته حيث قال :

لولا الحياء لهابني استبحار ولزرت قبرك والعجب يزار
والفروض بالشاعر ان يكون عاطفيا مشبوب
العاطفة ، حساسا ملتهب الحب ، يؤله ما يصيب غيره
من اذى ، فكيف بما يصيبه هو نفسه ، ولكن لله في خلقه
شؤون .

الخاتمة : جاء في مقال للاستاذ وديع فلسطين تحت
عنوان « وقفة على عبر ابي شادي » (٨) قوله :

عوامل مساعدة على انطوائ النقد

بقلم زكي الشيخ حسين عثمان

كان

النقد في مطلع القرن التاسع عشر يبدو في مصر في صورة مناقشات لفظية تجري في دورس الازهر الشريف ومعهده ، وكانت نظرية المناقشين اما نحوية او لغوية وكان مثلهم الا على في مقياسهم الادبي الشعر الجاهلي وشعر صدر الاسلام .

وقد بدأت مرحلة التجديد في اوائل هذا القرن ، حيث مهدت لها عدة عوامل من اهمها كان بعث التراث العربي القديم بفضل فن الطباعة الحديثة الذي وفد الى مصر منذ بدء الحملة الفرنسية ، بل منذ تأسيس مطبعة بولاق على وجه محدد ، وبفضل هذا الفن امكن طبع الكثير من امهات كتب الادب العربي القديمة ، ودواوين الشعراء ورسائل البلغاء ، وكتب اللغة وعلومها ، ونشر ذلك كله وتداوله . وكان لانتشار الطباعة اثر في الناحية العلمية والادبية والسياسية ، فاصدر الفرنسيون كتاب « وصف مصر » باللغة الفرنسية (١) . الا انه لم يكن طابع نابليون ولا لطبوعاتها اثر في حياة مصر الثقافية ، كما ان تلك المطابع نقلت الى فرنسا بعد انتهاء الحملة ، وان كان لها من اثر فهو اثر عام ينحصر في تنبيه مصر وايقاظها ، مما كان له اثر في النقد الحديث .

وبعد خروج الفرنسيين انشا محمد علي مطبعة بولاق التي تولت طبع الكتب الحكومية وغير الحكومية ، كما تولت طبع نحو ثلاثمائة كتاب من الكتب المترجمة عن اللغات الاجنبية في العلوم الحديثة ، الا ان هذه المطبعة تعرضت لصعوبات جمة ، حتى توقفت مرات ومرات ، كما ان انتاجها كان علميا بحثا ، ولم تصدر من الكتب الادبية الا القليل في عهد اسماعيل ، فاصدرت المثل السائر والاغاني وخزانة الادب للبندي ومقدمة ابن خلدون والعقد الفريد وفتح اللغة للشعالبي (٢) ، وقد ساعدت هذه الكتب على احياء الاساليب القومية التي بدأ منها التجديد ، وبدا منها في الوقت نفسه نقد ادبي جديد كان للطباعة الفضل الاكبر في ظهوره وانتشاره (٣) . كما عملت المطابع على اصدار بعض الصحف الرسمية والشعبية ، فاصدر محمد علي « جرنال الخديو » سنة ١٨٢٢ الذي اهتم بالموضوعات العلمية والادبية قصص الف ليلة وليلة ، كما صدرت الوقائع المصرية سنة ١٨٢٨ ، وتولى تحريرها رفاة الطهطاوي سنة

١٨٤٢ ، فصارت اللغة العربية اللغة الاساسية لها ، واهتمت بالثقافة ، الا انها ما لبثت ان اهلكت اللغة العربية ، كما اهلكت الادب والشعر ، وقد لاقت صعوبات كثيرة فتعطلت مرات عدة ، حتى جاء عصر اسماعيل فاهتمت بالادب ونشرت الشعر والنثر . وعندما تولى تحريرها الامام محمد عبده سنة ١٨٨١ اهتمت باحوال الشعب المصري ، وصارت صحيفة حرة ، لكن الاحتلال الانجليزي ما لبث ان عاد بها الى طابعها الرسمي . وكان اسلوب الوقائع اول الامر ركيبا ضعيفا حتى طوره الامام محمد عبده فصار يجاري الاساليب الصحفية المعاصرة وارتفع مستواه (٤) .

ومن الصحف التي كان لها دورها في المجال الثقافي والادبي صحيفة « روضة المدارس » التي انشأها علي مبارك سنة ١٨٧٠ ، والتي عملت على النهوض باللغة العربية واهياء آدابها ، كما حثت للتلاميذ المطالعة والبحث ، واخذت تنشر اشعار اسماعيل صبري وغيره ، مما جعل المدرسة الحديثة في الشعر تبدأ نشاطها في تلك المجلة ، فارتقى الفكر الى حد ما ، كما دفعت النهضة الادبية والعلمية الى الامام .

وكثرت الصحف في عهد كرومر الذي لم يكن يقيم وزنا لها ، الا ان بعض الصحف تعرضت للعقوبات ، فعملت الاحرام شهرا ، ومنعت العروة الوثقى من دخول مصر ، كما ان كثرة الصحف كان عاملا على زرع روح المنافسة فيما بينها ، فجاد انتاجها ، مما كان له اعظم الاثر في تقدم النقد والادب . كما وجدت الصحف الشعبية مثل وادي النيل التي غيت بالادب ، ونشرت فصولا من الكتب الادبية كما نشرت كتاب تحفة الانظار في غرائب الامصار لابن بطوطة ، وتولت المنافسة مع جريدة الجوائب التي كان يصدرها في الاستانة احمد فارس الشدياق ، فكانت اشبه ما يكون بمعارك ادبية ونقدية لها اهميتها في هذا المجال ، غير انه كان لها فوائد عظيمة للادب والعلوم بصفة عامة ، الا انها كغيرها من تلك الصحف ، اكثر من السجع والوان البدع الاخرى ومثل هذا الاسلوب رفاة الطهطاوي وعبد الله ابو السعود ، الا انهم حاولوا التحرر من هذا الاسلوب في بعض الاحيان ، فحاولوا انشاء المقال ، الامر الذي اوجد نزعة نقدية جديدة متحررة حاولت التخلي عن القديم المتكلف . ومن تلك الصحف جريدة مصر والتجارة وابو نضارة ومراة الشرق ، وكان لجمال الدين الافغاني جهود طيبة في النشاط الصحفي ، حيث عمل على ظهور اسلوب جديد متحرر من قيود الاسلوب القديم ، فلم يعد يهتم بالمحسنات والزخارف كما تولى عن الصنعة وتوخى بلاغة العبارة واختيار اللفظ ، وخير من مثل ذلك الاسلوب ادب اسحاق الذي اشتهر بعقاة اسلوبه وصحة عبارته حتى صار قدوة لكثير ممن الكتاب (٥) .

وفي مطلع القرن الحالي ساد الصحافة اسلوب صحفي

وزاد ثروتها في الالفاظ والمصطلحات ، وكان هذا عاملا مهما للاتجاهات الحديثة في النقد الادبي ، كما كان لدار العلوم التي انشأها اسماعيل اثر في خدمة اللغة العربية وادابها ونقدها . وكذلك دار الكتب التي كان لها اثر طيب في الثقافة الحديثة (٨) ، لكن النقد ظل لغويا ، الا ان معاهد التعليم المدني الحديث اوجدت ثقافة جديدة في البلاد ، فاستفاد النقد الادبي كثيرا ، وجلبت تلك الفائدة بظهور طبقة متمكنة من اللغات الأجنبية ، لاسيما الانجليزية امثال شكسبير وزميلييه .

ومن تلك العوامل المساعدة الاستشراق ، فقد كان له اثر واضح في نشأة النقد الادبي الحديث . وقد عرف الاستشراق اول ما عرف عندما قام نابليون بحملته ، حيث جاء معه بعض المستشرقين كما عرف المصريون المستشرقين حين رحل بعضهم الى اوربا لتلقي العلوم ، وكان في طبعة المستفيدين منهم رفاعة الطهطاوي الذي نال اعجابهم وتقديرهم ، امثال المستشرق سلفستري دي ساسي ، فاستفاد الطلاب منه كثيرا ، الامر الذي افاد العلم والادب بشكل عام . كما قرأ المصريون ما اصدروه المستشرقون أو الفوه بالعربية او مترجما لها ، او مؤلفا بلغات اجنبية كالانجليزية ، كما فعلوا حين الفوا دارة المعارف الاسلامية ، ونشر المستشرق الفرنسي سلفستري دي ساسي كليلة ودمنة ومقامات الحريري ، ونشر المستشرق الاسكاني وسننبلد كتاب وفيات الاميان لابن خلكان ونشر مرجليوت الانجليزي رسائل ابي العلاء المعري مع ترجمتها الانجليزية ، كما ألف بروكلان الألماني « تاريخ اداب اللغة العربية » والفريق الانجليزي كتابه « الادب العربي » كما عمدوا الى نقل الكثير من اللغة والادب الى الانجليزية والفرنسية والالمانية واللاتينية . ولعل استدعاء مصر للمستشرقين للتدريس في الجامعة المصرية يعد شاهدا على فضلهم ، ومن هؤلاء الذين عملوا في الجامعة المستشرقان الايطاليان جويدي وتليني ، والمستشرق الفرنسي فييت (٩) .

وقد نهج هؤلاء المستشرقون طرقا حديثة في دراسة

مثله مصطفى كامل والشيخ علي يوسف واحمد لطفسي السيد (٦) ، وأهم الصحف التي كانت تمثله اللواء والمؤيد والجريدة ، وتتميز هذا الاسلوب بالمهارة الادبية والادلة المنطقية وقوة التأثير ، كما اتسم بالسرعة وعدم التأتق في العبارة ولولل اهمية الصحافة لتخلص في اوجها اللغة وساعدت على نهضتها واشاعت الكلمات الفصحى ، كما حمت اللغة العربية من سيطرة اللغات الأجنبية عليها ، فكثرت المساجلات الادبية وارتقى الادب الامر الذي اخذ بيد النقد فتطور واتخذ لنفسه شكلا جديدا . ومن العوامل الاخرى التي ساعدت على الدخول في مرحلة جديدة من مراحل النقد والادب الاتصال بالاجانب ، وقد بدأ ذلك بالحملة الفرنسية على مصر ، فقد وفدت معها جماعة علمية غرست بذور الحضارة الحديثة ، فانشأ الفرنسيون مدرستين لتعليم ابنائهم ، وصحيفتين فرنسيتين ومسرحةا للتمثيل ومطبعة ومراصد فلكية ومعامل كيميائية ودورا للبحوث الرياضية ومكتبة عامة فرنسية وعربية ، وبهذا كان اختلاط الفرنسيين بالمصريين في هذه الفترة من اهم الوسائل لهذا البعث الحضاري الحديث في مصر ، وكان له اثر كبير في النقد الحديث ، كما نشأت في الادب العربي حركة ثورية على غرار تلك التي كانت في الادب الفرنسي . ولم يقتصر الاتصال بالاجانب على الفرنسيين بل كانت في مصر جاليات اخرى يونانية وايطالية وارمنية ، وبهذا كان اتصالهم بالاجانب اتصالا اجتماعيا واقتصاديا ونفسيا ، الامر الذي ميا لظهور نقد جديد ، كما اوجد ميلا الى التجديد في المجال الادبي .

ومن العوامل المساعدة على ظهور واتداد التجديد معاهد التعليم التي كثر في البلاد ، فبعد الحملة الفرنسية لم يكن في مصر غير الكتابيب والمعاهد الدينية التي اهتمت بالعلوم الدينية واللغوية والعقلية ، والتي كانت تقتصر على طبقة خاصة لا تعددها ، وكان الاسلوب الكتابي منقطعا حتى قرب من العامة ، فاهتم الكتاب بتنميق العبارات بالسجع الركيك والمحسنات البديعية ، فتقهقر الادب وتضاءلت مكانة الشعراء . فلما جاء محمد علي حاول تنظيم الكتابيب ، الا انها ظلت عاجزة عن تكوين ثقافة ذات اثر على النقد الادبي ، كما ترك محمد علي الازهر والمعاهد الدينية كما كانت ولم يظهر التأثير بالتعليم الحديث الا في عهد اسماعيل الذي يعتبر بداية لحركة التجديد (٧) ، فانشئت المدارس سواء للبنين او للبنات ، فواجهت ثقافة جديدة حملتها اجيال ، واتجهت اتجاها جديدا في كل ما تفكر فيه ، مما كان له اثر في العلوم والفنون والنقد ، ومن تلك المدارس مدرسة الطب البشري التي انشأها محمد علي سنة ١٨٢٧ ، ومدرسة الآلسن التي انشأها محمد علي ايضا سنة ١٨٣٥ ، وقلم الترجمة الذي الحق بها بادارة مديرها رفاعة الطهطاوي ، فترجم كثير من الكتب العلمية والفنية والادبية مما اغنى اللغة في اساليبها وتعبيراتها ،

- (١) الصحافة والادب في مصر ص ٢٢
- (٢) عصر محمد علي ص ٦٤ ، ٦٤٧
- (٣) تاريخ الطباعة والصحافة في مصر ص ٨٩
- (٤) تاريخ الوقائع المصرية ص ٥٢ ، ٧٩
- (٥) تطور الصحافة المصرية ص ١٥١ و تاريخ اداب اللغة العربية ج ٤ ص ٥٧
- (٦) ينظر : مصطفى كامل باثت الحركة الوطنية ص ٢٢٩
- (٧) عصر اسماعيل ج ١ ص ٢٥٦
- (٨) التعليم في مصر ص ١١ . وينظر : تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية ص ٤٥
- (٩) الاداب العربية في القرن التاسع عشر ج ١ ص ١٢ وما بعدها
- (١٠) نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ص ٩٩
- (١١) نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ص ٦٩ . وينظر : تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية ص ٨١

في قرية الوادي

روح مضى في تباريح واين
شرد ، تشجي « جميلا وبشين »
واله القلب شربد المقتنين
ماؤها المسول من اعذب عين
قرية الوادي وود الناس مين
عن حبيب في الرياض الفين زين
لا تلاقى النوم في الفرقة عين
غير يوم كان لقيما العاشقين
اي عشق قد حلا من نظرتين
ان كل الكارئات السود بين

الروابي الخضر لا تعلم اين
غرد ، الحانه رقرافة ،
حائر الخطو يبغي بالهوى
يسال الرمان عن رمانة
ودها صاف كماء النىء في
سرهما في صوتهما تساله
سماهر منذ نات في لوعة
لم يصد يذكر من ايامه
عرف الحب بها من نظيرة
لم يكن يعلم في تهيامه

تتهادى في دلال كالقصين
والورود الحمر تهوى الوجتين
والفراشات تمنى الشفتين
في ثناياها مثار الخالطين
اوج لا ينتهي في الصفتين
في كتاب الحب « ليلي ولجين »

يسا زهور الروض هل مرت هنا؟
العصافير تحيي خطوها
والمنافيد ركوع سجد
تضحك الاصال او تبكي لها
وعلى الاعشاب من اثارها
آه من رقيقة تحسدها

علي محمد لقمان

تعز - عصفرة - اليمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما قامت الترجمة والتأليف بدور بارز في احياء مفهوم جديد للنقد والادب ، اذ رافق الحملة الفرنسية بعض المستشرقين كي يسهل الاتصال بالمصريين ، وكى يقوموا بترجمة المنشورات والوثائق الرسمية ، كما كان عهد محمد علي حافلا بالترجمة ، والتعريب ، فقد اهتم بهذه المسألة كثيرا ، وارسل طلابا الى الخارج لتلقى العلوم ، وفي الوقت نفسه انشأ مدرسة للغات الشرقية والغربية ليجترم خريجوها ما تحتاجه الحكومة من منشورات ومؤلفات ونحو ذلك ، وفي عهد اسماعيل انتعشت حركة الترجمة واعدت مدرسة اللسان ، وقلم الترجمة ، كما اهتم اسماعيل بتعليم اللغات الاجنبية في المدارس ، وبهذا افادت الترجمة الادب العربي في اللفاظ ومعانيه واغراضه واساليبه ، فزادت الثروة اللغوية بما وضع او عرّب من مصطلحات في الطب والقانون والاداب ، كما اتسعت الاغراض وعمود الكتاب قصر العبارة ، فدقت المعاني وارتقت الاخيلة ، وبعدت الاساليب عن الصنعة والزخرف ، وتخلصت من التقليد ، ومالت العبارة الى السهولة والوضوح (١١) .

زكي الشيخ حسين عثمان

السالية - الكويت

الاداب ، اساسها الاستقراء والتحصيص والموازنة والمال والاسباب ، واعتمدوا على النقد المنطقي والاستنباط الدقيق والمقدمات الصحيحة ، فنهج ادباء مصر نهج المستشرقين في دراسة الادب ونقده ، ويعتبر الدكتور طه حسين اول ادباء مصر المستفيدين منهم ، فقد هجر منهجه القديم في دراسة الادب وتأثر بهم . وطبق هؤلاء المستشرقون منهجهم في دراسة الادب على الادب العربي ، فاوجدوا فيه درسا جديدا للادب ، كما اوجدوا نقدا جديدا . وبالإجمال ، فاننا نستطيع القول ان جهود المستشرقين ساعدت على اتصال مصر بالفكر الاوروبى ، كما اشاعوا في الادب العربي منهجهم النقدي مما عياد الخير على الادب والنقد بصورة عامة (١٠) .

كما كانت البعثات العلمية التي ارسلها محمد علي واسماعيل عاملا مساعدا لبروز مرحلة جديدة ، اذ ان تلك البعثات اثارا واضحة على الادب العربي والنقد الادبي ، حيث اوجد لدى رجال البعثات شعورا بالحاجة الى ادب جديد مما يعد خطوة اولية في حياة النقد الحديث . كما انها قوت من اواصر الصلة الثقافية بين مصر واوروبا فتغيرت نظرة الناس الى الادب والنقد .



يوم من ايام الصيف
الشديدة القىظ عندما
ترسل الشمس اشعتها
سياما لاهبة على الجبال
والسهول كان في مقبرة المدينة
الجامئة على الجبل ثلاث نساء فقدن
ازواجهن فاحترقت قلوبهن بنار
الفراق الابدى .

كانت الاولى تقف بخشوع امام
قبر تانتارت فوقه اغصان من الزهر،
وغمضت من الورد ، تبكي بكاء حارا
صامتا وترسل من قلبها تهنيدات
عميقة تلغ القبر بلهيب كلهيب
الشمس. ثم ترفع يديها نحو السماء
مبتلة الى الله ان يتغمد القعيد
برحمته وان يلحقها به ... وبعد ان
ارتاحت نفسها ، واطمأنت لهذه
الصلوات ، سارت بخطى متعاقبة ،
فبدأ قدها الاهيف الذي يلقه ثوب
الحداد رمزا للحزن العميق ...
وانحسرت الغلالة السوداء التي تغطي
راسها وتسدل في استرخاء على
كتفيها عن وجه شاحب كثير الذبول.
وخرجت من المقبرة وكان في انتظارها
رجل ضخم الجسم عريض المنكبين ،
يقف امام عربة فخمة انيقة ، فما ان
راكها انتمت من زيارتها لقبر حبيبها
حتى فتح لها باب العربة ، فصعدت
وارتمت في ركنها كأنها قطعة سوداء
سقطت من علو شاطئ ، وسار بها
صامتا لا يجرؤ على الحديث .

وفي منتصف المقبرة كانت امرأة
متمشحة بالسواد قد وضعت ازاهير
مختلفة الالوان فوق قبر لم يحف
ترابه ، وكانت منهوكة القوى ، يبدو
على جسمها الاعياء الشديد وكان
شعرها الاشقر متناثرا بغير انتظام
تحت شال اسود . وكان جنفاها
المقلان لا يفتحان من فرط السهد
والبكاء الطويل ، وشفتاها تتحركان
بدعاء ، وبصلوات هادئة تخرج
بصوتية شديدة من فيها . مشيت من
جانب القبر بعد ان ودعته بقيلة حارة ،
وسارت بخطى متعاقبة ، كأنها ام
رؤوم تغارق عشي اولادها اثر طلاق

تعسفي ، وذهبت لتستقل حافلة
الركوب ...
وهناك عند جدار المقبرة وقفت
صبية حسناء لم تتجاوز الخامسة
والعشرين من عمرها تنظر الى
الارض ، الى التراب ، الى غصن
الزهر الذي غرسته فيه ، وكانت
الدهشة المريرة تبدو على وجهها
كأنها لا تصدق ان حبيبها قد غيبته
هذه الحفنة من التراب ، وكانت
ترتدي ثوبا اسود قفصاها كأنما
استعارته من صديقة بدنية ...
ووجهها يبدو كؤلوة داخل علبه من
القطيفة السوداء ، وعيناها
الخضراوان ترويان بحزن شديد
حكاية مصابها بحبها العنيف ..
في تلك اللحظة التي ذهبت فيها



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مهدة الى روح اديب لبناني

بمقام مقبولة الشق المالح

النسوة الثلاث الى المقبرة على جبل
المدينة ، اجتمعت ارواح ازواجهن
وتبادلت الحديث فيما بينها .
قال الاول : « انها ابنة عمي » ،
زوجني والدي بها ، وكنت مكرها
على هذا الزواج ، صحيح انها رائعة
الجمال ، ولكنني كنت امقت جمالها
الارستقراطي الناعم الى ابعد حد ..
كنت احب ابنة خادم الحديقة ، وكان
والدي يعلم بشدة تعلقي بها فيأبى
علي ذلك ، ويخشى على ثروة ابنته اخيه



ان تنتقل الى رجل غريب عن
الاسرة ... وتزوجت ابنة عمي وانا
امتنعت اشد امتنع وهي تحبني اشد
الحب ... كانت تبدل اقصي ماتملك
من اغراء في سبيل اجتذاب قلبي
نحوها ، ترتدي اللابس الانيقة وبفوح
جسمها باصفي الطيور ، تغرط في
ترتيب البيت ، وفي العناية باصص
الازهار في ذوق سليم جذاب ، تعد لي
اشهى الاطعمة ، وتكثر في تدليلي
وترفيهي ، كنت اضيق بمنابها هذه ،
وبشدة اهتمامها بي ، وكنت اتعمد
تحطيم نفسها الرقيقة المرفهة
الاحساس . فاذا اردت الثوب الازرق
تظاهرت بمقتي لهذا اللون وان اردت
اللون الاخضر نصحتها ان تعدل عنه
بحجة انه لا يناسبها ، فنذهب للحال
وتبدل ثيابها ، ويخيم عليها صمت
عميق ...

وان سألتي عن ذوقي في الاطعمة
الشهية التي تقدمها لي تظاهرت
بثقلها على معدتي ، فنذهب للحال
مسرعة نحو المطبخ لتهي لي نوعا
جديدا ...

كنت ارى نفسي تميل الى الخادمة
اكثر منها ، كنت احب الشعر الاسود
الفاح النسدل على كتفيها وجنتيها
الورديتين ، واقبل يديها الخشتين
الرهقتين بتنظيف اواني المطبخ ،
وتستهووني سذاجتها واحاديثها
السخيفة . وم قضيت معها الساعات
الطويلة في ليالي الصيف في مدخل
حديقة المنزل ، بينما كانت زوجتي
تقضي ساعات طويلة مريرة في انتظار
عودتي ...

لقد كانت مثال المرأة الذكية
الجميلة الطاهرة النفس ، ولكنني كنت
احب النساء السخيفات والماكرات .
احب التي تقليني بحرارة وتقول لي
ان الرجل الوحيد في حياتي ولكن
عينيها وشفتيها تقضحان لسانها ...
مسيكية زوجتي ! اضاعت ايامها
الطويلة مخلصه لي في حبا ، ترى
السعادة في قربي . وستقضي بقية
عمرها حزنا واسفا باكية فقدي ..

يا قلب ما لك في الهوى الرمان
وتفسج في دنيا الغرام صباة
والحب في الاحشاء غير مبارح
وحبيبتى يا قلب انت عرفتها
عذبة النظرات في وقت اللقا
كنا على عهد المودة صورة
والبدر في علبائه متطلع
ان الثريا لم تزل في قصرها
لكنها في حرقة وتوليه
يا قلب انت اسرتني في عشقا
ان الوفاء صلاتنا وهجودنا
يا انت .. يا انشودتي وقصيدتي
شبا على طعم الهوى .. لم يفظا

احمد دوغان

دمشق

وكانت زوجة سالحة وفيه .. لم اكن
استطيع ان اصدق عليها العطاء لتعيش
في رغد ورفاهية، ولكنها كانت راضية
كانت تدبر عينها من الجميلات اللواتي
يرقلن في الملابس الانيقة، ويترسن
بالحلي والمجوهرات، ان كلمة عذبتن
لساني الساحر تنسبها الفقر المخيم
على بيتنا. ومع شدة جبي لها وتغاني
في اسعاده، كان لساني يسحر غيرها
من الفانات، وكان قلبي ينتقل بينهن.
لم اكن اتنب كثيرا عن البيت ولكني
لم اعجز عن انتهاز الفرص لخيانة
جبهها ... كان لها قلب بريء وهبت
لي، انها تستطيع ان تصدق كل شيء
في الدنيا الا خيانتها لها ...

بلها تلك المرأة التي تضع نكتها
كلها في الرجل، وتثق بجه، وتطمئن
الى قلبه، وتضحى من اجله، وتخسر
اشياء كثيرة ...

مقبولة الشاق المالح

دمشق

واجدة التي كنت احب غيرها من
النساء، واني لم ادع صديقه لها الا
داعبتها وان قلبي لا يرتوي من تقبل
الجميلات ...

مستكنة تلك المرأة التي تعتقد انها
شاركت الرجل في العمل تحررت حقاً
من سيطرته وعبوديته ..

وقال الثالث : « انها اجمل بنات
البلدة، وكانت تستطيع ان تكون
زوجة اعظم الاثرياء. تقدم اليها مدير
المصرف فرفضت الزواج به، ووله
بجها تاجر ثري فابتعدت عن جبه.
عرفت كيف استولي على قلبها على
الرغم من فقري المدقع. لم اكن جميلاً
كانت جدتي تقول لي في طفولتي :

« لن تجد فتاة تقبل بك زوجاً ايها
الدميم » كان لي لسان له قدرة سحرية
في جذب قلوب الجميلات، واستطعت
ان اجلب هذه الحسناء. رفض والدها
وذووها زواجاً بي. وبكت امها بكاء
مرا عندما علمت تعلقها بي، فاخترتني

ما اشقى المرأة الذكية الجميلة
الظاهرة التي تهب قلبها رجلاً واحداً
وتتعلق به، ولا تحس بانفذة الرجال
التي تنحرق عليها ...

قال الثاني : « كنا نعمل معا في
دائرة واحدة في إحدى وزارات الدولة
كانت رائعة الجمال، متوقدة الذكاء،
تعمل بنشاط كبير، وتقال اعجاب من
حولها. كانت تخاف من الرجال
وتبتعد عنهم، ولكني استطعت ان
انصب لها شياكي، فوقعت في حبي،
فطلبت يدها، وكانت زوجة سالحة
تقدر المسؤولية، وتعمل في بيتها
كامهر النساء، واما في دائرة عملها
فهي تعمل دائماً كأفضل الرجال.
ولكني كنت اشعرها انها مقصورة
بواجباتها المنزلية، وانا متواني في
حقوق الزوجية فكانت مسيطرة عليها
في كل شيء. التي ينقل الابعاء على
كاهلها فتجملني في رضا هائلة بجبي
وباخلاصها لها. وما دار في خلدها مرة



ملاحم وازهار

ديوان شعر - لجهد بهجة الاتري - بتقديم عزيز اباطه (٢) صفحة
- مطبوعات المجلس الاعلى لرعاية الفنون - بصر - منشورات دار
العارف بصر

عرف العلامة الاتري في الجامع الادبية واللغوية ، ببساطة العلم ،
والدراية الواسعة للمفردات اللغة والعلوم العربية والاسلامية ، وعرف
بالاطلاع الشامل على الاتجاهات والمذاهب الادبية ، كما عرف بعمق
التدقيق واصالة التحقيق ، واشتهر برهافة النص ، وبإلانة في المظهر
واللبس والخط ، والتجويد فيما يعرضه على الناس في مجلة المجمع
ومن قرا محاضر المجمع اللغوي القاهري ، او اطلع على مجلة المجمع
القراي في دورها الاول ، ومن قرا بحوله ومقالاته في مجلة المجمع
اللغة العربية بدمشق ، وفي مقالاته في الصحافة العربية او في كتبه
والكتب التي قام بتحقيقها ما صد منها وما لم يصد ، او استمع
الى محاضراته ، عرف اي عالم قد هو .. ملك ناصية اللغة ، وفقه
اسرار البلاغة واي كاتب نالي من ارباب الاساليب البلاغية ، وصاحب
ناية بالاطر والمضمون ، ومساجلته للزيات في موضوع « وفصاح
اليمين » بيان شاهده لبراهته في نثره الفني ، وتلقيد العلم ، يحكي
في ترسله كتاب القرن الرابع في معان غصيرة ، وست معارف الخسارة
كل هذا وغير هذا عرفته البينات الادبية والمجمية عن الاستاذ الاتري ،
وقدرته حق قدره ، عرف زملاؤه عنه الإانة في البحث والصبر على
التحقيق ، والقدرة على استنكاه العويصات ، كما عرفوا عنه العمق
في النقد مع النصفه والترفع عن السفساف او التجريح للمفقود ،
وتحقيقه لكتاب الخريدة (خريدة القصر وجريدة مصر) للعسباد
الاصفهاني قسم العراق باحزائها الستة دليل على قدرة الاستاذ وشاهده
على خبرته اللغوية والتاريخية ، وما كل كاتب يقوى على تحقيق التراث ،
مارس الاستاذ الاتري هذا الفن منذ شبابه الاول ، لحقق اكثر من
امهات كتب التراث واثرى المكتبة العربية بمؤلفاته في اللغة والادب
والتاريخ ، واسهم بتفدية العديد من المجلات ببحوثه ومحاضراته اضافة
الى ما كان يتحمل من الالام في التدريس والتفتيش والادارة .
يقول الشاعر الكبير الاستاذ عزيز اباطه مقدم الديوان : « واذا
كانت اثاره الادبية مسجلة فيما اصدره من المؤلفات ، وما هو يسيل
ثمنه من المخطوطات ، فان بحوثه القيمة تسي صفحات عديدة من
سجل اعمال الجامع التي اسهم فيها بصدق واخلاص ، ومن يهتبا
بحوله التي قدمها الى مجمع اللغة العربية وكان لها صد في نفوس
اعضاء هذا المجمع العديد ، وقد شهد له اعضاء المجمع بانه علم من
اعلام الادب في العراق وفي البلاد العربية جميعا ، كما شهدوا لبحوله
بانها متمعة دائما » .

الاول كل هذا عرفه شقال الادب الرفيع ، وعلما ان الاستاذ
الاتري علم يرجع اليه في كثير من اسرار اللغة وادابها ، غير ان المتأخرين
من الجيل الناشئ قلما يعرفون ان الاستاذ الاتري الناصر اللغوي والكتاب

الاسلامي ، شاعر مبدع صاحب ملاحم ومطولات
ويرجع السبب في ذلك الى زهد الشاعر في
الدعاية لنفسه ، فهو لا ينشر شعره الا قليلا ،
بل لا يقرأ حتى لاصحابه منه الا في المنابر
ولخصاصه خاصة ، ومذهبه في ذلك قبول
الطفاي :

غاني بنفسي عرفاني بقيت هسا

فصنتها عن رخيص القدر منزل
والحقيلة في غير مفالة او مبايلة هي ان
شعر الاستاذ الاتري لا يقل روعة عن شعر
الفحول من امثال البحري وابي تمام ، وارتفع به الى الاشراق الوطنية
والسياسية والاجتماعية والمفاهيم الرفيعة ، لم يتخذ وسيلة لنيل
مآرب ، او لاكتساب حظوة عند زعيم ، ومذهبه في الابه :

واني رايت الضر احسن منظرا وافهم من مرأى صفر به كسر
صان شعره عن مدح فلان او غلان ، وارتفع به الى الاشراق الوطنية
والانسانية ، وجبر به عن مثله واراب نفسه ، وامال امته ، وترجم
عن احاسيسها ، وناضل بقوافيه الاستعمار ، وقارع اذنيه من الحكام
الذين كانوا له اداة طيبة ، يرى خدمة الاوطان ديناً وفرضا قومياً ،
نجمة الدلال القيمي والفنسية ، ساعاة الخنة دبس اي دين
يسا شبابا كل بنيان عسلا كان من جهد الشباب العاملين
اتسم الطمع فابنوا لفسد انه اليوم الذي ترتيسون
وقصيدته الجبارة التي اذاعها في ثورة ٢ مارس ١٩٦١ وزددها
اذاعاته للشاعر وبرلين وابريس كانت السبب المباشر لانتقاله لسنوات
سنوات في سباح الفار وتزائر المعارة وصعراء سامراء ، مثال مسجد
لوطيته مع علمه بالتناح

غزوا ابيات فاضطربت ابادا
رامول لللال القيمي وقد مضى
يسا وعيهم غلوا على اعصابهم
نزل القصاص عليهم بوسط
عسلا وقد غلوا مثلكه جامهم
ومسبها :

شيعت يا وطني العظيم جنازة
انا لا اقول الي الجمجم لما احتدت الا اليها مسلكا ولسوا
اراد بها جنازة بريطانية واذنابها ، لا كراهية للشعب البريطاني
وانما كراهية للمستعمرين من ابناءه . وظل الشاعر وهو في المعتقلات ،
يواصل نظم الفراند من القصاصات التي اقصت مضامع الحكام في بغداد
اذ كانت تصل اليهم على يد جواسيسهم هناك .

وانها لاثلاثانة مشكورة للمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب
بجمهورية مصر العربية في اخراجها ديوانه « ملاحم .. وازهار » وكان
صاحب الفكرة القدم للديوان الاستاذ الشاعر عزيز اباطه رحمه الله
الذي اعجب بشعر الاستاذ الاتري قرب اليه ان يوافق على طبعه
من قبل المجلس الاعلى وان يقوم الشاعر اباطه نفسه بالتقديم له ،
فطبى الشاعر رثيته الكريمة ، وكتب اباطه رحمه الله مقدمته البليغة
كل حلت منيته قبل ان يبارش بطبع الديوان ، لذلك تاخر صدور
هذه « الاخيرة الادبية التي جمعت الى فصاحة اللغة ونصاعة البيان ،
صدق الوطنية ، وحج العروبة » ، والدعوة الصادقة الى القومية العربية ،
وبراعة النظر الى علاج المجمع ، وتزويد الاسانية بما هي خير الانسان ،
الى جانب ما حواه من وصف رائع ، وتامل عميق للطبيعة في مختلف
مظاهرها (١)

والشعر ، في رأي الشاعر الاتري واسع الاق ، ملتزم المقاصد ،
رفيع المكان ، سامي الاغراض عميق المعاني ، هو وليد الثقافة ، وتناج

(١) المقدمة : عزيز اباطه مقدمة الديوان .



الاريب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدولها شهر

يناير ، كانون الثاني

ندفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراكه الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاطلاع تراجع ادارة المجلة

Dir : 223819

الادارة : ٢٢٣٨١٩

Dle : 225139

المنزل : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيسر اديب

الاطلاع ، وقد عبر عن مراهيه في قصيدته « الشعر » ومطلعا :
الشعر ما دوى النفوس معينه وجرت برقرافي الشهور عيونه
والشعر في مذهب الاستاذ الاتري حر المذاهب متائق القسيمات
فنان الرؤى ، متوشع ابراد الجلال ، متميز باوضاع الجمال ، متناول
اسباب الحياة حلوها ومرها ، جدعا بعضها ، في تساق مع نفسم
الطبيعة ، وفي انطلاق الروح ، يصاحبه سمو الفاية وفسحة الامل ،
واحتياق الحق وازعاج الباطل ، ونشر القضية ، ومكافحة الرذيلة ،
يرسله فائله نابعا من مقربة صادقة ومسفرا عن وجه الحقيقة ، في
موسيقى تنشئ القلوب وتهيج النفوس ، وتشرح الصدور .. يريد انثرا
حنف الطفلة ، تنحسما يدفع الجبان الى الولى ، اذا سلط على
متفطرس الولى كبره ، واطمع زهوهم ومرغ جبينه بالليل ،

يفضي ولي التاريخ بساق وسمه ويطلق وهو طريده وليينه
القضية وحدة متكاملة ياخذ بعضها برقاب بعضي ، كان بودي
نشرها كاملة ، لتكمل الصورة في ذهن القارئ ولكن فساد كثيرة في
الدواين تقاليتي ان اشير اليها ، وقصائد الدواين كلها جديرة بالعرض
والتحليل وانى لي تحقيق ذلك ، والمجلة لا تسع صمدرا للاسباب
والتمويل .

والاستاذ الاتري لاثري بطبعه راي وطنه يبرز تحت نير الاستعمار
يعاني التعسف والهوان من اناب المستعمرين ، ينفذون مالاواماطامعه ،
فكانت سياستهم الفاشية كلب صدرالشاعر فتتسر في نفسه تقصة
ونورة كان يبردها شعرا نوريا ، يلهب النفوس حماسا ونورة يرسله
في الانتفاضات والمناسبات الوطنية ، ويرى حق الاوطان دينا كما قال :
نجدة الاوطان في انفسنا ساعة المحنة دين اي دين
اعتقل الشاعر ليلة ٢٨ تشرين الاول ١٩٤١ مع عدد كبير من الاحرار
بحجة انهم نازيون ، والحقيقة غير ما جاء في ورقة الانهايم - فنلقسم
قصيدة مظلما :

وطني .. حرك لا توحده بتزويق ومين

ان في سجنى تنوا نسا على الظلم المين

ولما اخلقت نورة ١٩٤١ ودخل جيش كلوب والقوات البريطانية
يفتاد وسعه الزمرة الحاكمة من اذنانهم ، نوات على العراق احداث
ترملى القلب ، وتفرش النسي ، غصت السجون والمعتقلات بالعديد
من الادباء والسياسات والمدرسين وغيرهم ممن ساهموا بالشورة .
وكان في القاعة الاولى الاستاذ الاتري وراح الكثيرون يترؤن مما عاينوا
ويرسلون البرقيات بالتأييد للناجين وبالشتم للثورة ورجالها وظفرت
اخلاق الناس على حقيقتها ، فصور الاستاذ الاتري كل ذلك في هذه
القصيدة التي تتم على اساه :

صباح ترزع الداجيات مواكبه
ابن به والياس الا تملسه
من الامل الباقي لدي تقالبه
من الاشباب كانمنا
قامت رواق الحزن فيسه قياهبه
ولا نار الا خاضعاته حياهبه
فلا نهج الا وهو منيهم الصوي
فما المراء الا رايه وتجاربيه
رايت الهدى فيما اراه وان يكن
فسلاي به ، او كان شرا عواقبه

وتعني القصيدة في هذا البيان الساحر والتسج البحري تنم
على نورة الشاعر واسفه الشديد تهون الناس وتتركهم للحق خوفا
وطعما ورياء .

واقيم احتفال في مناسبة من هذه المناسبات الوطنية تكلم مسؤول
كبير ممن صعدت بهم هذه الانقلابات الى قمة المسؤولية عرف بانحلال
اللسان ورخاوة البيان ، وفهامة المنطق ونفاخته تسقط الكلمة من
لسانه على راس سيبويه فكتسه ، واغنيه على القير صبي لم يتجاوز
سن الصبا فخطب بطق فصيح ولسان ذرب ، لم يلحن بكلمة ولم
يسقط حرفا ويؤذي المجلة احسن اداء ، فانار دغشة المستعمرين والثار
اعجاب المتشاهدين ، وهتفا له طويلا وكان الاستاذ الاتري ممن شاهده

الأسرة في الشرع الاسلامي

تأليف عمر فروخ - ١٩٢ صفحة - منشورات المكتبة المصرية في بيروت
الطبعة الثانية

الدكتور عمر فروخ عربي مسلم ، لا مرء في عروته ، ولا لبس في اسلامه ، وهو من العلماء الذين يؤمن مداهم بدم الشهداء ، يوم القيامة - على حد تعبير النبي العربي صلى الله عليه وسلم - وبورك العالم الدكتور عمر الذي ينفع بعلمه ...

العلماء والمفكرين كثر في الوطن العربي . ولكنهم أميل الى اللغة والراحة ، فهم في ابراجهم العاجية ، على الارائك متكون . ويحبسون ان العافية في الصمت ، فما ينسون . ويحبسون انوارهم ، في الحلكة ، فيظلمهم الظلام بدلا من ان يظلموا عليه . ويتعاملون الصق ، فيداورون ويداهون ، انقاء لقبب ذوي السلطان . ثم انهم يتخلون عن دورهم في قيادة الجماهير المسحوقة ، تحت اواء الحضارة المعاصرة ، لاستعادة سيرة امتهم الاولى . وما ادراك ما سيرها الاولى !

مثل هؤلاء - لا امل منهم يرتجي ، فهم وذوو الجهالة على حد سواء ... غير انهم مذنبون ، وذوو الجهالة غير مذنبين . وسدق ادونيس حين نفى الفكر من على وجه الارض العربية . ولا فني فو الشاير نزار القباني عندما شعر حريا لا هودة فيها على المفكرين العرب :
والذا اصبح المفكر يوقسا يستوي الفكر عندهما والخذاء

ويا ليتهم يكتبون ويؤلفون ، ولكتهم في الكسل والتكاسل عارفون . على اني احمد قلة منهم ، يكتبون ويؤلفون ، بل وينبشرون لنا الطريق فيما يكتبون . اذكر على سبيل المثال الدكتور عمر فروخ الذي اصف نبطا وللاثة وعشرين كتابا ، اكثرا في تاريخ الادب والعلوم ، ناهيك عن محاضراته التي لا حصر لها ولا عد في جامعات بيروت ودمشق . واذا دلت مؤلفاته على شيء ، فاما لعلنا على عبق المسؤولية في نفسه اثاره الوافية . وبكيفية فخرنا ان جلا من الشيايب التكتف لتعلوا على يدية ، ولتقر استبانهم بالفرحة - كلما ذكر اسمه الذاكرون - احترافا بواو كنية في التدريس ، ونسج معارفه التي كان وما فني بصحبها في عقولهم . وايدا فلا يلقى منهم الا اذانا صاغية ، ونفوسا مستبشرة ، لان كلماته تدخل الى قلوبهم ، بلا استئذان ، ولهمونها جيدا لانها صادرة من اعماق قلبه الكبير الى قلوبهم الصغيرة . ومن فرط اكبار تلاميذه له ، تمنيت لو كنت تلميذه ...

غني عن البيان ان الشرع الاسلامي ، وزن المرأة بالقسطاس المستقيم . وطالما ان الانوثة ضعف والرجولة قوة ، فهي تبع للرجل ، حامية وراعية . وحقت عليه نفعها والتكفل بمصبتها - ولو كان من الفقراء - لقاء حرماتها من نصف المرات : « ولذا كثر مثل حلف الاثنين » - قرآن كريم . ولا نسال عما به - ولو كانت من المورسات - وفي الشهادة الرجل يعقل امرائين .

ولئن مكن للرجل ان يكون عليها رفيقا وحبيباً ، الا انه حجب عنه حق التصرف بالمال ، فلم يترك لاحد ان يتازعها فيه . وبمعنى آخر فان الشرع الاسلامي وضع الرجل في خط الدفاع عن المرأة اذاء الايثار ، خارجا ، ولكنه متعبا بالاستقلال الاقتصادي ، دخلا ، ولاشبهه كالاستقلال الاقتصادي بدمج الشخصية الخاصة والعامة .

اذن فلأثرة لها مطلق السيادة على مالها . وبذلك نصر الشرع الاسلامي المرأة ، متخطيا سائر الشرائع - من قبل ومن بعد - . ولقد يكون حرب الامتثال اقوى في اللالة على هذا القول . ان القانون الفرنسي نال بالشرع الاسلامي - ابان حملة نابوليون الى مصر - فجعل للرجل حق الاشراف على الأسرة . واكثر من هذا فانه قيد تصرف الزوجة في اموالها بموافقة الزوج .

واستمع اليه من التفات واكثر له اعجابا واستحسانا فثارت فريخته فقال في فوره يصف فصاحة الصبي ويندد بفهافة المسؤول الكبير ويدفع ذلك الى النشر في صحيفة يومية سبارة : قال :

في صبا الورد وزهو التيزين
ناتهي ازغب ساجي الملتين
جاء في بردي خليب ساجر
مثل « سجان » يوز الرادين
الصدى ريسان القى سحره
واتار اليهو مجنون اليدين
رنت الفصحى بلبسه مثلبا
غرد الصبيان لحنى عاشقين
لمت ادري املا شانا بها
ام علت شانا به بالشتقين
ليست اشياخا مرارا لعلوا
ياخذون النحر عنس مرتين
ان نصحي لك الفلى لئلا
وجاء من فصحى ولجبن (١)
سوف تلو كيف يزكو نفعه
لك اذ تعطيه صفو الالنين
تحكم النبر كما ينطقه
اريا شدا وشهدوا محكمين
ليست افواه لهم محلوقة
سقط اللقب سقيما بين بين
انا لو لاقيه فيلبسه
من هوى الفصحى جزاء فلبتين
فيلة في فمه اطبيها
وانسي الاخت بين الحاجبين
حي « طه » واسأل الله بيه
لزيه ايذا قره عيين
قل له يا حلو تاسر ايسره
واجمل القرآن نورا الناقرين
التقص لك لفظه ايلدا
ومن المعنى حيسة الشايرين

وفي ١٢-١٩٢١ في مقتل الفاو هطلت علينا ونحن في معتقل الفاو اطوار غزيرة صحتها رياح شرقية شديدة اشبه ما تكون اعصارا ولم يبق دار من دور المعتقل المبينة من اللين الا وولكت سقفها ، وارتفع مد شط العرب ولا البليغ النهار رابنا الله وقد احاط بنا من كراء جانب واصبح المعتقلون في جزيرة وانقطع ما بينهم وبين اليابسة كما انقطع طريق البصرة البري ، وتغلقت الرطوبة الى لبنان وفرشتا ، وهبت علينا روائح كريهة تنته ، تزكم الالف وتضيق الروح ، وتطفئا عن الناس فلا نزر احد ولا نزار ، فظلم الاستاذ الاتري لانيته الصماء والتي بلغت ٧٩ بيتا ينفس فيها عن كربه ويصف حاله ، ومطلعه :

الا في سبيل الله والوطن الغالي
بصادي نين داري وعروسي واخالي
وخناما اقول : ان الاستاذ الاتري شاعر رقيق الشعور ثوروي العاطفة كما رايت ما عرسته من شعره مرهف الحس والذواق يهتدو لاحداث امته ، فتراه سرعانا ما يتحدث عن هذه المواقف ، بما يماثل طبعه المشروب وبما يلام مزاجه وعقيدته وهواه ، فلذا ما حدثت احداث في وطنه او في دنيا المروبة اهتز لها وكان صدها ملامح ينظمها نمر عن احاسيسه قد تجاوز للحملة الواحدة المنة وتزيد ، وفي شعره من هذه الطولات الوطنية والحماسية الكثير والمعد الوفير ، تسودة مايس ، ثورة الجزائر ، فلسطين ، الحرب الفادرة ١٩٦٧ ، لبيك بيت الله ، الحرية القومية العربية ، رخصة الثار ، انتصارات رمضان كلها لها صفحات اصنامات في ديوان « ملاحم وازهار » ، وكلها فصائد مفعمة بالحياة وفق فيها لزود ما يتاح لشاير ان يبلفه من الاجادة والافتان ، كما وفق لاضاح لفة ابي تمام والبحتري والمثنبي للفسة العصر ، اخصها في يسر واسماح وان شئت بعض مفرداتها على الكثيرين من القراء كما يشق عليهم امثالها من شعر ابي تمام والبحتري والمثنبي . فلاستاذ الاتري ذو اصالة في الشعر يفصل نسج القمعاء مسن الشعر، الموهوبين الذين تعمق في درسه من مفرداتهم واوزانهم ، لثالة الاف بيت من القوالي حملت الى القاريو مئات المفردات المتقاة بشرة تنضي بالحياء ، من امن فيها النظر وقراها قراة مدارس خرج بشرة من اللانفال الحضارية لا يتسنى له ان يراها في ديوان اخر من ديواوين المعاصرين .

(٢) يشير الشاير الى الساسة التي اهداها اليه المسؤول الكبير في ختام ابحاثه ١٩٦٦ .

جمال الدين الالونسي

بغداد

وتفاصيل ذلك تبرز في ثليات « الاسرة في الشرع الاسلامي » الذي تفصل الدكتور عمر فاهديان مشكورا . ولا مساحة ان الكتاب لافيرواجا كبيرا ، والا لما بلغت الطبعة الاولى الصادرة عام ١٩٥١ م على الرغم من ازمة الكتب المستعمية - فبعد الى الطبعة الثانية في نهاية عمام ١٩٧٢

ومكاد المؤلف فانه يميل الى الإيجاز ويكره التطويل والإسهاب . لانه مترجم للطالب الذين اجهل واحبوه ، فها يشاء ان يعثر العناهم التشويش ، بل جعل اهتمامه ان يزودهم بسلح المعرفة ، ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ومثل هذا السلاح متميز - عنده - بالدفعة والوضوح - بغير نظر او تعقيد ، ويدون غموض او تمويه - ليسهل استعماله والانتفاع به . ولعمد الى خرفاننا - كما يقول المثل الفرنسي - فما يشبه دلا ومسا ينصب نفسه مشرعا ، بل يقول ، يتواضع جم ، في صفحته الأولى : « ان الكتاب لا يعني العلماء والباحثين او القضاة والحكام وانما هو للدارس العام الذي نضرت الصلة بينه وبين موضوع التشريع للاسرة وحوالها . واكثر ما يعنيه انه يقدم خدمة جليلة للطالب المدارس الثانوية وجامعي القراء » .

ها هنا تبدو اخلاقية العالم الحقيقي الذي لا يزدهي بعلمه ، بل على العكس فانه يشعر بضعفه ، ذلك لان العلم بحر لا قرار له ، وهيهات ان يسير غوره !!

وكما يقرأ الكتاب من عنوانه ، فان الصفحة الاولى من هذا المؤلف توضح من حوايه . والدائن استمعوا بقرانه ، يدركون جيدا انه معجم ، لا مفتاة عنه ، لحال الاسرة بالشرع الاسلامي ، في سائر موضوعاتها وهي في العدد تسعة عشر مرتبة على الشكل التالي : الزواج ، الهجر او الصداق ، النقة ، النسب والبنوة ، اللقيط ، الحضانة ، النفقة ، الزاوية ، الوصاية ، الطلوع والرشد ، الحجر ، الهبة ، الوصية ، المفقود ، النشوز والفساد ، الطلاق ، العدة ، تعرف الرضي ، الارث على المجهين الحنفى والجمعي مع نماذج عملية مفيدة من كتابه تقسيم الارث .

يساف الى ذلك فان الكتاب قد حوى اجماع من مبيرة التشريع في تاريخ التشوب منذ القديم حتى ظهور الاسلام . كما انه دحش الزاعم الباطلة القائلة بان للتشريع الاسلامي صلة بالتشريع الروماني ، ذلك « ان العصر الانساني في التشريع الاسلامي ابرز منه في التشريع الروماني . والتشريع الاسلامي نفسه اقل تعقيدا في اصول الاحكام . ثم هناك فروق مادية اساسية بين التشريعين في الزواج والتجسرة ، مقللا اوجه الشبه بين هذين التشريعين الى عاملين هامين في الحضارات كلها : اولهما تشابه حاجات البشر مما يستتبع تشابها في التشريع ، وتانيهما تاثير التشريعين المسلمين بعوامل البيئة القارية .

وكما لا للفادة ، فقد محص مصادر التشريع الاسلامي الرئيسية الاربعة المتتالية : القرآن ، الحديث الصحيح والسنة الثابتة ، الاجماع ، القياس ، مشفوعة بمصادر فرعية هي : اعمال الصحابة والسنة الثابتة ، الاجماع ، القياس ، مشفوعة بمصادر فرعية هي : اعمال الصحابة ، الاجتهاد والتاويل ، والعرف والعادة ، الغير الاجتماعي . ويدخل في هذا الباب الاستصحاب . وقد سماه ابو حنيفة الاستحسان ، فاستحسن اعمال القاعة العامة ، ازاء ما تواضع عليه الناس ، حيثالغ الرب اليهم ، استنادا الى القاعدة الاساسية « لا ينكر تغير الاحكام بتغير الزمان » . ونالفة ان اقول : ان الاسلام دين العقل ولا سبيل للايمان بغير التفكير ...

وكذلك فقد اتى على المذاهب السنية الاربعة : الحنفى والاكلي والشافعي والحنبلي ، مع نرف عن سيرة اصحابها ، مصالها اليها مدجبان ظاهريان هما المذهب الجمعي والمذهب الزيدي ومذهبان بائنيان هما : المذهب الاسماعيلي والمذهب الدرزي .

والخطا الذي وقع فيه الدكتور عمر - عن غير قصد - وبغيره كثرين - هو اعتبار الاسماعيليين كالا لا يتجزا في العقائد الدينية ، في حين انهم مختلفون فيما بينهم ، وبخاصة في الافرار بالامامة . ولعل الدكتور على صواب لانه عد السلطان محمد شاه آغا خان - بسبل حليده كريم خان - الامام الحالي عند الاسماعيلية بسبب ان غالبيتهم نقر بذلك . وللحقيقة اقول : ان جماعة البهرة ، في الهند وباكستان ، لهم وجهة نظر مخالفة ، وشكهم الاسماعيليين في اليمن . وكذلك قللة من الاسماعيليين السوديين التواجديين في مضياف والتدموس والسليمية . وشهادة خالصة ، فان الكتاب قد جمع بين دفتيه ، زبدة المعرفة ، عن احوال الاسرة في التشريع الاسلامي وعن التشريع عامة ، مما يساهم في اجلاء معلومات عامة ، تساعد القراء على استيعابها بسهولة - فسل نظرهما ، ثم انه معجم لا يستغنى عنه في كل الاحوال . فالاسرة ، على من المهور والصور ، هي البنية الاولى في بناء كيان اجتماعي سليم ... وللمؤلف الشكر اولا واخرا .

مصياف - سورية مصطفي الخش

حسن جهان

تأليف رياض حنين - تقديم خليل تقي الدين - ٢٢٢ صفحة - منشورات دار الكشف ببيروت

غالباً ما تكون كتابة التاريخ مقفارة في المجهول او غمرا في متاعات تلمس المؤرخ عبرها ذوبه الى الحقيقة . وهي بالتالي اعقد لتدوين واقع والكشف والمغص انواعها على الاطلاق . والتاريخ كان لتدوين واقع والكشف عن حقيقته واستخلاص هذه الحقيقة مجردة عارية ، والتبائها حية صاخرة ، بحيث لا يشوبها ليس او شك . ويقدّر ما يقترن الواقس بالحقيقة او يقاربها ، يكون التاريخ صالبا والمؤرخ مستحق اسمه . التاريخ لا يرحم ، بقولون . ويسعون : الحقيقة لا ترحم . والحقيقة كانت ام العقل لم اصحت بئنه ... فلا مغول الا الحقيقة . المؤرخون ، او الساعون في الكشف عن حقيقة واقع لا يبالون ان امتد بهم زمن السعي او طال ، ومهم من يعرف العمر كله من اجل نفلى القبار عن وجه حقيقة واحدة . واجلي صفات المؤرخ : الجدل على التنقيب - والثابرة على البحث - والدباب على العمل .

والمؤرخ الفذ لا تعجب القشور لب الحقيقة عن نظره التائب . ولا تلهيه السطحيات عن الجوهر . ولا يكتفي بالشكل دون الاساس . والمؤرخون ، في سعيهم وراء الحقيقة ، انما يتوسلون : بالصدق في القول - بالامانة في النقل - بالدفعة في التمهيم .

اخلى من هذا التنويه الى القول بان رياض حنين في كتابه « حسن جهان » قد استوفى شروط التاريخ والمؤرخ وتطلى باحلى صفات التفتين عن خفايا الاحداث والكاشفين عن مظامين الزموقاوصين الى الامعاء لاصطياد لآله الحقيقة ، وذلك من حيث الجدل والثابرة والدباب ، ثم الصدق والامانة والدفعة .

رياض حنين في « حسن جهان » مائج موضوعا تاريخيا بأسلوب رواني شيق ، متجاوزا هكذا ، التحجر او الجفاف اللذين يلازمان سسوق الاحداث ذات الصبغة التاريخية . في « حسن جهان » يجد القارئ من

مقامات

لشاعر والمستعرب الإسباني خيسوس ريوساليدو

نفضل الاخ المستعرب والشاعر الإسباني الشاب خيسوس ريوساليدو غاموني، السكرير العام للمعهد الثقافي الإسباني - العربي في مدريد، فهدى الي آخر نسخة من كتابه الشعري الثالث « مقامات » الذي صدر له في الاونة الأخيرة مع نهاية عام ١٩٧٤ ، في منشورات ريبالب في مدريد . ويبلغ هذا الكتاب في ٨٠ صفحة من القطع الصغير ، ويتضمن مقدمة وسبعة واربعين تشيدا قصيرا ، هي فصول الكتاب ، او هي على الاصح (المقامات) التي يسجل فيها الشاعر رحلته الخيالية مع الحب ، محاولا بذلك ان ينسج - الى حد ما - على منوال مقامات الهذلي .

ومقامات الهذلي ما تكن شعرا كلها ، بل كانت نثرا مسجوعا بتخلله الشعر . اما ريوساليدو فقد شاء ان يجعل مقاماته شمسرا منتورا كلها ، وان يجعلها فصولا من رحلة حب خيالية ، رمزية التعبير الى حد غامض جدا .

وريوساليدو محب للادب العربي والشعر العربي، يحاول ان يقتني آثار اعلامهما . ولد سبق ان اصدر قبل الان ديوانين شعريين ، دعا اولهما « زجل كتاب الحب » ، متائرا فيه بالوشح والزجل الاندلسيين العربيين ، ودعا الثاني « ديوان الاشباح » او « ديوان الظلال » ، وسار فيه على طريقة الوزن والقافية ، متائرا في ذلك بالشعر العربي الصليبي . وفي الديوانين مما كان ريوساليدو متائرا الى حد كبير بالصولي العربي الاندلسي ابن العربي المرسي في رمزيته الصوفية .

ولقد سبق ان قلت كلمة في كل من الكتابين السابقين ، ومن حق القارئ على ان اقدم له هذا الكتاب الثالث الذي تائر فيه صاحبه - كما في الكتابين السابقين - بالادب العربي القديم ، وانطلق من عنده في رحلة شعرية ، بقلته الإسبانية .

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالإضافة الى العرض الدائم لأحدث مجلات

الأزياء والموضة الأوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير - بيروت

مستهل هذا الكتاب حتى ختامه تمتة وواليه : في قصة موصولة الحلقات ، موصوفاتها مترابطة معنى ومبنى ، تتنازع صفحاتها الواحدة تلو الاخرى لهفة الطالع الى تتبع نوالي الاحداث بصورة مثيرة .

وجدت في « حسن جهان » مأساة حقيقية ، لغنة شركية جالوا بها سببة مع ثلاث سببا اخريات الى قصر بيت الدين حيث اختارها الامير بشير الكبير من بينهن لتكون رفيقة لحبائه بعد وفاة زوجته المست شمس . وهنا بداية المأساة : هو في السادسة والسنتين وهي في ربيعها السابع عشر .

هذانها العمر ، او هذانها المأساة سبع سنوات ، كانت خلالها سيدة القصر المرموقة واميرة لبنان الحبيوة ، احكت بالفئات الشعبية وتجاوبت مع الناس ومشاعرهم ومتطلباتهم ، كما كانت لها صلات مع الطبقة العليا ذات المستوى الاميري .

تكر حيات سبيحة المأساة ، فبنفي الامير بشير ، وتلازمه فيمنافه عشر سنوات تقاسمه الحياة الريرة ماديا ومعنويا ، كانت خاتنتها خاتمة حياة الامير بشير ، ثم توالى فصول المأساة بالمودة الى الوطن وما استبتهما من معركة حول شرعية ميراثها من زوجها ورحلتها الى مصر وعودتها الدليلة منها . وخاتمة المأساة وفاتها في برج البراجنسة وما سبها من عوز واعتلال .

ما شان رياضي حنين في كتاب «حسن جهان» . شانه : ان ينشر الكثير من القمور والمخومر من صلب تاريخ لبنان . - سلفه اعضاء كاشفة على نواح عدة من حياة الامير بشير الخاصة . - وعلى تاريخ قصر بيت الدين وبني مال بني . - وتحريك صك الولف وابطال الصك . - وابجان القصر لم يبع . - والتنازع القضائي حول ملكية القصر . حكم البداية لصالح ذرية الامير ، ثم حكم الاستئناف بتكريس حق ملكية الدولة للقصر الشهير .

وشان رياضي حنين : انه الوحيد بين المؤرخين ممن تفرغوا ينشر نص الرسائل المتبادلة بين حسن جهان والبشيرك غريغوريوس الارمني الكاثوليكي . - ونص صكي الولف وابطال الولف . ونص صكوك ايجار وبيع وشراء سراي بيت الدين .

ان اراد اسماء الشهود في هذه المستندات يعطي فكرة من العلاقات العريقة في بيروتيتها والتي عاصرت عهد الامارات اللبنانية . ان تعيين المكان الذي دفنت فيه حسن جهان (وهو برج البراجنسة وليس بيت الدين كما ذهب بعض المؤرخين) يدل على دقة في التنقيب توخاها رياضي حنين في كل ما دونه في كتابه «حسن جهان» . ذلك ان رياضا اتي بالبرهان الدامغ الساطع على ما جزم به . وذلك تصويره البلاطية الرخامية التي تحمل تاريخ وفاة حسن جهان والتي كانت نغمة فريحتها خلف كتيسة مار الياس في برج البراجنسة .

ولقد شاطرتها القبرة ، زهرة القابر الطفلة الهام رياض حنين . ومن غوامض الاقتدار المخلقة هذا الشبه القريب القريب بين وجهه الاملا الغالية الهام ووجه حسن جهان .

لا اريد ان انهي كلمتي بهذه الصورة الاليمة المعيرة عن رفاهية احساس رياضي حنين وحيه النصافي ووفاته الصادق ، ليس بالنسبة ان له فحسب ، بل لكل من عرف رياضي حنين عن قرب وخبر عميق اخلاصه للصديق وایمانه بالعشير والرفيق .

واخيرا ان كتاب «حسن جهان» لرياض حنين ، حري بان يقرأ ويحفظ وان يكون مرجعا وثائقيا وقصائليا لطلاب التاريخ والشرع . وجدير بالذكر ان الكتابين السابقين لرياض وهما « ... وبقيت الذكريات » و « حديقة حب » قد اتممت الاول ، وهو رائحة في ادب الرحلات ، دليلا للسباح ، والثاني وهو ابتهالات عاطفية اعتمد دليلا للعشاق ...

غنطوس الرامي

وتعرفنا لهذه المقامات الإسبانية الروسالية نقل السى الفارى
ما كتبه الى الصديق الشاعر في رسالة بتاريخ ١٢ - ١٩٧٢ حول
مقاماته . فقد جاء في الرسالة قوله :

« ... اضيف الى هذه الرسالة اول نسخة من كتابي الجديد
الصادر في مدريد الاسبانية بعنوان (مقامات) . لقد قرأت منذ وقت
غير بعيد مقامات ابي الفلفل بديع الزمان الهمداني ، واعتجت بها
كثيرا . وبالرغم من اني لم املك ابدا قوة التعبير الجذابة التي يتحلى
بها العالم القديم ، ما ان اناقت الكتاب حتى شرت استعدي الشياحي
الغالبية الابدية ، ووضعت القلم على الورق ، وانطلق الشعر دفعة
واحدة من بداية كتابي حتى نهايته . اما المقامات الروسالية فلا
تناول قصص مقامات ، بل حكايات حب ، لاني اعتقد ان الحب اكبر
مقامرة في الحياة . وهذه القصة الغرامية جاءت في طراز سريالي ، يجمع
بين التصور البريء ، والتخيلات والامال التي لم تصبح بعد حقيقة
واقعية .

هناك رجل وهناك امرأة يبدآن رحلة غريبة ، لا يعرف احد السى
اين يهربان فيها من شجون حاضرها عبر الصحارى والطرقات
العامية الى عالم افضل من عالمنا . وفي اثناء السفر يتذكرون ماضيها ،
ويصبون الى مستقبل يكون فيه مكان لهما تبادل .

ان الاسماء تارجح بين التناؤل والنشأزم ، وتحتوي على قصص
متنوعة تمتزج بذاكرة الشاب والفتاة العاشقين » .

بهذا التعريف البسيط الوافي والمثير معا ، قدم خيسوس السى
مقاماته الاسبانية ، يظلمها كلها : من تارزه بمقامات الهمداني ، ومن
حبه القديم الذي عاد ليرافقه في رحلة خيالية بحثا عن تحقيق الذات ،
ومن سعادة الحب في مستقبل لا يتنكر للماضي بما كان فيه من
حب .

ولقد قدم الشاعر لمقاماته بمقدمة قصيرة : حاول فيها ان يعرف
القراء الاسبان بالمقامات العربية ، فقال في ذلك : « المقامات واحدة من
أقدم الفنون التي عرفها الادب العربي . وهي تجربة في نشر مسجوع
بطريقة تثير الفضول ، اعادت الرواة ان يتلوها بشكل تهيئ مسبق
وتعرفها المعاجم بأنها (الخطاب الذي يتلى في مجمع او محفل) ، بونصيف
ان هذه المقامات تدور على مقامات يقوم بها بطل رحالة ، وتخللها
موافق عاطفية او حظوظ » .

لم يضيف الشاعر مرفقا بمقاماته : « والمقامات التي يشتغل عليها
هذا الكتاب هي ايضا من النثر المسجوع ، فهي لا تعرف السوذن ولا
القافية .. ومن حيث المضمون فان قصائدها هذه مقامات ، من حيث
انها تدور على حكاية رحلة : رحلة لا يعرف احد ان كانت على ظهور
الجمال ، او في سيارة عصرية . وهي تضم رجلا وامرأة يغيصان
على اجنحة الذكريات ، من وحي العاصف ومن جدس المستقبل » .

ويختم الشاعر مقدمته بقوله : « وهكذا ننطلق المقامات من الحب
الجنسي البسيط جدا ، الى حب الام ، ومن حب الام الى الحب الدنيوي
الذي يتبدع ببدوره في نعيم لا نهاية له ، ولا فردية نفسية فيه ، وفيه
يستخرج الجميع على السواء بالشاعر عيناها . وهذا النعيم هو نعيم
المطلق ، والامانة دون صورة ، والابدية التي نعيم بها الفلاسفة والوفياء
الروح » .

ان هذا التعريف الذي يسوقه الشاعر في ختام المقدمة ، يخلص
على مقاماته اونا من التجريدية المطلقة ، تتحول معها رحلة الشاعر
الخيالية الى هيام روحي ، بحثا عن سعادة لا وجود لها في دنيا الواقع ،
ولكنها تقال مطحبا للخيال ، ونوفا روحانيا لا يلف عند حدود ، ترفع
الروح الى اللغة المطلقة في الاندماج بالحب السرمدي الذي لا يصرف
الصدود .

والواقع ان قصائد الكتاب تمتج بالرموز الشديدة القووس ، والتي
لا تسرب من خلالها غير نور بعيد جدا ، ناهس من اشعاعه ان طرفه
الاخر في نهاية الحب الالهي ، في حين ان طرفه القريب نفس تسبح
بالاشواق البعيدة اللاتناهية ، الى حيث الطرف الاخر ذو الشصاع
الاي من بعيد ، من وراء الدنيا . ولهذا كان من العسير جدا نقل هذه
الرموز المخرقة في السريالية ، وفي القووس من لغتها الاسبانية السى
العربية ، لانها تستفد الكثير من حرارة تعبيرها ، ومن بوحها البعيد .
ومع ذلك لا بد من تقديم نموذج من هذه المقامات الخيالية الفاروية في
الحب الالهي ، وفي الرمزية المطبقة . وفي ما يلي ترجمة للمقامسة
التي جاءت في الصفحتين (٢٥ - ٢٦) من الكتاب :

عندما انتهى المصور المنرد من التوقيع ،

المصور الصغير

وما زال الجبر ينظر من منقاره الحزين

ومجموعة من الاشكال المتناسقة المستعجلة ،

عند ذلك فقط حمل الوائاتي والاعشاش والاوراق

ماسعا يدك بذلك المنديل المخفي في الجيوب الهائلة

عند ذلك فقط

بدا المصور المنرد ،

المصور الصغير ،

بفكر فيها راجعا مرتششا .

ولما كان يعلم ان عليه ان يقاوم ،

فقد قاوم وحيدا ، ينظر بالجبر ، وخرينا مثل منديله

حتى ترك البحر السؤال فوق القاذية :

لماذا التوقيع ، والتمنجل ، ولماذا الجيوب الهائلة ؟

حينذاك فتح الجناحين اللذين يغطي بهما ،

المصور ، المصور الصغير ،

ومال الى حيث كانت هي ،

ولكنه لم يجد غير دفة الوسايد

وغير رسم قديم تصامت عنه الدخان في الطريق .

عيسى الناعوري

عمان - الأردن

ميخائيل نعيمة بين قارئيه ودارسيه

تأليف كعدي كعدي - (١) صفحة - مطبعة (١)

انه لكتاب قيم الله الاديب الفكر والقانوني الصليح والتالف اللولسي
الاستاذ كعدي كعدي ذكر فيه كل ما ينبغي علمه عن الاديب الذائع الصيت
ميخائيل نعيمة فنحت من ولادته واسرته ونشأته ودراسته في قرية
يسكنها التوسعة على سلع صين وفي المدرسة الروسية بالناصرة وفي
(بولتانا) من مقاطعة اوكرانيا حيث درس الادب الروسي والمعلوم
التأنيو واخرز شهادته وفي جامعة واشنطن حيث نال شهادة الحقوق
منها عام ١٩١٦ وهكذا توسعت ثقافته وسعت مداركه وايقن مع لفته
العربية اللغات الروسية والانكليزية والفرنسية وهو ابن خال المؤلف .
وتحدث ايضا عن تجنيده في الجيش الارمني عام ١٩١٨ وحضوره حومة
الولي في فرنسا وعودته بصد انتهاء الحرب العظمى السى نيويورك
واجتماعه باخوانه ادياء المهجر وتأيينه مع بعضهم الرابطة القلمية التي
كان لها فضل كبير في تجديد الادب العربي من شعر ونثر واعلام شانه



حتى أصبح مثلاً يحتذى به في الاقلام العربية . كما تحدث عن مؤلفات الأستاذ نعيمة والأفكار التي تضمنتها وأوضح ما فيها من البدائع والروائع وانتقد بعضها الآخر وذكر من نالها الغرالب ومرداد والبياسد والمراحل وزاد المعاد والنور والديجور ومذكرات الارشئ والسبوسون وغيرهما وندوة الوحيد الريد : حمس الجلون . وتكلم عن مناسفة نفسه بنفسه في بعض آرائه وأقواله كما أشار الى بعض أخطائه اللغوية والتحوية وغشى النظر عن بعضها الآخر كقولہ في كتابه النور والديجور (لها كان من المأمول أن يقوم بأودي) فالأول لغة الموج ولا يأتي بمعنى العيشة كما هو مراد الأستاذ نعيمة .

وقد تكلم المؤلف عن علاقة الأستاذ نعيمة بجبران خليل جبران والقياس بعض افكاره وعقيدته بالتفصيل وتناسخ الأرواح المأخوذة من الفلسفة اليونانية والهندية منذ أمام بعيدة وهي عقيدة فاسفة تؤدي الى الاتحاد وعنايته على الانقاص من ادب الجبران وسلوكه الخلقي.

وإشاد المؤلف بحضارة العرب وفلسفتهم وامتثالهم بالعلوم والفنون ونشرها في الشرق والغرب . كما أشاد ببلافة القرآن الكريم وإيمانه العلمية المعجزة وبالنبي العربي عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام على الأخص عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب ونوه بفسادة العرب وبطولاتهم وقنوتهم وجندهم الثالث الخالد ورد على اتهام الأستاذ نعيمة للعقل العربي بالعمق ردا جليلا كما دافع عن فيلسوف الفريكة امين الريحاني وثابته لبنان جبران دافعا مجيدا وخصص لهما فصلين كبيرين وثالثا نعيمة لحظة من مقامها الادبي ونفى ان يكون الاستعداد يبخائل ناسكا او متصوفا وبرهن على ذلك خطأ ما ألهمه خياله بالتبطل وقطع التسلسل وهذه النظرية استعاضها من فلسفة المري وصوب المؤلف نقل ميخائيل بما ارتآه من وجوب الزواج وبين تناقضه في هذا الشأن . كما دحى اتهامه للرجال بالفسق مقدسا فاطما ونظر الى السيدات الناس وعقالدهم من اقدم الازمان وبحث في الاديان الوثنية والسماوية وفي القضاء والقدر وما في عقيدة الأستاذ نعيمة من خلل والخراف وإن كان قوي الإيمان يعلم الله سبحانه والدين والنجباء .

وكان الفصل الأخير في الكتاب عن ميخائيل بين الفلسفة والادب والانتماء جلاء فيه تعريف الفلسفة والفكر بينها وبين الادب ونشأته في مصر وبابل وفينيقيا واليونان وأشهر فلاسفة اليونان ونظرياتهم وتأليفهم وأقوالهم وعلق المؤلف على التشريع الاسلامي وادواره الخفصة في عصر الرسول العظيم وما بعده من العصور وعلى المذاهب السنية الاربعة ومذاهب الشيعة وغيرها من الفرق الاسلامية . وإفاض في البحث عن القرآن الكريم وآياته الباهرة وفي صفات الله تعالى خالق الكون الفرد الصمد المعبود الخالق ومبدئ الخلق ومعينه .

وبحث في التصوف وعن الخيال الصفاء الذين ظهروا في القرن الرابع للهجرة والقرن العاشر للميلاد وكانت جميعتهم سرية ودونوا آراءهم في خمسين رسالة . وعد المؤلف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في مقدمة فلاسفة المسلمين ونوه بأفكاره الثيرة وذكر من الفلاسفة يعقوب بن إسحاق الكندي والفارابي وابن سينا والفارابي الذي رغب عن الفلسفة ورغب في الصوفية المعتمدة وذكر ابن شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ابا العلاء الميري وذكر منهم ابن طفيل وابن رشد وابن خلدون ثم بحث المؤلف في الفلسفة الوجودية والفلسفة الماركسية . ثم بين مقام الأستاذ نعيمة في الادب والتقدم وما له وما عليه بشروح مستفيضة وتماثل دقيقة وإحكام صحيحة بلغة فصيحة قلما يتحسها المؤلفون في العصر الحاضر .

واني لأشكر المؤلف الحقن على اهداء كتابه النيس الي والني على جهوده الادبية والتقدية البالغة الاهمية والمنيرة للأهال .

وشاد علي اديب

جبله - سووية

- زرع الانسان بالابر - رسالة جامعية أعدت لنيل لقب دكتور في طب الانسان وجراحته - فادية اسماعيل عامود - ٤٤ صفحة - حجم كبير - جامعة بغداد كلية طب الانسان - مطابع ابن زيدون بدمشق .
- لغاليم الخريف - مجموعة شعرية - رياض معلوف - ١٦٨ صفحات مطبعة مار الفرام - (١) - (صدر في لبنان) .
- جدران الصمت - شعر رمزي - م.ع.م - الريح - الفلال والرسوم الداخلية برشة نبيل قدوح - ١٧٦ صفحة - منشورات مجلة الادب ببيروت - تصميم وتنفيذ مطابع دار الخواطر ببيروت .
- حكايها جديدة - مجموعة القصص - تأليف عيسى الناعوري - ١٨٦ صفحة - منشورات دائرة الثقافة والفنون - طبع جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان الأردن .
- الوجه الآخر - مجموعة قصص - تأليف محمد رؤوف بشير - ١١٦ صفحة - منشورات مؤسسة نوفل ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- فاجعة ماربلنج - مسرحية شعرية من اربعة فصول - تأليف عدنان مردم بك - ١٢٠ صفحة - منشورات عويدات ببيروت - مطبعة القيم في بعلبعل ببيروت لبنان .
- البرتقال المر - تأليف سلمى الحفار الكزبري - ١٥٢ صفحة - دار النهار للنشر ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الانار الخفية في المكتبة القادرية ، في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببيروت - تأليف عباد عبد السلام رؤوف - الجزء الاول - ٢٢٠ صفحة - حجم كبير - منشورات الاوفال القادرية - مطبعة الارشاد ببغداد .
- اعاصير تشرقية - شعر - محمد قلعه جي - تقديم مصطفى عكرمة - ٦٤ صفحة - منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق - مطبعة دار الحياة (٢) .
- اشواء على الادب والحياة - نظرات وتاملات في ألوان مختلفة من الفكر الحديث - تأليف ابراهيم الميري - الفلال للفنان جمال قلب - ١٧٨ صفحة - منشورات «كتاب الهلال» بالقاهرة - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- لعبة ديغرافيا - مسرحية - تأليف الدكتور عبد الإله الخاني - ١٢٨ صفحة - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الملك تقدم - مسرحية تاريخية من اغاريت - تأليف الدكتور عبد الإله الخاني - ١٥٢ صفحة - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ - ١٩٢٠ - جمعها وعلق عليها الدكتور عبد العزيز سليمان نوار ، قسم التاريخ جامعة عين شمس وجامعة بيروت العربية - ٦٠٠ صفحة - حجم كبير - منشورات جامعة بيروت العربية - مطابع دار الاحد (البحريي الخوان) ببيروت .
- النظرية العامة للقاعدة الاجرائية الجنائية - تأليف الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصيغلي استاذ القانون الجنائي بجامعة الاسكندرية وبيروت العربية - ١٧٦ صفحة - حجم كبير - مطابع دار الاحد (البحريي الخوان) ببيروت .

والإيمان ، فلم تستهوه عقيدة غير عقيدة الاسلام ، طالما ان امامه كتاب الله وستة رسوله ، وطالما ان «الدربن المعاملة» ، وان الجهاد المقدس فرض على كل مؤمن ومؤمنة ، دفاعا عن الحق ، وصونا للقيم ، ومجالبة للباطل الذي كان زهوفا .

ولقد اجتمع مؤرخو سيرته ، والمتعاملون معه من رجال السياسة ، والصحافة ، والفكر ، من الغربيين والعرب ، على ان حديث الرجل كان يوحى لسامعه بأنه خريج أرقى الجامعات ، نظرا لشمول معرفته ، واتساع أفق تفكيره ، ورحابة عقله ، وسداد حكمته ، في كل ما جابه من أمور السياسة المحلية ، والعربية ، والدولية .

لكن الحقيقة التي كشف عنها الملك الراحل بنفسه لبعض مؤرخي سيرة حياته ، انه لم يتلق من العلوم المدرسية الا القليل ، وان المدرسة الكبرى التي تخرج منها ، كانت مدرسة والده العاهل المؤسس الملك عبد العزيز :

« ان المغفور له والذي عبد العزيز هو مدرستي ومنارتي التي استهدي بها . انني احفظ كترا من تجاربه المرشدة ، انه مدرستي الحقيقية .. انني لم ادخل اية مدرسة . لقد دخلت « الكتاب » وتخرجت منه في الثالثة عشرة من عمري ، كما دخلت ، اي لا اعراف القراءة والكتابة . وحفظوني القرآن غيبا ، وخرجت لادخل مدرستي الحقيقية . انها شخصية المغفور له والذي عبد العزيز الذي ترعرت ونشأت في ظله ، وتمرست في الحياة بتدريبه ، فكان هو المدرسة التي استقيت منها دروسي وخبرتي . »

والحقيقة ان الملك فيصل الذي عاش يتيمًا من الام التي انتقلت الى جوار الله ، وهو طفل رضيع ، استطاع وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ان يشارك أباه في غزوة « بابل » ، وهي اول غزوة ضد ابن الرشيد ، ثم انه قاد عددا من الزوايا والمعارك ، وهو بعد في ميعة الصبا ، ككتب به النصير فيها جميعا .

وكان الملك الراحل ما يزال في العشرين من عمره ، حين اصبح نائباً للملك في منطقة الحجاز ، بعد ان نجح في القضاء على التمرد الذي حدث في تلك المنطقة عام ١٩٢٦ ، وبذلك غدا الساعد الايمن لوالده الملك عبد العزيز الذي عينه في عام ١٩٢٧ رئيسا لمجلس الشورى ، كما عينه بعدئذ في عام ١٩٣٠ وزيرا للدولة لاول وزارة خارجية في المملكة العربية السعودية .

ثم ارتقى عرش السعودية عام ١٩٦٤ ، فوجه كل طاقاته وجهوده لانماء المملكة وتطويرها والقضاء على اسباب التخلف ، ونشر العلم ، وتعزيز البعثات الثقافية الى الخارج ، وتسليح الجيش باحدث المعدات ، واداء كل ما من شأنه ان يعزز المملكة ، في النطاق العربي ، وعلى الصعيد الدولي .

ولقد بطول بنا الحديث عن المواقف التي كان يقفها الملك الراحل من كل قضية عربية واسلامية ودولية ، فان مثل هذا الحديث يتطلب مجلداً حيداً لو تهيات لنا الاسباب والظروف لانتاجها .

على ان ذلك لا يحول دون الاكتفاء بالنم من اليم ، وبالبقيض من البقيض ، فنذكر اعز وقفات العربية ، اذ كان الطال المحرر الصامت الواقف وقفة المعتز بربه ووطنه ، وراء معركة العبور التي انتهى الجيش المصري فيها اسطورة التفوق الصهيوني . ولعل اصدق من يقيم موقف الملك



الملك فيصل خادم الحرمين الشريفين

بقلم فوزي عطسوي

لما انعدمت للمغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الببعة ، وارتقى عرش المملكة العربية السعودية ، كان في عداد ما خوطب به من كلمات تكريمية القاب « الملك » ، و « صاحب الجلالة » و « الجالس على العرش » فوق ، ورحمة الله ، يرد على مكريمه ، وقد بدت عليه علامته التحرج والتواضع معا ، وقال :

« نكرر على سمي لفظ صاحب الجلالة ، والجالس على العرش ، واني ارجو منكم ان تعتبروني اُخا . ان الجلالة لله سبحانه وتعالى ، وان العرش هو عرش رب السموات والارض ، وان هذه الصفات خيلة علينا في دننا ولغتنا . » ملك عظيم ، يحكم ثالث اغنى دول البترول في العالم ، ويحمي حمى الحرمين الشريفين ، بأبي ان يخاطبه الناس بلفظ تعاهدوه فيما بينهم ، منذ قديم الزمان ، ويرى ان لفظ « الاخ » هو انبل واسمى واصدق من كل الفاظ التعظيم البروتوكولية الاخرى ، ويفضل على كل الانقلاب التي يمكن ان يخاطب بها صاحب العرش ، لقب « خادم الحرمين الشريفين » ، تيمنا وتبركا ، وتائرا لخطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي طالما دعا الى التآخي بين المؤمنين بقوله : « انما المؤمنون اخوة » ، والذي له الناس ان مكرام الاخلاق اجدى من بهارج السلطان ، فقال لهم بتواضع المؤمن برب السموات والارضين : « انما بعثت لانم مكرام الاخلاق . »

هذا الرجل العظيم الذي افتقده العرب والمسلمون في اشد مراحل تاريخهم حرجا ، اذ تتضافر قوى الشر جميعا لتكيد لهم ، عن طريق تدعيم الغزوة الصهيونية الهمجية على ارضهم التي يفوح من ترابها غبير القداسة ، كان نموذجا قداما من نماذج المؤمنين بالله والامة ، العاملين بجد وقدره في سبيل بعث امجاد العرب ، وترسيخ جلود التوحيد

ابتسامه ابيه ، وقال له وهو يشير من خلال احدى نوافذ قصره الى اشجار النخيل فوق رمال الصحراء : « يا حضرة الرئيس ، هل ترى هذه الاشجار ؟ لقد عاش آباي واجدادى مئات السنين على ثمارها . ونحن مستعدون ان نعيش مثلهم ونستغني عن البترول ، اذا استمر الاقوياء ، واتم في طليعتهم ، في مساعدة عدونا علينا . »

وكان ذلك اول دروس الحكمة التي اتى نيكسون ليتعلمها من جلالة الملك !! .

واذا كان هذا هو موقفه ، بالنسبة للقضايا الدولية التي تمس امة العرب والاسلام ، فقد كان ، فيما عدا ذلك ، احد بناء المجتمع الدولي ، ومساهما كبيرا في ترسيخ قواعد السلام والعدل بين الشعوب . ولقد اوضح الامين العام للامم المتحدة الدكتور كورت فالدهايم دور الملك الراحل ، اذ وصفه بأنه « يعتبر من ابرز القادة الذين لهم وزن في الشرق الاوسط . فالملك فيصل لعب دورا اساسيا في هذا الوقت السريع التحول ، وكان جلالاته في السنوات الاولى لتكوين الامم المتحدة شخصية معروفة كممثل لبلاده في الجمعية العمومية للامم المتحدة » .

وبعد ، فبين نيسان ١٩٠٦ واذار ١٩٧٥ ، رحلة عمر مفعم بجبل المائر والمفاخر لملك عاش في ذروة السلطان عيشة الزاهدين التقشفين ، ولقد عاش اغوامه الاخيرة على هاجس تحرير التراب الفلسطيني الطاهر من رجس القدم الصهيونية المهيمنة ، كما عاش على امل ان يصلي في القدس ، بعد التحرير ، ولطالما سمعناه يقول على سبغ من رجال الصحافة ، ووسائل الاعلام : « اذا كان ثمة دعوة مستجابة ، فاني ادعو الله ان لا اموت قبل ان اصلي في مدينة القدس » .

وها اننا ، من اعمساق الضمير العربي النائر ، نقول للراحل الكبير قولة السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية :

« على ارض الجهاد ولدت ، فكانت لك في كل ساحة جولة ، وفي كل ميدان نصر . ومن بوابة الجهاد دخلت ، وعلى درب الجهاد رحلت ، وعلى درب الشهداء والصديقين مضيت ، وحسن اولئك رفيقا . شابت ارادة العليي القدير ان تكون فلسطين آخر من يلقاك واول من يودعك . كان لقاء بلا موعد كاننا على موعد ، موعد نلقاك فيه عزما واصراراً وصلابة ، وموعد ان نودعك شهيد الحق ، شهيد فلسطين ، وهل فلسطين الا قلب الحق ومهجته ؟ كان حلمك ان تستشهد على ارض فلسطين ، فعلى ارضية فلسطين استشهدت . »

كان هاجسك ان ترفع راية التحرير على قدسها ، فارتفعت منارا في سماءها !

فوزي عطوي

الراحل ، في تلك المرحلة ، هو الرئيس محمد انور السادات الذي قال عنه ، وهو ينعاه الى شعب مصر والامة العربية والعالم الاسلامي ، بأنه كان رجلا من اعظم الرجال وابرمهم ، وزعيما من افضل الزعماء واخلصهم واجهم ، ادى لشعبه ولل قضية العربية والعالم الاسلامي من الخدمات الكبار ما سوف يذكر له بالعرفان والوفاء ، كما قال ايضا : « واذا كان العالم العربي والاسلامي يذكر لجلالاته وقفته القوية دفاعا عن كل حق عربي وكل مقدس اسلامي ، فان مصر ورئيسها وحكومتها وشعبها تذكر له بكل الوفاء والعرفان وقفته التاريخية معها قبل ان تنطلق الشرارة في معارك العبور وخلال تلك المعارك المظفرة وخلال كل المواقف الصعبة التي خاضتها امتنا في اعقابها ، وهي وفقات امنيتنا اصدائها الى العالم العربي كله ، وكسأت مثالا فذا للشهامة العربية وللآخرة الاسلامية ، وكان لها الفضل العظيم في الحفاظ على التضامن العربي والاخاء الاسلامي . »

ولئن كنا نظن ان التدليل على مواقفه الاسلامية هو من قبيل التعريف باسم العلم ، لاسيما وان كتاب الله عز وجل هو دستور المملكة العربية السعودية ، فبحسبنا ان نشير الى ان جميع ما لقاه الملك الراحل من خطب ، وما وجهه الى شعبه والى العرب والمسلمين من كلمات ورسائل ، انما كان صادرا من هذا المصدر . ففي نصيحة وجهها الى المسلمين عام ١٩٧٤ م (١٣٩٤هـ) ، ورد قوله ، بعد استشهاد مطول بأبيات القرآن الكريم :

« فعلى كل مسلم ان يحاسب نفسه ، ويتوب الى الله من ذنوبه توبة صادقة ، وان يجتهد في اداء ما اوجب الله عليه وترك ما حرم لان ذلك هو سبيل السعادة والنجاح في الدنيا والاخرة ، وهو ايضا من اسباب اصلاح المجتمع وتيسير اموره وسلامته من كل ما يضره . فاتقوا الله ، عباد الله ، وتوبوا اليه من جميع الذنوب ، وتواصوا بحق الله ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر لتفوزوا بكل خير وتسلموا من كل شر . »

وما احوجنا حقا الى الاستمسك بعروة الدين ، والاستجابة الى مثل هذا النداء الذي يكرس الاخلاق السامية في اعلى ذروتها ، وفي اسمى معانيها ومدلولاتها . اما مواقفه الشرفة من القضايا الدولية ، ولا سيما القضايا التي تمس كرامة العرب ، وحقهم ، ومصالحهم ، فعمل وقفته من الغرب المنغرس بقوته وجبروته ، وخوضه معركة البترول ، لصالح القضية العربية ، اسبق دليل على ايمان الرجل بحق امته ، وحرصه على كرامتها ، وغيته على مصالحها .

ويروون عن الملك الفيصل موقفا هو ذروة الكرامة والاباء ، يوم زاره الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون ، وهو في ذروة مجده ، وقال له : « جئت لاعلم الحكمة منك يا جلالة الملك » . فما كان من الفيصل الا ان ابتسم

فيصل العرب

بولس سلامة

كان الشاعر المحمي بولس سلامة أثناء زيارته الأخيرة لجلالة الملك فيصل في الرياض ، قد ألقى من تلفزيون المملكة العربية السعودية القصيدة التالية التي لم تنشر في الصحف:

فما تقرب وجداني ولا ادبي
عيني الى غابر من شعرها العجيب
ابهي من البدر لماسحا على الكتب
وجلجلت عظمت الامس تهتف بي
يحميها في الرزايا فيصل العرب
مختالة الهام والاعراف والعسب
حمر السنايك من خوض الدم السرب
الا على ضرر او احمر لزب
شعثا عوابس بين النقع والهب
كرا فلم تنعطف يوما الى هرب
من حبة الباس او من سورة الطرب
نسر بوكر ابي تركي العظيم ربي
وفل من صلف التباه وهو صبي
وراع (لندن) ان الشبل في غصب
وان تجل الاباء العرقين ابي

وفي الجزيرة طيف الموت والحرب
اليك تشخص من افق الى قطب
وصنتها من ضروب الخوف والريب
كان عبد العزيز الحر لم يغيب
مشتت البال بين الرغد واللعب
وفيصلا بين غاب السمر والقصب
لا في الصحائف والابناء والكتب
وقد بلغت السهى غزا وكان ابي

فازددت شاولا على آباتك النجب
وزين ابطاله في المشرق العربي
ولا توحد قطر جد منشعب
لم يستفق مرة الا على شغب
بكل زند مرير القتل والعصب
وكل ملتهب الحدين ذي شطب
طال السجود به للجور والصب
فرصع القفر بالعران والعشب
فرانس الحر والابواء والسفب
فكل همهم في القتل والسلب
كبش من اللسان اورحل من الخشب
الا عن العدو خلف البازل الجرب
الراقدون على رث من الذهب

خلقت لبنان في دربي الى الشهب
لقد تطلعت نجدا منذ ما شخصت
نفج العرار قوافيه فرونقهسه
جئت الرياض فهزنتي مفاخرها
تقول : هجد ابي تركي وسدنه
القائد الخيل في (ايهما) مسومة
نجدية من جياذ (الخرج) ضامرة
في (بيشة النخل) ما ألفت حوافرها
القائد الفذ يذكها فسرلسها
بنائه الغض يرخي من اعتنها
يفشى الوقيعنة نسرا في قواده
لا غرو ان يرد الهيجاء متسرحا
خاض المنايا فتيا دون ما هلع
فها! (كرزون) ما بالشهم من شهم
وادركت ان للانساد عزتها

يا فيصل القوم يوم العرب في جزع
اذ النفوس حيارى والعيون ردت
شلت السياسة مما شان سمعتها
مؤيد العزم ثبت الراي سسافره
وذاك انك لم تنشأ على ترف
بل فارسا عرف الميدان صلولته
في معمان الوغى ربي بسالته
انت الذي يستطيع القول هاندا

يا صاحب التاج اولاد الاله سنى
ابوك غرة هذا العصر مرتبة
اولاه ما بزغت في نجد مملكة
حسامه الف الاعضاء في جسد
اجلى الطواغيت عن نجد وصدهم
وكل سابحة جرداء صافنة
فايقظ العزة السماء في بلد
وايقظ البدو من ضنك ومترية
كانوا قبائل اشتاتا مسيبة
الجهل فانداهم والنهب رائدهم
كانما قيمة الانسان عندهم
نامت عزائمهم عن كل مكرمة
الراحلون فلا دين ولا وطن

اوطانهم في ظهور السوق ظاعنة
فاقسم ابن سعود ان يزلهم
ارضا يجونها حتى تكفهم
الحب اصدق ما تصفي النفوس له
عبد العزيز وكم في العرب خالدة

يا فيصل الحرمين الاشرفين وما
في ظل بيتكم اعترس الحجاز وقد
سرتم الحج حتى ود قاصده
يلقي ملك الهدى في صدر معبده
جلت وداعته في البيت متصفا
يا غاسل الكعبة الفراء عن ورع
وجاذك الخير من كف الرسول كما
لكم دفعت عن الاسلام غائلة
في ظل فيصله زاد الحجاز على
فعاد فظرا منيعا آمنا ترفا
زكت مساجده درت موارده
يا طالبا ردد الشعر الحجاز فمن
عن الحجاز قبسنا الضاد حالية
تبارك الله ما اسمى عجائبه
حسب الحجاز فخارا انه بلد

لا ذكرت ابا تركي وصولته
يا رب ليل غلوت الشعر من كبدي
سبكت ملحمتي والفاء يهصرني
زرق الباضع في عظمي تناوشه
لو آهتني عبرت حمراء لاهية
عيد الرياض سبقت الاولين بها
سيهرم العصر بعد العصر منصرما
ان الملاحم لم تبرح مناظ يدي
لا البحرني شأى شأوي فجاوزني

يا صاحب التاج اني جئت من جبل
نفتح الارض وافترت ذوائبه
فيضي اطواده في الصبح ضاحية
لبنان للضياف سهل افصح واخ
شعاره الحب ايماننا ومعرفة
اذ يقرأ الشيخ في الانجيل مبتهاجا

كانما خلفوا للحلب والطنيب
في خفضي عيش على زالك من الترب
خضراؤها عن رباد المظم الحشب
ومما يمكن في اغراء مجتذب
من سيفه الفرداو من عقلة الخصب

من رتبة فوق ذاك التاج واللقب
باتت قرايبكم قدسية القرب
لو فاته الركب ان ياتي على السحب
مصليا خاشع السيماء والهذب
جلال هيبته في غابه الاشيب
وفاءك ربك اجر العسايد الارب
تحدرو الفيث من تل الى صيب
اذكى دفتاتها مثنوى ابي لهب
وجاز عن حازب الاحداث والنوب
لا دمية قلقت في كف مضطرب
كفيدي من يمين الله منسكب
عديلا حسانه والعلية النخب
الي قریش سميت في الحسن والنسب
في مهبط الذكريات دولة الادب
اهدى الى الكون طه كوكب العرب

تشوف الامد الاعلى الى ادبي
فيه واهويت من سقم ومن تعب
يمتص من مهجتي ياوي الى عصبي
ما بين منكسر منها ومختضب
لم يبق من عشبة في المنبت العشب
فمن اتى لاحقا يجري على عقبي
وهي الفتية لم تكهل ولم تشب
فكلما انتسبت فاءت الى نسبي
قدرا ولا المتنبي دابه دابسي

بالاقف مكتحل بالنور معتصب
لما تفلت من اغلال منتدب
جزائر العاج في بحر من الذهب
للرب عند حلول الخائق الحزب
واصدق الود ود غير محتلب
وينعم الحبر في قرآنه السجدي

- (١) ابنها فاعنة عسير . (٢) الخرج مكان في نجد اشتهر بتربية الخيول العرب .
- (٣) بيشة النخل مشهورة بقلعتها . (٤) اشارة الى حادث ابيت فيه جلالته انفا للعرب .
- وبنوههم وكان جلالته يومئذ حديث السن . (٥) لم يجب اي لم يخفق القلب جزعا .
- (٦) كان النزول قادة جيش الامام يحيى . (٧) حاضرة على ساحل البحر الاحمر .
- ولقد كان الجيش اليمني والفر العدد والعتاد وكان السلاح ايطالي المصدر . (٨) اسم
- بلد في عسير . (٩) هو الامير فيصل بن تركي وقد تار لابيه مشاري بن عبد الرحمن
- واستعاد الامارة وكان متوفد الدكاك تقيا ورعاشجاءا رفيقا باليتامى وقد بنى لهم دارا
- خاصة في الرياض فلقب بابي اليتامى . وكل الاحداث المشار اليها في هذه القصيدة قد
- فصلت باسهاب في ملحمة عيد الرياض .

كلها ، بل انه هو الذي وضع نظام صنع الطائرات ، وحدد نوعية محركاتها وهياكلها قبل حوالي اربعمئة سنة ، بما في ذلك طائرة «الهليكوبتر» الحديثة ، التي تعتبر حصة من حسنات فكره ومنجزاته ، ومع ذلك نسي الناس دافنشي العالم المفكر المبدع ، وحفظوا دافنشي نحات ورسام الخلود فقط .

واين سينا (ابو علي الحسين بن عبد الله) المتوفي في القرن الحادي عشر الميلادي ، اشتهر بالطب وبمؤلفاته الطبية العديدة وبينها « القانون » الذي ظل عمدة الطب العالمي كله خلال خمسةة سنة (العصور الوسطى) ، ونسي معظم الناس ما كان قد نبغ فيه ابن سينا ، وما كتب والف ونشر وعلم ، حول الفلسفة والحكمة والطبيعات ومختلف شؤون التربية .

وعمر الخيام صاحب « رباعيات الخيام » المتوفي في القرن الثاني عشر الميلادي لا يحفظ عنه اكثر الناس ، سوى ذلك الاديب الشاعر الغنان ، مع انه كان واحد عصره في العلوم الفلكية والرياضية ، فهد الذي حل معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية وجبرية ، وهو الذي قام باصلاح التقويم الفارسي القديم ، وشرح ما اشكل من كتاب « اقليدس » و « مختصر في الطبيعيات » و « رسالة في الكون والتأليف » وغير ذلك ، ومع هذا ظلت شهرته قاصرة على رباعياته التي ترجمت الى مختلف اللغات الحية .

وكذلك كان حال ابراهيم بن المهدي الذي تربع على منصب الخلافة الاسلامية العباسية ، ولكنه لم يشتهر الا بالموسيقى والغناء وحلاوة الصوت وارتياد مراعي اللهب والطرب ، كما كان حال (الفارابي) مشهورا بالنبوغ الفيلسفي وبشرح كتب ارسطو المنطقية والطبيعية والاخلاقية ، فهو الذي وضع اساس المعرفة العقلية واعتبارها اسما من العمل الخلقى ، ونسي الناس انه كان الى جانب ذلك ، عالما من اكبر علماء الموسيقى ، اذ ان كتابه المعروف باسم « كتاب الموسيقى الكبير » يعتبر اعظم مؤلف للعرب في الموسيقى ، وقد ترجمه للفرنسية عام ١٩٣٥ المستشرق الفرنسي البارون رودلف ديرلنجيه ، كما بين مؤلفاته كتاب « احصاء العلوم » الذي يعتبر موسوعة علمية ، لا ينجز مثلها الا النواحي من العلماء ، ومع هذا ظلت شهرته محصورة تقريبا بالمنجزات الفلسفية . والمالك فيصل بن عبد العزيز ، رحمه الله ، الذي اغتالته يد الثون يوم ٢٥-٣-١٩٧٥ كان بالفعل محالاً ، الدنيا وشاغل الناس ، من ناحية كونه ملكا على المملكة العربية السعودية ، وزعيما من زعماء الامة العربية ، واماما لجميع المسلمين في انحاء العالم ولقد هز الشاعر الانسانية كلها ، وحرك الضمير العالمي حيال قضية فلسطين والمسجد الاقصى ، من خلال معركة النفط التي خاضها ضد اسرائيل والدول الموالية لها في اثناء حرب رمضان (تشرين ١٩٧٣) ،



بشير المصروف

الفصل الفقييد

زعيم مفكر وسياسي فسد وعالم اديبي

بقلم بشير المصروف

كثيرون اولئك الرجال العظام ، الذين تغلب على شهرتهم زاوية واحدة من زوايا نبوغهم العديدة ، فلا يعرفون الا بها ، ولا ينظر الناس اليهم الا من خلالها ، بينما تظل مواهبهم الاخرى ، مع مختلف علومهم وفنونهم ومنجزاتهم خافية الا عن القلة النادرة من الباحثين والمنتبهين .

« ليوناردو دافنشي » ، الفنان العالمي الايطالي ، لا يعرف عنه اكثر الناس ، سوى كونه قمة انسانية في فن الرسم والنحت والتصوير ، فهو الذي رسم لوحة « العذراء والصحور » و « العشاء الاخير » وغيرهما من اللوحات الخالدة ، التي تستأثر بالاحتفاظ بها كبريات المتاحف العالمية ، بينما نسي الناس في دافنشي ، شخص العالم النابغة المفكر ، الذي نبغ بمختلف علوم الهيدروليكا ، والميكانيكا والتشريح ، والجيولوجيا ، والنبات ، والهندسة ، والموسيقى ، حتى انه كتب والف في هذه العلوم والمعارف

خلال موسم الحج الماضي، وبحث معه مشروع « الموسوعة العربية » وراح يدلي اليه بتفضيلات الغاية الكامنة وراء هذا المشروع الحضاري العلمي، الا ان الدكتور الصالح، قد دهش ايماء دهشة ، حينما رأى الملك فيصل ، وكأنه بحر من المعارف ، يختزن الكثير من العلوم القديمة والحديثة ، بما في ذلك علوم الدين واللغة والادب والفكر والقانون مما يدل على ان الفصيل كان يضم بين يديه، رجل العلم والفكر والادب ، كما كان يضم رجل الملك والزعامة والسياسة .

ويقول العالم المفكر الاديب الدكتور منير العجلاني في الصفحة ١٠٠ من كتابه : « تاريخ مملكة في سيرة زعيم » ما يلي :

« عرف الفصيل بالانابة والروية » وقد يأخذ عليه بعضهم ذلك ، ولعلمهم يظنون الانابة ، لونا من البطء في التفكير ، وهذا لا يكون في العباقرة ، ولكن انابة فيصل ، ليست من فقر التفكير وانما هي من ترف التفكير وخصبه، وان الفصيل في ذكائه الوقاد ، وحذسه الصادق ، ونظرته النفاذة يحيط بدقائق الامور لاول وهلة ، ولكنه لا يحب ان يعلن للناس رايه ، او يدعوهم للعمل به ، الا بعد ان يعرض رايه على نفسه مرة ، وعلى اصحاب الخبرة والمعرفة مرة ، ليصدر دائما عن دراسة عميقة واحاطة شاملة ، وهو الى ذلك يتحرى السلامة ويكره الغامرة ، ويستعين بالوقت احيانا على حل المضلات ، فالانابة ليست اسلوبا في التفكير ، ولكنها اسلوب في العمل والتقرير والتدبير . »

ولعل في الاعتماد على مشورة اهل الخبرة والمعرفة شيئا من التوجه القرائني في ضمير الملك فيصل، عملا بقوله تعالى : (وشاروهم في الامر - وامرهم شورى بينهم) .

ويقول الدكتور العجلاني ايضا عن الملك فيصل كاديب وخطيب ما يلي :

« ان الملك فيصل خطيب يؤثر في الجماهير ، ويعرف كيف ينورها ويوعياها ويجمع صفوفها حول اهدافه المنشودة وزعامته الرشيدة ، ومما يبرق على كلامه مزيدا من القوة ، ويجعل لها قبولا حسنا في النفوس : ثقة الناس بصدقه واخلاصه . وان الفصيل يرتجى اكثر خطبه ، ليكون كلامه اكثر تجاوبا مع نفسية الجمهور الذي يخاطبه ، وما سمعنا انه ارتج عليه مرة ، او اخطاه التوفيق ، وهذه مزية من مزاياه ، وموهبة من مواهبه، وان للخطب الارتجالية فوق (التجاوب) فضيلة (الثقة) اي انها تجعل الناس يطمئنون الى ان ما يسمعون منه الرؤساء هو من غفو الخاطر ، لا يتصنعون فيه ، ولا يكتبه لهم او يفرضه عليهم احد . »

هذا شيء عن فيصل المفكر ، وفيصل الاديب ، وطبيعي ان الاعمال الفكرية ليست دائما كتابا يؤلف ، او مقالا يكتب ، او خطابا ينشر ، بل كثيرا ما تكون خطبة

حتى لم يبق بيت في انحاء الارض ، الا وهزه صوت الملك فيصل بالدعوة الى اتقاذ القدس من برائن الصهيونية ، وهذا ما حمل مجلة «تائم» الامريكية على انتخابه (رجل العالم لعام ١٩٧٤) كما اختارت المجلة صورته لتكسون صورة الغلاف السنوي لهذا الرجل العالمي العربي المسلم ، ملك المملكة العربية السعودية .

اشتهر الملك فيصل بانه ملك وزعيم سياسي كبير ، ملا الدنيا وشغل الناس زهاء نصف قرن من الزمن ، ولكن القليلين من الباحثين والمتتبعين هم الذين يعلمون انه لم يكن ملكا وزعيما وسياسيا كبيرا فحسب ، وانما كان ايضا مفكرا كبيرا ، واديبا ذواقا ، يجول ويصوّل في مختلف آفاق المعرفة والفكر . وتلقى في رحابه مجالس الادب والشعر ، فيكون له في كل ميدان من ميادين الادب مجال ، وفي كل باب من ابواب الشعر راي وفن ورواية . ولعل ابرز ما عرفناه بفكر الملك فيصل ، انه كان من نوع الفكر السياسي المدع ، الذي يتميز بموهبة خارقة ، وبديهة حاضرة ، واطلاع واسع ، وخبرة مميزة ، صقلتها تجارب السنين ، وهذبته كبريات الاحداث .

واذا كنا لا نملك المؤلفات والمراجع التي تتحدث عن فيصل المفكر ، وفيصل الاديب ، فاننا لا نجز عن استقصاء هذه الواهب في شخصيته الفذة ، من رفاقه ومعاصريه وابناء جلدته من المفكرين العرب وابناء مدرسته وزملاء قضيته .

لقد قال لي يوما شيخ السياسة العربية في النصف الاول من هذا القرن الاستاذ فارس الخوري (رئيس مجلس النواب السوري ورئيس الوزراء لعدة وزارات ، كما سغل منصب رئيس مجلس الامن الدولي عامي ١٩٤٧-١٩٤٨) قال لي وهو على فراش مرضه الاخير في مستشفى المجتهد بدمشق : « لقد كانت الوفود العربية لا يجتمع شملها الا برئاسة الامير فيصل رئيس الوفد السعودي - قبل ان يصبح ملكا - في سان فرانسيسكو ثم في نيويورك ، وكنا جميعا نجد لديه الفكر النير ، والراي السديد ، ولقد كانت المسألة المفضلة ، تعييننا معالجتها ، ويستعصي علينا حلها ، فنقصده ، فاذا عنده الحل ، وعنده الفكر ، وعنده الاسلوب ! »

وحين جاء الملك فيصل لزيارة لبنان (ايلول عام ١٩٧١) كتب العالم الفيلسوف الدكتور شارل مالك (رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة ممثلا لبنان) ، كتب مقالا في الصحف اللبنانية اوضح فيه ان الملك فيصل لم يكن مجرد زعيم سياسي او حاكم عربي ، وانما كان مفكرا من الطراز الرفيع تجتمع الوفود العربية في ندوته للمشاركة في جلسات هيئة الامم المتحدة ، لتأخذ منه دروسا في الفكر السياسي والديبلوماسية الذكية الناجحة .

وقال لي عالمي المحقق ، الدكتور صبحي الصالح الاستاذ في الجامعة اللبنانية ، وجامعة بيروت العربية ، وغيرهما من جامعات الوطن العربي ، انه زار الفقيه الفيصل

وضميره ، من فكر وقاد ، وإرادة حازمة فاعلة ، انتقلت البلاد من محنة كالات ان تمزقها ؟!

هذا ولا بد من الإشارة الى ان شركة النفط العربية - الاميركية - الارامكو - قد حاولت حينئذ ان تجعل من هذا القرض الشخصي ، وسيلة لحبس عوائد النفط عن خزانة الدولة السعودية ، الا ان حرم الملك فيصل وصموده أرغم الشركة على التراجع ، وفرض عليها دفع العوائد في اوقاتها ، فكان ان استقرت الشؤون المالية في المملكة الناهضة ، التي تابعت مسيرتها على خطى التقدم وتوطيد البناء.

ومما يروى عن لسان الجنرال دينفول ، رئيس الجمهورية الفرنسية ، الذي زاره الملك فيصل في باريس (ايار ١٩٦٧) انه قال للعاهل السعودي : « ان اسرائيل اصبحت امرا واقعا وانه لا بد للعرب من ان يعترفوا بالامر الواقع في فلسطين ».

فما كان من الفصل ، الا ان اجابه بهدوء واتزان وهو يتسائل :

« ألم يكن احتلال ألمانيا هتلرية ، للاراضي الفرنسية في الحرب العالمية الثانية امرا واقعا ... فلماذا رفضتموه ؟! »

قال دينفول : « ولكن فلسطين كانت في احدا العصور التاريخية وطن اسرائيل » .

فرد الملك فيصل على الفور : « لماذا - اذن - لا تعيد توزيع العالم على اساس ما كان عليه في العصور التاريخية الماضية ، فنعود فرنسا الى املاك روما ، ونعود اسبانيا للعرب والمسلمين ؟! ولماذا يفرض على العرب وحدهم ، دون شعوب الارض ، ان يعيدوا توزيع اوطانهم على اساس ما كانت عليه قبل الف او الفين من السنين ؟! » وسكت الجنرال دينفول ، مبديا اقتناعه بالحجة الدامغة ، ومنذ ذلك اليوم ، بدأت فرنسا تغير سياستها لصالح العرب بالتدريج ، وللقوف بوجه الظلم الصهيوني.

لا شك في ان الملك فيصل تقمده الله بواسع رحمته ورضوانه ، كان واحدا من الرجال المفكرين والسياسيين العرب العظام ، الذين لا يوجد الدهر يمثلهم الا خلال فترات تباعدة من تاريخ الامة والوطن ، وعلى هذا فان خسارة العرب والمسلمين بفقدان الملك فيصل ، لم تكن خسارة امة بقاءه موهوب ، وزعيم مفكر ، كان قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، (انسانا) مكنثل الإنسانية قد كرس حياته وفكره وقلبه وضميره ، لخدمة ربه ودينه وامته ، دون ان يتلكأ لحظة واحدة عن خدمة الحق والعدل والانسان ، اينما وجد ، وحيشا كان ، فرحمه الله ، واجزل مثوبته ، وجعل الدين خلفه في مقاعد الحكم والسياسة والزعامة ، خير خلف لخير سلف ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

بشير العوف

مرسومة لغاية مقررة ناجحة ، او دعوة لقضية ذات اهداف محددة ، او اسلوبا للوصول الى كسب انساني او قومي او وطني ذي نفع عام ، او منهاجا لتوطيد دعائم حضارة مرموقة ، وهذا كله عمل من اعمال الفكر ، يتناوله الكتبة والمنشئون والمنفذون من فم صاحبه ، ثم يصوغونه مواد في كتب ، وبرامج للعمل ، ووسائل للتنفيذ .

الملك فيصل كان واحدا من هؤلاء المفكرين النابغين ، الذين يجابهون كل حدث طارئ بما يستحق ، ويهيئون لكل حدث قدام بما يجب .

حدث مرة ، كما قال المرحوم احمد قاسم جودة ان اصبحت خزانة المملكة العربية السعودية بانهيار كبير ، وضعها امام هاية الافلاس ، وسوء السمعة المالية والادبية ، وذلك حين كان الملك فيصل رئيسا للوزراء في السنة الثالثة من حكم اخيه الملك سعود ، حتى ان خزانة الدولة غدت مدبونة مؤسسات وطنية واجنبية ، بمبلغ الفيمليون ريال ، حيث لم يبق في حوزة الخزانة سوى ٣١٧ ريالا ، وذلك في شهر رمضان من عام ١٣٧٧ هـ . فكانت الدولة عاجزة عن دفع الرواتب للموظفين في آخر الشهر .

واعمل الفصل (فكره) للخروج من الازمة التي اذا بقيت فسكون اشهارا لافلاس الدولة السعودية ولانهيارها المالي ، فما كان منه الا ان اعتمد باديه ذي بدء على السرية الكاملة ، في كل خطوة يخطوها ، لان شيوع اي خبر عن الوضع المالي في المملكة سيؤدي الى التعجيل بوقوع الكارثة ، وبعد هذا لجأ الى الاستلوب التقليدي المتعارف عليه ، للحصول على قروض ، فوجد الاذواب موصدة في وجه الدولة ، لان المصارف رفضت اعطاء قرض للحكومة لانها تعتبرها غير قادرة على ضمان السداد ، وفي تلك الفترة العصيبة تسلل العملاء الاجانب ، الى داخل المملكة السعودية ، حاملين عروضا كثيرة ، لتقديم قروض كبيرة ، على طريقة الديون المصرية الاجنبية التي جرت في عهد الخديوي اسماعيل والتي اخضعت مصر لسلطان الاجنبي ولتسلطه الاستعماري ، فاذا بالملك فيصل يصر على رفض هذه القروض ، وعلى عدم ربط بلاده ، بساي قيد استعماري قد يشكل الكثير من الاخطار على مستقبل المملكة ، وفي نفس الوقت سلك سبيلا آخر ، حصل به على قرض شخصي باسمه ، بلغت قيمته ٢٦ مليون ريال ، وذلك لانه هو شخصا اغنى من الحكومة ، بل لانه يملك كلمة (شرف) هي اقوى من كل الضمانات ، وهكذا تسلم الملك فيصل المبلغ على مضض ، لان الثقة التي ابدت في شخصه ، قد قابلتها لفة نزع من حكومته ، ولكن ماذا يصنع ؟ . اذ لا بد مما ليس منه بد ، وقام الملك فيصل باداغ المبلغ خزانة الدولة باطمئنان وصمت حيث تسلم موظفو الدولة ، روايتهم في موعدها المقرر ، وممرت الازمة النفسية والمالية بسلام .

ليس هذا نوعا من (الفكر) الاداري والتنفيذي المرن ؟! وليس هو دليلا على ما يخترنه القيص ، في عقله

ربيع



وسيهج الدنيا العوس اياه
ولسوف يسم للحياة شبابه
ويتوح في الروض الجميل ربابه
فقد انتشى مرحا وطاش صوابه
ما كاد يقصر عن مده خطابه
فالدوح يكتب والفدير كتابه
والدر منهزم عليه مذاربه
فهو المظم والهلل ركابسه
فعلى جنان الخلد يفتح بابسه
وغلالة البدر الصبح سحابه
وسلافة النضر النضيد شرابه
واليوم ممتنع على طلابه
ليطول بالقلب الصديق عذابه
هان الحمام ولن يهون ذهابه
ومعائب الايام طال عتابه
والكون كون والرحاب رحابه
والسم في حلقى يسيل لعابه
لتصيني بعد السهام حرابه
هل رده كالسر قتل قرابه
لذلك من بعيد العذبة صابه
ويكاد يوردها الهلاك مصابه
ليصبح في القفر الجديد غرابه
فالظل زال رواقه وحجابه
لتقاذفتني في الظلام شعابه
لعدت علي اسوده وذئابيه
وتلوح في الافق البعيد هضابه
لكن يطمئن بالوعود سراه
وكانما الشعر الرقيق كذابه
فرميت في بحر يهور عبابه
والقصر تعلو في السماء قبابه
فاذا بحلمي في الهواء ترابه
من ذا راي بحرا يفور حبابه
هل آن من ذلك القرام متابه

حسين مجيب المصري

غاب الربيع ولن يطول غيابيه
ويضيء مثل النور من غيم بدا
وسيرشف المعسول من ريق الندى
وبخامر الفصن الرطيب معربدا
وبناغم الطير الضحوك مرددا
وبصوغ من لحن القرام قصائدا
الفجر يفره بنور جماله
والليل ملكه عظيم جلاله
والوصل يلهمه وسيع خياله
انفاس أسرة القلوب عبيره
لغة العواطف والقلوب زهوره
وانا ربيعي كان وهما وانقضى
طال الزمان على ربيع قد مضى
ايعود ؟ كلا لن يعود وربما
أعاتب الايام ام ابكي دما
أجول في ارض اصعد في سما
أفوص في بحر اسكن انجما
اين المرفى وصرى دهرى لاحقي
في كفه سيف كسيل مفرقي
ولى الربيع لنادة وبشاشة
ولى وخلف في الضلوع حشاشة
البلبل الصداح فارق زهره
والروضة الفناء تشبه جمرة
لو سرت منها في طريق خطوة
ولئن وقفت لفرط اين وقفة
ان المرء يحيطني بمتاهة
ان الغلاء يخيفني من وحشة
وكذا الحبيب اضلني بكلامه
اسلمته قلبي لري هيامه
وحسبت ان التبر يجري في يدي
وجملت احلم بالهناة في غدي
ومضى الربيع مع النموع وحرقة
يا طول ما يشقى الفؤاد بخفقة

القاهرة

نال جائزة الشعر الاولى من مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
 وحين رحلت افراطة من قصيدته الرائعة «بين وشجرة»:
 انت في القيد ولكن رب قيد غير ظاهر
 رب قيد كان سرا بين اعماق السرائر
 لا نراه نحن بالابصار لكن بالبصائر
 فانظري قيدك يا حرة يا بنت الحرائر
 قال - ان العقاد ثمن هذه القصيدة بالذات.
 قلت - لراي العقاد وزن اي وزن.
 قال - بعد العقاد رائد الشعر والنقد ؟
 قلت - بنى هو والمازني شهرتهما على انقراض شوقي
 وحافظ بعد صدور « الديوان ».

قال - شوقي انتهى امره وتولى زماته ..
 هنا اتبرى له احد الجالسين وكان مصريا مثله :
 - شوقي اعظم شاعر اتجبه العرب في العصر الحديث
 رد ابراهيم - شوقي شاعر مرحلة .
 قال الرجل بلهجة حادة : لا تستطيع انت ولا غيرك
 انتقاد شوقي والتناول عليه .
 قال ابراهيم - كلامي لا يحمل دلائل الانتقاد بقدر
 ما يحمل معاني التقييم ؟
 جسما لنزاع ادبي خشيت ان يتطور ، تدخلت بينهما
 وانا اقول :

- لا شك ان لكل من شوقي والعقاد قيمة ادبية
 وتاريخية في تطوير العقيدة العربية وبعث النهضة الفكرية
 بكل موازينها وانجازاتها ، سيكشف عنها الزمن مستقبلا
 اكثر من ما فعلته اياها الحالية ..
 فقال ابراهيم نجا يرحب بي مرة اخرى ، بينمسا
 صاحبه ظل ساكنا ودخان سيكارته يرسم خطوطا حلزونية
 في الفضاء .

وسالت ابراهيم نجا عن نجيب محفوظ؟
 - ارى هنا اهتماما كبيرا بانتاج نجيب محفوظ؟
 قلت - انه روائي قدير .. اليس خليفًا بان يقرادوما؟
 - لقد اشتهر على نحو لم يكن تصوره ، وانذكر جيدا
 وانا اجلس ذات عصر الى حسن محمود سكرتير تحرير
 مجلة « الكتاب المصري » التي راس تحريرها الدكتور طه
 حسين ، كيف دخل علينا نجيب محفوظ سائلا اياه عن
 مصير قصة سبق ان بعث بها الى المجلة للنشر؟
 وما كان من حسن محمود الا ان يقول له مجاملا :
 سينظر في شأنها ..

بعد خروج نجيب محفوظ التفت الى سكرتير التحرير
 ليقول : قصته لا تستحق النشر في مجلتنا .
 سرعان ما عرف ابراهيم نجا شاعر وجدانيا بكروك
 هذه المدينة التي اخذت تحضنه بكل كبريائها وتقابلها بالاعزاز
 والاكرام ، وهو يتغنى بها بخالغ نفوسها وبصور ما يترادف
 على طبيعتها من مظاهر ومناظر كما تجلج ذلك كله في ديوانيه
 « الحياة الحب » و « اغنيات الحب » وفي مقطوعات شتى



وحيد الدين بهاء الدين

ابراهيم محمد نجا كما عرفه

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

عن طريق مجلة « الرسالة » المصرية عرفت في نهاية
 الاربعينات فيمن عرفت الشاعر الرومانسي الواقعي :
 ابراهيم محمد نجا ، الا انني لم اعن بالتأججه كما كنت اعني
 بانتاج الشعراء والمفكرين من ذوي القصيد الذائع مشائرا
 بقاعدة الشهرة .. هذه الشهرة التي ظالمجتني على صاحبها
 قيدفع عنها ضريبة باهظة قد تتردد اصداؤها على نحو من
 الانحاء . ولنا من بطون التاريخ قديما وحديثا اكثر ممن
 حكاية ودليل ..

في خريف عام ١٩٦٤ انتدب ابراهيم نجا لتدريس
 اللغة العربية بثانوية (تسعين) للبنين بكروك ، ثم اوعز
 اليه لاختضاء الضرورات ان يتولى مهمته باعدادية (كركوك)
 للبنين ، حيث خللت محله هناك ولم يكن امره قد تناهى
 الي بعد .

وذات ضحى بينما كنت اجاذب حبال الحديث في
 احد شوارع المدينة مع زميل مصري آخر اسمه : احمد
 خنفور ، اتفق ان راينا ابراهيم نجا يتوسط عصابة ممن
 معارفه يتطارحون الطرائف .. فتم بيننا التعارف .. هنا
 كانت البداية ..

وفي يوم ١١ - ١٠ - ١٩٦٤ كان لقائي الاول به في
 فندق « الشرق الاوسط » وقد اتخذه مقاما محمودا له
 طوال الاعوام الثلاثة التي قضاها بكروك .. اذكر انني
 اهديت اليه نسخة من كتابي « من ادب التركمان » رمزا
 للاخاء والولاء بينما هو اهدى الي نسخة من ديوانه الثاني
 « ايام عمري » .. علما بان ديوانه الاول « حياتي ظلال »

نشرتها له مجلة « الإخاء » البغدادية الصادرة باللغتين العربية والتركية ...

من هنا اتصلت بينه وبين الطبقة المتعلمة والمتفعة من كلا الجنسين (١) آصرة الاحترام المتبادل والتقدير المتقابل تمثل أكثرها في رسائل الإعجاب التي كانت تتوارد عليه حتى بعد منادته العراق إلى مصر وفي الحفلات التكريمية التي كانت تقام لشخصه ، وفي الندوات والمناسبات الوطنية والقومية التي يشارك فيها بحرص وشوق ...

ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب بل تخطاه إلى كتابة المقالات والأبحاث عن شاعريته ، منها دراسة كاتب هذه السطور (٢) والحديث الذي القاه عنه في إحدى الأمسيات من إذاعة بغداد في أيلول ١٩٦٦ .. ومن ما كتبه إبراهيم نجا إلى بهذا الشأن : « ولا يفوتني أن ابثلك أعجابي الشديدا بدراستك عني وقد استطعت في مقالات السالف أن تضع (بلقاء) النقط على الحروف » ..

كذلك نشر الدكتور صفاء خلوصي عن ديوانه « الحياة الحب » في مجلة « الإخاء » البغدادية مقالا ركز فيه على أصالته الفنية وبراعته في التلون الفكري والتصوير الوجداني حيث قال : « ويوسعي كذلك بعد هذا كله أن أومئ إلى إبراهيم محمد نجا بثقة وإطمئنان وأقول : ههنا شاعر .. »

إضافة إلى ذلك كله كتب عنه في ما بعد كل من محمد القصاب وأحمد محمد كركوكي وغيرهما ...

كان لا بد لحالة العناية بإبراهيم نجا شاعرا وأديبا من جانب آخر .. هو جانب السلبية الذي يهذي عنه .. فقد نشر عن ديوانه محمود توفيق المحامي مقالا في صحيفة « البلد » البغدادية (٣) ، ينتقد فيه بعض كلمات الشاعر وإبياته الواردة ، إذ يقول : « ولأستهل نظراتي السريعة على قصيدة (الوردة والشوك) التي افتتح بها ديوانه ، فهي على درجة من الركاكة وضعف البناء فقد جاء بها :

فساذا الشوك بمسراه الذي يؤذي العيون
وأنا أقول : أن الشوك لا يؤذي العيون ولكننا حين نرى الشوك نتذكر الوخر عملا بقاعدة تداعي المعاني حتى إذا تذكرناه لا يؤذي العيون كما قال الشاعر .

ويقول في موضوع آخر على لسان الوردة :
أنت يا شوك الصباغ تتلوى حصول عسوي
وأنا لا أرى الاستاذ موقفا في هذا التشبيه . فالشوك لا يتلوى ليصح تشبيهه بالأفاعي .. ثم يقول :

فبئس تشبها عنه نحو وادبها البعيد
ولو قال : لبعيد لبعيد لكان أكثر توفيقا ، إذ ماصلة

الوادي بالأفاعي ؟ ..

كان إبراهيم نجا حينذاك عاددا إلى القاهرة بمناسبة العطلة الصيفية ورأيت من الإحجى أن أطلعه على النقد لعله أن يرى فيه ما يرى ، فبعثت إليه بنسخة من الصحيفة . وما كان منه إلا أن يرد علي الناقد بمقال تنشر في

الصحيفة ذاتها (٤) مناقشا إياه مناقشة موضوعية ومن ما قاله : « أنا أقول في قصيدتي الطويلة (الوردة والشوك) : أن الشوك يؤذي العيون حتى تراه . وإي إنسان يستطيع أن يدرك لماذا يؤذي الشوك العيون لأنه يمثل الوخر من ناحية ويمثل القبح من ناحية أخرى حين نقارن بينه وبين الورد وأنا أقول هذا ولكن السيد محمود توفيق يقول : أن الشوك لا يؤذي العيون ولكننا حين نرى الشوك نتذكر الوخر عملا بقاعدة تداعي المعاني حتى إذا تذكرناه لا يؤذي العيون كما قال الشاعر » . أهملت شيئا من هذا الخلط أيها القارئ ؟ ..

وأقول أن الشوك في خيال الوردة يمثل أفاعي تتلوى حول عودها ولكن السيد محمود يقول : « أن الشوك لا يتلوى ليصح تشبيهه بالأفاعي » . وصدقتني أنني أعجب ممن يتقدم الشاعر وليس عنده أية دراية بطبيعة الصور الخيالية في البلاغة . وليسأل أي تلميذ بالمدارس الثانوية هل يمشي القمر على الأرض حتى نقول عن الفتاة الجميلة مثلا : رأيت قمرا يمشي على الأرض . ألا يعلم أن الصلة بين الطرفين في التشبيه لا يشترط أن تكون من كل جهة بل يمكن أن تكون كذلك . ثم من حيث الحقيقة لا يحيط الشوك بالوردة أو لا يتلوى حين تحركه الريح لأنه موجود في القصص الذي فيه الوردة . ويتصل بهذا أنه لا يريد أن يتصور وجود الأفاعي في الوديان كما قلت على لسان الوردة :
فبئس تشبها عنه
نحو وادبها البعيد
وكان يريد أن يقول :

فبئس تشبها عنه
فبئس تشبها عنه
فهل يعرف السيد القارئ معنى الوادي في اللغة وهل ينكر أن الأفاعي توجد في الوديان كما توجد في غيرها ؟ ثم لو فرضنا جدلا أن الأفاعي لا توجد في الوديان إلا يعرف وظيفة الخيال في الاستعمال اللغوي لا يقال وادي المناسيا ووادي الجن ووادي عبقر .. فإين يوجد وادي عبقر مثلا؟ هل يوجد هذا الوادي ؟ وبعد ذلك فإن الفرق بين تعبيره التصويري وتعبيره الجامد التقريري هو الفرق بين شاعر يملك الحس الموسيقي ويعبر بالصورة الموحية وقارئ في مستوى السيد محمود توفيق .. »

ودارت الأيام .. حتى طلع علينا عبدالصمد خاتقاه المحامي بمقال نقدي آخر عن ديوان الشاعر ، غير أن إبراهيم نجا أكر الصمت ، ولم يرد عليه ..

من أمنيات إبراهيم نجا أن لو كان مقر عمله في بغداد لا في كركوك ليندو على مقربة من الحركة الفكرية بها ،

(١) أرجو أن أفرغ مقالا عن « أثر كركوك في شعر إبراهيم محمد نجا » .

(٢) انظر كتابي « شخصيات من الأدب المعاصر - ١٩٧٠ »

(٣) انظر العدد ٦٦٦ - ٢٩ - ١٩٦٦

(٤) انظر العدد ٦٤٧ - ١٢ - ١٩٦٦

(٥) انظر ديوان (النيات للحب) لإبراهيم محمد نجا .

المباراة بكل جوارحه ، وهي تنقل من القاهرة تارة يطمع شفثيه بممرارة ، وتارة أخرى يرسل التعليقات على علائها ، وتارة تالفة يتسم كالانفصال الابرار ...

صدرت لابراهيم نجا اربعة دواوين شعرية في حياته تلك هي : (حياتي ظلال) و (ايام من عمري) و (الحياة الحب) و (اغنيات الحب) . وهناك ديوان خامس اخبرني صديقنا المشرقة الدكتور عبده بدوي بأنه سيصدر من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ولا ادري لتوي ما حل به ؟ ثم اعرف ان ابراهيم نجا قد اعد وهو بكر كوك رسالة عنوانها : « نظرات في شعر العقاد » لينال بها درجة الماجستير من جامعة الازهر ، كما وضع في خطته كتابا اطروحة عن « ابي ماضي شاعرا .. » ليحزب بها درجة الدكتوراه ، والذي لا يمكن نسيانه ان ابراهيم نجا كان فرحا في اخرايا ايامه لقيام مجلة باكتسابية بترجمة عدد من قصائده الى اللغة الانكليزية الى جانب قصائد معاصريه من امثال : عزيز اباضة . صالح جودت . عبده بدوي . مصطفى حجازي . صلاح عبد الصبور . كذلك كان فرحا لقيامه هو بترجمة بعض قصائد الشاعرة الاذاعية سلوى حجازي من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية (٥) ..

وما لم ينشره ابراهيم نجا كثير ، منه الاشعار والابحاث والاقتباسات المنتشرة في الصحف والمجلات ، اضافة الى ملحمة الشعرية التي تسرد غزوات الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بعنوان « العودة الى الماضي » عسى ان يتاح لهذا كله مجال الطبع والدبوع في يوم ما ... بانتهاج السبينة الدراسية ١٩٦٦ - ١٩٦٧ انتهت مدة انتداب ابراهيم نجا ، وعاد الى القاهرة قبيل هزيمة حزيران المنكرة ، تحوطه عواطف اصدقائه ودعواتهم ...

وعين بشانوية (بليغ) بهيها وهي مركز قضاء محافظة الزقازيق ، تبعه عن القاهرة مسيرة ساعة ونصف بالقطار السريع . ان هذا التعيين قد اثر في ابراهيم نجا مسن الناحيتين الفكرية والنفسية تأثيرا كبيرا ، فهو مدرس اول وخدماته طويلة ، ثم مريض بالقرحة في الاثني عشر ، فحجته (العاصمة) لا (القضاء) . من هنا كان متعبا ومتلا تالما اسلمه الى مضاعفات ، حتى ادركه يوسف السباعي فنقله في الفصل الدراسي التالي الى مدرسة ثانوية (شبرا) (البنات) بالقاهرة ..

ويوم زرت القاهرة في شباط ١٩٦٨ لم استطع ان اراه الا في يوم الجمعة المصادف التاسع منه ، اذ يعود فيه الى اهله وذويه بعد قضاء اسبوع واحد من التدريسات والمتابع المتصلة .

وعلى اسلاك الهاتف ، قال وهو يرحب بي ، ساعة وصوله :

كيف الطفلان (هيام) و (عصام) ؟؟

— ما شاء الله ..

وليتصل بمن يرغب من ادبائها وشعرائها مشاركا واباهم في افانين الحديث والحوار والسجال . لكن هذا كله لم يمنعه من استغلال اوقات الفراغ والمطلات الرسمية للسفر الى بغداد ، حيث كنا نخرج معا بسيارتي الى زيارة من نشاء من هؤلاء ، وقد تعرف الى الكثيرين ، منهم محمد بهجت الانري . جعفر الخليلي . حافظ جميل . الدكتور صفاء خلوصي . ناجي جواد . خالد الشواف . مجيد حمد النجار . سالم الالوسي . عبد الحميد الحارثي . مثنى محمد نوري . عبد الخالق فريد . حارث طه الراوي وغيرهم .. وفي احدى جلساتنا بدار حافظ جميل طلب اليه ان يقرأ اخر قصيدة له واذا بصوته الحنون ينساب عبر سكون الليل :

شهران .. يا احلام عمري .. يا رفيقة الصبا
ما قبلت عيني وجهك الحبيب ... الطيبا
ولم يعاقب سمعائي صوتك المحببا
ولم اقل عن كل ما قدمت لي : ما اطيبا

شهران .. ما سمعت فيهما تحية الصباح
اذا بدا في عشنا طير مزقزق الجناح
ولا تحية المساء والمساء ساحر الشواح

وما تمالك حافظ جميل ، وهو الضنين بالثناء الا على الجديدين به ، الا ان يبدي منتهى اعجابه بهذه الصورة الشعرية الموحية ، بانوار اكثر انسحابا على واقع النفس والوجدان .

وفي العام الدراسي الجديد كان ابراهيم نجا قد حصل على وعد من وزير التربية والتعليم يومذاك عن طريق احد اصدقائه الشعراء ، بنقله الى مركز بغداد ليستشرف بنفسه تيارات الفكر والشعر ، بيد ان خروج الوزير من الوزارة حال دون ذلك ...

اعرف ان لابراهيم نجا قصائد مغناة ، منها « يا خالق الكون » و « دعاء » لحنهما كمال الطويل واداهما غناء عبد الحليم حافظ وقائدة كامل ومنها « موكب النور » .. هذه التي لحنها عبد الحميد توفيق زكي وغناها كارم محمود ، علاوة على مقطوعات اخرى تغنيها له فائزة احمد ونجاة الصغيرة ..

لقد كان ابراهيم نجا ميلا الى اغاني عبد الوهاب وام كلثوم ونجاة الصغيرة بشكل ظاهر ، وحين يستمع الى اغنية لهؤلاء ، يخلق في اجواء الخيالات والتصورات ، تفرقه نغمات عائرة ... ذات يوم كان مدعوا مندي وارادت ان اسمع اغنية « الحب والشوق » لنجاة الصغيرة وقد اعجبت بها انا الاخر ، فعندئذ وجدت ابراهيم نجا قد فقد الاحساس بالاشياء من حواليه ذاهلا عن واقعه ، فقلت له : ما بك ؟ قال : دعني اسم .. ارتفع الى الدرر بلا اجنحة وهو يردد : الله ... الله ... !

وفي لعب (الكرة) كان ذا نزعة (اعلاوية) وطالما وابته في غرفته في الفندق مشدودا الى المدياح ، يتناسع

الياس

تشيع الضياء في ناظرها
تنشال بين ... يديها
مواتا أعدته لسي حيا
في ظلها المديد مليا
نقما حبيب الحياة اليها
انت يا بسمة على شفتيا
نداء مجيبا ... عبقرها
واحلى ما في الوجود لديها

عبد الله الشيخ

انا اهاوك ومضة في دجى العمر
فارى الكون باسمها والاماني عذابا
وارى عيشي الجديب وقد صار
انا اهاوك واحة يستريح القلب
عطرها المستسر بين ضلوعي
انت يا فتنة الفوائد المعنى
انت ومضى الرجاء في عتمة الياس
انت اغلى ما يبهج القلب في الدنيا

البحرين

المؤرخة بالثالث والعشرين من نيسان ١٩٦٧ : « ولكنني قدرت ان اتابع الدقة في نظام الاكل لن يتيسر الا في كركوك وانا الان اقضي فترة حاسمة للعلاج في القرحة ولهذا فضلت البقاء في كركوك مضجيا بما كنت سأسعد به في بغداد » . ويقول في رسالته الواردة الى من القاهرة والمؤرخة بالعاشر من آب ١٩٦٧ : « فقد كنت في ابامي الاخيرة التي قضيتها بالعراق اشعر بشيء قليل من وطأة المرض ولكنني كنت اتمسك ظاهريا بخشية ان يعوقني المرض عن الوصول الى القاهرة ولهذا فاني لم اكد اصل الى منزلي حتى ذهب هذا التماسك (فقدت اشعر بوطأة المرض شعورا كاملا وفي منتصف حزيران على وجه التقريب راجعت الطبيب فاشار بالراحة المطلقة بعد ان حدد نوع العلاج » .

بينما يقول في رسالته المؤرخة بالربع من ايلول ١٩٦٨ وهي آخر رسالة تلقيتها منه - : « فقد سافرت انسا واسرتي بعد انتهائي من اعمال امتحان النقل في آخر مايو الى مدينتي دمنهور لتوكل صحتي بعد المجهود المتواصل طوال العام الدراسي ، هذا المجهود الذي اثر في صحتي تأثرا سيئا ، ولهذا اشار علي الطبيب المعالج بتغيير الجو مع مواصلة العلاج » .

وانقطعت اخبار ابراهيم نجا عني... وفي يوم ٣١ - ٥ - ١٩٦٩ مات الشاعر الرقيق . سكت قلبه الى الابد... .

حيث شيع جثمانه وفن في مدينته (دمنهور) ودعاه الدموع والحسرات... . وكان موته بالنسبة الى مفاجأة وصدمة نفسية . انه ابكاني وابكاني... ولكن !! ؟ عليه الرحمت السابغات... .

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

وبراءة الاطفال الذين تنشرح سرائرهم :

- (كمان) ايام .. ؟

- تقبل يدك ..

- انت مدعو من صبيحة الغد عندنا حتى المساء ؟

- آسف لارتباطي في الساعة الثانية عشرة بموعد مع

محمو تيمور حيث ياتيني الى الفندق الذي فيه اكل . وفي

الساعة الرابعة بموعد آخر مع نجيب محفوظ حيث نلتقي

في مقهى (ريش) ..

- وهو كذلك... .

وجاءني في الموعد المضروب وكنت اتحدث الى نجيب

محفوظ ، اذ تجدد بينهما التعارف ثم جلس بنصت الى ما

انقطع من حوار .

تفارقنا بعد العشاء .. وبعد الجلوس بعض الوقت

في قهوة تطل على ميدان ابراهيم باشا بالقرب من دار

الاوربا... .

وقبل ان نتبادل واياه القبلات الاحوية رجوته ان

يرسل الي قصيدته الوجدانية التي لم تحوها دواوينه

المنبوعة مستنجزا سابق وعده اباي ، والتي مطلعها :

كل قيس مع ليلى قد طواها

ومعي الاحلام لا شيء سواها

فوعدي خيرا... .

كان ذلك لقاءنا الاخير .

لقد كان ابراهيم نجانا سانا رقيقا... لطيف العشرة .

مرهف الحس ، في مزاج عصبي لا يظهر عليه غالبا . انما

كان يكظم غيظه ويدفن مشاعره الا اذا همزها همزات حادة

لا ترحم . كان يشكو الاعياء والقرحة في الاثني عشر مما

فرض عليه نظاما صارما في الاكل والشرب وتعاطي انواع

معينة من الادوية والعقاقير... . ها هوذا يقول في رسالته



عاشرت الناس على اختلاف طبقاتهم ودرست اخلاقهم ، وتغللت الى مكائن اسرارهم ، فلم ار اقلل دما من ثقل الدم . واسو اني حلت في مدينة تضم فندقا ذا غرفتين يحتل واحدة منها لص ، ويسكن في الثانية ثقل ، لركضت الى الاولى آمنًا مطمئنا ، فاللص يسرق ما عندك مرة واحدة ، وينتهي الامر . اما الثقل فيسرق هياك دفعة دفعة . فيتعكر مزاجك ، ويختل جهازك العصبي ، وتنتابك الامراض المستعصية ، ثم تقضي نحسك مغموما .

وثقالة الدم - ككل ما في الحياض لها اصول وقواعد واعراف . ولكن بعض الذين يدبون على اثنتين لا يريدون ان يفهموا هذه الحقيقة . داب هؤلاء ان يكونوا ثقلاء وكفى . وثقالة الدم - ككل ما في الحياة - انواع . انقلها التي بحسب المرء انها خفة . ووالله ما ادري على الرغم من بحثي المتواصل اذا كانت هذه النعمة ثقالة الدم - تولد في المرء كالشعر ، او تورث كقسمات الوجه ، او كتكتسب ... والذي ادريه ان الدنيا تعج ب هؤلاء الافاضل ..

وانا ، ايها القارئ ، وائق انك ستستعرض وجه اصحابك واعمالهم لتضعهم في الطبقة التي هيأها لهم الاقدار ، ولما كان الاقربون اولسى بالمعروف ، فنصيحتي لك ان تبدأ بنفسك .

لا تنصل من المسؤولية . لو لم تكن انت ثقيلا لما سودت انسا هذه الصفحات واسمع الايضاح : انك قارئ ، وللقراء على عهد بان اقدم اليهم بين الحين والاخر عصارة تفكري . فاذا تقاعست ، شعرت بتقصيري . وكان في مكتبي ، لولاك ، ان اصرف الوقت الذي يقتضيه تجبر مقالتي ، بطلا مرات . فمادام تسمي مطالبك المعنوية اياي بان اهدي اليك بنات دماغي ؟

وانا مثلك ايها القارئ ثقيلا . اني اكتب هذه الصفحات لك ، فانت مرغم على ان تقرأها ، مهما كان لديك من مهام ، ولو لم اكتبها ظلت فارغة ، ولمرت بها مرور الكرام . وما احلى بضع صفحات بيضاء في صحيفة او كتاب . فمادام تدعو اذن حلمي اياك على قراءة مقال ، كان في امكانك ان تصرف وقت مطالعته بطلا مرات . واصبح ما قلت سابقا : انسي خرجت من دروسي المتوالية بهذه النتيجة : ان ثقالة الدم قضية قطعية جدا . ولكن لا تخف ، مهما كنت ثقيلا .

ان الله سبحانه وتعالى الذي يبدع السم سكب في عقل المرء ذكاء ليخترع الترياق .



http://Archivebeta.Sakhril.com

بقلم الياس قنصل

اذا ابتلاك الله بثقل ، وازدت ان تتخلص منه ، فما عليك الا ان تكون اقلل منه . وهذه مسألة سهلة عليك كما اظن .

كنت مسافرا في داخل البلاد ، وكان رفيقي في غرفة النزول رجلا لا اذاقه الباري لصديق ولا لعدو فما كدت اغفو بعد ان عاجلت نفسي كعادتي معالجة طويلة ، حتى ايقظني ليسانتي عن الساعة . وعاد ، بعد لحظات ،



الى ايقاظي ، ليسانتي عما اذا كانت ساعتني مضبوطة . ولم يتورع عن ايقاظي ، فالثقة ، ليخبرني ان ساعته مقصرة عن ساعتني اربع دقائق . وطلع الصباح . وذهب ليفسل ، وجهه . فتناول جرة الماء وصببتها على فراشه ، وخرجت .

ولا تحسب ان هذا الدواء بسيط ، كثيرا ما تضطر الى اجهاد فكرك لتركب تفاصيله ، وهو سيف ذو حدين اذا لم تحسن استعماله عاد عليك وبالا ، والوبال ان يشترعك انك ثقيلا .

من معارفي - رجل لا أعلم بالضبط متى بدأت علاقاني السطحية به ، فقد كنت اراه مرة او مرتين في الشهر فاحبيه ويحييني ، ويمضي كل منا في سبيله . وكنت راضيا كل الرضى عن هذه الصداقة الناهية ، ولكن الدهر الذي لا يروقه ان يتجرع المرء كؤوس الهناء صافية ، ابي الا ان يعكرها علي ، ورجائي تعكيرها ، لاسا دعوة من الرجل الى زيارته في بيته ، وما برح يلح علي الى ان رضيت ، وابدئي من ضروب الإضافات الحصنة ما حلمني على شكره .

وتناهضت لرداعه ، فقال لي : - لقد كلمت قريبتي عنك مرارا وعن موهبتك الخطابية ، فاعجبت بك مثلي ، فتكرم والى خطابا امامها لتتناكد اني لم اكن مياثلا . - فقلت له : - ما من مناسبة للخطابة .

- قال : - لا بأس ، اي خطاب كان . - فقلت : - ان قرينتك بولونية الاصل ، وهي لا تفهم اللغة العربية ، وانا لا اتمكن - خطابة - الا بها . - فقال : - لا بأس ، اخطب بالغة العربية . ان كثيرين من الذين يصفقون لك لا يفهمونك . - قلت : - اعذرنني فاني غير مستعد لهذه المفاجأة الجميلة ، وانا فتى احد خطبي اعدادا طويلا .

شقاء

يموج بالعطر والانوار والنغم
احسنت حبك في روحي وروى دمي

باقر سماكة

شقاء يا علا قد كنت اجهله
لما اطل على قلبي بنتنته

بغداد - ص. ب ٤٦٧

ولم اتخلص منه تلك الليلة
الا بعد جهد جهيد . وخرجت من
الدار وانا اشكر ربي ، عاقدا نيتي
على ان اقطع حبال صداقته الراهية .
وزارني بعد اسبوع ودعاني من
جديد الى بيته . فرفضت . فقال:
اني باق عندك هنا الى ان تقبل
دعوتي . ونفذ تهديده . وظل نسي
داري عشرين يوما . ووعده اخيرا
بزيارته لانتخلص منه .

على اني هذه المرة اتخذت
الاحتياطات اللازمة ، ورغبت من
عشرة اصديقاء ان يرافقوني ، ففعلوا
ولا انكر : كان الطعام لذيذا .
وانتهينا منه عند نصف الليل تقريبا
فتقدم مني ، وقال :

— ان قرينتي تريد ان تسمعك
خطيبا .

— قلت : — لبيك وليها ، غال
وطلب رخيصا . من عادي ان افتح
الابواب والنوافذ ، لاني احب ان
اتنشق الهواء الطلق ، وانا اخطب .
ففعل .

وجمعت كل ما وهبني الله من قوة
في حنجرتي ، وبدأت اخطب . وكان
اصدقائي عملا بأشارتي ، يصفقون
بين العبارة والاخرى ، ويهتفون هتافا
عاليا .

وظال خطابي . والحق انه لم
يكن خطابا وانما كان صراخا عاليا
موضوعه « على الدنيا ومن فيها
السلام » .

وسمعت حركة الجيران ، ووصلت
الي عبارات التذمر . وطرق الباب .
فذهب صاحب الدار ليفتح . وانا
ماض في خطابي ، واصدقائي نسي
الهتاف . وسمعت جلبة على الباب .
فلم ابال بها . وسكنت الجلبة بعد
ربع ساعة ، وانا لا ازال اخطب ..
والى القاريء ما جرى مختصرا :
طرق الجيران الباب ، فذهب صاحب
الدعوة ، فطلبوا منه ان يكف عن
الضجة التي يقوم بها ، او ببساطة
اصح عن الضجة التي اقوم بها انا
واصدقائي ، فاستجى ان ينهني ،

الروسيا ما تصبو اليه من ارب ؟
فانكفيت بان هزرت رأسي هزة
النفي . ولم يعبا بجوابي الجاف ،
ففتح كمي ونفض رمد لغافته فيه ،
وقال :

— ما راك يا استاذ في الازمة
الوزارية في يوغوسلافيا ؟

فلم اجب . وحسب اني لم انتبه
اليه ، فبسط اصابعه ، وربت كففي ،
فشعرت كان هزة ارضية ترض ما
في هيكلي من ادوات لازمة للحياة
كالقلب والرئة والكبد وغيرها .

وحان تطبيق الدواء . فالتفت
اليه ، وقلت :

— ما اجمل هذا الزرد كم ثمنه ؟
وشدته من عروته ، فقطعت

ثلاثة ازرار من معطفه .
فاجاب ، وقد تضايق شيئا :
— ثلاثة الاف .

وحذقت الى جيبه ، فرايت قلما
مدادا ، فانتشلته ووضعته في جيبني
قائلا :

— انت لا تحتاج الى هذا القلم
كما افتر انا اليه ، فشكرا لك ،
ساحفظ به تذكارا ابديا منك .

فلم يفه بينت شفة . ولكنني لم
اتركه ، فنكرته بقبضة كمي ، وقلت:
— ارجوك ان تكتب لي عنوانك

لاطلب من جميع اصدقائي الصحفيين
ان يوافوك بجرائدهم لتشارك فيها
فوقف ، وقال : — الى اللقاء يا
استاذ ، لقد غلبتني ، لعن الله من
يقول انك خفيف الدم ...

عاصمة الارجنطين الياس قنصل

فانتهره ، فاجابه بقسوة ، فقابلوه
بالمثل ، وتقدم منه احدهم ، فصفعه ،
فانبرت امراته لتدافع عنه ، وتبول
الضرب بينهم واللكم والركل والعض
والنهنش ، وكانت معركة لا تختلف
عن المعارك الفاصلة في التاريخ الا بان
خططها بيتية مرتجلة . وجاء الشرطي
فساقهم جميعا الى دائرة الامن
وانتهيت من خطابي ، فاغلقت النوافذ
والابواب ، وتوجهنا الى بيوتنا .
والتيقظ بالرجل بعد ايام ، فاذا
بنصف وجهه مغطى بالمصائب
البيضاء ، فبانني نحية خفيفة ،
واسرع منعدا عني .

وهالك حادثة ثانية : نحن في قاعة
ناد نشرب فنجانا من القهوة بعد
حفلة اجتماعية ، وجاري رجل من
اثرىاء الحرب ، يدل عليه السزرد
الذهب ، الذي يعترض صدره ، كانه
الجسر تمر عليه الماشية . ومال علي ،
وتكر صدري بكوعه ، فكاد يحططم
اضاعي ، فابتسمت له منتظرا
اعتذاره ، فلم يفعل كان صدري مما
ربعه زمن الحرب بالمضاربة ، فهو
يتصرف به كما يريد ، وقال :

— ما راك يا استاذ ، هل ترخص
اسعار الحنطة في اوربا ؟
فاجبت : — كلا

وظننت ان تشوفني تحول مسابرتي
الى غيري . ورشف ما تبقى من
فنانج القهوة ، ثم قلبه على قفاه ،
فاسكت ثقلته على معطفي ، وقال
دون ان يبدو على وجهه اقل اثر
للخجل :

— ما راك يا استاذ هل تحرز

الوحدة النشر فحسب ، كما هو معلوم ، ولكنها ، إذ تقوض هذه الحواجز المؤذية الكريهة التي أقامها الاستعمار بين قطر وقطر ، ستضفي على الوطن العربي كله قوة وخيرا لا حدود لها .

والأرجح ، على هذا ، أنه لو لم تقم وزارة الاعلام الأردنية بطبع مجموعة الأستاذ ملحق لما رأت هذه المجموعة النور أو شيئا منه . وحتى في هذه الحالة ، فإن الوزارة تخرج اعدادا محدودة في طبعة واحدة يقتصر نشرها على جهات معينة وعلى السوق الأردنية . فإذا نشر المؤلف انتاجه على نفقته لم يجد في السوق وحدها الاقبال الكافي للعمل على النشر ، ومن ثم العمل على الانتاج .

لذلك اجدني ، وأنا اتحدث عن قاص اردني موهوب مثل امين فارس ملحق ، انما اتحدث عن قاص لا تعرفه الاقطار العربية الاخرى ، او تعرف قليلا جدا عنه . واكاد اجزم بان القارئ العربي الكريم خارج الاردن لم ير الانتاج الذي اقدمه له ، وأنه في الأرجح ان يجد انتاجه في سوقه العربية ، التمس سبيلا الى ذلك او لم يفعل .

اما المجموعة القصصية التي تقدمها فقد صدرت تحت عنوان « ابو مصطف وقصص اخرى » . وتتألف من اثني عشرة قصة موضوعة بنيف طول كل منها على عشر صفحات من القطع المتوسط . والمجموعة كلها ١٤٥ صفحة . وهي المجموعة الثانية لهذا القصصي الهادف الذي يعرف ما يريد ويتدر موضع اقدامه .

وقد مهد لها المرحوم محمود سيف الدين اليراني ، فقال ان الأستاذ ملحق « يكتب الكثير في غير القصة ، فهو يترجم وينسخ المقال ، ويبحث في شؤون التربية والتعليم ، ويمارس كتابة المسرحية الاذاعية ، ولكن هوى قلبه وقلمه مع القصة » . وهو قول يصف الأستاذ ملحق وصفا دقيقا .

وقصص ملحق من النوع الواقعي الحديث ، فالكتابة تعكس واقعا خبره الكاتب بنفسه ، والحركة ابداع صادق لما دار ويدور في فلسطين والاردن . وهو في هذا يعتمد على ممارسة اهانته عليها مهنة التعليم التي تنقل بسبب منها في ربوع القدس وفلسطين والاردن جميعا ، وبخاصة في اوساط التاثيرين والاجئين والفقراء والمساكين .

فإذا اقتربنا الان من القصة الواحدة عند ملحق ، فالقارئ اعلم بما في دراستها او نقدها من مشقة . ان القصة كالألحان الموسيقي ، اما ان يرضيك او لا يرضيك ، وقلمنا تستطيع التحليل ، او يكاد التحليل يفسد المذاق . وواضح من مقدمتنا الطويلة ان قصصة الأستاذ ملحق ناضجة جميلة . وقد تجد قصة او اخرى تشبهه عن القامدة ، مثل لحن المايسترو الذي لا يروك . وسنتناول هنا النعصر السائد في القصة او جوها الرئيسي لـم الاسلوب ثم الهدف .



محمد اديب العامري

الفن القصصي عند امين فارس ملحق

بقلم محمد اديب العامري

تراودني وأنا اقدم هذه المجموعة القصصية ، التي اخرجها السنة الفائتة الأستاذ امين فارس ملحق ، فكرة حول النشر الادبي البينة بعض الشيء ، ولتقي بنقلها على كواهل الادباء الاردنيين اكثر مما تلقي به على كواهل غيرهم من الادباء العرب ، اللهم الا ان يكون ذلك متعلقا بدون عربية ناشئة لا نعلم كثيرا عن الوضع الذي يسودها في الكتابة والنشر .

فالاديب الاردنسي يعاني محنة قاسية في نشر ما ينتج ، لان الرقعة ضيقة ووسائل النشر الاردني محدودة . وما يتم من النشر عن طريق القاهرة او بيروت لا يتاح لكل كاتب مستحق ، الا اذا كان واسع الشهرة وطيد الاركان . وإذا اقتصر نشر الانتاج الاردني على النطاق المحلي فان التكاليف تحول دون مجازفة لا مناص منها لـمكتفين تقصر مواردهم عن النهوض باعمالها .

والذي اعلمه ان المحنة ذاتها تقف في وجه الكتاب العرب في كل مكان ، ولكنها فيما الممت اشد وطأة فسي البلدان العربية القليلة القراء والسكان . ومن هنا يخطر بالبال ، كما يخطر في مجالات كثيرة اخرى ، ضرورة العمل الدائب لانتاج الوحدة العربية الشاملة ، او شبه الشاملة ، او المراحل الاولى منها على اي حال . ولن تصيب فائدة

التصاق القاص بنفسه بارضه لما برع في الوصف هذه البراعة او بلغ الاثر الذي وصفنا .

اما اسلوب القصص وحكيتهما فللكاتب فيها استراتيجية خاصة تكاد تكرر في كل قصة . اذ هو يلقي اليك في مطلع القصة برواية مكتنزة لها ولعنائها ، فاذ هي كلها تحت بصرك في خلاصة تشدك اليها منذ اللحظة الاولى ، كالصاروخ الذي يشور ويزار ويرتفع يناره ، ثم يمضي في مساره . باب يفتح ثم يفضي بك الى داخل البيت لترى تفاصيله . . تفاصيل البيت . ثم تتسلسل الاحداث واحدا بعد الآخر في نسق طبيعي مطرد . فاذا صادفت في الطريق مفاجأة او استثناءا للعرض جاء ذلك سائفا لا تحس فيه نبوا ولا شذوذا .

واما الكلمات التي ينظم منها القاص لغته فتنتليق بشكل عفوي لا تكلف فيه ، وتنزل الكلمة في مكانها احيانا كثيرة تنزيل المحار من صنعة الحفار . وينساق من ذلك الى اللغة العامية او ما يجاورها فلا يتردد في الانسياق ويؤدي الاستطراد الى عمق في الاداء وابطاح للقصد يلد للقارئ ، فابو مصطفى عمل ايام « السفر برك » . « والاب رجل « جده » ، وابنه احمد » وبقته تشف !

وتختلط بالسرد الجدي نبرة ساخرة تهكمية احيانا تكاد تحملك على الضحك في مواقف محرجة خير مما يعرب عنها فولك « شر البلاء ما بضحك » .

وليس مع المفاجأة او الانعطاف اللذين اشيرنا اليهما « عقدة » حقيقية في الحبكة . وهي العقدة التي تحمل القارئ على الابتغسال في المطالعة والتي يرى بعض القاصيين ان في الالتزام بها تصعلا لا مبرر له . بل الامر هنا على العكس ، فقد يسترسل القاص في الوصف احيانا ، واحيانا قليلة ، حتى لا يترك لك مجالا للتفكير او الاستنباط .

ولا يستعمل الاستاذ ملحن التنقيط القصصي الذي يحفظ كلام المتحاورين من الاختلاط ، وان كان الواقع ان الاسلوب لم يؤدي الى الارتباك او تشوش .

وقد اصبح هدف القاص او هدف المجموعة واضحا في الغالب مما اردونا تحت ملاحظتنا عن العناصر السائدة فيها ، وهو هدف وطني واجتماعي بناء في غير وعظ ولا ارشاد . انه يمس شغاف قلبك فترضى عنه كل الرضى وتنساق معه كل الانسياب . ولكن في الحقيقة لم اجد ان قصة « شعوع العمر » التي ينهل فيها من مرضه شيخ طاعن في السن على صورة نوحى احداثها بانه رد الى ارذل العمر ، فتنتظم شعوعه وتنتهي حياته . لم اجد ان لهذه القصة مكانا في خضم القصص المتفجرة التي تحيط بها من امام ومن خلف .

وبعد فاذا اردت ان تعرف قضية فلسطين بشعورك واحساسك ، فاقرأ « ابو مصطفى » .

اما العنصر السائد في معظم القصص فهو الصور المؤثرة للزغات الوطنية المتأججة في نفس الشعب والدعوة غير الموجهة التي تمثل هذه النزعات . ومحاربة الفقر عنصر اخر سائد في المجموعة . وكان هذا الهدف موجها بصراحة في مجموعة ملحن الاولى « من الواقع » ، التي اورد فيها كمقدمة قول اوسكار وايلد باننا « كلما حاربنا الفقر اتقنا كرامة الانسان » . وفي سبيل هذا يستند القاص الى نورات اللاجئين وهبات الشعب الفلسطيني لمقاومة الاستيطان الصهيوني والانتداب البريطاني قبله .

وتسود المجموعة العناصر المتملقة بالاشخاص والاحداث والاجواء التي تتحرك فيها الاشخاص وتقع الاحداث . والقارئ يخرج من هذا جميعا مليء الجوانح بشعور المشاركة في الثورة على الاستيطان والاستعمار وضرورة الاصلاح الجذري للمجتمع العربي .

ومن خير ما يمثل الاشخاص صورة الكهل ابو مصطفى نفسه ، صاحب المواقع البطولية التي خاض غمارها منذ العهد التركي ، والتي ظل يرونها ويعمل بعضونها حتى سقط شهيدا في معركة شعبية ضد زحف العدو الصهيوني في موقعة « الزقاق الضيق » التي اقتدى بها سائر اهل الحي الذي ينتمي اليه ، داحرا وحده العدو الذي كان يهدف الى تطويق الحي بحركة التغاف من ذلك الزقاق .

وثمة شخصية حياة البلاسة المعلمة التي تشترك في الدفاع عن دير ياسين الشهيرة ، ثم احمد الصبي المناضل الذي يشترك في مقاومة الاحتلال ، وشخصية جاد الله الفتى الذي يجود بنفسه دافعا عن وطنه فلا يجد اهله له اثرا الا صرة للابسة يحتفظ بها المستشفى لمن يسأل عنه من اهله ، وشخصية ابو شحادة الذي يهيم حبا بارضه الخاصة في فلسطين ويزيتونه هناك اكثر من حبه رقد العيش في اميركا المترفة عند ابائنه الذين لا يفلحون في رده عن العودة الى وطنه والذين ربما احب الارش والزيوتون اكثر منهم ، فيترك لهم حسب رغبتهم صرة صغيرة من تراب ارضه كان قد حملها معه ، ثم يعود .

وعلى هذا النمط من حيث الشخصوس وبيئاتها واجوائها تسري كافة القصص ، الا قليلا ، فتزهك من الاعماق كثيرا وتستند الممع من مينيك احيانا ، ولولا

اشتركوا في مجلة

الاريمب

ساهموا في نشر الثقافة

النقد والغربة

بقلم كعدي كعدي

النقد لغة هو تمييز جيد الدراهم من رديئها و اظهار ما في الكلام من عيوب ومحاسن . والغربة تنقية الجيوب من الزؤان ويقلب استعمال النخل للديق والغربة للحبوب ومنه المثل : « من غربل الناس تخلوه » .

والنقد والغربة فنا هما اصلاح الخطأ والفساد وتكوين الاعوجاج وازالة الاوهام والباطل والاضاليل والسير بالانسان في معارج الخير والتقدم والجمال الى ذروة الحقيقة والكمال ..

كل ما في الحياة يرمز الى النقد والغربة ، الا ترى الى الطبيعة كيف بثور شتائها على ما اجثت من فساد صيفها فيبعثه الربيع ازهار تتلألأ ابتسامات على نفور الحدايق والحقول ؟ والى الصيف كيف يحول وحول الشتاء وهزير الرباح وهزيم الرعد الى خيرات تملأ الاهراء ونسمات بليلة تمنعش الارواح ؟ والى السحاب كيف يحول ماء البحر الاجاج الى غيث قراح ينسكب على الارض فيكسوها من البهجة والجمال حلاا قشبية ؟ وهل سنة التكرار التي تجري عليها الحياة الا تصفية الصالح من الفالح ؟ وهل ابنت ارض محجرة شائكة قمحا لو لم تمتد يد الزارع الى تنقيتها من الحجارة والاشواك ؟ ام هل اعطى بستان ثمرأ صالحا لو لم يعمل البستاني مضغ التشذيب في ما يبس من اغصانه وما نخر السوس ؟ اوليس الزمان اكبر مغربل فكك سقطت تحت غرباله ملايين من زؤان البشر وكم سقطت اعوام وقرون واجيال تحت غربايل جابرة الروح ؟

فالنقد سنة لا سبة . بقدر سمو النقد عن التجريح والتقريع والتحقير والتخجير يسمو النقد والناقد والمنقود .. الناقد كالرأه الصافية يعكس حقيقة المنقود كما هي فلا تجريح يجعل الحسنه سيئه ولا مدهانة تجعل السيئه حسنة ولا جبن او جهل يغلخان هالة من المجد على رأس طاقية مستبد ، ولا قوة غاشمة ترفع لثيما الى عرش كرامة ..

عظمة النقد ان ينتقد الانسان نفسه فمن في عينه خيبة لا يرى القذى في عين اخيه . الناقد مدرسة الناقد المنقود والقارئ ، فالناقد يجعل الحقيقة محجته فتزد عنه سهام النقد ، والمنقود يعرف خطاه فيصلحه ، والقارئ يتخذ من هذا وذاك درساً يجنيه الاخطاء والاغلاط .

لغات النقد الجرأة والحربة والشجاعة وسعة الاطلاع والثقافة والتجرد والنزاعة فاذا اصبحت الافكار والاقلام والالسن بالمرض الجبن والخوف والجهل والرهبا اصبحت الحقيقة باعضل الامراض ، وامة تعتل حقيقتها تعتل وهل اعل الشرف غير الجبن والخوف والوهم ؟ ان امة تخلو من النقد تخلو من الحقيقة وامة تخلو من الحقيقة تخلو من الادب ومتى خلت من الادب خلت منها الحياة فنسودها الفوضى والجمود فلا خلص ولا ابداع ولا تجديد .

من ادعى انه فوق النقد كان اولى الناس بالنقد فالاستنكار غرور والفرور آفة الانسان .

ليس من التوبة والتضليل ان تنهم من ينتقد عليك ادبك انتقادا حقيقيا بانه دونك ثقافة والثقافة هي الحقيقة وكل ثقافة بلا حقيقة زيف ودجل ؟

الثقافة هي المعرفة والمعرفة هي مفتاح الحياة والحيات هي هي في كل زمان ومكان ابوابها مفتوحة لكل ذي عقل نير وفكر ثاقب شرقيا كان ام غربيا . الا ترى الى الامنام علي كيف كان وما زال ينبوعا يتدفق علما وعدلا وحرية ، والعجمة لم تعرف الى لسانه سبيلا ؟ الا تسمع صوتا مدويا في الارض بان الارض لم تعرف رجلا مثل عدل الله في الارض كائن الخطاب وهو لم يدخل جامعة لانه كان اكبر من الجامعة .

وايضا ابو ماضي لم يكن اجنبي الثقافة بل كان عربيا يدمه وروحه وقلبه ولسانه وقرن المشربين يباهي شعراء العالم بشعره . والقروي فخر العروبة وان تكن جامعات الترب اقبلت ابوابها في وجهه فان الحياة فتحت فسي روجه كوى الشعر افجاء شعره من الحياة وللحياة .

وماذا تقول بالياس فرحات الذي تقف نفسه بنفسه وشعره يزهو على اي شعر شاعر حمل اعلى الشهادات من اعلى الجامعات . الا ترى ان تمجيدنا الغرب ولغة الغرب واحترقنا نفوسنا ولغتنا كان سبب انحطاطنا وما زال ؟ فالناقد رسول الحق والحقيقة فهو ينشد حاكما

يعيا حياة الحق لا حاكما بتحكم بالحق ، ينشد رئيسا لا يتبع وفي رعيته جائع فيقول مع عمر بن الخطاب .. اخشى ان يموت جمل على شط القرات جوعا ويسألني الله عنه لا رئيسا يبعث شعبه جوعا ولا يخشى ان يسأله الله عنه .

ان لمن خير الامة ان يتناول النقد مجالات الحياة كافة فمن يحصر النقد في ناحية من نواحي الحياة كمن يحصر ضوء الشمس في بقعة من بقاع الارض ، الم يكن الدين قبل هدي الانبياء عبودية للريح والشمس والنار والهواء والطاغوت والاصنام والاوثان ؟ الم يكن الانسان في عهد الرومان وما قبله قنا يباع وبشري تبعا للارض بلا ثمن حتى اترفت اصوات محرري الانسانية مناديه ؟ ما لكم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

وصف سحابة

في صفحة الجوزاء من دعر
فلسك هوت في لجة الفمر
كجناح نسر حظ من وكر
خوف الخضم وزحمة القعر
كملاوة مطوية الستر
قسرا وترجي الشطر بالشر
يسوم الوغى من نشوة النصر
مثل الخضم بمسك وعر
طل هما من ريق الفجر
حوتا يزاحم لجة البحر
كمشرد في مهمة قفر
سالت مدامعها على التحر
واسترسلت عبراتها تجري
صد الحبيب ولوعة الهجر
وهنا لفرط وساوس الصدر

تطوى وتنشر دون ما ندرى
كالرياح تزجي السحب بالزجر
عبثت بيوحتها يد السدر
يسوما على حال من الدعر

عدنان مردم بك

عصفت بها الأنواء فاصطفقت
فكائها والرياح تزحجها
عابتها خفقت مصفقة
او كالشرع يرف من قلاق
ورابتها والليل معكر
والرياح تنشرها وتقضبها
خفقت كاعلام مفوفة
وتجيش في الافاق صاحبة
تنساب مثل الصل أخصره
واذا ارتمت في الافق تحبها
طوت الفضاء الرحب دون هدى
واذا حدا ركب الرياح بها
واذا تملكها الشجا شهقت
تبكي بكاء الصب اوجسه
او تملأ هتفت مطوقة

آمالنا سحب مشتتة
تجتاحنا الأيام ساخرة
لله آمال مروعة
لا تستقر كأنها كرة

دمشق

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ليس كالادب هاديا الى العدل فهو المحور الذي تدور
عليه الحياة فمن عرف الادب عرف الحياة ومن فاته الادب
فاته الحياة .

الادب ما يكشف النقاب عن الحقيقة حقيقة الانسان
حقيقة كل شيء والادب الذي لا يستقي ادبه من معين
الحقيقة افك ولو جاء بالايات البينات .

ليس كالتناقض دليلا على بعد الادب من الادب
فالذي تناقض اقواله افعاله وافعاله اقواله وحياته تغاير
ما يقول وما يفعل هو لام ادب وليس بادب .

اوليس من صميم هذه الفئات ذاك الادب الذي
يزهدك بالدنيا وقلبه في الدنيا والدنيا في قلبه ؟

فالادب ما ينبع من شخصية الادب لا ما يلتقط من
هنا وهناك فهو يسمو سمو الشخصية وينحط بانحطاطها
وذروة الشخصية ان يعرف المرء نفسه فيعرف ان الانسان
اخو الانسان واذ ذاك لا يرى انه ارفع من الاقزام ولا احط
من الجبابرة . هذا هو الادب والتأموس والتقد والنقاد .

كمدي كمدي

ليس من هذا القبيل ذاك الفنى الساحب ذيل
خيلائه على بني الانسان نظرائه الذي يكس الاموال
اكداسا وامواج الحاجة والفقر تتلاطم حول الفقراء
والمعوزين فتدفعهم الى الترامي على اعتابه والفرسة تصم
اذنيه عن اناتهم واصواتهم وعن صوت امام الانسانية
المردوي . « ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات
الفقراء فما جاع فقير الا بما متع به غني » .

وهل المتربع على عرش عاجي والناس من حوله
يتخبطون في دبابير الشقاء والمحن ولا يتحسسون
باحاسيسهم ولا يشاركون في آلامهم الا مثال صارخ
للاستعلاء والمستعلي عند الناس رجس في عين الله .
ان الانسان لو استجمع العلوم والفلسفات باسرها
ولم تؤده الى معرفة ان سعادة الانسان في اسعاد اخيه
الانسان وان العدل كل العدل في ان لا يريد لغيره ما لا
يده لنفسه كانت علومه وفلسفاته وبالا عليه .

العدل ميزان الله في الارض تحمله يد تقول مع
الخليقة : القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه
والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له .



عبد الرزاق الهلالي

شعراء من العراق

محمد ناجي القشطيني

١٣١٠ هـ - ١٣٩٢ هـ

١٨٩٢ م - ١٩٧٢ م

بلقم عبد الرزاق الهلالي

ان هذا الشاعر الذي تقدمه للقاريء اليوم، من شعراء الطليعة في العراق، الذين اسهموا مساهمة كبيرة في تربية النشء الجديد، وبث المشاعر القومية والاحاسيس الوطنية في نفوس ابناء الشعب!

لقد كانت قصائد هذا الشاعر القومية واشعاره الوطنية، وخطبه الحماسية، ذات اثر كبير في استنهاض الهمم وبعث الامل في النفوس، فقد ظل يفرغ بشعره في جميع المناسبات القومية والاحداث الوطنية والحفلات الدينية طوال خمسين عاما او يزيد، فمن هو هذا الشاعر يا ترى؟!

آل القشطيني: وقبل التحدث عنه، نقول انه احد ابناء آل القشطيني، الكرام، وهذه الاسرة العربية العريقة التي يتصل نسبها بآل حمدان، امراء حلب، وقد بعض ابنائها الى بغداد، بعيد فتحها من قبل السلطان مراد

الرابع، وانخذلوا لهم فيها مقرا، حيث سكنوا في الحلة المسماة اليوم (محلة التكرارة) الواقعة في جانب الكرخ! ومن الجدير بالذكر ان المهنة الرئيسية لابناء هذه العائلة، كانت (التجارة) بين العراق وسوريا وبقية الاقطار العربية القريبة، ولذلك بقيت هذه المهنة، مهمة لابناء، بعد الابناء والاحداد، ومع هذا فقد نبغ من بين افراد هذه العائلة، عدد من رجال العلم والادب الذين كانت لهم مكانة بارزة وشان كبير في المجتمع البغدادي! ويعتبر الحاج عمر جلبي القشطيني من ابرز رجالات هذه الاسرة في العهد العثماني الاخير ويعتبر جد الاسرة المعروفة اليوم في بغداد!

محمد ناجي القشطيني: وشاعرنا المترجم له، هو محمد ناجي، ابن الحاج عبد الوهاب بن عبد الحميد ابن احمد جلبي بن ياسين جلبي بن الحاج عمر جلبي القشطيني. واما هي الحاجة امينة بنت السيد محمد القصاب واخت العلامة الشيخ عباس حلمي وعبد العزيز القصاب والد صديقنا الدكتور عبد المجيد القصاب!

لقد كانت ولادة هذا الشاعر في مدينة كربلاء سنة ١٣١٠ هـ الموافق لسنة ١٨٩٢ م اما كيف ولد في هذه المدينة وهو ابن الاسرة البغدادية فقد حدثنا عنه قائلا:

« قبل ان اولد حدث طوفان عظيم، بين النهرين، قامت الزرع والضرع، وخسر والدي، رحمه الله، خسائر فادحة، ماتت زراعته وحيواناته، وتشرذ فلاحيه، فاضطر الى قبول وظيفة في كربلاء، وبقي فيها اربع سنوات، وهناك ولدت وفطمت! » (١)

وقد اكد هذه الواقعة، شعرا ففي يوم احصاء النفوس العام الذي اجري في العراق يوم ١٤ - ١٠ - ١٩٦٥ سألته موظف الاحصاء، عن مسقط راسه فاجابه بهذه الابيات قائلا:

ايها الكاتب الذي زار بيتي - يوم تسجيل الناس للاحصاء
انني قد ولدت في خير ارضي هي ارض الشهيد في كربلاء
ولهذا كانت حيايتي كربلاء - وسلا في صغرها والما
فحسني ان ارى المساعدة لما - اصل الله ارحم الرحماء
تربية واعداد: نشأ محمد ناجي، في بيت ميسور الحال، مريض الجاه، وتربى في كنف والدين كريمين، ولم يكد يبلغ مبلغ الصبيان، حتى رغبته امه في ان يتولى تربيته اخوها الشيخ عباس حلمي القصاب امين الفتوى. فاستجاب اخوها لهذه الرغبة، وحقق امينة اخته، حين احتضنه طالبا في مدرسته الدينية التي كانت قائمة آنذاك في جانب الكرخ من بغداد، وبعد ان تعلم القرآن الكريم، بدأ يدرس على يدي خاله بعض مبادئ العلوم العربية والدينية المتعارف على تدريسها في مثل هذه المدرسة الدينية!

طلب صديقه ، ووافق على دخول هذه الدار ، ولما كانت الدراسة فيها كانت تجري على شكل دورات دراسية مدة كل دورة ثلاثة اشهر ، فقد اكمل الدورة ، وتخرج في الدار بتاريخ ١ - ٤ - ١٩١٨ واصبح اهلا للتعيين معلما في المدارس الابتدائية التي قامت الحكومة بفتحها في بغداد انذاك !

في سلك التعليم : وكان اول تعيينه معلما في مدرسة رأس القرية ثم ما لبث الا فترة قصيرة ، حتى عين مديرا لمدرسة البارودية الابتدائية ، ثم اخذ بعد ذلك وعلى مرور الزمن ينتقل من مدرسة الى اخرى ، ولما فتحت مدرسة دار المعلمين العالية - والدراسة فيها مساوية - كان ممن طلبتها ، وبعد سنين تخرج فيها ، فنقل الى سلك التعليم الثانوي . وفي يوم ١ - ١٠ - ١٩٢٦ اصبح مديرا للمدرسة الشرقية المتوسطة وبقي في عمله هذا حتى سنة ١٩٢٨ حين نقل لمكتب مدير المطبوعات العربية في مديرية الدعاية العامة ، لتبني بتاريخ ٢١ - ٣ - ١٩٢٩ عاد من جديد الى عمله في وزارة المعارف ، ثم في يوم ٩ - ٨ - ١٩٤١ نقل ثانية الى مديرية الدعاية العامة لاشغال المنصب السابق وبقي فيه حتى يوم ٧ - ١٠ - ١٩٤٦ .

العودة الى وزارة المعارف : وفي يوم ٨ - ١٠ - ١٩٤٦ عين مدرسا على اللاك الثانوي ، وانتدب في الوقت نفسه للقيام بمهمة التفقيش ، وفي يوم ٢٤ - ٣ - ١٩٥٤ صدرت الادارة الكلية بتعيينه مفتشا اختصا صيا في وزارة المعارف لتفقيش اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية ، وقد ظل في منصبه هذا حتى احيل على التقاعد بتاريخ ١ - ٧ - ١٩٦٢ .

بين الدراسة والتأليف : وبعد ان ترك العمل في خدمة الدولة ، خلد الى الراحة والاستقرار وتفرغ للدراسة والتأليف ، وتسنى له خلال هذه الفترة من حياته ، اصدار مجموعته الشعرية التي كان قد اختار مادتها من عيوسون الشعر العربي ، اصدارتها له وزارة الثقافة والاعلام باسم « عيوسون الشعر » في سنة ١٩٦٦ . كما اصدر في سنة ١٩٦٨ ، ديوانه الذي اسماه « اللهفات » نشر فيه كثيرا من شعره وبعض المقالات والمقائم التي كتبها في شتى المناسبات .

آخ الصفحات : وهكذا ظل رحمه الله ، مستمرا في نشاطه الفكري والادبي ، حتى توفاه الله بالسكتة القلبية مساء يوم ١٦ - ١٢ - ١٩٧٢ وله من العمر (٨٠) عاما .
القشطيني الشاعر : لقد احب محمد ناجي القشطيني الادب ومال الى الشعر منذ صباه ، وقال ان السبب في ذلك يعود الى تشجيع والده وتدريب خاله الشيخ عباس رحمه الله . فقد حدثنا عن ذلك قائلا (٢) : « كان والدي انا بعلله ، يلقني منتخبات في مديح سيد الكائنات ، ويخصص لي ، عن كل بيت احفظه مبلغا من المال ، علاوة على (يوميتي) ، ولما سلكت مسلك طلبة العلوم ، كنت اعز بحفظي لتلك

الى سامراء : وحين عين خاله ، مديرا للمدرسة الحميدية الدينية في سامراء ، سنة ١٣١٧ هـ ، سافر معه ، على سفر سنة ، وظل في كتفه رغبة من والدته في اكمال تحصيله في هذه المدرسة العالية ، فظل في هذه المدينة مدة سبع سنوات وهي المدة التي قضاه خاله مديرا لهذه المدرسة .

العودة الى بغداد : لقد عاد خاله لاشغال وظيفته دينية فيها ، فعاد معه لينعم بحنان والديه ، بعد ان حرم منه طوال تلك السنين ، الا ان حياته الجديدة ، تسرعان ما خالطها الحزن والكدر ، فقد فجع بوفاة والده ، فكان لهذه الوفاة اثر كبير في نفسه ، اذ مات ابوه مخلفا له ما لا طاقة له بحمله من المشاكل ، ولذلك ظل في حيرة من امره لا يدري ماذا يعمل وفي اي اتجاه يسير ! ولقد نصحه عمه الحاج محمود جلبي بترك العمل الزراعي ، والانصراف كليا الى مواصلة الدرس والتحصيل ، فنزل عند رأي عمه ، واخذ يحضر مجالس بعض العلماء من اصدقاء عمه وخاله وابيه ويدرس عليهم الدروس الدينية والعربية ؛ وبينما هو مستمر في هذه الدراسة ، اذا بالقدر يصدمه صدمة اليمه ، حين فجعه بوفاة عمه !

في كنف خاله عبد العزيز : ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى ، ودخلتها الدولة العثمانية ضد الحلفاء ، واصبح العراق ميدانا من ميادينها ، كان خاله عبد العزيز القصاب قائمقاما لقضاء طويريج الهندية ، انذاك ، والملك ساراج بالذهاب الى خاله ، والعيش في كنفه في تلك المدينة الصغيرة الا انه لم يكد يستقر فيها فترة من الزمن ، حتى سقطت مدينة بغداد بيد قوات الاحتلال البريطاني فقرر الانسحاب من الهندية ، عسلا ، وهكذا ترك خاله وبقية الموظفين الاتراك تلك المنطقة سعدا الى الشمال ، حتى استقر به المقام في مدينة عانة ، وفي خلال هذا الانسحاب ، كان شاعرنا الشاب ينظر الى حالة المدن والقرى التي يمر من بها ، فيحتزن في ذاكرته ، ما كان يرى فيها من صور البؤس والشقاء ، او قد تتج من ذلك قصيدة ، ضمنها كل تلك الصور والمناظر المؤسفة !!

الرجوع الى بغداد : وبينما هو في مدينة عانة تلقى خاله امرا من وزارة الداخلية يقضي بنقله قائمقاما لقضاء الزبار في ولاية الموصل ، فتجاه هذا الامر ، اضطر شاعرنا الى العودة الى بغداد بالرغم مما يحيط به في طريق عودته هذه من مشاكل ومخاطر واتعاب ، فوصل بغداد في مطلع سنة ١٩١٨ .

في دار المعلمين : ولما حل بين اهله وذويه ، جاء لزيارته والترحيب به ، بصديقه الاستاذ طه الراوي ، ثم ما لبث ان حدثه عما جاء به في الحقيقة من اجله ، اذ كان هو ترغيبه في الانتماء الى مدرسة دار المعلمين التي فتحت في بغداد منذ فترة وجيزة ، وعين لادارتها الاستاذ حسن وفقى ال قاضي ولما وقف القشطيني على الغاية من فتح هذه الدار واطلع على اسماء الطلبة الذين سارعوا للانتماء اليها ، اجاب

العصائد ، وإياها بها أمثالي من الطلاب ، ولم علم ذلك معلمى الاول (خالي) أخذ يصني الى مجيذا ، وقدمتني على ابناء صني ، وأعلن تفاؤله بمستقبلي !
 وأن من يطالع ديوانه « اللهفات » يجد له فيه ، قصيدة نشرها في جريدة « صدى الاسلام » البغدادية ، يوم ٥ - ٣ - ١٩١٥ ، وهي القصيدة التي يرثي بها الفريق محمد فاضل باشا الدافستاني.

اللهفة الأخيرة : ومن مطالعة هذا الديوان ، نجد هذا الشاعر توقف عن نظم الشعر ، بعيد نكبة حزيران ١٩٦٧ ، إذ كان آخر ما نظمته هو « اللهفة الأخيرة » ، وأنها يقول « ولقد أذهلتني النكبة العظيمة ، نكبة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، فلم أعد أعرف ما أقول ففترت هجر الشعر ، كما هجرة من قبلي ، الشاعر المعروف الأبيوردي الأموي حيث قال :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدوام والبواقي مفلق ولا بد من تسجيل أسفي ، لهجري هذا الفن الجميل الذي أحبه منذ نشأني »

أما هذه القصيدة فهي قوله :
 ابكي ام تصدق ام تنسوح فسل يلقى الله ذلك النضوج ولو انشدت قومك ألف بيت لمأذا تستفيث ولا مفيث فخل الشعر ينقله نوي ثم قال فيها :

فلت للأسي أعلى اتكفائي أكل الشعر دوح للأسياني ولم أمقت من الشعراء إلا ساجع تسامي وانفاسي ثم قال :

مؤامرة عرفناها قديما فكم سكتنا لأثنا دعاء وليس لنا إذا رضا حياة سوى صبر يؤزده جهاد ان ديوان « اللهفات » الذي أصدره الشاعر في سنة

١٩٦٨ ، يعبر أصدق تعبير عن صاحبه ، فهو يمثل تمثيلا صادقا ، يمثل في ثورته وهذونه ، في حبه وبغضه في ليله وصلابته في مثله وعاطفته ، ولذلك نقول أن من بقرا هذا الديوان ، يعرف حقيقة صاحبه ويتف على مواقفه المختلفة في شتى الظروف والوقائع والأحداث .

نماذج من شعره : وتقدم الى القارئ نماذج من شعره وفق ما يلي .

في عاتة !!

نظمها في يوم ٢٥ - ٢ - ١٩١٧
 مصائب دهر كالعود خسوون تساللت على داسي فعز سكوني وهمت على وجهي احوال مهريا من الدهر استغني لبعض شووني والليت نفسي بين هيت وعانة فخابت برأي الفرتين قنوني خرابت ضمت كل فرائن شاحب تجرعه الأيام كاس منون وقال :

عفا الله عني كيف غادوت منزلي وتابعت من لا يقبضون أهون ومالي وما للجيش أركض خلفه كاتي مصاب مثله بجنون وقال يصف ناعورة :

وناعورة بالقرب منسي كانتا وناعورة بالقرب منسي كانتا أقامت على الجرف الكتيب مناحة تدور على مر الزمان حزينة وكسم هيبت نيران كل حزين ولقت وغوف السمتام بقرها اخفتت عن نفسي حسيثي ولكنتا ذات هيامي ولوعتي ففارتها ابكي وانحب متفلا لاهلي واستشرى عذاب حنيني وازممت ترخالا لبند نازكا حباني الرحمن خير معين

ابن الطيف

نظمها سنة ١٩٢٠

حاتم دعمك ينسلفح والي م سره ينفسح اصحى يرافبك الشقا فها برحت وما برح وعدا عليك بكل ما يحوى تصفه بلح

وقتي وحكك لو ايسا ح دمي فاني لم ابح فلاصحتك ما حبيست عساك يوما تنصح وقتي لقد نقتت ميدان الحياة انفسح لم اتق غيرك في السورى ذا محنة الا منصح وقال فيها :

قد فرك البرق اللومو ع فبات صدرك مشرح وفرحت في تلك اللومو د وخاب في فيها فرح ابن الطيف وابن من يصفي اليك فتقترح قد خان عهدك ساخرنا لسا بتجربته ربح يسا ايهنا العربي قم افصح زنادك يتقبح والصح بربك بالليا فيفرها لا ينتج وخذ الحلقو جميعها او مت عزوا واسترح

يوم البركان

القصيدة طويلة نظمها :

شباب لهم من قوة الغم دافع وشيب لهم من حكمة العقل شافع وقال فيها :

تذكرت والذكرى تهيج لواعجسي تذكرت في أرقى (الزينة) مصرعا تذكرت من ناروا على الظلم لورة تذكرت (شعلانا) تذكرت (صاربا) (٢) تذكرت في سبيل الله والمجد والملى

فؤادي ايهنا المحصب عليه اعلنت حرب ومعلتها اخو صلف لتيسم مجرم خيب وقال فيها :

إذا ما ميسل بصيري والا فصالي غير ان اخلو ولسي في خلوتي تحب وارسل في سماء الا سؤوم فكري حيث لا حجب اشاهد مسودة الود طان استقلالا تصبو اشاهد نفثة التمد سليم مشمولا بها الشعب اشاهد هذه الاشبال مهدوشا بها القرب اشاهد هذه الابيد ظلال مجالوا بها الكرب اشاهد ذنك النهرين علبا منها الشرب فاصبح هالاجا فرحا هنيئا ايهنا العرب

بما قل

امن مصائب هذا الدهر يا فلم اراد ترعش ام اودى بك الهوم والدمع هل على الأوزار من المم وعافني الا جرى من مقلتيك دم

(٣) يقصد الشيخ شعلان ابو الجون والشيخ ضاري المحمود من زعماء ثورة العشرين الوطنية .

اللغة الخطرة

هو المال اني سار مفتاح قدسرة
 يطول به الحاوي على كل طائل
 عقاب على هام الملايين حسائم
 يطيح بها فتكا بشمتي الوسائل
 فيرفع من بالخفضي اولي وينشني
 فينخفض مرفوعا كرسيم الشمايل
 ويبرز روسا من ذنابي ذلييلة
 ويغشى بغير الحق روس الخلاجل
 ويدفع نحو السبق اتنا هزيلة
 ويكبح ، من حقد ، جماح الاصائل
 ويجمع اوشابا على خبت مقصد
 ويشعب بالتفريق شمل الافاضل
 وينقي ويقتضي ، دون ما اي منق
 يقاس بحق فيه اس التفاضل

البصرة - العراق سالم علوان الجلي

ايوت من احيا الشمو
 ر بشمره الحي الطريف
 ايصوت شمسار امة القسر
 سران والدين الحنيف
 ايوت رائدها ومنقصد
 ها من التقد العفيف
 اهل على ورد السر
 بيع يوت من صف الخريف

يا من ترصع تاجه
 يسا من تزين عرشه
 ايصود موكب الجيمل
 بروائع النظم الرصيف
 يصحابة لم تد غير لداة العيش
 بطوف انحاء المصيف
 يسا بلبلا ملا الغصاء بصوته
 يطفو انحاء المصيف
 ايز ابن هاتي من كسرومك وهي دانية القفوف
 تشدو وتصدح فوقها فرحا بانقسام الحروف
 يسا تيرا جات به معر تنزيق
 السجسوف
 فافساء يسلط كاشفا للسلام
 عزتها الخفيف
 يا فارسا افلاسه افنته
 عن حمل السيوف
 ما فلاك رجب يسا مليك الشعر
 يوما بالفيوف
 ماذا اسابك بعد ذلك فانسجت
 من الصفوف

وبعد : فهذا هو المرحوم محمد ناجي القشطيني ،
 وتلك هي نماذج من شعره ، نرجو ان تكون قد وضعنا تحت
 يدي القارئ الكريم مادة قد يفيد منها دارسو الشعر في
 العراق وهو حسينا .

عبد الرزاق الهلالي

بغداد

اني عهدتك لم تخش الخلوب ولم
 تسام فمن اين هذا الخوف والاسام
 ما ان دعوتك مرثا لكارتنة
 الا وليس لداني الصارم الغلام
 ولا هزرتك عند الخطب منتصرا
 الا رايت جيوش الخطب تنهزم
 حاشاك لتنجح من تستطيرما اقتربت
 يد الكفاح في بغداد يا قسم
 في مآتم الاحرار

نظمتها بمناسبة ذكرى شهداء (٦ ايار) والنهضة في جامع الجديراته
 سنة ١٩٣٢

تعال نيك على ما حل بالعرب
 من المصائب بعد الجح والنعيب
 وقال فيها :

يا من بذلتك يسوع الموت انفسكم
 لئيل ما يرتجيه العرب من ارب
 وخضمت الحرب من اجل السلام
 كان السلام لسفر النهب والسلب
 ان النهاية كانت غير حاسمة
 لم تترك الحرب غير الويل والحرب
 وقال :

ومصر لا تنظني نيران محتتها
 وذي فلسطين جرى تستغيت فما
 اما العراق فلا هم (ليوته)
 وقال :

حسام يا قوم والاحلام نخدعنا
 وكيف يخدع حرا زخرف الكذب
 لا طبيب للعيش ما لم تستل بك
 مواطن الفساد من حام ومتعذب

تاج الزهاوي

انشدها في حفل تأبين جميل صديقي الزهاوي

صوفوا له التاج من ورد وريحان
 ان لم تصوفوه من دود وعقبات
 وطرزوه بأي من فصائله
 فياسة بالاصاني ذات السوان

وقال مغالبا الزهاوي :

قالوا ترندت يا هذا فقلت لهم
 هم يملسون عن الباري وقدرته
 يا قوم اني على ادبيات مكتب
 جائل وخرافات تعيش بهما
 ما انزل الله منها في رسالته
 ولا لاحد فخر الكائنات ولا
 هل يستوي من يراني في عبادته
 ومن يوحد مولا وبعبده
 ثم قال :

يا شاعرا كان يشد فوق ايكته
 فارتقت رؤسك لما لم تجد احدا
 يعني الى الشعر في عقل ووجدان

وقال واصفا الزهاوي :
 قد كان يدعو الى اصلاح في زمن
 وكان اول يساك في مواقفه
 وكان اول من نادى عسى ملا
 (لا تقوم قومي ولا الاطمان اوطاني)
 ان لم تقم في وجوه القلام صارخة
 صامية الحق من فيس وكهان
 سيمون عاما تقفقت وهي حافلة
 بكم شيء عظيم القدر والثمان
 ولم يجد في حياة كلها نصيب
 من الوري غير تعبد وحرمان
 وطالما بات يشكو من تلاصدة
 هجرا بهجر وتسيان تنسيان
 وقال :

اقول والشعر يفرني ويدفعني
 مساذا تريبدون في تكريم صورته
 ان الاكاييل لا تقني بزخرفها
 في عايش ما بين احقاد واضغان
 فقد امير الشعراء

النهضة في الحلقة الثانية التي اقامتها جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٣٢
 وبلاء من الم الوقسوف
 يا قوم لسم اشهد سوى
 حزن على حزن رديف
 ثم قال فيها :

رفقا بالاشعة السورى
 يا ناسر التبا الخيف

عيد الام

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة عيد الام قبل ان يتم انتخاب والدته - مريم ابو زيد - « اما مثالية » عن منطقة جزين ، وقد اشرفت على المنة من عمرها ولا تزال تتمتع بالحبوبة والنشاط وصحة العقل والجسم وصحة السمع والبصر بشكل مدهش .

هذا الهتاف العذب: يا امي اسلمي
تهفو اليك بوجهها المتضرم
هي خير لحن بالوفاء منغم
او تفضي - فالعمر جرعة علقم

تجلو الدجى عن كل قلب مظلم
ان تمنحي الايام بعض تبسم
ان مر اسمك في شفاء متمم
ان جال ذكرك في ضمير البرعم

كتبت على ورق الاضالع بالدم
تمزى المرغان الجميل وتنمي
انت المثال عن الجمال الاعظم
لحماية الدنيا من الشر العمي
فيه لجروح الهم انجع مرهم
وجهادنا من اجل عيش اكرم
منا شعائر طاعة وتفهم
هل تنجب اللبوات غير الضيفم ؟

بغارها الايام ، حولك ترمسي
وتعبت كي نرتاح دون ترم
لم يفتح عنها الوجود يارحم
ويسد بالنعوات باب جهنم
نار الخصام وبالسعادة ناعم

يا سعد من في امه لم يدم
وطيبة ، لشقائقنا المستحکم
واللذة القصوى بلفظة «مريم»
والقلب ان يحكم بنا - لا يظلم
عن كل عيب في التعائل يعصم

وحبك عمرا زاخرا بالانعم
ونشيد حب في الضمير وفي الفم

سليمان ابو زيد

احلى دعاء في الضمير وفي الفم
اليوم عبيدك والقلوب اشعة
وتصوغ من بر البنين قصائدا
والعمر عيد - ما نراك سعيدة

يا كوكب الحب الذي انواره
دنيا الشفا تسمي نعيما ضاحكا
وتهب انسام الطهارة والرضى
وتضج احشاء الازاهر بالشذى

فاليك يا بحر الحنان - تحية
واليك يا ام الانام - تجلة
انت الحياة - كريمة وعظيمة
عينك - برجا بقلعة ورعاية
وبذلك - اجنحة السلام رفيها
يهنيك عيدك - وهو عيد بالاننا
يا ام لبنان الحبيب تقبلي
فبنوك - ابتزازيه وبناهمم

يا ربة « المنة السمان » تباركت
افقرت نفسك - كي نعز ونفتني
فاعفي عن الهفوات - انك رحمة
جودي علينا بالرضى ترضى السما
وترف اعلام السلام وتنظفي

الام فسي كل المواطن امة
الام اخت - زوجة وجيبة
الراحة الكبرى على راحاتها
الام قلب الكون ، منبع غزه
فالقلب صنو العقل - من جاراهما

يا امناء المعطاء حيثك العلى
دومي لنا اما مجنحة المنى



الدكتور محمد رجب البيومي

كوكب الشرق

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرباس

...

أحفظ كثيرا مما قاله كبار الشعراء في كوكب الشرق أم كلثوم العقاد ومحمد عبد المطلب وزامي وغيرهم ابانة ولكن البيت الذي اردده دائما حين يخطر حديثها هو قول شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي:

يا أم كلثوم انما امة زهجت تحت الصائب اجيالا فليتنا
لانه بيت صادق طبيعي، ينبثق عن خاطر كل عربي ،
وكنت اتمنى ان استطيع وصفا أدبيا لاغاريذ كوكب الشرق
ولكن مثل هذه المهمة المعجزة تحتاج الى نابغ كبير كمبدع
العزيز البشري ليقول فيها ما قاله في عبد الحمولي وسيد
درويش وسلامة حجازي واحمد ندا ، اما انا فاعذا اقول !
على ان لدي مع ذلك ما استطيع ان اقله عن مرؤة
ام كلثوم لا عن صوتها الخلوب ، وقد اعتدت منذ رحلت
زوجتي الحبيبة الى عالم الصفاء الا اتعب نفسي في يحوث
مركزة تستعين بالراجع وتفيض بالتحليل ، فان ما يستلزم
ذلك من الهدوء المتمهل والنظر المتأمل يعز علي مثلي في
مصابه ، انما اكتفي بذكرات عابرة انقلها عن نفسي دون
تنميق ، وحديث كوكب الشرق من هذا القبيل .

كنت في الخمسينات اربط بصداقة جماعة من ادباء
الزقازيق ، عاصمة محافظة الشرقية ، فكنت اتردد عليهم
بين الفينة والفينة فنقضني ليلة الجمعة في سمر ادبي
سياسي ، ثم اغادهم مساء الجمعة الى مقر العمل ، وفي

بعض هذه الامسيات العزيرة ، انشدنا صديقنا العزيز ،
المرحوم توفيق العوضي ابانة ، وهو شاعر فلاح ، علم نفسه
بنفسه ، حتى ارتفع له بين الادباء ذكر ، اجتذب قلم المغفور
له الاستاذ ابراهيم دسوقي ابانة الوزير السابق فكتب
عنه مقالا جيدا بمجلة الهلال مستشهدا ببعض روايته ،
واذكر من بينها قول الشاعر :

الفاس قد اكنت يدي وانا امرؤ للفرس لا للفاس قد خلقت يدي
اقول في بعض هذه الامسيات العزيرة انشدنا توفيق
العوضي رحمه الله قوله في السيدة العظيمة ام كلثوم
رحمها الله :

فغيتنا ولد الهدي فبلغت بالطرب الذي
صوت له الغنايم مدى والكسون اجمع ممتدى
نفسى فهاؤك ام كلثوم م وان جيل الفدا
لسولا غناؤك بيننا فسات ليالينا سدا
واذكر اني عابته فقلت له : كان ينبغي ان تقول :
نفسى فهاؤك ام كلثوم م وان قبل الفدا

فانبسم وقال : افدها انت يا اخي ، ليجل الفدا ،
ونخرج من الاشكال ؛ وكان معنا حينئذ شيخ وقور ، هو
والد احد الاصدقاء الذين تردد على منازلهم على التعاقب
حين نجتمع ، وكنا نحتشمه فلا تنمادي في النقد والتعليق
اجلالا لسنه ، ولكرهه الديني ، اذ هو خطيب احد المساجد
الكبيرة ، وله تلاميذ ومدبرون ، ففاجأنا الشيخ بقوله : ان
همزة شوقي رائحة ، وانه عارضها بهزمة اخرى مطلعها
كما اذكر :

ولد الهدي وانت به البشراء وتقردت بمبدعه الورقاء
ثم انطلق يسرد على هذا المتوال ابيانا لا هي بالجميدة
ولا هي بالرديئة هذا ، انما هي الى الرادة اقرب فحسب ،
وقد اقتضى وجودنا في ندوة نجله ان نجاهله بالتفريط
المعتدل ، ولكن احد الخبء قد اصطنع البراءة وسألني
ادب :

— لماذا يا سيدي لا ترسل قصيدتك الى ام كلثوم كي
تغنيها كما غنت همزة امير الشعراء ؟

وقبل ان يجيب الشيخ ، قال خبيب آخر ، ان العامة
في الشوارع والحواريات يعفون ما مدح به الرسول مما
غنته ام كلثوم ، وانا اعرف (حلاقا) لا يقرأ ولا يكتب ولكنه
يتغنى بقول شوقي في همزته الرائعة :

والا سخوت بلفت بالجوذ الذي وفصلت ما لا تفصل الانواء
والا اخذت العهد او اعطيت جميع عهدك ووفاء
والا عفوت فسادك ومقدرا لا يستهين بعلوك الجهاد
فالشيخ اذا اهدى قصيدته لام كلثوم سيجذب الناس
الى سيرة رسول الله ، ثم جرى الحديث في هذا المعنى ،
وقد ضاق ابن الشيخ حين وجد والده فريسة مؤامرة
تصطنع البراءة ، فاخذ يقاطع ويشفه ، ولكنه فوجيء بوالده
يقول :

وكيف ابعت بالقصيدة الى ام كلثوم ؟
فاصرع احدا - وهو محام شاب - يقول : احضرها

الله عليه وسلم ، وافاض مستطردا الى حيث حلا له ان يقول ، والسيدة مع بعض الزائرات بصفتي ، والرجل يتحدث في اشراج وبشر ، ثم حانت صلاة العصر فتنبها للصلاة اماما يتقدم من في المنزل ، ثم شاعت ، السيدة ان تكرمه ، فسانت عن زوجته واولاده وبلده ثم امرت الحارس ان يحضر سلة ملاي بالفاكهة وطلبت سائق السيارة ان يصحب الشيخ من القاهرة الى الزاويق ، وشاعت ان تطيب خاطره ، فقالت ان القصيدة تحتاج الى وقت طويل في التلحين ، وانها ستكتب اليه حين يحتاج الامر الى حضوره ولم تنس ان تقول له في ابتسام : خذ بالك يا مولانا !! اولاد الحرام كثير !

جاء الشيخ والدنيا لا تسمعه ، وقد أعلن كل ما قامت به ام كلثوم نحوه وطفق يتحدث عن مجلسها الطيب بمناسبة وغير مناسبة ، وكان اصدقائنا في دحشة مما يسمعون ، وقد ظنوا ان المحامي ارسل القصيدة ، ثم رأت السيدة ان تجبر خاطر الشيخ فارسلت تدعوه ، وان الخطاب حقيقي من ام كلثوم لا سرية فيه ، وكيف يدور في ذهن عاقل ان رجل القانون القائم على حراسته قد زور الورق المطبوع والخط المكتوب والامضاء النيق ، ثم سافر الى القاهرة او ارسل من يتجه الى احد مكاتب البريد ليبحث بالرسالة من هناك فيكون ذلك دليلا اكيدا على ان الخطاب حقيقي لا يتطرق اليه الشك لدى الشيخ ، بل ان بعض الزملاء منا اخذ يشكك بالمسألة من المحيط الجزئي الى المحيط الكلي فيعجب من الافتقار الى تحول الهول في امسية الى جسد حقيقي يلمس باليد ، ويرى ان ابواب السماء قد فتحت في احدى ليالي رمضان وان الشيخ دعا وان الله قد استجاب . ليت الامر قد وقف عند هذا الحد ، فيظل الشيخ ساكنا الى المستقبل ناعما بالحم ، دون ان يرجعه تطور الاحداث !! لو كنت مكان المخرج المتسرع لاقفت المسرحية الى هذا الحد ، وجعلت لقاء السيدة ام كلثوم فصلها الختامي ، ولكن الماك يريدها مسرحية طويلة تمتثل في ساعات لا مشهدا يمثل في وقت قصير ، فقد انظر قرابة ثلاثة اشهر ، ثم كتب خطابا على الورق المطبوع وقال فيما كتبه على لسان ام كلثوم : ان القصيدة قد لحنتم فلما وقد اعجب الاستاذ احمد رامى بشاعريتها الدافقة وقام الاستاذ رياض السنباطي بالتلحين ، وهما وام كلثوم في انتظار الشيخ من الان بمنزل كوكب الشرق ليتم التعارف الفني ، وليكون هذا الاجتماع فاتحة عمل غنائي فخم يحدث نهضة فنية تكون موضع الحديث لدى الناس حين يتراعى صداها على امواج الاثير .

ولم يكن الشيخ في حاجة الى ما يستحثه على الاسراع فقد خف الى الزمالك في حالة نسيمة تكاد تعيد اليه خفة الشباب وذهو الصبا المراح ، وكان وانقا من موقفه كل الثقة ، فهو يعرف المنزل ويعرف سيدة الغناء بل انها تبذل كل عنايتها في الاحتفاء به ، وتجعله موضع الباهة

الي وساتولى ارسالها بنفسي ، وربما تحوز القبول ! مضت الليلة ، وذهب كل لشأنه ، ثم حانت ساعة السفر في اصيل الغد ، فجاء من يودعني ، وكان من المفاجأة ان يسر لي المحامي الماك ، ان الشيخ قد كتب القصيدة وارسلها اليه . وانه ستصرف .

سالت في دحشة : وكيف قال : ساكتبك بما يكون . انصرفت اياما واعوام للقاء الاصدقاء بعد ان طالبي العهد ، فكان صديقي توفيق العوضي اول من التقيت به ، وقد حدثني ان صديقنا (م) نجل الشيخ قد خاصم الجماعة واقطع عن سمرهم الادبي لما صنعه المحامي بوالده الوقور : سالت في تعجب : وماذا صنع ؟ فقال صاحبي :

انت تعرف ان الشيخ الساذج قد كتب القصيدة واعطاها اياه ، وكنا نظن انه سيعزفها ثم يدعي انه ارسلها بالبريد ، وانها لم تحز قبول السيدة ام كلثوم فلم تشأ ان ترد ، وبذلك ينتهي الموضوع ، ولكن صاحبنا الماك ، فكر وقدر ، ثم بدا له بعد عدة اسابيع ، ان يطبع اوراقا تحمل اسم ام كلثوم وعنوان منزلها في الزمالك ليتأكد من براها انها صادرة عنها دون لبس ، وهكذا صنع بالظرف الخارجي وفوجئ الشيخ ذات صباح بخطاب يأتيه من القاهرة ، يحمل اسم السيدة في الخارج وفي الداخل ، وقد خط على الالة الكاتبة ، وبه كلمات رفيقة تنبئ بان السيدة قرأت القصيدة ، وانها رحت بفنانها ، وراها في مستوى قصيدة شوقي او تزيدي ، وانها تدعو الشيخ الوقور الى لقائها بحي الزمالك وقد حددت موضع المنزل ورقمه واسم الشارع ، فاذا تكرم بالحضور فستتفق معه على الاجر ، والمجن وما يتبع ذلك من امور ، ولم يكن لدى الشيخ ريب في ان الخطاب من السيدة الكبيرة ، فالقاهرة مكان الصدور ، والاسم المطبوع يدعو الى الاطمئنان ، وقد فرح الشاعر بما تنبأ له من مجد فلا بد ان يسرع في الذهاب دون انتظار بل لو استطاع ان يطير لفلعل كلابطول الامد قليلا اذا ركب القطار . قال صاحبي :

ووصل الشيخ الى المنزل فافهم الحارس ان السيدة قد كتبت تدعوه ، وان خطابا منها معه ، فاخذه منه وذهب الى السيدة ، ثم حضر ليصحبه الى اسنانة نبيلة ، لقيته بكل احتفاء وتجلة ، وقد رأت من وقار شبيه ، وحسن سمته ودلائل تقواه ، وسداجة نظرت ، ما حملها على ان تبذل جهودها في تكرمه ، وقد فطنت بدهاء الى ان الشيخ ضحية مؤامرة . فلم تشأ ان ترعجه بالحقيقة ، بل طلبت منه ان يقرأ القصيدة ، فغلاها في فرح ، اذ تأكد انها مقبولة ، وقد بت في امرها ، وارسل الخطاب للتوقيع النهائي ، وكانت القصيدة تحدث عن مولد الرسول وهجرته ، وغزواته ، وفوائله بما يضم عناصر خطبة منبرية تقال في مسجد قروي يومه الصناعات والفلان ودون ان تزيدي ، فرأت السيدة ان يحضرها الشيخ عن سيرة الرسول ، ومما اراد من بعض الابيات ، فاشبع رغبته في الحديث عن تاريخ محمد صلى

رجل العصفير

تشق ازدحام الطريق الطويل
ويغدو التلاشي وجودا اصيل
حجارتها تنشد المستحيل
ويلسني منك طعم الرحيل
هناك على الضفة الثانية
وتربدا امواهه الصافيه
وأخر يجري بأعماقيه
وتصحو ندائنا الغافيه
ويقتل منا احتمال اللقاء
وتخلو من الطير هذي السماء
العصفير حين يحل الشتاء
ستنبث كل سماء ضياء

سلافة العامري

وحين ادراك تدب وحيدا
ويهمي دبب خطاك صدى
وبقي معانينا موحشات
احس المرارة تسكن حلقي
وحين يمد صديقي خطاه
وبفصل بيني وبينه نهر
فنهر أخالف تيساره
وتمضي المراكب عكس المسار
غدا سوف نعب هذا الزحام
وابصر عينيك تفرع دمعي
لان رحيلك مثل رحيل
فلست احاذر الا تعسود

دمشق

مدح القصيدة ، وأنا ايضا أمدحها ، وليس الامر لنا نيل
للإذاعة !

فهذا الرجل قليلا ، وسال في حيرة : وماذا نصنعين ؟
فقلت : انك الموضوع لي وسأتصرف .

ثم طلبت منه أن يشد القصيدة ، وأخذت لرحمتها
العاطفة : أنسبه بالبهوأل والجواب ، وتناول طعام الغداء
لديها ثم صلى بها العصر ، ودعته بمثل ما ودعته به من
قبل ، ثم دعت السائق أن يصحبه الى الزقازيق ، وقالت في
ملاطفة : اسمع يا سيدنا ، أن السائق يعرف منزلك وبلدك
فاذا طلبتك فسأرسله شخصيا لحضرك . فلا تصدق
الجوابات !!! الناس يا مولانا يزورون خطابات كثيرة وأنا
لن اطلبك الا بواسطة سائق السيارة ! افهمت !

رجع الشيخ حائرا ، لا يدري حقيقة الموقف ، وأخذ
ينتظر السائق شهورا واعواما حتى جاءه الموت قبل ان
يجيء !

قال صاحبي : وقد انفرط العقد بعد ان خاصمنا
نجل الشيخ ، اذ حاول ان يستدرج المحامي ليعترف
بؤامره المضحكة البالغ في الانكار ! ولكن القصيدة صارت
حديث الاصدقاء وموضع التندر بين العارفين .

قلت ، وماذا جذب انتباهك في هذه المفارقات :
فقال متحمسا : مرؤة ام كلثوم ، حين تقبلت المسألة
بشاشة في المرة الاولى ، وبكظم نبيل في المرة الثانية !
ثم انقضت تلك السنون واهلها ، فكانها وكانهم احلام .

محمد رجب البيومي

الرياض

لدى زائراتها والزائرين ، ولن ينسى طعامها الهنيء ،
ومجلسها المؤنس واسراعها لصلاة العصر خلفه . ثم انه
سيرجع مكرما مقفرا مع السائق في السيارة الخاصة من
الزمالك الى الزقازيق !

وصل صاحبي الى المنزل ، وتقدم للحارس في اعتداد
وفقة ، ولم يلحظ ابتسامه لها مغزى انزاع على شفتيه حين
صحبه الى داخل المنزل كطرفة جديدة ، وجاءت السيدة
لتقرأ الكتاب فيما يشبه الغضب ، ثم ترفع رأسها الى
السقف في حيرة ، وتسال الشيخ في هدوء ساكن السطح
متأزم الغور :

— مع من تجلس يا مولانا ؟
فرد الرجل دون ان يفتن الى ما تقصد :
اجلس مع جميع الناس ! فقلت في ضيق :
— لو كنت اعلم من كتب هذا الخطاب ، وزور الامضاء
لرفعت الامر الى القضاء !

فدهش الشيخ ، واحمر وجهه حتى تساقط منه
العرق وقال في تساؤل حائر :

اي تزور يا سيدي ؟ انا لا افهم شيئا ، ونظر كالاخوذ
الرتاع .

فادركت السيدة الرحمة ان الموقف اقوى من ان
يحتمله شيخ طيب في مثل سنه ، فمالت الى التراجع
سريرا وقالت في تودة :

ماذا اصنع يا سيدي اهم يقولون ان مستوى القصيدة
عال جدا جدا لا يفهمه الجمهور ، وان الاستاذ رامي قد



يقطن بقرية الفار - التي لا تبعد كثيرا عن مدينة السويس - نفر قليل ممن احترقوا مهنة الصيد ، وذلك بجانب علمهم - كاجراء - الذي يلجأون اليه عندما يشح محصول البحر ، او حينما يضيق عليهم الخناق خفر السواحل ... فقد كانوا لا يحملون رخصا للصيد ، لانهم لم يكونوا صيادين بالمعنى المفهوم ...

وكان قد ورث اجددهم - ويدعى احمد الحاوي - عن عمه - شبكة صيد لا بأس بها ، وستين كبيرتين ، وشوكة من الحديد ذات افرع ثلاث ، تستخدم في الصيد كذلك ... وفي يوم من ايام الشتاء اتفق احمد مع جاره شحات - وهو ضمن من احترقوا تلك المهنة - على الخروج للصيد ، حيث حل موسم السمك البوري السمين ...

وفي اصيل ذلك اليوم الذي بدا صبحا ، دافئا اخرج احمد الشبكة الضخمة ، ونشرها امام الدار ، وراح يرتق فتقا كبيرا ، كانت قد احدثته سمكة ضخمة عندما كان يصطاد مع رفاته ذات ليلة ...

وفيما كان احمد منهمكا في رتق الشبكة ، خرج زميله شحات من داره ، وابندره بقوله انه يخشى الية ، وكان السماء بصحوها ، ودقها تشاركه سروره ... فقد عاد من تجواله في ذلك اليوم ، وقد استطاع الحصول على عدة عقود لصفقات مربعة لسنوات خمس مقبلة ... وعرف احمد منه انه اشترى نخيل الحاج حسين لعام واحد واشجار الفاكية بانواعها التي يملكها محمد خضري لعدة سنوات ... ويتوقع ان تضرب معه السوق ... ولذا يطيب له ان يخرج - الليلة - الى البحر ، حيث ينال بعد ذلك وجبة شهية من السمك البوري.

واردف شحات بنشوة انه بذلك يستطيع شراء قارب صيد ينافس

به رجب الصياد ... ثم تساءل ما اذا كان احمد متأكدا من الوقت الذي سيبرز فيه القمر ، ام لا ... فتطلع الاخير الى السماء وهو يطري الشبكة ، ثم اجاب بانه لو لم يكن متأكدا من ذلك لا اعزم الخروج الى البحر ... وما يعوقهما الا ان هوانهما في حاجة الى صياد ثالث ... ففكر شحات مليا ، ثم لعت عيناه في خبث ، وقال :

- انتظري قليلا ، وسأتيك بمن لا يكلفنا شيئا !..
وغاب عنه ، ثم قفل عائدا ، وقد لاحت عليه سيماء من يفكر في امر ما ... فظنه احمد انه لم يحصل على من يعاونهما ، لذا ساله في اسسى لشدة احتياجه الى تقود للانفاق :
- ان نخرج الى البحر الليلة !..



بقلم محمد حسين عبد المجيد

- اطمئن ... سيرافنا الفيل !..
- حرام عليك يا شيخ ... انه مريض ... والبحر لا يرحم !..
- والحاجة اشد قسوة من المرض يا حاوي !..

ولكن كل هذا لا يستحق الذكر بجانب ما حدث لهم في البحر في تلك الليلة الرهيبة ..

فقد خرج الصيادون الثلاثة في المساء ، ومعهم شبكتهم الضخمة و سلال ثلاث ... واجتازوا الطريق المؤدية الى البحر ، حيث سيلقون



الهول ... وكان شحات قد عقد العزم على انه سيكتفي بمنح الفيل وجبة من السمك له ولا ولادة الصغار الذين خلفتهم له زوجه بعد غرقها في البحر ... وبهذا تكون القسمة - التي اعتزمها شحات - قسمة - فريزي ... وارتمى في خياله انه سينهض في الصباح هو وزميله احمد ، ويومان يبيعان يصطادان - كما دتهما - بحي الاربعين ، وكفور السويس ، وذلك بعدما يباع القليل مما يحملان ، وهما يجتازان القرية التي يسكنانها . وهنالك سيعود رابعا ضعف ما لو كان سيقتسم المحصول بالعدل مع الفيل ...

وامسى الطقس شديد البرودة ، والليل حالك الظلام ، وسحب داكنة تسرع صوب الشمال ... بينما اجتاز الصيادون الخيران ، ليصلوا الى عمق اكثر ، حيث الجزر كان شديدا ... وكانت فرصة ... فخلع كل من احمد والفيل ثيابهما ، ووضعاه بجانب السلال على مرتفع يأخذ شكل الجزيرة عندما ينشط البحر . واقترح شحات ان يمسك الفيل بطرف الشبكة ، ويخوض المساء ، بينما يثبت - هو - عصا الطرف الاخر بغرسها في الرمال ، وينظّل ممسكا بها ، في الوقت الذي يتوغل فيه الفيل لمسافة تزيد على المائتي متر .. اما الحاوي ، فقد اضطلع بتعويم قطع الفلين لتطفو على السطح ..

وغضب الاخير فيما بينه ، فقد كان متفقا مع شحات على ان ينظّل الفيل ممسكا بالطرف الثابت من الشبكة على اليابسة ثلاثا تذيب المياه لشدة برودتها ... ولاحظ شحات وجوم صاحبه ، ولكنه لم يصره اهتماما ... واكتفى بمخاطبته لنفسه بقوله :

- الا تراه يشق طريقه في الماء بقوة لانها انت يا صحيح البدن !..
وكان ذلك حقا ... فقد احسن الفيل باهميته وهو بضطلع بما هو

السوداء ... وامتلأت السلة الثالثة
... وعندئذ صرخ احمد في شحات
قائلا :

— لقد خدعتنا بطمعك .. وخذعت
نفسك ايضا .. ما العمل الان ..؟!
وازدادت المياه ، وزحفت من
حولهم كحيات هائلة .. ورقعة
لباسية تضيق بارتفاع المياه .. وثمة
يخ مخيفة بدأت تهب ، وكانها
دفع المد الرهيب الى الاطراد
لزيادة بسرعة مذهلة ... وبدأ
طر في الانهيار بعد ما تجمعت
سحب القائمة في سماء البحر
التلاطم ... فحمل الصيادون
سلامهم اللينة بالسك ، وحاولوا
اجتياز البحر الطامي الذي بات كتلة
سوداء فاحمة لا حدود لها ...
ولكنهم لم يعرفوا الى اي اتجاه
يسرون ... فاخذوا في التخطئ
والفوض في اعماق اليم .. غير
انهم ما لبثوا ان ارتدوا مدعورين امام
البحر الهائج ... ولكن الى
اين ...؟! فقد اخفت آخر قطعة
في اليابسة ... فخرؤا على ركبيهم
مرتعدين ... واشتد الطر من
فوقهم ... وعوت الريح من حولهم
فاحسوا وكأنها تدفع بهم الى ما هو
اعمق من مكانهم .. وتقاذفتهم الامواج
بعنفها ...!

وبعد جهود مضنية لمحاولة
الصيادين الفاشلة في اجتياز الخيران
— التي تلاشت معالمها وغرقت معها
العلامات الحديدية الى عمق يتجاوز
قائمة الانسان مرتين — اكتشوا في
استسلام وهم يرتعدون من فرط
الخوف والبرد الشديد .. وقد
سرت في اجسادهم قشعريرة الموت،
حيث اخذ البحر يطبق عليهم
بامواجه المعنمة .. وغمرت المياه
السلال .. فنشطت الاسماك ، ودبت
فيها الحياة ، واخذت تتوالت الى
البحر من جديد ..
ودب الاعمياء في اجسام الصيادين
القرورين ، واشتدت لطحات الموج
لهم ، وهم يحاولون التشبث

زميليه الفارقين في المياه حتى
عنتيهما ان ذلك الضوء المتذبذب ما
هو الا ضوء احدى السفن التي تمخر
عياب القنارة ، والضباب يفلقها ...
ولم يفعل ذلك الا لشيء في نفسه ..
فقد كان شرها .. ومع انه احسن
بالد المخيف يزحف في صمت ،
ومياه البحر اخذة في الارتفاع الا انه
جمل يخض زميليه على مواصلة
الجهد ، ليتسنى لهم ملء السلة
الثالثة ... وانه باستطاعتهم ان
يبعثوا على قمة المرتفع اذا ما
حاصرتهم المياه ... وهو يجهل



محمد حسين عبد الجيد

ان المد في استطاعته ان يغمر هذا
المرتفع الصغير ...!
وكان كلما خرج الصيادان الاخران
من الماء ، وجدا ان السلال بمنأى
عن البال ، مما جعل احمد يرتاب في
الامر ... وشعر بالحق على ذلك
الشره ... اما الفيل فقد آثر
الصمت خوفا من ان يغدر به شحات،
ولا يعطيه شيئا بعد ذلك الجهد
الشاق ...
وزحفت المياه ، ونشط البحر ..
وعلا الزبد المخيف سطح المياه

اهم ، واشق في عملية الصيد ...
وظن انه بذلك سيجزل له العطاء
لقاء ما سيبدل من جهد شاق ...
ودار دورة كبيرة وهو يخوض الماء في
الظلام ، ويفوض فيه حتى عنته ..
وكان التيار شديدا ... ففاضل
لثلا نفلت منه العصا الغليظة التي
ان بلغ الشاطئ من جديد وهو يلهث
من فرط ما بذل من جهد ...!
وتوالت السمك على الرمال ،
فأضاء في الظلام ... واحس الفيل
بالدفء يسري في كيانه ، فتوقفت
استانه عن الاصطكاك ، وانقطع ما
كان يتقاطر منه من بول ... وبجانب
كل ذلك فقد شعر بالجوع ...
ولاحسائه ذلك تافت نفسه لو
يستطيع ان يشوي سمكتين كبيرتين
ويقدمهما ساخنين ليد بهما
اولاده الاربعة ومقهم ، حيث تركهم
يتلمسون الدفء في حجرتهم
الصغيرة ، وقد بانوا على الطوى ...!
وهتف الحايي قائلا :

— طول عمرك قدم خير يا فيل ...
ودفع اصابعه — بلهفة — في الظلام
البارد ، ليمسك بالسمك المتوالت ...
واحس شحات بالزهو لانه يشعر في
قرارة نفسه انه ليس في حاجة الى
الدرجة التي زميله عليها .. وما
جاء به الى البحر اكثر من اي شيء ،
هو محاولته تشرب الصنعة ليمكنه
ان يبز غيره من الصيادين .

وظلوا يجدفون ، ويطوون الشبكة،
ويفردونها الى ان ملأوا سلتين ،
احسوا بعدئذ بالتعب ، فاسر الفيل
في اذن احمد قائلا :

— ألم تات بطعام معك ؟! اني
جائع ...
فناولاه احمد قطعة من الخبز ، راح
يلوكها في صمت ...!

وهتف احمد انه حسبهم مسا
اصطاده ، لانه بدأ يحس بالراحة .!
وكان القمر قد بزغ من ناحية
الشرق ... ولكنه لم يظهر واضحا
... فقد تجمعت السحب ، وتراكت
في السماء ، لذا فقد اوهم شحات

بالصخور الزلقة تحت اقدامهم ، وقد
اخذوا في الهذيان .. فتهدج صوت
شحات قائلا :

— افلا يوجد من ينقذنا .. لاكتب
علي ان اموت غرقا ، وانا ما زلت
شابا ، ولم انعم بثروتي بعد ..؟!
اسمع يا فيل .. انت اطول منسي
قامة ، وسامنحك نصيبي من السمك
اذا ما انتقدني ..!

لكن لم يجب الفيل ... فقد
كان مقرورا ... واشتد عليه الارض ،
والجهم الخوف .. فذهب الظن
بشحات ان سميت الفيل يدل على
انه كان يفكر في تلك الحادثة التي
نالها فيها شحات بالاذى من اجل
حفنة من البلح كان قد للمها من تحت
احدى التخللات التابعة له .. بيد ان
الفيل لم يكن يفكر في شيء البتة ، بل
كان صافي الذهن الى حد بعيد ..
على حين اضاف شحات ، وقد نهض
واقفا وسط الماء يطلب من الفيل ان
يحملة على عاتقه ويحتاز به البحر ..
وهتف في اغراء ظن انه سيسيل
له لعاب الفيل :

— اقلع ايها الرجل عن هذا البله ،
وتيقظ .. اسمع الى ما اقول ، ولا
تكن مغفلا ... ساجول لك العطاء
اذا ما انتقدني ... سامنحك عشرة
جنبهات .. ورقة صحيحة بجانب
نصيبي من السمك .. ماذا قلت ؟
وظل الفيل على صمته ، والامواج
تتقاذفه .. فانزعج شحات ، وصرخ
فيه برعونة ، ليحملة على الانصياع
... ثم اردف بحدة :

— اجعلني الى البر ، وسامنحك
ما تطلبه ...
وصمت لهزيم الريح ، وبرق
السماء ، ووعدها ... بينما اعقب
احمد ، وهو يضرب الماء بذراعيه
ليحفظ توازنه :

— الا تخشى ان يلقي بك في اعماق
اليوم بعد ان يسير بك عدة خطوات
يا شحات ..
— ماذا ..؟! اينتم مني ..؟! ولكن

ساعطيه من المال ما يكفيه هسو ،
واولاده ..

وظلعت رائحة البحر ،
واتت الرياح العاصفة بموجة عالية
خالها الصيادون كما لو كانت الجدران
الشاهقة تنقض عليهم ، فأتوا
بصرخة رهيبة ، بينما حملتهم الموجة
بين طياتها ، ثم لفظتهم بعيدا حيث
لا يجدون ما ترسو عليهم اقدامهم
... ففاصوا في اعماق البحر ، وهم
يصيحون - في هلع - صيحات
الغرقى ، ويناضلون ، وهم يتخطون
في عشوائية المستيسين ... بينما
يمتص ضباب الليل ، وصخب
البحر ، وامواجه صرخاتهم
البجوحة .

وناضل الفيل ، فطنى على سطح
الماء ، وحاول السباحة .. ولكنه لم
يجد القوة التي تمكنه من ذلك ...
واتت موجة عاتية ، دفعت دفعة
لا يدري الى أي اتجاه .. ولكنه
احس بطراف اصابع قديمة تنفرس
في نتئ صخري ، فتحمل الاسم ،
واثواب برأسه .. ومسه للسكر
حيثما شعر بما يلتف حول ساقيه

... شعري خشن الملمس ...
له بدنه ... بيد انه سرعان ما
ادرك ان ذلك ما هو الا حشيشة
عانية ، فتشبث الثلاثة ببعضهم ..
فقد قدفت اليه بجسدي زميليه موجة
عانية ، فتشبث الثلاثة ببعضهم ..
وشعر الفيل بما يداعب انفه ، فحلق
في الظلام ، ثم قبض عليه ، واعتصره
بقوة .. ولم يكن ذلك غير قطعة
طافية من الفلين ، بواسطتها اهتدت
اصابع الرنشة الى طرف مسن
الشبكة التي امتدت مع الموج ...
وصاح بزميله لينشئوا معا الشبكة
... وعلى هداها استطاعوا العودة
الى مكانهم ..!

وكان الفيل حسيفا اذ انه لم
يفته تثبيت دعائمي الشبكة في بداية
الامر ... وجثوا يلتقطون انفسهم ،
والموج يلطمهم بلا رحمة ... على ان
الفيل ما لبث ان استوى واقفا ،

ورفع وجهه الى السماء ، والريح
الصرصر ترمجر من حوله ... وراح
يرسل صيحات غريق يشرف على
الموت ... ثم عاد ليجنو في الماء ...
وركن الثلاثة الى الصمت .. على
ان الفيل كان يشخص في الظلام ،
والمياه المزبدة تطفه الـ .. ذقته ...
وفيما هو على هذه الحال صرخ
محذرا لبشد الثلاثة على سواعد
بعضهم البعض استعدادا لاستقبال
موجة اشبه بالطود الاشم ، لها
اهداب مضيئة تعلق قمعتها .. !

وغاصوا اسفل الماء ، وانحنوا
للموجة ، فتنبهتهم بتقلها الهائل ، ثم
تخططهم ، وهي تجر اذيالها التي
سحبت المياه وراءها ، فكشفت بذلك
عن الصخور ، واجساد ثلاثية
بتوسطها شاهد ... فاحس الرجال
بالريح تلدهم ، فنهضوا ، وهم
يلتقطون انفسهم ، ويشعرون بظفر
الموجة المنزلقة بنظرة من لم تله فكي
وحشي رهيب ... وما لبثت المياه
ان اطلقت عليهم من جديد ، وشعروا
بما يحتم عليهم بثقله المخيف ...
فحطمت ستة ميون فزعة ، وتركزت
كلها على ذلك الجسم الاسود الزلق ،
الذي ابى ان يتحرك عنهم قبيد
انملة .. فدفع الفيل بيده الى ذلك
الجسم الضخم العنيد ، وراح يتلمسه
ليدرك منه موعضا حساسا ، بينما
يده اليمنى تنهيا بدمية حادة ليدفعها
في مقتل ذلك الذي ظنوه وحشا ،
او حوتا رمت به الامواج اليهم ..
على ان الفيل ما لبث ان صاح
قائلا :

— انه .. انه قارب رجب الصياد ،
حملت حمامة الامواج الى هنا ..
ولاول مرة يشعر بجانبهم بالاسى
من اجل رجب الصياد ، الذي تحطم
قاربه ..

واحس الصيادون الثلاثة بالمياه ،
وهي تنحسر عنهم رويدا ، بينما
اخذ القارب في الهبوط بجانبهم .
واشتد هذان شحات ..
بينما خفت حدة الريح ..

الشاطي والمرجور

كانت الأرض واحة ورييما
والمصافير زقزقات حنين
والمنى رقصة العذارى وفجر
والفراشات رعشة واستباق
والرمال التي ترامت بعيدا
والطيور التي دعاها مساء
وحفيف الجحداف ينساب لحنا
والشرع الهيمان رفة قلب
وحديث الامواج همسة شوق
واستفاق الغراب ينعي ربيما
ومشت رعشة الخريف بقلب
فاذا الشاطيء الذي كان سجرا
واذا الجنة التي طفت فيها
وي كاني ما كنت بلبس روض
صحت والشاطيء الحزين ارتعاش
ابن سلوى؟ راحت وكانت شعاعا
ابن ليلى؟ راحت وكانت عيسرا
ابن سلمى؟ راحت وابن الاماسي؟
يا لقلب اضناه حب وشوق
ما تفنى الا ليورق حسب

يستظل الواني بها من عنائه
هاجها الحب فارقت في سماءه
راقص الخطو ضاحك في ندائه
للمفاتي والصبح نشوان تائه
غسل البحر راحتها بمائه
عازها الشوق للضحى وبهائه
عبقريا في سحره وصفائه
يرقص الموج نشوة من غنايه
والتياع يستاف عطر روائه
لم يمتنع في صبحه ومساءه
لم يمتنع في صيفه وشتائه
للمفاتي يقتات ذكرى هنائه
حلم فجر ينهار من عليائه
اسكرته الانام من اندائه
واندجى يحضن النني بردائه
طاف بالروح فانتشت من سنائه
ايقظ الليل من دجى ظلمائه
صوح الروض وارتمى في شقائه
يا لقلب يقتات من برحائه
حصدته الايام قبل ارتوائه

احمد مطلوب

جامعة الكويت

شدة الحمى ..
وعلق في كتفه - بجانب ذلك -
سلة مملوءة بالسبك ... بينما حمل
الصيد الثالث الشبكة الممزقة
والسلتين الاخرين، واجتاز الصيادون
الخيران الى الشاطيء وهم اكثر
ارتباطا من اي وقت مضى ..

القاهرة محمد حسين عبد المجيد

لبتها القيل بان وضع على كل منها
حجرا كبيرا في اول الليل ...
وبدات الخيران تأخذ شكلها الطبيعي،
والجزر يسحب المياه في تياره ...
ولاحت اشجار النخيل من بعيد ،
والشاطيء يرسخ تحت اقدامها ..
ف سحب الصيادون ثيابهم من تحت
الاحجار ، واعتصروها ، ثم حصل
الغيل شحات الذي اصبح يهدي من

وتفرقت السحب ، وتفرقت ، واخذت
تمور في الفضاء الداكن ... وكف
المطر عن الهيمان ... وسقط ضوء
الفجر الشاحب على صفحة المياه
المزبدة ، والوجوه المتعبه الشاحبة .
واستقر حطام القارب على ذوائب
الصخور ... بينما اخذت رقصة
اليابسة في الاتساع ... والسهال
الثلاث ما برحت كما هي ، حيث

بلاد العروبة كلها ، حمى الله ارض الكنانة في جميع مراحل التاريخ.

— والشبه شديد جدا ، للذكرى المؤلمة والاعتبار الصامت الحي على الاقل ، بين « المنازل » التي تلات في معركة ميسلون ١٩٢٠ المنتهية بالهزيمة المتوقعة والمليئة بالمتناقضات المذهلة ، وبين « المنازل » التي قسامت بادوارها باخيت تكتيك في « رواية » الجيوش العربية سنة ١٩٤٨ وقد شهدنا كل ذلك عن كتب ، ظاهره وخفيه ، فكانت فلسطين الغالية ميسلون الثانية في تاريخ العرب الحديث . وكان تلك « المنازل » لم يتغير من جوهرها شيء في مدة ٢٨ سنة .

— كان العدو السياسي السافر للعرب من ١٩٠٨ الى ١٩١٤ هو التيار الطوراني ، ودخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا آخر ١٩١٤ فلما هزم الحلفاء المانيا في خريف ١٩١٨ انهزم معها المخطط الطوراني ، اصلا وجزعا ، وامست تركيا متقلصة الرقعة محصورة في الاناضول ، واستدار العرب على انفسهم فاذا بالطورانية قد اضمحلت كانها كانت سحابة صيف ، واذا بالصهيونية العالمية مخيمة فوق فلسطين بريش القناذف والسلاح البريطاني . كل ذلك بين ليلة وضحاها . واذا بهذا المخطط الصهيوني يضع الامة العربية جمعاء ، في مواجهة مصيرية لم تستفق الامة العربية على خطورتها ، الا بعد ١٩٤٨ . ان دراسة التأخر الذي تأخرته الامة العربية ، آسيويا وافريقيا ، على مخطط الصهيونية العالمية ، سيوغل العرب اكثر فاكثر ، وينقبون عن اسباب « يوم ميسلون » و « ١٥ - ٥ - ٤٨ » وماثم ، كذلك كان « ١٥ - ٥ - ٤٨ » ، وكان اليومان لليهود افراحا ومغانم .

— كانت الصهيونية سنة ١٩٢٠ اشد ما تخشاه وترتعد فراثضا منه خوفا ، هو ان يتمكن العرب الاسييون من انشاء الدولة العربية المستأنفة في الشام انشاء حكيما حرا يرضع الحضارة ويرتضع منها ، حتى اذا اجتاز العرب دور الخاض والتجربة ، وتحرروا في افريقيا مثل تحررهم في غربي اسيا ، التامت هذه الامة المكتوب لها ان تمتك خير بقاع الارض ، واجمل السهول والانهار والجبال والسواحل والمرافيء ومضائق البحار ، يوم لم يكن بعد قد نادى النادى : « ايها العرب ان الذهب الاسود تحت اقدامكم وسيكون لكم شأن به ، وسيكون له شأن بكم » ، التاما عمرانيا مدنيا ومسلحا ، بحيث لا تقوى دواليب الحضارة على الدوران الا اذا كان للعرب في « نعم » و « لا » القول الطاع الملى .

— وان سوريا و بلاد الشام ممتدة من جبال طوروس الى العقبة ، ووراءها ما ورائها الى العراق ، تقسادة ان تعظم وعد بلفور او تخفقه في المهذ ، وانف الحراب الانكليزية راغم . الم تستطع البنادق العراقية سنة ١٩ و ٢٠ ان



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

خيوطه كلها الى سنة ١٩٢٢

بقلم عجاج نويهي

لما انتهت التجربة العربية المرة في دمشق سنة ١٩٢٠ بدخول الجنرال غورو عاصمة بني امية ، كما دخل الجنرال اللنبي القدس في ٩ - ١٢ - ١٩١٧ وكلاهما دخل فاتحا وقال كلمة كان اولي به الا يقولها ، كانت النتائج التي تجرعتها الامة العربية الاسيوية ، في تلك السنة بعد « يوم ميسلون » المالى بالمتناقضات ، تصور ما يلي :

— خيبة عربية عميقة كاوية بعد نضال ١٢ سنة منذ ١٩٠٨ ونصف تلك المدة كان في عهد الاتراك الطورانيين ، وفيه كان النضال سليما ، ثم النصف الثاني امتدادا من ١٩١٤ - ١٩٢٠ واغلبه مثله ثورة الحسين بن علي ، اذا اعتبرناها من حيث الروح والغاية الى سنة ١٩١٨ ثورة التجربة الاولى ولها نتائجها المعلومة ، فلما وقعت الخيبة سنة ١٩٢٠ كانت خيبة قومية حتى الاعماق . وقلست الامة العربية الاسيوية ، اذ اعني ان وقتها كان الاستعمار البريطاني في مصر والسودان ، والابيطالي في ليبيا ، والفرنسي في الشمال الافريقي ، يفصل بين شطري الامة العربية آسيويا وافريقيا شطرا تاما ، الا ما يتعلق بمصر فانها ما برحت بالقوادم والخوافي من اجنتحتها ترف على

• راجع عدد ابريل ١٩٧٥ صفحة ٢

كان الحاج امين المظيب الثرى ، قد جند العاملين في فلسطين ، وهو واخوانه الخالص في الطليعة ، وعقد اول مؤتمر عربي فلسطيني في القدس والحكومة العسكرية المحتلة ترافق وتترصد ، وكان عقد هذا المؤتمر قد تم قبيل مجيء اللجنة ، وكان مجيئها في اول حزيران ١٩١٩ . من الان فصاعدا ، صار الحاج امين اكثر فاكثرا هو راس الحركة الرابطة بين فلسطين ودمشق . ولا شرعت اللجنة في الاستفتاء لم يستطع الانكليز عرقلتها الى حد كبير لاحتجتهم في مؤتمر الصلح الى الدكتور ويلسون . فنادى اهل فلسطين العرب بقضهم وقضيضهم انهم تابعون للدولة العربية امهم الرؤوم وهم الجزء الجنوبي (٢) منها . وبقي آخر نامة لصدى هذا التعبير الى ١٩٤٨ ، ومرة يوم عقد مؤتمر انشاص في مصر لنصرة فلسطين سمعت الرئيس شكري القوتلي رحمه الله على الدبايع بخطب خطبة سياسية من دمشق ، ولما تناول فلسطين ، وهي على وشك الوصول الى السليخ ، قال : « واما فلسطين ، او سوريا الجنوبية » ، فقلت وانا استمع هذا :

ماصح ما قال شاعرنا الحكيم :

امرهمو امري بمنعرج السوى فلم يستينوا النصح الاضحي الغد
الحاج امين والمؤتمرات العربية الفلسطينية : في اثناء عهد « الحكومة العربية » في دمشق من اول تشرين الاول ١٩١٨ الى آخر تموز ١٩٢٠ وهي ٢٢ شهرا ، كانت فلسطين محتلة في « المؤتمر السوري العام » (٣) تمثيلا تاما ، ولا وضع المؤتمر قراره التاريخي في حدود سوريا ووحدتها اراضيها كانت فلسطين الى رفع هي سوريا الجنوبية كما تقدم ، وقرر المؤتمر رفض الصهيونية رفضا مطلقا ورفض وعد بلفور . والمؤتمرات العربية الفلسطينية انما كان اول مؤتمر منها في القدس قبيل مجيء لجنة الاستفتاء ، ولا ينبغي المزج بين المؤتمر العربي الفلسطيني الاول في القدس و « المؤتمر السوري العام » في دمشق ، وان كان مؤتمر القدس بمثابة ربيب « للمؤتمر السوري العام » ، وكلاهما عقدا « حزيران ١٩١٩ . وطبعان الغاية من عقد مؤتمر القدس ، وفلسطين محتلة مطوقة بوعد بلفور ، شد الهاميز العربية في داخل البلاد ، ليكون ذلك دليلا ، قويا عمليا على الاعتصام بدمشق الام .

الذي بنى قبرا جديلا في الاستانة للسيد جمال الدين الافغاني بسين الحرين ، ثم قامت حكومة افغانستان اخر الحرب العالمية الثانية بنقل رفات السيد جمال الدين الى كابل . وزار السيد كراين سوريا سنة ١٩٢٢ في شهر نيسان فافق به الاعالي وعلى راسهم الدكتور عبيد الرحمن الشهبندر فهاج الفرنسيون واقتلوا الشهبندر ورفاقه الى جزيرة ارداد ، وبعد نحو سنتين جاء السيد كراين لفلسطين راجعا من اليمين على ما سبق وخدم سياحته في فلسطين بطواف طافه في المدن الكبرى ولم تستطع السلطة الانكليزية مفاشته بعال . وندبني الحاج امين رئيس المجلس ارافته في ذلك الطواف لكي اترجم له خطبه الشفوية التي كان يخطبها في العرب وكانت خطبه في بيت لحم انس خطبة فالها مسيحي اوربوي امريكي على الاطلاق .

تجثت روح الاستعمار البريطاني وتجفقه وتحول الانتداب الى معاهدة ، ثم يسير العراق سيره المعلوم حتى اذا دار الزمن دورته ، وقام على العراق ابناؤه العرب الاحرار الذين نشاهد برامجهم البنائية العمرانية اليوم ، آمن العرب انهم امة ، وانهم سلاح ، وانهم عرب لجميع العرب . هذا ما كانت الصهيونية تخشاه ، فلما كان « يسوم ميسلون » اغارة غورو على دمشق ، رقصت الصهيونية في فلسطين ان العرب لم يستفيقوا بعد . وطالت « النومة » حتى رمضان ١٩٢٣ وتشرين ١٩٢٣ وقد كان في رمضان اول مرة منذ ٢ نوفمبر ١٩١٩ ان انتصر العرب في سيناء والجلان من العدو الخبيث .

— الحاج محمد امين الحسيني كان من رجالات العرب وشباههم اليقظ الحي التنبيه في دمشق . وقد راي كل هذا واستوعبه ووقف على الظواهر والبواطن . ادرك ما ميسلون وما معناها عربيا وصهيونيا . وقع القضاء والقدر ، وبقي الفلك بدور . وتمكنت فرنسا في سوريا وقسمتها الى دويلات ، وتيممت فلسطين ، وكان يطلق على فلسطين « سوريا الجنوبية » فغاب هذا الاسم بعد ميسلون . وكانت الروابط بين دمشق والقدس مجدولة الجبال فتناثرت وتقطعت . وكان في القدس « النادي العربي » اسسه الحاج امين فاذا به يصمت بعد تموز ١٩٢٠ ، وتبقى الالفة العريضة الطويلة مكانها تحمل اسم « النسابي العربي » مدة بعد ذلك ، وهذا النادي في « باب الخليل » في القدس هو ربيب « النادي العربي » الام الرؤوم من دمشق تجاه لوكندة خوام في ذلك الزمان .

— لما قرر الرئيس ويلسون ان يرسل الى سوريا وفلسطين ولبنان سنة ١٩١٩ لجنة الاستفتاء ، مؤلفة من اميركيين اثنين من ابل رجال اميركا خلقا وضميروا ووجدانا ، وهما هنري كنج وتشارلس كراين (١) ، بعد ان تملصت فرنسا وبريطانيا من الاشتراك في هذه البعثة لعلهمما المؤكد ان الاستفتاء يكشف عن اضمارهمما السوء للعرب ، وسيزيح الغطاء عن اتفاقية ساكس-بيكو السرية والحرب بين فرنسا وبريطانيا لتقسيم البلاد العربية قسمة تحقق مظامعهما الاستعمارية بعد ان وقع كل هذا وجاءت اللجنة التي غلب على تسميتها « لجنة كراين » ،

(١) السيد تشارلس كراين اشتهر في النصف الاول من هذا القرن وصداقته للعرب والمسلمين صادقة لا ريب فيها ، ومداخله الى هذه الصداقة انه كان سفير بلاده يوما في الصين وساح الشرق وشاهد العرب والمسلمين عن كثب ، وسنة ٩٢٢ - ٢٤ ساح في اليمن وافريقيا وعرج على فلسطين في اوبته ، فدعا الحاج امين بصفته صديقه السابق ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، الى حفلة شاي زاهرة في احدى ردهات المجلس الكبرى قرب الحرم الشريف ، وهما « الصداقة » منذ جاء في لجنة الاستفتاء سنة ١٩١٩ ورحب الحاج امين به ترحيبا جديلا ذاكرة له فضله في خطبة انيقة صريحة ، والمعدون من رجال الحركة الوطنية مدد كبير يمثل كل فلسطين . فلما رد السيد كراين على صديقه الحاج امين بخطبة واعية حكيمة . والسيد كراين هو

لتوضيح التوافل في فلسطين ليكون ذلك بينا للاجبال العربية في الافاق ، نقول ، جوابا على السؤال : كيف كانت تدار القضية من جتي الحاج الامين الطالعة زعامته منذ نهاية الحرب الاولى ، وموسى كاظم عليها رحمة الله، وموسى كاظم انتقل من رئاسة بلدية القدس الى زعامة القضية في سنة ١٩٢٠ ؟

ونشأ الامر هكذا : ان آل الحسيني في القدس من بيوتات العرب ذات التراث القديم علما ووجاهة، وممارسة للاعة في العهد العثماني . والافاق (هـ) في بيتهم كذلك، على الاقل منذ القسم الاخير من القرن التاسع عشر . وكانت رئاسة بلدية القدس عند الاحتلال في آل الحسيني يتولاها حسين سليم الحسيني اخو موسى كاظم باشا ، فلما توفي حسين سليم الى رحمة الله في اوائل ١٩١٨ عين اخوه موسى كاظم محله ، وهو كما قلنا في حدود السبعين اكثر واقل قليلا ، وبقي في رئاسة البلدية الى ١٩٢٠ وهذه السنة سنة تكة ميلسون وتبتم اهل فلسطين بعد انهيار مخطط استئصال الدولة العربية في الشام ، ورجع من رجع من رجال فلسطين الى فلسطين يللمون بقاياهم ويفكرون في المصير المظلم . وسبب خروج موسى كاظم من البلدية ، وللبلدية شأنها الكبير في القدس وفي سائر فلسطين ، ان اخذ اليهود ووراءهم الانكليز يحاولون صبغ البلدية صبغة يهودية فطلبا ان تكون اللغة العبرية لغة رسمية ، فابى موسى كاظم ، لان الاعضاء اليهود في البلدية اقلية ، ولما اخذت الازمات تشتد بين فيصول من الافرنسيين في سوريا ، كانت فلسطين يشتد نبضها، وتقيم التظاهرات الكبيرة ، في الاحتجاج على الصهيونية ورفض وعد بلفور ، وهذا ما قرره « المؤتمر السوري العام » في صيف ١٩١٩ وأبلغه الى لجنة الاستفتاء (لجنة كراين) فكان موسى كاظم يساند التظاهرات الشعبية السياسية فاما ان يكون على رأسها واما ان يطل عليها ويحييها والجماهير سائرة امام دار البلدية في ساحة باب الخليل ، وهي اوجه ساحات المدينة .

فاجمع الحاكم العسكري امره وقال له : لك ان تختار بين ان تبقى رئيسا للبلدية الممتلئة للعرب واليهود، وتقبل باستعمال العبرية لغة رسمية ، وتمتنع عن مساندة المظاهرات ، او ان تستقيل . فعد بلفت مسامحة عبارة الحاكم اجابه فوراً اني مستقيل من هذه اللحظة لخدمة بلادي ، وكتب استقالته في عبارتين وانصرف ، فعين الحاكم محله راغب النشاشيبي العائد من الاساتذة حديثا وهو كان من اعضاء البرلمان العثماني ، وبقي راغب في رئاسة البلدة الى ١٩٢٤ اي ١٤ سنة شوطا بعد شوط . فانتقلت شخصية موسى كاظم الحسيني من رئاسة بلدية القدس الى زعامة قضية فلسطين ، شيخا جليلا مهيبا ، عاقلا حكيما ، له رئاسة المؤتمرات ورئاسة الوفود الى لندن وجنيف ، ورئاسة اللجنة التنفيذية ، وطال ذلك

بداية المؤتمرات الفلسطينية: لعله من المفيد ان نسجل هنا بداية هذه المؤتمرات وامكان عقدها بين الشام والقدس، والعامل الاول فيها الحاج امين ، ومعه اخوانه ابناء فلسطين عصبه ، فالمؤتمر الاول عقد في القدس في اوائل حزيران ١٩١٩ اعدادا للاستفتاء ، وفي ظل دمشق في الطالب . وهذا المؤتمر الاول الف لجنة تنفيذية ، وهذه اللجنة قررت بعد حين عقد المؤتمر الثاني ، وفي القدس ايضا ، ولكن السلطة العسكرية حالت دون ذلك ومنعت المدعويين من الانتقال من مدنها الى القدس ، فعقد في دمشق . والذي يجب ان يراعى تسلسل المؤتمرات العربية الفلسطينية فلنتبته الى هذا ، اذ بعضهم بعد هذا المؤتمر الذي عقد في دمشق هو الاول ، فهو الثاني ، كما ترى . وكان عقده في ٢٧ شباط ١٩٢٠ ودمشق كالقلي على النار .

وقد وضع لي هذا الزعيم العربي المؤمن رشيد الحاج ابراهيم سيد حيفا ورجلها الصامد ، رحمه الله ، وذلك ونحن في اربحا سنة ١٩٥٠ وقد كتب ذلك بخط يده حاشية علها على صفحتي ٢٢ و ٢٤ من كتاب عيسى السغري المطبوع في يافا سنة ١٩٢٧ طبعته الاولى، ومقدمة الكتاب الوجيزة وضعها له الحاج امين مؤرخة في ٢٠ المحرم ١٣٥٦ - ٢ نيسان ١٩٢٧ (بعد هذا التاريخ بنحو ٧ اشهر غادر الحاج امين فلسطين الى لبنان في خريف تلك السنة كي لا يقع في اعتقال الانكليز) وقال لي رشيد ان المدعويين من مختلف انحاء فلسطين بعد ان حبل بينهم وبين الوصول الى القدس ، لم يتمكن غير ثلاثة من اخراقي حاجز المنع والوصول ، وهم رشيد نفسه من حيفا، وحنا عصقور من حيفا ايضا ، ورشدي الشوا من غزة . ثم كان « يوم ميلسون » في الثلث الاخير من تموز ١٩٢٠ وفي ١٤-١٢-١٩٢٠ اي بعد اقل من خمسة اشهر من تكة ميلسون عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا برئاسة موسى كاظم الحسيني (٤)، وتوالى بعد ذلك عقد المؤتمرات القدس الحاجة في حيفا ويا وحيفا ونابلس ، وبلغ عدد هذه المؤتمرات ثمانية آخرها سنة ١٩٢٤ وفي هذه السنة توفي موسى كاظم رحمه الله ، ولا مؤتمرات وطنية بعد ذلك .

موسى كاظم الحسيني والحاج امين الحسيني : نحن اليوم في سنة ١٩٧٥ واختار الله الى جواره امين السنة الماضية رحمه الله ، وراينا يوم الانهيار ١٩٤٨ وما قد مضى على ذلك اليوم ٢٧ سنة نازحين « لاجئين » مخيمين ، حتى كانت « فتح » منذ ١٢ سنة ، ثم من الله بيوم رمضان ١٣٩٣ او تشرين ١٩٧٣ فانقلبت الموازين وراينا النصر المؤزر في سيناء والجولان ، وهو اول يوم انتصف فيه العرب من اليهود منذ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ يوم صدور وعد بلفور . وبين ١٩٤٨ واليوم نشأ جيل عربي لم يعاصر حوادث فلسطين في عهد الانتداب ، والان

الى ١٩٢٤ سنة وفاته ، ١٤ سنة . ومن غريب الاتفاق ان في هذه السنة خرج راغب من البلدية اثر انتخابات لم ينتج فيها فشل محله الدكتور حسين فخري الخالدي الذي نفي بعد نحو ٣ سنوات مع رفاق له الى جزيرة سيشل حيث بقوا هناك الى وقوع الحرب العامة الثانية (٦) .

من هو موسى كاظم باشا الحسيني : لما تقاعد سنة ١٩١٣ ولزم بيته ، كان المؤتمر العربي يعقد في بارزورباسة عبد الحميد الزهراوي الشهيد والدول البلقانية تهزم تركيا في حربي البلقان ، وإيطاليا منسبة مخابلها في طرابلس الغرب (ليبيا) ، وفرنسا تصيح تريد المشرق ، ورجال تركيا يحدثون آخر انقلاب سياسي فيطليحون بخصوصهم السياسيين ، ويأتون بحكومة مؤلفة من الحزب الطوراني القائل بتحويل العرب والكرد وغيرهم الى «أتراك» على العقيدة الطورانية ، وبلاد الشام تخشى احتلالا اجنبيا اما بالواطاة على الدولة العثمانية واقسامها ، واما باحداث الفتن الداخلية واهتيال الفرصة لاحتلال - لما كان كل هذا يقع سنة ١٩١٣ :

كان الصهاينة في آخر انقلاب في الاستانة قد انبثوا اوسع انبثات في اجزءة الدولة ، وتالوا ثلاث حثائب وزارية في الانقلاب الدموي الجديد ، هي :

- ١ - وزارة النافعة (الاشغال العامة) .
- ٢ - وزارة التجارة والزراعة .
- ٣ - وزارة البوسنة والتلغراف .

اما وزير النافعة فهو « بساريا افندي » عضو مجلس الاعيان واصله « فلاخي بقندي » من رومانيا ، وكان من قبل رئيس تحرير جريدة « جون تورك » الصهيونية . واما وزير التجارة والزراعة فهو « نسيم مازلياح » نائب الزمير في البرلمان العثماني ، ومفوض الجمعية الصهيونية . واما وزير البوسنة والتلغراف فهو اوسقان افندي وقبل وصوله الى هذه الوزارة بخمسة سنين كان كاتباً في الديون العمومية بمرتب متواضع . ولم يكن للعرب في هذه الوزارة اى حقبة واحدة

(٢) كان العربي اللبناني العامل والصحافي الحر الاستاذ سامي سليم يتبع في بيروت ، وبينه وبينه اخوة وصداقة ، وايدا يرأسني وانا في فلسطين من اول نهاري الى يوم نهاريها ، وما كان يجمل العنوان الا هكذا : القدس - الجزء الجنوبي من القطر .

(٣) « المؤتمر السوري العام » وهكذا اطلق عليه من الاسم ، انعقد في دمشق في حزيران ١٩١٩ واعضائه من سوريا (الاردن وقتها تابع لسوريا الى حد معان) وفلسطين ولبنان انتخبوا انتخابا شرعيا وسمايت حكومة العرب المؤلفة منذ احتلال دمشق في اول تشرين الاول ١٩١٨ « بالحكومة العربية » فتعير « المؤتمر السوري العام » و « الحكومة العربية » معناه حكم العرب مدة الاتنين والعشرين شهرا .

(٤) هذا المؤتمر الاول في القدس لم يرأسه موسى كاظم الا كان

بحملها سليمان البستاني العلامة معرب « الاياداة » ، والعرب نصف الملكة في عدد السكان ، واما في مساحة البلدان فقدرد الاناضول بعشرات المرات .

وكان الصهاينة قد تمكنوا بواسطة هؤلاء الوزراء الثلاثة ان يسنوا قانونا يجيز للشركات الاجنبية ان تمتلك الاراضي في الدولة العثمانية باعتبارها (اشخاصا معنوية) وجاءوا الى القور عندبيسان يريدون شسراء الارض ، فاقبعت وقتها ضجة في الصحف العربية في مصر وسوريا والعراق ، وفي البرلمان العثماني ، احتجاجا على تلك المحاولة ، فاستطاع العرب ابطالها .

وكان موسى كاظم باشا الحسيني ، الشيخ المتقاعد ، بعد خدمة طويلة في مناصب متنوعة في باقا وصغد وحارم وعكار وعجلون ، وعصير ونجد والحسا وسعرد ، وبنتليس وديار بكر ، وحروران ، امسى ذلك الرجل الحكيم الواسع الصدر ، وجاء دوره منذ ١٩٢٠ فصاعدا ان يتولى «الواجهة الخارجية» القضية العربية في فلسطين ، اكبر شخصية عربية ممتازة في فلسطين ، بل من مقدمي شخصيات العرب الذين علوا علوا كبيرا في فن الإدارة في الدولة العثمانية ، وسجل في سيرته ضربا من الاستقامة فريدا لا شك في ذلك . ولما وقعت الحرب العامة الاولى لزم بيته في القدس ، الى ان عين محل اخيه حسني سليم رئيسا للبلدية اول ١٩١٨ كما سبق . اما صفاته الاخرى ، فقد كان مثالا في الوادعة والدفاع عن الكرامة القومية ، وقد احاط بخبرة وعلم بالحركة الصهيونية ومطالوبها الخبيثة . طويل القامة متصبها ، لم يتقوس له ظهر وهو في الرابعة والثمانين ، كان يتصدر التظاهرات في الطليعة غير هباب . دفن في جوار المسجد الأقصى ، وبعد اربع سنين دفن الى جواره ابنه الشهيد الكبير عبد القادر الحسيني (٧) رحمهما الله .

انتقال الحاج امين الحسيني الى الافناء وزباسة المجلس الاسلامي الاعلى ١٩٢٢ وكيفية ذلك والمنسودب السامي الاول : نشعر بان من الواجب علينا ، حرمة للحقيقة والتاريخ المتعلق بسيرة الرجل الملمم الحاج امين الحسيني ، عليه رضوان الله ، ان نبين كيف اختير مفتيا

لا يزال في البلدية وطبعا لم يرأس المؤتمر الذي عقد في دمشق وانما انحصرت به الرئاسة من مؤتمر حيفا فصاعدا .

(٥) انما كان للافناء الحنفي في الملكة العثمانية التقدم الشكلي على المذهب الثلاثة لان الدولة العثمانية كانت تالخذ به اذ الامام ابو حنيفة من العروق التركية .

(٦) سنة ١٩٢٧ في الخريف بدأت الثورة بمقتل حاكم الجليل البريطاني اليهود . اما الفتى الحاج امين فدير امره بالانتقال الى بيروت بحرا في قارب عربي من بالما متكررا كي يتنجو من الاحتلال . واما الذين تقبضوا السلطة الى سيشل فهم : احمد حلمي عبد البسائي وورشيد الحاج ابراهيم والدكتور حسين فخري الغالدي ، ويعقوب القضيي وفؤاد سابا ، وكلهم في اللجنة العربية العليا المؤلفة من الاحزاب الخمسة باتفاق تام سنة ١٩٣٦ .

على فلسطين ، وذلك أولا لانعدام الانسجام بينهم وبين الحكم العسكري ، وثانيا طلبا للانتقال الى عهد الانشاء فعليا للوطن القومي اليهودي ، وكان لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ومستتر تشرشل وزير المستعمرات وقتها على غاية الالتحام بالنتج الصهيوني قلبيا الطلب ، وجاء هربرت صموئيل اواخر ١٩١٩ في فصل الشتاء ابتغاء الدراسة عن كتب لاحوال البلاد وطبائعها من جميع الوجوه ، وفي اثناء وجوده في فلسطين كان ضيفاعلى الحاكم العسكري العام الجنرال بولز ، فقام بدراسته ثم رجع الى لندن .

— ويتساءل القاريء : اذا كانت سوريا تتعاثر في فرنسا في سوريا تعاركا شديدا ، وسوريا ام فلسطين ، ونذر الحرب تملأ الجو ، اليس اولى بالحكم العسكري ان يستمر في فلسطين حتى تنتهي مشكلة سوريا ؟ ومن يدري ، فقد ثور سوريا في وجه فرنسا وقرار « مجلس الحلفاء الاعلى » القاضي باعطاء الانتداب على فلسطين لبريطانيا ، وفي الانتداب (الذي ليس لعرب فلسطين فيه رأي او مشورة خلافا لمبادئ ولسن ولعهد عصبة الامم) مدمج وعد بفور وانشاء الوطن القومي ، وقيل قرار سان ريمو باسبوعين كانت الحكومة العسكرية في القدس تعالج ثورة النبي موسى ، وهي اول ثورة بعد الاحتلال ، ومن نتائج تلك الثورة ، الحكم العسكري على الحاج امين الحسيني بالسجن سنوات عديدة ، فخرج الى الاردن . والجواب : ان الحساب الذي حسبته الانكليز لما سيقع في سوريا كان صحيحا ، وهو ان تواطؤ بريطانيا وفرنسا على تطبيق اتفاق « سايبكس - بيكو » ، ولا حاجة بعد ذلك الى الحكم العسكري في فلسطين ، واذن فليات اول مندوب سام ، وليس بريطانيا مسيحيا ، بل يهودي صهيوني قح ، هو السر هربرت صموئيل ، وكان سنة ١٩١٤ وزير الداخلية في الحكومة البريطانية .

— من هو هربرت صموئيل ؟ هو « من حزب الاحرار » وتاني يهودي بريطاني تسلم حقبة في وزارة بريطانية بعد دنرثايلي اليهودي المنتصر ، (تنصرا كاذبا ليتوسل بالنصرانية الموهة خدمة الصهيونية كما فعل وشهد على هذا الصهانية انفسهم فضلا عن الانكليز) .

ولما دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا في خريف ١٩١٤ كان صموئيل (ا) وزير الداخلية ، فقدم الى مستر اسكوت رئيس مجلس الوزراء مذكرة وضعها مستر اسكوت في يومياته هكذا : « قدم هربرت صموئيل الى مجلس الوزراء مذكرة في منتهى الغرابة والشذوذ ، طلب فيها انه في حالة اقتسام الاملاك التركية في آسيا ينبغي لنا ان نستولي على فلسطين ، ليتجمع فيها اليهود المشتتون في العالم فيقيمون فيها ويمنعون حكما ذاتيا (هوم رول) (راجع كتاب Nisi Dominus للسيد نفيل باربر وقد اقام في فلسطين سنتين وكسان لنا به معرفة شخصية) .

اكبر لفلسطين ، ثم رئيسا مدى الحياة لرئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، الممثل لمسلمي فلسطين في شؤونهم الدينية ، مشرفا على المحاكم الشرعية وهي ١٧ محكمة وعلى الاوقاف الاسلامية ، وهي جمعة ، ولها سبع دوائر في البلاد . ثم بعد ذلك نتكلم على منجزاته وكبير مشروعاته عربيا واسلاميا ، ومرحلة في النضال ، والنتائج الامة من حوله بصدق وايمان ، ويظهر ذلك الى خريف ١٩٣٧ اذ في ذلك الوقت اضطر الى براح القدس سرا الى يافا ، ومنها الى بيروت في قارب عربي رجاله من خيرة رجال يافا الذين تربوا على مغامرة البحر ، وقد اشتهرت يافا بطولات رجالها هؤلاء وكانت تسمى يافا عروس فلسطين .

وانما ترجمتنا له ، رحمه الله ، تقف عند سنة ١٩٣٧ لا بعد ، لان نضاله بعد انتقاله من فلسطين في تلك السنة ، هو صفحات اخرى تشمل المدة التي مكثها في لبنان وهي نحو من سنتين ، ثم انتقاله من لبنان الى العراق ووقوع الثورة على الانكليز في العراق ، وهي المسماة بثورة رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزارة العراقية ، ثم اضطره ملاحقة الانكليز له ودقيق ترصدهم لحركانه ان ينتقل الى ايران ثم الى ايطاليا فامانيا فيلقاه في اوربا والبقان الى نهاية الحرب ، فجاءه بارز سنة ١٩٤٦ وبقي في بارز على حذر شديد من ملاحقة الانكليز والصهيونيين له ، حتى رماه الله وانتقل سرا من بارز الى القاهرة فرحب به ملك مصر وحكومته خير ترحيب ، وفي تلك السنة استطاع الامير المجاهد القائد محمد عبد الكريم الخطابي ، ثائر المغرب في الريف من ١٩٢٠ - ١٩٢٦ ، ان يخل ونفاه من اسر الفرنسيين له منذ ١٩٢٦ في جزائر « ريشوني » عزقي مدغشقر ، ويلجأ الى مصر ، ومن الواجب ان نسجل في هذا الوطن ان الرجل العربي المسلم الذي كان يمين الحاج امين في خطط انتقاله الى مصر من بارز سنة ١٩٤٦ هو السري الكبير الدكتور معروف الدواليبي ، العلامة الفقيه ، رئيس مجلس النواب السوري ، وكان منذ سنين من مستشاري جلالة الملك فيصل الراحل في الرياض . وسنة ١٩٤٨ كانت النكبة ، فاخذ الحاج امين يوسع جهوده ولاسيما في مكة المكرمة والعالم الاسلامي وهو رئيس المؤتمر الاسلامي العام المعقود في مكة ومن مؤسسي « الرابطة الاسلامية » . ولم يتقطع عن العمل وحضور المؤتمرات ومعاناة الاسفار حتى سنة وفاته السنة الماضية في بيروت ففسر العالمان ، العربي والاسلامي ، بفقد زعيما كبيرا فعلا معتصما بذلا شملت صفحات جهاد الطاهر من التاريخ ٥٥ سنة . فنحن هنا معنيون بموجز سيرته الى خريف ١٩٣٧ رحمه الله .

— طلب اليهود من الحكومة البريطانية سنة ١٩١٩ ودمشق تغلي على النار ان تعجل بطي الحكومة العسكرية في فلسطين واحلال حكومة مدنية محلها ، وان يكون السر هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني المندوب السامي الاول

البرنامج انشاء الاسس والاوضاع للوطن القومي حسب وعد بلفور ظاهرا ، واكثر من وعد بلفور تنفيذا ، مما يتعلق بالاقتصاد وتسهيل بيع الاراضي ، والهجرة ، وعلى الجملة ، كما هي العبارة في صك الانتداب ودستور فلسطين ، وضع البلاد في « حالات سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي (١٠) » - لا شرع صموئيل في هذا ، وكان قد درس احوال فلسطين عن كثب في شتاء ١٩١٩ - ٢٠ كما تقدم ودرس ايضا علل ثورة النبي موسى في اوائل نيسان ١٩٢٠ وموقف العرب من وعد بلفور والصهيونية ، راح يفكر تفكيرا عميقا في ما يكفل له السير على سلامة (١١) ، وفي ما يوصله الى المستقبل المرتقب ومدة ولايته خمس سنوات . اما اليهود فانكبوا كثيرا في اطرائه والانتفاف من حوله ، وصحفتهم ومعادهم كثيرا ما تذكره بقلب « امير اسرائيل الاول » ، اي في العهد الحديث ، او « عزرا الثاني » اي عزرا الذي عاد اليهود من النفي والشتات ، على يده الى فلسطين من بلاد الكلدان او العراق .

— لا مكث صموئيل طويلا وهو يعمل حساباته ، غير نائس ان العرب اذا قاموا بثورتين في بحر سنة فما عساهم صانعون كلما طالبت بهم المسافة ؟ في هذا الوقت كان الحاج امين لم يزل في ديار بني عطية العرب الكرام في شرق الاردن ١٩٢٠ .

— ولكن في بحر سنة تقريبا ، كان اليهود قد نالوا على يد هربوت صموئيل مراحل كبيرة من رغائبهم :

- ١ - فالعبرية امست رسمية هي والعربية والانكليزية
 - ٢ - استقلوا بمدارسهم ولا شأن للحكومة بها .
 - ٣ - اتشحت معادهم كلها روحا صهيونية
- وانشأوا جمعياتهم وانديتهم ، وصاروا يقيمون المهرجانات الصهيونية المستفزة .

٤ - طلبوا تعديل الحدود بينهم وبين لبنان في الشمال لمصلحتهم ونظمو الحركة المعالية اليهودية الصهيونية تنظيما يخفون بها العامل العربي .

٥ - وانصرفوا بعد كل هذا لمقاومة مطلب العرب في الحكم التمثيلي على نسبة عدد السكان . وباب الهجرة الواسعة يريدون توسيعه اكثر .

— في خريف ١٩٢٠ او بعد مجيء صموئيل ببضعة اشهر ، وقمت مناقشات في باب الخليل (اوجه ساحات القدس) بين العرب واليهود اقتضرت على التراسق

— في اول تموز ١٩٢٠ وصل السر هربوت صموئيل الى يافا في بارجة بريطانية ، وخشيت الحكومة من غضبه العرب قيفتالوه في الطريق بين يافا وسراي الحكومة على جبل الطور في القدس ، فموتت السلطة العسكرية على العرب ، وبينما اعلنت ان المندوب السامي سينتقل بالقطار الى القدس ، قتلته برا تخفزه قوة مسلحة ثقيلة ، والطائرات تسبح في الجو تكشف الطريق والمسافة بين يافا والقدس نحو ٦٥ كم . فوصل « الطور » ودخل مكتب الحاكم العسكري العام ، ولكن مجيئه اليوم ليس خفيفا بل مندوبا ساميا ، ولما جلس وقبل ان يقدم اليه الجنرال بولز وثائق التسلم والتسليم الرسمية ، قدم له ورقة فيها هذه العبارة : « انني قد تسلمت من الجنرال بولز الحاكم العسكري العام فلسطينا واحدة بحالة «السلامة» - على طريقة الوصول التجارية !!

فلما وقع نظر صموئيل على هذا اخذه الدهش وحار في امره واطلع في بولز بادبا على وجهه استغرابه فقال له بولز هذا الوصل لا بد من ان توقعه ، فوقعه و اضاف اليه « ما عدا السهو والنلط !!

— في آخر تموز ١٩٢٠ او بعد هذا باربعة اسابيع ، خرج فيصل بن الحسين من دمشق ، بعد انداز فرنسي ، الى درعا فبقي في درعا يومين او ثلاثة ثم والى سفره في القطار (سكة حديد الحجاز) الى حيفا مارا بوادي خالد ونهر اليرموك ، حتى اذا وصل القطار الى محطة «سمخ» قرب بيسان في الغور ، جاءه هربوت صموئيل من القدس وهون عليه ، ونقل اليه كلاما مبعوثا اليه من الفلسطينيين ، وتم هذا في خلوة في القطار ، ثم استأنف القطار سيره الى حيفا . فمكث في حيفا اياما ثم توجه الى الاسكندرية فايطاليا بحرا .

— في ٤ نيسان ١٩٢٠ قبل وصول صموئيل بشهرين واربعة ايام ، كانت قد وقعت ثورة « النبي موسى » في باب الخليل في القدس ، ويطعن العرب باليهود اربا بطنية دموية ، هي فاتحتهما تلاها من ثورات حتى ١٥-١٩٢٥ ، وكان الحاج امين فعالا فيها فحكم عليه بالسجن من محكمة عسكرية حكما ثقيل فتوارى ثم خرج الى شرق الاردن . وجعل الحاج امين ينتقل في القبائل والعشائر ، والكسل اخوانه واصحابه ، فتلقوه بالترحيب ، ولا سيما عشيرة بني عطية .

— لا شرع صموئيل يمارس مهماته ، وفي اعلى

واقيا ، فقد اصيب بعدة ضربات على كتفيه سببت له الاما شديدة ولوفي بعد قليل رحله الله .

(أ) وصفه صديقه مستر تشرشل علنا بأنه «صهيوني قبح »بهذه العبارة وببعد مضي مدة على توليه العمل في فلسطين وشعوره بالثقل الحرج اصدر بيانا رسميا سياسيا في مناسبة ما وقال اني انا لست صهيونيا ، فكان كاذبا كما نرى . دزرائيلي (١٨٠٤ - ١٨٨١) هو القائل : « اليهودي هو القوة واد كل عرش في بلاد اوروبية ».

(ب) آخر تظاهرات كان في طبيعتها ، تظاهرات العرب في يافا سنة ١٩٢٤ في الربيع ، فانت حكومة فلسطين ياتر من عندها من البوليس ، افرادا وضباطا ، يخلون الهراوات الهندية ، وراحوا يحدون به ويقتصدون مضايقته لانه يخرج من التظاهرة ، فبقي صامدا سائرا في الطليعة ، فراح البوليس يهوي على الناس بالهراوات يحدث الفوضى ومن وراء الفوضى ان ينال موسى كاهن شرم من الفريسات ، ورغم ان الفوم احاطوه احاطة السوار بالمعصم ، ليكونوا له درعا

بالحجارة ، ورشق العرب بنوك اليهود بالحجارة حطموها بعض نوافذها .

ولكن وقعت في يافا في اول ايار سنة ١٩٢١ او بعد مجيء صموئيل باحد عشر شهرا ، ثورة يافا التي استمرت اسبوعين ، ونسبها ان العمال اليهود خرجوا بالنظاير احتفاء بعيد العمال ، ووصلوا من تل ابيب الي احياء يافا الشمالية فردهم العرب ردا شديدا ، ثم اخذت النار تنفذ بالاستعمارات العديدة حول تل ابيب وفي الامكنة والمستوطنات التي تقع في حدود عشرات الكيلومترات منها ، وكان بطل البطش الشيخ شاكر ابو كشك شيخ عربان منطقة نهر العوجا (١٢) الساحلية قاتلت الحكومة القبض عليه وسجنته والفت لجنة تحقيق برباسة قاضي القضاة البريطاني ، « هيكرت » .

وكان من نتائج التحقيق الاولى في الخطورة ، ان قيام العرب بما قاموا به خوفهم من مستقبل الوطن القومي والهجرة التي تنقل في طياتها الاباحات الخلقية . البلاد العربية ، الشقاق المجاورة : اما سوريا فقد كان غورو معنا بتقسيم سوريا الى دويلات ، وقد ولت ايام الحكم العربي ٢٢ شهرا . واما مصر فقد كانت تتراقص فيها الثورة ، وسعد زغلول وصحبه في المنفى ، والامة المصرية بالاتي عشر مليون (هذا الاحصاء وقتئذ واليوم ٣٦ مليونا) قائمة قاعدة ، والعراق قد حل به فيصل بن الحسين ملكا منتخبا وهو بعرضه جديد ، والحسين بن علي في الحجاز براوده الانكليز علي يد لورانس ليوافق علي معاهدة جديدة تصفي الحسابات القديمة منذ ١٩١٦ شرط ان يعترف بالترانكات بريطانيا لليهود في فلسطين فيأبى ثم يأبى . ومصطفى كمال يلعب اقفية الجيش اليوناني في الاناضول بسياطه . وقد حل الامر - الملك عبد الله في الاردن ربيع ١٩٢١ وكانه كان على موعد مع دوران تاريخ فلسطين بمجلات جديدة .

- في سنة ١٩٢٢ على الراجح ، كان هربرت صموئيل قد كرر عملياته الصائبية ، فاصدر عفوا عن الحاج امين الحسيني وعن رفيقه عارف العارف فعادا الي القدس . فعل صموئيل هذا بعد تفكير طويل ، فاختار آمن الطرق . والواضع الصهيونية الجديدة سائرة بنشاط وامسل ، واستعداد للتوسع .

(٩) سمع هذه قرب طبرية من الجنوب وهي محطة قطار سكة حديد الحجاز في القور وبقرها سفك الطيران العثمانيان « نضي وصادق » في اوائل شباط ١٩١٤ وكانا اول طيارين ظهر في سماء سوريا ولبنان فكانا شهيدين في الطيران العثماني .

(١٠) المادة الثانية من صك الانتداب على فلسطين ، وقد طبق هذا قبل اعلان صك الانتداب في ٢٩ ايلول ١٩٢٢ .

(١١) هربرت صموئيل اطلق عليه الرصاص اكثر من مرتين مدة وجوده في فلسطين الي ١٩٢٥ واهم حادث حصل له هو لما جاء يزور بيسان لأول مرة احتشد الاهالي العرب على خيولهم احتشادا مفرجانيا

- كان في فلسطين حين وقع الاحتلال آخر ١٩١٧ سبعة مفتين فضلاء علماء في المدن المختلفة ، وكانوا يتقاضون مرتباتهم من خزانة الدولة العثمانية ، كحيفا ويافا وصفد والخليل وغزة وعكا . وكانت المحاكم الشرعية الاسلامية تابعة لمشيخة الاسلام في الاسكندرية ، وكذلك الاوقاف الاسلامية العامة .

- الشيخ كامل افندي الحسيني المفتي الاكبر في القدس هو الاخ الاكبر للحاج امين الحسيني . شخصية مليحة ، فضلا وعلميا ونبلا ، وحريصة على روح التراث العربي الاسلامي ، وقد نال علومه في الاثر في عهد الانوار وهو اليوم في حدود الخمسين . وكان من شأنه انه كلما وقعت له عقدة مع اليهود او الانكليز ، نفر الى موقف الحريص على كرامته وكرامة قومه . عرفه الانكليز جيدا ، ومرة دخل بعض الجنود بيته بغير اذن فشكاهم شكوى جعلت السلطة تعتذر اليه . ومرة فنش الانكليز بيته على اثر غياب الحاج امين بعد الحكم العسكري عليه ، وكانت السلطة قد منحته من قبل وساما رفيعا ، فاحتج على التفتيش ورد الوسام باباء وشحم .

- نظام انتخاب المفتين في العهد التركي له محله في القانون المشامي . والوظائف الدينية في الحرم القدسي الشريف يرثها الابن من ابيه او قريبه . وهذا منذ الزمن القديم .

- لما مرض الشيخ كامل الحسيني مرضه الذي توفي به رحمه الله ، كان اخوه الحاج امين قد عاد الى القدس ، وصارت الظروف والاحوال تستوجب ان ينتهي الحاج امين ليكون خالفا لاجله في الافناء ، اذا نفذ شيء من قضاء الله في الشيخ كامل . وقد حل قضاء الله بعد قليل فتوفي الشيخ كامل الى رحمنه تعالى تاركا سيرة وضاعة وكل اثر حميد .

- فلننظر الى حالة فلسطين العامة من ناحية الحقوق الاسلامية الدينية ، بمعزل عن غيرها من الحقوق ، نجد ان اليهود قد امسوا طائفة مستقلة ، لها مقوماتها اليهودية على اتم ما يمكن ، وفي زمن الحكومة العسكرية كانت المحاكم الشرعية يديرها الضابط العسكري النائب العام اليهودي الصهيوني نورمان بنتوش (١٣) ، الجالس اليوم

اخذا واحاطوا به لجردهم التظاهر فنزلوا وكاد يرمى عليه ، فصر على العادة القاتمة الذي كان هناك الحاكم الاستال ربحي مرانم القدس . (١٢) القبائل والعشائر العربية في فلسطين هي من غزاة فنجوبا ، وهما كثرة الكثرة ، ثم في شمالي فلسطين في غور بيسان وهذا هو المكان الثاني ، ثم في منطقة العوجا السهلية الساحلية . (١٣) سنة ١٩٢٦ اطلقت عليه النار فنجبا .

(١٤) اخبرني من كان في اجتماع المسجد الاقصى ان المرأض كان يتراكم الناس لتوقيفها والعريضة تبلغ اكثر من متر طولاً ، وصديقي الذي اخبرني هذا في عمان سنة ١٩٥٥ كان هو نفسه من الموقفين وراى كل هذا .

خيالات

رجع اغائينا وطيف الحنين
تهفو اليها مهج العاشقين
تقتات من روحي، هل تعلمين
والليل يطوبني بشوقي الدفين
في سرحة الاهواء بي تهزأين
ولوعة الذكرى وطول الانين
وحولي الكوثر ، ثر المعين
وانت وحي الشعر والمهمين

عبد الخالق فريد

يا فتنة العشاق هل تذكرين
أمنت ان الحب اسطورة
شقاء ، هذي النار في اعرقى
يمضي صباحي دونما غايية
وانت يا وحي انطلاق النسي
اشكو الى عينيك من شقوتي
الأم اطوي العمر نهب الظما
انت الرحيق العذب يا صبوتي

بفداد

لواء ناپلس وكان يعمل في «الماين» العثماني قبل .
٣ - القاضي السابق عبد الله شفيق الدجاني يمثل
لواء يافا .

٤ - الحاج سعيد الشوا يمثل الجنوب من فلسطين
وهو من غزة هاشم .

ولواء القدس يمثل بطبيعة الحال رئيس المجلس .
ولاية المجلس أربع سنين ، ومركز في القدس، وصلاحياته
حسب نظامه المشراف على المحاكم الشرعية والاوقاف
العامة . وكما سبق بيانه ، فان في فلسطين ١٧ محكمة
شرعية على راسها محكمة استئناف . والاوقاف تتولاها
سبع دوائر في فلسطين بالإضافة الى المركز في القدس .

وكانت موازنة الاوقاف في السنين الاولى بين ٤٠-٥٠
الف جنيه فلسطيني في السنة . والحكومة جرياً على
النمط الراعى في العهد التركي ، تجبي واردات هذه
الاوقاف - الاراضي - وتؤديها الى المجلس لقاء عمولة
مقررة . واما واردات المسقفات فيجيبها المجلس بواسطة
دوائر الاوقاف راساً . واما المحاكم الشرعية فموازنتها
في حدود ٢٠ الف جنيه فلسطيني ، وبعد انتخاب المجلس
ومباشرة العمل سلمته الحكومة موازنة المحاكم الشرعية
وهي تدفع قيمة هذه الموازنة من خزائنها ، كما كان الامر
زمن الترك .

لما كان القصد من هذا كله ان نستوفي سيرة الحاج
امين ، فنقول انه بقي في منصبه الى ١٩٣٧ اي ١٥ سنة
مطردة . واذا اوجزنا الى هنا سيرته الى ١٩٢٢ مبتدئاً
من الكلمة التي سئل ان شاء الله في العدد القادم في
سيرته وهو في المجلس تلك المدة .

الى جانب السكرتير العام لحكومة فلسطين . طبعاً ان هذه
حالة لا نطاق ، وليس من المعقول ان تبقى وقد انتسبت
الحكومة العسكرية . فاعرب اهل الحل والعقد من
المسلمين انهم يريدون ان تكون لهم هيئة عليا ترعى شؤون
المحاكم الشرعية والاوقاف . وبعد النقاش وتبادل الرأي
انتهى الامر الى تحقيق هذا .

ودوي ان تكون هذه الهيئة هي «المجلس الشرعي
الاسلامي الاعلى» ، والمجلس يؤلف من الرئيس الذي
ينبغي ان يكون المفتي الاكبر ، ومن اربعة اعضاء وجميعهم
يمثلون فلسطين . والشخصية المؤهلة لرئاسة المجلس
هو المفتي الاكبر الحاج محمد امين الحسيني، الذي تتمثل
فيه الكفايات النامة لتولي هذا المنصب الجديد الذي
يطلب المسلمون من الحكومة ان تلبه ، فضلاً عن هذا
فان الحاج امين تتمثل فيه ايضاً الحركة الوطنية منذ ١٩١٨
والشعب اجماعه منقاد على هذا .

- فوضعت الهيأت الاسلامية ورهط العلماء واهل
الحل والعقد في اجتماع كبير في المسجد الأقصى ،
العراف (١٤) الى الحكومة بهذا الطلب ، واول الخطوات
ان ينتخب الحاج امين مفتياً اكبر خلفاً لآخيه ، ولم يسع
صموئيل الا ان يوافق على هذا التيار وجرى انتخاب
الحاج امين مفتياً اكبر ، ووضعت الحكومة نظاماً لمجلس
اسلامي اعلى يكون مؤلفاً من المفتي الاكبر رئيساً دائماً
مدى الحياة ومن اربعة اعضاء ، وجرى الانتخابات لأول
مرة سنة ١٩٢٢ حسب قانون الانتخابات العامة لمجلس
النواب العثماني ففاز اربعة هم :

١ - الشيخ محمد مراد مفتي حيفا ، ومن جلة
العلماء واهل الفضل يمثل شمال فلسطين .

٢ - الاستاذ القانوني عبد اللطيف صلاح يمثل

تسمرت عينا الفتاة على الوردة الحمراء الذابلة وقد اعتصرت قلبها كلابات باردة مولة اظلمت معها نفسها بوحشة عميقة .

انها هي .. هي نفسها الوردة التي شاهدتها منذ اسبوع في نفس الكوب الزجاجي فوق « الكومودينو » القاتم قرب سرير حبيبها .. وكانت في ذلك الوقت غضة بالغة .

واستعاد ذهنها تفاصيل رؤيتها الاولى للوردة .. وكانت قد نسيتهما تقريرا . ذكرت كيف سالتة عرضا عن مصدرها .. سالتة ذلك وهي تسكب الشاي وتنظر في عينيها ربما يشيء من الشك لا تذكر .. ولكنها تذكر جيدا كيف تردد وقد لمعت عيناه وتاهت نظراته ولاحت على شفتيه ابتسامة خبيثة .. كل ذلك للحظة خاطفة ولكنه لم ينب عن ملاحظتها القوية .. وانتظرت جوابه ولكنه ، لامر ما ، لم يتكلم . وتابعت هي اعداد الشاي وقدمته اليه مفكرة في انها يجب ان لا تذكر صفو هذه الساعة باثارة شكوك قد لا يكون لها اساس من الصحة .

وهكذا صمت ، رغم الشك الذي بعث في نفسها عدم جوابه وابتسامته الخبيثة الى نظراته الثابتة ، صمت على ان تنسى كل شيء عن موضوع الوردة فهي متأكدة من اخلاص حبيبها وحبه .. وبعد ، ما اكثر الشكوك التي اعتادت ان تعتمل في نفسها وتسبب لهما التنكيد والمنازعات لتعلم بعد ذلك انها بدون اساس .

وانما ارتشاف الشاي وقد تركت الموضوع جانبا ، او هكذا خيل اليها ، ولكن ، بعد نحو ساعة او اكثر ، اذا بها تجد نفسها تساله بدون تفكير قائلة انه لم يخبرها بعد من اين اتي بهذه الوردة الجميلة . ورد هو عليها بصوت عادي يبدو في نبراته الملل انها من الحديثة .. ثم عاد يكب على دفتاره فقد كان يستعد للامتحان النهائي .

ووجدت هي جوابه طبيعيا هذه

المرّة ولكنها دهشت قليلا بينها وبين نفسها للسرعة التي اذنت في نفسها شجرة الورد التي لم يمض اسبوعان على غرسها ، وردة كهذه ..

ولكنها سرعان ما صرفت في ذلك اليوم ، الموضوع من ذهنها كليا ولم تسمح لنفسها بالتفكير فيه بعد ذلك .. ولكن .. ها هي ذي ، بعد اسبوع ، تقف امام نفس الوردة في نفس الكوب ونفس المكان .. انها نفس الوردة ما في ذلك شك لانها قد اصبحت الان ذابلة زاوية وقد اوشت اوراقها على التساقط . ولكن ، لماذا يحافظ حبيبها على وردة ذابلة قرب سريره تحت المصباح الوردى وهو التائق الذواقة الذي لا يسمح لنقص مهما كان تافها ان يشوه من جمال ونظافة حجرته ؟ هل من



http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم بليقيس الخوهاني

الممكن ان تكون الوردة هدية من فتاة عزيزة عليه الى حد لم يسمح له قلبه بان يلقي يدها بعيدا بعد ان اصابها الذبول ؟ ولكن ، من عساه تكون الفتاة التي اهدته الوردة ؟

واحتست بحبيبها يقف وراءها ويلف ذراعه حول كتفيها فلم تتحرك ولم تتحول اليه فاتحة ذراعيها كما اعتادت ان تفعل ، بل تشاغلست بترتيب حاجياتها على « الكومودينو » وعندما احتست بشفتيه تمسحان شعرها ، اجفلت قليلا وتحركت



بدون ان تنظر اليه قائلة :
- لنذهب ونجلس قليلا في الشرفة .. هل عندك مانع ؟
.. كلا ايديا .. ولكن ، ما بالك خشنة جافة هكذا ؟

(ونظرت اليه ببرود)
- جافة ؟ انتي لست جافة فلماذا تظن ذلك ؟

(فعلت وجهه سحابة غاضبت وراها ابتسامة وتمتم حاتقا :
- دوما انت هكذا ، لا اراك الا تفصين بدون سبب .
- ولكنني قلت لك انني لست غاضبة .

قالت ذلك بصوت يقرب من البكاء وقد شعرت بالتلق في تعرفه بكرة العبوس والتقار وخشيت ان ياخذ عنها فكرة سيئة قد تردهه فيها .

ومشيا معا الى الشرفة حيث اعد لها ، كعادته ، الكرسي الافضل فجلست عليه ومدت ساقها على الحاجر الحديدي امامها بينما جلس هو على الكرسي الثاني بقربها ومضى يدخن سيكاره مشيحا بوجهه بدون ان ياخذ يدها بين يديه كعادته .

وبقيا كذلك فترة صامتين .. لم يكونا ، كالعادة ، يتطلمان من جمال الغروب وظلمته الناعمة المريحة التي كانت قد ابتدأت تلف المراتب ، بل كانا يبدوان مستغرقين في التفكير .

كان الاستياء والقم باديين على وجهه بجلاء وهو يرمقها بطرف عينه وكأنه يتساءل عما تراه اغضبها بينما كانت هي لا تزال تشعر بتلك الكلابات الكئيبة الوحشة تعترض قلبها . من

عساعا ان تكون الفتاة التي اهدته الوردة ؟ وارتفعت نظراتها الى النباتات المرتفعة المحيطة بمنزل حبيبها الارضي . هل تراها واحدة من جاراته اللواتي يراقبنه دوما في الاسيئات من شرفاتهم ؟ وبدا هذا

معقولا لها .. ولان تلقى جارة له بوردة اليه ، لا قرب الى العقول من ان تحملها اليه فتاة تاتي الى زيارته من مكان بعيد ..

لبنان

وهام بروفسك الزاهي وجنا
جمالا فاتنا ، وعلى ، وفنا
كذوب من يقول بصدت عنا
ولم تأخذ سوى الهجران منا!!

عبد اللطيف الخشن

تفنى في جمالك من تفنى
حباله الله اسنى ما لديه
بعدنا عنك اجيالا ولكن
لقد اعطينا مجدا اتيلا

بوانس ايرس - الارجتين

واخذت تفكر في جاراته .. انهن
ثلاث .. الثنتان منهن تسكنان امامه
مباشرة وشقتيهما تعلوان عن الارض
دورا واحدا بينهما الثالثة تسكن الى
اليمن لا يكاد يبين من شرقها سوى
جزء صغير ولكنه كاف لاية فتاة
تريد ان تتبادل الحديث مع شاب
في مكان حبيبها .

وتوقف بها التفكير عند هذه الفتاة
يعنيها .. فوي ، الى انها شقراء
وحبيبها لا يخفي ابدا تفضيله
للشقراوات بالرغم من انها هي نفسها
سفراء ... الى ذلك ، هي تزور
ورودا مختلفة في اقصى ترصها على
الشرفة .. لا شك ان ان هذه
الوردة هي منها لا شك ان لها مكانة
في نفسه بحيث لم يستطع معها ان
يلقي بوردتها ، بالرغم من ذبولها ،
بعيدا ..

والقت الى حبيبها ، من طرف
عينها ، بنظرة سريعة وكان هو مساء
زال مشيحاً بوجهه عنها بدخس
سيكارتة بصمت . واحسب بقصة
تكاد تخفيها .. ها هو ذا يبدو عليه
الملل والاستياء . انه لا يمسك بيدها
كعادته ولا يحاول ان يسترضيها
ويسألها عن السبب كما اعتاد ان
يفعل سابقا كلما رآها مغضبة هل من
المكن ان يكون حبيبها قد ابتدا يزهد
فيها منجذبا الى جاراته الشقراء؟
ولكن جاراته كانت دوما هنالك ومن
قبل ان تعرفه هي فما الذي منعه من
ان ينشيء معها علاقة حب قبل
الان ؟ آه .. نعم .. انها تذكر الان
.. لقد حدثها مرة عن تلك الجارة .
انها متزوجة وزوجها قد سافر منذ
مدة قصيرة الى اميركا .. فما الذي
يمنع الزوجة من ان تنصب شباكه
حول جارها الطالب الوسيم بعد ان
خلا لها الجو ؟

وازدادت نفس الفتاة كآبة ووحشة
وكادت الدموع تطف من عينها ..
ولكن .. ان حبيبها ما زال يظهر لها
نفس الحب والعواطف المحترمة ..
ومنذ ساعتين فقط ، قبل ان تلحظ
الوردة الذابلة ، كان يسألها عن
الاسم الذي ترغب في ان يطلقها على

واللهفة والحب في كل جزء من
قسماته . ومدت يديها تحتوي وجهه
بين راحتيها وهي تلمتعه بعينيها
بابتسامة عريضة . وفتر هو فاه
وحلق فيها كما لو كانت مريض
اقلت من مستشفى المجاذيب :

— طيب ، والان .. ما الذي رد
الدموع في عينيك والعقل الى رأسك
يا ترى ؟

قال ذلك رافعا حاجبيه بطريقته
الحبيبة الساخرة التي تحبها ...
فازدادت ابتسامتها اثنا ما وهي
تطلق نحوه قبلا طائفة متلاحقة
بدون ان تتكلم .

ذلك ان انظارها وقعت فجأة على
شجيرة الورد التي غرسها البستاني
منذ اقل من ثلاثة اسابيع وقد
تناثرت بين اوراقها الخضراء ورود
حمراء صغيرة من نفس نوع الوردة
الذابلة التي ترين « الكومودينو » قرب
سرير حبيبها ..

وهتفت هامسة وهي تطلق نحوه
في الهواء قبلة طويلة عميقة :

— احبك ...
ونظر هو اليها طويلا بعينين
عميقتين متاملتين كما ينظر عالم
الطبيعة الى ظاهرة طبيعية لا يستطيع
لها تعيلا ، ثم هز رأسه ببطء وهو
يقول متلفسا كلمته الخالدة التي
اعتاد دوما ان ينهي بها مواقف مثل
هذه .. فيشير بها غيظا :

— حواء ...

اول مولود لهما كي يناديا به ..
وذلك عندما يتزوجان .. وضحكا
معا كثيرا عندما اعترضت قائلة ان
اول ولد قد ياتي انثى .. فاجاب
على الفور غاضبا انه اذا حدث ذلك
فسيدفنها هي وابنتها حيتين .

وانجابت بعض السحب عن
صدرها وكاد بداخلها الاطمئنان ،
ولكن ، لتعودها بأسرع مما ذهبت
وهي تستعيد في ذهنها صورة مينيه
المتعنتين وابتسامته الخبيثة وتردده
وهي تسأله عن مصدر الوردة .

وانعسا وخبرها الصراع النفسي
في داخلها ولم تعرف على أي قرار
تستريح .. هل تدفن حبيبها ام
تبرئه ؟ وتدفن نفسها بالتشكك
والنفاهة ؟ يا لله .. ما اكثر غموض
الرجال وما اصعب الحياة معهم .

وتاهت عيناها في ارجاء الحديقة
حول الشرفة والتي ما زالت آثار
الحفر والغرس الحديدين ظاهرة فيها
... وتنتقل فيها بانظارها بنفسى
بذلك التهرب من دموع اوشكت
ان تنسرب من مقلتيها وكانت لا تريد
ان يراها حبيبها فتفسد من جمال
لقاتهما الاسبوعي في هذه الاسبعة
الحولة او المفروض انها كذلك ..

وفجأة ، وكأنما اشرق على نفسها
نور الهي ، اتزاحت غيوم الفسرة
والشك عن ذهنها مرة واحسدة
فانفجرت اسارير وجهها وصدرت
من اعماقها آهة خافتة لفتت رأس
حبيبها ناحيتها .. والتفتت اليه
وقد ضحكت عيناها وكانت السعادة



حكايات حارثنا

تأليف نجيب محفوظ - ١٩٠ صفحة - دار مصر للطباعة ١٩٧٥

نفالي كثيرا حين نزع من نجيب محفوظ قصاص هادف وإن قصصه ذات مغزى أخلاقي .

ومهما حاولنا أن نتقن أنفسنا بأن تصوير الرذيلة أسلوب فني غرض تقييدها والتفكير منها تعود فتحكم على ما يكتبه من خلال ذلك الآثر الذي يتركه في النفس .. حين نعلم هذا فإننا نجد القلة القليلة من قصصه تلك التي يمكن أن نترك في النفس أثرا إيجابيا ، كزفاف المدق مثلا ، ولكنها على كل حال لا نستطيع أن نغفل من مقال الشمسك والتشاؤم والقلق ، والقسوة على الشخصية الإنسانية لدرجة لا تعرف الرحمة إليها سبيلا .

إن الشيء الذي لا يقبل الرضى في جميع ما يكتب هو حرصه على اظهار اثر البيئة ، وابرار مخطيها الذي تشبه في الكثير من الانساني ... وكان الانسان الذي تغلف به الحياة الى عالم الوجود بقدر شيئا آخر بعد ان تترك البيئة بصماتها فوقه . يريد نجيب محفوظ دائما ان يرفد المدرسة الطبيعية ، وأن ينفذ الى أعماله النفس البشرية ، مصورا كل شروها وانهايا تصورا واثيا شاملا ، بعيدا عن التهذيب والتقية . وليت شعري كيف يفعل مثله حين يريد ان يكتب ترجمته الذاتية ؟ هل سيسور ذاته كما صور ابائله ، هل سيكون أمينا في نقل الحوادث وفيما في عرض ذاته على قرائه من غير مواربة ولا تسر ؟

إن عملا كهذا يتطو على كثير من الصعوبة ، لانه سيحصله يكتب ترجمة هي أقرب الى الاعترافات منها الى السيرة . وحتى الآن لم نجد بين من كتبوا سيرتهم الذاتية من ادبائنا من استطاع ان يقول كل شيء ، بل من توفرت له الشهادة الكافية لي بسط ما له وما عليه . وما اكثر ما نشم رائحة الجبالفة ونحن نقرأ «سبعون» مثلا ونحس كأن الرجل يريد ان يخفي منا شيئا .

خيل الى انني امام شيء من سيرة نجيب محفوظ الذاتية منذ اخذت بقرائة مجموعته القصصية الجديدة « حكايات حارثنا » ، كنت ارثكي وراء الصفحات محاولة رصد حركات هذا الطفل الذي رسمته اول لوحة فنية في القصة ، قريب القسام من الاستا نجي . وقد كان البطل ينفض انطباعاته الذهنية من مرحلة الطفولة بمقد صراحة رابطا بين الحياة السياسية العامة والحياة الاجتماعية الضيقة ، ولم يكن هذا النفض على شكل قصة متلاحمة الاجزاء بقدر ما كان لفطات فنية من المحيط استطاعت ان تحل في نفسه مراكز شعورية لا يمكن ان تسمى ، اسمى كل لفظة منها حكاية تجوزا حتى بلغت ثمان وسبعين حكاية .

كان بطل القصة صادقا ، وكان جريئا ، وكان مرعبا في حديثه عن تلك المفارقات الطفولية ، وعن تغلفه في الكتاب وفرحته الشديدة حين لا يعان اسمه في قائمة الناجحين ، فلنا منه ان رسوبه سيخلصه

من المدرسة ، ولكن اياه كان يصير على تعليمه لقد حدثنا ببساطة عن احساسه المبكر نحو الجنس الآخر وتصرفاته الساذجة والتي اخذت تتغير شيئا فشيئا من اطار الساذجة .. اما ايمانه فقد كان في طفولته جزءا من الايمان العام في الاسرة والحارة .

ولكن نجيب محفوظ الذي آمن في كل ما يكتب بأثر البيئة في الفرد لم يجد فرسا في حكاياته بين سيرة البطل وقصة البيئة التي خلعت عليه صفاتها .. لا فرق لدى المدرسة

الطبيعية بين ان نرى الفرد او ان نرى المكونات التي اوجدت هذا الفرد .. وهكذا نستيقظ فجأة لنجد أنفسنا امام سيل من الذكريات تتوالى عن الحي وابنته وبناته ، وما علينا الا ان نتجمع ملامح البطل من خلال هذه الذكريات ، لقد اقلت من بدنا القلائ عجبيا ، غامت صورته في ذلك الضخم التلاطم من ابناء وبنات حارته ، ضاعت ملامحه بسين التبر والتكية والقرافة ، كما غامت ملامح داره في ذلك الزقاق السود الذي ابي ان يشق لنفسه سبيلا الا من جهة القرافة ..

هنا اذا في هذا الحي الغليظ المتخلف الذي يخيم عليه الجهل وبعمه الفساد وتفتش في جوانبه الجريمة نشأ صاحبنا .. هنا في هذا الحي حيث البساطة والشراسة ، والطيبة الى درجة القلقة فسي بعض الاحيان .. هنا حيث التنافس العجيب نشأ بطل القصة بلغمه المتخفف وعقله الواعي واحساساته العميقة .

هل اثم دراسته ، وما المدارس التي تخرج فيها ، ما اسم والده ، ما هي وظيفته ، وكيف شق لنفسه طريقا في الحياة بين افراد هذه الاسرة .. ؟

أسئلة تلح فلا نجد لها جوابا لان نجيب محفوظ اراد الانسان النوع نتاج البيئة المحيطة ولم يرد فردا خاصا ، وان كان ما يقوله يعني يلح ملاحظ عرفنا في « ابناء البيت » ، احب فتاة من بنات الحي ولكن وانها لم يقبل ان تشتت ابنته عشر سنوات ، فتزوجت كسيرة القلب لانها كانت ابنة الحب ... تزوجت وانتشأ بيتا سعيدا وانجب طفلا .. رآها في الستين من العمر ، امرأة منذ عشر سنوات تعيش وحيدة مع خادما بعد زواج ابنتها ، عرفها وعرفته فزعم عسان زيارتها لانه ما زال يحبها .

انها فلفة غريبة ، لذا يصير نجيب محفوظ على وضعنا في الضباب ، ويجتاز بنا قرابة نصف قرن من الزمان من حياة البطل لا يريده ان نعرف نفوسا ؟!

وربما حرص على هذه الضبابية الشفافة حتى يظل وفيا لطريقته المخبرة التي تجب اعادة كل مادة الى مناصرها الاولى ...

لقد ازدادت يقينا بعد قراءة « حكايات حارثنا » ان نجلي نجيب محفوظ يعمل الكثير من صفاته وينتقي معه في جوانب متعددة .. آمنت ان الشك والقلق سمتان بارزتان من سمات شخصيته اورتته اياهما البيئة .. يريد ان يوفي بين العقل والتلق وبين مطبات الواقع فلا يستطيع فيريد ان نفسه قلقا يبحث في عقله عن وسيلة توصله الى الايمان ، يريد جوهر الدين ، يريد الله بعيدا عن البدع والادعاء . ولكن بينه وبين الايمان ، كما يريد عقله ، استارا كثيفا .. وهكذا ارتفعت في حكاياته جذران التكية لها يدري فيما اذا كان الشيخ الكبير في داخلها ، كما يقال ، ام لا ، فالمراديش المغلوق الابواب والقائسون لا يسمح بفتحها ، وهو لا يتجرأ على مخالفة القانون ..

ان الذي يقرأ « حكايات حارثنا » يعرف الى اي شي برمزال الشيخ الكبير ، وإلى اي شيء ترمز التكية ، لم ماذا يقصد نجيب محفوظ بالمراديش . في طفولته رأى الشيخ الكبير امام التكية وسمع منه عبارات لم

الاريب



لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدونها شهر

يناير ، كانون الثاني

لدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :
الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشترك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٢٨١٩
المجلد : ٢٢٥١٢٩
Dir : 223819
Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر اديب

يقلقه لها معنى ، وهذا يعني انه كان يؤمن بالله ويعتقد اعتقادا راسخا
بوجوده وحيروته ، اما فيما بعد فقد تطورت المعاني في نفسه .. ولكن
لورته لم تحل في يوم من الايام بينه وبين الايمان بالله : « لا استطيع
تصور تكية بلا شيخ اكبر » وان كان اهتمامه بذلك لم يعد كبيرا :
« لم اعد ارى التكية الا في مواسم زيارة المقابر فانني عليها نظرباسمة ».
هذا ما يقوله في الحكاية الثامنة والسبعين حين يزور والده الحامسي
المتقاعد « عمر فكري » فيطلب منه ان يجيبه عن سؤال ارفله وهو :
هل الشيخ الكبير داخل التكية ام لا ؟ ويجب عمر فكري : ان التكية
موجودة والمراويش موجودون ولكنه لا يعرف عن الشيخ الكبير شيئا !
وهكذا عجز عمر فكري الذي يميز عن ذهن البطل عن الاجابة ، على الرغم
من انه كان ماهرا في حل كافة انواع المشاكل . وحيال هذا فاته لسم
بعد يعبر الموضوع اهتماما بتدليل عدم رؤيته التكية بعد ذلك الا في ايام
زيارة المقابر ، وذلك للإستقامة التي كان يستقبلها بها والتي تعبر عن
عسدم الاكثارات .

في هذه الحكايات القصيرة قال نجيب محفوظ شيئا كثيرا . ومع
ان المدرسة الطبيعية قد خلعت على الحكايات كلها مسحة التشاؤمفانني
استطيع ان اجد في كل ما يقول نبرة على الواقع ويرى بالعادات . ان
سيف هذه العادات المسلط وهيمته روتينها على اهل الحارة كثيرا ما
اسلم نفوسا بريئة الى الجنون والبله او الموت . اما اولئك الذين
اداروا ظهريهم لكل ما لا يتلائم مع مصلحتهم الشخصية ومنطق عقلم
فقد عاشوا في سعادة نسبية وحققوا بعض ما يراود احلامهم ..

وعلى الرغم من الشبه الكبير في اسلوب العرض بين هذه الحكايات
وبين المزايا فان الواقعية الطبيعية لم تغرس نفسها هنا كما فرغست
نفسها هناك ، لقد خلعت « المزايا » من عنصر الطيبة والاخلاص وجعلت
التلوس على الشر ، وحذفت عنها عنصر الشرف .. اما في « حكايات
حارثة » فان بعض شخصياتها استطاعت ان تحتفظ بشيء من الخلق
الحنين .

والحقيقة اننا بعد ان نعيش ساعات مع هذه المجموعة الجديدة من
الاشخاص نجيب محفوظ نقول : ما اكثر البلهاء والغوتهين والمجانين
في حارثة وما اقل الاسوياء .. واية حارة هذه ! ان رائحة العفونة
زكت انوفنا واصوات الجانين اصمت اذاننا ومنظر القرافة اشاع
في نفوسنا الانقباض واليأس .

وبعد اليست تهمة تلصقها بنجيب محفوظ حين نقول : انه اظت
من عقل الواقعية الطبيعية ! ومهما تفادنا له بهذا الاثبات فانه لا يثبت
ان يرند الى الواقع ليصفغ النفس الانسانية صفا لم يسبقه اليه
غير « بلزك » .

(١) مجموعة قصصية لنجيب محفوظ ، هناك تقارب بين بعض
شخصوها وبين بعض شخصو هذه المجموعة .

دمشق سكينة الشهابي

ديوان الامير شهاب الدين المعروف بـ « حبيص يبيص »

تحقيق السيد مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر - الجزء الاول -
٢٩٢ صفحة - والجزء الثاني - ١٦٦ صفحة - منشورات وزارة الاعلام
العراقية - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٤

دايت وزارة الاعلام العراقية ، منذ فترة بعيدة ، على اصدار الثمين

فقال : والله ما عرفت اني من تميم حتى اخبرني بذلك ولدي ! وهذه رواية تدل صحتها على زلفها !

وروي الحفطان ، ان ابن الفظان هذا ، عرف بالمجون وكثرة الهجو للناس والسخرية من اكارهم وساداتهم ، ومن مكابذاته لابي الفوارس هذه الحالة التي اختلفا اختلافا عليه وهذه خلاصتها : انه خرج من دار الوزير علي بن طراد الزينبي ليلا ، وهو يتقدم سيفا كعادته ، ففتح عليه جرد كلب ، فوكزه بعقب السيف فمات ، فبلغ ذلك ابن الفظان المذكور ، فظلم ابيانا فصفها بيتين لبعض العرب ، قتل اخوه ابنا له ، فقدم اليه ليقاد منه ، فالتى السيف من يده واشتعلما . ثم ان ابن الفظان المذكور عمل الابيات في ورقة وعلقها في عنق كلب لها اجر ، وربب معها من يطرحها الى باب دار الوزير كالسقيفة ، فاخذت الورقة من عنقها ، وعرفت على الوزير فلما فيها :

يا اهل بغداد ان الحصن بيض اني بقلعة اكسبه الغزي في البلد هو الجبان الذي ابدي تشاجسه على جري ضعيف البش والجلد وليس في سدد اهل يديه جاسمه ولم يكن بيواء منه في القسود فانتدبت جمعة من بعدما احتسبت دم الابليس عند الواحد الصمد « اقول للنفس ناسا ونزعيسة احدى يدي اصابتني ولم ترد كلامه خلف من فقد صاحبه هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي »

واشاع اللقب بين الناس !

هذا بعض ما قلناه في ترجمة صاحب الديوان ، اما ما قلناه عن الديوان الذي قام بتحقيقه فهو « ان الترجمة له قد صنع ديوانه ونسبه وقد تم مقدمة .. وان الحافظ السمعاني ، قرأ الديوان على صاحبه - جيس بيض - » وان « نسخة من مخطوطة هذا الديوان موجودة في مكتبة رشا رامبور تحت رقم ٢١٤ » ، والظاهر ان هذه المخطوطة لا اخوات لها ، فيما يعهد من موطن المخطوطات ! « وقد صورت نسخة من الديوان للمجمع العلمي العراقي ، وهي التي اتمسكها المحققان في عملهما ، فكيف قاما بذلك حتى اخرجنا لنا هذا الديوان محققا ؟ »

لنفي ما قلناه في هذا الصدد : « لما كانت هذه النسخة هي الوحيدة للديوان » في ما علم - فقد اعمنا النظر في قرأنا جيدا ، فابتننا ما يحتمل الرسم من كلماتها ، وما يصح معناه في المعاجم ورددنا ما هو مصحف منها الى الصورة التي اعتقدنا صحتها ، وابتنا الاصل في الهامش ، وما وجدنا له وجها ولو بعيدا تركناه على حاله وابتنا في الهامش ما ترجع انه الاولي والاوص ، وعمدنا الى الساقط والطوس من كلماتها وجعلنا - وهو ليس بالقليل - فسدنا افراسه بالفاظ من عنقنا ، مراعين في ذلك الفاظ الشاعر واسلوبه في تأليف الكلام ، وقد وضعنا بين حواصر ، ليعرف القارئ مكانها فياخذ بها - ان شاء - او يبعها . »

ولعل الامر الذي وفقا فيه تمام التوفيق ، هو قيامهما بتشكيل الابيات وفسيف الفاظها وشرح معانيها ، شرحا وافيا ، تحقيقا لرغبة بعض اخوانهم ، اذ قلنا بهذا الصدد « وقد اقترح علينا ان نضبط الفاظ هذا الديوان وان نشرح ما يحتاج الى شرح وياضح ، وهو شيء كثير ، لان الشاعر لغوي ، يتقيل شعر الجاهليين والشعراء الامويين ، فقمنا بذلك على الوجه الذي يراه القارئ ، كما عرفنا بالمدحون وبكل علم ورد ذكره الا قليلا ممن لم نضب له ذكرا او ترجمة .. كما علمنا على تكملة الديوان مما جمعنا من الشعر المنسوب لشاعرنا وقد خلا الديوان منه ! » وليس من شك في ان هذا العمل الكبير قد زاد من اهمية الديوان ، اذ لم يعد ديوان شعر فحسب ، بل يعتبر بحق معجما فريدا في باب لغزنا في مادته ومحتواه .

ولدي قيامنا بعملية احصائية بسيطة ، ظهر ان الجزء الاول يضم ١٢٢ قصيدة ومقطعة شعرية عدد ابياتها حوالي ٢٦٥٠ بيتا ، ينقسم

التادر من كتب التراث العربي والاسلامي ، وكان آخر ما اصدرت من هذه الكتب ، ديوان الشاعر العربي الشهير ، الامير شباب الدين بن ابي الفوارس ، سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي ، البغدادي المعروف بـ (جيس بيض) .

ومحققا هذا الديوان - يجزيه الذين صعدا - هما الاستاذان الفاضلان ، السيد مكي السيد جاسم ، المحقق والباحث العراقي المعروف الذي له باع طويل في مجال البحث والتحقيق ، وشاكر هادي شكر ، الذي حقق كتاب « انوار الربيع » واصدره بسبعة اجزاء ، منذ بلع سنوات ، وعلى هذا نقول ، ان حظ هذا الشاعر كبير ، لان الذي حقق ديوانه ، هذان المحققان الزبائن .

ان من يقرأ الجزء الاول من هذا الديوان ، (وكان قد صدر في شهر تشرين الاول من سنة ١٩٧٤) يجد ، ان هذين الاستاذين ، قد كتبوا مقدمة ضافية استغرقت ٦٤ صفحة من الكتاب ، تحدثا فيها بايجاز عن (العصر السلجوقي) ، الذي توسطه حياة صاحب الديوان بما فيه من اخبار السلاطين الامراء والوزراء والعلماء والحروب ، كما تحدثنا عن الحياة الاجتماعية والادبية في هذا العصر ، وما كان لكلل نعدا من العوامل من اثر في تكوين شخصية هذا الشاعر الكبير !

ولم يكتفيا بذلك ، بل رسما للقارئ ، رسما موقفا عن شخصية هذا الشاعر اذ قال : « اجمع مترجوه الشاعر ، على انه ، كان يتزيا بزي عرب البادية ، ويتكلم باللهجة البدوية الفصحى ، وينتقل السيف الى ذهاب ، ويكثر الفخر بنسبه الى اكنم بن صيفي ، المجاشعي الفرماني التميمي - حكيم العرب المشهور - والمتصالح لديوانه ، يجد مصداق ذلك في شعره الذي يبدو ، وكأنه نظم في العهد الجاهلي او العهد الاسلامي الاول ، وان نأمله ، اعرابي متبد ، لا من حيث اشتغاله على غريب اللفظ فقط وانما من حيث جريه على نمط القصائد في ذلك العصرين ، في التفتي بالاجاد والتمجيد بالافادة على الامناء ، وسلب اموالهم وذكى المناهل والوارد ، وما يختلف عليها من احواله الى قطع الصحاري ، في شدة الحر وفر الشتاء ، وما يتبع ذلك من للة زاد ونفرة ماء ! »

والشاعر كما هو معروف ، صريح المنصب ينضل ياتكم بن صيفي (وان حاول بعض الناس التشكيك بذلك ، دون ان يستندوا الى حجة تدفع صحة التنسابة) كما يقول المحققان الفاضلان . ووردنا مسا (زعمه) الشاعر المعاصر له ، هبة الله بن الفضل المعروف بابن الفظان من انه سال ابا جيس بيض عن صحة تنسابه الى اكنم بن صيفي

صدر حديثا

جدران الصحة

شعر رمزي

م. ع. ا. الربيع

منشورات مجلة الاديب

واقصة ، فالتى بمشكته جاتيا ، ولكن الى حين . ثم التى بقناة كانت تراجع الطبيب النفساني الذي كان يتردد عليه لينقذه من القلق الذي كان يعيشه . وساعده الطبيب بعض الشيء على الشفاء ، فهو طبيب اديب وصاحبنا اخذ بهوى الادب ويحاول الكتابة بعد ان فشل في انعام دراسته العليا وانخرط في وظيفة كتابية وعاش « بين مجموعة متنافرة من الزملاء من مختلف الاعمار والبيئات ثقافتهم ضحلة لا يقرأون كتابا ولا يتناقشون في موضوع هام .. ولا شيء يشغلهم الا الحديث عسبن العرجات والملاوات وعن الافلامية ويتناقشون على الرئاسة .. » . ثم هو يتزوج من فتاة التي التى بها عند الطبيب ، ويترك صاحبته الاولى ، وبعد في زوجته ما كان قد افترض ، من حب وعطف وحنان ، لكن ذلك لم يستمر .. فما كادا يرزقان بسلام حتى تغير الحال « وكل ما اصبحت تهتم به هو ان تهيبه لي طعامي وليابي التي تصورت انها كل شيء لي الحياة .. »

وبعاودة الحنين الى « امل » وهي فتاة راها نمر امام المنسزل الذي كان يقيم فيه مع اهله . و « امل » هذه ، وانظروا الى الاسم ، هي في الواقع الفتاة المثالية التي نغلبها الكاتب ليجل قسته فهي الامل الذي يعاوده الحنين اليه كلما ضاقت به السبل . انها الزوجة التي يريد بها الرجل ليجد فيها كل ما ينقصه او يحتاج اليه ويصفها الكاتب بانها « شيء نادر الوجود تنشده كل نفس ، وتشتهي كل روح ، ويعلم به كل قلب .. »

وينجح بطل القصة كاديب وتصدر له بعض الروايات والمجموعات القصصية على الرغم من حياته العائلية الجافة لدرجة ان نجاحه الادبي اصفى على حياته الاسرية شيئا من الاستقرار وليس العكس كما هو طبيعي .

بلغ عدد فصول الجزء الثاني ٢٠٦ فصولا ومقطعة شعرية عدد ابياتها حوالي ٢٢٠٠ بيتا ، وجميع هذه الابيات مشكلة .

وان من يقرأ شعر هذا الديوان ، يقر المحققين الفاضلين في ما ذهبوا اليه من ان القارئ لهذا الشعر يظن ، انه يقرأ لشاعر جاهلي اموي ، ذلك لان هذا الشاعر الكبير نلى من شعره كل الحسنات اللغوية والزخارف البديعية التي حلفت بها اشعار عصره ، الا ما جاء غفو الخاطر مصادفة .

ويعد : فان هذا الديوان ، بشعره ، وشروحه ، وبطلته القشيرية ، يوجب علينا ان نبادر بلزاجاه التهنئة للاستاذين الكريين على هذا العمل الجليل ، وان نربح لوزارة الاعلام عن شكرنا وتقديرنا على اهتمامها بالتراث العربي والاسلامي ، املين ان نرى في القريب العاجل ، الجزء الثالث والاخير من هذا الديوان ليجتمع شعر هذا الشاعر الكبير من الله الى ياله ، ولها من القراء ، كل تقدير واحترام .

عبد الرزاق الهلالي

بغداد

البحث عن النسيان

قصة - تأليف سعد حامد - ١٥٠ صفحة من الحجم المتوسط ، صدرت ضمن سلسلة روايات الهلال بالقاهرة

القصة ببدايتها وشخصياتها وطبيعية وموجودة في البيئة التي يعيش فيها الكاتب ، اي في ذلك الخضم الزاخر بالبشر ، وبمختلف الافكار الاجتماعية والسلوكية ، والمعيشية ايضا . فكثر من الناس ، في القاهرة ، يحيا على هواه ويعيش وفق مبداه ، وعلى قدر امكاناته وربما امكانات غيره كما تشير القصة في بعض فصولها .

اذ فنحن امام قصة من الواقع ، واقع الحياة المصرية التي يعانيها الشباب من المثقلين ودوي الطموح الذين تحول مستواهم الاجتماعي او المادية دون بلوغهم الهدف الذي يريدون عن طريق ميسور شريف ، وليس للثانية والمصلحة الذاتية اليد الطولى في رسم خلوته ومحتواه .

وعلى هذا الاساس فالرواية هادفة ، وهذا ما يجعلها تمتاز على غيرها من الروايات التي يكون القصد منها مجرد امتاع القارئ وتسلية . فالبحث عن النسيان ، بالإضافة الى الامتاع والتسلية تشخص بعض على هذا المجتمع وتثير الى الضياع الذي يعيشه الشباب في هذه الايام وتنبه اولي الامر - دون اخراج - عن عدد من المفارقات التي يحياها الطلاب في المراحل الثانوية ، ومحاولاتهم تقمص شخصيات الفسكار وتصرفات بعيدة كل البعد عن مجتمعنا العربي . ويحذر الكاتب كذلك من هذا الصيق الذي يحياه المراهقون من ابتلائنا في هذه الايام والذي مصدره الفراغ وضعف العمل الجاد ، ويشير الى ان الفتى - في هذه الحال - يتعلق بالتواقة من الاسباب والامور ويجعل لها وزنا وقيمة لا تستحق ايا منهما .

كل هذا يبرزه لنا الكاتب خلال صفحات قليلة جدا في حديثه بطل الرواية عن ولده الفتى في الفصل الحادي والعشرين من القصة ، دون ان يثير شيئا من الملل او السقي في نفس القارئ .

واذا ما عدنا الى القصة نلاحظ فيها في سطور نجد ان بطلها فتى اصيب ببيتيم الاب وهو لا يزال طفلا وبينم الام وهو لا يزال فتى غريسا يحتاج لمن يحنو عليه ويأخذ بيده . وبعد وفاة الام الحازمة تفككت الاسرة وعاش كل من افرادها على هواه .

ثم ان الفتى اخذ يبحث عن الحنان والمثلث فوجدهما لدى

البيان

مجلة فكرية شهرية تصدرها

رابطة الادباء في الكويت

وتحررها الاعلام العربية الاصيلية

للاستزارة ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص.ب. ٢٤٠٤٣ - الصديلية

الكويت

« البيان » ... توزع في معظم الاطراف العربية

فوات الاوان . انها تصور والقنا المزهو واملنا البسام واخلطنا الخيرة
وعسى الله ان يحقق الامل والاحلام .

الظهران - السعودية ابراهيم احمد الشنطي

نفحات عطر

تأليف اسمى طوي - ١٤٠ صفحة من القطع العادي - منشورات
نوفسل بيروت .

هذا كتاب جديد يضاف الى مؤلفات الكاتبة الفلسطينية العربية الكبيرة
التي كرست حياتها ومالها في خدمة رسائلها الادبية الخالصة . وكانت
في نشاطها ونفحاتها الزمومة محط انظار واهتمام من عرفها من العلماء
والادباء منذ مدة طويلة .

ومن الجدير بالثناء ان الكاتبة الصادقة لرسائلها الفلسطينية
والادبية ، تعيش على المستوى الحضاري العربي والتاريخي الفلسطيني
بجاذبية خاصة يستطيع القارئ من خلال السطور ان يتلمس اثار
هاين الرساليتين في اكثر مؤلفات الادبية العاملة اسمى طوي .

ولعل ابرز الشواهد الكثيرة على ما نقول تلك المجموعة الشيقة
الجديدة التي نثرت باقة زهر في نفحات عطر تلك اللوحات الادبية الفنية
بمعدلاتها العالية ومشاعرها الانسانية التي تؤنس عين القارئ وتجاهه
يستمع باحاديثها الجودانية النفحات العطرة التي اطلعتها بسند
الادبية في احلى صور الابداع والجمال .

ومن الطبيعي كما نعدتنا وطنية الادبية الكبيرة ، انها لا تنسى
فلسطينها العربية في فاتحة وخاتمة كل مؤلف من مؤلفاتها . مما يجعلنا
نحس معها تشعها لحرية بلادها ، واستقلال شعبها العربي الفلسطيني
عما يزيد في حبسنا وتقديرنا لهذه الغصائل الكريمة من الوله . « ذي
نجده اجمل ما في هذا الكتاب عندما نقول :
بلادي : وتبين في كل حين . صلاة على شفي . صلاة المحب الامين .

طرابلس - لبنان محمد اديب غالب

همسة في اذن حواء

تأليف ابراهيم عاصي - ١٧٦ صفحة قطع متوسط - الناشر : دار
القلم ببيروت .

ابراهيم عاصي فاض ناقد اجتماعي ماهر ، تبدي نقدها الاجتماعية
في قصصه التي اخرج بعضها في مجموعتين قصصيتين : « ولهسان
والفرسوس » و « اسلة الرمان » كما تبدي في مقالاته التي جمعها في
كتاب « همسة في اذن حواء » . فهو ذو حاسة نقدية ذكية ، له
عينان وسبعان تجوسان خلال اجزاء الدولة ودواوينها ومؤسستها ،
نرمضان الظواهر الاجتماعية ومفاسدها التي تنخر في جسم مجتمعنا
كالبوس ، وتقدم به عن مواكب ركب الحضارة والتقدم ، وتنفذ الى
لب تلك المشكلات ، وقلعه في بده القصيرة ، التي تمنع من ملاحقة
عينه البصيرة ، فلا نستطيع ان نطالها .

وكاديب ذي احساس مرهف تظل نفس البطل نوافة للحب والجمال
يدفعه الى ذلك الملل العاطفي الذي يحياه في المنزل ، وهو لا يبحث من
الحب ولا يذهب اليه ، ولكنه ما ان يحسه يقترب منه حتى يستقبله
بالترحاب .

ويبقى بقية عمل مرهفة في احد مستشفيات الريف فتاسره
بجمالها وحيويتها فيقضي معها فترة من الزمن فهي « التي بمعنى الكلمة ،
ونستطيع ان تمنحني السعادة التي افقدتها » لكنه في النهاية يتنهد
عنها عندما يطلب منه ان يتزوجها ، ويفضل البقاء مع زوجته واطفاله .
لكن هل قررت الزوجة او - على الاقل - لاحظت ما ينتاب زوجها
من شعور بالارادة والامل ؟! هل حاولت مساندة زوجها في حياته فتوفر
له ما هو بحاجة اليه « كنت اعود احيانا متعبا بعد يوم مرهق فليسته
في العمل او في الكتابة ، واذا اكاد اسقط من الاعياء ، واكون في اسند
الحاجة الى كلمة حب او لسة حنان .. قلبي يجيش في صمصري ..
يطلب الراحة والدهف والوصل .. ولكنني لم اكن اجد في بيتي ، في
اكثر الاحيان ، سوى الكاتبة والودعة والهم .. وهي اشياء كنت افصل
عليها الف مرة ان احرب في الفرافات على غير هدى ... فاعلمنا في
الفاخرة .. محالوا نسيان حياتي .. »

ان البطل لا يبحث عن النسيان في الواقع ، انه يقتش عسبن
الاستقرار .. من الراحة والدهف والوصل ، فهذه هي التي تنسيه
واقفه المرير .. انه يشهد الهمو النفسي والحب الاسري الذي يمكن
ان تمنحه الزوجة « الامل » للزوج الممنى التعب . فيستريح في جو
المنزل كما يستريح العامل الكدود في ظل شجرة وارفة في يوم فائقد .
وتعطي الايام رتيبة مملّة ، وذات يوم يلتقي بفرام جديد بقصة
من ذلك النوع من الناس يريد ان يحصل على الشيء الذي يريد لان
بأساطنته الحصول عليه ، بغض النظر عما اذا كان في حاجة اليه ام
لا ؟! يناسب ام لا ؟! بغض غره اذا حصل عليه ام لا! فقط يريد
بأي وسيلة !

وعاش في هذا الفرام الجديد فترة من الزمن نسي فيها واقعه
الذي يحياه حتى انه خطب الفتاة لتكون زوجة ثانية له ، لكن الامر
لم يستمر طويلا انه فسدها بشدة كلامية وقتل بينهما ، فقد
كان كل منهما في بيئة تختلف عن الاخرى .

وحاول ان ينسى غرامه الاخير الذي كان يلح عليه ويبعد كلمات
صاحبه التي كانت تهمس بها في اذنيه « ساجلم من بيتك جنة ..
ساكون في كل يوم امرأة جديدة .. بشوب جديد .. وعطر جديد ..
وطياف جديدة .. وحديث جديد .. حتى لا نعلمني اينما .. »

كان يفتقد هذه الاشياء ، وكانت في الواقع هي الاسباب التي
جعلته يخطف تلك الفتاة في محاولة للحصول على ما ينقصه ، كسان
يريد زوجة تسيره دون تكلف ، تتجدد به دون ارهاق ، تمنع الشوق
الذي يتناجب في صدره وتمنحه الحب الذي يشمر بالظما اليه .

ويرز خيال « امل » كالعقدة كلما تشد به الحاجة الى الزوجة
الثانية ، وعندما ياخذ في البحث عن الراحة والدهف والوصل « عندما
احببت فيرك كنت ابحث عنك انت .. »

ثم لنفسي الحياة رتيبة ببطل القصة : « من العمل الى البيت ..
الى لقاء الصداقة ... افرا الكتب وافتكر في كل شيء .. واخلصم
بان اصبح يوما كاتبا عظيما استطع ان اغير عما يفسرهم في اعمالهم من
عواطف والفتالات ، وان اصور حياة كل من عرفت من الناس ، واسجل
كل ما رايت من احوادث ، وما عاينت من تجارب في الحياة .. ولكن
هل تحقق كل هذه الاحلام ؟ »

انه امل كل كاتب وهدف كل اديب ، ولا شك ان الاستلا سعد
حامد قد كتب فاجاد ، فالبحت عن النسيان هي في الواقع تذكرة
لنا حتى لا ننسى ما نحن فيه من ضياع ، ونحاول اصلاح الامر قبل

هذا البطل القومي، أما الثاني، وهو أكثر اعتدالا، فقد لاحظ تلك التناقضات ولكنه أوضحها. وهذا هو كتاب آخر يترجم الآن إلى الفرنسية وهو من تأليف الكاتب الأردني سليمان موسى. وقد ظهر الكتاب باللغة العربية أولا عام ١٩٦٢ ثم ظهرت الترجمة الانكليزية عام ١٩٦٦. وهذا الكتاب يطرح وجهة نظر مختلفة وهي على الخصوص وجهة نظر عربية. لقد تألم المؤلف عندما لاحظ أن الثورة العربية لعام ١٩١٦، تعرض في احيان كثيرة على اساس ان لورنس نظمها وادارها.

والأول يعالج سيرة حياة لورنس، ويفند كل الأكاذيب التي جرت حول شخصيته وحول طائفته الميكافيلية. كما أنه يبرز استقلال الزعماء العرب في اتخاذ قراراتهم، وشجاعة المحاربين العرب، ومساهمة العرب المهمة في النصر الذي أحرزه الإنكليز على الأتراك. وبني الكاتب وجهة نظره على دراسة انتقادية لوثائق وكتب، لأحدها أهمية خاصة، وهي التقارير التي نشرها لورنس في (النشرة العربية) التي كانت تصدرها السلطات البريطانية في مصر. بالإضافة إلى الأقوال لشهود أحياء اشتركوا في الأحداث.

وترى استنتاجاته أحيانا منسجمة مع ما يعتقد ولكن ليس دائما. ومع ذلك، فإنه يظهر قدرا مميّنا من التسامح مع بطل كتابه، وتراه يقر نفسه على إعطاء أحكام متوازنة بشأن لورنس. ولكن مواجهته في التحليل النفسي تصف أمم عواطفه، مما يجعل من المسير بالنسبة له أن يلهم عقلية قومية أخرى: هي العقلية الإستعمارية. بل أكثر من ذلك: أن يقدر حق التقدير رد الفعل بالنسبة لشخص انكليزي في العشرينات من هذا القرن، إزاء الصهيونية.

إن المقدمة التي كتبها المشرّق فستت مونتاي مثرة للاهتمام. وقد اصيف للكتاب تنفيذ كتيبه شقيق لورنس يرد على اتهامات المؤلف ورد صغير من المؤلف. الترجمة على العموم جيدة ولكنها لا تخلو من أخطاء هنا وهناك. الكتاب يصلح للمثقفين عموما وللمهتمين بالقضايا العربية.

ترجم عن مجلة Bulletin Critique du Livre Français

http://Archivebeta.Saleh7.com

آخر ما أصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالإضافة الى العرض الدائم لأحدث مجلات

الأزياء والموضة الأوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الأمير بشير - بيروت

نطالع في هذه الأثناء حواء» لمسات انتقادية خفيفة آناء لادة. أنا آخر، وهي في كتنا العاليتين، تنسرب في امر فكاهية تحلل الكثير من (خلة دم) كاتبها. ولن اضرب مثالا على هذا أو ذاك، فالكاتب متعب بها، بل هو قائم عليها. وإذا كان الأسلوب هو الرجل، فأعرف أي رجل يكون إبراهيم.

وفي الكتاب تركيز على (حواء) أو بنات جنسها - على الأصح - فهو يأسى لهذه المظاهر التافهة التي تبدو فيها المرأة عنفنا، مفقده، سخيفة في تقليدها، تجري وراء سراب، لا هدف لها في هذه الحياة، ترى نفسها مجرد متاع، وكذلك يراها أديباء المصرية، فيروجون لأسباب تظنها، حتى أخرجوها من دوائر إنسانيتها، لتفسيح في لجج الشهوات. تكون لذلك من اللاذنات الحيوانية التافهة، تعسر في كل ما تستطيع عرضه. حتى لم تبق ما يطمح إلى رؤيته، وبطمع في الاستمتاع به، اللاهوتون خلف الشهوات الهابطة... أنها تزعم، وزعم لها كل ذبوت، أنها إنما تبغي التحرر من كل ألوان العبودية... وأي تحرر هذا الذي يجعل منها سيكره، ما يلبث مدخنها أن يندوسها بحدائه... لم... مجرد حذاء يحتذيه الفجرة النادرون، فلذا وجدوا (مودبلا) أحدث منه، القوه على الزايل، وقلقوا الأحدث....

ولأهمية هذا الكتاب، نطقت طبعته الأولى خلال ستة أشهر، وطبع طبعه ثانية مزيدة ومنقحة، فلا، لا كما يزعم بعض المؤلفين أن الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة) وليس فيها من الزيادة أو التفتيح شيء. فقد أضاف إلى هذه الطبعة الجديدة مقدمة طريفة، و«عاش أينظلون» عن عارضة الزياء، و«هل تعرف تلك» عن فلاح تخنثس أو استنقو - حسب تعبير الأجداد - و«اللدان سيدخلان الجنة» عن الشنب والمصلحة العامة، هذان القلومان الجبني عليهما ممن فزروا ففترات مديدة، ثم (نظروا) على كراسي المسؤولين من (اجلهما) ولأجل قناعتها، والا... فإن خدمة الشنب في أتون الفلاذ الشنبيع اليوم؟ وابن ينف تكافؤ الفرص من المصلحة العامة؟ بل من منكم يستطيع أن يدلي على مظهر واحد من مظاهر خدمة الشنب أو المصلحة العامة في دنيانا الصاخبة بالآس والالام؟

بحث إبراهيم كل هذا، وأشياء أخرى شواء، ليستأه مؤسسة قيمة، في أسلوبه الرشيق، والخفيف الطل خلة دست عليه بعض الشيء التي لا تخفى على مثل إبراهيم، وقد يكون نعمها... وأخيرا: ليس من حق قاريه مثلي أن يشكر دار القلم وصاحبها مرتين؟

مرة على الجهود البرورة التي جعلته يقدم للقراء العرب الشيء نتاج يقع من نفوس جمهوره القراء موقعا برضون عنه... ومرة ثانية، لأنه لم يبدل نطال الناشرين التجار، الذين يستقلون نمطاً معيناً من القراء، فيبتزون نقوده القليلة، بجودهم ونشورهم الفصحى.

عبد الله الطنطاوي

حلب

حلم واكتوبة لورنس

كتاب باللغة الفرنسية - تأليف سليمان موسى - ترجمة عيلان هارسمان عن دار سندباد في باريس

كان المسير القريب الذي آل إليه لورانس موضوع مؤلفات عديدة، نستطيع أن نذكر منها كتاب ريتشارد المنجون الذي عرضناه سابقاً، وكتاب التوني ناتج. وأول هذين الإنكليزيين هاجم بعنف تليفات

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الناهر

- ١ -

— مذاهب النقد الادبي — للدكتورة سهر القلماوي — دكتور رشاد رشدي — دكتور محمد مندور (ولقيف من اسانذة الجامعات) سلسلة كتب ثقافية — القاهرة ، د.ت . ٥٥ ص.ص .

١ — في مقال للدكتور رشدي ص ١٣ : « فكلما ازداد ابداع الكاتب كلما ازدادت قدرته على ان يفصل عقله الخالق عن تجاربه الشخصية .. »

صار معلوما ان « كلما » الثانية زائدة وليست من اساليب العربية ..

٢ — في مقال للدكتورة القلماوي ص ٢٥ : « وكان ذلك كله في العشر سنوات الاخيرة .. »
الصحيح : في عشر السنوات .

ص ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ يرد « مالايمين » على هذه الصورة ، وهي خطأ ، لانه Mallarmé

٣ — في مقال الدكتور محمد الفنيهي هلال عن الرومانتيكية ص ١٦ — ١٧ : « وكانت السيدة » نكر « تحب ان يطلق على الادب الرومانتيكي « الادب الاجتماعي » .

لم نذكر نكر ، وهي مشهورة جدا في عالم الادب عموما وفي صلتها بنشأة الرومانتيكية خصوصا باسم « مدام دي ستال » كما سيذكرها الكاتب نفسه ص ١٨ ،

وهو اذ يتحدث عن امرأة واحدة اجنبية باسمين مختلفين شكلا يلتبس الامر كثيرا على القارئ العربي فيحسب

السيدة « نكر » امرأة وبحسب « مدام دي ستال » التي تآثرت ... بالالمان « امرأة اخرى — وليس الامر كذلك .

هذا الى ان تسميتها بالسيدة نكر غير صحيح ، انها السيدة دستال وليست السيدة « نكر » لان الفرنسيين لا

ينسبون — كما هو معروف — النساء المتزوجات الى آبائهن و « نكر » — كما هو معروف ايضا — ابوها .

وقال ص ١٧ « الكلمة الفرنسية » Romanticisme
الصحيح انها Romantisme

٤ — في مقالة الدكتور رشدي ص ٦ : « ... فالتقد في نظر اصحاب المدرسة العاطفية عمل ابتكاري كالخلق

تما لا يستطيع الناقد ان يصل ويجول كيفما يشاء وان يطلق خياله العنان حتى ليبعد مسافات شاسعة عن

الادب نفسه — كما يعطي لنفسه الحق في ان يصيغ احكامه بالول الذي يلائمه . »

١ — المناسب ان تكون « لا » التي سبقت « يستطيع »

زائدة .

ب — كانه يقصد « بالمدرسة العاطفية » المدرسة الانطباعية (التائيرية) .

٥ — في مقال الدكتور رشدي ص ٦ — ٧ « في اواسط القرن (التاسع عشر) تقريبا نشأت فكرة ان الادب

تعبير عن البيئة او المجتمع .. »
لو قال : شاعت او وضعت موضع التنفيذ « العلمي »

كان ادق ، والا فان الفكرة نشأت قبل ذلك ، ولو قلت اوائل القرن لم تبعد عن الصواب ، ومعلوم امر اقامة مدام

دستال في المانيا وآثارها بهذه الفكرة هناك وعودتها الى فرنسا ونشرها هذه الفكرة وتأليفها فيها .

٦ — اقام الدكتور رشاد رشدي مقاله « مدارس النقد الادبي » ص ٣ — ٩ على الحركة الرومانتيكية فقال :

« لقد خلف لنا القرن الماضي مدارس عديدة للنقد ... والمصدر الذي نشأت منه هذه المدارس هو الحركة الرومانتيكية ... »

واخاله ميلانا في ذلك ، وانه اضطر بفعل التعميم الى ايجاد « ما يمكن ان نسميه بالرومانسية العلمية في

الادب » و « المفهوم العلمي الرومانسي للادب » . واذا كان صميم الرومانسية لديه « فكرة ان الادب تعبير عن الفرد »

ونشأت من ذلك مدرستان تقديتان هما المدرسة السيكولوجية والمدرسة العاطفية — الامر مقبول لدى

ربطهما بصميم الرومانتيكية ، ولكنه سيضطر الى التكلف حين يقف ازاء ما كان « في القرن الماضي » من « مدارس

النقد الاجتماعية والتاريخية والمادية الجدلية » وسيجعل ربط هذه المدارس بالرومانتيكية بتخلص ضعيف وسيقول :

« ولقد ظلت فكرة ان الادب تعبير عن شيء او اخر سائدة طوال القرن الماضي الا انها اخذت اشكالا مختلفة

وتحددت تبعا لهذه الاشكال مدارس النقد الادبي ومناهجه — ففي اواسط القرن تقريبا نشأت فكرة ان الادب تعبير

عن البيئة او المجتمع ومن هذا قامت مدارس النقد الاجتماعية والتاريخية والمادية الجدلية .. »

واصحاب هذه المدارس من النقاد يفسرون العمل الادبي في ضوء الظروف الطبيعية او الاجتماعية او

التاريخية او الاقتصادية التي تنشأ فيها لانه في نظرهم ليس الا انتاج لهذه الظروف .. الخ »

والتكلف في ربط هذه « المدارس » بالحركة الرومانتيكية واضح ، وكان الرباط لديه فكرة ان الادب

تعبير عن شيء ، وليس هذا رباطا علميا لان التعبير عن الذات غير التعبير بفعل الطبيعة او المجتمع او العامل

الاقتصادي .. ثم ان اصحاب هذه المدارس نفسها لم يربطوا انفسهم

بالحركة الرومانتيكية ولم يريدوا لانفسهم ان يربطوا بها ، بل انهم كثيرا ما كانوا ردود فعل لايقالها بالذات ،

فسخروا منها وقاوموها ولا ادري كيف يسوغ لنا ان

نسمى « المادية الجدلية » مثلا رومانتيكية ، حتى لو
لصقنا بالرومانتيكية ، صفة العلمية ..

نعم ، هناك بين هذه المدارس والمدرستين اللتين
نشأتا عن الحركة الرومانتيكية (أي السيكلوجية
والمطالعية) رابطة هي اهتمام الناقذ بأشياء خارج العمل
الادبي ، قد نبالغ فنقول انها لا تمت الى العمل الادبي
بشيء وانها « تعطل فهما للعمل الادبي وتشغلنا عنه » ومن
ثم فهي تقيض ما دعا اليه (ص ٩) بند توكروثسي
و ت. اس . ابولت ..

هذه صفة جامعة ... ولكنها لا تجعلها مدارس
للمفهوم الرومانسي فالتعبير عن الذات شيء والتعبير
بالمعامل الاقتصادي شيء اخر ... والربط متكلف ، ويبدو
التكلف على اشده في صفحة ثالثة (ص ١٢) فقد اتضح
فيها ان هناك امرين : « الرومانتيكية » و « الوعي العلمي
الجديد » .

كان مناسب ان يذكر لنا الدكتور رشدي مصدره لدى
ذكر مصطلح غريب علينا كالرومانتيكية العلمية .
٧ - ص ١٤ : « في كلا الحالتين » : في كلتا
الحالتين .

٨ - ص ١٤ : « وقد نشأ عن الرومانسية العلمية
تقسيم العمل الادبي تقسيما غير طبيعي اي شكل وموضوع
.. ولكن الكلاسيكية الجديدة تنكر وجود الموضوع ...
كما ... تنكر وجود الاسلوب .. فكل ما في العمل الادبي
من اللفاظ وصور ورموز ومدلولات وجرس وموسيقى وغير
ذلك من عناصر ليست لها وظائف مستقلة بعضها عن البعض
وهي ليست ايضا غايات تطلب لذاتها .. لانها تتعاون
جميعا في خلق الاثر او المعنى الكلي لهذه الوحدة المتكاملة
الفريدة في نوعها وهي ما نسميها بالعمل الادبي » .

١ - بعد ان قال الدكتور رشدي في بداية الفقرة :
شكل ومضمون ، حسن - بل وجب - ان يحتفظ
بالمصطلحين لدى نفي الكلاسيكية الجديدة لوجود هذين
المصطلحين . ولكنه لم يفعل ذلك فقد احتفظ بالموضوع
ولكنه استعمل « الاسلوب » بدل الشكل . ويؤدي هذا
الى لبس ، لان الاسلوب في المفهوم الحديث لم يعد
الشكل ، ولم يعد « الالفاظ والصور والرموز ...
والموسيقى » بل انه لم يعد هذه الاشياء « مستقلة عن
بعضها ... ان الاسلوب - بالمعنى الحديث الذي آل اليه
اقرب مرادف لما ذهب اليه الكلاسيكية الجديدة من تعاون
الموضوع وعناصر الشكل » في خلق الاثر او المعنى الكلي
لهذه الوحدة المتكاملة الفريدة في نوعها وهي ما نسميها
بالعمل الادبي » .

الخلاصة ان « الاسلوب » لم يعد ، في النقد
الادبي المعاصر - مرادفا « صافيا » للشكل ، واننا اذا قلنا
في بداية كلام : « شكل وموضوع » ، علينا ان نستمر في
القول لدى تكراره ولا نحل كلمة « اسلوب » محل « شكل »

دفعنا لبس ووعيا لتطور المصطلحات .

٧ - تقول الدكتورة سهير القلماوي ص ٢٦ :

« ... ومذهب البرناسيين كان رد فعل لتقدم العلوم
وخاصة العلوم المتعلقة بالظب البشري ... »

المعلوم ان مذهب البرناسيين ، كان في اسباب
قيامه تقدم العلوم ، ولم يكن رد فعل لهذا التقدم ، وعلى
هذا تكون العبارة هكذا : « ... ومذهب البرناسيين كان
بفعل تقدم العلوم ... » اذا كان لا بد من الاحتفاظ بكلمة
« فعل » ، لان « رد فعل » تعني - كما هو معروف -
الضد ، اي ان مذهب البرناسيين نشأ مضادا لتقدم العلوم ،
ولم يكن الامر كذلك ويتفق المذهب - مذهب البرناسيين -
والعلوم بالوضوعية ..

اللاحظة هنا على استعمال « رد فعل » .

ولو قلنا ان « مذهب البرناسيين » رد فعل
لرومانتيكية كان القول صوابا ، ولو قلنا ان « الرمية »
رد فعل للعلوم لكان القول صوابا كذلك ..

هذا ويحسن - ويجب - ان ترد « البرناسيين » على
البارناسيين لانها نسبة الى Parnasse

٨ - يقول الدكتور محمد مندور ص ٣٤ - ٣٥ :
« اما الواقعية القريبة فقد ظهرت منذ اوائل القرن الماضي
وسارت جنبا الى جنب مع المذهب الرومانتيكي ، فبينما
كان ادباء الرومانتيكية في فرنسا خلال ذلك القرن يخرجون
الدواوين والقصص والمسرحيات ... على نحو ما نشاهد
عند هيجو وموسيه ولامرتين في فرنسا مثلا سرى الواقعيين
من امثال بلزاك وموبسان ثم زولا ينقبون عن مواقع الحياة
في تقويم البشر كافة وينظرون الى هذا الواقع نظيرة
يزعمون انها تكشف عن حقيقته ، فعندهم ان الانسان
شريع بطبعه ... »

١ - ليس صحيحا ان الواقعية القريبة ظهرت منذ
اوائل القرن الماضي وسارت جنبا الى جنب مع المذهب
الرومانتيكي ، فاذا كانت الرومانتيكية قد بدت مقدمتها
منذ اواخر القرن الثامن عشر ، وقويت في اوائل التاسع
عشر وتقررت مدرسة سنة ١٨٢٠ بصدور ديوان لامرتين
(المولود سنة ١٧٩٠) ، فان « الواقعية » لم تكن - ونحن
نتحدث عن المدرسة او المذهب - قد وجدت ، لانها ولدت
في اواسط القرن التاسع عشر ، ولم يكن بلزاك (المولود
سنة ١٧٩٩) يمثلها او احد اعمدتها لدى « تاسيسها » .
يدرس بلزاك - ويدرج - في باب الرومانتيكية وقد احترمه
الواقعيون كثيرا واعلى مشرعهم شاتليري مكانه ولكن هذا
شيء وعده من المدرسة الواقعية شيء اخر .

ب - ولد زولا سنة ١٨٤٠ ، وموبسان سنة ١٨٥٠
فاين هما في اوائل القرن التاسع عشر .

- ٢ -

- موسيقى الشعر - تأليف الدكتور ابراهيم انيسس ،
الطبعة الرابعة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢

(كانت الطبعة الأولى حوالي سنة ١٩٥٠ ء)

١ - ص ٨ : « ان هذا القدر نظري غريزي ولد معنا » ، ص ١١ « ان هناك ميلا غريزيا .. »

٢ - ص ٢٢ : « عني القدماء ... فيما يمكن ان يتكون من كلمات لو استعملت حروف الهجاء الثمانية والعشرين كلها بنسبة واحدة » .
الصحيح : الثمانية والعشرون .

٣ - ص ١٩٤ - بعد قوله ص ١٩٣ - ١٩٤ « وقع الاختيار ... على ديوان زهير ... اما الفرزدق ففسى ديوانه » . « بل حتى ابي العتاهية ... لم ينظم الا من يحور نظم منها من سبقوه من الشعراء » .
الصحيح : حتى ابو العتاهية .

قد يكون الصحيح في « نظم منها » : نظم عليها او نظم فيها ، فالشاعر ينظم على البحر ، والشعر يكون من البحر .

افضل من : « من سبقوه » : من سبقه .

٤ - ص ٢٢٠ : « اما نشأة الموشحات ، فقد اضطربت فيها الروايات بعض الاضطراب ... على ان من مؤرخي الادب من يزعمون ان اول من نظم الموشحات هو ابن المعتز الذي توفي واواخر القرن الثالث الهجري ، وبروون له موشحا مطلقه :
يها الساقى اليسك الشنكى قد دونك وان لم تسمع
لم يذكر لنا الدكتور انيس مرجعه ولم يسم لنا مؤرخي الادب هؤلاء ... وان كنا نعرف منهم احمد حسن الزيات في كتابه « تاريخ الادب العربي » الذي طبع مرارا ... وكنا نظن ان هذه مسألة انتهت لا يرجع اليها راجع ، فقد بت فيها وثبت بطلانها بما لا يقبل اشكا ولا ينسحق لباحث ان يعود اليها او ان يجهل ما وصل العلم بشأنها .
ان الموشحة المذكورة : « ايها الساقى » من نظم الاندلسي ابن زهر .

وعاد الدكتور انيس الى هذه الموشحة ص ٣٠٩ على وجه حسيبنا معه انه تنبه الى الشك في النسبة الى ابن المعتز حين قال : « الموشح الذي ينسب الى ابن المعتز ... ولكنه يبعد هذا الحسيب ص ٣٤٣ بقوله ... يكون ما يؤكد بعض الدارسين من ان الموشحات بدأت ايضا بالمشرق على يدي ابن المعتز غير بعيد الاحتمال » .
كانت « هفوة » نسبت « ايها الساقى » الى ابن المعتز ثم فرغ الدارسون بعد ذلك من انها ليست له ، وانما هي لمحمد عبد الملك بن زهر .

٥ - ص ٢٠١ : « المزدوج ... ولايى العتاهية مزدوجة ... وقد نظم منه ابا بن عبد الحميد اللاحقي كتاب كليله ودمنة ، كما نظم الحريري ملحمة في قواعد الاعراب ... لا نطلق لفظة « ملحمة » على مزدوجة تنظم « قواعد الاعراب » ... فهي مصطلح له حدوده واركانه عند اهله ، ونحسب ان الدكتور انيس لا يسمح بهذا الاطلاق

ان مزدوجة الحريري : منظومة ، وهي من الشعر التعليمي كما هو شأنها في مصطلح الشعر التعليمي .

٦ - يتحدث الدكتور انيس عن شعر المحدثين بصدد البحر والقافية ، فيما يكثر ويقل منها فيقول مثلا ص ٣١٠ « والذي يلاحظ بوجه عام ان شعراءنا المحدثين ، لم يحاولوا التنوع في القافية الا في النادر من الاحيان ... » ولكن الشعراء المحدثين هؤلاء وحيث ورد الكلام عليهم لا يعنون لديه الا شعراء مصر : شوقي ، حافظ ، البارودي ، الجارم ، العقاد ، عزيز اباضه ، رامي ، علي محمود طه ، علي الجندي ، محمود غنيم ، محمود اسماعيل .

ليكن - اذا - القارىء على علم ، وله بعد ذلك ان يسأل : اما كان بإمكان الاستاذ المؤلف - وقد طبع كتابه اربع طبعات - ان يخرج قليلا من حدود « الكتانة » فيختار شعراء آخرين من اقطار العربية ... ليكون الحكم اصدق وادق ورائع ، ولعله يجد فرقا يمكن ان ينتفع به مؤلف يؤلف في « موسيقى الشعر » فيجد البحر او القافية شائنا يختلف - او يتفق - مع شأنهما في مصر - الخ .
انه لم يخرج من الدائرة الضيقة الا في حالة واحدة ، هي حالة شعراء المهجر هيباها له كتاب « بلاغة العرب في القرن العشرين » الطوبوع في مصر . اما كان يمكننا ان نشطر في عدد من دواوين هؤلاء الشعراء ليكون الحكم اول والامثلة متنوعة ... ؟

٧ - ص ٣٠٣ - ٣٠٥ « المربع هو ذلك الشعر الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته الى اقسام يتضمن كل قسم منها اربعة اشطر ، ويراعي الشاعر في هذه الاشطر الاربعة نظاما للقافية ... والذي شاع ... ان قافية الشطر الرابع تتكرر هي بعينها مع كل قسم من اقسام المربعات ، مثل قول شوقي تحت عنوان « السفور كاتك تراه » :

على اي الجنان بنا مصر وفي اي الحدائق تنشر
رويدا ايها الفلك الابصر بلفت بنا الربوع فانت حر
سهرت ولسم تتم للركب عين كان لسم بقوم فحجر واين
يحت خفاك لج بل نجسين بدل الابرير بل الفق اغمر
فنحن نرى في مثل هذا النظم ان قافية الشطر الرابع تتكرر حتى نهاية القصيدة ، فليست الاقسام هنا مستقلة تمام الاستقلال ، ولكنها تشترك في امر واحد هو تكرور قافية الشطر الرابع .

وقد اغرم العباسيون بهذا النوع من المربعات واكثروا من نظمه ، وهو بحق يعد الحجر الاول فسي بناء الموشحات التي ازدهرت فيما بعد .

١ - قولنا : « وقد اغرم العباسيون ... واكثروا ... » يدل - فعلا - على غزارة ما نظم من هذا « القصيد المربع » ... فابن هي الغزارة منه في مجموع شعر العباسيين ابل في جزء منه ؟ اين امثله ؟
اشك في صحة القول وفي امكان الاجابة عن الاسئلة

وإذا وجد فلم لم يذكر لنا المؤلف الفاضل مثلاً واحداً أو ان يشير الى مكانه من الدواوين والمصادر .

ب - قولنا : « وهو بحق يعد الحجر الاول في بناء الموشحات ... » يستدعي امرين : الاول وجوده (وغزارته) ، الثاني ان يكون الوجود (والغزارة) قبل القرن الثالث للهجرة او في نصفه الاول ، لان المؤلف اشار - في وضوح - (ص ٢٢٠ - ٢٢١) الى نشأة الموشح في هذا القرن - والامران متلازمان ، ويبقى الشك - الذي يشبه اليقين - قائماً .

٨ - ص ٣١٩ « قال ثعلبة بن عمرو :

الاسماء لم تستل من ابيك والقوم قد كان فيهم خطوب ..
١ - الانسب - ان لم يكن الاصح - في كتابة «تستل» تسأل . وإذا كان المؤلف قد تابع المفصلات - بتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - فسي المفصلة ٦١ ، فقد وضع المحققان هناك فتحة على الهمة تحذيراً من كسرها .

ب - فتح المؤلف - او الطابع - الباء من « ابيك » وهو غير صحيح ، وإنما الصحيح السكون .

٩ - « موسيقى الشعر » : كتاب في « العروض والقافية » يمكن ان نضيف الى مراجع البحث كتاب الدكتور محمد مهدي البصير « الموشح في الاندلس وفي الشرق » بغداد ، ١٩٤٨ - لانه رائد في باب اي في دراسة الموشح في الشرق والنظر فيما نظم المحدثون ... ووقف المؤلف (ص ٣٥٦) لدى (١٥) كتاباً من « كتب العروض » وكأنه يريد الاستقصاء ، وإذا كان قد ذكر كتاباً حديثة مثل كتاب محمود مصطفى فلم حجب كتاب الهاشمي (ميزان الذهب) ؟

وهناك كتب اخرى في اقطار اخرى .. اذكر منها في العراق كتاب الرصافي « الادب الرفيع » .

ثم هناك كتب قديمة حققت ونشرت بعد طبعته او طبعاته ، الاولى : منها : « كتاب القوافي تأليف ابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش المتوفي سنة ٢١٥ هـ بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دمشق ، ١٩٧٠ ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي » .

و « كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة لابن عبد الله محمد بن جعفر الفزاز القيرواني تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، الدار التونسية للنشر ١٩٧١ .

وتنظر مجلة معهد المخطوطات ..

وبذكر الدكتور عزة حسن في مصادره : كتاب القوافي للقاضي ابي يعلى عبد الباقي التنوخي ط . (على آلة التكثير) سنة ١٩٦٥ ، وكتاب « الكافي في علم القوافي » لابي بكر محمد الشنتريني - مع كتاب المعيار في اوزان الاشعار ، ١٩٦٨ .

ونذكر للطبعة القابلة « كتاب العروض تأليف ابي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فراهو ، بيروت ١٩٧٢ .

- النموذج في البحث الادبي تأليف عمر انيس الطباع ، الكتاب الاول ، بيروت (٤) ، دار النشر الجامعيين ١٩٥٨ .

١ - ص ١٤٥ : « لئن كان الشعر العربي ، على وجه العموم ، شعراً رومنيطيقياً ، اذا اعتبرنا الرومانيطيقية نزعة وجدانية ينطوي فيها الشاعر على ذاته ، فان ابن الرومي بصورة خاصة ، اشد صلة بعالم الرومانيطيين من شعراء فرنسا - ابتداء من « روسو » و « سانت بييف » ، و « شاتوبريان » الى « لامرتين » و « فيكتور هيجو » - لا يمثل في نفسه شعره من خصائص اعلام هذه المدرسة » وكلام اخر .

١ - لا ارانا مصيبين ، ونحن تقدم « النموذج في البحث » لطلابنا ، بزج الشاعر العربي في معمار مدارس الادبي الغربي فضلاً عن ان نجعل ابن الرومي اشد صلة بلامرتين ... وربما افاد فعل التفصيل التفصيل .

ثم ان النزعة الوجدانية ليست كل شيء فسي الرومانيطيقية ... وإذا لم يكن في الشعر العربي القديم رومانيطيقية فقد كانت نزعة وجدانية ، فهو في عمومته شعر وجداني (غنائي) .

ب - اذا كنا نعلم جيداً تطور المدرسة الرومانيطيقية في فرنسا قدمنا شاتوبريان على سنت بييف . ثم لم هذا الاختيار الذي وقع على سنت بييف وهو ادب يقوم مجده على النقد الادبي ، وليس لشعره وقصته الاهمية التي تحله حيث احله المؤلف ؟ .

٢ - ص ٢٤٩ : « كان نظمه (اي نظم سليمان البستاني) اعظم دافع للشعراء العرب المحدثين ، على التجديد في طرائق الشعر والجرأة على تحدي الاساليب القديمة ، والبحور الكلاسيكية .. »

لم يقل هذا احد ، لانه ليس صحيحاً ... لقد عمل سليمان البستاني بترجمته الالياذة ومقدمته الضافية لها شيئاً جديراً بالاهتمام والذكر .. اما ان يكون « اعظم دافع ... » فلا .

الذي يؤلف في « النموذج في البحث » مطالب اكثر من غيره في الثاني لدى الحكم ، والهدوء لدى الاعجاب .

ملاحظات :

١ - ورد في « تحقيقات » فبراير ص ٧ :
تلقون هذا العصر عصر هداية واجدر لو ندعوه عصر فلات وصحيحه :

تلقون هذا العصر عصر هداية واجدر ان ندعوه عصر فلات
٢ - ص ٨ « واشتهر بين النقاد والشعراء حماد وخلف ... » وصحيحه : واشتهر بين النقاد الشعراء ..

علي جواد الطاهر

بغداد - كلية الاداب

الموت العاشق

مثل اهل الفرام كل جميل
صبوات الردى بكل سبيل
بالذي تامه لمرعى ويبيل
اسرع الناس دائما الزحيل
فهو امر يحتاج للتعليل
خير ازهاره وشيك الذبول
ان ابهى النجوم رهن الافول
من مآسي الجمال الف دليل

ما لها في شبابها من مثيل
فهي مرآة فنها المصقول
رد يريق الشذا بخد اسيل
نصيفنا القاه بالتقييل
سحرا في فرعها المسدول
تتهادى مع التسيم البليل
مستجيرا منه بظل ظليل
في هتاف من لفظها المسول
اي وفاقت باي عقل اصيل
الذهن بومض يفضي الى الجويل
السن الزائرات مثل الطبول
دون ضيق بلفوه الماسول
فتولييه كل صفح نبيل
ها على الستر والكفاف القليل
ى دقيقا يغيب خلف السدول
خطفة الضوء في الحسام الصقيل
طف اذا حدثت لعنى جليل
بنير شاد ، ولطف قليل
غير اني اضيق بالتمثيل
في فؤادي تنثال مثل النصول
مستفيضا من هم ليل طويل
ها فانهار تحت عبء ثقيل
من سناها يبدو بكل سبيل
من هوانا في ماتم وعويل
د) تعنيه صبوة المتبول

صبح عندي ان المنية تهوى
قد تبعت خطوها فتراءت
واشتهاء الردى مبيد يؤدي
قد شهدنا اهل الجمال لدينا
واذا لم يكن هو الموت فيهم
اترك الناس واشهد الروض تبصر
اترك الروض واشهد الافق تترك
ينكر العقل ما اقول وعندي

كان لي عادة سلام عليها
كسيت رونق الطبيعة غصبا
صورة الورد عندها اذ ارى الو
صورة الفل عندها اذ ارى الثفر
صورة الليل عندها اذ يهوج الليل
ولعل الحديث منها غصون
اتشاه في الهجير رخيا
يبدع الطير شدوه فتراه
لخصت بهجة الطبيعة في الر
في التباس الظنون اذ يخلط
في صوات الانفاذ حين تدوي
في احتمال الثرثار مهما تهادى
في تسامي الاخلاق اذ تلمس الذنب
في غنى النفس حين تحمد مولا
في ابتسام الذكاء اذ تلمع المفز
ولصمت التفكير في مقلتيها
تشهد الموج بين اهدابها الو
فاذا ادركته راحت تجليه
اذكر الان كل لقط حكته
ذكريات تفضي الى حشرات
ان تشاغلتي بالدروس صباحا
ابدا السدرس ثم تعرض ذكرا
هل سبيل الى السلو وطيف
ظفر الموت بالمنى وغدونا
صدق القول (انما الموت نقا

محمد رجب البيومي

الرياض - كلية اللغة العربية

السمع لكل ما يعوله السيد شحاته ، ولما ما يعوله ممتع
ملك يسير الفهم ، هانت بفضل كل مصابه . وهذا الرجل
العظيم - اطال الله عمره - هو اول من جيني في اللغة
العربية ، بينما كان اسلافه جميعا لا يتوخون الا تقيضنا
في اللغة العربية .

وكان من زملائي في الصف سليمان زكي مبارك ، وهو
شاب فيه بساطة الريف وفيه انطواء على الذات .
واذ كنا ننتهي ذات صباح لدخول حصة اللغة العربية ،
وبنا اليها شوق نناه وتعهده استاذنا السيد شحاته ، رأينا
الاستاذ يقبل علينا وفي صحبته ضيف غريب اجعد الشعر
جفاه التشذيب والتهديب ، على عينيه غلاظ من العيونات ،
وتهامسا من يكون هذا الضيف ، فانسعنا سليمان
بالجواب : هذا ابي ، وهو مفتش اللغة العربية بوزارة
المعارف .

وانتظمتنا كل في مكانه ، واستولى علينا رعب قاتل ،
فهذه هي المرة الاولى التي يجيئنا مفتش او موجه بلغة
هذه الالام - من طراز زكي مبارك . ولن يلبث حتى
يورثنا التلعثم والعلم بعلمه البحر وعلمنا القاصر .
ولكن « رطب الجو » امران ، اولهما ان استاذنا السيد
شحاته احسن تقديم المفتش الى الطلاب ، مشيدا بمؤلفته
الرموقة في دنيا الادب ، مؤكدا ان زيارته لنا تشريف هو
نفسه اول التامعين به ، وقال اننا جميعا طلاب على زكي
مبارك ، ثم دعاه الى ان يريتنا من علمه وبحاضرتنا في الادب
الذي هو من اعلامه الكبار . فآخذ زكي مبارك يحدثننا في
الادب حديثا مشتبها ، انساه انه مفتش وان واجبه ان
يتمسك بقولنا : « وما الامر الثاني الذي هذا من روعنا ،
فهو وجود ابن زكي مبارك بيننا ، ولا اقل من ان يكون
الاب مترفقا بزملاء ابنه العزيز سليمان .

وقبل ان ينفض السامر ويغادرنا زكي مبارك ، رفع
ابنه اصبعه طالبا الكلام . فتوجهت كل الانظار الى سليمان
... ولما اذن له ابوه بالكلام ، تحدث لا بالعربية ، بـ
بالفرنسية قائلا : Je parle francais comme les francaises اي
انني اجيد الفرنسية كالفرنسيات ! فضحك الدكتور
زكي مبارك ، ونبه ابنه الى ان اللغة الفرنسية فيها تانيث
وتذكير على غرار اللغة العربية وعلى نقض اللغة الانكليزية .
والهم ان الهلع الذي استولى علينا من زيارة « جنرال »
الادب « ابن زكي مبارك قد زالنا ، ربما لان زكي مبارك وجدنا
ارق من ان يشن علينا حربا من حروب بسوسه !

وفي العام التالي انتقلت في نفس الجامعة التي
دراساتها الجامعة ، وكان يدرسنا اللغة العربية رجل
عظيم اخر هو السباعي بيومي ، وهو من اساتذة الادب
المتمكنين في كلية دار العلوم ، وكان - على طريقته القديمة
في التدريس - محاضرا يتكلم ساعات طولا دون ان يمل
ودون ان يلقى الكلال في نفوس سامعيه . وقد سرني نفسي
ما بعد ان رآيت صديقنا الراحل الدكتور محمد مندور



وديع فلسطين

مدينت مستطرد عن زكي مبارك

بقلم وديع فلسطين

ولو كان زكي مبارك حيا ، لاحتج علي اشد احتجاج لانني
جردت اسمه من القابه ، واختزلته من مقدماته وذبوله ،
فكيف اجروا على ان اسمه مجرد زكي مبارك ، وهو
الاسم الذي اشتهر به ، بينما اسمه الكامل تحف به القابه
الجسام هو : الدكتور محمد زكي عبد السلام مبارك ، ملك
الشعراء ، واكبر تلاميذ افلاطون و « ما اعرف رجلا اعظم
منني » !

ولو اختصرت حياته لقلت انه اكبر اديب مشاكس
عرفه العصر الحديث ، فلا اظن ان هناك اديبا عاش في
معارك متصلة ، ومشاكسات غير منقطعة ، ومباكسات
لا تنتهي كزكي مبارك . (والمباكسات اوردها « المعجم
الوسيط » في طبخته الاولى ثم حذفها في طبخته الثانية !)
كنت في العام الدراسي ١٩٣٨ - ١٩٣٩ فسي اخر
مراحل الدراسة الثانوية في القسم الحكومي من الجامعة
الامريكية بالقاهرة ، وكان استاذنا في اللغة العربية هو
السيد شحاته ، وهو رجل يختلف عن جميع اساتذة
اللغة العربية الذين عرفتهم من قبل ، فيه قدر كبير من
الروامة والاناقة ، وله ذوق ادبي يحجب اليك الضاد ، وله
حظ واسع من الثقافة يطرده السام من « حصة » اللغة
العربية ويحرضنا تحريضا على الانتظام فيها وارهف

الفجر ، ثم غادرها مبكراً الى مقعده الخالد . وكنت اقتصر على تحيته برفع اليد ، ثم اهول في طريقي غير عابئ بدعوتها الى الانضمام الى مجلسه من امثال احمد رشدي . ناهيك بان موضوعه الاثير الذي كان يخوض فيه هو الطعن في خصومه الالاء : النقراشي باشا ، والسنهوري باشا ، واسماعيل القباني ، وطه حسين ، واحمد امين ، وكان في طعنه جريئاً حتى على الحق . فقد كان يقول عن طه حسين « انه لا يقرأ ولا يكتب » مشيراً بذلك الى ان سكرتيه يقرأ له ويكتب ما يعمله عليه . بل كان يقول عن طه حسين « لو جاع اطفالي لشويت طه حسين واطعمتهم من لحمه ، ان جاز ان اقدم الى اطفالي لحوم الكلاب » . وهذا الكلام منشور في ديوانه « الحان الخلود » . ولم يسلم من لسانه احمد حسن الزيات الذي فتح صدر « الرسالة » امامه ، ولا سلم منه لطفى السيد فقال عنه « ان المقادير اصارته رئيساً للمجمع » !

وكنتم اعرف ظروف زكي مبارك وارثي له اشد الرأى ، ولكنني كنت اراه بمسلكه مع نفسه ومعاملته لشخص زكي مبارك ، انما يقتصر في حق ذاته انتحاراً بطيئاً . فهو لا يكاد يفيق ، وحياته تشرد متصل ، وحواريه ليسوا اهلاً لمجالسته . بل ان الفصول التي واصل كتابتها اسبوعياً في جريدة « البلاغ » بعنوان « الحديث ذو شجون » ، والفصول الاخرى التي كان ينشرها في مجلة « الصباح » ، كانت خليطاً عجيباً من كلام العقلاء وهلوسات المجانين . صفحة كاملة من « البلاغ » كان يعاها كل اسبوع باي كلام يخطر بالبال ، وهي ثروة ادبية مضاعفة بكل ما فيها من شذوذ العبارة ، وفتنات الالسنه ، وتداعى الذهن والظاهر . وعلى هذه النشالة اصدر ديوانه « الحان الخلود » ، فجاء بدعا في الدواوين بمقدماته التي لا تضيق في اي لون من السوان الادب ، واستطراداته وشطحاته ونزواته ، ناهيك بما فيها من مظاهر « البرانويا » اي المغلظة الذاتية ، وناهيك بما فيها من روايات عن فئاته الفاتكات !

فلما نعت الصحف زكي مبارك في اوائل عام ١٩٥٢ (في الثالث والعشرين من يناير) حزن على هذا الاديب الكبير الذي كان يرجى لامته ، ولكن حروب « الرزق » قتلتها في ليلة فقد فيها توازنه وهو يغادر مشربه ، واذا كان يحاذر مركبة قادمة هوى على ام راسه ، فاصيب بشبح في الجمجمة وارتجاج في المخ ، فعات بمخه الذي عذبته طويلاً وعذب كذلك جميع معاصريه .

واليوم يطالعنا حسين خريس بكتاب كبير ممتنع اشد الامتناع نفيس اشد النفاسة هو كتاب « جنابة احمد امين على الادب العربي » ، وفيه رصد للفصول التي نشرها زكي مبارك في مجلة « الرسالة » بهذا العنوان سنة ١٩٢٩ ، وقد اربت على عشرين فصلاً ، وفي الكتاب كذلك مقدمة طويلة للباحث الناقد خريس فيها انصاف لزكي مبارك

يشيد في فصل نشره في احدى الصحف - ولعلها « الجمهورية » - بفضل السباعي بيومي عليه ، ويخصيه ضمن اساتذته الكبار من امثال لطفى السيد باشا وطه حسين . ولا ادري لم لا تقوم الاخت الشاعرة ملك عبيد العزيز ، ارملة الدكتور مندور ، بجمع فصوله المنشورة في الصحف وهي آلاف ، ولا سيما لانها تسجل خواطر مندور ونظراته في الادب والحياة في نحو ربع قرن .

وفوجئنا نحن طلاب السباعي بيومي بمجلة « الرسالة » تنشر حملة شعواء على اساتذنا من قلم الدكتور زكي مبارك . فرجونا اساتذنا ان يرجي الدرس الى يوم آخر ، وان يقرأ علينا كلام مبارك وردده عليه . واستمرت هذه الحملة اسابيع ، ونحن نتابعها بشغف شديد لان اساتذنا طرف اصيل فيها نستوضحه جوانبها المختلفة فيفيض في الحديث بأسلوب فيه احترام شديد للقيم الادبية . ولان زكي مبارك قد رايناه راي العين في العام الثالث فصار معروفاً لدينا . وظلنا نتابع معارك زكي مبارك مع الشيخ محمد الغمراوي الذي وصفه بقوله انه « شخص معتوه مخبول » ! ومعاركه مع احمد امين وطه حسين ...

وتقضت ايام الدراسة ، وخرجت الى الحياة تستهويني منها منتديات الادب . ولا اظن ان هناك منتدى ادبياً عرفته القاهرة في فترة الاربعينات واولئ الخمسينات الا غشيتة واتصلت برواده . وما انقطعت عن غشيان تلك المنتديات الا بعد ان توبتني الدنيا بدروسها البليغات والنايها السامة . كانت تلك الندوات خالصة للادب ، وكسبان المترددون عليها من المؤمنين بالادب ، اسائلة وشداة . فلما زايها اهتمام الادب ، وانقض عنها اصلاء الادباء ، وانزوع في وسطها الساعون بالنميمة ، وتحولت مناقشتها التي يبرزنطيات فكلولوجية ديالكتيكية ، طلقت الندوات ، قائما بقصادي ، وكانوا وما زالوا من اشرف وجوه الضاد فسي حياتنا .

وفي هذه المنتديات عرفت الدكتور زكي مبارك ، فبهزني علمه ، اما شخصيته فقد نفرتني منها اشد تنفير . لقد كان في تلك الفترة يعاني اضطهاداً سلاحه الانظلع محاربه في رزق اولاده ، وحرمانه من مكانه الطبيعي وهو التدريس بالجامعة ، والتضييق عليه في وظيفة التفيتش المتواضعة برزقتها القليل واسفارها الكثيرة . فكان طبيعياً ان ينعكس هذا كله على حياته ، فلا يختار من مشارب القاهرة الا اضعها ، ولا يلبس الا الزري من الثياب ، ولا يهتم بتهديب شعره او خلق ذقنه . وكنت اراه في الامسيات جالسا بالساعات في تلك المشارب الرخيصة ولا هم له الا تأمل الناس والسائلة ، ومن حوله شبان من امثال « احمد رشدي » الذي خصه بديوانه الكامل وهو « الحان الخلود » متشبهاً به تشبهاً غريباً . وكنت اراه في الصباح المبكر جالسا في نفس الدار ، فلا ادري امضى الليل كله هنا ، ام انه عاد الى داره مع

من معاصريه ومن نفسه أيضا .

وكان احمد امين عميدا لكلية الاداب واستاذًا للادب العربي فيها مع انه خريج معهد القضاء الشرعي ! اما زكي مبارك فكان يحمل ثلاث درجات دكتوراة في الادب العربي ، ولما اتاحت له فرصة للتدريس في الجامعة بعقد قصير ، انتهت خدمته بلا سبب اكااديمي !

وكان احمد امين قد كتب في مجلة « الثقافة » التي اصدرها هو وجماعته بعد انتساقه عن « رسالة » الزيات سلسلة من الفصول عنوانها « جنابة الادب الجاهلي على الادب العربي » ، قال فيها ان الادب الجاهلي ادب معدة لا ادب روح ، وان الادب العربي كله لا يعرف كتابا الا ابن خلدون ولا شاعرا الا ابن الرومي ، وان ادب الجاهليين كان ادبا تركيبيا لا ادبا تحليليا ، وان الجاهليين لم يعرفوا الوصف ولا احسنوا تصوير بشائهم .

والنقطة زكي مبارك قفازه ، ونزل الى حلبة المصارعة بكل عدته وعتاده ، فما قد واثته الفرصة لظاهر « جهل » عميد كلية الآداب واستاذ الادب العربي فيها ! وما دام احمد امين قد اتهم الجاهليين بالجنابة على الادب العربي ، فليحمل وزر هذه الجنابة احمد امين نفسه .

ومضى زكي مبارك يشعل نار الحرب ، ويبيدها وقودا وضراما ، فلم يدع لاحمد امين جنبا يستريح عليه . وكان - على منهاجه المهود - لا يتورع عن ركوب مراكب العنتريات ، ومن ذلك قوله « لو ان معدني كانت كما احب من القوة والعافية ، لا كنت لحم الاستاذ احمد امين واراحت الدنيا من احكامه الجائرة في الادب والتاريخ . ولكن الدهر حكم بان اكون من اصحاب الارواح ، فلم يبق لي قصص محاسبته فير شيطنة الروح ، وفي الارواح شياطين ! » . كما قال في سياق فصوله « ليس المهم ان تهدم الاستاذ احمد امين - فذلك غاية صغيرة - ولكن المهم ان تكسف شره عن الادب العربي ، وان نجر من يتطلع الى مثل غرضه من عوام الباحثين ! »

وقد نشر الدكتور زكي مبارك هذه الفصول في اشهر الصيف من رمضان ، وترامى اليه ان احمد امين ترك القاهرة ليصطاف في الاسكندرية عند صخرة « المكس » ، فكتب يقول : « ان الذي عجز عن وصف الطبيعة هو الذي يصطاف بالاسكندرية كل سنة ولم يفتح الله عليه بغير القول انه جلس على صخرة المكس ليأكل السمك المياس ، وليفكر في مصير الشمس بعد الغروب ، وليقول انه تحاور مع هيان بن بيان ! »

ولم يكف زكي مبارك بالرد على كلام احمد امين ، بل اردف ذلك بالكشف عن « سرقاته » ، واغربا انه سرق آراء الدكتور زكي مبارك نفسه .

حتى اذا ختم سلسلة فصوله التي « ارقط جفون احمد امين خمسة اشهر كانت عنده كالف سنة مما تعدون » قال انه اذا قابل احمد امين « فسأبداه بالتحية حيث

نقته ، فلا يروني وجها اراه اهلا للكرامة والحب . وسلام عليه من الصديق الذي لا يغدر ولا يخون » .

وقد احسن صديقا خريس بلم شتات هذه المعركة الادبية التي كان يطلها الصنديد وقارسها الرثيال زكري مبارك ، فلم يكن وكده اذن ان يسوق كلام احمد امين برومته ، ولا ان يسجل جميع الفصول التي حفلت بها المجلات الادبية في ذلك الحين انتصارا لهذا او تعصبا لذلك او تعليقاً يراد منه اصلاح ذات البين بين المبارك والامين ، ولعل حسين خريس ، لو اثبت هذه النصوص جميعا ، لجعل من كتابه « وان تضخم واكتظ - مرجعا ثميناً في الادب » ، ومعرضا حيا للحياة الادبية في عصرنا الحالي الذي مات فيه النقد او كاد .

وقد شارك في معركة « الجنابة » كثيرون من ادباء العرب ، من لبنان وسورية والعراق وفلسطين والسودان ومصر ، وكلهم نسبت اقوالهم اليهم دون تشكك فسي شخصياتهم . على ان حسين خريس حين استشهد براي الانسة امينة شاكر فهمي المدرج في مجلة « الثقافة » عقب على ذلك بقوله « ان نتحقق من شخصية الكاتبة ان كانت تكتب باسمها الصريح ام ان وراء هذا الاسم شخصية اخرى » .

ولو ان الصديق العزيز خريس راجع اعداد « الرسالة » و « الثقافة » ومجلة « الطالبة » لوقع فيها على فصول متناثرة لهذه الادبية التي درست في كلية الآداب على احمد امين وعزام ، والتي كانت « تناوش » زكي مبارك برساها قبل عليها هنا وهناك ، والتي كانت شديدة الاعجاب بالزيات واسلوبه في الكتابة ، فلما انتهى الزيات وعصره واسلوبه ، وانصرف الكتاب عن الاساليب البنيانية الى الاساليب اليومية الدارجة ، او اساليب التعقيد الفكرولوجي ، راحت تجتر الآثار القديمة ، وتصرف عن مطالعة الكتب السوقية الاساليب .

ولزكي مبارك قصيدة مشهورة ، بل ملحمة من ملاحم الاسى الصارخة ، عنوانها « من جحيم الظلم فسي القاهرة الى سعي الوجد في بغداد » وقد نظمها في العراق عندما دعتة حكومتها للتدريس في معاهدها وكرمتها واحتفت به الدولة ومحافل الادب جميعا - على ما سجله عبيد الرزاق الهلالي تسجيلا فلذا في كتابه « زكي مبارك فسي العراق » بعد ان كان يردع فضاء الله في مصر مفتشا على المدارس بعقد موقوف .

ومما قاله في هذه القصيدة :

ارباه انقضي فانت رمتني بقلب على عهد الاحياء بكاه
فأرادت امينة شاكر فهمي ان تتحدى الدكتور ابراهيم ناجي بان يأتي بشعر من هذا الطراز العالي . فقرأت له صدر البيت ، ثم دثته الى اتمام عجزه ، فارتجل :
ارباه انقضي فانت رمتني بقلب على الاسواق والدم مشد
« امينة » هذا ما اتاني كتبه . وعندك اخباري وعندك الباتي

وحدث مرة أخرى ان كان الدكتور ابراهيم ناجي جالسا في « نادي سيدات القاهرة » ومن حوله كوكبة من اعضائه ، فمن « امينة شاكر فهمي » والسيدة فلة فهمي بدوي - ولها كتاب في جورج برنارد شو ، ولها فصول كثيرة في المجالات الادبية والاسمية « الطالبة » - فقلن لناجي : اصحيح انك ترتجل الشعر ؟ فاجاب : نعم . فسألته ان يرتجل ابياتا من وحي المناسبة ، فكانت هذه الابيات :

سرب من الحور الفوات كالزهور نسواش
الهمني واحلن بي فجرى بشعري الخاطر
الهمني وشككن بي ونسين اني شاعر
فاذا اعترفن فاني للفصل دوما ذاكر
وأنا « فلة » عارف والى « امينة » شاكر
فهذه الشخصية الادبية اذن ليست شخصية منتحلة ، بل هي واقع ادبي يعرفه اديباؤنا المعاصرون وعلى راسهم نقولا يوسف شيخ مشايخ حارات الادباء المعاصرين !

وان الجهد الذي بذله حسين خريس لانصاف زكي مبارك ، مضافة اليه جهود من سبقوه وهم فاضل خلف في الكويت واثور الجندي في مصر وعبد الرزاق الهلالي في العراق واخيرا محمد محمود رضوان في القاهرة ، هو فريضة واجبة الاداء في حق هذا الاديب الذي اذا تعالى وصف نفسه بأنه اعظم رجل في العالم ، واذا تواضع قال عن نفسه انه « خادم من خدام المروبة » . انه اديب جنت عليه عقبريته وكبرياؤه ومطامحه البعيدة فاضطره الى مقالة الناس جميعا في غير وقار . ومع ذلك يقول عن نفسه « لولا نشأتي على الوقار لكتبت من كبار المصارعين » . وهو نفسه قد اعترف بأنه « اشتبهت برؤونة القلم وشراسة اللسان » . فكان ، كما قال صالح جودت بحق ، فتى اضاعوه في مصر .

وكانت كريمة زكي مبارك ، ابنة هذا الاديب الكبير ، قد نشرت تأليف كتاب بعنوان « ابي زكي مبارك » ، ولا ندرى متى يصدر هذا الكتاب فيكون على غرار كتاب « ابي عزيز اباطة » لابنته عفاف اباطة زوجة صديقتنا لروت اباطة .

ومع ان كثيرا مما كتبه زكي مبارك ، ولا سيما في احادته ذات الشجون في جريدة « البلاغ » يصدق فيه وصف الراصفين بأنه « كالخرنوب » قطار من الخشب ودرهم من السكر » ، فان هذه الفصول المبعثرة ينبغي ان تجمع لمن يضاف اليها مقالاته في « الصباح » التي كان يصدرها صديقتنا الراحل مصطفى التقاشي ، ومقالاته في مجلة « الرابطة العربية » لامين سعيد ، والمجلة الاخيرة ، على انها لم تعمر اكثر من اربع سنين ، فقد حلت بدراست ادبية وتاريخية هامة للعالي وزكي مبارك وامين سعيد نفسه ، وما زال اخونا الاديب التونسي الراوية الحبيب شيبوب يبحث عنها عن مجموعتها ، ولن نعمد اربحيا من

اربحي الادب يدله عليها وبضعها رهن اشارته . وكتاب خريس وهو الذي اغرائني بهذا الحديث المستطرد ، كان من الفه الى باله دفاعا عن زكي مبارك وعرضا كاملا لارائه المسوقة في « جنابة احمد امين على الادب العربي » والقارى عرضة بان يخرج من هذا الكتاب بنتيجة مؤداها ان العلم كله عند زكي مبارك ، والجهل كله عند احمد امين ، ولا احسب ان هذا يصح في الموازين . وان كان الحديث المستطرد يدعو الى وقفة عند احمد امين .

وقد عرفت احمد امين في محاضرة مفتوحة كان يلقيها في جامعة القاهرة ارتجالا ، فكان محاضرا ممتازا سواء من حيث النبرة الرصينة التي تميز المحاضر من الخطيب ، او من حيث شد اذان السامعين ، او من حيث الامام بموضوعه الامام احاطة ، ثم الاقتناع بما هو قائله . ثم عرفته في الندوات الاسبوعية « اللجنة التأليف والترجمة والنشر » التي كانت تنعقد كل اسبوع ، وتضم حشدا من رجال الفكر مثل : الدكتور محمد عوض محمد ومحمد عبد الله عثان ومحمد مندور وعلي ادهم وعبد الواحد خلاف وعبد السلام الكرداني وعبد النعم خلاف ومبارك ابراهيم وشوقي صيف وسيد قطب والدكتور احمد زكي والدكتور زكي نجيب محمود . . . وكانت ندوة عليها طابع الوقار ، وهو السمة الغالبة على كل اعضائها ، وكسل مناقشاتها في الفكر العربي او في الفكر الغربي تجد من احمد امين مشاركة نيرة فيها . ثم عرفت احمد امين في الادارة الثقافية للجمعية العربية ، وكان اول مدير لها ، وقصد استطاع ، على علو سبته ، ان يرسي له دعائم في الثقافة سارت عليها من بعده ، وعندما اصدر كتابه الذي سجل فيه اذكر باله « وحياته » وسيرته ، وسماه « حياتي » نشرت عنه كلمة في احدى الصحف ، فتلقت من احمد امين رسالة شكر ما زالت ضنيئة من ضنائتي . اما احاديثه في الاذاعة فكانت احرص على الاصغاء اليها لارتياعي الى صوته والى الموضوعات التي كان يحسن انتقاها ليدبر حولها احاديثه .

على انني كنت اعجب حين افتتح مجلة « الاثنين » وهي مجلة اقرب الى مجلات العوام منها الى دوريات المتخصصين ، فارى احمد امين يكتب فيها فصولا لا تليق برجل في سنة ومزنته . كما انني كنت ادهش اذ ارى كتابا تصدر حامله اسم احمد امين كمؤلف او محقق ، الى جانب اسم واحد من شدة الادب . فكيف كانت المشاركة في التأليف بين هذا الاستاذ الكبير وبين من هم بمقام طلابه ؟ بل كنت ارى كتابا تصدر وعليها اسم احمد امين كترجم ، مع ان الترجمة لم تكن يوما من اختصاصه .

وابا كان الامر في ذلك ، فقد عرفنا في احداثين رعاية للناشئة اذكر منها واقعتين ، دون ان انهل الى مجموعتي من « الثقافة » للاهتمام الى موضوعيهما . فقد كتب سيد قطب مقالا في « الرسالة » قال فيه ما مؤداه انه بعدد

اغنية الفندبل

قديمي تحترقان
في دنيا عبوري
وتسيطر الاسوار في
أقصى شعوري ..
لم لا تحددني ...
وتدخل في دياجير اختناقي
لم لا تجفف من تعاشيبي
تعاسة مولد .. واسي قديما
لم لا ترافقني
الى غيبى الجاهل والفيوب
فأرى بعيني السموت والميلاد
أفهم كيف ينتقل الزمان بلا مكان
اسمع الهمس الذي يتناهي فاذا ينفسي
.. فوق اوراقي حنيئا واحتجاجا ..
لم لا ترافقني
فاحيا لحظة زرقاء من عمري العقيم

الناظر - المغرب القمري الحسين

ولولاه الحياة انصفت زكي مبارك ، ووضعت حيث
كان ينبغي ان يوضع ، لانصرف الى اعداد كتب جليلة اخرى
من طراز « النثر الفني » و« التصوف الاسلامي »
و « الشريف الرضي » .

انه اديب جنت عليه عبقرياته والقاب دكتورته الكثر !
ففي عشرين عاما من عمر الجامعة المصرية الحديثة لم تمنح
درجة الدكتوراة الا الى اثنين ، هما عبد الوهاب عزام
وزكي مبارك ، ومع ذلك ابت الجامعة ان تعترف بالمبارك
استاذنا فيها الا لفترة قصيرة .

والحمد لله ان الوان التقدير التي حرماها في حياته
- في ما خلا تقدير العراق - قد جاءته اليوم تسمى باقلام
المستفيين العدول . وصدف حسين خريس في قوله :

انها معنة جيل تلخت وجهه الناصع احقاد القلوب
معنة الحق الذي لم تاله من جهر القول والرائي الصيب
معنة العدل الذي لم تله من خصيم واليف وغريب
معنة القلب الذي قلل على قلمها بهمي بنابيع طيبوب
كنت في دنياك فردا واحدا تناسي الظلم لا تغشى الغيوب
فلتمش حينا فخورا مطلقا شمس فكر عن دناسا لا تغيب
تري هل تعلمنا من قصة زكي مبارك درسا يداوي
امة العرب من داء الجحود ؟

وديع فلسطين

القاهرة

سنوات طويلة من العناء في الحياة الادبية تأليفا وتصنيفا ،
لم يجد احدا من كبار الكتاب اشار اليه بحرف او اهتم
بكتاب من كتبه ، وكانت نعمة المقال نعمة تنضج بالمرارة
لان كبار الكتاب يملون من هم من جيل نال ، ولا يذكر ونهم
بكلمة خير . وكان الرد الابغ على شكوى سيد قطب
مثلا افتتاحيا حملته « الثقافة » من قلم احمد امين ، وجه
فيه الخطاب الى سيد قطب مواسيا ومباركا جهده وموكدا
له ان النجاح الحق تراه الناس ولا تعوزها عليه شهادات .
هذه واحدة . والواقعة الثانية هي ان صديقنا القديم
الدكتور شكري فيصل قدم الى الدكتور احمد امين نسخة
من كتابه الاول . فكان حرص احمد امين على قراءته
والكتابة عنه وابداء ملاحظاته وتوجيهاته عليه حرصا
استاذيا ابويا .

ومعارك زكي مبارك تنتهي دائما بانتصاره ، لانه
وحده القادر على المضي في هذه المعارك حتى يجد خصمه
الا فائدة من مواصلة الرد عليه ، فاذا افرغ الزكي ما في
جعبته - وجعبته لا تفرغ ابدا - كان الخصم قد لاذ
بسلامة الصمت ، وكان هو وحده الواقف في الميدان . وقد
قال عنه الزيات ، وهي شهادة رجل بصير بالنفوس ، « ان
زكي مبارك لو استطاع تعلق الظروف ولو خلق شيئا من
الحياة لاشق كثيرا مما جرته عليه بدادة الطبع وجفافة
الصراحة . ولكن هذه الاغراض النفسية ستفنى فيه وفي
الناس ، ويبقى ذلك المجهود العملي الضخم الذي قدمه
الى الادب العربي في شتى مناحيه شاهدا على صدق
خدمته للادب ورفيع مكانته في النهضة » .

ان زكي مبارك « ظاهرة ادبية » فريدة في حياتنا
الماصرة ، على ما وصفه فتحي رضوان في فصول له
نشرنا اخيرا ، كان مكانه الطبيعي بين قادة الفكر في عصره :
طه حسين والمقاد ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمي
والمازني وعبد الوهاب عزام واحمد امين وشفيق غريبال ،
ولكنه لم يكن يختار الا مجالس صعاليك الادب في مشارب
القاهرة ! سافر الى العراق فوقف محمود عزمي بقول
للعراقيين ان زكي مبارك مشاغب فاحذرهم ، ولكنه قضى
في العراق تسعة اشهر ناء فيها بعودات وصادقات واخوات
ظلت تلهمه الى آخر العمر ، ولم يخض هناك معركة واحدة .
و « الشنب » الوحيد الذي احبته في العراق ، هو مطالبته
الحديثة بانشاء جامعة عراقية تهي اسباب العرفان لابناء
العراق . والكتاب الذي اصدره عبد الرزاق الهلالي عن
« زكي مبارك في العراق » هو اشدودة به وزغل في هذا
الاديب الذي كان مشاكسا قبل العراق ، وعاد السي
مصاولاته بعد العراق .

ولو تأملنا الاسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة المباركية ،
لما وجدنا الا سببا واحدا هو « الجمود » ، وهو سبب ما
زال متفشيا في عالمنا العربي الى يومنا هذا ، يعاني
منه في صمت كثيرون من كبار الادباء الذين يرون الحياة
تمج بالهولوات وترتفع بهم الى سدة الحياة الفكرية ،
يسمعا النسيان يلغهم باسمك البرود ، بل الاكفان .

الغريب

الى اين تمضي ؟
وحيدا كصبارة القبر
وجهك بشر الجفاف وصمت الربابه
واحزانك المشيبات استطلن واصبحن غابه
الى اين تمضي ؟
وليل المدينة يمتد حولك
والطر المستهل يباكي شوارعها الخاليات ؟
وانت وهذي الوريقة فوق الرصيف
تزوبعها الريح ..
لا من صديق
ولا من ضياء سوى ذبذبات المصابيح
والشقق النافثات تسلل منهن عبر
النوافذ خيط من الضوء ...
ينبىء عن آخرين يعيشون جو العنان
وظهيم السودة ..
كوب من الشاي ؟ ... لفظة ود ؟ وجلسة
عائلة ما تريد ؟ وكيف ؟
وانت الغريب الجديد على هذه البلدة
المستحمة في مطر الليل ارملة
كفتها الدموع ..
ستمشي ويرسب في قلبك
الطر المتساقط في الطرقات ..
وحيدا كصبارة القبر
وجهك بشر الجفاف وصمت الربابه
واحزانك المشيبات استطلن ...
واصبحن غابه .

كمال نشات

بفداد

زوجتي الحبيبة ..

هل تسمحين لي بان اخرج من الالوف
فلا ابدأ رسالتي بمقدمة تكاد تحفظها
على ظهر قلب من سلامات وتحيات ،
هي حقاً من القلب .. ولكنها الى
اللسان والقلم اقرب .

اكتب لك من سيناء .. ولا اجدني
في حاجة الى اعتذار ، او ذكر اسباب
عن غيابي عنكم ما يقرب من الشهر
او يزيد . واعذريني مرة اخرى ،
فنحن هنا لا نعرف الزمان ، ولا نقيم
له وزناً ، ولا اظننا في حاجة اليه ..
وليس لنا من معرفته مارب . كل ما
يعنيننا منه تاريخان ، أحدهما عرفناه ،
اما الآخر فما زلنا نترقب ونتربص
به .

الاول المعروف هو السادس من
اكتوبر ١٩٧٣ والثاني المرتقب هو
اليوم الذي سيتوج اليوم الاول
ويغمره بالاكاليل والزهور . تاريخان
يكونان معا جملة مفيدة وعملا
مجيدا . الاول مبتدا مرفوع ، والثاني
خبر .. ولا بد ان يكون مرفوعا ..
ومهمتنا هنا كما تعلمين هي هذا
الخبر ، فلا نقبل له نصبا ولا جرا .
ومهما حاول الاعاء الخادعة والمؤاربة
والتضليل في محاولات لكي لا يكون
الخبر مرفوعا بالضمّة الظاهرة ، فلن
ينالوا من وراء ذلك ماربا . فسواء
كان الخبر جملة اسمية او فعلية
او شبه جملة فسيكون حتما في محل
رفع . هذه لغتنا .. وهذا ايماننا .
زوجتي الغالية ..

احمد الله سبحانه ان وهبني زوجة
متعلمة .. بل ومدرسة لغة عربية .
واهم من ذلك كله انها مؤمنة ولست
في حاجة الى ذكر المزيد مما احتفظ
لك به من حب وتقدير .

اما انت يا عزيزتي سحر .. فلا
ادري ماذا يجب ان اقله لك ، ان
قلبي ليجيش لك باكثر مما تستطيعين
فهمه وادراكه ، في ميلادك السابع
الذي تخلفت عن مشاركتكم فرحه
واستقباله لأول مرة منذ ان اشرفت
علينا شمسك البكر ، واقتحمت علينا

خلوتنا الجميلة ، فزادها جمالا .
واحالات عالنا الضيق الى عالم رحيب ،
وبدد خمولنا ... قاضى سعيها
وبدلا ، ولكن في لذة وشوق .

انتي لم اتخلف عن حفل ميلادك
رغبة مني ، ولكن لاداء واجب جليل
... هو ايضا من اجلك ومن اجل
امك ، ومن اجل كل من تعرفينهم
وتحبينهم . انتي لم اتنى يوم العائز
من اكتوبر ، لانه يوم ميلادك . ولكن
ما حيلتي وقد شغلتنى عنه احداث
واحداث .

لا تفضي يا بنيتي العزيزة ، حين
تعلمين انتي فضلت عليك عزيزا اخر ،
واثرت يومك يوما اخر . فستعلمين
حين يستوي عودك ، وينضج فهمك ،
ويتسع ادراكك انتي كنت على حق ،



بقيم السيد عبد العزيز الجندى

وانتي لوائق من انك تستشكريننى
وتفخرين بي اذا طال عمري . اما
اذا لم اعد ، وقدر لي ان اكون مع
الصديقين والشهداء فستذكريننى
دائما بخير ، وستغابرين بي كل
الزيميلات والصدقات لانك ستدركن
بانتي لم افعل ذلك الا من
اجلك وما ضحيت بسروحي
راضيا قانعا الا فداء لك ولكل من
تعرفينهم .



لقد حل علينا العاشر من اكتوبر ..
يوم ميلادك العظيم ونحن في خضم
المبارك ولججها . ورغم ذلك كله لم
يفارقني طيفك العزيز . كانت
صورتك في مخيلتي بمثابة سلاح
جديد في يدي .. وزميل وفي يشد
ازري .. ودافع قوي يدفعني للوصول
الى غاية اسمى من كل غاية .

كنت واقفا .. احمل قاذفنا
مضادا للدبابات ، اصلي به دبابات
العدو نارا ذات لهب . وكلما اصبت
واحدة ، اشتاقت نفسي الى غيرها .
واذا اصيبت احدى دباباتنا ، اسرعت
الى نجدة طاقمها في عزم واصرار .
فقد كانت عقيدتي حين ذاك انسي
ادافع عنك انت ، واودع عنك كل
ضر واذى . وقد مر بخاطري شيء
عجيب ضحكت كثيرا مع زملائي حين
ذكرته لهم ، وتندرنوا عليه كثيرا حين
هدات المارك .. لقد فكرت ان
احتفظ باحدى دبابات العدو والمدمرة
لاجرها لك .. لا ادري كيف .. ولكني
كنت راغبا في تقديمك لك هدية فني
عيد ميلادك السابع لاول لك : هذه
الدبابة كانت تريد ان تفتك بك ..
فدمرتها .. واحضرت لك حطامها
هدية لك .

في ذلك اليوم .. وبعد ان تبددت
فكرة تلك الهدية ، راودتني فكرة
اخرى اقنعت بها تماما وهي ان اقوم
وحدي بتدمير سبعة من دبابات
العدو وبيران قاذفي . واحصيت
ما دمته في ذلك اليوم فوجدته
خمس دبابات ، وكان لا بد لي ان
انها الى سبعة ، لتكون كل منها
بمشاية شعبة تطفئها مقدوفاتي كما
تطفئني شموع ميلادك . ولم اكد
انتهى من تخطيطي ، حتى لاحت لنا
من بعيد مجموعة هائلة من دبابات
العدو . وفي لمح البصر تحركت
دباباتنا .. واخذنا نمطرها بوابل
من قذائفنا يمينا وشمالا حتى اقتنا
بها بين برائن الصحراء تنزقت ..
وتدمرت .. وذهبت بددا . وفي
نهاية المعركة ، خلال فتره هدوء

قصيرة ، اردت ان احصي ما دمته
بقاذي من دبابات ، فلم استطع كل
ما عرفته انني دمرت اكثر .. بسل
اكثر بكثير من عدد سنوات عمرك .
عزيزتي الغالية سحر ...

لقد استمرت المعارك بعد ذلك في
ضراوة وعنف ، اشتركت فيها جميع
اسلحتنا من طائرات ودبابات ومدافع
وغير ذلك من اسلحة .. استطعنا
فيها ان نحز انتصارات عديدة ..
وبطولات نادرة بفضل ما تكنه لكم من
حب .. ويقدر ما تبدلونه انتم من
اجلنا ، ولا اجدي في حاجة السي
مزيد من وصف هذه المعارك ، فلا
شك ان صفحتنا ومجلاتنا وجميع
اجزة الاعلام عندنا تتحدث عنها
ولكنني ساعدتك في رسالتي هذه
عن ذكريات عزيزة .. سبق ان
تحدثنا عنها كثيرا .. امك وانا . انها
فلسطين الحبيبة ، التي سعدتنا
بزيارتها .. امك وانت وانا ، في
توفير عام ست وسين .. قبل
عدوان الخامس من يونيو بشهور
قليلة . انني احاول الان ان اسبق
الزمن ، وان اخترق هذه الحواجز
التي لم تحطمها اسلحتنا بعد ..
وكاني استجدي الزمن ان تحملي
رياح ساحرة الى حيث كنا نعلم
بخيرات فلسطين .

اننا نقف الان في ارض سيناء ،
على مسافة من قناتنا .. ما زلت
اعتبرها قصيرة . لقد عبرنا القناة
واجتزنا بذلك اكبر عقبة في حسابنا ،
وحطمتنا كذلك خط بارليف الذي
صوره لنا شبحا مخيفاً .. لا ينجو
من يحاول الاقتراب منه . حطمتناه
.. ونخطيناه .

وكل ما بقي في الطريق اليها ..
الى فلسطين اصبح هينا سهلاً .
ولكن لا حيلة لنا ولا خيار ، ولا مناص
من تنفيذ اوامر المسؤولين من قادتنا
بالتوقف ووقف القتال .
عزيزتي سحر ..
كلما تسلك الينا فترة راحة ..
مهما قلت وقصرت ، عادت الي

ذكرى ميلادك السابع .. وتسرب في
هذه الذكرى خاطر غريب ملحاح .
يهيب بي ان ارسل اليك هدية هذا
الميلاد ، ولا اكتفك انني ضحككت
احيانا من سذاجة هذا الخاطر .
فماذا ابعت لك ، وانا في سيناء ، لا
اجد حولي ما استطيع اهدائه لك .
عند ذلك .. يتقطب جبيني ، واجد
نفسي غير راض عن قرار وقف القتال
قلولاً ذلك لكنا الان في العريش .. او
ابعد من ذلك باذن الله . ولكننسي
اهنديت اخيراً الى هدية قد تكون
غريبة .. وقد تكون فريدة في نوعها ..
وقد لا تناسب عمرك وادراكك ...
ولكني مرسلا على اي حال . لاني
على يقين من ان معناها سينجلي امامك
على مر الايام والاعوام .

لماذا لا ارسل لك حفنة من التراب
.. من ارض سيناء الرحبة .. ولكن
كيف اضعها في مطروف رقيق من
الورق ، ستقافه مكاتب البريد من
بلد الى بلد . وتلقفه الابدي في اكثر
من مكان فضلاً عن انه سيكون مثيراً
لريبة . لذلك .. فقد اعرضت عن
تفصيلها خاصة بعد ان لاحت لبي
في الاق العبد فكرة جديدة تالت
مني قبولاً وتفضيلاً .
لماذا لا ارسل اليك شيئاً رمزياً من
بعض الاماكن والمدن التي من اجنها
نحارب ، واليهما نسعى . ؟ ولما كانت
هذه الاماكن كثيرة وفسيحة ،
فاسألك سبعة منها . وسأرمز
لكل منها بحبة من الرمل : الحبة الاولى
.. من الشاطئ الشرقي للقناة
.. القناة التي اغتصبتها منا عصابة
الضهانية منذ اكثر من ست سنوات ،
في اعقاب حرب خسرناها ، نتيجة
لاخطاء نحن بريثون منها براءة الذنب
من دم بن يعقوب .

اذكر انني وصفت لك يوما هذه
القناة ، وكيف قضينا ساعات طويلة
نلهو في حدائقها عند المنطقة رقم
سنة بالاسماعيلية ، ونسبح بين
امواجها الصافية الرقراق في قارب
صغير ، وانت على صدر امك فسي

ذارك التقليل . ان الصور العديدة
رابضة فسي الالبوم تزينها
وتثيرها صورتك الحبيبة حين لسم
يتجاوز عمرك شهوراً معدودة .
الذكرين يا حبيبتني حين كنت
تطلين مني وتلحين علي ونحس
نستعرض تلك الصور ان اصحبك
معني للزفة في هذه الاماكن من
جديدي .. وهل تذكرين اجابتي
عن رغبتك هذه .. ؟ كنت اقول لك :
قريباً يا عزيزتي .. قريباً ان شاء
الله .

لقد كنت ابتهل الى الله عز وجل
ان يعينني على تنفيذ رغبتك الغالية .
وقد استجاب الله دعائي بعد ان
استطعنا بموته ان نعبر قناتنا ،
ونظورها من الرجس ، لكي نعلم
بالزفة فيها آمنين مطمئنين هذه هي
القناة .. وهذا هو رمز اول حبة
من حيات الرمال .

اما الحبة الثانية .. فقد اخترتها
لك رمزا لاول مدينة صغيرة نمر بها
.. او يمر بها قطار الشرق في طريقه
الى فلسطين . انها مدينة القنطرة
شرق ، التي استطعنا في سهولة
وبسر تظهيرها وانتزاعها من الاعداء .
هذه المدينة التي يستريح عندها
القطار في رواجه وابابه ، يلتقط
انفاسه ليتيح الفرصة الى سكانها
من اهالي وموظفين لاستقبال الزائرين
مننا والعائدين ، وفي مقدمتهم رجال
الجمارك العرب لمراجعة ما نعمله
من هدايا .

ثم يستأنف بعدها رحلته الطويلة ،
ينساب بين الرمال في آفة عمقتراب من
البحر الابيض حيناً ، ويمتددا عنه
البحر ، ليتيح لنا رؤية تلك البقاع ..
بحرها وبرها . كلها ملك خالص لنا
دون غيرنا .

حتى اذا ما وصل القطار السي
منتصف المسافة بين القنطرة والعريش
يتوقف وقفة قصيرة ، عند قرينة
عربية اصيلة .. هي بشر العبد . تلك
القرينة التي تستقبلنا من بعيد برائحة
الشواء تزكم انوفنا .. وتحسرك

امعانا . وفي لهفة وشوق نجدد
الرووس قد اطلت من نوافذ القطار ،
لرؤية اولئك الصبية اللذين يحملون
السكك المشوي والخبز .. يتجولون
لعرض بضاعتهم على الزائرين ، حيث
لا يجدون مشقة ولا عناء .. فالكسل
يعرف ان معظم سكان هذه القارة
صيادون .. وبجوارهم البحر العظيم
بما فيه من ثروة مائية هائلة . كما
يعمل اولئك البائعون الوانا اخرى من
البضائع والمأكولات كالتمر .. يضعونه
في سلاسل صغيرة من زغف النخيل،
تزيد على حلالة مذاقها جمال منظرها
وروقه . ولا اكتمل سرا يا عزيزتي
ان ذكر خيرات هذه البلدة .. بشر
العبد قد اسال اعالي . لذلك .. فلا
يفوتني ان ارمز لها بحبة الرمل
الثالثة .

واذا ما تحرك القطار من بلدة
السكك والتمر .. وقد استوى
الركاب على مقاعدهم ، راضية
نفوسهم طاعتهم من النوافذ اشجار
النخيل غزيرة على جانبي القطار ،
ترفع قاماتها الى ثعان السماء نسي
اباء وشعم .. تدعو الزائرين التي
معاودة ابرار رؤوسهم من النوافذ
رغم ما يقابلهم من اتربة وذرات ،
حتى لا يفوتهم التمتع برؤية مزارع
النخيل الممتدة على امتداد الصحراء .
وعندما يبدأ الفبار شيئا فشيئا ،
وتشعر نحن المسافرين بنسيم رطب
ندي ، بلا غبار ولا رمال .. وعندما
نسمع انين عجلات القطار ، وتساوب
عرباته ، وطرفة مفاصله .. يكون
ذلك اعلانا من اقتراب مدينة العريش
حيث يبدأ المسافرون اليها في جمع
حقائبهم وحاجياتهم ، والتوجه الى
ابواب القطار .. حيث تستقبلهم
جموع حاشدة من المستقبليين على
المحطة .. التي تقرب منها ويكاد
يحضنها البحر الابيض الذي تنتشر
على شاطئه مزارع النخيل ، وتقام
المباني والخيام .. وتظهر عن كسب
شماسي المصابب بالوانها الزاهية
وسارمز لهذه المدينة العربية بحبة
الرمل الرابعة .. تلك المدينة التي
تنبض بالحياة في قوة وصخب صيفا

وشتاء ، مكتظة باهلها وساكنيها
وزائريها .. من مدنيين وعسكريين
من افراد القوات المسلحة الذين
يتطلعون الان اليها في شوق ونهم .
ويتحرك القطار في قوة ونشاط ،
بعد ان يترك افواجا ويصطحب افواجا
اخرى . وتزداد سرعته عن ذي قبل
على مدى ساعة من الزمن ، بلا شكوى
ولا انين في جو صحو جميل .. حيث
تقل مزارع النخيل وتستقبله انواع
اخرى من المزارع .. مزارع الصحراء
ذات الجمال الرباني .. ترويه السماء
بمائها وتتمتع برعايتها وقدرة خالقها
.. وكما يستعيد القطار نشاطه نسي
نحن الركاب مشقة السفر وجهد
رقابتنا ورؤوسنا المشدودة خارج
النوافذ .. في محاولات دائبة لرؤية
كل شيء من انسان وحيوان ونبات .
ولا يكاد احد منا ينظر الى ساعته
حتى تطالعنا مشارف الرقعين ..
رفع مصر .. ورفع فلسطين . هما
بلدة واحدة لا يفصلهما غير سور
وهي في محاولة لرسم حدود مصر
وفلسطين . قد تسالين الان .. وقد
يكون سؤالك غدا .. او بعد غد نسي
سبب وجود هذا القافل ، ولكنني
سأتارك الاجابة على سؤالك هذا لأمك
.. فربما تستطيع اشباع فضولك بما
لها من قدرة في هذا المجال .

لقد قضينا في رفع فلسطين التي
سارمز لها بالحبة الخامسة يوما
كاملا .. ساعات طويلة ، مسمرت
كانها دقائق معدودة .. ونحن ننقل
من متجر الى متجر ، ومن معرض
الى اخر ، نشاهد .. ونستعرض
.. ونساوم .. ونشتري . كنسا
ماخوذين بروعة تلك المعارض ، وما
تحمله من مختلف الهدايا والتحف
من ملبوسات ومفروشات واجوذة .
واذكر الان ان اول ما فكرنا في شرائه ،
واول ما اشتريته بالفعل هو البطانية
الصوف الصغيرة ، التي دترناك بها ،
وذلك (الزعبوط) الذي وضعناه
فوق راسك باطرافه الكثيرة المتدلية ،
وخطوطه المزركشة الزاهية .. وما
تبع ذلك من مضحكات وتعليقات ، وانث
مستكنة على صدر امك ، تنظرين

الينا وحوالينا في براءة وطهر .
تلك هي رفح يا عزيزتي ، التي
يستريح عندها القطار قليلا ، ثم
يوصل رحلته في قلب فلسطين
الحبيبة .. وفي ارضها الرحيبة ،
المليئة بالخير والحب والذكريات ..
مارا بكثير من القرى الصغيرة بمبانيها
وخيامها حتى يقف وقفة قصيرة
اخرى عند خان يونس التي لا تختلف
كثيرا عن رفع فقها التاجر والمعارض ،
وان كانت اقل عددا وروعة من
سابقته . رغم انها اوسع رقعة ،
واكثر ازحاما بالسكان الفلسطينيين
والمصريين من رفع .. ذي الشارع
الواحد الشهير ، الذي تنتشر فيه
المعارض على الجانبين .

لم تنتشر بزيارة خان يونس
حينئذ لضيق الوقت ، وارتباطنا
بالايام الثلاث المحددة لزيارتنا وان
كنت انا قد زرتها كثيرا من قبل ،
وقضيت في معسكراتها كثيرا من
الايام واليالي في نطاق عملي .
وحتى يحين اليوم الذي نزرورها فيه
مرة اخرى ، وقد استوى عودك ،
وتستطيعين مشاهدتها ويكون معنا
ابناء الصغرى خالد ، الذي
كنت تتفاخرين عليه عند ذكر تلك
الزيارة التي رافقتنا فيها ، ولم يكن
هو قد ولد بعد .. الى ان يحين ذلك
اليوم ، الذي اراه قريبا باذن الله
سارمز لهذه البلدة خان يونس بالحبة
السادسة .

ويتحرك القطار في اناة مرة اخرى
كانه في نهضة بين تلك الربوع والمروج
.. ويصل الى اسماعنا صغيره
المنقطع ، كأنه ينتاب من جراء عمل
شاق طوال يوم كامل اوشك على
الانتهاء . حتى اذا ما وصل الى
مدينة غزة .. نهاية المطاف ، توقفت
عن المسير ، وطلعت وقفته ، ليفرغ ما
به وما عليه من اثقال . لقد كان ذلك
اليوم من اجل ايام حياتنا .. يوم
ان وقفنا على رصيف محطة غزة ،
ننفض ما علق على ملابسنا من تراب .
وقادنا احد الصالحين الى اقرب
فندق من المحطة ، لا اذكر اسمه ..
ولكنه كان فندقا جميلا وما اكسر

الرجعي اليك

وقلبي بات مرتهنا لديك
ابحت لي السنا في ناظريك
ولا عتبي علي ولا عليك
تعلمت الوفاء على يديك

فوزي عطوي

أبعد عنك ، والرجعي اليك
وانت اذا تسدجى افنى عمري
حنائك ، لست عن دنياك آتاي
وحسبي من هواء الحلو اني

محطمين وبابل من قذائفك السائلة .
والحمد لله لقد كانت عندنا امدادات
كافية من الملابس التي استبدلنا بهـ
الملابس البلية . ولم يكن لدينا وقت
فسح لمعد اجتماعات اخرى ، حيث
كان القطار يتحرك من غزة ليبدأ رحلنا
المودة في فجر كل يوم . لذلك ...
فقد اخطينا حجرتنا على عجل :
حاملين حقائبنا لنلحق بالقطار . وفي
نيتنا عزم وتصميم وفي ثوبنا شوق
لمאוذة زيارة هذه المدن كثيرا ...
وكثيرا .

عزيزتي سحر ..
لقد وصفت لك هذه الاماكن العربية
دون تفصيل ولا اطناب . ولكني اعلمك
بزيارتها قريبا ، بعد ان يتم لنا النصر
بإذن الله . كما اخذك خالدا بان
يكون معنا لكي لا تضاخربه بذلك مرة
اخرى . وستكون اقامتنا بنفسر
الفندق ، الذي تركنا فيه اثرا منك ،
وسيكون خالد كبيرا .. ولن يفصل
ما فعلته انت . وستعتمد الى صاحب
الفندق عما تركناه من آثار . وانتي
لوانتي بان ذلك الرجل اذا كان موجودا
ولم يقتله المستعمرون ، او بطرده
من بلده .. او يجبروه على الرحيل
سيشكرنا ويرحب بنا اكثر من ذي
قبل لان الاثر الذي تركناه في حجرتنا ،
وعلى جميع الاسرة يحدث من كل
طفل صغير ومهما يكن من امره فان
ذلك بلا شك افضل بكثير من آثار
اقدام الصهاينة التي تدنس كل نظيف
وطاهر . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر
الله .

هذه هي حبة الرمل السابعة .
وهذه الحبات السبعي هديتي اليك
في ميلادك السابع ، وسيثبت لك
الزمن ، ويؤكد لك المستقبل ان
هديتي هذه هي اعلی واثمن من كل
الهيايا التي قدمت او ستقدم لك ..
لانها وثيقة عمل وجهد ، ونصر باذن
الله .

والى ان تلقى ادعو الله ان ينعم
عليها بالنصر والحرية .. انه سميع
مجيب الدعاء . والسلام .

القاهرة السيد عبد العزيز الجندي

بالفندق كان بها اربعة من الاسرة ،
استأجرناها كلها لكي لا يشاركنا في
الحجرة غيرنا . فكان لك سرير
خاص . وفي الصباح وجدنا الحنية
وما عليها من ملءات قد
تبلت في اكثر من مكان . وكان
موقفنا حينئذ غاية في التخرج . فلم
نغادر الفندق في ذلك اليوم الا في
ساعة متأخرة .. بعد ان قلنا
الحنية على وجهها الاخر ، وبعد ان
جفت الملاة وما تحتها وما عليها .
وفي الليلة الثانية تلتناك الى
سرير اخر ، واحطاك بعدد من
الوسائد لكي لا تتركنا لفائفك الى
مكان اخر . وفي الصباح اخطينا
نفسر اخماسا بابساي ، عندما
وجدنا لفائفك جافة ونظيفة اغلب
الظن انك كنت تبحثين عنا ، يميننا
وشمالا .. فوفا وتحتنا .. وامامنا
وخلفنا . وكنت تتركين اثرا لك في كل
مكان .. ودليلا يهدينا اليك .

وعقدت مع امك جلسة طارئة ..
ومعلقة . بحثنا خلالها الوقتف
واحتمالاته ، وقررنا في نهايتها
الاعتراف بما الحقناه بصاحب
الفندق من اذى . كما تقرر تعويضه
عن خسائره في صورة منح سخية
نقدمها لنديه الدائم المكلف بخمعتنا .
وفي الليلة الثالثة .. آخر ليلة
نقضها بالفندق ، قررنا ان تشاركينا
فراشنا ، حيث جمعنا سرير واحد ،
وانت في وسطنا محاصرة بين لفائفك
.. ومن خلف لفائفك اقمتا خطين
منيعين هما امك وانا وفي الصباح
وجدنا الحصار مفككا ، وخطي الدفاع

الفنادق الجميلة في تلك المدينة .
وارادت امك ان نغادر الفندق لتونا ،
لكي نستطيع الامام بمعامل غزة قبل
حلول المساء ، ولكني طمانتها الى
اننا في مدينة لا نفرق كثيرا بين ليل
ونهار ، كما في ليلها من انوار واضواء
... وزينة وخيلاء ، كاعظم احياء
القاهرة والاسكندرية .. ودمشق ..
وبيروت . خاصة في شارعها
الرئيسي الكبير .. شارع عمس
المختار ، الذي يمتد من المحطة الى
البحر ، والذي لا يخلو من الزاوين
من مختلف الجنسيات العربية ،
بالاضافة الى الجنسيات الاخرى من
غربيين وشرقيين من السياح
والبوليس الدولي .

تجولنا في شوارع تلك المدينة
ليلا ونهارا .. وزرنا معظم محلاتها
التجارية . واكلنا كثيرا من خيراتها
.. وانتم معنا ، لم تفارقنا لحظة
واحدة .. تنظرين حواليك في براءة
الملائكة ونحن نداعبك ، وننساوب
حملك .

اذكر اننا في اول ليلة قضيناها في
غزة ، بعد ان انهكنا المسير ، وفي
اعقاب سفر طويل واخذنا منا التعب
كل ماخذ ، عدنا الى فندقنا ومعناعم
ما نحمل من هدايا كثير من التفاح
الذي قل من يزور غزة ولا يتدوقه .
في تلك الليلة داعبناك بقطعة من
التفاح على فركك الجميل .. وكلدنا
نظير فراحا عندما اخرجت لسناك
الصغير تلعبين به التفاح بعيننا
وشمالا ، فكان اول طعام تتدوقينه
بعد ندي امك . كما اذكر ان حجرتنا

اغتراب

قدرا كان حلمناه اتفاقا
وارتقمناه لقاء واقترافا
وارتحلنا
كلنا سار على درب وحيدا وبعيدا
يحتفي في حلم صيف كان يوما
وباطراف غد يبدو على الأفق شراعا
يطأ الأبنام همسا

لم تكن فرقة قسر
لم تكن لحظة قهر
كانت اللوحة وحيا غبقريا
لمسات تجمع الآلئين
ابداعا وتبضا وروبا
يسمع الكون على القرب
وفي البعد لقاء وارتحالا

الجناح الفض يقوى
وجناح الشوق يقوى
هكذا قلنا وكان القول لحنا
هكذا قلنا وكان القول بردا
وسلاما حين قلنا
ورحاب الكون كانت في يدينا
نحتسوها
نحتوي كل صفاف الصخر
والنفسرة فيها
ونحط اليوم او نعلو غدا
ان نحن رمنا
نذرع الأفق على موجة صبح
او على متن نجوم
ان اردنا الأفق والكون مجالا

لم نشقى
لم يا اختاه نشقى
لم يا شق حيانتي
يا حدود القيد ادميت جناحين ولكن

كيف اشكو
ورحيت الأرض
زاد ليس يغنى عنه طير
ورحيت الأرض
تحميه شباك وشراك
يا اديم الأرض ...
يا اما رعتنا
اودعنا سرها المجهول
بالطين وبالروح كيانا وجناحا
يرتقي الأفق يوما
ويعود الطير للأرض ملاذا ومراحا
ليس للامر يعود الطائر الحائر لكن ..
شرعة الطين تناديه ..

فيرتد ويبقى اليوم يا اختاه
ضوءا وظلالا

الغدا الحلو نفساه سوبا
وسحاب قبه اطياف شعاع
ونساء الروح
ينساب على متن اغتراب
وغمامات التبعاع
قدرا كان حلمناه اتفاقا واقترافا
وارتقمناه حياة ومسارا
وارتحلنا

كلنا سار على درب وحيدا وبعيدا
وقريبا يلتقي الدربان
او لا يلتقي الدربان ..
فالكون صغير وكبير
واديم الأرض انشودة نور وتراب
ان رحلنا او حلنا
جسد يصهره القيد وصوت
وجناح ترتقيه الروح اعصارا وشوقا
وجمالا

في الجهة الشمالية الغربية من القدس على بعين المسافر من القدس الى يافا بالسيارة ، ولكن بعد ١٩٤٨ هب اليهود يضايقون هذا المعهد مضايقة خائفة ابتداء حمل اربابه على بيعه كله جملة وتفصيلا ، ولما رأى ارباب المعهد ان لا حياة لهم مع الافاعي فاضطروا الى البيع وانتقلوا الى « خربة قنغار » في البقاع اللبناني تاركين في فلسطين الاتهم ومصانعهم واتقالمهم وما استطاعوا تشييده في قنغار قليل بالنسبة الى شتلر القدس . وقد اتينا بهذا كله عن معهد شتلر لنقول ان مشروع دار اليتام الاسلامية الصناعية في القدس ، انما انشئ للعلم والتهديب والصناعات على غرار شتلر .

علينا ألا ننسى ، ان الحاج محمد امين الحسيني انما خلق لا للسياسة العربية الاسلامية ومناجزة الصهيونية فحسب ، بل كان من مواهبه حب العمران والبناء والانشاء والترقية والتقدم ، فكان استعداداه الان بعد ان صار مفتيا اكبر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، بات على موعده لينهض بعبه فلسطين خمس عشرة سنة ، نهوضا تتخلله الثورات الصغيرة والكبيرة وهو كلما نقل الحمل على منكبيه ، ازداد عزما ومضاء ، وقوة واتبعانا ، وعقيدة وابيانا . خلق الرجل ومعه رسالة . ما كاد « المجلس الاسلامي الاعلى » يباشر اعماله الواسعة ، بعد تسلمه ادارة المحاكم الشرعية والادارات الاسلامية من الحكومة ، سنة ١٩٢٢ وجعل دواوينه ومكاتبه احدى تلك المباني الضخمة القائمة حول الحرم الشريف ، من الجهة الغربية والشمالية ، وهذه المباني شبه القلاع والحصون وبنيت في ايام دولتي المماليك حتى اختلط مشروعا لإنشاء دار ايتام اسلامية في بيت القدس . وكانت الحرب العالمية الاولى قد نهكت اهل فلسطين كما فعلت في لبنان وسوريا . فكثر اليتام في انحاء فلسطين كثرة بارزة ، وكانت المسألة الاولى في التنفيذ وجود الدار المناسبة الكافية الوافية في مبانيها ، فاخترت السراي التي كان يشغلها « متصرف » القدس او الحاكم العثماني ، وهي رحبة واسعة واقعة داخل المدينة مؤلفة من عدة مباني وطبقات ، ولا تبعد عن دواوين المجلس . ولم يكن المشروع باصل فكرته الا اشاعا اليتام واليتيمات . وشرع المفتي يجمع هؤلاء الذين قال فيهم الله تعالى واوصى : « وبسالونك عن اليتام قل اصلاح لهم خير » ، « السم يجدد يتيما قارى » ، « فاما اليتيم فلا تقهر » وقال عليه الصلاة والسلام : « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وأشار باصبعه » . وكان الموكل اليهم بهذا العمل يطوفون البلاد ويستعينون بالمحكم الشرعية والاصدقاء ، لمعرفة مكان اليتيم ، وقد يكون من الصعب الوصول اليه ، لما هناك من احاييل . وكان كثير من اليتام في معهد شتلر الذي سبق الكلام عليه ، وفي معهد السالزيان في بيت لحم . وطبعا كان هناك في ارجاء فلسطين كثير من اليتام



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

بقلم عجاج نويهض

وعندنا ، اننا من الان فصاعدا ، نتكلم على ما قام به قييد فلسطين والمالين العربي والاسلامي الحاج محمد امين الحسيني رحمه الله ، من مشروعات كبيرة في فلسطين واهم ذلك كله مشروع عمارة المسجد الأقصى المبارك ، وقد ظل العمل به نحواً من سبع سنين آخرها ١٩٢٩ على ما سيأتي ايجاز وصفه . ولكننا نتناول الكلام على هذه المشروعات والمنجزات أولاً باول حسب تواريفها ، ونبتدىء بمشروع « دار اليتام الاسلامية الصناعية » في القدس ، وهنا اول القافلة .

كانت فلسطين منذ القرن الماضي تحتوي على اكبر دار ايتام عرفتها البلاد ، هي دار ايتام المانية تسمى باسم صاحبها « شتلر » انشئ لها ، واما الاسم الرسمي المسجل فهو « دار اليتام السورية » ، وانما اطلق عليها السورية ، اذ وقت انشائها كان اسم سوريا هو الاعم الاشمل . وكان المؤسس السيد شتلر رجلاً اتسائياً فاضلاً ، مربياً خبيراً ، وجعل هذه الدار تحتوي على جملة صناعات ، منها الطباعة العربية والافرنجية ، واليتام يقبلون من جميع البلاد من فلسطين ولبنان وسوريا ، واشتهر هذا المشروع في فلسطين ولاسيما في خلال مدة ما بين الحربين ، وموقعه

• راجع عدد مايو ١٩٥٧ صفحة ٢٢

المغربي « واصله من تونس ، ومن سكان القدس في « حي المغاربة » ، وهذا الحي فيه زاوية « أبي مدين الفوث » الشهير ، وسكان هذا الحي من اخواننا المغاربة ، ونعسم الرجال هم ، وهذا الحي هو في ظل الجدار الغربي للمسجد الأقصى المبارك ، حيث مكان « البراق الشريف » ، واليهود جعلوا هناك ما يسمى « بالمبكي » ، والبكى هو المداميك السفلية من هذا الجدار الباقية من الهيكل الثاني الذي بناه هيرودس (٤ قام - ٣٧ م) وقد دمر الصهانة هذا الحي كله وجعلوه ساحة ، دمر الله كيانهم عما قريب ان شاء الله .

ولم يرزق الحاج ادریس ولدا . ومن هو الحاج ادریس ؟ هو من عشاق الخير والاحسان ، الى عقيدة اسلامية وضاعة . فلما انتشت دار الاینام ، اقبل الحاج ادریس عليها بيدين سمحتين مليئتين بالخير والجود والاحسان ، وتبنى الدار لصنع البر ، وجعل كل يتيم ویتمة ابنا له وابنة . وفي الاعیاد والمواسم خاصة ، كان رحمه الله يغمر « ابنائه » بكل ما يسرهم طعاما وشرابا ومحبة والديه ، حتى ضرب به المثل . واتي انساء في جميع مواقع الخيرة المحسنة ، الى خلق رضى ، وامانة كائنات السلف في الصدر الاول . ولروءاء الجملة صار يسدي خدمات الى جميع الناس ولاسيما الى الاهالي الذين لهم ابنا او اقرباء في المهاجر ، فيأتونه كل يوم بالحوالات الواردة عليهم ، وهي بالشرط فينتدعهم ، دون ان يتكلفوا الذهاب الى البنك ، وهو يذهب بنفسه الى البنك ويبدع الحوالات جملة واحدة ، موقعة ، واي بنك في القدس يسره ان يتعامل مع الحاج ادریس . وكان المغني الحاج امين ثقة كبيرة به ويعهد اليه في قضاء امور مهمة وطنية . الحاج ادریس صيبح الوجه المشرب بالحمرة ، يعتمر الطربوش ، لياسه الغنجاز التنظيف والسترة الوداء الى فوق الركبتين . فاذا رايت في القدس كل صباح زرافات من الناس ، وخاصة من اهل القرى ، ماشين في تلك الطريق او ذاك السوق ، فاعلم انهم قاصدون الحاج ادریس رحمه الله وجزاء من يره واحسانه خيرا . اما وطنيته فقد كانت شعلة . وكانت منزلته عند الحاج امين عليه جدا ، وهو كان من الیوسرين . توفي ١٩٣٨ رحمه الله . والنقطة الثانية هي ما يتعلق بالذين تولوا ادارة الدار والذين قضا فيها سنوات وهم عاكفون على واجباتهم من مدير واساتذة ومعلمين . فقد كان مدير الدار الاول الاستاذ عارف البديري رحمه الله ، وهو بالاصل من سلك رجال التعليم والتهدیب . فبقی جملة السنين الاولى وجاء بعده الاستاذ الاداري الخبير جميل وهبه ، رحمه الله ، فبقی فيها اكثر من ثلث قرن ، حتى تمسك هذه الدار تمسكا والتحم بها التحاما غريبا . وفي عهده دخل ایشام الدار ، وهم سفار فتملوا الصنائع وخرجوا الى العالم وصاروا من آباء ومن رجال الاعمال والاقتصاد في فلسطين ،

الذين وجد لهم معين من اقربائهم يكفلونهم واسا الاینام الذين نعينهم هنا فهم المنقطفون من كل قريب او معين . وكانت « دار الاینام الاسلامیة الصناعیة » هذه ، من غايتها التي رمى اليها الحاج امين ان تجمع بين التعليم والتهدیب وبين اكتساب الصنائع . فاما الاینام فتمتى تخرجوا بشهادات كاملة ، تخرجوا وهم اهل ليعملوا في البلاد كل حسب مهنته وصناعته . واما الیتيمات فبعد اكمال تحصيلهم العلمي ، وعلى الغالب يتعلم فنسون الخياطة ، فيخرجون الى عالم الحياة فتيات راقيات يرزقن من الأزواج من هن لهم اهل وتنشأ الاسر الفاضلة على هذا القرار . فاست في دار الاینام الصنائع التالية :

- دار طباعة عربية كاملة
- ومن الصنائع النجارة والخياطة (غير الخياطة المتعلقة بالسيدات) وصناعة القش والكراسي الخيزران ، ومنهن اخرى عديدة .
- فن التطريز وغيره من الاشغال اليدوية .

وفي وقت قليل ملئت دار الاینام بكل هذه الاعمال فكتت اذا دخلتها وجدت نفسك في مصنع عصري (١) ، ومعهد علمي . فكان هذا المشروع اول مشروع رائته فلسطين من الحاج امين ومجلسه الاسلامي الاعلى ، ناميا مزدهرا يعطي صورة حديثة عن اتقان الواجبات الاجتماعية وكان المجلس الاسلامي يقوم بموازنة الدار ماليا منس الاوقاف ، وتنفق واردات الصنائع على التجديد والتنمية . وكانت تقام في ساحة دار الاینام الحفلات والاجتماعات ايام المواسم والاعیاد . وكان الحاج امين لا ينقطع عن زيارتها وتفقدتها وبل كل وسيلة لجعل عجلاتها دائمة السير بلا توقف . ومن كبار شفعاء العرب الذين وقفوا على منبرها وشفعوا الاذان بقصائد وطنية مرقصة شاعر الشام الاكبر الاستاذ خير الدين الزركلي ، امتع الله العرب بانفاسه الطيبة ، والشاعر القومي الاجتماعي معروف الرصافي ، طيب الله نراه وغيرهما كثيرون من شعراء البلاد العربية .

والى ان قام المجلس الاسلامي بعد عدة سنين ، بتوسعة مباني « كلية روضة المعارف الوطنية » بالقدس توسعة كبيرة اشتملت على قاعات عصرية وافية ، كانت الاجتماعات والمؤتمرات الوطنية تعقد في ساحة دار الاینام .

وهنا لا بد لنا من الإشارة الى نقطتين وفاء لحق تاريخ هذه الدار : الاولى ان كان في القدس « الحاج ادریس

(١) في سنة ١٩٢٢ دار الدار شاعر الشام الاستاذ خير الدين الزركلي قال في اجتماع وطني حافل في الدار قصيدة قومية منهاه ، كلها حكمة ونور فشرتها دار الاینام في بيانها المصور سنة ١٩٥٥ وفي سنة ١٩٢٧ دار الاستاذ الزركلي الدار ثالثة فكتب في سجل الزايرين : لم يشرح صديري عمل وطني مشر كما شرحه هذا « العمل » النافع - خير الدين الزركلي .

العملي ، عالم التجارة والصناعة والاقتصاد ، في فلسطين ،
لمدة ٢٣ سنة من ١٩٢٢ - ١٩٥٥ ، يزيد على ألف خريج
بشهادة المعهد في دبلته . فكان معدل ما يخرج كل سنة
أكثر من ٣٠ خريجا ، والسنوات الأولى غير محسوبة
لها تخرج لأنها دراسة عملية حتى الوصول إلى الشهادة .
وإذا حسبتنا أنه في خلال العشرين سنة المطردة من ١٩٥٥

- ١٩٧٥ تخرج خمس مئة شاب لا أكثر ، فالجموع التي
اليوم من سنة ١٩٢٢ ألف وخمسمائة يتيم وبتيمة كانوا في
دروب الشقاء في هذه الحياة فبعث الله إليهم رسالة الحاج
أمين الحسيني ، فانتقلوا إلى ما هم عليه الآن أسرا فاضلة
في بيوت تعمل في التجارة والاقتصاد ولاسيما الصناعة ، وكما
ينطبق هذا على الشباب الرجال الإباء ، كذلك ينطبق على
الفتيات النساء الأمهات . فما أعظم هذه البركات وأجزل
هذه الخيرات بفضل الباني المنشيء المؤمن الحاج أمين
الحسيني وهو من الكرمين في أعلى عليين .

ثانيا - ويؤتي أن اذكر أن الموازنة المالية للدار
هبطت بعد ١٩٤٨ و ١٩٦٧ إلى ما فوق الأربعة عشر ألف
دينار بقليل ، إذ معظم الأوقاف الإسلامية واقعة في الأرض
المحتلة . ولهذا السبب تنتظر دار الإيتام الإسلامية في
القدس ، من الملوك والرؤساء والأمراء ، ومن أهل الزيت
خاصة ، ومن أمثال محي الدين الحسيني والحاج أديس
المغربي ، أن يذكروا قوله تعالى « ألم يجدك يتيما فآوى » .

ثالثا - ومن محاسن دار الإيتام اعتصامها بالتراث
والمعربة والإسلام ، فتجد الخريجين والخريجات على
أرقى ما يمكن من الأخلاق الفاضلة والوطنية الحية
الصادقة . وهناك « الكشافة » تستن سننا كلها اعتزاز
بالتراث وليس في فرقة « الكشافة » في دار الإيتام الإسلامية
تشبه بالأجنبي ، شكلا أو روحا ، بل كل ما في هذا
الكشاف لباب ، ومحض خير .

والى جانب « الكشافة » ، فرقة الموسيقى الزاهية
الزاهرة المزدهرة ، علت في فنها علوا كبيرا ، ومن يسمع
عزفها ولا يخال أنه يسمع أرقى جوقات في أرقى بلاد .
ولو نطق الجحارة ، ويتكلم الجهاد في بيت المقدس ،
لسمعتنا من هذه الفرقة الموسيقية الحانا روحية تقابلها
أرواحنا بالهاتف : ما هذا المصحف الكريم التلاوي ، طبعته
وأخرجه دار الإيتام الإسلامية في أولى القبلتين وثالث
الحرمين طباعة أنقى ما يكون ، سنة ١٣٧٤ - ١٩٥٤ وهذا

(٢) مكتت في القدس ما يقرب من ٣٠ سنة فما رايت اثنين من
الناس يستحقان أن يكونا قدوة لامة في البر والإحسان مثل محي الدين
الحسيني والحاج أديس .

(٣) لما حمل احمد حلمي باشا مدير بنك الامة ، رحمه الله ،
بشرف من ١٩٢٨ فصادا على المؤسسات الوطنية في القدس وغيرها ،
انشأ في رام الله معهدا لإيتام الشهداء سماه « معهد إيتام الأمتة » وأوارد
الانجاز بهذه التسمية .

وعنصرا يعتد به من هذه الناحية . وكانت وفاة ابي هشام
جليل وهبه منذ عدة سنين ، وآخر عهدي به في القدس
ويتردد على عمان لقضاء مصالح الدار ومراجعات الدوائر
الرسمية . ولدي عدة « البومات » فيها مجموعات من
الصور والرسوم التذكارية على عمر الادوار ، تمثل
ذكريات هذا المعهد .

وعلى أن ابين ان هذه الدار لما صارت فلسطين تقدم
الإبطال للشهداء في الثورات والمقاومات ، جعلت تتبنى
إيتامهم وتكفل لهم الميشة الحسنة والتربية الصحيحة .
بل اعتادت الدار هذه السنة الحسنة من وقت الثورة
السورية (١٩٢٥) لتأدها العام سلطان باشا الأثرش
وصحبه ، فقد كان في الدار أكثر من يتيم أبوه شهيد
وهؤلاء من اليمن العزيزة . وسعيد اليماني من شهداء
الثورة السورية وكان له ولد فتينته دار الإيتام .

ومن الذين زاروا الدار وخطبوا فيها ، وطافوا في
اقسامها ، الى سنة ١٩٥٦ ، العلامة الخطيب المصلح
الدكتور احمد الشرباصي (القاهرة) في وفد المؤتمر
الإسلامي المنعقد في القدس ١٩٥٣ والشيوخ مصطفى الفلايبي
رئيس المجلس الإسلامي وتقيب الأشراف في بيسروت ،
والركن من أركان القضية العربية (١٩٤٣) والاستاذ محمد
عوضي والاستاذ عبد الوهاب عزام ، والسيد عبد الحكيم
عابدين ، والاستاذ احمد حسن الباقوري وزير الأوقاف
المصرية ، ومن اكابر مناصري الدار السيد عبد الحميد
شومان والسيد محمد علي بدير ، والسيد ابراهيم منكو ،
والشيخ محمد صدقة المنصوري ففضل الملكة العربية
السعودية في القدس والسيد راسم الخالدي والسيد
الحسن في بيت المقدس محي الدين الحسيني (٢) والحاج
عبد القادر عمر سلامة من تونس والحاج ابراهيم سالم
سلامة من تونس أيضا والسيد جودة شعشاعة والحاج
معزوز المصري (عمان ونابلس) والسيد مصطفى احمد
ابو زيد الشهير بمبراته الإنسانية والوطنية ، والسيد
أمين شاهين ، الى عشرات الشركات الوطنية والمؤسسات
وكل هذا أخذنا بعضه من (اليوم ١٩٥٦) ومما يسر ان
السيدة الفاضلة ام درويش حرم السيد مصطفى حسن في
عمان برزت بروزا واضحا في اصداء البر الى الدار ، ومن
هؤلاء السادة الافاضل السيد رضا القدومي ، أكثر الله
من أمثالهم .

وظهرت الحاجة بعد قليل الى مد يد العون التي
المكفوفين ، والإعصى أخو البصير ، فافتتحت الدار قسما
لهؤلاء الإخوان ، يتعلمون من الصناعات اليدوية ما يمكنهم
من اكتساب العيش بكرامة ، كصناعة القش والكراسي
الخيزران وما أشبه (٣) .

ولنا في نهاية الكلام على معهد دار الإيتام الإسلامية في
القدس الملاحظات التالية :

اولا : أن عدد الخريجين من هذه الدار الى العالم

اليوم اربعة ابواب كلها عبر السور وهذه الابواب هي باب الخليل (اي الباب الذي في اتجاه الخليل ، وباب العمود وباب ستنا مريم والباب الجديد .

وقد وضعت كتب عديدة في القدس واولى القبلتين وثالث الحرمين ، (المسجد الاقصى والصخرة) تـؤلف مكتبة براسها على اختلاف العصور حتى اليوم وليس هذا في العربية وحدها بل ايضا باللغات الاجنبية العديدة . وبعد ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وضع كتاب من العرب رسائل جمـة ، وكتبا لا تعد . في القدس والحرم ، وكل هذا ينطوي على ابحاث قيمة .

الخليفة الاموي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان الاول ، وهو الخامس من خلفاء بني امية ، ومدته عشرون (٤) سنة على الحساب الغربي (٦٧٥ - ٧٠٧) هو الذي قام ببناء قبة الصخرة المشعة ، وبعد فراغه من هذا يقال انه ابتدا بانشاء المسجد الاقصى فتوفاه الله فاكمل الانشاء والبناء ابنه الوليد بن عبد الملك . وشرع في البناء سنة ٦٦ هـ وانتهى سنة ٧٢ هـ على اصح الاقوال . ولكي يامن عبد الملك كفاية المال ، فقد ارصد خراج مصر لسبع سنوات ، ومصر وقتها الضرع الدار في المملكة الاسلامية . واختار عبد الملك اثنين من اكمل الرجال مروءة ، وبعد همة ، وطهارة ثمة : رجاء بن حيوة الكندي ، وجساء في الطبري ان اصله من بيسان ، وهو من العلماء المصورين (حجة - بفتح الحاء وسكون الياء) ويزيد بن سلام وهو من ابناء بيت المقدس ، والاثنان فلقنا حبة واحدة في كرم الخلال . وقال المؤرخون الثقات انه بعد اتمام العمل في قبة الصخرة ، فضل مبلغ مئة الف دينار ، فجعلها عبد الملك جائزة لهما ، انتصور بماذا اجابا الخليفة على هذا ؟ قال لا : نحن يا امير المؤمنين اولى ان نزيد هذا البناء من حلي نساننا فضلا من امواننا ، فاصرهما في احب الاشياء اليك . فامر بان تسبك هذه الدنانير وتفرغ على القبة والابواب ، واعدا غطاء من لبود توضع فوقها حتى اذا جاء الشتاء كان هذا وقاء من الرياح والعواصف والامطار . والوليد بن عبد الملك هو باني الجامع الاموي في دمشق وغيره .

قبة الصخرة المشرفة آية في الفن حتى هذه الساعة والى يوم الدين وقيام الساعة . وهي كما سبق في هذه الكلمة ، مشعة الشكل ، والبدايع المترفة بالسيغساء والكتابات الكوفية من عهد عبد الملك بن مروان فصاعدا تأخذ العقل . لا يدخلها احد ، مسلما ام غير مسلم الا ويقف حائرا دهشا وعينه تجلي البواهر كأنها بواقيت وجواهر .

وبالطبع تعرض الحرم القدسي الشريف لكثير من الزلازل في مدة اكثر من ١٢ قرنا ، فكانت الدول الاسلامية خلفاء وملوكا وسلاطين ، تبادر الى اصلاح الخلل ، من عباسيين وفاطميين ، وصلاح الدين الايوبي الذي بعد

لاول مرة في عصر الطباعة الحديثة ، فلتنهأ بيت المقدس بمصحفها ودار ايتامها ، وذكرى منشئ هذا السدار ، المجاهد المطارد ، الصامد ، ابو صلاح الدين الحاج امين النابوي في مقبرة الشهداء في بيروت ، وكأنه في فلسطين ، وهو اعلى الله مقامه في اعلى عليين ، من الخالدين .

عمارة المسجد الاقصى المبارك : الحرم القدسي الشريف هو الزاوية الجنوبية من بيت المقدس ، ومساحته مائتان وستون دونما وكسور ، وبيت المقدس من حيث تكوين ارضها بين علو وانخفاض فتلو ارضها في قسمها الغربي وانحدارها يأخذ الى الشرق ، والحرم هو فسي القسم الذي ينتهي عنده هذا الانحدار ونعني بالقدس المدينة التي داخل السور وهذا السور رعمه وجدده بنو عثمان في القرن السادس عشر على عهد سليمان القانوني . والجهة الجنوبية والشرقية من السور تحتها وادي قرية سلوان ، فالسور هنا في هذه الجهة كان مسور الحرم . وهذه المساحة يطلق عليها اسم الحرم الشريف ، وهي تقريبا خمس المدينة التي داخل السور وعلى هذا تكون مساحة مدينة القدس كلها داخل السور ١٣٠٠ دونم . ومساحة هذا الحرم ، اي ٢٦٠ دونما ، تعتبر حرما كلها ، وفي هذه المساحة يقع المسجد الاقصى بطوله وعرضه منتهايا بان يكون جداره الجنوبي امتدادا للسور في العلو . ولا اعتقد ان بشريا على وجه الارض لم يسمع بعد بآيات الله تعالى : « سبحانه الذي اسرى بعبيده ليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي لا تكنا حوله لثربه من آياتنا انه هو السميع البصير » ، ومسجد الصخرة المشرفة ، وهي قبة عظيمة مشعنة الشكل لا مربعة ، تقع في ساحة الحرم ، لا تنتهي بالسور كما هي الحال في المسجد الاقصى . واذا كان الواحد منا في الحرم ويريد الذهاب الى جهة باب الخليل العليا ، وهناك اعلى علو في تكون القدس ، فيقول اني صاعد الى باب الخليل ، مخترقا الطريق الداخلية في الاسواق . واذا كان الواحد منا في باب الخليل ويريد الهبوط الى الحرم الشريف مخترقا نفس الطريق فيقول اني نازل الى الحرم .

والى مدة قرن قبل تاريخنا هذا اليوم كانت القدس عند غروب الشمس تقفل ابوابها الكبرى وهي ثلاثة او اربعة والى الصباح فلا يدخل احد ولا يخرج فاذا جاء اي كان ووصل الى احد الابواب الملققة فعليه ان ينام موضعه عند الباب القفل او عند السور .

وبعد ابتداء الربع الاخير من القرن الماضي ، اخذت القدس تنمو خارج السور الى جهة الشمال والغرب وبعض الجنوب ، بحيث امتست مساحة القدس القديمة داخل السور والجديدة خارج السور مساحة كبيرة تشغل عشرات الكيلومترات المربعة .

وهذا العمران الذي بدأ منذ قرن خارج السور بعضه للرب ، وبعضه لليهود وبعض ثالث للاجانب . وللقدس

بـ وباشر كمال بك اعماله . وشرع الحاج امين يرسل الوفود الى ارجاء العالم الاسلامي : الى الحجاز ، والعراق ، ومصر ، والهند ، والبحرين ، والكويت ، والحمصرة ، وسوريا والمهجر (٥) . فجمعت هذه الوفود الى سنة ١٩٢٤ ثمانية وسبعين الف دينار . يضاف الى هذا ما تمنى المجلس الاسلامي الاعلى من رصده من واردات اوقاف فلسطين وهو ستة عشر الف دينار ، وجعل هذا كله في حدود الخمسة والتسعين الف دينار . اما ما بعد سنة ١٩٢٤ فليس لدينا ارقام ما دخل على المشروع من تبرعات وقت جئنا نكتب هذا في لبنان ١٩٧٥ ولكن مهما يكن من امر من جهة تبرعات ما بعد ١٩٢٤ فانها قليلة .

ومن الجدير بالذكر ، ان الملك حسين بن علي رحمه الله وهو وقتئذ ملك الحجاز تبرع من ماله الخاص بخمسة وعشرين الف دينار نقلها رسول من قبله الى القدس ، وفي القدس ابدلت بالعملة الرسمية في فلسطين . وذهب وفدان الى الحجاز الاول سنة ١٩٢٣ فكان تبرع الملك حسين ، والوفد الثاني سنة ١٩٢٤ السنة التالية فجمع الوفد من تبرعات اخواننا اهل الحجاز اكثر من ١٣ الف دينار فيكون مجموع ما تبرع به الملك حسين وشعبه نحو ٣٩ الفا وما قدم المجلس الاسلامي الاعلى من اوقاف فلسطين وهو ١٦ الفا وبعض الكسور ، اكثر من ٥٤ الفا والباقى من البلدان المختلفة . جرى الله الجميع خيرا .

اما استمرار عمل الهيئة الهندسية فقد امتد الى ما يقرب من سنة ١٩٢٩ وفي هذه السنة ، وبعد اكتمال المشروع ، اقام رئيس المجلس الاسلامي الاعلى الحاج امين مهران عظيما احتفاء بنجاح المشروع ، وشاركت في هذا المهرجان وفود مدموعة من مصر والعراق وسوريا والاردن وغير افطار ، فكان المهرجان لانقا كل اللياقفة بالقداسة التي ينعم بها المسجد الاقصى والحرم القدسي الشريف ، واستمر المهرجان اسبوعا .

وكانت خلاصة المشروع تطبيقا وتنفيذا ، مما هو مجلى عبقرية المهندس « كمال بك » ان الركائز والاعمدة التي تقوم عليها القبة سحبت حجرا حجرا وابدلت بسواها من جديد دون ان تتأثر القبة نفسها بشيء . وقد تم هذا وكان المندوب السامي هيرت صمويل الصهيوني المتلبس جلد ثعلب تارة وجلد ذئب طورا ، ومدته من ١٩٢٠ - ١٩٢٥ كما ذكرنا هذا في الكلمتين السابقتين . قد جرى بين الحاج امين وهذا المندوب السامي الصهيوني امور ، وهنا الان لا بأس من ذكر واحدة تدل على خبثه

- (٤) هذه اطول مدة لظلية اموي من ١٢ خليفة .
(٥) مجموع هذه الوفود ستة في خلال ٣ سنوات وكان الحاج امين على راس وفدتين : وفد مصر وفد العراق والغليخ العربي .
(٦) من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٤٨ قام بوظيفة ترجمان الحكومة اثنان : الاستاذ وديع شفتري ، والاستاذ ابراهيم كعيبي من رام الله . وكان كاتب هذه السطور مترجم سعادة المفتي من سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ .

الفتح الصلاحي واخراج الصليبيين ، رد كل شيء الى حاله السابق وزاده ابداعا ، ولما جاءوا الى تجديد المنبر في المسجد الاقصى قبل لصالح الدين ، نور الله وجهه ، ان نور الدين محمود بن زكي ، المجاهد الطليعي الاكبر ، قد صنع في حلب منبرا عجيبا من خشب الابنوس المطعم ليكون في بيت المقدس ، فأتى به صلاح الدين ونصبه في المسجد الاقصى وقامت دولتا الممالك بدورها باصلاحات كثيرة في الحرم القدسي ، وخاصة اكثرنا من انشاء المباني حول الحرم من الجهتين الغربية والشعالية ، واما سلاطين آل عثمان فما اتوه من ترميم فشيء محدود ، حتى جاء الزمن الحديث والحرب العالمية الاولى ثم ما سبق لنا بيانه من انشاء المجلس الاسلامي الاعلى برئاسة سماحة الحاج محمد امين الحسيني سنة ١٩٢٢ وبعد تقديم هذه الاوصاف العامة الى القاريء الكريم من الحرم الشريف ندخل في مشروع عمارة الاقصى .

ان الاسباب التي افضت بالمسجد الاقصى المبارك الى طرح قضيته من جهة حاجته الماسة ، الى تدارك ما عراه من وهن ، هي طبيعية من فعل الزمن ولا حاجة بنا هنا الى التفصيل . ولكن هذا لا يفتينا عن القول المجمل الذي يفيدنا لباب المسألة : ان قبة المسجد الكبرى اصحبت مرتكزة على اعمدة وركائز تطرق اليها في المواطن الخشبية التاكل والتخثر ، فان ذلك في المجموعة الكلية وفي سلامة الاقواس التي تحمل القبة ، وبلغ الانحراف في جملته مواضع ، عن مواقع الصحة ، لا اقل من ١٢ سنتيمترا وهذا يعتبر خطرا وله نذره ، ونحن هنا ليس بوسعنا ان نتكلم تكلم المهندسين ارباب التفاصيل الداخلة في الفن الهندسي المعماري ، وحسبنا هذا لجمل ذهن القاريء يتصور الشيء على جملته .

ولعل المشروع نوجزه بفقرات كل فقرة ذات خصوص :

ـ وثب الحاج امين الى اصلاح ما تقدم في المسجد الاقصى ، وهذا لا يتم الا على يد مشروع ضخم يقوم على شقين : الاول هو المال ، والاوقاف التي يهيم على ادارتها المجلس اعتبارا من هذه السنة ١٩٢٢ لا تستطيع ان ترصد لمشروع عمارة الاقصى غير شيء قليل ، اذ وجوه اتفاق وادرات الاوقاف مقيدة بشروط الواقفين . والثق الثاني اعداد الهيئة الهندسية العالية المستوى لتحقيق المشروع بالتنفيذ . اما الشق الاول فقد ارساه الحاج امين على ان يستندي اكف العالم الاسلامي لهذا المشروع العزيز على كل مسلم على وجه الارض . واما الهيئة الهندسية فقد اختار لها باقعة الهندسة الاسلامية في العالم وهو المهندس « كمال بك » من اخواننا الاتراك ومعه اعوانه وكان في فلسطين رهنك كبير من المهندسين الاتكليزي ذوي الاختصاص ، راعهم ما راوه من عبقرية المهندس كمال بك .

خامسات عربية

لا تلمه اذا تعالى على الناس
وازدى - في جهله - بالعقول
حرمته الحياة فكرا سنيا
فتباهي بساعد مفتسول
ليس تجديك مقلة تخرق الليل
اذا كنت ذا فؤاد كليـل
يطرب الذئب للمساء وتحلو
ترهات الثقيل عند الثقيل
ان بعض الوري دواوين شعر
ليس فيها سوى غلاف جميل

يا رفاق الطريق لا مدح ارجو
كل ما ارجيه ان تصفوني
ان اكن صالحا فلا ترجموني
او اكن طالعا فلا ترجموني
ما تكسبت بالتريـض فاني
اكره الشعر آلة للمجون
كل بيت سلته من ضميري
كل حرف كتبه بجفوني
ان شعري مرآة نفسي فان لم
تدركوا غوره فلن تعرفوني

زكي فنصل

بوانس ايرس

شاء الله . واما عمارة الحرم في المسجد الأقصى فقد كان من نتائجها ما اعتقد ان بوسعي ايجازه هكذا :

- نشرت شخصية الحاج امين في خارج فلسطين ،
نشرنا واسعا ، وهذا العمل مع مشروع دار الایتم الاسلامیة
وضعا في موضع الباني المصلح في فلسطين ، الى جانب
هيمنته الفعلية على الحركة الوطنية .

- انشاء العلاقات بين فلسطين والهند لخدمة القضية
الفلسطينية ، بواسطة زعماء مسلمي الهند وعلى رأسهم
اخوان علي (شوكت علي ومحمد علي وشعيب قرشي) .
وبهذا المشروع في عمارة الأقصى ازداد اهل فلسطين
مسلمين ومسيحيين اعتزوا بامكانهم المقدسة التي يطمح
فيها اليهود . وفي اواخر الحرب الثانية اجريت في الحرم
الشريف وفي المسجد الأقصى اصلاحات محدودة ، وكان
الحاج امين في أوروبا . تقف الآن عند هذا وموعدها في
الكلمة التالية ان شاء الله .

عجاج نوبهض

راس التـن - لبنان

ومكره في باطنه ، واجراء العمل على لسانه في ظاهره ،
تذكر هذا في هذا الموطن ، ونحن في الحديث عن عمارة
المسجد الأقصى قبل انتهاء هذا الفصل :

قبل ان يرحل المندوب السامي مع فلسطين ١٩٢٥
لانتهاه مدته ، رجا من سماعة رئيس المجلس ان يزور
الحرم الشريف ليشاهد منجزات العمارة التي سارت
باخبارها الركبان . فلبى الحاج امين هذا الرجا . وكانت
العادة في القابلات الرسمية بين المفتي والحكومة ، انه اذا
كانت الحكومة هي طالبة الاجتماع ، فالترجم بين المفتي
والحكومة مترجم الحكومة الرسمي ، واذا كان سماحته
طالبا الاجتماع فالترجم يرافق المفتي الى الاجتماع
للترجمة . فلما عين الموعد لحيي المندوب السامي ليسرور
الحرم ، استقبله رئيس المجلس عند درج المجلس ، ودرج
المجلس ازاده بوابة كبرى منها للدخول الى ساحة الحرم .
فبقي حرس المندوب السامي عند الدرج ، ودخل مع
المفتي الى ساحة الحرم يصحبه مرافق واحد ، والمترجم
الاستاذ وديع شغرتي (٦) من بيروت ، ولما توجهوا نحو
المسجد الأقصى كان الوقت قبيل الظهر ، والشمس تدخل
المسجد من مشرات النوافذ والشبابيك فتعلاه روعة ،
والقبة تلتمع وهي على الارض ، التماع الزهرة التي في
السماء . وكنت امشي معهم بطريقة استطيع بها الترجمة
وبقي الاستاذ شغرتي بعيدا ، وانما اتى مع المندوب السامي
من قبيل الاحتياط .

فلما وقفا تحت القبة ، وجعل صموئيل يقب بظفره
مختلف المشاهد الجديدة ، وهي مدهشة حقاً ، لا يد ان
يكون قد جال في تفكيره في تلك الثواني والدقائق ، ان هنا
كان هيكل سليمان وقصره . وسبق لصموئيل مثل هذا
الشعور مع الحاج امين في مقام « النبي شويل » الذي هو
على جبل عال شمال القدس ببضع كيلومترات ، ممسا
سندكره في مناسبة اخرى ان شاء الله .

واخذ صموئيل يورد على المفتي تحت القبة اسئلة
مختلفة تتعلق بمشروع العمارة ، وهو يسأل هذا ويجزل
الثناء على المفتي حتى سال بالتالي : ومن يا صاحب
السماحة ، آخر خليفة من خلفاء المسلمين قام بعمارة في
الحرم ؟ وكان المفتي رحمه الله عليما بكل شيء يتعلق بالحرم
وغيره ، فاجابه ان آخر ملك قام بهذا سلطان المالك
وهو قانصوه الغوري ، في آخر القرن الخامس عشر .
فقال صموئيل وليس بينه وبين المفتي احد سواي اقف نوعا
ما جانيا : « اني يا صاحب السماحة ، اكبر كل الاكابر
قيامكم بهذا المشروع الخظير الدقيق ، فضاهيت بهمتكم هذه
همم الخلفاء والملوك المسلمين » . وطعما شكره المفتي على
هذه العبارة . وهو يعلم الخبيثة وراءها كل العلم ، واجابه
ان الفضل في هذا فضل المتبرعين بالمال وفضل الفن
الهندسي الذي يمثلته المهندس كمال بك .

اود ان اعلم القارئ الكريم ان لصموئيل هذا مواقف
مع المفتي حرية بان تذكر ، ولا يصح ان اذكرها متفرقة ،
ففي المناسبة التالية بعد هذه الكلمة ، احاول ابرادها ان

ام كلثوم في بغداد

بقلم الدكتور محسن جمال الدين



صغيراً يومذاك ، وكان لي ولع بزيارة بيت المرحوم خالي لمجاورته لدارنا ، وهو رحمة الله عليه - كان من أوائل من أدخل الحاكي إلى داره . لما يتمتع به من مال ، وتجارة ، ورفاهية . وقد حرمتنا نحن الصغار في دار والدنا من سماع ما يشبه الحاكي من الاغاني . لان طابع بيتنا يختلف عن غيره ، لما فيه من سمات الدين ، ومظاهر التشقق ، وعدم الثراء . مع حب والدي - طيب الله نراه - للصوت الجميل ، وتقديره للفن واصحابه .

وكنت اسمع الاسطوانات الصغيرة ، التي يرسلها ذلك الجهاز ، وهو يردد اغاني عبد الوهاب والقيصري وام كلثوم ، ومن بينها اسطوانتها القديمة : « ان خالي في هواها عجب » « افديه ان حفظ الهوى او ضيعه » « وحقك انت المني والطرب » . ولما كبرت بي الدنيا ، وكبرت بها ، وافاقت روحي على اجواء جديدة من الحياة . واتا بين مهاجر ومقيم . لم انفصل عن اغاني ام كلثوم ، ولم اهرج سماع غنائها الجميل . وبالأخص بعد ان جاءت افواج الاغاني الخفيفة ، وظفت بتيار امواجها . وظهرت طبقات مختلفة من محترفي الفن ، ومن مصطنعيه . وظللت اترقب الى ذوقي الفني ، هل اسابه الفتور بحب غناء مطربة الشرق العربي ام كلثوم ام تغير هواه عنها ؟ . وكنت في الواقع ارى ان الحياة الفنية تبدلت واصابها التطور السريع ، وهرمت من المهارة والاناسة . واخذت اترقب سماع ما لديها من قصائد شعرية جديدة . من روائع :

سوقي ، حافظ ابراهيم ، احمد رامي ، احمد باكثير ، جورج جرداق ، عمر الخيام . ومختلفة المقطوعات التي نظمها القدامى من كبار شعراء العصور العربية الزاهرة .

وعندما صدرت مجلة « الصياد » في سنواتها الاولى اجرت استفتاء لقراءها ، وجعلت المفاضلة بين ام كلثوم واسمهان . وكتبت يومذاك مفضلاً ام كلثوم ولست ناكراً جمال صوت اسمهان ورتة صوتها الحزين .

قلت : ان ام كلثوم تطربنا اذا غنت . . وتشجينا اذا انتت .

ان ام كلثوم غنت لشعراء مصر ، والسودان ، ولبنان والسعودية ، وحضرموت ، وليبيا . ولكنها مع

الاسف لم تغن لشعراء من العراق . لاسباب كان يغلب عليها طابع السياسة المحلية ، والتصرف الشخصي . مع العلم ان العراقيين من اكثر الشعوب العربية بعد مصر ، ولبنان تقديراً لام كلثوم . والاشادة بفنهما على مختلف الطبقات الشعبية . وعندما يسجل الباحث والدارس الشعر العربي المعاصر وائر الفنانين عليه ، يجد ان اكثر الشعراء تكريماً لام كلثوم انما هم العراقيون ، والييك الدليل :

ففي اول زيارتها للعراق سنة ١٩٣٢ تبارى الشعراء الكبار في تكريمها ، وتصوير اعجابهم بفنهما . ولست الان في معرض جميع ما نشر في الصحف والمجلات العراقية عنها في خلال تلك الزبارة ، ولكنني ساعدو اليه يوماً بدراسة خاصة . غير اني الان استعرض ثلاثة كبار منهم .

اولهم : الشاعر المرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي وقد اورد لنا الباحث القاضل الاخ الاستاذ عبد الرزاق الهلالي بدراسته عنه قصيدته الرائعة عن ام كلثوم . ويغلب عليها طابع الإعجاب الفني والروح (الوفدي) السياسي . ومنها هذه المقطعات الرائعة :

تظلمت الى الجـو وقليبي دائم الغـلق
فاصبرك في السربر وشاهدتك في الأفق
فمن سواك كالطير فمن انت من الغـلق
ام من مائة الببليل ام من مجمع السورق

هنيئاً لك بغداد فهـذي (ام كلثوم)
من الفيد الاماريـب اتنا لا من النورم
لكم احبت لـيالـيك بتفريد وترنيم
فهلوا فرحة النفس اذا فصر تـكرمـي

اذا فنيست في الجـب تفني باسم من اهوى
وان لـج بك الشوق فشيـه مع التجوى
فما شكواك لليل ايفي الـيل للشكوى
لانت سلوة النفس وما احلى من السلوى
كما ان له قصيدة اخرى يخاطبها بها المرحوم الدكتور الاستاذ زكي مبارك ويشير فيها الى ام كلثوم بقوله :

صريع الفواني لا تفني فـانـي صريع الغاني (ام كلثوم) لا دعد
سلام على تلك الفانريد انما الفانريد من وحي النجوم والوجد
اما ثنائهم : فهو الشاعر الفيلسوف المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، وقد جعل من قصيدته مناجاة لفنهما بين الجن والانس ، وبين الآلام والشجون ، والسياسة والشؤون وقال منها :

الـن رويـي اتـيق من مسـؤوم وانت بـلبـه يا (ام كلثوم)
لانت الـدم من غـنى بـقـايـية لحنـا يـرجـهـه من بعد غـريم
انـي اخاف التـنـانـا فـه متـفـسـي فـانـما انـا شـيـخ غـير مـصـوم
لا تـزعـج الـكـاتب المـلـراء من كـلـي فـان تـصل سـهـامـي غـير مـسـوم
اوـي (الفـنـر فـان) اصواتا شـدوتـها وسار بـفـر الفـيـسـا بالـقـس
لمت شـمـل الـاغـانـي بـعد تـرفـة لها فـلم يـق شـمـل غـير مـلـوم

لا يبلغ المرء من لذاته وطيرا حتى يتبع منه السمع والبصرا
المرح بنيناك واتبع من مشاهدنا فيبعدها لا تـرى شـمـسا ولا قـمـرا

زهرة

حاضرة مات بلاكن
اجفانه تحرقت ، ترمدت ،
تفتحت قصيدة ،
كزهرة من وطن الشمس
فقام من ضريحه
يزرع عن جفونه
ستائر الامس

صالح درويش

دمشق

المعصور العربية والاسلامية القديمة ، من حيث حسن
النطق ، وسرعة النكة ، ووضوح العبارة ، وسحر الفناء ،
وبديع الاختيار .

ولقد صدق من قال « الشعر جسم والفناء روحه » .
وذكروا : « الطير يسوق للووت اصغاه الى حين
الصوت » ولا ننسى في هذه المناسبة الابيات الشعرية
القديمة التي قالها احدى القيان عندما بددت عن ديار
اهلها ، ومجمع شملها فننت :
لما رايت القاسية حيث مجتمع السرفاق
وشمت من ارضي (الحجاز) نسيم انفاس (العتراق)
واقبت لي ولبن احب يجمع شمل وانفصال
وضعت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق

ان شخصية ام كلثوم بالإضافة كونها فنانة شعبية ،
لها نصيب كبير من حب الشعب لها ، وتقدير الجماهير
لونها ، لم تزل في قلوبهم وارواحهم . لما تمتع به من
صراحة وبساطة وروح مرحة . واعتقد ان فنها مهما
تطورت الاغنية والقصيدة الشعرية ، سيبقى ذا نكهة ،
وطابع متميز ، يضمن لها دنيا الخلود .

ومن تتبع سماع سلسلة « النغم الخالد » عن
حياتها ، بصورها بشعر بروحها الشعبية الطيبة التي لا
تضم الا الكفاح والصبر والمثابرة . والتواضع والصدق
لها منا - رحمة الله عليها - دعاء المجين ، وتقدير
المجيين . وكاني بشاعرها الاستاذ احمد رامي قد ناجاها
بقوله :

رنة العود شوهها وصداها حنة الناي او ابن الكمان
خلقت امة فكانت عزاء من هموم الحياة والاحزان
وجرت دعمة فكانت شفاء للهمم ورحمة للمصابي
وسرت انة فكانت غشاة يطلق الروح في سماء الاماني
بعث الشجو في النفوس ولتلى سرها في القلوب والاذان

محسن جمال الدين

بغداد - كلية الآداب

يا حبذا الحسن يهدي زهره عبقا
وحبذا الحب تلقى ناره شررا
يا ام كلثوم غني فالغناء اذا
ذهبت عنا سيبقى عندنا الرا

يا ام كلثوم احببت التي فيها
من بعد ياس ثلثا به حينا
تحت الصائب احبابا فسلينا
يا ام كلثوم انا امة زحمت
يا نجمة في سماء الرافدين بدت
يا ام كلثوم حينا مفردة
حي الملائك منا والشياطينا

فني غني الي ان يظهر الفلق
ويذهب الليل كل الليل والفسق
يا ام كلثوم غنيما مسلمة
فاننا بعد ايام ستفترق
طلعت بعد انتظار كاد يقتلنا
كوكب في سماء الفن ياتلق
غني لنا ثم غني انا فلسة
الى الفناء اذا ما طاب نستيق
ولنفتم هذه الساعات ساحية
فانني بصفاء الدهر لا البق
قالوا : الفناء غذاء الروح يمتشه
والحق فيما به في وصفه نطقوا
فكم تنطق في ناس به عوج
وكم تهذب في ناس به خلق

اما ثالثهم : فهو الشاعر المرحوم معروف الرصافي
الذي كان معجبا بفن ام كلثوم ، ونظم قصيدة خاصة
بمقترنتها وتأثير صوتها على السامعين ، ولم يكتف بذلك
بل زارها في القاهرة واجتمع بها وضمنها صورة فريدة
جمعت بين سحر الفناء ومقربة الشعر ، وقال منها :

ام كلثوم في فنون الانثى امة وحدها بهذا الزمان
ذاع من صوتهها لها اليوم حيث عم كل الامصار والبلدان
ما نفتت الا وقد سحرتنا بانثان لها واي الفتان
يا الانثى تمثل الحب تمثيلا صريحا بصوتها الفنان
يتجلى في لعنها مشهد الحب ولون الوصال والهجران
فترك الحب عند التنائي وترك الحب عند التنائي
وترك الحبيب عند الفراق وترك الحبيب عند الفراق
كل هذا في صوتها يتجلى من خلال الانغام والالحان

تنشد الشعر في الفناء فاني بلحون تطايلت الفاني
حسن صوت يزينه حسن لحن فيه للسامعين حسن بيان
في وقار الحليم نجملنا طورا وطورا في خلف الشجون
يشعر المرء حين يصفى اليها بفرام من صوتهها روحان

ان امهات الصوت الجميل الساحر في الادب العربي
قد لعبن دورا رائعا في رفع حركة الفنون الجميلة ونسي
الشعر خاصة ، فلولا (دنايز) و (قمر) و (المعجزة)
(سلامة) و (بنات زرباب) و (علية) وغيرهن ما استطعنا
ان نقرأ هذه الروائع التي زحرت بها مجموعة كتب
« الاغاني » و « المقد الفريد » و « عيون الاخبار » وقد
درسها الباحثون ، وحلها النقادون .

وحركة الفنى الغنائي المطلقة في تاريخ الادب العربي
من بغداد وقرطبة واسبيلة وغرناطة والحجاز والمغرب
العربي لتعطينا صورة من حب العربي للفناء ، لانه هو
الشعر ، وهو الوتر ، وهو السحر ، وهو الالهام ..
وكانت المطربات المغنيات ، تمتاز نفوسهن بالركة ،
والذكاء ، والبداهة . وحفظ الشعر وارتجاله ، وسرد
الطرائف ، وحسن التعبير ، وحلاوة الحديث .

ومن درس حياة ام كلثوم (١٨٨٩ - ١٩٧٥ م) لوجد
ان هناك تشابها بينها وبين ربات الفن الغنائي في زاهي

كنا ثلاثة من الاصدقاء جلوسا في مشرب « جروي » نستمتع بجلوسنا الاسبوعية العذبة عندما دارت بيننا جميعا احاديث شتى ، ومن خلالها طرق احدا موضوعا عن ذكرياته العاطفية ..

واجتاحنا جميعا موجة من الذكريات ، وقص كل منا قصته مصحوبة بضحكك وغمزات ، وتعليقات ساخرة ولاذعة من الآخرين .

واقبل على جلوسنا صديقنا « يوسف » بابتسامته المعتادة ، وباناقته الفاتكة ، رفعنا يده اليمنى محييا الجميع ، معتذرا عن تأخره . فصحنا قائلا :

— اهلا تعال هنا بجاني جئت في الوقت المناسب .. فقال على الفور :

— خيرا .. سامكت معكم لحظات فقط حيث انني مرتبط بموعد هام .. ففعلت قائلا ، وانسا انشاحك :

— موعد هام .. يا ترى موعد غرام ؟ فاجابني مبتسما : — كلا ... و .. فقاطعه قائلا :

— على اية حال كنا نتحدث قبل مجيئك عن ذكريات الصبا .. فقل لنا عما بقي لك في موكب الذكريات ، وعلى الاخص ما تدور حول حواء .. واخذ يوسف يتكلم بعد ان استقر به المجلس على مقربة مني ، وقصد انبسط على اساوره ابتسامة :

— لم يعد لي من الذكريات الا موقفان ، فقد عبرت بحباني فتانان ثم اخفنا مع مرور الايام واليالي ، واصبحتنا لحنين من الحان الذكرى .. فاليكم قصتي مع فتاتي الاولى :

« اشواق »

لم تكد الشمس تغيب في ذلك اليوم حتى فكرت في ان اناديها او احدها بعد ان تأكدت انها « اشواق » التي

نشأت معها منذ صباي ، وترعرع الحب الصغير بين قلبيها الى ان بلغنا سن الشباب ، ورغم تأكدي كنت اتساءل :

(واذا كانت هي فاي شيطان دخل جسدها ، ورفع صدرها المتعاسك خلال الفترة التي تركت فيها القرية) وعندما أصبحت قريبا منها ناديتها في شبه همس :

— اشواق ..

فالتفت الى مصدر الصوت بكل كبرياء وهي تجلس الترفصاء وتملا الجرة ، وفجأة وكأنها تذكرتني انتصبت واقفة ، وقالت على الفور وقد لاحظت على شفثتي ابتسامة عريضة :

— حمد الله عاالسلاما .. شرفت البلد يا سي يوسف .



http://ArchiVe.com/akhrit.com

ونظرت اليها نظرة طويلة ، انامل رداها الاسود الذي يشد ما حوله من الجسد شدا ، ويكشف عما يحتويه من سحر ، والجمال الطبيعي الذي لا تملوه المساحيق ، والعيون الصافية والخال الذي يتوسط خدها اليسر والاهداب الطويلة .

وسالتها ، وعيناي موصولتان بعينيها :

— فأكرا يا اشواق لما كنا بتلعب مع بعض واحنا صغيرين . فهمست قائلة :



— كانت ايام حلو .. ثم اطرقت كأنما تتذكر .. ومددت يدي الى ذقنها التي خط عليها وشم اخضر لارفع راسها ، فاذا بها تبعد عني وهي تلتفت حولي ، وصاحت شبه مدعورة وهي تغطي وجهها بخمارها :

— لا .. لا ما تقرش مني ... ما تلمشنيش ..

وعقدت البنته لساني .. وظللت في مكاني مشدوها ، بينما عجلت « اشواق » الى جرتها تحملها ، وانطلقت كالاعصار ، وشيعتها بنظرائي حتى توارت من امامي تماما . مكثت بعض الوقت جالسا على حافة النهر ، ماخوذا بما حدث ، ثم قمت من جلستي بتثاقل ، سالكا السيل الى داري ، وقد اتابني ضيق عنيف ..

وفي الطريق التقيت بـ « صابر » ذلك الشاب ، رفيق الصبا الذي طالما لعبت معه وانا صغير ، ولاحظت من خلفه امرأة تغطي انفها ، ونصف وجهها بخمارها ، وقلت له :

— انت معاك حد يا صابر ؟ — ايوه دي مرمتي .. اصلني اتجوزت من شهرين عقبالك .. تعالي يا بت سلمي على البيه .

وظهورت من خلفه « اشواق » وتقدمت مني وهي تمد يدها لمصافحتي وشخصت اليها ببصري مدهوشا ، وقلت :

— الف مبروك .. ووقئذ عرفت سبب جريبتها .. لقد اخضت « اشواق » لزوجها بقدر ما تستطيع .. اما فتاتي الثانية والاخيرة فقد كانت :

« ليلي »

في امسية من الاماسي الصيفية كنت في طريقي الى عملي ، سائرا على قدمي ، فتوقفت فجأة حينما رايت شابة في غاية الاناقة ، تحضن طفلة رضيعة على صدرها في رقة وحنان ،

الورى

الناس كلهم في قلبي اجتمعوا
عنه حدها الى كهف الوردى الفزع
راحت دعوي من الخفاف تندفع
عدا على كبدي المقروحة الوجة
منه نياط فؤادي كاد ينقطع
نسييت رزني وزال الحزن والهلع
الى مديحي في الخلان يستمع
راح ابن جنبي على اقدامهم يقع
وفي سويدائه الامال تصطرع
وفي العروق يؤج الوجد والولع
بالود يبعي به من نفسي الجزع
عفوت عما بي الاحباب قد صنعوا
مسحت دمع فؤادي وهو يتصدع
لانهم كلهم من مهجتي قطع

نكبا، جذور النهى منهن تنخلع
وازهرت في مطاوي نفسه المتع
وبات بالامل البسام يلتفع

محمد العناني

ما في ابن صديري للاحقاد متسع
كانهم فلد منه اذا انفصلت
اذا بكوا من مصاب حل انفسهم
وان شكوا وجعا تدعي استنهم
وان بليت برزء فادح جلسل
ويمموا مهجتي وانبش يفمرهم
وان هجوني جعلت الدهر في شغف
وان ناوا والصدود المر يحفرهم
ويطلب الوصل منهم وهو مبتهل
برخي الجفون ويستجدي حناهم
اقصى امانيه منهم نظرة حفلت
وان رموني بنقد لاذع حسدا
وان اسالوا دما يجري بحبهم
وقلت يا رب صثمهم من اذى واسى

من لم يحب الورى هبت عواصفه
ومن احبهم اخضرت مرابعه
ولازمته طيوف السعد شادية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطلت من عيني فرحة ملأت نفسي ،
ثم اقتربت منها ، وقلت من فوري :
- ليلي .. انني اكذب عيني ..
وحولت وجهها قليلا الى ناحيتي ،
فمرفتني ، ثم صاحت هائفة فسي
نشوة :

- من ؟ يوسف ليس مغتولا ؟
وتصافحنا مصافحة حساسة ،
وسالني باسمه :
- اين انت يا رجل .. من زمن
لم ارك ؟
- في هذه الدنيا .. كيف حالك
انت .. كنت مثلها الى رؤياك منذ
فترة طويلة ..
- نفس الشعور ..

كانت لم تزل جميلة ، وبدت لسي
كما رايتها اول مرة منذ تسعة اعوام
صبية في الخامسة عشرة من عمرها ،
ذات جمال هادي ، وشعر كستنائي
اللون ، وغمازتين ضاحكتين فسي
وجنتها تزيدها جمالا ..
واستطردت قائلة :

- لقد تغير كثيرا ملامحك ..
- اظن يا « ليلي » سنة واحدة
كفيلة بان تفعل في ملامحنا الشيء
الكثير ، فما بالك تسعة اعوام او
اكثر .. اه بالحق من تكون تلك
الطفلة الجميلة ؟

ونظرت الي مبتسمة تقول :
- اعجبتك ؟
- حقا انها لصورة مصغرة منك ..
- انها ابنتي الوحيدة « هبة » ..
- اتمرحين ؟

على الفور اندفعت قائلة في تأكيد
وهي تضحك ضحكة رقيقة :
- ابدا .. اقسم لك بانها ابنتي ..
فبادرتها قائلا :
- ومتى تزوجت ؟
فاجابت :

- تزوجت من سنتين .. وابت
تعرف زوجي حق المعرفة .. وصممت
هنية ، ثم استكملت حديثها تقول :
- سمير .. سمير عبد الغفار ..
انتذكره الذي كان جارنا في الوقت

بريئة ، فلم يلبث والدها ان انهال
عليها سبا ، وشتما ، وضربا ..
وانقطعت ليلي عن لقائي بالسطح ،
وحرمت من رؤيتها ، حتى نقلت مع
اهلي من المنزل ومن الحي كله ..
وقلت في نفسي :

- صحيح كل شيء قسمة
ونصيب ..

وفوجئت ب ليلي تمد الي يدها
باتاملها الرقيقة ذات الاظافر الالامعة ،
فاحتوت كفي راحتها ، وظلمت مسكا
بها ونظراني مشدودة الى عينيها ، ثم
مددت يدي الى الصغيرة وقبلت
يدها ..

وافترقنا .. وكل منا يحمل
ابتسامة رقيقة على شفاهه ..

رستم كيلاني

القاهرة

الذي كنا نسين في حي الروضة ..
وسبح تفكيري ، وحملتني ذاكرتي
الى الورا لحظة .. وتذكرت كما
تذكرت تلك الحادثة التي وقعت بيني
وبينه يوم حاول التحرش بي ، انا
و « ليلي » بينما كنا على سطح المنزل
كالعادة ساعة الغروب نتبادل الاحاديث
وتساجرت معه ، وشربته ..

وبعد لحظات .. كان السطح
يمتلئ ، باهله واهل ليلي ، واهلي ،
وعندما سال والد سمير اينه عن
السبب الذي دعا الى ضربه ، فتكلم
امام الجميع بما يشين ، ونسب لسي
انني كنت اضم ليلي واقبلها مؤيدا
قوله بما شاهده بنفسه مصادفة .
وكدت اضغط بيدي على عنقه ،
لولا انشغالي بما حدث ل ليلي .. التي
لم يكن بيني وبينها سوى صداقة

لغزبة النفسية في ديوان جبران الصمت

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

كالحلم الخفي يخاطب الوجدان دون أن يابه للعقل أبدا
وكالحن الجميل يتحدث إلى المشاعر قبل أن يتحدث
إلى الذهن والفكر .

كأفق السماء الممتد يروعك بجلاله ورموزه الصامتة
الوحية دائما

ذلك هو شعر هذا الديوان الرمزي الذي يتشبع
بشباب الخفاء والغموض ، وأن كانا هما عنصرا جماله وقوته
ومنهما يستمد شعر الديوان أروع ظلاله وبلاغته .

وكما قال بودلير في أزهار الشر (١٨٢١ - ١٨٦٧)
وهو يصف الجمال في ديوانه : « أني جميلة ، كعلم من
الحجر ، وحضني الذي أدمى الجميع واحدا فواحدا قد
خلق لي لهم الشاعر حبا خالدا ، وأخرس كالعادة .. أنسي
أكره الحركة التي تقلقل القسمات ، ولست أعرف اليكاه
ولا الضحك أبد الدهر ، إن الشعراء ليستفدون إياهم
في دراسات عقيمة أمام موافقي الهيبة ، التي تحاكي رواثع
الانصاب ، فان لي ، ولسحر هؤلاء العشاق الطامعين
مرايا مجلوة تسكب الجمال على كل شيء ، ميوني الواسعة
ذات الانصاف الخالد » يقول الشاعر السعودي محمد
العامر الريمح : « أكثر شيء يضايقتني نفسي في بيتي
عن معنى شعري » - (صفحة ٢٢ الديوان) .

وكما يقول المرميه (١٨٤٢ - ١٨٩٨ م) بعنوان
« نسيم البحر » « ألا تشعر بالقيود التي تكبل الشاعر
وتضيق عليه تضيقا ، ألا تشعر بالدواعي الخفية التي
تهيب به إلى الانطلاق ، وبالسحر الغريب الذي يجذبه إليه
جذبا لا تشعر أخيرا بالاشفاق ، بالخوف ، باللباس الذي
يثير بين جوانحه شعورا يهلك قد يترقبه حتى من تلك
المفاتي السعيدة الثابتة ؟ » .

ويقول الشاعر الريمح (صفحة ١٩ من قصيدة « أنا ») :

أحاول أهرب من نفسي

من قلتي

إلى أي .. أي مكان

أفتش عن درب يوصلني

عن سحابة تمطرني

في أي .. أي مكان

أحاول أبحث عن أجنحة أركبها

تعبير بي الأفاق إلى أي مكان في الدنيا

أي مكان
أحاول أبحث عن إنسان يحيا معي
بشاركتي قلتي
أي إنسان

أنه محاولة كله ، كل الشعر ، كل الديوان ، للانفصاح
عن المواطن المكبوتة في أعماق النفس البشرية ، وإحصاء
صور من العقل الباطن من الشاعر إلى القاريء ، مستعينا
في ذلك بجرس الإلفاظ وإيقاع الوزن ، وتركيب الجمل
ومعانيها الدقيقة . أنه الفوس في أعماق الإنسان ، ومعاناة
الحياة الباطنية له ، لا على طريقة الكلاسيكيين الذين كانوا
يبحثون في النفس ، معتمدين على العقل وحده ، بل أن
أساس الفن عند شاعرنا الريمح هو التغفل في طوابع
العقل الباطن عن طريق المخيلة ، مع التوفيق بين المادة
المحسوسة ، والفكرة المخيلة .

إن شعر الديوان يقتضي التأمل العميق لفهم موضوعه
وتدقيق فنه ، والفناني الفكرة التي صاغها الشاعر ، والهيام
والاحتفاء بتجارب العقل الباطن ، والميل إلى التجارب
الموضوعية ، الموزعة بين الحلم واليقظة ، والنوم والوعي
والأرض والسماء ، والقاريء له لا بد من أن يبذل جهدا
عظيما لفهم معانيه ، واستكناه خفايا مضامينه ، حتى يمكن
القول بأن خلق القصيدة الحقيقي ، لا يتم إلا بتلاقي فكر
الشاعر وفكر القاريء وتفاعلهما معا ..

ولسوف تقف طويلا .. طويلا ، أمام كل قصائد
الديوان ، تستولي عليك الدهشة ، ويتخللك العجب والتأمل
الكثير العميق ، وتقول بينك وبين نفسك : أواه أنه لرائع
وأن هذا الجليل وأنه أنير لك الذهن .. ولينتي أفهم أو
أعي شيئا ..

الاصالة والوجهة والذكاء ، والعمق والتغفل في أبعاد
الأبد والزمن واللانهاية .. كلها تضفي على الديوان ظلالا
سحرية ، وتشعر وانت تقرأه أنك تدخل مدينة مسحورة ، كل
شيء فيها مثير للاستغراب ، للحيرة ، للذهول للفكر ..

يقول الناشر في صدره للديوان « في شعر الديوان
عنقوان الاصالة والتفرد بالاتجاه العصري على أجنحة
الذهب الرمزي .. وقصائده تشدد على اصالة موهبته
كشاعر أصيل ، ذي عطاء رفيع المستوى ، استطاع أن
يكيف تفاعلات مع رمزية بودلير ورامبو وغيرهما ، ليخرج
من هذه التفاعلات شعر يتميز بطابع شخصي مستقل من
حيث أبعاده ومن حيث طريقة سبكه لتجارب الحسية
والشعورية والانفعالية على صعيد التشعب الواعي المحيط
بأعماق التجربة ، وعلى صعيد الاستيعاب من تيار حوار
الذاتي الباطني » (صفحة ٧ الديوان) .

ونحن أمام هذه الاصالة نشعر من بعيد بموسيقى
خفية ، تنافي الأحلام ، وتناجي الذوق وتهز المشاعر ..
فاذا التفت لم تجدنا بين يديك ولكنها تعود كطيف سارب
في الفضاء ، وكخيال سابح في السماء .

حوار

مع الجرح المفتوح منذ ربع قرن

★

قف لا تنزف في كل مسار..
أويمكن للجرح المفتوح ؟
ابسا بالصرخة في الأفق
أواه .. أيا صوتي البجوح!..
لا ترحل في سطح الأشياء
فرحلك كالغتب السفوح
الدهشة تكن في الأعماق
سافر خلف الجلد المكسوح

ورابتك ترحل ذات نهار
والعالم يجري في عينيك
وتزييك قد سكن الأفق
والوعد يلوح على شفتيك
وفلسطين .. العمر الماضي..
وتظل تسير على قدميك
وفلسطين .. العمر الآتي
والكون تنفس من ربتك
وفلسطين .. الحلم الباقي
والعالم يركع بين يديك

والكون يفيض .. يفيض .. يفيض
والجرح يفيض ويولد منه
نهار

سلافة العامري

دمشق

نقاد كثيرون ، هزمهم وأثارهم اثارة كاملة أن هذا الديوان
بأنغامه الحلو الجميلة ليدعنا نتأمل مع الليل والنجوم
والسما والافق والصبح .. مظاهر الجمال بين الطبيعة
اللهمة والشاعر الاصيل المتلقي والشعر المؤثر الجليل اللهم .
أنا أخي الرميح فيما كتبت عنه وعن شعره منذ نحو
ربع قرن لا أجد اضافة جديدة عليه .. أكثر من أن أقول:
انه يتألق ويصعد ويحلق دائماً
انه يشعر بذاته ، ويشعرنا بشخصيته وبمنحنا كل
تجاربه بقوة ، وبهناكل مشاعره النبيلة .. وهذه هي سمة
الاصالة في شعر الشاعر ونفسه وعميق تجربته .

محمد عبد النعم خفاجي

القاهرة

ووراء ذلك كله الجمال الجمال العميق ، الذي تحس
به في ظاهرة التكرار ، التكرار للصفات ، للموصفات ،
لاي شيء ، بعثا للجمال ، للفناء ، للموسيقى الازلية الخالدة
وبعثا كذلك لمشاعر القاريء وعواطفه وكل اعماق نفسه .
ولسوف نقرا قصائد الشاعر في الوحدة والغربة
النفسية ، وهي مجموعة قصائد الديوان الاولى :
أنا - المدينة المخيم عليها الصمت - اموت وحيدا - طوفان
دوران - في صحراء عمري - في التيه كما نقرا مجموعة
قصائده الثانية الغزلية : غرب - مع الليل - نداء الحياة -
بعد الفراق الخ .. او مجموعة قصائده الثالثة « ٦ رسائل
الى حواء » او بكائياته على قبر امه وقبر ابيه .
فسوف تجد في كل ذلك الشعور العميق بالوحدة ،
بالفراغ ، بالحنن ، بالشجى ، بالنظ الى الاشراق الروحي
بالتفأل مع ظاهرة التشاؤم ، بالحب ، بالامل ، بالحياة
المتجددة في مثل قصائده الوطنية : « الى المعترك » و « مواكب
الابطال » .

الحنن يتشبع في الديوان بالفرح ، والامل يتوكل على
عصا سحرية من الامل ، والغربة تمتزج في نفس الشاعر
بصدقة الطبيعة والحياة وحب الجمال في كل شيء ، حتى
في جرس اللفظ ، وتركيب الجمل ، وصياغة الفكرة ،
والمعاني الدقيقة .

استمع الى الشاعر يقول من قصيدته « في صحراء
عمري » (صفحة ٥٦ الديوان) :

أشعر بالدوار

أشعر أن العالم كله

كومة أحجار

ومحرفة

تأكل النار فيها النار

ومقبرة

تتكسد فيها الاموات

ثم يقول منها : صحوت من موتي

اصبحت حيا

ما وجد تحول شيئا

سمعت من داخلي صوتي

عرفت

اني صحوت من موتي

وقصيدته « غرب » (صفحة ٧٣ الديوان) تخالف
كل قصائد الديوان ذات الموسيقى الحرة ، فهي من بحر
السريع وفيها يقول :

يا ايها النافخ في نايه
اروح الحان الهوى والجمال
لا يا اخي ، لا ، حينئذ
انا سكارى من رحيق الخيال
فامس وقن الربى والتلال
وللدجى حتى يبين الشفق
واملا بأنغامك كناس الليل
واشفق على قلمي ان يحترق
وان كان منها بعض أسطر تخرج عن وزن السريع ،
الا انها تمتاز بموسيقى حلوة متجددة الارتفاع .

وماذا أقول عن هذا الديوان الذي شهد له قبلي

يا صفحة الخلد الاصيل
منه بالنور الجليل
ع الله سلوى للملوك
في الحب والذن الجميل
الهم في ليل طويل
قرب نورك ما يزيل
رقية القلب العليل
كم كنت للساري ، الدليل
وطن يعاديه الدخيل
طالباً تسبي العقول
تستبين لنا الحلول
وروضها وافى الذبول
والقرب يروي القليل

مرحى ايا قمري الجميل
يا نوحه الغيب الموشى
هذا ضياءك من شعاع
تهب الحياة لراغب
تهب السرور لمن عناه
من شفه الجرمان يلقي
كل الشجون غدا ستغدو
فابعث شعاعك هاديا
وانشر ضياء الحب في
واكشف لنا عن سر دنيا
وافتح رتاج ... عليك
عما تعانيه النفوس
واسكب ضياءك في القلوب

هل ادريت من التزبل
فمضوا بواديك الجليل
وخيالهم نور ضئيل
هيهات تدركها العقول
تدريه ارواح تجول
وما له ابنا مثل
وكلاكما تبع اصيل
فؤاد من فضل السيل
هيهات يطفئه القليل
واذن فلم تجد البديل

افتحت بابك للدخيل
ضاققت بهم دنياهم
ظنوا الطريق معبدا
دنيا عوالم
سر اتسبائك للسماء
قلبي ايا قمري الجميل
انراه مثلك رائدا
ماذا يفكر لك لو هدبت
ان كان جبا زائفا
اخشى عليك فضولهم

في ذلك التيه المهول
فتعود كالطفل الهزيل
همسا يوشوش للدخيل
لتطيح بالروح الثقيل
سبيح في الدنيا الدهول
هيهات يدركها الافول
اضواؤها تهدي السيل
سر على افق الاصيل
ولحنه في كل جيل

اخشى عليك سباقهم
اخشى عليك نزاعهم
قرب لتسمع من هنا
صوب سهامك من عل
نور تبارك ربه
انا في سمائك نجمة
انا من شعاعك لمحة
هدد فؤادي انني
معناه في هذا الشعاع

جميلة العلالي

عين شمس - مصر

منشئ « الزهور » وداود بركات ... الى آخر ذلك
الموكب الحافل من حملة المشاعل .

وولد هذا الكتي فرح انطون في طرابلس لبنان (١)
عام ١٨٧٤ لايه تاجر الاشباب الذي رغب في تعليمه ليشركه
في تجارته ، فالحقه منذ الصغر بمدرسة « بكفيا » وتخرج
في السادسة عشرة من سنه .. وكان على حظ من الذكاء
فأجاد العربية والفرنسية ، وذا ميل الى الاطلاع فراح ينهل
من الكتب والقصاص في هاتين اللغتين ، وتأثر بأحرار الفكر
وبالدعاة الى الاصلاح ، وبشعارات الثورة الفرنسية في
وقت كانت بلاده العربية ترزح تحت وطأة الاستعمار
والتخلف .. ثم اشتغل مع ابيه في التجارة فترة ، ولكنه
تركها حين نذب لادارة مدرسة اهلية انشأها جمعية خيرية
في طرابلس ، وبها امضى بضع سنوات كان في اثنائها يكتب
بعض الصحف والمجلات ، ولا ينقطع عن المطالعات ..

وفي الاسكندرية بدأ ادبنا الشاب يشق طريقه ، وليس
في جعبته غير قلمه ومبادئه .. وهو ليس بالغريب في هذه
المدينة الكبرى بين الاولوف من اخوته العرب ، وفي بيئة
اشاعت فيها جالياتها الاجنبية جوا من الحرية في القبول
والحركة والانفتاح على العالم الخارجي .. وهو ليس من
فرسان التجارة والمال ، ولكنه ما لبث ان وجد مجاله الذي
مهده من قبل طلائع الوافدين والمقيمين .. وكانت
الاسكندرية فيما بين الربع الاخير من القرن التاسع عشر
والربع الاول من القرن العشرين ، سوقا للصحف والمجلات
العربية من كل لون وشكل (٢) تظهر تباعا في مر السنين .
وكان اقدم تلك الصحف واهمها - جريدة « الاهرام »

التي اصدر عليها الاول الاخوان سليم وبشارة نقلا يوم ٥
اغسطس ١٨٧٦ - واتبعها بعد شهر بملحق يومي سماه
« صدى الاهرام » - ولكنه عطل بعد سنتين من صدوره
لنقده السلطات الحاكمة وانتصاره للفلاح المظلوم . فأخرج
ملحقين آخرين . ثم عاد « صدى الاهرام » عام ١٨٩٩
ليحل بالاسكندرية مكان « الاهرام » التي نقلت الى القاهرة
عامذاك بعد ان اصبحت يومية منذ عام ١٨٨١ (٣) وفي
هاتين الصحيفتين (الاهرام - وصدى الاهرام) نشر فرح
انطون عددا من مقالاته بتوبيعات شتى ولفتت انتباه قرائها
ومنها « دائرة الحق » ..

ولدى نزول فرح انطون بالارض المصرية ، كانت
الحركة الوطنية التحررية ، الرافضة للاحتلال البريطاني
في اشدها يتزعمها مصطفى كامل (١٨٧٤ - ١٩٠٨) ورفاقه

(١) ورد في قاموس « المتجدد » بيروت ط ١٩٥٦ ان مولد فرح
انطون عام ١٨٦١ وفي باقي المراجع ١٨٧٤ .

(٢) يذكر فيليب طرازي في كتابه « تاريخ الصحافة العربية »
اسماء صحف الاسكندرية بين عامي ١٨٧٣ - ١٩٢٩ - ١٢٨ جريدة ٨٠
مجلة .

(٣) قصة الاهرام في مقالة عن « سليم وبشارة نقلا » - مجلة
الاديب مايو ١٩٦٩ لنقولا يوسف .



نقولا يوسف

فرح انطون

١٨٧٤ - ١٩٢٢

في الذكرى المئوية لولده

بقلم نقولا يوسف

في يوم من عام ١٨٩٧ نزل بالاسكندرية قادمنا من لبنان ،
شاب في الثالثة والعشرين من عمره ، عامر القلب بحب
وطنه ، وباللغة على تحرره وتقدمه ، ومسيرته في ركب
الحضارة البشرية والنهضة العلمية .. خرج مع القافلة
المهاجرة الى مصر والاميركتين ، خلال النصف الثاني من
القرن التاسع عشر ، املا في عيش اوافر امانا ويسرا .. وما
لبث المتأدبون من هؤلاء النزلاء بالاسكندرية من برز في ميادين
الادب والصحافة وكان منهم : صاحب « الاهرام » سليم
وبشارة نقلا ، وصاحب « مصر » و « التجارة » ادب اسحق
وسليم النقاش ، وصاحب « البصير » رشيد شميل ،
ومنشئة « مجلة الفتاة » هند نوفل .. ومجلة « انيس
الجليس » اسكندر خوري .. واسماء : خليل مطران ،
وايليا ابو ماضي ، ونجيب الحداد ، وطانيوس عبده ، وعبد
بدران ، وزينب فواز ، ووردة البارجي .. كما لمس في
القاهرة صاحب « المتكلم » يعقوب صروف ، ومؤسس
« الهلال » جورج زيدان ، ولبيبة هاشم ، وانطوان الجميل

مجلة «السيدات» .. واتفق الصديقان على الهجرة الى اميركا ورحلا معا حوالي عام ١٩٠٧ الى الولايات المتحدة الاميركية ، املا في رغد العيش ..

وكان المهجر الاميركي تجربة جديدة لفرح انطون لم تدم طويلا ولم تعد عليه بقائفة مادية ، وان كان قد خرج منها بدروس معنوية ، لقد حمل معه صحيفته العربية « الجامعة » وراح يصدرها هناك يومية واسبوعية وشهرية ، ولكنها تعرضت لازمات مالية عصفت بالصحيفة وصاحبها ، فرجع الى القاهرة بعد غيبة عام او نحوه ، ليتابع نشر « الجامعة » وليشتغل بالقلم .. ففسي شرقي العربي السمع الصاعد ، الجدير بمرقه وكفاحه ، حقله الخصب المترقب للري والغرس مخلفا وراءه عالما صاحبا آليا يقدر المادة وتستبد به فلسفات القوة وتنازع البقاء ، ولكنه عاد في الوقت نفسه ، ومثله زميله نقولا الحداد ، اكثر ايمانا بواجب المسير في موكب الحضارة الحديثة المؤسسة على العلم والصناعة والابتكار ، غير التكرة للقيم الروحية في الانسان ..

اما نقولا الحداد فقد ظل وقتا يتاجر في السجاد ، ثم ترك تجارته وآب ايضا الى القاهرة لينشئ صيدليته بشبرا ، ويرعى اسرته وابناءه ، ويواصل الكتابة في الصحف والمجلات ، ويؤلف ويترجم ، ويرأس فترة تحرير « المتعطل » حتى وفاته في ربيع ١٩٥٤ وكان قد سبقه فرح انطون الى عالم البقاء عام ١٩٢٢ عزيا لم يتزوج ، ولم يترك بعده من حطام الدنيا غير ثروته الادبية التي يبحث عنها اليوم ابناء الجيل الجديد ...

وشرع فرح انطون منذ عودته الى القاهرة يكتب في صحفها ومجلاتها المعاصرة له ، ويؤلف ويترجم المسرحيات لفرقا المشهورة .. وبدأ بالتحرير في جريدة « اللواء » عام ١٩٠٩ وزامله عامذاك في تلك الجريدة الكاتب سلامه موسى وكان شابا معجبا بأراه فرح انطون ومن قراء مجلته « الجامعة » ، ولم ينس فضله واشاد بذكره في « المجلة الجديدة » التي كان يصدرها منذ الثلاثينيات . ويقول في كتابه : « تربية سلامة موسى » (٥) عمام ١٩٤٧ « واصلت صداقتي بفرح انطون حين شاركته في تحرير اللواء لفترة قصيرة . وكنا نقضي السهرة في احلى القهوات المحلة على ميدان الاوبرا .. وكان فرح مفكرا حرا بالمعنى الفرنسي لهذه العبارة . وكان حليبي الاصل ولذلك شق عليه اتخاذ اللهجة المصرية العامية . وكان انبساطيا مفرحا ... » ويقول « وقد ترك كل من جرجي زيدان

(٤) انظر « نقولا الحداد » - « الاديب » مايو ١٩٦٨ - لنقولا

يوسف .

(٥) كتاب « تربية سلامة موسى » ط ١ - ١٩٤٧ وط ٢ -

١٩٥٨ و ١٩٦٢ و ١٩٨٥

وكثيرا ما جاء هذا الزعيم الشاب الى الاسكندرية ليلقي خطبه المشهورة في مسارحها وبخاصة في اسبوام ١٨٩٧ و ١٩٠٢ - وشهد بها فرح انطون ويطلع على صحيفة « اللواء » التي كان يصدرها مصطفى كامل بالقاهرة منذ اوائل عام ١٩٠٠ - وقد قدر فرح ان يحرق بها عام ١٩٠٩ ، مناصرا هذه الحركة القومية كما فعل خليل مطران وابليا ابو ماضي - ومتابعيا نضاله بقلمه مع ثورة ١٩١٩ ومحروا في صحفها حتى وفاته ..

ثم رأى ادبنا فرح انطون ان يصدر مجلة ادبية اجتماعية سماها « الجامعة » ظهر عددها الاول بالاسكندرية يوم ١٥ من مارس ١٨٩٩ ، وثابر على اخراجها ثلاث سنوات قبل ان ينقلها الى القاهرة والى اميركا ثم الى القاهرة ثانية فعاشت سبع سنين ، كانت خلالها مدرسة حديثة تنفث فيها الكثيرون ممن طالعوا بها روائع الادب المترجم عن كبار كتاب الشرق والغرب ، وتعرفوا على مشاهير الادباء والعلماء والفلاسفة ، وعلى آرائهم ومؤلفاتهم وما في هذه الاراء من جديد ، وما في تقارب الحضارات من تفجير للتهنئات .. وكان مما كتب في « الجامعة » ابحتا عن فلسفة ابن رشد ، والامام عبده وفلسفة الصين ، وبنو كنغوشويس ، وعمر الخيام ، وشرعية حمورابي .. وعن كاتط وفلسفته ، وفلاميون الفلكي ، وبرتلو الكيمائي ، ونشئه وكتابه : « هكذا تكلم زردشت » ، ودين صولاته عند الاكربول ، وراسكن وحب الطبيعة ، وتولستوي وروايت « البعث » ، وجول سيمون ، وشكسبير ، ويكسور وفكتور هوغو ، وكبلخ ، ومكسيم غوركي ... وكتب عن شوقي وحافظ ابراهيم وقاسم أمين وعن اصلاح التربية والتعليم ، وتنقيف المرأة ، وعن الحرية ، وعن التمثيل ، وعن القصة ، داعيا دائما الى اصلاح النهضة ، والتحرر الفكري والسياسي ..

ثم اخذ يعاون شقيقته الادبية « روز انطون » على اصدار مجلة سنوية باسم « مجلة السيدات والبنات » - ظهر عددها الاول بالاسكندرية في اول ابريل ١٩٠٣ - ولكنها احتجبت بعد علمها الثاني لتصدر بالقاهرة عام ١٩٢١ في ثوب جديد ، وسعيت « مجلة السيدات والرجال » وشارك في تحريرها نقولا الحداد - زوج السيدة روز انطون الحداد حتى توفقت عام ١٩٣٢ بعد جهاد مرير ..

وكان هذا الاديب العالم نقولا الحداد (١٨٧٢ - ١٩٥٤) - ابن قرية جون بجوار صيدا (٤) قد جاء الى مصر شابا يهوى الادب والصحافة ، وبدأ العمل بصحف الاهرام والرائد والمؤيد وما لبث ان عاد الى بيروت حيث درس الصيدلية والكيمياء في جامعتهما الاميركية ، وتخرج بعد اربع سنوات ، ثم رجع الى القاهرة ليكتب في الصحف ويترجم القصص ويؤلف الكتب العلمية ، وتآلف الاديبان فرح انطون ونقولا الحداد وكانا متقاربين في السن والتفكير وحب المعرفة ، وتزوج الحداد بشقيقة فرح انطون صاحبة

ثم يقول :

« وفرح انطون كسائر الكتاب الذين يستوحون قلوبهم ، ويقطرون على القرباس من دماهم ، مفكر تؤثر في تفكيره عوامل الحياة ، وتثبت في نفسه الوان الجوالدي الذي يحيط به .. والذي قرأته من كتبه ناطق بحياة صاحبه يدل على أنه من وحي ذهن لا تمر به مذاهب الفكر الشائعة في زمانه عبثا ، ولا تتعارض حوله تيارات الحياة بغير جدوى . ولعل اصوب ما يقال فسي كتاباته انها خير دليل على اتجاه تيار الفكر في ابامه ، وخاصة في نشأته الاولى اي في عهد الصبا المتفتح للعالم ، المقتبل على كل جديد ، الذي قل ان يوصد بابيه في وجه طارق من طوارق الافكار الجميلة ، او يضمن بموضع في نفسه على ضيوف الاحلام الالعبه والخواطر الوسيمة ... »

وعندما توفي فرح انطون بالقاهرة في الثالث من يولييه ١٩٢٢ بعد ذلك الجهد الذي اضناه ، افتقده مرسلوه وشعروا بالفراغ الذي خلفه بعده ، وكتب بعضهم عن حياته وعن آثاره في فترات متباعدة .. ثم تسبه الناس كعادتهم ، واحتجبت آثاره عن انظارهم .. وراينا عقب وفاته كتابا صادرا من مدينة سان باولو في البرازيل عام ١٩٢٢ بعنوان: « بواصت الشجون في رثاء فرح انطون » ، وافردت مجلة « السيدات والرجال » بالقاهرة ، لصاحبها شقيقته « روز انطون » وقرينها تقولا العدا ، عددا خاصا عنه في سبتمبر ١٩٢٣ ونشر اديب بالقاهرة المرحوم ابو الخضر منسي كتابا عنه عام ١٩٢٤ .. ثم رثاه عباس محمود العقاد بمقالته السالفة الذكر في « البلاغ » عام ١٩٢٤ وما قال: « مضى غمائي اشهر على احتياج ذلك الطيف ، واحتباس حركته ، فكان مغيبه في نفوس المحبين والعارفين رزوا فادحا والما بارحا ، ونزعة شديدة وشقة بعيدة . وكان في تصور الخيال خطوة واحدة كخطوة الطيف الهائم جعلته لوافظ الاصوات ، فادى الى ظلمته الساكنة ... »

وكان مما كتب سلامه موسى نداء نشره « بالمجلة الجديدة » في يولييه ١٩٢٧ جاء فيه « في الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاما وبحسن رجال الادب الذين يعرفون فضل هذا الاديب العظيم في النهضة الحاضرة ، ان يحتفلوا به فان في الاحتفال تنويرا بالوان التجديد التي قام بها في توجيه الادب الحديث ، واعتزافا بفضل على التفكير المصري . ونحن لا نعرف ادبيا ممن يؤبه بهم في مصر لم يتأثر باحسن التأثيرات من فرح انطون . وكثير من النزعات الحسنة في

(٦) جريدة « البلاغ » بالقاهرة ١ مارس ١٩٢٤ وفي « المطالع » للعقاد - ١٩٢٤ ص ٦١ - ٦٦ - وكتابه : « رجال عرفهم » ١٩٢٢ ص ٩٩ .

(٧) المجلة الجديدة - بالقاهرة - لصاحبها سلامه موسى - عددا يولييه ويولييه ١٩٢٧ - السنة السادسة .

وفرح انطون اثره في النهضة المصرية فان الاول فتح ابواب الدراسة لتاريخ الاسلام والعرب ، وادابهم وعقائدهم وحضارتهم ، كما فتح الثاني ابواب الدراسة للنهضة الادبوية .. ويقول ايضا معلقا على ما ذكره له شاب عقب سماعه بحادث القنبلة الدرية انه احس كانه يحتاج الى تربية جديدة كاملة يولد بها من جديد ، يتعلم معارف جديدة ، ويقف على كنه هذه القنبلة وعواقبها الحربية والمدنية « اني (والكلام هنا لسلامه موسى) في عام ١٩٠٨ احسست مثل هذا الوجدان ، وضائق نفسي الى حد الانفجار . فقد وجدت في الادب الذي نقله اليي العربية فرح انطون ، ومن نظرية التطور التي داب في شرحها يعقوب صروف في القنصل ، اني اراء رؤيا انسا اعمى الا عن بصيص منها ، وان هناك آفاقا مغلقة يجب ان تكون هي واهتمامي في حياتي ان افتحها ... »

ثم حرر فرح انطون في صحيفة « مصر الفتاة » ١٩١١ وفي « الحروس » ١٩١٢ وكتب مقالات في بعض المجالات ، منها مقالة عن فلسفة ننشه بصحيفة « عكاظ » (فرايرس ١٩١٤) حيث قدمها صاحبها بهذه العبارة : « فرح انطون هو واحد من المفكرين الذين يعدون على الاصابع في هذا البلد . هو صاحب « الجامعة » التي كان لها رأي يعتد به في الحركة الاجتماعية . هو اول من نقل ترجمة الفيلسوف فردريك ننشه الالماني الى العربية ، واول من بسط فلسفته ، واول من قارن بينها وبين فلسفة شوبنهاور ، واول من اختصر مبادئه من كتبه ... »

ثم عمل فرح انطون في تحرير جريدة « الاهالي » اليومية وكان يصدرها عبد القادر حمزة بالاسكندرية منذ عام ١٩١٠ ثم نقلها الى القاهرة عام ١٩٢١ والحركة الوطنية في اوجها ، وتعرضت مرارا للتعطيل ، وتركها حمزة الى جريدة « الحروس » فمطلتها الحكومة فاستأجر صحيفة « الافكار » حتى يناير عام ١٩٢٣ حين اصدر « البلاغ » وكان فرح انطون قد انتقل الى رحمة الله .. وكان هذا الصحفي الوطني الكبير عبد القادر حمزة ، بلقى دائما في شخص فرح انطون وقلمه ، المعاونة والنزاهة والاخلاص ..

وفي تحرير « الاهالي » بالاسكندرية تامل المرحوم عباس محمود العقاد ، وفرح انطون ، وتصادقا ، وكتب العقاد بجريدة « البلاغ » عن فرح عقب وفاته مقالة تفيض بالوفاء والتقدير لهذا الكاتب الفقيد (٦) وقدمها بوصفه في اواخر حياته « .. كان كثيرا ما يرى في هذه العاصمة غاديا او رائحا في خطوة وثيدة وعزلة بعيدة ، كانمسا يسري من حيث لا يعلم الناس الى حيث لا يعلمون ، ذاهب الطرف اني صار .. غير مشغول بامر الطريق . على وجهه سماحة تظلمه سحابة من اسف شجي ولوعة مخامرة . وفي عينيه حيرة فرت من فرط القلق ، فمادت في رأي العين طمانينة راضية . وعلى شفتيه صمت مصر كظلم ... »

ادبنا يعود اليه . وقد كان دأبنا في كل فرصة ان نعرف بفضلته ، ولذلك نحن ننظر الفرصة الحاضرة لتبنيهاه الوجدان الادبي في مصر الى ضرورة الاحتفال بمرور خمسة عشر عاما على وفاته .

ثم عاد سلامة موسى فقال في العدد التالي من مجلته « كتبنا في العدد الماضي ندعو الى الاحتفال بذكرى فرح انطون لمرور خمسة عشر عاما على وفاته ، وعندنا ان احسن ما نسجل به هذا الاحتفال ان نطبع مؤلفاته جميعها ، ومعظمها الان قد نفذت طباعته باستثناء رواياته عن الثورة الفرنسية . فان الجيل الناشئ بكاد يجهل اسم فرح انطون ، وهو ينتفع كثيرا اذا طبعت له مؤلفاته ، وقدمت له لدرسها والاستمتاع بآراء هذا الكاتب الكبير » واغلب الظن انه لم يحتفل بذكره منذ وفاته ، ولم يطبع شيء قديم من مؤلفاته ، ولم يجمع ما تشتت من مقالاته ، وان كان قد نشر عنه بعض المقالات والدراسات خلال تلك السنين ، فكتب عنه اسعد حسني مقالة بالجملة الجديدة (يولييه ١٩٣٧) يقول فيها : « كان فرح انطون من اوائل من دعا الى الراء الحرة في الشرق العربي وفي طليعة من نهوا الى الديموقراطية بين الناطقين بالفساد .. كان يتحسس في دعوته للحرية وبراها حقا مقدسا من حقوق الشعوب والامم . فلما رأى الشرق تنأهه المطامع الاستعمارية البشعة ، دعا اقاربه الى التضامن وتكوين جبهة متحدة مترامية للوقوف في وجه هذه المطامع على ان تتسلح بالقوة .. كان ادبيا ذا ضمير حي . لم يكن من الذين يكتبون للمتاجرة او السعي وراء الشهرة او الجري وراء المآثم . بل كان رفيق الشعوب ، كثير الإحساس بالأمم المتحدة . ولذلك فقد ظل طيلة حياته إنسانا كاملا الانسانية في معاملته للناس ، بآراءهم .. » (٧) .

ثم نشر في بيروت عام ١٩٥٠ كتاب عن « فرح انطون - حياته وادبه - ومقطعات من آثاره » تقديم الاديب بطرس البستاني .. وفي الستينات تجدد ذكرى فرح انطون في البحثين اللذين كتبهما الناقد الباحث المرحوم مارون عبود في مؤلفيه : « جدد وقدماء » ١٩٦٦ و « رواد النهضة الحديثة » ١٩٦٦ - ورجع فيهما الى ما كتب فرح وما كتب عنه ، وحلل فيهما آراءه وافكاره ، ولخص الكثير من قصصه ومؤلفاته وكان مما قال : (٨) « فرح انطون اديب اجتماعي قبل كل شيء ، فسي مجلته ومقالاته ، وقصصه ومسرحياته . هو رسول الديموقراطية في الشرق العربي ، نشر تراجم الرجال ، شرقيين وغربيين ، لجعلها امثلة للشرق . وكثيرا ما كان يذكر مزاياء الحيوان ليكتب اخاه الانسان .. وان ذكر خبر عليا فليجلب بالعقل البشري ويتفائل .. كاتب تسوري

(٨) مارون عبود : كتاب « جدد وقدماء » ببيروت - ط ٢ - ١٩٦٢ ص ٢٥ - ٧٨ وكتاب « رواد النهضة الحديثة » - بيروت ١٩٦٦ ص ٢٨ - ٧٢٢ .

وعلمي بروح رومانتيكية فالتربية والمدرسة حديثه الدائم منذ مولد (الجامعة) حتى موتها .. كل ما خط قلم فرح انطون يتفق وروحه . بل قل لم يكتب كلمة تخالف عقيدته وروحه الحية .. عشق المثل الاعلى عشقا جنونيا ، وحاول اصلاح الانسانية بعنف ، فصار نصحه تحاملا ، وتوبيخه صراعا .. انه يحب التغفلل في احشاء الماضي مفتشا عن الكمال الضائع بين الامس واليوم .. انه في اتجاهه الدائم الى اصلاح المجتمع وبخاصة في الشرق ، لا يهادن الاستعمار الطبقات المستغلبة للفقير ، فيكشف سياسة الطبقات التي تمضي في تواطئها مع الانجليز في مصر ، ويندد بالاقطاعيين - فانهم لا يعرفون غير مصالحهم ، لقد نسوا منذ زمن بعيد ماذا تعنسي الحرية ... »

كذلك تناول الدكتور محمد يوسف نجم عددا من روايات فرح انطون ومسرحياته بالنقد والتحليل والتلخيص في كتابيه الصادرين ببيروت في الستينات « القصة في الادب العربي الحديث » و « المسرحية في الادب العربي الحديث » وفي رأيه ان فرح انطون « لا يسوق القصص لغاية فنية او لتسليية عابرة فحسب ، بل لبث افكاره الخاصة ، وليعلم القراء ويعظمهم ، وبمضمون النصح .. ويمكن تقسيم آثار فرح انطون الى ثلاثة اتجاهات الاول : الابحاث الفلسفية والعلمية والاجتماعية والتربوية ، ومنها كتابه عن « فلسفة ابن رشد » ومقالاته عن فلسفة الصين ، وعن نيته وتترجمة معظم كتابه « زرادشت » وعن كائط وروبان وتولستوي ، وترجمته لكتاب رينان عن تاريخ المسيح ، وشيئا من مقالاته في مجلته « الجامعة » وغيرها من المجلات والصحف ، في الموضوعات الفلسفية والتعليمية والدعوة الى اصلاح الاجتماعي بعامه ، وللتعريف بآداب الامم وآثار مفكرها .

والثاني : الرواية الموضوعية والمترجمة ، ومن الاولى - المؤلفة - روايته التي نشرها عام ١٨٩٩ سلسلة بمجلة « الجامعة » وسماها : « الحب حتى الموت » واتخذ من احدى قرى لبنان مسرحا لها ، ومن اهلها ابطلا لقصته ومنهم شابان لبنانيان يتهيان للهجرة الى اميركا ، وفيها يشهد بأمانة المرأة الحصنة ويدعو الى الفضائل الانسانية . ثم نشر عام ١٩٠٣ رواية بعنوان : « الدين والعلم والمال » سلسلة ايضا بمجلة « الجامعة » اقرب الى البحث الاجتماعي الحاشد بالخطب والحوار منها الى القصة الفنية المألوفة ، وعرض فيها المؤلف آراءه في الدين والعلم والمال ، وفي العمل والعمال ، محاولا تصوير المجتمع المثالي او المدينة الفاضلة على نمط كتاب « الطوبيات » (يوتوبيا) وكما يقول فرح في مقدمتها : « .. وقصد سميناهنا روايتا على سبيل التساهل ، لانها عبارة عن بحث فلسفي اجتماعي في خلائق المال والعلم والدين . وهو ما يسوونه في أوروبا المسألة الاجتماعية ، وهي عندهم في

المنزلة الأولى من الأهمية ، لان مدنيهم متوقفة عليها .. ويقول : « ان الفكر والعمل اساس التقدم والحضارة .. بالفكر والعمل يقوم تاريخ الانسانية .. »

ثم نشر فرح انطون قصة اخرى سماها : « الوحش الوحش ، الوحش » وتدور حوادثها في بعض مدن لبنان ، ويتمثل في اشخاصها مختلف الخلق والطباع ، وما يتمثل في نفوسها من حب وبغض ، وقوة وضعف ، وكرم وغدر ... وكما دته يستطرد خلال السرد القصصي الى نقد البدع والنقائص ، وإلى الحديث عن الحب والمحبين ، وعن مرض السل ، وعن آراء العلماء في الطب والتاريخ والاقتصاد والتحليل النفسي ، وإلى وصف الاماكن والبلاد .. ومع ذلك ففي القصة كثير من عناصر التشويق وارتباط الحوادث ، وبخاصة فيما جرى بين التاجر الطيب « متى حاروم » وصديقه التاجر الفادر « لوقا طمعون » مما أدى الى افلاس الاول ومحاوله ابنته الانتحار ، ثم ما يلاقه الفادر من مصير محتوم على يد حبيب الفتاة ، وكانت قد هجرته لفرقه الى اميركا وتزوجت غيره فاصيب بالجنون .. (١٠)

وفي عام ١٩٠٤ - اصدر فرح انطون روايته ذات الطابع التاريخي : « اورشليم الجديدة - أو فتح العرب بيت القدس » وتعد أشهر قصصه وأكثرها فنية .. وتجري حوادثها في فلسطين أيام الدولة الرومانية الشرقية ، عندما زحف العرب الى بلاد الشام وانتقل عمر بن الخطاب ليتسلم مفاتيح القدس من بطريقها . . . ولم يقصد المؤلف ان تكون قصته تاريخا دقيقا لفتح المعروف ، فقصصها عددا من الشخصيات الخيالية التي يتحدث المؤلف بالنيها في الوعظ والإرشاد ، وعرض مبادئه وآراءه في القضايا الاجتماعية والسياسية والمذهبية ، وفي الاخلاق والحب .. وان كان قد تطرق ايضا الى بعض الروايات التاريخية ، فوصف احوال تلك البلاد قبل الفتح العربي ، والاسباب السياسية والاجتماعية التي اضغعت الامبراطورية الرومانية ، وادت الى سقوطها .

وقد ادلى بعض الكتاب بأرائهم في هذه الرواية منذ ظهورها - فنشر يعقوب صروف في المتنطف (ابريل ١٩٠٤) النقد التالي : « رواية تاريخية فلسفية اجتماعية .. حسنة الوضع منسجمة العبارة . ويظهر لنا مما طالعناهم ان كثيرا من حوادثها التاريخية منقول من الواقدي . لكن كتاب الواقدي نفسه رواية تاريخية . فجلدا او محص المؤلف ما نقله عنه ففرق بين الحوادث التاريخية والقصص الموضوعية . وفي الرواية كثير من النصائغ والحكم والاقتباسات الفلسفية ، يشف بعضها عن لوم صاحبه اللوم الذي يجاهر به المرء اذا انحرفت صحنه من كثرة التسلسل ، وتملكته السوداء ولو برهة يسيرة . او اذا رأى الشرور

(٩) محمد يوسف نجم : كتاب « القصة في الادب العربي الحديث » ط ٢ - بيروت ١٩٦٩ ، ٩٢ ، ١٠٠ - و « المسرحية في الادب العربي » (١٠) لغص مارون عبود في كتابه السابقين بعض هذه الروايات في ايجاز .

والفاسد وايت عليه نفسه الاية ان بغض الطرف عنها .. بينما يكتب عباس العقاد (البلاغ ١٩٢٤) : « كان فرح انطون كتابا على استعداد الرواية والقصص ، وكانت ملكته القاصة تظهر احيانا في مقالاته الادبية والسياسية كما تظهر في رواياته وحكاياته . فمال به هذا الاستعداد الى وضع الروايات ، فاحسن وارتفع في رواية اورشليم الجديدة » .

ثم يقول عنها مارون عبود : « اما خطة القصة فيديرها فرح ككائد محتل يعرف كيف يربح المعركة الفاصلة ... اما اذا عثر بحجارة القضايا الاجتماعية فيقف وبطيسل الشروح ، ويشير ابحاثا عنيفة بين ابطاله ، تكاد تملأه لولا اسلوبه الحي واندفاع قلعه المحموم ، وعاطفته المتقدة الصادرة عن قلب مقروح . فاذا كنت تقرا لتتسلى فليكن بغير فرح .. تاخذ المؤلف نوبة الوعظ ولكنه وعظ حار غير ملول . ولا عجب ففرح قصصي عالج المسائل العظيمة كتولستوي وغيره .. »

وشرع فرح في وضع رواية سماها : « مريم المجدية » او مريم قبل التوبة ... ولكنه توفي قبل ان ينشأ وكان يستوحى فيها مذهب تنشأ في دعوته الى القوة ..

والى جانب هذه القصص الموضوعية ، ترجم فرح انطون عددا من الروايات الفرنسية المشهورة ، فعرّب عن ديماس رواجي : « الثورة الفرنسية » و « ذات السور » وعن برونو سان بيير روايتي « الكوخ الهندي » و « بول وفرجين » وعن شاتوبريان رواية « اتالا » ..

واستهم فرح انطون منذ مطلع القرن العشرين في الحركة المسرحية العربية بوضع المسرحيات الاجتماعية الهادفة ، وبترجمة عدد من التمثيليات الاوروبية والاقتباس منها ، وتصميم بعضها ، ومنها ما لحن واخرج على شكل « الاوبريت » .

ومما ألف من المسرحيات « صلاح الدين ومملكة اورشليم » ابرز فيها البطولة العربية في فترة حاسمة من تاريخ العرب وهي فترة الحروب الصليبية وتخلل عددا من الشخصيات غير التاريخية لتمثل الفضائل العربية في صراعها مع الغزاة ، وقد مثل جورج ابيض وفرقة هذه المسرحية بدار الاوبرا بالقاهرة عام ١٩١٤ ولقيت نجاحا .

ووضع مسرحية اجتماعية سماها « بنات الشوارع وبنات الخدور » تتخللها صور شعبية من النوع الاستعراضي ومثلتها ايضا فرقة جورج ابيض بدار الاوبرا عام ١٩١٢ ، وفي العام نفسه قامت هذه الفرقة بتمثيل مسرحيته « مصر الجديدة ومصر القديمة » التي اقتبس موضوعها عن قصة لاميل زولا ، ثم مصرها - اي اتخذ صورها واسماء اشخاصها من الحياة المصرية المعاصرة له - وبلخصها فرح في مقالة (نشرها في صحيفة « الجريدة » ٥ من ابريل ١٩١٣) بانها في الحقيقة اربع روايات (مناظر) متداخلة بعضها في بعض ، وينظما سلك واحد الاولى

الأدب وواجبات الكاتب ، ما عرضه لنقد الناقدين ، وإن كان قد برر بعضهم عمله هذا بشتى المبررات (١٢) وكان أول ما أخذه عليه أنه لم يأخذ نفسه هنا بالأراء التجديدية التي دعا إليها .

ولقد ذاب فرح انطون على نشر رايه ومذهبه في كتابة البحث والقصة والمسرح ، ومن ذلك مقالته بمجلة « الجامعة » - يونيه ١٩٠٣ بعنوان : « الكاتب الشرقي وحاجاته الجديدة » ، ومعا بها « لكل عصر حاجات » . والمصر قد تغير من حسن الحظ ، ولم يعد المقصود من الأدب وصناعته مدح العظماء ، بل صار يقصد به امر اسى من هذا بكثير . ويزيد بذلك تكوين الامم ، وتكبير نفوسها ، وانها من ضعفائها ، وترقية شؤونها . ومتى ثبت ان اول اغراض الأدب والعلم ترقية الامم وانها من الشوب ترتب علينا ان نعلم حاجات الكاتب الشرقي الجديدة في هذا العصر . . . واول حاجات الكاتب حرية الفكر والنشر ، فانه متى كان الكاتب يكتب بحرية واستقلال فكر ، فانه يكون صادقا منصفاً عادلاً . . . ويشترط في ذلك ان تكون الحرية مطلقة في اقواله لا ان يتكلم بحرية في هذا الموضوع لان الحرية فيه موافقة لمصلحته ، وبداها وبطلان في ذلك لان الحرية فيه مخالفة لمصلحته ، وثانيها ان وظيفة الكاتب هي ان يقول الحق وينطق بالصدق لكن يشترط عليه ان يترك دائماً للقارئ الحكم في المسائل التي يسطرها لان القارئ قلما يحب ان يضغط عليه ليقتعه . . . لا تضع آراءك في منزلة الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد منعه . . . والحاجة الثالثة ان يحب الكاتب صناعته ويطبقها لذاتها . . . لان يجعل عمله قسراً ويرغم طبيعته به . . . والرابعة تضلع في المواضيع التي يكتب فيها . . . واذ هناك الأفكار والألفاظ التي يعبر بها عنها . . . واذ ساعدت الاحوال المعارف الشرقية فانها ستنتقل من طور الانبعاث الى طور الابتداء ، وحينئذ يسبق في « الشرق المبكرون والمخترعون ، ولا تعود نرى المعارف الشرقية نسخة من المعارف الأوروبية . . »

ثم يقول فرح : « . . . هنا مذهبان مختلفان يتنازعان الكتاب في كل امة تقريباً الاول مذهب الدين يعتمدون على قواعد السلف واقوالهم في الكتابة والتأليف فلا يخرجون عنها قيد اصبع ، والثاني مذهب الذين يحكمون عقولهم وافهامهم في جميع شؤونهم ويكرهون التقليد اذا لم يكن في محله ، ويرومون ان يكتبوا كما يشعرون ، ومهما صرخ انتصار المذهب الاول ، فان مذهبهم أخذ في الانقراض . فالانكار الافتكار . المعاني المآني . هذا هو الفرض الحقيقي من الكتابة ، لان الألفاظ ليست سوى لباس للمعاني ولا ننسى ان وظيفة الكاتب الكتابة للأمة لا لنفسه ، ولا لطبقة واحدة من طبقات الأمة . وان حسن التأثير شروطها الاول ، والفائدة العمومية اساسها الحقيقي » .

وكتب مقالة اخرى عن فن التمثيل في مصر والشام في عصره) قال في اوله : يصح ان يعتبر فن التمثيل

تدور حول « فؤاد بك » الذي يمثل قوة الإرادة والنشاط والعمل وصيانة النفس والعيلة ، والثانية عن ابنة العيلة التي سقطت لقلو اخلاقها في طلب الحرية ، والثالثة تدور حول صاحب كلزيتو في مصر وما به من لهو وقمار وسكر ورفض ، والرابعة عن جماعة من الوارثين وما كانوا عليه وما صاروا اليه بسبب التبذير والطيش . . . ثم يقول : « فهي بهذا لون اجتماعي جديد يعالج مشاكل العصر بأسلوب واقعي حقيقي . . . وتعد وثيقة هامة في تصوير قطاع من الحياة الاجتماعية التي سارت في الربع الاول من هذا القرن في بلادنا » .

وفي الوقت نفسه كان فرح انطون يعرب المسرحيات الاوربية المشهورة ليمثلها الفرق العربية الكبرى في عصره . . . وفي عام ١٩٠٤ قدم مسرحيتين عربيتين اسكندر دوماس الكبيرهما : « البرج الهائل » و « ابن الشعر » ومثلتهما فرقنا جورج ابيض واسكندر فرح ومعه سلامة حجازي . . . وترجم « اوديب الملك » لسفوكليس ترجمة كاملة ومثلت بدار الاوبرا بالقاهرة . . . وعرب مسرحية « الساحرة » لساردو وقام ببطولتها جورج ابيض . . . ثم مصر رواية « زازا » لاميل زولا وادخل فيها مشاهد مصرية وشعبية ولوحات استعراضية كتخت الفناء وصاحبة الدودع ونائع الجرائد وما اشبه من وسائل اجتذاب الجماهير للفرق المتنافسة . . . (١١)

فتحت وطاة الظروف المادية ومطالب الفيش وبخاصة في سنوات الحرب العالمية الاولى ، مما لا تجدي معه الاعمال الادبية الجادة بل حرفة الكتابة بعامه ، ثم ما حدث من ظروف اخرى فصلت بين فرح انطون وجورج ابيض في عامي ١٩١٦ - ١٩١٧ ، استجاب فرح لنداء الفرق الفنية الاستعراضية وعلى راسها فرقة المطربة منيرة المهدية ، فقدم لها المترجمات والمقتبسات من الاوبرات الاوربية والمسرحيات الفنية ، ورضعها بالأغاني العربية التي وضع الحانها كامل الخملی وكان منها « كارمن » التي قدمتها فرقة منيرة المهدية بالقاهرة عام ١٩١٧ واوبرا « تاييس » عن قصة انتول فرانس - في العام نفسه - و « اوبريت اونا » لحنها ايضا كامل الخملی ومثلتها فرقة منيرة ثم « الشيخ وبنت الكهراء » و « كلام في سرك » و « كارمينيا » كارمينيا « و « روزينا » للفرقة ذاتها .

وكان لانسياق فرح انطون في تلك الفترة الى ترجمة واقتباس مثل هذه المسرحيات الفنية المشهورة وتجوير حانها ارضاء لاذواق الجماهير والفرق وهو القدير على التأليف والابتكار ، وصاحب الآراء التجديدية في اغراض

(١١) مجلة « المسرح » بالقاهرة - عدد نوفمبر ١٩٢٧ - « فرح انطون والمسرح الاجتماعي » مقالة لحمد كمال الدين .

(١٢) انظر نقد محمد تيمور في كتابه « حياتنا التمثيلية » ١٩٢٢ ص ٨٦ - ومحمد مندور في كتابه : « المسرح النثري » - ١٩٥٩ ص ٥١ .

حديث جبريل عن حب قديم

★

يقول سلكت الدرب وعرا إلى الهوى
فتحت لها قلبي وارخصت دمعها
عجيب هوى صب يجالد وحده
ويؤلمها إلا تراني شاجبا
والأ تراني جانبا متضرعا
وترتاح إذ ينهار جسمي خائرا
كتمت هواها فاقتربت من الردى
وهل يملك العشاق صبورا وحكمة
يموت شهيد الوجد في خنق لفظة
تضرعت أن تهدي السي تحية
وقلت : اعتقني من هوالك برحمة
سارضى .. سارضى بالإخاء فكلمني
فلم ترض إلا بالجفاء مروعا
أردت لها عمرا يفيض سعادة
أبت أن تلبي للحياة نداهها
تملكها طيش الفتاد وقتلناها
أخلدها بالشعر ، وهي تصنسه
ولو عرفت ما الشعر صلت وكبرت
فمن كان في شرع الحبة ظالما ؟

سيزري بها أن ذاع يوما وأطربا
إذا جاءها شعري رفيقا مهذباً
ومن كان في شرع السماوات مذنباً ؟

حارث طه الراوي

بغداد

يعلم شيئا عن خطرهما ..
وفي حديثه عن الروايات والقصص يستبعد تلك
التي تكون للتسلية .. أن مذهب « الجامعة » ومبادئها
في رواياتها هي الروايات الاجتماعية فلها الوظيفة العليا
... وبزى أن تأليف الروايات التاريخية التي تتناول تاريخ
أمم الشرق يوفقنا على تاريخنا ومع ذلك فهو لا يسرى
وظيفة سامية لهذا النوع من الروايات ظالما تكون مزيجا من
الحوادث المخترعة والحوادث التاريخية وفي هذا أفساد
للتاريخ ومجاعة لمن يشاهدها في الأغلب من العوام .

نقول لا يوسف

الاسكندرية

مقياسا لتمدن الأمة ودليلا على ادبها - والعناصر التي
يتألف منها هذا الفن هو سواد الأمة . وهذه العناصر
ثلاثة : الجمهور والكتاب والفرق التمثيلية .. وهو يرى
أن الجمهور التردد على المسرح ما زال رومانتيكا . فالكتاب
لا تزال أعلامهم « حصرا » لم تنضج بعد . والعلاء منهم
يترجمون إذ يعلمون أنهم لا يستطيعون التأليف .. وهو
لا يعرف لهم عددا في مسألتي الأولى : اختيار مواضيع
الروايات وجعلها مما يكون جامعا بين اللغة والفائدة
والثانية : تنزيه الروايات عن السموم التي تتنافى مع
الأدب العامة ، فالجمهور يقبل على هذه الروايات دون أن

الباص يسير على الطريق
العام في بطء سير سجين
مكبل ، فقد غادر المدينة
ممتلئا بالركاب . وفي
اتناء الطريق التفت ركابا اخرين
فغص بركابه حتى كاد يتوقف ثقلا
كما تتوقف سفينة هاجمتها رياح
البحر .

وكان بين الركاب رجلان جلسا
على مقعد واحد من المقاعد الخلفية .
وكانا يتحادثان عن المرض والاطباء .
احدهما شيخ قوي السعال ، والاخر
شاب يكتنز في جسمه قوة ونشاطا
وحياة .

وكان بين الركاب رجل وزوجته
جلسا امام ذلك الرجلين ، وكانا
يتحدثان عن اهل الزوجة القيمين في
المدينة التي توجه الباص اليها .

وعلى احد المقاعد المحاذية جلس
شابان في مقبل العمر يتحدثان عن
الحب والنساء . وكانا يطلقان
ضحكات طائشة من حين الى اخر .
وبذلك وضعا حدا لابتساماتهما الهادئة
التي كانت تطفو على شفاهما في اتناء
الحديث .

وكان السائق من الثنائيين
المعروفين . ولعل الثروة لا تروقه
الا وهو يسوق باصه في خلال اسفار
طوال . وقد جلس وراءه مساعده .
وكان يصفي الى السائق وهو يحادثه
في شوق وامجاب ، فقد طرب لنكاته
وانطلاق لسانه وسلاسة الفاظه ،
لاحظ بعض الركاب ان السائق شغل
عن قيادة السيارة بحادثة مساعده
والإلتفات اليه ، وقد هم احدهم بان
يلفت نظر السائق الى ذلك لكي يوجه
اهتمامه الى قيادة الباص وسلامة
الركاب ، ولكنه خجل ان يفعل ذلك
خشية ان تصيب عاطفته كلمة جارحة
من كلمات السائق الجريء الصفيق
الوجه .

وبطء الباص خلق فرصة للركاب
للتمتع بالمناظر الطبيعية الممتدة على
جانبي الطريق والمؤلفة من الكروم
الخضر التي طرزت بها ارض حمراء

التربة ، ومن اشجار الشمش التي
مضت بضعة اشهر على قطف ثمارها
واحتفظت باوراقها تروح على اقصائها
المتعلقة من حمرة الثمار الشبهه
الحلوة ، ومن اشجار الزيتون ذوات
الخضرة المظلمة التي تقف في زراة
وكبرياء على رؤوس الجبال . وعلى
الرغم من خلو الاراضي والجبال من
الجدول والعيون فقد بدت رائحة
المنابر خلاصة الجو .

والباص وان كان قد استعمل منذ
بضع سنوات وحال لونه وتضعفت
بعض اجزائه وتلف غطاء محركه
وتمزق عدد من وجوه مقاعده ، غير
انه يبدو شيئا لئينا في الاراضي
التي يسير فيها لقللة الباصات التي
تمر فيها .



بقلم عبد الحميد الانصاسي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وبينما كان الباص يشق طريقه
بين تلك المناظر اذ اقترب من بلدة
تقع على مقربة من طريقه . وقدوقفت
بجانب الطريق شابة حسنة مزهرة
بوجهها المتفتح الجمال وبقوامها
الشبيه بساق زنبقة بيضاء . ولم
تكد الشابة ترى الباص حتى اشارت
اليه فتوقف . ودخلت الفتاة الباص
وعيناها تبحثان عن مقعد تجلس عليه
بين ذلك العدد المتراس من الركاب ،
وقد صوبت اليها الانظار وحاصرتها
من كل ناحية . وتلك الانظار وان



ارتد بعضها عنها غير ان بعضها ما
زال متجذبا اليها في صمت وارتياح،
ولكن احدا من الركاب الرجال لم
ينفض عن مقعده ويدعوها الى
الجلوس في مكانه . واخيرا صوبت
نظرة طويلة من عينها الواسعتين
المكحولتين الى شاب انيق اللباس
جذاب الشكل فوجد نفسه يقف
ويدعوها في ابتسامة خفيفة وكلمات
رقيقة مهذبة الى الجلوس في مكانه
من المقعد . فكافاته الشابة الحسنة
بابتسامة مشرقة زادت وجهها جمالا،
وبهزة خفيفة شاكرة من رأسها
الصغير المتوج بشعر غزير . وجلست
على المقعد في ارتياح وسرور .

ثم واصل الباص سيره ، ولم
يكد يبتعد عن البلدة بضعة كيلومترات
حتى اتمرتض طريقه قرية صغيرة .
وقد وقفت بجانب الطريق فلاحا .
ولما دنا الباص منها اشارت بيدها
الى السائق فتوقف الباص . والقي
السائق نظرة وراه ليتأكد من وجود
مكان للفلاحا ثم قال لها :

— انا مكان في الباص ، خير لك
ان تنتظري الباص القادم فانك لاشك
واجدة فيه متسما .

ولكن الفلاحا لم تكثر لكلامه
اذ قالت :

— انا الباص القادم لا يأتي الا بعد
ساعة تقريبا . وفي ذلك اضاءة
لوقت وتأخير عن الوصول الى
وجهتي .

فلم يجد السائق بدا من ان يدخلها
الباص تاركا لها تدبير امرها في شأن
الجلوس . اجالت الفلاحا بصرها
بين الركاب باحثة عن مقعد لها ،
فايقنت بعد ذلك ان الباص يحمل اكثر
من طاقته . وظلت واقفة تسرح
نظرات الاستمطاف في وجوه الجلوس
من الركاب الرجال . ولكن احدا منهم
لم ينفض من مكانه لتجلس المرأة .
فالتفت الفلاحا نظرة ساخطة على
الركاب .

(اصوات من الداخل : هل جردت
قلوبكم من النخوة ؟ اليس بينكم رجل

واحد ذو نخوة ينهض عن مقعده
وسمخ لي بالجلوس في مكانه ؟
انه ليس من المروءة ان ابقى واقفة
بين الرجال) .

(منظر في الداخل : تصوب نظرا
غاضبا الى رأس رجل قريب منها
ادار وجهه عنها لئلا تلتقي عيناه عينيها
فتأخذ الشفقة عليها . وانتظرت
ربما التفت ذلك الرجل اليها ،
فتقدمت اليه وقالت له بنعمة صارمة
غليظة : قم ! انك شاب ومع ذلك
فانت تهرب بنظراتك مني ، اني اولى
منك بالجلوس على المقعد لانني امرأة
وانت رجل) .

مضى ربع ساعة والركاب ملازمون
مقاعدهم والفلاحة واقفة في الباص ،
فشعرت بامتصاص واحتقار ينشئ
قلبا الساخط وكادت تذوب غما .

وكان بين الركاب شابان اتقان
يوهم مظهرهما انهما في سعة من
العيش وعلى جانب من الثقافة ، فقد
كان احدهما مرتديا بدلة على الطراز
الحديث براقة القماش ضيقة . ونبت
من جيب معطفه العلوي مندبل مطرز
صفت امامه ثلاثة اقلام حبر احدهما
طلي بما يشبه الذهب البراق . وحمل
انفه نظارة من البلاستيك عريضة
الدرايين . غير ان رأسه كان قليل
الشعر اذ احاطت شعرات سود

متباعدة بصحراء صلعته الالامعة ، اما
الاخر فقد كان في اوائل شبابه .
بدلته رخيصة الثمن ولكن تفصيلها
جذاب . وشعره غزير ، وقد سدل
على صدفيه وعنقه بشكل وحشي
دلالة على انه من الخفافس . ولكنه
كان يتحدث بنعمة مهدبة رقيقة .

(الشاب الاول متكبر شرير كثيرا
ما اعتدى على الناس بالصغ والكلم
والسباب وهو مرتد بدلة العمل
القلدة في كراجه ، وان كان مظهره
الان يتم على انه استاذ في مدرسة
محترمة . والشاب الثاني مشهور
بفقراته الغرامية مع القتيص
الصغيرات ، غير انه دمك الاخلاق
حلو العشر) .

وكان الشابان يتحدان من قبل
حديثا جديا بقاطعه الصمت من حين
الى اخر . ولكنهما لم يلبثا ان خاضا
حديثا هزليا بعد ان دخلت الفلاحة
الباص ووقفت فيه ، اذ قال الشاب
الثاني واسمه بسام للشاب الاول :

— لو كانت الفلاحة امرأة متمدنة
لنهض احد الركاب من مكانه لتجلس
عليه . (اننا نعتبر الفلاحين نوعا
اخر من البشر) .

فقال له الشاب الاول واسمه
حافظ :

لا تنس ان الفلاحين كانوا من
قبل يقطعون مسافات طوالا من الطريق



عبد الحميد الانشاصي

مشيا على الاقدام . وكان الرجل
منهم يمتطي حماره ومن خلفه زوجته
تسير وراء الحمار حافية القدمين
وعلى رأسها مقطف مملوء بحاجات
اشترتها من المدينة . فان كان الفلاح
نفسه يحتقر زوجته فكيف يحترمها
الرجل المتعلم ؟ .

فضحك بسام ضحكة طليقة ثم

قال :

— صحيح ؟ هل كان الفلاحون في
تلك الحال من التخلف ؟

(انني لا اصدق ما قلته لي) .
فنظر حافظ اليه من مؤخر عينيها
في ابتسام مزوج برزاقته تدل على
الخبرة بشؤون الحياة وقال :

— انك شاب صغير السن لم
تختبر من الحياة الا القليل . لقد
رايت ذات يوم فلاحة تأكل لقمة من
رغيف اسمر مع لقمة من خبز ابيض
على اعتبار ان الخبز الابيض كالخبز
فهو يشبهه لونا ويمتاز على الخبز
الاسود بمذاقه الطيب . فهل رايت
امراة في العالم اشد حماقة من تلك
الفلاحة ؟

(مهما ارتقى الفلاح فانه يظل
ملتصقا باصله) .

فقهقه بسام فقهقه طفل ساذج
اغرت حافظا بالضحك معه . ثم قال
الاول :

— هذا من غريب ما سمعت في
حياتي . امجنونة تلك المرأة ام
مقتصد ؟ (ان ما يقوله تكتمه مبتكرة
وليس قرا واقعية) .
ثم قال حافظ بعد هنيهة من
الصمت :

— ان الفلاح يختلف عنا في كل
شيء : في ملبسه وطعامه ومسكنه .
نحن نعيش في القرن العشرين ،
والفلاح يعيش في القرن الخامس
عشر . ارتدبنا البدلة ، وهو ما زال
يرتدي القنباذ ، معطفنا الطويل نلبسه
في فصل الشتاء فقط ، وهو يرتدي
عباءته شتاء وصيفا . حسرتنا
الطربوش عن رؤوسنا ، وابى هو ان
يحسر الحطة عن رأسه . اننا نأكل
انواعا مختلفة من الطعام نجعل اخرها
الحلوى والفاكهة . اما الفلاح فطعامه
بصل او صعتر بلا حلوى او فاكهة .
يبيع الفواكه في اسواق المدينة ويحرم
نفسه شيئا منها . اما الطبيب
الذي يتناول به وقلمنا يتناول طبيخا
فان نفس الرجل المتعلم تشمتزمتنه .
لا نكهة له ولا لذة .

فاستغرق بسام في الضحك حتى
اهتزت كتفاه . اما حافظ فكان يطلق
من فمه ضحكات مكتومة متقطعة في

الباص تعب . شعرت انها قد فقدت سحر النوتتها التي تمكنها من التأثير في الرجال وانها اصبحت امرأة مهملة لا وزن لها . كانت افكارها توسوس اليها في صمت : « انك حقيرة . انك مظلومة . لا احد يكثر لك . انت المرأة الوحيدة التي لا مكان لها على مقاعد الباص . »

ادرك بسام ما يجول في خلد تلك المرأة من الافكار المنفصلة ، وشعر انها نبذت واهملت ، والقي اللوم على الرجال الذين يجلسون على المقاعد في راحة واسترخاء متجاهلين وجودها معهم .

لقد رأت تلك المرأة ولكنه فسي الوقت نفسه اعجب بها لانها آثرت ان تجلس على ارض الباص مع الاحتفاظ بكرامتها وعزة نفسها على ان ترجو احد الركاب من الرجال ان ينهض عن مقعدها لها . جلست على ارض الباص في تجلد وصمت دون ان تفوه بكلمة تنفس بها عما تشعر به من خزي والام .

تحملت حرمانها الجلوس على احد المقاعد في صبر ، وتحملت ايضا ما سمعته من ذلك الرجل الثقيل الظل - حافظ - من التهكم بها والسخرية منها . لا شك انها شعرت ان الرجال لم يكتفوا بابعادها عن المقاعد بل راحوا ينتقدونها وينتقدون الفلاحين بلا ذوق ولا احترام .

نفر بسام من الانتقاد القاسي الذي صبه حافظ على الفلاحين . ذلك الانتقاد الذي جادت به فريحته الهاقدة دون ان ياتي الفلاحون اليه سواء كان انتقادا للتسلية لا للتوجيه والاصلاح ، لذلك اعتبره اجوف تافها .

وهذا ما حدا بساما على ان ينهض من مكانه منتصباً في نخوة قائلاً : الفلاحة :

— تعالي الى هنا يا اختي واجلسي في مكاني .

عنان عبد الحميد الانشاصي

معلمي الكن يمشي على وهن بلا جزاء ولا شكر ولا منسن عن فلسفات بلا معنى ولا ثمن ليس المعلم في دنياك كالزمن ما خطه الدهر ، لا ما خط بالقلم

عبد اللطيف الخشن

بوانس ايرس - الارجننتين

كسكان المدن .

(انك متحامل على الفلاحين ما في ذلك ريب . ولست ادري لذلك سببا وقد تكون حادثة مؤلمة قد وقعت لك مع بعضهم فكرهتهم لهذا السبب . ان الفلاحين بشر مثلنا ولا يحق لك ان تتكبر عليهم وتحقرهم) .

فشعر حافظ بضدعة موجهة من جليسه اذ كان يتوهم ان يضحك بسام مما حدث به كما ضحك من قبل . غير انه ما زال مصرا على رايه ، وابتى ان ينقاد لراي شباب في ريمان الشباب وقال :

— انظر الى تلك الفلاحة الا يشعر ركاب الباص بنفور من الركوب معها ؟ (انك ما تزال خاما في هذه الحياة) .

— ولم ينفر الركاب منها ؟ — الم تفهم ما قلته لك من قبل ؟ (يبدو لي انك بليد الذهن) . جرى ذلك الحديث والفلاحة تنصت لحافظ ، وكانت من حين الى اخر تصوب نظرها اليه ، ولكن هذا لم يكثر لها ، وراح يقدح فسي الفلاحين ويلم القرى .

وقد لاحظ بسام ان الفلاحة قد تغيرت ملامح وجهها اذ اقتبضت تقاطيعه ، وقطبت في تالم . ولعلها شعرت لضعف ناجم عن ثالمها من موقفها المخزي ، فجلست على ارض

شيء من الرزاة والتماك . وقد شجعه ضحك بسام وسروره على مواصلة الحديث عن الفلاحين فقال : — قال لي احد اصدقائي مرة وهو صاحب سيارة خاصة كنت قد اصلحتها له منذ عهد قريب : ان قرى الاجانب تعد قطعاً من المدينة فيها ماء نظيف وكهرباء وابنية صحية جميلة ، لذلك يشعر سكانها من الفلاحين انهم لا يختلفون عن المتمدنين الا في شيء واحد وهو حرق الارض وفلاحتها ، اما القرية عندنا فهي ليست قطعة من المدينة . انها مجموعة من المساكن يقيم فيها نوع اخر من البشر يختلفون عنا في كل شيء .

حافظ يتكلم وبسام مصغ اليه في تفكير . لم يضحك هذه المرة ، ولم يقابل كلام صاحبه بالصمت بل قال له في رزاة :

— هذا شان الفلاح فيما مضى . لقد تقدم الفلاح في هذه الايام واصبح خيراً مما كان عليه من قبل ، وابتنى منازل جديدة بعضها على الطراز الحديث . وهو الان يستعمل المحركات في استخراج المياه وتوزيعها على المنازل . وبعض القرى القريبة من المدن استمدت الكهرباء منها . وهناك قرى يستعمل اهلها محركات توليد الكهرباء وايصالها الى البيوت . ان الفلاحين وقراهم في تقدم مستمر

قصائد باكية ضائعة

شروق ...

رايتك في بهيم الليل حلما
و كنت اراقص الاحزان وحدي
واصرخ حين يخفني سكوتي
واذ يحلو البكاء ارواح ابكسي
مهازل خطها في الرمل وهمي
واطياف سرقن ربيع عمري
وقلت تيجيء ، سوف يجيء حتى
فهل اشرفت من قمم احتراقي

وانوارا وانساما ونعمى
واكرع اكؤسا اترعن هما
واحمد ساكنا من بعد غما
واضحك اذ يكون الدمع دما
فخطنتي على الايام وهما
ولم انس باين ، ولم ، وعمما
سطعت منائر ، والليل اعمى
وهل روحي سكنت وعشت قعما

بكاء ...

سابكي على نفسي ، وليس بكائيا
قطعت فجار الليل ظمان طاويا
ورقصت في ساح الضياء قصائدي
فكيف اذا ست وعشرون حجة
وكيف اذا ما ايقظ الموت غفلي
امضي شباب العمر في حماة الهوى
لعمري ، ضلال ما اؤمل في غدي

بشاف غليلي ، لا ولا الدمع راويا
وما كان ليل ، غير اني بدا ليا
وما كان ضوء ، بل حرقت بناريا
مضين ولا يستبين لي نهاري
وحملت يوم العشر وزر كتابيا
واطعم في جناح خلد بواقيا
اذا لم يكن غقبو الاله رثائيا

الدمعي ...

لو اذا بركن قصي قصي
اذا ما دعتك صروف الليالي
دعوت قوافيك غيدا نهادي
وصلت بقارورة غطر شهسي
فاضحكت ، حتى جموع التكالى
فهل تستطيع لذلك قهرا
وهل تستطيع لحقق ردا
لعمري سالتك امرا حبيبا
فكف صراخك عني وهيا

لو اذا ، فلست بذاك الابي
واخت عليك بعزم جلي
على نغم ساحر عبقرى
وسيف رقيق الشباخشبي
وابكيت ، حتى فؤاد الخلي
اذا ما آتيت بشعر وضي
اذا ما بكيت بدمع سخي
الى نفس كل دعي دنسي
لو اذا لو اذا بركن قصي

ابراهيم بن خليل المجلوني

عمان - الاردن



الشباب الدأوي في مطامحه العالية ، وفي مباله النافه ، وان اصف احساس الشباب المتنافسه من غيرة مثالية الى اثره هي غاية في الانانية (٢) .

وبالفعل المسرحية تنجه تنوها الى ان تلبس لبوس الانسانية ، فتكفل على تصوير الشخصيات ، رودولف عشيقاته ، اصدقاءه ، مناوؤه الخ .. عبر مشاهد فطامية من حياة الابير الخاصة ، او العامة .

الفصل الاول في قاعة القصر في مايرلنغ
يقدم لنا خطوط عامة عن الشخصيات الاساسية ، والعمل المسرحي ، نحس به بجزايا الابير وايضا مباله .. والفصل الثاني في احدى غرف القصر نفسه نشاهد الابير مع زوجته ، وقد برزت ملامح الاسى والتشاؤم عليه ، ثم نشاهده مع صديقه الابير المجري كارولي يؤكد له تأييد قاضيه الجرح ضد الاكلان ، ثم تبرز له اغايا ضحية مباله ، وتعلمه انها حامل منه ..

والفصل الثالث يجري في فيينا ، وترى فيه اصطدام الابير رودولف بالقائد اودولف اخي اغايا ، اذ ينشأه القائد نقيه العار ، ويطلب اليه الاقتراع ، ويسلمه بالتالي الى الانتحار .. وفي الفصل الرابع نمود الى مايرلنغ حيث يقيم رودولف حلالا سافرا لوداع الحياة ، ثم ينتشر مع احدى عشيقاته ، ويرثيه اخوانه ..

المسرحية اذن تاريخية تحليلية ، ومن هنا المشاهد الاجتماعية والسياسية التي ظلت تساند تصوير الطابع عند مختلف الشخصيات ، ومن هنا ايضا حسبا الانساني الذي يتنظم الصراعات كافة فيها .. ومع ذلك هل رودولف ضحية ، ما دام انه يمتدح به الحظ في الاقتراع ؟.. ان حسي الروفسيه والشرف ، وايضا لقل التشاؤم على رودولف اكبر ، فاني الانتحار ، وكان باستقامته الهرب ، او رفضه التناكوب ..

الموضوع اذن صاحب ، ومليء بالتناقضات ، وهو مطامح الشباب ، ومباله .. والاقاؤه فيه مقلوبة ، بالنسبة ، ليس بغل القدر ، ولكن بفعل (رأي الواقع) ، والذي كان يمكن للابير التقدمي الطامح ان يعمل له ، لو ان اللينة لم تمهله .. فودولف هازتا يقول فيه (٣) :
رأى السداد السدوي
فصالحه ما لاح من خرق
تقص بغميس الرق
القياء وحلبة السبق
حقائق شاهما (اذ)
والوقت الرجمي نفسه ، وخاصة رئيس الوزارة ، يشبه عمن

مطامحه التقدمية ، فيجب (٤) :
لم اكن اطلب من
قومي على النقص الكمال
نشط الناس يرسوون
من الدهر الكمال
دروا البحر سفينا
تهنأدى وحبالا
واحالوا مجذب القفر
نعمسا وجعبا
وارى قومي كمالنا
مجهلا وجعبا
ليست قومي يصرون
الغلب والسداد الفصلا
وقد احسن شاعرنا الكبير عدنان مردم بك في وصف الاطير التاريخية ، والاجتماعية ، واظهار العديد من عواملها ، بحيث ظلت متممة للعمل المسرحي ، باثقة على اظهار النكوس وتزويدها ، وخاصة منها موقف النساء والجرح من الحلف مع الاكلان ، وخصوصية الانتحارات الشخصية في ذلك (٥) :

وتسرى البلاط مع السدو
ونرى الطيفان والحكم المسير
يجري مع (الاكلان) في
بنطقك الظلم الزفير

فاجعة مايرلنغ

مسرحية شعرية - تأليف عدنان مردم بك - ١٢٠ صفحة - منشورات عويدات ببيروت - مطبعة القيم بطحسا كسروان لبنان

المسرحية الشعرية اذا عالجت موضوعا تاريخيا ، وخاصة منها ما يسمى بالنقد الحديث المسرحية الشعرية التاريخية لتحمل ان تكون مأساوية ، اي تراجيكية تنبذ الى حد كبير باصول تأليف المأساة ، التراجيكية القديمة ، كما تحمل ايضا ان تكون مؤثرة او مفاجئة ، اي ميلودرامية ، فتصير الى نوع الميلودراما ..

هذه التفرقة بين المأسوي التراجيكي ، والميلودرامي ، وايضا الدرامي حتى يومنا هذا غير واضحة في ما كتبه المؤللون النقاد عن طلائع مسرحنا الشعري العربي احمد شوقي ، وعزيز اباظة ، وعدنان مردم بك .. وكنت عمت بالفعل من زاوية نفسية ، وفنية على ان اظهر الجباة منها ، خاصة ان معلم نتاج هؤلاء الرواد حتى الان من النوع التاريخي الصريح (١) .

مثل ذلك اتنا نستطيع ان نقول في - مصرع كليبوتارة - لاجند شوقي ، او في - الناصر - لعزير اباظة ، انهما مأساويان رغم انهما يحملان سمات ميلودرامية ، من وقائع ان كلا منهما ، على اختلاف تقنية كل من صاحبهما ، تظهر العصر المأساوي في صراعات الابطال ازاء القادر هزيمة تسيرها ، في حين - العباسية - والمصرع قرطاة - لعفنان مردم بك اذا كانتا تمان من هذه المأساوية ، فمسرحية - رابسة المدوية - ، او الحلج - ، او - فلسطين الثائرة - تصير الى الدراما التصويرية ، او ايضا الميلودراما التحليلية وتتم عن غلبة الوقائع القائمة للابطال ، وهكذا دواليك ..

ان مسرح عدنان مردم بك الى الان من النوع التاريخي ، وهو بين مأساوي صريح ، وبين درامي ، وميلودرامي يحمل طابع المأساة .. وان مسرحية - فاجعة مايرلنغ - له ، والتي صدرت مؤخرا مثال على هذه المأساوية التي تصير الى الميلودراما ..

وتفسير ذلك في الموضوع ، وتقنية العرض ، وان موضوعات عدنان مردم بك ، رغم انها من التاريخ ، الا انها متنوعة ، ويشترط شاعرنا الكبير فيها وحدة الموضوع .. ثم انه بفعل حرصه على تصوير الشخصيات ضمن اطر الموضوع الواحد ، او الموحد يميل الفعل المسرحي الى المأساوية ، او الميلودرامية ..

والحال في هذه المسرحية الشعرية الجديدة - فاجعة مايرلنغ - هو كذلك ، انها من التاريخ الحديث ، وموضوعها في الاناس هو انتحار الابير رودولف بن قيصر النمسا عام ١٩٠٨ ، ولكنها لا تقص قصة هذا الانتحار بقدر ما تعرض مواقف الابير من الحياة حتى يصبو السى الانتحار ، ومن هنا صارت الى تصوير لصراع مع الحلف ، ومزجتها بالمأساوية بالميلودراما ، والحس التاريخي بالحس الانساني ..

وإذا سرنا مع المؤلف في تملك موضوعه ، او في تقنيته لعرضه له ، نجد في مقدمته الكتاب يذكر : اردت في مسرحية مايرلنغ ان ابكسي



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدولها شهر

بنابر ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما ومي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. تحد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا تحد ادنى

الطلبات التي ترسل الى الادب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

Dir : 223819

Dle : 225139

الانابة : ٢٢٣٨١٩

المزل : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الادب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر ادب

ويسرى الحروب دعامة للمجسد والشرف الكبير
والا تبيننا حركة العمل المسرحي وجدنا فيها خطين متوازيين
متكاملين ، احدهما عن الطامح ، وقائما واتجاهها التقدمي ، والاخر عن
المباذل ، وقائما واتجاهها الى الاقتراع ، ثم الانتحار .

ولا الخطين تمتد للآخر ، يوجدنا الاثر العام ، او الهدف في
تصور الشخصية ، بحيث تصبح المشاهد مثل ارضية كاشفة ، فلاش
باله الصراع الفعلي الذي سينتهي بالانتحار ، وبسبب الانتحار عثرة
الحظ في الاقتراع ، والتي قبل بها الامير ، كما يصور ذلك المشهد الذي
بين الامير وغريمه (١) ادولف

ادولف
اخى في مظني كرتان
وفي السوداء الليرة الذي
وان وقعت على البيضاء
فقد يبدأ ، وخد كيرة
(يمد رودولف يده فتشبع على الكيرة يقول :)
في السوداء ما اختارت
يظل الصوت السوانا
ادولف
لعلك مدرك مما
رودولف
اجل ادركت ما يقضي
وكيف احيد عن سنن
شرا بالدم ارتسنت
(ينظر الى ادولف ويقول :)
لبنك قد بلغت منا
اد منى وانلوى الاسم

ان تصوير الشخصيات في المسرحية بالفعل تصوير دقيق ، بحيث
يمكن تتبع ادق التزاوت في طباعهم .. فاني جالب شخصية الامير
رودولف التي حطها شاعرا الكثير من جوانبها بكل دقة وبراعة ، هناك
مثلا رئيس الوزارة (تاني) ، او هناك (انايا) شخصية مباذل الامير التي
تصلي بناظرها ، ثم اخوها ادولف الذي يمثل دجها فروسيا لتقاليد
الشرف ، ثم هناك (ماري) العاشقة الولهانة التي تفر الموت لتظل قرب
عشيقها ، فتنتحر معه وهكذا ..

ان التصوير ظل امينا على الوقائع ، وهو جري ، فيه صدق ،
ومكاشفة وفيه عنف وواقعية ، تدعمه حوادث تشبیه ، كلها الحيوة ،
والحركة المسرحية ، والامتلاء على ذلك كثيرة ، ليس من الصير تقريبا .
وفي الختام ان تكلمي بهذا القدر من دراسة هذا الاثر المسرحي
الشعري الجديد - فاجعة مايرلنغ - لعنان مردم بك ، تحي شاعرنا
الكبير عدنان الذي شق طريقه الى الصلوف الاولى في المسرح
الشعري العربي المعاصر ، ودلل على اصالة ، وابداع ، ونفاق ، والى
اللقاء في نتاج مثيل .

(١) - راجع : - الشخصية والصراع المأساوي - لعنان بسن
ذويل ، دمشق ١٧٢ ، فهو دراسة نفسية في طلائع المسرح الشعري
العربي احمد شوقي ، وعزيز ابيظة ، وعنان مردم بك .

- (٢) - فاجعة مايرلنغ ، نشر عويدات ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٢ .
- (٣) - المصدر السابق الذكر ، ص ٢٤ .
- (٤) - نفس المصدر ، ص ٤٠ .
- (٥) - المصدر السابق الذكر ، ص ٧٢ .
- (٦) - المصدر المذكور ، ص ٨٨ - ٨٩ .

عدنان بن ذويل

دمشق

أنت لولاي رماد

ديوان للشاعرة اللبنانية هدى صليبا - ١٢٦ صفحة
مطبعة الجمهورية الجديدة بيروت

بوجه عام ، وخاصة التي تتصل بماطة الحب ، بكل ما فيها من تشابك وتعقيد يعطي الحياة طابعها المميز . وهكذا نفل الشاعرة مع حبيبها بين كز وفر ، والقبل والدار ، يفلها خفة روحها ، وشفاية فلها . ويحقق هذا الصراع .. أو هذا التنازع الأتلي بين الرجل والمرأة ، التوازن في الديوان ، كما يساعد أيضا على إبراز ذلك التوازن لون آخر أضافته الفنانة برئشتها الساحرة .. هذا اللون هو التناقل بين التوفين اللتين تتنازعان داخل الشاعرة : الكبرياء والحب .

وأود أن أشير إلى ما تتميز به نظرة شاعرنا إلى الإنسان بوجه عام ، والرجل بوجه خاص ، من توازن أحسب أنه سر قوتها ، فهي نظرة تجمع بين الإقبال والمطفعية ، وبين التبعاد والأزوار عنه .. فعيوب الرجال كما تراها ليست خارجة عن أراءهم ، بل هي نقاط ضعف في شخصياتهم تجعل الحب ، ذلك التسييم الرقيق ، يفلت من بين أيديهم .

وهدي إذ تصور مآثباتها ، فهي تعرضي للإنسانية جمعاء ، فتصوير الحياة هو غاية ما تشده . وهي حين تصف المرأة أمام الرجل ، فلكي يرى ملامحه وصورته في نظر حواء ، وكيف تنوي سحنه عندما يتنلى بالفرور ، ويعمي الفبا .

وتحين ترى هدى صليبا في قصائدها التي تتحدث عن أمثال نفسها وخلفت روحها تسلس وتلفظ تارة كالنهر الصافي ، وتارة جيش الكبحر ويتفرج فلها غنا ، وأحيانا أخرى نفوس في الإعمال محيرة للقلراء ، أملاات قلبها الممتلئ بالأسرار الخفية والتناقضات من تشاؤم ونفاؤل ، وبأس ورجاء ، وتقدير للحب وكفر به .. جامعة جوهرها بين رومانسية القرن التاسع عشر ، وشالية الفن الأفريقي ، ووالعية الفن الروماني والقرنوي والخرافات الرمزية من عصر النهضة .. إيقاعات متباينة وأساليب فنية مختلفة ، مما يفسلي على قصائدها سحرا ولفنة ، ويساعف من القيمة الفنية للديوان ، فيها من لوحات فنية ترسم لنا في بساطة معجزة صورة نالمة الألوان الأثارت فينا شتى الأحاسيس من تبع جمال فياض يشفق في أمثال روحها التي تلف وراء العمل الفني .

واسألفنا هنا بعض أجزاء من قصائدها كشهود عدل على ما أقول . فلها حبيبي » فما أروها وهي تقول :

فها هي ذي هدى صليبا تبلغ ذروة الرقة والحنان في قصيدتها « بعض دني عيني »
والفص في أمثالها ،
وبدي على راسك
الحصنة حتى تكفيك ،
أشدك إلى صغري
حتى لا تكسر أنت ..

وبينما نجدها في قصيدة « أنا راحل » تخشى من رحيل حبيبها وتشق على نفسها من الوحدة ، نراها على النقيض في قصيدة « أغرب عن وجهي » تطلب منه الرحيل لتنتقل من القيود ، فلتنسجم إليها وهي تقول :

أغرب عن وجهي ،
لا أريدك فمرا يتطلع إلى .
أحب السير في الليالي ،
فأبلى أبهى منك عندي .
ثم تقول :
أرحل ولا أعد ،
الليل ، دونك ، أعذب ،
ثم تردد :
لا أحب القيود
قيودك من حديد ،
ليس فيها جمال ..

لا أتم القارئ أن عنوان هذا الديوان قد أثار للوهلة الأولى دهشتي وسألي ، فقد فطر لي احتمال أنني أمام شاعرة تفك في كبرياء وقد شمتت بأنفها ، وفقدت ذراعها على صبرها ، نافرة شررا إلى الرجال متعالية عليهم أشد استعلاء .. ولكن قصائدها استحوذت علي وأنا أتهم كلامها .. صفحة إثر صفحة .. واندمجت فيها بكل وجداني وكسري وعقلي .. واستطاعت هذه الفنانة أن تلحق بي في عالمها السحري الذي أشاع في نفسي فيوض الجمال ونفحاته حتى صدمتني الصفحة السادسة والثلاثين بعد المئة التي انتهى إليها الديوان .. فاسلت لهذا . كنت أرجو المزيد فلها لا يشبع منه .. وقد أنبلجت لي الحقيقة بعد قراءة الديوان .. هدى صليبا كما توقعات ذات تعال فلما ، بيد أنه تعال تطا به اليأس ، وكبرياء نلل بها الزمان ، وإذا بي ألق بهوور ، أرب في صمت شاعرنا الوهوية وهي تترنم بقصائدها المعامرة بالأخلاص والمعق .. فيا قلب الفنانة .. وأشجانها وراسرها !

أن هدى في قصائدها لم تهتم بالليود التي تحدد الشكل الأدبي ، وتميز الشعر عن النثر ، فهي تهتم بالتعبير عن رؤاها التي سمعتها نظرتها إلى الحياة وإلى الإنسان ، والشعر شيء أكثر من الوزن والقافية عندما يتحول إلى مشاعر ، ورقة عاطفة ، وروعة تعبير ، نسمع إيقاعاته في نفس قلب شاعرنا وما يدور في أمعاقها .

وعندما تناول ديوان « أنت لولاي رماد » للشاعرة هدى صليبا ، بالتقد ، فن أفاضل بين الشعر الفلني والشعر الحر ، لعدة أسباب منها أنني لا أحب السفسفوق الجمال البيزنطي ، ولأنني أحترم الطريقة الشعرية التي يرتضيها الفنان ويهوي إليها ، ولأنه لا يوجد قانون في اللغة الفلني .. ولكن العمل الفلني هو الذي يبتدع لنا قوانين اللغة ، ولأنني أؤمن بحرية الفنان ، وأن لكل فنان عالا خاصا به ، ولا يمكن أن نأخذ من يظلمه بغير عاله ، فإذا هم لمعله أمكنه التحدث بما يبر عنه ، أما إذا لم يهفم هذا العمل فليس في أمكانه أن يفرض شخصيته كئاد عليه ، ولا فلينتج هو هذا العمل الفلني ! هذا إلى أن أهم ما نلصقه نصب أعيننا في تقييمنا للعمل هو صدقه الفلني ، ومهما تنوعت الأساليب واختلفت ، فالأسلوب يعد مصريا يبرير باقناع وصدق في عقل الإنسان المعاصر وعاطفته . فلنحاسب إذن هدى صليبا ، لا على الشكل الذي كتبت به ديوانها ، بل على ما تشيعه في نفوسنا من صدق وجمال .

إن مؤلفة « أنت لولاي رماد » ذات نفس شاعرة ، نفس حساسة ولدت فيها حقائق الوجود والوجود والظواهر الطبيعية انطباعات عاطفية أثارت مشاعرها ، وحركت خيالها الذي استطاع أن يهدي إلنا هذه الإلفة الجميلة من الإزهار التي نستقيها من انطباعاتنا وأنماطها وأحاسيسها ووجدانها وأوهامها الساحرة .

والحب الذي يطل علينا من ديوانها ، هو حب نبيل ، حب تصبو منه الشاعرة إلى تلويب هومرو ، والتخليق من آلامها وأحزانها ، حب تتخذ وسادة لراسها للثقل بالتعب ، ولبسما لأحزانها . وقد طالعنا هدى صليبا بألفاظ سهلة ، وأسلوب سلس جذاب لا تكلف فيه ولا أغراب وهي تعالج المشاعر الإنسانية فتستوهي الفسول والقلوب . وتتجلى براعة هدى في تصوير النفس البشرية بأسرها ومشاعرها ، وبشعرها وخبرها ، بالتناصب الذي يتناجب في أمعاقها ، والذي تنوه هي ذاتها بين أمواجه المتلاطمة ! وقد صورت المواقف التي تبلغ فيها عواطف المرأة ذروة التوتر والصراع ، وما يعتدل داخلها تصورا دقيقا يتغلغل فيما بين الوعي واللاوعي ، فعمقت من مفز ديوانها وخصوصته ، وربطت بين ما قد عاينه من تجربة فردية صهرتها ، وبين التجربة الإنسانية

وأنا أهوى الجمال
دعني
دعني أختال في الغابات ،
على التلال وفي الوهاد ،
هناك شيدت منزلي ،
فيه كل الجمال :
جدران من الشعر ،
سقف من ريشتي
وأرضه بسمات

حقاً ما أجمل وأبدع تلك الصور والأخيلة التي ترهف الحس ، وتضفي الروح ، وتزجج أفئدتنا أعجاباً بهذا المستوى من الفن للفن الذي يمزج بين روعة الطبيعة والأحلام الوردية في واحة وأرفة يزداد أطمئنانها بهيماً وسكونها إلى رحابها ، فتغني إلى لآلها من وعاء الحياة على طول شواطئها الفني.

وما أرق عتابها لرفيقها عندما عيس في وجهها ، فلنستمتع بكلماتها وهي تقول في قصيدتها « النظام وأنا وفستاني » :

عيس في وجهي ..
رفيقي
ليلة العيد
ولا أدري
الأم يرمي
من هذا المعبوس

ثم تراها تصلي وتبتهل لتعود الإبتسامه إلى ثغر رفيقها وتختتم قصيدتها قائلة :

سأبقى هناك ،
في حدادي ،
واسودادي ،
أسجد ، وأصلي
حتى يطمرني التلج
ولا أقول :
« عيس في وجهي
رفيقي »

ويتناغم أيقاع قصيدتها « عفوا يا دافقة » مع أيقاع القصيدة السابقة عندما تقول في أبداع :

علموا
لنلك الدافقة
التي أخذتها منك
دون استئذان .
عفوا
أسلمي بعضاً من حناك ،
بعضاً من نظراتك ،
بعضاً من زفراتك ،
وأهاتك
وشيتاً من أحلامك ..
هل سمحتني ؟

وفي قصيدة « الأكراد » جاءتنا بمقارفة درامية تستهوننا بأشعارها وجمالها الفني :

الأكراد
أذكر أنني أشعلت ...
أشعلت لك سيجارتك ،
والأكراد أيضاً

أنني أشعلت نفسي ،
بذلك أشعلت شيتين ،
سيجارتك .. ونفسي .
أما الفرق فشاع
بين التاريسن :
ناري هادئة :
تؤدي جيبلاً ،
ونارك معرفة
للتهم كل جيبيل

ثم يستمر الكر والفر والصراع بين الرجل والمرأة ، فهي الوقت الذي طلبت فيه من رفيقها أن يقرب عن وجهها ، يعود الرجل فهي قصيدة « الفباء وراء الرجال » ليقول لها :

أغربي عن وجهي
فثورك لا أريده
أحب الفلام
الذي أحياه بجوارحي
وحدة لا تنفصم .
وجئت أنت .
لنتشيليني من سعادتي ،
وظلامي الذي هو نوري .
وفي نهاية القصيدة ينصحها قائلاً :
يا فتاتي ، لك نصيحة .. وهي :
« أياك أن تنصحي رجلاً » .
ولم ألبس بيئت شفة »

مجلة البيان

مجلة فكرية شهيرة تصدرها

رابطة الأدباء في الكويت

وتحررها الاقلام العربية الاصيله

للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص.ب. ٣٤٠٤٣ - المديله

الكويت

« البيان » ... توزع في معظم الاطوار العربية

بـل نظرت اليه ..
ودعمت عيني

وكم نكره هدى ان يكون حبيبا مبنيا على الخداع ، وان يـكون
حبيبها تتحكم فيه الايدي ماطلا من العزم والحزم ، فتثور حينئذ كما في
قصيدها « كذبت يا هذا » ، وينتفض الفلم في يدها وهي تقول :

حبي كان مبنيا على الخداع .

انك تمنى ان تكون

رجل عزم وحزم ،

لكن

كل هذا تمن

وانا لا احب

على خداع السراب

مسكين الرجل ،

دائما ضعيف

انه سراب ، وهم ..

ظل اسطوري

للرجل

وتحذر هدى الرجل ذا النظرات الزالفة الى كل امرأة ، وتكتطف

من قصيدها « حذار يا رجل » ما يلي :

انا كالشذى العطر

كالياسمين ، كالبوسن ،

لا للمسني ،

ابتعد عن طريقي

حتى لا تختنق من اريجتي

ارفك ليست بارضي ،

وعالمك غير عالمي .

انا اثر الراحين في الاجواء ،

اهدئ النفوس ..

فيسري الدفء في القلوب ،

وانت تزرع الاشواق في الارض ،

لنمي العيون

وتعذب النفوس

هذا انا ،

فعد من حيث انتيت ..

ولا تقسل :

« القاك غدا »

وتقابلنا الرومانسية الحالة في قصيدة « انت لولاي رعاد » وفيها

تقول :

احبك

وانت بعد سراب

هذا صحيح ،

اوجدتك انا

من سرابي الضائع ،

وحلمي العبد

لم تقول :

سلام ونور ،

فناء وخذود ،

وجود في الوجود .

انت لولاي رعاد .

انا صنعتك

من دنياي ،

من خيالي

من احلامي .

بنيت لك حبرابا

من ابعاد نظرائي

اوجبت لك يثوبا

معطسا من حناني ،

ودنيا فسيحة الازياء ..

ترتاح عليها من اضلي .

ويبدو انها تتسامل .. فيم كل هذا الغناء ؟ السنا نستطيع ان

نحيا بالخيال ما تنطق اليه رغباتنا ؟ اليس السعادة والشقاء معان

ذهنية اكثر منها حقائق واقعية ؟ ام ترى قد كتب على البشر الا نطمح

بهم حال حتى ولو كان من نسج الخيال ؟!

وفي مواقع اخرى من الديوان ترى روحها بعد ان تعالت وتسامت

الى الافاق ، ترد حزينه نائرة الى الاعماق ، ومن الاعماق يرتفع التلهم ،

والكفر بالحب والحنان ، فتقول في قصيدة « دعوني » :

دعوني ،

ابتعدوا عني

اتركوني

ان حيكم

يؤلمني

حنانكم

يوجعني

نظراتكم

تجرحني

دعوني ،

لا تجيوني ،

وننتهي قصيدها قائلة :

لان حيكم ، هذا

الذي تقسمون ،

خرافات

لا اشراف بها ،

واربعها بعيدا ،

واخفها في مهبها ،

واطعها في صميمها

وعندما يؤرقها العالم المتحرف تثور على الاخلاص ، وتلوذ بحسب

ذاتها في قصيدة « .. فاحب ذاتي » .. انها ماسة حساسية اخلاقية

لمثالية في عالم مليء بالثر ، ماسة هذه المثالية عندما تواجه الحياة

فيتحطم عالمها البريء ..

هذا هو حبي

حبي الكبير

الذي لا يسهه العالم ،

العالم المتحرف

لا تلوموني بعد الان .

لا تسألوني من احب ،

فقد عرفت السبيل

لن اضحي بعد الان ،

لن اخلص .

انا لا اهواه ،

انه رجل ناقص ،

ناقص الانسانية .

هذا الرجل لا يهر .

الى ان تقول :

انا من غير هذا المالم

عالمى غير موجود
كلهم لا يعرفونه ..
طلبا لا ليمرونة .
انه عالم جميل ،
طبيعى كله .
سوف احيا فيه وحدي
واهو
نعم .. ساهواء ،
فهناك اراح ..
واحسب ذاتى .

واحيانا اخرى تجعل هدى السبل تختلط علينا ، مخيرة ايانا بوهي
تثير تفكيرنا ونسألاتنا عن نظرتها للانسان كما في قصيدتها « اصنام
.. ولا انسان » التي ما ان قرأتها حتى تذكرت خرافة فاوست ، للشاعر
الالمانى جيته ، التي تلخص كل آلامه وقلقه في بحثه عن الحقيقة .
وهدى صليبا بدورها تحاول ان تكشف مكون هذا الانسان الذي وجد
على كوكب الارض منذ آلاف السنين ، فراحات تتجول وتقلب في الارض
فوجدتها ملائ بالاصنام . واسترعى انتباهها صنم ارتأيت في امره ،
وخالته ذاك الذي قرأت عنه . التريت منه تلمسه فجرت بدهاش
فقلت :

« يتقصه صقل »
ولم اتصلف ..
حيا باكتشاف حقيقة
تأثر بالخالص .
شلحت عليه
وشاحا احبه ،

واذا بالصنم يحكم عليها بالاصنام بينما اترابه يهتفون :

« الاصنام » .
قلت : لمن ،
قال : لك انت ،
اولا تفهمين ؟
البلاءه في عينيك ،
والخداع في شرايينك
وانت تلتقنين الى الشعود

فصغقت شاعرنا للادع كلامه ، فقالت له مستفسرة :

« ما وراء ذلك ؟ »
فقال :
« لا شيء » الاعدام » .
قلت :
ساساسحك ،
فانت لا تدري ما تقول .
بعد آلاف السنين
ستهتدي ،
عندما ان يجديك الندم
وعدت الى عالمي ..
وفي يدي حجة
تكذب ما قيل ..
وتثبت وجود اصنام
تسمو بذلك الانسان .
خلعت ذلك الوشاح ..
ودفنته معي في دنياي .

وهذا يزيد ديوانها ثراء ، فالكاتب الفرنسي الكبير اندريه جيد

يقول ان العمل الفني الذي يستمتع به هو الذي يحتاج الى تفكير ،
ويعاود قراءته عدة مرات . واخل هدى عندما لجأت الى الرمزية هنا
ترمي الى الايعاء بدلا من الافصاح ، والتلميح بدلا من العرض ، وكأني
بها تقول لنا ان الانسان لو تملك اسرار الفيب ونفذ الى كل معنى
خفي ، واحاط علما بكل شيء وكان يغير حب لما كان شيئا .

وفي قصيدتها « انا ودائتي » احسب انها تتخذ من حب دائتي
ليانيس في القرون الوسطى وسيلة لتجسيد مفهومها الخاص للحب
الذي وصل اليه الشاعر الايطالي وهو سمي وراء الكمال بالارتفاع بجمال
الاجسام الى جمال الخشاع الى جمال الافكار حتى يبلغ المعرفة المطلقة
التي هي ادراك الجمال المطلق ، يقوده جمال بيانيس التي ترفقت به
فاستنته من وسط الغابة الظلمة ، غابة الضلال التي تعثر بها خطاه .
وشاعرنا تبدو لي مؤلفة موسيقية ايضا تستخدم الهوموفونية فسي
نسيجها الموسيقي ، اي تستعين بنغمات مصاحبة كخلقية للحنها
الاساسي ، واراها تحرص على ان يكون ايقاع هذه النغمات مطابقا لايقاع
الحن .. وهكذا استعارت تجربتها هذا الحب الاسطوري محاولة ان
تضم نسيجها الى نسيج مفهومها لتقويه وتنعطي ابعادا له ، ونجحت
بهذه المحاولة في تكثيف مشارعاها . ومما جاء في القصيدة قولها على
لسان فتاة فلورنسا :

- دائتي ..

لا تكمل ،

انا جئت اليك

لاسي شعرت شعورك ،

ولقد كشفت لي

عن فرأحك

روح فتش عن روحها .

جسد في لهقة الى جسده

فيجيبها دائتي قائلا :

- الهنسي

Archivebeta.Sakhrit.com

وانت الحياة ،

بيانيس

ثم نراها تلف شامخة في امتزاز ظا الياسي بقصديها بعد ان بات
مسفوحا على باب فجر باسم ترنو اليه ، وتلمس ذلك متدما تقول في
قصيدتها « بين امسي وفدي » :

امسي

رحلت مني

ولا اريد ان تعود الي .

فلاهب ،

اني غير آسفة عليك .

فلقد بكت ميناي ،

وسالت دموعي

مرارا كثيرة ،

مرة منك ، واخرى عليك .

فندي ،

كلمة جديدة علي ،

اخاف منها ، واخاف عليك .

ماذا تخبرني لي ؟

لا اريد ايدا مما اعتدت عليه ،

بل اريدك بسمه

تسوق شلتاني اليها ،

التعبيري ، الذي يجعل للتعبير وتنسيقه أهمية كبرى في الفن بل الذي يجعل على أساس العمل الفني هو هذا التنسيق التعبيري » .

ويقول الدكتور زكي المهندس ، في افتتاحية حفلة التأيين الجمعية (٢) :

« اما اسلوب الزيات في افتتاحيات الرسالة فليس منا من ينسأه ، كان هذا الاسلوب يمتاز بالرشاقة والاناقة والإيقاع الموسيقي المتزن مما يأخذ بالإنابة ، هذا الاسلوب الفني الرصين قد افتقده الأدباء بعد وفاة المنفلوطي ، وكان عليهم ان ينتظروا عشر سنوات كاملة حتى ظهرت الرسالة ، وكتب الزيات ، فاذا اسلوب الزيات اكثر ابداعا واكثر أناقة ورسالة من اسلوب المنفلوطي » .

واذن فقد اتفق الاستاذان على ان الزيات كان امتدادا للمنفلوطي ، ولكنه امتداد مزهر اذ لقف اللاحق من الثقافة ودرس من الوان المعرفة اكثر مما درس السابق فانفسح ذلك في ادبه القوي ونبره الاخذ ، والحق ان المنفلوطي كان قائد مدرسة عملت على الخلاص من المعجمة واهتدت الى صفاء الصقل ونور الدباجة وقد اشرفت على العالم العربي اشرافا اخاذا ، فأخذ النثر على يد المنفلوطي يحل محل الشعر في روعة التأثير وقوة الإحساس وصفاء الرونق، وكان محمد الموليحي معاصرا للمنفلوطي ولكنه مال الى المحسنات بقدر لا يغفل جمال الصورة وصدق العاطفة ، وقرأ الزيات المنفلوطي والموليحي معا ! فأخذ من كل محاسنه ، وزاد عليها ما أوحى به التيار الوافد من تنوع الثقافة وبعد النظرة وعمق الفضا ، فكان مثله مع المنفلوطي مثل أبيسي حيان التوحيدي مع الجاحظ ، فاذا خلبك الثاني بروقه وتدفقه وفكاهته بهرك الاول بدقته وعمقه ونفاذه مسح اشتراكهما في صفاء الدباجة وجمال الصقل ، وقد انتقد الزيات ادب المنفلوطي ، اذ قال عنه بعد ان انصفه بكثير من الشناء (٣) :

« وسر الذوبع في ادب المنفلوطي ظهوره على فترة من الادب اللباب ، ومفاجاته الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الالم ويمثل الميوب ، في اسلوب طلي ، وسيافق مطرد ولقط مختار ، اما صفة الخلود فيه فيمنع من تحقها امران ، ضعف الاداة وضيق الثقافة ، اما ضعف الاداة فلان المنفلوطي لم يكن عالما بلغته ولا بصيرا بأدبها واما ضيق الثقافة فلانه لم يتوفر على تحصيل علوم الشرق ، ولم يتصل اتصالا مباشرا بعلوم الغرب ، لذلك تلمع في تفكيره السطحية والسذاجة والاحالة » .

ونحن نوافق الزيات على ان المنفلوطي قد يؤتى ادبه من ناحية ضيق الثقافة ، اما ان يكون ضعيف الاداة فهذا ما ينكره الواقع اذ انك تقرأ المنفلوطي فتجد من دلائل العلم باللغة والبصر بأدبها ما لا يجحد ! ولعل الزيات كان يريد

(●) من كتاب من الزيات تحت الطبع .



الدكتور محمد رجب البيومي

اسلوب الزيات كما يراه الناقدون

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

نشأت على اجلال ادب الزيات واكباره ، اذ كنت في صباي أتلطف على افتتاحيات رسائله واترقبها بعين المتوق المتطلع ، واجد لها في نفسي روعة الشعر ، وحلاوة الفناء ، وبهجة الروض ، ثم لا يزال يصحبني هذا الشعور بعد ان تقدمت السن ، واتسعت ميادين الاطلاع ، لذلك وجدت من العسير ان انفرد بالحديث عن خصائص اسلوبه البياتي ما دعمت اضعه من الاكبار في موضع يطمئن الى الرضا والحب ، واذا تعدد الخلو من الهوى لذي فلعل من الاحزم ان احدث عن اسلوب الزيات كما يراه اساذفة النقد من معاصريه ، فقد يكون الحكم لديهم بعيدا عن مطارح الهوى ومنزاع العاطفة اذن ان الحديث عن اسلوب الزيات ضرورة ملزمة لمن يتعرض للحديث عن آرائه البلاغية لان اسلوبه هو التطبيق العملي لرايه ، والمثال الحي لا يضع من قاعدة ومن حسن الحظ ان من كتبوا عن اسلوب الزيات كثيرون نعد منهم ولا نعدمهم ، وفي آرائهم الصريحة ما يهدي الى الحق من اقرب طريق .

يقول الناقد الكبير الاستاذ سيد قطب رحمه الله (١): « والاستاذ الزيات اولي الكتاب المعاصرين بالدفاع عن البلاغة ، فهو صاحب مذهب التنسيق التعبيري ، ذلك المذهب المتفرع عن المنفلوطي صاحب مذهب الابتذاع

من الرجل ان يكون عالما تحريرا منتظسا ، وهذا ما لا يلزم ادبيا ينتفس عن خواطره بأروع الايات وأرق الاساليب واما ضيق الثقافة فعيب نسبي يكاد يوصف به كل فرد بالقياس الى سواء ، وهو في المنفوطي اوضح منه فيمن عداها

فاذا اردنا تحديدا لخصائص اسلوب الزيات فاننا نجد الناقد الكبير الاستاذ محمود العقاد يقول عنه (٤) :

« اسلوب الزيات اتقان واستحياء وسلامة ، اتقان صيغة في غير ظهور ولا ادعاء يوشك من يتبينه ان يلحسه ليعرف موضع الجودة فيه ، كما يلحس المسموم النسيج المتين الذي وعى المتانة سرا من اسرار منواله ، وخلا من الزخرف والبريق لان اتقان تلك الصيغة كاتقان هذا النسيج في حقيقتها وليس على مرآها ، وعلى صفحة مجيها دون سواها .

واستحياء يخفي مزايها ولا يفوته شيء بان يخفيها لانها اثبتت من ان يحجبها الخفاء ، وسلامة تطوع العصى وتملك الزمام في الوعر والسهل على السواء ، فان ما تصف من الم نفساني يلبس مراق الحشا ويبدى الضعف الانساني باقصى ما يطبق للكاذبي تصصف من الم يباشر الفكر قبل ان يباشر اللحم والدم . وبحسب من قضايا الراي كما يحسب من قضايا النواد .

اتقان واستحياء في المعنى لا في اللفظ وحده وفي موضوع الكتابة لا في بنيانها وتركيبها وكفى ، وعلى السيماء وفي الطولية سواء .
وكلام العقاد دقيق دقيق يحتاج الى شئ يكشف خفاياه ويظهر طواياه ! فقد حكم على الفكرة والصورة والتعبير حكما حاسم الراي .

فالتعبير في اسلوب الزيات صنعة متقنة جيدة كالنسيج المتين القوي ، وهو على اتقانه يلبس سلاسة تطوع العصى وتملك الزمام في الوعر والسهل على السواء . والصورة ذات تأثير نفسي اذ تلهب الاحشاء وتبدى الضعف الانساني باقصى ما يطبق للانسان ، وصاحبها لا يحتفل باظهار جمالها ولكن جمالها الطبيعي يظهر دون خفاء لانه اقوى من ان يستتر بحجاب .

والفكرة متقنة قوية اذ تعمل في العقل قبل ان تباشر الدم واللحم وتحسب من قضايا الراي كما تحسب من قضايا النواد .

هذا تفسير قول العقاد كما نراه ، وان احتمل من الاشارات ما يفهمها القارئ بايحائه دون ان يجتليته من منطوقه ، فاذا تركناه الى الدكتور بشر فارس فاننا نجده يقول (٥) :

« في فصول هذا الكتاب - يرد الجزء الاول من وحى الرسالة - تصيب المنحى الحسن ، والتنسيق المطرد ثم اللفظ التحيز ، والسبك المحكم الى جانب التبصر واسلوب الاستاذ الزيات الترسل في بسط العبارة والترقي في تدوين

الفكرة ويهدد هذا الاسلوب في الغالب سرد اللفظ وتكلف الاداء ، وقد نجا اسلوب هذا الكاتب من هذين الخطرين بفضل سليقة صاحبه السليمة ، وترسعه خطى البلاء من كتاب العرب الجاعلين للديباجة المكان الاول ، ومما ينشأ عن هذا الاسلوب الانطاب القبول ، وان قال الاستاذ في فاتحة كتابه ان اليجاز صفته ، الا اذا عني بالانطاب ساقط الكلام ، وفصول القول بتطويل وحشو لغير فائدة » .

وواضح ان الدكتور بشر قد حكم لاسلوب الزيات بحسن المنحى وتنسيق الاطراد وتخير اللفظ ، واحكام السبك ، وهي صفات لا تسمى الفكرة ثم اكد ذلك حين قال : واسلوب الزيات الترسل في بسط العبارة ، والترسق في تدوين الفكرة . وفي راى ان الدكتور قد بالغ في حكمه لان نصيب الفكرة عند الزيات مكن متحقق . وقد رزق من حلوة التعبير ما خدع بعض التسمرين عن قوة المعنى مع ان اسلوبه يؤثر في العقل تأثيره في الوجدان ، ولعل الاستاذ مصطفى الصباحي كان اقرب الى الصواب من الدكتور بشر فارس حين قال (٦) :

« وللاستاذ الزيات اسلوب يتميز به على كثير من كتاب العصر ، وسياقة لتجدها لكاتب من اهل هذا العصر وتفتقلاها من لدن ازدهرت اللغة وعمت آدابها في العصر العباسي حتى الان فلا تجد الا لفحات مبشرة في تاريخ ادبها لا صلة بينها وبين بعضها ، فذلك كاتب وقعت له عبارة جزلة ، وهذا خطيب اتفق له معنى فحل ، وغير هذين جمعت له بعض الوان من فنون العبارة او بلاغة المعاني ولكن قلما وقعت على كاتب وفق في الغائيتين فامتلك ناحية العبارة وبرزوا في خلق المعاني تلك هي الغاية التي عندها آداب الكتاب وتقف دونها ملكات الميرزين من ارباب الاقلام » .

فهذا كلام صادق ينير عن قيمة المعنى في اسلوب الزيات ، وكلا نطيل التحليل في غير مطال فاننا نقول ان الناقدين يجمعون على دسامة اسلوب الزيات بالقياس الى اسلوب استاذ المنفوطي ! واشهد ما اني المنفوطي ابدا من ناحية اللفظ فله نصاعته وسلاسته ورثته ، ولكن الزيات قد رجحه من ناحية المعنى فشاركه جماله وزاد عليه بقوة معناه وسنة ثقافته مما يمنع ان نجعله رجل تنميق وسبك ورصف وصقال .

على ان الدكتور اسماعيل احمد ادهم قد كان من اصدق الذين تحدثوا عن ادب الزيات حيث لخص خصائصه الاسلوبية في ايجاز محكم بهيظ به ان نختصره بالتلخيص ، فلندكره بنصه كما جاء .

يقول الدكتور اسماعيل احمد ادهم (٧) :

(١) كتب وشخصيات ص ٢٧٢ ط بيروت (٢) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٤ ص ٢١١ (٣) وفي الرسالة ج ١ ص ٢٩٩ الطبعة الثامنة . (٤) وفي الرسالة ج ١ ص ٢٩١ الطبعة الثامنة . (٥) وفي الرسالة ج ١ الطبعة الثامنة ص ٨٩ . (٦) وفي الرسالة ج ١ الطبعة الثامنة ص ٨٠ .

« والزيات أديب قنات يحسن إبراز الحياة التي في الأشياء بالفكرة التي تنطوي عليها وبالمعاطفة التي تحملها في طياتها ، وبالخيال الذي تحتوي عليه ، ومن هنا تجد التنوع في جمال كتابة الزيات التي تتوازن فيها الفكرة مع المعاطفة مع الخيال والتي تتناسب كلها مع صناعة فنية بارعة تفرغ كل هذه الأشياء في صورة أدبية ، وقالب فني محكم ، والحق أن الزيات هو الأدبي العربي الوحيد بين كتاب العربية اليوم ، الذي تخمرت في ذهنه مدلولات اللفاظ فعرف دقائقها ، وأدرك الأسرار العربية المحيطة بها ، ومن هنا تراه يلبس فكرته وإحساسه وخياله اللفظية الخاصة بها التي تعطي لونها من لغة الكلام .

والزيات قد خلف في مدرسة البيان العربي المرحوم الرافعي وهما على ما بينهما من اختلاف في الطبع ، وتباين في المزاج وتفاوت في الثقافة إلا أن قوة الفن وحركة الذهن تجمعهما ، وإن كان ذهن الزيات يختلف عن ذهن صاحبه من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل الناس ، فمعانيه مفهومه وهي ذات أصل دقيق من الفكر ، وقكر الزيات ملتقى العقلين العربي والغربي ، العربي في جلالته وروعته والغربي في عظمته وترتيبه ودقته » .

يخيل إلي أن الدكتور أدهم قد وضع الزيات موضع الصحيح دون محاباة أو مبالغة فالزيات أديب قنات يحسن إبراز الحياة في الأشياء في الفكرة والمعاطفة والخيال مع صناعة فنية بارعة تفرغ كل هذه الأشياء في صورة أدبية وقالب محكم ، والزيات يعرف سر اللفظ فيختاره في مكانه حاملا معناه وموسيقاه وإبعاده ، والزيات خلف الرافعي مع فرق ما بين الرجلين ، فمعاني الزيات مفهومة متصلة بخواطر الناس وملتقى الفكرين العربي والغربي ، أما الرافعي فيجتمع مع الزيات في قوة الفن وحركة الذهن وبخالفه في صفاء بعض معانيه وانقطاع تفكيره عن الكثيرين حين يعمق ويتداخل ، هكذا حكم أدهم ، ويخيل إلي أن الرافعي قد ظلم بعض الشيء فمعانيه لا تنقطع عن كل الناس بل عن عامة الناس لأنه يلجأ في كل معنى إلى تفلسف ينتزعه من تصور الخاص دون أن يصطاده من المؤلفات ، ومعاطفة الرافعي في الوجدانيات أقوى من عاطفة الزيات لأن عكوفه على نفسه وأخفاقه في حبه ، وشعوره بتأزله قد ولد عنه من الصور ، وأوجد المواقف ما جعل نفسه تجس وتلو مزبدة حاجة حتى إذا حاول أن يصور هياجا متلاطم استعان بفكره في تحليل ذهني بصدق كثيرا ، وبخفق قليلا حين يكون استطراد منطق ، وإيغال توهم وكان الزيات رحمه الله بكبر الرافعي ويجعله أمام البيان في عصره مع ما أخذ سجلها عليه في حيدة نزهة وإنصاف حبيب ، وربما تعرضنا لها بالتحليل فيما بعد ، وقد قال صادق عنه (أ) :

« أسلوب الرافعي يمتاز بالسلامة والسلاسة والأجزاء العميق ، وهذه الزايات تتألق حتمية لاكتمال عدته ، وغزارة مادته ، وصفاء ذوقه ، وذكاء فهمه ، وأشد ما يروعك منه

قوة الفن وحركة الذهن فاما قوة الفن فهي الاستاذية التي تخلق المادة أو تصنع القالب وتضع اللفظ وتحدد الرسوم وتوضح الفروق ، وتنصرف بمغردات اللغة تنصرف المصور البارع بألوان الطيف ، وتخيّل اليك أن الصناعة طبع ، وإن المعاناة سليقة ، وأما حركة الذهن فهي حركة الفؤاد الدائب لا يقف عند السطح ولا يستقر عند القاع ، وإنما يضرب يديه القويتين في أغوار البحر وقد انتقل عن شواغل الناس بالعين والأذن ، على أنها حركة الروية لا حركة العبقرية فمعانيه تقطر ولا تفيض ولكنها على طول الرشح واعتصار القرحة تصبح سيلاً طامى الجوانب صافي الموارد» وقد يكون من الاستطراد غير البعيد ، إن نذكر أن مدرسة الجبال التيميري في أرقى نماذجها قد سمحت بالمنطوي والرافعي والزيات ، وهؤلاء جميعا قد شملهم هذا الحديث إلا أن الحق الأدبي يقتضي أن نذكر رابعهم هو الأستاذ عبد العزيز البشري فقد شاركهم قوة الأسر ونصاعة الدباجة وامتاز بروح الفكاهة وخفة الصورة وطلاقة الحركة ، وأذكر أني كتبت فصلا عن أدب الرافعي موارنا بزملائه قلت فيه (٩) :

« كان المنطوي والرافعي والبشري والزيات من مدرسة واحدة تتجه وجهة البيان المشرق ، وقد مضى كل واحد من تلاميذ هذه المدرسة إلى حيث يؤهله استعداداه ومنحاه ، فالمنطوي يؤثر السهولة والانسياب لذلك تجد بيانه عذبا سهلا ينحدر أنحدار الماء في مجراه دون كدرة أو غشاء ، أما البشري فقد برع في التصوير الظاهر لمعالم الصورة الروية ، والباطن لخواطر النفس المستكنة مع فكاهة ظاهرة وخفة روح لا يضللان من رصانة الأسلوب وقوة أسره ، وقد أودع الزيات بالتنسيق اللفظي والتصوير الخيالي دون أن يغفل جانب المعنى بياحه آية من الآيات في حلالة نسقه وصفاء مورده وجودة تقسيمه وصحة منطقته ، فإذا تركنا هؤلاء إلى الرافعي فإنا نجد أعمقهم فكرا وأبعدهم غوصا وأتاهم مثالا حيث تتوالى معانيه في قوة ودقته ، وتترادف أختلته في براعة وقدرة » .

ولعلنا بعد هذا التطواف السريع قد عرفنا قبعة المعنى لدى الزيات لتدفع به هراء قوم يظنون صاحب القلم البلغ راصف الفاظ ، وهو قصور لديهم عز عندهم أن يبتروا به فذهبوا يطاولون صاحب الأداة المكينه بالراء والسفه والتجني فكشعوا عن اسفافهم بما يافتكون ، وفي كلمة الأستاذ الدكتور مهدي علام الجمعية ما يدل على مذهب الزيات الأدبي إذ آثر الدكتور مهدي أن يقتبس من كتاب دفاع عن البلاغة ما يرسم نهج صاحبه الفني ، وقد حدد الزيات قضية اللفظ والمعنى في دفاعه تحديدا كاشفا سنتمرض له بعد حين حيث انتهى المؤلف البلغي إلى « أن الكلام كائن حي ، روحه المعنى

(٧) وفي الرسالة ج ١ ص ٥٥٠ . (٨) وفي الرسالة ج ١ ص ٢٩
الطبعة الثانية . (٩) مجلة المنهل مجلد سنة ١٣٩٢ هـ (الجزء التاسع - رمضان) . (١٠) دفاع عن البلاغة ص ٧٤ الطبعة الثانية .
(١١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٤ ص ٢٢١ .

ابكيتني في يوم مبهري

ابكيتني في يوم ميلادي
وترينني امضي بانشادي
اذ كنت فيه الرائع الفادي
من بعد ما اخلت ميعادي

وشمخت ، لم اعثر باحقاد
فنعمت في سجن واصفادي
فسي الحب ورادي وروادي
يا طيف حي ، عين حسادي

اني اظلت عليك تسرادي
فصنعت منك ندي امجادي
لسماحه ترنيمة الحسادي
وانا الربيع العطر النسادي
وانا سناء الكوكب الهادي
وخلعت فوق يدك ابرادي

بالمدر قلب الواله الصادي
ولما شكنا ، في يوم ميلادي

فوزي عطوي

يا ضاحكا من عمري الصادي
انمر ذكرى لست تذكرها
يا طيف حب كان متلججا
اي اعتذار منك اقبله

كتمت اشواقني ، فما رخصت
صفدت في سجن الهوى حلمي
وجدت عاطفتي ، فما كثرت
ان ظن بي عجز ، فلا هنت

ذنبي ، ولست اليوم اجهله
ما كان لي مجد اسامره
اجبتك الحب الذي خشعت
ناجيت نيسانا ، فاتكرني
وانا غناء الطائر الشادي
رفرفت في شفتيك اغنيتني

ان كنت اعلم ، كيف يسمح لي
لو كنت قد هنته لشكنا

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الفارك ، وجواز القلوب ، والكباحة (يقصد الفرملة)
واحلاس القهوة ، والى جانب ذلك نجده يستخدم الفاظ
المكرون ، والتلكوب ، والكابين ، والكابينو ، والكشك
والكورنش ثم يقول استاذنا الدكتور مهدي علام تعقيباً على
ذلك : « وليس لدي ما افسر به هذه الظاهرة الا ما كتبه
الفقيه ، ونادى به في المجمع من تقريب العامية من العربية »
والحق ان لكل لفظ ابعاء ، والزبات مهندس دقيق ،
وله حس مرهف يجد به اللفظ العامي في مناسبة ما اولى
من الفصح ، اذ يكون له من الانسجام مع السياق ما بعد
به اللفظ الاصيل كالغريب ! وقد كان الاستاذ البشري مع
رصانته البليانة ممن يذهبون هذا المذهب على اتساع ،
فاذا تشدد الراعي فقد وقف الزيات في الوسط .

هذا مجمل القول في اسلوب الزيات اما تفصيله فله
مجاله الفسيح .

كلية اللغة العربية - الرياض محمد رجب البيومي

وجسمه اللفظ ، فاذا طلب بينهما اصبح الروح نفسا لا
يتمثل ، والجسم جمادا لا يحس » (١٠) .

غير ان استاذنا الدكتور محمد مهدي علام قد وقف
عند امر لحظه دون ان يهتدي الى تبريره فقال في رفق
ريق (١١) :

« ذلك ان هذا العبقري الحفي باللغة ، الذي يبلغ
الذروة في اسلوبه ، وبستوي معتدلا في تصرفاته ، بطرف
في اختيار الفاظه في اتجاهين متضادين ، فيبلغ به التناقض
مبلغ ارفع الاساليب في انتقاء اللفظ المتخصص للمعنى
الذي يريد ، ولو كان غريبا على قراء عصره ، حتى انه
كان يضطر احيانا لشرحه في حواشي الصفحات ثم هو في
الوقت نفسه ، تشع به سماحته فيستعمل عددا وفيرا من
الالفاظ العامية والدخيلة التي تجري على اللسان في
الحديث العادي ، وحيانا يفصلها بين قوسين وحيانا
اخرى يخلي بينها وبين جواهر الفاظه فهو يتكلم عن الزوجة

يسرود

مسقط راس الشاعر

بلغا « الوادي » تحياتي النصيره
واحملا « للنهر » اشواقي الكثيره
واذكراني لحمامات « الجزيره »
طل هجراني وايمامي قصيره
ودجا ليلي وعيني لا بصيره
فمتى تقشع يا فجر الظلاما
ومتى تحمل للماني سلاما

واحيني لحماقات الطفوله
لفتاة كندی الليل خجوله
علمتني في الهوى شعر البطوله
لم تخف في عذولا او عذوله
لم تخن عهدي ولم ينقض اصوله
يا فتاتي لن اسميك احتشاما
فاقبلي مني على البعد السلاما

ايها الخافق في جنبي دعرا
قر عينا ، ان بعد السر يسرا
قد قضينا العمر تشريدا وفهرا
وزرعنا السعي ربحانا وزهرا
فنما شوكا وللمناه جمرا
ان في حاشية الافق غماما
ربما سح رجاء وسلاما

يا صبايا الحبي هل تذكرن طفلا
لزم العيش زمانا ثم اجلى
انا ذاك الطفصل لكن صرت كهلا
ضيعتني غربتي اصلا وفصلا
لم اصب مجدا ولا اسعدت اهلا
فترققن بدمعائي اليتامي
وسلاما جنة الدنيا ، سلاما

شطت النار ، فيا قلب الاما
ترسل الشكوى حزينا مستهاما
امن الحكمة ان تذوي هياما
وترد النور في عيني ظلاما
وتساقيني ندى الفجر ضراما
ان تصنع للشوق لجاما
وتحيل النار بردا وسلاما

تذكر الاهل فتبكيهم دماء
وتناجيهم صباحا ومساء
يا اهيل الود عشنا غرباء
وسنقضي في البراري شهداء
فاذكرونا تنعشوا فينا الرجاء
ان بين الحر والحر ذماما
فلماذا لا تردون السلاما

وطني الاصغر يا بنت العروبه
قريه في مطلع الشمس لعبه
من شذاها غرف الفجر طوبه
كلما ابدى لها الدهر نبويه
قابلته بالاهازيح الطروبه
فاستحالت ظلمة الوجه ابتساما
وغدت تكشيرة الثاب سلاما

يا ربي يرود يا بنت الخلود
بسمة انت على نقر الوجود
نفمة نشوى على اوتار عودي
كل ما في الكون من حسن وجود
هو شيء من ترابات جسدودي
يا عبير الورد يا نفث الخزامي
بلغا فردوس احلامي السلاما

بأسباب الإلهام في كتاب أصدره عام ١٩٦٨ كان منه لقطة وفاء لهذا العالم الأديب الفرد.



وديع فلسطين

حزيت مستطرد عن مصطفى الشهابي

بقلم وديع فلسطين

كنت في عام ١٩٤٨ أحرر جريدة «المقطم» خلفاً لاستاذي الكبير خليل ثابت باشا، وكان من جملة مسؤولياتي اليومية كتابة مقالات الصدر، وفيها تعليقات ضافية على ما هو جارٍ في الدنيا من أحداث. واذ كنت عاكفاً على عملي في الطابق الثاني من دار الجريدة، رن الهاتف، وكان المتحدث صاحب الجريدة الدكتور فارس نمر باشا، وكان مكتبه يلي مكنتي في الطابق الأول. فاعتذر لي بأن صحته اليوم (وكان في التسعين من عمره) لا تسمح له بصعود الدرج إلى كما كان يفعل في الأسابيع والأشهر الفائتة بدعوى أن وقتي الثمين من وقته! ورجاني أن أهبط إليه لمقابلة ضيف. ولما هرعت إلى غرفة نمر باشا، قدمني إلى زميله الأمير مصطفى الشهابي عضو مجمع اللغة العربية قائلاً أن الأمير قرأ فصولك اليومية في الجريدة منذ وصوله إلى القاهرة لحضور دورة المجمع، وأنه رغب في مقابلتك لتنهئتك عليها. ولاحظت في عيني الأمير الشهابي أمارات الدهشة، التي سرعان ما فسرها قائلاً: لقد حسبته شيخاً في الثمانين، وإذا أنت شاب في الخامسة والعشرين. فقلت له: أنني مدين بالفضل لاساتذتي الدكتور نمر وثابت باشا والدكتور فؤاد صروف. فقال بسعدني كثيراً أن ألقاك، ودعني أهتلك على كتاباتك التي لولا تذييلها باسمك الموهورة به لحسبتها من قلم خليل ثابت باشا.

وشكرت له هذه الجملة وذلك التشجيع، وعدت إلى عملي والذهشة تتقد لساني. فمن أنا حتى يهتم بسي هذا العالم الكبير الذي أعرف أنه عضو في مجعنين، وكان وزيراً غير مرة، وله معجم في النبات يحمل اسمه؟ وهل تراني خبيت أمله أو أنه كان في تشجيعه صادقاً غير مجامل ولكنني تذكرت ما أثر عن أخلاق العلماء الأفاضل من تواضع وحذب على الناس، وقلت: لا ريب في أن الأمير الشهابي عالم أصيل.

وبعد ذلك بعامين، قرأت في الصحف أن الأمير الشهابي اختير سفيراً لسورية في مصر، فكتبتني «المقطم» كلمة رحبت فيها به، حتى إذا وصل إلى مصر بعد ذلك لم أكن في عداد مستقبله أو المرشحين به، اعتقاداً مني بأنه في مهامه الجديدة لا يتعامل إلا مع أئداده الوزراء والسفراء، وأن اللقاء للعارض الذي تم بيننا منذ عامين لا بد أن يكون قد نسي أو تنوسى. وكان من دأبي وديني - وما زلت على هذا مقبلاً إلى يوم الناس هذا - أن أدير ظهري لكل ذي منصب، فلا أتعامل حتى مع أصدقائي منهم ما داموا على الأرائك والدسوت. فالتفت بمتابعة نشاط السفير السوري الجديد باعتبار ذلك جزءاً من اهتماماتي الصحفية اليومية المعتادة.

وذات صباح، دق الهاتف وكان التكلم الأمير مصطفى الشهابي الذي عاتبني لأنني لم استفسر عنه. فخرجت من

كنت في انمس إمام عمري، أفكر في الهجرة الأبدية وأو إلى جهنميات سفر حين اتاني نعي الأمير مصطفى الشهابي في ١٣ من مايو ١٩٦٨ فأخرس لساني، وحجر الدمع في مآقي وشل القلم في يدي، وانضاف حزن جديد ممض إلى أحزان قديمة متباهظة، أشعرتني في عتوها بيتهم جديد. وقد عرفت البيت لأول مرة حين مات أبي وأنا في السابعة من عمري، ثم تمدد شعور اليتيم حين فقدت أساتذتي ورعاني الدكتور فارس نمر باشا، و خليل مطران بك، ونقولا الحداد والياس أنطون الياس، وعلى الغاباتي، والدكتور يوسف نحاس بك والأمير الشهابي العظيم.

ولئن كنت وجمت وجوم بلداء الإحساس ساعة وفاة الأمير الشهابي، فرجائي في هذه الكلم المسوقة استطراداً أن أجلو أطرافاً من حياة هذا الرجل المتكامل السجاي، علماً وأدباً وخلقاً وجهاداً وريادة واستاذية، معنياً في المقام الأول بالجانب الخلقي الذي كان أشد ما بهرني في الأمير العالم، فانفقدت بيننا مودة صافية منذ عرفته لأول يوم في عام ١٩٤٨ أو نحوه، وإلى أن ضربت بيننا التون بعد ذلك بعشرين عاماً. أما سيرة حياته، فلست براوياً، لأن الأمير الشهابي قد دونها بقلمه وأودعها مجامع اللغة العربية - وعندي نسخة منها - كما أن صديقنا الوفي العلامة الكبير الدكتور عدنان الخطيب قد سجل هذه السيرة المعطرة

نفسي ، ولكنني قلت له : اعرف انك مشغول بأهميات المسائل والأعباء ، ولم أثنأ ان أكون كلا عليك . ثم انسي حسبتك نسيتهني فلم ارد ان اذكرك بشخصي ، وعندك من التبعات ما ينسبك حتى امورك الخاصة . فضحك ثم قال : اسمع يا صاحبي ، انا عالم واديب اولا ، اما السفارة والوزارة فهي مجرد وظيفة نحاول عن طريقها خدمة بلادنا وامتنا . ولكن منعتي الاولى والاخيرة هي اجواء العلم والادب . وما دمت انا في القاهرة ، فانس انني سفير ، وعاملني كزميل وصديق رابطينا الاولى والوثقى هي حب العلم والادب .

واحبست وقع التائب على ضميري ، لانني اهرب من الشهابي بوصفه سفيراً ، بينما هو يهرب الى يوسف كليتنا من محبي الادب والعلم . وهذه اخلاق العلماء الاصلاء الذين يرون في العلم والادب اعظم قيمة واخلدها ، اما الوظائف والالقاء فهي عارضة مهما تفاقت وتعاظمت واستطال امدها . وقلت للامير الشهابي : اذن نرجسيء اللقاء الى ان تنتهي من مراسم تقديم اوراق اعتمادك وما يسبق ذلك من مقابلات رسمية وزيارات بروتوكولية . فقال : بل لنفني غدا ، ومما جمع من الاصدقاء : اميل زيدان بك ، صاحب دار الهلال ، وسامي السراج الاديب المجاهد المعروف وعزيز ميرزا بك رئيس تحرير الاهرام وسامي الجصري محرر المقتطف وعادل الغضبان الاديب الشاعر الرقيق والدكتور فؤاد صروف الذي انشغل عنا

بعمل طوارئ وحبيب جاماتي صاحب تاريخ ما املهه التاريخ . وهكذا تحولت السفارة السورية في عهد الامير مصطفي الشهابي الى فرع لجمع اللغة العربية ، ولا سيما بعد ان انضم الي هيئتها حبيب الكل الدكتور زكي المحاسني كمستشار ثقافي لسورية في مصر . وكنت ازور الامير مصطفي بلا موعد وفي اي وقت ، فان كان على موعد مع زائر ، عرجت على الدكتور المحاسني . وفي هذه الدار ، التقيت بالدكتور منصور فهمي باشا والدكتور زكي نجيب محمود ومحمد عبد الفتي حسن وحسن كامل الصيرفي والدكتور ابراهيم بيومي مذكور والدكتور احمد شوكت الشطي وساطح الحمري وحبيب جاماتي وبشير فارس و طاهر الطناحي ، وما شئت من اسماء الادباء والعلماء الذين راوا في سفارة الامير الشهابي سفارة ادب وعلم ولغة وتراث ومصطلحات ، لا سفارة احتراف سياسي . ولا بأس ان اذكر انني شنت حملة شديدة على اديب الشيشكلي الذي كان الامير الشهابي يمثل في مصر ، وتوقعت ان تنشأ بيني وبين الامير جفوة بسبب هذه الحملة . ولكنه لا يبعث الي برد عفيف على كلامي ، ولا قاطعني ، بل انتهر اول فرصة اجتمعنا فيها ليقول لي : طبعاً قرأت فصولك ، وقرأتها بروح العالم لا باحتراف السياسي . فدعني اهتلك عليها لانني لم اجد في منطقك مأخذاً اعيبه عليك ، ولا وجدت في القيم والمثلثات التي

وعجبت من هذا المسلك من جانب الامير الشهابي ، ولكن عجيبي زال حين ايقنت ان هذا الرجل صاحب رسالة وليس مجرد شاعل وظيفه ، وانه يعمل بوحى من ايمانه وضميره وخلقته ، ولا يتصرف بناء على تعليمات مقررته صدرت اليه لينفذها تنفيذاً حرفياً اعمى .

وقد استيقنت من هذه الروح القومية المتأججة في صدر الامير حين اخبرني انه يعد محاضرات عن القومية العربية لاقائها في معهد الدراسات والبحوث العربية بدعوة من عميده ساطح الحمري ثم رجائي ان انتقل له في كرامة ما كتبه جورج انطونيوس (زوج الاخت العزيزة كيتي انطونيوس كريمة فارس باشا نمر ، اطال الله عمرها واليسها اثواب العافية) عن ناصيف اليازجي وبطرس البستاني ونجيب غازوري وغيرهم من النصارى الذين كان لهم اسهام في ايقاظ العرب . وكنت اعرف ان كتاب « بقعة العرب » لانطونيوس ترحم الى العربية بقلم الركابي قبل ان تصغر له فرجة ثمانية بقلم الدكتورين احسان عباس وناصر الدين الأسد ، ولكن قدر لهابين الترجمتين الا تعرضا في مكتبات القاهرة . فنقلت للامير الشهابي المادة التي اعوذت لان لفته الانكليزية لم تكن تساعفه كما تساعفه الانرسيية والتركية . وعرضت لي اثناء الترجمة واقعة جرت في عام ١٨٨٠ حين قام الثوار العرب بطبع لافتات ، كانت احداها تحمل صور سيف مسلول كتب تحته بيت من الشعر نقله انطونيوس من العربية الى الانكليزية دون ان يشير الى صاحبه . وحاولت جهدي البحث عن نص هذا البيت فاعينني الحيلة ، وعندئذ اقتصر على ترجمة مقالا من مؤيد البيت هوس « بالسيف تذرك الرامي البعيدة » فتوصلوا به ان اردتم النجاح . ولما قرأ الامير الشهابي هذه العبارة ارتجل هذا المعنى شعراً قالاً :

عليك بعد السيف ان رمت مطلباً فيالسيف لا الاقوال نيل الطالب على انني في تاريخ تال اهتديت الى النص الاصلي للبيت وهو :

لتظن بعد السيف مارينسا فلن يغيب لنا في جنبه ارب ومع ان جهدي في ترجمة هذه الفقرات كان جهداً ثابوا ، فقد حرص الامير مصطفي الشهابي بخلق العالم الكين على الاشارة بي في محاضراته حين صدرت في كتاب مستقل عن معهد الدراسات التابع للجامعة العربية . ولم

يكتف بذلك ، بل اشار علي بترجمة كتاب انطونيوس اعجابا منه بأسلوبه في نقل بضع صفحات منه ، فشكرت له تشجيعه ، وتركت هذه المهمة للظروف .

وباتهاء العمل الرسمي للأمير الشهابي محالا الى التقاعد ، عاد الى سورية ، ولكن رسائله تواصلت وتواترت ، وزاد عليها ما استهداني اياه من كتب مجمع دمشق ومجلته وما كان يرد اليه من كتب مكررة او باللفة الانكليزية . وكنت من ناحيتي اعرف اهتمامه الاول بعلوم الزراعة والاحياء والمصطلحات في كل فن ، فكنت اوافيه بكل ما يقع تحت يدي من كتب او معاجم او قوائم اصطلاحية بعينه امرها . فاذا حل الشتاء في كل عام ، جاء الامير الى القاهرة ليشهد مؤتمر المجمع ، ثم ليتفرغ لهماه علمية مختلفة . وفي شتات القاهرة طبع الطبعة الثانية لمجمعه الزراعي الكبير ، وطبع كتابا ذا جزئين عن الاستعمار ، وطبع كتاب « القومية العربية » مرتين ، وطبع كتاب « المصطلحات العلمية واللغة العربية » وشارك في جميع مناقشات مجمع اللغة العربية ، ولاسيما عند التصدي للمصطلحات الجديدة في العلوم وشؤون الحضارة . وما زالت عندي مضايقات المجمع ، وعليها ملاحظات بخط يد الامير الشهابي تنطق بسعة آفاقه وولعه المفرط بالمصطلحات واصول اشتقاقها واستعمالها في القديم والحديث . وهو ولع جملة يبحث عن جديد المصطلحات حتى في الرسائل الشخصية التي يرسلها اصحابها . فقد فوجئت وانا اطالع البحث الرئيسي المدرج في عدد اكتوبر ١٩٦٢ من مجلة المجمع بعنوان « الفاظ الحياة العامة ومعجم الحضارة مؤلفه محمود تيمور » بان الامير الشهابي جعل لبحثه هاشما نقل فيه بالتركية والاعجاب ثلاث الفساظ وردت ارتجالا في رسالة خاصة بعثت بها اليه ، وهي « المهاتفة » بمعنى المحادثة التليفونية ، و « المحررات » بمعنى المنجزات العقلية او الافتتاحي ، و « المحررات » بمعنى المنجزات العقلية او الافتتاحي . ولا عابت الامير الشهابي لانه ينقل كلامي الدارج الوارد في رسالة مرتجلة الى اعرق مجلة مجمعية في العالم العربي ، قال لي ان واجبي الاول كمال ان ارصد كل ما يخدم حياتنا العلمية وان اسجله منسوباً الى مصدره . وعلى هذا العرف جرى الامير ، فاشار الي في كثير من مقالاته ، وعقد علي فصولا خاصة غير مرة ، بل اكتشفت بعد وفاته انه ذكرني في الطبعة الثانية من كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » ولم اكن قرات الا طبعته الاولى .

ولما صدرت الطبعة الثانية من معجمه الزراعي مطبوعة في القاهرة في مطبعة مصر باشراف اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية ، زارني الشهابي العظيم في منزلي واهداني النسخة الرابعة من هذا المعجم قائلا : النسخة الاولى كانت من نصيب عبد الخالق حسونة باشا الامين العام للجامعة ، والنسخة الثانية للدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية ، والنسخة الثالثة لعزير باظلة باشا رئيس مجلس ادارة مطبعة مصر . او النسخة الرابعة فاهدتها عروبن صداقة ايا كانت صفتك . ولما اعترضت على الامير الشهابي لان هاتلا من هو احق مني بهذه الهدية ، خرج من جلعه المهورق قائلا : لا تنس انني عالم واديب ، وان عندي موازيني الخاصة التي ازن بها الناس . فلا تتدخل في شؤوني ، ودعني اتصرف في كتبتي وفق هواي .

ولكنني عدت فقلت له : اذن ، فاسمح لي ان استهديك نسخة من المعجم لصديقنا سلامه موسى ، فهو عالم واديب وصحفي ، ولعله ينبغي ان يهدي كتابك . فناولني نسخة من معجمه لسلامه موسى الذي عقد عليه فضلا موجزا ولكنه شديد التبصر ، ونشره في « الاخبار » القاهرة . ولما صدر كتابا « القومية العربية » و « الاستعمار » كنت قد اقتسمت يمينا مظلة بالاكاتب حرفا واحدا في السياسة ، فقد تلقتهما طلاقا نهائيا كقرانا بها وتبرؤا من جرأني وعقائلي اصابتني بسببها دون ذنب . فقلت للامير الشهابي انني اقبل كتابك على العين والراس ، ولكن اعذرني ان رايتني اودعها خزانة الكتب دون قراءة ودون تقرظ . ولم يعتبر كلامي هذا انتقاصا لجهد ، ولا استخفافا بعمله ، بل عده حقاً مشروعا لكل ادب وباحت ومفكر في ان يقرأ ما يشاء ، ويكتب في ما يشاء من موضوعات دون الزام ، بل دون اجراج . وما زالت بعيني المظلة قائمة الى يوم الناس هذا ، فاجفو المطالعات السياسية ، واجتنب كل حديث او بحث فيها .

ولئن كان في كثير مما استطرذ اليه القلم حديث شخصي يلمسني تهمة الانانية والذانية ، فلم يكن لي من هذا ملاذ ، وانما اوردته برهانا على خلق علمي اصيـل تمكن من الامير الشهابي ، ولعله رأى في بعض جهدي ما يدعو الى التشجيع ، فلم يخل علي به ، بل لعله كان في تشجيعه شديد القل والشرف .

ولئن كان في كثير مما استطرذ اليه القلم حديث شخصي يلمسني تهمة الانانية والذانية ، فلم يكن لي من هذا ملاذ ، وانما اوردته برهانا على خلق علمي اصيـل تمكن من الامير الشهابي ، ولعله رأى في بعض جهدي ما يدعو الى التشجيع ، فلم يخل علي به ، بل لعله كان في تشجيعه شديد القل والشرف .

ولئن كان في كثير مما استطرذ اليه القلم حديث شخصي يلمسني تهمة الانانية والذانية ، فلم يكن لي من هذا ملاذ ، وانما اوردته برهانا على خلق علمي اصيـل تمكن من الامير الشهابي ، ولعله رأى في بعض جهدي ما يدعو الى التشجيع ، فلم يخل علي به ، بل لعله كان في تشجيعه شديد القل والشرف .

وحتى عندما اصدر صديقنا الراحل الدكتور عبد الرحمن البراز - رحمت الله على سيرته العظيمة - كتابه عن « القومية العربية » ورجاني بشخصه ان اشارك في ندوة اقيمت للحديث عن الكتاب ، فقد اخترت زاوية « اللغة العربية » دون سواها من الزوايا لانحدث عن جامعة العرب الكبرى التي توحد ولا تفرق ، وتشر العلم لا الجهل ، وتبث الخير لا الفقر .

وقد عرف الناس الامير مصطفى الشهابي عالما نبائيا وقيما في المصطلحات ، واديبا واسع الدراية باللغة العربية وآدابها وفلسفتها ، ولكنهم لم يعرفوه شاعرا . واذا كنت قد اسلفت في هذا الحديث بيتا ارتجله ايودي به معنى منثورا ، فهناك قصائد يطالعها القارئ نسي محاضراته التي القاها في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وفي كتابه « الشذرات » نورد منها هنا قوله وهو يودع القاهرة :

اواه يا نسيمات النيل ساجية كسم صمك الصدر شهافا وزفارا
وكم تغرطت بالريضان وامتزجت رداك بالروض افشا واذهارا
ما ان نشقك حتى خلت متعشا ماء الحياة جرى في الجسم انهارا
وقال نسي مصر ايضا :

يا ساكني مصر لا تنسا مودتنا ان الوفاء لكم احمي لنا ديننا
انتم بنو معنا فالجفوا بساحكم حمراء بالشمر فتركهم وفربنا
الخلق والخلق والعادات تجمعا والدين واللغة الفصحى وماهينا
وقد شكوت الى الامير الشهابي مرقم ان الرافضات « الورقات » يمنح امتيازات ضرائبية بدعوى انها لا يخدم الفن الرفيع ، بينما الادباء والعلماء والفكرسون لا يمنحون امثال هذه الاعفاءات لانهم عاجزون عن خدمة ذلك الفن الرفيع عينه . وقلت للامير ، لو كنت شاعرا ل نظمت قصيدة مظلما « ليتني كنت هزاز ردف » !!

فجاوبني الامير برسالة فككة قال فيها انه عرض كلامي على بعض جلسائه ، فنظم احدهم - ولم يذكر اسمه - هذه الايات (وانا استعديها من الذاكرة) ، وارجح ان تحريفنا وقع فيها) :

ليتني في التجاذ هزاز ردف اتقن الرقص بين عسود ردف
يقرم الالف صاحب القلم الحر يدف ويغنى الرقص من دفع الف
هكذا يصيح الاديب ويصرى في نطق الجاهل صاحب ردف
وكتب لي في احدى رسائله بانه اوصى بان ينقش على قبره هذا البيت :

ام اللغات فقيت العمر اخديها فهي الشفيع في غران ثلاثي
وقد فهمت من كتاب صديقنا الدكتور عدنان الخطيب ان هذا البيت قد نقش فعلا على ضريح الامير العظيم ، وفيه اختصار مركز للرسالة التي عاش الشهابي يخدمها ويؤديها حتى انتهت حياته والقلم في يمينه .

ومما حدثني فيه الامير الشهابي غير مرة ان من اكبر المهام التي يبني للمجامع الانشغال بها تربية اجيال متلاحقة من العلماء تحمل رسالة العلم وتنقلها الى الاجيال التالية . وان اكبر خطأ تقع فيه المجامع هو ان يقال عن

اعضائها انهم لا يستخلفون . وتطبيقا لهذه النظرة البعيدة الرؤى ، جرى الامير الشهابي على تعليم مجمع دمشق بدم جديد من شباب العلماء ، فدخل المجمع شبان من امثال الدكتور عدنان الخطيب والدكتور شكري فيصل ، وهما الآن من العمدة الرئيسية التي تنهض عليها رسالة المجمع الدمشقي . ومن قبل عين العلامة محمد كرد علي العلامة بهجة الاثري عضوا في مجمع دمشق وعمره ٢٨ عاما .

ولا بد من الاقرار هنا بان من آيات الامير الشهابي الجليل انه انشا مودة وتقى بيني وبين الدكتور عدنان الخطيب ، فعرفت في هذا الرجل النبيل كيف يكون التواصل مع الكبراء ، وكيف يكون الوفاء مع الانصاف والبلل ، وكيف تكون الاربحيات طبيعة في النفس .

وما كان الامير الشهابي في حاجة الى من ينبهه الى واجبه الجمعي ، ولكنني - بصمكتي التقليدية - انتهزت فرصة استمتاعي بمودته وثقته ، واستغللت فتحة صدره لي ، فقلت له في بعض رسائلي : انني لادعش كيف ان المجمع القائمة لا تظم الى عضويتها رجلا باذخي الفضل مثل فؤاد صروف ومحمد جميل بينهم ونظير زيتون ومحمد عبد الله شان . فما كان من الامير الشهابي الا ان استصدر من مجمع دمشق قرارا بتزكية انتخاب الثلاثة الاول لعضوية المجمع الموحد تاركا لمجمع مصر ترشيح العضو المصري . فجاز صروف ونظير زيتون بالعضوية ، ولكنهما سرعان ما « طارت » منهما بطيران الوحدة !

وكنت اعرف من الامير الشهابي اعجابه الشديد بعباس محمود العقاد واشادته به في كثير من احاديثه الخاصة والعامة وكتاباته هنا وهناك . ولكنني حين راجعت القوائم الخاصة بالفصول التي كتبت عن الامير الشهابي باقلام ادباء عصره ، لم اقع على شيء للعقاد . وكنيت ازور العقاد فسألته لم لم يكتب شيئا عمن الامير الشهابي ، فقال : بل ساكتب . قلت له : لقد صدر للشهابي معجم جديد في المصطلحات الحراجية ، فلم لا تكتب عنه ؟ فقال : اعزني نسخك بومين اثنين ، وسترى رأيي فيه . واستعاز العقاد بنسختي ، وبعد بومين كان مقال العقاد عن هذا المعجم بين يدي ، وهو مقال قراه باغتياض وشكران الامير الشهابي مقرا للعقاد بموسوعة ذهنية هي والعبقرية ندان . ولم استرد نسختي من هذا المعجم من العقاد الا بعد ان قدمت اليه نسخة موهورة بامضاء مصنفه .

وقد اسدى الدكتور عدنان الخطيب خدمة جليلة للباحثين بالكتاب الذي اصدره عن الامير مصطفى الشهابي ، وبالقوائم التي اوردها مشتملة على بحوث الامير ومحاضراته ودراساته . وقد راجعت هذه القوائم ، فوجدتها اغفلت ما كتبه الامير الشهابي في تقييد الكتب ، وهي فصول كثيرة . كما لاحظت ان القوائم تخلو من ثبت بالدراسات التي كتبت عن الامير الشهابي وعن كتبه المختلفة ، وهي

عتاب

اذبت قلبي دموعا
اطلقت ليلى سهادا
اذقت شوقي بهادا
نشرت عهدي رمادا
نسيت مني ودادا
خلبت مني فؤادا
عرفت انسي شهيدا
رايت انسي وديدا
وجدت اني جليدا
صبرت في الهجر دهر
وصنت في الحب سرا
دفقت ذا السر عطرا
منيتني بالاماني
وقلت يوم التواني
فمن زمان دهاني
وقلت هذا حناني
ان الهوى من جناني
وكان رجع الافاني
قضيت كالليل عمرا
جفوت واوددت جورا
بالامس خيبت حلمي
واليوم شأهنت وهما
ميلات سمعي وعودا
مضيت عنني بعيدا
انني على العهد باق
احيا انما باحترق

حسين مجيب المصري

القاهرة

ان الامير مصطفى الشهابي الذي اولاني من محبته واخوته وعطفه وتشجيعه وبره ما يعيش في كيانتي ووجداني الى آخر الدهر ، رسول عظيم من رسل الضاد . وحبه انه لما عين محافظا لحب ، انشأ فيها مكتبة وطنية . فلما عين محافظا للاذقية انشأ دارا للكتب كبيرة . فلما ادرسته منيته ، اهدى مكتبته واوراقه الخاصة الى المكتبة القاهرية في دمشق .

هذه لمحات ، مجرد لمحات ، من حياة الامير الشهابي ، لا تدل على علمه ، فعلمه مدون في معاجمه وكتبه وبحوثه ، ولكنها تدل على خلقه كاشرف الشرفاء في كل عصر ومصر .

وديع فلسطين

القاهرة

بدورها كثيرة . وهذه تلك ينبغي ضمهما الى اي طبعة جديدة تصدر من هذا الكتاب .

وكان الشهابي العظيم قد اخبرني ان في نيته اصدار مجلدات متعاقبة من كتابه « الشدرات » تضم الكصول المختلفة التي كتبها في الادب واللغة والمصطلحات والشؤون الجارية . وليس من المستعصي جمع هذه الفصول المختلفة التي كتبها في الادب واللغة والمصطلحات مندرجة في مجلات رصينة مثل المقتطف والهلال ومجلة مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، وكلها غير بعيدة التناول . ففسي ان ترى هذه المجلدات النور لفائدة قراء الضاد في كل مكان .

اعد حقائبه ولوازمه ، وارسل رسالة الى احد اقارب امه ليعد له مكانا في العاصمة ، يجعله مقاما له .

وجاء يوم الخميس اخر ايامه في القرية .. خرج في المساء ، والعصافير تغرد بلا انقطاع تامو وتمرح .. على شجرة التوت القائمة عند نهاية الممشى الممتد بين الحدائق .. وقف شعبان ينتظرها .. وجاءت نجوى .. اسك بعرقها قائلا في وله :

— انني راحل غدا يا نجوى .
اطرقت براسها في خفر وجبها
قائلة :

— بالسلامة ..
— وقف حائزا لا يدري ما يقول ..
يهز راسه .. بثلثت .. قال بعد جهد :

— هل تجيئيني يا نجوى ؟
— قالت : تعرف ما في قلبي يا شعبان .

قال وارتعاشة سعيدة تفشى عينيه :

— هل اعيش في القرية على امل' انتظارك حتى اعود لطلب يدك ؟
العصافير تغفر حولهما .. ازداد صخبها ومرحها .. رقصت فوق راسيهما رقصة الوداع ، اذ كان ضوء النهار يهبط نحو الارض تحت ثقل ظلام الليل المقبل ... ضحكت نجوى وهي تمسك بعصفور غافلته وانقضت لتمسك به في مهارة وخفة ، وقال شعبان ضاحكا :

— يا لك من صيادة ماهرة .
اسك بيدها القابضة على العصفور مردفا :

— اطلقني سراحه ..
نظرت اليه بخبث قائلة ، وحاجباها يرتفعان الى اعلى ويستقران في ثبات :

— هل ترى ذلك ؟
قال وهو يبك قبضتها :

— اجل .. دعيه يحيا .
اعلنت نجوى غضبها بان ادارت له ظهرها واخذت تجد في السير نحو بيوت القرية ، وشعبان يجد في اثرها مضطربا وجلا :

.. تمشي الفتاتان في المقدمة والفتيان وراءهما لحراستهما من معاكسات فتيان القرى المجاورة ، وما اكثر ما حدث من مشاجرات بينهم وبين هؤلاء الفتاتان .. طوال سنوات اربع احب شعبان نجوى .. احتفظ بصورتها في خياله ليلا ونهارا ، في النوم واليقظة .. امتلأت كتبه وكراسيه باسمها .. عاش يعني نفسه بالنجاح من اجل الزواج منها .

كانت نجوى رقيقة الطبع والطابع .. حلوة التلاعب .. بيضاء البشرة .. مشوقة القوام .. رشيقة الحركة .. خفيفة الروح .. مبتسمة على الدوام .. رآها اجمل فتيات القرية ، يليق به ويسعده ايما اسعاد ان يتزوج منها .. وترعرع الامل في فؤاده .



يقلم جمعة محمد جمعة

كانت احلام الحب مضيقا لشعبان .. نجح في الشهادة الاعدادية بمجموع لم يؤهله لدخول المدرسة الثانوية ، وبتقاعسه في المذاكرة وانصرافه الى احلام الشباب بالحب احبط احلام امه ، بان يكون طبيا ، او محاميا ، او مهندسا ... التحق بالمدرسة الصناعية ، وتخرج فيها بعد مضي ثلاث سنوات ثم التحق بالعمل في احدى الشركات الصناعية في القاهرة ..

اقرب يوم الرحيل ، وكان قد



ولد شعبان لاسرة ريفية متوسطة الحال .. يمتلك اوبوه بضعة افدنة آلت اليه باليراث عن والده ... كانت امه ، وهو بعد جني في احشائها ، تمناه بنتا تعاونها عندما تكبر في اعمال البيت والقطيع ، وكفاهها من البنين قرعة عينيهما محدود وحسن .. قالت لزوجها في اليوم الرابع بعد ولادتها لشعبان :

— ما دام الله لم يحقق لي املي يا حاج .. فعلينا ان نزوج محمود .. انني في حاجة الى من تؤنس وحدتي وتعلم علي الدار ..

قال الحاج ابراهيم بطيبته المهدودة :
— ليكن لك ما تريدن .. اختاري له العروس المناسبة .

لم يعض عام اخر على ميلاد شعبان الا وكان اخوه حسن قد تزوج هو الآخر .. وامتلات نفوس الاسرة كلها بالتفاؤل ، اطلقوا على العام الذي ولد فيه عام البين والبركات ، وتفرغت الامم تماما للعناية به .. شب وترعرع متمتعا بحنان امه السابغ ، وحذب ابيه الطبيب الهاب الوفور .. لم ينقص طفولته شيء .. التحق بالمدرسة الابتدائية وانه تائه امانها ، وتشجعه لان يكون في المستقبل طبيا ، او محاميا ، او مهندسا .. تضرب له المثل بابو به اللذين فشلوا وارتبط مصيرهما بالارض يفلحانها . تمر السنوات ، ويصير الطفل صبيا .. ينتقل الى المدرسة الاعدادية بطنطا .. تضعه رحلة كل يوم الى المدرسة ، ويعود منها بصحبة اقاربه ابناء الموسرين في القرية : ابن العمدة ، ابن مفتش الزراعة ، ابن ناظر المحطة .. ابن البيك الكبير صاحب اكبر الحدائق الممتدة حسى تخوم القرى المجاورة .. كان في ذلك الحين ثمة فتاتان يفتنا دون بقية فتيات القرية ، والتحقا بمدرسة البنات الاعدادية في طنطا .. احداهما كانت نجوى التي تعيش مع اسرتها في الدار المجاورة لدار اسرتها ... كل صباح يخرج من القرية قبل السابعة بقليل ، وقد جيل المستقبل

شتان

التقت في جزين ، المصيف اللبناني الشهير ، سربا كلا ، غاية في العدمق والسخافة ، وكانت معه زوجة الشابة الجميلة المثقفة السيدة منيرة ، وكانت راجحة العقل ، سامية الخلق ، فالتارني التفاتت التشديد بين الزوجين ، فقلت :

شتان بسين منيرة وقربنها شتان بين جماحه وسكونها
شتان بين خريفه وربيعها وقبيح طلعتيه وسحر فتونها
وغباء ونهيته وومض ذكائها وصقبح همته ولفح انونها
وجنون عاصفه ورفق نسيها وبوار حجة وصدق ظنونها
وثقيل مجلسه وخفة ظله وكبر منبهه وصفو معينها
ايقيس في الدنيا الصحارى ذو حجي براضها مخفلة وعيونها
وبزهرها الفواح يرتشف الندى وبطيرها تشجي الورى بلحونها
انسي عرفت الورد من اشواكه اما انت مصحوبة بقربنها

محمد المدائني

— انتظري يا نجوى .. لم ننته من حديثنا .. لم نتعاهد على دوام حبنا ..

اقترب منها وامسك بذراعها يستوقفها .. اصابه الجمود والشل وهي تنترع ذراعها من يده صارخة : — دعني .. قلت لك دعني .. هرولت مسرعة .. بتابعها بعينه دهشا .. بماذا يفسر تغيرها من حال الى حال .. تاه عقله في غياهب الشرود والظنون ، وبعد اخذ ورد بينه وبين نفسه قال : « ماذا كنت انتظر منها ؟ .. ان تبكي .. ان تلقي بنفسها بين ذراعي متوسلة بدموعها الا ارحل ؟ .. يا لي من طماع .. ماذا بيني وبينها حتى يدفعها الى ذلك ؟ » . مشى شعبان نحو البيت حزينا مهموما .. بكاد من فرط حزنه يبكي .. لقيته اما فقالت فزعة :

— مالك يا شعبان ؟ .. ما سبب شحوب وجهك ؟ .. هل تعانسي مرضا ؟

لم ينس شعبان بكلمة .. اخبر طريقته الى قاعة الضيوف .. جلس بجانب حقيبته المدة للسفر ، دخلت امة في اعقابته تلاخذه بالسئلة .. نظر شعبان الى وجهها متفربا .. قال فجأة : — امي .. هل تعانعين في ان تزوج ؟

ضربت امة صدرها بيدها قائلة : — انا .. يا ريت يا حبيبي .. اعرف يا بني ان القرية مفسدة للشباب .. كما اعرف الكثير عن بنات مصر .. سمعت كثيرا عن سلوكهن والاياميين .. بالامس فقط حدثت ابيك الحاج في هذا الموضوع .. جميل منك ان تعلن رغبتيك هذه .. ثم ضحكت وهي تساعده على النهوض مستطردة :

— ومن هي سعيدة الحظ ؟ قال شعبان وهو يقبل وجنتها : — نجوى يا امي .. قبل عودة ابي اذهبي لاما وحديثها في الموضوع .. انت الخير والبركة .. وخير البر عاجله .

افاق شعبان من لحظة تكثف فيها الماضي بكل ذكرياته ، وتعجب كيف امكن للخيال ان يعيد هذه الذكريات مجرد ان راي نجوى وبصحبته ابدا ابنة عمه تقتحمان القاعة في اول لقاء منفرد مع خطيبته ليلي ، وزوجته بعد ان اتم عقد القران في موكب دموي امس .. كانت لحظة مشابهة .. شعر بقدومه بتدفعاته الى مفادرة القاعة .. فمئذ عدة سنوات خرج بنفس الاندفاع حاملا حقيبته للسفر بعد ان اعلنته امة برقص نجوى الزواج منه .. هرولت ليلي لتوضحه سبب خروجه من القاعة .. قال متضايقا :

— سألجس مع ابيك حتى يخرجنا . نظرت ليلي طويلا في عينيهِ .. جعلته نظرتها يشعر بالارتباك .. افض بصره وهو يدفعها في حنان الى القاعة لتتقبل النهائي .

وبعد اخذ ورد بينه وبين امة ذهبت .. جلس شعبان في انتظارها كأنظار الفريق لفتته تنجيه من الفرق .. يقف .. يخرج ليطل من باب الدار .. يدخل .. يخرج متلهف الى وجه امة فعندها الخبر اليقين ..

جاء ابوه الحاج متعجلا : — تعالى يا شعبان صب لي الماء .. اوشك المغرب ان يفتوتي .. انشغل شعبان بعض الوقت مع ابيه .. ثم في الحديث مع اخيه محمود الذي جاء يجر وراءه الهائم .. ثم جاءت الام وانشغلت في اعداد العشاء ، وكلما اقترب منها ابتعدت هي عنه .. كلما سألها : — اجابت : انتظر ..

جلسوا جميعا للعشاء ، شعبان يلوك الطعام دون شهية .. ذهنه شارد .. خياله لازم نجوى في دارها .. يحاول تخيل المفاجأة عليها ... هل قبلت ؟ .. هل رفضت ؟ .. وتطلع الى وجه امة ورأى دمعة جافة ..

جمعة محمد جمعة

القاهرة

تاج الملوك بين البطولة والشعر

بقلم سكيئة الشهابي

مهما عمل المحققون ، وجهد المنقبون والباحثون فان التراث العربي لا يزال يحتاج الى الكثير من عناء النهار وسهر الليل حتى تبدو لنا صفحته المشرقة على حقيقتها .

هناك آلاف المخطوطات تستصرخ الضمائر العربية الحرة .. تهيب بالمعقول المفكرة ان تنفض عنها الغبار ، وهناك آلاف الدواوين الشعرية تتطلب الجهود الفردية والجماعية تستدعي الانباء الذين يريدون ان يبثوا ثقافتهم على اساس صلب متين تطلب منهم ان يسبحوا القميس ويريلوا الصدا ليستحلوا احاسيس آباؤهم واجدادهم كاملة فالدي لا يعيش الماضي لا يستطيع ان يسو بالحاضر والعمل المحدود لا يجدي في التراث الضخم . فليدع بعضنا بعضا من اجل العمل البناء الشعر ، وما اكثر السبل لمن يريد الوصول .

قلت هذا واناقرا ديوان « تاج الملوك » والملم المخطوط الرئيسية لصورته من كتب الادب والتاريخ .. من ساحات المارك ومن حقول الشعر ، فادهش لسحاب صغير لم يعيش اكثر من ثلاث وعشرين سنة بخلف لنا ديوانا ، صغيرا في عدد اوراقه كبيرا في معناه حين يصدر عن امير من امراء بني ايوب امضى حياته متنقلا يتتبع خطوات اخيه صلاح الدين في معاركه المتلاحقة .

تاج الملوك هذا هو بوري بن ايوب اصغر اخوة صلاح الدين سنا ، ولد سنة ٥٥٦ هـ وكان اسرع اخوته للثبته داعي المنون ، توفي في ريعان الشباب سنة ٥٧٩ هـ فظل شعره باقة رقيقة في رياض الشعر العربي الوارفة ولم يكتب لموضوعاته ان تتنوع ولا لشعاريته ان يغزى نتاجها .

توفي تاج الملوك في حصار حلب .. في المعركة الاولى التي خاضها صلاح الدين في سبيل افتتاح المدينة ، وكانت وفاته اثر طعنة اصابت ركبته ، لم يطل مكثه بعدها غير اربعة ايام .

يقول صاحب « البرق الشامي » في حديثه عن اول معركة خاضها صلاح الدين في حلب (١) : « وتاج الملوك موقد نارها وخاض تيارها ، ومضرم حربها ومغرم حبها ومتيم كربها ومتيم طعنها وضربها » .

ومثل هذا الكلام يوحي لنا بان تاج الملوك كان البطل المقيم في الحملة ، يزكي نيران الوغي ببسالة وقوة وهذا يعني انه كان فارسا شجاعا يرافق اخاه صلاح الدين في

حملاته .

ولكن الكتب التي دوت الكثير عن صلاح الدين وحروبه الطاحنة لم تذكر لنا اعمالا بطولية قام بها تاج الملوك في تلك الحروب ، وبمعنى اوضح لا نجد اي حديث عن تاج الملوك وبطولته قبل حوادث سنة ٥٧٩ هـ حيث يخوض صلاح الدين اولي معاركه في حلب في هذه المعركة بالذات يقتل « تاج الملوك » .. فباي شيء نستطيع تفسير سكوت المراجع عن التنويه بطولة تاج الملوك ، اتقول انه لم يحتل في تلك المعارك مكانة بارزة . على الرغم من انه كان بصحبة اخيه في حله وترحاله وقد حدثنا في شعره عن تنقله المستمر بصحبة الجيوش ولكنه لم يكن دائما راضيا عن هذا التنقل ، وربما جاز لنا ان نقول انه كان في كثير من الاحيان مكرها على مرافقة الجيوش .. يسير الى المعركة برما ساخطا ويتنقل من مكان الى مكان دون ان تكون له الرغبة الكافية في هذا التنقل ، يبدو لنا شيء من ذلك في شعره اذ يقول (٢) :
اذا كنت في الحالين لم اخل منهما حراب ليست تنفسي وحروب
ولست بفنك ارى ما يعني لقاء مسدد او فراق حبيب
ولا يعني هذا انه كان دائم البرم والسخط ، فالنصر المتلاحق قد ينسبه نيران الشوق والام الوجد ، يقول في مدح اخاه العادل مشوقا الى مصر التي غادرها بلبية لنداء الواجب متحدثا عن المارك التي خاضتها جيوش الايوبيين في الطريق (٣) :

اليوم جاوز في مقادير الكمد شوقا فلا وجد الا دون ما اجد
قل للمقيمين في مصر وان نزحوا اتي مقيم على العهد الذي عهدوا
ويوم غلوتنا لم اتفه ايسدا وقد قبض قوما بعدما رقدوا
والليل التوسك المنوع جابه وقد اطفأ به الطلابة نجد
ثم اجثنيبا يبيضي العهد ما نرسوا والنار ما زرعوا فيه وما حصدا
لاشك ان شاعرنا في ابيانه هذه مزهو بالنصر وزهوه هذا خفف بعض شيقه وجعله يصعد شيئا من موجد نفسه الشاعرة ولكننا لا نستطيع ان نقول بحال من الاحوال انه غدا للثبته شاعرا فارسا ينتظر اللحظات الحاسمة في ميادين الشرف ليروي سيفه في رقاب الاعداء ، هذا شيء لم يعبر عنه في شعره ولم تحدثنا عنه الكتب التي ترجمت له .. وكل ما يمكننا قوله انه كان يخوض المعارك ، ولا يوجد ما يؤكد لنا انه كان يلعب دورا هاما في هذه المعارك ، وربما جاز لنا ان نمل ذلك بحدادته سنة ، حتى اذا كانت معركة حلب بدا لنا شابا قويا يتقدم الصفوف ببسالته فبحر صرع الواجب وبفقد صلاح الدين بموته اخا حبيبا ومناضلا شجاعا .

والصادر كلها تجمع على كرم خصاله ونبل اخلاقه ورقة طبعه . يقول العماد (٤) : « نشأ بالفضل متشبها وبالفضل متحدثا وبالنبل متبعثا ، له الفطرة الزكية والهمة العالية » . ويقول شهاب الدين المقدسي - (٥) : « وكان تاج الملوك شابا حسن الثياب مليح الاعطاف عذب العبارة حلو الفكاهة مليح الرمي بالقوس .. وكان قد جمع الى ذلك الكرم واليقين في الادب » .

ويقول ابن خلكان (٦) : « ... وكانت فيه فضيلة . »
 اما ابن تقيي بردى فانه يؤكد ما قيل في كتب سبقت نجومه
 حين يقول (٧) : « وكان قد جمع فيه محاسن الاخلاق
 من مكارم وشيم ولطف طباع مع شجاعة وفضل وفصاحة »
 ولو حاولنا رصد بقية المصادر لا وجدنا في حديثها عمن
 الشاعر جديدا لاننا سنرى اللاحق منها ينقل عن السابق .
 وهذا يجعلنا نستوضح حقيقة ربما بدت لنا لا لبس فيها
 وهي ان الشاعر كان يتحلل بالفضائل وكريم الخصال بالإضافة
 الى الذكاء والشجاعة وقد بعن لنا انه لو طالت به الحياة
 لقام بأعمال جليلة تضاهي أعمال اخيه صلاح الدين ولغذى
 مكتبتها العربية بوافر نتاجه وريق شعره ، ولكن المنية
 عاجلتهم فحسروا في ميدان البطولة كما خسروا في ميدان
 الادب .

ولكن هذه الصورة العظيمة التي يترأى لنا فيها الشاعر
 قد تتضاءل قليلا حين نتذكر انه كان اميرا واخا لسلطان
 عظيم . . فنتردد في قبول عبارات الثناء الفضاغضة التي
 حاكها له معاصروه ويزداد ترددا في قبولها ونحن نسترجع
 في اذهاننا اسلوب المبالغة الذي كان سمة بارزة لكتاب ذلك
 العصر وعلى رأس هؤلاء الكتاب العماد الكاتب الذي تعتبره
 أهم من أرخ لهذه الفترة ادبا وسياسة ، لان العماد لم يكن
 معاصرا فقط بل كان مرافقا بصلاح الدين حتى الذين جاؤوا
 بعده اعتبروه موردا لهم وعولوا عليه في نقل الاخبار . فهذا
 سبط بن الجوزي في مرآة الزمان يقول عن تاج الملوك :
 « وكان الله قد جمع فيه مكارم الاخلاق ولطف الطباع ،
 وكرما وشجاعة وفضلا وفصاحة » فهذه العبارات تيدو
 كانها ترجمة كاملة لما جاء في خريدة القصر ولكن الاسلوب
 هنا أكثر وضوحا وبساطة ونزداد اطمئنانا الى ان سبطا
 الجوزي ينقل عن العماد حين نجاهه بقول : « وله ديوان

(١) البرق الشامي ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) و (٣) مصورة الديوان ص ١٢

(٤) الخريدة بداية قسم شعراء الشام ص ١٢٤

(٥) الزوغشتين ٤٤/٢ .

(٦) وفيات الأعيان : ٢٩٠/١

(٧) النجوم الزاهرة ٩٦/٦

(٨) الخريدة بداية قسم شعراء الشام ص ١٢٨

(٩) مرآة الزمان ٢٤٠/١ وانظر الديوان

شعر ذكره العماد في الخريدة واتنى عليه وأنشد مقطعات
 من شعره . . » الا بدلنا هذا على ان صاحب مرآة الزمان
 كان ينظر في الخريدة قبل ان يخط سطرًا عن الشاعر ؟
 نستطيع ان نقول بشيء من الاطمئنان ان تاج الملوك
 كان شابا ذكيا رفيق الطباع حلو المعاشرة ، اراد صلاح الدين
 ان ينشئه على الاستقامة والفروسية والشجاعة . ولكن
 طبيعته الخاصة كانت الغالبة فكان يصرف أكثر وقته في
 اللعب وقول الشعر الماجن هذا ما يؤكد لنا شعره فقارء
 ديوانه لا يراه متحرجا ولا مستترا في تعبيره ، وربما مسح
 العماد بشيء من هذا في الخريدة حين قال : (٨) « واستبعد
 أخوه الملك الناصر منه قول الشعر فقال :

أخوه الملك الناصر منه قول الشعر فقال :
 انتكر نثر الدر من بحر خاطري وتعلم ان الدر مسكنه البحر
 ولا شك ان صلاح الدين لا يستبعد من الشعر الا ما
 كان ماجنا متهككا ، فليس من العقول ان يستبعد قصيدة
 مدبح او شعرا حماسيا قيل في معركة انه يستبعد وصف
 الفلمان والشوق اليهم ، ذلك الذي استملحه واستطرفه
 اما صلاح الدين القائد فانه لم يعجب به ولم يستطرفه
 يقول العماد (٩) :

« وانا استطرف منه هذه الفتاة وطرق نشاته
 وانتشاءه واستبعده ولا استبعده » .

وفي اعتقادي ان المصادر لم تقتضب الحديث عن حياة
 تاج الملوك الا لانه لا يوجد في هذه الحياة ما يرضي السلطان
 العظيم صلاح الدين . وربما كانت معركة حلب هي المعركة
 الوحيدة التي خاضها تاج الملوك ببسالة وشجاعة ، والا لما
 وقف مؤرخو القرن السادس في سنة ٥٧٩ ليحدثونا عن
 موت الشاعر وعن ملابسات هذا الموت ، اما تلك السنوات
 التي سبقت ، والتي نعتقد ان شاعرنا كان فيها شابا ، وكان
 رفيق اخيه في المارك فانا لا نجد فيها ما يرفع ذكره ويعلي
 شأنه . . لا نجد حديثا عن بسالته وشجاعته وفضائله مع
 الامثلة التي تؤكد هذه البسالة وتلك الفضائل .

هل نستطيع ان نقول اذا ان حديث الكتب عن فضائل
 الشاعر لم يكن صادقا كل الصدق ، ولعله ليس أكثر من
 تعلق يلقي بين يدي السلطان ، ومما يقوي فرضنا هذا
 غزله بالذكر واستنثاره بشعائر الدين ، ولنا في غير مرجع
 من المراجع التي تحدثت عن الشاعر اكبر دليل على رقة
 دينه وعيشه بالفراقض .

مما تقدم نستطيع ان نقول ان تاج الملوك كان شاعرا
 رقيقا جيشا اللطفة حسن الهيئة ولكننا نشك في كثير من
 الفضائل التي البسته ايها كتب الادب والتاريخ ، يدعونا
 الى هذا الشك تلميح العماد من جهة وديوان الشاعر من
 جهة ثانية .

لقد كان تاج الملوك شاعرا قبل ان يكون بطلا مقداما .

دمشق

سكينة الشهابي

اشتركوا في مجلة

الاريب

تساهموا في نشر الثقافة

محمد عبد الحليم عبد الله

بمناسبة ذكرى وفاته ٢٠ - ٦ - ١٩٧٥

بقلم زغلول عبد الحليم عبد الله

شعور بالفربة . شعور بالاختلاف . تنمو الفربة داخله . وينمو الاختلاف خارجه . يجعله نمو الفربة أكثر احساسا بها مما يدفعه الى الاختلاف في أكثر الاحيان ، ويجعله نمو الاختلاف أكثر احساسا بالفربة في الوقت الذي يحاول فيه مخرجا مستخدما مختلف الطرق . الصراع النفسي المحض والجهود الذهني المستمر . الانفعال الذكي العميق الذي يحتمل معه ان يدمر صاحبه . قدرة عظيمة على التنبؤ سرعة انتاج عدد كبير من الافكار في موقف واحد ، سرعة انتاج صور ذات خصائص معينة محددة المعنى ، سهولة في صياغة الكلمات بطريقة ملائمة لا تفقدها الاتصال ، القدرة على اعطاء صور مختلفة لشيء واحد في وقت قياسي . الارق الذي لا يزول الا بايجاد الحلول .

الكمال لا يبلغ الا في الجمال الذي لا يذبل . كبرى امانيه في وقت تمنى واشتهى ان يكون الكمال في الجمال الدائم . وقد يبلغ الكمال في نظره حد التمرد « الباحث عن الحقيقة » وقد يتعثر الكمال في الطريق « البيت الصامت » والكمال هنا ليس يعني فقط الكمال الاخلاقي . الانطلاق بلا حدود . تنقيد الفكرة يعني موت الفكرة . « ان مصدر الهام الكاتب هي قضاياها المخجلة » . الكمال في الجمال ، الكمال في التمرد ، وايضا يرى الكمال في صورة اخرى ، الكمال في الفعل تجاوز الان « للزمن بقية » . لا تتمسرع الشخصيات في الوحل الا اذا كان قانون الموقف يتطلب ذلك ان التمرد في الوحل ليس هو كل شيء . يشتد الإعجاب بالشخصية فيعطي بعض منه لها « عزت في سكون العاصفة » وقد تسيطر عليه الشخصية قبل ان يشرع في ابداعها فتتمو داخله (عبد العزيز في بعد الغروب) وتمو الافكار مع نمو الشخصيات تنمو فكرة الموت جعل (شكري بطل سكون العاصفة) يأخذ الحياة (شهوة وشمية) ونمو الخوف داخل قلب (طه النجومي في الزمن بقية) جعله يحطم كل القيم . الشعور بالنقص لا يكفي لقيام ثورة بل لا بد ان يرتبط بالتفاؤل « للزمن بقية » وايضا « قصة لم تتم » . يؤرقه البحث عن الفد شأنه شأن العبقري ، لم يجد التالف الذي حكى له عنه الادباء ، فغضب في الارض ليجد نوعا من التآلف يرتاح له القلب وتستقر له النفس (سلمان الفاري فسي الباحث عن الحقيقة) . وسلمان لم يعط القدرة على التعبير

الجلدي للنظام القائم بل غير ذاته فقط . فهو بطل متمرد اما (صلاح النجومي) اراد التنوير الجلدي فهو بطل تجاوز الذات الى الآخرين ومن ثم عقد بينه وبينهم صلة .

قدرة فائقة على الاختزان تسندها موهبة ادبية عاتية جعلته يعيل الى ما يسمى بظاهرة اللاحاح في الوصف فبدل ان تحسب له حسبت عليه ، وكان الاختزان الذي جعل اسلوبه قريبا من الشعر خال من التقعر والغرابة ، جعله غريبا . محفورة هي الكلمات في ذاكرته منذ الطفولة . مليئة هي طفولته بالغرائب . لا يفلت من قبضة ذاكرته شيء . لا يعرف تكنيكا سوى الدقة في الرؤية . ان موهبة الملاحظة هي التي تولد ظاهرا اللاحاح . البناء الادبي يتجه الى العمق وليس فوق سطح الارض . الى عمق الفرد . الى الداخل . ولا يستطيع الاتجاه الى العمق الا من يقدر على الرؤية المستقبلية .

وان تعرفوا القرايسلا تعرفوا الذي تفسمته القرايس بل هو في صدي سير ممي حيث انتقلت ركائبي وينزل ان انزل وتدفن في فيري ابن حزم

اختيار الوقت المناسب . تهيئة الجو الملائم . الاستعداد النفسي بهذا تحدد عين الكاميرا اللقطة الماهرة البارة التي يجب ان تخلد . عين لكاميرا بداية التنبؤ بالاحداث التالية التي تستند الى الواقع . لم يجد سلمان الفارسي في قصة الباحث عن الحقيقة في واقعه ما يرضي نفسه الباحثة فتطلع الى ايجاد نوع من التآلف يرتضيه ويملأ الفراغ الكبير الذي يحتل قلبه . وهنا اتبع لعين الكاميرا ان تأخذ اللقطة ، لا تقرير للحوادث . لا تفصيل . النتائج كما تقرضها الضرورة الفنية ليس الا . حتمية العلاقات تفرض النتائج .

بدن فارغ من اشغال الدنيا ، بطن فارغ من طعام ، بد خالية من عروض الدنيا ، التفكير في الايات والامارات ، التفكير في الثواب والعقاب . اليد وحركة اليد ، القدم وحركة القدم ، قد يعطي الله اليد لخالق وبأخذ حركة اليد من الآلاء وحركة اليد من النعماء .

وكلنا مسافر غريب ، قوافل الرحيل في تتابع بديع ، فهناك قوافل تملك من الزاد ، ما يفي عن السؤال وتملك من الحب ما يؤنس الطريق ، واخرى لا تملك من الزاد الا صورته القديمة : الجيلة ، التهديد . السيف . الوعيد في وقت فيه القافلة بلا امير !

اجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب امرؤ القيس

واجدني مع يحيى بن خالد البرمكي الذي قال لابنائه : ان قدرتم ان تكتبوا انفسا كلثوم بن عمر فافعلوا ، فان ترون ابدا مثله !

زغلول عبد الحليم عبد الله

القاهرة

شاعرتي
ما الشاطئ المهجور الا غربة النوى
وحرقة الجوى
وامل هوى
وفرحة كانت تطوف ها هنا
تقبل الحياة في حنان

شاعرتي
قد جاء صوت الله من علاه
يبشر الشاطئ في ضحاه :
لن يكذب الرائد اهله
او يفقد الانسان ظله
لن يسقط الانسان

شاعرتي
ان حياتي كلها شموع
وزهرة تضيوع
وعالم رجب الخطى
لا يعرف الونى
لا يعرف الدموع

شاعرتي
سيرجع الربيع
ويرقص الشراع
ويطرب الموج على ابقاعه البديع
وتخضب الحياة في مرايا الامل
سيخضب الامل

شاعرتي
غدا اراك زهرة تطوف
تحدث الانسام والسحر
فيضحك القمر
وتورق الحياة من جديد
في الشاطئ المهجور

صوت الله

الى التي سالتني عن الشاطئ المهجور

الدكتور احمد مطلوب

جامعة الكويت



الفريد البستاني

١٩١٠ - ١٩٦٩

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

...



اخذنا على انفسنا عهدا في تتبع ما يخص الدراسات الاندلسية ، وما يشمل تغطية ميادينها في مجالات الثقافة العامة والادب ، كالشعر والنثر والتقد والدراسة والرحلات والقصة والرواية والمخطوطات والمستشرقين وغير ذلك . ولقد تجمع لدينا منها ما يعتبر كنواة مكتبة اندلسية صغيرة متكاملة ، تنفع الباحثين في هذه الميادين ، وترشد الدارسين في هذه الحقول ، التي تتصل بالاندلسيات والاندلسيين .

وقد مضت علينا سنوات ، ونحن نتتبع خطى الرائدین ونجمع ونسجل اسماء وآراء المؤلفين . ونقتني ما نقدر عليه من الذي تخرجه ثمرات المطابع العربية والاوروبية فسي دنيا الادب الاندلسي وتاريخه ورجاله .

ومن بين هذه الحقول التي جعلناها في هذه الحصة حقل الرواد الذين زاروا الاندلس واستظلوا تاريخها وجغرافيتها ومجتمعها ، وآدابها . واخذتهم روعة الحضارة العربية والاسلامية فيها .

فكتبوا ونظفوا وارخوا لها وتحلوا لنا عن انطباعاتهم عنها ، وما خلفته تلك الديار في نفوسهم وذاكرتهم . ولقد سبق لنا ان كتبنا دراسات عن المخطوطات الاندلسية والمستشرقين الاندلسيين (الاسبان) ، واثار الاندلس في الشعر العربي . واليوم نقدم رائدا من سلسلة (رواد الاندلس) في العصر الحديث . الا وهو المرحوم الاستاذ الباحث المحقق الفريد فرام البستاني ١٩١٠ - ١٩٦٩ . ترجم له من المعاصرين الاستاذ الدكتور البهانة المفهرس الاخ يوسف اسعد داغر في كتابه «مصادر الدراسة الادبية» ج ٣ - القسم الثاني ص - ١٤٤١ . وجعل من مؤلفاته كتابا قام بتحقيقها ، واعتمد على كتاب اسماء « كوشر النفوس » لم تطلع عليه .

والبستاني (الفريد) هو من اسرة علمية لها مجد شامخ في التاريخ العلمي والادبي في الشرق العربي منذ بداية عصر النهضة واليقظة العربية الحديثة . منهم

العلماء والادباء والشعراء ، امثال المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) وميخائيل البستاني (١٨٦٨ - ١٩٣٤) الخوري بطرس البستاني (١٨٧٦ - ١٩٣٣) وسليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥) وعبد الله البستاني (١٨٥٤ - ١٩٣٠) ووديع البستاني (١٨٨٦ - ١٩٥٤) وسليمان البستاني (١٨٤٨ - ١٨٨٤) وطرس سليمان البستاني (١٨٦٥ - ١٩٦٩) .

وكل هذه الكوكبة وغيرها من الطلائع البستانية في الوطن والمهاجر ، وفي عالم العلم ، والاقتصاد والصناعة . كانت جميعها تترك وراءها مسارب من العلم والثقافة والخدمات الاجتماعية ، بحيث لا يستطيع احد من الجاهدين او الناكزين التنافس عن ذكرها بالحمد والاعجاب .

وباتي في مقدمة هذه الاسرة اليوم شهرة علمية ومكانة اجتماعية ونتاجا ادبيا رائعا ، وخدمة في ساحة الثقافة العامة صاحب « الروائع » ومنشأ الاستاذ الجليل العلامة الدكتور فؤاد افرام لبستاني ، شقيق المرحوم الاستاذ الفريد البستاني المولود في (دير القمر) ذات الشهرة العلمية في اوساط المدن والقرى اللبنانية . والتي عدد جملة من نوابها الاستاذ الفاضل الجغرافي عفيف بطرس مرهج في كتابه الموسوعي « المدن والقرى اللبنانية » في تسعة مجلدات غنية بالمادة ، مزينة بالصور .

وصف لنا الاستاذ الفريد البستاني صاحب (المصادر الادبية) بقوله : « باحث لبناني ، مدقق ، انقطع للتحري عن المخطوطات العربية والعمل على نشرها مخدمة للبحث والتحقيق . »

كانت دراسة الفريد الاولى في مدينته دير القمر درس في معهد الفريديا وعلم في معهد عين ورقة - وفي دير مشموسة . ثم دفعت به الهجرة الى المغرب الاقصى سنة ١٩٣٨ حيث زار اسبانيا بعد حربها الاهلية . واتصل بمعاهد ودور مخطوطاتها ، وتعلم اللغة الاسبانية واجادها . اضافة لاقتائه العربية والفرنسية . واستطاع بهمه وتدبيره العلمي ، وفهمه الثاقب ان يبعث الحياة والنشاط فسي معهدي الجنرال فرانكو للابحاث العربية - الاسبانية .

ومعهد مولاي الحسن بتطوان . ولم تر له مؤلفا مطبوعا يخص بلداته . بل انصرف الى التحقيقات والتحري عن المخطوطات في المغرب واسبانيا .

واحياء المخطوطات ونشرها والقيام بتحقيقها - كما قام به البستاني - شاقة ذات مسؤولية ادبية وتاريخية تنساق احيانا عن التأليف الشخصي المنفرد بموضوع من المواضيع . من ابرز ما نشره وحققه :

قام المرحوم الفريد البستاني وهو في غربته عن لبنان وفي حياته في المغرب العربي واسبانيا وفي ربوع الاندلس باحياء بعض النفائس الاندلسية والمغربية منها :

١ - كتاب الكليات - لابن رشد الذي نشره فسي

العرائش سنة ١٩٣٩

٢ - رحلة الوزير في افتكاك الأمير للفلساني . نشره في العرائش سنة ١٩٤٠ .

٣ - نتيجة الاجتهاد في المهادة والجهاد - للغزال نشره في العرائش سنة ١٩٤١ .

٤ - الابحاث السامية في تاريخ الحاكم الاسلامي للشيخ المرير . نشره بتطوان سنة ١٩٥٢ .

٥ - دراسة عن الموسيقى الاندلسية نشرها فسي المغرب سنة ١٩٥٦ .

وقد كتب عن المقتضب من تحفة القادم لابن الابار البليسي المورخ ، والكاتب ، والشاعر الاندلسي المعروف في مجلة « المشرق » السنة الحادية والاربعون - يوليو - سبتمبر ١٩٤٧ ص - ٣٥١ - ٥٤٣ .

وقد اشار لجهود الاستاذ البستاني الاستاذ الحق المشهور ابراهيم اليباري في مقدمته لطبعة المقتضب من تحفة القادم - لابن الابار ٥٥٩ هـ - ٦٥٨ هـ عام ١٩٥٧ . في منشورات « قسم التراث الثقافي » بمصر .

ان هذه الآثار احياءها الاستاذ الباحث الفريد البستاني تجعل منه في مقدمة الباحثين الرائدة في حقل الاندلسيات ولم تقتصر تحقيقاته في احياء المخطوط وحده . بل كان يتحرى الصدق في النقل ، والامانة في القول ، والرجاحة في الرأي ، والتنبقح عن الغامض . والكشف عن المخفى بلغة سهلة بينة ، واضحة الصورة ، جميلة المعالم . وكان همه السير وراء الغاية العلمية في جميع مطالعها ، وفي مختلف لغاتها .

ومن طالع كتاب «نتيجة الاجتهاد في المهادة والجهاد» او رحلة « احمد بن المهدي الغزال الاندلسي المتوفى سنة ١١٩١ هـ كاتب اسرار مولاي محمد بن عبد الله سلطان المغرب وسفيره الى كارلص الثالث ملك اسبانيا عام ١١٧٩ هـ ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م - ١٧٦٧ م . لوقف وقفة الاحترام وتطلع بنظرة الإعجاب والتقدير لجهود الراحل الفريد البستاني . كان الفريد - همزة وصل جيدة - بين المغرب والمشرق العربي . يوم ان كان الاستعمار والحماية تظللان تلك الديار المغربية العربية . وفي كل الحالات والظروف السياسية يومئذ لم ينس عرويته ، ووطنيته ولقنته ، واخوته أبناء الضاد .

كان رئيسا مسؤولا للقسم العربي في معهد الجنرال فرنكو للأبحاث والدراسات العربية . ذلك المعهد الذي كان مع زميله معهد مولاي الحسن من افضل المعاهد المنتجة والنشطة في اخراج وحياء الآثار الرائعة من تراث الاندلس والمغرب . تلك البدائع التي تزخر بها وتردم الخزائن العلمية والجامعات في اسبانيا ، والبيوت والمساجد والمعابد فسي المغرب بشماله وجباله ، وفي اقاصي جنوبه ورماله . وما كان مخفيا مستورا عن العيون والانظار .

واذا كان لنا من عتاب الان على اخواننا في الشمال

الافريقي العربي ، فهو في تأخرهم عن اظهار كنوز الابداء والاجداد الخفية في خزائهم الخاصة والعامة . وخاصة ما يتعلق منها بتاريخهم وباختهم الاندلس الحبيبة .

واذا وجد لهم من مبررات في الماضي ، فانهم الان وقد تحرروا واستقلوا ، ان ينشطوا في بحث ما خفي عن انظارنا نحن المشاركة وفي تيسير الكتاب المغربي وتوزيعه ليتلقى ثمراته ، وينهل من معلوماته جمهور الباحثين المتعطشين لكل جديد من علم الماربة والانديلسيين .

كما ان المغرب الأقصى عليه ، ان لا ينسى وجمهوره مثقفيه وطلابه مساعي المرحوم الفريد البستاني . وعليه ان يتذكر ماله من حقوقه فيجمع شمل مكتبته ، ويحفظ لنا اوراق مخطوطاته ، ويقوم بنشرها وحياتها . وبذكره في ابحاثه ودراساته ويعيد له ذكرى وفاته . اذ انه احب المغرب وعاش فيه اكثر شبابه ومات في احضانه .

فهل ترى ان الاخوان المغاربة الكرام يسمعون هذا النداء ؟ ويلبون هذه الدعوة ؟ وعهدي بهم اوفياء لمن وقى لهم ، واحة لمن احبهم ..

كان لافريد البستاني تحقيقات قيمة بأسلوب علمي يقبل عليه جانب الثبوت والبساطة والتواضع . مع محبته للقديم النافع ، وتقديره للجديد المفيد .

لقد عاصر حركة ثقافية مندفة للعروبة والعربية ، في بداية وجوده هناك - في مطلع الحرب العالمية الثانية . كما ساهم في النشاط الاناري لحفريات نموده وادير وموريتانيا .

وسمى لقيام مهرجان عيد الكتاب المغربي العربي الذي يقام في الثالث والعشرين من ابريل كل عام . حيث تعرض فيه الدراسات المطبوعة ، والمخطوطة النفيسة والفنون الجميلة . كانها تعيد ذكرى مواسم الابد في بغداد - وقرطبة - وعكاظ الجاهلية - وهي مقودة السوق ..

وقد اشاد الفريد البستاني بشخصية الامير مولاي الحسن بن المهدي وجعل منه نصير العلم والعلماء ورافع لواء الثقافة في القل المغربي يومذاك ذلك الامير الذي احيا كتابا مهمة موضوعة ومترجمة لهاصلة بتاريخ الاندلس والمغرب والحضارة العربية . مع فتحه للبيت المغربي في القاهرة لدراسة ابناء المغرب وتنقيفهم واتصالهم بأهل المشرق من اخوانهم ابناء العروبة .

ومن منشورات البيت المغربي في القاهرة والكتب التي احيا وجودها مجموعة ذات اثر ادبي وعلمي وحضاري تنهل منه اليوم . ومن هذه الروائع :

١ - ازهار الرياض المقرري - بتحقيق الاستاذ ابراهيم اليباري وجماعته في ثلاثة اجزاء .

٢ - تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين -

ويسلط مضغ التنقيح على يد النساخ فيما نُسخته وشوخته ، وعلى غارات الزمن بما طمسته ، ويحول جولانه ثم يأتي تلك الآثار سليمة الشوائب فيعد العدة للنشر والابراز .

وكان الفريد البستاني من دعاة التجديد النافع حيث قال : « وان كنت من دعاة التجديد ، فاني لا ابشر بتجديد لا يتفق وروح المحيط وعقلية البلاد ، خال من المؤهلات والمهيدات الكافية للنهضة . كما اني لا اقول بالتقليد الاعمى والجمود والمحافظة المنحطة وعلى كل حال اني اقدر المحافظين ولا ابخس حقهم فانهم قد حفظوا لنا ذخائر تلك اللغة وحموها من عاربات الزمن فمن نورهم نقبس اليوم ومن معارفهم نستمد ، فنصلها بمرآة العصر ، ونوسمها بطابع المحيط ، فنحولها الى مجرى الحياة العصرية ونسير جنباً الى جنب على ما يقتضيه العلم الحديث وروح العصر » ثم اشاد بالغرب واهله فقال : « ففي المغرب من العلماء ، والفقهاء والمحدثين والمجددين ما يفخر بهم ويقل نظيرهم . »

وتحدث عن حكمة الشيوخ وهمة الشباب فقال : « فاعتدل موزون من شببنا وساهل سمح من شيوخنا نلتقي جميعا على مدخل الجادة القوية المؤدية الى باب النهضة . فبحكمة الشيوخ وهمة الشباب تبني دعائم صروح الوطن . »

طريقته في تحقيق التراث : اعطانا الاستاذ المحقق الروحوم الفريد البستاني حصيلة لتجربته ، في تحقيق التراث ، ومنحنا خبره ، في هذا الميدان الصعب - ومن قرأ رايه في ذلك اعتقد جازماً بأنه خير بدراسة المخطوطات ومهمت بإبحاثها وطرق تحقيقها ، قال في مقدمة « نتيجة الاجتهاد » قوله :

« قد سلكنا في نشر هذا المخطوط طريق النقد والبحث والمقارنة والاستقراء حسبما يقتضيه النشر العلمي الحديث . فلم نترك نصاً رسمياً كتب حول هذا الموضوع الا واطالعناه . ولم نغادر مصدراً يعتمد عليه الا وتفهمناه . وكذلك راجعنا ما دون من الوثائق ... وقد درسنا الكتاب واستخرجنا نصوصه من عدة مخطوطات عثرنا عليها . فقد نتقنا تلك المخطوطة وصححنا ما مسخه النساخ واصلحنا ما شوخته غزوات الارضة والعنة وضبطنا مقدمة المؤلف بالشكل الكامل وبقية الكتاب بشكل متفاوت . وذلك تنميماً للفائدة المنشودة ، ومظهراً جليلاً لحلية الكتاب وقد ذيلنا هذه الطبعة بجداول وفهارس جغرافية وتاريخية ووضعنا ما يقابلها باللغة الاسبانية القشيبالية وشرحنا الكلمات الموصية والدخيلة ، والالفاظ والمسميات الاعجمية والتعابير الوضعية المصطلح عليها بالغرب مع شروح وتعليقات كاثية وافية .. وقد زينا الكتاب بالرسم والصور والخرائط والحقنا منها ترجمة لحياة مولا محمد

ليوسف اشباح - وترجمة الاستاذ محمد عبدالله عنان في مجلدين .

٣ - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم منتر - وترجمة الاستاذ محمد عبد الهادي ابو ربه .

٤ - معجم ما استعجم - لابي عبيد البكري الاندلسي تحقيق الاستاذ مصطفى السقا في اربعة مجلدات .

٥ - النهضة الأوروبية - تاليف سدني دارك - وترجمة الاستاذ محمد بدران في جزء واحد .

من احاديثه الادبية : نراه وقد كتب ثم عطف الى الجنرال فرنكو وخاطبه مشيداً بجهوده في ربط العلاقات العربية - الاسبانية وفي تنشيط حركة الثقافة الاندلسية ونشر مخطوطاتها فقال مخاطباً له : « جئت انت الان بعد فترة من زمن خيم عليه الظلام ، وعيشت به حوادث الازمان تحي تلك الروابط على اسس متينة الدعائم ، مقرونة بالاخلاص والمطف وحسن التفاهم . »

وخاطبه كذلك بقوله : « وتسعى بحزم وعزم لاعادة تلك النهضة الثقافية المشتركة التي عاشت عليها اوربا . وتفلدت منها طيلة سبعة قرون ، وتعمل بدون ملل لاجياء مدينة عربية اسبانية سامية ارضعت مدنيت الامم طرا » ويتابع حديثه فيقول : « وقد ظهر لنا من فخامتكم برهان ذلك يوم كنا بحضرتكم والفيلسوف العربي الكبير امين الريحاني فكنت عندما تذكر المدنية العربية بالاندلس كنا نقرا على جبينك آيات الجمالة والفخر . وعندما تكلم عن آثار العلماء الاعلام وعن مخطوطات الاسكوريال العربية ومكتبة مدريد الاهلية وغيرها تظهر على محياك دلالات الاعجاب والاكار لهذه الذخائر الادبية وبالنبوغ العربي . وقد صارحتنا بانك ستسعى في نشر هذه الذخائر الثمينة . »

وتكلم عن معهد الجنرال فرنكو واهدافه بقوله : « وما القصد من وراء ذلك الا نشر ثقافة عالية مشتركة ، واجياء تراث ثمين وادب فياض ومدنية سامية ، ارضعت مدنيت الامم طرا ، ثم وهنت لما اصابها من هجمات الاعاجم وغارات الزمن . »

ثم حدثنا بقوله عن نشاط المعهد الفكري في مجال الطبع والتحقيق والتنقيب بقوله : « فنرونا الادبية وابحاثنا العلمية والجيولوجية ، في نمو متواصل بماكتشفه من آثار القوم الغابرين ونعشر عليه من مولدات قرائح الشعراء ومنوجات ادمغة الادباء والكتاب ، من اعلام الاندلس والمغرب تمثل نواح مجيدة من الادب العربي في هذين الصعقين في مختلف العصور ، كانت في رؤيا النسيان مكتلة ، وفي خصاص خزائن المكاتب مهملة . فجاء معهد الجنرال فرنكو يستخرج تلك الكنوز من دفتانها فيعرضها ويبين غشها من سمينها ويستخرج صحيحها من منحولها

هراء الحقيقة

انا لا احبك انت اهلوك الحقيقة في خيالي
ان الحقيقة انت اروع منك في دنيا الجمال
قد علمتني ان اموت ، اذا هويت ، فلا ابالي
وعرفت منها السهد في قلق المذهب في الليالي
وسبحت في اعماقها فلمست لؤلؤة السلاسل
وشممت فيها كل عطر ، غير وفر في الظلال
وطعمت لذة شاعر ولهان في حسن مشال
فعميت كيف يعيش خال ، كيف يمضي غير خال

اخرجتني من جنتي فرضيت مخدوعا مالي
وطربت ، حين ضحكك ، مني في ضلالي ، في دلال
لولاك لم أعرف زهور الشر في ظلم الضلال
لولاك لم أفرح بذنب جنته لسواد حالي
لولاك لم أندم على زمن ، من اللذات ، خال
لولاك لم أدر الكاء ولم يشر عمي وخالي
لا لا ولا معنى أتوجع في البعاد وفي الوصال
انا لا احبك ، بل اغار عليك من روحي ومالي

لا ترجعي ، بهواي فيك ، ولم يعد فيك انشغالي
واذا سألتك فاجيلي فيما الآفقه سؤالي
وتذكري اني غرقت فرحت في زهو اختيالي
انا لن اعود اليك بعد اليوم اني اليوم غيالي
علمتني ان لا اسمع من تفنن في وبالي
علمتني ان لا اغار عليك من مقل الرجال

واليوم عدت الي فاتنة كايامي الخوالي
فنسيت كل تجاربي وصرخت يا حلمي تعالي

علي محمد لقمان

تعز - عصيفرة - اليمن

لا ندرى ونحن في نهاية هذه الدراسة ، هل ترك
لنا الاستاذ الفريد البستاني رحلة مخطوطة صور لنا
فيها انطباعاته عن الاندلس واثارها ، ومخطوطاتها واثارها.
وهو الخبير المساهم في احياء كل ما له صلة بالمغرب والاندلس
الخالدة ؟

نرجو ان يكشف لنا اخواننا المغاربة واسرته الكريمة،
عن وجه ما خلف من آثار مؤلفة ومترجمة . فالتاريخ
سيسالهم يوما عن ذلك .
وما اقصى ما يحكمبه التاريخ على المقصرين والمتناسين
او المهملين ، لآثار التابئين والعاملين لخدمة اوطانهم وامتهم
واخوتهم وامجاد تاريخهم .

محسن جمال الدين

بغداد - كلية الاداب

بن عبد الله ونبذة عن احوال المغرب ومظاهر الثقافة
العربية في عهده .

ولم ينس المحقق البستاني الاشادة بلامانة علمية،
بمن ساعدوه ، امثال الاساندة : الشيخ محمد المير وال حاج
احمد الرهوني والمستشرق الاسباني كارلوس كيروس
وبعض موظفي مكتبة مدريد الاهلية .

وهو انسان مؤمن بالروح ومقدر للشرائع والدين .
قال في مقدمته لكتاب « الابحاث السامية في المحاكم
الاسلامية » للشيخ محمد المرير : « غير انه مهما اشتدت
تلك المواقف ، ومهما قصفت رعود الباطل ، ودوت
اصوات مدافع الظلم فلا تؤثر في مملكة الروح ، ولن
تقوى على معالم الشرائع والدين . فان للباطل جولة قصيرة
ثم يضمحل ، وكلمة الله هي العليا » .

كاتني من الف عام ها هنا
 اصارع السام
 كاتني من الف عام .. ألن الرياح والرمال
 اقاتل الذباب
 قافلتي ضائعة .. تائهة .. تلاحق السراب
 وترسم الطريق للشيطان والانهار
 في هذه القفار
 من وهمها الذي تسوقه الرياح
 من العدم
 كاتني فراشة تطير بحثا عن رحيق
 في يابس الازهار
 وانت يا بعيد
 تراقبين الافق بانتظار
 مصلوبة العينين .. في الغروب والشرق
 وتحلمين .. في الظلام والنهار
 بقابة خضراء .. من ظلال
 احس يا رفيقتي البعيدة
 يا حلوة العينين .. يا جميلة الجبين
 بحاجة لقابة سوداء
 لروضة ترف في اهدابها الاثياء
 لرحلة سعيدة
 في عالم لا يعرف الحزن
 بداي في يدك .. يا جميلة العيون
 يا حلوة الجبين

رحلة في الصحراء

محمود محمد كلزي

دمشق

الشمس في الصباح
 الشمس في المساء
 من عينها الرمضاء تنفث الجحيم
 والارض ظمأى .. والرمال والرياح
 تحلم .. بالقيوم
 كخيمة سوداء
 انا هنا .. في هذه الصحراء
 ملقى هنا .. كجثة تاكلها الغربان
 بمقتها البعير والرعاة والغرفان
 انا هنا .. كرملة ظمأى الى حنان
 كلفنة سوداء
 يقتلني الجفاف
 ابحت عن عيني حلوتين
 عن خصلة من شعر حلوتي البعيدة
 لاستظل في رموشها السمراء



في ليل عينيها البهيم
انا هنا .. تفوض افدامي بوغشاء الطريق
اعيش ايامي بلا رفيق
مع الرمال والرياح .. والحنين والضياء
مفتشا عن واحة خضراء
عن نبتة من مساء
وتلهث الدروب ظمأى
تحت وطاة الصراع
وتستدر رحمة السماء .. عليها تجود
بقطرة من الدموع .. والحنان
لكنها مهملة كهذه الاحجار
تلك التي ألقت بها الاقدار
مثلي انسا
كخيمة تصارع الشمس .. والفبار
بخيلة صحراؤنا .. لا تعرف الندى
لا تعرف الأمطار والظلال
شحيحة رمالها .. سهاؤها لا تعرف الفيوم
من أي شمس تجلد الاجسام باللهيب
من أي درب لا يرى الربيع
من اين ؟ .. لا ادري
عرفتم كرم الفيوم في الشتاء
حين تبل حرقه الرمال والدروب
من اين ؟ يا من كحلت غيوتكم اشعة الجفاف
يا من ولدتم .. فوق هذه الرمال
ففسلت اجسامكم بها .. ام حنون
خيامكم تريلة .. ترتاح للرب
صدورها جوانح وسيمة .. وثيرة الوداد
والقهوة المرة .. في الدلاء
على انافئها .. نداء
تحن كل فترة الى غريب
يا مرحبا بالضيف .. صبوا القهوة المرة
هاتوا الخبز والحليب
للقادم الغريب
يا مرحبا .. لا تعرف الكلال
من الصبايا السمر .. والرجال
ما اروع الصبية السمر
عيونها .. يا خيبة سوداء في الصحراء
يرتاح فيها المتعب الغريب
ووجهها .. قد لوحته الشمس بالبراة
وفوق نفرها ابتهاج
وغنوة .. والى مرحبا .. هلا بالضيف

يا اخا العرب
وبسبل المساء
على عيوني .. خيمة سوداء
لان قلبي لا يحب القهوة السمر
بدون عيني حلوتي البعيدة
ترجبان بي .. تصبان اللآلي
في الفناجين السعيدة
ما اطول الطريق !
ما اسام الساعات .. تمشي كالكسيح
كسلخاة .. هدها طول السفر
ما اتعب الانسان .. في رحلته بلا رفيق
احس بالدقائق النافذة القدر
تطول كاللهور
سيارتي .. تدب كالطفل الصغير
عيناى ترحفان في الطريق
على الصخور السود والاسفلت
وراسي الفريق .. كالدمامة الحمقاء
يفالغ النعاس .. والفجر
ما اطول الطريق ؟
كالافعوان يلتوي .. كالحية الرقطاء
ووحدي قاتلة .. ورحلتي سام
فلا احس بالمسافرين
مهممين .. بلفنون السائق البليد
تسحقني الشمس التي تطل
من نافذتي الصغيره
فألج الصوى تسير
والافق والاشجار
والارض بي تميد
انا وحيد .. يا رفيقة الاسفار
بلا عيون حلوة .. اهدابها اشعة سوداء
ورحلتي فيها بلا قرار
كزورق تدفعه الامواج والانواء
يتنه في عرض البحار ..
يا ليتني .. في جانح الخطاف
ريشة تسابق الرياح
لاحمل الرسالة التي تطل من عيوني
تسبقتني اليك .. كي تقبل العيون
والشعر والجبين ..
وترتمي .. في حضنك الحنون
نعيش في العناق ..



الدكتور زكي المحاسني

زكي المحاسني كما عرفته ..

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

في مؤتمر الادباء العرب الخامس ، وقد انعقد ببغداد في شهر شباط من عام ١٩٦٥ ، تعرفت ليعين تعرفت ، السلي الادبية المعروفة وداد سكاكيني ، زوجة الدكتور زكسي المحاسني ..

اتصل بيئنا اكثر من لقاء وحوار اخذ بتلاييب الحياة والفكر ، واحسب اني اهديتها نسخة من كتابي « من ادب الترجمان » ذكرى تعارف وتآلف . ومن قبل كنت قرأت انها تعرف ولو على البعد المستعرب التركي اسماعيل احمد ادهم ، حتى نشرت عنه مقالا عنوانه « دمعتي على ادهم » (١) بعد انتحاره غرقا بالاسكندرية في اليوم الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٤٠ ..

في الوقت الذي كانت علاقة زوجها المحاسني باسماعيل ادهم وطيبة .. وثيقة حيث راسله مراسلة تجلت فيها آية التقدير المشترك ونزعة تبادل الاراء وجهات النظر ، في المشكلات الادبية والفنية المثارة يومئذ ، حتى تكونت لديه مجموعة لا يستهان بها من رسائل اسماعيل ادهم .. كان مناسباً ، وانا معني منذ طويل بقصة اسماعيل ادهم من حيث تحليل شخصيته الفاضلة وتبع خطواته العقلية والوجدانية ، وتعقيب اثره المطبوعة التي وضعها والمخطوطة التي تركها من بعده في ضوء ما ادركت ونقبت كان مناسباً ان اسفل هذه الفرصة المواتية ، فاسأل وداد سكاكيني التوسط لدى زوجها المحاسني ، لعله ان يعينني

على جلاء واقع اسماعيل ادهم الشخصي والعلمي من خلال الاستفهامات التي طرحتها عليه ، ثم يعبرني رسائل اسماعيل ادهم اليه ، ايفلا في الوقوف على ما غاب عني عبر اعوام من البحث والتطلع ، وعلى ما يمكن ان تطويه يد الزمان والنسيان ..

فوعدتني وداد سكاكيني خيراً ..

لكن لا المحاسني رد علي ، ولا وداد سكاكيني كتبت الي بهذا الشأن بعد عودتها الى دمشق !! واغرقت في صمت ، كان كالرماد تحته نار كاوية .. وظللت حائراً تتصرم بسي الايام . ذلك ان رسائل اسماعيل ادهم التي لم اطلع على قسم منها ، مهمة بالنسبة الى بحثي المراد اعداده واخرجه الى الوجود .

ثم صادف ان انهي الي ببغداد ، دعي من ادعياء (الاخوة) ان له صلة متينة بالمحاسني ، وانه مستعد لان يكتب اليه بما اروم ، تقديراً لاهتماماتي . فشكرته اجمل الشكر واعقبته . حتى اذا عدت اسأله بعد مرور وقت ليس بقليل ، واكرر السؤال منه بين حين وحين ، زعم : ان المحاسني لم يجب عنه لتوه .. من هنا اخلت احتشاه موقناً انه نهاز .. نعم في مزرعة (الاخوة) ناهيك بعضام (الادب) . والله في خلقه شؤون .

ذات يوم ، اهاب بي ، بفتة ، صوت يتسلق اعماقي ويريد ان يهزني هزا :

ما حك جلدك مثل فلانك ؟ فتقول انت جميع امسره فوجعت اكتب الي المحاسني ، وقد جاءني عنوانه من تليده وصديقي الدكتور شكري فيضل ، هذا الذي كان لي شرف معرفته والجلوس اليه في مؤتمر الادباء العرب الخامس ايضا .

ان هي الا ايام حتى يستقر بين يدي جواب المحاسني المؤرخ بالتلاين من اذار ١٩٦٧ ، وبه يقول « ايها العزيز ، تلقيت رسالتك منذ اسبوع . وعز علي ان لا اكون قد قمت بالرد على مطلبك بتزويدك بمصادر عن صديقي اسماعيل احمد ادهم عليه رحمة الله . وكاني اذكر ان ودادا كلمتني بانها تليقت في مؤتمر الادباء .. »

ترسخت بيئنا عرى الاخاء ..

اذ تمثل في ما جعل يضطرب ويتردد عبر رسائلنا المتبادلة على مدى اعوام خمسة ... وكان ينقطع عني على غير توقع شهوراً او اياماً انقطاعاً ، لم اكن ارتاح اليه ، ولا اجد له تسويماً ، ولطالما استغللت ذلك فاعبتني بشيء من الحدة والشدّة ..

بيد ان المحاسني كان يعتذر او يحاول الاعتذار عن تقصيره او قصوره ، لمشاغله ومكابداته .. لتنتقلاته وتطلعاته هنا وهناك .. لا هو ذا يقول في رسالته المؤرخة بـ ٨ - ١١ - ١٩٦٧ : « لا تعمل على الرسائل العاجلة ايها الصديق الحنون . فانها ليست على الدوام عنوان الشوق والتمثل الكريم ، فاني على الدوام ، اتملك واغني

اقول : « سيدي باقعة الفكر والشعر الدكتور زكري المحاسني .. وهل تحينك الشعرية الا كنهان وإبل جادت به الطبيعة من غير انتظار . على ارض عطشى تسربلت بالجفاف . فقد أيقظت وجداني بمهار البقاء وغذبت روجي بزاد السمائل ، مطوقا عني بصنيع لا سبيل الى نسيانه .. اني لي يا اخي ان اقبالك بالمثل .. بل اني لي ان اسوق اليك نثرا اجمل من الشعر . جهات ! انما انت اهل لكل شكر وذكر .. تجاوب ، وتعاطف . واشهد انك كنت وما برحت مسامحا معراحا .. مخلصا مؤنسا .. ذكيا رصيا .. رفع الله شانك وادام مجدك واخصب عمرك وجعلك على تقادم الايام والاعوام نبراسا مضيقا لا يخو ، لا صالة الادب وامثولة الحياة ، وفخرا لاجائك واوالياك . مع وفائي ولولائي .. (٣) »

اضافة الى ذلك كله فانا حين علمت المحاسني وصول كتابه « شعر الحرب في ادب العرب » الى متاخرا ، بعد هذه المدة الطويلة ، تناهى الي جوابه المؤرخ ب ٢٩-١٢-١٩٦٩ ، وقد استرسل فيه على سجيته : « احمد الله ان وصل الي يدك الكريمة كتابي (شعر الحرب في ادب العرب) بعد لاي من السفر ، وتراخ من الاداء وهو وان طال مكثه في ذلك الفندق يستقبل الضيفان ويودع القادمين فانه سلم من العطب وفوات الاوان . ولقد ارسلت يوما من الشام علبه حلوة لصادق لي بعد ، فوصلت اليه قديمة جافة كادت اسنانه تهادر فوقه ... »

وفي اواخر عام ١٩٦٩ صدر كتابي « في الادب والحياة » .. واستقرت نسخة منه بين يدي المحاسني ، فاذا هو يسرني « والكليلة البليغة التي حلى بها صديقي الاكبر الدكتور صفاء خلوصي غلاف الكتاب ، ثم يقرر الاحتفاء به بمقال مستفيض . ومن ما ذكر فيه : « ويعرف قرائي وقرائتي حيثما كتبت اني اذوق طمام الكتب ولا اتي على اكلمها وانما ادعوه الى مادبها الفنية ليعمنوا فيها غلدا الروح ومشرب النفس التي لا تروي . فالى مادبة الاستاذ السخي وحيد الدين بهاء الدين التي تحمل الما والسوى في الادب والحياة » (٤) .

وفي هذه الفترة اتفق ان صدرت الطبعة الثانية من كتاب « ابو نواس » للمحاسني ، وترامت الي نسخة منه متوجة بمقطوعة شعرية وهي :

(وحيد الدين) يا ابي وحيد وزين للبيان وللوجود (خلوصي) روى ادبي وشعري بجامعة شفت وتري وعودي وقيل لابن الحاسن انت وجدي وسحر هواي في حسناء رود ما كان اقتداري ان ارد عليه شاكرا له تحفته الادبية ، الا برسالة طوبتها على رأي الصريح في كتاب هو باكورة صدرت منذ اكثر من ثلاثين سنة ، واعتزازي بمواهبه النقدية والفنية التي بدت عليه في بواكير عهده بسالادب والفكر ...

بخيالك .. » . كذلك يقول في رسالته المؤرخة ب ٥ - ٣ - ١٩٦٨ : « وكم بت مسرورا بتلاوها - الضمير عائد الى رسالتي اليه - مستغربا ان لا تصل اليك رسالتي السابقة . وما كان من عهدي بالتاخر بالرسالات وبخاصة للاصدقاء الاكرمين امثالك .. » . كما انه يقول في رسالته المؤرخة ب ٢٣ - ٨ - ١٩٧٠ : لك الحق ان تضج وتحتر لانقطاع رسالتي عنك بعد توالياها ولو عرفت عذري لكنت عذيري .. »

وفي ليلة الثالث من شباط من عام ١٩٦٨ ، سافرت في رحلة ادبية الى القاهرة .. عندما هبطت طائرنا النفاثة بمطار دمشق للتزود بالوقود ، تحينت الفرصة لاهتف الى صديقين من اصدقائي الادباء ..

كان الدكتور شكري فيصل غالبا عن منزله ، فتركت له عبر الاسلاك ، بطاقة محبة وتحية .. بينما جالسي المحاسني نفسه على الهاتف ، وهو يبدي دهشته لان اكون بدمشق ولم يسمع بقدمي بعد ،

قلت له : اطمن .. فانا هنا منذ ربع ساعة

قال : من اين تتكلم ؟

قلت : من المطار ، في طريقتي الى القاهرة ..

قال : طبيعي انك ملاق اخوانا لنا هناك

قلت : بالضرورة ، وفي طليعتهم الدكتور طه حسين .

قال : ارجو ان تبغله آيات سلامي

قلت : وهو كذلك ..

بعد عودتي من القاهرة ، واذا بي التقي من المحاسني رسالة جاء بها : « طاب لي ان اجلك سور بزورك مصر وحفاوة ادبائها بك وانك اجتمعت الى استاذنا العظيم الدكتور طه حسين ، فالجلسة اليه غنية الروح والادب الخالد .. »

وتلاحقت الايام .. ومن ثم ادركتني منه نسخة من كتابه « شعر الحرب فسي ادب العرب » ، ولكن بعد مدة من الارسال به .. بعد رقوقه في احد الفنادق - وقد ارسل به الي عن طريقه - ، من غير ان يكلف القاتلون بامره - لغرض في قلوبهم - انفسهم ، اعلامي ذلك .. على ان المحاسني وشع كتابه بمقطوعة شعرية ، هذا نصها :

فديت (وحيد الدين) بالقلب والعين وجئت (بهاء الدين) وفيته ديني عجبت له ، دبان فيه بواحد وزان بهاء فيها سالغ الزين احن الي بفدائ من اجل وجهه ادبي برى من رياء ومن شين فيا ليت لي من صفو دجلة حسوة اردوي بها روحي واشفي من البين هوايان لي شامي وبفدائ مثلما (لرابعة) حيان جلا من الاين (١) ليس من طبعي ان اسكن الى عاطفة انسانية جياشة مكتفيا بجلادتها وتأثيرها في ذاتي دون ان انحرك امامها متخذنا منها موقفا لا يفرسه الواقع . لقد كان جدرا يسي ان اجيب عنها - في الاقل - نثرا . لانني لست شاعرا ، لا بالاصالة ولا بالاداء ، كما يصنع المتفهبون ، وهم كثر ، وان كانت بداياتي للادب انسمت بنظم طفولي .. كتبت

يا ليت المحاسني قد توقف عند هذا الشعور الرائع الدافق ، وأتما جعل يرسل على فطرته في رسالته الى . يقول مرة : « نور عيني ونعمة خوارطي .. لم اطرب لشيء طربي لاسماء اولادك النجب ، اضفي عليهم وعليك وعلى والدتهم المنجبة المغطاء بالصحة والسعادة والاقبال. » ويقول اخرى : « كيف حالك وكيف اولادك وقد وجدتهم كأوتار العود يؤدون نغما واحدا ، لكن كل وتر بنغم خاص . حفظهم الله والمنجبة التي اعطتك ايهم .. » ثم يقول ثالثة : « سلمك المولى وقربنتك المثالية وأولادك الذين اشبههم باوتار عودكما الحنان الذي يشبه عود (اورفي) في اساطير الاغريق .. »

في الايام الاخيرة اصطلحت بعض الامراض على المحاسني ... اخذ يشكو لي عبر رسالته التهابا حادا في مفاصل كعنتيه بسبب من روماتيزم قديمة ، وضعفا واضحا في بصره ، لظهور نسبة ضئيلة من السكر في دمعه ...

اخر رسالة تسلمتها منه وكتبها بخط يده ، كانت قبل وفاته بشهرين كاملين ، وبها يطرق كل حديث، ويعرج على أي شيء ، الا المرض ، وهجمته المباغتة له في مابعد .

ولكن بعد شهر ورذنتي رسالة موجزة .. مؤرخة بـ ٢٥-٢-١٩٧٢ ، ومضاة من قبل ابنته الصغرى (سماء) ، تقول بها : « الوالد يرسل بتحياته وتمنياته الطبية لكم وهو لم يتمكن من الكتابة لانه مريض منذ بضعة ايام .. فقد آلت به روماتيزم شديدة اثرت على ظهره .. » وفي ١٧-٣-١٩٧٢ ، استطاع ان يعلي رسالة على نسبه : زوج ابنته (سماء) وهو راقد على ظهره .. مريض مرض الموت ، وبها يقول وما اوجع ما يقول : « اكتب اليك وانا مضطجع على ظهري منذ شهر وقد عجز منزلي امر بالات ضخام اشعاعية لانني كان من رواع المستحيلات قدرتي على الانتقال . وظهر بالاشعة انني مصاب بانفجار قرص في العمود الفقري فتآكل للمداواني السابقة ضد الروماتيزم بالكورتزون وقد رحلت اذكر قول الجاحظ : (ولي شق مائل اذا قرض بالقراض لم اشعر . وشق منقرض لو مر به اللهب ، لطار عقلي) فاجهشت بك : على ابي عثمان واشفت على نفسي بانني لم اصل الي هذه الدرجة لكني اذا حركت بعنف بلغ صراخي ابواب الجيران » هذه الرسالة بالذات زعرت الياس في جوارحي من

تولت مجلة « الضاد » الحلبية في اواخر عام ١٩٧٠ طبع كتابي « شخصيات من الادب المعاصر » ثم توزيعه على مشاركيها واهدائه الى مریديها من الادباء والمفكرين والشعراء في العالم العربي والمهاجر .. وكانت نسخة من الكتاب قد بلغت المحاسني ، وقراته ابنته الكبرى (ذكاء) ، وهي التي قالت لابيها في ما بعد :

— بابا ... لم لم يذكرك هذا الاستاذ بكتابه مع كثرة ما بينك وبينه من صلة الادب والفكر ؟ اجابها ابوها :

— هذا كتاب سابق لصداقتنا ... ذلك ما نقله المحاسني بامانة الي في احدى رسالته . انما خجلت ان لا اوفي صديقي المحاسني بعض حقه ، وهو الحري بان تدرس اثره وتقوم ، وتعدد جهوده وتذكر ... ومن حسن الحظ ان الظروف ساعدتني في ما بعد على نشر فصل ادبي عنه في مجلة « الاديب » الغراء (هـ) طرب له المحاسني بكل عتله وقلبه ، على نحو غير منظر مما جداه على ان يسوق الي رسالة ادبية في غاية الجمال والقوة والطرافة اذ قال : « فوزي بك منحة اثبتت لي في درب حظي وقد اخذت نفسي على الدوام باداء الشكر جزيلا لكل من يكتب ولو سطرا واحدا يسجل فيه من اعمال الادبية ما يعينني على متابعة السير في صحراء الادب التي شحت فيها الياء . واقسم انك منحة الهبة للادب المعاصر تعدل بمنحة كبرى يوجد بها الزمن على اطراف العصور ... » (٦)

اكثر من هذا بدلي ان اصحاب المحاسني التناهي بما كتبت عنه واطمئناته الي ما اعتقدت ان اكتب ، دعاه لان يقول بالحرف الواحد في ختام رسالته تلك « وكم اطعم ان اجدك في مقال ثان متكلم على شعري ليم فضلك محبوكا من جانيه . ويقول ايضا : « وانت ايها الصديق الاحب والكاتب العبقري الغد اطعمتني ولم تشبعني .. فاننا انتظر قصصك الثانية المألى بما طاب من الشعر والسحر . »

لقد قطعت على المحاسني وعدا بذلك وعهدا .. ولكن القوايل من الايام عاكستني ، بل باعدت بيني وبين ما كنت اريد ، مرددا قول الشاعر العظيم محمود ابو الوفا : اريد وما عسى تجدي اريد . على من ليس بملك ما يريد كان المحاسني يطرب لاسماء اولادي طربا شديدا ، وقد وقف عليها في كلمات الاهداء اليهم في كتبي الطبوعة ، وينشر لها صدره الي حد نظم معه فيهم مقطوعة مؤثرة . معطرة ، ما برحت ارددها في دخيلة نفسي واتنسم عبرها . قال :

ابا (هيام) وقد جدات بامجاد (عصام) مله فؤاد عزة الفساد زينت في الفلك الدوار قطعته (والدهر يرزح) بايام) لاسعاد اما الهولف الذي من نحو جنكم على الصفاك فمثل النار والنادي (اسامه) انشت قلبا وخاطرة لدى (الوحيد بهاء) المورد الهادي ونلك امهمو زين الحصان بدت ، ام التجالب في غيب وفي باد

(١) مجلة (الحديث) الحلبية - العدد الخاص باسماعيل ادهر ١٤٠ .

(٢) اشارة الي بيت رابعة العدوية :

اجك حين : حب الهوى وحيا لانك اهل لذاك

(٣) مجلة (الاديب) اللبنانية العدد نيسان ١٩٧٠ .

(٤) مجلة (الاديب) اللبنانية تشرين الثاني ١٩٧٠ .

(٥) مجلة (الاديب) اللبنانية ايلول ١٩٧١ .

(٦) مجلة (الاديب) اللبنانية تشرين الاول ١٩٧١ .

رسالة اليه

صفاء الحيدري

بغداد



سيدى بساي
مهما تلكا او تانى
مهما تفرق بسى ومنا
فليات ، يكتب فوق شباكى
على الجدران ما يهوى ويهضى
فليات يرسم ما يشاء على دجى ليلي المضى
قلبي تشيبا ، صار اشياء ولاءات
صراعا بين حب بين بغض بين رفض
والبعض منى قد تمزق صار لا يصفى ابغضى
ما عادت الارض التي امشي عليها اليوم ارضي
فلياتني ، فانا اراه من باب لباب
في كل موضع خطوة ، ومدى ذراع من كتابي
سيظل كالأعلاق ملتصقا على قلبي

على جسدي

بسايبى

سجى يسبح في الهواء ، مع الفبار ، على التراب
سيكون ... الملق فوق رأسي ، كالغراب
سيكون خلفي ، تحت اقداسي ، امامي
سيكون مرسوما على قسيمات وجهي
في اكتسابي ، وابتناسامي
سيظل يكسر في عظامي
سيكون فوق يدي ، على قلبي
بصمتي ، في كلاي
سيهبط عنه ثيابه يوما بصمت
باني ليسر ليله الداجي علي بدون صوت
باني ، وما استبظاته الا لوقت
قاري ، اراه على حقيقته
كترتيب لشخصي
كنكسر
كموت

تناوحت مشاعري وتساقت .. وانا احاول ان
اكتب ما بدا يتصاعد من قرارة النفس ..
انه .. انه نعي .. وقد يكون نعي المحاسني !
وصدق ما كان مني ...
ذؤان المحاسني ينمى اياه الزكي : فقيد الادب
والاخلاق !..

غامت الدنيا امام ناظري ، فعدت اسفا كاسفا ..
مظاهر الدنيا الكاذبة ، ططقت - وانا اخود سيارتي -
تمترج بدموعي السواجم وحسراتي الحري ، معلنة
نهاية انسان ، وبداية اخر ...
وفي جنة الخلد يا صديقي ..

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد - الاعظمية

شفائه واستعادته لقواه .. وما زادني الا وحزنا الا قوله
في سطره الاخيرة : « اشكر لك دعاءك وزغاريدك المتبلبلين
وقد نذرت لهم وللحرم المصون امهم هدايا نفيسة عند
ابلاي بحول الله ، واسلم لصديق العمر ... »
هنا اخذ المحاسني يشعر بنهايته .. فلم ينقطع
- كما تقول ابنته (سماء) - عن ذكر الله وهو يعاني
الاما مبرحة .. ولم يهدأ الا بعد نظم ، في اخر لحظة من
لحظات عمره ، قصيدة ، على هامش الملحمة العربية ،
بعنوان « ربيع لا يغنى وازاهير لا تبلى » وقد استهلها:
سالت الهامي وخاطرتني وانا ساجيع كيف القاه
في ظهيرة يوم ٢٥-٣-١٩٧٢ ، كنت ببريد الاعظمية ،
التي في الصندوق بعض ما اعتدت ، فاذا موظف هناك
يتقدم نحوي بخطى هائلة ويده مظروف ..

في طريق العودة

« في طريق العودة » .. اسم الديوان الذي يصدده الشاعر
ليجمع قصائده الأخيرة .. وهذه القصيدة أوله ..



أنا في الدنيا .. ولكنني عن الدنيا رحلت
في سبيل الله .. ما ضحيت فيها .. وبذلت
كانت العودة .. غنما .. أو ضياعا .. ما سألت
كان بالله بقائي .. وإلى الله .. انتقلت
كان لي سر .. مع الله .. وبالسر احتفلت
اتحرى الصديق .. أن قلت مقالا .. أو فعلت
أليس الإخلاص .. ثوبا .. في حلاه .. قد رفلت
كانت الدنيا .. هي السجن .. الذي فيه اعتقلت
هي زناينة أيا .. مي .. التي فيها حلت
لا أيا لي .. ما شئت إلى .. فيها .. وأكلت
كلما صعد نجمي .. ساء حظي .. فترلت
كلما تبليت .. أقدا .. مي .. على صغري .. زللت
كلما أقدمت .. عورضت .. بظلم .. ففقلت
كلما أوشكت أن أبلغ أمرا .. ما وصلت
يا دموعي ! أنك النهر الذي فيه اغتسلت
من لهيب النار .. ماء .. بالظن في اشتعلت
سقت للعالم مديحي .. وعلى الهجو حصلت
أنا محسود .. على الطين .. الذي منه جبلت
وعلى الرق من الماء .. الذي منه نهلت
كنت نجما .. في شباب العمر .. لكنني .. أفلت
ونجاحي .. قاب قوسين .. ولكنني .. فشلت

عامر محمد بحري

مصر الجديدة

صوت البواب :

كمادتي كل صباح ، اشتريت زجاجة لبن ، وخيزا ، وجينا ، وبياضا ، ولم انسى قطعة الشيكولاتة للست الكبيرة .
صعدت الى الشقة ، فالتفتت بالست الصغيرة ، اشجان ، تهبط مسرعة .
اتسعت ابتسامتها حين رأتني ،
بادلتها الابتسام ، ثم قلت :
- تاخرت عليك ؟ .

اتسعت ابتسامتها اكثر ، وقالت :

- لا .. خذ ما اشتريت لك ...

- والست الكبيرة ؟ .

- عندها ما يكفي .

لم يدهشني سخاؤها ، اعتدت عطاها الوفير ، مما جعلني اطرب حتى لسماع صوت حذاءها . لكني دهشت لابتناسمتها العريضة ،
وخروجها قبل الموعد بنصف ساعة ،
دون افطار .

هبطت في اثرها ، كان المصعد معطلا ، احببت ان اتبعها حتى باب العمارة ، ربما تطلب مني شيئا .
فجأة توقفت ، والتفتت الي ،
سألني :

- اتريد شيئا يا عم عبده ؟ .
ودائما تسألني ان كنت في حاجة الى مال او طعام او كساء . الدنيا بخير حقا .. لا .. ان دنياي لا تعدني هذه البنت الحلوة الطيبة ، اشجان هائم .. انها الدنيا ، وهي الخير كله !

وقبل ان اجيب ، امتدت يدها بورقة نقدية ..

- خذها ، يمكن امرائك تطلب مصاريف .

اردت تقبيل يدها الممتدة ، لكنني سحبتها مبتسمة .

فتحت باب حجرتي القابعة تحت السلم ، كانت صفيحة نطف في النوم .
اوجع اذني شيخيرها المنفر ، لكنني تحاملت ، وزعقت في اذنها حتى افاتت .

دعوت صفيحة ولدي الصغير لتناول افطار يخلو من الفول الدمس . فرحت صفيحة ومدت يدها لتلتهم قطعة جبن كبيرة ، وانهمك الولد في شرب اللبن

... طلبت منه الترتيب حتى اصعد له سندويش الجبن ، لكنه لم يتنبه الى ما قلت الا بعد ان اتى على زجاجة اللبن .

ولمح لسان صفيحة بالدعاء لستها الصغيرة الطيبة اشجان .

وفي المساء ، هبط الاستاذ بهاء من السيارة ، وحياني . عرفت حينذاك سر ابتسامه اشجان هائم ، فقد حضر الاستاذ بهاء لشراء الشبكة .

صوت راقت :
حين دخلت المكتب ، فوجئت بحضورها قبلي ، على غير العادة .
وحين سألت عن السبب ، ابتسمت ،
وقالت انها تود كسر العادة المملة ،
ثم اتسعت ابتسامتها . كم تمنيت ..



بقلم حمدي سيد لبيب

لا داعي للتذكر ، النسيان خير دواء .
حين تلمست الطريق الى قلبها ،
اوصلت الباب دوني . اعتذرت متلطفة ، وادعت انها مرتبطة . ثم تعاهدنا على ان نظل زميلين ، او صديقين . وعانيت صعوبة بالغة في اخفاء اوجاعي ، وفشلت في كبت امنيتي . وادت افراح قلبي ، وتحاملت جراحي .

حدثتني عن جمال الربيع ، لكنني تمنيت ان احداثها عن جمالها الذي هو احلى من الربيع .. قبرت امنيتي ، واصفيت لحديثها الحلو . وحين انتهت ما بيننا من حديث ، صمتت



قلبا ، ثم امسكت سماعة التليفون ، ادارت القرص على مهل ، ثم وضعت السماعة ولم تتحدث ، وحين التفت عبونا ، قالت :

- اردت الاعتذار لصديقتي عن موعد سابق ، لكنني غيرت رأيي .. ساذهب اليها .

تركنتي وحيدا ، لم تنس وهي تودعني ان تهديني ابتسامتها الرقيقة .
تناولت ورقة ، اردت ان اعبر عن مشاعري ، ساضع الرسالة في درج مكتبها حين تعود ، ولكن ما يكون .
ربما بهذا هذا المترو بين ضلوعي .

مللت الكتابة ، فخرجت اهرول في اثرها ، ركضت كي احقق بها .
ناديت في ردهة المصلحة حين لحقتها :
- اشجان .. اشجان .

توقفت ، والتفتت تهديني ابتسامتها الوردية ، وتساءل :
- ماذا ؟ .

جمدت لحظات ، لا اعرف ماذا اقول ؟ . وانتقلت الموقف بابتسامة باهتة ، ثم قلت في صوت مرتعش :

- اردت ان اوصلك الى ..
تباطات في الحديث ، اربكت ،
انتجرت الكلمات في جوف حلقي .

- متشكرة يا راقت .
- طيب ، على الاقل لآية بباب المصلحة .

ارتسمت ابتسامه الجيوكرندا على شففتها الرقيقتين ، اومات :
- ممكن .

وكانت سعادتني آتئذ لا تقدر بشئ .

وكان يوما من اجمل ايام حياتي .
صوت الفت :

زارتني في الصباح . خمنت انها اتت لاصحبا الى وسط البلد .

سالت :
- ماذا وراؤك ؟ .

- تصوري يا الفت ، كنت عابزة اكلعك في التليفون ، لكن قلت اشوفك احسن . وضحكت ..

اعرف اشجان منذ عهد الدراسة .
كانت صديقتي التي ارتاح اليها .
ازحم عقلا بمشاكلي الصغيرة التافهة ،

فتسمعني ، ثم تنصني فتجذبني اليها صراحتها التي تغرد بها عن سواها من الزميلات . تبادل بمصالحتي حين تنخاسم ، وتفض المنازعات التي تشب بيني وبين الزميلات . لسم اصاف صديقة مثلها ، فتولد في اعماقي ود صادق ، اصارحها به ، فتعتر بذلك مجاملة ، وترد بابتسامة :
- اكره المجاملات .

طاب لنا الحديث ، لكن الشيء الذي زارتني من اجله ، لم تكشف عنه ، حتى اعتقدت انها زبارة عابرة .

اجبها اخي امين من اعماق قلبه . كان يكتب لها عن مكون الشعور ، فادعي كذبا اني رسوله الامين اليها ، ثم احفظ برسالته في درج مكتبي ، في ركن قصي لا تمتد اليه يد . توجست خيفة من تبدل احاسيسه الى ما لا تحمد عقباه ، وما يزال على اعتاب الليسانس ، تلجج امني بالدعاء له . وحين يسألني عن ردودها ، انذرع بالحجج ، فيقتنع بدعائاتي ، وكان اخرها ان اشجان تخاف من تشدد امها ، فتحجج عن الكتابة ، لكنها تبادله نفس الشعور !

وبعد انتهاء الامتحانات ، تلكأت في مضارحة اشجان ، حتى نطلمشن على نجاحه ، ثم صارحتها .. ففاجاني بقرب خطبتها لبهاء ابن خالتها . صدمني النبأ ، وبدا عليها التائر ، اطرقت برهة ثم قالت :

- يبدو ان الاقدار تسيرنا ، وليس هناك من طريق نختره برغبتنا .

- الا تحبين ابن خالك ؟
دمعت عينها ..

مسحت الدموع بمندبلي ، وتمتمت :
- امي مريضة يا الفت ، وهذه رغبتها ، ربما هي مشيئة الاقدار . وتماهدنا على ان نكتم ما حدث ، ونظل صداقتنا نقية طاهرة . كان ذلك منذ شهر تقريبا .

سألتها :

- اهنك شيء مهم تودين الحديث فيه ؟

- ابدأ ..

قالتا بعد تردد ، ثم صمتت فترة قبل ان تستطرد :

- وحشتيني .. قلت ازورك ، واقضي معك بعض الوقت .

ثم ودعتها وانا اتكنم الحجرة على حظ اخي المكوم الفؤاد . ولطالما قالت له امي :

- انه التصيب يا امين .

فأهرب الى غرفتي باكية . قد اكون انا السبب . وحين بهذا انفعالي ، التمس لنفسي العذر بان اشجان ربما لا تختزن نفس المشاعر الفياضة ، ربما هي تحب ابن خالتها . صوت الام :

كم يساوي هذا اليوم ؟ .. وربما



حسني سيد ليب

معنا في الشقة ، فاضطرت في النهاية ان توافق .

حضرت اشجان من عملها في الثانية عشرة ، على غير عودتها .

- حضرت مبكرة ..

- استأذنت .

ولست فرحتها الكبيرة ، فحقق قلبي ، ولاح في الافق تباشير السعادة . لقد رق قلب اشجان اخيرا ، بعد التردد والتوجس ، وعال الى بهاء . وكانت ابتسامتها الحانية امرأة صافية عكست رضاهاموافقتها فدعوت الله ان يبارك هذا الزواج . صوت بهاء :

مرت ايام ثقيلة كدت افقد العمل في كسب مودتها . اوصتني خالتي بالصبر ، فهي ادري بخفايا ابتها . وكنت افض الموضوع ، وكان شيئا لم يكن ، حتى لا تميزتني الهواجس ، او اكون ثقل الدم ، لم اطلب من خالتي اقتناع اشجان ، فهي حريصة على انعام الزوجة ، ورات في تبان مشاعر ابتها بعض القلق الذي سرعان ما يتبدد . وتذرعت بالصبر ، وحرصت على ارضائها بشئ الطرق ، حتى اني اهتتمت بشؤونها الصغيرة

التافهة ، واناقتها في كل ما يخصها متناسيا ذاتي تماما .. وقد نجحت في ذلك نجاحا ما ، لكنني في بعض الاحيان احس اني افعلت المواقف ، واخشى ان تكون اكتشفت مذلة قلبي الذي ادماه العشق .

ومنذ اسبوع ، هانتني خالتي بواقفة اشجان . طرت فرحا ، وورقت ثملا ، اعلنت تصميمي على شراء الشبكة في نفس الليلة ، فتصحتني بالتريث ..

- لا تخف .. لن تغير رأياها .

ورغم عدم تقتي في كلمتها ، الا اني اغضنت .

اعرف ان اشجان تنظر الى الحياة بمنظار غريب ، وكم اشغقت عليها . فهي لا ترى ان من الضروري ادمان الفرح ، حتى لا تفجئنا الايام بما يدمي القلب ، ويحطم النفس . وبرغم الابتسامة التي لا تغيب عن

يساوي العمر كله ، او ان الله تعالى اراد في هذا اليوم ان يعوضني عن العذاب الذي اعانيه . اقمدي الشلل خمس سنوات ، وداوت اشجان آلامي النفسية ، واعطتني من حنانها ما تلج صدري ، وطيب خاطصري . يشتري بهاء الشبكة في المساء ، كانت اشجان مترددة في قبوله ، فقد رأت في الزواج عائقا يحول بينها وبين رعابتي . باذر بهاء ووافق على العيش

شفتها ، الا انها تخفي نظرة التشاؤم والشك ، ولو اني افرا سرها فسي عينها القلقين .

قالت لي بعد اعداد الشاي ، وقبل خروجنا لشراء الشبكة :

— يجب الا تخفق قلوبنا فرحاً وسعادة ، او عشقاً لمغريات الحياة .

— وهل نعيش في ظلال الكآبة؟ — التعلل مطلوب .

— احيانا يكون شيء من الجنون اجدى لحياتنا ، وقليل من الملح يصلح الطعام !

حملت في امها قعيدة الكرسي ، ثم قالت في صوت اشبه بالهمس :

— الحرس واجب .

— لكن الخوف نوع من الجبن .

— بعض الخوافين يء من المستقبل الكامن في عروق الزمن .

كدت اقرر امام جدلي السذي لا ينتهي . حاولت انهاء الحوار :

— هل نحن مختلفان ؟

— لست اعني ذلك . لكن يلد لي اكتشاف منالطات الحياة .

ولمست خالتي ما اعانيه فقالست ضاحكة :

— كفى فلسفة يا اشجان .

وشاركتها الضحك :

— انتصرت اشجان يا خالتي .

وهبت واقفة ، وقالت لامها :

— لم نأخذني العلاج .

انت بعلبتي الافراس ، وكسوب الماء . . . ازدردت خالتي جتبن ، ثم رشقة ماء ، وحدثت الله .

باركت خالتي زواجنا . . ودعت لنا بالسلامة ونحن نتاهب للخروج .

خفق قلبي لكلماتها التابعة عن اعماق القلب . وتأثرت اشجان بهذه

الدعوات ، فاحمرت وجنتاها . . ثم امسكت يدي ، وضغطت على اصابعي .

كانت مشرقة الجبين ، باسمعة التفرغ .

لكن شيئاً آخر اهم من ذلك بكثير احسست به يسري في انساملي ، فقد انتقلت نبضات قلبها من اناملي الى اناملي . . واحسست وكأن دماها امتزجت بدمائي . . او هكذا تراهي لي .

وكان يوما من اعظم ايام حياتي . صوبتها :

هل واقت ؟ . . لست ادري . .

اثارتني كلمات امي ، فاستجبت لها . تركت دفة الحياة توجهنني كيفما تشاء ، تتقاذفني امواجها ، وتعيث بي الاقدار .

لم افكر قط في مستقبل المجهول ، وكاني مسوقة قسراً .

اقل يوم شراء الشبكة ، ليكن ما يكون ، سيأتي في المساء ، فعابذا

افعل . . لا شيء . . ما الضير في ان تسير حياتي اليوم على وتسيرتها

العادية . لا داعي لاشاعة الخير بين الصديقات والزلاء .

اثنا خروجي الى العمل ، تفحصتني عينا امي . .

التفت اليها مبتسمة . تنهدت ، وخالجتي احساس بان ابتسامتسي

منحتها لامي كبطاقة اعتذار عن برودي وصمتي . التقيت على السلم بـسم

عبد الوهاب . توقف حساندا .

حلجتي بنظرانه ، كان الوقت مبكرا وتعلجت النزول دون افطار . .

تسمرت . . واربت اجاسيسي خلف ابتسامتي . وتكرت له ما استشياء .

وحبطت الدرج ، لكنه هزل في اثري .

التفتت ورائتي ، فمألت ما اذا كان يطلب شيئا ، مرة اخرى ارغمه عسلى

الصمت ، نقدته ورقة نقدية ، فاثال لسانه بكلمات الدعاء . .

جلست الى مكتبي ، لم يحضر احد بعد ، بعد دقائق حضر رافت ،

ابتسم قائلا :

— ما كل هذا النشاط يا اشجان ؟

— احرب كسر العادة المملة . قابلت في الطريق وجوها غير تلك التي اراها

كل يوم . . .

شئت الاكثار من الكلام حتى لا يلاحقني باسئلة قد تربكني ، قد

تردني الى الواقع ، قد تردني الى الشرد الذي اهرب منه بطرق شتى . .

والبعد عن الوحدة ، والابتسام ايضا . بالحدث ، والانتماس في العمل ،

لكني وانا اتحدث مع رافت ، تذكرت طلبة اليتيم ، كان ذلك منذ شهور .

وحين اتفقنا على ان تطوي هذه

الرغبة ، ونظال كاصدقاء في حدود العمل ، تركت علامات الاستفهام

بصماتها على علاقتنا . وبعد ان كنت اتحدث على سجيته معي ، بدات انتقي الكلمات ، وبعد ان اقعنتسي

بانه الرجل المناسب ، طوى رغبته اليتيمة ، وعاملني برقة بالفة . . .

وتنفذا لطبي ، اهل على رغبته سنار النسيان . كثر شرودي ، لماذا

اذكر كل هذا ؟ . . امسكت سماعة التليفون ، كي اعتذر لبهاء عن موعد

اليوم ، طالبة منه تاجيل شراء الشبكة الى موعد اخر . . .

لكني ترددت حين اتاني صوته عبر الاسلاك . . وضعت السماعة . .

حلجتي رافت بنظرانه المهمة . استأذنت ، متللة بموعده

مع صديقه ، شئت الاهتذار عنه بالتليفون ، لكني تراجعت . . و . .

وسأذهب اليها حسب الموعد . . هزلت خارجة ، هاربة من نظرانه الجارحة

لكنه اقضى اثري ، ونادى وهو يحث الخطي . دهشت . .

سار بمحاذاتي حتى باب المصلحة ، وكان سعيدا ، تلك السعادة التي سرعان

ما يختفي بزيقها حين نفترق !

ودائما تعرف قدماي طريقهما الى الفت . اشعر بحتن جارف

يشدني اليها . انها صديقة العمر ، بل هي اختي التي لم تنجبها امي .

وما صنعتها الاقدار ، اصابني بصدمة عتيدة . دائما اشعر بالحنين الى

لقاء امين ، اخيها ، لكني تكتمت الهوى ، وعرفت فيما بعد انه تكتم

الهوى مثلي . وكانت الفت ، دون ان تدري ، حجر عثرة في طريق المحبين .

حببت عني رساله ، ولم تنقل لي شعوره ، وكان امين طارزا فريدا ،

فقد واد شاعره ، وحين حاول التعبير عنها ، امسك القلم وكتب . .

كتب كثيرا . . وطيب الفت خاطره ، وكذبت عليه ، حرصا منها على مستقبله

الدراسي ، هكذا قالت لي . .

منذ شهر ، صارحتني الفت ، وكان بهاء قد تقدم للزواج مني ، ولم

اكن املك فكأما من رغبة امي قعيدة

تطهر

من مجموعة « افئيات من خارج العصر »

★

كما المعدن المصهور بالنار يظهر
حببية رمل في لظى الشمس تسكر
كما يخلص الجسم الذي يتلور
أريجاً لأرجاء الفضاء يعطر
نمتها وتاهت بالإصالة عبقر
بصدر نوى فيه الخنان المعطر
على راحتني أم تحن وتفر
بكف كماء المزن تحيي وتكسر
عن الوصف .. اني طاقة تتفجر
وفكرا له قلب وقلبا يفكر

تظهرت من كل الخطايا بحبها
احس متى كانت بقريسي انسي
وقد خلصت من كل شيء يشوبها
واني رحيق الزهر حوله اللطفي
واني لحسن وقمته انامل
واني طفل علقت نظراته
فيجهش من فرط السعادة بالكا
واني ملهوف اتساء مفيشه
واني واني .. يعجز القول كله
سموا وابداوا وصدق طوبه

بحر امان بعده ثم ابحر
فابصر - وافر حاتم ما ليس يبصر
ومستقبل في حلة الوعد يعطر
سيتبقى ويفنى ما سواها ويدثر

ملاكنا عيناها يحيطان وحدتي
يشف امامي الكون حين اراهما
وتلغى حدود بين ماض وحاضر
رضينا بنعمى الروح لم نبلغ غيرها

سيد ابو الحسن

دمشق

ARCHIVE

دمعت عيناها وهي تقول :

- كنت اود ان اصحبكما ..
كدت ابكي مثلها ، لكني تماكنت
نفسى ، امسكت يد بهاء ، ضغطت
على اصابعه ، وتلاقت عيناى بعينيته ..
التفت الى امي فلاحظت ان نهسر
الدموع قد جف ، واشرقت ابتسامه
حانية على محياها . خفق قلبي .
امت النظر الى بهاء ، الى عينيته ..
ابتسمت .. احسست برجفة بقشعر
لها بدني ، اتسعت ابتسامتي .. كانت
امي سعيدة ، منتهى السعادة ..
وكانت ابتسامتي ، في هذه المرة ،
ابتسامه نابعة من اعماق الفؤاد .

وكانت هذه اللحظة من اجمل
لحظات العمر ، او هي العمر كله !

حسنى سيد لبيب

القاهرة

سأؤذي ذلك الى مزيد من الراحة
النفسية .. والى مزيد من التقدم في
صحتها .. يا رب ، هل تمنح امي
من قدرتك القدرة على المشي ؟
وانجس الذمخ السخين ، فواربته
عن امي .
حضر بهاء ، كان مرحا ، وسعيدا .
قررت ان يتم كل شيء في هذوء .
انها مشيئة الله . ومهما تكن مخاوفنا
ومحاذيرنا ، فان عدالة السماء
ستفرض حكمها في النهاية . ثم ،
نسبت الدور الذي رسمته ، وجادلت
بهاء ، تشبع حديثي بروح التشاؤم ،
وحين يبشرني بالبهجة ، ويطلب مني
التفاؤل ، ارده الى المخاوف ، والى
ان السعادة لا تدوم ! اغافنتي امي ،
نهزنتي :

- كفى فلسفة يا اشجان .
تاهينا للخروج . باركت خطواتنا ،

الكرسي ، فراحتها النفسية جزء من
العلاج ، وتعويض لها عما تعانته .
والهبت الفت نار الوجد في فؤادي
بتلك الصراحة ، وبدأت اتسمع
دقات قلبي التمرد بين الضلوع .
تحدثت مع الفت في كل شيء ،
وكان قلبي يدق بعنف ، يتحسدى
ضعفى . لم اقلح في ترير زيارتي
المفاجئة . وحدتني عن تأنيب امين
لتصرفها ، ووصفت لي الاكتئاب
النفسى الذي اصابه .. قلت في
صوت خفيض :

- انه النصب .
النصب ، يا لها من كلمة .
توجهت الى البيت في حوالى الثانية
عشرة . دهشت امي لتبكي في
الحضور ، لكنها ارجعت ذلك الى
الفرحة التي غمرتني . وفرحت
كثيرا بالتبرير الذي اهدت اليه ،



عبد الرزاق الهلالي

عبد الرزاق الهلالي

بمناسبة صدور كتابه

تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني

بقلم جمال الدين الالوسي

• • •

الاستاذ عبد الرزاق الهلالي ، كاتب اديب معروف ، مولده ونشأته الاولى ، البصرة ، ذات التربة الدثة ، والمياه الدافقة ، والبساتين الوارفة ، والنخيل الباسقة ، ياتيا وزفها رغدا من ثمرات البحر والنهر والنخل ، وتغد اليها تجارات الهند وفارس والصين والخليج العربي ، قطعت اهلها على الرضا ، وعلى دماء الخلق ، ولين العربية ، وكرم النفس ، ورقة الطبع ، ورهافة الحس ، تتجلي هذه الخصال الحميدة جميعها ، بصديقتنا ، الاستاذ عبد الرزاق الهلالي : من حديث حلو ، واخاء صادق ، ووفاء نادر ، يرضى الواجبات الاجتماعية ، ويقوم باعبائها ، ملتزم لادابها برغم ما فيها من بطل وارهاق ! جم النشاط والحركة . لا يعرف الركود ، ولا يركن الى الراحة ، شان الكثيرين من اعتقوا من نير الوظيفة ، واحبلوا على المعاش ، يشكون الفراغ ، وتفسد حياتهم البطالة والتعطيل !

اما صديقنا الهلالي ، فوخته قد ملاه بالبحث والدرس والقراءة والتأليف ، ومراجعة المراجع في الصحف ، والمجلات

والكتب ، فمن المكتبة الوطنية الى مكتبة الانار او المجمع العلمي ، او زيارة الادباء الذين يعهد الخبرة عندهم فيما يجمع ويحقق ! وقد زاد نشاطه ، بعد الستينات ، فلا يمضي وقت الا ويطلع على قرائه بمقال منع ، او بحث مفيد ، او قصيدة من قصائده الاخوانية ، التي يغلب على ديباجتها الدعابة والمطارحة ! ولا يمضي شهر الا وتقرأ له في « الاديب » او « الهلال » او « العربي » او « العالم الثقافي » او « البلاغ » ، او تسمع له محاضرة ادبية ، يدعها بتحقيقات وشواهد ، يخرج منها السامع بفوائد لا تحصى ، وبمتعة لذيدة !

وادب الهلالي ، خفيف الظل ، شفاف الاهداب ، لا يشغل على قارئ او سامع ، بلغة سهلة لا ايهام فيها ، وسعت ثقافته معارف عصره ، وتسنى له ان يطوف البلاد شرقا وغربا ، موفدا بحكم وظيفته تارة ، وسائحا مشاهدا تارة اخرى ، فاكسب خبرات زادت من ثقافته ، واكسبته صداقات اصداقاء افاضل ، نفعته صداقاتهم ، يواصلهم ويواصلونه ، ويكتبهم ويكتبونه ، شعرا ونثرا ، وهو بطبعه ، طلمة ، يقرأ ويعلق ويسجل ، ولا يكتفي بالنظرة العجلى ، ويستقصي اطراف موضوعه ، ولا يدع كستزيد زيادة .

تعلم صديقنا الهلالي ، وفق المنهج الدراسي الرسمي فانهى دراسته الابتدائية والمتوسطة في البصرة ، وانتمى الى دار المعلمين الابتدائية ، ونال شهادتها ، والتحق بكلية التربية - دار المعلمين العالية - وحصل على شهادة (الليسانس) باللغة العربية ، بتفوق ، وعلم روحا من الزمن في دار المعلمين الريفية ببغداد ، وشغل وظائف مهمة في دوائر الدولة المختلفة ، كان آخرها منصب المدير العام للمصرف الزراعي ، لكنه لم يقف عند هذا الحد من التعلم ، ولا وقف تطلعه عند الوظيفة ، والكرسي الوثير ، والراتب الكبير كما يفعل الموظفون ، بل رغب بالاستزادة من العلم والثقافة ، فالزم نفسه بدراسة القانون ، ودخل كلية الحقوق وبعد اربع سنين ، نال شهادتها !

والاستاذ الهلالي ، كما قلنا اتفنا ، طلمة ، كلف بالمعرفة وراح يستزيد من الثقافة فجذب في طلبها ، وراح بعد العدة للاستزادة من الوانها ، وشارك وساهم في النشاطات الادبية والاجتماعية ، فاذا اراد ان يكتب في موضوع ، اندفع الى اعداده ، بنشاط ، يراجع وينقب ويبحث ويسأل ولا يترك مرجعا يزيد موضوعه علما وفائدة ، الا قراء ، وشعراء « واسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

والثقافة كما لا يخفى امرها ، على القاري الكريم « لا حد لها عند من يطبع نفسه على حب المعرفة ، وعلى من يكلف بالعلم ، تضيق حتى تقف جامدة عند بعضهم ، على نيل الشهادة ، فاذا نالها ، فعلى العلم السلام ، وعلى الكتاب الف طلاق . وتتسع فلا يقف عندها حد ، ولا تنتهي عند عمر ، من المهد الى اللحد كما في الانثر ، ولا تجعد على لون

العراق في عهد الاحتلال البريطاني « طبعه في نهاية شهر نيسان سنة ١٩٧٥ وساعدت وزارة التربية مشكورة على نشره (والكتاب يخصها قبل غيرها ، ومادته من صميم عملها وكان الاخرى طبعه على نفقتها !) .

وتاريخ هذه الحقبة ، يكتنفها الغموض ، ويعتبر مصادرها الضياع ، بسبب فقدان الكثير من المصادر والملفات التي تحتوي على الوثائق والتقارير ، ووزارة التربية بأجهزها ، تنقص هذه الوثائق والحوليات والاحصائيات ، والوقوف على اخبار ذلك العهد ، كلف الباحث رهقا ، وتطلب منه صبرا ، لا يتحملة الا اولو العزم من الذين ، ندبوا انفسهم للعلم . وقد وفق صديقنا الهلالي الى جمع العديد من هذه الوثائق من المكتبات والصحف التي كانت تصدر - ذلك العهد - وشاء المصادفة ، ان يلتقي في لندن بشخص اميركي ، هو الاب « جي . جي . دسكن » احد الاباء اليسوعيين الذين عملوا في « كلية الحكمة » في بغداد ، وعن هذا اللقاء ، يقول الهلالي « .. ان هذا الرجل لما سمعني ، احدث زوجتي باللغة العربية او بالاحرى ، باللهجة العراقية ، اخذ يرفف السمع - لانه يعرف العربية فلما تاكد اننا من العراق ، تقدم منا قائلا : صباح الخير .. انا الاب دسكن ، كنت مدرسا في كلية الحكمة ببغداد !

قلت له : اهلا وسهلا .. وانا عبد الرزاق الهلالي !
الا انه لم يكده يسمع باسمي حتى قال :

يا الله ، ابحث عنك في بغداد ولا اتمكن من مقابلتك ، والفاك في لندن ! قلت ان هذا غريب وماذا تريد من مقابلتي ؟ قال : كنت اريد الحصول على نسخة من كتابك « تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني » قلت ولماذا تبحث عن هذا الكتاب ؟ وهل حصلت على نسخة منه؟ قال : كنت بحاجة ماسة لها ، لاني اخترت موضوعا عن تطور التعليم في العراق (٢) ، وسجلته في قسم التربية بجامعة بتسبرغ في الولايات المتحدة ، ولما لم احصل على نسخة من كتابك في مكتبات بغداد ، استعرت نسخة الباحث العراقي الاستاذ كوركيس عواد ، والواقع اني افدت كثيرا من كتابك هذا .

قلت : وهل انتهيت دراستك هذه ؟ قال : نعم لقد

واحد من الوان التخصص . وعندي ان صاحب التخصص اذا وقف عند موضوع تخصصه ، ولم يشارك في الوان اخرى ، فنحظه من الثقافة فثيل ، ونصيبه من المعرفة قليل ، فالثقف هو ذلك المتعلم دائما ، والمتجدد باستمرار هو الذي بهي عقله لاكتساب المعرفة مهما تفرغت ، ولا يجمد على علم خاص . والثقف هو الذي يضيف الى علمه الذي تخصص به ، مشاركات ادبية ، وفنية ، يتذوق الشعر والقصة والتاريخ والادب ، والرسم والموسيقى والفناء ، وليس هذا الحكم مقصورا على العلماء ، وانما يسري على الادباء والكتاب والشعراء وغيرهم من اهل الفنون . والثقافة مهما تنوعت واتسعت ، قليل نفعها اذا اقتصر نفعها على صاحبها ، ولم يسيرها للناس وفي خدمة الجماهير ، والله سبحانه وتعالى قد اخذ عهدا على العلماء ، ان ينشروا علمهم ويبينوه للناس ، قال تعالى « واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبينوه للناس » وقدر العالم ، بقدر ما ينفع الآخرين ، ممن يعايشهم من ابناء قومه ووطنه ، وبقدر ما يضيء لهم سبل الحياة . وصديقنا الهلالي ، كذلك ، لا يدركه ركود او فتور ، سعي دائم - ما شاء الله عليه - وغين الحسود فيها عود ! فهو لا يمضي شهر ، الا ونقرأ له ، مقالا نافعا او بحثا مفيدا او كتابا ممتعا ، وقد اترى المكتبة العربية ، بواحد وعشرين كتابا ، شملت الوانا من المعرفة ، فثارة يكتسب في الادب والادب ، واخرى في الشعر والشعرية ، وثالثة ، تجده يكتسب في الاصلاح الاجتماعي والاقتصاد الزراعي ، وفي السير والتاريخ وفي الهجرة من الريف الى المدينة وفي ملامح المجتمع العراقي وآونة في وصف ما شاهده في رحلاته واستغافه (١) او يعكف على اعداد دراسة ، يرى حاجة المتعلمين اليها ماسة ، كما فعل فجمع مادة كتابه « تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني » ويذكر ادياء وشعراء ، كان لهم اثر فعال في نهضة العراق الادبية ، وقد نسيهم ابناء هذا الجيل او اكادوا ينسونهم ، فلفظك يجمع مادتهم ، وينشر اخبارهم ويختير لهم من عيون شعرهم ، وقراء « الادب » يذكرون هذه الفصول الممتعة ، بتقدير واعجاب .

واخر ما انجز الهلالي من الكتب ، « تاريخ التعليم في

(١) لقد صدر للاستاذ الهلالي منذ سنة ١٩٢٥ حتى يومنا هذا

الكتب الابنية :

١ - صور واحاديث اجتماعية .

٢ - يوم في لندن .

٣ - ولادة وابسن ديسون .

٤ - نظرات في اصلاح الريف (ثلاث طبعات) .

٥ - معجم العراق ج ١

٦ - معجم العراق ج ٢ .

٧ - مشاكل الائتمان الزراعي في العراق .

٨ - الهجرة من الريف للمدن في العراق .

٩ - دليل العراق الحديث - انكليزي - .

١٠ - تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني .

١١ - الريف والاصلاح الاجتماعي في العراق .

١٢ - الزهاوي بين الثورة والسكوت

١٣ - تعمير القرية في العراق .

١٤ - الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي .

١٥ - المجتمع الريفي العربي والاصلاح الزراعي .

١٦ - قصة الارضي والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطن العربي .

١٧ - ادبيات المؤتمر .

١٨ - زكي مبارك في العراق .

١٩ - مختارات الزهاوي من عيون الشعر .

٢٠ - دراسات وتراجم عراقية .

٢١ - تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني .

2 - The Genesis of Government Educational System in Iraq

اغنية قديمة

لك عطر الهوى وبسوح هيامي وحنيني على المدى يا « خزامي »
يا جمالا يزهو على الناس تيهاكيف يرضيك في الغرام خصامي
لست انسالك كلما خيم الليل ونسارت عواطفي واوامي
وتلفت والاسى يقتل الروح شقيا لسالف الایام
عل طيفا يلوح في افق عمري فتهل الانوار بعد الظلام
يا روى ثرة التهاويم اذكت
عليني فائتي اليوم وحدي
ودعيني استلهم الشعر حيا
يا غرامي الوحيد يا روعة اللحن
سوف تبقي في حياتي وحيا

عبد الخالق فريد

بغداد

الثانية الوحيدة ، وطلاب هذا الصف لا يزيدون على ثمانية طلاب فقط !!

ان الموضوعات التي عالجهاصديقنا الهلالي ، كان الرائد الاول في بحثها ، بنير كتابه نشأة التعليم في العراق ، ويوضح الخطوات التي راقت هذه النشأة ، مدعمة بالوثائق والقرارات الرسمية ، وبحق انه وثيقة ثمينة سدت نقصا كبيرا ، وقد اشتمل على معلومات تهم كل مرب ، او بمعنى بشؤون التربية والتعليم .

وانا ، وانا الذي نشأ في تلك الحقبة ، وتخرج مني دار المعلمين حتى تكاملت ايام مديرها المربي الكبير محمد عبد العزيز ، الذي له اليد الطولى ، في نشأة التعليم وتطوره في العراق، وعملت من مطلع العشرين ، وواكبت تطور التعليم بمراحله ، اعترف بانني ، بعد قراءة كتاب الصديق خرجت بظائل من المعلومات كبير ، وبفوائد ونفع لا حد له ، اعداد الي ذكريات ومعلومات كان قد عفى عليها الزمان ، وغدت بعداد النسيان ، فاعادها حصيلة حية ، تنبض بالحياة ، وحفظها من الضياع .

فلمؤلف التقدير المقرون بالاعجاب والتهنئة الصادقة، على ما بلل من جهد ووقت وعناء ، وللنجاح الذي وفق اليه ، شأنه في كل ما كتب والف ، فقد قدم خدمة جلى للعلم والمتعلمين ، بمايسر للباحثين وطلاب الدراسات العليا مادة خصبة لا يظفرون بها ، بغير هذا الكتاب الرائد .

ولا يغوتني ان استرعي نظر وزارة التربية والتعليم العالي ، للاستفادة من هذا الكتاب الذي تفتقر اليه مكتبات المدارس ، وطلاب الاختصاص ، فهو مرجع مهم لهذه الحقبة التي نجح في تاريخها الاستاذ الهلالي .

جمال الدين الالوسي

الاعظمية - بغداد

نوقشت رسالتي وتلت درجة الدكتوراه سنة ١٩٧١ .

وهكذا وجد الهلالي ، فرصة مواتية ، فطلب منه ان يروده بنسخة من اطروحته ، ولما لم يكن لديه نسخة زائده اعطاه عنوان (مركز الوثائق) الذي لبي طلب الهلالي فافادته هذه الاطروحة وزودته بالكثير مما كان هو بحاجة اليه من الوثائق والاحصائيات والمعلومات المستقاة من مراجعتها الانكليزية الصادرة في عهد الاحتلال وما بعده .

والكتاب ، جاء مدعما بالوثائق والصور والاحصائيات بحث ملامح المجتمع العراقي في تلك الحقبة ، وعرض فصلا يبين نفوس العراق بولاياته الثلاث، البصرة وبغداد والموصل ووصف حالة المعارف في العراق في اواخر العهد العثماني، وقيام الادارة المدنية ، اثر الاحتلال البريطاني ، وتنظيم شؤون التعليم في ولايتي البصرة وبغداد ، واثر الدكتور (جون فانيس) في البصرة و (حسني عبد الهادي) الذي تولى ادارة معارف بغداد ، ونوه بفضلته حسن وفتي آل قاضي ، وفصل الحالة الثقافية التي كانت عليها المدن العراقية والصعوبات التي لاقاها المكلفون بتنظيم التعليم وما رافق فتح المدارس من صعوبات تتمثل في قلة بالمعلمين وندره في الكتب المدرسية ، وقفدان المباني التي تصلح لاتخاذها مدارس وشفة في المال ، المقتضى للفتح الجدي ، وانباء هذا الجيل لا يتقدرون هذه المشكلات ، ولا يعرفون كيف نشأ التعليم وتدرج ، فتحوا عيونهم في قسراهم ومدنهم كبيرة او صغيرة ، ووجدوا المدارس تقص بالبنين والبنات على اختلاف درجاتها ، ابتدائية وثانوية للجنسين وكليات وجامعات ، تضم الاف الطلبة في بغداد والبصرة والموصل والسليمانية ، لا يعلمون ما عانت البلاد ، من قلة المعلمين والمتعلمين ، يكفي ان يعلموا ، ان بغداد الى سنة ١٩٢٠ ، لم يقم منها الا صف واحد ، كان النواة للمدرسة

الكتب في ثورة سلطان لسنة ١٩٢٥ من عربية وفرنسية ،
وملئت اعمدة الصحف القريبة لمدة سنتين او اكثر
باقاصيص الاعاجيب من البطولات في مسارح الجيـ
والفظة واقليم البلان وراشيا وحمص وحماه . واخر ما
نعلم من تأليف تاريخي احصائي في العربية في هذا الباب ،
كتاب « الثورة السورية الكبرى » ١٩٧١ في اكثر من
٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير مؤلفه الاستاذ سلامة عبيد ،
والاستاذ سلامة ينتمي الى امرة عبيد وهي من اكرم الاسـ
العربية المتوتنة في جبل العرب والجمهورية اللبنانية
معا (١) ، ونقول في هذا الوطن ، ان القصد من كلامنا في
هذا الفصل الرابع من هذه الفصول التي نضعها بين ايدي
القراء الكرام ، في العالمين العربي والاسلامي ، محمولة على
اجنحة مجلة « الاديب » ، هو بسط الاعمال العظيمة التي
بذلها وقام بها صاحب هذه السيرة رحمه الله ، في سبيل
الثورة السورية في سنها الاولى من ١٩٢٥ - ١٩٢٧ على
ما نبينه بوضوح تام . وبنتيجة ذلك نعلم مناحي من نضال
الحاج محمد امين الحسيني عروبيا ما هو واجب علينا
تدوينه ونشره استكمالا لسيرة هذا الزعيم في ما نعلم
علم اليقين من اسماط حقائقها وعقود وقائعها والاقتصار
على لبابها وجواهرها ، والا تكون قد وقفنا في التقصير ،
ذمة ووجدانا ، نحو زعيم هو المثل الاعلى في البسـ
والعطاء والتضحية ، اكثر من نصف قرن اطرادا ، وفلسطين
هي بيته وبيته ، وموطنه وعشه الذي منه درج ، والقدس
مصلاه ومسجده ، وقد قضت مشيئته تعالى ان اكـ
بين يديه عشر سنين حفلات بمعظم برامج ومخططاته .
والله ولي التوفيق .



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

اماله العظيمة في نصرة ثورة جبل العرب وسوريا بقيادة سلطان الابرش
١٩٢٥ وينشر لأول مرة

بقلم عجاج نويهض

وتشيد طليح « نابغة من نوايج العرب قس اتقان فن
الحكم والادارة الحكومية وتطبيق القوانين بغير جنف .
وهو من « جديدة الشوف » قرب المختارة (لبنان) ، تعلم
وحصل علومه في الاسنانة متخصصا في الادارة الحكومية
وجعل يتولى المناصب الرسمية في الدولة العثمانية منذ
اول هذا القرن . وفي اثناء الحرب العامة الاولى كان
متصرف حوران نظرا لبس الشام ، ثم تقلد الى اللاذقية
فوقع احتلال العرب وقتحمهم لسوريا خريف ١٩١٨ وهو
في اللاذقية . والى تلك السنة لم يسبق له الاشتغال
بالقضية العربية السياسية اذ كان متصرفا بكل قواه الى
الوفاء بواجبات المناصب التي شغلها . وبعد ان استولى
الحكم العربي على اللاذقية ، وهو انتهى امره حاكما بصفة
متصرف ، صفى اموره وجاء بلده في لبنان وجعل يسرقب
الاحوال محتجبا الصدام مع الفرنسيين ، وهم يعلمون وزنه
حق العلم .

ولكن رشيد طليح كان قد ترك في اللاذقية سيرة
وضاءة ، تدل على علو كعبه في سلامة الشخصية وحسن
الادارة ، وحل المضلات ، وعرف هذا فيه العاملون قس
حق القضية العربية ، وهي الى ذلك الوقت محجة غير

في سنة ١٩٢٥ ثار سلطان الابرش ورجاله للمرة الثانية
على فرنسا . وكانت ثورته الاولى قبل ثلاث سنوات لما
انتضى السيف في وجه فرنسا ، ليحمي عربيا لاذ به ولجأ
الى داره في غيابه عن البيت ، هو الوطني ادهم خنجر من
لبنان وادهم كما قيل قريب لكامل الاسعد الاول الوائي ،
زعيم جبل عامل ، واثر سلطان وقتها الثورة المكشوفة
الجبين في سبيل المحافظة على عادات العرب وتقاليدهم
الموروثة ، من حماية المستجير وضمان الامان له ، آسر
سلطان هذا ، على مجازاة فرنسا في خرق تلك العادات
وانتهك حرمانها ، وعرفت هذه المأثرة الكبيرة بسلطان
الابرش في العالم العربي كله ، حاضرة وبادية ، وسارت
الركبان باحدث هذه الثورة وقصة ادهم خنجر قبل اليوم
ثلاث وخمسين سنة في كل مشرق ومغرب .
اما ثورة ١٩٢٥ فهي الثورة التي زرع مجدا للعرب
في كل بلاد يرقص فيها للبطولات والفروسيات في العالم .
وحديث هذه الثورة امسى في صفحات التاريخ من حيث
الوقائع والمعارك والاستشهاد الغزير والدم القاني . والفت

راجع « الاديب » عدد يونيو الماضي صفحة ١٨

سافرة ، يدير سياستها الخفية ويوجه تياراتها رجالات « العربية الفتاة » المؤمنون المبشرون في الاقطار العربية ، وفي الجيش العثماني ، وكانت اللاذقية يتولى توجيه التيار العربي الخفي فيها نفر من العاملين على رأسهم محمد الشريفي ويوسف حسين ، وهذان العربيان المثلان للتيار العربي المستور ، كانا على صلة خفية وطيدة برشيد طليع المتصرف ، لما عرفا فيه من صدق المروءة العربية ، مع كونه يحكم منصبه يعد موظفا عثمانيا ، وازدادا وقفا على كرم معدنه القومي في الايام الاخيرة العصبية التي سبقت الاحتلال . وبعد الاحتلال سلم رشيد طليع مسؤولياته الى السلطات العربية وانسحب الى لبنان كما تقدم ، ولما استقر امر « العربية الفتاة » في دمشق ، ولم تزل محبة كشأنها السابق منذ ١٩٠٨ بحث رجالها المسؤولون عن يكون من رجال العرب المجرئين في فن الادارة والحكم ، لتوسد اليهم المناصب الكبرى في سوريا ، والأعمال يومئذ آمال امة تطلب الحياة والاستقلال ، وكان الشرقي من اركان « العربية الفتاة » ، ولرايه وزن كبير ، فاقترح اسم رشيد طليع الذي كان آخر متصرف في اللاذقية ، وبسط امره لجماعة « الفتاة » بسطا كافيا ، فقررت « الفتاة » فوراً الابراق الى طليع وهو في « جديدة الشوف » ان يحضر الى دمشق ، وكان المبرق اليه الشرقي نفسه (٢) ، فلبى ، واجتمع به الامير فيصل ، وجرى له تعريف واسع بكبار المسؤولين القائمين بعصب الدولة العربية ، وعين اول ما عين « حاكم حماه العسكري » فترهن عن جدارة زادت من اكباره ، ولما جعلت الامور تعتمد بين فيصل والفرنسيين وحصل تغيير في اوضاع الدولة والادارة ، نقل رشيد طليع الى دمشق يشغل منصب « مدير الداخلية » ، وهذا المنصب يعتبر مركز الحساسية والتعصب في الدولة الناشئة .

ولما اخذت الحال تنازح بين فيصل وغورو بعد شهر اذار ١٩٢٠ ، روي ان ناحية حلب يلزم لها حاكم عسكري من اعلى طراز ممكن ، اذ جعلت العاصفة تقترب ، فعين طليع حاكما عسكريا لحلب وهنا في حلب كان ابراهيم هنانو يعمل مع طليع ، وايضا نبيه العظمة مدير شرطة حلب ، ووقعت الواقعة الكبرى في تموز ١٩٢٠ وطليع في حلب ، وبعد الاحتلال الفرنسي رأى طليع طريقه من حلب الى جبل العرب ، حيث اقام اقامة مرتقب مترصد ، ساكنا هادئا في الظاهر ، وعينه على حركات الفرنسيين في تجزئة البلاد واقتيادها بخزائن الاستعمار الحديث . وهو يعلم طبائع البلاد من حوران وجبل العرب اذ كان المتصرف هناك قبل الحرب العامة ، وساعد الامير شكيب لما الامير رشع نفسه للنيابة عن حوران وفاز بها سنة ١٩١٣ وبقي نائب حوران الى نهاية الحرب خريف ١٩١٨ .

في خلال السنة ونصف السنة في حماه ودمشق وحلب ، امسى طليع من الذين يشار اليهم في لبنان ولما

واقبلت الاردن في وقت قليل الى شبه محشر ، اجتمعت فيه رجالات العرب من الاردن نفسه ومن فلسطين ولبنان وسوريا والعراق ، او قل امست عمان بعد انشاء هذه الحكومة « دمشق الصغرى » . ولكن حكومة طليع لم تستطع البقاء على العزلة والكرامة غير بضعة اشهر ، ولا مجال هنا للاستطراد ، اذ غابنا من هذا كله لا التاريخ نفسه ولا احصاء وقائمه ، بل اجمال قصة طليع ليسهل ربطها سنة ١٩٢٥ مع الفتى الحاج محمد امين الحسيني الربط الذي تتجلى به عمل هذين البطلين القوميين لثورة جبل العرب وسوريا ، وما لم يدون ولم ينشر قبل اليوم وقد مضى عليه خمسون سنة .

واعتقد ان التعارف الشخصي الاول بين هذين

الى ستورز رسالة قال له فيها ان هواه غرة لم يناسب صحته فليختر له مكانا اخر . فجاء القدس وقابل ستورز فاختار له رام الله (تبعد ١٧ كلم للشمال من القدس) فاقام في رام الله مدة وفي كل يوم يهبط عليه جاسوس الحكومة فيرحب به طليح ويدعوه للعداء معه ، فينصرف الجاسوس وفي اليوم الثاني يأتي غيره وهكذا دوليك . وطبعاً لا يذكر الجاسوس في تقريره ان طليح دعاه للعداء . ثم انتقل طليح الى القاهرة وجعل محل اقامته فيها الى سنة ١٩٢٥ وكان يرده الى سماعة الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في الامور المتعلقة بالمصلحة العربية العامة ، لا راساً بل بواسطة اذ كنت اعمل وقتها تحت يد الحسيني في المجلس ، ولدي الى اليوم في محفوظات اوراقي القديمة رسالة واحدة من طليح الى الحسيني احتفظ بها ذكرى لهذين الكبيرين اللذين كتب الله لي من التوفيق ان اعمل معهما عملاً التلميد او التابع لهما باحسان . وكان الحسيني بعد ان اصبح رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، مطالماً على كيفية معاملة ستورز لطليح .

العلة الشخصية ، الطيبة الحلو ، المتجردة من كل غاية الا خدمة الامة في عالي اغراضها بين سلطان باشا الاطرش ورشيد طليح ، قديمة العهد تعود بآروميتها وجذورها الى سني ما قبل الحرب العامة الاولى لما كان طليح متصرفاً على حوران . و سلطان الاطرش ، اطال الله بعمره مشغولاً مثلاً من شامال العرب ، عربي مثالي في هذا العصر ، فقد جمع الى فروسية الميدان ، والحسب والظان ، مكارم اخلاق لا تتردد في تشبيهاً باخلاق العصر الاول ، الى صحة وجدان ، كانه قسطنطين وميزان ، لا يلتوي به ولو اجتمع عليه النقلان . والده ذوقان الاطرش بعد ان استجاب الى منشور قائد الحملة التركية سنة ١٩١٠ بالتسليم وعليه وعلى امثاله الامان ، شقته قائد الحملة ناقضاً عهده معه ، وكان ابنه الفرند الفريد الصنديد سلطان وقتها في ريمان شبابه والبطولة تترقرق منه ماء جنتاه واهابه ، فلما وقعت الحرب العامة الاولى كان سلطان يتحين الفرصة للانقضاض في جبل العرب ، ولما وصلت قوات فيصل بن الحسين سنة ١٩١٨ الى مشارف الشام والازرق ، كان سلطان اول مستقبليها والعمل معها بالسلح والنار ، وكان بعد قليل على رأس القوة التي دخلت دمشق في اوائل تشرين الاول ١٩١٨ وكان لسلطان باشا في دمشق يوم مشهور ، وكنا نود ايجازه ولكن لا مجال له في هذا الفصل .

وسبق لنا القول ان الثورة الاولى لسلطان كانت ١٩٢٢ انتصاراً لعادات العرب وتآليدهم الموروثة في حماية الضيف المستجير ، وهو ادم خنجر الوطني اللبناني المناوئ للسلطة الفرنسية ، فاسرته السلطة واعتقلته وهو ضيف سلطان ومستجير به . والثورة الثانية هي الثورة

السيدتين المفردتين ، حصل في دمشق ايام كان طليح « مدير الداخلية » ، وقد تقدم ذكر هذا . ثم جعلت الصداقة بينهما تنمو للمصلحة القومية ، فلما جاء طليح من جبل العرب الى عمان في ربيع ١٩٢١ كانت ثورة يافا الاولى تتكور عاصفتها لتقع بعد اربعة اسابيع في اول ايار ١٩٢١ وقد بداها العمال اليهود « مستغفرون » انفسهم بسبب عيد العمال الاوربي ، وكان بطل الرد على صلف اليهود وتآديهم الشيخ شاكراً ابو كشك شيخ عربان « نهر العوجا » قرب يافا ، ودامت الثورة اسبوعين ، فذهب من العرب ٤٨ شهيدا و ٧٣ جريحاً ومن اليهود ٤٧ قتيلاً و ١٤٦ جريحاً . ولما وقعت ثورة يافا هذه كان الحاج محمد امين الحسيني لا يزال مقيماً في حى العشار العربية في الاردن ، وخاصة بني عطية .

اما طليح ، فبعد استقالته من حكومة الاردن فسي منتصف اب ١٩٢١ ، وقد وقع بينه وبين الانكليز في عمان والقدس من المجاهبات العنيفة والتشاد الصارم مما يستحق ان يدون وينشر ولكن طبعاً لا مجال له هنا ، راح ينتقل بكل حذر بين عمان والقدس ، وكان حاكم القدس في ذلك الوقت رجل اسمه مستر ستورز جاء مصر ١٩٠٥ من الاستانة وكان شبه مستشار شرقي في دار المشدوب السامي ، يعمل الى التموه بالخزعبلات حتى كانه من اكبر دجاجة الانكليز في الشرق وبقي في مصر الى الحرب العامة وذهب الى الملك حسين بن علي مرتين فسي اول الثورة وفي اثنائها وهو استاذ لورنس وتجمع بينهما البهلواني المختلفة . ولما نجتري بهذا من ايجاز ذكر ستورز حاكم القدس ، لانه كان مطالعاً الاطلاع كله على ما كان يقع بين طليح والسلطة البريطانية في القدس وعمان من تجاذب الحبال والفوس في الرمال .

واما صلتى الشخصية بطليح فقد بدأت في دمشق ، وازدادت لما جاء عمان ، وبلغت حدها بعد ان استقال وجعل يقيم في فلسطين ، وهو يحذر الانكليز فكان ستورز يصطنع واهي الاسباب ليجهله يقيم خارج القدس ، وطليح من سعة صدره وبعد رؤيته ، لم يكن ليخرج هذا الحاكم الانكليزي مرة ، ولما قال له ستورز يوماً : « يا سيدي رشيد بك ، اني فتشت لكم عن محل يناسب صحتكم فما وجدت لكم احسن من غرة ، فما رايتكم يا سعادة البيك ؟ » فادرك طليح ان هذا امر بالانتقال الى غرة مغراً بصيغة من ظاهر اللطف . فانطلق طليح الى غرة ، وبعد اسابيع كتب

٥) والد الاستاذ سلامه ، ابو نايف علي عبيد من كبار رجالات هذه الثورة وابطالها الصناديد ، ومزنته عند سلطان باشا منزلة عالية وبين ١٩٢٧ و ١٩٣٧ بعد نزوح المجاهدين الثوار الى الاردن ثم وادي السرحان حيث افاموا عشر سنين كان ابو نايف رحمه الله يتردد على القدس وكان صديقاً للحاج امين الحسيني .

(٦) كل ما يتعلق بطليح في اللطالية واستقدامه الى دمشق فسه على الشريفي نفسه وهو عندي مدون .

مع المجاهدين الى الأزرق ثم الى «وادي السرحان» من اراضي المملكة العربية السعودية المناوئة لسوريا فبقي الى ١٩٢٩ .

دور الحسيني وطليح : كان التعاون بين هذين الكبيرين في القدس لنصرة الثورة بما يمكن من الوسائل تعاوناً فعلياً تاماً . واول مبادرة عملية كانت جمع التبرعات والإعانات المالية من الهيئات والأفراد . واول رسول اختاره ليلذهب الى سلطان بريد امانة هو الشيخ يوسف العيسى المقيم وقتها في حيفا لاسباب خاصة (هو والد الأستاذ شليبي العيسى) ولم تكن هناك طريق سيارات بين عمان والجبل ، وكان رسول هياه السيد الحسيني هو عبد الرحيم الطويحي وكان ضابطاً في الحرب العالمية الأولى . والرسول الثالث سعيد عمون المشهور بالسيرة الوطنية .

ورأى طليح ان يستجيش المهاجرين العرب في المأجور وصدى معارك الثورة يطبق الافاق فكتب بخط يدي من املائه علي لا اقل من ٤٠٠ رسالة الى المهاجرين وهياهم واحزابهم وجمعياتهم وافرادهم مع الرجاء ان يرسلوا تبرعاتهم الى القدس باسم ساحة الحاج محمد أمين الحسيني ، وبعد مضي شهرين او ثلاثة جعلت تبرعات العرب المهاجرين تتوارد . ويسأل القاري : وكيف كانت تدار الامور ؟ فاقول منذ وصول طليح الى القدس من مصر كما ذكرت ، كان هو البداية والنهاية في شؤون الثورة مع التفاهم العملي التام مع ساحة الحسيني ، ولا ننسى اننا ذكرنا ان طليح كان يعتبر هو رئيس حزب الاستقلال العربي ، وهذا الحزب من أولى صفاته الطاقة التامة بين الرئيس والمرؤوس ، والاخلاص للعقيدة كانه نذر مقدس . فلما انتقل طليح الى الجبل بعد بضعة اشهر ، حل محله في شؤون الثورة شكري القوتلي ، مع استمرار التعاون مع الحسيني . وسارت الحال على هذا النوال سنتين او اكثر ، الى ان ترح المجاهدون الى «الأزرق» من املاك المملكة الهاشمية وهو في البادية للشرق من عمان وللجنوب من جبل العرب ، ثم الى وادي السرحان وهو الى الشرق الجنوبي من «الأزرق» .

المعارك التي اتقدت من نار الثورة هي المعارك فسي الجبل نفسه او بجواره كالكفر والمسيفرة ، والزراعة . ولما جعلت الثورة تمتد الى الاقاليم والوطة وجبل الشيخ ومجدل شمس ، ودخل المجاهدون دمشق كانت المعارك تقع في هذه البقاع وتكون منها الاحوال . وهذه الثورة التي قام بها سلطان الاطرش سنة ١٩٢٥ واخرجت فرنسا من الجبل مدة تقرب من سنة ، هي القوة التي اجبرت فرنسا على ان تعقد مع سوريا تلك المعاهدة سنة ١٩٣٦ سنة عودة المجاهدين الثوار بعد هجرة عشر سنوات .

في اكتوبر ١٩٥٢ امست دمشق كالمثلي على النار وهبت نائرة بعد ان ابصرت جثث الشهداء علقها الفرنسيون

الكبرى فتفت ربحها في صيف ١٩٢٥ في جبل العرب ، وكان من امرها ما كان من بطولات فريدة ، وابادة عساكر بالالوف برمتها ، والهجوم على الدبابات بالفتوس وتحطيمها بمن فيها ، كان الدبابة امام الفتوس كومة من حطب .

والعلاقة بين الحسيني وسلطان اذا لم تكن قبل ١٩٢٥ واسعة المدى ريانة الشارب ، فمعدت فتفت ريش الثورة في جبل العرب في منتصف تموز ١٩٢٥ ، اخذت تنمو بسرعة لحة وسدى بواسطة رشيد طليح ، وكنت انا في مصر في ذلك الوقت اراعي صدور الطبعة الاولى من «حاضر العالم الاسلامي» من «دار الطبعة السلفية» لصاحبها العلامة المصلح الاستاذ محب الدين الخطيب ، وكانت وصلت انباء الثورة الى طليح ، فاخذ بالاستعداد للانتقال الى القدس ، فسبقت الى فلسطين ووضعت بين يدي الحسيني المعلومات الشفوية المهمة التي كلفني طليح بها . واما مكاتبات طليح الى سلطان فكانت مطردة ، لا تنقطع وهي جد خاصة مكتومة ، لا يطلع عليها احد ، وكل موضوعاتها تتعلق باستياد نار الثورة عندما تسنح الفرصة لها . وكان اول النافزين الى ساحة الثورة من مصر الشهيد فؤاد سليم ، حيث كان في مصر منقياً من الاردن من السنة السابقة ١٩٢٤ وبعد ان مكث عندي فسي القدس ثلاثة ايام توجه الى الجبل متنكراً ، وبعد قليل وصل الى القدس طليح ، ورتب اموره قدر الامكان ترتيباً مستورا ، ليستطيع الاتصال الخفي بسلطان .

من هذه الساعة التي وصل فيها طليح الى القدس فصعد الى مدى نصف سنة او اكثر ، شادت الاقصدار العليا ان يكون هذان الرجلان في القدس هما المهنيين بارادته تعالى ليكونا النافذة الوحيدة التي يمكن ان يطل منها بريد من الجبل وبريد الى الجبل ، ولولا هذا ، على ما ساوَج ، لكان للثورة ، مضايق وشذائد من المحتمل ان تلقى ذلك كله ، ولكن الله اذا اراد شيئاً هيا اسبابه .

وطليح لم يمكث في القدس غير بضعة اشهر حتى انتقل هو نفسه الى الجبل متعاوناً مع سلطان وكان قد سبقه الى هناك الامير عادل ارسلان ، وكان طليح وهو في القدس ، ومعظم اقامته في البنيسبون الذي اقيم انا فيه ، ولم اكن وقتها قد تأملت ، يكتب الى احمد مريود الذي في العراق لينتقل الى جبل العرب ، والى صديقه الاول ابراهيم هنانو في حلب ليقوم بامور لا مجال لذكرها هنا . اما فؤاد سليم فاستشهد في حملة مجدل شمس اواخر ١٩٢٥ . وجاء مريود من العراق واستشهد في ربيع ١٩٢٦ في القتيطرة واستشهد معه اخوه محمود في المعركة نفسها ، واما طليح فانه بقي في الجبل يتعاون مع سلطان بضعة اشهر وتوفي في قرية «اشبكي» اول صيف ١٩٢٦ واستشهد في هذه القافلة الاولى في بضعة اشهر مصطفى الاطرش اخو سلطان وهو من الابطال المعدودين . واما الامير عادل فانه بحمد الله داوم في معسكر سلطان وانتقل

تعلق المشائقي في « ساحة المرجة » وانهار الفرنسيون فانسحبوا من المدينة وفي ١٨ أكتوبر ١٩٢٥ اخذ الفرنسيون في قصف دمشق بالمدافع الثقصف المدمر مدة ٤٨ ساعة ثم زحف المصفحات ومن فوقها الطائرات وكل هذا نسلر وجهم !! فسجلت فرنسا بذلك اقبح صفحة وحشية . وذهل العالم وقتها من هول هذا ، وكان سعد زغلول في ابان زعامته فاصدر منشورا يقول فيه لفرنسا ان اقل تكفير عن وحشتك هذه ان تخرجي من البلاد في موكب حزين وعار .

بين المعركة الاولى من معارك سلطان في جبل العرب ، حيث اباد بضع مئات في ساعات وبين وحشية الاستعمار الفرنسي في دمشق في ١٨ أكتوبر ثلاثة اشهر وثلاثة ايام . وفي ثاني يوم الف المفتي الحاج محمد امين الحسيني في القدس « اللجنة المركزية لعانة منكوبي سوريا » تحست رياسته وجعل اعضاءه من كبار القوم وامين صندوقها . وانما آخر هذا الاسم لهذه الهيئة لسعة معناه ، وبقيت هذه اللجنة المركزية في اخذ وعطاء مع المهاجرين عدة سنين وبات اسم ساحة الحسيني في المهاجر ملتصعا بالنور الوطني الى الوقت الحاضر . والخدمات التي قامت بها هذه « اللجنة المركزية لعانة منكوبي سوريا » خدمات ثمينة ونحن هنا لسنا بصدد التفصيل وسنة ١٩٢٧ و«المنسوب السامي في فلسطين» هو ثاني مندوب وهو الفيلد مارشال بلومر ، وقبله هيربرت صمويل الصهيوني نشبت الثورة في جبل العرب بعد رحيله عن فلسطين «بالسابع» والفوضي السامي في سوريا وليثان هنري بونسو . ففى هذا الوقت طلب الفيلدمارشال بلومر من المفتي ان يقدم اليه صورة عن موازنة « اللجنة المركزية لعانة منكوبي سوريا » ليقدمها هو بدوره الى الفوضي السامي الفرنسي اذ هذا طلبها منه بالحاح . فنظمت موازنة تمثل جميع الارقام المالية التي وردت من المهاجر بواسطة البنوك ولما كان كاتب هذه السطور يقوم باعمال سكرتيرية اللجنة تحت يد ساحة الرئيس ، فقد توليت بايعاز منه تنظيم تلك الموازنة وكانت كما اذكر جيدا في حدود ٧٧ الف جنيه فلسطيني .

ملاحظات تاريخية عامة

١ - كان موقف حكومة فلسطين من الثورة الا يصل شرر منها الى فلسطين فيتحول هذا الشر الى عدوى لعرب فلسطين .

٢ - وفي خريف ١٩٢٥ لما استولى الثوار على النواحي المناوحة لشمال فلسطين كالمطلة وروشينسا ، والفوا حكومة برياسة زيد الاطرش ، قررت الوكالة اليهودية في القدس انشاء لجنة اسعاف طبية ولجنة تقديم مواد غذائية الى الثوار اذا دخلوا حدود المستعمرات اليهودية .

٣ - في خلال الثورة ، انقطعت الطريق على اهل

جبل العرب بينهم وبين دمشق طبعاً ، ولا طريق معبدة بين الجبل وشرق الاردن ، فلولا « اللجنة المركزية لعانة منكوبي سوريا » في القدس لوقت مضايقات وشدائد كما تقدمت الاشارة الى هذا . وتدمرت فرنسا شديداً من هذا ولكننا لم نستطع عزلتها .

٤ - هجرة المجاهدين الى « الازرق » « وادي السرحان » كانت عشر سنين . وقلنا ان الامير عابد بقي في معسكر المجاهدين في الازرق ووادي السرحان الى سنة ١٩٢٩ اذ اشتد عليه المرض فنقل الى القدس واجريت له جراحة طبية . واما سلطان باشا فانه بعد مدة انتقل الى الكرك من المملكة الاردنية واقام هناك الى حين العودة الى سوريا اول ١٩٢٧ بعيد عقد المعاهدة مع فرنسا .

٥ - في كتاب الاستاذ « سلامة عبيد » « الثورة السورية الكبرى » ١٩٧٢ جداول احصائية كثيرة وفوائد جمّة ، بوسع الطالع والدارس ان يستفيد منها .

٦ - لما نشبت الثورة في جبل العرب ١٩٢٥ كان الامير عبد الكريم الخطابي في ثورة الريف بجنتاز ادواره الاخيرة فاضطر الى الاستسلام اوائل صيف ١٩٢٦ ثم نفى الى جزائر رينيون الى ١٩٢٦ .

٧ - سلطان باشا الاطرش القائد العام للثورة ، امد الله بعمره ، هو خليفة فريدة من رجالات الامة العربية ، ومع انه اخذ يقرب من التسعين فعمزه الفولاذي كانه عزم الفارس ابن الاميرين . هو سيد جبل العرب في سوريا ، ورائد المجاهدين في هذا العصر .

٨ - لما تقرب ان يعود سلطان ورجاله والمجاهدون الى موطنهم في اول ١٩٢٧ بعد هجرة عشر سنوات كما تقدم ، اقيم له ولرجاله مهرجان تكريم قومي في عمان شهدته وفود من دمشق وبيروت وبغداد والقدس ومدن فلسطين كلها وحضر السيد الحسيني هذا المهرجان . وطبعاً كان التكريم للبطولة العربي التي تجلت آياتها الباهرة في معارك الثورة بشخص سلطان ، كما كان المهرجان استعراض الامة الى التماسك والتضامن بصدد الاستعمار عن سوريا وتخليص فلسطين من برائن الوطن القومي . وكان المتكلمون في هذا المهرجان من جميع العواصم العربية وكانت قضية الاسكندرون وقتها هي وفلسطين الشغل الشاغل للعرب . فلما جاء دور الكلام الى احد الخطباء ، والكلام يوجه الى سلطان في الحفل العظيم ، قيل لسلطان : وهذا السيف الذي انتفضيته بالاسم وحررت به « جبل الدروز » سننفضيه في الغد لتحرير الاسكندرون وفلسطين ، فهذا الجبل النيف ما عاد اسمه جبل الدروز بل « جبل العرب » هتفت سلطان ولينافسه هتفت جماهير الحفل وفي ذلك اليوم ولد جبل العرب .

عجاج نويهض

راس التّن - لبنان

الهواء سفلق هذه الفوهة .. من
يجرؤ يا عبد الغفار . انا ، انت ..
عبد الغفار ليس لي سواك يا ولدي
.. ابي يجب ان نضحي ، يجب ان
نقتلع الآلة والا اخذت حقولنا .. يا
بني دع غيرك يفعلها ، انت وحيد
.. سافتح الطريق لغيري يا ابي .
- يا شيخ اسماعيل الى اين انت
ذاهب . لم يجب الشيخ كان يتقدم
بعزم واصرار نحو الآلة . حاول رجال
القرية ان يمنعوا الشيخ ولكن بلا
فائدة . اخرجت الآلة خرطومها
صغيرا فذقت منه النار تجاه الشيخ .
تراجع قليلا . ثم تقدم . وصل الى
الخرطوم . ضربه بقوة بفأسه ضربا
ثم سقط . كان الخرطوم يلتف حوله
ويضغط حتى سقط الشيخ . نظروا
بحزن . وهربوا من النار .

في المساء وفي المضافة قال
احدهم سنخلص منها .. قل كيف
سنخلص منها احس بانقباض في
صدري .. لا تشاءم يا رجل ..
اسمعت .. ابي اسمع صراخا . خرج
الرجال فزعين . كانت اذرع جبارة
تضرب البيوت . الاطفال ماتوا
وساحت دماؤهم . الامهات صرخن
بقوة . الخراطيم الصغيرة تبقر بطون
النساء . الاذرع تلتف على الرجال
الذين وقفوا يدافعون عن زوجاتهم .
هرب اهل القرية تحت جنح الظلام
وكلمهم يبيكي على عزيز فقده . سمعت
القرى الاخرى يخبر هذه الآلة . تألموا
ولم يفعلوا شيئا . وفي تلك الليلة
قام هرج ومرج في قرية الزهور فقد
جاءهم اهل قرية الورد هاربين من
الآلة . ورحبوا بهم وفتحوا لهم بيوتهم
واقتسموا الارض والعمل معهم ،
ولكن كان اهل قرية الورد ينظرون
نحو قريتهم بحزن وحسرة وهم يرون
الآلة تمد اذرعها الفولاذية وتغطف
القرية جميعها .

ثم مدت الآلة خرطومها الى قرية
الزهور وغطت حقلا من حقولها . فزع
الفلاحون تنهبوا الى ما سوف يحل
بهم . قاموا بهجوم على الدراع
الفولاذي . ولكن بدون جدوى .

وفوهة صغيرة تشفط الهواء الى
الداخل . فرشت ظلها على الارض .
فردت اذرعها الفولاذية في كل اتجاه
كالاخطبوط . بدأت هذه الاذرع
بالعمل بصمت وهدوء . حفرت في
الارض تثبيت بها كالكلايب . وقف
الفلاحون ينظرون الى بعضهم .
اتجهت عينهم نحو الشيخ اسماعيل .
تقدم الشيخ . تبعه الفلاحون نحو
الآلة وداروا حولها . امسكوا بالاذرع
الفولاذية . حاولوا تحريكها بلا فائدة .
تركوها مستقرين . في المساء
تحدثوا عنها في المضافة . ولم
يعملوا شيئا . في الصباح خرجوا
للحقول . توقفوا في منتصف الطريق
كانت الآلة تمد ذراعها نحو حقلا اخر
وتغطفه فزع الفلاحون من هذا الامر



بقلم محمد صالح مصطفي

حاولوا مؤوسهم ومناجلهم وقرروا ان
يقتلوا الآلة . اقتربوا منها خائفين .
مدت الآلة خراطيمها الفولاذية أطلقت
عليهم بخارا ازرق اللون . أحسوا
باختناق . تراجعوا .

- يا جماعة اتركوها وشأنها ...
ولكنها اخذت ارضي .. ستعوضك
عنها .. ولكن .. يا اخي انت ترى
بانتا لم نستطع عمل شيء .

- بل نستطيع . قالها الشاب
بقوة . كيف ؟ سألوا مستغربين . -
الم تروا الفوهة التي تشفط منها

قرية الورد قرية هادئة . الاطفال
فيها يبتسمون . الورد تضحك .
الناس في قرية الورد طيبون . الناس
سعداء يأكلون من ارضهم . يذهبون
الى الحقول في الصباح وفي حشر
الهجرة يأكلون غداهم البسيط .
زيت وزعفران . وفي المساء يعودون
متلهفين بسمامرون ولبعمون النرد .
يامهم تمر متشابهة ولكن في ذلك
اليوم حدث شيء غريب لم تالفه
القرية بعد ، سمع اهل القرية ازبرا
في الجو وشاهدوا كرة ضخمة لها
اذرع فولاذية تدور حول قريتهم .
الفلاحون في الحقول تركوا مناجلهم
وتطلعوا الى السماء . النساء كفت
عن العمل . الاطفال توقفوا عن اللعب
والابتسام . الفلاحون تجمعوا في
حقل ابو اللوز .

- انظروا انها هناك .. لقد اختفت
... لم ارها .. انظروا .. انظروا
انها ستتهبط .. سترك يا رب .. لا
تزعروا صلوا على النبي .
جاء عبد الغفار راكضا كان شابا
في العشرين جميل الطلعة كل فتيات
الحي تمنينه زوجا وهو يحب ابنة
عمه « ناعسه » صاح : ماذا حدث ؟
لست ادري .. شيء ما يدور حول
القرية .. كرة ضخمة يخرج منها
اللهب تدور حولنا .. انه يوم القيامة
.. اتقوا الله .

التفت الجمع الى الشيخ القبل -
يا شيخ اسماعيل لقد حط النحاس
على قريتنا .. وحدوا الله يا جماعة .
وقف الشيخ مهيبا صامتا . صمتوا
... ارجعوا خوفا راقبوا السماء
الآلة ما زالت تدور . الاطفال احسوا
بالرهبة صمتوا لان الكبار صمتوا .
تعلقوا بالواب امهاتهم . اقتربت
الكرة رويدا . شاهدوا لها عيوناً تخرج
نارا احسوا بالحرارة الشديدة
تلفحهم .

صاح عبد القادر .. انها تهبط في
حقل الجابري .. انظروا ما هذا
الذي يخرج من بطنها .
كانت الآلة تهبط بهدوء .. دائرية
الشكل لها عيانان تشعان نارا .



ليستي

قل لها ليتي اسمي هاتفا وافي فلن يمنع السهاد هتافا
لا ولن يحجب الظلام ضياءا شع في النفس بارقا واطافا
مثلما قد رفعت عن كاهل الرهق عبئا ارباه واخافا
حمل الشعر عنك عبء سهاد كنت تخشيشه بهم مدافا
قل لها ليتي اسمي وسلي الفجر انتظارا فرما كان وافي

يا سنى الفجر لا عليك وهذي بين كفي تلمع الاضواء
يتتابعن حاملات لعيني من سناهن ما تمنى الرجاء
اين داجي السحاب ريعت نجوم الليل منه وراعت الظلاء
طرده وهو المكلل شارات صفار يشع منها الضياء
يا سنى الفجر لا عليك وهذا شارق الحرف في الدجي وضاء

اتراني اطلت حتى قطعت الشوط لم التفت لسهد دليلي
اتراني رضيت من لامع الفجر بايماءة لفير نزول
(لمت نارهم وقد سمس الليل) فاقبلت دونما تطفيل
انا لم اسأل القرى غير اني شافني ان اكون بين الرعيل
وسالت البراع بعض حروف قال خذني تحية للخليل

نعمان ماهر الكتعاني

بغداد

تسبح حوله ، لم يعد يحس بشيء .
وصل الفلاحون . اقتربوا من
الذراع الفولاذي تجعدوا . وكانت
الآلة ما زالت تبلع الشاي . صرخت
ناعسة بقوة . ركضت نحو الآلة وقبل
ان تصل انفجرت الآلة . راوها
تقلص على نفسها بالمد وذعر وتضرب
اذرعها في كل اتجاه . تشنجت
الاذرع الفولاذية واتكملت على
نفسها . تفجرت الآلة . لمع الاصرار
في عيون الفلاحين . بريق مخيف
يخرج من عيونهم . اتجهوا صفا واحدا
نحو بقايا الآلة .

خرج الغرياء من الآلة وهم فزعون
.. فروا في كل اتجاه . مناجل
الفلاحين تحصدتهم اختبأوا خلف
بقايا الآلة . تجمدت الدموع في عيون
الفلاحين . رفعوا مناجلهم وتقدموا .
سقطت رؤوس الترياء . وما زالت
تسقط .

عمان الاردن محمد صالح مصطفى

نظروا الى بعضهم . تدلبر رؤوسهم
.. احسوا بالذنب تجاه الشاي ،
طاطاوا رؤوسهم انتفضوا فجأة
نظروا بحماس الى بعضهم . حملوا
فؤوسهم ومناجلهم واتجهوا نحو
الآلة بعزم . كان عبد الغفار يتقدم
ببطء نحو الفوهة . اطلقت الآلة
دخاناً ازرق ثم احمر ثم برتقالياً ، ولكن
عبد الغفار تقدم . كان يتقدم ببطء .
وضع يده على فمه وانهف .
عطس بشدة . تقدم . اخرجت
الآلة خرطوما . ابتعد عنه . وتقدم
نحو الفوهة . النار تخرج من عين
الآلة احس بالالام لم يبال . تقدم .
لفه الضباب . المرتبات تلونست
بالسواد . وصل الى الفوهة . ظلام
شديد يحيط به . امسك بالقطاء .
ضغط عليه الى اسفل . القطاء بدا
يتحرك . الآلة تفتح فمها بعنف .
القطاء سقط على الفوهة اغلقها .
الآلة تبلع عبد الغفار . احس بدوار .
فراغ هائل لا نهائي يحيط به . نقاط مضئية

نظروا الى الفوهة التي تشفط الهواء
من يا ترى سوف يجرؤ ويغلقها ؟
كانوا ينظرون الى شباب القرية واحدا
واحدا ، ولكن كلهم عزيز على اهله .
رفضوا ان يقدموا ابتناءهم .
- اين عبد الغفار ؟ لست ادري ..
اريد ان يذهب الى القرى الاخرى
ويطلب لنا رجلا ولكن اين ذهب ؟
اخشى ان .. انتي الله يا رجل ،
انه لن يفعلها .. اذن اين هو ؟ نظروا
الى بعضهم متسائلين ، ثم نظروا الى
الآلة وكان ما سيحدث تجسد امامهم
فصايرهم الفزع .
- هناك عند ذراع الآلة .. انه
يمشي نحو الآلة .. عبد الغفار عد .
انتصبت شابة جميلة - لن يعود .
اذهب يا عبد الغفار ..

من ناعسة ؟
نعم ناعسة التي تحض خطيبها لان
احدا منكم لم يجرؤ على الذهاب :
لم يجرؤ احدكم على وضع القطاء على
الفوهة فذهب هو .



على ضفاف مجردة

مجموعة شعرية - فاضل خلف - تقديم عبد الستار احمد فراج - 18٢
صفحة - حجم كبير - مطبعة حكومة الكويت

هذه مجموعة شعرية تقف بها صاحبها على ضفاف نهر عربي ليس له في الادب اي ذكر لا في القديم ولا في الحديث ، ولربما جاء ذكره احيانا ولكن في غير ميادين الادب كما فعلت الحكومة التونسية عندما اخذت تحيي الاراضي البور الواقعة على ضفافه ودعمت العملية (مشروع احياء اراضي وادي مجردة) .. فنهز مجردة اذن هو نهر مبارك ينبع من القمم الشاه في الجزائر الشاه ثم ينساب في تونس الخضراء حاصلا الخير والبركة ، قبل ان يصل وهو في عز الشباب الى البحر الابيض المتوسط (فيتلشى ويضيع عندئذ بين مياهه المالحة الصاخبة) ..

هذا اذن هو نهر مجردة واما الشاعر الذي فتن بهذا النهر ، وفتن بالاراضي الجميلة التي يسبق فيها هذا النهر شاديا مسجعا بحدود به .. وفتن بالشعب الذي يحيى على جنباته فهو الشاعر الكويتي فاضل خلف الذي منذ ان حل بالتراب التونسي وهو يترق تونس واهلها وتاريخها وطبيعتها شعرا ونثرا ، وبمواطف صادقة واخلاص منقطع النظير .. ولا يمكن لاي شاعر ان تنقاد اليه القوافي والماني ويهده السلاطة والرفقة ، التي نجدها في ديوان على ضفاف مجردة الا ويكون الاخلاص رائده في كل حرف يظله وكل كلمة تخرج من افهامه وكل بيت ينهائى من اعماله فليسه .

لقد تصفحت الديوان فوجدت الاخلاص يوح شذا بين صفحاته والصدق يتوهج نورا بين سطوره .. والحب ينهل مشرقا مثلا فلما في رحابه الرحية . فمسكت القلم لكي اقول رأي فيه .. ولكنني ارجعت لاول وهلة . فالديوان لا يضم فقط القصائد التي نظمها الشاعر في تونس فقط ، بل هناك قصائد في الكويت وفي بعض البلدان العربية وفسي الاندلس وفي بعض الشراء وابطال التاريخ ، الى جانب قصائد في الانسان والقيم والتجمع والطبيعة . فمن اي هذه الامور تحدث يا ترى؟ ان كل جدول من هذه الجداول الشادية تدعو الكاتب ان يعد اليها اليد .. ويضع له الفؤاد .. وبعد ان طال احجائي .. واظمت التفكير في امرى .. رايت ان اخصر على موضوع واحد .. فليكتسب بسى السبل فتقطع بي الاسباب واخرج في النهاية بصدون ان اضلي كل جدول حقه من الرعاية فساقترع اذن على القصائد التي نظمها الشاعر في تونس ونهر مجردة .. واما القصائد الاخرى فلن نعد في دنيا الادب من بلجو عن وجهها النقا فتنبو كما شامت وكما شاء لها الشاعر وكما يشاء لها القراء من عز وسمو وسؤدد .

فلنا منذ قليل ان نهر مجردة لم يتغن به الشعراء العرب كما هو الحال مع الانهار العربية المعروفة .. كالنيل والفرات ودجلة وبردى .. حيث ان هذه الانهار اخذت نصيبها الاوفر من القرائ والاعمال والصحيت الدالغ .. بعد ان تقف بها شعراء العرب في كل مكان .. واصبحت مصادر خصبه للفنان العربي كذلك ، ان كثيرا من قصائد الشعراء التي

خلدت هذه الانهار .. اصبحت في نفس الوقت انما يصدح بها اشهر المثقن في العالم العربي .. اما مجردة .. هذا النهر التونسي فتقول عنه جريدة الصباح التونسية عندما نشرت قصيدة « نهر مجردة » لأول مرة في الجريدة : « حرص الصديق الشاعر الكويتي فاضل خلف نزيل تونس على تقليد نهر مجردة التونسي مثلما خلد الشعر في المشرق العربي نهر النيل ونهر دجلة ونهر الفرات ونهر بردى ، وقد اربط عن ذلك فسي كثير ممن المتناسبات حتى انه اطلق على ديوانه عنوان « على ضفاف مجردة » باعتبار ان هذا النهر يبعث الحياة فيما حوله ، مما جعل الحكومة التونسية تقوم باستغلال مياهه لكثير البلاد ، فانست ديوان احياء اراضي وادي مجردة » .

ان في هذا الديوان قصائد بكاملها تمجد تونس ارضا وشعبا كنفا وبطولة وهي « تونس الخضراء » (التلي ضفاف مجردة » و « النهر الجديد » و « نهر مجردة » وهناك قصائد اهتمت فيها الشاعر متناسبا من التناسبات فراح يتقن بارفها الخضراء .. كاحسن ما يكون الفتاء وهي « الورقات التونسية » وهي قصيدة نظمها والقاهها الشاعر بمناسبة صدور كتاب « ورقان عن الحضارة العربية بالرفقة التونسية » للعلامة حسن حسني عيد الوهاب ، وذلك في الحفل الذي اقامته وزارة الثقافة بتدري ابي القاسم الشابي باسفحة الوردية من احوال تونس الجنوبية . ولفصيدة خفقات قلب .. نظمها الشاعر بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاة الشاعر التونسي الخالد ابي القاسم الشابي .. وكانت تونس قد اقامت مهرجانا شهيدا للشابي في عام ١٩٦٦ على المستوى العالي حضرته وفود من الاطفال العربية الشقيقة وبعض الدول الصديقة .. وهناك قصيدة « هدية » وهي قصيدة نظمها الشاعر جوابا على قصيدة الشاعر التونسي محمد مزهود القيرواني .. يحي بها الشاعر الكويتي بعد ان اهداء مجموعة من مجلة البيان الكويتية وبسبب فيها :

فارض تونس قد هام الفؤاد بها هيام صب صريح الغرد الوطف
فقيمت فيها من الاسوام اربسة الذي منها بدنيا الشعر لم اصف
بها فتجح شعري زاهيا غردا وعشت فيها من الابداع في كنف
وزدت فيها حثينا غير منقطع الى الكويت وحيا غير مختلف
وهناك ايضا قصيدة « شوق وذوق » نظمها الشاعر بمناسبة صدور ديوان الشاعر التونسي محمد خريف بهذا الاسم .

اما قصيدة الورقات التونسية فقد نوه بها بالرحوم حسن حسني عيد الوهاب قبل رحيله عن هذه الحياة وذلك في مجلة الاديب اللبنانية حيث قال :
« من اجمل ذكريات حياتي عشية يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٦٥ فقد تفضل اصفقائي واجبابي في نادي ابي القاسم الشابي بالوردية بالاحتفاء بظهور الكتاب الثامن والعشرين من مؤلفاتي وهو « ورقان عن الحضارة العربية بالرفقة التونسية » وفي مقدمة هؤلاء الاخلا الشاعر الفرنسي القريد فاضل خلف خلط الله تعالى طمته وصان رعايته . وقد شاء ان يزيد ما بيننا من الوداد المتين فلشد قصيدا فريدا ، اعرابه عن شعوره الرقيق ولولاه لتوردة عموما ولتونس خاصة .. ذلك البلد الذي احبه ويحبه ، فشدت باشادة الاسعاع ، واتم الحاضرين بانتاع واي امتاع ، فجزاه الله عن المودة احسن ما يجازي به الاحياء امين » .
وقصيدة الورقات التونسية ، قصيدة سكب فيها الشاعر من عسارة قلبه وسبحات وجدانه ، وبعضات روحه دفقات نبع والصدق والاخلاص فهو الى جانب العواطف السامية التي ابداها تجاه صديقه المصمود صاحب الكتاب .. فهناك ابيات مشرقة الفياض ، صادقة الجرس تجاه تونس ... فتتحول القصيدة من قصيدة تناسبات الى قصيدة فن



الاربع

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدونها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المكاتبات التي ترسل الى الاديب : لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للكل من تراجع ادارة المجلة

Dir : 223818

الانارة : ٢٢٣٨١٩



Dio : 225139

التمزل : ٢٢٥١٣٩



توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير اديب

وجمال ، وهكذا الشعراء الصادقون .. فهم يخترقون اجواء المناسبة
... الى اجواء شاعرية تحلق فيها النفس الى ذروة الشهوة .. وتسمو
بها الروح الى اوج البهجة والحبور .. فلذا القصيدة تصبح يسندهم
قطعة من الفن .. وفيها من الشعر .. فلنستمع الى الشاعر وهو يتغنى
بتونس :

وردابي تونس من قديم موطن المجد وسر الميقرية
نبح الفكر بها مزجها نسم اهدى من سناء الشيرة
هذه الاربعة كانت قبسا فلوها عن عصور ذهبية
اسالوها عن زمان مشرق وهب العالم الالة سنية
والشاعر فافصل خلف يفتنم كل فرصة لتجديد التاريخ
العربي الشرق بمارات الاسلام ، فمنعنا انيحت له الفرصة في
قصيدة الورقات التونسية .. اقتنم هذه الفرصة ، لكي يروي غليله
من تعجيد بطولات تونس العربية التي حمل لواءها الفاتحون الاوائل
بقيادة عقبة بن نافع وهم يحولون رايات الاسلام المغفرة .. نأثرين
الهامة والنور في افطار العمود .. ولا يمكن ان تكون ربوع تونس
قبسا الا بالعروبة والاسلام .. فهو يتغنى بمارات اولئك الابطال الذين
جاؤوا هذه الربوع بالخبر والبركة والمجد والبطولة حيث يقول :

اسلوا عن عقبة الفتح وعن فتية اهل آباء وحميمة
اقبلوا من مطلع النور فهم رسل الامجاد من ارض زكية
اسوا في كل ركن محجلا لبطولات واجساد ثرية
صود في القيروان ازدهرت لم شعت في الاقاليم القفصية
مهلت للنور حتى برزعت في رحاب الافق شمس القاطية
دولة يتفخر الفكر بها في مجال الفخر والذكرى الزكية
دولة في مغرب الارض لها ذكريات عاطرات سيمدية
ولها في شرق الارض صدى صاحب الجبرس بمجده المأوذة
انهما الهيدة الشماس لم تلك الا مصدرا للمفيدة
اما الصود التي ازدهرت في القيروان فهي دولة بني الالبي ..
التي اسلمت الراية العربية الى الفاطنين .. وهو وان لم يذكرها هنا
في هذه القصيدة بالاسم فلم يهملها في قصيدة اخرى عنوانها تونس
الخضراء حيث قرن ذكرها بذكر عقبة عندما قال :

وعقبة الفتح خلف اللواء بها اذ كان فيها مثال المصلح الباني
واغب في جبين المعمر لؤلؤة بالقيروان لاسم رايات عرفان
وفي الواقع ان عقبة هو الذي اسس القيروان واتشا مسجدها
الجامع الذي ما يزال حتى يوم الناس هذا آية من آيات الفن المعماري
... وما يزال حتى يومنا هذا مغفرة من مفاخر عقبة والذين معه من
المؤمنين الذين عمروه ليكون نورا يهتدى به في الظلمات .. وهو مانسة
من مائر العروبة في شمال افريقيا .. وسيبقى الى قيام الساعة قلعة
من فلاح الاسلام .. ومصدرا متعنا من مصادر القوة والايام .. نسم
جابت الدولة الاقلية فاصبحت القيروان دوة في تاج الدولة العربية
ومناصرة مصيبة في نفور الاسلام ، والاقاليم هم الذين وحدوا افريقيا
وهي تونس وما جاورها من بلاد الجزائر وليبيا .. وهم الذين فتحوا
صقلية بقيادة اسد بن الفرات ، فاضي القيروان .. وهناك دلائل تشير
الى ان الاقاليم غزوا الاراضي الايطالية ودخلوا روما ، في عام ٢٢٢
هجريه ولكن المقاومة العنيفة التي تعرض لها الفاتحون من قبيل جيوش
اوربا اضطرهم الى الرجوع الى ميناء سوسة العربي حيث خرجت
الجيوش العربية للفتح روما .

وهنا بعيد التاريخ نفسه بعد مائة عام مذكرا بالقدم عبد الرحمن
الفاقي الذي تولف في اوربا من طريق الاندلس فتألمت عليه جيوش
اوربا مجتمعة فتوقف زحفه واستشهد في بلاط الشهداء بالقرب من
باريس عاصمة فرنسا . وكانت الدولة الاقلية تعترف بالسيادة لمرکز
الخلافة العباسية في بغداد .. كما كانت الحال مع الاندلس حتى ايام
عبد الرحمن الناصر .

وبذكر الشاعر فافصل خلف القيروان في قصيدة « هدية » بقوله

« القيروان منار العز والشرف » .

وعندما ذكر الشاعر البطل الفاتح عقبة بن نافع في قصيدة « الورقات » لم ينس الإبطال الفاتحين الذين سبقوا عقبة إلى ربوع تونس ، أو إفريقيا كما كانت تدعى في ذلك الزمان .. فهو يبهيم في قصيدة تونس الخضراء بقوله :

وللعبدان صبيت في مدائننا .. وقد غدا ذكرهم في كل ميدان
والعبدان هم سيرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانوا ضمن الجند الإسلامي الفاتح وهم : عبد الله بن سعد بن أبي
سرح ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب ،
وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ،
وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وفي قصيدة تونس الخضراء يشيد الشاعر بالدولة الفاطمية بقوله :

ولك مهدية الإجماع شاهدة الفاطميين من أبناء عسنان
قد شيّدوا دولة شماء سامقة بها نقتت دمشق بعد بغداد
والدولة الفاطمية التي تلقّت الراية العربية من الدولة الأموية ،
حملت هذه الراية خاتمة فوك الذري ، مرفوعة لا في شمال إفريقيا
فقط وعاصمتها الجديدة « المهدية » بل تجاوزتها إلى أشراق العربي
عندما هاجر العز لدين الله إلى مصر .. ومن مصر نشر رايته في الشام
والبحار وشواطئ الخليج العربي .

والشاعر الآن يتقنى في شعره عند الحديث عن تونس .. بالفاتحين
الأولين وعلى رأسهم العبادة السنية .. ويتقنى بقية باقي القيروان
ومشيه مسجدها العظيم ويتقنى بالإغالية الفاتحين .. ويتقنى بالفاتحين
اليابانيين .. وهكذا مجد الشاعر تونس وكل من أسهم في إجماعها العربية
الإسلامية في الماضي والحاضر .

أما تمجيد الشاعر للتونسيين الأوائل فقد أتينا على ذكره .. وبقي
أن نساير الشاعر في رحلته المهدية في تونس الخضراء ونطلع على
مشاعره نحو التونسيين في هذا العصر .. عصر الكلاخ ضد الفزاة
التاريخية .. وكيف صيد الشعب طويلا أمام قسوتهم وبتدهيم السائرين
للوطنين ، وكيف قاوم الشعب ضرباتهم المتتالية لتزويق البلاد وتشظيت
العباد .

احتلت فرنسا تونس بحجة حماية بعض رعاياها وفرضت على الملك
محمد السادس معاهدة الحماية في ١٢ ماي ١٨٨١ ، وكانت قد احتلت
الجزائر قبل ذلك بخمسين سنة .. ثم احتلت الغرب بعد ذلك فاصبح
الشمال الافريقي من حدود ليبيا إلى المحيط الاطلسي مستعمرة فرنسية
تحتكم بالنار والحديد ، وليس لإنشاء البلاد إلا القل والظلم والاستبعاد ،
وعند أن وقتل فرنسا تراب تونس .. والشعب في معارك مستمرة تارة
في الجبل وتارة في السر .. فمن اشتباكات مسلحة إلى حرب عصابات
ومن تحد سافر إلى القلاع راحة المحتلين في تونس وفي الكنت في
الحاقل الدولية وكانت فواقل الشهداء تأخذ مكانها اللق في صفحات
التاريخ إلى أن توج كلاً الشعب بالنصر البين فاعلنت الجمهورية في
٢٥ يولييه من عام ١٩٥٧ .. وكانت الأفلام الأدباء وقرائع الشعراء تصلي
الفزاة بمعهم اللامعة ، مساندة الكفاح والمكافحين فالتقى السلاح
والقلم على صعيد واحد .. وتعاقد الجير والدم في دروب الجهاد .

وجاء الشاعر فاضل خلف .. الشاعر الذي كان يتبع كفاح تونس
ضد الفزاة وخاصة الصفحة الأخيرة منه حيث كانت المقاومة والإذاعات
العالية ، تحمل آباء الجهاد والجهاديين إلى كل جزء من أجزاء الوطن
العربي ..

وجاء الشاعر بعد الاستقلال بخمسة أعوام في عام ١٩٦٢ ، فرأى
عن كتب الرابع التي كانت مسرحا للكلاب وميدانا لصراع طويل بين
شعب اغزل ومستعمر لا يرحم .. وكان مجيئه في نفس العام السني
سكنت فيه المدافع الهادئة في الجزائر المنافسة ، بلوز الشعب

الجزائري النفاخ على الفزاة بعد مائة وثلاثين سنة من القتال البري ..
فاصبح الشمال الافريقي كله حرا طليقا ترفرف عليه راية العروبة
... والاسلام .

ويأتي الشاعر إلى تونس فلا غزاة ولا مفيرون .. ولكن فيها حرية
واستقلال وجب ودام فيصيح في قصيدته تونس الخضراء :

وأهل تونس أهلي سوف الذكرم مدى الحياة بانسواق وتحنان
هم الرجال إذا ساداهم وطن عند المصاب أو في رد عدوان
سلوا المفير فقد أودى الزمان به لا بالكلام ولكن بالدم القاني
دعاه حشاد الأحرار أخوته قد خفيت تراب بنزوت وزفوان
ويصيح في قصيدة « خفلات قلب » وهي القصيدة التي نظمها
الشاعر عن أبي القاسم الشابي :

في شعره الوطني للأحرار وفلس سننا ونسود
نادى بكسر القيد لم يعسا بشر منتبصر
شر تحدي في المسا بع كل حر متبصر
يصبو لتحرير البلاد من الفساد والتسود
يصبو لتحرير الحب والألام والخير الوفير
يصبو ليعت الشعب من رفسداته خلف التسود
فلاجنسي بأرضه نشوان يرغل في السورود
ويتبه في الخضراء بين مراعبع زهورود
يلسا السرايع فاصبا ويعيش تيه في القصور
هل يكت الشمر الجرجع على المصالب والتسود
هل يكت الشابي وهو لسان موطنه المصبور
هل يكت التسادي القسود عن طمعات الفير
كلا فها خلق الفرد السكوت على التكير
فرسايا الشمره يذكي قسودها صدق التكير

والصدق عند الشاعر الطبعوع مبن وحسي الفير
وفي قصيدة « نهر مجردة » يخاطب تونس ويبدع كاجها
في نصرة الجزائر التي يستعطي معهما .. لرد غزاة من نوع اخر .. غزاة
لم يعرف العرب مثله في الشر والقسوة وموت الصمالي .. غزاة
تصادفهم كل فوق البيت في العالم .. غزاة اتوا من كل حدب وصوب
لأقتصاب ارض عربية مقدسة قتم لهم ما يريدون ولكن بحراب كل
اعداء الأمة العربية في هذا العالم المعيب .. فسقطت فلسطين في
فترة ضعف العرب . ثم توالى الفارات على الانظار العربية المجاورة
للمسطين حتى اصبح العدو الصهيوني يمتلك ارضا عربية شاسعة تكاد
تكون من التيل إلى الفرات . يقول الشاعر في هذه القصيدة :

أتوسن ان غيتت مجردة انسدا
أتوسن ان مجيتت نهرام انسدا
فانك دار للمكرام والقسرى
وانت ملا الحمر ان جار دهره
تهدت ابطال الجزائر في الولى
وساقية الاحرار قد روت الترى
فهل لك في نمر جديد محجل
فلسطين قد حل البلاء بساحتها
فلست ارى الا ديارا سليبية
وهذا اوان البلاد يا ابنة علبية
وفولي لقاء اليوم في ارضي تونس
وساقية الاحرار هذه التي ذكر الشاعر هنا هي ساقية سيدي

يوسف وهي قرية تونسية تقع على الحدود الجزائرية احتى بهما
الجاهدون الجزائريون عندما طاردتهم دورية فرنسية في عام ١٩٥٩ ..
فثارت لثارة المستعمرين وقصفوا القرية برا وجوا . فاصبحت قساعا
صفصفا واستشهد من جراء ذلك الجاهدون الجزائريون وعدد كبير من
المواطنين التونسيين فامتزج الدم التونسي والجزائري على دروب الكفاح

واصدحي بالنغم العذب الفريد
وامسكت الدنيا اهزازي المصود
واجعلني الجسد شعرا
ودليلا ومنسارا
واعييدي ذكر ماضيك السعيد
فلقد اشرق في الكون وسارا

يا دم الاحرار في الافق الرحيب
هذه بنزرت في لوب قشيب
تبج الانوار من بعد الذهب
في سماها وربها
وعلى رحب مداها
تخلق الاعلام في فخر عجيب
بعد ان ازت باعلام عداها

ايه يا بنزرت يا بنت العروبة
سجلت ارضك مائة رهبة
فقدت السلم انفسا طروبة
فدماء الشهداء
ودموع الابرياء
فصاة الهيت النفس الوثوبة
فانت بالصر وفاح السناء

يا ترى تونس قد ولى الظلام
وانسى الجسر الجديس المتهم
في نياها رخاء وسلام
وربيع وشباب
والانفاس العذاب
فروما الخضراء حب وونام
وهيبي للابجاء والنفس ركاب

وتابع رحلتنا الادبية في رفاي الشعر الفناء .. في ديوان على
« ضفاف مجردة » للشاعر الكويتي فاضل خلف لكي نستقبل لونها
جديدا من المواقف الصادقة والمشاعر السامية .. فبعد ان تحدثنا
عن شعور الشاعر تجاه تونس من الوجهة الملحمية التاريخية ثم من
الناحية البطولية والكفاح في الزمن الحديث نتجه الآن الى مروج اخرى
توغل فيها الشاعر بكل اخلاص وصدق وسجل فيها احلى كلماته
الشعرية .. وما هي الا حبه الخاص لتونس ارضا وطبيعة وشعبا ، ففي
مقدمة قصيدته « خفاقات قلب » وهي عن ابي القاسم الشابي .. رسم
صورة شعرية عن تونس قلما قرأت مثيلا لها في حياتي الادبية وهذه
الصورة لا يدرك حقيقتها الا من جاب التراب التونسي من القضاء الى
القضاء فمكان العاصمة مثلا والمدن الساحلية ومدن الوسط لا يعرفون
التلويح والينابيع والجبال وسكان الشمال لا يعرفون البحر واسطفاك
الاسواق .

اما الشاعر فقد زار كل جزء من الاراضي التونسية فسجلت
ريشته صورة لتونس بكل ما فيها من جمال وبهاء .. وكانت هسده
الريشة صادقة في تسجيلها .. صادقة في تصويرها ، فلنستمع اليه
وهو يشدو :

في تونس الخضراء بين الحسن والماء النقيس
حيث الطبيعة تزدهي وتجدو بالسنن الوفور
حيث الجدائل ترسل النغمات انشاء الخوبر
حيث الجبال الراسيات تيه بالتلج الفزير
حيث الزاهر فضلا الروح المضمخ بالعيسر

والنصال ضد الغزاة الظلال .

وقد نظمت هذه القصيدة بمناسبة انعقاد مؤتمر ادياب العرب العاشر
في تونس في شهر مارس من عام ١٩٧٢ .. اي قبل حرب رمضان ...
هذه الحرب المباركة التي اعادت لنا الثقة في انفسنا .. وان شاء الله
تتحقق نبوة الشاعر فيقصد ادياب العرب مهرجانيهم القادم في القدس ..
فكون حرب رمضان فاتحة لتحرير فلسطين من الغزاة الصهاينة كسل
فلسطين ، كما كانت حرب حطين فاتحة لتحرير فلسطين كل فلسطين من
الغزاة الصليبيين في المصور الوسطى .

ونعني مع الشاعر على دروب النصال فتطالعنا قصيدة « الفجر
الجديد » وهي القصيدة التي نظمها الشاعر في مدينة بنزرت المكافحة
ومعركتها الخالدة .. بنزرت التي دخلت تاريخ الجهاد من اوسع الابواب
.. اذ قدمت في يومين او ثلاثة اكثر من عشرة الاف شهيد تونسي
عندما قصفتها قوات الاستعمار في صيف ١٩٦١ برا وبحرا وجوا
بدون هوادة .. وتشاء الاقدار ان تكون نهاية كفاح بنزرت كيدايها قليل
هذه المعركة الاخيرة بشماتين عاما اي في ١٨٨١ انزلت فرنسا في مدينة
بنزرت لمائة الاف جندي بكامل عدتهم بقيادة الجنرال بريار الى جانب
قوات اخرى عن طريق الجزائر .. واجهت القوات نحو العاصمة ..
فكان الاحتلال وادي احتلال .

وبعد معركة بنزرت الاخيرة بعامين تقريبا احتضنت تونس بخروج
اخر جندي فرنسي عن هذه المدينة الباسلة بحضور عدة رؤساء عرب
كان في مقدمتهم الرئيس الحبيب بورقيبة والرئيس الراحل جمال عبد
الناصر والرئيس احمد بن بلا .. وقد مثل الكويت في هذا المهرجان
الخالد الشيخ عبد الله الجابر الصباح . وهناك التي الشاعر تعيته
الجميلة لبزرت .. وتونس .. والكفاح امام الحشود العربية الهادرة .
ردي بنزرت الحسان الخلود

مجلة

البيان

مجلة فكرية شهرية تصدرها

رابطة الادباء في الكويت

وتحررها الاعلام العربية الاصيل

للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص. ب. ٣٤٠٤٣ - العديلية

الكويت

« البيان » ... توزع في معظم الاقطار العربية

حيث المروج ثلاثات كالنجم كالبيدر القيسر
حيث اصطفاك الماء في الشطان او بين الصخور
حيث البلال غردت عند الاصال واليسور
حيث التسائم تنمش الارواح في الدوح النقيسر
حيث الروابي الخضر ابهجت النؤوس مدى الدهور
حيث المياه تدفقت في السهل في الوادي الخضر
حيث الجمال مسوز ريان النبع المثير

فهذه الصورة المشرقة للطبيعة التونسية .. وهذه التحية الصادقة
لهذه الاراضي الخضراء ، وهذه السبجات الوجدانية في ادواح الفناء
.. جاءت نتيجة لتوله الشاعر في الطبيعة . ولا عجب فالشاعر هم
اكثر الناس هياما بالطبيعة . فالبحار تحرك في نفوسهم الانقسام
والجبال تهز في اعمالهم الحان الانشاد والمروج تهيج في جواتهم
الشعر ، والجدال والينابيع والانهار تلهيم كل يدع من القبول
وجيل من الكلام . والشاعر الصادق تراه يهيم بالطبيعة ، ويغتنم
الفرص بعد غناه العمل .. اي عمل .. لكي يلقي بنفسه في احضانها
سارحا في جنباتها متاعا عجائبا غارقا في ليجها ، لكي يروتي من
منبعها العذب ، فترتاح نفسه العطشى بعد غناه الحياة اليومية ..
فتكون هذه التاعات بعد ذلك شعرا يتدفق من اعماقه .. فيكون له
صدى جميل في النفوس .. نفوس الآخرين الذين لا تسمح لهم ظروفهم
العيشية للقيام في الطبيعة كما يفعل الشاعر .. ولكنهم عندما يقرأون
اثر الشاعر تراح نفوسهم المتعبة .. وتألمهم هم الذين عاشوا تلك
اللحظات الجميلة مع الطبيعة الساحرة ..

والشاعر فاضل خلف عشق الطبيعة التونسية فباحث لسهة
باسرها ، وبادلته الشق فاخذ يتغنى بها .. فهو يقول في قصيدة
« تونس الخضراء » :

فيها الطبيعة لم غنت مزاهرها فطربت بفنائها كل فنان
والروح تسبح في اجوائها طربا كاتبا بحثت في عالم فنان

ويقول في قصيدة « نهر مجردة » :

تنزل على الخضراء درا وعسجدا وزدها على الايام غزا وسؤدا
وعطر تراه من معينك بالندا قد طبت في الافاق نجا ونوردا
وصفق مع الشادين في كل منحنى وهي جموع الهازجين مزوردا
ورد مع الاطيار في المدوح شدوها ورجع حفيف القاب لحنا مجددا

ويقول في قصيدة « على سفاف مجردة » مخاطبا تونس :

اتونس يا دينة المزههر وباعثة النور في الاصفر
نشرت الجاهة من بين القصر واصدبت للمصالح الاكبر
فازدك همد الجمال الرطيب وجسوك جو السنا القصر
والفلك للنسود مستودع يزورع من ليكسه المظفر
فمن ضفة النهر وهي سري يروحني . ولولا لم اشعر
اتونس ان تشيد الصفاف تهادي للنبع الانهر

ونترك من هذه المختارات ومن ثلاث قصائد مختلفة ، مبدى
تأثير الطبيعة التونسية على نفسية الشاعر ومدى تأثيرها على شاعريته
ولولا سبق الجبال لاوردنا شواهد اخرى على شفق الشاعر بالطبيعة ،
وتأثره بفيضها الدافق ، وادراؤه من منامها العذبة ، حتى فاضت نفسه
بما فاضت به من حب وعواطف سامية واحاسيس صادقة ولن شمري
جليل سيبقى على المدى شاهدا على صدق الشاعر في فنه السدي
استقاء من اللوحات الفنية الزائلة في ادواح الطبيعة الفناء .

لقد تحدثنا حتى الآن عن عواطف الشاعر الصادقة نحو الاراضي
التونسية في تاريخها العربي المجيد لم تحدثنا عن شعوره الديالي تجاه
الكلح التونسي ضد الغزاة الذين رحلوا دون رجعة الى اوكارهم ...
ثم تحدثنا عن ولع الشاعر بالطبيعة التونسية .. والاراضي التونسية ..

والشعب التونسي .. فلم يبق لدينا شيء نقوله انما لهذا الحديث
الا التنويه باحاسيس تونس تجاه الشاعر .. وذكر المواظف المتبادلة
بين هذا الشاعر المعطاء .. وبين تونس الخضراء ، وقد جاءت هذه
المواظف السامية عن تونس بواسطة فلم التحرير في جريدة الصباح ،
حيث قالت :

« فاضل خلف اديب من ادياب الكويت اللامعين ، ووجه مسن
الوجه المشرقة لذلك السبح الشقيق ما عرفنا فيه الا السماحة
والشهامه واللياقة والدبلوماسية الطاهرة والعروبة الصادقة طيلة
اقامته بتونس، يفضح بشماله وبمساهميه لتحقيق الصلة الاخوية بين
الكويت وتونس بقلبه ونشاطه وتصرفاته ، حتى اصبح محبوبا لدى كل
تونس ، وكوكبا ساطعا في محافل الفكر بالجمهورية التونسية » .

وتقول جريدة الصباح كذلك عند صدور هذا الديوان :

« صدر اخيرا في الكويت ديوان على سفاف مجردة ، وهو اول
مجموعة شعرية تطبع لصديقنا الشاعر الكويتي البارع فاضل خلف
ويضم هذا الديوان عددا من القصائد التي انتجها الشاعر بتونس خلال
اقامته الطويلة بها سجل فيها امجاد تونس الوطنية واعلامها ورجال الفكر
والعلم ، وساهمته في المهرجانات الثقافية التي انتظمت بتونس وتغنى
بهرها « نهر مجردة » الذي اختار ان يكون عنوان ديوانه .

وفلما لقد كان انتاج الاستاذ فاضل خلف بتونس افرز انتاج في
حياته الادبية ، ولا غرو ان يتغنى الشاعر الصديق بتونس وان تلقى
فريحتة من هذه القصائد الحسان ، فهو قد احب تونس واجتمع وتعرفت
من خلال اديبه في الكويت كاصف وابلغ ما يكون التعرف والاكير للدولة
الشقيقة والحببية ، لقد عمل جاهدا على ربط الصلات الروحية بين
البلدين واتمجز بالاساطير التونسية الثقافية والشعبية فكان لذلك اثر
كبير في اشراق وجه الكويت ببلانا ، وكان هذا الصديق همزة
الوصل ورسول التآخي بين الشعبين الشقيقين .

ولعل من عوامل نجاح الرجل الدبلوماسي ان يتوفر له حظرموق
من الثقافة والمعرفة الادبية .. فان تلك ادوات تساعده على اداء مهمته
النبلية التي تهدف الى تفتيح العلاقات ونشر المحبة بين البلد السدي
يقله والبلد الذي يغفل فيه . وقد نجح فاضل خلف في ذلك .. النجاح
كله » .

هذا هو اذن الشاعر الكويتي فاضل خلف صديق تونس المخلص ،
وهذا هو ديوانه على « سفاف مجردة » .. واتني بعد كل هذه الصفات
اجدني لم اف الشاعر كل حقه ، ولم ات الا على ذكر قليل من شعره
وشعوره تجاه تونس الخضراء .. ولعلني في فرصة اخرى مواتية اواصل
البحث في هذا الموضوع ، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ، فهو خير
المين .

تونس ابو القاسم مناع

نفحات عطر

تأليف السيدة اسمى طوي - ١٢١ صفحة من القطع المتوسط - مؤسسة
نوفل ببيروت - لم يذكر اسم الطبعة

منذ ان وصلت الي هدية الادبية الكبيرة السيدة اسمى طوي «نفحات
عطر» وانا اشعها واستعيد الشم ، فالعطر الاصيل يظل شذاه يلمح

الى دنيا بعيدة عن الريفات ... الى عوالم مثلى لا تخطر الا في بال.
الشراء والخناين والوسيين الكبار .

من قرؤوا السيدة اسمى طوي قبل اليوم ، فلما يعرفون اسلوبها
الرشيق السهل ، وعباراتها المتشعة بالبحية والمذوبة والحلاوة ، فهي
تكتب من قلبها من احاسيسها الثابتة ، من وجدانها البقظ الحي ...
تراها وهي تكتب ، كتلة من العطف على اولئك المذلين في الارض ، على
التعاسين ومتكودي الظلم ... ولعل من اطف ما قرأت لها قصة
هذا الطفل الذي وقف في الصباح الباكر على طريق السيارات التي
ترتلي الجبل يبيع طاعة صغيرة من الترجس البري او بكور مرسى
فومعه الساق في العودة ، ولال المسكين ولقا حتى كانت الصودة وكانت
معه خاتمة القصة ...

ما اجمل وصلها لغارة جعيتنا بهذه الكلمات الناعمة : « تلحست
الهياكل ، وتقيم على ايوبها ، وتنصب الشوع من حولها كأنما تخبى
عليها نحن البشر مفية الفلال ، فهي تود ان تهيبه لنا ... فعلى ».

لكنني بالرغم من اعجابي الشديد بأسلوب الاخت اسمى ، ومن
تقديرى للموضوعات التي اختارتها ، فان هذا الأسلوب يتوي من
حين لآخر ... لتستعج لي بجهة ان اشير الى بعض ما ورد في الكتاب
من اخطاء سامنتها القلم ، ولا اتفقد ان صدرها الواسع يسبق بها ، ما
دعنا جميعا ننشد الكمال ، ونسعى الى الصحيح والصواب ومنها :

ص ٢١ : حدائين والصواب حدادين .

ص ٢٧ : اربعة وعشرين ساعة والصواب اربعا .

ص ٢١ : وما نراه في قلعة بعلبك حتى اليوم شاهدا والصواب
شاهد .

ص ٢٢ : وكانت فرصة للنبل ان يستفيدوا من الدينيتين والصواب
الدينين .

ص ٥٢ : يارافها الخضراء والصواب الخضر .

ص ٥٥ : اول من تزين بالورود والصواب الورد ، وقد تكررت
الورود والزهور مرات .

ص ٦٥ : وتشي بان يوما عادا فادم والصواب هانا .

ص ٧١ : وبعد الفارابي وابن سينا مرجعوا والصواب مرجعين .

ص ٧١ : بالليل والصواب بالليل .

ص ٧٢ : الجاريات المغنيات « غنان وعريب » وفصل ومحبوبة
والصواب حباية .

ص ٨٢ : يتوكلون والصواب يتوكلون .

ص ٨٣ : انا في الرابعة عشر والصواب الرابعة عشرة . سؤال
والصواب سؤال .

ص ٨٤ : السادسة عشر والصواب السادسة عشرة . اللقبات
والصواب اللقادات .

ص ٨٥ : ستمحوا والصواب ستمحو بحذف الالف .

ص ٩٦ : وطأت والصواب وطئت .

ص ١٢٠ : للتبخها والصواب لتبخها ، وهذا خطأ مطبعي .

ص ١٢٥ : اليزو والصواب الهزه .

اتمنى ان لا اكون قد غليت في ايراد هذه الهنات البسيطة ، التي
يحسن ان يخلو منها كتاب حبيب الى النفس كنفحات عطر ، وارجو
للمدققة العزلة مزيدا من الانتاج الادبي الرفيع الذي كانت ولم تنزل
تخف به مكتبتنا العربية .

عيسى فتوح

دمشق

ويوح ، يلا النفس بهجة وارتيحا .

ليست هذه النفحات من الطير الرخيص الذي يزكم الانوف ،
ويتقل الاناس ويختفها ... بل هي نفحات لا احب ولا امتع للقلوب
المتعبة ، والاعصاب المتوترة ، والعقول الحائرة .

كم تمنيت لو قرأت هذه النفحات وأنا وحيد على قمة جبل ،
او على شفة نهر ، اذ في ظل غابة بعيدة بعيدة من المدينة وهمومها ومتاعها
لكنني تلوذت متعتها وحلاوتها اكثر ، لكن ما جيتني وقد وسلتني وأنا
في زحمة الاممال التي لم تسمح لي بقراءتها في جلسة واحدة ، رغم انها
من الممكن ان نقرأ في سامتني على الاكثر ، بقرؤها المتفرغ الذي لا هموم
له ، ولا اعباء تثقل كاهله ، وتضغط عليه من كل صوب .

قرأت هذه المنظومات اللطيفة مجموعة ، وكنت قد قرأت بعضها
متفرقا قبل اليوم في مجلتي « صوت المرأة » و « الدنيا المرأة » وكانت من
كاتبتهما الدائمات ، ليؤكد يخلو عدد منهما من مقالة ، او خاطرة
تستمد من واقع حياننا التي نشنا ان نزرعها صخبا ونمقا وسبالا
وتزاحما ...

فسم الكتاب لثلاثا واربعين منظومة ، تحدثت في اثنتي عشرة منها
عن عادات بعض الشعوب في اعراسها ، تحدثت عن اول عرس في التاريخ
ثم تتبعت الانراس متدفج الاسلام ، الى الهند ، وروسيا ، وشمال
اوروپا ، ووبرما ، وغينيا ، وهنغاريا ، وسيام ... وهذا دليل على
مطالعاتها الواسعة ، ولقائها العميقة ، وتفحصها الدائم ، ثم تكلمت
في الصفحات التالية عن اول من عيد للربيع . اول من اهدى الزهره ،
وتزين بالورد وعن اطول ربيع والفرح ربيع ، ولان اخي الربيع ...

اما الموضوعات الاخرى فكانت اشانت متفرقة ، بعضها استمدته
من طبيعة لبنان وريفه الجميل ، وبعضها من ذكرياتها الحميمية ، ونسلا
ذلك حديث من بيع الزوجات في التاريخ ، وعن مدارس الاسى ، الى
ما هنالك من موضوعات طريفة جذبة بالمالحة ، لانك تحسها قريبة
من النفس تحمل اليها التمتع والراحة والنفقة والانطلاق ... تنقلها

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالإضافة الى العرض الدائم لحدث مجلات

الازياء والموضة الأوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير - بيروت

الحزب الوطني المصري وأبو ماضي

بقلم جورج ديمتري سليم

المقالة الثالثة

تطورت الحركة الوطنية في مصر ، أواخر ١٩٠٨ ، من حركة سياسية بحتة الى حركة سياسية اجتماعية تبغي اصلاح مصر اجتماعيا ، قدر ما كانت تبغيه سياسيا . فنشطت الحزب الوطني - معتمدا على كفاءة اعضائه وغيره مؤيديه في مجالين رئيسيين : مجال العمال وأرباب الحرف ، ومجال التربية والتعليم .

اما العمال ، فأول ما قام به الحزب نحوهم - قبل دعوته الى وضع التشريعات لحمايتهم وإنشاء نقابات لهم - هو إنشاء مدارس ليلية مجانية لتثويرهم وتوعيتهم ، سماها « مدارس الشعب » . وافتتحت أولى هذه المدارس فسي حي بولاق بالقاهرة ، في ٧-١١-١٩٠٨ ، وتولى التدريس فيها كبار اعضاء الحزب ، وعلى رأسهم الشيخ جاورش نفسه . وتبع ذلك افتتاح ثلاث مدارس مماثلة في ثلاثة احياء اخرى بالعاصمة .

وفي ابريل (نيسان) ١٩١٠ ، اتفق نخبة من الوطنيين في الاسكندرية على تأليف « جمعية مدارس الشعب » لإنشاء هذه المدارس بالشر . فوجه الصيدلي عبد الله محمد ، صاحب « اجزائة عبد الله » المجاورة للجامع السلطان ، دعوة لاجتماع عام يبرز الجمعية الى حيز الفعل . وأسفر هذا الاجتماع ، الذي عقد عند الصيدلي مساء ١٣-٤ ، عن انتخاب لجنة تحضيرية للجمعية ، ثم عن انتخاب لجنة الجمعية وسكرتيرها ، وأمين صندوقها ، في اجتماع اليوم التالي .

ولم يكن أبو ماضي قريبا الى هذه الجمعية عندكونها لان مركزها صيدلية متاخمة للكانه ، ولكن ، كان من أوائل الذين قاموا لمناصرتها . فما كادت « الشعب » ، الناطقة بلسان الحزب الوطني ، تنشر في عدد ٨-٤ ، كلمة ، تحيد فيها فكرة مشروع مدارس الشعب بالاسكندرية ، وتحث فيها اكابر الشر وادباءه وسائر اهاليه الى تعضيد هذا المشروع ، حتى كان أبو ماضي قد نظم « هديتي الى مدارس الشعب بالاسكندرية » ، وبعث بها الى الجريدة ، فنشرتها هذه ، في عدد ٢٤-٤ ، مهدة لها بالقدمة الآتية :

« أرسل اليناخضر الشاعر المجيد ، صاحب التوقيع هذه القصيدة العصماء ، وقد عارض فيها قصيدة الشاعر الكبير حافظ أفندي ابراهيم التي قدمها الى « جمعية رعاية الاطفال » (في حفل اقيم ٨-٤-١٩١٠ ، في دار

« الاوبرا » بالقاهرة) . ولا ريب ان امثال هذه المواضيع الاخلاقية لما يجدر بالشعراء المبدعين طروقه ، بشا لروح الفضيلة في النفوس ، وتنمية لكارم الاخلاق في الامسة . فنشني على هذا الشاعر الفاضل ، ونأمل ان يكون لسائر شعرائنا جولة مشهودة في هذا الميدان المحمود . »

والقارئ ! « هدية أبي ماضي » سيجد انها من الشعر الاجتماعي الذي - عرفه بدوي طبانة بقوله - « يعالج احوال المجتمعات الانسانية ، ويصف عليها وآلامها ، ويشرح امانيها ومطالب حياتها » . وسيجد قارئها ايضا ان نازلهما كان مصدوع الفؤاد حينما ندب فيها حالة العمال ، وما جعله يخطتها بهذا النداء الانساني :

فقلوا بناصرهم حين حياتهم
ما اجند الجهلاء ان يتعلموا
فاسعوا لنشر العلم فيهم ، انما
يا الجول اذا تعلموا واقتصدوا
يا قوم ، ان لم تسعوا ففراقكم
هلا رصيتم بالمخامد فنية ؟
او لستم ابناء من سارت بهم
جودوا ، فغير الحمد غير مخلد

رأى الحزب الوطني ، حين انبرى لاصلاح مصر مصر اصلاحا اجتماعيا ، ان العلم هو عماد هذا الاصلاح الذي كان يهدف اليه ، او هو « خير دواء يصلح الخلا » - حسب تعبير أبي ماضي . فقام الشيخ جاورش ، وهو المربي الذي انقلب سياسيا ، بوضع برامج تعليمية عصرية لتقوم التعليم المصري في جميع مراحلها وبكل انواعه . ولم ينس هذا الشيخ الأزهرى ، وهو في غمرة التخطيط ، وكذلك تعصير رجاله ، فاجاد مشروع « البعثة الأزهرية » الذي من شأنه ان يرسل ازهريين بشكل منتظم الى فرنسا ، لتلقي علوم الرياضة ، والكيمياء ، والطبعية ، والاقتصاد السياسي والتاريخ . ونجح المشروع ، وجمع له من المال ما سمح بارسال بعثة من ثلاثة مشايخ ، رافقها الشيخ جاورش .

وقبل ابجار البعثة من الاسكندرية ، في يناير « كانون الثاني » ١٩١١ ، أقام الوطنيون بالشر احتفالا فخما لوداعها في فندق « متروبول » ، دعي اليه امثال المصريين وذوو الفضل والعلم . وفي هذا الاحتفال أشهد أبو ماضي قصيدة له موجهة ، خاطب فيها المبعوثين فقال :

ويا ايها الطالبون الكرام
اذا ركبتم غداة السفين
واصبحتم بسلا الالى
الا فاذكروا لكم امسة
وان « الكتلة » ترجو بكم
تعالكم « مصر » ان تعلموا
خذوا بالعلوم واسبابها
هو الكثر لكتمه خالدا
اخو العلم حمر وان لم يكن
وكم خلف الجهل من سيد

وكم أمة وجدت عزها به ، وهي لولاه لم توجد
الم يك في الشرق صباحها فلما قلناه لم نهند
الى التمسى ، ايها الراحلون فليس اللقاء بمتمتع
كلسى « مصر » انكم رسلها وحبيكم شرف المقصد
كان لعبد العزيز جاویش اثره في أبي ماضي كما كان
له اثره في نخبة من شباب العصر . الا ان اثر جاویش في
أبي ماضي ما كان نتيجة الاتصال الشخصي المباشر -
فالظروف لم تنح للشارع ان يتأثر بشخصية الشيخ كما
اتاحت له تربية له حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) وانما
كان نتيجة قراءة أبي ماضي لنتاج الشيخ اليومي في الجرائد
قراءة مستوعبة .

فعندما صدر القرار الوزاري في ٢٥ - ٣ - ١٩٠٩ ،
لتقييد حرية الكتابة ، نشرت « اللواء » في اليوم التالي
مقالة لجاویش ، جاءت فوائدها قراءتها كما يلي :
« ايها القلم ، لو كنت سيغا لاغمدتك في صدور من
يحاربونك

ايها القلم ، استلنا عريكتك
ايها القلم ، اسكون بعد حركة ؟
ايها القلم !! اهذا آخر عهدك بالقرطاس ؟
ايها القلم ! تشيعك اليوم أفدة ابتظنتها
فلتكن ، ايها القلم ، كما شاءوا لك
وانت يا رب القلم ! »

ولقد اوجت هذه المقالة النارية - التي احدثت ردود
فعل في « اجيشان جازيت » ، جريدة الاحتلال ، وفي
جريدة « المؤيد » التي كانت وقتها موالية للسلطة الحاكمة -
اوجت الى أبي ماضي ان ينظم قصيدة بعنوان « ايها القلم »
وان يتأجج فيها براعه فيقول :
ماذا جئت عليهم ايها القلم ؟ والله ، ما فيك الا التمعج والحم
اني ليحزنني ان يسجنوك ، وهم لولاك في الارض لم تبت لهم قدم
خلفت حرا كموج البحر مندفعا فما القيود ! وما الاصفاذ واللجم
الي ان يقول :

واذهقوا الصحف والافلام في زمن يكساد ... فيه الطرس والقلم
ولعل تأثير الشيخ جاویش يظهر جليا في تلك الابيات
التي ندد فيها أبو ماضي بالريا وبالشعر . ففي اوائل سنة
١٩٠٨ ، تعرض الشيخ لموضوع الربا ، كما نوه عن الخمر ،
في محاضرات القاها بنادي دار العلوم ، لمدة اربعة عشر يوما .
ونشرت « المؤيد » اولي هذه المحاضرات ، متنية على الشيخ
ونشرت « اللواء » بقيتها . وكان ان استهل جاویش محاضراته
متعجبا اشد العجب من الذين اصبحوا يشربون الخمر ...
ويؤكلون الربا ولا ياكلونه ، فكانهم قضى عليهم ان يفسدوا
الدينا والاخرة ..

وفي هذا المعنى نظم أبو ماضي ، فقال في قصيدته
لمحمد فريد :

ليتقوا الله في « مصر » بلاهم « كتانة » الله ذات المجد والحسب
بات الرابع مع الضار يسليها هذا القول وهذا خالص التشب
وقال في قصيدته « الى الشبان المغرنين » :

اتهم الدنيا ، فهذا بالطللى
والخمر فانكنا ، كيف بنسائم
قد اصبحوا وفقا على شوائبهم
لم يلهوا معنى الحياة وكثرتها
ووصف في « هديتي » ما شاهده في حانة ، انشاء
سيره ليلا في احد شوارع الاسكندرية ، فقال :

فاستولفتني هجعة في حانته
كاظير حويل برشونها
حاصوا على الصوباء برشونها
نهب المدير الضادع الخنال
امسى يسوق اليهم اجمالهم
شر الشراب الخمر ، يصيح صبا
ثم يخاطب الخمار ، فقال له :

يا سالب الارواح ، بعض ترفق
لا تدفعن تلك النفوس الى السرى
ولا تقف ابو ماضي عند هذا ، بل يحمل معه الى
الولايات المتحدة ، واخر ١٩١١ ، كرهه للربا . فيقول في
قصيدة « خواطر شاعر » (نزوة الم) ، بعدما رأى عينا
حالة المهاجرين التمس ، ورأى الربا فاشيا بينهم :

وما همى السهرى شمع تعيس
يحاول زفه في السمن آسا
ولو عرف الحساب يد سالا
رعت الحاديات بكل سهم
فراح كاتما هو شمع موسى
نأى عن ارض « مصر » حذار فيهم
لمستنا صحتنا ممره يداجينا ، ومالي مرابي
ويصعب على ، بعد هذا القليل الذي عرضته ، ان
اضيف شيئا مفضلا يوضح اثر جاویش في تكوين أبي ماضي
الفكري . ذلك لان اثر الشيخ في شاعرنا اعم من ان اقدر
انا على سيرة ، واشمل من ان اقوم بصره . لهذا اجمل
فاقول : ان جاویش ، بكلمة « الشعر والشاعر » التمس
كتيها لـ « وطنيتي » وبسببها سجن ، كان العامل المساعد
ان لم يكن المسؤول الاول ، الذي عجل باي ماضي الى
الخروج من نطاق مفهوم الشعر والشاعر العتيق الضيق ،
الذي كان سائلا وقتذاك ، الى مفهوم جديد رحب ، مفهوم
لم ينف لحظة عن بال شاعرنا منذ ان ترك مصر متجهاً
الى امريكا . وقد مكن ابا ماضي من تحقيق هذا المفهوم
في المهجر طبيعته المتقبلة للافكار ، التواقة الى الابداع ،
وطبيعة الادب المهجري نفسه النزاعة الى التجديد .

وثمة كلمة ثانية تلمس اثرها في « ديوان تذكاري الماضي »
بالذات ، هي كلمة محمد فريد التي اتحف بها « وطنيتي » ،
وبسببها سجن هو ايضا . هذه الكلمة ، « تأثير الشعر في
تربية الامم » ، التي كان ظهورها اولاً في جريدة « الشعب »
١٩١٠ - ١٩١١ ، جاءت في ختامها النصيحة التالية :

« فعلى حضرات الشعراء ان يقلعوا عن عادة وضع
قصائد المديح ... وان يستعملوا هذه الواهب الربانية
في خدمة الامة وتربيتها ، بدل ان يصرفوها في خدمة
الاغنياء ، والتقرب من الوزراء . فالحكام زالتون ، والامة

باقية . والسلام على من سمع ووعى ، ووفق لخدمة بلاده وسعى ، قد « ان سمعته سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

وانتصح ابو ماضي ، فخرج ديوانه المصري خاليا من قصائد المديح ، مرفوعا « الى الامة المصرية ، الامة الدود ... لا طلبا للمثوبة ، ولا ابتغاءا للشكر ، ولكن اظهارا لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك ... » ولقد يكون لي ان اهديه الى احد افرادك من ذوي الفضل ، جريا مع العادة ، ولكني رايت المجموع خيرا وابقى .

كان على ابي ماضي ان يتفكر في مصيره في مصر حين رأى الضربات القارصة ننته الى على الحزب الوطني . فهو قد ارتبط بهذا الحزب ارتباطك مهما بدا لنا اليوم متواضعا ما كان لبيب وفذلا عن من تابع قراءة قصائده له في صحف الحزب المختلفة ، ومن تتبع نشاطه الوطني في الاسكندرية . واسترساله في وطنيته - في فترة من تاريخ مصر - خضعت الصحف فيها للرقابة الشديدة وانتشرت شبكة الجاسوسية حتى بين الاصدقاء - اصبح مجددا بالكلية والشذائد لا محالة . زد على هذا انه كان شابا هائما بالجد - كما قال هو ، تالقا الى مركز في عالم السياسة - على ما نظن نحن ، فليس غريبا ، وقد شعر ان الظروف في مصر لن تؤايبه بغيته ، ان يرجع صيف ١٩١١ الى موطنه الذي ظل يهواه ويحن اليه طوال سني اغترابه . قال ايام كان في الاسكندرية :

افتر الشام حبيبا فقام
لبشاشا وان بعد الشام
وقال :

اشتاقه ، وكفى يشوقي انه
واحبه حي الحياة ، ومثبه
فيبت لقيبي في هواء ، فلم اعد
وقال :

اهوى بلادي دانيلا او تاليلا
« لبنان » لست ابي ، ولست فاذان
زعم العوازل ان سلواتك وبهم
ما ان هجرتك عن قالي ، لكننا
« لبنان » حسي انني لك اتني
اشهد بذكرك ما بقيت ، ومرغمي
قالوا : سكت . قلت : ليس بشاري
للمرما صمت شفاه ذوي الهوى
وقال :

بلاد قد طيبت على هواها
بكد الى لقاتهم واصبوا
بحان الشوق ينقلني اليهم
زى ، هل عندهم اني ودهري
لني ارق اذا غلغلا ونساموا
وقال :

« لبنان » بيلادي وكفاني
بطني الحبيب له وقف
سايي « لبنان » ومن فيه

اهتز لذكراه طريبا ما احلى ذكري الاوطان
واكاد اريد فاحببيني تشوان ، ولست بشوان
لكنني صب بطيريني ما يطرب كل فتى عان
ردد ذكراه على سمعي واراد نغمات الاعنان
افيتت شبابي مقتربا واويحي مقتربا فلان
رجع ابو ماضي الى لبنان وهو منشعب بالروح
الوطنية ، وعالم بحال وطنه الصغير . فقد تابع اخبار
هذا الوطن وهو في مصر ، وزاره اكثر من مرة - على ما
يظهر لنا - ما بين ١٩٠٠ و ١٩١١ ، واورد له قصائده
بكاملها ، مثل : « في سبيل الإصلاح » ، و « نغمة مصدور »
و « حنين الغريب » و « نجوى لبناني » ، تناول فيها
مشاكل هذا الوطن . وكما ان حال لبنان لم تعجب اباماضي
عام ١٩٠٨ ، فهي لم تعجبه ايضا صيف ١٩١١ :

كان لبنان ، منذ ١٩٠٧ ، تحت حكم يوسف باشا
فرنكو ، المتصرف العثماني المرسل من قبل الاستانة . وكان
يوسف باشا - كما قال عنه الياس الحويك - مستسلما
لمحيطه واذنايه ، وواقعا تحت انتداب زوجته الحسناء ...
امتاز بمعاملته الدولة (العثمانية) على خرق نظام لبنان ،
وفعل هذا كثيرة لم يكن النظام يجيزها ، ودون ان يأخذ
موافقة المجلس .

اما الخوري ابراهيم حروفش ، فقال : « ولم يحق
يوسف باشا الامال بما كان ينتظر منه من الحزم واصلاح
الشؤون ، ولم يظهر ضعيفا قاصرا في الادارة . وقد وقعت
في ايامه حوادث هامة مشهورة . »

كان لا بد ان لا يذهب الشاب القائل :
اني امرؤ كليل بالبلاد ايلسى دابسي الجهاد وغابتي الاصلاح
ان ينضم ، بل يرجوعه الى لبنان ، الى حركة
المعارضة ، وان يرفع صوته معها مطالبا بالاصلاح . ولم
يرق هذا بعض اولي الامر ، فراح يناصب ابا ماضي - ومن
هو منهم - العدا ، ويتهمة واباهم باشياء ، هو وهم منها
ببراء :

وطن اردناه على حب العلى
امسى وامسى اهله في حالة
او كلما جاء الزمان بمصلح
راحت تناصتنا العدا كاتنصا
وابت سوى ابراهنا فكاننا
فيل امتنقوها : قلت : لم يبق لنا
ان لم تكن ذات البين شقيقة

فلما صعد ابو ماضي نشاطه الاصلاحى ، لاقى في
لبنان بلده خلال اشهر ما لم يلاقه ابدا في مصر مدة سنين .
قال فيما بعد يصف ما لاقاه :

قومي ، وفدا ابريتهم زمناه
هم هددوني حين صحت بهم
ورابت في احادهم شبرا
وسمعت صالحهم يقول لهم :
فرجعت احسبهم برايرة
مرت ليلال ما لها بعدد

ساقوا الى الحزن والكمد
صيحاني الشعواء متنفدا
ورابت في اشداهم زبدا
ان اتاوه حيثما وجدنا
في مهمه ، واقتني ولدا
وانا حزين باعت كدا

لقاء

امس التقينا ، بعد طول الفياض
وكان قلبي مثقلا بالصداب
فقلت ، والفرحة في اضلعي
اعلا ، وسهلا ، بالهوى ، والشباب
من اين اقبلت ، امن عالم
مموج بالدفع ، جسم الرغاب
وددت ، لو اغتبت على جبهتي
تلك الرؤى ، واتجأ ذاك العتاب
فاومات ، والسحر في جفنها
ونفرها السوردي ، نبع اضطراب
وتتمت ، يا شاعرا ، ضائعا
ايسامه الخضراء ، ليل اغتراب
الحب ، لا شفيك من لوعة
فاركض وراء الحلم ، تجن السراب

السلمية - سورية انور الجندي

ارتاع ان ابهرت واحسبهم نذر الشوبهة ابهرت اسدا
واذا رعدت رعدت مضطربا واذا صحت صحت مرعدا
لا تذكرهم لسي ، وان سألوا لا تذكرني عنهم ابدا
امام هذه التهديدات وهذه الحال ، لم يبق امام
ابي ماضي الا الرحيل عن لبنان خوفا على نفسه من «سياسة
(يوسف باشا) الانتقامية من معارضيه ومن يتهمون اليهم» .
ولكنه لم يشأ ان يرحل دون ان يهاجم ، للمرة الاخيرة ،
«السلطات والاضواء الناذلة التي كان الوطن يعيش
فيها . فنظم قافيته الجارحة « وداع وشكوى » ، وعرضها
على استاذة القديم الشيخ ابراهيم المنذر ، الذي قاد
عام ١٩٠٨ معارضة شعبية عنيفة ضد المتصرف . فهدبها
المنذر له ، والقاهها ابو ماضي في احدى المناسبات ، ثم
ابحر بعدها على الفور هاربا الى الولايات المتحدة «لعله
بالقرب ينسى المرقا» . وبعد رحلة استغرقت عشرين
يوما ، نزل ابو ماضي اواخر ١٩١١ في مدينة نيويورك ليختم
بعدها قافيته القلعة قائلا :

اصبحت حيث النفس لا تخشى الى ابداء وحيث الفكر يغدو مطلقا
نفس اخلاقي ، ودمي العنق ، فاما جمل بعيد اليوم ان تشوفا
هذي هي الدنيا الجديدة فانظري فيها غدا العلم كيف تسالفا
انسي سمعت لسك الحياة شهية في اهلسا ، والعيش ازهر موفنا
ويختام هذه القصيدة التي نشرتها له مجلة «الزهور»
القاهرية يونيو (حزيران) ١٩١٢ ، وصافد نشرها فسل
فرنكو في تجديده حكمه ورحيله النهائي عن لبنان في الشهر
التالي ، ختم ابو ماضي - في رأينا - اخطر مراحل حياته .
فقد كانت المرحلة الشرقية ، او بالأحرى المرحلة المصرية
من حياته ، هي مرحلته المصرية التي فيها غرس «ختماله» ،
ومنها جرت «جداوله» .

مراجع المقالات الثلاث

- ١ - الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الادب العربي المعاصر : عبد العزيز جادوش ، ١٨٧٢ - ١٩٢٩ «تأليف سالم عبد النبي قنبر - بنگازي ، دارمكتبة الاندلس ، ١٩٦٨ .
- ٢ - «امير شعراء المهجر : ايليا ابو ماضي ، ١٨٨٩ - ١٩٥٧» بقلم جرجي ابراهيم نصر ، «الشرق» ، بيروت تشرين الثاني - كانون الاول (نوفمبر - ديسمبر) ١٩٦٩ ، ص ٦٤٧ - ٦٦٠ .
- ٣ - «ايليا ابو ماضي يقول ... بقلم خيرية خيري ، «الجيل» ، القاهرة ، ١٤-١١-١٩٥٥ ، ص ٣٥ .
- ٤ - «خمسة من شعراء الوطنية : احمد محرم ، احمد نسيم ، احمد الكاشف ، عبد الحليم المصري ، علي الغاياني» ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .
- ٥ - «ديوان ايليا ابو ماضي ، الجزء الثاني» . نيويورك ، مطبعة «مرآة الغرب» اليومية ، ١٩١٩ .
- ٦ - «ديوان تذكارات الماضي» نظم ايليا طلساھر ابو ماضي . الجزء الاول . الاسكندرية ، المطبعة المصرية ، ١٩١١ .
- ٧ - «الزهور» ، القاهرة ، ١٩١٢ .

- ٨ - «الشعب» ، القاهرة ، ١٩١٠ .
- ٩ - «شعر» للشيخ ابراهيم المنذر . الجزء الاول . بيروت ، منشورات مكتب الدراسات العلمية ، ١٩٧٣ .
- ١٠ - «العرب والتürk في العهد الدستوري العثماني» : ١٩٠٨ - ١٩١٤ «تأليف توفيق علي برو . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ .
- ١١ - «العلم» ، القاهرة ، ١٩١٠ .
- ١٢ - «عهد المتصرفين في لبنان : ١٨٦١ - ١٩١٨» بقلم لحد خاطر . بيروت الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٧ .
- ١٣ - «محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٩» بقلم عبد الرحمن الرافي . ط ٣ . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ .
- ١٤ - «مرآة الغرب» نيويورك ، ١٩١١ و ١٩١٢ .
- ١٥ - «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية : تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٨» بقلم عبد الرحمن الرافي . ط ٤ . مزيدة ومكبرة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ .
- ١٦ - «وطنيتي» بقلم علي الغاياني . ط ٣ القاهرة ، مطبعة «منبر الشرق» ، ١٩٤٧ .
- ١٧ - اشعار لابي ماضي مخطوطة لم تنشر .

يا جيرة العاصي

زكي قنصل

اشهدا الشاعر في حفلة تكريمية اقامتها الجالية على شرفة في النادي
الجهامي ببوانس ايبرس



يا خاتقن بجودكم الحانسي
في وصف آلاء الربيع لساني
حيران بين الحور والولدان
روحي ، ورف على خطاه جناني
ادركت اني فاضح شيطاني
اني اغالب حملة الطوفان
ويهادي بين ... والريحان
تكففت الا عندكم احزاني
لما تسرت بظلكم سلطاني

وتفل عنقي بسمة استحسان
وتثير حملة صادق عرفاني
كالشمس تغمرني بكل مكان
اخطات في التشبيه والتبيان
وزهور حمص يعشن في ريعان
رغم اختلاف العطر والالوان
ويشرون باليسرى حمية وان
وهزيمهن ، اذا رصين ، اغاني
وجعلن بسمات السماء مجاني
من روضهن - بجنة الرحمان

منع الرسول عبادة الاوثان
اسطورة الاسياد والنعبدان

ردوا اني فصاحتي وبياني
ما خاتني قلبي ، ولكن خاتني
او ليس تشجيكم رطانة شاعر
رقص الجمال على الربي فتفاحكت
لكنني لما استعنت بريشتي
عذري ، وقد قصرت في مضماركم ،
انا من سغواء نفوسكم في جنة
هل طاب الا فيكم شدي وهلل
جاد الزمان علي نعم امنته

اني لاهزا بالقيود تعصني
وقد اضيق بمادح متكلف
اني ذهبت سعى الي جميلكم
اقول ازهار الرياض حسانكم
الزهر يذهب في الخريف بهاؤه
ان يختلفن فكلهن « بثينة »
يخمدن باليمنى رعونة نائر
تفريدهن ، اذا غضبن ، زمازم
حولن صحراء الحياة حديقة
آمنت - لما اسكرتني نفحة

يا من يفاخري بمزة قوميه
الجاهلية ادبرت .. وتقلصت

وبلانه ااحسا انسا
نسبا يمت الى بني غسان
وبعوج في بردي شذا حسان
جيد الضحى بزمردى وجماني

تختال في قلبي وفي اجفاني
من ناب هاذرة وظفر جبان
وهو انكم في النايات هواني
وتهللون فنتتهي اشجاني
وحسامكم في ساحة البرهان
لاجر ذبل الصفح عن ظربان
من ذا يجارني ممن الاقران

غرض اذا ابدته اخفاني
يصمي جناح الشاعر الروحاني
راعي الشياه وسائق الاظعان
سود ، وفي الاكواخ بيض اماني
وتظل عندهم الاثيم الجاني
سهل عليه الشتم بالمجان

صريحين من ادب ومن احسان
تبشون للاجيال والازمان
لا حد يفصل قاصيا عن دان
يعطيك غفو الطبع والوجدان
ميزت بين الزور والايمان
ويدي التي جمعت لفي حرمان
ان لم تخلده الفضيلة فدان
لكم ، وحيات القلوب دوان
الا الذي يلقيه في البستان
لم تنزلوا اهلا على اخوان

ان شاه تصداحي وساء بياني
فتهجأوا في دمعتي شكراني

زكي ففضل

لا اعرف الانسان في سرانه
لكن اذا اعتزل البفان فان لسي
ملي الوجوه الفاحكات وجوههم
ينشق عن شمري الصباح وزدهي

فكما بعيني ظبية عريسة
سميتها غلواء صونا لاسمها
انسي لاشعر ان عزي عزكم
ابكي فيجري خلف دمعتي دمعكم
انا سعة الزيتون في اعيادكم
كرمي لما اشتتم من ربحانكم
ما دمت اقتحم المجاهل باسمكم

الله يشهد ليس لي في مدحكم
المال في نظري هواء اصفر
قارون من طين ، فلا تكبر على
كم في قصور الاغنياء فواجع
قد تشتري بالمال السنة الوري
من كان يصطنع المديح باجرة

يا جيرة العاصي رفعتكم للعلى
بيني سواكم للزوال ، واتسم
وبيث غيركم القريب ، وعندكم
ليس الذي يعطيك مدفوعا كمن
واذا النفوس على الجميل تراحت
كفي التي بذلت تعيش غنية
هذا البناء المشمخ على النرى
ايان سرتم فالقلوب منازل
لا يجمع الانسان من بستانه
لو لم تكونوا في الكارم قدوة

باسمي وباسم عشيرتي لا تعتبوا
ضيعت في حرب التجارة عدتي

بوانس ايرس - الارجنطين

والفقهية واللغوية ، على رھط من علماء الجامعة الازھرية .
وعلى هامش هذه الدنيا الصغيرة تنبعثر جماعات الزراوع
والتجار ، والصناع والزوار .. وباعة كتب الحكايات
والمظومات من كل صنف ، الى جانب حمض وحلاوة
السيد ...

من اعماق هذا المجتمع الطنطاوي خرج على مسرح
العصور جمع من المستقلين بأدب الدنيا والدين ..

وقد اشتهر العالم الفقيه حسن الطندتاني (المولود
في طندنا اي طنطا والمتوفي عام ١٤٨٣م) ، والشيخ محمد
الطنطاوي (١٨١٠ - ١٨٦١) وقد تعلم وعلم في الازھر ،
ثم دعاه قيصر روسيا يومذاك لتعليم اللغة العربية فسي
« بطرسبورج » - ووضع كتابا في ادب الرحلات سماه :
« تحفة الاذكيا في اخبار بلاد روسيا » - ومنهم شيخ
الفناء والانشاد في عصره ، المطرب عبده الحامولي (١٨٤٣ -

١٩٠١) والفيلسوف المعاصر ، الاستاذ الجامعي بسوسف
كرم صاحب المؤلفات والابحاث الفلسفية .. كما اشتهر
من اهل هذه المدينة في عصرنا هذا العالم الباحث
الكيمائي المرحوم دكتور احمد رياض تركي (١٩٠٢ -
١٩٧١) رئيس المجلس الاعلى للبحوث العلمية ووزير البحث
العلمي بمصر عام ١٩٦٤ . ثم الكاتب الشاعر مصطفى صادق
الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧) الذي امضى بطنطا معظم
حياته ، منذ طفولته حتى وفاته .. واتخذها مركزا لاسفاره

وتنقلاته ، لاهيا في طرقاتها ، مترددا على مسجدها ، ساهرا
في قهواتها ، مولفا في محكمتها ، مكبا على ما في مكتب ابيه
القاضي الشرعي من كتب دينية وشرعية وفقهية وادبية
... ومشتغلا بالكتابة والنظم والتأليف ، ومراسلة الصحف
والاصحاب .. مثائرا ببيتته ونشأته واسرته المحافظة على
التقاليد ، مسابرا احيانا تيارات العصر الجديد .. ومخلقا
اربعة دواوين من الشعر المنظوم فسي مختلف الاغراض
(ديوان الرافعي في اجزائه الثلاثة ، وديوان النظرات)
ونحو عشرة مؤلفات نثرية مطبوعة ، شمل بعضها رسائله
الادبية الخيالية التي دبها في شعر منثور منظوم ، بوجهها
الى الحبيبة ، ويتلقى منها الرد في بريد الخيال ، كما في
كتابه « رسائل الاحزان » وتضمن بعضها فصولا اشبه
بقصائد الشعر المنثور مثل « حديث القمر » و « اوراق
الورد » ومنها ما يغلب عليه الطابع القصصي مثل « الساكنين »
و « السحاب الاحمر » ... ثم مقالات شتى في « وحى
القلم » ذي الاجزاء الثلاثة ، تتالعج المسائل الادبية والدينية
والاجتماعية .. ومؤلف « تاريخ آداب العرب » وبحثه
الديني المشهور « اعجاز القرآن » .. ثم كتابه التقديسان
« تحت راية القرآن » في نقد طه حسين ، و « علسى
السفود » في نقد عباس محمود العقاد ..

وقد نشر الرافعي جل قصائد هذه الدواوين -
وفصول تلك المؤلفات ، خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة من



نقولا يوسف

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

يقلم نقولا يوسف

لمدينة طنطا (١) قاعدة « محافظة الغربية » بالدبار المصرية
او « طندنا » في بعض الكتب القديمة العربية - من السمات
والاشعاعات ، ما جعل لها طابعا مميزا بين اخوانها العربيات
... فهنا في هذه البقعة الاهلة العامرة ، تتحلقها حقول
دلنا النيل الشاسعة ، واربافها الساذجة الزاهرة ، وتلتقي
عندها خطوط المواصلات من كل ناحية ... ويخالط عنصر
المدينة الحضري ، عنصر الريف العتيق الريفي .. وتجتمع
الوان الجديد ومستحدثاته ، مع تقاليد القديم ومورثاته ..
وعبق في الفضاء عطر الريف ، وشميم البلدة ، وبخور
المعبد .. هنا يتجاور عالمان ويمتزجان : هذا العالم الدنيوي
المادي ، واخر ديني روحي .. تطل عليهما من الاعالي ،
ماذن المسجد الاحمدي منارة المدينة وكعبة حبيبها ، ومثوى
الزاهد القربي السيد احمد البدوي ، الذي وفد الى طنطا
في القرن الثالث عشر الميلادي ، وعاش بها وتزهد وعلم ..
ودفن في ثراها عام ١٢٧٦ م وما زالت مهرجانات « مولده »
تقام منذ حوالي سبعمائة عام ..

وقد اتسع نطاق المسجد وتجدد وذاع صيته ، وضم
معهدا دينيا علميا يتلقى فيه الوف الطلاب العلوم الدينية

حياته ، في عدد من الصحف والمجلات العربية التي عاصرها ، ومنها مجلات : البيان ، والمتطفق ، والرسالة ، والضياء ، والثريا ، والصائغة ، والفسار .. وصحف : الجريدة ، والبلاغ ، والسياسة ... وغيرها ... ثم كانت هذه الفصول تجتمع في مجلدات تظهر تباعا حاملة المتناوين السالفة الذكر ، وتتناولها الاصدقاء بالتعريف والتناوين ، وغيرهم بالنقد او بالهجاه كما تجري العادة مع الكثير غيره من الادباء ..

وكان في العشرينات والثلاثينيات - ايام الصبا وفجر الشباب - نحف بالانشاء العربي الفصيح ، والنثر الفني البليغ ، كما عودنا شيوخ اللغة في المدارس .. منا من يتهاون على قلم مصطفى لطفي المنفلوطي السلس الرشيق او على منشورات المولي ، وابراهيم اليازجي ، وعبد العزيز الشري ، واحمد حسن الزيات ، وحافظ ابراهيم (في البؤساء) ... وغيرهم من المنشئين المحدثين للغة ... ومنا من كان يستملح اسلوب الراجفي الفني بالاخيلة الشعرية والتشبيهات والكتابات ، والبديع والبيان ، حيث يتأنق الكاتب في اختيار اللفظ ، وسبل العبارة ، كما يفعل الصانع المقتن في صنع حليه وترصيعها بالنصوص المنتقاة ، وفي اداء قوي مكتسب من التراث القومي ، وتوجه غيرة على اللغة الفصحى كما ورثها الاسلاف الى الاحفاد ، مع غير الخضوع المطلق للانماط والقوالب ، ورغبة في معاونة الطلاب على الانشاء القويم واللسان السليم ..

واستطاع قراء الراجفي ان يتعرفوا من خلال آثاره المنشورة والمنظومة على اتجاهاته الادبية ، وتراثه النفسية ، واهتماماته الفكرية ، ولكن المعروف ان هذه الآثار المنشورة ومثلها آثار الاغلبية من الكتاب ، لم تكن يوما - مع اهميتها في الدلالة عليهم - وثائق مؤكدة في استجداء مواطن حياتهم ومواطن اخلاقهم .. ولهذا عندما نشر احد اصدقاء الراجفي - الكاتب الاديب محمد سعيد العريان (المتوفى عام ١٩٦٤) كتابا بعنوان : « حياة الراجفي » وذلك عام ١٩٦٨ مشتملا على الكثير من دقائق حياته ، وخلقه وصفاته وعاداته ، تلقفه النقاد واستعانوا به في دراسة سيرته .. وكان الاستاذ العريان قد لازم صاحبه في اخريات حياته نحو اربع سنوات ، سجل فيها ما سمعه منه وما رآه ، فجسدت ترجمته امينة في جملتها ، وان كان قد انساى الى تصديق بعض الحكايات مثل حكاية الحب المتبادل بين الراجفي والكاتبة المعروفة مي زيادة (المتوفى عام ١٩٤١) وشابه في ذلك بعض الكتاب ، ومنهم من ادرك انه حب علوي من جانب واحد ، هو جانب الراجفي ، المشوب العاطفة والخيال .. (٢)

وفي عام ١٩٥٠ هبط على النقاد مرجع اخر ، اضيف الى ما لديهم من آثار الراجفي واخباره ، فسد الكثير من الثغرات التي كانوا يصادفونها في تصوير شخصيته

ونفسيته .. وكان كتابا بعنوان « رسائل الراجفي » - جمعه ورتبه مريده « محمود ابو رية » - وتضمن ١٢٢ رسالة خاصة مما ارسله اليه الراجفي منذ تعرفا عام ١٩١٢ واستمرت المرسلات بينهما حوالي ربع قرن ، وبلغ ما جاءه من الراجفي بقله ، كما يقول (٣) حوالي خمسين وثلاثمائة خطاب « منها حوالي ثلاثة وستين ومائتين يصح اذاعتهما بين الناس لا فيها من تفصيل شامل لتاريخه الادبي وغير الادبي .. » ومع ذلك فلم ينشر الاستاذ « ابو رية » في هذه الطبعة الاولى غير هذا العدد السالف الذكر ، كما انه تجنب ذكر بعض الاسماء وحذف بعض الكلمات .. وتضمن النقاد ان ينشرها كاملة في طبعة ثانية ، وان ينشر غير ما لديهم من رسائل اخرى من اجل الحقيقة والتاريخ ، والواقع ان النقاد انتفعوا بهذه الرسائل في كتابتهم عن الراجفي بالرغم مما حذف او احتجب منها .. (٤)

فعلى قول جامعها « ان الرسائل الخاصة بالعلماء والعلماء وارباب القلم مما يحرص عليه المؤرخون ، لانها هي التي تفصح عن دخال نفوسهم ، وتميط اللثام عن حقيقتهم .. » ثم يقول عن رسائل الراجفي هذه : « .. وقد اظهرت هذه الرسائل الباعث على تأليف كل كتاب من كتبه ، وقوته في التأليف والانشاء ، واجتهاده في اللغة والنحو ، وما كان على نية اصداره من كتب ورسائل .. وانه قد حسرت اللثام عن وجه الحقيقة فيما اختلف الناس فيه من امر عواقبه وجه اجمال النساء ، ذلك الحب الذي نشأ من صدر حياته في المتصورة ثم في الشام ، وفي القاهرة .. وان كتابه « حديث القمر » قد اوسع في فتاة احبها بالشام ، وان لفظ القمر ثورية .. وان حب الانسة في ، وان كان حبا عميقا بلغ شفاف قلبه ، فانه لم يكن حبا ماديا .. وانما كان حبا روحانيا .. ويحسبك ان ترى من آثار هذا الوحي كتاب « اوراق الورد » ... »

ويرجع اصل اسرة الراجفي - كما تنص هذه المراجع - الى مدينة « طرابلس الشام » في شمال لبنان وفي عام ١٨٢٧ رحل احد افراد هذه الاسرة الشيخ محمد الطاهر الراجفي الى مصر حيث عين قاضيا للجنية .. ثم توالى هجرة افراد اخرين اشغل بعضهم قضاة في المحاكم الشرعية ، والبعض معلمين لذهب ابي حنيفة .. وكان منهم والد اديبنا مصطفى الراجفي وهو الشيخ عبد الرزاق الراجفي ابن الشيخ سعيد الراجفي ، وقد عين قاضيا لمحكمة طنطا الشرعية ، فاقام بطنطا الى يوم وفاته ..

والدة مصطفى الراجفي ابنة لتاجر حلي سوري اسمه الشيخ الطوخي ، اقام في مصر ، وتاجر بينها وبين سورية ، وسكن قرية « بهتيم » من اعمال القليوبية واقتنى بها ضيعة ، وهناك ولد اديبنا مصطفى الراجفي فني يوم شهر يناير عام ١٨٨٠ ثم عادت به امه الى طنطا ليقضي

في بيت أبيه معظم العمر ، ولتصبح هذه البلدة مدرج طفولته ، ومسرح شبابه ، ومقر عمله ..

وظل الطفل يتلقى عن والده مبادئ اللغة العربية ، ويحفظ القرآن الكريم ، حتى عام ١٨٩٢ ، وكان في الثانية عشرة من عمره ، حين لحق بالمدرسة الابتدائية بدمشق ، وقضى بها عاما ثم انتقل مع أبيه الى مدينة « المنصورة » عندما عين الأب قاضيا في محكمتها . فادخل إحدى مدارسها ، وتال منها « الشهادة الابتدائية » عام ١٨٩٧ ، ولم يبادئ اللغة الفرنسية ، ووقف من التعليم المدرسي عند هذا الحد ليواصل التنقيف الذاتي بقية العمر ... وكان قد أصيب بحمى اثرت على صوته واذنيه ، ثم تحسنت الاوتار الصوتية ، وظل وفر الاذنين يتضاعف حتى ذهب بمسمعيه وهو على اعتاب العقد الثالث من عمره .. وامسى بقية حياته لا يسمع من يخاطبه ، ويجب من معه عن طريق الكتابة .. (٥)

ولا شك ان عاهة الصمم قد تركت اثرا في مجرى حياته فهي وان لم تعقه عن تذوق الحياة ببقية الحواس ، وبخاصة مشاهدة مناظر الطبيعة وصور الجمال ، ومطالعة الكتب وسائر المطبوعات وتبادل الرسائل ، فانها حالت بينه وبين دنيا الالحان والانغام واحاديث الاصدقاء والاحباب ، ونفرتة من المخالطة والمجتمعات ، فلجأ الى عاله الباطني المحفوف بالسكينة والصمت ، حيث تذوق الاحلام والتأملات ، والى صحة الكتاب والقلم ، يخلو بهما في البيت والحديقة والمقهي والقطار ، لا فرق فالصمت حوله في كل مكان ، فان شاء الخروج من انطوائه والتفرغ ببديا الناس ، ففي المقهي وفي الطريق معرض جامع شامل لمخوقات الله وجميع صنعه ..

وامامه مكتبة ابيه عامرة بالكتب الدينية والفقهية والادبية ، يفتقر منها ما شاء ، بدأ بحفظ القرآن الكريم ، ودرس التفسير ، واستوعب « نهج البلاغة » لعلي بن ابي طالب و « الكامل للمبرد » و « الاغانى » لاصفهانسي ، وكتابات ابراهيم اليازجي ، ودواوين شعراء العرب ، قبل ان يقبل على مؤلفات المحدثين ومجلات عصره ..

وكان قد بدأ حياته الوظيفية منذ التاسعة عشرة من عمره (عام ١٨٩٩) فشغل وظيفة صغيرة بمحكمة طلخا الشرعية (البلدة المواجهة لمدينة المنصورة) وكان يتقاضى منها اربعة جنيهات شهريا .. وفي طلخا كان يقيم يومذاك الشاعر العراقي عبد الحسن الكاظمي حين ارحل الى مصر ، وكان في نحو الثلاثين وهناك تعرف به الراقعي ، وظللا صديقين بقية العمر ..

ثم انتقل الى محكمة « ايتاي البارود » الشرعية ، وراح ينتقل بينها وبين بيته في طنطا ، حتى انتقل الى محكمة طنطا الشرعية ، ثم تحول الى محكمة طنطا الاهلية لزيادة الرتب ، وكان عمله تقدير رسوم القضايا ، وبقي في وظيفته هذه كتابا في الدرجة السادسة الى وفاته

(مايو ١٩٣٧) فكانت المدة التي قضاه في تلك المحاكم ثعاني وثلاثين سنة ، ولم يبلغ بعد سن التقاعد ، وظائف صغيرة لرجل لا يحمل الشهادات المدرسية الرسمية ، ولا تمت الى هوائيه الادبية واهتماماته القلمية بصلة ، اتخذها وسيلة يضمن بها كفاف يومه من الرزق .. ومع ذلك لم تصرفه عن الاشتغال بالادب ، وكتابة تلك المئات من القصائد والمقالات التي تضمها مؤلفاته ..

وتزوج الراقعي عام ١٩٠٤ من شقيقة صديقه المرحوم عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة « البيان » الادبية بالقاهرة ، والازهري السري الشغوف بالادب مثله وعاش معها راضيا سعيدا ، وكانت الزوجة الوفية التي هبات له الجو الامثل للتفرغ لاعماله الادبية ، وعاونته على تربية ابنائهما وتهذيبهم ، اسرة محافظة مستقيمة ..

ومع ذلك فقد كان الرجل ، كما تكشف رسائله الخاصة الى صديقه « ابو ربه » دائم الشكوى من علبه الجسدية ، وامراضه العصبية ، ومن حياته الوظيفية ، ومسؤوليات الاسرة ، مما يليه من اعماله الادبية التي يود التفرغ لها في جو من الراحة والهدوء ... ولعل من التجاه الى ممارسة الرياضة البدنية ، والسباحة في البحر كلما اصطف بالاسكندرية ، وكتابة المقالات الرياضية بمجلة « الضمار » ، واعجابه بالرياضي الفرنسي « صانكو » ، كانت مجاهدات في سبيل الإبقاء على القوة التي بصارع بها علله ، الى جانب ايمانه القوي بالله وكتابه ورسله ، مما كان يضاهف احماله وجلده ، ومقاومته وامله ..

والحديث عن هذا الاديب ، لا يعدو الكلام عن انسان ضايق وجيب التهمة الشعرية منذ صباه ، وشبت معه تفديها التجارب ، وتبلورها المؤثرات التي يصادفها في حياته ، دون ان تخفي في نفسه ، فكان شاعرا في كتاباته المنظومة والمنثورة ، شاعرا في تصرفاته وتصوراتيه ، شاعرا في حبه وبغضه ، وسلمه وحربه .. ولهايمه بالجمال وبخاصة الجمال النسوي ، ساد معظم نظمه ونثره المتخني بالجمال والجليل ، والحب والحبوب ، وفانشت دواوينه بقصائد الغزل والنسيب ، ومؤلفاته النثرية برسائل الغرام التي يتبادلها في الخيال مع الحبيب .

كان حبه الاول وهو في نحو العشرين حين تعلق

(١) من كلمة ارجلت في ندوة الفيت لذكرى الراقعي بقصر الثقافة بالاسكندرية مساء ١٧-١٨-١٩٧٢ . (٢) كتاب « حياة الراقعي لسعيد الغريان - ١٩٣٨ » وكتاب « الراقعي ومي » لاحمد هاشم حافظ ١٩٦٢ (ترجمة لحياتها) . (٣) مقدمة كتاب « رسائل الراقعي » ١٩٥٥ ص ٢ - ٦ . (٤) منها كتاب « دراسة في ادب الراقعي » . د. نعمت احمد فؤاد ١٩٥٢ . (٥) حياة الراقعي للغريان (٦) كتاب « الذين احبوا مي » لكامل الشناوي ١٩٧٢ . (٧) « المعارك الادبية » لاسود الجندبي . (٨) منها كتاب « الراقعي وطه حسين » لمحمد عبد القادر المعاصي ٢٠٠٢ - ١٩٥٨ . (٩) كتاب الديوان ج ٢ ط ١ - ١٩٦١ ص ٧٩ - ٨٢ .

وتابع العريان روايته :

« .. وراح الرافي يوما الى ميغاده ، وكان في مجلسها شاعر جلست اليه تحدثه ويحدثها . ودخل الرافي فوقفت له حتى جلس ، ثم عادت الى شاعرها لتتم حديثا بداته . وجلس الرافي مستترجبا ينظر . وابطأت الوحدة ، وتغل عليه ان يكون لغيره احوج ما يكون اليها ! ونظر الى نفسه والى صاحبه ، وقالت له نفسه : ما انت هنا وهي لا توليك عنايتها بعض ما تولي الضيف . فاحمر وجهه ، وغلى ثمه ، ورمى اليها نظرة او نظرتين ، ثم وقف واتخذ طريقه الى الباب . واستمهلته فما تلبث . وكتب اليها كتاب القطيعة ، وعاد اليه البريد تعذر وتعتب .. في اسطر ثلاثة - ولكن الرافي حين وجد كبرياهه نسي حبه ، وكان هو الفراق الاخير !.. »

ثم يقول « وقد تعذب بسبب هذه الكبرياء . ونال منه ما كان يمكن ان ينال بدلا عنه من حلاوة القرب . واخذ يقبل على يراعه يبثها احزانه ، وينث اليها شجونوه واوهامه ، في كتابه « رسائل الاحزان » نثرا وشعرا .. »

بدا هذا الكتاب في اوائل ١٩٢٤ وضمنه خمس عشرة رسالة عدا ثلاث مقالات هي : المقدمة والذكرى وخاتمة الكتاب . كما تناثر هناك بعض المقطوعات الشعرية والايات المنظومة في الحب والفزل مثل :

الحسين الوان يمازج بعضها بعضا - تصوير الهوى القنان
وارى الجوى والمصرح والايامان قد مزجت - فمنها هذه العينان
وتبدأ رسالة منها بهذه الايات :

كم اسال الدر عن معناه باسمه والودع من لفظة قد اطبقت فاك
لا التذ يبري ولا في الورد لي خر اوديه من شفتيك او تائبك
يا نجمة انا في الهلاكه فمصر من جلبها لي قد اعلت الاك
النار بالنار لا تطفأ اذا اعلت فكيف اصنع من قلبي لئيساك

ثم وضع بعد هذا الكتاب مؤلفا يغلب عليه الطابع القصصي سماه : « السحاب الاحمر » وفسر العنوان بقوله « ارايت القلم الذي تراه لي السحاب الاحمر في نصابه بين عيني والمصباح - ضع النصاب بين عينيك والمصباح وانظر ! الست ترى سحابا يتفرق بالدم كان قلبا جريحا ينزف ؟ في شعاعه هذا النور تراه لي هذه الخواطر التي ترقوها في السحاب الاحمر .. »

وادينا في هذا الكتاب - كما في سابقه - ما زال يبيكي الحب الضائع ، ويبدأ كتابه بكلمة في تفسير الحب والبغض .. ثم يعود في فصل « القمر الطالع » الى التحدث عن حسناء لبنان التي الهمنه كتابه : « حديث القمر » المليء بالخواطر الشعرية المثورة .. وفرد فصلا آخر بعنوان : « النجمة الهاوية » للحديث عن طائفة من النساء تعمد السخرية بهن ليفيط صاحبتة الادبية ! ثم يتناسى هذه وتلك ويكتب بعض الاقاصيص الاجتماعية ومنها « المسجين » و « الربيطة » في اسلوب رومانسي يلبغ كسائرا ما كتب من قصص في بعض مؤلفاته الاخرى ومنها

قلبه بغتة رقيقة تدعى « عصفورة » اعتاد رؤيتها على جسر « كفر الزيات » خلال اسفاره ، وكان متاثرا بشعر الفزل العربي القديم وبخاصة اصحاب الحب العذري ، فاخذ ينظم غزلياته وغرامياته ، ثم يضمها دواوينه الباكراة .. والحب لا يموت ، بل يعاود التجسد في صور شتى ، ويظل شاعرنا الحالم يعبر عن مشاعره في كل مكان وزمان في شعر من مقوله او منقوله .. ويروي مؤرخه « العريان » وحين يجلس الرافي في الشرفة من قهسوة « لمنوس » بطنطا ، وتعر به الجميلات في رياضتهن او في حاجتهن ، تسمع نثا حافلا باسماء الشعراء ، يبدأ بمهلل بن ربيعة وينتهي بفلان الذي يؤمل ان يكون امير الشعراء بعد ان يموت كل الشعراء ! »

ثم كان غرامه الثاني عام ١٩١٢ حين قام برحلة الى لبنان وسورية وعرج على بلدة آباءه طرابلس ، وهناك عرف اديبة لبنانية اسمها « ماري » ما لبث ان افتتن بها ، واستلم من هذا الحب الخيالي صفحات كتابه « حديث القمر » وكان القمر هنا كناية عنها ، كما نطق فيها قصيدة ضمها الى كتابه : « رسائل الاحزان » وفيها يقول :

ايام لبنان وكالت سماعه غفرت ذنوب الدهر في اسوام
فقبل الزمان هناك من غفلاته ففرت للذات من الام
ومضت اصعد دروة في دروة كالنجم مشتتلا على غمامي
في كل منزلة وكسل تنيسة بفسح الهوى فلما بفسح امامي
وعلوت حتى من اماني الحيا ة - ولبت حتى فبت في اوهامي

وفي اوائل عام ١٩٢٣ كان حبه الثالث الذي الهمنه كتابه « رسائل الاحزان » وغيره من التثور والمنظوم ، اعني حبه للكتابة مي زيادة ، رحما الله ، حبا خياليا من جانب واحد كما سلف ، وكانت في تعقد في دارها بالقاهرة ندوة « صالونا ادبيا » مساء كل ثلاثة ، حيث يجتمع عدد من الادباء واهل الرأي من العرب ، ومن بعض الادباء الاجانب احيانا . وفي يوم من عام ١٩٢٣ دعي الرافي الى هذا « الصالون » وما ان وقفت عينه على هذه الادبية الالامعة حتى فتنه جمالها وذكلاها ولباقتها ، ولم يكن اديبا المنفرد وحده يحبها بين المترددين على ندوتها (٦) ، ولكن لم يشأ احدهم او شاء من ترجم لهم ، ان ينخذ من هذا الحب الروحاني العفيف قصة قرائية ، يتبادل فيها الجيبان الرسائل العاطفية الخيالية ، وفيها ما في امثال تلك القصص من صد وهجر وقطيعة وعذاب !..

ويقول المرحوم « العريان » « كان الرافي اول من يغشى مجلسها يوم الثلاثاء ، واخر من يتصرف ، فكان منعه شيء من شهود مجلسها في القاهرة كتب اليها من طنطا . كان يحبها حبا عتيقا جارفا لا يقف في سبيله شيء . ولكن حبه ليس من حب الناس ، حب فسوق الشهوات وفوق الغايات الدنيا ، لانه ليس له مدى ولا غاية . لقد كان يلتصق مثل هذا الحب من زمان ليجد فيه ينبوع الشعر ، وصفاء الروح .. »

كتاب « المساكين » و « وحى القلم » ليتها اجتمعت معا في مجموعة قصصية خاصة بها ليدلي فيها كل نافذ قصصي ببلوه ، فالقصة احدى النواحي التي طرقها الرافعي بطريقته الخاصة ، الى جانب ما كتب من شعر ومقالة ونقد ..

ولكن ادبنا - كما سلف القول - شاعر قبل كسل شيء والشاعرية تسود اسلوب حياته واسلوب كتاباته ، وان كان يجب ان يلبسها دائما الزي التقليدي المتوارث العتيق ، ولا يعترف بانماط التجديد ولا باصحاب الجديد ... وقد بدأ حياته الادبية بنظم الشعر ونشره قبل ان يبلغ العشرين من عمره ، ثم ظهر الجزء الاول من ديوانه عام ١٩٠٠ مقسما الى ستة ابواب : في التهذيب ، والمدح ، والوصف ، والغزل ، والرثاء ، والمقاطع ، واولى القصائد في مدح الخليفة عمر بن الخطاب ، ثم في مدح الشاعر محمود سامي البارودي ، وفي رثاء عبد الرحمن الكواكبي .. الى اخر المحتويات .. وتلاه الجزء الثاني عام ١٩٠٣ مصدرا بمقدمة عن « سرقة الشعر وتوارد الخواطر » وتقسما ايضا الى ستة ابواب منها باب التسلية وباب الغزل .. ثم الجزء الثالث عام ١٩٠٥ وبه مقدمة بعنوان : « نوع من نقد الشعر » يعرف فيه الشعر بقوله « الشعر تصوير عالم من المعاني والالفاظ ، فالجيد من جملة مختصرا من صورة العالم كله . ولا بد من شعاع من الروح ، اذا تجردت له النفس امتزجت لطافتها بلطافته . وربما اخذ المرء بلذة التصور فظنها من مكان نفسه وحسب نفسه في مكانه ! » وتضمن هذا الجزء موضوعا ثريا وجسما ، فقد كان من رأي الرافعي ان يكتب الشعر منظوما او منثورا لا فرق ويضم الاثنين ديوان واحد ..

ثم نشر ديوانه « النظرات » عام ١٩٠٨ وقدمه بمقالة عن « حقيقة الشعر » وبه قصيدة باسلوب النثر المسجع بعنوان : « الحسن المصنوع » وكف بعده عن اصدار الدواوين الشعرية ، وان كان لم يتقطع عن نظم القصائد والاناشيد احيانا وضمها الى مؤلفاته الشعرية ، ويقول عن سبب تحوله الى الكتابة النثرية (في احدى رسائله الى « ابي ربه » عام ١٩٢٨) :
« ومن نكبة الشعر العربي انه لا يتسع لبسط المعاني . فاذا بسطت المعاني وشرحت سقطت مرتبته من الشعر واصبح نظما كنظم النون في الاكثر . وهذا هو ما صرفني من الاول الى الكتابة ووضع « حديث القمر » و « المساكين » وغيرها ، فان هذه الكتب هي شعر ، ولكنه في غير الظروف الوزنة » .

وشارك الرافعي في وضع الاناشيد المنظمة لتلحن وتشد جماعيا وكان قد طبع بعضها في دواوينه الاولى مثل : اناشيد الطلبة ، وبتت النيل ، والملك .. ومنذ قيام الثورة المصرية عام ١٩١٩ وانتشر الاناشيد القوميسية والاغاني الوطنية بين الشعب ، واقامة المسابقات بين

الشعراء ، نظم الرافعي عام ١٩٢٠ نشيدا وطنيا مطلعها :
« الى العلا ، الى العلا بني الوطن - الى العلا كل قصاة وفنى » ، كما وضع نشيده : « اسلمي يا مصر » واهداه الى الزعيم سعد زغلول وهو منفي بجبل طارق . ثم تقدم الى مسابقة عام ١٩٣٦ بنشيده « اسلمي يا مصر » مسج نشيد اخر دعاه « نشيد الاستقلال » .. وكان له نشيد وضعه عام ١٩٢٧ شعارا لجمعية الشبان المسلمين ... ونوى ان يضيف الى هذه اناشيد اخرى ويجمعها في ديوان يسميه « اغاني الشعب » - ولكن لم يمهله الاجل .. وقد لحن هذه الاناشيد جميعا وذاع بعضها .

ولقد اشتهر كتاب الرافعي « اعجاز القرآن » ونال اقبالا لدى الهيئات الدينية والرسومية وكذلك كان كتابه « تاريخ آداب العرب » الذي وضعه عام ١٩١١ وانتفع به طلاب التاريخ الادبي .. اما كتابه « وحى القلم » اضمح مؤلفاته - فنشتمل اجزؤه الثلاثة على نحو مئة وستين مقالة في الادب والدين والاجتماع ، وفي القصة ، والحديث عن الادباء ودواوين الشعراء .. وعن الزواج وحياة الاسرة ، وقضايا الحب والاخلاق والسياسة ، وعن آرائه في الحياة والناس .. ومن فصول هذا الكتاب قصص منها : قصة زواج ، سمو الحب ، الطائشة ، رؤيا في السماء ، فلسفة المال ... وغيرها ... كما نجد في الجزء الاول قصيدتين من الشعر المنشور استلهمهما من صور الصيف على شاطئ الاسكندرية ودافع فيها عن القصة والاخلاق .. وكان ينشر فصول هذا الكتاب بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٣٧ بمجلات الرسالة والهلال والمقتطف ، وفي جريدتي الاهرام والمقتطم وغيرها ..

وعرف عن الرافعي منذ فجر شبابه ولعه بالنقد العنيف ، والتناول على ادباء عصره ، وكان بعضهم يبادله النقد والسخرية مثل العقاد وطه حسين وسلامة موسى ، ولم تزل تلك المعارك القلمية مادة يتناولها النقاد والمسجلون بالتحليل والتعليق (٧) وكان من القراء يومذاك من يخرج بشيء من حصيلة هذه الغزيلة ، ومنهم من يأسف على خروج تلك الاقلام المروجة عن النقد الموضوعي الهادي .. بدأ الرافعي حملاته عام ١٩٠٥ حين نشر بمجلة « الثريا » بالقاهرة مقالة ساخرة لم يوقعها باسمه ، نقد فيها بعض شعراء عصره وقسمهم الى ثلاث طبقات وضع نفسه في الطبقة الاولى مع حافظ والبارودي والكاظمي ثم يجيء سائر الشعراء مثل شوقي ومطران وصبيري والبقية بعدهم ..

وفي اوائل ١٩٠٩ نشر مقالة في صحيفة « الجريدة » حمل فيها على الجامعة المصرية القديمة عندما أعلنت عن مسابقة في وضع كتاب عن تاريخ الادب العربي . وتبعها بمقالة اخرى ساخرة بالمدح المحددة للمسابقة .

ثم بدأت الخصومة بين الرافعي وطه حسين منذ

صنّين

بسفحك لي عهدا تصرم زاهيا
فصيد فتى هن النجوم العاريا
تحاكي هموما غفلت في فؤادها
والبحر في عينيك سر الليالي
تحنن دمعها من مآقيك صافيا
فقصعته ، وارتحت للافق ساهيا
واعطاك مفتاح الليالي الفواشيا
ترأى بها الاسوان زهرا ضواحيا
ومن حلل الاشعاع اصبحت كاسيا
فهل كنت يا مبرغ النور شافيا
شوانع بلقا تستنل الدواهيسا
اغازل في الافق القصي الفواديا
على حسنة تنشى الطيور شواديا
سماوية الانعام تنغي المساسيا

الملم اقوار النجوم قوافيسا
واسحب من فوق الثريا ردايا
وافجسه لحنا يهز اللياليبا
ترود بها ، عبر الفضاء ، المراقبا
ويجولو لنا الإحياء ما كان خافيا
كلانا حكيم يستهين المواديبا
طموح فلا نرضى الأمور كلها هيا
فلا صخب فيه ولا فيه عاديبا
وقد ركبوها فيه هواهم تعاديبا
ورضوانها صنّين يحرس هاديبا

جورج الكمدي

انا ابنك يا صنّين ، هل انت ذاكر
وبا مرقص الانوار ، هل انت سامع
وبامجثم السحب الكثيفة في الضحى
ارى فيك هدايا الضحى مترافعا
ونبعك في السفح الموشح بالنسا
وجيش ضباب راح يكتسح الرى
وجسم فيك الله كل جماله
وما كنت الا صورة الخلد في الورى
فمن ابيض في احمر اثر اخضر
ايتتكت من اقصى الديار وبى ضنى
لابقى اغنيك القوافي شردا
وامرح في جنات خلدك حالما
موشحة من كل ثوب مزركش
فتعلم ارجاء الفضلاء لحونها

وبا مسقط الراس الذي عن رعونه
فانظّم شعرا لم يهر بخاطر
اغنى به فى كل درب مرثعا ،
وما الشعر الا نقحة سمرديا
فنصر ما لا تبصر العين مثله
انا انت يا صنّين ، يا موطن السنّا
غربان في الدنيا يوحد بيننا
نريد سلاما يغمى الارز كله
فقد عكروا فيه السلام جهالة
وما الارز الا جنة الله في الملا

بعيد ، وكان كل منهما قد انتقد التشيد القومي للشاعر
احمد شوقي ، فانهم العقاد الراجعي بسرقة نقداته ونشر
عن ذلك مقالة في كتابه « الديوان في النقد » (العقاد
والمازني) ١٩٢١ ثم ابدى العقاد رايه في كتاب « اعجاز
القرآن » فبه الراجعي وكتب مقالات لاذعة في نقد العقاد
نشرها عام ١٩٢٩ بمجلة « المصور » ثم جمعها في كتاب
ب عنوان « على السفود » ظهر عام ١٩٣٠ بقلم « امام من
أئمة الادب العربي » ..

نقولا يوسف

الاسكندرية

ان اصدر الراجعي كتابه « تاريخ آداب العرب » ١٩١١ وتقدمه
دكتور طه ، الطالب يومئذ بالجامعة المصرية .. وبعد
سنوات عاد طه حسين فنقد كتابه « حديث القمر »
و « رسائل الاحزان » بجريدة « السياسة الاسبوعية » فرد
عليه الراجعي ، ولما ظهر كتاب « الشعر الجاهلي » للدكتور
طه ، تناوله الراجعي بالنقد العنيف في جريدة « كوكب
الشرق » مما اجتمع في كتابه « تحت راية القرآن » وزادت
الخصومات السياسية الحزبية في اضرار نار المعركة ،
وشاكرت فيها اقلام اخرى كثيرة (٨) .
وبدأت الخصومة بين العقاد والراجعي منذ عهد

لم يكن يدري ، وهو يغادر قريته الى العاصمة ليدرس الطب في جامعتها ، ان الامور قد لا تسير وفق هواه ، وان رغباته الظاهر منها والخفي ، قد لا تتحقق الا بعد معاناة تزيد على ما قدر لها من جهد وزمن .

كان عمره حينذاك دون العشرين ، انهى دراسته الثانوية بتفوق فسي الصيف الماضي ، وامله - وما اخلى الامال - ان يخرج طبيبا ممتازا ويأتي مشرفا على المستشفى المركزي الذي يجري بناؤه حاليا في قريته لخدمة القاطنين فيها وفي القرى العديدة المجاورة لها .

وبينما كانت السيارة تتهب الارض بين الكروم ، التفت الى جانب الطريق ، اذ تمهلت السيارة قرب عين ماء ، فرأى جارهم العمدة يحمل بندقيّة الصيد في يده ، وجراها في اليد الاخرى ، ويتجه نحو حمارة الاشهب .

« ترى ماذا يحمل في الجراب ؟ لا بد ان تكون ارنبة برية او حمامة او عددا من القري او السمان » وسيمود بعد قليل الى منزله فينادي ابنائه ويناول كلا منهم حصّة من الصيد ! سأشتري بندقيّة صيد اوتوماتيكية تستوعب خمس

« خرطوشات » ، وسأندرب على استعمالها بحيث لا تقلت مني طريدة ! سأشتري سيارة بدلا من الحماز .. فلا تصالح الدواب ركوبة لطيبين ! »

ووصل العاصمة ، ودخل الجامعة واتم السنة الاولى بتفوق ثم التسي نلتها وما بعدها ، واخيرا حصل على بكالوريوس في الطب .

وعاد الى قريته ليجد والديه ، على ضعف حالتهم المادية ، بعدان العمدة لتزويجه من ابنة عمه التي انتهت دراستها الثانوية : « والي عيونها - اسم الله - مثل اللوز ، واسنانها - بخزي العين - مثل اللؤلؤ » .

لم يعارض في الامر ، ولم يفعل وهو يحب ابنة عمه واصبح عمره فوق الخامسة والعشرين ويستطيع

العيش في دعة . نعم .. كان يأمل ان يكون هو رئيس المستشفى المركزي ويكمل فرحته بالزواج ، ولكن لا بأس ان يتزوج أولا ، وليكمل فرحته فيما بعد ، عندما يصبح رئيسا للمستشفى .

وعمل طبيبا مع وزارة الصحة مركزا في أحد المستشفيات التابعة . وبعد مشقة وعناء استطاع ان ينتقل الى مدينة قريبة من قريته فعمل في مستشفى مدة تربو على السنتين كان خلالهما لا يكل من محاولة الانتقال الى المستشفى المركزي دونما فائدة . واخيرا منحت له الفرصة فسي سلسلة من التقلات التي اجرعتها الوزارة فنقل الى المستشفى المركزي في منصب طبيب اول ، وكان قد



بقلم إبراهيم أحمد الشنطي

مضى على تخرجه اثنا عشر عاما ، ولديه ولدان ، احدهما في العاشرة والاخر في الثامنة ، وابنة لم تكمل شهرها الرابع بعد .

« واخيرا نلت بعض ما تبني يا ابا جلال » قال ذلك هامسا وهو يضع بعض المذكرات والادوات على طاولته في المستشفى المركزي فسي صباح اليوم الاول الذي تسلم فيه عمله . « لقد ان لك ان تستمتع بالحياة .. ان تشتري سيارة محترمة .. ان تقني بندقيّة صيد ،



ان تمارس بعض الهوايات المحببة .. هل تذكر جاركم العمدة ، عليه رحمة الله ، الذي كان يدور في البيارات والحقول والكروم يصطاد ما يفتني من الطيور والحيوانات البرية . ! كنت ايامها تصطاد « بالنبله » وهبها ان تصيب الهدف .. اللهم الا اذا كان زجاج احد شبائك المدرسة . » وابتمس لهذا الخاطر وتذكر مدير « العلاقة » التي نالها من عصا مدير المدرسة في تلك الايام الخوالي على فعلته . « ترى اين هو المدير اليوم ! لا يزال على قيد الحياة ! لا بد من زيارته او دعوته لزيارتي .. لا بد ان يزورني اذا كان على قيد الحياة .. مصرى العجايز المرض ، وطريق المرض الى المستشفى ! »

عجيب كيف برزت فكرة شراء بندقيّة الصيد .. ترى هل كانت تعجبه هيئة جارهم العمدة .. عندما كان ينزل عن حمارة ذي الخسرج الموشى وينادي ابنائه ليأخذوا ما اصطاده لهم ، بينما هو يقف على مقربة منهم ومن والدهم وليس لديه سوى «نبلة» ذات شريط قديم من المطاط !

لم يسبق له ان تحدث بشيء عن هذا .. كان يكتبه في اعماقه .. لم يبرز الى حيز الوجود الا اليوم .. ترى هل كان يحتاج الى كل هذا الوقت والى هذا المنصب بالذات ليحقق ما كان يتوق اليه في صغره ! ولماذا ظل يخفيه طوال هذه المدة حتى عن اهله ، وكأنه يخشى ان يمسأ عليه اذا لم يتحقق ! هل كانت دراسة الطب وسيلة لاقتناء بندقيّة صيد ! هل استهواه منظر العمدة ببندقيته فاخترته صورة في ثنابا ذاكرته نحو عشرين عاما ، حتى اذا ما عاد الى مكان تلك الذكريات برزت تلك الخبايا لتتجدد ، مهملة فارق الزمن والمنصب وسجل الحياة !

واشتري بندقيّة صيد « اوتوماتيكية » وخمسين خرطوشة (طلقة) ، واخذ يركب سيارته كل

يوم جمعة ويذهب الى الكروم والبيارات ليتدرب على الصيد . كان يذهب لوحده .. لا يريد ان يراه أحد الا سيادا ماهرا . يريد ان ينزل من السيارة فينادي ولديه وهو خارج المنزل ليحملا حصيلة صيده .

وجاءت عطلة اسبوعية فالح عليه ولداه وزوجته بان يأخذهما في نزهة فيصطاد لهم كما وعدهم في الاسبوع الماضي والذي قبله . ووافق اخيرا وخاصة عندما وجد ان لديه خمس « خرطوشات » فقط ، اذ انه يبدد الباقي في التدريب على استعمال البندقية .

حمل اهله في السيارة الصغيرة ومعهما ما يحتاجون من طعام لنزهتهم القصيرة تلك . وساروا بين الكروم واوغلوا فيها ، ومع ان الطريق كان ترابيا الا انه كان سلبا تحت عجلات السيارة .. كما كان الطقس دافئا جميلا وقد لاحظ عليه بشائسر الصيف .

واخيرا وصلوا الى المكان السدي يبغي ، فترجل من السيارة وانزل اهله ، ففروا لهم بساطا في ظل زيتونة وارفة قرب خط من نبات الصبار (التين شوكي) .

وبالكاد جلست زوجته على البساط وهي تحمل رضيعتها بين يديها حتى فغزت من بين نبات الصبار ارنبة برية تكاد تكون بحجم الحمل الصغير .. هكذا خيل اليه . فاسرع الى بندقيته يلتقطها من فوق البساط ويصوبها باتجاه الارنبه ويطلق الخرطوشة الاولى قبل ان تستوي البندقية في الوضع الصحيح ، فاصابت الخرطوشة غصن زيتونة منخفض فتساقطت اوراقه تذكره بشظايا زجاج شبابيك المدرسة عندما كان يصيب احدها بحجر من « النبله » .

« لكن الارنبه تمثرت ، انها تنقلب على نفسها وتقفز يمينا فשמلا ، فيمينا فשמلا .. لربما اصابتها احدى ذرات الخرطوشة فهي مسن

النوع الذي ينتشر كالظلة » .

ونظر امامه اذ ارخى قبضته على البندقية فشاهد الارنبه لا تزال على مرأى منه فاسرع يطلق الخرطوشة الثانية وهو يسرع خلفها ، فقفزت الارنبه قفزة قوية لتخطي كومة من الحجارة اعترضت طريقها ، وسرع القفزة اطلق الخرطوشة الثالثة ... وظن انه اصابها فاخذ يبحث عنها بين الشجيرات والاعشاب وحول كومة الحجارة ولكنه لم يجد اثرا لها . ثم اخذ يوسع دائرة بحثه شيئا فشيئا غير منتبه للوقت وغير شاعر بالتعب الى ان علق بشرط ملقى باهمال بين الاعشاب فشق سروره فانتبه لنفسه



ابراهيم احمد الشنطي

... « عجيب كسل اصحاب هذه الارض .. اهلها يتركونها يسورا لا يفلحونها ولا يحزنونها ! » قال هذا في نفسه اذ اجهدته البحث وهو ينخفض ويرتفع في احواش الاشجار وبين الاعشاب البرية التي تصل الى ركبته فتعيقه عن سيره ورؤيته طريدته .

وتابع سيره وبخته بحدوه الامل ، حتى تعبت قدماء من السير . وشاهد صخرة كبيرة غطت بعضها فروع العنب الخضراء ، فجلس عليها ونظر الى الناحية التي اتي منها فوجد انه

قطع مسافة طويلة بعيدا عن المكان الذي يجلس فيه اهله ، وفتسح بندقيته ليتفقد الخرطوشات فلم يجد غير اثنتين .. فاخذ يتذكر متى واين اطلق الثلاث الاخريات .. وجعل ينظر الى الخرطوشتين الباقيتين معه وهو بمسكهما بيده بينما البندقية قابعة بالقرب منه على الصخرة الملساء .

واعاد الخرطوشتين الى البندقية ومد يده الى حذائه يخلعه ويفرغ منه التراب الذي دخله بينما كان يبحث الخطى وراء الطريسة ، واراد ان ينزع عنه الطين الرطب الذي التصق بكمبيه فاصبح وكأنه حذاء سيده رشيقة .. ف ضرب كعب احسدى الفردتين بالصخرة ، فسمع اثرا صوت حركة امامه فنظر واذا بالارنبه تقف امامه من تحت شجيرة صغيرة . وبدون ان يعدل من جلسته امسك البندقية واطلق الخرطوشة الرابعة ، فكانت افضل الطلقات جميعها .. لكنه مع ذلك لاحظ ان قفرتها ضعيفة بالنسبة لقفرتها السابقة ..

« ترى هل تعبت ام اصابتها احدى الخرطوشات !؟ ان قفرتها باطية ولا اظنها مستعدة اذا كانت مضابة ! »

وليس حذاه وحمل البندقية ، التي لم يبق فيها سوى خرطوشة واحدة ، وذهب الى الشجيرة التي فغزت الارنبه من تحتها بنظر ويستنتج فشاهد قفرة من الدم علقت بوريات العشب .. لقد اصابتها احسدى الخرطوشات اصابة غير قاتلة ! لن تفلت مني .. معي خرطوشة واحدة ولا بد ان اسلدها بها .. والا كرت البندقية والسلام .

ونظر الى بندقية الصيد في يده ودارت الفكرة في خاطره .. لا .. لا سايبهما وانخلص من هذا التعب .. لا داعي لان اكسرها .. انها هوائية متعبة .. لقد انتزع كعب الحذاء واتشق السروال و .. و .. وسار في الجهة التي فغزت الارنبه

شاعر

قالوا : فلان شاعر . فاجتهدت :
سرق القوافي والبحور جميعها ،
ان رحت تنقده تنقده طسائر
الشعر ميدان السباق ، فشاعر
ومنافس طلب السباق مقدما

كم رحت انعي شعره وشعوره
مسخ القصيد طوله وقصيره
اغنى ، وابدى كبره وغروره
كالسبع تسمع في الهجوم زيره
للسبق في ساح المعارك عيره

بوانس ايرس - الازجنتين

عبد اللطيف الخشن

نحوها متنبعا آثارها في ارض مزروعة
بالقول ، وضاع الاثر بين الاعشاب
« الا ما اكسل اصحاب هذه الارض ! »
ولاح له على مسافة امار ما يشبه
اذني ارنبة برة .. لقد اصبح يتخيل
الارنبية في كل شيء يراه .. لكن
الشيء قريب الشبه ! »
وتقدم قليلا ثم انبسم اذ تذكر انه
في ارض مزروعة بالقول ونسي ارض
القول ينبت « الهالوك » ، وازهاره
قريبة اللون من الارنبية البرية . « هذا
ما تتخيله يا ابا جلال .. لقد ملكت
الارنبية تفكيرك .. »

الصغيرة .. « انها خفيفة وضعيفة ،
كانها لا تاكل والاعشاب تملأ المكان ..
كنت اظنها اكبر واتقل .. »
ونظر الى الارنبية وهو يمسكها
بيده اليسرى فقال ان شاهد بعض
قطرات الدم على سرواله الذي سبق
ان تشق في لحظات .. « انها لا
تساوي التعب والمشقة .. لا تساوي
السروال ولا الحذاء .. انها خفيفة
لا تساوي حتى ثمن الخرطوشات
التي اضعفها عليها .. المثل هذا كان
يركض الصغار به من احق .. »
اقرب من مكان زوجته واطفاله ،

وفرك عينيه وتقدم خطوتين ومد
عنقه ليرى بوضوح .. « لا .. انها
هي .. لا مجال الان للشك .. ليست
ازهار هالوك ، لن اخطئ هذه المرة !
.. وان اخطأت .. ساكسرها ..
سايبعها سا .. سا .. »
وسدد البندقية بهدوء .. وركز
نظره .. واطلق .. فاصاب ..

فاسرع نحو الارنبية ليمسك بها
ان حاولت الهروب وليذبها ولكنها
لم تحاول ولم تستطع وبالكاد تحركت
اذا انها نزلت الكثير من دمها عندما
اصابها رشاش احدى الخرطوشات
السابقة .. كانت لا محالة ميتة حتى
بدون الخرطوشة الاخيرة .
عاد الى اهله يحمل صيده ..
كانت المسافة بعيدة .. قطعها كلها
او معظمها ركضا وراء هذه الارنبية

واسرع نحو الارنبية ليمسك بها
ان حاولت الهروب وليذبها ولكنها
لم تحاول ولم تستطع وبالكاد تحركت
اذا انها نزلت الكثير من دمها عندما
اصابها رشاش احدى الخرطوشات
السابقة .. كانت لا محالة ميتة حتى
بدون الخرطوشة الاخيرة .
عاد الى اهله يحمل صيده ..
كانت المسافة بعيدة .. قطعها كلها
او معظمها ركضا وراء هذه الارنبية

وضع الارنبية على مقربة من زوجته
التي كانت ترضع طفلها ، وجلس
بجانها وهو يشير الى سرواله ،
فنظرت اليه وقالت تسببه في الكلام
وقد انتقل بصراها الى الارنبية :
- انظر .. ان انداءها حمراء
متدللة ، يظهر ان لديها سفارا
ترضعها ، احمرار الحلمات دليل
الرضاعة !
« صحيح .. كيف خفي علي وانا
الطبيب !؟ الرضاعة ايضا قد تضعف
الجسد .. لهذا السبب هي ضعيفة
وخفيفة .. لا يشبع طير وفي مشه
فراخ ... صدق المثل . »
وضعت زوجته صغيرتها اذ

اغفت ، ووضعتها بجانبها على
البساط . وعندما انحنت فوقها
لتصلح وضعها سقطت دمعة من
احدى عينيها ، فاسرعت تمسح
دمعة اخرى من عينها الثانية .

شاهد ذلك المنظر وهو صامت
وباسرع من لمح البصر احس بمسا
يجيش في صدرها من احاسيس « انها
ام .. وهذه الارنبية ام ايضا .. خنان
الامومة هو هو في الانسان والحيوان
.. انه هبة يمنحها الله لمخلوقاته .. »

- بابا .. بابا .. اسرع .. هذا
ارنب صغير في الصبار !
صاح احد الطفلين فاعاده الى
واقعه واسرع نحوهما .

كان هناك فعلا ارنبان صغيران
لم تشق عيونهما بعد ، كان يرقدان
في تجويف بين فروع الصبار القديبة
وقد مهدت لهما اهمها مكانا لينا من
الحشائش الحافة وبعض الخرق
البالية ... « لهذا السبب تظاهرت
الارنبية الام انها اصابت عندهما
اطلقت الخرطوشة الاولى عليها ..
كانت تريد ان تظلي فابتعد عن
صغيريها .. يا لحزن الامهات ! »

اقرب منهما بخفة بعد ان افسح
لقدميه بين الشوك ، ومد يده
فامسك احدهما وناوله لاحد ابنايه ،
ثم امسك بالآخر واعطاه للابن الاخر
ونفض ..

- بابا .. خلينا نأخذها نربيهما
عندنا في البيت ! (قال الاكبر)
- صحيح بابا .. خلينا نربيهما في
البيت كما يقول جلال !

- نعم سنفعل ، سنربيهما ...
وسنعتني بهما حتى يكران ثم
نطلقهما في الحقول !

وانزلت يده الى جيبه فتناول
قطعة نقد معدنية وضعها في موضع
الخرطوشة داخل الثوب البندقي
ثم شقط على الزناد فاصطدمت الابرة
بقطعة النقد وانثلم رأسها .

الظهران ابراهيم احمد الشنطي

النبع الجاف

والناس تبخل باليسير
امن المواقب من غرور
نظرا ولو شروى تقيس
امنست عاقبة الامور
عليك لهفسي من مصير
والموت خاتمة الميسر
بالدمع تعصف والزفير
وكل شر مستطير

كالسر في غور القمير
ما كان ينقع من سعي
في جيد الخيلة والصدور
الروح تهزج من حور
تضمخ بالعيسر
ومفرد حين البكور
دون الخيلة كالطيور
ونامة الاسد الهصور

به من الخطب الكبير
يرمي بقاصمة الظهور
ودار علي الميسر
ولكم اناخ على الصغير
بغمرة الليل الضير
الزمن السحيق على العصور
من رحمة او من شعور
واشكل كل نسور

خط في جنب كبير
غرب لجرحك كالسطور
ناكل فوق القصور
وانقطعت عن الخرب
في العشي وفي البكور
وفاحت بالعيسر
وليس من لحن مثير
به من الخطب الكبير

عدنان مردم بك

جادت بعينك بالكثير
انفقت انفاق امريء
وبذلت حتى لم تدع
والدهر ذو غي فكيّف
لهفي عليك ولن يرد
ان الفناء محتهم
واري الحياة رواية
شحت بالسوان العذاب

نصبت مياهاك وانطوت
لم يبق فيك لظاميء
بالامس كنت العقيد
حليتها ونفشت فيها
فتراقصت للروض افنان
والطير بين مصفق
والريح تسجع من جوى
للريح وشوشة الحب

ما كان اوجع ما منيت
ان الزمان ولم يزل
ذلك الماقل من قواعدها
غال الكبير بربيه
غارت مياهاك كالشعاع
فكان حوضك مقلبة
ما لم في اشجارها
عياء اظلم في محارها

وكانما ضفتاك جرح
وامتد ما دون الربى
ويطول متسعا كشهقة
... وسكت عن لحن شجي
فيشارة يديك تمزف
رقصت لها بالامس افنان
واليوم لا ري لديك
ما كان اوجع ما منيت

دمشق

ولما كان من القدر ، اعاد ابو عفاف الكتاب الي ، وقد قراه في رحلة الليل الهائلة ، ومعه رسالة مفصلة ، يقول بها : « .. وبعد فسقيا للظروف التي اناحت لسي شرف التعرف بك وبالاخ الاستاذ مدحت . ومرحى للاخ فتحي لانه كان همزة الوصل في التعارف ولولاه لما عثرت على تينك الجوهرتين اللامعتين في صدر الادب والكوكبين النالقيين في سماء المعرفة التي لا غنى شمسها بكسوف على كر الدهور ان شاء الله . واذا كانت الصداقة تاجا يحلي به المرء هامة راسه فانتما والاخ فتحي المجد درر ترصع ذلك التاج . فانا اعتر بكم جميعا وبكم ارفع راسي عاليا على البعد والقرب وسأظل احتفظ بأجمل الاعجاب وبأبسل ايات التقدير .. »



وحيد الدين بهاء الدين

قضى ابو عفاف معظم حياته في غير بلده (هيت) غربيا يبحث عن اسباب الرزق ويتنقل في الوقت عينه في عديد من الوظائف التي لم يكن يستقر بها قطعا لعلمة ما فتئت اجعلها . من هنا كنت تراه بركوك فترة طويلة او قصيرة ، ثم لا تلبث في يوم من الايام ان تحبس غيبته غير المنتظرة ، التي تستغرق عاما او عامين ثم يعود الى كركوك بكل عقله وقلبه ، كان بها ضالته المشوذة .

كان ابو عفاف ضائعا تنتهسه غربة الدار والنفس ، وتفرقه محنة الحياة والعيش ..

حين كتب الي ذات مرة قائلا : « انني كفريت قد اقلنتني الهموم واقتضت ظهري الامام وصيرتني شاردا الفكر .. محجروح الخاطر .. » .

لكذلك قال في قصيدة له :

الغربة انكرا بظهي خاطري فإلام ابقى هكذا اضلذب؟
من هذا المنطلق كان ابو عفاف يزور اصدقاءه في دورهم ومقر اعمالهم ، اذ يفاجئهم بوجوده ، وينعش خاطرهم بأشعاره ويعطر أجواءهم بكانه . انما كانت النكتة اللطيفة التي لا تؤذي في الامم الاغلب شعراءه الذي ما تخلي عنه الى اخر لحظة من لحظات عمره ، لانها كانت طغراء حياته الصعبة ، والتمنفس الوحيد لهوموم وخوالجه والطريق الى قلوب الآخرين .. من خلال النكتة كان ابو عفاف يصف وينتقد تارة ، يعقب ويعقب تارة اخرى .. يعلو ويسفل تارة ثالثة .. بمعنى ان النكتة كانت عنده ذات دلالة وهدف مباشر . حتى ان بعض اشعاره التي عبر بها عن معاناته وخبراته ، انصبت بطابع النكتة والفكاهة .. الطرافة والظرافة .. اذكر منها على سبيل الذكر قصيدته التي كثيرا ما كان يرددها امام صحابه والتي يفتحتها :

كنت امشي برقة واتشاد بلبسة الاربعاء قرب النسائي
ومقطوعة التي قالها بعد ان دهمته دراجة في شارع

مكتظ بركوك وهو عائد من عمله اليومي الرهق :
كنت امشي بفساحه الاوقاف قرب دكان اسود الاسكافي
ثم قصيدته التي نظمها حين دخوله لاحد النوادي الليلية بركوك وحين تجاهله مدير ذلك النادي وكان اصلع

سيف الدين الخطيب كما عرفته...

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

في بداية صيف عام ١٩٤٩ ، بينما انا مكثود الفكر والتفكير ، لخوض الامتحان العام للدراسة الإعدادية ، جاءني زميل لي ، وهو فتحي معصوم ، يقول : ان هناك شاعرا من ابناء (هيت) المعروفين يود ان يتعرف اليك ويتحدث معك في بعض شؤون الثقافة والادب . ارجو ان اتخذ له - ان لم يكن لديك مانع - موعدا لاصطحبه معي في زيارة لك .

وفي عصر الخامس من حزيران كنت استقبل وزميلي الاخر : مدحت عبد الواحد ، بدارني بقلعة كركوك ، الصديق الجديد الشاعر سيف الدين الخطيب الملقب بابي عفاف (١) ، وكان مغمورا من الراس الى القدم في قطعة من بياض ..

حقا كانت جلسة ممتعة ..

جلنا بها جولات واختصرنا مسافات ، ونحن نظارح شروب الفكر والشعر ، ونتجادب حبال السجال والجدال ونجوس افاق الماضي والحاضر ، ونمرج على ذخائر النالد والطارف ، بتخلل هذا كله طرائف مستملحة ودعابات بريئة ، تروطب مناخنا العقلي والشعوري ، وتزيئنا هياما بالنفن والادب ، واقبالا الى الحياة والجمال ..

لفت نظر ابي عفاف الى جانبي كتاب « الرصافي : الجزء الاول » لمصطفى علي ، وكان ادركني قبل ايام قلائل هدية من مؤلفه ، فلم انني من المجيبين بالرصافي والراغبين في دراسته مستقبلا ، ثم رجاني ان يستعير الكتاب ليوم ، عساه ان يسعد بمطالعه .

بالرغم من الصلات التي بينهما :

اني بناديكم (الطريح) الفجع ومسي نجوم في العديفة لتمع
(يا ارفع)

لقد كنت اذهب الى ابي عفاف كلما تحيت الفرس .
اذ اجده ملازما القرباس والقلم او مصاحبا ما اعتاد ان
يصاحبه في رحلات الانس . وفي اوقات كنا نخرج السى
المتزهات والحقول ، وكنا جماعة من الشبان ممن تمازجت
مشاربهم ومشاعرهم وتذات سيد الموقف ، يسيطر

وفي كل رفقة ، كان ابو عفاف وامرجهتم . يسيطر
بها على الحضور ، لشجاعته الادبية وبلاغته وتهويلاته
الطريفة التي ما بلغ احد منا مبلغها . حتى ان بعضا من
الزملاء ، كان يدبر له بين حين وحين مقابا او مقالب ،
ايغالا في التسلية او ترويحيا للنفس وتجديدا لمضمون النكتة
ولا اخفى انا بما عرف عنه من بساطة وطيبة ، كان سريع
الانقياد والانخداع . « ولخلفناكم اطوارا » .

جاءني ابو عفاف في يوم ٢٨ - ١١ - ١٩٤٩ ، وقد
توطدت آصرتنا ، وعليه ملامح الرضا :

قلت - خيرا .. ابا عفاف ؟

قال - بسعدني ان اقول فيك بعض الشعر ..

قلت - في انا - ومن انا ؟

قال - هذا اللواء بذكر فلفلتهج والكل يحفظ ما تغشد وتنح
قلت - لئن شكرتك ، فلان هذا هو شعورك ، غير
اني ما برحت طفلا احبو .. ولا شان لي بهذا الذي ذكرت .
قال - انه جدير بك .. وانت جدير به ..

واتفق في اليوم التالي ان اطلع الصديق الشاعر عبد
السلام حلمي صاحب كتاب « ساعات اوابام » على هذا
البيت الشعري ، مكتوبا في دفتر صغير عندي ، فما كان
منه الا ان يمسك بالقلم ، ويقول معارضا على نفس الروي
والقافية :

ادب يسوع كانه زهر الربى وشمال في طرفها توهج
فارق المعالي يا وحيد بزمرة مفساء فيها للفلاح تاجع
ثم ذات اسمية من اسميات شتاء عام ١٩٥٠ ، زرت
ابا عفاف في فندق الرافدين ، فاذا هناك شلة من الاصدقاء
تتصل بينهم اسباب هزج ومرج :

- ماذا وراة .. ؟

فالوسى بني والتحرر سبة والهمس جرم والكلام حرام
ومسالمع عسا يدين مغرب ومطالب يحقوله هدام
وبحماشة ظاهرة ضربت بقبضة يدي وانا اناو هذين
البيتين للجواهري ، على الطاولة التي امامنا ، تلوها
صينية ازدانت باقداح الشاي والقوري .. فاذا بها تتساقط
الى الارض متكسرة ..

- بسلامتك .. !

ويدخل علينا زميل اخر ، هو حمدي عثمان ، ليقول :

- ما عندكم .. والاصوات تتراعى .. ؟

- قراءات شعرية ...

- ثم ماذا .. ؟

ورد ابو عفاف بلهجة حاسمة :

- الجمعة القابلة عندي هنا سوق (للادب) ..

واندفع الزميل القادم بخفة روحه :

- وما رايتكم في سوق ل (الباجة) عندي ، في الجمعة

التي بعدها ؟؟ (٢)

وتصاعدت الصبحات جدلة : - وهو كذلك ...

وابو عفاف كشاعر حساس ، يعشق الحسن والفتنة
ويطلب اللذة والمتعة ، ولو كانا برشيتين . فكان يحب العذارى
المانسات ، ويحن الى ملاقاتهن ، ويغازلن على البعد والقرب
وقد لا يكون لذلك كله رد فعلي ايجابي ..

اعرف انه اعجب بانسة تدعى (سلوى) ، وشغف
بها حبا ووليا . ثم صاغ اعجابه ذاك وجه هذا في قصيدة

وجدانية نشرت في صحيفة « الافاق » الكركوكية :

هلا حلت من الجفاء ونفاني سلوى ستغرق خالقي اشواي
فلئن تسانست العهود فانسي وكما عهدت على العجبة بياق

سرعان ما ردت عليه اديبة القلعة يومذاك الانسة :

مدبحة .. في الصحيفة ذاتها ولكن باسم مستعار . ثم
تساءلت هنا وهناك : من تكون سلوى ؟ وتروح تضحك
بسخرية لاذعة ، قائلة : يا له من عجوز متصابي ! بناجي
سلواو ويتغزل بها .. ومن ثم يبكي !

لكن ابا عفاف استغل هذه البادرة الادبية .. فاجاب
صاحبة الرد بمقطوعة شعرية ، وقد قدمها : قالت احدهن
الصدق : هل ان حب ابي عفاف لسلوى جبر على ورق؟؟؟
قالت انظم في سلوى بلا ماق ام ان ما قاله جبر على ورق
فلست ادري متى كان اللوا هلدرا للذي الشاعر لا للجامل الخرق
ولم يكف ابا عفاف بهذا كله . بل ان احساسه بان
ذلك الرد لم تكنه الا اديبة القلعة ، كان حريا بان يجعله
يمهد الطريق اليها بمقطوعة عنوانها « نفثات جريحة » ،
لعلها ان تصبح برزخا بينهما ، ولكن شيئا من هذا كله لم
يحقق .

مدبحة الحسن يا غفاسة ... ومبعث النور في اشراقه القمر
والاعتقاد ان امر ابي عفاف قد افضح .. في المجالس
الادبية والاجتماعية .. قيل : قد يكون وراء ذلك حب ولو
من طرف واحد .. على اية حال فان ابا عفاف تشرق قصيدته
تلك في ما بعد في صحيفة « البشير » الكركوكية (٣) ثم في
ديوانه « موكب العواطف » (٤) بعد استبدال كلمة
(المادى) بكلمة (ترتيلة) توفيا للظنون ودرا لبعض
النتائج ..

ابو عفاف في شعره يشتط ويسرف

فلا اغراق في الفن اذا كان ضروريا ومستحبا بعض

١٩٧٥ .

(٢) اكلة شعبية شائعة بالقطر العراقي ولا سيما مدينة كركوك .

(٣) انظر العدد ١٤ في ١٩٥٨-١٩٥٩

(٤) مطبعة كركوك ١٩٥٨

الشيء ، بنية تجسيد الصورة وتحريكها واكسابها القدرة على التأثير والإيحاء لدى الآخرين ، فانه غير مقبول اذا تخطى حده ، واشغل حجما اكبر من ما يستحق ، كما كان يفعل الحاهليون وغيرهم في انتاجهم الشعبي والنثري عموما دعائي الى هذا وذكرني به ، ما نشره ابو عفاف في صحيفة « الاناق » التي يحررها (ه) من قصيدة عنوانها « جمعية الهلال الأحمر في كركوك » . حيث سرد بها ما لهذه الجمعية من اثر في حياة الفقراء وما تسد به من خدمات مبالغاً في رؤيته الواقعية لها ، وفي مديحه لعضائها ، الى اقصى امداد البالغة .

حتى اذا قرأت القصيدة هذه ، وهالتي تهويلاتي عفاف التي لا يمكن ان يتقبلها الذوق الادبي ناهيك بالواقع المادي كتبت عنها كلمة نقدية قاسية في مجلة « قردل » البغدادية (٦) . هذا شيء منها :

نفرو النفوس لاشرف غياصة ركتت بساجلال لهما الايام
اية ايام هذه ؟ ا فريدة النظم ان يحددها لنا ؟ ومتى
ركتت الايام ولن ؟ كيف سوغ النظم هذا القول ومن يقره
على قوله هذا الذي لا ينطبق حتى مع الواقع فضلا عن
مفاريته لرسالة الادب الجديد ؟ ! ثم يقول ما هو مجلب
للمضحك ومدعاة للسخرية :

وتحدث التاريخ عن اعدائهم وتكلمت بجلالهم الايام
يا اليها ماذا اقرا ؟ انكسة انساب الشعر ؟ دولته دالت
لان البيت يمثل قمة التهويل الذي يدك التاريخ (البريء)
دكا ولا ذنب له . وكيف لا يمثل (القمة) ما دام الكلام يلقى
على عواهنه دون رقيب من فكر او حبيب من وجدان .
فالتاريخ لا ينطق الا حين يكون للنطق بواث و لا ينطق على
البشرية ناطقا الا اذا هزته الاحداث واجبرته على ذلك .
وشأن الاقلام في مهمتها بعد هذا شأن التاريخ ولكن . لا خير
في شعر يهبط به صاحبه ليرتدي في هاوية ، ولا خير فيه
اذا جاء مفتعلا ، متمصسا ثوب الصدق لا يكاد يقف على
قدميه حتى يتهاوى ، فيبتلعها شبح الموت .. » .

وقاطعني ابو عفاف فترة برما بي وناقما علي ..
الواقع ان الانطباع الذي كان ابو عفاف يتركه عند
خلانه وصحابه ، بتنازعه الرشا تارة والسخط تارة اخرى
انه وان كان عاطفيا حاد العاطفة ، فانما يتودد الى خديته
ويبدل له ما يستطيع اليه سبيلا ، ثم لسبب او لغيره ،
كان يضييق به ، ويغضب عليه ، ويتولى عنه ..

ولعل ابا عفاف في علاقته الشخصية يخضع لاهوائه
النفسية ، ولتبايرات الزمن ، بيد انه ما كان يتخلى عن
اصدقائه الاقربين .. الاقربين ، الا اذا كان مضطرا اشد
الاضطرار ، لانه كان يضعهم لهم في قراره شيئا كثيرا او
قليلما من الوداد والاحترام ..

صلته بي كانت مرشحة .. وثيقة لم تضعفها اعاصر
الايام وتقبلنا .. من جانبي كنت احرص عليها . بالرغم
من ما كان يطرأ على مواقفه مني ، ويستجد في واقعه .

كذلك كنت اعذره بعض الاحايين ، وانا اقدر ظروفه التي
هو اسير بين فكيفها ، لا منجاة له منها ..

فقد كانت محبته لي كصديق قديم .. باقى على العهد
تأخذ اشكالا ولا تستمد بواعثها من جوهر ذاتيته .. حيث
تتجلى طورا في الرسائل الشخصية التي كان يرسل بها
الي ، وطورا اخر في الكلمات التي كان ينشرها عني وعسن
كتبي في الصحف ، وطورا ثالثا في الاحتفاء بي كلما زرت
مدنيتي العذراء : كركوك تجديدا لروح الحنين اليها ،
وتعبيرا عن حبي الكبير لها ، ولكن بها من اهل وصحاب ..
يوم كنت قراني في ١٤ - ٢ - ١٩٦١ ، انهارت التهنئات
والتمنيات ، لكن شيمه ابي عفاف ايت الا ان تباغتني
بمقطوعة وجدانية يصرخ فيها الوفاء والاخلاص ، نشرت
بصحيفة « كركوك » :

وكان فراتك الميوسن عبيدا نظمت عواطفني فيه قصيدا
وصفت من التسامر خير عقد فهل لي في زفافك ان اشيدا
فقد صيغ من قلب محسب ؟ يفسوق ببقية جوهرة العودا
انك ايسس في خلل الاماني ليثم منك سالفه وجيدا
ويبلغك التهانى من صديق ولي عمن ودائد لن يجيدا
يراد وقد ملكك ذر المسالي واداب العلى فينسا (وجيدا)
احاطتك القلوب بدهرجسان فكنت بافتها قمر جديدا

ثم كانت العلاقات الادبية والروحية مستدامة ..
مترابطة بيني وبين ابي عفاف ، بعد هاتيك الاغوام الطوال .
على القرب باللقاءات وانا بكروك ، وعلى البعد بالمراسلات
وانا ببغداد ، وقد استقرت بها منذ اواخر عام ١٩٦٤ ..
ففي الوقت الذي كنت احرق فيه القسم العربي من
مجلة « الاخاء » التي كان وما يزال يصدرها نادي الاخاء
التونكسي ببغداد ، كان ابو عفاف يحرر القسم العربي من
صحيفة « كركوك » التي كانت تصدرها بلدية المحافظة (٧) .

اذ كنت انتشر لابي عفاف على صفحات « الاخاء » بعضا
من ما تجود به قريحته من طرائف الموضوعات والاشعار .
وقد اغبط حقته لو اكرت دوره الظاهر الذي تولاه فسي
الصحافة الكركوكية عبر الخمسينات من حيث الاشراف
الفعلي في التحرير والنشر ، الى جانب المساهمة في انعاش
الحركة الادبية في ربوع كركوك من خلال المشاركة فسي
الاحتفالات القومية والوطنية والدينية ، والندوات
الجماعية والفكرية والسياسية .

على انه لم يتفاسق في يوم ما عن الاستجابة لنداء
ضميره الادبي بالنسبة الى والى الآخرين ..
فحين اهديت اليه كتيبي (خواطر هائلة . اعلام من
الادب التركي . كلمات في الرصافي) كتحية ادبية متواضعة

(ه) انظر العدد ٦٤ لعام ١٩٥٦

(٦) انظر العدد ٢٣ - العام ٨٧ في ١٤-١٩٥٦

(٧) توقف هذه الصحيفة التي كانت تصدر باللغتين العربية

والتركية بعد ما يقارب من نصف قرن .

(٨) انظر العدد ١٩٠٦ - ١٢-١٩٦٦

والاشياء . ذلك سبب لم اسبر غوره الى يوم الناس هذا .
وما كان بالامكان ايمانك الا ان اقبال جميل ابي عفاف
باليسمة الداعية الى الرضا والشكر ، والتقدير الدال على
الولاء والاعتزاز ، مرجحا الرد او بعضه اليه ، الى القبلات
من ايماننا . فلانام طويلة اماننا ، وليس الجحود مسن
شأننا اذا عزمنا وقصدت . لكن الاشياء مرهونة باوقاتها
ودواعي هذه الاوقات . .

هكذا سكت رافعا لا رافعا

ابدت لي الايام ما كنت جاهلا . . صدق الشاعر

الحكيم

في يوم من ايام ١٩٧١ ، اسعدني فيه الحظ ان يصدر
لي كتاب جديد هو « شخصيات من الادب المعاصر » وان
اخرج الى اهداء نسخة منه الى ابي عفاف ، تكفيرا عن
تقصيري في حق ، وتكريما لاخاه لا يخلق ولا يبلى . . .

ما ان يدركه الكتاب حتى يصفق جذلا ، حتى تفيض
فريقته المعطاء برسالة ناعمة من افوار الوجدان ، ومزدانة
بآيات من الشعر الرقيق « وبعد . . فقد تسلمت باعتزاز
عميق مؤلفك النفيس (شخصيات من الادب المعاصر) ولم
يكن ذلك امرا مفاجئا لانني اعرف انك بحر من الثقافة لا
ساحل لا وساعد من اثناء الله في قراءته . فاسمع لي
ان اسد على يديك مهنا ومباركا وراجيا لك التوفيق
والنجاح لتظل شعلة وهاجة في اعلى سارية الادب والثقافة
تسير للاجيال المتعاقبة طريق النور والعرفان . وهذه آيات
متواضعة جدا جاءتك تنشر بخطواتها خجلا وتقديرا اطمع
من الاح . التكرم بغيرها وحسبي ذلك . . . »

صدق الطم في العراق لوليس
للذي صاغ من عصارة روح ،
(لوحيد) الادب يسوع شموخا
(لوحيد) الكتاب يسوع علوا
حمل العبد كاتبنا واديبنا
خدم العلم والثقافة حتى
عرفته نيا التكلفة نجما
ان اسلوبه كيتوب روي . . .
يشرب الرء مائه سلسيلا
تصحب الحرف عنده فديلا
رلوهوا ان شتم تزيلا
رلوهوا فانها نفعنا

اخذ ابو عفاف في اعوامه الاخيرة يشكو ارتفاع ضغط
الدم العالي . . فقد كان يدين . . كثير التدخين ، بعيدا عن
الحمية . .

وفي ليلة قارصة من ليالي كانون الثاني من عام ١٩٧٢
عاد الى بيته ، وكان مدعوا الى عشاء لدى بعض معارفه .
فما ان دخل غرفته واغلقها عليه وشرع يؤوي الى الفراش
حتى سقط على الارض سقوطا فظيعا كان له دوي ، فهرع
اليه اهله ، ليجدوه جثة هامدة . باردة . . .
دفن في مقبرة (الصلى) بركوك في صبيحة اليوم
التالي . . .

وكدليل على تعزيز اواصر الزمالة التي تولف بيننا ، سر
بذلك سرورا حملته على ان ينشر في صحيفة « كركوك » (٨)
مقلا عنوانه « اعمدة من نور . . جاء فيه : « تفتقت
اكمام ثقافته منذ حداثة ولازمه النبوغ في ميدان الكتابة
والتأليف بصورة مذهشة منذ ان كان طالبا في الاعدادية
فنشرت له كبريات الصحف والمجلات المقالات والبحوث
الفائقة فلقت النظار الى ادبه اثر وعلمه الغزير وكانت
الصحف العراقية تتلفق مقالاته بنهم ويعاتبه اصحابها اذا
هو اغفل تلك الصحف من ذلك الاشعاع الاخاذ . وفي هذه
المرحلة : مرحلة الدراسة كان منصرفا بكليته الى البحث
والكتابة والاستقصاء ووضع اللبئات الاولى في تأسيس
مكتبته في بيته . وقد اصبحت من بعد نجعة الرائد وكعبة
القاصد زاخرة حافلة بكنوز ثمينة من ادبنا المعاصر . . ولقد اذعن
له احاديث ادبية ودراسات ممتعة من دار الاذاعة العراقية . »

ثم ما هي الا فترة وجيزة حتى صدر كتابي « من
الادب العربي الحديث » . فاراد ابو عفاف ان لا تغوته
الفرصة وهي ملائمة ، ليتم القضية من ناحية ، وليغزني
في شمائله الادبية من ناحية اخرى . اذ كتب في صحيفة
بنغدادية ، يقول : « وهذا الكتاب سفر جليل يضم بين دفتيه
الدرر النيرة والذرات النفيسة من ادبنا المعاصر ، لادباء
اعلام وشعراء فحول لهم وزنهم ومكانتهم الادبية والعلمية
المرموثة وقد كتب مقدمة الكتاب الدكتور صفاء خلوصي
الاستاذ بجامعة بغداد الذي اشاد بالقالبية الادبية والواهب
الرفيعة التي يتمتع بها المؤلف كعالم ومؤلف وكاتب وباحث
وانني كثيرا على قيمة الكتاب الادبية . . »

وفي السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٦٧
اتم الله علينا بابنة ، وودت ان اسمها « اياما » تاتسرا
بقوله سبحانه وتعالى « وتلك الايام تداولها مع الناس » ،
وايماننا مني بان الحياة - بالرغم ما لها وعليها - بداية
ونهاية - ايام تتسابق وتتلاحق ، ثم تتلاشى في اقبانوس
الابد كقطرة ذاهلة . .

تناهى هذا كله الى مسمع ابي عفاف وهو هناك، وهل
يتوانى عن قرع مسمعي وانا هنا .

فاذا اياته الشعرية تنساب بهدوء موسيقي اسر ،
لتطرب قلبا وخاطرة ، ولتبدد قنما وجهما . وبين خيوط
جمالها تنهادي الزنبقة الفواحة « ايام » :

يسمت لك الايام واستارت بالاموال
يا نعمة بغم الجمال واهله
يا شقيقة النور اليه يشعه . .
يا صومعة قلب الحياة يسفها
هذي الظلوة ضحكة النجر الذي
نورت اروقة القلوب وهله
من هنا وجدتي اتضال خجلا امام صنيع ابي عفاف
وقد طوق به عنقي على نحو لا يعرف النسيان اليه طريقا .
انما انا انسان قد ابدو حينما عاجزا عن القيام حتى باهون

ترنيمه حب

يا حبيبي ، هاته النار التي تسري بصدري
لا تسئل عنها فؤادي ، ففؤادي ليس يدري
لا تسئل عنها دموعا كشفت للناس سري
لا تسئل عنها ليالي التي ضاقت بأمري

يا حبيبي انت ادري بالذي اغوى فؤادي
والذي اجري دموعي ، ونفى عني رفاذي
والذي خلّى حياتي خطوات من سهادي
والذي يجري لهيبا في عروقي ووساادي

يا حبيبي ، لي قلب ليس يرضى ان يتوب
ودموع من لظاها كاد جسمي ان يذوب
زحم الليل نهاري ، ومسائي ، والدروب
فانا بعدك ظل من خيال وشحوب

يا حبيبي ان تعد كنت سلامي واماني
فأغني ويفني لك قلبي بالاماني
فاذا نحن نداء رددته مهجتان
واذا الفرحة في العينين لحن واغاني

لم يكن قبلك لي يوم ولا كان غد
جئت تدعوني فلبس في فؤادي الموعد
فاذا دنياي ازهى وزماني اسعد
فانا منك حياة ، انت منها الابد

يا حبيبي انا بالحب ولحن الفزل
في شباب العمر احيا وتعيم الامسل
مسحت كفك عن خدي ودموع القل
وسرى منك غير ، فالربيع الحلو لي

حسين خريس

القاهرة

رائنا .. ابو عفاف الانسان الذي عرفني عليه في مكتبة
كر كوك ستيق ذكره نقطة من لؤلؤ مخسر بالاشماع ،
منحدرة الى اغوارى الدهنية . ارجو لهذا الانسان رغدا
في عطاء الله ..

وفي ظلال الخلد يا صديقي !

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

عاش غربيا ومات غربيا ..
اذا كان اضحكني في حياتي كثيرا ، فانه ابكاني نسي
ممانه اكثر .

وترامى من بعيد الى صوت صديقنا المقرب القس
يوسف سعيد نزيل السويد شاجيا : « هل صحيح مات
ابو عفاف . يا وحيد لقد مات جزء من ذكرياتنا
الخضراء . بموته يموت نصف عالم النكتة . اه كم كان

حقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

(١)

« الادب المقارن » - تأليف الدكتور محمد غنيمي هلال ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ .
١ - ص ١٨٥ : كتاب « نتائج الفطنة في نظم كيلة ودمنة » للشريف بن الهبارية المتوفي عام ٥٠٤ هـ ، وكان وزيراً للسلطان « الب أرسلان » .. ويحيل في الهامش على « ابن خلكان » : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٩ .

لم يكن ابن الهبارية وزيراً او شبه وزير ، وقد مضى عمره يبحث عن مادة العيش . وحسنا فعل المؤلف اذ ذكر مصدره (ابن خلكان) . وابن خلكان يقول : « ابن الهبارية ... كان شاعرا مجيدا ... لكنه خبيث اللسان كثير الهجاء ... وكان ملازما لخدمة نظام الملك ابي علي الحسن بن علي بن اسحق وزير السلطان الب أرسلان وولده ملكشاه وله عليه الانعام التام والادوار المستمر ... » واذا فالوزير هو نظام الملك ، اما ابن الهبارية ففي خدمة الوزير يعيش على فضله ومائدته ، يمدح ..

٢ - ص ١٧٥-٦ : وقد اتت الى مصر في الرابع الاخير من القرن التاسع عشر ، جماعة تمثيل سورية على رأسها « سليم النقاش » ابن اخ مارون النقاش ...
صحيح ابن اخ مارون : ابن اخي مارون .
٣ - ص ٢٤٦ : « اميل زولا ... الذي ارخ - فني عشرين قصة - لافراد متعاقبين من اسرة خيالية سماها : روجون مكار ... »

وعلى ص ٢٩٣ : « : وقد الف زولا ... في واحد وثلاثين قصة طويلة ، تاريخ اسرة فرنسية متعاقبة الشخصيات هي اسرة « موجون ما كار » ... »
الصحيح ما ورد في الخبر الاول اي انها عشرون قصة .

وصحيح « واحد » الوارد في الخبر الثاني : احدى .
٤ - ص ٢١٦ : الكاتب الفرنسي Le Sage في قصته : « جيل بلا ... »

الصحيح ان اسم الكاتب يرسم في كلمة واحدة غير مقطعة اي : Lesage .
٥ - ص ٢٧١ : « ويعترف ابن سناء الملك باهمية الخرجة اذ يقول : « والخرجة هي ابدار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعثيره ... »

صحيح ابدار : ايزار - وهذا من الخطأ الذي يقع فيه المصريون والشاميون ، عندما يقصدون الى تجنّب الخطأ في لفظ الدال زايًا ، فيضطرب الامر وتصير الزاي ذالا .

٦ - ص ٢٤٧ « المدن الخمسة » : « المدن الخمس » .
٧ - ص ٢٤٦ « جورجى زيدان » : جورجى زيدان .
٨ - ص ١٢٧ ، ٢٨٨ « عطيل ... ديمونا » .
لم لا تكون « دزدومنا » وهي Desdemona
٩ - ان الطبعة الرابعة « للادب المقارن » نسخة مطابقة للثالثة وقد يزيد فيها خطأ مطبعي . فقد جاءت « جيل » في الصفحة ٢١٦ على « جين » .

١٠ - لو كان للكتاب خطة محكمة ، وتقيد المؤلف بصميم موضوعه لجاء الكتاب في حدود ال ١٥٠ صفحة (عوضا عن ٤٦٨ ص) ، ولكان اوضح وانفع ولما استحال خريطا من تاريخ الادب والتقد والثقافة العامة اكثر من « الادب المقارن » .

(٢)

« في اصول الادب » - محاضرات ومقالات تأليف احمد حسن الزيات ، ط ٣ متعة مزيدة ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٣٧٢ - ١٩٥٢ .
١ - ص ٢ :

ولولا خلال سننها الشعر ما دوى بنساء العالي كيف تيسر الكارم ذكر « المؤلف الحاضر في معرض الشاهد ، ولم ينسبه الى صاحبه (وهو ابو تمام) ، ويبدو انه اعتمد على ... »

ولولا خلال سننها الشعر ما دوى بقاء النسي من ابن نوني الكارم كذا في ص ١٨٣ من المجلد الثالث من « ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي » تحقيق محمد عبده عزام - دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ، وفي هامش الصفحة : انه في نسختين : بقاء العالي .

واتي اربويه عن استاذي المرحوم طه الراوي : « .. بنساء العلى من ابن » اذ لما تخني الذاكرة .
٢ - ص ١٧ « وتاريخ الحكماء لابن القفطي » .
الصحيح : او الاصح في الاقل - تاريخ الحكماء للقفطي - وهو جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ولد في قطف من مصر العليا سنة ٥٦٨ هـ .

٣ - ص ١٩ « .. التاريخ .. عمر الوردى » .
الصحيح : ابن الوردى . وهو زين الدين عمر بن سن المظفر .. المتوفى ٧٤٩ هـ .

٤ - ص ٣١ « الشعر الديني ومن اقدمه ... سفر ايوب عند العرب » « ... على ارجح الراء » .

ييدي الزيات تشبها ملحوظا بعروبة سفر ايوب .
٥ - ص ٤٤ « الاصمعي فسي كتابه « فحول الشعراء ... »

صحيح فحول : فحولة

٦ - ص ٥٢ « ... كالخريزي والعنابي والحسن بن هاني ... »

الصحيح : كالخريزي - والخطا في النص الذي ينقله عن ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، يرجع الى الناسخ او الناشر . والخريزي (بالراء) هو ابو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهي التوفي سنة ٢١٤ هـ .

٧ - ص ٥٧ « حتى ان ابن رشد الحفيد ... ووردت بفتح همزة ان والصحيح كسرهما .

٨ - ترد الفاظ فرنسية لكلمات واعلام وفي عدد منها خطا في الرسم مرده - بالطلع - المطبعة كما في ص ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٢٨٩ - ووردت درام ص ٢٩٢ مؤنثة مع انها مذكرة ، ووردت Le drame وصحيحها Le drame ... ٣٤١ .

(٣)

« كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان » تأليف جبر ضومط ب.ع ، احد معلمي المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت ، طبعت بمطبعة التأليف (الهلال) بالجبال بمصر سنة ١٨٩٦ .

١ - يمثل الكتاب نمطا من التأليف المبكر في العصر الحديث (اواخر القرن التاسع عشر) .

٢ - جمل « كتاب » من اصل العنوان ، كما حدث في التراث ، وقصدا الى الاحتفاظ بطابع تراني والا فالؤلف في صميم الجديد الغربي والشرقي ... ثم الاحتفاظ بالسجع ...

٣ - قوله ب.ع من الترجمات المبكرة في B. A. ٤ - احد معلمي ... اشارة الى ان الانقلاب العلمية للاستاذ الجامعي لم تولد بعد . فهو اكثر من معلم بالمصطلح الجامعي ، وقد مضى عليه في تدريس هذه المادة نحو من ست سنوات .

٥ - المدرسة الكلية ... معروف انها الاسم الاول لما يصير « الجامعة الاميركية » ، ويعني ان كلمة « جامعة » بحروفها العربية لم تولد بعد او انها لم تصبح مصطلحا .

٦ - تنبه المؤلف الى شرائط التأليف الحديث - غير بعيد عن القديم . كتب « مقدمة » ، اللفظة وحدها تكفي بدلائنها على « بيان الغرض الداعي الى تأليف هذا الكتاب » ولكنه لانه في عهد مبكر وضع مقدمته بهذا السطر الذي لا حاجة اليه كما ثبت الزمن .

وقد عرض في « المقدمة » خطته - كما يقتضيه التقليد النهجي : « اني بعد ان مهدت في علاقة العلوم الثلاثة النحو والبيان والمنطق ... قسمت الكتاب الى ثلاثة اقسام ... »

وهذا سليم ولكنه عندما عمل فهرس كتابه لم يثبت كلمة قسم ولم يرقمها فلم يقل : القسم الاول ... القسم الثاني ... القسم الثالث ...

ثم انه كان يضع عناوانات داخلية لم تثبت على مر الزمن مثل « خاطرة » .. ومثل البحث الاول ص ١٠٣ ، البحث الثاني ١١٢ ، البحث الثالث ١١٨ ترد اثني عشر بالمفاجئة ، ومثلها فصل ص ١٥٩ و باب ص ١٩٥ . وهذا يدل على مرحلة البداية في منهج التأليف ورسم الخططة .

٧ - من جميل ما عمل في المقدمة ان دعا المشتغلين بالموضوع ان يبدؤا له ملاحظاتهم واستعمل لذلك « ... ان ينتقدوا علي ما كتبت ... واستعمال ينتقد على هو الصحيح ولكن « على » هذه سقطت على مر الايام ...

٨ - قال في ختام الكتاب « انتهى ما اردنا تعليقه من مسائل المعاني وكان الفراغ من تبينه ... سنة ١٨٩٦ مسيحية ... »

١ - يقصد بتعليقه بيانه او كتابته والتأليف فيه - والكلمة ترائية زالت على مر الايام .

ب - قال مسيحية ولم يقل ميلادية ، وقد تكون الاصح ولكنها لم تشع .

٨ - جاء ص ٨٤ : « ققول الخريزي يرثي ابنه : ولو شئت ان ابني دسا ليكنه عليه ولكن ساحة الصبر اوسع واعنده ذخيرا لكل ملهمة وسهم المتنا بالذخائر مولع ذكر ذلك شاهدا على حذف المفعول به .

الصحيح : يرثي خريم بن عامر بن عمارة بن خريم . ٩ - طبع الكتاب طبعة ثانية في بيروت سنة ١٩٣٠ ، اشرف عليها « نجيب جبر ضومط وقال في مقدمة الطبعة : « في اواخر العام الماضي كان والذي بعيد النظر فسي هذا الكتاب ، اول كتبه الرسمية ، ... لكن توفاه الله قبل ان ينجز عمله كما احب ... كان قد تقع بعض صفحاته فاثبتها كما جاءت بخط يده . سوى اني قد غيرت فسي تنسيق ابوابه وترتيب فصوله ، واخترت للفصول عناوانات تتناسب حروفها مع مباحثها ... »

وهذا يبين التطور الذي حدث في مفهوم المؤلف العربي عن التبويب ، وقد وردت كلمة « خطة » في وسط المقدمة عنوانا لفقرة منها .

اما القول ان الخريزي يرثي ابنه فقد بقي كما هو - خطا - .

١٠ - اعادت مكتبة لبنان - بيروت هذه الطبعة - بالافوست - كما يمكن القول - دون اي تغيير او ذكر لتاريخ هذه الطبعة الثالثة والسبب الموجب اليها - والاناسب - ان لم يكن الواجب - الذكر . ومن لم يقع على الطبيعة الثانية يحسب طبعة مكتبة لبنان - بيروت هي الثانية .

(٤)

« مختارات المنفلوطي » - جمعه المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة د.ت. تاريخ اهداء الكتاب ١٥ مارس سنة ١٩١٢ ، القاهرة . ١ - ص ٣٠ « منظر في صاحب ابي تمام وصاحب البحري للامدي » - وفي الدليل : « الظاهر ان الامدي

ملحة القصص

هم اخبروني منيتي
ان القصص قد عسى
راسك كالوحيش مقطعا
ضفدائس الشمس
فقطت حسالا ورمجت
رؤسة بسلا شجر
وحينما انتهت رسمسي
تحت الحسان المطر
رايت انه كمان
ساحر بلا وتر
قدست لوحي .. رميتها
باسراب الفجر
وكان دمعي فون خدي
جسولا رث الصبور
يرسم لوحات بالوان
الخريف والكسر
وعندما رايت نفسي
بين امواج الفجر
فصررت كالطفل الصغير
ان اكذب الخبير

وجدة - القرب محمد علي الراوي

بنفسه اغراض واضحة يجب ان يبرزها الناس في الشوب
الذي يناسبها على تفصيل مودة الاذواق الحاضرة ...
كانه يستعمل « المودة » - من اللفظة الفرنسية التي
ترسمها الصحافة المصرية على الموضة .

(٥)

« الادب وفنونه » - تأليف الدكتور محمد مندور ،
القاهرة ، دار نهضة مصر دت (الف سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٥٥ « ولدنا في العصر الوسيط ملحمية
(الشاهنامة) من الشاعر الفارسي الكبير « الفردوسي »
وقد ترجمها المرحوم عبد الوهاب عزام ... »
لم يترجمها عزام وانما حققها وقدم لها ونال بتحقيقه
الدكتوراه . اصدها في القاهرة سنة ١٩٢٢ . اما
المترجم فهو البشاري التوفى سنة ١٩٤٢ هـ - ١٣٤٥ م .
وقد ترجمها نثرا وباختصار .

علي جواد الطاهر

بنفاد - كلية الاداب

فرض هذه المناظرة فرضا ليمثل فيها رأي المتشعبيين لدينيك
الشاعرين .

افتراض يحترم ، ويحسن ان يعلمه دارسو « الموازنة »
ويحفظوا المنطوطي مقامه فيه .

٢ - « حقيقة البيان » لبعض الكتاب
المتقدمين : « ان المعاني القائمة في صدور العباد
المتصورة في اذهانهم والمختلجة في صدورهم ... متورة
خفية وبعيدة وخشبية ... وانما تحيا تلك المعاني فسي
ذكروهم لها واخبارهم عنها ... »

صاحب هذه السطور من « المتقدمين » الجاحظ في
كتابه « البيان والتبيين » - ينظر تحقيق عبد السلام
محمد هارون ج ١ ص ٧٥ .

٣ - « الشعر » لآحد الادباء المعاصرين :
« كتب الي كاتب يقول : عرفناك قبل اليوم شاعرا ما تكتب
فقرة ، ثم رايناك بعد ذلك كاتبا ما تنظم شطرة ... ؟ »

يدو لي - بدرجة اليقين - ان « احد الادباء
المعاصرين » هذا هو المنطوطي نفسه وانه كذلك حيث ترد
هذه العبارة في كتابه كما في ص ١٦٠ « البيان » ، وص ١٧٧
« ادوار الشعر العربي » .

٤ - ١٩٧ « فكان شعراء اليونانيين الرومانيين
يسمونهم (الموز Muses) ويفسرونها بالهة الشعر ... »
الصحيح : شعراء اليونانيين والرومانيين .

٥ - ص ٢٠٤ « ذم الفرة لبعض الشعراء المتقدمين :
ما احسن الفرة في حينها والجمع الفرة في كل حين . »
الابيات للخريفي (ابي يعقوب اسحاق بن حسان

التوفى سنة ٢١٤) - وقد تنسب لسكين الدارمي .
والخريفي البستان اللذان وردا على ص ٢٠٦ .
« اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ... »

٦ - ص ٢٠٦ :

وكان راينا من غني مدمم وصولك قوم مات وهو حبيد
في رواية البيت خطأ مطبعي صحيحه : وكان راينا .
وفي الكتاب اخطاء اخرى « لا تخفى على اللبيب » ،
ومنها ما يعود الى اللسان المصري الدارج

في لفظ النزال زايا كما في ص ٢٢٦ ، فقد
وردت « عازر » وهي عازر ، ومنه غير ذلك كقول

ابي حاتم من مروان ابن ابي حفصة ص ٤٥ : « شاعر
يستحسن كلما جاء منه ... » والصحيح : كل ما ، وتكررت
ص ١٢٢ منسوبة لقلم الشيخ نجيب الحداد : « انقل كلما
رايته ... كل ما ... »

٨ - « مختارات المنطوطي » هذه التي وقعت لسي
(ط . السعادة) في جزء واحد ، وليس فيها ما يشير الى
الاجزاء .

وفي « اعلام الزركلي » : « مختارات المنطوطي - ط »
الجزء الاول . وفي « مصادر الدراسة الادبية » لدافر :
« مختارات المنطوطي » - مصر ، مطبعة المعارف ، جزآن .

٩ - ص ٧٧ « في نظرات المنطوطي لاحمد لطفي بك
السيد » قال : « من الكتاب من ... لا يكتب الا اذا قامت

في طريقي ، خف كي يصحبني
واجافيه لكي يتركني
ارسل القبول كما يحضرنى
والذي كابدته من محني

نمي (معروف) فاذكي حزني
تكد العيش وبؤس الزمن
اوشك الفجر تسنى وسني
ماج بالمطر وبالزهر الجني
شجرا راح عليه بنحني
كل فن عنده يعجنني
من يشاهد خفقاها بفتن
كرباب في اعالي القنن
فتنة تدهش اقوى الفطن
من زبي الخلد باحلى موطن
اذ ارى في الصور ما يذهلني
انها الرعشة هزت بدنني
قدمت من اوجها تسعدني
بعض تخفيف لما يثقلني
انبت فيه من غناء مشجن
علوي ، ما الذي ينقصني
وعلى الايكة طير الفنن
مشرق البدر لكي تشهدني
منه كي تطفئ وهج الشجن
لفراقي ؟ ذاك ما حيرني
في ثياب انت ام في كفن
اصفير انت ؟ هل تفهمني
لهمو وجهك كي ترضيني
تصفي غير الذي حطمني
ان (معروف) اتى بخبرني

كان في نفسي ولم اختزن
زدت فيما قلت ، كي تعزني

محمد رجب البيومي

كان (معروف) اذا ابصرني
فاجيبه بلقط موجز
ثم لا يعصني فاضطر لان
وحديشي كله عن زوجتي

وعلى غير انتظار حزني
ببيت الليل في سخط على
ضجرا في مضجعي حتى اذا
فاذا مرج بهيج اخضر
حول نهر صورت صفحته
انه الفردوس ، سحر رائع
واذا اجنحة يفضي به
ترسل النور طيوبا حطقت
وهفت تدنو من الارض فيا
اذ عدت حورا حمانا تذهي
عجبا اشهد ما يدعمني
انها الالهة رجعت خالقي
هذه ليلاي فيهن فهل
علمت وجدي فخفت ترتجني
هفت لم استطيع تبرئها
انا في الفردوس احيا في رضا
انا في الجنة ، طل وشذى
انا في البدر سناه فارقب
انا في النهر زلال فارشف
لم تغدو هكنا مكتبا
لم تغدو ذابلا ممتقا
صبر الاطفال ياسا فاضطر
انت لطف الله فيهم فائر
قلت من نباك الامر فلم
فاجابت في هدوء وانق

ليتي حدثت (معروف) بما
صار للاخري بريدا ليتني

الرياض - كلية اللغة العربية

آه .. آذن هي سقطت منه ..
ولم يكن ضربه الا كالثقل كنت تريد
ان تستوقفه ، لتردها اليه ..
لقد دُعر حينما وآتني .. ولم
يقبل ان يلتفت الي ..
وارتست الحيرة على وجهه
الجدور حينما سألته اخته بفتة :
— وماذا سنعمل بها ؟! دعنا نر
ما فيها ..

استجاب لرايها ، وفتح الحافظة
.. فندت عنهما صيحة فـرح ،
امتزجت بالدشة والذعر .. عندما
برزت من الحافظة اوراق حمراء من
فئة العشرة جنيهات .. اخسدا
بحصيانها .. وفي كل مرة كان يصاب
الاحد بنوبة سعال ، فيخطئ العد
... على ان المبلغ لم يكن يزيد عن
السبعين جنيها .

رد الاحد كل شيء الى مكانه ،
وبرق عينيه يزداد تالقا .. فقد
طاف بخياله كل مكان يحبه .. ولمس
ييد وجلة كل ما تستهويه نفسه —
هو واخته .. ومضاض استطاع فيها
ان يحاكي واخته حيث ينغمسا بالمرمان
.. وبعدما عاد حيث شده ثقل ما
وقع فيه ، نفث راسه الكبير ، وقد
انتشله من فترة صمت خالها ازلية ،
ثم ابتدر اخته قائلا :

— انظنين اني لا اعرف قيمة هذا
المال ؟! ليسخطني الله اذا كنت
لا اعرف ذلك ..

ونفض متحاملا .. وساقاه
الموجان تضطربان ، ثم جعل يدور
حول نفسه ، ويغفر في ابتهاج .. ومن
خلال رقصانه كان يشاهد اخته
جالسة — تقضم رغيها ابيض معشوا
بالجين الرهمي — مع جماعة من
اترايها .. وقد التفوا حول نار
مضطربة ، ليستدفوا بينما انغم
اليهم ابن الحاج المتسول .

ثم توقف بفتة ، وقد دفع يده
في جيبته ، ثم تطلع الى ما اخرجته
تارة .. والى الحافظة اخرى ...
ثم بسط يده — اخر الامر — بما فيها
لاخته .. وقد لاحت على وجهه

اخته ، وهي تحضر الملح من احد
التقوب ، واقسمت برحمة امها ان
الطعمية من عند الاعرج .. وليست
من عند الحاج .. اذ ان الاخير
لا يعطيها شيئا بلا مقابل .. وحتى
او فعل ذلك فهي لا تقبل منه شيئا
منذ ان صفع اخاها وطرده من
الحل ..

تناول الاحد نصف الرغيف
مهمما في تعثر :
— لقد كان معي — يومئذ — ثمن
ما اردت شراءه .. الا انه ضربني
على فكاي ، وهو يرعد قائلا :
— اخرج يا ابن البلية .. انسا لا
ادري اين الحكومة لتجمع هذه
الآفات ، وتحرقها ؟!
— وهل يكون عليه ان يحرق



يقلم محمد حسين عبد المحيد

ابنه — ذلك — الذي تركه يتسول
بعد ان مات امه ، وتزوج — هو —
غيرها .. ؟! على رايك .. لقد هان .
وما ان انتهى الاحد من تناول
طعامه حتى دفع يده الشوهاه تحت
طيات اطماره ، واخرج حافظة
تقود منتفخة .. فصاحت اخته
مشدوحة :

— كيف تجرات وسرقتها ؟!
ورحمة امي انك ذاهب الى النار ..
فكسر الاحد عن انيابه .. وبان
غضبه عاتيا .. فاندفعت اخته قائلة
... وكأنها تقرا تعبيرات وجهه :



ارخي الليل سدوله .. والمطر يفرق
كل شيء .. والطريق المؤدية الى
دار الاوبرا شحيح الضوء .. بينما
توقفت سيارة اجرة ، وهبطت منها
اسرة مؤلفة من زوجين ، وابنهما
الوحيد ..

وفيها هم يعبرون الطريق — بسرعة
خوف الليل — تثبت برب الاسرة
احد صغير ، كان قد انطلق — من
تحت صندوق للقمامة — صويهم اثر
هبوطهم من السيارة .

غير ان الرجل قد دفع الاحد
بعض — مبته الاشمئزاز — جعل
الاخير يتراجع ، ويسقط في وحل
الطريق ، بعدما اختل توازنه ، لثقل
حديته .. بينما دلفت الاسرة الى
الاوبرا ...

ومن تحت صندوق القمامة —
ذاته — اندفعت طفلة مسرلة ، مبتتة
الجسد صوب الاحد ، وهي تخرج
صوتا راعشا من بين اسنان صغيرة
مصطكة .. وراحت تجره ، محاولة
رفعه من الوحل ، لئلا تدمسه
السيارات اثارقة .

وما ان نفث الاحد على ساقه
الموجتين ، حتى اخذ يطلع ، وقد
اعتمد بذراعيه على كتف اخته ، التي
جعلت تعنته ، لانه لم يابه لها حينما
حاولت استيقاذه .. وعند الصندوق
اخذت الطفلة تزبل الوحل العالق
بجسد اخيها ، وتعصر اسماله .. وما
ان انتهت من ذلك حتى تلفت حولها
متسائلة عن حقها الذي افتقدته ..
وما ان لحته ، والرياح الباردة تدفعه
في عرض الطريق حتى هرعته اليه ..
وجععت اعقاب السجائر التي تبعثرت
بعلم التقطته ..

وبعدما عادت اخرجت رغيها من
قاع الصندوق ، حيث كانت تخفيه
تحت القاذورات خشية الليل ، ثم
هتفت ، وهي تتحسس ما بداخله
ان الطعمية لا تزال ساخنة .. ودمعت
اذاها الطعام .

فزمجر الاحد ، وزوى ما بين
حاجبيه ، ملنا غضبه .. فتأوتت

وعلى صرخاته استيقظت اخته مذعورة في الصباح ، فالفته جاحظ العينين ، محمرهما .. والحمسى تسحق عظامه الهشة .. نهضت بثلث والدعير يطل من عينيها ، واستطاعت اخته ان تستخلص من هذيانته من ان هناك ما كان يطارد في منامه ... اشياء اشبه بالسنة النيران .. ولكنها كانت تنبثق من الحافظة .. ثم صاح في يأس بانها نفس الاوراق التي كانت تحصل عليها امه لكي تشتري لابيها الاقوين الذي كان يعطاهما .

والتي نفسه يفكر في ام الاحدب الجميل .. تلك الام الحسنة ، التي تلوح عليها سيماء الرفاهية .. وعزا ذلك الى زوجها ، الذي اصبح بجعله ويشعر نحوه بالحلم العميق .. حتى انه اصبح مشدودا اليه ، محاسولا ان يراه بثاقب بصيرته .. وماذا عساه فاعل بعدما فقد حافظته بما فيها من مال .. اعتقد انه ربما يدخره لعلاج ابنه من حبيبته قبل ما تنمو وتستفحل ..

وفي اعياء شديد بدأ يطلع مع طلوع النهار ، ثم جعل يقفز من سيارة الى اخرى ، وفي يده البطاقة المحتوية على اسم صاحب المال وعنوانه .

وبعد لاي استطاع الحصول على مبتغاه .. ومن ثم راح يصعد الدرج .. وامام احدي الشقق توقف ، ثم طرق الباب الذي ما ان فتح حتى انصقق بشدة .. كرر ذلك في كثير من الابواب .. ثم طفق يهبط الدرج ، حيث اجا الى البواب الذي ما ان رآه حتى استشاط غضبا ، لسم ينطقه الا بعدما رأى البطاقة ... وبعد تردد منه اشار على الاحدب ان يصعد حيث الطابق الثالث ..

وهناك طرق الاحدب باب الشقة المقصورة بالحاج شديد جعل السيدة التي هرعت لتفتح بابية الضجر ... على ان الاحدب ما ان رأى تلك السيدة حتى تعرف عليها من فوره .. لذا انفرجت شفتاه عن ابتسامة بدت قبيحة بقدر ما كان يقصد بها

حيث القاعة الكبرى ، التي الفاهما غاصة بالنظارة .. سار في العمر الى منتصفه .. وما لبث ان قفل عائدا بعدما ادرك انه لن يستطيع العود على ضالته .. غير ان صوت الكمان ، الذي انغرد بالعزف قد استوقفه ، وشد انتباهه ، فاستدار ، فافسر الفم ، ونسي نفسه في وسط الممر .. تعال .. ايها القزم .. لقد ظننتك بادى الامر كلب احد السادة ، تروح وتجيء كما يحلو لك .. باغتته الحارس العملاق بذلك عند الباب ، وقد اطبق على عنقه ، وراح



محمد حسين عبد المجيد

يضربه على حبيبته الى ان بلغ به الطريق ..

عاد الاحدب الى اخته ، وهو يكتم شكواه من الالم .. ثم اندس الانثان داخل الصندوق .. على انه ما لبث ان اخذ يهذي ، وهو يسعل تارة ، ويعطس اخرى .. وبعدل اي اخرجت اخته اعقابا جافة كانت محتفظة بها .. وراحت تشعل له الواحدة تلو الاخر ، ليدخنه ، الى ان امتلأت رئته بالدخان ، وانفلق رأسه من السعال ..

سيماء من حزم امره .
- ما هذه ؟ خمسة قروش .. مرة واحدة ؟
قالتها في دهشة .. وكأنها سالت ما بالحافظة من مال .. فرفع الاحدب رأسه بعد نوبة سعال حادة .. واجاب :
- لقد التقت بها السيدة فسي

حجري ..
- آه .. لو تعلم انها خمسة قروش ما اعطتك ايهاا .. ويشعور من الاحدب بالمرارة قال ان السيدة اعطتها له وهي على يقين من انها خمسة قروش .. محتجها له لانه يشبه ابنها في .. في حديثه .. وتراءى له الطفل الجميل الذي كان يلبس معطفا فاخرا ، مبطنا بالفرو الناعم الذي استطاع ان يلمسه باصبعه القادرة .. وسقطت عيناه على رجله المشوهتين ، ثم انتقلتا حيث رجلي الطفل المتعنتين حذاءا احمر مبطنا بالفرو ايضا .. ثم نفث رأسه من حيث شرد .. وامسك برجله المتجمدتين ، وهو يهيب باخته ان تخرج من الصندوق لتشتري لهما طعاما بالخمسة قروش كلها ..
- كلها ؟
- اجل .. كلها ..

وانطلقت الطفلة لتحضر الطعام . بينما لم يكد ينفرد الاحدب بنفسه حتى استغرق مفكرا في صاحب الحافظة .. وزوجه الحسنة ... وابنيهما .. وعقدت الدهشة لسانه حينما تذكر الصفحة التي تلقاها من الرجل ، مع ان ابنه يشبهه فسي حبيبته .. على انه ما لبث ان تحقق من ان مرد فزع الرجل الى ما هو عليه من حال .. وانه اعطاه الصورة التي يمكن ان يكون عليها ابنه فيما بعد ..

واذمن لنوبة سعال حادة ، بددت افكاره ، وجعلته يخرج من استغراقه ... فاخذ يطلع متجهها صوب الاوبرا ... وهناك دخل متسلا

اكتب لي

اكتب لي ، اكتب اشعارا
اشعارك تنضر احلامي ،
اكتب لي ، اني ظائمة
ردد لي قولا اعشقه
هل تطمع ان قلت : الدنيا
صدقني ، وجداني ملك

اشعارك خبزي الروحاني
اشعارك تفسح اشجانني
لكلام حلو ريسان
« اهوالك » . بربك تهواني ؟
في عيني باقة الحنان
لنجاوى شعر وجداني

تسألني : ماذا من شرهي
بي انثى ايقظها حب
ابكي ام افرح ، لا ادري

لهوالك السمح النيسان
من غفوة عمر وسنان
افرحني الحب وابكساني

همسا شعري التخنان
فراثني بشت الجيران
قالت لي قولا اذاني
ورثت لي جبي الصباني
كم ذقنا طعم الثيران

اكتب لي ، جيد ايماني
شعر احياه ويحياني
وجهي ؟ هل يوما تنساني
قل لي ، يا اغلى انسان

امس استوحشت فلم اسمع
ووقفت اداعب شباكي ،
حاسدة ، اذنتي لسا
زعمت لبي انك تهزأ بي ،
يا لست قدرت فاخبرها

اكتب لي ، سيد احزاني ،
ينسيني احزان الدنيا ،
اخبرني ، هل تنسى يوما
هل تترك لي ذكرى تدمي ،

فوزي عطوي

المصى المشرعة ، والمكاس تندفع
مقبلة على الدرج ..
.. هكذا .. يا اولاد الحرام ...
تاتون السرقة في .. في .. والله
لا قضين عليك ... !!
ورفع البواب هراوته للانقضاض
على الاحدب دونما رحمة .. فصرخ
الغلام اثر ضربة مؤلة ، وهو يمد يده
لهم بحافظة النقود ... !

القاهرة محمد حسين عبد المجيد

بشدة ادهشته وجعلته يترك الباب
من جديد وهو يتراجع الى الوراء ..
فتحت السيدة مرة اخرى .. على
انها ما ان راته - هو نفسه - حتى
صاحت فيه مغتة .. فخرج الزوج
مهرولا .. بينما صعد البوابون في
ضوضاء راعدة .. فمزجر الاحدب
محاولا تخليص الحافظة من تحت
اطماره ، التي كان قد اعادها اليها ..
وقد استبد به الغزع عندما رأى

صاحبها العرفان بالجميل .. ثم دنا
من السيدة ، وهو يخرج الحافظة
من ثيابه المهلهلة في عجلة ، وارتابك ،
مما ازعج السيدة ، وجعلها تتراجع
... بينما لسان حاله يقول :
- الا تعرفيني يا سيدتي ..؟ انت
التي اعطينتي الخمسة قروش ليلة
امس ..

كان بشعا .. فتدت عن السيدة
صرخة هلع ، جعلتها تصفق الباب

من كل واد عصا

بقلم عيسى ميخائيل سابا

• • •

يسمعنا المذبح بين الفينة والفينة اصوات اناس يتصدون الى اللغة ، وكأنهم يبذلون غيرة عليها زاعمين ان ما يصلحونه من خطأ في زعمهم هو الصواب ، وما يزعمون انه خطأ يكون هو الصواب ، وفاتهم ان من اراد ان يتصدى لمثل هذه الابحاث يجب عليه ان يعرف الى كتب ارباب اللغة ولا سيما العلماء الكبار المشهود لهم بصحة ما يقولون وما يشتون في كتبهم كالخليل ابن احمد وسيبويه وابن جني وابن قتيبة وابي العباس المبرد والقالي والسيرافي وابن سيده وغيرهم كثير ، وان ينقب في معاجمهم ومقالاتهم كما فعل الشيخ ابراهيم اليازجي ولمين ناصر الدين والجندي وحتين ومن لف ملفهم وطرس على متواليهم كالعلامة محمد العدناني حديثا .

وليس مجرد القول : هذا خطأ والصواب كذا غير مؤيدين قولهم ببرهان او اجتهد ، وكأنني بالبعض منهم يرغبون في اثبات وجودهم « ولو كسرنا ميزاب المين » سعياء وراء الشهرة عن طريق معوج لا اثر للاستقامة فيه من ذلك ما اسمعنا احدهم قال : « يقولون حضر الوزير الفلاني بنفسه ممثلا لرئيس الجمهورية » وانكر دخول الباء على نفس وحسب ذلك خطأ وهو لو رجع الى كتب القواعد الموثقة بكتاب نار القري في جوف الفرا المختصر بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي في باب التأكيد (١) لوجده يقول : « واعلم ان النفس والعين قد تجران بياء زائدة نحو جاء الامير بنفسه فيجري عليهما اعراب التبوع محلا » وقوله : لا يقال « وردني كتابك » بل ورد علي كتابك « ليس فعل ورد فعلا متعديا وقد يأتي لازما اما المتعدي فقد ورد في بيت للمنتبى قوله :

رد اذا ورد البعيرة شاربيا ورد الفرات زئيرة والتبلا
ففعل ورد هنا قد تتصل بضمير النصب فتقول
« وردني كتابك » وقد استعمل هذا التعبير غير واحد من

(١) ناد القري في جوف الفرا للشيخ تاصيف اليازجي المختصر
بقلم والده الشيخ ابراهيم ص ٢١٠ .

(٢) رسائل الشيخ ابراهيم اليازجي طبعة يوسف توما البستاني
مصر ص ٦٩ .

(٣) راجع لفظ الحيط مادة دون .

البلغاء منهم الشيخ ابراهيم اليازجي قال : « وردنسي كتابك (٢) » .

وقد يأتي فعل ورد لازما كقول الشاعر :
ورد الربيع فوجبا بسوروده ويشود بهجته ونسود وروده
فورد هنا فعل تفضن معنى جاء فكما تقول جاءني كتاب زيد تقول « وردني كتاب زيد » ، وقد انكر ان يكون لفظ الطير مفردا وقال انه جمع مستشهدا ببيت امرئ القيس :

وقد القسي والغير في وكتها بمنجود قيد الاوابد هيكل
وهو لو رجع الى المعاجم لوجد ان الطير تقع على الواحد والجمع معا ، والطير بالفتح مصدر طير وجمع الطائر وقد يقع على الواحد ومن امثالهم : كان على رؤوسهم الطير اي ساكنون هيبة ومنه قولهم : لا طير الا طير الله ، واخرج اخناه طيرك اي جوانب خفتك وطيشك .

وزعم ان دون لا تجيء الا مقرونة بالياء ، وفاته ان دون تقيض فوق ويكون ظرفا بمعنى اسفل وبمعنى امام وبمعنى وراء وبمعنى فوق وبمعنى غير الى اخره وهذه لا تلزمها الباء قطعا فتقول : حال الامر دون فلان ، وتكون اسم فعل بمعنى خذ نحو : دولك الكتاب اي خذه ولكن اذا كانت بمعنى قبل دخلت عليه من والياء قليلا (٣) ويقال دونه خرط القناد اي امامه . ويقولون ان هذه المادة لم تذكرها المعاجم كما في جمع ضريح على اشرح وهو مقيس كطريق واطرق وكذلك فان نهار يجمع على انهار مثل زمان وازمان وانشد النابغة الذبياني :

تروتن من انهار يوم حليلة الى اليوم قد جرين كل التجارب
وانكرت المعاجم تبديت بمعنى ظهرت بل قالت ان معناها سكنت البادية ولكن قيس بن العظيمة اليربسي استعملها بمعنى ظهرت فتقوله :

تبديت لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجب منها وغنت بحاجب
وقول اخر :

وبعدت ليس كتابها بعد السماء اذا تبديت ولم تذكر المعاجم لثم بمعنى قبل بل قالت : التمنت المرأة : شدد الثام على قمها مع ان عمر بن ابي ربيعة استعملها بمعنى اكثر من اللثم « القبلات » قال :

ربيع لرخس البنان مختضب طوبى لمن بات وهو يلتهمه
وقال ابو العلاء المعري :

من كل ازهر لم تاتر ضمائره لثم خد ولا تقبيل ذي اثر
فتمت ينظر اصحاب المعاجم الحديثة بالشعر القديم وياتون بالمعاني المستعملة عندهم غير متكين على ما قال مؤلفو المعاجم في العصر العباسي فقط وقد وضعت لغير زماننا فنكتفي شر الجبلية .

عيسى ميخائيل سابا

لحن الجوى

التقيت امير الشعراء احمد شوقي صيف عام ١٩٢٥ في بيروت ،واسمعت
قصيدتي الآتية ، التي اعارني بها قصيدة ابن زريق البغدادي المشهورة ،
التي مطلعها :

لا تملئيه ، فان العذل يولمه قد قلت خطأ ، ولكن ليس يسمعه
فانجب بها ، واقتنني بالتحول من كلية الطب الى كلية الآداب ، فليت
رغبة والذي الروحي ، واستاذني الاكبر في الشعر . وانا ارجو ان
اكون قد خلقت فراسته في ، ورأيه في شعري :

وزلزلت من دنو البين اضلعه
الجبك ينجسه ، والوجد يدفعه
يوم الفراق ، وما ترويه ادمعه
وللدموع حديث لست تسمعه
لروعتك الزايا ، وهي تصدعه
غير الهوى جامعها ما كان يفرعه

الا عدا الدهر نحو البؤس يجمعه
الا انبرى الشؤم في ابن الصدر يزعه
لي الليالي سوى صبري ارقعه
والهم في الصدر كالنيران يلذعه
صب ، فراقك كاداليوم يصرعه
في كاس بلسواه الا راح يجرعه
فالدهر بي يا سليمي سوف ينجعه
مني الآقي ، فمك النبل منبعه
بلحن قلبي مفتونا امتعه

صرف الزمان ، وبالكفن يصفعه
يا حب سلماه، حتى جنت تخضعه
من سبهه في تهاويل تروعه
تعاقي الاقي ولهى ، لا تودعه
لبثها حر اشواق تضعفه
بالويل ، فهو معنى القلب موجهه
كان للحب لحننا راح يوقفه
سلمى بنفع ، فذلك الضر ينفعه
منها ، فصدري ببيروت يرجعه

اشراكها لي ، وفيها السحر اجمعه
والحسن اسدل فوق الوجه برقه
الا تاجج بالاشواق مريمه
لولاك سلمى من الوجد اربعه
وان اتت ملكات الحسن تفرعه
حتى يوافيه في الحب مصرعه

محمد المدناني

ما للموله سالت منه ادمعه
رايته عندها ، والدمع مضطرب
فخلت نفسك تسدري ما الم به
فلما في مراث لست تعرفها
وفي الضلوع اثنين لو اصخت له
وللفؤاد وجيب مما درى ابدا

ما فرق الحظ بؤسي مرة خطأ
ولا افعلت اسي في الصدر منيته
جارت نواك على قلبي ، فما تركت
فالوجد مضطرب ، والياس محتدم،
فاغذي الحب حتى لا يراعي اسي
فحسبه انه ما صب من الم
ان كان قلبك لا يرثي للوعته
فكنكني بشفاف القلب ما نزلت
وانزليني فؤادا ، رحت في شفت

اما كفى الواله الثاني يزلله
الم تر الوجد يبريه ، وينهكه
فانليل لا ينطوي حتى يخلفه
وفي الهجير تظل الشمس واقفة
كان يوشع اغوته ، فامهلها
وحالة الصب في بيروت مندرة
يرف في جنبه ناقوس اضله
ان مسه الضر من امر يعود على
او الاين غدا في السوق منبعها

يا هالة الروح ! كم من غادة نصبت
حورية من جنان الخلد قد شردت
لئن سالت التي لم يلقها رجل
لانبائك بانني مدنف محملت
به حلت ، فلم يفتح لفانيسة
سيحفظ الود خفاقي ، ويجرسه

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحجاز ... وستجد الدعوة لهذا المؤتمر الاسلامي متى تمهدت وسائل الإصلاحات » .

كان هذا قبل اليوم بنصف قرن تماما . ولعله مسن المفيد تاريخيا ، قبل السير بعباب هذا الفصل الذي انتحي به منتحيين : بسط جانب من نضال السيد الحسيني في المؤتمر لنصرة الثورة السورية التي كانت تتناوح رباحها في جبل العرب وقتئذ ، وبسط نقاط من التيارات الاسلامية و «الاسلامية» التي ظهرت على يد الوفد التركي نسي المؤتمر ، لعله من المفيد قبل هذا ان نوجز للقارئ الكريم ، ولاسيما اذا كان من الجيل الصاعد الموفق ولكنه لم يعاصر شيئا من حوادث تلك الايام قصة الحرب وعلى ان ابيين تبيننا اني انما اتم الماما بوصف كبرى حوادث هذه الحرب ، دون ان اعرض اقل تعرض لاسبابها السياسية بين البيت السعودي وبني هاشم ، فذلك خارج عن النطاق المقصود .

واعترف بانني جد حريص على هذا كله ، بتوفيق الله ، اذ باعتقادي ان مؤتمر مكة سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٦ كان من اهم المؤتمرات الاسلامية العالمية في ما طرح فيه من قضايا ، ونجم منه من تيارات لا تتفق ومصالح الاسلام والمسلمين على يد ادب ثروت رئيس الوفد التركي . وما عدا مؤتمرات جامعة الدول العربية ومؤتمرات القمة الاسلامية والعربية ، فان مؤتمر مكة سنة ١٩٢٦ في الذرة والقمة .

في ٥ سبتمبر ١٩٢٤ سقطت الطائف بيد القوات السعودية وفي ٣ اكتوبر ١٩٢٤ تنازل الملك حسين لولده الشريف الملك علي ، وبعد مدة والحاج الاحوال ، برح الملك حسين مكة ثم الحجاز ، وتولى الامر الملك علي ولكن كانت مكنته مروجعة ، وكان بوسع القوات السعودية بمؤمدا ان توالي السير الى مكة المكرمة ، وجدة ، والمدينة المنورة ، لان الامام عبد العزيز يكره سفك الدماء ، ويتقي القتال في حرم الله بوازع عقيدته الاسلامية ، فامر الجيش بان يقف مكانه حتى جاء هو الامام بنفسه ، ودخل مكة مع جيشه محرما بالعمرة في ١٣ اكتوبر ١٩٢٤ وجعل بعسد ذلك بنائي حتى تمكن الحسين وعلي من تحصين جدة قدر الامكان ، واراجا العزيز الزحف على المدينة المنورة ، مكتفيا بمحاصرها حتى اخذت اخيرا بغير قتال . اما جدة فكان حصارها الشديد بين يناير وبونيسو ١٩٢٥ وسقطت في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٥ وكان الاستيلاء على المدينة المنورة بغير قتال في ٥ ديسمبر ١٩٢٥ ونسي ١٩ ديسمبر تنازل الشريف الملك علي ثم برح الحجاز .

وفي غضون ذلك ، اصدر الامام عبد العزيز ، رحمه الله ، هذا المنشور المتعلق بعقد مؤتمر اسلامي .

وهذا المنشور نشرته الصحف والجلات في العالم الاسلامي (١) وبعد ان استقرت الامور في الحجاز بالامام عبد العزيز ، وجه الدعوة الرسمية الى الدول الاسلامية من مصر وايران وافغانستان واليمن وتركيا (وربما تونس) كما



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

في المؤتمر الاسلامي العام في مكة المكرمة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

بقلم عجاج نويهض

...

بعد ان استولى الملك الامام عبد العزيز الفيصل السعود على الحجاز ١٩٢٤ - ١٩٢٥ اذاع تحت عنوان « منشور عام » بياناً الى مسلمي العالم ، مؤرخاً في ٢٨ ذي الحجة ١٣٤٢ (ايلول ١٩٢٥) موجها هكذا :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومفاربها » .

ويتألف هذا البيان من خمس فقرات يهمنها هنا فحوى الاولى والثانية . ففحوى الاولى شكر الشعوب التي وقفت الى جانب الامام عبد العزيز في الحرب التي دارت ودامت نحو ٢٠ شهرا بينه وبين الملك حسين بن علي ثم بعسد تنازل الحسين في اثناء الحرب بين الامام امتدادا بلا توقف والشريف الملك علي بن الحسين ، رحمهم الله ، ومن هذا الشكر ما هو موجه الى اهل الهند المسلمين خاصة . وموجز فحوى الفقرة الثانية ان الامام عبد العزيز لم يزل : « عند قوله فيما دعا العالم الاسلامي اليه من وجوب عقد مؤتمر عام ينظر في الامور التي تهم سائر المسلمين في

• راجع « الادب » عدد يوليو الماضي صفحة ٣٦ (١) مجلة « النار » المجلد ٢٦ (١٣٢٦) ١٩٢٥ ص ٤٧٨ ومجلة « الزهراء » المجلد الثاني ١٣٤٤ ص ٢٥١ .

سوريا خمس دول وفي خريف ١٩٢٥ ضربت فرنسا دمشق بالمدافع وهدمت من احيائها القديمة البيوت والمنازل وفسى سوريا جيش فرنسي استعماري بلغ عدده ١٥٠ الفا .
واما مصر : فقد كانت في عراكها مع الانكليز ترتع في زعامة سعد زغلول .

واما ليبيا (وقبلا طرابلس وبرقة) : ففي جهاد مر مع موسوليني الطامع في انشاء امبراطورية رومانية مستأنفة ويملا البلاد بعلايين الطليان المستعمرين للاراض التي تقطى لهم مجانا على حساب اهل البلاد .

واما الشمال الافريقي كله : من تونس والجزائر والمغرب ، فالاستعمار الفرنسي كان يحول بين هذه المواطن العريزة الغالية علينا ، والمشرق ، الا ما يقع بحكم الضرورة كالبحر مثلا ، او اذا تسر ان نظفر بزعيم مغربي ، عربي مسلم مجاهد مصالح جولة رحالة في الارض الاسلامية كعبد العزيز النعالي ، فيقع لنا منه غنيمة عظيمة ! وانما كانت مصر ابدا ، حرسها الله ، صلة وصل بين مشارقنا ومغاربنا .

واما الخليج العربي : بدوله اليوم ودولانه واماراته ، وسنح الله عليه ، فلم يكن قبل نصف قرن ، الا ما كان قبل قرن ، يعيش على معاهدات قديمة مع بريطانيا هي اناحيك ومهازل . وقد طويت اليوم تلك البسطة كلها والخليج اليوم اعلى رفعة عربية وسنة ١٩٢٥ لم يكن يقع حتى في الحلم ان بعد ٢٠ سنة سيكون هناك منظمة اسمها « جامعة الدول العربية » .

يشي عن الوفود الرسمية : اما وفود الدول الاسلامية فقد كان كل منها يدور في حيز له ينظر من خلاله السي جميع القضايا المطروحة . فمصر كان يرأس وفدها الشيخ الظواهري وهو من رجال الملك فؤاد ، والملك فؤاد بعد ان صنع زعيم الترك ما صنع بالخلافة قبل سنتين بسات يشرب الى ما زين له من امل كبير من الوصول السي الخلافة . والظواهري من السنة في مصر في مؤتمرات بحث شؤون الخلافة في مصر ، وانتهى كل ذلك السي لا شيء . وظن الملك فؤاد لعل في مؤتمر مكة مخايبه ففاجئه ، فارسل الظواهري الشيخ الثمن الآلة ، الهيب المنظر ، الواسع الوجه ، الكبير العمامة ، البارع في الحديث والحوار ، الساكت الصامت ، الطالع المفاجيء .

اما وفد تركيا برئاسة اديب ثروت المحن ، ففسى جيبه وصدره وذئنه تعليمات مصطفى كمال ، وبعد الفاء الخلافة راج مصطفى كمال ، او كما لقبوه فيما بعد اتاتورك (ابا الاتراك) يتبها لخطوة ثانية : احلال الحروف اللاتينية محل العربية واقتباس القوانين الاوروبية ، او « التمرغ » ومدايرة المشرق والثقافة العربية . كان اديب ثروت في المؤتمر روح هذا كله طردا وعكسا ، ولكنه فسي آذابه الشخصية رجل مهذب .

وجه الدعوة ايضا عن طريق الهيئات والمؤسسات الشعبية القائمة في كيانها في بلادها على اساليب انتخابية تمثيلية ، الى الشعوب والامم الاسلامية في آسيا وافريقيا واوروبا ، لعقد المؤتمر الاسلامي الكبير المسبوق الوعد به قبل اشهر ، وذلك في موسم الحج ١٣٤٤ (١٩٢٦) لبحث الامور المتعلقة بالحجاز مما يهم امر المسلمين .

ونريد الامر توضيحا فنقول انه لما كانت الحرب دائرة بين الفريقين ، اعلن الامام عبد العزيز السي العالم الاسلامي مفاد ما جاء في المنشور ، فكان مسلمو الهند اشد مسلمي العالم قبولا واستجابة له ، وجعلوا يؤيدون الامام ويرجون له الظفر . ولذلك نلح من المنشور ان الامام قصد ان يوجه في المنشور شكرا لاهل الهند خاصة على الموقف المساند ببث الدعوة له في ارجاء العالم والحرب قائمة .

ومن المفيد على الجملة ان نصف الاوضاع في العالم العربي والعالم الاسلامي في ذلك العهد بغاية الاجاز :
اما الجزيرة : فبعد استيلاء الامام عبد العزيز على الحجاز ، جعلت فورا تأخذ بالمسالك الصحيحة التي تتجه بها الى الكيان السعودي الموفق الذي نرى ثمراته المباركة اليوم ، وبه يفتبط كل عربي ومسلم ، وهذا من الخير المنشود للامة العربية . رحم الله الامامين عبد العزيز وفيصلا ، ومكن في ارض العرب والمسلمين لامام خالد واخذ بيده الى تنفيذ مخططات المملكة .

اما اليمن : فكانت في حكم ال محمد الدين الائمة ، والامام يحي تراه يتخوف على استقلاله فاراه من ايطاليا وطورا من بريطانيا وثالثة من كلتيهما ، وهو في سجنه نحو حضارة العصر ، الى الانكماش اقرب .

اما العراق : فتحت الانتداب البريطاني يجتازه مراحل مقطعا بالمعاهدات مع بريطانيا وكل معاهدة اسوا من الاخرى . وعليه فيصل بن الحسين ملكا منذ ١٩٢١ . ولكن في هذه السنة ١٩٢٦ انتهت مشكلة الموصل بين بريطانيا وتركيا لمصلحة العراق اذ آل اليه معظم مساحة المنطقة المختلف عليها .

واما فلسطين : فمقودة بخزائن السلاح البريطاني الى المسلخ . والعالم العربي هاجع عن فلسطين . والى اخر ١٩٢٦ لم يكن قد دخل فلسطين من اليهود الا ٨٩ الفا . كان الحاج امين له ٤ سنوات في الافتاء ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، كانت ثورة سوريا وجبل العرب سنة ١٩٢٦ خطرا جديدا على كلا الانكليز واليهود معا . زيادة العرب في المواليذ الزيادة الطبيعية اكثر من مجموع الهجرة اليهودية .

واما الاردن ، او المملكة الاردنية الهاشمية : وعليه الامير الملك عبد الله بن الحسين ، فيعيش عربيا ما امكن وعليه انتداب باسط جناحيه على الضفتين .
واما سوريا ولبنان : فقد كانت فرنسا جعلت من

وأما العراق في المؤتمر ، وفصل بن الحسين نسي العراق ، فقد كان الحيز العراقي لبابه قضية بني هاشم في الوضع الجديد .

وأما وفد الامام يحيى ، فلم يكن له خطب ولا حناجر ، بل متمنق « بالخناجر » ، وله عيون تنزل الى اي زاوية ولعل شعاره في الظاهر : السلام عليكم وعليكم السلام ، وكفى ولم تبرز لآبران او لافغانستان شعارات متميزة بل مراقبة عن كئيب وبغناية تامة .

أما الدول الأوروبية ذات العلاقة بالعالم الاسلامي فقد كانت في الظاهر مكتفية بمراقبة المؤتمر ومقرراته ، وشغل بالها الى حد امر الخلافة . بقي اليهود والصهاينة ، فانهم باتوا صرعى التلق والخوف من عدة وجوه : لان المؤتمر والحج ، سبيلان الى اطلاع العالم الاسلامي على ما هو واقع في فلسطين من سياسة « التهويد » ، وكانت سنة ١٩٢٦ وقت انعقاد المؤتمر ، تم بها سنة على محي المندوب السامي فيللمارشال بلومر ، خلفا لهبرت صوميليسل اليهودي الصهيوني الذي مر ذكره معنا الى الان في هذه الفصول غير مرة ، وقد نعدو اليه . وبلومر هذا انما آثرته دولته ان يكون عسكريا لان الثورة السورية كانت تندلع السننها في انحاء سوريا ، ودخلت اجزاء جنوبية من لبنان القريب من المستعمرات اليهودية . وعلينا ان نلاحظ في هذا الموطن ، ان في سنة ١٩٢٠ لما اكثرت لندن اول مندوب سام ان يكون يهوديا صهيونيا ، مدنيا لا عسكريا ، وسوريا تتكور في سائلها النذر الاكثية بين فيصل بن الحسين وفرنسا ، وكل شي يدل على الصدام العربي ، بينهما ولا مناص ، انما اكثرت لندن لعلها تؤكد ان الصدام الفرنسي العربي في سوريا ستكون الغلبة فيه لفرنسا ، ولا يقوى العرب على مقاومة تذكر ، اما في سنة ١٩٢٥ فسوريا الان غيرها قبل خمس سنين ، والثائر الاول هو جيل العرب ، وهذا الجيل صنعته القتال وايقاد الثورات على الاجنبي ، وعرب ١٩٢٥ غير عرب ١٩٢٠ في سوريا وفلسطين والاردن والعراق ، لذلك اختارت هذه المرة رجالا عسكريا ومن رتبة اعلى ما يمكن ليقف بتدابير عسكرية كافية على حدود فلسطين الشمالية يحمي فلسطين من احتمال ان الثوار يمشون بشمال فلسطين .

أما الوفود التي تمثل الامم والشعوب الاسلامية ففي طليعتها وفد الهند وهو في الواقع ثلاثة وفود : « وفد لجنة الخلافة » (٢) على راسه اربعة من اقداد الرجال وهؤلاء الاربعة « اخوان علي » كما كانت تذكرهم الصحف العالمية بهذا التعبير ، شوكت علي واخوه محمد علي ، وشعيب قرشي (هو صهر مولانا محمد علي) وهو فريد في طول قامته ، وبروز رجلايته ، وامتلاء حوضه بفروب الوطنية الهندية والاسلامية ، وسمو الاخلاق وبعمد الرؤية والفروسية البقية . وبعد الحرب الثانية كان شعيب

قرشي سفير باكستان في العراق لمدة مديدة . والشيوخ سليمان البذوي العلامة الفقيه الواسع العباب . والوفد الثاني من وفود الهند الى المؤتمر « وفد اهل الحديث » وهم سلفيون ويعرف عنهم مساندة الملك الامام عبد العزيز لانهم من انصار الدعوة الوهابية في الهند . والوفد الثالث هو « وفد علماء الهند » . وقد يلاحظ القارئ لماذا رمت الهند الى المؤتمر بهذه الوفود الثلاثة ؟ والجواب ان اخواننا اهل الهند المسلمين هم اعظم مجموع اسلامي تجمعه جغرافية الهند في الارض . وهم عندهم تيارات اسلامية عديدة ثم ان العالم الاسلامي كان يجتاز مخاضا شديدا . فتركيا بقيادة مصطفى كمال اخذت بعد ظفرها باليونان وصلح لوزان ١٩٢٣ وتصفية ذبول قضايها في قسمها الاوربي ومن ذلك تبادل السكان بين الرمايا اليونان والترك ، اخذت سياستها العلمانية بعد الفاء الخلافة ، وهذا مع ثورة عبد الكريم الخطابي ، الثائر المنصور في الريف ، خمس سنين ، ثم ثورة سوريا ١٩٢٥ ، والتبدل في الجزيرة من صيرورة الحجاز الى مصيره السعودي ، كل هذا جعل العالم الاسلامي مليئا بالهزاهز ، ولذلك كانت هذه الوفود الثلاثة من الهند . واكتفي بهذا فيما يتعلق بالوفود (٣) ، ما عدا فلسطين .

أما وفد فلسطين : فقد كان مؤلفا من ثلاثة ، من الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى وزعيم فلسطين الطاع المبي ، والعلامة الفقيه المصلح الشيخ اسماعيل الحافظ (والد الرئيس الاستاذ امين الحافظ ، وكان في زمن العثمانيين يشغل عضوية مجلس التدريعات الشرعية في الاستانة) وكاتب هذه السطور . والذي علي ان اضعه امام القارئ الكريم من جهة هذا الوفد اوجزه ايجازا :

اولا : كانت فلسطين قد دخلها الى سنة ١٩٢٦ نحو من تسعين الف يهودي ، وبدأت النزعات الصهيونية الخبيثة تستنسر وتحدد انبائها . ولم يكن قد مضى على الحاج امين في رئاسة المجلس اكثر من اربع سنين ، وكان مشروع عمارة الحرم الشريف في ابان انشائه ، والعالم الاسلامي يزداد اطلاعا على سير المشروع وخطورته ، كما يطلع على حركات التهويد المنظمة ، المحمية من الحراب البريطانية ، والمستوطنات الصهيونية فيها مدخرات السلاح

(٢) اصل هذا كله انه لما وضعت الحرب العامة الاولى اوزارها وصار « الحلفاء » المتصورون يجهلون لتقسيم تركيا ، هبت الهند المسلمة تدافع عن سلامة تركيا وهي بهذا كانتها تدافع عن الخلافة فتالفت وفسد اسلامي كبير على راسه مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي ذهب الى لندن من اجل هذه الغاية . وبقيت لجنة الخلافة قائمة وحزبا قائما وله نفوذ عظيم في الهند .

(٣) اما وفود شمال افريقيا فكانوا افرادا وهم من الطراز الاول ووصلوا الى مكة بشق الانفس وكانوا من انشط العاملين والان فحبت ايام فرنسا وارضهاها .

من الحكومة بحجة الدفاع عن النفس .

ثانياً : كان يرجو العرب جميعاً ان تنصر الثورة السورية انتصاراً باهراً يؤدي الى نيل سوريا حقها من الاستقلال بحد السيف ، فاذا توفرت السلامة لسورية ، توفرت بالتالي لفلسطين . ولذلك جاء في مذكرات الكولونيل كيش (٤) رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية انه لا وصل التوار الى نواحي مرجعيون وكوكبا والمظلة ، قررت الوكالة اليهودية ان تظهر المستوطنات الصهيونية للتوار اذا دخلوها موقناً ، او اقتربوا منها مجاذين ، المحاسنة وتقديم الطعام والماء والاسعافات الطبية . وفي الوقت نفسه طلبت الوكالة من الفيلدمارشال بلوم ان يضع قوة عسكرية على الحدود . وافتت الوكالة بواسطة احدى مؤسساتها الطبية ، وحدة اسعاف طبية جعلتها للقيام بهذه الواجبات حين الضرورة في الشمال .

ثالثاً : الثورة السورية علقت آمالاً كبيرة على الملك الامام عبد العزيز من اول الامر ، من ان تجد في حوزته المنية سنداً ومعيناً ، وصارت تكثر الصلة به من طريق كبار رجالات الثورة وخاصة الرئيس شكري القوتلي .

رابعاً : فلما عزم السيد الحسيني على شهود هذا المؤتمر وضع نصب عينيه ماذا يستطيع ان يقوم به من عمل عن طريق المؤتمر يكون من ورائه الخير للثورة ، فرأى انه حري بصوت العالم الاسلامي الممثل في المؤتمر لا ان يكتفي بان يتخذ قراراً يستنكر فيه قصف دمشق بالمبائيع ٤٨ ساعة في خريف ١٩٢٥ والفظائع التي يرتكبها الجيش الفرنسي في سوريا من تقتيل الابرياء ونسف القرى والمزارع والداكر بالطائرات ، واحراق المزروعات وغير ذلك من ابشع المنكرات ، وخاصة في جبل العرب ، بل عليه ان يضع قراراً يستند الشرع الشريف الا يقاوم المسلم المسلم تحت اي لواء وفوق اي ارض . وفي الجيش الفرنسي في سوريا وقتها كثير من المسلمين الافارقة .

الصحافة الاسلامية والسورية واللبنانية والمصرية والاجنبية : كان التمثيل الصحفي في المؤتمر محدوداً . فالصحف الاسلامية الهندية كان لها ممثلون ، وكان من سوريا ولبنان عدد من ارباب الصحف ، وكان من لبنان صديقنا المناضل خيرى الكعكي صاحب « الشرق » وغيره . وكان لجريدة « النيس » اللبنانية ممثل خاص الاستاذ علي شاه الافغاني على ما اذكر وتلاقينا بعد المؤتمر في زيارة من زياراته لفلسطين وهو على الثقافة واسع الاطلاع على

(١) هو الاصل شهاب الكليزي خدم في الحرب العامة الاولى وفي العراق خاصة ، وبعد الحرب كان في المشرقين في وضع صعب صك الانتداب وتقديم الشورة للرئيس الدكتور لسون . ثم جاء به الى فلسطين وصار بالتالي رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية في القدس وقتل بلغم الفجر به في تماسه ١٩٤٢ . Palestine Diary عبق لندن ١٩٢٨ واصل اسم « كيش » « قيس » بالعربية وورد في الثورة مرتين او ثلاثاً .

مجاوي السياسة الاسلامية والاوربية .

ولكني ستأتول في نهاية هذا المطاف بصورة خاصة ثلاثة من الاساليب الذين التحموا بروح المؤتمر التحاماً اسلامياً ، ويبقى كلامي هذا محتاجاً الى الربط بين الثلاثة والحاج محمد امين الحسيني في الحلية الاسلامية المقدسة . هؤلاء الثلاثة هم : عبد الرحمن الكواكبي (سجل ام القرى) وامين الراقي صاحب جريدة « الاخبار » وقد كان يمثل صحافة مصر بعقيرته المدهشة ومولانا محمد علي الهندي المؤمن وراياته ساعة وصول النبا اليه ونحن في صلاة المغرب حول الكعبة عن استسلام الامير عبيد الكريم الخطابي في الريف بقف ويبتدل الى الله بعد الصلاة وبسالة جمع شتات المسلمين ، وهو يبكي كالأطفال حتى اخضلت لحيته الجميلة الصغيرة . نجاه السيد الحسيني مؤاسيا مشاركاً .

لجنة المقترحات : جرى المؤتمر في طريقة نقاشه وطرح القضايا والدفاع عنها ، واتجه المقررات ، على الاساليب التي طبقتها الوفود الهندية الثلاثة ، الكثيرة المراسل لمن المؤتمرات في شبه القارة الهندية . فلجنة المقترحات هذه تمثل جميع الوفود بعضو أو عضوين لكل وفد ، والوفود لا اقل من ٣٥ وفداً من القاصية والدانية . ولجنة المقترحات وظيفتها ان تتلقى اي اقتراح من اي عضو ، وهي تنظر في هذا الاقتراح ، فان اقرته اجازته السي المؤتمر ، وان لم تقره فلا يجوز طرحه بعد ذلك امام المؤتمر ، والمغاية من هذا لئلا المقترحات تكون مصفاة من الاشياء التي يري من المصلحة الاسلامية العامة اخراجها من موضوعات المؤتمر ، وحرصاً على الوقت من ان يذهب بعضه على غير جدوى . وكان عدد اعضاء لجنة المقترحات لا اقل من خمسين رجلاً عضواً ، وتعقد اللجنة اجتماعاتها بعد ظهر كل يوم ما عدا الجمعة ، وعلى هذا الفرار سارت امور المؤتمر بليوننة وانسجام حتى النهاية ولله الحمد .

قرار الا يقاوم المسلم المسلم : نوقش الاقتراح بحماسة ايمانية كاملة في لجنة المقترحات ، ولا طرح امام المؤتمر ، في اليوم الثاني ودافع عنه السيد الحسيني دارت حوله ابحاث جملة اصولية شرعية فقهية لا لتأييده ونشره فحسب ، بل للعمل على جملة جزءاً من عقيدة المسلم في مطلق الاحوال . ولا كان الفرض القريب من هذا القرار ان يبلغ الجنود المسلمين في الجيش الفرنسي المقاتل للثورة ومجاهديها الابطال ، في سوريا ، فقد طبع ووزع بطرق جيدة على الجنود المسلمين ، ومن التوفيق ان كان له مفعول حسن من حسن الاستجابة له وتنفيذ مغناه وفجواه بطرق مختلفة ، منها الفرار من الجيش الفرنسي والالتجاء الى بيوت ومعاهد وجمعيات رتبت الامور معها سلفاً . ولا حاجة هنا الى التفصيل وانما اذكر حادثة من داخل اراضي الملك الامام عبد العزيز . فقد ارسلني

سماحة الحاج محمد أمين الحسيني بصفته رئيس «اللجنة المركزية لعانة مكتوبي سوريا» ، وقد تقدم خبر هذه اللجنة في فصل سابق ، الى سلطان باشا الاطرش والامير عادل ارسلان المرابطين بالمجاهدين هناك لشؤون تتعلق بالثورة وكان هذا خريف ١٩٢٦ ، وبينما انا جالس امام خيمة الامير عادل والحديث جار بيننا ، فاذا بعدد من الرجال الاشداء يجيئون اليه في مشاكل لهم ، فلما انجز قضيتهم وانصرفوا ، لفت نظري ما قرأت في وجوههم من امارات البطولة والفروسية التي لا تخفى فسلنت فقال لي ان هؤلاء من اخواننا السنغاليين الذين فروا من الجيش الفرنسي بعد توزيع المنشور الصادر من مؤتمر مكة ، فاهتزت اكبارا واعتازا ، فاخذ ينشي على صفاتهم ويطري حسن شئائهم . واذا لاحظ شدة اعجابي بهم ارسل الي اثنين منهم ، اي اثنين على غير يقين ، فجاءا فاعلمهما عميق شكري لهما ولاخوانهم الذين فروا من الجيش الفرنسي غداة اطلاقهم على المنشور ، فكررت ثنائي على حيثهم الاسلامية وقبلتهما بحرارة . فقال الامير عادل انهم اخف من الطيور ، وارشق من النور والصقور ، ثم نادى الاثنين هذين بكل اخوة : يريد صديقتنا وزائرتنا فلان الفلاني (يقصدني) من قبل سماحة السيد محمد أمين الحسيني ان يرى شيئا من شرافتك في الوثب والتسلق ، وكان يقرب الخيمة عدة نخلات باسقات ، واذا بهما في لحظات يتسلق كل منهما نخلة بلا حبل ولا انسوطة جبل ، ويبلغان اعلى النخلتين في دقائق ، وراعتي من براعتيهما في هذا انهما وهما يتسلقان بسرعة عموديا جلد النخلة ، يلدوان كأنهما يسيران اقفا على الارض فاستأذنتني الامير عادل ان اصورهما وهما يطلان من اعلى النخلتين كما يطل العصفور من عشه فصورتهما ولما نزلوا غمرتهما ضما وتقبيلا وشكرا وقلت لهما اني بعد رجوعي من صحراء النيك الى القدس سارسل الى الامير عادل عدة نسخ من الصور اللتقطه لهما وهما في اعلى النخلتين . وقد تم هذا . ثم اني كنت محظوظا (باليوم) كبير فيه صور من مؤتمر مكة وصور اصدقاء واجتماعات وامان مقدسة ، للذكرى ، ثم اضفت الى هذا « الاليوم » صور الاخوان في النيك ، ولكن وبلا لاسف ان هذا كله ذهب مع مكتبي وبيتي الى اليهود سنة ١٩٤٨ .

وعند رجوعي الى بيت القدس من صحراء النيك اعلمت السيد الحسيني كل هذا ، وكل ما رايت في النيك ، فحمد الله حمدا جريلا على التوفيق وجني الثمرات الطيبة من قرار « الا يقتال المسلم المسلم » .

مقررات المؤتمر : لا حاجة بي اليوم سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م ان اذكر مقررات هذا المؤتمر العالمي الكبير بعدد الحرب الاولى ، سواء ما يتعلق بالحجاز ام بالبحر ام المصالح الاسلامية الاخرى ، فقد كانت وفق تلك المصالح ، ولا ريب شعرة ، فאלك الامام عبد العزيز كان رحمه الله مراعيًا

لهذه المصالح جاريا في احكامه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وها قد انطوى عهد بعد عهد وانسا لنرى بلاد الحرمين الشريفين ينعمان باجل خدمة في ظل الدولة العربية السعودية ، ابدا الله ومكن لها . ثم انسي لا املك اليوم صورة هذه القرارات لادرجها هنا من ناحية تاريخية لا اكثر .

التيار الاسلامي وبمثله مولانا محمد علي والتيار المناهض له يمثله ادب ثروت : عند افتتاح المؤتمر ، قبل موسم الحج بايام ، قام مولانا محمد علي في المؤتمر واقتراح تأجيل افتتاح المؤتمر الى ما بعد عرفات ، حتى يكون الوفد التركي قد وصل فيشتري في الافتتاح ، ودافع مولانا محمد علي عن اقتراحه جهده ، غير ان الوفد لم تأخذ بهذه الفكرة مع ثنائها على مولانا محمد علي في الحمل الاسلامي له على هذا . فوصل الوفد التركي متأخرا بعد افتتاح المؤتمر .

وكانت ثورة الامير عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي شاعلة بال العالم الاسلامي منذ هبوب رياحه المناصورة سنة ١٩٢١ لما ظفر عبد الكريم بعيش سلفستر البالغ عشرين الفا وفتكه بانسي عشر الفا من هذا الجيش (٥) . وهذا الظفر الاسلامي في اقصى المغرب مع ظفر مضطفي كمال باليونان في الاناضول ، جعل العالم الاسلامي يشعر بعد الحرب العالمية الاولى انه حي ولسه نصيبه من الحضارة والكرة الارضية على كل حال .

وفي اجدى جلسات لجنة القترحات ، نهض محمد علي ، واديب ثروت لا يبعد عنه سوى بضعة امتار ، واقتراح انه كما قرر هذا المؤتمر الا يقتال المسلم المسلم ، فعليه ان يقر دعوة المسلمين في المشرق والمغرب لنصرة الامير المجاهد في سبيل الله والوطن والكرامة ، عبد الكريم بالمال ثم المال ثم المال ، وان ترسل الاعانات الى الامير عمرطوسون في مصر وهو يتولى ارسالها الى الامير عبد الكريم . فهللت وكبرت اللجنة بالاجماع لهذا الاقتراح الا ادب ثروت ، فلما جلس مولانا محمد علي وقف ادب ثروت وقال اني باسم حكومي اعارض في هذا الاقتراح فاننا لم نحضر لنبحث ونقرر مثل هذه الامور وجلس . فنهض مولانا محمد علي فورا واجابه :

اخي ادب ثروت ممثل تركيا في هذا المؤتمر (٦) . لما افتتح المؤتمر ، وكان وفدكم لم يصل بعد ، وقفست واقترحتم تأجيل يوم الافتتاح الى ان يصل وفدكم فنعتز بحضوره لانه يمثل دولة اسلامية . فلم يوافق المؤتمر على اقتراحه ، واقتسم ولم تحضروا افتتاحه ، اذ كان قصدي ان

(٥) باعتراف موسوعة تاريخ العالم للنجر ص ٩٨١
(٦) كانت ارجى للوفود الهندين من الانكليزية الى العربية جميع خطيبهم الاتياليه كل مدة المؤتمر وفي مسالة ادب ثروت فهو كان يتكلم بالتركية وانا لا اعرف التركية واما لييري بنقله الى الانكليزية ولا در عليه مولانا محمد علي بالانكليزية طبعاً كنت انقل كلامه الى العربية وغيري بنقله الى التركية .

وليكم رياسة هذا المؤتمر . والان ، اراكم تعترضون باسم حكومتكم على اقتراحي دعوة المسلمين لنصرة عبد الكريم المال . فاسمعوا يا اخي اديب ثروت : ما الفرق بين دعوتنا هذه من اجل عبد الكريم وهو يقاتل الاسبان وبين دعوتنا لكم لما كنتم تقاثلون اليونان ؟ اني اسف ان اسمع اعتراضك هذا في مكة المكرمة . وارجو ان توفى ان العالم الاسلامي سائر طريقه الى التحرر على كل حال .

فاكرت حياة اللجنة كلاً محمد علي وروحه وما عاد اديب ثروت ينسى بيت شفة .

الملك الامام عبد العزيز والسيد الحسيني رحمهما الله : حظي وقد فلسطين بالتشرف بين يدي الملك عبد العزيز مرات عديدة في ديوانه العالي ، اذ كانت اقامتنا في مكة نحو ثلاثين يوما ما عاد ايام الطريق . وكنا ضيوفا على جلالاته ، وانزلنا في « دار بناحه » المظلة على الحرم الشريف . واما السيد الحسيني فانه تم له خطوة الاختلاء بجلالة الملك الامام مرات ، تارة بلفتة من جلالاته ، وطورا بالتماس من السيد الحسيني ، وذلك لبحث شؤون قضيتين : فلسطين والثورة السورية ، ولم يحضر بينهما هذه المخلوط غير الشيخ يوسف ياسين امين سر الملك الامام وصديق الحسيني اذ هما رفيقا طلب في مصر قبل الحرب الاولى .

عبد الرحمن الكواكبي صاحب « سجل » ام القرى . مولانا محمد علي . امين الرافعي رحمهم الله جميعا . اما السيد عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب « سجل ام القرى » الصادر في مصر اول هذا القرن فقد كانت روحه ترفرف فوق المؤتمر ، بعد مفارقاته الدنيا بأربع وعشرين سنة ، واي مسلم حضر المؤتمر ولا يتصور الكواكبي مائلا امامه بخياله النير يصفى الى مناقشات المؤتمر عن العالم الاسلامي الذي وصف الكواكبي امراضه قسلا اليوم بنحو ٨٠ عاما هجريا وصفا ربما لا يزال حتى اليوم صحيحا في عدة معان . غير ان هدف الكواكبي غير هدف هذا المؤتمر الذي دعا اليه الملك الامام . ولا مجال هنسا للمقارنة .

اما مولانا محمد علي ، وعلى عينيه نظارات « هلالية » الشكل رمزا الى لجنة الخلافة والهلال الشماني ، فلم ار في حياتي مسلما بلغ ميلفه من اذابة وجوده في سبيل الاسلام ، وبعد لقائنا معه في الحجاز ، بقيت الصلات مستمرة على يد السيد الحسيني في القدس ، الى ان توفي مولانا محمد علي في لندن ١٩٢١ في اثناء تمثيله مسلمي الهند في مؤتمر « الدائرة المستديرة » فاقترح سماحة المفتي الاكبر الحاج محمد امين الحسيني ان يؤتي بجثمانه ويدفن بجوار المسجد الاقصى ، ونفذ هذا الاقتراح فوراً برقا . ويوم دفته ، بعد تأبينه في ساحة الحرم الشريف المكتظ بالوفد الخلق التابين العظيم ، كان يوما فريدا في تاريخ فلسطين (٧) .

وجعل الله شوقي في اعلى علين ، اذ مما قال في رثائه : يا (قدس) هي من رياضك ربوة لتزول تريك ، واحتفل بقلابه هو من سيوف الله جل جلاله او من سيوف الهند عند فقلابه فتح النبي لسه مناسخ (برافه) ومعارج التشريف من اسراله بقل حقوق الشرق من احماله وقلعية الاسلام من اعباسه حتى قال شوقي اغنية التاريخ ونشيد الحرم :

افتسى بدفكك عند سيدة القرى مفتت اراد الله في افتساه اما امين الرافعي صاحب جريدة « الاخبار » المصرية التي كانت مدوية في الشرق كله لا في مصر فقط ، فقد كتبت بدأت اعرفه عن كتب في القاهرة ١٩٢٥ اذ زرتسه واهدته نسخة من « حاضر العالم الاسلامي » ثم فسي السنة التالية التقينا في مؤتمر مكة .

كان امين الرافعي ، رحمه الله ، في المؤتمر لا يمثل صحيفته « الاخبار » وكفى ، بل كان قوة فكية «ارادومية» يعلأ اشعاعها جوانب المؤتمر . اخلاص اتقى من الذهب المصفى . وجه منير باسم ضاحك بشري الايمان . كان قلعة حصينة في مصر . رايه الذي يسجله وينشره كانه يتلقاه في قفة من الاعالي . صموده كالصخر ، عقل اضوا من النجم . عزم امضى من السيف ، كانه مرسل الى مصر من القرن الاول . ما التفت اليه مرة في اثناء انعقاد جلسات المؤتمر الا رايته شارعا قلعه ، واخاله بيده كالمرج يبدد الفارس المجاهد الطامع في الميدان ، منصبا على الاستماع والاستيعاب بكل عناية . لا اظن واقف خطيب من اي وفد من جبهة ٣٥ وفدا اقربا ، على منبر المؤتمر ، لم يصغ اليه هذا الملك الصامت امين الرافعي . رسائله الى جريدته « الاخبار » من مكة في غاية النفاسة ، وجاء الرافعي من مصر لينشهد المؤتمر ويحج .

ولنحج الى ابي علي شوقي لنسمع بعض ابيانه في رثاء امين الرافعي المتوفي ١٩٢٨ بعد المؤتمر بنحو سنتين رحمهما الله :

اخذ الموت من يد الحق سيفا خالدي الفرار غصبا قضيلا من سيوف الجهاد فلولاه الحق ، فهل كان قبينه جبريلا لسته يد الجهاد فكان البرق والرعد خلفه وصيللا واباء الرجس اعمى من السيف على كف فارس سلاوا السيد الحسيني ومولانا محمد علي : ونحن في صلاة المغرب حول الكعبة الشريفة وصل نبأ استسلام الامير محمد عبد الكريم الى الجيش الفرنسي المؤلف من (١٥٠) الفا وفتته فرنسا الى جزائر رينيون حيث بقي في الاسر هو واسرته ٢ سنة . حول الكعبة كان يعقد الحسيني ومولانا محمد علي جلساتها الاخوية وخلواتها لبحث

(٧) كان يقصد السيد الحسيني رضي الله عنه من دفن العظماء المسلمين بجوار الحرم القدسي الشريف تلمين الروابط الاسلامية بين فلسطين والعالم الاسلامي . والذين دفنوا بجوار الحرم الملك حسين بن علي ، ومولانا محمد علي الهندي ، وموسى كاظم باشا الحسيني شيخ القضية ، وابنه الشهيد المختار والشيخ الفوار ابو موسى عبد القادر الحسيني رحمهم الله . وهناك وقائع وروائع في سيرة مولانا محمد علي تتعلق بفلسطين لا مجال لها هنا .

الكتاب

يا ضياء الروح ، يا نور الهدى
ووعاء العلم ، والعلم هدى
وسفير الفكر ، والفكر صدى
ورسول الفن ، والفن رؤى
لحسن الشعر سحر باهر
وللحن الادب الصافي ، كما
فاذا من عبقر حورية
مطرب الكون باصفى نفس
ومنازل الارض هذا كائب
بيد الاثنين مشعال الهدى

ان يك الجبر اخا ليل ففي
فاذا الدنيا سماء بدرها
دولة الطرس لا بقى دولة
فلرب الفكر ان مات اضفروا
ان يغيب نجم عن الارض فدا

عبد الله صالح

المثلة الراي الرسمي ، في كل ليلة من الليالي ، قبل افتتاح المؤتمر ، رأسا بعقربا من رؤوس السلف الصالح .
الامير شكيب ارسلان : اختير بالاجماع امينا عاما للمؤتمر على ان يمكث في الحجاز من كل عام اربعة اشهر فلبى رغبة وارادة ، ولكنه اعتذر بسبب صحته وحسره الحجاز . وقرر المؤتمر ان يتعقد كل سنتين مرة ولكنه لم يتعقد بعد ذلك قط . الكتاب الوحيد الذي صدر عن المؤتمر يتضمن مقرراته بالعربية كلها ، اصدرته لجنة الخلافة في الهند وكان هذا في مكتبتي وقد علم القارىء مصيرها سنة ١٩٤٨ .

عجاج نوبخت

راس التّن - لبنان

القضايا والشؤون الاسلامية . السيد الحسيني دعا صديقه مولانا محمد علي لزيارة فلسطين فقبل الدعوة شاكرًا ولكنه لم يستطع تنفيذها قبل ١٩٣٠ فجاها فلسطين وكان له يوم استقبال حافل كيوم تقبل جثمانه من لندن الى القدس بعد مدة . رحمهما الله .

السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار : دعي السيد رشيد ، العلامة الفقيه المفسر المصلح ، لحضور المؤتمر ، دعوة خاصة ، رعاية لمكانته العلمية وعلو منزلته في العالم العربي والعالم الاسلامي . وكان قوة علمية في المؤتمر .
الشيخ عبد الله بن بليهد : سبق ذكره في هذا الفصل . كنت اتمثل فيه ، وهو يدير مناقشات الحوار الفقهي الشرعي بين السائلين والهيئة السعودية العلمية

كانت السماء مثقلة بسحب حجب
الشمس عن اجسام الناس فلم ينعموا
بالدفء ، وعن الاشجار فلم تتلألا
اوراقها تحت اشعة الشمس ، وعن
السطوح والطرق فلم يذب الثلج
الترامك عليها . ولكن ذلك كله لم
يمنع القضاء من ان ينتشر في كل
مكان . كان فضاء مكتوما كانه سر
يخشى صاحبه البوح به . وقد
صحب ذلك الفضاء المكتوم صمت
غريب فيه اصفاء ووحشة . كانت
الطبيعة صامتة ، ولكن بدا عليها
انها تريد ان تفصح عن شيء . وكانت
تصفي في هدوء ، ولكن لم يكن هناك
شيء من الاصوات : لا تقريد بطور
ولا لفظ اناس . وكانت جوانب
المدينة مهجورة . لم ير احد من
الناس يسير على احدى الطرق ، كان
اهلها هجروها . لا شيء سوى
السحب والثلج والصمت .

وفي ذلك اليوم لزم صبري بيته
ولم يخرج منه كعادته لمزاولة عمله .
شعر بشيء ثقيل يريد ان يخرج من
راسه . شيء ينقر جمجمته في الحاح
كما ينقر الصوص البيضاء بمنقارة
ليخرج منها الى الحياة . جلس الى
طاولة ازاء مكتبته ، وبجانبه مدفاة
« علاء الدين » ، وعلى الطاولة دفتر
وقلم حبر جاف وقاموس وراديو
يدوي كانت تنبعث منه اغان مطربة
منخفضة شغلته عن التفكير فيما يعكر
جو ذهنه . وبعد قليل تناول قلمه ،
وراح يكتب خواطره .

خواطر : أه ! لقد شغلني عملي
اليومي الرتيب عن مطالعة هذه
الكتب التي امامي . كم تمنيت ان
اقتطع الى المطالعة فاترا ما احب ان
اقرأه منها واكتب ما تجود به علي
قريحتي من الافكار . ولكن غلاء
الحاجات ومتطلبات العيش ترغمني
على السعي لكسب قوتي وقوت
اسرتي العديدة الافراد ، لذلك لا مفر
من الرضوخ للواقع والصبر حتمى
تنجلي هذه الازمة .
اصوات من الخارج : « مجنون !

اريد ان ارى جيلا جديدا يختلف كل
الاخلاف عن الجيل الحالي - جيلا
قويا بارادته وخلقه وثقافته .
اصوات من الخارج : « انك في
حاجة الى اصلاح . اصلح نفسك اولاً
ثم اصلح الناس بعد ذلك . جاهل !
مغرور ! » .

حوار داخلي :
صوت الانسانية : لا تصغ اليهم يا
عزيزي . ان الاهانات التي يلحقونها
بك لا تعد اهانات لانها صادرة عن
جهل .

صبري : انهم معذورون . ان
المسيح حينما عليه اعداؤه قال : « يا
ابناء اغفر لهم لانهم لا يعلمون » .
صوت الانسانية : لا شك انه نطق
بالصواب . وما عليك انت الا ان
تدعو الله ان يغفر لمن يضايقونك من
الناس كما فعل المسيح .

صبري : انا كلما ضايقني الجهال
اقول : « ربي اغفر لهم واجعلهم
يعلمون » لان السكوت عن عدم
علمهم لا يفيدهم . لا شيء يصلحهم
سوى العلم بالحقائق .

صوت الانسانية : هذا صحيح ،
ولكن قل لي ، ما هو البغض ؟
صوت الانسانية : هذا صحيح ،
ولكن قل لي ، ما هو البغض ؟

صبري : البغض مرض يعطل في
النفس حاسة الشعور بالهناء .

خواطر : أه ! انني لم احرم مطالعة
الكتب فحسب بل حرمت ايضا
السفر الى البلاد الجميلة وتاليف
الروايات الطوال وسماع القطع
الموسيقية التي احب ان اسمعها ،
واشاهد اللوحات الفنية التي اتمنى
ان اشاهدها ، اني وحيد . اشعر
بوحدة قاسية . ان الرجل الحزين
لا يستطيع ان ينشئ نفسه الدابة .
لا شيء يهديء اعصابي سوى الهيام
بك ابتها الانسانية الحبيبة . الهيام
بك والمطالعة . ان المطالعة اكتساب
خلاصة الخبرات الاجتماعية .
والقارئ يكتسبها ويتغلب على جهله
بلا جهد . ان الافكار المبثولة فسي

غبي ! بليد ! » .
حوار داخلي :
صوت الانسانية : لا تكثرث لهم .
اصبر . امض في طريقك . انك على
صواب . سوف تستريح فسي
النهاية .

صبري : انني احتمل منهم كل
ما يلحقني من اذى لانني اجد فيهم
الانسانية . انهم اخوتي واخواني في
الانسانية . لذلك ابدل جهدي
للمشاركة في اسعادهم وجلب
الطمأنينة والهناء الى نفوسهم ، انني
احبك ايها الانسانية .

صوت الانسانية : هذا ما اشعر
به . واؤكد لك ان حبا لن يموت .
ان حب الانسانية هو الحب الوحيد
الذي لا يموت . ولكن هل لك ان



<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بقلم عبد الحميد الانشاصي

تعرف الحب الحقيقي ؟ ما هو
الحب الحقيقي ؟

صبري : الحب الحقيقي هو
وميض من الرغبة يثبتي في داخل
المحب فيضيه ، ثم يشع خفية من
جسمه فينير العالم من حوله .

خواطر : اني وحيد ، وليس في
استطاعتي وحدي ان ابدد هذه
الظلمات الدامسة من حولي . اريد
اعوانا يساعدوني على هذه المهمة .
اكاد اغرق . اكاد اموت من الضيق .



الكتب شبيهة باقراص الدواء التي يستعملها المريض لتقوية جسمه والتغلب على مرضه . ولا يكتسب الانسان خبرة بجهد وكده الا اذا نزل الى معترك الحياة وعمل وصارع وقاوم .

اصوات من الخارج : « مسكين ! انه وحيد في هذا العالم . كيف يستطيع ان يعمل وان يأكل وينام ؟ كل شيء يماكسه ، وكل شيء ضده . في الامس نطق بكلمات حكمية منطقية ودعا الى اصلاح معقول ، آراؤه الاجتماعية والسياسية صالحة . لماذا لا تعنى به الحكومة وترجيحه من عمله البسيط الذي يضيع وقته ؟ انه ماض نحو هدفه . براو » عليه ! « حوار داخلي :

صوت الانسانية : هناك اشخاص كثيرون يؤذونك ويقدرونك فساد تياس . كن قويا ولا تشك احدا . صبري : انني ما زلت قويا متشبها ببيادني . وانا اليوم اكثر تفاؤلا مني في الامس . اشعر بانسراح في صدري على اثر كلمة نناء سمعتها من احد المارة في السوق . بذلك الكلمة البسيطة التي لا تكلف شيئا ورفعني ذلك الشخص المجهول الى سماء السعادة والهناء . انا الان سعيد . صوت الانسانية : وانا ايضا سعيدة لانك انت سعيد يا حبيبي . قل لي ، ما هي السعادة ؟

صبري : السعادة شعور نفسي صاحبها بانه حقق رغبته الكبرى التي ظنت على رغائب اخرى لم يتمكن من تحقيقها وليس شعورا بتحقيق جميع الرغائب فساد تحقيقها محال .

صوت الانسانية : معقول . وما هو الشقاء ؟

صبري : الشقاء شعور في صاحبه بانه لم يشارك غيره من الناس في اخذ نصيبه من الراحة النفسية . خواطر : تراث ! تراث ! دائما يقولون : « يجب ان نتمسك بتراثنا لانه هو الذي يميزنا من غيرنا

من الامم » . ولكن ليس كل ما وراثنا عن اجدادنا نافعاً . منه النافع ومنه الضار . كما ان الاعشاب البرية لا بد من اقتلاعها لكي تتمكن المزروعات المفيدة من النمو والتزعر ، كذلك لا بد من استئصال العادات الضارة لكي نترك مجالا لورثتنا من افكار وخصائص نافعة اصيلة لتندمج في شخصياتنا فنظف الينا الامم فسي اعجاب واحترام .

اصوات من الخارج : « فلسفة كاذبة ! انك لا تفهم شيئا . من انت حتى تهدي الناس ؟ انت هناك في المجتمع وباجة الى من يرشدك . »



عبد الحميد الانصاسي

حوار داخلي : صوت الانسانية : مالي اراك حزينا اليوم ؟

صبري : انهم يشتوننسي شتوني اليوم بعد ان اتوا على في الامس . لذلك اشعر الان انني اهوي الى قعر هوة عميقة مظلمة بعد ان رفعت في الامس الى سماء السعادة والهناء . هكذا شاتي : تارة اصعد وتارة اهبط . ولست ادري ماذا اصنع . اشعر في ارتفاعي وهبوطي انني شبيه بممثل وبان الناس من

حولي كالشاهدين لانني لا اجد احدا منهم يشاركني في ارتفاعي وهبوطي . صوت الانسانية : انك لا ترد على الشتم . وهذا حسن .

صبري : انني لا ارد على الشتم لكي افهم الشاتمين ان السباب لم يؤثر في شيئا لانه تافه لا تقع فيه ، ولو وردت على الشتم لتوهم الشاتون ان السباب هام لا له من تأثير .

صوت الانسانية : هذا صحيح . صبري : لولا جيك يا حبيبي لانفجرت باسا . ان الحب يعينني على السير نحو هدفي كما تساعد العجلات العربة على الانطلاق بسرعة . وهو يعينني على السمو بنفسي كما تساعد البكرة الرافعة على رفع النقال من الارض السى ظهر السيارة الشاحنة .

قال ديكرات : « انا افكر ، لذلك انا موجود » . ولكن هذا لا يكفي . صوت الانسانية : ماذا تعني ؟ صبري : اعني ان التفكير وحده لا يكفي اذ كان ينبغي لديكرات ان يضيف كلمة اخرى ويقول : « انا افكر واحب ، لذلك انا موجود » .

صوت الانسانية : يسرني ان اسمع منك هذا الكلام ، ولكن اود ان اعلمك يا حبيبي انك لا ترتفع مرة وتهبط اخرى كلما سمعت كلمة نناء او كلمة شتم من احد من الناس . ان المشاعر من حولك ترتفع مرة وتهبط اخرى . اما انت فاني اراك ثابتا كالصخر . وهذا ما يجعلني اعجب بك . انت ممتلئ بالامل . قل لي ، ما هو الامل في رايك ؟

صبري : الامل تخطيط نفسي لما يعتزم المرء ان يقوم به في مستقبله . اما الرغبة التي لا يسمي الانسان الى تحقيقها فهي حلم نهاري وليس املا .

صوت الانسانية : هذا ما اراده انا ايضا . وما هو الياس يا عزيزي ؟ صبري : الياس هو اشتراك المرء مع الظروف في هزيمة نفسه . خواطر : الصباح هو فترة تقف

فاصلا بين حوادث الماضي القريب وما سيحدث في المستقبل القريب ... في تلك الفترة ينسى الانسان الطموح كله ويفكر في عمل شيء ليحلم مستقبله خيرا من ماضيه . اما المساء فهو فترة يتذكر فيها المرء ما مضى من حياته والخطا التي ارتكبها فيه . لذلك افضل الصباح على المساء . وانا افضل العمل على الراحة لان العمل وان كان يشغلني عن الذكريات الجميلة والتمتع بالمنظر الخلابة الا انه يبدع اشياء جديدة . اما الراحة فهي على العكس تعيد على ذهني الذكريات الجميلة وتفتح عيني على المناظر الخلابة ولكنها لا تخلق شيئا . غير ان الجمع بين العمل والراحة ضروري جدا مع العلم بان لذة الخلق لا تدانيها لذة الذكريات والمنظر الجميلة . انني اكره الشتاء لانه يذكرني بوجه الحياة الكئيب ، اما الربيع فهو يذكرني بوجه الحياة المبتسم ، والصيف يذكرني بالحنين الى الحرية .

اصوات من الخارج : « احسنت ! ان ما قلته اليوم يستحق كل الثناء انك زعيم . لا شك انك بطل عظيم » . حوار داخلي :

صوت الانسانية : ما اجمعل ابتسامتك يا حبيبي ! انك اليوم مرح وسعيد كما ارى . هذا ما اريد منك : ان تكون دائما مبتسما مرحا متفائلا .

صبري : لقد استطعت ان احول بغض الناس وشتهم لي الى حب . لدي القدرة على ذلك . كما يحول المصنع الخرق النافثة الى ورق نقى وصقيل لك احول البغض السام الى حب مزهر وجميل . ان بضع كلمات نداء سمعتها اليوم من شباب بسيط ساعدتني على ذلك .

صوت الانسانية : انك رجل بارع في تدبير امور نفسك بنفسك . وهذا ما يزيدني حبا لك واعجابا بك يا روعي . صبري : انني لا اشعر الان

بالوحدة في حياتي وان فارقتني اصدقائي ومعارفي . لقد ابتعد عني اول اصدقائي ، ثم ابتعد عني اقاربي لانني اذائع عن الحق في صراحة . ومع ذلك فقد صبرت وثبتت لان حبك اينها الانسانية العزيزة عزاني عن كل من فقدتهم من الاقارب والاصدقاء . انا لست وحيدا الان فانت معي .

صوت الانسانية : سأطلق اغمرك بحبي وحناني مدى الحياة . ما دمت تحبني فانا ابادلك الحب ، وما دمت تلازمني فانا ملازمة لك . قل لسي يا عزيزي ، ما هي الوحدة ؟

صبري : الوحدة محاولة من الانسان لخلق عالم يعيش فيه مستقلا . صوت الانسانية : اما الحب ... صبري : اما الحب فهو محاولة من الحب لخلق عالم يعيش فيه هو والحبية في سعادة وهناء . صوت الانسانية : فعلا ، كأنك

نقرا ما يحول في نفسي . خواطر : انني اهيح بالجمال في كل شيء . في الطبيعة والوجوه الزينة والقطع الموسيقية والوصف الادبية والا افكار الفلسفية . وبعض على ان ادع دقاتي من عمري تمر دون ان اتمتع بالوان الجمال التي تهاوا نفسي : ان الوان الجمال هذه خير غذاء لقلب من يتمتع بها . انها لا تعطي اثمارة جميلة مثلها فحسب بل تمد تلك الالوان بحلاوة غريبة يقدمها الاديب والمفكر والفنان الى القراء والمطلعين والمستمعين ليتذوقوها كما تذوقوها هم .

اصوات من الخارج : « خليع ! فاجر ! مجرم ! - ادب ! فنان ! مستشير ! بطل ! شجاع ! جريء ! جبان ! نذل ! تافه ! ولد ! - انسان ! صبور ! قوي - كذاب ! خداع ! كافر ! مجنون ! - جبار ! داهية ! عبقري ! » حوار داخلي :

صوت الانسانية : اراك اليوم حائرا . ماذا جرى لك ؟ صبري : حينما سمعت صوتك

نسيت حيرتي يا حياتي . انك دقيقة الاظلة بارعة فسي قراءة اقلاري .

صوت الانسانية : صارحني بكل شيء يا حبيبي . لا تخفي عني شيئا . انني مستودع افكارك واسرارك . لا تخف فاني امينة على اسرارك وافكارك .

صبري : لقد سمعت اليوم من الناس كلمات متناقضة . رفعوني الى اعلى المجد ثم انزلوني الى جحيم الل . منحوني اوسمة الشرف والرفعة والبطولة ثم جردوني منها . كل ذلك ثم في يوم واحد . وهذا هو سبب حيرتي .

صوت الانسانية : انك تبدو في نظرهم غامضا لانهم لم يتكفوا من فهمك على حقيقتك . وغموضك هذا يجعل من حياتك اسطورة ، والاسطورة تكسب شهرة ومجدا .

صبري : ولكنهم يصوفوني بالجنون .

صوت الانسانية : وان يكن ، ان هذا لا يقلل من قدرك . صبري : كيف ؟

صوت الانسانية : ان اشتغال الناس بتتبع اخبارك ومراقبتهم لك دليلان على اهتمامهم بك . وهل يهتم الناس بشخص مجنون ؟ ان هذا برهان ساطع على انك في اعتقادهم رجل ذكي وحكيم وان تظاهروا بعكس ذلك . كل رجل مصلح يعد في نظرهم مجنونا . ان اهتمام الناس باني مصلح يعد نجاحا له . وان لم يثق المصلح ثمرة نجاحه في حياته ذاقها المجتمع الذي يعمل من اجله بعد مماته . وبذلك يتسم عملهم بالانسانية والخلود .

صبري : ولكنهم لا يذكرون اسمي في حديثهم ولا في صحفهم ومجلاتهم وكتبهم كأنني لست موجودا في هذه الدنيا . وهذا دليل على انني مهمل لا يهتمون لسي . انهم يتكفون بالتلميح الي .

صوت الانسانية : انك مخطيء

كلمات للشعر

يضرب القاع ويمضي عابرا ... كل مغيب
ويشد السمع مجذاف بايقاع رتيب
امطرت .. فالوعد آت نجمة قد لا تغيب
وغماما هاربا ينبت في صيف عصيب
وضمافا تحضن الخطو وظننا لا يغيب

يا صديقي عندما قرأ شعري .. رتل الشعر
واغتبق هذا الرحيق ليس كل الخمر خمر
فالمزامير توالي دفقها والماء غمر
وكلنا مقلع في زورق والعمر عمر
وصدى الانشاد باق ليس كل الطعم مر

لا تقل شيئا وانصت رائح هذا الهدير
يسكن الاعماق دفنا ومضى العمر قصير
دمشق سلافة العامري

في الاشهر التي خلت من المطالعة .
وحينما اخذ حظه من المطالعة بعد
ان حول همومه وآماله الى خواطر
استلقى على مقعد طويل بجانبه ،
واخذ يقلب عينيه في السقف وهو
يفكر فيما كتب وفيما قرأ . وقد
شعر براحة عظيمة تغمر عقله وقلبه
فقد تخلص من اعباء همومه وآماله .
انه الان مستريح حر طليق . صفا
ذهنه وفرغ قلبه . كأنه تحول الى
انسان اخر - الانسان الذي يطمح
ان يكونه . بدأت حركات جسمه
تقل وافكاره تنيب . واخيرا اغمض
النوم عينيه ، فاستغرق في سبات
عميق .
عمان عبد الحميد الانشاصي

حتى تحقق امتيتك .
بعد ان فرغ صبري من كتابة
خواطره اغلق الدفتر ووضعته في
مكتبته . ثم القى نظرة على الكتب
التي امامه ، وتناول عددا منها ،
وراح يقرأ من هذا الكتاب صفحة
ومن ذلك صفحة اخرى ومن كتاب
ثالث صفحة ثالثة وهكذا حتى قرأ
عدة صفحات من عدة كتب . انه
شديد الشوق الى مطالعة اكبر عدد
ممكن من تلك الكتب ليزداد ثقافته
ومعرفة . انقطع عن المطالعة منذ مدة
طويلة لاشتغاله باعماله اليومية
الرتيبة ، فكانه الان يريد ان يلتهم
كل ما في الكتب مرة واحدة ليعوض
نفسه مما فاته ما فيها من افكار وفن

يا عزيزي . انهم يخشون ان يذكروا
اسمك في الكتب والمجلات والصحف
والمتقون ان دافعوا عنك في مواد
النشر هذه اتاروا سخط الشعب
عليهم لانضمامهم اليك وتشربهم
مبادئك التي يعتبرها الشعب ضارة .
حينما تدعو الى الاصلاح الاجتماعي
يفهم الناس كلامك على انك تريد ان
تبرهن على انك على صواب وانهم
مخطئون . وفي ذلك مس لكرامتهم .
لا يمكن ان تكسبهم الى جانبك الا
بعد ان توضع افكارك موضع التنفيذ
وتعود بالخير عليهم . لذلك عليك
الاستمرار على ثقك بنفسك
ومواصلة السعي نحو تحقيق هدفك
ومعاملة الناس بالحلم واللين والطف



ديوان صيدح

مجموع هذه المحاضرات وما عقد حول الموضوع من ندوات كانت موسومته الشاملة « ادبنا وادبناؤنا في المهجر الامريكية » التي طبعست ثلاث طبعات ، ثم غادر الشرق ليقيم فسي باريس الخامة دائمة ، ومنها ينتقل في اتجاه ادربا ، مستشفى او متجها للراحة ، ولكن نتاج لقله يمل صفحات الصحف العربية وغيرها في شتى القضايا ، ويدور بين اصدفائه في الرسائل العامة والخاصة، وتوالي قصائده على صفح البلاد العربية والمهاجر ، او تنشر في مجموعات « شفايا حيران » و « شفايا ايلول » وعلى البعد يشارك في سياسة بلاده العربية ، ويتابع احداثها ، وتكون اصدافها عسكرة عقله وقلبه ، ونفثات شعره ونثره ، بالتدق ، والتعليق ، والسراي والتوجيه .

وما زال صيدح دعامة من دعائم العروبة في القرب بشخصه وقلبه، وهو قوة حيوية متجددة في عالم الشرق العربي المعاصر . و « ديوان صيدح » في اخراجه الجديد الاثيق ، وفي حجمه الصغير - صدر منه جزآن ، اعاد فيها نشر بعض اشعاره السابقة التي ما زال عليها من رواء الجودة والطرافة ما يفهمها بالتبني واللفه وروح الابتكار ، واصاف اليها الكثير مما لم يضمه ديوانه الكبير « حكاية مقترب » ، كما اضاف اليها ما جد من شعره بعد عام ١٩٦٠ ، وما زال تحت الطبع جزآن اخران ، لكي يكتمل ديوان صيدح .

والجزء الاول من الطبعة الجديدة ما زال يحمل عنوان « حكاية مقترب » ، والشاعر يعرض غرته هنا في حلقين متداخلين ، الحلقة الاولى : حكاية مقترب بين قومه ، والثانية : حكاية مقترب مع اسرته .

وتحكي قصائد الديوان قصة غربة الشاعر على النحو التالي : في غرته بين قومه تحدث فصاله من الاداء العرب الجارين في المهجر ، وعن رحلته الى القاهرة ، وكيف خرج من المدرسة ، وكيف ترددت بكته ماله من مصر الى المهجر البعيد ، وكيف كان احساسه بالقرية في اوريا ، ثم في امريكا الجنوبية ، وكيف اندمج في جو المهجر ، وكيف جعلته الدعاسي والمؤامرات يعزل التجارة ، ويشغل نفسه بالسباحة ، ويشارك في القضايا العربية بماله وجهده وقلبه ، ويقوم بتوثيق الصلات بين البلاد العربية وبلاد امريكا الجنوبية ، وماذا لقي من التكريم في البلاد العربية والمهاجر .

كل ذلك تاريخ يعرض في لوحات تصويرية وتاملية رائعة ، تحمل شعر الشاعر في عام ١٩١٢ ، وعام ١٩٧٢ ، وقد اردت ان اعبرها سريعا ، لاصل مباشرة الى الحلقة الثانية ، وهي « حكاية مقترب مع اسرته » لئلا كما سترى مقفلة بالحاسيس الدائبة ، والوقوف العطرة الملهمة ، لانه يتحدث فيها عن امه في قصيدتين ، اولاهما قصيدة متشاب بمنشوان « ذنب اللم » ، التي يقول فيها :

كسرت قلبسي فمن يجبرسه ان تكهن امي التي تكسره
والثانية « نعي الوالدة » التي لقيت ربهما وهو بعيد في ديسار

القرية وفيها يوصي اخوته قائلا :
ودعوهما ، وشيعوهما
وعلى الهام ارفعوهما
انتمسسا لا تفصوهما
فسي التشرى بمل في الضلوع
والى روح ابيه في جناز الاربين يهدي قصيدة « بقية دمع » ، وفيها يقول :

ايا القلب الحنون فداك احسن
وهناك صداع الاخوان حولي
ثم استندت دعمي استغفوني
ثمائية تشادوا واستمسدوا
ربينا تحت ظلك في امان
كان الدهر كان بلا عيون

الحديث عن الشاعر السوري المصري اللبناني المهجري جورج صيدح حديث مجيب وطويل ، ولكنني لا اريد ان اطيل . لانني لا ادري عن اي الجوانب من عقريته صيدح القول في هذا الحديث القصير .

ولانني لا اريد ان احببكم طويلا عن شعر صيدح الذي هو المع الجوانب في حياة الرجل الفنية والسياسية والاجتماعية .

وصيدح يعالج شعره بروح الدبلوماسية وحاسة التاجر فسي ان ممسا . فهو يجيد فن العرض ، ويعرف كيف يجيب الى فائزته بلا ملق ولا زلفى حتى يصل الى المصين من حبة لفيه .

فلقد اخرج دواوين شعره في وقت مبكر ، وكان اولها ديوان « التوافل » الذي صدر في الأرجنتين عام ١٩٢٧ ، وديوان « التنبهات » الذي صدر في باريس عام ١٩٥٢ ، ثم ديوان « حكاية مقترب » الذي قسم معظم اشعاره ، وصدر في بيروت عام ١٩٦٠ .

وهو هنا يعيد عرض شعره في هذا الديوان الجديد بطريقة اكثر اناقة ، واحداث تنظيميا ، ويضيف اليه من نثقات قلعه كل جديد .

والواقع ان شعر صيدح في حاجة الى اعادة عرض على شباب الشعراء وشباب النقاد وشباب القراء الذين لم يعاصروا فتوة الشاعر ، ولم يتيسر لهم قراءته بالاسر ، فوهعوا ان الشعر الاصيل ابتكار حديث ، مثله مثل الصعود الى القمر ، لكنهم لا يد ان يتعرفوا مزيدا تعرف الى شاعر عاش في الميدان ثلاثة ارباع القرن ، وما زال قلعه نابضا بالحياة كانه نبت اليوم ، وهو يضيف الجديد والجديد فسي كسل يسوم .

والى جانب الشعر فقد اشتهر صيدح بأنه اول من كتب عن دقائق حياة الادب المهجري واعلامه وانتشبه بتوسع واقفاة في موسومته الكبرى « ادبنا وادبناؤنا في المهجر الامريكية » ، وما زال صمدى آرائه في هذه الموسوعة على امتداد عقدين من الزمان .

واستحيكم المذر اذا اباطت عليكم بعض الشيء لوفقة قصيرة على الطريق ازيد من التعريف التقليدي بالشاعر .

ومعجل ما استطع ان اقله هنا في عجلة ان جورج صيدح الذي يجتاز عامه الحادي والثمانين من عمره المديد المبارك ان شاء الله ، ما يزال منافلا بسواعده في صلالة وعزم ، وما يزال قلعه يبع ريق الشباب والفتوة والصفوان ، بارك الله له في حياته وادبه الرائد والخلال .

ولد صيدح عام ١٨٩٢ في دمشق ، ثم نزح الى القاهرة وهو دون العشرين ، فاستوطنها خمسة عشر عاما ، ثم بارحها مهاجرا الى اوربوا عام ١٩٢٥ ، وفي عام ١٩٢٧ هاجر الى امريكا الجنوبية ، حيث عاش ربع قرن يعمل بالتجارة ، ويمارس الادب والمصاحفة ، ويوجب انتهاء العالم ، داعية للحرية ، مدافعا عن قضية فلسطين ، وفي عام ١٩٥٢ عاد الى الوطن العربي ليقوم في بيروت ، وفي عام ١٩٥٦ مدته الجامعة العربية لثلاثة سلسلة من المحاضرات حول التعريف بالادب المهجري ، ومن



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

لدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء لنشرت ام لم تنشر

للاطلاع تراجع ادارة المجلة

Dir : 223819

الادارة : ٢٢٣٨١٩

Dle : 225139

المتل : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ١١٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير اديب

ثم في قصيدة مرحة يقص علينا قصة زواجه واستقامته ، وكيف انتشله هذا الزواج من الطريق الموح ، وكيف اسلم قياده طوعا ام قسرا الزوجية ومسؤولياتها ، لانه وجد الملاك الذي يقاسمه حياته ، ويحياها الى فردوس .

ربما يبدو على هذه القصائد مسحة التقليد ، خاصة وقد قبلت في مناسبات تحتم على الشاعر ان يقول فيها شيئا ، اذ لا يليق بالشاعر - اجتماعيا - الا بقول الشعر في زمانه والديه ، ولا يليق به - عاطفيا - الا بجمال غروسة في ليلة زفافها ، وربما يكون اعجابها به اول ما اعجب به كشاعر ، ومن الكياسة ان يستليها بهذه الابيات التي تسيل رقة ونعومة ، كي تفرش له بيته مدى الحياة بالزهور والرياحين ، انسه يقول :

يا ملاكي شاركتني في جحيم صار ابيس من النعيم وابهج
ما الذي من انازل الرق احنى حين مرت على جبينني الموج
واحمرار السورود ليس بالذي من حياء في وجهها يتسوج
ما هديل الحمام ابلغ وقفا من هفيف في صوتها يترجج
لكننا حينما توغل مع الشاعر في اخس خصاله ، وحينما يفيق معنى « الاسرة » ، وتتسع دائرة « الانانية » حتى تصبح نابعة منسمة متدفقة اليه ، هنا تكتسب العاطفة معنى جديدا ، يتدفق بها الشعر طبعيا ونافعا وحلوا ، ومحتشدا بكل الاحاسيس الانسانية الاصيلة في حينما يفتي الشاعر وكأنه يقني لنفسه ، ولا يدري اننا نطل عليه من هذه النافذة الصغيرة .

هذه ابنته الوحيدة تلعب مع كلها .. صورة تحدث كل يوم ، بل كل لحظة ، وابنة صيدح ليست يوما بين بنات العالم ، ولكن كيف صورها الشاعر هذه الصورة الخالدة ؟ لقد احتضنها بكل الحب وكل الحنان ، وهي تشب على ميثمه ، وهو يرى فيها اسمه ويومه وغده ، ويودع هذه الصورة عصارة حياته ، فتبدو لنا وكأنها صورت نفسها ، هكذا يبدو قصيدة « شيلطة » :

ابنتي مع كلها تلعب في رجب الحديقة
امها غابت ، فهندا بكبح البنت الطليقة
اعلتها نورة غسد المراسيم الوليقة
وعسدت كالأبى العجلان يشق طريقه
ضربت في العشب ، دابت اصمى الزهر الانيقة
ومضت تفرح اذان الافلين الصليقة
مورقات ، اصيحت ارجوحة اللهو الحليقة
رشرشها بسفاه ترك العطش غريقة
من راحها ظنها تلفسء بالماء حريقه
رب ورد هاجنه ، وهي للسور شقيقة
وبسين داعبته اسمع الحسى شقيقه
كلها المسؤول عنها قلبي يلعب رقيقه
خالق عابجة القيش على ردف الرقيقه
وانا في مقعدى اسعد حى في الطليقة
انقاضى ، وغويوني لسم نزارها رديقة
اجتلى في وجهها وجهي وعرفى والسليقة
خلف منظاري توارت دعمة الشكر الرقيقه
دعمة العاشق لا يرده عفك العشيقه
دعمة تفسل اوزار الصبايات العتيقة
دعمة الفرجت الاحلام في فجن الحليقة
دعمة لتعتطف الدهر وتستعطي رديقه
ليته يجمع عمري في سومات الحديقة

هنا لا بد ان نذكر الفرق واضحا بين الشعر الذي اوحته للناسبة التقليدية وبين الشعر التابع من نثايب النفس الفنية بقلدة الكبد .

ولكن « الشيطنة » التي نحس فيها الشيء متراقصا مرحا تتوابع فيه كل أحاسيس الشاعر ، كانت حين طفولة الإبتنة وهي لبدا حركاتها العشوائية ، فلما كان عيد ميلادها الأول أهدانا هذه القصيدة « التي ابتني في عيد مولدها » :

نشأت بين جلون الياسمين زهرة في الروض تسبي الناظرين
سألوني : ما اسمها ؟ قلت أسمعوها : أطرب الإلفام عندي « جالكين »
اتراها خبيرة فسي خلفها قالت كاملة الحسن الحسن الميسين
أم : ربحنا الله من ذوب السنبا وبنات الناس من ماء وطنين
أنا الروح التي تقنوى بها روح صندري في معانة السنين
أنا أولادنا أكبادنا وعلى الأكباد نجحنا آمين
ويجي عام ١٩٢٨ ، والأب يقترب من الستين ، وما تزال جالكين

هي النجم الأوجدي في سموات أبيها الشاعر جورج صيدح ، وذات يوم تلجؤها الزائدة العلوية ، وتصبح الجراحة لجالكين - ابنة التاسعة عشرة - أمرا لا مفر منه ، وتنام الفتاة تحت وطأة القدر ، بينما تستيقظ كل أصصاب الشبان ونصاب بالقصى دجوات التوتر ، وكان مبعث الجراح يقطع من نفسه معلقة مفعفة ، وتضمد جراح الفتاة ولكن بعد أن تتدفق دماء أبيها غزيرة حارة على سنان القلم وأديم الطرس في قصيدة بعنوان « ساعة الترحيل » :

رفقا بها يا مبعث الجراح
أن زدت أيلاما فطعت لجعدي
والله لو اقلقت روعي لآرتعت
هذي القطاة قفاصة من ريشها
ماذا جنت وهي الغليظة في الربا
بالأس مدت عنقها من وكنها
الياسمين النفس في إكماسه
أنا لا أخشعه بغير نواظري
مالي إراد على الخوان مبرحا
صرعت في الآلم فسي غيبوبة
قالوا فطعت بجها ، فاجتهدم
النوح أن يثقل على أسنانكم
هي فرقة اللواديسين وجيدة
الذي أشفى على خوض الدجي
أمنت في علم الطبيب ، وأن في
ربساء سدد كفه وسلاحه

وبعد خمس من السنوات يعين الفراق الحتمي بين أبة بنشت وأبيها ، فتخطب جالكين إلى الصحفي الأديب اللبناني حسن غصن ، ويتبعهما الشاعر بقصيدة مرحة مقلدة للكاهنة ، ولكننا نحس من وراء ذلك صراخ الإصعاق تهتز الكلمات تحت وطأتها حتى تكاد تعبر عن مأساة الأبل على الفراخ الجلول ، ولولا أنها سنة الطبيعة القليلة لفن الآب بابتنته ، لكن الأذنان لآلم الواقع جعل الآب يبارك الزواج ، ووبرده أمام نفسه بأنه لا يمنع أبنته لزوجها ، بل يضيف إلى نفسه أبنسا جديدا ، ففي قصيدته « اليوم المشهود » يقول صيدح :

نسلكت بيجان خارج الوكن
ربيبية الليل والإنداء أوجحتها
ماذا جرى؟ لم يرق صغري بخلفتها
بينها بين أجفاني ، وبى جرج
حتى إذا عيلمت ، وأشتد ساعدها
مضى الزمان الذي أشتبعته لعيا
كانت زوج وتضدو أن أدنت لها
يبني على الرمل من بيتي على ولد
قلب الذاذرى يياض حالم بلم

الله في عون حسناء يطارحها
باللفظ يسكرها ، باللفظ يسعمرها
يا خابط الحسن والإخلاق لفت بها
هذي الوحيدة أنت الآن وأحدها
مهرتها أدبا يربو على أدبي
ما دامت في انتخاب الكفء بل بعدت
خيرتها ، وهي تدري ذوق والدها
أقول للقلب أنزله على سعة
وتزوج الفتاة ، ويحس الوالد بالفراخ ، ولكن رحمة الله
تدركه ، فلا يمر عام حتى تلد له جورج الصغير ، وعلى الفور تنتقل العاطفة التي لم تبرد بعد من البنت العجيبة إلى أبنها الحبيب ، فالتدليل ، والشفقة ، والأمل ، والتي تعود فتستقطب حول الحفيد جورج فغن ، ويوجه إليه الشاعر « رسالة جد » وكان الأجدد بها أن تسمى متاعا جد ، حيث يقول فيها :

أدركت غصن الهلال
غام الصرامة ولى
كان القفاط تقيصلا
تشكو السرى ، وتشكو
كدم نمت فيه نهشارا
ونحن حوليك جوق
نهلسو اليك ونشددو
إذا فككت فشحك
وإن يكيك ففحين
وإن سكيت طرخنا
وإن خطبوت بنينا
وإن وقفت شمونا
وغصن فحال عينا
يا فحيتي إذ تنافسي
حتى أهليك أهيري
كأنني يا جرجون كنزا
بنسي يا روح روحي
يسا زهرة بين أصبي
يسا زهرة (فغن) روى
أنت الربيع المرجى
خوطبت باسمك أسمى
هذي سمائك نالمت
حبسي من (الفغن)
بنسي يا بعض نفسي
اليك دنياك ألت
شيعتها بقصيد
أهديك عريبا
عسى يؤايبك يوم
يسوم تلفت فيسه
فلسا تراسلي الأ
ملاحمي تراسل
يا رب أطلق سراحني

أما عندما يصيح الحفيد جليدين فإن حدة العاطفة تخف ، ويحاول الشاعر أن يتخلص ، وهو يقول في قصيدته « مع الحفيد » :

تصلا فقصيري نخوي تصلا
أشكوا والبيا
وكساطرير تشدو متسى الفغن صلا
فغنا واطمنا

غرامه صحنى حاذق الفن
وأي أتمية تقوى على الجن
لا خاب فلك يا العبقى ولا ظني
والقنى بهاء الحب تستغنى
فاستحييت منك ما لم تستطعني
إلى انتخاب بلا رشو ولا ظن
فاختارت الصهرين لوليتهم وذني
فأنت يا قلب بيت لابنتي وابني
وتزوج الفتاة ، ويحس الوالد بالفراخ ، ولكن رحمة الله
تدركه ، فلا يمر عام حتى تلد له جورج الصغير ، وعلى الفور تنتقل العاطفة التي لم تبرد بعد من البنت العجيبة إلى أبنها الحبيب ، فالتدليل ، والشفقة ، والأمل ، والتي تعود فتستقطب حول الحفيد جورج فغن ، ويوجه إليه الشاعر « رسالة جد » وكان الأجدد بها أن تسمى متاعا جد ، حيث يقول فيها :

يسا سبط سبط الصوالي
أبشر بهام الدلال
على مزاج القسزال
صيرره القسوالي
ولم تنم في الليالي
مهرج متحبال
أنت غير مبال
على عسول الرجسة
تسج والقلب خال
عليك ألف سؤال
على خطاك العلالى
في الصدر وقع النبال
وابن الكريمة فال
على البساط حبالى
في غللة من عيالى
مخبا فسي رحالى
ويسا خيال خيالسى
وحافري ومبالى
من الهوى والجمال
لبدوحة في التحلال
من عباديات السزوال
أرنا عزيز التمسال
أنتي فيانه بظلالى
وكل همى وبالسالى
يسا على وسالى
كتبته فسي الرمال
ولو تعاجم السلى
تفك فيه مقالسلى
الى السنين الخوالسى
عيسر الرسود البسوالى
فيه ، وبعض خصالسلى
رات يمونسى مثالسلى

أما عندما يصيح الحفيد جليدين فإن حدة العاطفة تخف ، ويحاول الشاعر أن يتخلص ، وهو يقول في قصيدته « مع الحفيد » :

تصلا فقصيري نخوي تصلا
أشكوا والبيا
وكساطرير تشدو متسى الفغن صلا
فغنا واطمنا

تصدق ان البيت عاد اليه الصمت وان الجدران أصبحت عارية
والكراسي فارغة .

في الشعر الحديث ، تلجأ الى تكرار عبارات لافتة للنظر ويختلط
عندها الحلم بالواقع والوعي باللاوعي ، فبعض قصصها احلام (الأربع
الآخيرة) . وفي قصة « سائق الباص الحكومي » تلج صورة سائق
الباص على البطلة وهي تغد أعمالها المكتيبة .. يشردها عن موضوع
عملها وتزدحم فيه الافتراضات حتى تنسى مرور الزمن وينتهي وقت
العمل قبل ان تتم عملها . ولعل ذلك نتيجة التعب والارهاق .

ومن وسائلها الفنية السخر في المواطن التي يستحسن فيها
ذلك :

« السيفقة تنظر بوله الى بطنها وطلبتها وهما يبعثان بخوضنج
الفرقة ويقلبان كل ما فيها . انهما طفلان سعيدان واللعب بالآخرين من
مظاهر السعادة . »

« قامت هي وبناتها وطلبتها ... »

قصة « البيت العربي السعيد » تعالج في عنوانها كما في تفاصيلها
سخرية مريرة صاحبة البيت تتناول حيويا مهذبة للأصناف وفيقتها
ذات الزوج التقدمي تعيش خاصة خضوعا تاما لآمرات المم والفرار أسرة
العم ، تغلب بالرضوخ ، أي بالعبودية ، « لأنها ترضي الجميع » ترضي
الأم والأخوة والإخوات وآخرين . وهكذا تعيش المرأة على الكسب
والرياء لأنهما اسم عافية والضمن للسعادة . الا ان هذا الوضع لا
ينطبق على المرأة فقط بل على الرجل ايضا ، عاملا كان ام موظفا ام رئيس
عمل .

مضمون الكتاب يتناول الوانا أخرى من الظلم والظن في مجتمعنا
العربي السعيد . « عمه رقيق » امرأة متاضلة يرى فيها اخوها ساعده
والابن ولا يقدم على عمل من غير استشارتها . لكن هذا الاخ المتاضل
يتزوج امرأة لا تجيد سوى التبرج . والاخت التي تغلق بانعمالها على
الرجال والتي يفاخرون بانها أخت الرجال ، يستحلون افعالها ،
يفسئون عليها بالراحة واللؤلؤ ، يعترضونها اذا تخرجت ، المرأة مهمما
سمت وعملت ظلال فائدة الشخصية ما لم ترتبط برجل .

في قصة « النادم الجديد » حكاية الفتاة التي وضعت عليها
مسؤولية اغالة أسرته الكثيرة العدد لأنها كبرى اخواتها واخوتها . وهي
دائمة الخوف من قادم جديد أي من طفل جديد تلده امها ليزيد عسدد
الإلواء التي يجب ان تطعمها . اخواتها الصبيان يفعلون ما يشاؤون .
يسافرون . يغامرون . يسجنون . اما هي فمربطة بعملها لا تستطيع
ترك البيت ولا تجرؤ على التمرد والعصيان لأن القتل ينتظرها اذا هربت
كما يهرب اخوتها .

للك نماذج من مشاكل المجتمع العربي تعرضها ديزي الامير بأسلوب
لبق ، حديث ، يدل على نمرس ونفسج وتفكير سليم .

روز غريب

الدامور - لبنان

الله والتبيل والحب

ديوان الشاعر صالح جودت ، ٢٤٠ صفحة حجم كبير - منشورات
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ، مطابع الهيئة المصرية العامة
للكتاب بالقاهرة

في اواخر صيف ١٩٧٢ ، اتفقد في مدينة بعلبك مهرجان ادبي كبير
شاركت فيه الحكومة اللبنانية بشخص رئيس وزرائها ، والتي فيه عسدد

دعاني اقبل ورد الخدمود فتلک القبيل
متى بالفنوط ادلهم وجودي تيسر الامر
فاحسب صغرا عن المصدر زالا
صغيري هيا السى ركبنا تعالا .. تعالا
لدى لكما معا كنزت بصدي وفي جبتي
تفوزان بصدي بشرة شعري وبالصبيبة
فان تقنما بالثراء فقلنا فصي عليا
ايا وارثيا تعالا .. تعالا
هنيئا ليبت به تفلطان هنيئا لنا
اذا الفكر صور شكل الانسان جلا شكله
كان السعادة ليست محالا تعالا .. تعالا
جيميلان والحسن اصل المحين وحقيكما
ساتر من كل وجه حسن سوى حقيكما
فاني ابارك هذا الجمالا حليدي هيا تعالا ايا
تعالا .. تعالا

وبعد .. اياها الاصداف

ان خير ما يصنع الناظر في شعر صيدح ، هو ان يقدم شعوره
لاصدافه ، وانما ارجو ان اكون قد قمعت ما راق لي ، وما ارجو ان
يروفكم ، وان كان كل شعر صيدح يخلو ويروق .

ولعل لنا لقاءات مع الاجزاء التالية من ديوان صيدح .
فاني لكاه .

رضوان ابراهيم

القاهرة

البيت العربي السعيد

تأليف ديزي الامير - ١,٦ صفحات - دار العودة - بيروت ١٩٧٥

قصص ديزي الامير ذات اتجاه واقعي يجافي العنف والقالة والابتذال .
تكاد تخلو من حوادث الشللود والفرام الكساح والقتل والانتصار .
الاسلوب هادي ونسيب في ان ، ذو عبارة تميل الى الإيجاز والتركيب ،
تنقل اليك صورا متلاحقة كما في الشريط السينمائي ، او في الشعر
الحديث المعتمد على المونتاچ او تتابع الصور . العاطفة والفكر متكويثتان
وراء الصور وعليك ان تستقيهما بنفسك وفي هذا الاستنتاج منة لانه
يشحد الفكر . لا اعني ان في قصصها القازا وعميمات حاكمة
بالاستنارة واللمسات وفروب التلميح والتعريض . هذه ميزتها الاولى
اما الجزية الاخرى فهي تدقيق الوصف بشكل يجعلك تلمس الصورة ،
تفرق في جوها ، تتعاطف مع الأشخاص ، تجالسهم وتلههم لانهم متحركون
ينفوسون بالحياة ، ولان المؤلفة تنظر الى موضوعها بعين الفنان البدي
يرى اشياء لا يراها غيره ، ويؤثر التعبير اللامباشر لانه اشد تأثيرا
ونوصيحا .

« قامت الى النافذة ، اسدلت ستارها . والى الثانية والاخرية ،
اطلقها كذلك ، واغامت النور . نزعرت جواربها ومشت حافية . فتحت
ازرار ثوبها ، وتركته يتساقط عنها ، سارت في ارجاء البيت غرفة بعد
غرفة ، تسع صوت الصمت ، اصغت الى الجدران العارية وركزت
عينها على الكراسي الفارغة . »

في هذه القارة تصوير دقيق لحركات دبة البيت المتعبة التسي
ارقتها واجبات الصفاية وازعجها الصيوف الذين ملأوا الكرسي
وحجوا الجدران ، فهي تطلب الظلوة والراحة عقب انصرافهم ولا

من شعراء العرب وأدبائهم قصائد وخطبا ، في تكميز ذكري شاعر
الإنظار العربية خليل مطران ، بعد أن تم نقل وفاته بجهد الصديق
الإخوة الأستاذ يوسف إبراهيم يزبك من القاهرة إلى مسقط رأسه
الشاعر البعلبكي ، وبعد أن وفدت إلى خليل مطران منتسبة قبيلة السار
بعلبك التاريخية الباقية على الزمان .

بومداه ، التي صديقي الشاعر الكبير الأستاذ صالح جودت قصيدة
باسم مصر ، تعتبر من عيون شعرة ، وكان مما قاله فيها :

لا يستجيبه ولا قسرانه بعثت الله شاعرا في زمانه
جسل شيبان الإله ما علم الشعر نيبا ، أو به في لسانه
أرسل الأستاذ بالأي والإصباح كسي تنهدي السلي طرانه
إلى أن قال ، شيدا باصولية خليل مطران واتزامه العمود الشعري:
أغفروا لي إذا وقفت الغنى بالمعمود الشعري بعد هوانه
بعد أن غائنا الجديد ، وكذا من أساتنا نقيب في طوفانه
بعد أن هيئت البلائل في الروي وطاب الفناء من غرسانه
رحم الله للخليل زمانا غير هذا الزمان في هديانه
كثر الماينون في حرم الشعر وفيل الفناء من غرسانه
كثر الماينون فيه ، وعانوا كثر الماينون فيه ، وعانوا
وعدا كل شاعر ينشئ البحر كنهش الذليل من حيانه
هل سمعتم به بفيل وبزري بالروي الشخصي في إرثانه
هل سمعتم به يجب القوافي وهي حول القرقي عقد جمانه
هل سمعتم به ينشد بالفصحى وبختل في ذبول رطانه
يا سقي الله يعبا بالناسي فهو في محتسبين لقرسانه
ومن أذى الصابئين في حرم القدس وسيناله وفي جربانه
والذي الصابئين في حرم الشعر وفي حسنه وفي احسانه
فلم يكن بالمتقرب في شيء ، وأنا اتقن من الأستاذ صالح جودت
هديته النفيسة الجديدة « الله والتيل والحب » ، أن أهرع مقبلا
صفحات الديوان ، لكي أعيد واستزيد من مجالات هذه القصيدة التي
سبق لي أن أبدت لها احتجابا بها ، وهو في رحاب لبنان ، يوم انعقاد
مهرجان ذكرى الخليل ، فكانت خيبي كبيرة ، أو وجبت نفسي كمن
يجت عن السراب البعيد .

وعند أقلب صفحات ديوان «الله والتيل والحب» باحثا عن
قصيدة صالح جودت التي القاه في مهرجان الشعر الذي عقد بنونس
في شهر آذار (مارس) عام ١٩٧٢ ، والتي بداها قائلا :
فبما يسحر عيونك الخضر يا أجمل الألوان في ععري
وبعد انظر المنظوم مزدجها بالاحمر المضموم في الشعر
حتى ينقل نقلة البارة إلى حديث وطني رائع :
قالت : وكيف التيل ؟ قلت لها : رغم الحوادث لم يزل يجري
منحصرًا لجراح عزته ، متدحرجا بالحلم والعصير
تمسدا للمحدقين به ، متحفزا للاكذب بالشار
ما زالت الأهرام شامخة والسند مختلا على النهر
وهواية الإجداد ما برحت مهوى قلوب الغنية السمر
الصامدين يخلو كتبتهم يروونها في العسر واليسر
ومن الجبال في طباتهم لفك العمام وعزة الشعر
يسري أبو الهول الأيمن لهم ما شافه من حادث الدهر
نقش الفرسان في برائته تصويرة مجهولة السر
مر الفتاة به فما عبطوا من سفحه إلا إلى التبر
ولا ينسى « اصحابه » من الشعراء المنورين الذين اطاحوا بأصول
الشعر وقواعده ، لا عن تلقن ونظر ، وإنما عن عجز وقصور لا يخفيان
أحد ، فيقول :

«يا صاحب «النبأ» ملهنا وأمانة الشائبي في منقبي ما زال في قبلي وفي خلدي
منه شذى متارج العطر

واحبته روحا مرفرفة واكاد الحسه بقصائمه
متنمجا بروائع السدر واكاد اسمع صوت غبته
جمدوا التراث ، وباركوا جزوا متناولا ، متفاسرا ، قلقا
سموه بالحر الجديد ، إلا راحنا للشاعر على شطر
الشعر موسيقى متفسسة اما حنا شطر على شطر
وتألقا وزنسا وقافية ، وتألقا بثقافة العصر

قلت : عدت أقلب الديوان ، بحثا عن هذه القصيدة الرائعة ،
فطبت الديوان الذي وجدتها في صفحات (٧٠ وما بعدها)
منشورة بكاملها ، بعد هذا ، أرجو الإيحصيني القاري منظرها ، من
عتت ، أن صارحته بانني احسست ، وأنا أرى قصيدة ، وافقد أخرى
في الديوان الجديد ، يمثل الولوج في البحث عن قصائد يعينها ، كمثل
قصيدة التي القاه في مهرجان تكميز ذكرى عزيز باطلة الذي أقيم
بالقاهرة في شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٢ ، والتي مطلعها :

ما عزاني فيك ، يا خير عزاء منذ أن ساب أمير الشعراء
لم تزل تسمى إلى سنده بعد أن عز عليها الأولياء
ومنتها قوله :

فاني منك الشعر روحي الشجي فاحري الروح ، شوقي النبأ
طاوكت الشائبات التي لم تلح في الشعر إلا الأمراء
أما الشعر الفصلى دولة لم يزل فيها الرعاة الكبراء
لم تزلواها التفاتيات ، ولا هزها سيف ، ولا شقت دكرا
غير أن الحنة الكبرى بها ما جئنا المحدثون الأدبياء
تكرروا الأوزان في روتنها والقوافي البليبات الفناء
في زمان عابث بطرسية هدر المرد ، ولغو التفاهة
سوف يلقي الشعر في سرف اللا ويولون مع الريح جفاء
أعنا يكس في الأرض الذي ينفع الناس ، ولا يبقى الهباء

فلما وجدت الديوان الجديد خلوا من هذه القصيدة أيضا ، شعرت
بمطلعين أن هذه الديوان الصادر عام ١٩٧٥ ، لا بد أن يغفل
قصيدتي أخرون ، نظمهما الشاعر في عام ١٩٧٥ ، فحال المرض
دون لقاء أحدهما وعنوانها « أغنية الجنوب » في المهرجان الثقافي
الذي أقيم بالخرطوم في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، بسبب
المرض الذي عدا على الشعر فازمه الفراش ، ومطلعها :

الجيبان ، إذا دلا وتاهما فهي الصبوة في أحلى مداها
يفرح الصلاد في بيتهمسا ويقولون : اجنوتوا واجنوتوا
لنهم يدورن ما سرهما انها الاشواق واقت منتهاها
ولفسي الله بان يتقبلي في قلال يسارده الله جناها

وما الثانية ، فهي التي عنوانها « فدائية » ، وقد القاه في
مهرجان الشعر العربي بالجزائر في شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٥ ،
ومطلعها :

لقيتها ساعفة العفيدة حسناء كالزهرة الندية
شبابها في كبرياء وروحها ملوثةا حبيبة
تمشي على « السن » في اعتداد كصخرة صلبة عتية
وترمق الكون في تعبد للسيف والخوف والفتية

لا أريد ، بعد هذا ، أن أمضي فلما في البحث عن القصائد
والمنظومات الشعرية الجميلة التي افتقدتها في ديوان صالح جودت
« الله والتيل والحب » ، كقصيدته « أغنية صيف » المنشورة بتوقيع
« ص.ج » في ملحق الهلال : « الزهور » (العدد الثامن - أغسطس
١٩٧٢) ، وقصيدته « داء » (الزهور - العدد العاشر - أكتوبر ١٩٧٢)
وقصيدته « حبيتي » (الزهور - العدد الرابع - أبريل ١٩٧٢) ،
وحسبي اقتناعا بأن صالح جودت قد ضم أو أنه سوف يضم هذه

حسانك يا رب مله الوجود
وانت الكريم ، وانت الرحيم
وبسلك الطساء ومنك النوال
وبمسل غفوك جم الذنوب
وبسعد في حبك الماسسد
وفسي كسل ما حولنا آية « نذل على اسك الواحد »

واقف ، مع الشاعر ، مستجيبا « ليالي الاسكندرية » (ص ١٨٨)
وهي القصيدة التي نشرت في عدد ايلول - سبتمبر - من « الزهور » ،
فاقرأ من مظهرها قول صالح جود :

انت الدنيا سلام ونجاة
انت فردوس القلوب العربية
يا ليالي الصيف في الاسكندرية

موبك الحسن على الكورنيش اذ يخطر ايلا
بلا الجو ترانيمها وانغامها وميلا
كلهم في ذكريات من هوى فيسولي
بالون الزلزال على حل الجنة احي
من مفاتيح الحسان العاطفية
يا ليالي الصيف في الاسكندرية

ورغم ما في هذه القصيدة من الرشاقة والرفقة والوصف الشعري
الجليل ، فهي قد كرتني بقصيدة اخرى لصالح جود عنوانها
« الاسكندرية » ، كان قد انشأها في مهرجان الشعر الرابع الذي اقيم
بالاسكندرية في تشرين الاول - اكتوبر - ١٩٦٢ ، ونشرها في الصفحة
٢٢ من ديوانه « الحان مصرية » . وهذه القصيدة التي يشير صاحبها
الي « انها ذات فائقة لم ترد في تاريخ الشعر في « البحر السيب » هي
من احلى ما يمثل قوة شاعرية صالح جود ، وتكامل الصيغة الفنية
لديه ، فضلا عن كونها تتحدى العديد من شعراء الوزن والقافية ، ومن
شعراء النثر ، على حد سواء بقايتها الغالية ، وفيها الغنية الفلمانية ،
يقول صالحت جودت في قصيدته هذه :

اسكندرية ، فيك الرقي والقصا
افصة الحب طلالا في ملاعبه
ايام كنا نرى الزمان مدمية
ونجعل الرسل قصرا ، ثم نهدمه
ولست طفولتنا كالحلم مسرعة
جساء الشباب ، وكنا في ملائنه
اما الشباب ، فقد فشت مولده
وما تغلف الا الجوع والقصا

ونجزي القصيدة على هذا الروي ، حتى تبلغ تسعة واربعين بيتا
من عيون الشعر الوطني الذي لا يخفى مرارة الشاعر مما ألم بالوحدة
المصرية السورية من انقطاع حزين . وما اعرفه شخصيا ، عن هذه
القصيدة ، ان المرحوم عباس محمود العقاد ، حين سمع للوحدة الاولى
مظهرها من الشاعر ، وكانها في لجنة الشعر بالجلاس الاعلى لرعاية
الفنون والآداب في القاهرة ، سأل : « كم بيتا تلقى انك تستطيع ان
تنظم على هذا النوال » ، وفوجيء العقاد بان القصيدة كانت تناهض
الخمسين بيتا .

وبعد ، فلقد أثرت ان يتجاوز الحدث عن « الله والنيل والحب » ،
حدود الصفحات المتقطعة في هذا الديوان الجديد ، ليتناول من قصائد
صالح جود ما نشر في مواضع اخرى ، دون ان نغصه دفنا ديوانه
الايق الرقيق ، ندلا على شاعرية لياضه وطاقته فنية لا قبل لي في
اكتشاف شيء جديد فيها ، وحسبي ان ادل على الطر ، وان كان
الطر يعلن ينه عن نفسه ، في شعر صديقي واخي الشاعر العربي
الكبير الاستاذ صالح جود .

فوزي عطوي

الفوائد واشياها في ديوان آخر ، وان كنا نتمنى لو قرأناها ، او
بالأحرى لو تيسر لقرئنا ايضا من القراء ان يظالموها في ديوان « الله
والنيل والحب » .

واما محتويات الديوان ، فتناولوا على التلاية المقدسة (في رحاب
الكعبة ، في رحاب المدينة المنورة ، وفي رحاب القدس) التي غنتها
قصيدة الفناء العربي ام كلثوم التي استنحت عن جدارة لقب « كوكب
الشرق » ، كما تناولوا على مترجمات عاطية من شعر كتب باللغات الأجنبية
بالام توفيق الحكيم وسليو حجازي وعليه فهمي وفرانيسكو ايريوالو
وما بين التلاية والترجمات ، تتناثر قصائد وجدانية ، وطنية ، دينية
توحي كلها بدهاء العاطفة ، وشغافية الاحساس المرفه ، ورقة النبرة
الشعرية التي ظلنا نلذذها في اعمال صالح جود .

ولعل من حق الشاعر والقارئ ، ما ، ان افك وفقة ولو قصيرة ،
مع كل قصيدة من قصائد الديوان ، لكن ذلك الامر يحتاج مني الى
دراسة تفصيلية لا يتجها في هذا المجال . لكنني مؤمن تمام الايمان
بقولة صديقي الكبير الشاعر عمر ابو ريشة : « ان الربيع يبعث
الطر بخصر » ، فلا بأس ان انا للحت الى بعض معالم الجمال ،
على طريق ديوان « الله والنيل والحب » .

ان رقة صالح جود ، الشاعر الغزل الذي يعرف وحده مقصدار
ما ينقي الله في قلوب العادري ، تمن عن نفسها في كل حرف من
حروف الوجدانية المتناهية الشغافية :

سيان ، ان اخلصت او خنت
واي بك الانسى اذا انفجرت
فيك الخطيئة والخلاس معا ،
بهاجرة المصدراء ذبت تقى
معا بالوفاء كبرت في نظري
انت الحياة .. وكنت اجهلها
القالا لي ، فالقول : يا ترقي
ونظلل قيسي في تعلقه
فلذا انصرفت صرخت من جزي

ان خالص جود ان يحدب من النساء ، لكن هذا الحب
البارق في الوجودية يتناقض مع موقف اكثر عزة وانفا يظالمنا في قصيدة
اخرى عنوانها « رسالة الى مفروزة » (ص ٥٧) :

ردي على تحيتي ، ردي
عيناك جوهرا من الق
لا تخافني الجرائن في روق
اني لاج فيهما ظمسا
ان كان غرك فطرت ما وصفوا
لا تخفمني فتنة الانسى
او كان غرك ان الف يسد
لا تخفمني في الزحام ، فما
ان الدم المصري يعضمني
لا تحبسي ، همما طقى ونسي

واننا بمنزل هذا الشعر نحلي ، وكلته نصق ، وعلى ايقاعه
نحمر اروع الحدا ، ونفني ارق الفناء .

ويتجلى ايمان صالح جود في قصيدته « صلاة » (ص ٦٢ من
الديوان) التي كان نشرها في عدد شباط - فبراير ١٩٧٢ من « الزهور » ،
وهي تستنشق روح الشاعر الانسان اليتيم الى رب العباد :

على كسل ناصية شاهد
بأسك دون السورى خالد
وفسي كسل ما حولنا آية
وانت جيميل تحب الجمال

والبصيرة »

والادب - كما افهمه - عاطفة وفكر ومتمعة ذهنية وجنادية رقيقة . . . كما انه رسالة انسانية حضارية تخدم الحياة بكل ما فيها من مثل عليا واشواق رقيقة ومطالب راقية وتزرع في النفوس الخير والجمال . . . انه مؤثر فكري وروحي غايته انسان افضل في مجتمع يتسع للحياة الانسانية بكل مطالها ومطامحها وتنشواتها .

والاديب الحق لا ينتج شيئا يرضى عنه الا اذا تحركت اعماقه وفارت وفاضت . . ان اصالة كل اديب تنبع من ذاته التي لا تعيش في فراغ بل تتأثر بما حولها من احدث واوضاع . . . والاديب الذي لا يعبر عن ذاته لا يكون اصيلا فالاصالة هي الا تكون غيرنا . . . وفي هذا يقول (انتوني وست) : « العمل الادبي الحقيقي لا يفرزه عقل الكاتب الا بعد ان يعترض قلبه ودمه » . .

الادب صياغة فنية لتجربة بشرية ، والادب يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه ، عندما يتأثر بالتجربة او المأساة وتستقر في اعماق ذاته يستيقظ على التفكير فيما يشغله وينام وهذا الشيء ملء نفسه وروحه . يفوس في الاعماق ويطلق في الاعالي مجتازا الظواهر الخارجية ، يعيش مع ذاته في عالم علوي وقد ظهرت نفسه من انانياتها ومادياتها، وعندئذ يكون ادق حسا واكثر انطلاقا الى رحابة التفكير والتعبير الانساني فيرى رؤية رائعة تنبهر بها النفس ويرى الحياة والاشياء من زاوية تختلف عن رؤية الانسان العادي لها ، رؤية نفس الحقيقة الانسانية بوجهرها الصافي وبعد ان فحرت التجربة بتابع الجمال في اعماق كيانه وعندئذ يكون اقوى على الابداع في عالمه الداخلي عالم التامس البصيرة والخير والجمال وفي هذا يقول (فان جوخ) : « من صفات الفنان الاصيل اذا انغمس في المأساة ان يخرج منها طاهرا نقياً » .

هذا هو الاديب الفنان الذي نرى انفسنا وخلصاها فيما ينتجه لنا ، تبادل معه النضات وتصل نفسه بنفوسنا ويسكب من فكره في فكرنا ومن قلبه في قلوبنا وتندر مع سر الجمال والحياة وحقيقة الانسان والاشياء في صميمها . . . هذا الفنان المستغرق في انسانيته وشغافته يوجه قارئه الى عالم المثل الطيبة وواحات الامل، يعالج الماسي بانسانية وعمق ويهدب اعماقنا ويحرك اوتار الجمال في نفوسنا ويبدع في عقولنا بذور الثورة على انفسنا ، الثورة التي تظهر اعماقنا وتحرق شوائبها ، تفكر معه وتأثر به فنسوم على واقعنا ونرتفع من ادنى السى اعلى ، ونحس اننا اصبحنا انسانا جديدا يرى نفسه والعالم حوله بعين جديدة ، وحس جديد . ادبنا هذا له طاقة توجيه وابداع يتمكن بها من تجديد خلايا وجودنا الاجتماعي والحضاري ، يصوغ لنا القيم والمفاهيم والمقاييس الجديدة

(من كتابي « فن القراءة » ١٩٥٦ .



إيليا حليم حنا

ماذا أقرأ ؟

بقلم إيليا حليم حنا

لكل قارئ تكوينه الثقافي وميوله وذوقه وأهدافه ومفاهيمه الشخصية والعلامة التي تحدد نوع القراءة التي يفضل عليها .

ومدار كلامي في هذا المقال ما يقرؤه المثقف من أجل التكامل والنمو بالاتصال بمجالات الفكر والفنون المختلفة التي تثقف حسه وعقله وقلبه كما نتحدث عن مفهوم الكلمة المكتوبة وما يمكن ان تحدثه من انتفاضة في عقل القارئ ووجدانه تمكنه ان يطاول وعيه العديد من قضايا العصر وترهف حسه الفكري والانساني الى غايات ابدع من واقعته وتفكيره العادي .

« والقارئ الهادف الذي يدرك القيمة الحقيقية للقراءة يقرأ ويهضم ويفكر ويجرب ليستخلص شيئا جديدا يضيفه الى تراثنا ويعمل على تغيير حياتنا وتكيفها ، وكلما أكثر من هذه القراءة الواعية المركزة المنظمة كلما وجد نفسه يقترب من هدفه فيزداد تفكيراً ، واثناء حرارة التفكير والانغماس فيه يعقله وكل حواسه تنقدح في ذهنه الافكار الالهمة فيزداد محصوله العقلي ويزداد هو استحوذا على العالم الخارجي وادماجاً له في حياته .

والاديب الفنان كالمخترع ورجل العلم يقرأ للابتكار والاستلهام ، وليس ليشبع جشعه الثقافي فقط . . . انه لا يقرأ لينقل ولكن ليحس نبضات الفن والالهام

بالنسبة للأحداث والتجارب ، وله حساسيته الخاصة التي تختلف في قوتها عن حساسية غيره ، وله موقفه من الحياة وميوله وثقافته وكلها تؤثر في حكمه على العمل الفني ... وقد يكون لتكوينه الثقافي والفكري والوجداني المختلف ما يجعلني أرى في العمل الأدبي ما لا يراه ، وأتوقف فيه ما لا يتوقفه ، والعقول بطبيعتها غالبا ما تكون كبصمات الأصابع لا تتشابه منها اثنتان .. لذا فأنني لا آخذ نقد النقاد أمرا مسلما به ، وقد تعودت ان أقرأ ما يصدره النقاد من حكم فيه ... والنقاد كثيرا ما يهاجمون ما لم يالفوه ، وفي تاريخ الادب الكثير مما هاجمه النقاد في عصر من العصور ثم جاءت الاجيال التي بعدهم وقدرت هذا الانتاج وجعلته اساسا لنهضة أدبية جديدة وبكفي ان اشرب مثالا واحدا بكتاب « ذكرى ابي العلاء » الذي وضع فيه طه حسين اسس البحث العلمي في الدراسات الأدبية وهاجمه النقاد بعنف وقال عميد الادب العربي عن هؤلاء « لم أجد فيما كتبه الا شتما وسبا ، والا طرقا في الفهم موعجة ، ومناهج في التفكير عتيقة » .

انني في قراءاتي لا انظر الى المنهج الادبي السذبي ينتهجه الاديب او المذهب الفني الذي ينحس منه ، ولا اقول هذا (ادب للادب) او هذا (ادب للحياة) . وقد قام بهذا الفصل الماديون الذين لا يرون في الادب ناحيته الجمالية الخالصة . انهم لا يرون له الا ناحية نفعية حسية مادية فقط ، والحققة ان الفن للفن والفن للحياة اقنومان لا يتفصلان في نفس الفنان ... انهما يعتزجان في قلبه وفكره وبشغاف فيفرق لنا شيئا جميلا .. ولا أغنى للفنان عن الفن الخالص لئلا اجل روحه ووجدانه وسموه ... والذين يقولون ان الفن ضياع للبعد البشري ويعبث لا يفهمون قيمة الفن الروحية والمتعة النفسية الجمالية التي يجنيها الفنان والمتلقي من هذا الفن الخالص .. انها مادية كثيفة مظلمة ان تسخر من فنان بفصح لنا عن نبضات قلبه واشواق روحه عندما تهتز اوتار الجمال في ذاته فيعبر عن صورة جمالية خالصة ليس لها علاقة بماديات الحياة ! . انها اعتبارات يسوقها المومك المادي الذي يسود عصرنا .. وكان مطالب الارواح لا مكان لها في الحياة والمجتمع ... ومثل هؤلاء الماديين كمثل من يهاجم صاحب قطعة ارضى امام داره زرعا زهورا وورودا ولم يزرعها تمحا .. يحق لهؤلاء الماديين ان يلوموا صاحب الحديقة هذه لو انه حول كل ما يمتلك من حقول الى حدائق طلبا للمتعة الجمالية وباطل زراعة القمح الذي لا غنى عنه ايضا لحياة الاجسام . لا احد ينكر ان القيم الجمالية لها دورها الفعال في تهذيب النفس ... انها تفجر منابع الاحساس بالجمال الذي يزيح الظلام عن العقول والقلوب ويطرد من النفوس الشر والاورام والاضاليل والانانية فنحس في اعماقنا بضرورة التعبير ونشعر ان العالم جميل وانه في الامكان ان تكون الحياة مليئة بالحب والخير والطهر والنقاء والعظمة

ينشرها بين الناس بعد ان يصوغها في معمله الفني فتدخل عقولهم وقلوبهم لما فيها من صدق وخالص وجمال . لهذه التجربة التي لمسها الفن وصافها ، قوة تغيير الحياة وانهاضها .

ليس الاديب صحفيا ، وليس كاتب اجتماعيا وليس عالما نفرض عليه الموضوعية اولا وقبل كل شيء ، فسان ذاتيته هي البوتقة التي يلقي فيها بما ثارت به نفسه في فيصفيها وينقيها بما في نفسه من قيم جمالية ويخرج لنا بجوهر جذاب رائع ... اننا عندما نطلب منه ان يدور في فلك مذهب معين او اتجاه خاص نسلبه طاقاته الشخصية ونجرده من الاخلاص والصدق .. ليس في الفن قياسات يؤخذ به ولا شيء يفرض عليه .. فلااديب لا ينتج فنا الا اذا وعى حقيقة ذاته وحقيقة العالم الخارجي الذي يحيط به .. الادب معاناة وصدق وخالص ... انه فن قيل كل شيء يخدم المجتمع بما ينتج من صور جمالية واحساس رائع مصدره اوتار الجمال التي في اعماق الذات البشرية . اننا نجرد الادب من اجل خصائصه ان جردناه كله من الذاتية ، فالذاتية هي المحرك الاول للتعبير الفني .

ان ما يهمني في قراءاتي الادبية هو المتور على المثل الاعلى روحيا وفكريا ووجدانيا .. والاديب الفنان هو الذي يحرك اعماقي وشعوري وتفكيري وآمالي وتطلعاتي ، يتجه بي الى الحقيقة في اطار جميل وعميق وعبي لجوهر الاشياء والانسان فيحدث نشوة جمالية عارمة في نفسي ، ينقلني الى آفاق غير عادية فأرى بعين اعماقي ما كان محجوبا عني .

في قراءاتي اسمي الى معايشة اعمال فنية تختلف مواقف واتجاهات اصحابها وبالتالي تختلف معطياتهم التي تبدو فيها الاصاله والحرية والمعاناة . اعيش مع الاديب الذي يعمق احساساتي وشعوري وبشري فكري ويعطيني متعة وجدانية ... تستغرقني قراءة مثل هذا الاديب واعيش معه في فكره ووجدانه حتى وان كان مغفورا ، فانه لا تمنني شهرة الكاتب بقدر ما يهمني اخلاصه وصدقه والقدرة على نقل انفعالاته ... انني لا اهتم كثيرا بالاسماء قدر اهتمامي بالانتاج وهذا ما يجب ان يفعله كل قارئ واع فلااديب الناشئون عندها لا يواجهون في الحقيقة ازمة نشر قدر ما يواجهون ازمة قراء . انني ايضا لا اياها بما يقوله النقاد ، فانهم كثيرا ما يتجاهلون المشعورين ... وانا لا احب ان اربط من عتقي واقاد الى ما اقروه اننسي احب ان احكم بنفسي على الزاد الفكري الذي اتناولوه واستمريه ان اتذوقه بنفسي فان لي مقلا يدرم ويميز . ويكفي ان احس ان للاديب طابعا خاصا وانه ينحدر جذور شخصيته في انتاجه الذي يحمل خصائصه ويمتاز بالتعبير الجميل الصادق الذي يؤكد تلك الشخصية الادبية .

انني لا اقيس اي انتاج ادبي بمقاييس النقد الشائعة المتضاربة .. والناقد كما نعرف انسان له ذوقه المتفرد

النظم الذي لا نجد في نظمه ما يضيء الروح ويهب النفس وهو يحسب أنه يقول شعرا ويفخر أنه يستطيع أن يعبر نظما عن كل شيء ، وما يقوله ليس في الحقيقة من الشعر في شيء الا على مذهب الفية ابن مالك . ويعبر (بينلوب مورتير) عن ذلك بقوله : « الشاعر الذي يصف الشجرة وهو غافل عن جذورها يفقد اصل الحقيقة وجوهرها » ويقول (روبرت روبنسون) : « الفنان لا ينقل صورة الواقع ... وانما يعيد تشكيل الواقع في الصورة المثلى التي ياملها للانسانية ، تلك هي حقيقة الخلق الفني في اجلى معانيه » .

انني اقرأ للمتعة الذهنية والصقل الجمالي واعتقد اعتقادا راسخا انه عسير على من لم يهذب نفسه بالفن ان يلتقط مرهفات الفكر ، والفكرة السامية الراقية ما هي الا نظرة فنية الى العالم والاشياء .. العلاقة بين الفن والحقيقة علاقة وثيقة والفن ينبع من رغبة الفنان في تهذيب الحقيقة المقترنة الى الجمال وتخليصها من شوائبها ولقد كان (بروكليس) على حق عندما قال : « كيف تندمج الروح في الواحد الكلي الا اذا نامت العناصر المتنافرة التي تصطبغ فيها ؟ » والاديب الفنان له اثر كبير ودور خطير في تربية نفوسنا ... اننا عندما نربي النفس على الجمال نجعلها تسمو وتبتعد عن القبح ... والجمال هو الخير واساس كل حياة طيبة .

وسعادة الانسان هي الهدف الاول للاديب والاديب الحق فنان متفاني حتى وهو يعرض قروح الانسانية .. يملأ الناس بالامل والحياة ، يرفع بالانسان من الاهتمامات والهوى والاحزان والآسى الى الكفاح والنضال من اجل حياة افضل وهو يؤمن ان الانسان سيد في هذا الكون وملك لهذه الحياة وله الحق في مستقبل عظيم ...

هذا الكاتب الاديب ادرى بادوار العصر وعلمه بحس بمدى الازمة الانسانية التي يعانيها الانسان المعاصر فيقدمه ما يعينه على شق طريق جديد بين الاشواك والصخور ويمكنه من السير في دروب الحياة الوعرة بكل ما ركبته الحضارة المادية في نفسه من قلق وضجر ... انه يخلق بقرائه الى آفاق اعلى من واقعهم ويدفعهم الى ارتقاء القمم العالية ، متطلعين الى غد اكثر اشراقا ... يعرف كيف يفجر في الناس بنابيع القوى المعنوية ويدفعهم الى شخصية متكاملة وذات فاضلة يسعون الى تحقيقها على اسس نفسية سليمة ... ينمي فيهم ارادة الحياة والكفاح ويحبب اليهم استئصال المستقبل بدلا من التعلق بالماضي والعيش في هموم الحاضر ، ويضع اقدامهم على الطريق ..

ويصل هذا الكاتب الى فكر وقلب قرائه عن طريق القصة النفسية والسيرة الذاتية ، والاعترافات والتراجم التي تربي كيف يتمتع الانسان بكل ما يعاين من قلق وعجز وعقد نقص ان يتخذ من هذه الملل تكة لتحقيق الذات

... كل هذا يحدثه الفن الحر الصادق المعبر عن الجمال وشفافية الروح لانه باب كبير للنسيم النفسي .

ونقلنا الكلام عن الفن الخالص الى الشعر الذي هو غناء جمالي يحث يضرب على وتر حاسة الجمال في نفوسنا ... انه الفن مجسدا ... واحب الشعر الى نفسي ما يقدم تجربة الشاعر بابعاده النفسية . انني لا افصل شاعرا على شاعر ولا افرق بين شعر تقليدي وشعر حديث . واغلب الشعر عندي ما يترجم الواقع الحداثي او المرنى او التخيلي الى واقع فني يفوح من معانيه عطر نفسي ارتاح اليه وموسيقا تطرب اعمائي ... احب الشاعر الذي يتسلل الى اعماقي دون وعي ... يثيرني بشكل صاحب ينتزعني من عالمي المادي ، يفسر الحياة ويوضح خفاياها ويغوص في اعماقها . اسمع كلماته حية تنطق وصوت قلبه يرن في ارجائي ، فاعيش معه في عالمه فني اتفاعل للذب لا احب ان يضيع ، اعذب الشعر عندي ليس اكذبه بل اصدقه ، فالشاعر الفنان يستطيع ان يدمج نفسه في تجربته التي يصوغها بنضاته الفنية واهتزازاته الوجدانية ويعطينا رؤية للحقيقة المقلقة او المتسامية على المادة فتصل اليها ولها حرارة الانفعال الذي عاينه ويشير فينا الذكريات والروى والمدرجات الخفية والظاهرة ، وعندئذ تطرب لها اعماقنا وتصفق وهي تنبثق فيها كالوهج . هذه التجربة الشعرية الصادقة تنقل اليها عصارة احاسيس الشاعر واهتزازاته مع الحياة في الفاظ شائعة ومسلان دقيقة وعبارات رقيقة وصورة ملوذة ... لا ينقصها صفاء الرؤية - بعيدا عن الغموض والحذقة التي نراها في كثير من الاشعار المألوفة وفي بعض شعراء مدرسة الستينيات الحديث

والشعر ليس شعورا بقدر ما هو تجارب عميقة صادقة فالشاعر المبدع هو صاحب التجربة الصادقة الناضجة التي تنضج في كيانه الفكري وفي قلبه واعصابه .. ليس الشعر تعبيراً عن المواقف الناعمة والانطلاقة الذاتية فقط ، ولكنه تجربة عميقة اثراها كبير في نفس وعقل المتلقي عندما تصل اليه نابضة بالصدق ، كيف لا تنبض بالحياة وقد كابدها الشاعر وامتزجت بحسه واثرت في اعصابه ، اقلقت ، ارقته ، شملت كل تفكيره ، نقصت حسياته او اسعدته .. الهبت مشاعره ، حفزت همته للكفاح والنضال فأرسلها وقد تحرر من اغلال حصاره الفردي تنطق بلسان الجوهري والانسان ولسان الطبيعة .

واكره ان يقال الشعر فيما يمكن ان يكون النثر فيه اكثر طواعية فلا محل في الشعر للتفكير المجرد الجفاف والمعلومات او المجاملات التي تلوكها السنتان كل يوم ... فهدء وامثالها ليس الشعر مجالها والنثر احق بها . وهناك فارق كبير بين الشاعر وصانع النظم ، الشاعر يصنع الاشياء رؤية فهم واستشفاف تختلج من رؤية صادقة

ويدفع في نفوسنا وهجا ينير اعماقنا فتري الحياة اجمل
من الحياة التي نحياها والعالم افضل من العالم الذي عرفناه
حتى الان .

المرحلة عملية تعرية وتطهير عن طريق الحوار
الطبيعي الذي يقع في المحادثات العادية بين الناس ،
يتامل فيها الكاتب التجربة تأملا واعيا عميقا ويعرض دوافع
الحياة الظاهرة والخفية في التلاحم بين الناس وفي الوضع
الانساني العادي فيسبب لنا شعورا بالخوف او الحقايرة
او الضياع ويقول لنا : انظروا وافتحوا عيونكم جيدا ، ماذا
ترون وقد رفعت عن جوهر الحياة ما يغطي من شوائب
وما يدنس من مخلفات خسنة متراكمة ؟! وعندئذ تنهض
في نفوسنا تجربة اصديق واعيق وارقي .

والقصة التي يكتبها اديب تم نضجه واكمل تطوره
وتبلورت رؤيته بعد ان تختبر تجاربه العديدة العميقة
وتهضم ، تبرز لنا اعماق ما في الانسان وتقدم صورة
رائعة اكثر وضوحا وصداقا وجلا من الحياة العادية التي
نعيشها وتنقلنا من المألوف الزائف القبيح الى المجهول
الرائع الذي رفع عن الكاتب الفنان الانرية والشوائب .

في قراءة المسرحية والقصة يتذوق القارئ ثمرة
ناضجة شبيهة ويرى الانسان والاشياء في اصديق العلاقات
بالطبيعة والناس والحياة .. يرى كل شيء بعين جديدة
واحساس وفكر جديدين وهو يشارك الكاتب اكتشافاته
ونفوس معه ليفتح فيه نوع خاص من النشاط الحيوي
بمنفذ لذيق وهاج يفتح عيون قلبه وفكره .

وبشري القارئ القارئ الاديب ان يرافق ابداءه المفضلين
في رحلة حياتهم الادبية يقرأ لهم كل ما ينتجونه ، فهذه
المعايشة تمرس على الحياة واعداد عملي لمن يستهويه القلم
... انه لشيء مفيد ومطور ان نعيش رجلا عظيميا معايشة
فكرية يلتقي فيها تفكيرنا بتفكيره المنظم ، وتكبر ونمو معه
... هذه المعايشة تنمي في القارئ الانجاه الى التأثير بدلا
من مجرد التأثر . وقد عبر (تشارلس مورجان) عن هذا
بقوله « ان ازدهار حياة انسان قد يرجع الى وقوعه تحت
تأثير الرجل الصحيح » .

ولقد اعطاني اساتذتي الحي منهم والميت الشيء
الكثير .. عايشة الكثيرين منهم في فكركم واتجاهاتهم
واسلوبهم وصراهم ومصادماتهم وفشلهم ونجاحهم وكنت
احس اني انضج واطور معهم .

عايشة الاديب العبقري ابراهيم عبد القادر المازني
والكاتب المفكر سلامه موسى ، وشاعر الاداء النفسي علي
محمود طه و ابراهيم ناجي وكامل الشناوي بالإضافة الى
عدد كبير غيرهم عشت معهم في مطلع شبابي وكان منهم
المنطوي وجبران . رافقتهم في كل ما انتجوه وكل ما
نشروه ونشر عنهم في الصحف والمجلات .. عشت مع
المازني واستهوتني انسانيته وسخريته واسلوبه السهل
المتع ورايت كيف يعبر عن نفسه وحياه بصراحة

الفضلى ... هذا الكاتب ضرورة لازمة في عصر الحياة
فيه مرضة نفسيا ... وفن هذا الكاتب يبعث دواما الامل
الاجبابي الفعالي في النفوس اليائسة ويدفع فيها قسوة
تعودها على ركوب الصعب وتدريبها على احتمال الامل في
سبيل تحقيق الهدف ... هذا الكاتب يصحح الكثير
من اخطائنا ويزيل او هامنا ويبدد يأسنا ويجعل الحياة في
عيوننا ويدفع في نفوسنا رجاء واملا وعملا .

وكما اكره ان يكون الادب مريضا يعكس دوافع
الموت ، لا احب القراءة للكاتب الجامد . انني الفظ اي
منتج ينأى بي عن الانسانية الفاعلة . وفي رأيي ان الاديب
الحق يحرس على تنمية الاخوة البشرية ويجعل بالمعاني
الانسانية الصادقة مجردا من كل ما يثير حقدنا او كراهية ،
يجسم انسانية الانسان خالصة من كل زيف يمسخها
ويشوهدا . سمة الاديب الحق الانسانية الرقيقة الرحيمة
المتفتحة المقدرة للانسان وظروفه وهوموه والتي تبسدد
الظلام وتحت الناس ابدا على الخروج الى النور . والكاتب
الذي يفقد انسانيته لا يرتفع بمعاصريه الى مستويات
اعلى من واقعهم ولا يخلق بهم في عالم افضل بل يرددهم
الى الارض الى شروها واحقادها وكل سوءاتها ،
ويتعمق بهم الى اسفل . وتعاف نفسي القراءة للكاتب الذي
يتغنى بالطولات المدونة او التفرقة على اي اساس ..
فالتغنى بالوطنية احساس نبيل .. ولكن حبى لوطنى لا
يدعوني اطلاقا ان اكره او اعندي على اوطان الآخرين ...
كل القيم الجميلة تدعو للخير والمحبة والسلام والاخاء
البشري وهي عندما تكون مصدرا للتطاحن والكرهية
والقتال تصبح مرفوضة انسانية . ان من يقول اقتل او
اكره شيطان تحتقر مبادئه .

الاديب الحق لا ينزل الى مستوى معاصريه وعواطفهم
بل يسمو بهم الى معايير وقيم جديدة وينجيه بهم الى
مجال اسع وافق ارحب . وهو في انتاجه يهدف دائما
بدافع حساسيته الروحية ومنطقه الخاص ان يخلق تجارب
جديدة للحياة الانسانية ، ويحضرني في هذا قول (شو) :
« ان الغطاء في رأيي هم الذين كانت لهم رسالات
استبدفوا بها خير الانسانية وكان لهم من الشجاعة والقدرة
ما مكثهم من آداء هذه الرسالة » ويقول (سارتر) « ان
الاديب يجب ان يمتص التجارب الحية النابضة كما تمتص
التحلة رحيق الزهور اليابسة ولا تعيش على اليراع المفلدة
والزهور الجافة » .

والادب الروائي ادب ممتع يفيض بعباء حي متجدد ،
يتناول فيه الادباء انضج تجاربهم ويعالجون فيه واقس
الحياة علاجا فنيا ممتعا بعيدا عن السطحية قبي النظر
الى الحياة .

والكاتب الروائي الذي لا امل القراءة له يفزو مجاهل
بعيدة فيما وراء مجال شعورنا العادي ويتوغل في آفاق
جديدة ، يكشف لنا عن جذور واقعا الضارب في الظلام

ووضوح ... وعشت مع ثورية سلامة موسى ، واجبيته
كاتباً مفكراً لا يمل المداومة على ما له من آراء ومبادئ ...
رايت فيه الكاتب الموسوعي الذي تجرد لفكرته ، بها عاش
ومات وجعلها رداءه وكفته .

ليس الادب والشعر كل قراءاتي .. انني اقرؤها
لامتلاء بطاقة روحية ، ولا اغفل غيرهما من فنون المعرفة
لاكون على اتصال بمجالات الفكر والقضايا التي تحكم
عالمنا ، وافهم العصر الذي اعيشه ، بالإضافة الى ما اقرؤه
في مجال تخصصي لازيد من كفايتي لتحسين عملي ،
والتجديد فيه ، والارتقاء به ، وعدم الوقوف به عند حد .

وكل انسان في عصرنا هذا الذي يتطور ويتغير
ويتحرك بسرعة مذهلة ، في حاجة الى القراءة المتصلة
المنظمة ليكون على صلة مستمرة بما يطرأ على التكوين
الثقافي للانسان في عصر العلم الذي نعيشه وليقف على
التغير الذي يصيب البيئة الاجتماعية والاقتصادية ،
ليكون على اتصال دائم بمصادر الحضارة الحديثة ... ان
الاحاطة بالقيم الثقافية للامم المختلفة امر لا ينفله اي مثقف
يعيش عصره ، فان من يفصل هذه القيم عن كيانه الثقافي
يحرّم مما في العالم من تجديد ويتغرب عن حقائق العصر
ومسؤولياته . واني لشديد الايمان بما قاله (جوردج
ديهاميل) : « ان الحضارة اذا لم تكن في قلب الانسان
فانها لن تكون في اي مكان » .

وعلوم العصر وفلسفاته لا غنى عنها للقارئ المثقف
لانها تثير تفكيره وتوقفه على احداث ما وصل اليه الفكر
الانساني ... والملم يجتنب الاخذ بطواجر الامور ويعتدق
الحقيقة المجردة الثابتة التي لا تؤثر فيها ميول الانسان
وغرائزه ولا تتأثر بإرادته وشهواته ومصالحه في تفهيم
العالم ، انه يحدث تغييرا جديدا في عقول الناس واذواقهم
ووجداتهم وسلوكهم وبقريهم من فهم انفسهم والعالم
المحيط بهم فهما صادقا لا يخضع للاهواء .

والتقدم العلمي يضيف الى الادب زادا جديدا فالادب
بطبيعته لا يتسلخ عن عصره . والعلم يجدد الفكر ويجدد
الحياة نفسها فيغير الادب عن اشواق العصر وقيم المجتمع
الجديد وتطلعاته الجديدة ، ويحاول الاديب بما له من
مفاهيم جديدة ان يجد ذاته ويكتشف نفسه ، ويتسع الافق
الذي يتحرك فيه وجدانه بما يعطيه له التقدم العلمي من
خيال اوسع وتصورات جديدة . و (الدوس هكسلي
ويلز) دخل العلم في اهتماماتها الادبية فانجبا ادبا رائعا
طلبا جذابا له رؤية جديدة .

والقراءة لا تكون في الكتب والصحف فقط ، تكون
ايضا في وجوه الناس وتصرفاتهم وسلوكهم وتجاربهم
وحديثهم ، وقد قال ادب انجليزي لا اذكر اسمه : « لقد
تعلمت من الحديث مع الناس اكثر مما تعلمت من كسل
ما قرأت » .

والطبيعة كتاب عظيم يحوي كل اسرار الوجود ،
ينهل منها الشعراء والادباء والعلماء والفلاسفة ، وهي كل
يوم تفصح لهم عن بعض اسرارها وهم يقبلون صفحاتها
ويتأملون قوتها وعظمتها ، شدتها وقسوتها ، لينها وجمالها ،
منطقها ونظائها . ويلفت (جونسون) نظرناسا
الى ما يمكن ان نتعلمه من الطبيعة في قوله : « من يتصور
ان الافكار لا توجد الا في الكتب وان في الكتب كل الافكار
فما هو الا واهم ، والافكار تجري مع الانهار ومجري الماء ،
وتطفو على وجه البحر وتتكسر على شواطئه وتسكن
التلال والجبال وتسطع مع نور الشمس وتنسدل في اجنحة
الظلام ، ان الافكار موجودة في كل مكان وزمان » .

والقراءة في كتاب الطبيعة يكون بالاحاطة والتأمل
والنظر الى شموخها وجبروتها وصمتها وتقلبها ومناظرها
الخلابة ومخلفاتها العديدة بعين الطفل الفضة الفاحصة
وببصيرة الفنان الذي يمتاز بأنه يحس اكثر ويرى
وتأمل اكثر . فالطبيعة لا تفتح صدرها ولا تسلم كنوزها
لمن اغضب عينيه وشغل عنها بهوموه واهتماماته ... انها
تعتينا عندما نزهف حواسنا وتكون على استعداد للتجاوب
النفسي والعقلي معها . يقول (جيت) « تاجها الحب
فيالحب وحده يقرب المرء منها » ويقول « لا لغة لها ، ولا
كلام عندها ، ولكنها تخفق بانفثة تشعير بها الحكم »
فكم اعطت للعلماء من اسرار وكمن من احاسيات وبارق
وخواص بحثت بها الى ارواح الشعراء والفنانين وكمن من
تشبيهات وخيالات استمدوها منها !

والعالم والشاعر والفنان لا يستهويهم ظاهرها المادي
فقط ، يحبهم لاهل لا توحى به العين فقط ، انهم يوصون
في اعمالها .. يتفائل العالم فيها فكرا ليصل الى سر
من اسرارها ، والفنان ينفذ الى اغوارها ببصيرته اللمعة .
الطبيعة هي الكتاب العظيم الذي خطه الخالق ، فيها
كل اعماله فوقنا وتحتنا وبجوارنا وداخل نفوسنا ، والكثير
الذي لا يحصى من صفحاتها ينتظر عباقرة القراء في كل
العصور .

والكلام عن الناس والطبيعة يسوقني الى الحديث
عن الاسفار والرحلات .. وادب الرحلات ادب طريف ..
وكاتب الرحلات عين من لا تسمح له الظروف برؤية العالم
والتجول فيه .. والسفر اثره الكبير في افتتاح الانسان
وتطوير فكره واسلوب حياته .. وخير القارئ الاديب
ان يسافر فان قراءته عن العالم لا تعطي له الانطباعات
الحية النابضة التي تكون له في الرحلات التي يقوم بها .
انه في زيارته لآخر عدد من الدول يرى جديدا ويلمح
افكاره بشمار لا يمكن ان يجدها حية نابضة فلي
احدث واقم كتب الرحلات لان من يرى بعين غيره
ليس كمن يرى بعينه .

ليس هذا هو كل ما اريد ان اقله في هذا الموضوع
فان الحديث فيه طويل ويبدو بلا نهاية ... ولا بد لي من

الوتر القدسي

فكيف ، بعد لقاء العمر ، نترق
نشوى قوافيه ، لكن كاد يخنق
كان كل هوى ، في جفنه ، القى
في وحدزادها : الاشواق والعرق
ليس عندك الا السهد والارق

لعل بنجاب عن اهداب القلب
هل كان غيمة صيف ضمها افق
وكان فوق جبين النجم بالنسق

ماض ، وليس لنا في الحب متزلق
على جناح ، من الاحلام ، يصطفق
كيف تحين ، لا وجد ولا رمق

بي الظنون : ناي بالرقصة الترق
ولا بثتك عهدا ليس يتسق
اذا تبيل منك القلب والخلق

من بعدك الناس ، ان بادوا وان خلقوا
فكيف ان نموا ، يوما ، وان نعقوا
فتحن في الحب ، لا تكبو بنا طرق
ان الفراشة في الاضواء تحترق

شعرا ترقق فيه الصفو والرنق
اضحى من الوتر القدسي ينبق
يوم التفت ، فلا زهر ، ولا عبق
وبعد لم يرتسم ، في افقه شفق

فوزي عطوي

ما كان للفجر ان يجتاحه الفسق
كنارك الصادح القريد ، ما سكنت
وكنت عودته يشدو بلا حذر
حتى غدوت له ذكرى يسامرها
اطعمت عينيه من سهد ومن ارق

قفي ، فان خطى الازمان قد وقفت
هل كان « نيساننا » ابهاء عبرت ؟
ام كان « نيسان » فوق الحرف نكتبه

قفي ، فلست بلا ماض ، ولست بلا
ايقتطت بعض سموخي ، طربتي زمنا
نسلت حبك من وجدي ومن رمقي

وقيل ، او قلت لا ادري وقدمصفت
وما سالتك عهدا زبقي هوى
وليس اوجع في قلبي ، وفي خلقي

يا اطيب الناس ، يا انماهم حلما
ما هم ان صمتوا ، دهر ، وان نطقوا
ان ينقلوا الخطو من ظلم الى ظلم
نويم بالنور ، نستجديه يعرقنا

قفي ! وقفت عليك العمر ، انره
غنيت اشرف الحاني ، فكل سنا
فما نعمت ، وقد حطمت لي وتري
ما كان للفجر ان يجتاحه غسق

في نظري عمل من اعمال السحر ، تخرج منه اشباح وصور
لتحرك كوامن النفوس وتغير القلوب « ... واقول مع
(المعقاد) الذي عبر بصدق عن اثر القراءة الواعية التي
خلقت منه عملاقا في الادب العربي : « احب الكتب لان
حياة واحدة لا تكفيني .. بزد الفكر والشعور والخيال
يستطيع الانسان ان يجمع الحيات في عمر واحد ،
ويستطيع ان يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف
الشعور بالحب المتبادل وتتضاعف الصورة بين مرأتين » .

إلييا حليم حنا

القاهرة

كلمة مهمة افولها في الختام .. لا جدوى من كل ما يكتبه
حملة الاقلام ان لم تجد كتاباتهم آذانا صاغية وقلوبا تنزل
فيها وتسري فيها مسرى الدم .. انني كقارئ اقدر كل
من يفتح عيني وفكري وقلبي على قيم وافكار جديدة ..
انني اتناول زادي الفكري بنهم وشوق اهضمه ويتحول
الى عصارة تسري في كل كياني تغذيه وتبعث الحياة فيه
وتقويه .. انني دائما اردد مع (جون ملتون) : « الكتاب
الجيد مثل دم الحياة الثمين لارواح علوية ، محفوظ
ومخبوء خصباً من اجل حياة اخرى وراء الحياة
العادية » وارى رأي (اتانول فرانس) في قوله : « الكتاب

غروب

ميشال مغربي



نشرت راية الاصيل لتطوى صفحة اليوم بعد صفحة امس
انه الموت والحياة معا يا شعر ، في هيك الوجود القدسي

هوذا جونة الى خدرها تدنو بورد في وجتها وورس
حلتها اليه اجنحة الجن للقاء عريها الغير انسي
فهي في حلة السرير وما ترقى اليها الابصار الا لتخفي
يا لها من جنازة لنهار حول نابوته مواكب عرس

هوذا الافق واجم لفراق الشمس يخفي الاسى ويبدى التأسى
رهوة ، غضة غائمه البيضاء حتى كأنها من برس
اجتليها على تعدد اشكال كما تجلي لفتني وحديسي
من خضم امواجه تعالي بين جار من السفين ومرسي
او قطاع من الضئيل بها الرعيان تمضي الى مرابع غرس
او جيوش تكرثر جيوش بتقديم السلاح : سيف وترس
او قصور شيدت عليها قصور ثم حالت الى طلول درس
ايها الافق ان لي انا اقفا فيه ما فيه من غائم لبس
غير اني لا اجتلي فيه الا ظلمات يملآن وديان يأس

هوذا الطير جد مسرعة تعلو على الريح في صفير وهمس
تتنادى الى الوكون هروبا من ظلام عما قليل سيغمي
نهت يومها وليست لها الايام الا تعشق وتحصي
ليتنى مثلها خلي ومن الهم لاخلو الى خيالي وطرسي

يا طيور الفضاء اني لطير اغتدي في برود ابناء جنسي
انتي يا طيور بالرغم مني بمدل بالفضاء ارضي وحي
ولقد تعلمين اني وقد جافيت حيتي وكيتي ودرسي
(صنت قسي عما يدنس قسي وترفعت عن جدا كل جيس)

هوذا الراعي عائد من مراعي الريف في خطوه الثقيل الدعس
نافخ في مزماره ، طافح البشر ، على وجه شعاع الانس
حوله تسرح الضئيل ويشجيه ثغاء منها حنون الجرس
ابن قارون منك يا ايها الراعي اذا عدت في المساء بفلس
اين اين الملوك ، اين ذوو السلطان ، اين الغزاة اهل البأس
انت تسمي والبشر يملأ بريدك تسمي حيث السلامة تسمي
وهم يجلسون تحت سيوف قد تدلت وفوق نيران هجس
يا سماء للابرياء اعد الله لا للطفاة اهل المرجس
ليس في الارض مثل حارس ضأن بك اهل ومثل حامل فأس

هوذا الليل هاجم في سواد واعتداد هجوم فارس عبس
نارا راية الكتابة حتى لادخال الوجود مرآة قسي
ايها الليل ان خلقي ليلى ماشيا للوثوب مشية خلس
وينقض بعد حين فذرني اتاساه بعض حين
رب وان وحدي مكب على همومي ونكبي
تمتلي مرة على اثر اخرى خشية ان يعود لرأسي
عشت عمري ادعو الجياع لزادي وانا جائع ومني مني
اتقصي اصوات غيري وابقى ضائع الصوت بين صم وخرس

ايها الليل ان امسي ميت وغدي راقد بتابوت امسي
عن قريب تطل شمسك يا ليل ، واما انا فمن لي بشمسي

ميشال مغربي

سان باولو - البرازيل



الدكتور محمد رجب البيومي

صاحب ذي الرمة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

للأمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ما تنوء به العصبية أو القوة ، وصرف من الجهد العقلي والجسمي والمالي ما سلخ من عمره سبع سنوات كلها عناء وسفر واجتهاد واستنتاج ! وحسبك أن تعلم أنه سافر إلى تركيا وامضى صيفاً كاملاً في مكائنها متسائلاً عن مخطوطات الديوان ! ثم اتجه إلى المدينة المنورة ، فقصى صيفاً آخر وفي الصيف الثالث حث الركاب إلى البصرة ليجد نخبة من المخطوطات لدى أحد كبارها ، فبذل جهده واجتبا تصويرها ، دون أن يسمح له صاحبها حتى يتكلف الشعر فيمدحه بالبصرة بقصيدة يستدني بها نسخة الديوان ! والبصرة كانت موضع إمداح ذي الرمة حين كان يقد على أميرها بلال بن أبي بردة طالباً التوال ، فهل درى الشاعر أن بعد اثني عشر قرناً من مديحه ، سيقوم صاحب له إمداح سيداً بصرياً كي يحصل على شعر غيلان ! ثم أخذ عبد القدوس بجمع النسخ المختلفة من سورية والعراق والمغرب العربي ومصر وإيطاليا وهولنده وانكثروا وروسيا حتى جمع ٤٣ ثلاثاً وأربعين مخطوطة ! أي عناء هذا ؟ ولو كان الأمر أسري ما انفتحت هذا الجهد ! فثلاث مخطوطات تكفي إذا كانت كوامل ! ولكنه الحزم والعزم .

بعد هذا العناء الكراب ، يأتي أمر التوثيق ، وذو الرمة رجل محفوظ جداً بين علماء اللغة والنحو والادب ، فصاحب اللسان يروي له (١٠٤٣) شاهداً ، وهو قدر لم يتح لكبار شعراء عصره من أمثال الفرزدق والاختلص وجريز ، وصاحب التاج يروي له أكثر من (٩٠٠) بيت ، وأصحاب المخصص والحكم والمصاحح ورجال البلدان والمعاجم الجغرافية ، وأصحاب المؤلفات عن النبات والشجر والحوان لا يتركونه ! إذ كان ذو الرمة الوصاف الأول للصحراء بما بها من أماكن وجبال ووحش وطير ونبات وآبار وعيون وسهوب ، وجن أيضاً ! كل ذلك قد جاء بكثرة كثرة في شعر ذي الرمة ، لأن الشاعر كان لا يلتفت إلى ممدوحه قدر ما يلتفت إلى وصف أماكن ارتحاله ومرايع مفده ومراحه وما يركب من حيوان وبري من نبات فاكسب اللغويين والعلماء مادة بحاجة لا ينضب لها معين ! بل إن ذلك وحده قد جنى على مادته الشعرية عند رجال الفن الخالص ، إذ أصبحت القصيدة من قصائده في رأيي الخاص فتني عن غيرها من الناحية الوجدانية والناحية التصويرية ! فكانت مدائح الرجل سلاسل متكررة مختلفة الالفاظ والبحور متفقة المعاني والأغراض ! هذا في أكثرها لا في جميعها ! مع أنه في باب النسيب الخالص كان مرشحاً أن يبلغ مبلغ جميل وكثير وقبس أو خلص إلى الاستماع الرقيق لهوائفه الوجدانية ، فقدمها وحدها في قصيدته غزلية عذراء ! ولكنه يفر سريعا من الغزل إلى الرحلة والوحش والطير والهجر والصحراء ، فيرمي قارئه بنشأة تقيل يحول دون استشفاف صورة حسه ! إلا من له صبر

يسمع الإدياء كثيرا عن مية صاحبة ذي الرمة ، ويرويها ، أضافوا خرقاء وغلاب وزينب إلى صوبيحاته ، فإن شعره ناطق بهذه الأسماء ، كما يسمع الإدياء عن أصحاب ذي الرمة الذين اهتموا برواية شعره ودراسته ونقده ، ومنهم أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، وأبو العباس بن الأحول ، ومحمد بن حبيب وأبو سعيد السكري وأبو العلاء المعري ثم زميلنا البحانة الدكتور عبد القدوس أبو صالح السدي نخصه بهذا المقال ، وهو لتواضعه يأبى أن يقرن بسؤلاء ، ولكن الحق حق .

ولقد كان بيني وبين أخي عبد القدوس عتاب صامت ، لأنه أهدى لي الديوان بأجزائه الثلاثة الضخمة التي تبلغ (٢٢٦٧) صحيفة لا يخلو سطر واحد من سطورها من تحقيق لغوي أو نحوي أو تاريخي أو أدبي ! وطال الأمد علي دون أن أعلن رأيي فيه ، حتى ظن الصديق أنني نسيت ذا الرمة فلم أدرجه بين زملائه الأفاضل ، ولو علم أنني وقفت من انتاجه على شاطئ محيط زاخر بصطخب بالبحر ويصور بالأعاصير ، وليس لدي جلد على السبح الشاق في هذا الهول المخيف ، لو علم ذلك لعذرني ! فلتست مسن أصحاب المانة والثاني ، وما أنا إلا قارئ عجول .

لقد بلل الدكتور في تحقيق ديوان ذي الرمة وشرحه

الدكتور عبد القدوس والدكتور محمد صبري السروني (١) ، وابن مئلاهما ؟

ان اكتاب علماء اللغة والادب والبلاغة والنحو على شعر ذي الرمة ، جعل تعقب ابيانه في امهات المراجع عملا مضنيا شاقا لا اجد شخصا ما يبرره على هذه الصورة المستوفاة ، فيكتفي لدي ان تكون القصيدة في الديوان ، وليس بلازم ان تنتسب هذا التنسب في البحث عن ابيانه في كل كتاب ، ولكن ما يكفي لدي لم يكن يلقح زميلي الدكتور عبد القدوس ابا صالح فقد شعر ساعديه للبحث عمن الشواهد في كل مجال ، حتى اصبح لا يترك بيتا واحدا دون ان يدل عليه في عشرات المراجع ، وقد اعد في الجزء الثالث فهرسا ضخما لهذا التوثيق اذ يذكر رقم كل بيت بعد ان يذكر عنوان القصيدة ثم يفيض في ذكر مراجعته على حدة حتى سورد في ذلك فقط ما بين ص ١٩٢٧ الى ص ٢٠٦٨ ، والصفحة الواحدة تحوي اكثر من عشرين سطرا ، وكل سطر يحوي اكثر من اربعة مراجع ! نيا لله كم يقدر انسان على هذا العناية ! فاذا اردت مثالا واحدا لتوثيق بيت واحد ، فاني اقول اليك ما جاء عن اول بيت تعرض لتوثيقه دون اختيار ، وصبر جميل حين تضبط نفسك على القراءة .

يقول ذو الرمة :

ما بال عينك منها لاه تنسكب كمانه من كلى فطرية سرب
فاذا جئنا لتخرج هذا البيت وحده من (١٩٢٧) فاني نجد ما ياتي :

البيت : القاميس ١٥٥٣ - الجمهرة ٢٥٦١ -
اضداد ابن الانباري ١٥٨ - اضرار ابن الطيب ٥٦١ -
مخطوطة المتضبط الورقة ١٦٧ \ الصنائع ٤٣١ - الموشح للمرزباني ٧١ ، ٢٠٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٢ .

صدر البيت فقط الوفيات ١٨٩٣ - الكامل ١١٩١
الرسالة الموضحة ٦٨ \ التضييحات ٨٠ مقامات الهمزاني ١٩٣
الجامع الكبير ١٨٨ الخزائن ٢٨٧ \ ٢ / ٣٧٨ ،
٣٧٩ ، ٥٣٠ \ ١ / ثم في كتب اللغة التي يذكرها ، شرح
الشريشي ٦٣٢ \ عبار الشعر ١٩ ، ١٢٢ .

عجز البيت : الكامل ٨٢٢ نهاية الادب ١٣٣٧ .
البيت ايضا : سر الفصاحة ٢١٥ \ الصاحبى ٢٤٥ ،
٢٤٦ ، لغة القه ٢١٦ ، سمط الآلى ٨٦٩ \ ٢ / العمدة
٢٢٢ \ ١ / امالي الرضوي ٢٧٨ \ ١ / الامالي ٢٤٣ \ ٢ / نور
القبس ٣٢ ، الاغانى ١٠ ، ١٥ ، ١٢٠ ، ١٦ \ ١٣٣
١١٨ ، الزهر ١ / ١٣٤ - الفائق ٢٣١ - الهفوات النادرة
٤٢ - الوساطة ١٥٧ ، الوافي ٥٨ ، التنهايت ، ٢٣٩ ، ١٦٤
شواهد الكشف ٨ \ الوساطة ٥٧ .

نفذا بيت واحد ، احتاج الدكتور الى ان يتبعه هذا
التتبع ، واصحاب النشر العلمي يستحسنون ذلك ،
وبرعونه ، ولعل الدكتور عبد القدوس وقد اعد الديوان

بشرحه وتوثيقه ليكون رسالة للدكتوراه قد الزم ذلك
فارضى من اعجبوا بصبره وجلده ودقة بحثه وعمق هدفه
فمنحه مرتبة الشرف الاولى عن جدارة دون شك ! ولكني
انا وحدي ارى ذلك الجهد الجاهد عدا للرمال في الصحراء
وليس لي ان الزم احدا برأيي ، لاسيما وعمل الدكتور منهج
مثالي يحتذى .

وقد يظن بعض المتعجلين ان عمل الدكتور عمل ادبي
خالص ! ولكني اراه جهدا علميا عنيفا ، حيث تولى تخريج
ديوان جزل ، وتحقيق شرح دقيق ، وتحقيق هذا الشرح
لا بد ان يكون عالما كل العلم باللغة والنحو والبلاغة والعروض
وفقه اللغة وسائر ما يت الى عمله من علوم ! ومن يزعم
من الادباء الخلس اليوم انه يسد هذا المسد دون دراسة
مؤلفة في امهات هذه العلوم فانه يفضل سواء السبيل لا
محالة ، وقد كان للدكتور مع الشارحين تارة - اذ انه
اضاف شرح ابي العباس الاحول في تمامات الجزء الثالث -
مناقشات قوية ، تترك ان عمل المحقق الجديد بهذا الوصف
لا ينشد نسخة صحيحة فقط بل يتولى تصويب ما وقع فيه
المؤلف من هنات ، لذلك وجب ان يكون المحقق علميا فسي
منزلة المؤلف ان لم يبقه ، وما اساء الى التراث غير نشر
بظنون التحقيق نسخا ، فهو ورقة تنقل ما خط الى ما طبع
دون بصير بمواضع الخطا ! واعجب ما نراه من حظوظ
الحياة ان هذه الورقة النسخية هي التي تروج بين الناس ،
اذ لا يثبت على صيال الآوا ، ومناقشة الاقوال غير
الدراسين الفاهمين ! لذلك كان المحقق من هذا الطراز
الجاد نقادة بحالة نقاد ، ولدينا منهم قلة قليلة هي فسي
سبيلها الى الانزواء بعد ان اصبح كل ورقا عاملا على نشر
التراث حفا به ، ولو كان حفا به على وجه الاخلاص
والصدق لتركة الى الفاهمين الانبات .

اجل ، لقد تعرض الدكتور عبد القدوس ابو صالح
الى مناقشات صارمة في ميادين اللغة والنحو والبيان ،
وكتبت انا نقاشه بعجب واعجاب ، وجعلت اضع علامة
تعجب في هامش كل صفحة بها مثل هذا الجدال ، لارجع
اليه في هذا الخضم الواسع دون ضلال ، وكانت النهاية
عجيبة حقا ، لان اكثر صفحات الديوان باجرائه الثلاثة
قد زرقت علامات التعجب هذه ، حتى تحيرت الان فيما
استدل به ، اذ كيف اترك وانتقي ، وقد تكاثرت الظباء
على فراش ؟ واذا كان الديوان قد باشر طبعه واطهاره
مجمع اللغة العربية بدمشق احتفاء بانه ، واهتماما بقيته
فانه بهذا التنوع المجعسي بعد التنوع الجامسي
قد وجد وسيلة الى الابددي المتقنة من
افاضل الباحثين ، وهؤلاء يكفون بالايجاز والمعم ، فلاقل
لهم ان من بين المناقشات الجادة في مضمار النحو ما جاء

(١) الف الدكتور المؤرخ الاديب محمد صبري السروني كتابا
قيما عن ذي الرمة في مسلكه العروفة (بالشوامخ) .

في صفحات ١٤ ، ١٣٠ ، ٥٧٨ ، ٧٧٦ ، ١٤٢٠ ، ١٥٣٥ ، ١٧٧٨ ، ومن بين التصويبات الجيدة تعليقاً على هـ الشارح في المتن الفرقي ما جاء في صفحات ١١٥ ، ١٣٢ ، ٣٨٩ ، ١٤٥٦ ، ١٤٧٣ ، ١٤٨٤ ، ١٥٠٢ ، ١٥٧٥ ، ومن بين التحقيقات التاريخية واللغوية والعروضية والجغرافية ما جاء في صفحات ١٣٧ ، ١٦٥ ، ٢٥٩ ، ٤١٢ ، ٥٠١ ، ٦٩٥ ، ١١٦٦ ، ١١٩٨ ، ١٣٨٤ وأنا هنا أمثل دون استقصاء ، على أنني سأستشهد لكل ضرب ، ليرى من ليس لديه نسخة من هذا الديوان الحافل كيف صبر الباحث وصابر ، وبحت وتأمل حتى اهتدى الى الصميم من الباب .

فمن مراجعته الكثيرة التي لا حصر لها لابي نصر الباهلي ص ١٤٥٦ ما قاله الشارح تعليقاً على قول ذي الرمة ترى التور يشي رأجا من فحاله بها مثل مشي الهريزي السورل فقد قال الشارح : الهريزي : الماضي على امره ، والمسورل الذي اسفله يخالف سائر لونه كان عليه سراويل .

وواضح ان شرح الهريزي بهذا المعنى غير مناسب لان الشاعر يصف ثورا يمشي مزهوا في الضحى راعيا اكلا فكيف يكون ماضيا على امره ؟ انما الهريزي هنا هو الاسد اذا اعجبه قوته ولون فروته التي يتختر فيها ! وهذا ما لحظه المحقق ، فلم يشأ - ادبا منه - ان يجاهر بتخطئة الشارح ، ولو فعل لا ليم ! وكسم خطأ البكري التالي ! والمزعي المبرد ! ولكنه يكفي بنقد عبارة اللسان - انه اراد بالهريزي الاسد وجعله مسرولا لكثرة قوائمه وبروي مثل مشي الهريزي : يعني ملكا فارسيا او دهقاناً من دهاقينهم ، وجعله مسرولا لانه من لاسهم)

٢ - ومن مراجعته لابي نصر ايضا ما ذكره تعليقاً على قول الشاعر ص ١٤٧٣

تدرب حتى يطع التابع الصبا - وليست بادنى من ايب التخل فقد قال الشارح : التخل : رجل ذهب في الزمن الاول يطلب قرظا ولم يرجع ! والامر غير ذلك فقد نقل الدكتور عبد القدوس قول التاج (قال الاصمعي : التخل رجل ارسل في حاجة فلم يرجع ، فصار مثلاً في كل ما لا يرجى) وفي مجمع الامثال (ويقال ايضا : لا آتاك حتى يؤوب التخل ، وكانت غيبته كغيبه القارظين غير أنها لم تكن بسبب القرظ) وبجسم الامر المحقق فيقول في ادب (وقد التيس الامر على أبي نصر بين مثل التخل ، والمثل القائل (لا آتاك حتى يؤوب القارظان) ثم يكفي بهذا دون صخب ٣ - ومن تعليقاته في النحوص ٥٧٨ ما جاء تعليقاً على قول الشاعر

وعين قال الله كونا فكانتا فعصولا لايب ما تغل الغصر حيث جاء في الهامش ما نصه (في مخطوطة المتقضب (كوني فكانتا) وهو غلط ، وفي معظم المصادر اشارة الى روايتي الرفع والنصب في (فعولان) فالرفع على الاستثناف كانه قال (هما فعولان ، والنصب على انها خبر الكون ،

وجاء في مجالس ان خنرايه ، انه يجوز نصب فعولين على القطع ، أي الحال من فاعل كانتا على تمامها ، وفي الجمال : الرواية : فعولان بالرفع لا غير ، وقد انكر ذو الرمة على من خالف الرفع في خبر حكى عنه ، ثم نقل مجلسا جيداعن امالي المرتضى ورجع كذلك للاغاني والخصائص وسرح العيون ! وكتب النحو تحفظ مما دار في ذلك الكثير .

٤ - والمثال التحوي الثاني ما جاء به تعليقاً على تخطئة الاصمعي لقول ذي الرمة ص ٧٧٦

وفننا فقلنا ايه عن ام سالم وما بال يكلم الديار البلاغ حيث قال الاصمعي (اساء في قوله ايه بلا تنوين وكسان ينبغي ان يقول ايه عن ام سالم) ولكن المحقق يعارض ذلك بقوله (ذهب ابن السكيت وتعلب الى ان ذا الرمة لم ينون لانه بنى على الوقف ، وذهب الزجاج الى انه ترك التنوين للضرورة ورد ابو علي الفارس قالاً : اما هذا الاصمعي مخطيء فيه ، وذو الرمة مصيب ، الى ان قال وهذا من اوابد الاصمعي ، وقال ابن جني : فاذا نونت قلت ايه فكانك قلت : استزادة ، واذا قلت ايه فكانك قلت الاستزادة واما من انكر البيت على ذي الرمة فكانه خفي عليه هذا الموضع ، وقال ايضا : والنحويون البصريون صوبوا ذا الرمة واتضاف ابن سيده قالاً (وانما استزاد ذو الرمة هذا الطلل حديثاً معروفاً ، كانه قال : حدثنا الحديث ، او خبرنا الخبر الى انه انما طلب حديثاً مخصوصاً هو الحديث عن ام سالم قلت : ومن المتفق عليه عند النحاة ان (ايه) من اسماء الافعال التي تستعمل معرفة ونكرة ، وجعلوا تنوينها من قبيل تنوين التذكير - انظر اصلاح النطق ٢٩١ مجالس تلمب ١ / ٢٧٥ ، ارشاد الاديب ٣ / ١٥ ، الخزانة ١٩ / ٣ ، ٢٨٣ / ٤ والصحاح والتاج في ايه ! ابعد هذا تنقيب !

وفي التعليقات التاريخية اكتفي بهذا المثال :

جاء في ص ١٢٧ قال يمدح عبد العزيز بن مروان خليسي عوجا عوجة ناقتي كسا عيسى ظل بين القرية والعجل فقال المحقق (يبدو ان في عبارة الاصل وهما من الشارح دفعته اليه كنية الممدوح (ابن ليلى) وهي كنية مشتركة بين عبد العزيز بن مروان وابنه الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فقد ذكر الشارح وقلت انه هو في البيت ٣٥ ونسرت بانها كنية عبد العزيز ظناً انه هو الممدوح بهذه القصيدة ، الا ان هذا الظن بعيد الاحتمال ، وذلك لان عبد العزيز بن مروان توفي بمصر سنة ٨٥هـ في حين ان المصادر تكاد تجمع على ان ذا الرمة توفي سنة ١١٧هـ وانه عاش نحو من اربعين سنة أي انه كان صبياً صغيراً حين وفاة عبد العزيز بن مروان في مصر ! وهذا في رأيي بجسم النزاع ولكن المحقق يريد عليه فيقول ولدنا ايضا مرجحان اخران ، اولهما ما جاء في شرح البيت ٣٤ من القصيدة حيث يصف ذو الرمة ممدوحه بأنه منتهى الحاجات ، ويفسرهما المهلبى بأنه يعني بذلك الخليفة !

والمرجح الثاني ما جاء في مخطوطتي قد من أن ابن ليلي هو عمر بن عبد العزيز ، وقد ذاب الشعراء على تكتيصة الخليفة بهذه الكنية التي كانت لآبيه ، ومن ذلك قول جرير ، ديوانه ص ١١٧ .

اليك رحلت يا عمر بن ليلي على نقصة الزور واعتسدا وقول الفرزدق ص ٦٢٩ من ديوانه :

اليك ابن ليلي يا بن ليلي تجاوزت فسللا ودابسا دفانا منسائلة ثم اتبع ذلك بمراجع كثيرة تبلغ ثلاثة عشر مرجعا ! وقد جرت عادة المتحذلين عن الكتب العلمية والرسائل الجامعية أن يعقبوا العرض التقديمي بملحوظات قد تكون ثانوية هامشية وقد تكون أصيلة جوهريه ، وكتاب يجاوز الالفين من الصفحات لا بد أن تختلف الآراء في بعض ما يتضمن من الاقوال ، وقد عنت لي شبه بسيرة ، ليست شبيها على التحديد ، ولكنها وجهات ثانية للراي احب ان اذبل بها هذا المقال ، ليعلم المؤلف للفاضل اني قسرات كتابه من الفه الى يانه ، وقراءة كتاب مثل كتابه عميل مفيد حقا ، وشاق ايضا ، فليست مع الديوان ، في رحلة مؤنسة ، ولكن ارتاد طريقا كثير الوعر ، والحافظ الله ، وسأقتصر على الجزء الثالث فهو آخر ما قرأت ، وما علق بذهني نحوه حاشر عتيد ، على انها امور ترجع الى اللوق الشخصي فالأمر فيها سهل رخاء .

١ - قال ذو الرمة بصف ظبية تنظر من بعيد الى ولدها وترمقه ص ١٦٧٤ :

حداروا على وسنان بصرة الكرى بكل عقيقل عن ضعاف فوارى وقال ابو حاتم في التشرح : اي نصبت جديها حداريا على وسنان ، اي ولدها في نعاسه ، بصرة النوم وهو الكرى عن ضعاف اي قوائمه ، يقول : يصرة النعاس عن قوائم ضعاف حين شذن :

والذي أراه ان النوم يصرة عن جفون ضعاف لا تحمل البقطة بل تستسلم الى النوم بكل مقيل ! فالقوائم هنا لا محل لها ، والنقد موجه الى الشارح ! ولكن الدكتور قد فاته ان يبدي رايه .

٢ - نسبت هذه الايات لذي الرمة ص ١٨٦٠

دنوت واندننت لي ان وابنتي اخذت العصا وابيش لون سالحني وقد كنت مما اعرف الوحي ماله رسول سوى طرف العين اللوامع لئن سكنت لي الوحش يوما لطلنا ذمرت قلوب النساء الملائع وقد قال الدكتور في تعليقه (على ان الشك يكتنف نسبة هذه الايات الى ذي الرمة لانه مات شابا ، ولم يبلغ به العمر ان ينوح على شبابه هذا النواح الذي لا يصدر الا عن شيخ طاعن في السن يدب على العصا ولا تخشى الوحش بأسه) وارتكاز الشك على هذه الناحية واه ضعيف ، لان الشريف الرضي مثلا قد ناح على شبابه منذ العشرين وملا ديوانه بكاء الشباب وقد مات في الخامسة

والاربعين ! اما الضعف والعصا فقد يكونان للمرئوس لا للهرم ، وقد قال المتنبي :

لقد بكيت على الشباب ولي مسودة ولما وجهي دونسق حدرا عليه قبل فوات اوانه حتى لكنت بماء عيني اشرق

٣ - وردت الايات ص ١٩٢٠ في هجاء مي هكذا :

الا حيدا اهل الملا ليس انه اذا ذكرت مي فلا حيدا هيا ايامي قد اشميت بي وبك العدا وفطعت جبلا كان يا مي باقيا فيا مي لا مرجوع للورس بيننا ولكن هجرا بيننا وللأفيسا على وجهه مي مسحة من ملاحة ونحت الثياب الخزي لو كان باديا الم تر ان الماء يثرت طعمه وان كان لون الماء ابيض صافيا والبيت الثاني والبيت الثالث لا يمكن ان يدخل بين هذا الهجاء القلذخ ؛ فهما عتاب رقيق كله تحسر وتلهف على اللقاء فكيف يجتمعان مع الهجو والاقذاع ؛ وأنا احفظ القصيدة منسوبة لغير ذي الرمة في ديوان الحماسة ، وليس فيها البيتان القريبان الناشزان ! وكان على المحقق ان يشر الى ذلك !

٤ - في صفحتي ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ تواتر الايات هكذا :

واذا قلت لابي باري ليست به سقامه مرض الغرير يبيس الوالف لها الشمس يوم الدين السمدجارها بدت بين اغانى القمام الصوائف بعيدات مهوى كل قرط فقلني لطاف الخصور، مشرفات الرواف ولا مغرف فرد ياغلى صريمة تصدى لآحوى ممع العين عافف وانما ارى ان مكان البيت الثالث هو مكان البيت الثاني يستقيم المعنى منظر كل دون نشاز !

٥ - القصائد والابيات التي يجزم المحقق ودارسو الادب بداهة انها ليست لذي الرمة ، لا ارى داعيا للذكرها مع المشكوك في نسبتها ، فالقصيدة التي قالها البديع على لسان ذي الرمة ص ١٨٧٩ ومطلعها :

ايمن مية الظلل السددارس الظ به العاصف الرافس لا تجد لها مكانا مقبولا في الديوان ، لانها منقولة مقامات البديع ، فكيف تذكر هنا ؟ الان صاحب مواسم الادب اخطا في نسبتها ، فاجب خطؤه البديهي ان تذكر مع المشكوكات ! ومثلها ما اجمعت المصادر على نسبتها لكثير وغيره لان خطأ بعض النقلة ، لا اعتبار له بحال !

وبعد ، فقد طوئت في هذا الخضم الواسع ما طوئت ثم احسست اني لم اقل شيئا بعد ان سودت ما سودت ، فاننا مع هذا العمل الرائع المجيد الذي نهض به صديقي الاستاذ الدكتور عبد القدوس ابو صالح قد صرت كما قال ذو الرمة ص ١٨٥٤ :

وهمة فيه السراب يلمح يداب فيه القوم حتى يطلخوا ثم يظنون كان لم يبرحوا كانوا امسوا بحيث اصبحوا

الرياض - كلية اللغة العربية محمد رجب البوموي

عوامل شهرة «مي»

بقلم دؤز غريب

•••

تمتعت مي (١) زيادة في حياتها بشهرة واسعة وشعبية كبيرة ، لم تحرزها اية اديبة في عصرها ولا بعده . فقد ام صالحتها الادبية كبار الادباء من مصريين ، ومن لبنانيين متصصرين ، وراسلها مشاهير الكتاب في مصر وخارجها . اهداها طافور احدى قصائده . راسلها جبران من اميركا ، وكافله الدجيلي من العراق . وكان ولي الدين يكن يوقع رسائله اليها بعبارة « خادمك الطبع »

لكن شهرة مي لم تقم على ما اكتسبته من مناصرة الاصدقاء وتأييد المعجبين ، بل كان لها اساس من الجدارة والتفوق ، لا يحتمل النقص ولا المناقشة .

كانت في عصرها (١٨٨٥ - ١٩٤١) اول كاتبة عربية تمكنت من اتقان الثقافتين الغربية والعربية . في معهد عينطورة الفرنسي ، درست اللاتينية كوسيلة للتعلم في الفرنسية ، بلغت معرفتها للفرنسية والانكليزية درجة من الاتقان جعلتها تكتب في الاولى شعرا جيدا ورسائل انيقة . وفي الثانية تحبر خطا بارعة الاسلوب . حذقت الايطالية والالمانية حتى ترجمت عنهما وتكلمت الاولى بطلاقة . في مصر ، توفرت على درس العربية حتى استطاعت ان تكتب بعبارة صافية ، متينة ، فيها جزالة القديم واثاقته ، ورشاقة الحديث واقتنانه ، فكان اسلوبها مظهرا لحسن الذوق ، والتجديد البعيد من التعطف والتكلف ، ولهذا يمكن ان نعدده كلاسيكيا او نيو كلاسيكي .

كانت اول فتاة عربية دخلت الجامعة المصرية ، وتلعت لكبار اساندة العربية وبعض اعلام المستشرقين . فحصلت على ثقافة جامعية رفيعة ، زيادة على معرفتها للغات المختلفة ، واتقانها لاصول الموسيقى والفناء . فظهر تأثير ثقافتها الشاملة ، المتعددة الجوانب ، في انتاجها الادبي وفي اسلوبها .

حين تقرأ مقالاتها ، لا بد ان تلاحظ سعة اطلاعها على مفردات اللغة ، قديمها وحديثها ، وقدرتها على التصرف في الالفاظ واختيار الكلمة المناسبة والسائغة ، الى جانب افتنائها في رصف العبارة وهندستها . كذلك تلاحظ اتساع افقها وحسن اطلاعها على آدب الامم والعلوم العامة ، كالفلك والتاريخ والبيولوجيا ، في مقالات غنية بالاقتباسات

(١) بمناسبة اعادة نشر مؤلفاتها كاملة .

والاشارات ، نظير « نشيد نهر الصفا » ، « عند قدمي ابي الهول » ، « كن سعيدا » . وفي ابحاثها حول « المساواة » ونقدها لباحثة البادية وعائشة التيمورية ، دلائل حذقها لاصول البحث والنقد .

في خطبة « وداع الاستاذين » من « كلمات واشارات » تستهل كلامها بحديث طريف عن « الشلياق » وهو « الصورة الفلكية التي اجمل نجومها النسر الواقع » فتقول : « وجد علماء الفلك ان جميع الكواكب المنظورة تندفع نحوه وهو لبعد الساسع لا ينتهي اليه نظامنا الشمسي الا بعد ملايين الدهور » .

وفي مقالة عنوانها « في عالم الالحن » ، بحث مطول تقارن فيه بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية مقارنة تدل على خبرة نظرية وعملية في الموضوع . ونسي « معرض الصور المصري » تجول جولة موقفة في ميدان النقد الفني .

لكن الثقافة الواسعة وحدها لا تصنع الاديب ما لم يكن ذا موهبة اصيلة . والموهبة هي القدرة على الابتكار في اللفظ ، في الاسلوب ، في الصور وفي المعاني الجزئية المستلهمة من موضوع عام . وقد اوتيت مي من قوة الخلق قسطا وفيرا ، فهي انتاجها ما يدل على براعة في تصريف الكلام واجادة في التنسيق ، فضلعن تدفق القريحة واتساع الخيال . خذ مثلا مقالة : « السهرات الراضات » (ظلمات واشعة ص ٨١) وانظر ما اوحى به اليها هذا المألوف من صور طريفة واوصاف متمعة ، ثم لاحظ كيف اسخرت منه في الخاتمة فكرة عميقة تثير فكر القارئ ويحار في تفسيرها .

من مظاهر حسن الذوق في انتاجها ، انها لم تلتزم فيه اسلوبا واحدا ، بل راعت في عبارتها مقتضى الحال . فاسلوبها خطابي في المواقف الخطابية ، علمي صريح في مقالات البحث والنقد ، صحفي مجد في اخبار الرحلات والمناقشات الصحفية ، شعري يفيض روعة وموسيقية في « ابتسامات ودوع » . وقد اشار بعض الباحثين الى روح الكاتبة المسيطرة على كتاباتها . الا ان هذه الصفة لا تظهر الا في مقالاتها الوجدانية التي يضمها كتاب « ظلمات واشعة » . اما باقي كتبها ، ومعظمها يعالج موضوعات اجتماعية وتقنية ، فتبين فيها روح المرح والظرف وحب النكتة .

كان نشاطها الادبي ، حتى سني محنتها (١٩٣٥ - ١٩٤١) ، غزيرا ، مستمرا ، منوعا . نشرت مقالاتها في كبريات الصحف والمجلات المصرية ، انشأت صالحتها الادبية المشهورة ، برعت في الخطابة فاجذبت الالوف لسماعها ، ابدعت في ترجمة « ابتسامات ودوع » ، عالجت شتى الموضوعات من اجتماعية نسائية وادبية لغوية ، اجادت النقد الادبي ، مارست النشر الشعري فانتجت

مشرهد من مسر حبة دلوبهين

في شارع من شوارع اثينا يقف مسليوس وزينو.

مسليوس :

وهل وقمعت على الدواء
يفصص بالداء العياء
الداء او دفعع البلاء
يشفى على كسر البقاء

(زينو) اكلمت (الحكيم) (١)
الشعب من حذر المفير
اوليس من امل ، لحسم
ام ان داء السئل لا

زينو بالم :

على الحكيم ولا انسوداء
ومثقباً دون الففساء
الانسان همسا من حياء
بفسر جدوى من عياء
كالليل غسورا في الخفاء
الستجد على البقاء
فيه عن عداء
والشعور الى السماء
الى خفيفس كالفساء
القلب من صور الشقاء

جئت (الحكيم) وما وقمعت
ذهب الحكيم مسائلا
يستخير الدنيا عن
وبعود ينفص باليديس
المراء سر غامض
وفزاده الشيء العجيب
تتراحم الاضداد والاشباه
فتراه ، يسمو بالمشاعر
وتراه احيانا يسف
ما كان اعجب ما يضم

مسليوس :

ولم يزل هدف العذاب
يوما وتزخر كالمصاب
عشا وبطرق كل بساب
والياس يقطع بالرقاب
الوهم ضربا من سراب
والمال الى تراب
نفسى واعيا بالجواب
من شكوك وارتياب
من السؤال سوى العذاب

المراء في دنياه كان
الامه لا تنتهي
يسعى ويكدح يومه
وبعود آخر يومه
وارى السعادة من خداع
كيف السبيل الى السعادة
واظل اسأل جاهدنا
واروح اضرب في غمار
حتى اعود ومما جئت

دمشق

عدنان مردم بك

١ - الحكيم : هودويون

اليوم ، وتكاثر حاملات الاقلام ، فان قليلا جدا منهم
اتيح لهن ما اتيح لي من ثقافة شاملة عميقة ، صقلها
الاحتكاك بكبار الادباء وقارنتها موهبة فذة ، وقدرة تعبيرية
فائقة ، ضمنت لانارها الخلود .

روؤ غريب

الدوام - لبنان

فيه قطعاً ذات قيمة خالدة ، رسالتها الى اصداقائها
وصديقاتها نماذج من النثر البليغ .
ومع ان حياتها الادبية كانت قصيرة - نسبيا -
بلغ عدد كتبها المنشورة اثني عشر ، عدا الكتب المترجمة.
ونحن اذ نقرا اليوم آثارها بلذة واعجاب ، لا يسعنا
الا الاقرار بأنه رغم انتشار الثقافة الجامعية بين فتيات



وافت الساعة التاسعة والنصف صباحا حتى فرغ الكوافير من تصفيف شعر صباح التي بكرت في الحضور اليه في مطلع هذا النهار. لقد تجلى فنه في التسريحة الجديدة التي ابتكرها فبدت تاجا جميلا يزين رأسها .

أسرعت عائدة الى المنزل حتى لا نفوتها المكالمات التليفونية . ان الاتصالات عبر اسلاك التليفون ظلت متصلة بينها وبين فوزي طوال اسبوع حرصت فيه ان تكسبه ثانية بعد ان اوشكت ان تفقده الى الابد . هذا الانسان الطيب النقي السريرة . انه بطل لم تفهمه على حقيقته وهي الان ترغبه بكل جوارحها .

وها هي ذي ترفع السماعة وتدير القرص ولم يلبث صوته ان جاهد رقيقا حائنا . .

— آلو !

— صباح الخير يا استاذ فوزي .

— اسعد الله صباحك يا صباح .

ثم تنهد وقال :

— انني اشكر الظروف السعيدة . .

كما انا مدين لخطاء التليفونات تلك التي عرفنتي بصاحبة اجمل صوت سمعته في حياتي .

فكانت له في دلال :

— لا تبالغ . . يبدو انك مجامل الى ابعد الحدود .

— كلا . . انها الحقيقة .

ثم استطرد قائلا :

— ما اعذب صوتك . . انه كرنين اجراس من البلور . . استمتعت به طوال الاسبوع الماضي .

— يا عيني على التعبيرات الجميلة !

حضرتك شاعر ؟ !

— اسمعي يا ست الكل . . ان اجازتي مدهتها اسبوع وساعود غدا الى الحجة .

— لماذا ؟ !

— الم يتوقف اطلاق النار وانسحب الاسرايليون الى عمق سيناء ؟ !

— وهل هذا يعني انتهاء الحرب . .

انها مستمرة حتى يطرد آخر جندي اسرايلي من الوطن العربي ويعود الحق لاصحابه الفلسطينيين .

فكانت له ضاحكة :

— ولكن مهمتك انت بالذات قد انتهت .

— كيف ؟ !

— الم تخبرني انك كيميائي وانك كنت في اوائل الجنود الذين عبروا قناة السويس قبل السادس من اكتوبر . . وبالتحديد في الثامنة من مساء الخامس من اكتوبر لقطع خراطيم النابالم وقممت بسدها بعجينة كيميائية خاصة . . فما حاجتهم اليك الان ؟

— انني مازلت جنديا تحت السلاح



بقلم غريمال وهبه

رهن اشارة قائدنا الاعلى . . فمعركتنا مع العدو ما زالت قائمة .

— انك لم تذكر لي تركيب العجينة الكيميائية . . هل انت الذي ابتكرتها ؟

— ان ذلك من الاسرار الحربية .

— لا يا سيدي . . لا اريد ان اعرف هذه الاسرار . . ولكن اتعرف اسرار النابالم ؟

— ان النابالم يتكون اساسيا من البزيرين وتضاف اليه استيبارات الالومنيوم ليصبح مادة هلامية كالجيلاتين .

— ولكن كيف يشتعل النابالم فوق



سطح الماء ، بينما المفروض ان ينطفئ في هذه الحالة ؟

— كلا يا عزيزتي . . فقد اضافوا اليه سبيكة من الصوديوم والبوتاسيوم وهي من المعادن التي تتفاعل مع الماء فينتج الهيدروجين وهو غاز قابل للاشتعال .

— وكيف يشعلونه ؟

— انه يشتعل من الحرارة الشديدة التي تنبعث من التفاعل فيلتهب النابالم .

مرت لحظة سكون ثم استأنف حديثه قائلا :

— وكانت هناك اضرار بكمي الضفط على أحدها بالاصبع ليتدفق النابالم من الخزانات الضخمة فيغطي صفحة القناة ، ويحول مياهها الى سحير من الجحيم .

ثم اردف قائلا :

— ولإطالة مدة الاشتعال اضافوا نسبة صغيرة من الاسفلت او البلاستيك .

واضاف قائلا بتؤدة :

— وهكذا فضلنا تجريد العدو من هذا السلاح قبل ان يستعمله .

وسمعا تضحك جذلة فقال لها :

— ان ما قلته ليس بكتة . . واقصد اننا فضلنا ما فعلناه عن ان ننتظر تلك النيران السابحة ثم نقوم باطفائها . .

وكان ذلك سيستغرق وقتا يعيق قواتنا عن العبور في ميعادها المحدد .

تضحج ثم قال :

— لقد قلت لك انني عائد في الند الى الجبهة فهل لي ان اسالك سؤالا متواضعا .

— تفصل .

— اريد ان افاك اليوم . . وقد سبق ان طلبت منك ذلك فوعدتني بانك ستفكرين في الامر . . فعاقلوك ؟

— انني موافقة .

انبسطت اساريره وقال في فرح :

— اريد ان افاك اليوم . . وقد سبق ان طلبت منك ذلك فوعدتني بانك ستفكرين في الامر . . فعاقلوك ؟

— انني موافقة .

انبسطت اساريره وقال في فرح :

— اريد ان افاك اليوم . . وقد سبق ان طلبت منك ذلك فوعدتني بانك ستفكرين في الامر . . فعاقلوك ؟

— انني موافقة .

انبسطت اساريره وقال في فرح :

— اريد ان افاك اليوم . . وقد سبق ان طلبت منك ذلك فوعدتني بانك ستفكرين في الامر . . فعاقلوك ؟

— وكيف ساعرك وسط هذه
الامواج من البشر ؟
— سارفع زهرة من زهور القرنفل
في يدي عاليا وسط الزحام .
— هذا لا يكفي .. وستنوه وسط
هذا الطوفان .

— هناك اقسام عديدة في هذا
المعرض ، فهو تسجيل حي لحرب
اكتوبر .. فاختر ما شئت .. اي
جناح انتظره عنده : المدرعات ؟

.....

— المدفعية ؟

.....

— الدخيرة ؟

.....

— معدات الإشارة ؟

.....

— القوات الجوية ؟

.....

— المهندسين ؟

.....

— المخابرات والاستطلاع ؟

.....

— قوات الدفاع الجوي ؟

— نعم ليكن لقاءنا اذن في جناح
قوات الدفاع الجوي .. امام حطام
طائرات العدو من الفانتوم وسكاي
هوك والميراج والاستطلاع الالكترونية
واستطرد قائلا :

— يا عزيزتي .. ولو ان الحظ لم
يسعدني برويتك من قبل .. الا انني
اعتبر نفسي قد التقيت بك منذ ان
عرفت روحك من خلال الحبل .

فقلت له باندھاش :

— اي حبل ؟ !

— جبل الياسمين الذي يصل بيني
وبينك . لا شك انك فاتنة وساطل
اراك جميلة دائما .

ثم استدرك قائلا :

— ومع كل فقد اصبح المظهر
الخارجي لا يعني .. فبعد المأساة
التي مرتت بها في حياتي الخاصة لم
اعد اهتم الا بالروح .. بالجواهر ..

فقلت في المم :
— ترى عن اي مأساة نتحدث ؟

— قد اقصها عليك عندما نلتقي ..
انتجين ان يكون لقاءنا في الحادية
عشرة والنصف هذا الصباح .
— لا مانع .. والى اللقاء .
— شكرا .. والى اللقاء يا انيسل
من عرفت .

★

وقفت صباح امام المرأة بعد ان
ارتدت ابهى حللها وانهمكت في وضع
الماكياج واللصقات الاخيرة على وجهها
لتبدو في اوج جمالها . ثم انسلت
خارجة من المنزل ولاقت الامرين حتى
وقفت الى تاكسي يرضى ان يوصلها



غبريال وهبه

الى المعرض وهناك اسرعت بمغادرة
العربة وتقدت السائق اجرته بعد ان
تفحنت بقشيشا سخيا .
قطعت تذكرة دخول ، وبرغم انه
كان امامها فسحة من الوقت على
الميعاد ، الا انها بدت كأنها تقفز
مسرعة وسط الجموع الحاشدة
وقلها يخفق بين ضلوعها فبعث الدفء
في اوصالها وهي تشق طريقها حتى
وجدت مكانا لتقديمها امام حطام
طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي.
وهناك فقط استطاعت ان تسترد

رباطة جأشها ، وكان اول ما فعلته هو
الاطمئنان على زهرة القرنفل التي
تزين سترتها . انها العلامة المتفق عليها
امتنت بدها دفعة واحدة الى الزهرة
ورفعت الى ما فوق رأسها .. وكأنها
ترفع قلبها الاحمر الفاني فوق صارية
علم . رسمت هذه الفكرة شبح ابتسامة
فوق شفيتها .

لقد بدأت تحس بالغيرة .. لارب
ان فوزي احب فيها الفموض الذي
يكتنفها كامرأة يريد كشف مجاهلها .
ثم عادت وتمتعت لنفسها :
— ولكنه قال ان المظهر الخارجي
لا يهيم فهو يهتم بالروح .. بالجواهر .
فلا معنى لغيرتي اذن .

رفعت الزهرة الى مستوى اعلى .
وما ان فعلت ذلك حتى مرت بهالخطوة
خاطفة حدثتها فيها نفسها ان تخفض
يدها وتختفي الى الابد . ولكن الوقت
لم يسعها لتستسلم لتردها ، فقد
شاهدته .. وقد بدا عملاقا في رداءه
السكري ، وراح يحلق في عيون
الآخرين ، ولم تلبث ان احسنت به
بلمحها عندما رآته يندفع تجاهها
تخففت رأسها بحركة غريزية .

عندما وقف قبالتها تركت ذراعها
يهبط ببطء ورفعت وجهها اليه ، فندت
منه آهة اختلط في طياتها ما اعتراه
من ذهول وغبط ممزوج بالفرح ..
وخطا الى الوراء خطوة وشئت بما
اعتراه من غضب عندما ارتد فجأة
الى الماضي الذي اراد ان ينسده
ويقبضه عن أفكاره . ولكن سرعان ما
انفت غضبه واستعاد توازنه وخاصة
عندما تذكر الخطاب الذي بعث به
اليه محاميه بنوؤه بان زوجته قد
تنازلت في المحكمة عن حقها في النفقة
تقديرًا للدور الذي قام به زوجها
في المعركة .. وهاهو ذا يحتمي يدها
بيديه . بينما تساقطت اوراق الزهرة
فوق الايدي الاربعة المتشابكة تثرى
نغم حياتهما في المستقبل بأرجسها
الزكي .

غبريال وهبه

القاهرة

يا حلوة الروح

يا حلوة الروح والعينين ما برحت
اهفو اليك على بعد ، ويحملني
منذ افترقنا وقلبي لا عزاء له
تصرمت بيننا الاسباب وانقطعت
ابش للناس زورا في مجانسههم
ضاقبت بي الدار واعتلت بشاشتها
كل الملاح دمي - الاك - في نظري
قارورة انت من عطر ومن عبق
داريت اهلك اكراما لحلوتههم
ان كافاوني على فضل بسيئته
انني انزههم عن كل شائبة
هل تذكرين وراء النهر خلوتنا
يعشي ادونيس في بردي متنفخا
نفوس في الليل يطوينا بجنته
للزهر من حولنا غمز ووشوشة
لا نترك العذب ممنوع علي ولا
نفغو ونصحو على آه وفاية
ليت الذين تهادوا في ملامتنا
تلك البريهات - رد الله غريتهال

يا حلوة الروح يا شامية نثرت
الهمتنسي من مجاني عبقر دررا
ما اذا ازيد على ما قلت فيك وما
تفاح لبنان من خديك نكهته
هيهات ، لم يبق في الافاق بارقة
قضى الزمان بان نهوى بلا امل
لئلاذ العمر ولت لا رجوع لها

زكي قنصل

بوانس ايرس

واصابها من فرط الذهول شبيهه
خيال .

قالت الارض وهي ترتعش : ان
هذه الفراشة جوهرة نادرة تملكت
باجنحة .

وقالت الشمس وهي تنقد : كلا
... انها شعاع غافلتني واقلت مني
في ساعة شجر وطيح .
وقالت السحابة وهي تبسم :
ابدا ... الفراشة نثير عجيب من
قوس قزح .

وقال العصفور وهو يضحك :
محال ... انها نيرة من صوتي انا ..
وعندئذ قالت الزهرة وهي
تترنح : انتم مجانين ... الفراشة
هي الريح والهوس والجنون ... هي
المرأة ... الا تنظرون الى الوانها
كيف تتبدل وتتحول في اللحظة الف
مرة ، والى روحها كيف لا تنفك
تترامى بها على النار ؟!

فوجمت الكائنات وبهتت .
ومنذ ذلك اليوم اخلطت عليها
الاشياء والاشخاص ولم تعد تفرق
بين الفراشة والمرأة !

نجمة واحدة

في ليالي الصيف الزرقاء تسكب
على صفحة السماء آنية كبيرة ملأى
بالنجوم .

وها هي ذي النجوم تنبثق وتتناثر
في القبة الساحرة ، وانا احديق اليها
ذاهلا ومحيرا ، ابحت بينها عسى
نجمتي ...

كل النجوم تالقت وتوهجت
ما خلا النجمة السالبة فكري

كل النجوم توزعت على الناس
ما خلا النجمة التي يشدها قلبي .
كل النجوم عانت احبابها
ما خلا النجمة التي تستهنيها روحي .
اني لا تبرم بكل هذه النجوم واهتف:
اكان من المسير ان تملأ السماء
بنجمة واحدة ؟!

تشيد العاشقة

منذ ان عرفتك يا حبيبي عرفت

اضواء من الشم

بقلم ابراهيم المصري

اعطيتهم السعادة لهرعوا الى الشقاء ،
الى مرارة النفس وتعاسة القلب
وشهوة الدموغ .

اذن لاحتفظ بجمودي الرائع
المهيب ولاصمت .

وما دمت مترعبا على عرشي ، قابضا
بيدي على صولجاني ، فسيقدسني
كل قلب في الوجود ، وما ظل انا ،
انا الحب ، الحب القادر الخالد الذي
لا يضعف ولا يرحم ولا يموت !

مولد الفراشة

عنينا ولدت الفراشة واقبلت على
هذه الدنيا ، ودعت الكائنات جميعا ،
<http://Archivebeta.Sakhril.com>



ابراهيم المصري

تناب المرء في بعض الاحيان ازمنة
نفسية مفاجئة ، تنزأ بالعقل وتطفئ
على الفكر المجرد ، ولا تجد منصرفا
لها الا في التعبير الشعري . وقد
استبدت بي هذه الازمنة فترة ،
فمضيت اصور ما اوحت الي من
انفعالات واخيلة في هذه القطع
الشعرية المنشورة التي اطلعت عليها
بعض النوايج من ادبائنا دون ان
اصارهم بانها من عملي . فلما
راقت لهم واصروا على نشرها ،
بعثت بها الى « الاديب » .

حلم الابد

قلت للناس : انا الحب المستبد الفاشم
القاسي . انا الضحك والبكاء ، الخير
والشر ، الماء والدلم ، الحياة والموت ،
فلم يصدقوني . وها هم يتقاطرون
علي ويصبحون بي : لا .. انت
السماء ، انت النعيم ، انت ملك
الرحمة الذي اختلف الجنة وقدمها
هدية لاهل الارض !

وانا اسمعهم واضحك . اما لهم
واضرب . اغافلهم واقتل ، وهم في
غمرة حلمهم وجنونهم ، لا يشعرون
ولا يفقهون . ماذا افعل كي انهم
ماذا افعل كي احذرهم . قلوبهم
تتحرق ومع ذلك تصبو الي . دموعهم
تنهمر ومع ذلك تغسل يدي . دماؤهم
تسيل ومع ذلك ترتفع قربانا الي .

في سبيل فترة من الدني يستعدون
الالم ، وفي سبيل فترة من نعمتي
يستمرئون النقم ، وفي سبيل لحظة
من وهي يقبلون فمي وهو يخدعهم
ويقذف في وجوههم الحمم .

ماذا افعل بهم . انا مشفق عليهم .
اريد ان امنحهم كل امل محقق ، كل
حظ موطن . كل سعادة خالصة
لا تشوبها شائبة من هم او عذاب .
ولكن امثل هذه السعادة ترسيهم ،
وهل تراهم يسبحون بحمدي اذا ما
وهبتا لهم ؟!

انا امرهم ... لو منحتهم الكمال
لاشتاقوا الى النقص . ولو وهبتهم
الراحة لاشتاقوا الى العناء . ولو

نفسي . كانت روحي غريبة عني ،
وكنت انظر الى قلبي كما ينظر الانسان
الى عالم مغلق مجهول .

وفجأة اشرق عقلي . خلق قلبي .
علمتني عينك كيف اصلي وابكي ،
فاجيتك يا حبيبي كما احب ذاتي
ونفسي .

ليتني كنت ثمرة صغيرة لاذوب
في نيك .

ليتني كنت زهرة صغيرة لاعطر
روحك . ليتني كنت شهيدا للسانك ،
ودما لقلبك ، وماء فراحا تغتسل
فيه الى الابد قدمك .

اني لاود ان اكون الشجرة القائمة
تجاه بيتك .

اود ان اكون غصنا من الشجرة او
ورقة من الغصن ، او ظلا من الورقة ،
كي انسل اليك في رائحة النهار يا
حبيبي ، واداعب ذك الناعم الرقيق
ولو لحظة .

لقد تقنعت بسبعة اقنعة يسا
حبيبي ، لتستطيع ان تكشف عن
محاسني سبع مرات .
لقد طليت بسبعة طيوب
يا حبيبي ، لتستطيع ان تتشغني
سبع مرات .

ولما عصفت جنون حيك بعقلي ،
ايبت الا ان اعذبك واعذب نفسي ،
فكذبت عليك سبع كذبات يا حبيبي ،
لتستطيع ان تجن بحبي ، ثم تضربني ،
ثم تقتلني سبع مرات !

لهفة وعذاب

الليل ساج وانت هنا . انت امامي ،
ممددة على فراشك تسبحين في عالم
النوم البعيد .

وانا ، انا الان انظر اليك . انا مل
كل شيء فيك ، وبخيل السى انسى
استكشف لاول مرة جمالك الساحر
الفتان .

ذرايك الناعمة ترقد على صدرك
كجناح طائر قر في الوكر واستراح .
شعرك الاسود ينسكب على راسك
ويوقظ فجر جبينك الناصع البياض .
اهدائك الطويلة ترف على عينيك

وتحميمهما من لهفة الناس .

فمك النائي الدقيق يرسل
شبه غمغمة فيها بقية من صلاة بوقية
من ضحكة الحياة .

حبات عقدك الاحمر تساقط على
جيدك وتقبل صدرك في خيال .

وهذه روحك ... هذه انفاسك
... انفاسك المستبدة الضاربة ...
يوقعا حبي الفتون على اهازيج دمي
الظلمان !

البشي هكذا ... لا تتحركي ...
تقلبي في مجاهل النوم عسى ان
تقع معجزة ، فيستحيل النوم
العميق الى موت رحيم ، يعصف بك
فجأة وينقلني !

روح الارض

تناوت من السماء نجمة رائحة البهاء .
سقطت قطعة من النجمة في بستان ،
قنبت في مكانها زهرة .

اسرعت فتاة واقتطعت الزهرة .
قدمتها لحبيبي الشاب القروي
الجميل .

كان الشاب يحب الفتاة .
تناول الزهرة وقامها .
تشغها . قلبها . ثم دسا في
جيبه ، وعانق حبيبه ومضى .

انطلق من القرية الى المدينة .
مكث في المدينة طويلا ولم يعد .
ظلت الفتاة وحيدة شريدة تنتظر
عودة الحبيب وتبكي .

استكشف الشاب في المدينة اشياء
جديدة .
اشياء جميلة واشياء دميعة .
استكشف روح الارض ، حركة
الحياة وجليه الدنيا .

انطوت الفتاة على حيا وعذابها .
لم تستطع ان تستكشف في عزلتها
الفاجعة شيئا .

تعاقت الايام .
عاد الشاب فجأة الى القرية . الى
بيته .

فتح خزانته . بعثر اثوابه .
عثر في احد جيوبها وفي مكان
الزهرة التي اهدتها له الفتاة على

عصفور .

عصفور صغير حي .

عصفور ضامر مسكين .

بهت الشاب والنقط العصفور .

تكر في الفتاة وتالم .

عاد وحلق الى العصفور وتململ .

ثم لاح امامه المدينة .

انبعثت امام عينيه روح الارض .

تألق وجهه بفتة وضحك .

ضحك من يؤس العصفور .

اطبق عليه اصابعه .

خفقه والقي به في الفضاء .

تنفس مستريحا .

هز كتفيه مستهترا .

اوصد باب بيته في احكام .

كر راجعا الى المدينة .

ساعة الصفاء

اقبل الليل وها هي ذي الساعة .

ها هي ذي الساعة العذبة التي

يخيم فيها الفتور ، ويثر الحلم ،

وينتشر التامل ، وتضمحل الاشياء

وتدوب شيئا فشيئا في فضاء

النهار وفي ذهب الغروب .

كل شيء يستريح تحت رقص

محباكي .

كل شيء يقر ويهدأ في صمت

مخدعي .

كل شيء ينتظر ويثقف في غمرة

فرحي ... فتعال ... تعال واجلس

بقربي . تعال وضع راسك على

صدري . تعال وانصت لوجيب قلبي

ولا تكلمني .

هوذا الصفاء الكامل السرمدى يا

حبيبي .

صفاء ، صفاء ، صفاء ، يا حبيبي .

يا من كنت منذ الابد نصيبي .

ماذا اشتهي بعد اليوم يا ملكي .

ودعي الدنيا المعجبية يا عيوني .

ترقد الدنيا في ظل الحبيب !

في وسع الرقاد ان يحطم اجنحة

الناس .

في وسع الظلام ان يهيل التراب

على العالم .

في وسع الموت ان يلف الخليقة

في الافكان .

ولكني سأظل مفتاح العنين من
فرط طربي ، اھيم في قلبك كما
تھيم في قلبي ، واطل اشرب من
كأس روحك حتى اراك وانت نشوان
قد انتيت على ثمالة كاسي !
كل شيء يستريح تحت هالة
ضوئي .
كل شيء يقر ويهدأ في سكينه
امي .

كل شيء ينتظر ويتلف في غمرة
فرحي . فتعال ... تعال واجلس
يقربي . تعال وضع رأسك على
خدي . تعال وانصت لوجيب قلبي
ولا تكلمني . هوذا الصفاء الكامل
السرمدى يا حبيبي .

صفاء ، صفاء ، صفاء ، يا هنائي .
يا من كنت منذ الابد شقائي .
ماذا اشتھي بعد اليوم يا ملاكي .
ودعي الدنيا العجيبة يا عيوني .
شرق الدنيا من عين الحبيب !
الطبيعة كلها خشعت لحبا
الهواء الزافر حبس انفاسه من
اجلنا .

الرقاد الغاشم طامأ رأسه فسي
امتنال وانصرف عنا .
ان تحرك هذه الليلة ولن تنام .
ان تكلم هذه الليلة ولن تفكر .
ان نكسر صفو هذه الساعة لا
بالهمس ولا حتى بالقبلات .

كل شيء يستريح تحت سماء
راحتنا .
كل شيء يقر ويهدأ تحت وابسل
نشوتنا .
كل شيء ينتظر ويتلف في غمرة
سكرتنا .

فتعال ، تعال واجلس يقربي .
تعال وارح رأسك على حلمي .
تعال وانصت لوجيب قلبي ولا
تكلمني . هوذا الصفاء الكامل
السرمدى يا حبيبي .

صفاء ، صفاء ، صفاء .
يا من كنت منذ الابد جسدي
ودمي وتوام روحي
ماذا اشتھي بعد اليوم .

ودعي الدنيا العجيبة يا عيوني .
تنبع الدنيا من قلب الحبيب !

الحسنة بنت الملك

كانت الحسنة الساحرة بنت ملك
عظيم . وكانت تريد ان تزوج .
فتقدم لخطبتها جمع كبير من الشبان
انحناوا امامها ، وقبلاوا الارض .
وكان عليها ان تلقي بمندليها
الحريري الابيض الى الشاب الذي
يختاره قلبها . فاجالت البصر
حولها . فاخذت عينها شابا بهي
الطلعة ، رائع الفتنة ، يرقل في حلة
نفقاسة من ذهب .
تقدمت اليه وقالت : من انت
يا رجل ؟ ..

فاجاب الشاب في شموخ : انا
امير وابن امير . مالي كالبحر ،
وذهبي كالرمال . فتعالي الى قصري ،
وتحكمي في ملكي ، وكوني اميرة
وتربعي على عرشي !
ف نظرت اليه الحسنة من عليها
وقالت :

ان يكون قصرك ادوع من قصر
ابي . اليك عتي !
ولم تلتح حولها ساعة ، فوقع
بصرها على شاب مديد القامة ، مفتول
العضل ، مغشى الصدر بدرع من
فولاذ . فرمقته بنظرة وقالت : وانت
من انت يا رجل ؟ ..

فهب الشاب ذراعه ، وامتنسق
حسامه ، والقي به عند قدميها ،
واجاب : انا بطل صنديد وفارس
مفوار . فانظري الى درعي ، وتاملي
سبيك ، وتعالي معي ، ادوخ فسي
سبيك الدنيا ، واغزو من اجلك
العالم !

فانبسمت له الحسنة وقالت :
انت تحب المجد اكثر مني . اليك
عسي !

ومدت بصرها في الجمع المحتشد
وتضجرت . وعلى حين فجأة ، لحت
شابا مشعث الشعر ، شاحب اللون ،
زري الثياب . فدنث منه وصاحت
مستنكرة : وانت من تكون ابها

الشحاذ ، وكيف تجسر على المشول
امامي ، بل كيف تجرؤ على طلب
يدي ...

فتقدم الشاب وهو يرتجف . جثا
عند قدميها ، ورفع اليها عينييه
الامتتين الغائرتين وقال : اسفاه .
لا مال عندي ولا سيف لي ، وكل ما
املك يا حسنة هو قلبي .. لقد
احببتك منذ اجيل ، ورايتك من
خلال ثلاثة ظلال ..

رايت وجهك في ظل عينيك كما
يرى الظلمان رحمة الله تتفجر من
جوف ينبوع .

ورابت عينيك في ظل شعرك
كما يرى المسافر عند الفجر ضوء
النهار يسقط في عمق صحراء .

ورابت قلبك في ظل عينيك كما
يرى صياد الآلئ امن الجواهر
يتشيق من كهوف الماء . فانظري الي
يا سيدتي . انا لست بشحاذ . انا
شاعر وانت عروس شعري .
فابعيني املا الدنيا بالحب والجمال ،
او اقتليني الان عساي ان اتخلص
من حبك وباسي !

فاختلجت الحسنة ، ونظرت
اليه طويلا ، وقالت وهي تلهث : اليك
منديلي !

الموسيقي الفيلسوف

كانت القرية الكبيرة الواقعة في اقصى
المدنية ، رابضة فوق تل شاهق
تعطوها سماء داكنة ، وتنعقد في جوها
سحب ملبدة ، وتنطلق من احشائها
صرخات عنيفة مزعجة تلقي الرعب
في القلوب .

المصانع كانت تلهث ، والمجلات
تصخب ، والآلات تهرس ، والمداخن
المشرئية باعناقا تنفث في الفضاء
الواسع سيولا من ضباب اسود يأخذ
بالمخاتق ويكاد يعمى الابصار .

وكان اصحاب المصانع يرقبون
سير العمل في صرامة ، ويلحظون
حركات العمال في يقظة ، ويتابعون
انتاج الآلات في لهفة مخبولة .

وكانت طوائف العمال من رجال

حطم قيثارته وبشر البقية الباقية من
قطع الذهب في الطريق ..

وصيتي

لا بد ان تميل بك الحياة يوما الى
الفناء المظلم الختوم .

فأما رؤيتك من عبير شبابك ما
استطعت . المسافة قصيرة بين
الكرم والمصرة ، بين مطلع القصيد
ومقطعه ، بين الفجر والغروب .

البت مفتاح الروح لكل عطر يرف
حواليك ، مرفف الريح لكل صوت
ينبعث من الناس ومنك ، مشبوب
العقل والتطلع الى كل فكرة جديدة
يحملها العالم التطور اليك .

اياك ان تذهب الى مرقدك الاخير
قبل ان تكون قد شربت من عسل
الدنيا ، وازدردت من ملحها ، وشرقت
في النهاية بالصرخات والدموع .

ضاعف نفسك بقوة رغباتك .
انفجح في تواجبات ايامك
وليايك .

شم الحياة المنمودة الى صدرك .
دع مغاني الفرح والامل تغرد على
تترك كسرب من النحل المغنون .

اعشق العمل والامل والتفوق
والحب .

كثيرون غيبرك ابو ان يعصروا
جباههم . وأبو ان يريقوا ذهب
عيونهم . وها هم الآن يرقدون في
بطن الارضدما منسية بالية لم تعرف
الحياة لانها لم تعرف الكفاح
المخضب بدم الخيال والحلم ..

فغش ما وسعك ان تعيش . ثم
انظر الى الموت بلا حسرة او اسف .
ومتى اقبل الموت ، فاقبل عليه
وقل له وانت هادئ باسم : مرحبا
بك يا صديقي . لقد نسيتك لفرط
ما عشت . لقد حفرت في الحياة
اسمي وذكرني وعملي بالرغم منك .
هذا ايها الموت الشاحب الجامد
هو انتقامي !

ابراهيم المصري

القاهرة

المتدلة الكالر

وبغثة خرج اصحاب المصانع
مذعورين . فالقوا العمال وقد تركوا
طعامهم ، يقبلون على الموسيقى
الفيلسوف ويحيطون به ، ويستمعون
اليه . في ذهول وطرب واعجاب .

ودق ناقوس الدعوة الى العمل ،
والعمال ما يزالون ذاهلين . فغضب
اصحاب المصانع . ثار بعضهم وهبوا
بطرذ الفيلسوف . ولكن زعيمهم
الماكر الذكي لطف من ثورتهم ، وتقدم
الى الرجل وقال في رفق :

ادخل ... ادخل يا بني ... وجه
خطابك الينا ... نحن السادة هنا .
ومتى اقمعتنا برسالتك ، اتقدنا
انفسنا ومعالنا وتبعناك .. تقدم ..
فدخل الموسيقى حجرة المكتتب
وجلس . . . جلس وطقق يبشر تارة ،
ويغني ويعزف اخرى . فتامله المدير
العام . لاحظ ثوبه المزرق ، حذاءه
البالي ، قره الصارخ المتفر الدميم .
فدنا منه ، وربت على كتفه ، وصاح
به وهو يهزه هزا عنيفا :

انظر ...
فالتفت الموسيقى واذا به يصير له
المدير تفتح خزانة حديدية كبيرة
وتنتزع من جوفها كومة من الذهب
الوهاب .

نظر الرجل الى الذهب وارعد .
فلم يمهله المدير . قال له وهو يفرغ
الذهب في جيبه ويتشم :

هذا اقل ما يجب ان تكافئك به
ايها العبقري !

نهبت الموسيقى الفيلسوف
واضطرب . اضطرب واختلج .
الفيض الطارئ اذهله . التقدير
الرائع المكي اعماه . فضم يده على
جيبه المملوء بالذهب ، ثم تحامل على
نفسه وشكر المدير وانصرف .

وانقضت ايام ثلاثة لم ير فيها
العمال اثرا للموسيقى الفيلسوف .
ولكنهم في صباح اليوم الرابع
ابصروه ، ابصروه معلقا على شجرة
وقد شققت نفسه بحبل ، بعد ان

ونساء وبنات وصبيان ، منكبة على
الالات ، مرتمة فسي احضانها .
غارقة في اطوائها ، باذلة قصاراتها في
استخراج شتى الكتوز المستقرة في
اعماقها .

وكان اصحاب العمل يصيحون
ويزجرون ، والعمال يغمغمون
ويمدمدون ، والجميع وقد غارت
عيونهم وتصبب العرق على جباههم ،
يروحون ويجثثون في رحبسات
المصنع كان لعنة قد حلت عليهم ،
فانقلبوا من بشر الى شياطين .

ونجاة دق ناقوس الطلوع ،
فخرجت طوائف العمال منهوكة خائرة
وطفت تنسل الى المطاعم المتناثرة
حول المصنع وتنتهي في نشوة عابرة
لتناول طعام الغداء .

وعندئذ ، وقبل ان تستوعب
المطاعم افواج العمال ، ظهر بين
صفوفهم رجل غريب .. رجل شمعت
الشعر ، لامع العينين ، ضامر
الوجنتين ، يسك يده قيثارة
صغيرة تشبه طائرا خرافيا لم تقم
عليه عين انسان .

صاح بالجمهير غير حافل :
ما جدواكم انتم واصحاب المصانع
من كل هذا العمل ؟ .. ما جدواكم
من عمل يستغرقكم فسي النهار ،
ويصرعكم في الليل ، ويمتص
عصارتكم في كل لحظة . في الحياة
اشياء اخرى جذيرة ايضا بان يعيش
من اجلها الانسان ! .. انظروا
حولكم ... السماء فاتنة ، الشمس
رائعة ، الزهور ساحرة ، النساء
جميلات ... اي شيطان يوسوس
لكم ان تسحقوا الجمال بالعمل المرهق ،
وتقتلوا الشعر بالجهد المبذول ،
وتخنقوا الموسيقى في زمجرة
المصانع ؟ .. ليس بالمال وحده
يحيى الانسان ! .. اين ؟ .. اين
اسيادكم ؟ .. اريد ان اسمعكم
جميعا انشودة الخلاص !

وشرع يعزف على قيثارته ويردد ،
يردد عباراته المتدفقة كالسيل ،

وها هي ذي تقدم اليوم ، الدراسة التحليلية العلمية لمكانة الشريف الإدريسي في الجغرافيا والكارتوغرافيا ، التسي نهض بها المهندس الدكتور احمد سوسة في هذا الكتاب - الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية ... »

ولقد اثبت الدكتور سوسة ، في كتابه العظيم هذا ، انه عالم فذ ، حقا ، له باع طويل ، ليس بعلم التاريخ والهندسة والري فحسب ، بل في الجغرافيا والكارتوغرافيا ايضا .

ففي الجزء الاول من كتابه ، وهو الذي اعتبره « المدخل الى عصر الإدريسي » شرق وغرب في الحديث عن الجغرافيا والكارتوغرافيا ، في العصور القديمة ، وفي عهد الرومان واليونان ، ثم تحدث عن الجغرافيا العربية في دوري الانبعاث والنفج والابتكار ، فخلص بأسهاب ، ما قام به الجغرافيون العرب ، في مختلف العهود ، من اعمال في المجال الجغرافي ، ابتداء بالكلبي واليعقوبي ، والبلاذري ، وانتهاء بما قام به اشرافهم من الجغرافيين العرب بعد ذلك ، حتى القرن الخامس الهجري ، معزائل ذلك بالعديد من المصورات والمرسمات والالواح والخرائط الفريدة النادرة !

أما الجزء الثاني ، من الكتاب ، وهو الذي تحدث فيه عن « عصر الإدريسي » فقد تناول فيه كل ما يتعلق بهذا العالم الجغرافي العربي الكبير ، فحين ترجم لنا حياته ، قال انه هو : « محمد بن عبد الله بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن ادريس بن عبد الله بن الجهم بن علي بن ابي طالب » فالادريسي حسي علوي من ذرية الامام علي عليه السلام ، جاءه لقبه من جده الأعلى (ادريس الاول) مؤسس دولة الادارسة في مراكش ! وقد ولد في مدينة (سبتة) سنة ٤٩٣ هـ - ١٠٩٩ م وبعد ان تلقى دروسه فيها وهو صبي باف ، انتقل الى قرطبة فدرس فيها على اساتذة مشهورين ، وتخصص بعد ذلك بالجغرافيا والطب .

ولما آلت مقاليد الحكم في جزيرة صقلية الى الملك النورماندي (روجار الثاني) الذي كان ذا ولع كبير بعلم الجغرافيا ، دعا الادريسي اليه ، للافادة من علمه ، فلبى الادريسي هذه الدعوة والتحق ببلاط هذا الملك وكتب على وضع كتاب في جغرافية العالم ، فانجزه في سنة ٥٤٨ هـ - ١١٥٤ م واسماه « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » ووضع له عددا من الخارطت التوضيحية وارفقها به .

ولما قامت الفتن في صقلية بعد وفاة هذا الملك ، وتولى شؤون الحكم فيها الملك غليام الاول ، اتصل به الادريسي ايضا وعمل له نسخة موسعة من كتابه سماه في بشرن « روض الانس ونزهة النفس » . وقد اختلف في مكان وتاريخ وفاة الادريسي ، ولكن الذي استخلصه الدكتور



الدكتور احمد سوسة

الدكتور سوسة والشريف الإدريسي

بقلم عبد الرزاق الهلايلي

الدكتور احمد سوسة ، حفظه الله ، حركة ذائبة ، ونشاط مستمر ، لا يكاد يتخف المكتبة العربية ، بكتاب رائع فريد ، حتى ينصرف الى تأليف كتاب اروع منه ! فبالاسم القريب أصدرت له وزارة الاعلام العراقية ، كتابه الجليل الموسوم « العرب واليهود في التاريخ » فأحدث صدوره ، كما قرانا ، ردود فعل كثيرة في الاوساط المعنية بدراسة هذا التاريخ ، ذلك لانه اثبت بالادلة القاطعة والبراهين الدامغة ، زيف مدميات الصهاينة واكاذيبهم التي لفقوها لتأكيد صلتهم بفلسطين وهي منهم براء .

واليوم ، يتخف المكتبة العربية ، بكتاب رائع جديد ، ذلك هو كتابه الموسوم « الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية » الذي الفه استجابة لرغبة نقابة المهندسين العراقية ، هذه النقابة التي امتازت عن غيرها من النقابات بانجاحها العلمي الفريد ، وحرصها على احياء تراث هذه الامة ! فكان مما قامت به ، إعادة طبع خارطة العالم التي وضعها الادريسي ، ثم ما لبثت ان قررت النهوض بعمل نقافي آخر ، ذلك هو اصدار هذا الكتاب وهي في ذلك تقول :

فراحت نقابتنا ، ان حقا عليها ، ان تبادر الى تيسير هذه الخارطة التاريخية النادرة لجمهرة القراء العرب ، وان تعززها بدراسيتين جديدتين ، للادريسي وللخارطة ، تجزلان النفع ، وتنتشران المعرفة الوثيقة ، بفضل العرب على العلم والحضارة . فاعادت طبع الخارطة بشكل اجمل واروع ،

سوسة ، أنه مات في صقلية سنة (٥٦٠ هـ - ١١٦٤ م) ومبشياً في الوقت نفسه راي (كراتشوفسكي) الذي يقول فيه أنه مات في مدينة سوسة .
وحين حدثنا الدكتور سوسة عن كتاب الإدريسي ، نزهة المشتاق ، قال :

— وبعد كتاب نزهة المشتاق ، الأول من نوعه فسي عصره ، فهو جزء متمم للأحدث وسبعين خارطة الملحقة به ، ويتميز بكونه أول كتاب في الجغرافيا العربية ، يتناول الأرض المسكونة المعروفة في ذلك العهد ، مخالفاً بذلك أكثر الجغرافيين العرب الذين اعتادوا الاختصار على الممالك الإسلامية فقط . قال بعد ذلك :

— ان الإدريسي هذا ، حذو الجغرافيين العرب ، بتقسيم العالم الى سبعة اقاليم على شكل أحزمة افقية مستطيلة ، ولكنه انفرد في طريقة تقسيم هذه الاقاليم السبعة ، فقسم كلا منها الى عشر مناطق متساوية بحيث أصبح مجموع المناطق سبعين منطقة ، وقد وضع لكل منها خارطة ، توضح مواقع المدن والبحار والأنهر والخلجان والجزر والجلال داخلها وقد احصى عدد اسماء المدن التي وردت على السبعين خارطة المذكورة فاذا هو (٢٠٦٤) اسما منها بأفريقيا و ٧٤٠ بأوروبا و ٩٥٩ بآسيا .

وقد افاض الدكتور سوسة في الحديث عن هذا الكتاب ، فذكر النسخ المخطوطة منه ، والمكتبات المالية الموجودة فيها ، والدراسات العديدة التي صدرت عنها مشيراً الى اهمها وهي الدراسة التي قام بها المستشرق الألماني (كونراد ميلر) وعلى الاخص الخارطات المقتطعة بالكتاب . فقد جمع هذا المستشرق جميع الخارطات من مختلف المخطوطات العربية وعددها (٣٣٦) خارطة . ثم ضم السبعين خارطة التي وردت في كتاب نزهة المشتاق الواحدة الى جانب الأخرى ووحدها في خارطة كبيرة تشمل جميع العالم المعروف عند الإدريسي ، وهذه هي الخارطة التي طبعاها المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٥٠ واعادت طبعاها نقابة المهنيين العراقية في سنة ١٩٧٠ .

والواقع ان كتاب « الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية » موسوعة من الموسوعات الجغرافية العربية الإسلامية الهامة ، التي لا يمكن ان يقوم بتأليفها الا امثال الدكتور سوسة من الباحثين الانبثاق العالمين على الكشف عن الحقيقة بكل حرص ومثابرة . ويقع الكتاب بجزئيه (٥٠٤) صفحات من القطع الكبير ، وقد طبع بالفرنسية على ورق لامع طبعا انيقاً جميلاً ، وقد جلد الجزءان بتجليد مذهبا فاخراً ، وقد حوت ذواته أكثر من (١٠٨) صورة وخارطة ومرتمس ، رسمها جغرافيو البابليين واليونان والرومان والعرب في مختلف العصور والازمان ، وفيها عدد كبير من الخرائط الملونة ومنها (صورة العالم) لكل من الاصطخري وابن حوقل ، والمسعودي والبتاني ، وخارطة العالم التي وضعها الإدريسي ، وخارطة العالم التي رسمها على جلد

شاة ، محمد بن علي الشرقي الصفاسي سنة (١٦٠٠ - ١٦٠١ م) ، وكلتا هاتين الخريطين ، مطبوعة بالالوان الزاهية وبالحجم الكبير وملصقة في هذا الكتاب .
ويطيب لي ، بعد ان أنهيت قراءة هذا الكتاب ، بجزئيه ، ان ايبين للقاري بعض ما خرجت به من ملاحظات وفق ما يلي :

أولاً : — ماكنت اعرف السبب الذي جعل الجغرافيين العرب ، يرسون خرائطهم بصورة يجعلون الشمال فسي اسفل الخارطة والجنوب في اعلاها حتى قرأت هذا الكتاب وفيه يفسر الدكتور سوسة هذا السبب قائلاً : « ويرى البعض ان سبب وضع الجنوب في أعلى الخارطة ، هو وقوع جزيرة العرب ، بما فيها مكة وبثرب ، في أقصى الجنوب ، ولم يشأ هؤلاء الجغرافيون ان يعلوها بلد » فعند ذلك عرفت السبب .

ثانياً : — لقد افدت كثيراً من بحث الدكتور سوسة عن لفظة (خارطة وخرطة) فهو يقول : ان لفظة خارطة او خريطة ، لم تكن معروفة عند العرب ، بل انهم كانوا يستعملون لفظة (صورة) ثم حل محلها لفظ (المصور الجغرافي) ومع هذا فان الجغرافيين العرب لم يتفقوا فسي استعمال هذا المصطلح ، فان ابن فضل الله العمري فسي « مسالك الامصار » يستعمل لفظ (لوح الرسم) بينما ورد في كتاب « نزهة المشتاق » لفظ (لوح الترسيم) .

وينكر الدكتور سوسة بعد ذلك ، ان اول ذكر للصورة بمعنى (الخارطة) في الكتب الجغرافية العربية ، جاءمقتراً باسم الحجاج ، حيث ذكر ، انه طلب — بعد ان استبطا فسطاط منطقة بخاري — من قائده ، قتيبة بن مسلم الباهلي ارسال صورة المنطقة ثم بعث بتعليماته حول الخطط العسكرية الواجب اتباعها ، على تلك الصورة . اما استعمال لفظ (خارطة) باللغة العربية ، فيرى الدكتور سوسة ، انه يرجع الى عهد محمد علي ، حين عرب المصريون كلمة Carte الى خارطة . ويرى ان العرب لم يكونوا يعرفون لفظة (خريطة) بغير معناها اللغوي وهو — الحقيقة — التي تنقل بها الكتب او الرسائل او أي شيء من متاع .

ثالثاً : — وأرأنا هذه الدراسة ، ان الإدريسي لم يكن عالماً قابعاً في داره ، بل كان سائحاً جواب آفاق ، فقد ذكر الدكتور سوسة ان الإدريسي كان ولوعاً منذ الصغر بأسفار فقيل انه قام بسلسلة أسفار وهو لم يزل في السادسة عشرة من عمره ، فطاف بلاد الاندلس ، وتجول في البلدان الواقعة على البحر المتوسط وسواحل فرنسا وانكلترا على المحيط الاطلسي ، ثم رجع الى شمال أفريقيا وقصد مصر والشام وآسيا الصغرى والقسطنطينية وزار بلاد اليونان الخ رابعاً : — وقد ظهر لنا ان الإدريسي قد اذعن ممن سبقه في علم الجغرافيا والكارتوغرافيا ، ولكنه خرج عما كانوا سائرين عليه في رسم الخارطات . وفي هذا يقول الدكتور

لُجَاتُ إِلَى رَبِّي

وسد علي الهم مستبسلا دري
تسلمني حرب ضروس الى حرب
لتفنيه كتبي ، وتفقرني كتبسي
بدا غيمة سوداء في جنة الصحب
ببهناتهم قد لطخوا سمعة العرب
ليعجز عن ترويضها سادة انطب
واصحو على رزء ، واغفو على كرب
وابلو آلاما ترعزع لسى لبسي
وافلت من نحب مخيف الى نحب
اليك مقاليد ابن جنبي يا ربسي

محمد العدناني

اذا اطبق الياس الفضال على قلبي
وشنت علي النائبات حروبها
وغرد بي من باعة الكتب ناشر
وروعني في جنة الود صاحب
وخان بني قومي من العرب عصبه
وسدنت الادواء نحوي سهامها
واسلخ ايامي على حمم الاسى
واقفات زقوما ، واشرب علقما
وافترق في الاشجان في كفها الردى
نفضت عن القلب المخافة مسلما

وان كلمة (جغرافيا) هي كلمة يونانية بمعنى (صورة الأرض) . وهذه الحقيقة تدحض ما ذهب اليه كثير من المؤرخين الذين اعتبروا ان الجغرافيا نشأت على ايدى فلاسفة اليونان .

٢ - لقد ظلت الطريقة التي اتبها البابليون في رسم خارطة العالم وهي (رسمها على شكل دائرة تحيط بها المياه من كل جانب) لقد ظلت هذه الطريقة سائدة آلاف السنين وعندهم اخذها اليونانيون فالعرب ، وبقيت مستعملة حتى عصر النهضة الأوروبية ، حيث استعملت الطريقة المتبعة اليوم في رسم الخرائط .

وبعد : فهذا هو كتاب « الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية » مؤلفه الدكتور احمد سوسة ، عرضنا بعض ما جاء فيه عرضا خاطفا ، لاعلام القاريء بأهمية هذه الدراسة الرائدة في هذا الحقل .

واني اذهنى الدكتور سوسة على هذا العمل الجليل ، اكرر شكري لتقابة المهندسين العراقية على حسن اختيارها وعلى اسهامها المحمود في احياء جانب من جوانب تراثنا العربي والاسلامي ، سائلا الولي تعالى ان يأخذ بيد العاملين الى ما فيه الخير والفلاح انه سميع الدعاء .

عبد الرزاق الهالاسي

بغداد

سوسة : - اخذ الادريسي من المدرسة الكلاسيكية المتصلة بأطلس الاسلام ، فكرة الحاق الخارطت بالوصف الجغرافي لكل جزء من اجزاء العالم مع مخالفتها بما يجعل جغرافيته شاملة جميع أقطار العالم المعمور في حين ان جغرافية المدرسة الكلاسيكية تقتصر على العالم الاسلامي فقط .

خامسا - وقد يبدو غريبا ، ان نقرا ان العرب تجاهلوا الاعمال التي قام بها الادريسي وأهملوا ذكره ، ويرجع بعض الباحثين السبب في ذلك الاهمال والاغفال الى ذهابه للملك النورماندي في وقت عصيب من تاريخ الاسلام حيث كانت الحروب الصليبية مستمرة بين الافرنج والمسلمين في المشرق وفي الاندلس .

ومع هذا فقد أثبت الدكتور سوسة بعض الاراء التي تناهض هذا الرأي ومنها رأي الاستاذ عبد الله تون الذي قال فيه « ان تجاهل الكتاب الادريسي ، فانهم لم يتجاهلوا كتبه والنقل عنه والاستفادة من أبحاثه والثناء على آرائه في أهم المسائل الجغرافية والطبية والنباتية - فلو كان المسلمون أرادوا تجاهله لما نقلوا عنه ، ولما تسابقوا في اطراء عمله » .

سادسا - كما ظهر لي ، ان الدكتور سوسة ، قد كشف عن حقيقتين هامتين في عالم الجغرافيا هما :

١ - ان اول من استعمل كلمة (جغرافيا) هو (مارينوس الصوري) الفينيقي ، ثم بطليموس اليوناني .

الارض .. مصمص شفتيه ثم ضحك
قائلا وهو يشير الى المعجوز :
- رغم هيئته الزرية تفوح منه
رائحة زكية ..

قال محمد وهو يلتقي نظرة على
المعجوز :
- انها رائحة البخور الذي يحمل.
قال صبحي وخطواته البطيئة تنجح
نحو المعجوز :

- لحظة .. سأسرتي بخورا ..
قال محمد محذرا :
- تشمعه جيدا لئلا يكون مفشوشا.
وشرد محمد بذهنه الى بالعمى
البخور حول مسجدي الحسين
والسيدة زينب عندما كان يذهب الى
هناك وتشده رائحة البخور من انفه
فيشتري ، وحينما يعود الى البيت
يحترق البخور ويتصاعد منه دخان
اسود بلا رائحة .. ويكتشف انه
عبارة عن نشارة الخشب .. وقع
اكثر من مرة في حيل الباعة الفشاشين
حتى انه كف عن الشراء ..

تأمل المعجوز طويلا وقال في نفسه:
« ايمكن لهذا الوجه السماوي السمح
ان يكون لفشاش ؟ » اقترب من المعجوز
تحدوه ثقة كبيرة في امالته وصدقته
واشتري بخورا هو الآخر .. عاودوا
السير وتركوا المعجوز وراءهم .. وقد
الهتهم الحركة الدائبة ، وزحام المارة
واصوات البائعين ، وكثرة الشحاذين
الذين ينتاثرون كالعثرات في كل الطرق
يشعرون بالتقزز للاعمال الشنيعة
الذي يحيط بمسجد السيد البدوي
حيث يؤم الاف من الزوار مصريين
 واجانب .. تلال الاتربة تشكل اهراما
هائلة .. تلال القاذورات تنتثر هنا
وهناك .. الشحاذين في انماط عدة
تشير الفتيان .. منهم الكسح ، والاعمى
ومنهم المقطوع الساق او الذراع ..
حفنة من المشوهين يبلطون وجسه
المدينة ..

قال كمال ممتعضا :

- مناظر مؤذية ..

كان صبحي قد ابتاع الكثير من
الاشياء : لعبا لاطفاله وحلوى ، وتحفا

قال صبحي مستوقفا صديقيه عن
الاستمرار في السير دون هدف :

- اين نتناول غداونا ؟

قال محمد :

- هيا نلتي نظرة على المطاعم ..

قال صبحي :

- تعاليا معي .. اعرف مطعما
نظيفا تناولت فيه غذائي حينما
زرت هذه المدينة منذ بضعة اشهر ..
انطلقوا مرة اخرى في السير ،
والحديث يدور عن شعبان .. قال
صبحي :

حرام والله .. كان من المفروض

ان نأخذه معنا ..

قال كمال :

- لا يستطيع يا صبحي .. انه
محكوم بعادات اهل الريف .. فعليه



http://Archivebeta.Sakhr.it.com

بقلم جمعة محمد جمعة

ان يشارك في تشييع الجثمان ، ويقف
امام الناس يتلقى العزاء في ابن خاله.
قال صبحي محتدا :

- يكفى وجود ابيه واخويه .. لن
تحتمل روحه تجدد الاحزان ..

قال كمال وهو يرقب بانعا متجولا
يزك فوق الارض ينقله عمر تجاوز
المائة :

- لا بد ان تحمل نصيبه من المحنة.
وعاد الى تأمله يتابع البائع في ثيابه
المهللة الرثة ، وقدميه الحافيتين
المشققتين المصبوغتين بلون ادبسم



وقف محمد يودع صديقيه كمال
وصبحي بعد قضاء يوم حافل فسي
طنطا .. ركبا السيارة ونظر محمد
الى الافق يشهد غروب الشمس ..
كان يتمنى الا يفترق عنهما ، وبخلف
لكنه تذكر وجه الحاج ابراهيم المتلون
بدماء الخجل ، وهو يهمس له قائلا:
- ماذا جرى يا استاذ محمد ؟ هل
مستركون شعبان جميعا لاحزانه ..
وصمت الحاج ابراهيم ، ابتعد
بوجهه عن عيني محمد قائلا :

- لعلك تعرف ما اقصد ..

قال محمد في راحة واعتزاز بالبنوة
نحو الحاج ابراهيم :

- امرك يا حاج .. سأذهب مع
كمال وصبحي لقضاء بعض الوقت في
طنطا .. ثم اعود وادعهما يسافران.
امسك الحاج ابراهيم ذراعي محمد
في انفعال وقال :

- لا ادري كيف اشكرك ..

- الشكر لله يا حاج .. انتي ابتك
وطوع امرك ..

لحق محمد بصديقيه على مشارف
القرية .. استقلوا سيارة شركة
النقل التي تعمل بين طنطا وضواحيها
من القرى المجاورة ، وصلوا الى طنطا
والشمس تأخذ مكانها في كبد السماء
متجمرة ملتهبة .. بدأت الاجساد
تفتح مسامها وتطرذ العرق لزجسا
مملحا .. كان اول ما فعله الاصدقاء
الثلاثة ان لاذا بباحة مسجد السيد
البدوي .. كانت الباحة غاصسة
بالرواد رجال ونساء .. اهل الريف
واهل حضر .. عدد من السياح
الاجاب في خلعة ملابسهم .. تبادل
الاصدقاء نظرات التعجب والدهشة.
... قراوا صورة الفاتحة ، وقفوا
يتهللون بالدعاء اللهم وذوهم ومعارفهم
ولم ينس احد منهم الدعاء لشعبان
في محنته التي لا يشكون في انها
جرح روحه جرحا داميا ، وكلهم
يعرف غلبة روح الشاؤم على روح
التفاؤل في نفسه المعبدة ..

غادر الاصدقاء الثلاثة المسجد ..
تدور برأسهم فكرة الطواف بالمدينة.

صغيرة .. شاركه كمال ومحمد في
حلمها .. افسد حر الظهيرة الافح
متعته اضافة الى ما رآه من مناظر
مقزرة ، وزحام غريب كأنه يوم
الحر .. كل الناس يرفعون وجوههم
الى السماء ، شفاهم تلجج بالدعاء
لتحقيق حاجة او نوال مارب .. شفاء
من مرض او بلاء .. تحقيق امل او
انتصار في قضية .. عودة مقرب او
فك عقدة عانس ..

توقف محمد ووضع يده على بطنه
وصاح :

— معدتي تصرخ .. لن التحرك
خطوة قبل ان اكل ..

قال صبحي وهو يدفع امامه بكتفه:
— الطاعم كلها مزدحمة ..

سنشري ساندويشات وناكلها في
مقهى من المقاهي ..

قال كمال :

— لنذهب الى المقهى اولا .. انني

تعب من المشي ..

قرب المقهى الذي قصده الاصدقاء
الثلاثة توقف صبحي بفتة .. واقترب

منه محمد ودفعه في كتفه قائلا :
— اتعبت .. ؟

لكن صبحي كان يرى زميله في
العمل زكي مقبلا ناحيتهم ، وابتمامة

عريضة ترف على شفثيه .. صاح
صبحي مهلا :

— زكي .. غير مقول .. صدفه
ولا احد موعد ..

التقت الاكف في مصافحة ، والشفاه
تنثر كلمات التعجب لهذه المصادفة .

قال كمال متألما لوجه صديقيه المتعجبين:
— كانا كنا نطوف طوال ساعتين

او ثلاث ساعات لكي يتم هذا اللقاء ..
قال محمد وهو يقترب من حافة

الطوار للجلوس :

— اين كنت يا زكي من بدري ؟ ..
لقد فرغ خزان الوقود ..

ضحك الجميع وزكي يقول :

— لماذا لم تخبرني صبحي بانك
اتون ؟

ولم ينظر الردم من احد .. امسك
بذراع صبحي ودعاهم الى البيت ..

قال محمد وكمال يجره لجلوسه
على الطوار :

— لن نذهب الى البيت .. احضر
البيت الى هنا ..

ثم نهض وساروا جميعا يتقدمهم
زكي متحدثا الى صبحي ، وكمال

ومحمد يستندان احدهما الى الاخر ،
.. قال محمد :

— لا شك ان عنده تليفزيون ..
سنشاهد مباراة الاهلي والزمالك ..

قال كمال مبتسما :

— ما لنا والكرة الان .. الراحة
اولا فالغداء ثانيا ثم السفر السي

القاهرة ..

قال محمد وهو يتابع زكي بعينه:
— انك في اجازة .. لم لا تبق معي

يوما او يومين ، ثم نصحب شعبان
معنا الى القاهرة ..

شعر كمال بتحرك الرغبة في البقاء
فلم يتنمّع بالرف كمال كان يمتنى ..

ولولا ليلة الشؤم وانتقال العرس الى
ماتم لامضى امتع ايامه في الريف الذي

يعشته على مبعدة .. ان في روحه
نزوما الى التأمل ، ولم تعد المدينة

تسبب هذا النزوع .. زادت
ضوضاءها عن الالف ، وعلاضجها

بصب انغاما شاذة في الاذن .. ثلوث
هوأوها بالذخاان والنيار .. وفي لحظة

خاطفة تذكر أحداث الامس .. تذكر
انتظارهم في المقهى المواجه لموقف

سيارات السفر بجوار محطة مصر
حضور الراقصة ، كانت الفرقة كلها

مكتمة ما عدا الراقصة .. تذكر
المجهود الشاق الذي بذله افراد الفرقة

الموسيقية للعثور على راقصة .. بدا
الامر وكان القاهرة كلها افراح .. وازداد

صبحي تمسكا بضرورة اصطحاب
راقصة حتى لا يخلد صديقه شعبان

وسط اهل قريته .. تذكر جنون
الشباب وهم يبدؤون السفر من القاهرة

والساعة تقترب من العاشرة ليلا ..
كان جنونا ان يذهبوا كمدمويين الى

فحل زواج قبل منتصف الليل بقليل .
لكنهم اعتماذا على ما تشيعه الراقصة

من بهجة ، وماتوقظه في النفوس كليل
بان يجعل الليل يبدأ عند منتصفه ،

ويستمر الناس جميعا في بقطة ليصلوا
بين نهارين ، وكان نهار امس بلا

انتهاء ، وحدث لهم ما ارادوا بطريقة

اغرب من الخيال .. قضوا الليل في
نقطة تامة دون موسيقى ، دون غناء ،

دون رقص ، دون فرح او سرور ..
بل قضوه في موساة صديقهم شعبان

وتوثرين المساة على روحه ..
افاق كمال من شروده وهم يدخلون

البيت وراء زكي ، وسرعان ما كان
الغداء معدا ، وزكي يعلن ترحيبه بهم

على طريقة الكرم الحامني .. فبعد
الغداء جاء بالشاي .. ثم المتلجات ..

ثم البطيخ .. شعر كمال بالتوم بداعب
راسه .. نظر الى صبحي فرأى

احمرار عينيه .. رمق محمدا ورآه
كعادته يتحرك من مقعد الى مقعد

فأدرك انه ايضا يغالب النوم على
طريقته .. التفت نظراتهم المتعجة

وسقطت على مشتريات صبحي فهبوا
وقفوا تاهبا للذهاب .. خرج زكي في

وداعهم حتى موقف السيارات ..
ركب كمال وصبحي ، وأخذ محمد

طريقته الى سيارة اخرى تقله السي
قريه شعبان ..

بداعب النوم الطفل الصغير واه
تهدهده فوق حجرها .. كانت السيارة

تهدهده صبحي .. أخذ راسه بهتزاز
متارجا بين النوم واليقظة .. يتأهب

بين الفينة والفينة .. والهواء المندفع
من نافذة السيارة بداعب وجهه

وبعث بشعر راسه ، وكان كمال
قربه يعين وبالاخرى سبق السيارة

الى القاهرة .. دلفا الى بيت حبيبته .
راكها جالسة تترقب في شوق اوبته .

رأى عينها الجميلتين السوداوين
تلومانه على حرمانها من رؤيته طول

يوم العطلة .. تحيطه بنظرات الحب
وطالبه في صمت الا يسافر بعيدا مرة

اخرى .. فلا تطيق روحها ابتعاده
عنها ، ولا تحتمل عينها قياه في

سفر .. كالطفل الصغير ينام على
ضوضاء وابور الغاز واه تقوم باعداد

الطعام او غسل الثياب .. ينام على
ضوضاء عجلات الترام .. ينام على

صخب وثرثرة ركاب الاوتوبس ..
اغضب كمال عينيه ، وطوى بقلته

المتارجة الكرى وحبيبتها ساكنة بين
جوانحه وتحت جفثيه ..

القاهرة جمعه محمد جمعه

الرواد على الطريق .. لتبت حافظ ابراهيم في ديوانه الاول الذي صدر عام ١٩٢٢ .. كنت في العاشرة ، تلميذاً في مدرسة ام درمان الابتدائية ، فحفظته عن ظهر قلب .. والتقيت معه بديوان « سقط الزند » لابي الملاء المعري .. الذي كان في الاصل مطلوباً لآخي ، وهو يكبرني بشماني سنوات بعد تخرجه في كلية غردون . وتوفره على قراءة الشعر ونظمه .. وكان شقيقي يحب لقراءتي معه في « سقط الزند » ، وزاد اعجابه حين رأني اقرا باب « الدرعيات » في اخر الديوان ، مع صعوبة الفاظه ومعانيه ، وغرابة موضوعه ، فاحسن القراءة ..

ثم التقيت في مصر ، في عام ١٩٢٥ .. بديوان « المتنبي » بين كتب والذي رحمه الله .. وكانت حياتي الجديدة في مصر ، ودراستي المتقدمة في المدرسة الثانوية ، وقراءتي للصحف السياسية والادبية .. واشترائي في حركات الطلاب الوطنية .. كل ذلك جعلني اهتم بقراءة ديوان « المتنبي » .. فقد كان زاداً حقيقياً ، نفغني في اول الامر ، وخاصة في هذه الفترة التي بدأت تظهر فيها ارهاصات نظم الشعر عندي ، وأنا دون الثالثة عشرة بقليل ..

وكنيت في ذلك الحين قد اصدرت جريدة منزلية .. على غرار الاهرام - والاخبار - والمطعم - والاهاlesi .. مما كنت اقراه يومئذ .. وجعلت جريدتي وطنية، سياسية اخبارية .. وان كانت اكثر اخبارها منزلية .. وسميتها جريدة « الحوادث » .. وجعلت فيها باباً على غرار باب في مجلة « الكشكول » التي كانت تمدني بمادة أدبية غزيرة .. يسمى « دائرة المعارف الوفدية » .. فسميت هذا الباب « دائرة المعارف المنزلية » .. ورحت ارب فيه الكلمات على حروف الهجاء ، كما هي الحال في المعاجم ودوائر المعارف . واكتب تحت كل مادة كلاماً جميلاً مسجوعاً حيناً ، وشعراً منظوماً حيناً آخر .. وكان هذا الشعر يأتي عفو الخاطر ، ولكنه كان جيداً .. رآه والدي فتعجب له ..

على ان البداية الحقيقية لقول الشعر .. ترجع للعام التالي ١٩٢٧ .. والدافع الحقيقي لها هو ديوان « المتنبي » الذي رحت ادمن قراءته في ذلك الحين ، آتاً بمقردي ، وآتاً تسميعاً على والذي ، الذي كان يؤثر اشد الاثر ، كما كان في هذه الفترة كلها ، يحب ان يسمعه مني وأنا اقرا وهو يشرح .. واذا وقفنا عند كلمة صعبة ، احتجج للبحث عنها في القاموس .. ابى الا ان احضره للوقت ، لايبحث عنها .. قاصداً بذلك ان يعلمني امرين ، أحدهما تعليمي وهو البحث في القاموس .. والثاني تربوي وهو الا اؤخر عمل اليوم الى الغد ..

وفي آخر العام الدراسي ، مايو ١٩٢٧ .. رايت طلاب فرقتي يحولون القماطر في فصلنا ، ويجعلونها على هيئة دائرية .. كما هي الحال في البرلمانات والمجالس الدولية .. وفهمت من ذلك اننا سوف نقضي الايام الاخيرة ، في وداع



عمر محمد بحري

حصار السنين

بقلم عمر محمد بحري

المتنبي

وقف بنا الحديث في الفصل السابق ، عند التحاقنا بكلية الآداب ، بجامعة القاهرة .. في يوم ١٥ اكتوبر ١٩٢٢ .. بعد صماب وعقبات كادت تعترض طريقي .. وكنت اسير في الحديث قدماً ، لاصف هذه الفترة الصاخبة ، التي اعقبت وفاة شوقي ، ومن قبله حافظ .. والتي صدرت فيها مجلة « ابولو » .. مترجمة حركة جديدة في احياء الشعر العربي ، وتجديده .. كما اصدر العقاد - مسن موقفه الجهوري في السياسة والادب يومئذ - ديوان « وحي الاربعين » .. مواصلاً به حركة التجديد الاولى ، التي بداها مع زميليه المازني وشكري .. قبل اكثر من خمسة عشر عاماً على ذلك التاريخ ..

على انني وجدت من الظلم البين ، ان ادير ظهري لفترة سابقة ، اراها حافلة بحديث الشعر والادب ، تبدأ منذ التحقت بالمدرسة الثانوية .. (مدرسة السعيدية بالجيزة) .. بعد عودتي مع والدي من السودان المنسرة الاخيرة اوائل عام ١٩٢٥ .. وتنتهي بانتهاء هذه المرحلة الثانوية والوقوف على ابواب كلية الآداب ، بالجامعة ..

لقد صحبت في هذه الفترة .. اربعة من كبار الشعراء

رحمه الله .. فكانت في البيت الثاني من البيتين التاليين وهما :

ويا مصري .. كنت ظهير سعد .. فلا تكن الظهير لشائتيه
لقد اطلق سيف الحق (ماضي) لكى تسمو .. فلم لا تنفضيه
كان لفظ (ماضي) بطلبة الحال .. خطأ في الإعراب .
لانه منصوب على الحالية .. فقال لي الأستاذ الشافعي :
ما كان اغناك عن هذا اللفظ المعتل .. وقد كان امامك
آخر ثلاثي .. صحيح غير معتل يؤدي المعنى ، ويستقيم
به الوزن .. وهو (غضب) فتقول :

لقد اطلق سيف الحق غضبا الخ
ولم اكن اعرف هذه الكلمة الجديدة ، وصفا للسيف
الماضي .. ولكني استفدتها من الأستاذ يومئذ .. فحيثما
استعملتها بعد ذلك في الشعر .. فالفضل في ذلك يرجع
للاستاذ الكريم الذي علمني اباها رحمه الله ...
وقد اقيمت هذه القصيدة في ذلك الحفل ، الذي اقامته
المدرسة .. فكانت اول قصيدة اقيمتا في حياتي ، فسي
حفل عام ..

ولست اريد ان اظلم هذا الشاعر الناشئ ، طالب
المدرسة الثانوية ، الذي وقف لبرئى زعيم الوطنية، ويدعو
جموع الشعب الى حفظ مبادئه ، والسير على منهاجه ..
ولست ناقدا للشعر نفسه بقدر ما انا مسجل له .. ولكن
اليس من الممكن ، ان اقول بعد هذه الحقيقة الطويلة ، ان
نفس هذه الايات التوثية في مطلع القصيدة ، تحاول ان
تنهج سبيل المتنبي ، ان لم يكن شوقي ، في هذه الايات
الواضحة بين الموت يقال سعدا من الوادي وسعد يقسى
الوادي من الموت ؟ وبين ان الموت قد اطاح « بامة في ثوب
فرو » وهو سعد .. فكان من نتيجة ذلك ان اطلق
بامة اخرى في ثوب تيه وكبرياء ، وهي مصر ؟ بل وفي
اختيار هذه القافية الصعبة ، البنية على ضمير الغائب
... ومع ذلك فقد تضمنت كلمات تقع فيها الهاء من بقية
الكلمة مثل الكربة ، وانتيه ، والوجيه ، والنزبه ؟ مما نجد
له ملامح في شعر المتنبي . وان لم يصح شاعرنا من القوة
بعد ، بحيث يستطيع ان يتعمق هذه الملامح ، وان راح
يسترشد بها ويسير على نهجها .

على انه لم يكذب بعضي عامان اخران .. وقد رويته
في حديث الحصاد السابق بعض ما قلت فيهما من شعر
السياسة ، او الاخويات . او ما قلته في المناظرات
الادبية .. حتى وجدتي اقف مرة اخرى في ذات المكان ،
من المدرسة السعيدية .. وقد اقامت حفلا كبيرا ، بمناسبة
نقل نازها الأستاذ محمد رفعت احمد (وزير المعارف فيما
بعد ، وعضو المجمع القومي) ، بعد احداث سياسية جرت
في ذلك العام ، واحلال الأستاذ محمد فهم بك رحمه الله
محله نازها للمدرسة .

وقد رويت حديث هذه القصيدة الهافة .. فسي
فصول كتبته اخيرا بعنوان « انا والشعر والسعيدية » (1)

اسألتنا ، و اظهار شعورنا نوحهم .. فنظمت في ذلك
قصيدة بادئة ، ولكني سرعان ما وجدت سيلا من الشعر
يتدفق منذ اوائل العطلة الصيفية .. ثم كان في اواخر هذه
العطلة - في ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ - ان انتقل الزعيم الخالد
سعد زغلول الى جوار الله .. وكان اثره عظيما في نفسي ،
وقد اتحت لي فرصة رؤيته والاستماع اليه وهو يغلب
في آخر حفل عام ، يوم عيد الجهاد الوطني في ١٣ نوفمبر
١٩٢٦ ..

لست انسى مطلع الخطبة المرتجلة ، التي كان يلقيها
سعد زغلول يومئذ ، على طريقته العجيبة في السجع
والارتجال معا .. فيقول :

« يعز علي ان ارى منبر الخطابة منصوبا ، ولا استطيع
له رقبا .. وان اجد مجال القول واسعا ، ولا املك لسانا
فتيا ... » الخ

كان لوفاة الزعيم الخالد سعد زغلول ، اثر كبير على
نفسي .. فرحت انظم اول شعر حقيقي في رثائه ، والنسج
على منوال شعراء الوطنية .. ولملي اشرت الى بعض ذلك
الشعر من قبل .. ولكني اقول هنا ، انه عند بدء العمام
الدراسي راحت الهيئات والجماعات - ومن بينها المدارس
تقيم حفلات التابين المتعددة .. وكان ان اعلنت المدرسة
السعيدية .. انها ستقيم حفلا لتابين الزعيم سعد زغلول .
ورحت اكتب قصيدة جديدة ، وانا اجلس على قهوة
« الملت » بميدان الجزيرة .. مع بعض الزملاء ، حتى فرغت
منها .. ولكني لم اجد وسيلة اتقدم بها الى اللجنة المشرفة
على اقامة الاحتفال - ولم تكن لي الجرأة للدخول على ناظر
المدرسة ، لآخره - وانا في السنة التالية - انني نظمت
قصيدة اريد القاءها في احتفال المدرسة ..

وتطوع احد زملائي ، ممن كانوا اشد جراحة مني ، فاخذ
القصيدة وقدمها الى اللجنة .. وكان يشرف على قراءة
النصوص استاذ كبير هو المرحوم الشيخ عبد المجيد الشافعي
وكان مدرسا للسنة الخامسة .. فارسل الي يستدعيني .
ولما ذهبت اليه في حجرة المدرسين ، حياني تحية طيبة ،
وشجعني على قول الشعر ، وقال لي ان هبتي تدل على
انني ساكون من الشعراء فيما بعد .. وظهرني على القصيدة
فاذا به قد اقراها جميعا .. فيما عدا ايات قليلة في آخرها
تطرق اليها الضعف .. فخط عليها بالقلم الاحمر .. ثم
اشار الى بيت ، لم يحذفه ، ولكنه خط عليه بالقلم الاحمر
ايضا . اذ كان قد ابلل فيه كلمة بكلمة اخرى .. كان
مطلع القصيدة .. يقول :

اصيب النيل بالغلب الكربة وحل به الذي لا يشتهي
فقال الموت من واديه سعدا وسعد .. كان من موت يقسه
وطاح بامة في ثوب فرد فطاح بامة ... ثوب تيه
واما .. كسبناها رويدا وكانت كل شيء .. نرجسه
رماها بالدمار .. يموت سعد وهدم ما نهضنا نبتيه
واما الكلمة التي ابدلها الشيخ عبد المجيد الشافعي

لا بأس من أن أورد بعضه هنا .. ثم اعلق عليه ، بمساحيسه اثرا للمتنبي في شعر هذا الطالب الناشئ ..
قلت : « اما قصيدة ناظر المدرسة ، فقد القيتها في يوم ١٢ مارس ١٩٣٠ .. في الحفل الذي أقيم لهذا الغرض ، في غرفة المطعم من البلوك الثاني ، وهي اليوم مقر المكتبة .

ولست ادري لماذا سبقت هذه القصيدة ، دعائية كبرى لها بين الطلاب .. حتى ان طلبة القسم الداخلي لم ينماؤا في الليلة السابقة على القاها .. فبينما كنت اتنهاى للنوم في العنبر الاول من الدور الاول ، مع زملائي اذا بالشرف على القسم الداخلي ، الاستاذ محمد عزت دميري ، رحمه الله .. يدخل علينا ، ومن ورائه فريق من الزملاء منهم محمد زكي علام ، ومحجوب جبالسي منشاي ، والقي خليل بشاوي ، وعبد الحميد العريزي وغيرهم ممن لا اذكر اسماءهم الآن ، وكلهم بشيرون له علي .. فقد سألهم عن سبب عدم نومهم ومناقشتهم ، فقالوا له ان « عامر بحيري » سيلقي قصيدة غدا ... فقال لهم : ومن هو عامر بحيري هذا ! ثم انه صخبهم الى عنبر نومنا ، حتى وصل الي في هذه الزفة الكبرى .. سألني الاستاذ عزت :

هل انت عامر بحيري ؟

قلت : نعم

قال : هل انت الذي ستلقي قصيدة غدا ؟

قلت : نعم .

قال : وما مظهرها ؟ قل لي ما هو مظهرها ؟

وارتج علي ، وحدث لي ارتباك ، فاني لم اكن اريد ان اطلع احدا على شيء من القصيدة حتى اغاجئهم بها في الحفل . ولكني امام اصرار الاستاذ المشرف على القسم الداخلي ، لم اجد بدا من اجابته .. وحضرنى في ذلك الوقت مطلع لاحدى قصائد المتنبي ، من نفس وزن القصيدة وهو وزن الكامل .. فقلته ، وهو :

لك يا منازل في القلوب منازل العزات ، ومن منك اواهل ! وسكت الزملاء ، ولعل بعضهم قد فهم .. اما الاستاذ عزت دميري ، فقد فكر قليلا ، ولم يعجبه البيت بصفة عامة . ثم قال لي :

الشطر الاول جيد .. اما الشطر الثاني ففيه ثقل .. يجب ان تغير لفظ « هن » .. ولفظ « اواهل » .. ابحت عن الفاظ سهلة مناسبة !

ثم انصرف ، وانصرف معه فريق الزملاء ... دون ان يعرف انه انما كان ينقد « المتنبي » .. شاعر العربية الاشهر ...

هذا ما ذكرته خاصا بالحفل ، وتلك الدعاية التي كانت تسبق ما اقله من الشعر ، في هذه المدرسة ، التي

(١) هذا الكتاب مخطوط ، وهو تحت الطبع الان ..

خرجت كثيرا من الافذاذ ، والرواد في شتى نواحي العلم والادب .. وليس من القليل ان يكون من متقنهم في الشعر ، استاذنا الكبير الشاعر عزيز اباطه رحمه الله .. على انني لم اكن الا طالبا ناشئا ، القى هذا الوحي ، دون ان اعرف سببا لهذا السيل المنهمر ، الذي حرم كثيرا من سكون الحياة وهذونها .. فمن العجيب مثلا هذه الدعاية التي تسبق القاء القصيدة .. ولكن هكذا كان ..

اما القصيدة ذاتها .. فقد ذكرتها ، واشرت الى كثير من ابياتها ، ولا بأس من ايراد هذه الفقرة ايضا .. قلت : « اما قصيدتي التي القيتها في اليوم التالي . فكانت تبدأ بهذا المطلع :

يا دار .. هل دارت عليك دوائر ام لعل فيك من الجمال بوادر ؟ ثم تتنقل القصيدة الى ابيات من الغزل .. فتقول : ما للؤلؤ اصابعه سهم الفنى لا تعرف في اللؤلؤ الهاجر والعين بعد اسرت باحداق الهما لا شئ الوجه الصبوح الهاجر ان اللآلئ النافرات ، الباهرا ت .. لهم في هذي القلوب مآثر قد صمن حيات القلوب .. فكنتا رهن القيود .. وكل قلب طاهر وكان ناظر المدرسة المحتفى به ، قد اقام في المدرسة « ناديا » للطلبة .. هو احد تلك المآثر .. نقلت :

في ذلك النادي .. ارى ذكرى لهم ويمثل ذراهم .. بلذ الذاكسر ثم يأتي بعد ذلك بيت القصيدة .. الذي صفق له السامعون طويلا .. لانه يحمل اسم المحتفى به في تورية بالشطر الاول .. كما يحمل وظيفته مع تورية اخرى في الشطر الثاني .. وهو :

ورفعت .. علونا بالرفاق السهى حتى تمتع بالنجوم .. الناظر ! ثم يبدأ الشعر انطلاقا من البلاغة ، من التشبيه والكتابة والابتناء .. متخييرا اجمل الالفاظ ، والطغ الماعني : واذا البحار تلاطمت ليجج بها والبحر فيه مناهل ، وسوارد ان غاص فيه الغالطسون وعمقوا او احجموا .. ونهبوا امواجه ولقد علمنا منه كيف موافق وينطلق طالب الثانوية العامة ، الواقف بالسطح ، يتطلع الى قمة الشعر العالية .. محاولا مجارة « المتنبي » في مبالغاته ، ومبتكراته ..

كنا بلا شيء .. نحاول مقلدا حتى قطعنا في شهور رحلة او سارت الانفاس سير صفعتا فلو انه قادم السنين .. رسا بنا لو انت لستار .. ونحن مدرس ثم يأتي بعد ذلك البيت ، الذي سارت به الركب ، في فناء المدرسة السعيدة .. وردهاها وبين فصولها .. زمنا غير قصير .

لم اعي في صوغ القريض مدالعا انني وشعري في مديحك .. عامر وذكرت الناظر الجديد الاستاذ محمد فهم بك ، موريا باسمه ايضا .. نقلت :

« متفهم » .. في مثل فلك حائنا وعلى مصالحنا .. حريض ، ساعر

اعتراف

هذا الحيا ، وحسبي لحنك الجاني
لا استجابت لداعي السحر اجفاني
بل شاعر زج بي في الشعر شيطاني
شيدته من جراحاتي واحزاني
ولو تجنت على عرشي وسلطاني

وديع ديب

فيما التفانك ، قالت ، قلت اغواني
اولا التفانة عينيك وسحرهما
قالت لملك مجنون فقلت لها
فرب بيت غدا سجنني ومعتقلي
اني لاهوى العيون السود قاهرة

و كنت قد استمعت اليه في الليلة السابقة ، يتحدث فسي
المدياع بمناسبة عيد الميلاد الملكي .. فقلت :

— ان هذا المديح لا يقتصر على الشعراء فقط ...
ولكن هناك كلمات نثرية توجه الى الكبراء تحمل سمات
القصيدة الشعرية تماما ، ويجاز قائلوها كما يجاز الشعراء .
ولم يرد العالم الجليل ، عن ان يرفع رأسا وهو
يقسم .. ليقول :

— من الذي تكلم ؟
فاشير له الى اني انا الذي تكلمت .. ولكنه يخفض
رأسه ، ويمضي في محاضراته .. رحمه الله !

اقول هذا .. وانا اقرا في هذه الايام .. كتابا
طريفا عنوانه « المتنبي .. يسترد اياه » .. يذهب فيه
صاحبه الى ان المتنبي ليس ابن سقاء الكوفة .. وانه لم
يعش مثله حينما يبيع الماء .. وحينما يبيع ماء الحيا .. ولكنه
الابن الشرعي للامام الثاني عشر ، محمد المهدي .. بسن
الحسن العسكري . وان سبب اخفاء نسبه ، هو اختفاء
ابيه ..

وليس هنا مجال البحث في تنفيذ هذا الرأي ، او
الموافقة عليه .. ولكنني اقول ان عودة اخيرة لي ، منذ
بضع سنوات قريبة .. لديوان المتنبي .. اعطتني انطباعا
شديدا .. بان المتنبي « علوي » بصورة من الصور ، وهو
موضوع ارجو ان انعمته بحثا ، اذ هو خاص باستاذي الاول
والاخير عندي على طريق الشعر العربي ..

وقد قلت في اول هذا الحديث .. انني التقيت فسي
الشباب باربعة من الرواد ذكرت منهم حافظ ابراهيم ،
ثم ابا العلاء المعري ، ثم المتنبي .. اما رابعهم فهو شوقي .
وزيما اضفت اليه شاعرا غير عربي ، عرفته في المدرسة
الثانوية ايضا .. وهو شكسبير .. ولكل من هؤلاء الشعراء
حديث سابق ولاحق في هذا الحصاد ان شاء الله .

عاصم محمد بحيري

مصر الجديدة

وختمت القصيدة بهذا البيت الذي لا يخلو من براعة
مقطع :

والناس في هذه الحياة لحكمة مافي وات .. والحياة بصائر !
هذه هي القصيدة ، وتلك قصتها ..

ولعلي لست بحاجة ، وانا اقف موقف الناقد ، من
ناشيء في الشعر ، ما زال يجتاز عامه السابع عشر .. ان
اقول — دون ان اظلمه — ان بصمات المتنبي ، تظهر بعض
الظهور في قصيدته .. ولا اعني بذلك ان شخصيته قد
محيت في شخصية المتنبي ، ولكني ازعم — وانا اعترف
الناس به — انه كان قد هضم شعر هذا الشاعر الكبير ،
الذي كان رائدا له اول حياته ، وفي مطلع شبابه ..
ان القصيدة تبدأ بآيات في التزل ، وهذا من سمات
المتنبي ، في قصائده الاولى .. وان تذكر لهذا المبدأ فيما
بعد فقال :

اذا كان مدح فانصيب المقسم اكل فصيح قال شعرا .. متم ؟
والقصيدة تحتوي على بعض المبالغات ..

كنا بلا شيء نحاول مقنعا لو سابرتنا الشمس خف الباهر
.. او سارت الانفاس سير ضعيفا .. لو انت نظار ونحن
مدارس الخ .. ولكني لا اريد للمرة الاخيرة ان اظلم هذا
الشاب فوق ذلك ، وانا في موقف الناقد والمنقود فسي
ان واحد ..

هذا فيما يتصل بتأثير المتنبي ..
اما من المتنبي نفسه .. فقد صحبتها كما قلت فسي
ديوانه ، وانا اقروء على ابي .. ثم انتقل بالحديث نقلة
بعيدة .. ليس هذا المقال موضعها الصحيح .. لاجد نفسي
في كلية الآداب ، استمع الى محاضرات الاستاذين الجليلين
الدكتور طه حسين ، والدكتور احمد امين عن المتنبي ..
ولا شك انني كنت استزيد من علم هذين العالمين الجليلين
... ولكن الذي كان يحيرني ، ويحزنني في نفس الوقت ،
انهما كانا يهاجمان المتنبي باعتباره من شعراء المديح ...
وبتمهاته بلطف كان يحز في نفسه وهو « الاستجداء » ...
وفي يوم كان الاستاذ احمد امين ، يقول ذلك في محاضراته ،

الأخرى التي هي جداول تصب في مجراها . وكانت فلسطين بعد مضي ١٢ سنة على أخذها بسياسة التهوديد البريطانية ، واستشراء داء بيع الأراضي لليهود بفقريرات متنوعة ، وبعد الثورات العديدة بين ١٩٢٠ - ١٩٢١ وثورة البراق ١٩٢٩ قد ثقل عليها العبء ، وتجمست في حياتها القومية اخطار الهجرة اليهودية ، وصار من العرب اهل البلاد من لا ارض لهم ولا شبر ولا حفنة من تراب ، وشاعت « بطالة » العامل العربي ، وكل هذا نتائج قوانين وانظمة وضعتها دولة الانتداب مما يساعد على انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين كما جاء في صك الانتداب .

زد على هذا ان الحركة الصهيونية العالمية قد ضاعفت نشاطها نحو فلسطين ، وكانت تعتقد في اوربا على الغالب كل سنين مؤتمرا صهيونيا عالميا تدعو فيه اليهود علمة وعناصر الصهيونية خاصة ليلال المال والهجرة الى فلسطين (١) وكانت الصهيونية العالمية كلما رأت هتلر يتعالى في سلم الصعود الى تولى الحكم في ألمانيا ، ضاعفت من وسائلها للهجرة وشراء الارض . وكانت في سنة ١٩٢٩ وقمت ثورة البراق هذه الواسعة الافاق ، واحتفظت من اليهود الانفاس والارماق وجاءت « لجنة شو » الدولية لتحقيق فلم تستطع انكار الحقائق العربية (٢) كما جاء في تقريرها . وتناولت « لجنة شو » مسألة انتقال الاراضي الى اليهود وصيرورة فريق من مزارعي العرب مشردين لا ارض لهم ولا قرار يسكنون اليه . وكانت الحكومة الفلسطينية قد عينت لجنة لدراسة هذه المسألة واختارت رجلا بريطانيا للقيام بهذه المهمة وله خبرة سابقة في الهند هو « السير جون هوب سميثون » فوصف وضع العربي الذي امسى ولا ارض له ، وانذر بسوء العقبى اذا اطردت الحال فاقترح منع بيع الارض لليهود ما دامت « البطالة » العمالية شائعة في العرب . فاصدرت الحكومة البريطانية ما اسمه « الكتاب الابيض » جارت فيه معظم ما جاء في التقرير ، فهب اليهود « عصابة » واحدة يحتجون ، فتراجعت الحكومة عن موقفها . فاي امل حي بعد هذا للعرب في الحياة .

زد على هذا كله ان ذهب سنة ١٩٣٠ وفد عربي فلسطيني الى لندن للدفاع عن القضية ، وكان على رأس هذا الوفد موسى كاظم باشا الحسيني رئيس المؤتمرات العربية واللجنة التنفيذية ، والحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، فمكت هذا الوفد في لندن بضعة اشهر ولكن على غير جدوى . فازدادت معرفة المفتي وخبرته الحكمة سدادا بعراي الوطن القومسي اليهودي وهي في النهاية الوصول الى الدولة اليهودية . ومما يزيد من مخاوف عرب فلسطين ، وهم يجتازون هذه المحنة الدائمة ، انهم اذا تلفتوا الى جيرانهم واخوانهم



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

هذا المؤتمر الاسلامي العالمي في القدس اواخر ١٩٣١ جلده في مكة ١٩٢٦

بقلم عجاج نويهض

المؤتمر الاسلامي الكبير الذي دعا الى عقده في القدس الحاج محمد امين الحسيني بصفته رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ومفتي فلسطين الاكبر ، رحمه الله ، فانعقد هذا المؤتمر اواخر سنة ١٩٣١ (٣٥٠ هـ) لم يكن بغير دواع وجذور عميقة . من هذه الجذور تلك المناحيات الاسلامية الحميمة التي كان يتبادلها حول الكعبة الشريفة صاحب هذه السيرة الموجزة ، وصفيه الصفوة المختار المجاهد السابق ، التميز بمكارم الاخلاق والحواشي الرفاق ، مولانا محمد علي احد قادة الهند ، مصطفيا مع غاندي بعد الحرب العالمية الاولى على صعيد واحد في مضمار الحركة الوطنية . وتلك اللقاءات بين هذين العظميين كانت في ليالي ايام مؤتمر مكة المكرمة ١٩٢٦ وقد تكلمنا عنه في الفصل السابق . وفي ظل الكعبة ولد الامل ان يعقد في المسجد الاقصى او بجواره هذا المؤتمر الذي نتكلم عنه هذه التوبة في « الاديب » ، في اقرب وقت بعد ١٩٢٦

ومن الجذور او الدواعي لعقد هذا المؤتمر في القدس ، اطراد استفحال الخطر الصهيوني الناشبة مخالفه بفلسطين ، بل هذا السبب هو الاكثر وعنه نتحدر الاسباب

• راجع « الاديب » عند انقسط الماضي صفحة ٣٢

كان الاستاذ الزعيم المصلح ، عبد العزيز الثعالبي يقيم في القدس سنة فقد المؤتمر ، وهو من اوفى اصداق الحاج امين ، رحمهما الله ، فكانا يتعاونان في التخطيط ودراسة برنامج المؤتمر . وكلف الحاج امين صفيه الثعالبي بوضع نظام المؤتمر ودستوره ، ليقدّم ذلك الى المؤتمر اول انعقاده فينظر في ذلك ويرى فيه ما يشاء . فقام الثعالبي بهذا وهو جد خبير بهذه الامور الدقيقة . وقد وضع نظام المؤتمر ودستوره وانا بين يديه جلسة بعد جلسة يوما بعد يوم في دار صديقتنا « اديب فلسطين » اسعاف النشاشيبي وكان من اعضاء المؤتمر . وانا اسجل هذا للتاريخ ، وقد ذكرته مرة سابقة في مقالتي : « الثعالبي : انطباعاتي عنه في فلسطين » ، المنشور في « الاديب » عدد سبتمبر ١٩٧٤ .

وهذه هي اسماء الوفود العربية والاسلامية التي شهدت المؤتمر نسوقها على ترتيب الابدجية وهي ٢٢ وفدا :

تركستان الصينية . تركيا . تونس . جابوى . الجزائر . الحجاز . الاتحاد السوفياتي . سوريا . سيلان شرق الاردن . (المملكة الاردنية الهاشمية فيما بعد) طرابلس الغرب وبرقة (ليبيا فيما بعد) . العراق . ايران . فلسطين . فققاسيا . لبنان . مصر . المغرب الأقصى . نيجيريا . الهند ، اليمن . يوغوسلافيا .

وابرز الشخصيات في المؤتمر على اختلاف البلدان والاقطار :

السيد ضياء الدين الطباطبائي ، رئيس الوزارة الإيرانية سابقا ومن حكماء الاصلاح في العالم الاسلامي ، الاستاذ عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس وصنوا الطباطبائي في المقاومة الفكرية والاصلاحية . شاعر الاسلام الاكبر وشاعر الهند الفيلسوف محمد اقبال .. مولانا شوكت علي من قادة زعماء مسلمي الهند . محمد علي باشا غلوبه ، وزير الاوقاف سابقا في مصر ومن قادة الاصلاح . الامام السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ورأس مجتهد الشيعة العراقي . الامير سعيد شامل ، حفيد الشيخ شامل الناصر الكبير في الداعستان بالقرن الماضي . عبد الرحمن باشا زمام امين الجامعة العربية فيما بعد . بشير السعداوي من زعماء طرابلس وبرقة . غياض اسحاقني من علماء

عرب الاقطار المجاورة وجدوهم على امل الاعتناق يوما من الاستعمار البريطاني في العراق ومصر ، والفرنسي في سوريا ولبنان ، اما هم عرب فلسطين قبايا بعد ١٢ سنة من برامج التهويد السريع ، لا يرون الا غدا محلول كلبا ومستقبلا مظلما ، والحزب البريطانية فوق رؤوسهم ، والقوانين الجائرة تكبلهم تكبيل وتجعل منهم عبيدا مربوطين في عجلة الصهاينة .

ففي سوريا كانت « الكتلة الوطنية » تناضل الفرنسيين وسنة ١٩٣٠ وضع المفوض السامي ميسو بونسو دستورا على رايه هو ، لسوريا على ان تكون جمهورية بمجلس نواب منتخب لاربعة سنين ، ولكن بعد ان جعل منطقة اللاذقية جمهورية ايضا .

وفي العراق كان الاستعداد قائما حسب معاهدة ١٩٢٧ مع بريطانيا لدخول عصبة الامم عضوا دوليا سنة ١٩٣٢ وسنرى العراق قد حصل على هذا (٣) مع بقاء العراقيين البريطانية في طريقه الى الحرية التامة . نعم في سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ (٤) افتتح خط اتايب البترول من الموصل الى طرابلس وحيفا ولكن الوارث الحقيقي لهذا كان الموفق .

وفي مصر سنة ١٩٣٠ كان مصطفى النحاس رئيس الوزارة للمرة الثالثة وفشلت مفاوضات لندن للوصول الى اتفاق مع بريطانيا ، ثم جاء بعده اسماعيل صدقي رجل الملك فؤاد وحكم بعنف وعطل الدستور وطارد الوفد وبقي في الحكم الى ايلول ١٩٣٤ فجاء بعده محمد توفيق نسيم فاستمر مدة قليلة ، وفي سنة ١٩٣٥ كانت ازمة الحبة فهاج حزب الوفد ثم اندثت الاحزاب واستعادت دستوري ١٩٢٣ الذي عطله اسماعيل صدقي ، وتوفي الملك فؤاد ١٩٣٦ ثم عاد الوفد الى الحكم ودخل في المفاوضات وانتهى الى معاهدة سنة ١٩٣٦ . واذا كنا ذكرنا هنا ما ادركته مصر بعد موعده عقد المؤتمر في القدس لسنوات ، بعد ١٩٣١ فلكن نبين ان الجهاد مع الامل ، ولو طال العمل ، وضاعت السبل ، فلا بد من نصر كاشمل . اما فلسطين ، قبرونيا والصهيونية سدنا عليها منافذ السهل والجبل . والمملكة العربية السعودية كانت في مراقي صعودها الى نجم سعودها ، وهي تعقد معاهدات الصداقة مع العراق واليمن والاردن وتركيا وايران ، فما جاءت سنة ١٩٣٠ الا وقد اتمت كل هذا ، وهي بفضل الامام عبد العزيز الباني المنشئ الى مزيد . ففي سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ اذا القيت نظرة عامة على هذه الشقيقات وجدتهن في تأهب لغجر يوم جديد .

واعلام النضال وراياته تنتقل من بطل الى بطل ، وجماعة الى جماعة ، من طريق الثورات والسجون والمنافي والابساد .

المؤتمر : انتصاراته وتغلبه على المكاييد الدولية والعراقيل المحلية .

- (١) ومن اسباب عدوان اليهود على البراق الشريف ١٩٢٩ عدوان مكشولا جر الى الثورة النعيفة ، تحريض المؤتمر الصهيوني علنا على هذا فتالوا جازمهم بالثورة .
- (٢) اراد الحاج امين الحسيني ان يجعل الدفاع العربي امام هذه اللجنة الدولية مفتلا ما امكن البلاد العربية فجات وفود الحامين العرب والمسلمين من مصر والعراق وسورية ولبنان .
- (٣) لكاتب هذه السطور كتاب مترجم ومطبوع بعنوان « العرب » في القدس سنة ١٩٣٢ عنوانه : « العراق او الدولة الجديدة » .
- (٤) حضر كاتب هذه السطور حفلة الافتتاح في حيفا ، مدعوا بصفته مراسل « الانعام » المصرية .

الأولاد . السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار »
وداعية الإصلاح - مصر . مولانا شفيق داوودي من كبراء
علماء الهند . النائب العالم عبد القهار مذكر - الجاوي .
السيد غلام رسول مهر - الهند . السيد محمد زبارة -
اليمن (ممثل الإمام يحيى) الاستاذ محمد بهجت الانري من
علماء العراق . الاستاذ ابراهيم الواعظ - العراق . سعيد
نابت - العراق . الامير سعيد الجزائري - دمشق
والجزائر . الشيخ سالم مفتيحي افندي - البوسنة .
شكري القوتلي - سوريا . الدكتور رضا توفيق - عمان .
صلاح الدين بيه - بيروت . وكوكبة علماء جبل عامل :
الشيخ احمد عارف الزين منشيء « العرفان » ، والشيخ
احمد رضا ، والشيخ سليمان ظاهر . سليمان السوداني
- شرق الأردن . الحاج محمد بنونة - المغرب الأقصى .
رياض الصلح - لبنان . واما وفد فلسطين فقد شمل :
السيد الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي
الاعلى ومفتي فلسطين الاكبر وزعيم البلاد . اسعاف
النشاشيبي . الحاج توفيق حماد - نابلس . المحامي
عوني عبد الهادي - القدس . الشيخ عبد القادر المظفر -
القدس . احمد حلمي باشا عبد الباقي - القدس . امين
التيمي ، عضو المجلس الاسلامي الاعلى . الشيخ اسماعيل
الحافظ عضو محكمة الاستئناف الشرعية . الشيخ توفيق
الطبيشي مفتش المحاكم الشرعية . الشيخ محمد الصالح
رئيس كلية روضة المعارف الوطنية ، المحامي الشيخ واثق
ابو السعود . الشيخ حسن ابو السعود قاضي الرملة .
الشيخ سعيد الخطيب الجمالي ، رئيس لجنة حراسة
الاماكن المقدسة الاسلامية وخطيب المسجد الأقصى .
الدكتور حسام الدين ابو السعود المحامي . رشدي الشوا .
رشيد الحاج ابراهيم عضوا للجنة التنفيذية العربية . معين
الماضي عضو اللجنة التنفيذية العربية . جمال الحسيني عضو
اللجنة التنفيذية العربية وامين سرها . عزة دروزه عضو
اللجنة التنفيذية العربية . صبحي الخضراء مدير اوقاف
اللواء الشمالي . عجاج نويهض مساعد مفتش المحاكم
الشرعية - القدس . وهيات الوفود جمعاء ، يزيد عدد
رجالها على (١٥٠) شخصية .

افتتح المؤتمر في المسجد الأقصى المبارك ليلة الاسراء
المباركة ، وهي ليلة الاثنين ٢٧ رجب ١٣٥٠ - ٧ كانون
الاول ١٩٣١ واختير ساحة السيد الحاج محمد امين
الحسيني رئيسا له . وتليت قصة المراج الشريف ولم
يسبق لبית القدس ان رأت مؤتمرا من قبل كهذا ، سعة
تمثيل ، وحيية وجلالا ، وعزما وتصميما ، ورض القوى
وتعبئتها عربيا اسلاميا من اجل فلسطين وام بالمسلمين
في الصلاة في المسجد الأقصى السيد الامام محمد الحسين
ال كاشف الغطاء ، وفي اليوم التالي نشرت جريدة
« النيس » اللندنية نبا الصلاة ، وقالت ان هذه المرة

الاولى منذ ظهرت الشيعة نرى مجتهدا اماما شيعيا يصلي
بالمسلمين في المسجد الأقصى اماما . واستمر المؤتمر يعمل
ويعقد جلساته عشرة ايام متوالية (٢٧ رجب الى ٧ شعبان
١٣٥٠ هـ - ٧ - ١٧ كانون الاول ١٩٣١ م) وبلغ عدد
جلساته سبع عشرة جلسة وانتخب المؤتمر اربعة نواب
لساحة الرئيس الحسيني ، وهم : السيد ضياء الدين
الطباطبائي - ايران . محمد علي علويه باشا - مصر .
شاعر الاسلام اقبال - الهند . السيد محمد بسن
محمد زبارة ممثل الامام يحيى حميد الدين وانتخب اربعة
امناء ، هم :

رؤوف باشا مندوب سيلان . ابراهيم السواعظ -
العراق . عزة دروزه - فلسطين . الشيخ عبد القادر
المظفر - فلسطين . وانتخب مراقبان : شكري القوتلي
- سوريا . رياض الصلح - لبنان . وانتخب امين مال :
احمد حلمي باشا عبد الباقي - القدس .

مقررات المؤتمر :

١ - صيانة مكان البراق الشريف من العدوان
اليهودي .

٢ - انشاء جامعة اسلامية في القدس تسمى جامعة
المسجد الأقصى .

٣ - تخليص سكة حديد الحجاز (وهي وقف
اسلامي) من السيطرة الاجنبية الفرنسية البريطانية في
سوريا والأردن وفلسطين .

٤ - مشروع الدعوة والارشاد على نطاق يشمل العالم
الاسلامي وعلى غرار المشروع الذي كان قد انشاء في مصر
قبيل الحرب العامة الاولى السيد الامام محمد رشيد رضا
صاحب (المنار) .

٥ - طلب الغاء « الظهير البربري » في المغرب
وكانت الجمعيات التبشيرية تعمل تحت حماية فرنسا
لتنصير البربر العنصر الاسلامي الكريم .

والتمت المؤتمر الى امور اخرى لها مكانتها من الاعمية
فقرر بشأن هذه الامور ما يلي :

١ - شكر العرب النصارى في فلسطين وششرق
الأردن لاسهامهم القومي المستقيم في الاعباء الوطنية وشد
عروة العروبة .

٢ - توجيه تحية ا كبار وشكر الى الوفد السوري في
جنيف لمنابرته على الدفاع عن القضية السورية والفلسطينية
لدى « عصبة الامم » وسائر المحافل الدولية والراي العام
الغربي (٥) .

٣ - نشر رسم موقف الشرق الحكيم السيد جمال
الدين الافغاني في ارجاء العالم الاسلامي مع موجز سيرته .

٤ - الاحتجاج على الاتحاد السوفياتي لسوء معاملة
المسلمين في القفقاس والأورال وارهاقهم .

٥ - وقرر المؤتمر - كما قرر مؤتمر مكة سنة ١٩٢٦

— ان ينعقد كل سنتين مرة ، وان يكون من مسؤولية اللجنة التنفيذية الاعداد للمؤتمر الثاني (١٩٣٣ - ١٩٥٢) وقرر ان تترجم مقرراته الى اللغات الاسلامية والتدب محمد اقبال لترجمتها الى الوردية .

اللجنة التنفيذية : رأى المؤتمر ان اللجنة التنفيذية التي ستكون عماد النجاح في العالم الاسلامي ، وقطنة البكار فلسطين ، ان تكون موسعة باوضاعها كاملة باجهزتها ، فجعلها مؤلفة من ٢٦ شخصية تمثل العالم الاسلامي القاصي والداني ، وتالف مكتب اللجنة (بجوار المسجد الأقصى) هكذا : (سماحة السيد الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية) الامين العام : السيد ضياء الدين الطباطبائي . الامين العام المساعد : رياض الصلح . امين المال : محمد علي علوية . الاعضاء : الامير سعيد شامل . عبد العزيز التعالي . نبيه العظمه .

اثرنا ان تأتي بذكر هذا كله في هذا الفصل لنسجل به تاريخيا آخر مؤتمر كبير عقده المفتي الحاج محمد امين الحسيني في فلسطين ومعظم من ذكرنا من هؤلاء الكرام المناضلين الجاهدين قد انتقلوا الى رحمة ربهم تعالى في الاخرة وهم غنده من المكرمين .

اما تنفيذ المقررات فلم يكتب لها شيء يذكر من حظ النجاح للاسباب التالية : بعد وصول هتلر الى الحكم في ألمانيا في شهر اذار ١٩٣٣ صار اليهود يلجأون الى فلسطين باعداد كبيرة ، وحكومة فلسطين تسهل لهم الهجرة ، وتتساهل معهم في امور كثيرة ، فصارت فلسطين تواجه هذا الطوف اليهودي الألماني وتضيق بفلسطين المسالك . وصارت المواجهات بين العرب من جهة ، واليهود والبريطانيين من جهة ، تتقلب دموية فيقتل الشهداء ويصاب الجرحى ، ولا يمكن مع هذه الاحوال ان تتمكن اللجنة التنفيذية من العمل . وصار اليهود يستوردون الاسلحة . وفي سنة ١٩٣٥ كانت حركة الشيخ عز الدين القسام وصحبه المجاهدين قرب (يبعد) شمالي فلسطين ، بالثورة المسلحة علنا ، مثلا ، في البطولة هز البلاد هزا عنيفا . وسنة ١٩٣٦ كان الاغراب العربي الكبير سنة اشهر في طول البلاد وعرضها واعتقال الالاف من العرب وزجهم في المعتقلات فدخلت فلسطين في دور الثورة المسلحة وسنة ١٩٣٧ وفي الخريف منها برح الحاج محمد امين الحسيني فلسطين الى بيروت بحرا في خبر خطير طويل ثم بعد سنتين وقمت الحرب العالمية الثانية . والى هنا تنتهي بهذه الفصول من ايجاز سيرة فقيد فلسطين وراعيها ، وفقيد العروبة والاسلام ، تفعله الله برضوانه واسكنه عالي جناته .

نصب اليهود الحبال والكايد : ما تقدم يمكن ان يعد على الجملة تسجيلا لهذا المؤتمر الاسلامي الكبير في القدس آخر ١٩٣١ وراينا من الواجب علينا استيفاء خبره واثره ، من ناحية انه يؤلف جزءا من صاحب السيرة . وقد بقي

رحمه الله يدبر البلاد ويرعى القضية ست سنوات تالية ، الى خريف ١٩٣٧ وفي خلال هذه المدة عقدت في فلسطين عدة مؤتمرات اسلامية فلسطينية كانت تابعة لارشاده وتوجيهه ، ولكن هذه المؤتمرات دون المؤتمر الاسلامي الكبير بمراحل .

ومن الامانة التي في العنق ، والعهد الذي لم يخلق ، ان تبين للقاري في سنة ١٩٧٥ بعض خفايا الزوايا المتصلة بنصب الحبال للمؤتمر متخذة شكل المقاومة للحاج امين رئيس البلاد ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى سنة ١٩٣١ ، فنقول ، ولا تفصل لان ايجاز اولي :

ان العراقيين المحليه ، والتي صيغتها سياسية مناوئة لمشروع هذا المؤتمر بمناوئة الحاج امين شخصيا ، وقد قام بهذا فريق من اهل البلاد - كل ذلك ذاب لحينه ذوبان الطحالب على الصخور في الربيع ، وتلاشسي الحشائش تحت الشمس المحرقة . وقد تمثل في هذه الحركة هذا الفريق من اهل فلسطين والرجال المنتمون الى الملك فؤاد في مصر ، رحمه الله ، والملك على ما يظهر كان لم يزل الى ذلك التاريخ يحلم بالخلافة ، كما كان يحلم بامارة او ملكية مصطنعة منسوجة من الفرنسيين والانكليز واليهود ابن اخيه عباس حلمي الثاني في الوقت نفسه ، في سوريا او فلسطين .

الحبال الكبرى المنسوجة من لعاب الشيطان حقا ، ونصبت لتقتلع اوتاد المؤتمر الوطيد العمد ، وهو الكاريزم عليه اسد ، تلقى اليهود ان هناك مشروعا مدروسا مهينا ، تام الاعداد بعد طول سهر وسهاد ، وهو اشد خلافة فاطمية اسماعيلية يكون آغاخان اول خليفة منها . ومن ان « عباقر » اليهود يعلمون ، مهما اتسع جهلهم ان الخلافة الاسماعيلية لا تقع في العالم الاسلامي السنني ، غير انهم قصدوا بهذا خلق جو يركز على المؤتمر الاسلامي في القدس تمكيرا شنيعا جدا . وجعلوا بث الدعاية لهذه الخلافة الاغاخانية الاسماعيلية عن طريق ارقى « الحافس » الماسونية في العالم .

ومن بذبذبة هذه الوجات القصيرة والطويلة تسندها المحافل الماسونية في العالم ، قلق الملك فيصل الاول في بغداد ، وكاد يخال السراب ماء ، والغمام الاذن ركبا ، فكتب كلمة شديدة الخصوصية من بغداد الى سماحة

(٥) اصل اشتقاق الوفد السوري في اوروبا هكذا : سنة ١٩٢١ اجتمع مندوبو الاحزاب السورية والفلسطينية في جنيف واختاروا ميشيل لطف الله رئيسا والسيد رشيد رضا والحاج توفيق حماد نائبين رئيس والامير شبيب ارسلان سكرتيرا عاما وسليمان كنعان واحسان الجابري وامين التميمي ووجيه الميسى وشيبي الجبال ورياض الصلح ونجيب شافير وصلاح عز الدين وطعان العماد وتوفيق اليازجي اعضاء ومع طول الزمن لم يبق في جنيف غير ارسلان والجابري والصلح ثم عاد الصلح الى بيروت في نحو السنة الثلاثين وبقي الوفد مؤلفا من ارسلان والجابري الى سنة ١٩٣٦ .

من قبل كما سبق القول ، واصبح « من اهل البيت » كما يقولون . وكانت اعمال المؤتمر وعقدته قد نهكتها ، كما جرى للمفتي من هذه الناحية ، فبعد ان عادت الوفود ، هبط الحسيني وصديقه الثعالبي « اربحا » التي تبعد عن القدس ٣٥ كم وهي في النور قرب البحر الميت ، وهي اجمل مشفى في بلاد العرب او على الاقل من اجمل المشافي . فبينما كانت في اربحا يسرح منك النظر الى الجبال المكتنفة لها فتراها مكللة باللؤلؤ ، على بعد عشرات الكيلومترات ، تجد نفسك في « اربحا » مغفورا بالدفء ، داخل الغرفة في بيتك وخارجها ، وبوسعك ان تسيرولا « جاكيت » عليك وفيها بسايتن البرتقال ، والموز من اجود طراز . اما برتقالها هذا فانه كله حلالة ، ولا حوضه منه وهو في دور النضج ولجودته فان مواسم برتقال اربحا تباع كلها محليا ولا يصدر منها شيء الى الخارج . في اربحا هنا استحم الزعماء ، الحسيني والثعالبي ، اسبوعا كاملا .

الاسماء للشخصيات التي ذكرتها في هذا الفصل بعضها مستخرج من اوراق ودفائري وبعضها الاخر متقول من مطبوعات مكتب المؤتمر . وفي بعض المواضع ان عدد رجالات الوفود يبلغ المئتين لا المئة والخمسين . غير اني اود ان اشير اشارة خاصة الى رضا توفيق الفيلسوف التركي الشهير وكان مصطفى كمال غاضبا عليه فجاء رضا توفيق عمان فلقاه الملك (الامير) عبد الله بن الحسين برا وترجيا وغفروا . سيد بني هاشم القطري الحجاج يكمارته ومالي لقائه . وكنت سعيدا في اثناء المؤتمر ان جاورته وحادثته واقتبست منه ، وكنت اترجم لشارع الاسلام محمد اقبال خطبه الارتجالية في المؤتمر ، ومثل ذلك مولانا شوكت علي ، فرايت ان بين الثقافتين العالميتين ، ثقافة رضا توفيق وثقافة محمد اقبال ، حلالات متماثلة تندي من خلق كل منهما ، طبيعة هذا الضرب النقي من التهذيب الذي لا يجاوره الا صفو العلم . وشهدت مرة بينهما حديثا بالانكليزية تمكنت لو سمعه رجال المؤتمر جميعا . ونشر الصديق الراصد المنقب التقب جوزف نعمه تعليقاتي في « الاديب » يجلو ناحية من قصة رضا توفيق وهو فسي جوييه . ولكن عندي في جوييه قصة مولانا شوكت علي والامير سليم سنة ١٩٣٢ لا محل لها هنا هذه المرة . موعدا قرب .

اعتقد ان مؤتمر مكة ١٩٢٦ ومؤتمر القدس ١٩٣١ ، وقد تكلت عن كليهما كما لاحظ القارئ ، هما من اعظم المؤتمرات الاسلامية في اثناء مدة ما بين الحربين . اما بعد الحرب الثانية ، واستكمال استقلال الدول العربية والاسلامية والافريقية فقد اخذت المؤتمرات تكثر حتى صارت تنوع وتصنف ، وهي جمة ، واعلاها القمة .

عجاج نوبهض

رأس التين - لبنان

الحسيني في القدس يسأله جلاء الحقيقة . فلغني بعد انتهاء المؤتمر ان السيد الحلال الحاج امين ، طيب الله ثراه ، كتب جوابا بخط يده مختصرا الى الملك فيصل بدد فيه اسحاك الاقاول . كما ان السيد الحسيني كان قبل عقد المؤتمر ذهب الى القاهرة واكد للملك واسماعيل صدقي ان المؤتمر لا يعنيه غير امر فلسطين وصد الاجتياح الصهيوني .

هذه الخفايا من تلك الروايات قد عرف بعضها فسي ذلك الوقت معرفة مشوهة ، وبقي بعضها الاخر مدخرا حتى اليوم .

الايام التي قضاها السيد القطريف الحاج محمد امين الحسيني في ادارة جلسات المؤتمر عشرة ايام ومعاناة اقتلاع الاشواك ، من هنا وهناك ، انزل به عظيم النهك والارهاق ، حتى كان يستعين كل ليلة بحبوب طبية مسكنة ، فكان اعصابه كانت من فولاذ رحمه الله .

في اثناء المؤتمر خطب المجاهد القديم ، سيد اللهايم ، عبد الرحمن عزام ، البادي جهاده في طرابلس (ليبيا) ١٩١٢ فحمل على ايطاليا لوحشتها في طرابلس وبرقة ، حملة شعواء ، فخرجته السلطة البريطانية من فلسطين مخفورا الى الحدود فاحتج المؤتمر على هذه الفعلة ، ولكن الاحتجاج في واد ، واوتاد الاستعمار في واد . وكان عبد الرحمن عزام حفظه الله ومد في عمره ، من اركان المؤتمر . كانت تركيا غير ممثلة في المؤتمر وانما ممثلة بطريقة ما . وكان العلم التركي مرفوعا في قاعة المؤتمر الكبرى - في كلية روضة المعارف الوطنية - من جملة الاعلام الاسلامية فجاء قنصل تركيا ذات صباح وانزل علم حكومته من مكانه .

بعد اخراج عبد الرحمن عزام من فلسطين بالقوة ، طلب المندوب السامي البريطاني من رئيس المؤتمر سماحة الحسين ان يوقع تمهدا مضمونه الا تخرج القضايا النسبية تطرح امام المؤتمر عن نطاق معين ، فرفض الفتى الموافقة على اعطاء هذا التعهد وقال للمندوب : ان المؤتمر اسلامي محض وقضاياه اسلامية للدود عن فلسطين ، فهو مفتوح الابواب وليس مؤتمرا متفقا فهدد المندوب باخذاجراءات خاصة تضمن عدم مجاوزة المؤتمر الى ما ابعد من النطاق العادي .

بعد ارفض المؤتمر وقبل ان تبدأ الوفود تعود الى اوطانها ، قام الحسين ومعهم الوفود تركب السيارات الفاخرة يطوف بهذه الوفود الكريمة في اثناء فلسطين ريفا كنابلس وجنين وطبرية والناصر ، ونفورا ساحلية كيافا وحيفا . واقيمت لهم المآدب ، ولا قامهم الاهالي على الطرق هاتفين لهم مرجين بهم ، فكانت سياحات اشبه برياضات عسكرية اسلامية فعرفت الوفود حق المعرفة .

اما الاستاذ الثعالبي فقد بقي في القدس اذ هو هنا

في الغد البعيد

غدا صغيري تكبر
 وتقرأ حكاية المدينة الحزينة
 التي اقلت ابوابها
 بعد رحيل الشمس
 واستترت بالعممة
 لتشرب من دموعها
 المدينة نامت في ظل فناديلها الدكاء
 ونام وراءها قمر حائل
 ملته الكواكب
 ولطفه الفضاء
 فحضنته مدينة الاحزان
 واضحى القمر مرآة براقية
 تحشر فيها دموع الارض
 في الغد البعيد صغيري
 ستعرف الى المرأة العطشى
 التي لا تعرف الارتواء
 وستدبها بدمعك الريان
 ما دمت ابن زمن يعمد بالدموع
 غدا ستوافينا الى المدينة الحزينة
 وتقرع ابوابها المحكمة
 وستلقانا اقمارا ذاوية
 تستجيب مرآيا نقية
 تنعكس عليها رؤى وذكريات
 فعلى حافة الغد البعيد صغيري
 نحن انتظارك
 ناتي مع الريح الساخنة
 مع الطير ،
 ناتي مع الاحزان
 خلف ضحكة القمر
 ناتي : ولم ناتي ؟
 سماؤنا كثيبة
 ارضنا غريبة
 واقدارنا السفر
 اواكب الريح
 لاعلمها الفناء
 وآوينا الى شفتي
 لتلثم الصمت
 وفي حنجرة الريح
 مصير بائس ، يبكي
 وعلى شفاهها
 زمن ثرثار

أريج سعادة

الشوقيات - لبنان

بعد رحلة العودة عبر الصحراء، وبعد معاناة التمزق النفسي والتشتت، وبعد معارك شرسة غير متكافئة، لم أجد مقراً من الاختفاء، أنسى هويتي وأبتعد عن عالمي. أصبت بالتهيار إلى الشلل في التفكير، واللامبالاة. وعشت مجهول الاسم، والالامعة.. مجهول الشخصية. لم أمد أفكر في شيء ذي بال، أو ألق بالاً للمفاجآت الحياتية.

قبل هذه الأيام المشؤومة، انتقلت وحيدتي فجأة إلى مدينة «الفتطيرة شرق» ومكثنا هناك بضعة أيام لم نشعر خلالها بما ينبغي عن معركة وشيكة الوقوع. بطمئنتنا قائد الوحدة إلى أنها تحركات عسكرية، وأن كان يجهل سببها. ولاحظنا تحرك قوات ضخمة في اتجاه العريش وقطاع غزة فعرفنا أنها الحرب لا محالة، واعتقدنا أن القائد يتكتم الأمر. كانت الأنباء تضيق كل يوم توتراً جديداً. أنها الحرب.. حقا هي الحرب.. وشغلنا القائد بتدريبات عسكرية يرضى بها رغبتنا في التهويل والاستعداد، وبمعتص توتراً، وأن لم يسلم هو من التلق ذاته.

كان عادل سالم - زوج اختي، وزيميلي - مرحاً، يخفف من توترنا بمزاحه وحكاياته الطريفة. ودائماً يجد في جميته الأحاديث المسلية التي تزيل من قلوبنا الوحشة، ومسح صبورنا الضيق. لكنه ذات مرة همس جاداً:

- فراسني تقول أنها مظاهرة عسكرية. فالقائد يعاني توتراً بالغا، ويبدو أن الموقف غامض.

- ربما فراستك غير موثقة. استطراد، دون أن يهتم بما قلت: - سألت القائد في المساء: مادامت الحرب وشيكة الوقوع، فهل لنا أن نرفع من كثافة التدريب. ابتسم قائلاً: لا تلتقي. قد يكون هناك غموض لكنه سيستجيب حين تصلني التعليمات. بدأت أرن كلمات القائد بميزان دقيق.. قلت لعادل:

- يبدو أن قلقنا جميعاً، لا يساوي شيئاً أمام قلق القائد!

- هذا ما أراه. اجترأ الذكرى يصيبني بالدوار. لماذا أعود بذاكرتي إلى الماضي هزعت جذني العجز إلى إفاقتي من وحدتي، وعالي المكسور الجناح. لقد دخلنا الحرب.. قالتها في قوة وثقة، رنت كلماتها في أعماق نفسي. تناولت كوب ماء، عساي أزيل الملوحة التي في فمي، أو أتجرع غصص المرارة التي في حلقي. عساي أفيق إلى عالمي. ارتعدت فرأيتني، واقشعر بدني. عدت إلى ذكريات الماضي.. فمنذ ست سنوات حملت عادل جريحاً، ومن حولي تجثم جثث الرفاق، شاخصة نحوي في جنازة



بقلم حسني سعيد لبني

مهيبة. كنت الحي الوحيد وسط هؤلاء الضحايا. وقفت جامداً، شلت قواي، بلد أحاسيسي.. صليت في العراء.. تهدج صوت عادل الجريح: - هذه لحظات النهاية.

دمعت عيني.. وأصل كلماته الأخيرة:

- أرجو. أن تخفي النيا عن عفاف حتى تلد.. وتسمي المولود «أمل»، ولداً كان أم بنتاً..

ضممتني إلى صدري، وركضت أجوس الرمال الساخنة. كلما سمعت



أزيز طائرة، أرتمي على بطني، وألف ذراعي حول صدر عادل. وأحس برائحة الموت في كل طلقة مدفع. حتماً، ساموت، وتنتهي حكايتي مع الدنيا. يد عادل تشد ياقة ستري. عيناه شاخصتان.. توقفت، أنفاسي تتلاقح، والعرق يتصبب غزيراً. أرقده في ركن ظليل.. تنفس أنفاساً متقطعة، ثم طلب ماء بإشارة إلى فمه بعد أن خاتنه الكلمات، غارت في حلقة الذي يشكو الجفاف. فتحت الزمزمة فأذا بها أيضاً تشكو الجفاف. القبتها بعيداً في غضب. تنهت حواسي إلى أزيز طائرة مختلطة بطلقات الفيزكز.. انبسطت أرضاً، بجانب عادل، تظاهرت بالوت وأن كان الموت راحة لي من تلك اللحظات الزهية. أن الاحساس بالوت أقسى من الموت ذاته. الطائرة تقترب من الأرض، طلقات الفيزكز تدوي في كل اتجاه، وتشتد إذا اشتبه العدو في وجود إنسان. مرت عشر دقائق رهيبة، نفدت فيها الطائرة غزرها بنجاح! كانت الطائرة هي الشيء المتحرك الوحيد في وادي الموت! الأحياء هنا كال موتى، لا حول لهم ولا قوة، سوى الإحتماء، والتخفي. وبعد أن ساد المنطقة هدوء نسبي، نهضت وضممت عادل إلى صدري، ومشيت أكمل رحلتي للبراءة.. ضممتني إلى صدري أكثر.. لم أعد أسمع حشرجة أنفاس، ضممتها أكثر فما سمعت سوى دقات قلبي التي تشتد.. تهاوت البقية الباقية من قوتي. أرقده أرضاً، لم أصدق ما ذهب إليه، تناولت المعصم، لم يعد القلب نابضاً، لقد.. فارق عادل الحياة!

صرت أنا الجريح الوحيد، الحي الميت!

وسدته الثرى، تحت شجرة ظليلة حفرت على جذعها اسم بحروف كبيرة.. «عادل سالم».. والتاريخ «٦ - ٦ - ١٩٦٧».. ثم ضحكت لحرصى على تدوين التاريخ، هل أرجع إلى هنا مرة ثانية؟ هل سكتب

حواسي . قواني تفتح خط بارليف
الحصين ، الله اكبر ، الله اكبر ..
زغردت فرحة صيبانية في اعماقي
قبلت جبين جدتي ، كدت ارقص ..
انه النار ، انه الحق .

ولكني سرعان ما عدت الى واقعي
الاليم . فانا هارب من الجندية، ومن
الاسرة .. انا هارب من الحياة. اردت
ان اعيش مجهول الاسم ، مجهول
الهوية . سافرت الى الدلتجات، حيث
عشت مع جدتي في صومعتها. ان
العلاء السافر بينها وبين الاسرة
بسبب الاثر يمنع سبل الاتصال.
ولي منزلة خاصة واغزاز كبير لدى
جدتي منذ الصغر . شرحت لها
ظروفي ، ثم عرضت عليها مساعدتها
في رعاية مزرعة الفاكهة لقاء اجر
شهري يكفي معيشتي . فرحت ،
واجزلت في العطاء . ومن الدلتجات
بدأت كتابة رسائل الى عفاف ممهورة
باسم عادل . طعنتها باني اعامل نسي
الاسر معاملة حسنة ! . وطلبت منها
الا تسال عن الرسول الذي يساعد
في توصيل الرسائل . حاولت ادخال
الطمانينة الى قلبي ، لكنني بعد فترة
تراجعت عن خطتي ، عذني فسميري
ايقتت مدى جرمي .. كيف ابعث
الروح في رفات عادل ؟ . انها جريمة
لا تغتفر . احساس بالذنب جعلني
أقلق . كما اني اعيش على هامش
الحياة ، لا صفة لي ، بت مطاردة
كالمجرم . الضمير الحي ما يزال يقسو
على احاسيسي ، حتى اني فضلت
الموت على هذه الحياة .

واقفاني المذبايع ببيان جديد، قواني
تندقق عبر المعابر ، بكامل معداتها ،
وعتاها .. يقتصر بدني ، أفتسح
النافذة ، استنشاق الهواء الطلق ،
اقبل جبين جدتي . شعرت ان الروح
عادت الى جسدها بعد طول غربة .
اقابل اكبر عدد من الناس ، احدهم
عن تفازلي . يهتني نداء قوي على
المودة الى القاهرة ، الى امي وعفاف
واخوتي . يجب ان ارحل عن منفاهي
واعود للحياة مع الناس . انا جندي

ارتعيت على الارض اعياء . وحيسن
افقت ، لم ادر ماذا افعل ؟ . كيف
اعود الى اسرتي ؟ . وماذا اقول
لعفاف عن زوجها الشهيد ؟ . عفاف
مریضة بالقلب ، وبخشي عليها من
ازمة قلبية . يجب ان اخفي، واخفي
عاري . كيف اصرح باني وسدته
الثري ؟! . انها حامل ، ومریضة ،
وبخشي عليها في ظروف الولادة من
مضاعفات المرض ، فكيف اضيف الى
مصيبتها مصيبة اخرى ؟ . يجب ان
اخفي حتى تضع عفاف مولودها،
وحتى تلتئم جراح القلب . واذا ما
عدت الى وحدتي ، فعاذا اقول ؟ .



حسني سيد ليب

جميعا استشهدوا ، غدرا قتلوا ..
في البداية قاومنا، كاننا ننتح الصخور
بأظافرنا ! . واستشهد القائد .. لكننا
قاومنا ، حتى وجدنا انفسنا اسام
الموت المحقق وجها لوجه ، فامكانياتنا
محدودة امام تعزيز مستمر لقوات
العدو . وكالت الطائرات تنقض علينا
كفيلان الموت ، ولم نعد جنودا في حومة
الوغي ، وانما اصبحنا صيدا سهلا
لشرذمة الطفلة ! .

ذكرياتي الاليمية يجب ان تختفي،
يجب ان اعيش هذه اللحظات بكل

لي الحياة ؟ . عدت واوصل رحلتي،
وقد غار قلبي هولا مما راى .
كان وجهها صفائيا ، تلف راسها
بطرحة بيضاء ، فبدت ملاكا طاهرا ..
رن صوتها في اعماقي رنيانا حلوا ،
ايقتت كامن الشعور .. انها الحرب،
حقا هي الحرب .. وارتعدت ، خفت
اذا سمعني دوي المدافع واثير
الطائرات وطلاقات الرصاص ،
وصدمتي قوة دفع الهواء الى سقوف
القتال .. انها اشباح الماضي تترى
في مخيلتي .. اصبت باغما .. هزمت
الى جدتي ، ندادى الم النفس .. ولما
افقت ، طالعني ابتسامتها الملائكية،
وبشرتها البيضاء الطاهرة .. بدت
قمرًا مضيئا ، اخفتت تجاعيد السنين
نهضت ، واخذت امرن قدمي على
السير في غرفتي الضيقة . تأملت
وجهي الشاحب في المراة . التجاعيد
تحفر ظلالات القائمة في وجهي، انسمت
حلقتا السواد حول عيني . شتان
الفرق بيني وبين جدتي . برغم فارق
السن ، فالامر يختلف تمام الاختلاف
فجدتي المعوز تتدقق طعم الحياة
حبا ، بينما انجرع اننا غصص الموت
كرها . اعيش معها في بيتها ، لكننا
بعيدان بعد الحياة عن الموت .

ظللت احرك مؤشر المذبايع بين
الحطبات ، نابشا فيه كمصفور جائع.
قواني ترد اعتداءات العدو .. نظرت
الى السماء ، الى الله .. منذ ست
سنوات ، كانت ارادتي مشلولة .
واجبنا الموت ، صدورنا مكشوفة .
شنقنا في العراء ، فهل كان حكما
بالاعدام ؟ . ام هي غضبة الله ؟ .
اذكر رحلتي النبراء لعبور القناة الى
الغرب . اقترب مني كهل في الخمسين
من عمال السكك الحديدية ، بدا في
حلته الخضراء كنبث شيطاني في قلب
الصحراء ، سألني في صوت هامس :
- سمعت ان هناك خطة وراء
انتحابتنا .. اليس كذلك ؟

- ربما ..

وغدنا السير في رحلة الالام .
وحين وصلنا الى الضفة الغربية ،

هارب حقا ، لكن ما الضير في اعلان توبتي ؟. وايا كان العذر، فقد اخطأت ويجب تصحيح الخطأ . استطيع فعل اي شيء .. لا بد من العودة .. لا بد من العودة .

الناس في القاهرة يعيشون اسعد لحظات الحياة ، وفي الدلتاجات صادفت نفس الوجوه . قصدت بيتنا بمصر الجديدة ، انه فيلا من طابقتين تسكن في الطابق الاول امي واخوتي، وفي الثاني عفاف . يبدو ان عم عيده البواب ترك عمله ، او ترك الدنيا . يجلس الان على دكتته الخشبية شاب اسمر مبدد القامة ، ينظر الى مليا ثم ياذن لي بالدخول حين قدمت له نفسي.

كان الطابق الارضي خاليا، فصعدت الى الطابق الثاني ، فتحت طفلة صغيرة الباب ، هفتفت :

— امل ...
تفرست الصغيرة في وجهي، قلت:
— ما اسمك يا حولة ؟
— من انت ؟
— انا خالك صلاح .

قالت الصغيرة في حزم :
حدثتني امي كثيرا عن خالي صلاح الذي استشهد في الحرب !.

وجمت . ارجع الى صومعتي ؟.
أم ماذا افعل ؟. اضافت الصغيرة :

— وكيف عرفت اسمي ؟.
اسمها امل اذن ، كما هفتف يسا فؤادي .

اضيء مصباح حجره النوم وخرجت منها عفاف ، هرعت اليها امل قائلة بصوت عال :

— ألم تقولي ان خالي صلاح قد استشهد ؟.

— بلى ...
— من الواقع على الباب اذن ؟.

ركضت عفاف نحوني . هفتت في انفعال مفاجيء :

— صلاح !.. غير معقول !.
واحتضنتها . حمدا لله وشكرا.

مرت لحظة اللقاء بسلام . رويت لها قصتي ، وجاهدت في اخفاء كل ما

يتعلق بعادل . لكنها طمأنتني على سى عادل !.. الرسائل التي وصلتها منه لا تبعث على القلق !.. شعسرت بوخر الضمير .

— ولماذا اسميتها « امل » ؟.
طاف بي هائف اثناء نومسي ، واخبرني بان ابنتنا ستكون اسمس المستقبل ، امل الحياة المنتصرة . لم احدثها عن وصية عادل، ينبغي الا اذكر صفاء هذه اللحظات. ولتتش عفاف احلامها الوردية ، ولتنتظر عادل .. ان الحياة مع الامل ، افضل من مفاجاتها بما تراه مستحيلا .

استاذنت عفاف كي تستدعي امي واخوتي، الذين ذهبوا لزيارة الخال. تلميت في الصور المعلقة على الحائط عثرت على صورتي وقد كتب اسفلها « الشهيد صلاح مأمون ».. في هذا المكان ينبغي تلميت صورة اخرى لعادل ولكن كيف ؟. ثمة اخطاء وقعت فيها وربما كان الخطأ الاكبر اني مازلت حيا !.

فتحت المذياع ، سمعت بيانا آخر بعن تحرير مدينة « القنطرة شرق » واحتضنت امل الجالسة بجانبني ، فغرت ، واجمها بالقبيلات ، قد قهر المكان الذي شهد مقتل افراد وحدتي واستشهاد عادل . انه الثار . يجب ان تفرحي يا عفاف بهذه اللحظة الرائعة .

قبل ان يحضر احد ، استاذنت امل لاشترى سجائر .. وضعت كراستي في احد ادراج مكتب، دونت فيها كل شيء ، الحقيقة الكاملة . هرعت الى وحدتي ، قدمت نفسي، بعد ان كنت في عداد المفقودين . سارضى بحكمهم ، فقط اريد العودة الى القتال . تلمكتني رغبة انتحارية عارمة ، سأنتم ما استطعت الى ذلك سبيلا . ذهبت الى السويس، وكان العدوي لقم جراحه . يحاول تحقيق مكسب ما . لكن آماله تحطمت على مشارف السويس الصابرة . اختلطت الآلاف القليلة من المدنيين الوجودين بالسويس باخوانهم

العسكريين . تلاحمت الصفوف في حماس جارف . تكونت مجموعات قتالية صغيرة ، كل واحدة مسؤلة عن مهمة محددة . توليت قيادة احدى هذه المجموعات ، حرصت على ان اقاتل بقدائية ، لا قيمة للحياة فندني لقد شئت ست سنوات عجا ف من اجل يوم رائع كهذا . فلانار لزملائي، وعادل ، وكرامتي الجريحة . واجهت مجموعتي طابور الدبابات التي حاولت اقتحام السويس . صوت مدفعي نحو الدبابة الاولى ، فاشتعلت محترقة تقفز منها الجنود هاربين ، تلاخعت عليهم طلقات الرصاص من مدافع زملائي . وسرى الحماس في اجسادنا جميعا . اسطدنا بعض الدبابات ، وانفذ الانسحاب السريع باقسي الدبابات التي كانت في المؤخرة . كانت السويس حقا مقبرة للفزاة ودعرا واقية لمصر ..

وفي احدى المرات ، اصابت صدري طلقة طائشة ، نهني اليها الدم الساخن الذي سال ، تواربت خلف ساتر زمني ، وحاول زميل اسعافي ، ولكن الجرح نافذ في صدري ممسكا مدفعي . نبهتني الى وجوب صد هجمات العدو ، لكنه نصحني بالتزام الراحة. مازلت ممسكا مدفعي مازلت قادرا على القتال . ان ضحايا الفدر تطوف ارواحهم حولي الان ، طالين مني الثار .. اوصاني عادل ولم افقد الوصية ، آه .. الجرح نافذ ، احسن به كنصل متوجه فني قلبي .. الكراسية التي تركتها تروي الحقيقة كاملة .. عادل كان يتالم ، طلب مني جرعة ماء ، فلم اجد. والان هذه اللحظات رائعة . تطوف حولي ارواح الشهداء . نحن نفس العار، نثار ، نحرر الارض المقتصة ، نسترد الكرامة الجريحة .

حشرجة في صدري . اهي لحظة الموت ؟. لايم . انها لحظة انتصار، وحياء ! . طلبت جرعة ماء ، ناولني زميلي الزمزية التي كانت مملوءة. شربت حتى ارتويت . طعم الماء حلو

محمد الجيار

محمد الجيار
الشاعر الحالم ثل عرشه وانهار
اخلى للاشعار
ومسات في طموحه
لم تجده الاشعار

يا قمر! بلغه الحرير
يا ايها الامير
في رقة الكنار
ودربه كشفة السكين
اذكر في « المتصورة »
لقائنا ...

وعزلة الشباب
تيسر كل دربنا الطموح
واين نحن الان

يا قمري الجروح ؟
يا كلني اغتراب
يا كلك التراب
يا صفوة الاجاب

قد انتهى الطموح .. والكفاح .. والعذاب

محمد الجيار ..

.. محمد الجيار

ما اعذب النباء

واوجع النباء

الدكتور كمال نشأت

بفسداد

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

جرحى الحرب ، الا انها ذرفت دمعتي
حب على زوجها ..
قالت لها الام :

— الم تقولي ان الموت والحياة
متساويان عندك ؟
— ...

سالت امل :

— انبكين يا امي ؟
— لا ...

وقالت لنفسها : « انك صورة من
عادل ، وذكرى منه » . ثم قالت
لامل :

— انها دموع فرح ، انا فرحة بك
يا امل ..
احتضنت امل ، وغمرت وجهها
بالقبلات .

حسني سيد لبيب

القاهرة

— لا مكان للدموع . لكل معركة
رجالها . وصلاح مأمون ، حرص على
ان يموت بطلا .

— ادعو الله ان يطمئنك على عادل .
— الموت والحياة متساويان عندي
وايا كان حكم القضاء ، فانا راضية
به . ظللنا نعلق صورة صلاح الشهيد
اكثر من ست سنوات ، وكان حيا
يرزق . وحين عاد ، نزعنا الصورة
من مكانها لنعلق اخرى ضاحكة ، وكان
هو يلفظ آخر انفاسه على ارض
السويس . الموت والحياة متساويان
اذن ، وقيمة الموت ، او قيمة الحياة
تكون في معنى كل منهما .. المعنى
الذي من اجله نحيا ، والمعنى
الذي من اجله نموت . احسن انسا
نستطيع فعل شيء ذي قيمة .
ورغم الجدل الذي تعلمته في معالجة

والثار رائع .. الحمد لله .. الحمد
لله .

★

وفي بيت الاسرة بمصر الجديدة ،
عادت الام والاخوة فرحين لعودة
صلاح ، اخبرتهم امل انه خرج لشراء
سجائر ، فانتظروه ، انتظروه طويلا
ولم يعد . طلبت الام ابدال الصورة
باخرى ضاحكة تنبئ عن الحياة .
الانتظار يطول بالام ، والاخوة وعفاف
حتى امل الصغيرة تربقت في شغف
عودته .

بعد عدة ايام ، غلقت الام الصورة
في مكانها ، وتمتمت :

— عادت الصورة الى مكانها ،
لكنها الان في وضعها الصحيح ، كان
هناك ثمة خطأ .
مسحت عفاف دموع الام بمندليها :



الحب الكامل هو الحب الذي يعتمد على مشاعر الوجدان الصادقة الميقنة التي تدفع الى الثبات والوفاء والبسمل والتفانية ، ذلك هو الحب التالي متصار خيالات الناس ، ومعط آمالهم ، وقبلة احلامهم ...
وهذه النظرات والتأملات في مختلف الوان الحب قصد منها المؤلف - كما يقول- ان يستهني بها القاري في حياته الوجدانية عساه متى احب ان يجد في الحب سمادة

وهنساء ...

بيد ان الانسان قد يحلم بالحب ولا يتحقق معه اول مرتبة فيسعى لذلك مرة ومرة ، لا يهجم ما يحتمل من عذاب او يقاسي من آلام .. يصبر ويأمل .. ويرجو .. ويعيش دالما في هذا الشوق .. والتوقع .. والانتظار .. وما هذا الشوق الا شوق للحياة .

ولكن كيف يمكن ان يتحقق مثل هذا الحب الكامل الذي يشمل الروح قبل الجسد ، يقول : « ما الحياة الزوجية سوى فكر وثقافة واخلاق ، يتألف منها عقل وقلب وضيمير ، فتش وسع الفرد آفاق تفكيره ، وضاعف من قوة ثقافته ، وحرس على نبل اخلاقه ، استيقظ فيه العقل والقلب والضمير ، فاستطاع ، متس احب ان يغلب في الحب عنصر الروح على عنصر المادة ، وان ينشد في الحب شيئا ابدي واخصب من الشهوة ، وان يتحكم في طبيعته ، وبصبر يحفل هذا الشوق والسمو انساني »

وهذا الحب العاطفي الروحي - في رأي ادبنا الكبير - لن يموت الا اذا مات التشور البدني في القلب والوجدان ، ومثل هذا الشعور لن يموت ما دام الانسان يجهد مصيره .. ويعتد المؤلف من عصرنا الذي نعيش فيه ، عصر المادة ، والروح العلمية النقية ... التي لم تعد تغفل الحب حق قدره ، او تعطي المكانة الاولى واللائقة ... وعلى الانسان في هذا العصر ان يستصك بأهداب الفضيلة ، ويسهر على منوياته ، ويؤدب عنها ، ذلك كي يظل الجانب الروحي في نفسه حيا ، بحيث يمكنه ان يحب ، ويبدل ويفهم .. يعيش ويسعد .. ويفهم بنا المؤلف فيحدثنا عن الفتيات حين يواجهن الحب والاختلاف التي قد يسقطن فيها فيفتنن في الطريق .. ويكون الحب وبلا عليهن ... كان يعين المال او التبرج في الزينة .. او البحث عن الحب في علاقات خفية ، بعيدا من البيت والاسرة .. وعلى الفتاة ان تكون صادقة ومخلصة تسعى الى الحب الحقيقي .. حب الروح . على ان الحب بالنسبة للمرأة يشكل كل حياتها .. فالمعاطفة عندها اقوى من العقل ، واذا استطاعت الرجل ان يلصق قلب المرأة فقد استطاع ان يؤثر فيها ... وتختلف نظرة الرجل للحب عن نظرة المرأة اليه . من هنا كان من الضروري ان يفهم كل منهما طبيعة الآخر ويتوافق معه ، حتى يمكن ان يسعد ، ويسعد ...

ولا كان الموضوع هو الحب ، كان لا بد من ان تربط بينه وبين الزواج . الحب حلم والزواج يحقق هذا الحلم .. على ان الحب ينبغي ان يبق طوال الوقت ... والزواج شركة مقدسة ، ورباط الهيء واجب على المرء ان يصونه ويحجمه .

والحب يولد الفرة ، والفرة عند المرأة تختلف بواعثها عنها عند الرجل ، والنساء اشد غيرة من الرجل لصفون الطبيعي ، والفرة عند المرأة لها دور خطير في الحياة الزوجية ، اذ ترد في النهاية الى حفظ النوع ، وخير الاسرة ، وان اخذت في شكلها الظاهري طابع الانانية .. فهي غيرة تهدف الى البناء لا الى الهدم .. والى الاتصال لا الى القطيعة ...

هذا الكتاب ، في الواقع عبارة عن فوحات فنية جميلة ، تحمل كل

الناس والحب

تأليف ابراهيم المصري ؟ صفحة - منشورات كتاب اليوم بالقاهرة

صدر مؤخرًا عن كتاب اليوم « الناس والحب » لادبنا الكبير ابراهيم المصري ، وابراهيم المصري يعزنا من بين ادبائنا في انه اعطى الكثير من ادبه ، والصح الجلال ، لتحليل المواقف الانسانية ، وعلى رأسها عاطفة الحب ...

وهو يمتاز في تحليله لهذه المواقف الانسانية بدقة في التحليل ، وعمق في الرؤية ، ووضوح في العبارات .. وهو حين يكتب ذو اسلوب خاص متميز ينفرد به ، يمكن من طريقه معرفة شخصيته ... شريطة ان يكون القاري قد قرأ مؤلفاته ، واحبه ، وعاشره .. وله مصنفه صولات ، وجولات ...

وابراهيم المصري يختار باحساسي فني تلك المواقف التي تكون دائما مثارا للصراع ، كمطافة الحب مثلا .. فلا غرو ان تنبش كتاباته بالحرارة والصدق .. لانها تمثل بصدق - ودون ادعاء - الحياة بكل ما فيها من صراع لا يهدأ ابدا . وليس المهم عندنا ان يحسن الاختيار في المعاملة التي يتحدث عنها . بل انه قادر دائما على الحديث عن أية عاطفة بنفس القدرة الفاتنة التي عرفناها عنه بهذا على يمكن غيره من الكتاب ، حين يتحدثون عن الحب فيشوهونه .. ويجمدونه .. بل يقدونهم أجمل ما فيه من صراع .. وجوية ، ونبس .. وحياة .. والكتاب الذي نحن بصدد التأمل فيه هو نظرات وتاملات فسي عاطفة الحب ، التي تعتبر اعظم عاطفة منحها الله للانسان ، واذا كان الله محبة ، واحب الانسان ، فقد منح الانسان هذه العاطفة ليكون الانسان نفسه محبة من أجل الآخرين .

كما ان الكتاب يبين لنا اثر هذه العاطفة في حياة الانسان ، ولعلنا لا نكون مبالغين ان قلنا ان الحب هو العاطفة الوحيدة التي بدونها لا يمكن للانسان ان يؤثر او يتأثر ، فليس اعظم من الحب مؤثرا .

واذا كان ادبنا الكبير في كتابه « صراع الحب والعبقرية » الذي صدر عن دار المعارف (سلسلة افرا) يحدثنا عن الصراع الذي ينشأ ويستمر بين الحب والعبقرية فاصوره الحديث على بعض الادباء والمفكرين والفنانين وحدهم ، فانه في هذا الكتاب « الناس والحب » يحدثنا عن الحب كمطافة مشتركة بين الناس جميعا ، فالحب ليس وفقا لعنسى الادباء والمفكرين وحدهم ، ان من فضل الله على البشر ان جعل الحب لهم جميعا ... كاتشمس والاه والاهواء ...

يعرف الحب بأنه التفصيل او الانشراح بمعنى ان تؤثر انسانا واحدا وتتعلق به ، وان يؤثرنا هذا الانسان ايضا على غيرنا ، حينئذ يتسم التبادل في الحب عن حربة كاملة في الاختيار والهاء .

مثل هذا الحب لا يمكن ان يتم اذا احبنا الآخر بالجد فقط ، ذلك لان الجسد ينشد الله ، واللذة متقلبة ومتغيرة ..



الارباب

©

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمؤهل شهر

يتاير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاطراف : ٢٥ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

Dir : 223819

الادارة : ٢٢٣٨١٩

Dle : 225139

المزل : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨-١١

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير اديب

لوحة منها فكرة بعينها .. ولكن الافكار كلها مترابطة معا ، واجمل ما في هذه اللوحات انها تعبر عن الواقع والحياة .. وتنبس بالصدق والاخلاص. شاتها شان اللوحات التي رايناها في كتاب المؤلف «خيز الاقوياء» .. وبعد ، فاني لم اطعم في ان انقل للقاري هذه اللوحات ، فإذا منظر بطيئة الحال ، ولكني هددت ان استشير القاري واحته على مظالمه الكتاب ونظم افكاره ، لعله يستهدي في حياته الوجدانية بهاء كما اراد له المؤلف .

راضي حكيم

القاهرة

كرامة الفرد في الاسلام

تأليف الشيخ حسن آل الشيخ - ٥٥ صفحة - من القطع الكبير - مطبعة (٩)

لئن كان لهذا القلم ان يطعم الى ما هو ابعد من غايته ، فان مما يبهج النفس ان نتحدث عن هذا المؤلف القيم بيجوز آياته الكريمة ، وبديع كلماته السامية . وقصداي ان اتم الحديث على خير ما ارجوه من دقة ، وعلى احسن ما احب من انصاف .

والكتاب القليل الصفحات الفني بالآيات القرآنية المجيدة ، والشروحات الفريدة ، ينضج لنا من عنوانه ، انه يصور لنا تلك الرسالة السماوية الخالدة التي جاءت لسعادة الانسان (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) صدق الله العظيم . وان موضوع الكتاب كان فسي الاصل محاضرة قدمها معالي المؤلف الجليل الشيخ حسن آل الشيخ وزير معارف المملكة العربية السعودية ، في جامعة عنذا (والقلبين) . وقد قام بترجمتها الى اللغة الانكليزية الأستاذ عصفى السعدون . فجات مستوفاة الشروط لقراء اللغتين العربية والانكليزية . على حد سواء . ونستطيع ان نقول ان العلامة المحاضر المؤلف ، صور معاني هاتيك الكرامة الفردية في الاسلام تصويرا دقيقا رائعا . مبينا بالامثلة والاستشهادات اثر تلك المعاني السماوية في حياة الانسان الفرد ومصره . ويؤيد ذلك ما اشتهر به علامتنا الوزير الجليل من بسطة في الشرح الموجز ، وسعة الاطلاع ، والملم العالم بالواقيع الروحية التي يلتزم بها في موطن ابحاله :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمه . فالت روح لا بالجسم انسان ومن امثلة تلك المواضيع المذكورة ، ما اراتنا في مستهل محاضراته بقوله : لقد كانت عالمي هذا الدين واضحة صريحة ، فيما وجدت صعوبة في الانتفاع مع العقول المستقيمة الواضحة . بل لقد كانت - وربما افردت بذلك - نتيجة بواقعتها الى العقل الانساني فتشده من سيانه ، او تدفع به في الطريق التي يشي له ان ينتهجها ، وتقول له فيما يشبه التائب الحاتي : حقق بوجودك غايته ، فالدين الاسلامي بلجا ، وباصرار ، الى مغاطبة العقل وتمكينه من استخدام مواهبه وشحن قواه حسني ينتهي المطاف - ان فعل - الى موقف التنبية الواثقة الواوية التنسي تستشمر من نفعها مكانتها ، ومن عيها احترامها للغير واحترام الغير لها . فحين نرى من هذا المثال الموجز ان الكتاب يجمع بين الفائدة العلمية واللذة الروحية ، الثقافة الانسانية والاستمتاع الادبي الكريم . فهو اذ يحلل ويدقق في شرح علمي ، وحقل روحي اصيل ، فان القاري ليجس شخصية العالم المحاضر في كل عبارة من عباراته ، ذلك لانه يفرغ على الكلمات صور ذهنه المشرق وحماس قلبه وابيائه . ونحن لا يسعنا وقد عرفنا بانفسنا مبلغ مناصرة العالم الوزير لكرامة

الإنسان المظلوم الى ان ينال حقه الكامل من العدالة ، فاننا نتقدم
بظيم الشكر على مجهودات معالي الوزير في ميادين الثقافة العربية
والدموة الاسلامية التي ترفع راس الامة الاسلامية وتشرف اهل الصاد
جميعا .

طرابلس - لبنان . محمد اديب غالب

عندما جاءت عصافير الدوري

لشاعرة بلغارية ليذا ميليفا - ترجمة عيسى فتوح - ١٠٤ صفحة -
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية - مطبعة وزارة
الثقافة بدمشق

هذا الكتاب الذي صدر اخيرا في منشورات وزارة الثقافة والإرشاد
القومي في سورية ، هو باكورة اعمال الصديق الاديب السوري عيسى
فتوح . وهي باكورة ليست مبكرة ، وليس صاحبها بالاديب الناشئ
الذي يستعمل الشهرة قبل النضج ، فيسبق عمره في طلبها عمن
طريق النشر : فعيسى فتوح يعارض مهنة الكتابة منذ سنين عديدة ،
ويكتب في صحف متعددة ، وله أكثر من كتاب مخطوط . ولو كان ممن
يستغلون الشهرة قبل اوانها ، لصدر له من مقالاته المنشورة فسي
الصفحة - كما يفعل ناشئة اليوم المتعشون السريع - أكثر
من كتاب واحد قبل الآن . انه من يؤمنون بان « في التاني السلامة ،
وفي العجلة الندامة » ، وان المجد الادبي لا يأتي بالإنسار والتسرع ،
وانما هو وليد النضج الفكري والخبرة الحية ، والثقافة الواسعة
المتشورة .

وقد شاء الصديق فتوح ان يكون علمه الادبي الاول ترجمة لا تالفا
واختار لذلك شاعرة بلغارية ، هي السيدة ليذا ميليفا ، واختار لها
ديوانا من شعر الاطفال والطفولة ، وعيسى فتوح يميل الى ادب الاطفال
وبعبارة من ، ولذلك التقى ميله الخاص مع ميل الشاعرة ميليفا ، فاحب
شعرها ، واحب ان ينقله الى لغته العربية . وكان موقفا في اختياره ،
كما كان موقفا في أسلوبه في الترجمة .

اما الشاعرة ميليفا ، فقد ولدت في بلغاريا ١٩٢٠ - كما ورد في
تعريف المترجم بها - وهي ابنة الشاعر البلغاري فيو ميليف ، وقد
نشأت في جو فكري راق ، يحوطها أبوها بمعانيه ورعايته . وقد نظمت
الشعر صغيرة ، وكانت لها صداقات مع كبار شعراء بلدها . وقد
وصفت كل مواهبها في خدمة الاطفال ، لتساعدهم على ادراك حقائق
الحياة بأسلوب بسيط مشوق .

يشتمل كتاب « عندما جاءت عصافير الدوري » ، الذي يقع في
١٠ صفحات من القطع الوسط ، على تعريف سريع بالشاعرة ، فقصيدة
لشاعرة السوري المعروف سليمان العيسى عنوانها (من اطفال سورية
العربية الى اطفال بلغاريا الصديقة في عيدها الوطني) ، ثم مقدمة
قصيرة للمترجم . وبلى ذلك ثمان وشرعون قصيدة ، الاربع الاخريات
منها يؤلفن في الواقع ، قصيدة واحدة متكاملة . من هذه القصائد التي
تؤلف مجموع الكتاب ، قصيدة اعطت الديوان كله عنوانها .

اما الصورة الشاملة التي يخرج بها قاري الديوان فهي صورة
الشاعرة الام ، التي تجلس في حلقة اطفالها ، تروي لهم حكايات مليئة
بالصور الانسانية الحلوة ، وبرادة الطفولة العذبة ، وغنية بالرؤى
والالوان التي تجعل الاطفال يبتاهوا والانا ولقوا يربتهشود شدا وثيقا
الى الشنتين الشين ترويان هذه الحكايات ببساطة ساحرة ممتعة ،
كما تجعل منهم اخيلة منطلقة وراء الصور والرؤى التي تعرضها

حكايات الشاعرة الام بكل احساسها ، وكل العنان الذي لا تملكه
الا الالهات .

وحكايات ميليفا الشعرية غنية بالرموز والمعاني الانسانية التي
تحت - بطريقة غير مباشرة - وهي كذلك غنية بالتوجيه اللطيف ،
غير المباشر ، الذي يستفيد منه الطفل في حياته اليومية .

قصيدة (المخللة) مثلا ، تعلم الطفل ان المخللة تقي الناس من
المطر في الشتاء ، ثم يلقون بها جانباً بعد انتهائه :

فتمود بتواضع

الى مشجعيها الغير

منسية وحيدة

كشيخ حطمته السنون

ولكن هذه المخللة ، رغم الاعمال ، لا تتخذ ولا تحزن ، بل تالفل
دالما ذات

قلب حي فني ،

فما ان تبدأ حيات المطر

تعرف :

تلك - تلك - تلك - تلك

حتى تتدفق ثانية

تتق عباب المطر

وفي هذه القصيدة معنى الاستعداد الدائم للخدمة النافعة
وللتفخية ، مما لقي الانسان من تكرار الآخرين وعقولهم .

وقصيدة (الممران) تعلم التعاون من أجل الخير ، وتعلم الطفل
ان التعاون هو الذي ينجي بالسلام والحب ، ويؤدي في النهاية الى
خير الجميع :

والآن يسير الممران

بدا بيد

يخترقان الارض

طريقا واحدا فينبسبا

سبيدا ومرحبا

وقصيدة (الريح العاتية) تعلم الطفل ان لا يابه للمقترين بانفسهم ،
الذين يتعاملون على الآخرين ، ويعاقلون سد طريق التقدم في وجوههم ،
وان يسير بايمان ووداعة وصمت لكي يبلغ النجاح والسعادة : فتجربة
الكرز لم تبال بالريح العاتية ، بل ظلت تنمو بصمت ، وتنضج جانبها
بهدهو تحت الشمس :

نظمت جبات الكرز الخضى الى الشمس

وابتسبت الشمس لكل حبة .

وتنتيجة للفرح الغامر

استاحتت جميعها حمرا في القعة .

والآن تعيش شجرة الكرز سبيدا

كاسعد ما يمكن ان تكون شجرة

ومثل شجرة الكرز في قصيدة (الريح العاتية) كذلك شجيرة
الصنوبر ، في قصيدة (شجرة الصنوبر الصغيرة) :

الزهرها برد الشتاء

فطارت منها العصافير الجيابة .

لكن شجرة الصنوبر الصغيرة الشجاعة

لظت مقيمة معنا ، خضراء ومرحة

لانه شجاعة ، ولانه طيبة ،

ولا تهرب الى الاراضي الأخرى .

لقد حال لها الشتاء برنسا

ولثلج الابيض فلغازين ليدبها

اما القصائد التوجيهية فلاذكر منها (زلاجات وزحافات) ، فانها

حزن حتى الموت

مجموعة قصص - تأليف فاضل السبيعي - ١١٦ صفحة من الحجم المتوسط - صدرت من الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٥

من مقولة اوسكار وايلد : « ليس لك ان تحب » ان انت وصفت كتابا بأنه اخلاقي او لا اخلاقي ، فالكاتب اما ان يكون حسن التاليف او رديته ، وهذا كل شيء » . وهذا الفرع يتوره النقصان ، ذلك انه لم يفسر ماهية حسن التاليف : فان صح انه يعني الشكل والمضمون ، الاسلوب والجهر ، فقد كتب حقن من التعريف والا فلا .

وبالقياس ، فان مجموعات فاضل السبيعي ، عامة ، ومجموعته القصصية الجديدة « حزن حتى الموت » خاصة ، اخلاقية وحسنة التاليف معا ، والتعريف الوحيد الذي يطلق على هذه المجموعات ، ان كلماتها تنساب ما بين السطور ، كسقسقة الماء بالساقية ، في ارض مخضوضرة . ثم انها تدخل الاشرار الى الصدر ، والسكينه الى القلب ، مثلما تبث الراحة في النفس وتهد العقل بالفاء .

تحتوي مجموعة « حزن حتى الموت » - كما يقول المؤلف « خمس عشرة قصة ، تربط بينها خيط واحد ، فتصبح وكأنها فصول لرواية طويلة ، تدور حوادثها حول الانسان الذي حرم اثم ما عنده : الحرية » . وبفص حلقومه فيبر عن مكوناته قائلا : « هل ثمة الفصح من غابت عنه الحرية فسرنا ؟ ان يحكي قصة القلم بجرأة ؟ »

والذين عاونا تجربة الحرية في البلاد الضادية ، يدركون جيدا انها لم تكن ناجحة حلالا في عهود الاستقلال ، مما كانت عليه في عهود الاستعمار ، ان لم تكن اسوا وارذل . فالحرية هي ملك الانبياء وحدهم ، واما الضفاء فلا شأن لهم بها . ثم ان الحرية « تؤخذ ولا تعطى » ومن لم يعشنا بدمائه ، بل من لم يفدها بالمال والرخيص ، فهي مستبراة . اننا نتم احسن تعريفا لما هما قاله احمد شوقي : وللحرية الجسام سباب بكل يسه مفرجة يبدق وهيئات لنا ، مشر الضفاء ، ان نحرز نفعها ، او ان نستورد

تهدف الى تحبيب الاطفال بالرياضات الشعبية ، كما تعلمهم قصيدة (ان ترسم رجلا) الدقة في العمل ، وعدم عمل شيء ناقصا . وقصيدة (شجرة الصنوبر الصغيرة) التي اوردنا ابياتها قبلا ، تعلم الشجاعة والطبية ، وحب الارض والوطن . وكذلك كل في القصائد التوجيهية الاخرى .

والحقيقة ان برادة الطفولة تلاصق قصائدها ، او حكاياتها الشعرية ، بالكثير من المعاني الطفولية الاعلى بالعلوية . خذ مثلا قصيدة (اصمت) التي نختمها بقولها :

انتهى النهار ، وخيم الظلام ،
فنام الصغير الآن مراه عيني ،
اتنس بحرارة في فراشه المريح
لا تعرسه غير النجوم .

انتهى النطق القصيرة النفس
اولفي الهرب من فشكل .
ايها الازرق ، ظني سائتة ولا تحركي .

وانت ايها الربيع الطفيلة ، حاولي ان لا تهبي
ففي النوم ينمو الاطفال .

وسترين
ان الطفل سيفقدوا اكبر مما هو .

ونلاحظ في كل هذه القصائد جمال العبارة ، وحسن اختيار اللفظة الطيبة التي تناسب لطف الطفولة ونعومتها ، مما يزيد في جمال هذه الحكايات الشعرية الخيالية الساذجة مثل ساذجة الطفولة وعذوبتها .

هذا النوع من الشعر ليس بالامر الهين . وما اسخف الذين يحسبون الكتابة للاطفال عملا سهلا ! ان الكتابة لهم اصعب واقلد كثيرا من الكتابة للكبار : فانت مع الكبار تستطيع ان تخاطب عقولهم ومواقفهم مباشرة ، اما الاطفال فيحتاجون الى من يخاطب خيالهم البشري ، ونفوسهم المطبوعة على الجمال الساذج الرقيق . ولكلمة اخرى ان هذا النوع من الشعر المكتوب للاطفال يحتاج الى قلب الام الواسع الفسي بالمعاطفة ، والى خيال الشاعر الذي يعيش بكل احاسيسه برادة الطفولة ، وساذجة احلامها ، وجمال خيالاتها . ولينا مقيلا : كما هي في كتابها هذا - تملك كل ذلك ، وبكثير من الفنى والطف ، ونسكه فسي قصائدها التي تروي فيها حكايات الازهار ، والاشجار ، والحيوانات ، والانهار ، واوراق الشجر ، والعصافير ، وغيرها ، وكل هذه مسخرة لخدمة الطفولة ، ولانها بالخيالات الساحرة ، والمعاني الانسانية الرقيقة .

وانت نقرأ قصائد هذا الديوان تفسير معها بكل حواسك ، وقد عدت طفلا يعظم احلاما برئة ، ويسوح مع الشاعرة في دنياوات ملؤها الطيور والاشجار والازهار ، وعناصر الطبيعة كلها ، وكلها تتكلم وتروي حكايات لطيفة ، دافئة بالحنان الذي تغلمه الشاعرة على كل ما تصوره ، وكل ما يكون خيالها من احلام الطبيعة الطيلة ، ومن برادة الاحاسيس .

انك لا تستطيع الا ان تعود طفلا وانت تقرأ هذه القصائد . كذلك كان شعوري كله وانا اسير مع الديوان : من اول قصيدة فيه الى اخر قصيدة . ولقد تسادلت فعلا : اترى كتبت الشاعرة قصائدها لنا نحن الكبار لتعطينا الى برادة الطفولة ، ونهرب بنا بعيدا - ولو للحظات قصيرة - عن عالم الكبار الشقي المكد ؟ ام تراها كتبنا حقا للصغار وحدهم ، لتعلق بخيالهم في عوالم واسعة ، جميلة ، مريحة ، ملى بالحرية ، والحب ، والجمال ؟

لعلها رامت الهدبين معا ، فايدعت ، ولعل الصديق عيسى فتوح رام الهدبين معا كذلك ، فاحسن الاختيار ، كما احسن الترجمة .

عيسى الناعوري

عمان - الاردن

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالإضافة الى العرض الدائم لحدث مجلات

الآراء والموضة الأوروبية

تجدونه في

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير - بيروت

الآمل الذي ما زال يسقط في أفقها كالف شهاب ، والف رغبة للعشاء والإبداع ، فأطربنا نغمات قلبها ، وهزت مشاعرنا بصدق مشاعرها .
ان اميلي حداد تعود إلينا من جديد ، في الأطلالة الجديدة ، وبديوان جديد عنوانه « ليتك تسمع » . وهي هنا تكمل حياة العمر - بالنسبة - بعمق البلى ، وبصمود أشد ، فتذكرنا بان الآمل يظهر الروح ، فترسى وتأنق ، وان الآمل يسحق كل ألم ، وان الإنس التي أفضتها الحبسة والآيسان ، لها في كل موسم ربيع ، وفي كل خاطر عبرة وذكرى .

وجين تقرا كتاب « ليتك تسمع » ، تذكر كم يسحق في النفس البشرية من المفارقات ، وكل مع في أفوارها من نزعات تنصارب ، لم تستوي كلها من أجل الغير والحب والعطاء !!

ومثلما عرفت اميلي حداد كيف ترشف البسمة من عيون الأحران وكيف تلمظ الظافر السوداء ان هي تجرات ومنعتها من شهي الظفاف ، فقد عرفت أيضا كيف تصفي على كتابها حالة من التشويق ، تشد السي التهام الحروف ، حتى اذا شارفت النهاية ، وجدت نفسا تسال الكاتبة التالية مزيدا من حلوات قلبها العاطر الندي : وما احسب القارئ الا واجدا ذاته في احدى مقطوعات الكتاب ، حيث تروي المؤلفة حكاية الظلم ، او فرحة الحبيب السعيد ، او دعة المؤمن الصاعد ، او عبرة الشهيد الخالد على الزمان .

وعلى الرغم من النطاق اميلي حداد القسري عن المجتمع والناس ، فهي تعرف كيف تحكي حكاية الواقع البشري والاجتماعي ، فنصور الافراح والمآسي بصدق ودقة ، لكننا بها ما غابت عن المجتمع يوما ، ولا انتقضت عن المشاركة في شؤون وشجون . واميلي حداد ، بعد هذا تستعين بالامثال ، مثلما تستعين بالصعاب ، فتقول :

ما الآمل ؟

كلس .. بين شخسي

ما السقم ؟ ما العذاب ؟

نكثات انقلي ، برجعها فؤادي

الآمل ؟ ممزقة قديمة ..

والسقم من امز أصداواني

والعذاب جرمية تسوء

في كل ثانية تقلبها عيني !

وفي مقطوعة ثانية ، حكاية دعة ما سظت الا لكتب اسمم الحبيب :

سقت دعة على ورقتي

امدت رافعتها حنضت حروف اسمك

وجرت سيول من عيني

فرحت ، وانا في خضم شقائي

ابتسمت ، رغم المذاب الطويل

واستكنت ، وانا في ثورة حثيثي اليك !

لقد بكيت اخيرا

وبلل المطر اياي الطويلة

التي ايسها الجفاف

وعادت ذكرياتي معك

واميلي حداد ، توجهها دعوى الكبار ، فتقول في مقطوعة « دعوى الكبار كالمسكة » :

ايها الأطفال

الراكضون على الرصاة الفرح والغبطة

ليست لي اعماركم

فلا انتسق من زمني

سوى رحيق لحظاته النحوة .

ايها الأطفال السعيدون البسمات

اجزائنا السلبية المكتسبة ، ان لم يصبح الشعب العربي كله - من الماء الى الماسيزا حرا ، بغير موصاية عليه . وعندئذ فلا بد ان يتفكس كلنا رتبته ، ويعبر بشرا سويا ، فيقد الخطأ في طريقه الى الوحشة ، سبيله الى النصر ، ولا سبيل لغيرها . فلا عدالة بلا حرية ولا ظلم بغير استبعاد . هذا وان العدل اساس الملك ، واما الظلم فمرتعة وخيم : فيه غياب الفسائل ، حيث لا يبقى لثرة رادع عن ارتكاب الآثام والمواظين ، بحق ونهزم ، وبمضغ مع البقى الآخر . وبالفاصح عبارة : فليس اصدق مما قيل :

« ان الفاسي المستعبد لعبيد وفلسفة عور قصة العود »

العنوان « حزن حتى الموت » لا يحمل عنوان اية قصة - كما هي العادة - واتما يحمل عنوان مجمل قصصه ، وهو ما تلق به السيد المسيح في موقف اكتاب : « ان نفسي حزينة حتى الموت » . ومجرد مطالعة صفحة واحدة ، فلا بد من الإيمان في قراءة المجموعة من الآلاف السى اليساء . وعندئذ فلا بد ان ينقبض صدر القارئ ، بل لا بد ان يحزن حتى الموت ، وهو يستعرض (ستايرو) مسلسل الظلم ، وبمبارات بليفة منتقاة ، واسلوب جلد ميسط ، مع براعة في التصوير ، ودقة في الوصف ، لا تعادلها براعة ولا دقة .

ولا تختلف قصص هذه المجموعة ، فكل قصة درة ، وانما تمتاز بالحب ، فكلما ازداد الحجم تضاعفت القيمة ، كالتاس نعلما . فليس الشكل بأفضل من المضمون ، بل لعلهما توأمان في الجودة .

وللانصاف ، فان هذه القصص ترفي ذروة الادب الملتزم ، لانها ترصد الظلم ، من اشبح صوره . وهل الظلم الا وباء اخلاقي يمسخ الإنسان ، فيسحق الفساد في المجتمع ويهوي به الى الحضيض ... نافلة ان اقول : ان الظلم علة الملل ، وانه لكابوس يبيت ولا يحيي .

تزين هذه المجموعة بثلاث قصص : انتظار تحت الشمس ، والاسم والصورة ، والعينان في الاقش الشرفي . التي الدكتور شكري عياد على الاية ان ابلغ تعبير : « فنبأها الاسطوري » وايجازها المنبسط بالمعنى يجعلها درة . « واجب شوقي خبيث بالتالية لها » « دفاع من حرية الانسان ... الذي استهلك الغوف ، والمخالات المستنصرة ، لتخفي والهروب من « شبك السلطة » كل طائفة على الحيلولة والابدا » .

واما القصة الثالثة فتصور لواقع ، حلوه مر ، كالمظلم ، فيه ايمان السلطة لقلب مفاهيم القانون بتعدي الناس على القياء . والاتى من هذا كله : غسل دماغ الإنسان العربي ، بترويضه على الدلوسة لكي يقدو - بنظرها - « مواطنا صالحا » او « مواطنا صالحا جدا » بقدر ولوغه في تغدير وجهه بالرغام ، ومدى قابليته لتقبل الايدي والارجل ، طواعية او كرها ... !

مصطفى الخش

مصياف - سورية

ليتك تسمع

مجموعة وجدانية - تأليف اميلي حداد - (1) صفحة - من الحجم الوسط - مطبعة (2)

في خاطري حديث براع فجر ، فتحرر . شات الظروف ان نقيده ، فتحطم اللبث عند ريشته ، وانساب فاحسن وابدع . ذلك هو لضم الادبية اميلي حداد ، وقد عرفنا ما في باكورة انتاجها الادبي « نحو الاعالي » الذي حك لنا فيه حكاية العمر ، حكاية المساة ، حكاية

لماذا لا نستعيرون افئتنا ومنافقاتنا ؟

انراكم تشافلون الاسم

ام انكم تسفرون منا ؟

ونتهي اميلي حداد مقطوعتها المؤثرة بقولها :

اليوم كبرنا نحن

ولكننا ما زال نيكسي

والدمعة في عين الكبير كسقطه الصقر

يسهم صياد فاشل .

ثم ان اميلي حداد تعود تقرأ احلامها متهاوية تحت وطأة التكنولوجيا الحديثة ، حيث تغدو الانسانية معذبة ، ولذلك تراها

تعود الى وقفة زمنية وجيزة تقدر ، على قصرها ، بدهر :

وقفة فوق اطلال الانسانية

وتسدر ، كسم من الجماجم

تحصول الى ارضة للمرود

والقشة ، وامال عذراء تموت !

يا صديقي

ادعوا اليها

لتترك السطور والافكار جانبا .

وعلى لسان الحبيب التميم ، تقول المؤلفة :

لا تفرج عني

ورابت نفسي ، بلا وحي

مختلما وفيما لصاحبة الهيكل ،

فلم اعد الخ في الوجود الا عنيك الوجدتين

ولا اشتهي الا عنيك العاجي !

تعلمت رويحي بك ،

وبانت سجيئة سعيدة في اسرد

لاول مرة اذوق طعم الاخلاص ،

فلا معة تضاهي متعة الفرق في محيطاته ،

ولا روعة توازي روعة النوم على وسادته !

انا سجين تلك اللحظة الرائعة

وإن اطلب الافراج عني

فلأول مرة ، ربما يتألف السجن مع سجيئة ،

ويصبحان عاشقين !

هذه هي اميلي حداد ، في كتابها الثاني « ليتك تسمع » : فسي

يراعها لوعة الهدوء حين يستنارت ، وهدوء الثورة حين نطعن ! ألم اقل

في البدء ، انه براع تفجر فتحرر !!

نوال يونان

الشعر التونسي المعاصر من ١٨٧٠ الى ١٩٧٠

تأليف محمد صالح الجابري - تقديم محمد المروسي الطوي - ٧٠٧
صفحات - منشورات الشركة التونسية للتوزيع

لقد ظل الادب العربي في تونس ، دفين الصحف والمجلات والتقييدات الخاصة لدى المهتمين بالادب وشؤونه وشجونه زمنا طويلا ... وما سوى كتاب « الادب التونسي في القرن الرابع » هـ للرحوم زين العابدين

السوسي ، و « الحبة الادبية والفكرية في تونس » للفاضل بن عاشور. لم يظهر الادب العربي في تونس - شعره ونثره - بالتفانة تسجيل وتقييم ومتابعة وتقييم ، وانه لنقص - والله - كبير . الى ان جاء الشاب التشط الذؤوب : محمد صالح الجابري فرجع عن الادب ورجاله - وخصوصا الشعر - الفين المقيت ، والاهمال الفاضح ، والتفسير المخجل واهم بعبد تأليف هذا السفر الطيب « الشعر التونسي المعاصر من ١٨٧٠ الى ١٩٧٠ » اي تعرضي المؤلف لمدة قرن من الزمان . وانها - والحق يقال - لفترة طويلة ، ومرحلة ، ومختلفة ومتباينة ، شكلها ومضمونها ، وزمانا ومكانا ، واتجاها وطبيعة ، وظروفا كونية وحياتية . وانه لجهود سيقل بذثر فيشكر بكل ما فيه ، وما حوله ، وما له ، وما عليه .

وقدم الكتاب للقراء الاستاذ محمد المروسي الطوي ، وقد جاءت مقدمته خالية تماما من اعطاء اي لمحة او فكرة عن المؤلف لا من حيث مولده وموطنه ، ولا من ناحية تكوينه الثقافي ، وميله الفكري فيجاءت هذه المقدمة زائدة ، وحشوية ، وحشرية ، وليس لها من عائد او فائدة سوى اثبات اسم صاحبها على الكتاب . والمقدمات بصورة عامة وشاملة واساسية تشرع ما غشى من معان ، وتندد اماكن الضعف والخلل ، وتلقي ضوئا لكشف على الاثر القدم له ، فاذا خلت المقدمة من الغراضها ومزاياها جاء وجودها لا يمت لاثري الادبي الموطنة له ، بصلة او نسب . وتصبح ذات هدف بعيد لا يهم القارئ والنقاد في شيء على الاطلاق لا من قريب ولا بعيد . ومن المصادفة العجيبة اني تكلمت على المقدمة واهدافها والاستثناء عنها ، وذلك في جريدة « الصباح » التونسية منذ عشرين عاما اي في سنة ١٩٥٥ بمناسبة صدور كتاب « الحروب الصليبية » للاستاذ الطوي المكتوبة مقدمته بقلم الرحوم الشيخ العربي الماجر

مجلة

البيان

مجلة فكرية شهرية تصدرها

رابطة الادباء في الكويت

وتحررها الاقلام العربية الاصيلة

للاشتراك ، يرجى الاتصال بعنوانها التالي :

ص.ب. ٣٤٠٤٣ - المديلية

الكويت

« البيان » ... توزع في معظم الاقلام العربية

وإنا إذ ذاك اندرس في الرحلة الثانوية في لبنان . وما أشبه الليالسة بالبارحة !!!

والكتاب الذي بين أيدينا جاء في سبعمائة وسبع صفحات من الحجم المتوسط ونشرته «الشركة التونسية للتوزيع» عام ١٩٧٤م وضم الكتاب بين دفتيه المقدمة الإلغائية الفكرية ، وهذه المحاولة ، بين أيدينا فيها طريقتي ، ومنهجتي ، وأسلوبه ، ثم خمسة فصول موزعة على الفترات الزمنية التالية :

الفصل الأول من ١٨٦٩ - ١٨٨١ والثاني من ١٨٨١ - ١٩١٤ والثالث من ١٩١٤ - ١٩٢٤ والرابع من ١٩٢٤ - ١٩٤٠ والخامس من ١٩٤٠ - ١٩٧٠ م. هذا من حيث الأزمات التاريخية ، أما من ناحية الشعر والشعراء فقد قسمهم إلى شعراء كلاسيك وفتحائين ، والحلسم والواقع الاشتراكي ..

وهذا الكتاب في مجلته جهد مشكور ، وعمل ملحوظ ، وخدمة جلي للادب واهله . وإنا هنا لا نريد أن نقد الكتاب نقداً أكاديمياً إنشائياً ، ولا أقصد التعرض له بالقرينة والتدقيق ولا أتوي وضعه على الحكمة ، أو أمام الجهر الذي يظهر الأشياء المصغرة ويبغضها للرأي شديد الاهتمام فلذلك يستدعي دراستين ، وتعميلاً دقيقاً ، ومطالعة نافذة مقومة . وهذا بدوره يحتاج إلى وقت متسع ، وجهد مكثف وتركيز شديد وإنما كل ما أهدف إليه . هو أن أشهد على يد المؤلف بتجربة تقدير وعرفان وامتنان على تقديمه هذا الجهد المبذول في المجال الأدبي عموماً وفي الشعر على الخصوص . وإن أبدي ملاحظات رفيعة وبسيطة ، وهادئة خدمة للرأي العام الأدبي عموماً وفي تونس على الأخص .

أولاً حين صنف المؤلف الشعراء الأنواع المذكورة في الفصول الخمسة أغفل الشعر الرومانسي ، والشابي يمثل قمة الرومانسية في تونس ، وهذه تختلف عن الكلاسيكية التي قبلها ، وعن الواقعية الاشتراكية التي بعدها والفروق بين المرسيتين والفتحائين كبيرة ، وجذرية وعميقة . وإن كان جاء ذكر الرومانسية داخل الكتاب .

ثانياً لقد مثل المؤلف في كل طائفة بشعراء اختيرهم مثقلين للاهتمام الشعري وأغفل الكثير من الشعراء اعتدالاً على ملاحظته (السياسة) ومن الشعراء السلفيين من الحساب والعدد من لبب دوراً كبيراً سواء بشعره ، أو باتشعته الفكرية أو الصحفية أو التليفية أو الممانعة الوطنية الحادة ... وإذا صبح تبعاً لرأيه إسقاط الشعراء مثل : الهادي المنسي ، محمد الغازي ، صالح سويس ، محمد الشوموني ، الطاهر القصار ، الصادق الفني ، الصادق مازيز ، سالم الصيف ، الطاهر بن سلطانة ، الفخادري الصديق ومصعد الصغير . فلا يقل بحال من الأحوال أغفال هؤلاء الشعراء الذين مثّلوا أدواراً في دنيا الشعر ، ليسوا شعراء فقط بل توسع نشاطهم ورحب . وفادوا حركات أدبية ، وساهموا بتسطواف في آراء الحياة الأدبية وأمدوها بجبهة زاخرة بالألوان الأدبية المختلفة من اختلاف تكويناتهم وتباين مشاربهم ، وأمكنة انطلاقاتهم ، وميولهم الفكرية واتجاهاتهم السياسية ، ومعارفهم الوطنية .. فمثلاً لا يمكن أن لا يعطى المؤلف بسطة عن الشاعر حسين الجزيري الذي تخصص في الشعر الاجتماعي الكفائي الرأزمعاني ، والهادف إلى إغراق وقاصد خصوصاً وهو من بناة الحركة السياسية سنة ١٩٢٠ . وصاحب « دار التنديم » التي طبعت أحد جزأي ديوان خزنادر .. كذلك ليس من المقبول أغفال الشاعر : سعيد أبو بكر « وتونس الصورة » والرحوم محمد بوشريعة كان من المرفوضي أن لا يسقطه وهو صاحب الحملة الصاعدة على المدح والثناء والتفاني . وهل من المغلوط عدم الكلام عن محمد الرزوقي أولاً كشاعر أصدر ديوانه « دعوى وعواطف » سنة ١٩٤٦ م والذي أثار سجة من النقد والتعاليق كان من قادتها الاستاذ إبراهيم بورقعة المعاني في عاصمة الجنوب ، والثالث الأدبي المرفوع ، وثانياً كصحف في جريدة « النهضة » ومحرر صفحتها الأدبية ، وثالثاً كوني لقي الكثير من الثني والعتت والاسطهاد . إذ كان من دعاة الإصلاح الزيتوني المبكر .

فهؤلاء الشعراء إلى جانبهم الناحية الشعرية كانت لهم معاناة أخرى وفي أكثر من ميدان . والجانب الآخر من جوانب الرزوقي التليف والتحقيق وتقييم الأدب السبيل . وهو مرفرد في هذا الباب ! ليس كذلك ؟؟

ثالثاً وفي الباب الخامس وضمن عنوان من « المباحث إلى الفكر » تحدث المؤلف عن ظهور مجلة « المباحث » ودورها العلوي في المجال الأدبي ، وتكلم عن مجلة « الندوة » التي انتهت في الظهور والاختفاء ووصل به الحديث إلى مجلة « الفكر » وأثبت المؤلف فسي صفحة ٣٢٦ الكلمة التالية « ومجلة كالفكر تصدر في تونس » وفي هذا الوقت بالتحصيص على صاحبها وأجيات ضخمة وتبعات كبيرة نحو الوطن وتجاه المواطنين ، وتجاه المجتمع التونسي الصاعد إلى العلاد . والان نقول يا استاذ مزالي نريد فركاً حراً خالياً من جميع الشوائب وخالصاً من جميع التوجيهات التي عرفناها في صحافتنا ، نريد فركاً ثورياً يعلمنا كيف نتجرب ، وكيف نقفب ، وكيف نرفض ما لا يتماشى ومستقبلنا الزاهر الذي ننشده ، ونسير إليه دابئين فركاً جديداً فيه جرة الجديد وظلمة الماضي الشرق ، نريد فركاً يصرح لنا الواقع ، واقفاً البسح الكريه كما هو . نريد فركاً يجعلنا نكسر هذا الواقع ونبتضفه ونعمل على تغييره . كما نريد من مجلة « الفكر » أن تكون منبرا حراً للأفكار والأفلام حرة

وهذه القطعة أخذها المؤلف من مقال صدر بجريدة « الصباح » «تكريباً بالفكر» ودعوة إلى أن تكون كما جاء في المقال . هذا المقال خرج بعنوان « الفكر الذي نريد » بصباح ٢ مارس ١٩٦٦ لكتاب هذه السطور . ولا أدري ما هو الناتج من الإشارة إلى كاتب هذا الموضوع مع أن الإشارة أدبية ، والصدق التاليفي ، والحقيقة التي يجب أن لا يجعها أي حاجب مهمما كان نوعه تفرض نفسه على كل قول لي صاحبه . ولعل للمؤلف عذره ، ونحن نعمل بذلك القول الحكيم « المتس لا يخيك طرا » وإن كان يجب بعض الأسماء أصبح سمة متعبة . فالاستاذ عثمان الكعاك عندما طام بأصداق الأسماء التي كتبت عن « الشابي » لم يغمض أسمي ضمن القائمة مع تعدد المواضيع التي كتبها عن « الشابي » في مجلات « المرفان اللبنانية » و « الرسالة » المصرية ، وكذلك أغفل اسمي الاستاذ كرو في كتابه « الشابي وصداءه في الشرق » .

وليس الباعث على إثبات هذه اللاحقة هو ما يتعلق باسمي ، بل أوردتها كظاهرة سبئية عند الكتاب والمؤلفين في تونس ، والتمكاد وكرد أعرف غرضهما ، وأفهم مقاصدهما ، وأدرك خلفيتهما . أما الأخ محمد الصالح الجابري فلما أصدر المدافع الأساسي لعدم إثبات اسمي على ما نقله مع أنه كلف المصرد الأخير لا زال حياً وموجوداً . وما دام المؤلف لم يغفل الشعراء الذين يترجم لهم لإسباب مقنعة للآقاري ، أو مقنعة للإبداع الفني ، أو الصدق الذاتي ، فالغالبية من شعرائنا تعرفوا في وحل المدح الرخيص ، والكلب الصارخ ، والتناقض ، والدجل المبيت ، من الأفضل والحالة هذه أن يلحق المؤلف كتابه هذا بذييل ، أو تكملة أو جزء كان يترجم فيه لبقية الشعراء ، ويعطي منهم ولو لحاح صغيرة وبسطة لكي يصبح الكتاب بجزيائه مرجعاً للشعر العربي في تونس ، وذيلاً لرجال على اختلاف مستوياتهم الفنية ، وفدائهم الإبداعية ، وحذقهم في عملية التعبير عن خيلجات النفس ، ونوازع الإنسان الباطنية والظاهرية وصدفهم الفني ، وفدائهم على شد القاري . إلى ما يقولون .

هذا ما عن لي أن أسطره عن كتاب « الشعر التونسي المعاصر » عند قرادته له ، وسروري بقلته ، ونهشتي ، وصادق شكري للمؤلف على ما بذله في مؤلفه هذا من جهد مشكور .. وأرجو أن التقي به في مؤلفات أخرى أكثر دقة وأوسع شمولاً ..

محمد العيساوي الشتوي

طرابلس - ليبيا